الهلال

١ يناير ١٩٣٨

مزاجه فيسيطر على حياته كلها ، غلو فى الحس يجعله يحس الأشياء على نحو أقوى وأشد مما يحسها غيره، وغلو فى الشعور والعاطفة يجعله يندفع الى الاشياء أو يرتد عنها على نحو أقوى وأشد مما يندفع غيره الى الأشياء أو يرتد عنها ، ثم غلو فى الحكم والتقدير يجعله يقوم الأشياء تقويما لم يتعوده الناس ولم يألفوه ، ثم غلو بعد هذا كله فى تصوير الاشياء والتعبير عنها يجعله يعرض الأشياء على نحو غريب لم يألف الناس عرضها عليه ، وهم من أجل ذلك يقبلون عليه ويكلفون به ويتنافسون فيه

وما اعرف ان أديبا يشذ عن هذه القاعدة أو ينحرف عن هذا الأصل . فالشعراء والكتاب يختلفون فى إيثارهم للمبالغة وحرصهم على القصد والاعتدال ، ولكنهم على ذلك متفقون فى مقدار من الغلو لا يكون أحدهم شاعراً أو كاتبا بدونه ، فلن تجد أديبا إلا وهو مرهف الحس دقيق الشعور رقيق المزاج ، الى حد لا يشاركه فيه غيره من الناس . وارهاف حسه ودقة شعوره ورقة مزاجه الى هذا الحد غير المألوف هى التى ميزته من الناس ، فاتاحت له أن يجد ما لا يجدون ويشعر بما لا يشعرون ، ويقول بعد هذا كله ما لا يقولون ويذهب من مذاهب القول والوانه ما لا يألفون

فاذا أردت بعد هذا أن تعرف أخلاق الأديب فارجع بها الى هذا الأصل وردها الى هذا المصدر ، فستنتهى بها الى الينبوع الذى فاضت منه والى المعدن الذى صدرت عنه . وقد تعود الناس أن يظنوا بالأدباء الظنون وأن يضيفوا اليهم من الأخلاق والخصال ما يخيل اليك أنهم يمتازون به من غيرهم وينفردون به انفراداً . والناس معذورون فهم يرون للادباء أو للممتازين منهم على أقل تقدير أطواراً غريبة خاصة ، وهم يقرأون من شعرهم ونثرهم ما يصور لهم الوانا من الحياة ينكرونها ويرغبون عنها، أو يؤثرونها ويحرصون عليها، ولكنهم لا يألفونها عند أوساط الناس

فهم يعرفون من أمر بشار ما يعرفون : اسرافا فى اللهو وغلواً فى العبث وتهالكا على اللذة ودفاعا عن هذا كله واستهتاراً بهذا كله . فما يشكون فى أن بشاراً رجل شاذ وفى أن شذوذه جاءه من أنه أديب ، وربما كان من الحق أن يروا أن بشاراً رجل أديب وأن أدبه جاءه من أنه خلق شاذاً ، ولولا شذوذ فطرته وخروج الطبيعة به عما ألف من اعتدال المزاج واتزان الحس واستقامة الشعور، لأحس الأشياء كما يحسها غيره من الناس، ولتصرف فيها وحكم عليها كما يتصرف فيها ويحكم عليها غيره من الناس . وقل مثل ذلك فيمن شئت من الممتازين المتفوقين بين الأدباء فى كل بيئة وفى كل عصر وفى كل جيل ، هم قوم شذت بهم الطبيعة عن المألوف وخرجت بهم عن الطور الذى عرفه الناس ، فمنحتهم حسا مرهفا وشعوراً دقيقا ومزاجا حاداً ، ودفعهم هذا كله الى التأثر بالحياة وظروفها تأثراً شاذاً والى التعبير عن الحياة وظروفها تعبيراً شاذاً . ولكن الغريب أن الناس لم يقبلوا الأدباء كما هم ولم يرضوا عنهم جملة ، وانما اخذوا الأدب فشطروه شطرين قبلوا أحدهما فتنافسوا فيه ورفضوا أحدهما الآخر ونعوا عليه أشد النعى ومقتوه أشنع المقت

فالناس يقرأون شعر بشار فيعجبون به أو يعجب به أكثرهم ولكنهم ينقمون من بشار

الهلال

الجزء الثالث ـ السنة ٤٦

اول يناير ١٩٣٨ ـ ٢٩ شوال ١٣٥٦

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt

(1 January 1938)

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Sudan P.T. 85. — Syria, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100. — Other countries P.T. 130 or £ 1-7-0 or $ 6.50.

قبح سيرته وسوء خلقه واسرافه فى العبث والمجون . وما ينبغى أن نطلب الى الناس ، بل نحن نعوذ بالله أن نطلب الى الناس ، الرضى عما هو معروف من سيرة بشار وأمثاله من أصحاب العبث والمجون ، ولكن الذى نطلبه هو الانصاف ، فلولا أن بشارا قد سار سيرته المعروفة وعكف على ما عكف عليه من العبث لما أنتج هذا الشعر الذى نرضى عنه ونعجب به . وفرق عظيم بين أن ترضى عن سيرة بشار وتغرى بها الناس وترغبهم فيها ، وبين أن تحقق الصلة بين هذه السيرة وبين ما انتجت من الآثار الأدبية وتردها وترد آثارها الأدبية الى أصل واحد هو هذا الشذوذ الفطرى الذى طبع الشاعر عليه ، والله كفيل بحساب بشار وأخذه بذنوبه أو التجاوز له عن هذه الذنوب ، وصاحب الأخلاق كفيل بتنبيه الناس الى الفضيلة والرذيلة وترغيبهم عن هذه وتزيين تلك فى قلوبهم ، ولكننا نحن حين نحكم فى الأدب ونقدر آثار الادباء خليقون أن نقرر أن سيرة بشار هذه القبيحة قد انتجت لنا شعره هذا الجيل

وقد أراد الله بالناس خيراً فأعفاهم من الشر المطلق ورفع عنهم ثقل القبح الخالص، واستخرج لهم من الشر خيراً ومن القبح حسنا ، وجعل مايكرهون سبيلا الى ما يحبون ، فلنرحم هؤلاء الادباء البائسين الذين تورطوا فيا نكره فأنتجوا لنا ما نحب . وقد أحس بشار بغض معاصيره له ونعيهم عليه وأراد أن يذود عن نفسه وأن يعتذر عما كان ينكر الناس من أمره فقال :

طبعت على ما فى غير مخير هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا اعطى واعطى ولم أرد وقصر علمى أن أنال المغيبا
فأصرف عن قصدى وعلمى مقصر وأمسى وما أعقبت إلا التعجبا

وللفلاسفة وأصحاب الكلام أن يجادلوا بشارا وينازعوه فى ميله الى الخير واعلانه للدعوة اليه ، ولكننا نحن الذين ليسوا فلاسفة ولا متكلمين خليقون أن نرحم بشارا وأمثاله من آثامهم هذه وأن نعرف لهم أنهم قد تورطوا فيها وشقوا بها لننعم نحن بما أنتجوا لنا من آيات الفن وروائع الشعر والنثر . وليس الامر مقصوراً على أمر بشار وأمثاله من أصحاب العبث الذى يأباه الدين وينكره الخلق، ولكنه يتجاوزهم الى أصحاب الجد الذين شذت بهم الطبيعة عن المألوف فدفعتهم الى الوان من السيرة والى فنون من الكلام تناقض العبث والمجون ، ولكننا مع ذلك ننكرها ونضيق بها . وان أعجبنا بآثارها الفنية ، فقد شذت الطبيعة بابى العلاء عما ألف الناس فى حياتهم وألزمته فنونا من القسوة على نفسه وعلى الناس ومن سوء الرأى فى نفسه وفى الناس ما أظن أننا نتخذها مثلا أو نغرى بها الشباب . ولكننا مع ذلك نقرأ اللزوميات فنعجب بها ونفتتن بكثير من شعرها ، ونجد الوانا من المتاع فيا حفظت لنا من صور هذه الفلسفة المظلمة . وما اختار أبو العلاء أن يكون متشائما مظلم النفس سيء الرأى ، وما اختار أبو العلاء أن يسير هذه السيرة التى دفع اليها دفعا . فلنرحم أبا العلاء إذن من سيرته هذه التى لم يخترها ، وانما أكره عليها اكراها ،



حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

تحتفل مصر في هذا الشهر بزواج حضرة صاحب الجلالة مليكها فاروق الأول ، بسليلة النبل والمجد الآنسة فريدة ذو الفقار . وننشر لهذه المناسبة صورة جديدة لجلالته في لباسه الرسمي (تصوير رياض شحاته)

ولنعرف له أنه شقى السعد وقسا على نفسه لترفه نحن على نفوسنا بما ترك لنا من الآثار

والأدباء بعد هذا كله يختلفون اختلافاً شديداً فنهم من تظهر سيرته فى آثاره الأدبية ، ومنهم من يخفون هذه السيرة ويظهرون فى آثارهم ماينافضها أشد المناقضة . فسيرة بشار ظاهرة فى شعره وسيرة أبى نواس ظاهرة فى شعره أيضاً، وكثيرة ما ترك أبو العتاهية من الشعر تناقض ما نعرفه من حياته . وقد كان الشاعر الفرنسى ألفريد دى فينى ألقى فى نفوس الناس الذين قرأوا شعره أنه صورة الجد والحزم والتشاؤم والشدة على النفس، ثم أظهر البحث من أمره ما يناقض شعره أشد المناقضة . ومن الأدباء من يتوسط بين ذلك فيظهر من سيرته فى آثاره الأدبية أطرافاً ويخفى منها أطرافاً ، ويكلف الباحثين عن تاريخ الأدب ألواناً من العناء ليستخرجوا الحق من سيرته وآثاره . وهذا الاختلاف بين الأدباء يأتى فيما أقدر من رأيهم فيما يكون بينهم وبين الجماعات التى يعيشون فيها من الصلة ومن شجاعتهم واختلاف حظوظهم من هذه الشجاعة التى تمكنهم أو لا تمكنهم من مصارحة الجماعة بشخصياتهم كما هى . فنهم من يؤمن بشخصه أكثر مما يؤمن بالجماعة ويحفل بشخصه أكثر مما يحفل بالجماعة فيجاهر الجماعة بنفسه وما يؤلف من العواطف والميول والأحوال متعرضاً فى سبيل ذلك لألوان الانكار والسخط التى تنتهى به أحياناً الى الاضطهاد وربما انتهت به من الاضطهاد الى أقصاها . ومنهم الذى يصانع ويوادع ويؤثر العافية فيظهر للجماعة من نفسه ما تحتمل ويخفى عليها من نفسه مالا يطيق لينفق حياة هادئة أو كالهادئة . وربما كان هؤلاء المصانعون الموادعون أحق الناس بالرحمة وأجدرهم بالاشفاق ، فليس انكار الشخصية بالشيء الهين على صاحب الشخصية القوية

وقد تسألنى بعد هذا عن أخلاق الأدباء ما هى ، أو ماعسى ان تكون ، وهل يمكن أن يقال فيها قول جامع يختصرها ويجملها ؟ فصدقنى ليس هذا بالشيء الهين بل ليس هذا بالشيء الممكن

فالأدباء ناس من الناس لهم ما لغيرهم من الاخلاق ولكنهم يمتازون بما يمتاز به أصحاب الفن الذين طبعوا عليه من الحس المرهف الدقيق ، والشعور القوى الرقيق ، والمزاج العنيف الحاد ، فيظهر من أخلاقهم على اختلاف ما فيها من الخير والشر ما يخفى من أخلاق غيرهم من الناس . وما أكثر الذين أحبوا اللهو وعكفوا على الخمر فلم يكد يعرف الناس من أمرهم شيئاً لانهم لم يفطروا على طبيعة بشار وأبى نواس ، وما أكثر الذين يدخنون الحشيش والافيون فلايكاد الناس يعرفون من أمرهم شيئاً لانهم لم يفطروا على طبيعة بودلير . وما أكثر الذين يتشاءمون ويقسون على أنفسهم فلم يعرف الناس من أمرهم شيئاً لانهم لم يفطروا على طبيعة أبى العلاء . صدقنى أن للأدباء عيباً خطيراً هو الذى يدل عليهم ويغرى بهم ، او قل ان لهم عيبين خطيرين يخيلان الى الناس انهم فرقة ممتازة بأخلاق لايشاركهم فيهاغيرهم . فأما اول هذين العيبين فهو الغلو الذى ركب فى طبائعهم وأشيع فى امزجتهم وجعلهم يقيسون ذراعاً كلما قاس الناس اصبعاً . أما ثانى هذين العيبين فهو هذا الذى ذكره الصبى الذى أحبه وأوثره وهو الثرثرة والاغراق فى الكلام

طه حسين

الجرائم والرذائل ليست كذلك إلا لأنها أعمال هادمة ـ كلما ارتقت الامة توقت اعمال الهدم ـ اغفال الكفايات واعمال التعليم عمل هدام ـ المنافسات بين الافراد والطوائف والاحزاب، والدول تهدم فى بناء الانسانية

وسائل الهدم فى بناء المجتمع

بقلم الاستاذ احمد امين

استاذ الادب العربى بالجامعة المصرية

إذا نحن أردنا أن نلخص تاريخ الانسان منذ نشأته الى اليوم والى الغد فى كلمة ، قلنا إن كل أعماله تنحصر فى الهدم والبناء . واذا نحن أردنا مقياساً بسيطاً سهلا نقيس به الأفراد والأمم فما علينا إلا أن نجمع عمل الفرد أو الأمة فى البناء ونطرح منه عملهما فى الهدم فباقى الطرح هو مقياسهما . واذا أردنا أن نقارن بين شخصين أو أمتين نظرنا الى مقدار باقى الطرح فى كليهما فما زاد فهو أرقى ، واذا أحببنا الدقة فى التقدير لم نكتف بتقدير الكمية فى البناء والهدم بل حسبنا فى ذلك نوع ما يبنى وما يهدم ، فان قيم البناء وقيم الهدم تختلف اختلافا كبيراً بحسب نوعهما وصفاتهما وكيفياتهما ، كالذى نفعله فى البناء الحسى ، فلسنا نقدر البناء بحجمه ومساحته فقط بل نقدره كذلك بنوع حجارته وتجارته وبنوع هندسته وما الى ذلك من أمور لا تخفى

وقد أكثر الكتاب من القول فى البناء . فالوعاظ الدينيون ورجال الاخلاق والمصلحون ونحوهم انما يتكلمون فى البناء ويحذرون من الهدم ، فلنأخذ نحن الآن جانب الهدم فنثيره ، فكثيراً ما يكون الهدم مقدمة البناء بل ربما كان خير بناء ما سبقه الهدم التام

فيمكننا أن نقول إن الرذائل الخلقية من كذب وظلم، والجرائم القانونية من قتل وسرقة ، لم تعد رذائل ولا جرائم إلا لانها هدم ، اما هدم لمرتكب الرذيلة والجريمة ، واما هدم للمعتدى عليه ، واما هدم لبناء المجتمع . ونحن اذا نظرنا الرذائل والجرائم من حيث هى هدم أفادنا هذا النظر فائدة جديدة فى تقويم الرذائل والجرائم ، فما كان منها أشد هدما كان أكبر جرما . ولذلك كان القتل أفظع من السرقة لان القتل يهدم النفس والسرقة تهدم الملكية . وقد يؤدى بنا هذا النظر الى تعديل فى قائمة الرذائل والجرائم ، فهل من المعقول لهذا النظر أن الحكومة تعد مجرمة اذا حصلت من الأهالى مالا لا تستحقه ولا تعد مجرمة اذا لم تمد قرية بالماء الصحى مع علمها أنها تشرب سما زعافا يقضى على عدد كثير من الأرواح ويذهب فى سبيله كثير من الضحايا ؟ ـ ليس هذا من

المعقول في شيء ، لاننا ان أقررنا عملها قومنا حق الملكية بأ كثر من حق الحياة ، وعددنا هدم الملكية مقدما على هدم النفوس ، وليس ذلك بحق ، وأمثلة ذلك كثيرة

بل ان هذا النظر يعدل رأينا في العقوبة ، فالعمل الذي يهدم أمة أشد مما يهدم شخصا ، والذي يعرض النظام للخطر أشد مما يعرض ملكية الفرد للخطر ، والذي يسرق لانه جائع ولانه يريد أن يبنى لنفسه بجزء مما يهدم ملكية غيره أقل خطراً ممن يسرق لداعي الطمع والشره فيريد أن يزيد ثروته لهدم ثروة غيره

وهكذا ، وعلى كل حال فمن الممكن أن نقول ان احصائية الجرائم في الأمة هي عمليات من عمليات الهدم وليست كل هدم

فلنترك الآن الجرائم والعقوبات لرجال القانون ولننظر لاعمال الهدم الأخرى في المجتمعات

فهناك هدم مادى لكل أمة يجتاح مقداراً كبيراً من ثروتها ، فحوادث الحريق حوادث هدم ، والامة التي لاتحتاط لها تترك أعمال الهدم والتخريب في ساحتها ، وكذلك كل أعمال القوى الطبيعية العنيفة الهادمة كالسيل والفيضان العالي والصواعق والرياح والعواصف . وكلما كانت الامة أرقى كانت أكثر احتياطا وتوفيقا في منع أعمال الهدم الطبيعية وتوقيها

وهناك هدم سلبي ليس أقل خطراً من الهدم الايجابي ، وأعنى بالهدم السلبي عدم الانتاج مع القدرة عليه ، فالامة التي تترك أرضا واسعة من أراضيها بوراً قائمة بعمل الهدم السلبي ، ومثل ذلك ما اذا كان لديها مناجم لا تستغلها أو قوى طبيعية لتوليد الكهرباء لا تستخدمها أو نحو ذلك ، فكل هذه أعمال هدم سلبية لا فرق في الضرر والاضرار بينها وبين الهدم الايجابي

ومن هذا القبيل أن يكون في الامة قوى كثيرة لا تنتج ، فالعاطلون في الامة قوة للهدم سلبية ، لانهم يأكلون ولا يعملون ، ويستهلكون ولاينتجون ، ويأخذون ولا يعوضون — وأمثال هؤلاء الاغنياء الذين لا يعملون والذين يصرفون أوقاتهم في الكسل والخمر والميسر ، فهؤلاء — من غير شك — هدامون لا بناءون مهما كانت ثروتهم

والمرضى في كل أمة قوة هادمة ، بقطع النظر عما اذا كانوا معذورين في مرضهم أو ليسوا معذورين ، فهذا شيء آخر غير الحقيقة الثابتة وهو أنهم هدامون . نعم ان بعض المرضى قد مرضوا اختياراً بتصرفاتهم من إفراط في (الكيوف) أو اهمال لقوانين الصحة ، فهؤلاء هدامون مجرمون معا ، ومنهم من مرض رغم أنفه كمن أدركته الشيخوخة أو مرض مرضا لم يكن في وسعه أن يتجنبه فهؤلاء هدامون لا مجرمون

ان كان ذلك كذلك فما بالك بقوم صناعتهم في الأمة الهدم والتخريب كتجار المخدرات والمحرضين على الفجور ، فهؤلاء وأمثالهم هدمهم وتخريبهم مضاعف ، هم يخربون انفسهم وغيرهم . هم مدرسة سيئة تخرج الهدامين وتسلحهم

فاذا نحن ارتقينا من الماديات الى المعنويات رأينا الأمر على هذا المنوال

فمن طرق الهدم أن تكون النظم الاجتماعيـة فى أمة مضيعة لـكفايات أفرادها ، كأن تعطى المناصب لذوى الحسب والنسب ، أو ذوى الملق والمداهنـة ، أو نحو ذلك ، ثم تنحى عنها ذوى الـكفايات ممن ليس لهم سلاح الا علمهم وخلقهم ، فهذا ــ من غير شك ــ عمل من أعمال التخريب المزدوج ، لأن من شغلوا هذه المناصب لا يمكنهم أن ينتجوا لعجزهم الطبيعى ، ولأن من أبعدوا عنها لا يمكنهم أن ينتجوا وقد حيل بينهم وبين الانتاج

ومن هذا القبيل ألا يكون للتعليم فى الأمة ضابط ، فلا احصاء ولا توجيه ولا دراسة لحاجات الامة ومقدار انتفاعها بأنواع التعليم المختلفة . فالامة التى يكثر فيها دارسو القانون كثرة تزيد عن الحاجة ويقل فيها الزارعون والصانعون وهى اليهم فى أشد الحاجة أمة مخربة ، والامة التى لا تسمح نظمها باكتشاف ذوى الاستعدادات الممتازة فيها وتزويدهم بما يحقق نبوغهم واستغلال نبوغهم فى خيرها أمة مخربة ، وهكذا

وكذلك من أعمال الهدم في الامة أن تسود فيهـا أنواع من الآداب والفنون تحطم الغرائز وتميت الشخصية ، وتبيد الحيوية . فالآداب والفنون التى تنفث اليأس وتبعث على الانتحار أو الترهب ، أو التى تثير الشهوات الى أقصى حدودها حتى اذا انغمس فيها الانسـان لم يعد يصلح لعمل ، أو التى تدفع الى الحب المائع والاخلاق المنحلة ، كلها آداب وفنون مخربة ، هى معاول للهدم لا أدوات للبناء ، وقل مثل ذلك فى روايات السينما والتمثيل وأنواع الجرائد والمجلات التى من هذا القبيل

فان شئت مثالا أوضح من هذا كله فى أعمال الهدم فانظر الى (العداوات) وما تجره من تخريب ، وأعنى بها العداوات بين الافراد والاسر ، والعـداوات بين الطوائف والاحزاب ، والعداوات بين الامم ، فأكثر هذه العداوات ليس لها غرض صحيح ترمى اليه ، وترتقى العداوات صعدا حتى تأتى بأفظع أنواع التخريب : تخريب فى النفوس وفى الاموال وفى الاخلاق وفى الحضارة. فكم جرت العداوة بين الافراد والاسر من سفك دماء وضياع أموال وضياع زمن فى التفكير فى الانتقام ، وضياع زمن المحامى فى احضار الدفاع والمرافعة ، وضياع زمن القضاة فى قراءة الملفات وسماع المرافعات وتحضير الاحكام ، فكل من فى المحكمة من خصوم وكتبة ومحامين وقضاة انما يشتغلون فى الهدم ، فان أحسنت الظن قلت إن هدمهم فى الحاضر يحفظ البناء فى المستقبل

وكم جرت عداوة الطوائف والاحزاب من ويلات وخراب ، فكم كانت العداوات الدينية سبب لخراب ممالك وخراب حضارات ، وكم عاق حرب الأحزاب الأمم من البناء ، فوجه كل حزب همه لهدم الحزب الآخر ، وكم انصرفت الجهود الجبارة في عرقلة الحزب الآخر ولو أودت بالأمة ، وكم كانت هذه الجهود تأتى بخير بناء ، لو وجهت كلها لخير الأمة

فاذا نحن وصلنا الى العداوة بين الأمم ـ الى الحرب ـ فهناك الطامة الكبرى والتخريب القظيع والموت المبيد والفناء الذريع . وقل ماشئت من الاوصاف المرعبة والنعوت المفزعة ، فحسبك ان تقرأ ما قام به العلماء من احصاء لما سببته الحرب الاخيرة من خسارة فى الأنفس والاموال والاخلاق لتدرك صدق ما أقول

بل انى أظن أن هذا الاحصاء ناقص لانهم يكتفون فى الاحصاء بالخسارة الواقعة فعلا ، فما بالك لو أحصوا ما يحصل من الضرائب لتصرف فى شئون الحرب حتى فى أوقات السلم ، وما يصرف من وقت الجند فى الاستعداد ، وتفكير رجال السياسة وأشياعهم فى الاحتياط للحرب ، وما يصيب الناس من فزع كلما ساءت الحالة الدولية ، الى كثير من أمثال ذلك ، أليس كل هذا من أعمال الهدم والتخريب فى العالم ؟

قد يقولون إنك تنظر فى كل ما قلت الى جانب واحد من جوانب المسألة ، فتنظر الى جانب الهدم فى العداوت ولا تنظر الى جانب البناء ، فكم أفادت العداوة الشخصية لحفزت النفوس ، وشحذت العقول ، وكم أفادت العداوات الحزبية من دراسات للمسائل واظهار لعيوب السياسة وتوجيه الآخذين بزمام الحكم الى وجهة صالحة ، وكم أفادت الحروب من إذكاء روح الوطنية والمنافسة بين الأمم على التقدم والمنافسة بين العلماء على الاختراع الى غير ذلك !

ولكنى أقول إنى لم أنس كل هذا ولكن السؤال الصحيح هو : هل ما بنت أكثر مما هدمت ؟ وهل هذا البناء الذى بنت لا يمكن أن يتحقق الا بهذه الوسائل الجهنمية ؟ ان التاجر لا يكتفى بحساب ما دخل فى مخازنه من السلع بل لا بد أن يحسب ما أنفق فى سبيلها من الثمن ، وأظن بل أؤكد أن الثمن الذى تنفقه فى هذه العداوات أكثر مما نربح ، وما نهدم لها أكثر مما نبنى ، خصوصا اذا آمنا بأن العقل البشرى لم يعلن افلاسه فى إيجاد طرق شريفة للتنافس بين الافراد والاحزاب والامم ، فنبنى البناء الكثير بلا هدم أو بهدم قليل ، والا فخبرنى بربك : أى شىء فى الوجود يساوى افناء الملايين من الارواح ، وبث الفزع الهائل من حين الى حين بين نفوس البشر ، وتقطيع أكباد الأحياء حزنا على من فقدوا من أبنائهم وأزواجهم ، وما أصيبوا به فى نفوسهم وأموالهم ؟ أظن ان كل ما يطنطنون به من مخترعات ـ على فرض أنها لا تنتج الا هذه الويلات ـ لا تساوى الدماء المسفوكة والانفس الكسيرة والقلوب المتألمة

أحمد أمين

روجيه مارتن دوجار

الفائز بجائزة نوبل الادبية عام ١٩٣٧



أعلنت أكاديميـة استوكهولم قبيل عيد المدنة أن جائزة نوبل الأدبية لعام ١٩٣٧ منحت للروائي الفرنسي روجيـه مارتن دوجار تقديراً لقصته (صيف عام ١٩١٤)

وروجيه مارتن دوجار شخصية فذة فى عالم الأدب الاوربى الحديث

فهو رجل هادىء متئد صموت، وحشي الخلق غريب الاطوار، عاش بمعزل عن الجو الادبى الباريسى وانقطع انقطاعا تاما لخدمة فنه وتأدية رسالته. والعجيب فى هذا الـكاتب قدرته الخارقة على الزهد فى هذا العالم، وشدة ولعه بالعزلة والتأمل، واحتقاره الصادق العميق لـكل سعي فى سبيل الشهرة والمجد. فلم يتصل طوال أيام شبابه بأية مدرسة أدبية معينة، ولم يتملق أصحاب المجلات والصحف ليروجوا الدعوة لمؤلفاته، ولم يعرف من كبار أدباء وطنه غير اندريه جيد وجاك كوبو وفرنسوا موریاك

ومن مميزاته أنه عدو السرعة فى التفكير والانتاج، هذه السرعة التى تفسد أجمل الاعمال الادبية الحديثة وتجردها من طابع القوة وتنتزع منها خصائص الحياة والخصب والخلود

ولذلك فكر روجيه مارتن دوجار فى توديع العالم ومفاتنه ، وتوديع باريس ومباهجها ، والفرار الى ضاحية بعيدة يستطيع فيها ابداع قصته الكبرى (أسرة تيبو) التى عقد عليها صفوة آماله الفنية ، وأراد بها تحقيق عمل أدبى يسمو فوق مختلف الاعمال الشائعة التى لا تلبث أن تظهر ويهتم بها الناس ردحا من الزمن حتى تتضاءل وتتبدد وتغيب آثارها فى ظلمات الماضى

وطفق روجيه مارتن دوجار يعمل بارادة من حديد لابلاغ عمله الادبى حد الكمال الممكن فأخرج الاجزاء الاولى من قصته الكبرى التى تقع فى نحو عشرة مجلدات والتى تعتبر قصة (صيف عام ١٩١٤) التى فازت بجائزة نوبل قسما منها

وقصة (أسرة تيبو) تصف لنا الصراع بين فرعى أسرة واحدة احدهما كاثوليكى والآخر بروتستانتى حول نزعتين اجتماعيتين بارزتين تتمثل فيهما أهم اتجاهات هذا العصر وأفكاره ومبادئه ألا وهما نزعة الرجعية والمحافظة ونزعة التجدد والتطور والحرية . وقد أحاط الكاتب بشتى الظواهر الاجتماعية والخلقية المقترنة بالنزعتين ، ومثلها فى شخصيات واضحة المعالم وثيقة التركيب خالية من الغرابة ، فالصفاء والوضوح والدقة وصدق الملاحظة وتوخى الانسجام التام بين الوان القصة وظلالها ، جميع هذه الفضائل التى اشتهر بها الفن اللاتينى نجدها بارزة فى (اسرة تيبو) وفى شتى الأعمال الأدبية الأخرى التى تمخضت عنها عقلية هذا الكاتب

وقد أبدع روجيه مارتن دوجار فى الجزء الذى أحرز عليه جائزة نوبل فى تصوير تلك الفترة التى تقدمت الحرب الكبرى ، وكان فى تصويره داعية كبيراً من دعاة السلام العالمى . وهذه الظاهرة الانسانية والسياسية زادت فى قيمة عمله ووسعت آفاقه وخرجت به عن المحيط الفرنسى المحدود ، وهى التى أشارت اليها أكاديمية استوكهولم بوجه خاص عندما منحته الجائزة إذ قالت انها تقدر فى قصته عملا فنياً رائعا ودعوة انسانية نزيهة نبيلة مجردة

وقد نبغ روجيه مارتن دوجار فى الفن المسرحى كذلك ، وتعتبر مسرحيته (وصية الاب ليلو) من أجمل المسرحيات الفرنسية التى تعرض فى صدق تام بعض عادات وأخلاق فلاحي فرنسا

وصفوة القول أن السر فى المجد الذى أحرزه هذا الرجل هو قوة الخلق ، إذ ليس فى مقدور كل أديب أن يتزهد فى سبيل فنه ، وأن يتبتل من أجل هذا الفن ، وأن يزدرى الشهرة الوضيعة الرخيصة التى يسهل الحصول عليها من أقرب السبل . ومن كلماته عند ما بلغه نبأ فوزه قوله لاحد الصحفيين : « يجب ان انسى انى أحرزت جائزة نوبل ، لان الكاتب الذى لا يستطيع أن ينسى مجده ، من المحال أن يستطيع تحقيق مثله الأعلى ! . . »

«.. وإن عبقريا لا يجد الى جانبه المرأة التى تؤنس بمحضرها وحشته ، وتمسح ببنانها السحرى على جبينه المتعب ، فقد أبرمت فيه المقادير حكمها الفاجع ، فمصيره إما الى الانتحار ، وإما الى الجنون ، وكلا المصيرين أفجع من الآخر .. »

الزوجة فى حياة رجل الفن

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

من الحقائق التى شهدت بصحتها التجربة والاحصاء ، أن معظم الناس يرجع النصيب الأكبر والحظ الأوفر من نجاحهم أو فشلهم فى الحياة الى المرأة التى اتخذوها زوجة. واذا قلنا معظم الناس فلا يعنى هذا أننا نستثنى رجال الفن ، بل الأمر يصدق عليهم بوجه أخص . فهم أحوج الناس بما تقتضيهم طبيعة عملهم من الاجهاد العصبى والانفعال النفسى الى الزواج الموفق السعيد يسكنون اليه ويجدون فيه التسرية والترفيه . فالحياة البيتية الهنية عزاء عن الشهرة والمجد لمن حرمها ، ولولاها لأصبحوا موغرى الصدور على الانسانية مستهترين . كذلك ذوو الشهرة ممن فشا ذكرهم على الألسنة واستفاض ، وقرع الاسماع وتجاوبت به الآفاق ، فانهم لا يلبثون طويلا حتى يحسوا بأن دوى التصفيق وضخامة الصيت خواء فى خواء ، وأن ليس فيها غناء للنفس عما يجده الرجل بين زوجه المحبوب وبنيه الأحباء من راحة غنية بالأحاسيس، هى أنفس ماتهب الحياة للمرء ، وأعز ماتسلبه إياه. واذا امرؤ أظلمت الدنيا عليه وعصفت الزعازع حواليه وهو صامد لها والابتسامة على شفتيه فكن على يقين من أن الرجل له بيت يشع بالحب الصادق فهو مطمئن اطمئنان المسافر على متن الخضم الى قارب النجاة . وإن عبقريا لا يجد الى جانبه المرأة التى تؤنس بمحضرها وحشته ، وتمسح ببنانها السحرى على جبينه المتعب ، فقد أبرمت فيه المقادير حكمها الفاجع ، فمصيره إما إلى الانتحار مثل الفيلسوف الفتى أوتو فيننجر ، وإما الى الجنون مثل الفيلسوف الشيخ نيتشه ، وكلا المصيرين أفجع من الآخر

ونحن نقرأ ونسمع الكثير من شكوى المتزوجين وبخاصة رجال الفنون ونميل الى تصديقه ، ولكنه مع هذا لا يخدعنا عن حقيقة الواقع . وذلك أننا لا نشعر بالجارحة من جوارحنا حق الشعور ولا نلق لها بالنا كله إلا اذا اعتلت ، فعندئذ نردد ذكرها ونجأر بالتوجع منها : « واضرساه ! ــ وارأساه ! ــ وارجلاه ! » وهذه هى الحال فى الزواج . فطالما كان الزوجان سعيدين فانهما فى غفلة السعادة ينسيان نفسيهما وينسيان الناس ، وقلما يتحدث عن سعادته منهم إلا القليل وفى كلمات موجزة ومناسبات نادرة . أما اذا طرأ ما يدعو الى التألم فان صرخات الألم تشق


الشاعر الانجليزى وردثورث

الفضاء عالية مسموعة . ولاغرو فالناس ينعمون بالسعادة العائلية فى عقر دورهم ، فاذا وقعت نبوة راحوا يسترعون بالشكوى الى هذا وذاك ، وترددت شكواهم فى المجالس وذاعت فى الطرقات. ومن ثمة كان زواج واحد فشيل أشد دويا من مائة زواج سعيد . فاذا كان من بين المخفقين بعض العباقرة المشهورين فلا جرم يكون أمر شقائهم ماثلا للأذهان ملء الاسماع فى العالمين أجمعين

لهذا ساد الاعتقاد بأن الأحرى برجال الفن على الخصوص ألا يتزوجوا لان شقاءهم محقق فى الزواج كما أن زواجهم أدعى الى اطفاء القريحة منه الى اذكائها . ولقد حفزنا هذا الى استقراء الحياة الزوجية لأكثر العباقرة ، ونحن وايم الحق ، نتوقع صفحات مبللة بالعبرات مستشاطة بالحرقات تتمثل منها نوابغ الفن مشدودين الى زوجاتهم كالمشدودين الى آلة التعذيب

ولكننا شهدنا هنا وهناك على غير انتظار مناظر مستبشرة مؤنسة :

فهذا إقليم البحيرات فى البلاد الانجليزية حيث يقوم بيت ريفى يكسوه الورق الناضر الخضرة والورد وزهر العسل الساطع الحمرة . وفى حديقة البيت الصغير صغيران يسيران جنبا الى جنب بخطى رفيقة متئدة وهما فى جو من الحنان يلفهما ، فكأنهما العاشقان وان علت سنهما . هذان « وردثورث » الشاعر وامرأته « مارى هتشنسون » . وقد مضت السنون تتلوها السنون على زواجهما وهما يزدادان حنواً ورعاية كلاهما نحو قرينه . ولم تك مارى فى صباها بالجميلة ولكن كانت لها فتنة الجمال كلها بما رزقته من بساطة وعذوبة . وقد كانت تؤمن بزوجها حين كان العالم كله يزرى بشعره ، وكلما تصايح نقاده لكل قصيدة جديدة يخرجها : « بئس الشعر ، من سيء الى أسوأ » ، هتفت له مهللة : « نعم الشعر ، من حسن الى أحسن » ومما يروى عن الشاعر فى شيخوخته انه أبى الاستماع الى حديث أحد النقاد عن شعره لما عساه أن يكدر خاطره ، فقال له محدثه : « إذن فاسمح لى بأن أنقل اليك من مقال الناقد شيئا واحداً ثم ننتقل الى حديث آخر . لقد زعم الناقد أنك دون زوجتك طيبة وخيراً » . فما كادت الكلمة تطرق سمع الشاعر الشيخ حتى لمعت عيناه الكليلتان واهتز فى مقعده وهو يهتف متحمسا : « وهذا صحيح ! فى هذا صدق

الناقد ! » . وبان على أساريره أنه أصبح أقل كراهة للناقد وأخف نفوراً منه . وما نحسب منظراً أوقع فى النفس من منظرهما فى هذه الشيخوخة وقد افتقدت الزوجة زوجها الشاعر فلم تجده عاد من نزهته فى اليوم الشمس ، فاذا هى تدلف الى الحديقة ، فتجده ناعسا فى الشمس فتهرول ما استطاعت تلتمس قبعته فتغطى بها رأسه ولا تبرح بجواره حتى يستيقظ

وهكذا كانت هذه الحياة الزوجية جديرة بكلمة صاحبها المأثورة : « إن الرجال لا يجلبون الشقاء على بيوتهم لأنهم ذوو عبقرية ، بل لانهم ليس لهم الكفاية من العبقرية . وهم اذا أوتوا عقلا وعاطفة من الطراز الرفيع حريون بأن يبصروا ويشعروا بما فى الصلات الزوجية من جمال »

وبعد ، فهل ترى يكون سر التوفيق فى زواج شاعرنا وردثورث أن زوجته وهى من ذوى قرابته كانت زميلة له فى المدرسة ، وقد عرفها وألفها طيلة شبابه ، وصحبته وأخته فى مطافه بين النجاد والوهاد في إقليم البحيرات ، وانها نشأت فى نفس التربة التى كان يؤثرها بحبه وفى حيث مدارجه ومعاهد أنسه ، وذلك الى رقتها ولطف احساسها وفيض محبتها وحسن تقديرها ؟

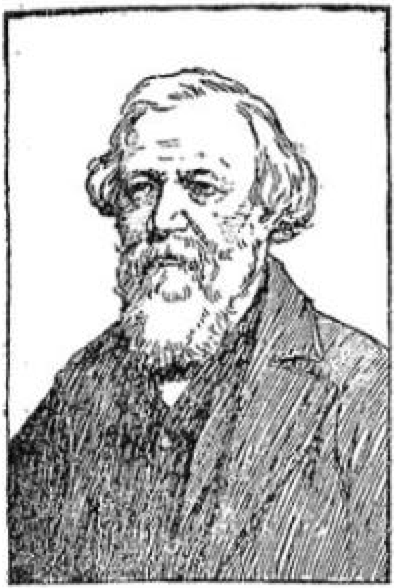


الشاعر الالمانى هينى

أتكون إذن وحدة النبت وتشابه التعليم والتنشئة وسابقة العشرة هى الأركان التى يجب توافرها للسعادة الزوجية ؟

انه ليصرفنا عن هذا التحديد أن غير وردثورث من الشعراء تزوج على خلاف هذا الوصف وعاش مطمئنا الى زواجه سعيداً به

فقد التقى « هينى » شاعر الألمان بفتاة تبيع الكفوف (القفافيز) فى محل صغير بممر شوازيل فى باريس فشغف بها . وكانت لا تتجاوز الربيع التاسع عشر من مقتبل عمرها . وقد أتت بها عمتها منذ عهد قريب من القرية التى نشأت فيها لتديل من كآبة الحانوت وتشيع فيه بهجة شبابها وبهاء نضرتها ، وهى اذا وصفت قيل فى وصفها إنها مطهمة الخلق ، وافية تقاطيع الجسم ، يغلى دمها بحرارة الصبا وغنى الصحة ، ناصعة اللون ناعمة البشرة ، دعجاء العينين ، فمها الواسع حساس متوفز ، شديدة حمرة الشفتين ، رخيمة رنة الصوت ، تزين وجنتيها عند الضحك نونتان ، ضحوك تبسم لكل شيء ، وبالجملة تحس منها أنها سعيدة ، سعيدة لمجرد أنها تحيا وتتحرك وتتنفس . ثم هى الى جانب ذلك جاهلة ، غير مهذبة الحواشى ، هوجاء ، غافلة عن معتبات الأمور خلية البال لاهية ، لا هم لها إلا الاستمتاع بكل ما فى الوجود من مناعم وطيبات طال حرمانها منها ، فهى نهمة الى شهى



الشاعر الانجليزي براونج

الطعام والشراب ، مفتونة بفاخر الثياب ، ترتاد المراقص والمسارح فتحب من الأولى لذة الانسياق مع النغم والحركة وتؤثر من الثانية المهازل المضحكة والاغاني البهيجة . وقد تحدث اليها في ذات يوم بعض الاصدقاء عن كتاب « لمينى » في وصف الاسفار حديث المعجب المتحمس ، فألحت على الصديق ولجت في الألحاح ليوافيها بالترجمة الفرنسية ، فلما صار الكتاب بين يديها قلبت فيه نظرها فاذا كل ما وعته منه أن فيه بالنساء تشبيبا ونسيبا ، فتولتها نوبة من الغيرة وعلا الشحوب وجهها وجعلت ترتجف من فرعها الى قدمها ، وتوسلت الى الشاعر ألا يتوجه بمثل هذا الغزل الى غيرها . وقد لمس هيني ما تقيمه جهالتها وغرارتها من عوائق في طريقه في عالم الأدب والفكر الذى هو علته ، فاستقر قراره على أن يزودها على الأقل بما يعوزها من ثقافة أولية ، ولما كان لا سبيل الى اقبالها من تلقاء نفسها على أى عمل جدى فقد عهد بها ، وهى المرأة النامية ، الى مدرسة داخلية للفتيات فارتضت مقامها بينهن ووجدت فيه حادثا مسليا ، ومع هذا فانها كانت بحكم المستوى الفكرى تعتبر في سنهن . وكانت تشترك في حفلات الرقص المدرسية مع الصغيرات وتهز بينهن أرداف المرأة الثقال دون أن تلق الى ذلك بالا . وأخيراً غادرت المدرسة وقد أفادت معلومات أولية كانت تعرضها مباهية كما يفعل الصغار ، وقد تجاوز سرورها كل حد يوم تبين لها أنها أعرف بأسماء الفراعنة المصريين من هيني العظيم نفسه . وهكذا لم تفعل المدرسة شيئا في غرارتها ولم تنبه فيها حياة الفكر

وتلك هى المرأة التي كتب لشاعر من أعظم شعراء الدنيا الفنانين وأرقهم حسا أن يتزوجها ولا يعدل بها أخرى على مابها من جهل وغرارة .



الشاعرة اليزابث براونج

وقد كان يحسبه فى سنوات مرضه الأخيرة أن يحس حركتها حوله فيبسم ابتسامته الخفيفة الشاحبة ويستشعر فى قلبه العزاء والرضى

والآن وقد أسلفنا مثالين أحدهما لزواج الفنان بالمرأة المتحلية بالعقل والكمال ، والآخر لزواجه بالمرأة الصبية الجميلة مع الجهل والغرارة ، وكيف أن التوفيق كان مصاحبا للزواج لا فى الحالة الأولى وحدها بل فى الحالة الثانية أيضا . فها نحن أولاء طامعون فى هذا التوفيق بعينه فى حالة أخيرة هى الجمع بالزواج بين فنان وفنانة . وقد قيل إن الجمع بينهما كالجمع بين هرّين مستوحشين فى جراب واحد

فى مدينة لندن ، فى شارع ويمبول ، وفى غرفة بالطابق الأعلى من منزل الاسرة تجلس على أريكة بعينها فتاة لزمها السقام من عقابيل سقطة من على ظهر الجواد فى صباها ومن أثر صدمة نالتها من وفاة أخيها غرقا . فتمر الايام تلو الايام وتمضى الشهور والاعوام وهى هنا مع كتبها وأوراقها بين كتاب المأساة من الاغريق وشعراء عصر اليصابات ، مقطوعة عن الدنيا رهن غرفة موصدة النوافذ على الدوام ، لا تطرق وحدتها بين الفينة والفينة غير زائرة واحدة فتحدثها عن الحياة الاجتماعية والأدبية فى المدينة . يا لها من نفس مشبوبة كالشعلة الحرى فى غيابة قبر ! تلك هى الآنسة اليزابيث بارت الشاعرة النابهة وقد أخرجت للعالم من محبسها الذهبى مجموعة أشعار رائقة . وقد شاءت المصادفة أن يصبح ابن عمها صديقا حميا للشاعر روبرت براوننج وأن يتحدث الى كل منهما عن الآخر . واتفق أن ضمنت الشاعرة احدى قصائدها إشارة لشعر صاحبنا مع آخرين غيره فقالت : « ان رمانة من قطاف حديقة براوننج اذا شققت الى صميمها تكشفت عن قلب نابض بدم الحياة وله كل وشائج الانسانية » . فكان لهذه التحية الممتازة تقديرها فى نفس براوننج ، وشجعه ابن عمها على الكتابة لها ، فكتب معربا لها عن اعجابه بديوان أشعارها . وكانت عبارة صاحبنا جياشة متحمسة ، فأخذتها لتلاوة الكتاب نشوة طرب لايوصف . وأجابت بجواب تسرى فى رقته بين الاحتجاز والترسل هزة سرور عميق . ولكن أرجئت بينهما المقابلة الى الربيع لاشتداد السقام عليها فى شتاء انجلترا القارس . واتصلت المكاتبة يتبادلان فيها الرأى والنصيحة فى الأدب . ومع أن هذه الرسائل فى جملتها تدور على الموضوعات الأدبية فقد أخذ كل منهما يتعرف فيها نفسية الآخر ودخائله فلما وقع اللقاء بينهما كانا قد عرفا بعضهما من قبل تمام المعرفة . وكانت زيارة براوننج لها فى مايو زيارة شبه مفاجئة وهى تهم بالتماس المعذرة دون استقباله لما هى عليه من الضعف والتقاعد . ولم تمض على هذه الزيارة أسابيع حتى طلب اليها أن يتزوج بها ، ولم يكن علمه بحال مرضها المزمن يقل عن علمها ، ثم هو فى الثالثة والثلاثين من عمره وهى فى التاسعة والثلاثين . فدفعها حبها له الى رفض زواجها به . وقد كتبت اليه فى احدى رسائلها : « انى رهينة أمرك فى كل شىء إلا فيما فيه اضرار بك . وعهدى لك ألا يعوا

بيني وبينك إلا الله ومشيئتك انت . واعني انه تعالى اذا قضى بخلاصي في مدى غير طويل من ربقة ضعفي هذا ، فانني أكون لك وقتئذ ماشئت أنت ان أكون : صديقة أو أكثر من صديقة ، وأنا على كل حال صديقة الى آخر العمر . فالأمر لله ولك . على انك في هذه الاثناء حر مطلق الحرية - أي غير مقيد (على حد تعبيرهم) بقيد شعرة . ولولا اني معتقدة انك تعتبر نفسك غير مقيد لما كنت أراك ولأبيت هذا على نفسي مهما كلفني الأمر »

ولقد ساعدها حبها لبروننج وجدد فيها الرغبة في الحياة . فنالت العافية وتم الزواج بينهما ، وهجرا الى فرنسا وايطاليا وعاشا عمرهما أهنأ ما عاش زوجان

فالفنانون غير أشقياء بالزواج عامة ، بل منهم من يسعدون فيه كغيرهم أو هم أسعد حال . وقد يكون لهذه السعادة علل وملابسات ولكنها في رأينا مختلطات متشابهات . ونحن أميل الى الاعتقاد بأن الزواج السعيد كالرزق يسعى له المرء ولكنه بعد قسمة يقسمها للناس مقسم الأرزاق والحظوظ

عبد الرحمن صدقي

كلمات مأثورة

* كثيراً ما يجهل الرجل ما يمكن أن تقوم به المرأة من رائع الاعمال باسم الحب
* ان تتزوج بلا حب خير لك ألف مرة من أن تتزوج بامرأة تحبها ولا تحبك

اوسكار وايلد

* الذكاء يرفع الانسان في عين نفسه ولكن أخلاقه هي التي ترفعه في عيون الناس

زولا

* ازدهرت العلوم في هذا العصر ولكن العواطف والاخلاق ما تزال في طورها البدائي المتوحش . فما لم ترتق أخلاق الانسان كما ارتقى عقله ، فليس لنا أن نقول إن البشرية استكملت عناصر حضارتها

جول رومان

ذكريات

بيني وبين حافظ ابراهيم

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

مراقب المجمع الملكي للغة العربية

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن تتصدعا
فلما تفارقنا كأنى ومالكا ... لطول افتراق لم نبت ليلة معا

وبعد ، فما أدرى ما خير « الهلال » فى أن تريدنى على الكتابة فيما كان بينى وبين شاعر النيل حافظ بك ابراهيم ، عليه رحمة الله ؟

لا أدرى ما خيرها فى هذا ، وما الذى يغريها به ويدفعها اليه ، وكلما اعتذرت ردت الاعتذار ، وكلما حاولت التملص سدت على المنافذ ، وأخذت بين يدى المذاهب . ويا عجبا ! ماذا يكون بيني وبين حافظ إلا ما يكون ، فى العادة ، بين جميع الاصدقاء ، أو بين جميع الاعداء !

كنت أصحب حافظا ويصحبنى ، وكنت ألقاه ويلقانى ، وكنت أسمر معه ويسمر معى . على انى لم أكن وحدى الذى ظفر بهذا الحظ من حافظ ابراهيم ، فمن صاحبوه ولازموه كثير ، ومن غشوا مجالسه ، واستمتعوا بملحه وطرائفه أكثر . وحافظ لم يكن متحجباً ولا منقبضاً عن الناس ، ولا برما بلقائهم وغشيان مجالسهم وفسح مجالسه لهم ، والتبسط بألوان الحديث معهم . بل لقد كان فياضاً ثراً متدفقا ، يسمح بطرائفه ، كما يسمح بماله وبطعامه ، ما يضن على أحد بما طالت يده ولا بما يطول لسانه ، ففيم إيثارى بالتحدث عنه . وفيم اختصاصى بالقول فيما كان بينى وبينه ؟ على انى ما برحت مقروح الكبد لفقده ، ما ترقأ لى عليه دمعة ، ولا تبرد لى ، كلما ذكرته، لوعة . فكيف لى ، مع هذا ، بالخوض فيما يروق من شأنه ، وما يعجب وما يسر من حديثه وما يطرب ؟

فى الحق ان تكليفى هذا دون الناس جميعاً عجب من العجب !

* * *

وبعد ، فاذا كانت « الهلال » إنما تحرص على إيثاري بهذا لأنها تحسب انى كنت أوثق أصدقائه به وأقربهم محلا من نفسه ، فقد خالفها الظن وأخطأها الحسبان

عاشرت حافظا وصاحبته ولازمته أكثر من خمس وعشرين سنة متوالية متصلة ، حتى مضى الى فضل الله ورحمته . ومع هذا لا أدرى أكان لى أصدق الأصدقاء ، أم كان لى أعدى الأعداء ؟ ولا أدرى ، من جانبى أيضاً ، أكنت له أصدق الاصدقاء ، أم كنت له أعدى الأعداء ؟ وهل كان يحبنى أشد الحب ، ويضمر لى أخلص الود ، أو كان يكرهنى أشد الكره ، ولا ينطوى لى إلا على أبلغ المقت ؟ كذلك لا أدرى إذا كنت أحبه أشد الحب ، ولا أكن له إلا أصدق الود ، أو اننى أكرهه أعنف الكره ، ولا أنطوى له إلا على أقسى الحقد والبغض ؟ أكان يكبرنى ويجل موضعى ، وكنت أكبره وأجل محله ، أم كان يزدرينى وأزدريه ، ويرى ان لا فضل لى وأرى ان لا خير فيه ؟

وترى انه كان لا يبغى لى الا النفع والخير ، ولا أبغى له الا النفع والخير . أو أنه كان لا يرجو لى الا الأذى والضر ، ولا أرجو له الا السوء والشر ؟ !

مازلت ، لعمرى ، بين الأمرين فى أحير الحيرة وأضل الضلال !

كنت لا أستطيع صبراً على فراق حافظ ، وكان حافظ لا يستطيع صبراً على فراق . ولا أستطيب طعاما شهياً الا اذا كانت يده مع يدى ، ولا تطيب له نزهة مفرّجة الا اذا كانت رجلى مع رجله . وهل مهد لأينا مجلس غناء أو لهو أو سمر ، فاستوى فيه ، واطمأن الى موضعه منه ، الا اذا كان صاحبه معه ، واحتل من المجلس موضعه . لا يخفى أحدنا عن الآخر سراً ، ولا يكتمه من مداخل أمره أمراً

ولقد يدعونى بعض الأمر الى الشخوص الى الاسكندرية على أن أبيت فيها ليلة ، فيثبط من همتى ، ويدغدغ من عزمى ، ويهون على من خطب طلبتى ، وينطلق يذم الاسكندرية ، ورطوبة الاسكندرية ، وضيق مساحة الاسكندرية ، حتى لتلقى من تكره فى اليوم الواحد عشرين مرة فى الاسكندرية . فاذا أصاب منى العزم والاصرار ، زم متاعه ومضى معى الى الاسكندرية ، ما يفتر لسانه طول الطريق لحظة واحدة عن لومى وتقريعى ، والابانة عن سوء رأيى وفساد ذوقى . يفعل هذا وهو متجهم الوجه بادى الغيظ ! ولقد تدعوه بعض الحاجة الى سفرة كهذه السفرة ، فأفعل معه مثل هذه الفعلة . وسرعان ما أرزم حوائج السفر ، وأمضى معه متى استيقنت من عزمه وإصراره !

وكيفما كان الأمر ، فانى أعود فأقرر أن حافظا رحمة الله عليه ، كان لا يستطيع على فراق صبراً ولا أستطيع على فراقه صبراً ، ومع هذا فانه ما جمعتنا خلوة إلا جعل يصارحنى ببغضه ، وأياديه بمقته . ويذكرني ما أسلفت من أذاه ، وأذكره ما أسلف من الكيد لى ، ولا نزال على هذا حتى يبدو ناجذ الفتنة ويهيج هائج الشر . ومع هذا لا توسوس لأينا نفسه بالفرقة وطلب الخلاص من هذا البلاء !

لا أذكر أنه ضمنى به مجلس قط ، سواء كان فيه من نعرف أو من لا نعرف ، وكان فيه من نعلى أقدارهم ، ونجل أخطارهم ، أو كان فيه من نتهاون شأنهم ، ولا تضمر أنفسنا الا استحقارهم والزراية عليهم . لا أذكر أنه ضمنى به مجلس قط إلا جلا له مداخلى ، و بذل بين يديه أكره مكارهى . فاذا أعوزته المكاره خلقها خلقاً وارتجلها ، من عفو الخاطر ، ارتجالا !

ولقد يوغل في الكيد ويمعن فى الأذى ، فيشرك نفسه معى فيما يرمينى به من ألوان التهم ، ولو قد صح أكثرها لأفضت بنا كلينا الى محكمة الجنايات ، والعياذ بالله . فيقول لما فعلت أنا وفلان كذا ، ولما اقترفنا كذا ، وهكذا . . وكل هذا ليؤكد على التهمة ويوثق الجريمة . وتراه يضع فى هذا الموضع نفسه ، ويبلغ منها به ما لا يبلغ أعدى عدوها ، ليرضى نقمته منى واضطغانه على . ولا آجر الله القائل :

فاقتلونى ومالكا واقتلوا مالكا معى !

وانظر يا سيدى كيف يكون غيظى ، حتى لأكاد أخرج من جلدى ، ثم فكر فيما يرمي به لسانى من منكر القول ، ومستكره اللفظ ، نضحاً عن نفسى ، وشفاء لصدرى ! ثم تدبر ، بعد هذا ، ما يعترينى من الألم ، وما يلحقنى عليه من واخز الندم . ولعنة الله على الغضب وما يفعل الغضب !

ولقد يتوافق رأيانا فى رجل ، فنذكره بما نحسب فيه من ثقل الظل ، أو شدة البخل ، أو الكذب والتزيد ، أو التنفج وعرض الدعوى . أو غير ذلك مما يكره الناس أن يذكروا به . فيلقاه فى سر منى ، ويقول له : « إن فلانا يرميك بكيت وذيت ، فتعال معى أسمعك بأذنك » . ويواريه فى غرفة مجاورة ، أو يدسه من حيث لا أرى ، خلف ستار ، أو تحت سرير . ثم يقبل على فيستدرجنى الى حديثه ، وما عسى أن نكون قد أرسلنا من النكات على خلاله تيك . فاذا بلغ من هذا كل ما أراد ، سل صاحبنا من حيث كان ، فطلع على مغبر الوجه ، متكرش الجبين ، محمر الحدق ، بارز الناب !

وانظر ، يا رعاك الله ، أى جهد يجب على أن أبذله . وقد يعيننى حافظ لانقاذ الموقف (كما يقولون) ، وصرف الامر كله الى النكتة ، حتى يسكن غضب الرجل ، ويتفرج غمه ، وتطيب نفسه ، ويشيع البشر فى وجهه . على انى اذا خرجت من ثائر شره على سلم ، واطمأننت منه الى الأمن ، فانى لأقضى بقية نهارى وسواد ليلى قلق النفس مقشعر الجلد مما عسى أن كان يكون . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

ومن أعجب العجب ، وان شئت قلت (من بركة العجز) ان هذه الحوادث قد انتهى أكثرها ، إذ لم يكن قد انتهى جميعها ، الى استيثاق الصلة ، وعقد الالف بيننا وبين هؤلاء الذين كان يغريهم حافظ بى ، ويثير حفائظهم على بما يسمعهم من حديثى فيهم ، وتناولى لمكارهم . وقد يزداد هذا الالف ، على الأيام ، حتى يصبح صداقة متينة وودا خالصا !

وأغلب الظن فى هذا اننا لم نكن نعرفهم حق المعرفة . ولم نخالطهم حتى نقلب عن يقين حقيقة شأنهم ، فنسرع الى الحكم عليهم بما نرى من ظواهرهم ، أو بما نسمع من خصومهم عنهم . حتى اذا عرفناهم وبلوناهم ، تجلت لنا فضائلهم ومزاياهم . واذا ما ذهبنا اليه انما كان أوهاما فى أوهام ، لم نخرج منها واحسرتاه ، الا بالمناكر والآثام ! اللهم اغفر لنا خطايانا وتب علينا واعف عنا ، انك أنت التواب الرحيم !

على ان مما يعزينا ، فى هذا الباب ، اننا ما تناولنا ، والحمد لله عرضا ، ولا اتهمنا أحدا فى ذمة ، ولا رميناه بكبيرة . انما هى الشهوة الى التندر على الناس والسلام !

* * *

ولقد كان حافظ يعرف منى شدة الخوف مثلا من سرعة السيارات ، فيستدرجنى الى احداهن لنزهة أو لعدة . ولا أركب حتى أستوثق من أن السائق لا يفعل . واذا هو قد أوصاه ، وربما رشاه . فما يكاد الخنزير يبعث عجل السيارة حتى يجريها فى سرعة الكوكب الهاوى أو البرق الخاطف ، ما يبالى زحمة الطريق ، ولا مواجهة الترام ، ولا يطامن منه أنه يرق تلعة ، أو يمشى على حافة ترعة . أو نحو هذا مما يغلب توقع التلف فيه على توقع السلامة !

* * *

وبعد فأرجو ألا تظن انى كنت أتمثل مع حافظ ، على شىء من هذا ، بالحكمة الرفيقة القائلة : « المسامح كريم » ، فانى ما كنت أجزيه الا شرا بشر ، وغيظا بغيظ ، وكيدا بكيد ! ولعلى كنت أخبر الناس بما يخبث نفسه ، ويكدر صفوه ، ويذكى همه وغمه ، ويسود نهاره ،

ويقض فى الليل مضجعه . فما حرمت شيئا من هذا شهوة الحقد أبدا . والبادى أظلم !
هذا ولا نتفارق ، لأننا كلينا لا نستطيع على الفراق صبرا

***

وإذا أردت ان تعرف بالضبط والتدقيق لون الصلة التى كانت بينى وبين حافظ ، فالتمسها فيما كان يصفنى به ويردده على الأسماع عنى : « فلان ضرر لا بد منه » وكان ذلك رأيى فيه أيضاً . رحمه الله ، وألحقنى به على الايمان ان شاء الله

وارجو ، اذا كان فى العمر فسحة ، ان آتى بشىء من التفصيل عن بعض ما كان بينى وبينه من هذا القبيل

عبد العزيز البشرى

نظرات فى الحب

يظل الحب أنانية متبادلة حتى ينتهى بالزواج ويتوج بالنسل . فاذا استمر حياً بعد الزواج واشتد اضطراما بعد الانسال ، هدد نظام العائلة وقضى آخر الأمر على مسئولية الحياة الزوجية لأن أنانية الحب لا تتفق مع واجب التضحية للاسرة وللابناء

تولستوى

الحب قناع تنزعه المرأة عمدا عن عين الرجل . وهنا هو السر فى عذاب العاشقين

ستندال

كلما ارتقى عقلنا واتسعت مداركنا ازداد استعدادنا للحب . إذ العقل المتعلم المستنير هو الذى يولد العواطف والاحساسات والخيالات التى تخلع على الحب ثوبه الشعرى الخيالى . واذن فالرجل المثقف هو فى الغالب ضحية الحب الخيالى ، وأما الجاهل فيقنع بنداء الغريزة . ولكن المرأة كثيراً ما تحب الجاهل لبساطته وتنفر من المتعلم لشعورها بأنه يطلب منها اكثر مما تستطيع أن تعطى

بورجيه

بغداد

كما تصورتها وكما رأيتها

بقلم الدكتور زكي مبارك

الاستاذ بدار المعلمين العليا ببغداد

قبل الرحيل الى بغداد بأيام أوصانى صديق عزيز لعله الدكتور طه حسين فقال : ستقدم بغداد وأنت كاتب معروف فيقبل عليك الصحفيون فيسألونك كيف رأيت بغداد ، فان فعلوا فاحذر يادكتور زكي أن تصرح بشيء ، لأنك موظف فى حكومتين ، ومركزك دقيق

وقد صح ما توقع ذلك الصديق ، وكنت عند نصحه الثمين ، فلم يظفر منى الصحفيون العراقيون بشيء غير التلطف المقبول . ولكن محرر الهلال سيظفر بما لم يظفر به الصحفيون العراقيون ، لأن بعد المزار لم يصرفه عنى ، فكتب يسألنى كيف تصورت بغداد وكيف رأيت بغداد ، وللهلال على قلمى حقوق ، فلأتوكل على الله ، ولأخرج مرة واحدة على ذلك المركز الدقيق

على أنى لا أتوقع أن يغضب العراقيون من بعض ماسيقع في هذا الحديث ، لأن الصدق لايغضب عقلاء الرجال ، وانما يغضبون من التحامل البغيض الذى تمليه الضغائن أو الأهواء

وليس من الاسراف أن أصرح بأنى لست من الغرباء فى بغداد ، فأنا أغار عليها كما أغار على القاهرة أو الاسكندرية أو سنتريس أو أسيوط ، لأنها فى قلبى وفى نفسى من الحواضر العربية التى يغار عليها العرب والمسلمون فى جميع الممالك والشعوب ، وفى نيتى ـ وأنا صادق ـ أن أجاهد فى سبيل بغداد حتى تبلغ ما هى أهل له من الحضارة والعمران ، وتحمل مصابيح الثقافة كما كانت فى عهود الخلفاء ، ولن أترك هذه المدينة حتى أضع فى صدور تلاميذى وأصدقائى بذور الشوق الى الحياة العالية ، حياة المدنية الصحيحة التى تعشق الأنوار وتبغض الظلمات ، فلا يبقى في بغداد شارع ولا بيت إلا وحوله ملائكة أطهار يسمون به الى مناط الجوزاء ، والله بالتوفيق كفيل

* * *

أما بعد فقد كنت أفهم جيداً أن بغداد أدت واجبها بعنف يوم شاء لها الطالع السعيد أن تسيطر على المشرقين والمغربين ، وكنت أفهم جيداً أنها فى غفوة الراحة بعد ذلك النضال العنيف ، فلم يكن يخطر ببالى أن أراها كالقاهرة أو باريس ، ولكنى مع ذلك كنت أنتظر أن أجد آثار

المدينة التى أقامها العباسيون ، وهنا أصرح والأسى ملء الفؤاد أن آثار الغطاريف من بنى العباس لم يبق منها إلا رسوم ضئيلة هى فى مغازيها ظنون فى ظنون ، وكذلك قضت المقادير بأن لايبق شىء من قصور الخلفاء والوزراء والأمراء الذين سيطروا على العالم نحو ثلاثة قرون ، وكانت أيامهم مواسم الدنيا وأعياد الزمان . وقد سألت عن السبب فى ضياع تلك الآثار فحدثونى أن نهر دجلة الغادر الصوال كان يطغى من حين الى حين فيطمس ما يشاء من القصور والبساتين ، وقد شاء له عدوانه أن ينقل بغداد من مكان الى مكان ، فهى اليوم فى بقعة غير البقعة التى اختارها المنصور على أيامه السلام ، فان شئتم وصف بغداد القديمة فارجعوا اليها فى الكتب ، فقد كان المؤلفون القدماء يدركون بغير وعى صريح أن مدينتهم سيأتى عليها يوم لايعرفها فيه غير قراء الأخبار والأساطير

* * *

وكنت أتصور أن بغداد لاتزال فيها بقايا من تقاليد الزخرف البراق الذى عرفه الخلفاء ، فوجدتها مدينة لاتعرف غير خشونة الحقائق، ورأيت الوزراء مجتمعين فى قصر ساذج لايعرف معنى التصاوير والتهاويل التى تعرفها بعض القصور فى بعض الحكومات ، وقد دهشت حين زرت وزير المعارف ، وكان أول من رأيت من الرجال يوم وصلت الى بغداد ، فقد رأيتنى أمام وزير المعارف فقط ، أمام النطق والعقل ، ولم أر فى غرفته شيئا يدل على ذوق الترف فى فهم المعاش ، وكذلك كان الحال حين زرت رئيس الوزراء ، فقد رأيتنى أواجه رجلا يمثل أدب النفس ،وذلك كل حلاه وهو رئيس الوزراء

وكذلك يمكن الحكم بأن دور الحكومة فى بغداد هى مواطن أعمال لامواطن استقبال

كنت أتصور بغداد قد تأثرت بالمدنية الحديثة فأصبحت كالقاهرة فيها حى قديم وحى جديد ، فلما وقعت عينى عليها رأيتها مدينة شرقية من جميع النواحى ، ورأيتها لم تأخذ من المدنية الحديثة غير الاضاءة وتوزيع الماء على البيوت ، وفيما عدا ذلك تعيش بغداد عيشة القاهرة قبل جيلين ، فتجد فيها الأسواق والخانات على نحو ما كانت القاهرة فى عهد المماليك ، والشبه كبير جداً بين سوق النحاسين فى القاهرة وسوق الشورجة فى بغداد ، ولا أكتم القارىء أن بغداد تفتننى من هذه الناحية أشد الفتون ، ففى أسواقها ملهاة للنظر والذوق ، وفى خاناتها تذكير بأحاديث « الف ليلة وليلة » ، وفى مساجدها العتيقة مايذكر بدعابات أبى الفتح فى مقامات بديع الزمان

وقد ثارت نفسى ثورة عنيفة يوم رأيت بغداد ، وهممت بأن اقترح على رئيس الحكومة العراقية هدم هذه المدينة وبناءها من جديد ، ولكن لم تمض أيام حتى رأيت التطور يأخذ مجراه فقد شرع الناس فى الهجرة الى الضواحى وأخذوا يشيدون منازل جديدة على الطراز الحديث ، فان زرتم بغداد بعد عشرين عاما فسترونها كالقاهرة تنقسم الى قسمين عظيمين : قسم جديد وقسم حديث

على أنني أصبحت أتمنى أن لا تبيد بغداد القديمة ، فلأسواقها جاذبية ، ولدروبها الضيقة ملامح من الحسن الأصيل ، وهي فوق ذلك صورة من المدنية الشرقية التي يحرص عليها استاذنا الدكتور منصور فهمي أشد الحرص ، ويتمنى لو يعود اليها الشرقيون أجمعون

* * *

وكنت أتصور دجلة نهراً صغيراً لم يأخذ عظمته إلا بفضل أخيلة الشعراء ، فلما رأيته أخذت مني الروعة كل مأخذ ، وتمنيت لو جاء شعراء مصر فرأوه وعرفوا أن في الدنيا نهراً يشابه نهر النيل . ان دجلة نهر هائل جداً ، وهو حين يساير بغداد يقرب من النيل في الاتساع ، ولا يمتاز عليه النيل إلا بمزية واحدة هي قوة تدفق الماء ، أما دجلة فله مزايا كثيرة أظهرها قيام النخيل على جانبيه ، وحرص أهل بغداد على اقامة المنازل والشرفات بحيث تواجه منظره الجميل

وقد بحثت عن الجسر الذي قال فيه ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن سلوت ولكن زدن جمراً الى جمر

بحثت عن هذا الجسر ، ولم أجده ، فوا أسفاه . وانما وجدت جسراً سموه جسر مود ، ومود Maud هذا اسم قائد من قواد الانجليز الذين دخلوا بغداد فاتحين

فيا رئيس حكومة العراق تفضل وسم الجسر الجديد (جسر ابن الجهم) مراعاة لخواطر الشعراء

وهدوء الماء في نهر دجلة يجعله من أصلح الأنهار للملاحة النهرية ، ولكني بعد الدرس رأيت الملاحة في دجلة تنعدم أو تكاد ، فقد تمر ساعات وساعات ولا تقع العين على سفينة واحدة في ذلك النهر الميمون الغدوات والروحات . أما الفلك الصغيرة التي يمتطيها اللاهون والعابثون فلا تزال على العهد الذي عرفه الشاعر المفضال أبو نواس ، ولكن قلما يغني فيها الملاحون كما كانوا يفعلون في الأيام الخوالي ، وقد ساهرت النجم ليلتين على شاطيء دجلة لأسمع غناء الملاحين ، ثم انصرفت وقد كادت أذني تصم من سكون الليل

وحملني حب الدنيا على التفكير في بناء بيت على شاطيء دجلة فعرفت أن المتر المربع يباع بنحو دينارين ، وكذلك عرفت ان أهل بغداد يعرفون قيمة الارض على شاطيء ذلك النهر الجميل

وكنت أنتظر أن تكون بغداد مدينة يغلب عليها اللهو واللعب والمجون ، فرأيتها أعجوبة الأعاجيب في الجد والنشاط ، ولقد زرت نحو عشرين مدينة من المدن العالمية فلم أر من صور الجد والاهتمام والمصابرة معشار ما رأيت في بغداد ، فحيثما نظرت رأيت ناسا يعدون الى أعمالهم عدو الظليم ، وشهدت الناس يغدون ويروحون وعلى وجوههم أمارات الجد الرزين . والمدارس في بغداد هي اليوم مصانع لسبك الرجال ، ويندر أن تجد شابا يضيع وقته على نحو ما ترى في مدارس القاهرة أو مدارس باريس

والبغداديون يتملكون مدينتهم تمام الامتلاك ، فهم السادة الأعاون ، ولا يسود فى مدينتهم من الاجانب الا عدد قليل ، وسيكون من حظهم فى المستقبل أن يقولوا نحن حضرنا مدينتنا ولم يساعدنا على تحضيرها واغل من العالم القديم أو العالم الجديد

ولقد شهدت آثار هذا الجو حين رأيت تلاميذى فى دار المعلمين العالية ، فهم شبان أذكياء تكفيهم اللمحة ، ولا أحتاج فى تفهيمهم أدق المشكلات الى أدنى عناء

وكذلك يحدثني الأساتذة المصريون الذين يدرسون فى كلية الحقوق فهم يشهدون بأن تلاميذهم فوق ماكانوا ينتظرون ، وأنهم يفهمون أدق المشكلات بقليل من البيان

وكنت أنتظر أن تكون بغداد ميدانا للجدل والصيال على نحو ماكانت فى عهود المتكلمين ، فكانت كما انتظرت ، فهى اليوم تزخر بالأدباء والمفكرين الذين يملأون الاسمار بأجود ما تجود به العقول ، ويكفى أن يكون فيها رضا الشبيبي وزير المعارف وطه الراوى مدير التعليم ، فهذان الرجلان يصوران ما امتازت به العقلية العراقية فى قديم الزمان

وأشهد صادقا أنى ما صادفت رجلا من المفكرين فى بغداد الا انتفعت منه أجزل انتفاع ، ولا رأيت كاتبا ولا عالما الا تذكرت الجاحظ وابن العميد

وليت أدباء القاهرة يعرفون أن مؤلفاتهم تقرأ فى بغداد ، وليت أصحاب المجلات فى القاهرة يعرفون أن لهم قراء فى العراق ، فلو عرف زملاؤنا فى مصر شيئا من ذلك لحاسبوا أنفسهم بعض الحساب ، ففى العراق موازين يعرف بها النقصان والرجحان ، وفى العراق رجال يميزون بين الطيب والخبيث والغث والسمين ، وأدباء مصر لهم فى العراق خصوم وأنصار لايخفى عنهم الحق ولا تجوز عليهم الاباطيل

* * *

وكنت أتصور بغداد مدينة أثر فيها الاحتلال ، احتلال الترك أو احتلال الانجليز ، فوجدتها مدينة عربية فى كل شىء ، ولا تغلب فيها لغة الترك ولا لغة الانجليز ، فالعراق من هذه الناحية يشبه مصر ، فهو يبتلع كل شىء ، ولا يؤثر فيه شىء ، ولعل لماضيه أثراً فى ذلك ، فهو لا يزال يعتقد أنه دان الامم العربية جمعاء ، وهو من أجل ذلك يرفض السيطرة الاجنبية ، فان رأيتموه يستعين العلماء المصريين فى بعض شؤونه فاعلموا أنه يرى المصريين إخوة أشقاء ، ولا يراهم أجانب ، وهذا معنى لمسته بنفسى وقابلته بأصدق آيات الثناء

وكنت أتصور بغداد مدينة شغلتها الصروف عن تقاليد الاسلام ، فراقنى ان اراها مدينة إسلامية فى كل شىء ، وما ظنكم بمدينة تعيش فى القرن العشرين وهى مع ذلك لا تسمح لانسان بان يدخن سيجارة فى رمضان ، ولا يفتح فيها مطعم ولا مشرب ولا حانة فى ايام الصيام ؟

هل تصدقون أن الخروج على آداب الصوم يجر الرجل الى دار الشرطة حيث يلقى سوء الحساب؟

هل تصدقون أن رجال الشرطة فى بغداد يراقبون الناس فى الطرقات عسى أن يظفرون بمسلم جاهل يتظاهر بالافطار ليزجوا به فى غيابات السجون ؟ هل تصدقون أن النصارى واليهود فى بغداد يحترمون رمضان مراعاة لخواطر المسلمين ؟

أقول هذا وقد سمعت أن الصوم الحق لا يقوم به إلا الأتقياء ، ولكن هذا لايمنع من الاعتراف بأن العراق من الأقطار الاسلامية التى تعرف الواجب نحو الدين الحنيف

وكنت أتصور بغداد تموج بالفتنة بين السنة والشيعة ، فلما خبرت الناس بعض الخبرة رأيتهم على جانب عظيم من التسامح ، رأيتهم يعيشون جنبا الى جنب فى هدوء واطمئنان ، ورأيت الثقة بينهم على أتم ما يكون من الصفاء ، وتبينت أن المذاهب الدينية لا تصرفهم عن الواجبات الوطنية ، وأن الأخوة العراقية ستكون أساس الوحدة بعد قليل من الزمن

وجملة القول أن بغداد فى عهد البناء ، والتجارب القاسية التى مرت بها ستجعلها فى حرز من تقلبات الاهواء . فمن كان فى ريب مما أقول فلينتظر قليلا ، فستأتى هذه البلاد بالأعاجيب ، وسيرى الساعون بالنميمة أنهم كانوا واهمين

ان العراق ينفض عن عينيه آثار السبات القديم ، ويلتفت الى المستقبل تلفت الليث جاعت أشباله ، ويقبل على الحياة اقبال الأفعوان المهتاج ، ويضطرب فى الدنيا كما تضطرب الوحوش الضوارى فى غسق الليل ، فمن كانت له عند العراق حاجة فليؤجلها قليلا ، فان العراق لا يفكر اليوم إلا فى شىء واحد : هو أن يكون أمة تحكم وتستطيل

***

قد تسألون : وكيف يحيا المجتمع فى بغداد ؟ . وأجيب بأنى رأيت فى بغداد لونين من الحياة ، أما اللون الأول، لون الجد ،فهو ماحدثتكم عنه،وأهل بغداد من هذه الناحية جبابرة عتاة ، وفيهم من يصل النهار بالليل فى سبيل الرزق،وفيهم من لا يأوى الى فراشه إلا وفي صدره غرض مبيت مدفون

وأما اللون الثانى ،لون الهزل، فهويتمثل فى المراقص والقهوات ، وما أزعم انى قادرعلى وصف المراقص ، لأنى زرت مرقصا واحداً مرة واحدة ، وذلك المرقص يعطى صورة صحيحة ،لانه فيما سمعت كثير الأشباه فى بغداد ، ومادة اللهو فى هذه المراقص لا تعتمد على الجمال العراقى ، وانما تعتمد على الجمال الأوربى ، فالراقصات فى تلك المواطن من المتاع الذى تجلبه السفن والسيارات لايناس اللاهين من الشرقيين ، واللحظة التى قضيتها فى ذلك المرقص نبهتنى الى كثير من المعانى ، فقد رأيت من السامرين من يقول : ان ذلك الفتى الذى يراقص تلك الشقراء هو ابن الشيخ فلان الرجل الصالح الذى لا يعرف غير المسجد والبيت ، ففهمت من ذلك أن بغداد تنقسم الى جيلين يختلفان أشد الاختلاف : جيل الشباب وجيل الكهول ، ومعنى ذلك بعبارة أوضح أن الفتيان الذين يرقصون الرقص الأفرنجى فى بغداد ليس لهم فى ذلك المعترك أعمام ولا أخوال

وأحببت ان أرى الملاهى البغدادية الأصيلة ، ولكن الصديق الذى أثق به فى بغداد نهانى عن ذلك . أفيكون معنى هذا النهى أن البغداديين يرون ملاهيهم القديمة مما تعافه الأذواق ؟

أما القهوات فكلها من طراز قهوات حىّ الحسين . ويندر جداً أن يشرب فيها غير القهوة والشاى ، وربما كان من الحق أن نقرر أن البغداديين لايشربون الخمر أبداً على قارعة الطريق ، كما يتفق ذلك لأهل القاهرة والاسكندرية وبور سعيد ، فهم من هذه الناحية عقلاء ، ومع أن الحانات تظل فى الأغلب مرخاة الستائر مغلقة الأبواب لا يهتدى اليها غير العابثين ، فقد قرأت فى الصحف العراقية كلمات يقترح كاتبوها أن توصد أبواب الحانات ايصاداً مطلقا فى ليالى رمضان

ومع أن البغداديين يتحفظون فى شرب الخمر فهم يسرفون فى شرب الشاى إلى حد الادمان ، ويتفق فى أحوال كثيرة أن ينقطع الرجل عن الحديث ،فاذا سألت عرفت أنه لم يشرب الشاى منذ ساعتين ، وأنه من أجل ذلك حرمان ، فهم من هذه الناحية يشبهون الفلاحين فى الجيزة الفيحاء ، فمن أهل الجيزة من لا يدرك ولا يعقل إلا اذا أسعفته بكأس من الشاى الأسود البغيض

وهناك مسألة على جانب من الأهمية وهى الوحدة الجنسية فى العراق ، فمن المعروف أن فى العراق أجناساً مختلفة . ولكن اللون يكاد يتوحد فى تلك البلاد ، فاذا مشيت فى شوارع بغداد شاهدت وحدة جنسية يمثلها اللون ، وسبب ذلك فيما أعتقد يرجع الى جو العراق ، فلذلك الجو سلطان قاهر فى لفح الوجوه ووسم البشرة بسمات تقرب ما بين السكان على اختلاف الاجناس

والمرأة هنا عجيبة تمام التحجب ، وهي لا تلبس البرقع كما كانت تفعل المرأة المصرية ، وانما تغطى وجهها كله تغطية محكمة فلا ترى الدنيا إلا من وراء السواد ، فان رأيت امرأة سافرة بعض السفور فثق بأنها من بنات اسرائيل . وقد شاع اختلاط الجنسين فى المدارس العالية ، ولكنه اختلاط محوط بالتحفظ الشديد ، وهو على كل حال من طلائع العصر الحديث . والوجوه فى هذه البلاد وجوه مكدودة أرهقتها طول النضال ، فلا تعرف لين الترف إلا فى قليل من الاحيان

وهذا الحكم نسوقه بتحفظ لاننا نرجو أن يكون خلف الستائر كثير من اللؤلؤ المكنون بغداد ! بغداد ! . أين الحسن الذى أطال فى وصفه الشعراء ؟ أين عيون المها يا بغداد ؟ أين مرابع اللهو ، وأين مراتع الفتون ؟ أفى الحق ان يفد عليك قلب خافق فلا يجد الأنيس ؟

بغداد ! كنت أرجو أن أراك أندى من القاهرة وأجمل من باريس ، فارفعى الستر قليلا على أصطبح أو أغتبق بجبينك الوضاح ، فان لم تفعلى فسيطول عليك العتب من شاعر سنتريس

زكي مبارك

بعد السفور

وجوب تكوين المجتمع المصرى المختلط

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

وقف تطور الحياة المصرية الاجتماعية عند حد السفور ولكن السفور وسيلة لا غاية . وانما الغاية التى يجب أن ننشدها لتحقق نهضتنا الاجتماعية هى تكوين المجتمع المصرى المختلط فى دائرة الادب والاحتشام . وهذا الموضوع جدير بأن يبحثه القراء ويعمنوا فيه الفكر ، ولهذا نفتح لهم باب النقاش فيه

من الظواهر الملحوظة فى المجتمع المصرى الحاضر والتى تدل أبلغ الدلالة على أننا لم نخط بعد الخطوة الحاسمة فى سبيل تطبيق روح الحضارة العصرية على عاداتنا وأخلاقنا وأساليب حياتنا ، ان نساءنا العصريات المتعلمات اللواتى يطالعن الصحف ويقرأن القصص ويغشين المسارح ودور السينما ، مايزال يحال بينهن وبين الظهور فى المجتمعات البيتية أمام رجل غريب

فنحن قد سلمنا بمبدأ تعليم نسائنا ولكننا لم نسلم بعد بقدرة هؤلاء النساء على الانتظام فى حفل كبير يضم عدداً مختاراً من أفراد الجنسين ويتألف منه مجتمع مصرى مختلط أشبه بالمجتمعات الأوربية التى نشهدها فى مصر ونحسد الأجانب عليها

والواقع أن ارباب الأسر المصرية على الرغم من ارتقائهم وارتفاع مستوى تعليمهم واندماجهم فى الأوساط الأوربية ، ما يزال معظمهم يخشى الاغراب ويوجس خيفة منهم ويسىء الظن فى أخلاقهم ويعتقد أن غريزة احترام المرأة لم تكون بعد فى نفوسهم ، وأنه من المحتمل جداً لو انهم اتصلوا بالمرأة الشريفة ، سواء أكانت فتاة ام زوجة ، أن تعصف بهم اهواؤهم القديمة فتتولد من هذا الاتصال فضائح عائلية يكرهها الرجل الشريف ويفزع منها ويسخط عليها أشد السخط ويبذل قصاراه كى لا يصبح ضحية لها

وإذن فثقة الرجل المصرى بالرجل المصرى ما تزال معدومة فى مصر . وقد يكون رب الاسرة صديقك بل من أقرب المقربين الى نفسك ، وقد تكون فى نظره انساناً متحضراً ، فاضلا ، ولكنك مع ذلك لن تظفر منه بدعوة خاصة الى بيته ، ولن تستطيع الجلوس الى امرأته وابنته ، ولن يسمح لك بأن تدخل داره مصحوبا بامرأتك وأولادك ليتم التعارف الكامل بين الاسرتين

وتتكون من هذا التعارف نواة المجتمع المصرى المختلط المنشود

وصحيح أن بعض الاسر عندنا لم يعد يحفل بهذه التقاليد ، ولكن السواد الأعظم من المتعلمين أنفسهم مازال متشبثا بها حريصا عليها معتقداً أن الاستمساك بها فضيلة عظيمة وعنوان شرف كبير

وقد ترتب على ذلك انك أصبحت ترى امرأة صديقك السافرة فى الشارع وفى المحل التجارى وفى دار المسرح أو السينما ، ثم لا تستطيع أن تراها فى بيتها تتفهم حقيقة شخصيتها وتعرف كيف تعيش وكيف تشعر وكيف تفكر . أصبحت تبصرها فى الحياة العامة وتعجب بها ولكنك متى أردت تهذيب عواطفك وصقل احساساتك ومشاعرك بالجلوس اليها والتحدث معها واشراكها فى المسائل التى تشغل عقلك وعقل مواطنيك ، حيل بينك وبينها واتهمت بفساد النية وسوء القصد . .

وليس شك فى أن اقبالنا على حياة الكسل والبلادة فى القهوات يرجع الى هـذا . وما دام المجتمع المصرى غير موجود فالقهوة هى المجتمع . ونحن لانتطلق الى القهوة إلا لفراغ بيوتنا ونقص عناصر التسلية منها وتبرمنا بركودها وجفافها ونفورنا من جوها الخانق المتشابه الذى لايحمل اليه الاغراب طابع البهجة والمرح

والحقيقة أن مجتمع القهوات لايصلح بل يتلف ، ولا يربى بل يفسد ، لأنه مجتمع رجال فقط ، ومتى اجتمع الرجال فى صعيد واحد ارتفعت الكلفة وتحطم سياج الآداب وزايلت الفرد ملكات الحكم على نفسه وعلى ألفاظه وعلى كل مايمكن أن يصدر عنه

فوجود المرأة هو الذى يشعر الرجل بكرامته ، ويضطره الى ملاحظة نفسه وأقواله ، ويجبره على التزام حد الأدب ، ويرغمه على الارتفاع بشخصيته وحديثه الى مستوى يدعو الى الاحترام والاعجاب

وهذه هى الحضارة فى أدق معانيها

فالرجل يظل متوحشا حتى يتصل بالمرأة فيتحضر . والمرأة تظل راتعة فى أنوثتها البهيمية لا تفكر إلا فى المسائل الأرضية البحتة ولا تحلم إلا بالصور والخيالات الجنسية حتى تتصل بالرجل فى الحياة العامة ، وعندئذ تتحضر هى الاخرى وتدرك أن هناك أفكاراً وآراء ومشاكل تشغل عقل الرجل أكثر الف مرة مما تشغله المسائل النسوية ، وهكذا تتعلم هى كيف تفهمه وتشاركه فى حياته وتسعى لمرضاته ، لا باعتبارها انثى فقط بل باعتبارها انسانا له ذهن وتفكير وروح

فالمجتمع المختلط هو الذى يقرب مسافة الخلف بين الجنسين ، ويقيم علاقات الرجل والمرأة على قاعدة التفاهم الفكرى والعاطفى ، ويخفف من وطأة زواج الغرض والمصلحة ، ويجمع بين شخصين مؤتلفين فى وسعهما انشاء أسرة متماسكة يسودها الصفاء والوئام فى ظل الاخلاص والتضحية

وانى لأتساءل : لمن نعلم شبابنا ولمن نثقفهم اذا كان علمهم لايعود على المرأة أو الفتاة بأى نفع ،

واذا كانت ثقافتهم تخمد فى أنفسهم أو تتبدد فى محيط قهواتهم ولا تصيب منها شريكتهم فى الحياة إلا النزر اليسير ؟ ولمن نعلم فتياتنا اذا كان علمهن لاينهض باخلاق الشبان ولا يتصل بحياة الشبان كى تسمو وتتجدد وتشيع فيها ذلك الضوء النفسانى العاطفى الرائع ؟

لقد خطونا الخطوة الاولى فعلمنا أبناءنا وبناتنا فى المدارس والكليات والمعاهد الاجنبية العليا ، فواجبنا اليوم أن نخطو الخطوة الثانية وندربهم على خير وسيلة يتبادلون بها ذلك العلم وينفعون به بعضهم بعضا ويشيدون عليه صرح سعادتهم ومستقبل بلادهم ومجدها

ان الشاب المصرى المتعلم ظمآن الى الفتاة المصرية التى تفهمه ، والفتاة المصرية المتعلمة ظمأى الى الرجل الذى يستطيع أن ينهض بعقلها ويرفعها الى مستواه ويشعرها بأنها مسؤولة فى الحياة مثله وان عليها واجبات كما أن لها حقوقا

فاذا كنا نكره أن تفنى حياة شبابنا فى القهوات وحياة بناتنا بين جدران البيوت فعلينا أن نسهل للجنسين سبيل التفاهم والالتقاء ، علينا ألا نخشى تأليف المجتمعات المختلطة الصغيرة فى بيوتنا ، وأن نتخير أفرادها ممن خبرناهم ووقفنا على حقيقة سلوكهم وكنا مطمئنين اليهم عارفين بهم شاهدين على حسن سمعتهم

والمهم بعد إذ يستوثق رب الاسرة ممن يفتح لهم أبواب بيته ، أن يوليهم ثقته وينتزع من نفسه جرثومة الشك فيهم ، ويطرد من ذهنه ذلك الاعتقاد الشرقى الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا فلا بد أن ينهض الشيطان بينهما وينفث فى نفسيهما سموم الرذيلة والشر

هذا الاعتقاد هو سر تأخرنا وهو من بقايا عصور الجهل والخوف والظلام . إذ ما فائدة العلم اذا لم يكن منه للنفس عاصم ، وما فائدة المعرفة اذا كنا نغذى بها نفوس أبنائنا لا ليشعروا بالحرية بل ليزداد احساسهم بالوحدة والقلق والخوف ؟

أولى بنا والحالة هذه أن نبقيهم جهلة من أن نفتح أبصارهم على نور العلم ثم نحرمهم نعمة التآلف والحرية

وانه لخير لرب الأسرة وقد علم أبناءه أن يعترف لهم بهذه الحرية عن طيبة خاطر ، وأن يشرف عليها وينظم لهم أسبابها ويراقب تطبيقها ، من أن يتبرم بها ويضيق أمامهم فسحاتها فيضطرهم الى السعى اليها من طريق غير مباشر وغير مشروع

وهذا مايحدث الآن . فكلما ضيق أرباب الأسر الخناق على أبنائهم ، وكلما حرموا عقد المجتمعات المحتشمة المختلطة فى بيوتهم ، نفر الأبناء الى الخارج ، وبدل أن يتصلوا بشبان وفتيات من طبقة مهذبة راقية ، انحدروا الى مجتمع القهوات ثم الى دور الملاهى الليلية ، ثم الى أمكنة الدعارة وأوساط البغايا

ويجب أن نلاحظ ان الشاب الذى لم يعرف المرأة فى مجتمع شريف مختلط ، بل عرفها فى حان

أو فى ماخور ، لايمكنه بأى حال من الاحوال أن يحبها فيا بعد ويحترمها ويقدرها كزوجة وربة بيت

ويبدو لى أن كثيراً من المنازعات التى تحدث فى بيوتنا لاسبب لها إلا ان المرأة تجتهد فى أن تعامل زوجها كرجل شريف ، والرجل لايستطيع أن يعامل امرأته إلا وفق تلك الأساليب الشائنة التى ألفها أيام الوحدة والعزوبة مع نساء وضيعات ساقطات . ولرب معترض يقول : ولكن حياة العزوبة عند الشاب المصرى هى نفسها عند زميله الاوربى . وهذه مغالطة ظاهرة . إذ هناك فارق عظيم بين الاثنين . وهو أن عزوبة المصرى لا تنقضى فى الغالب إلا فى أوساط مرذولة ، فى حين أن عزوبة الاوربي ينقضى معظمها فى مجتمع مختلط حافل بالوف من الفتيات والنساء المتعلمات الشريفات

وهكذا يعتبر عهد العزوبة عند الشاب المصرى عهد انحطاط ، أما عند الشاب الاوربى فهو عهد اختبارات وتجارب وتمرس بالحياة

وكثيراً ماتنتهى عزوبة الاوربى الى زواج صالح موفق تتوافر فيه عناصر الفكر والعاطفة ، أما عزوبة المصرى فتنتهى — إلا فيا ندر — بزواج يبعث عليه الضجر وتدفع اليه المصلحة المجردة . ولقد كنا فيا مضى نحجب الفتاة عن الشاب فلا يراها إلا بعد إذ يقترن بها ، ثم تطورنا فسمحنا للخطيبين بالتعارف السطحى ولأمد محدود . ولكن هذا لايكفى . إذ ليس المهم أن يتعارف الخطيبان وأن يرى كل منهما الآخر ثلاث مرات أو اربع مرات قبل الزواج

بل المهم هو أن نوسع مدى الاختيار أمام الشاب والفتاة

المهم أن نيسر لهما سبل المقارنة والمفاضلة بين عشرات من الشبان والفتيات . المهم أن نربى فيهما ملكات الملاحظة والحكم الصحيح على الأشخاص والاشياء

المهم انقاذهما من التردى فى أوساط وضيعة تشوه فى عقليهما غاية الزواج ومعناه . المهم أن نتيح لنزعاتهما الفكرية والعاطفية فرص التوافق والتلاؤم تمهيداً للتفاهم العميق بعد الزواج

وهذا كله لا يمكن أن يتم إلا فى المجتمع المختلط المحتشم المنشود

وإذن فبدلا من أن يعيش الرجال فى مجتمع مغلق يسمم البعض منهم أخلاق البعض الآخر ، وبدلا من أن يعيش النساء فى مجتمع مغلق يفسد البعض منهن أخلاق البعض الآخر ، وبدلا من أن يحاول الشبان والفتيات أن يتعارفوا ويتلاقوا خلسة متذرعين بشق أفانين الكذب والخديعة والنفاق ، أليس من الحكمة واصالة الرأى أن نأخذ بأيديهم ونشعرهم بكرامتهم ونحملهم مسئولية أعمالهم ونعاونهم على حياة قوية نبيلة تكره الختل والموارية وتأبى الانطلاق إلا فى جو صريح سليم؟

الواقع ان السفور أصبح لا يجدى اذا لم يقترن بوجود مجتمع مختلط ، إذ السفور فى ذاته

وسيلة لا غاية ، وأما الغاية فهى انشاء ذلك المجتمع ، وهى القدرة على انشائه خالصا من الأدران نقيا من الشوائب

وعلينا أن ندرك اننا بقدر ما ننجح فى تكوين المجتمع المصرى الصالح المختلط ، نكون قد اقتربنا فى حياتنا الاجتماعية من تقدير فكرة الحرية

ولكى نقدر الحرية على أصلها ونستطيع تحقيقها والانتفاع بها ، يجب أن نفهم انه اذا كان لنا أن نهدى مخلوقا فليس لنا أن نسلبه حريته ولو كان أقرب الناس الينا

ان فى كل فرد من كنوز المعرفة وكنوز القوة مالا تظهره غير الحرية

أو لم نطلب الحرية السياسية للأمة لتتمكن هى أيضا من اظهار هذه الكنوز ؟

أولسنا نعلم ان الأمة ستقاسى الأمرين قبل أن تألف حياة الحرية والاستقلال ؟

فكيف نتعصب لحرية الأمة من الوجهة السياسية ولا نتعصب لحرية الأفراد من الوجهة الاجتماعية ؟ . . .

المشكلة واحدة . وكما أن الأمة التى يهضم حقها السياسى تعيش مقتولة المواهب مخنوقة الروح ، كذلك الفرد الذى يهضم حقه الاجتماعى لابد أن يعيش مقتول المواهب مخنوق الروح !

فلنتدبر أمورنا اذن ولندرك أن الحرية وحدة لا تتجزأ ، وأن قيمتها السياسية ستظل ضئيلة محدودة ان لم تظهر وتتجلى فى حياة الأفراد ممثلة فى مجتمع مصرى مختلط يتعاون أعضاؤه على النهوض باحساساتهم وعقولهم وعلى تحقيق النهضة الاجتماعية المصرية المبتغاة !

ابراهيم المصرى

كلمات مختارة لاوسكار وايلد

الناس فى عصرنا هذا يعرفون ثمن كل شىء ولكنهم لا يعرفون قيمة أى شىء

***

نحن نعيش فى عصر أصبحت فيه الكماليات ضرورات لازمة وهذا هو سر شقائنا

***

الألم يطهر ويهذب . ولكن الألم الناشىء عن الفقر يلوث النفس ويقتل الروح ، فكلما حاربنا الفقر أنقذنا كرامة الانسان



افروديت : إلهة الحب والجمال عند الاغرق

(راجع مقال : فلسفة الجمال ، جمال الفلسفة)

فلسفة الجمال
جمال الفلسفة ؟

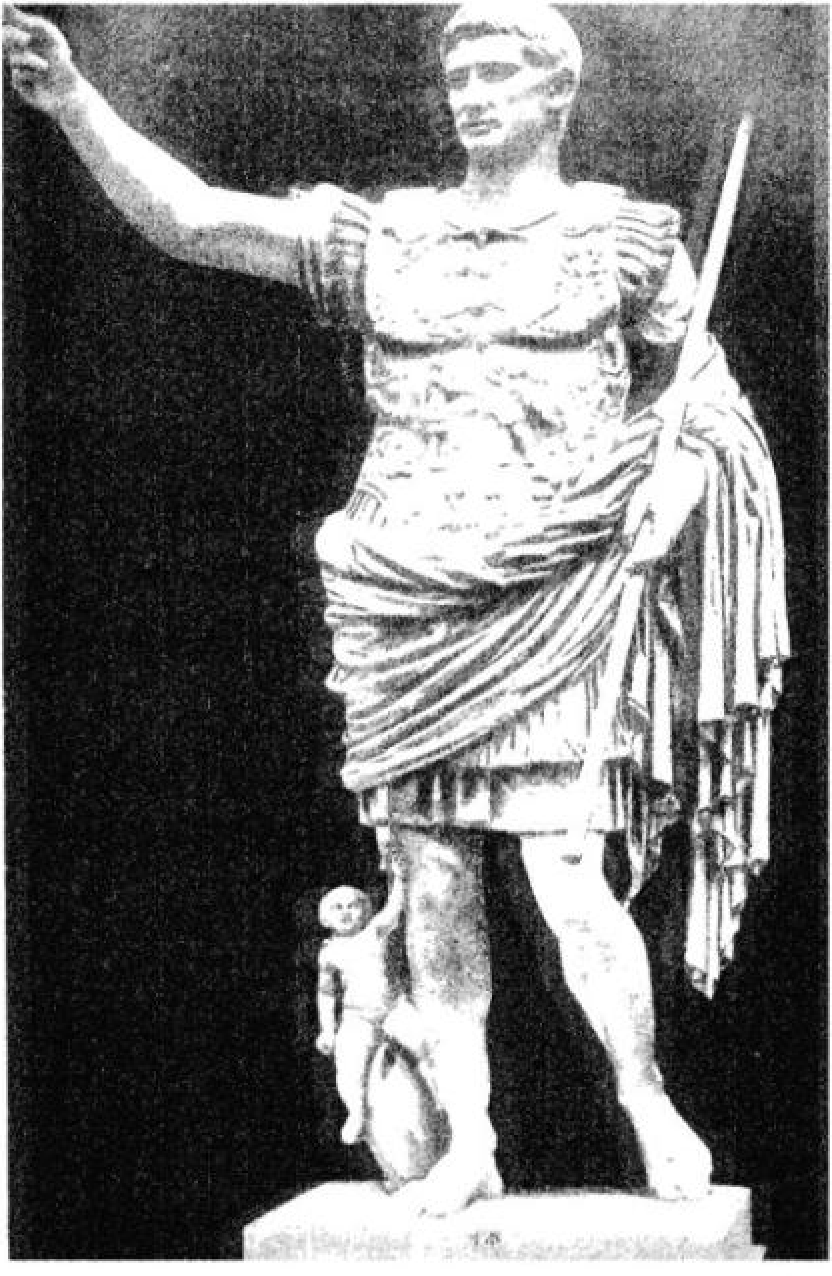
بقلم الدكتور أمير بقطر

ما هو الجمال ؟

ما هو الجمال ؟ لم نعجب به ؟ ولم نخلقه ؟ يجيب عن هـذه الأسئلة أناتول فرانس بالوقوف مكتوف اليدين ، ملجم اللسان ، ويقول لنا فى صراحته المعروفة : « هيهات للعقل البشرى أن يدرك ماهية الجمال أو أن يحل اللغز الخالد : لم يكون الشيء جميلا ؟ ! » كل قلب فى الوجود يخفق سريعا للجمال ، ولكنا لا نعرف عقلا واحداً يدلنا على سر هذا الخفقان . فالجمال عنـد الأمم الهمجية فى الشفاه المدلاة ، المنتفخة ، المتضخمة ، وعند قدماء الاغريق فى الشباب القوى السـواعد ، المفتول العضل ، وفى التماثيل الرخامية الباردة الصامتة ، وعند الرومان فى النظام والسمو والقوة ، وعند معاصرى النهضة العلمية Renaissance فى الألوان المنسجمة

وقد نفر العلماء ورجال الدين فى العصور الخالية من التحدث عن الجمال ، لأنهم جبنوا أمام الحقيقة والواقع ، خشية أن يؤدى بهم البحث الى تفقد الجمال فى تماثيـل المرمر العارية ، الناصعة البياض ، المشربة بألوان الورد ، وفى الجميلات من فاتنات النساء ، غانيات الرجال . وكل ما فعله هؤلاء أنهم فسروا الجمال كل تبعا للعلم المشتغل به . فعلماء الاغريق قبل العصر السقراطى ، وكذلك العلماء قبل العصر الداروينى ، نظراً لتأثرهم بالطبيعة والرياضيات قالوا إن الجمال فى الموسيقى منشؤه أصوات منظمة متوالية ، والجمال فى التماثيل منشؤه نسب منظمة متوالية . والعالم الرياضى فيثاغورس فسر الجمال تفسيرا هندسيا حسابيا فقال انه نسب شكلية عددية . أما أفلاطون فعبر عنه تعبيرا يتفق ونزعته الأخلاقية ، فقال ان الجمال مرادف للصلاح ، وان الفنون الجميلة فى نظره جزء لا يتجزأ من علم الأخلاق . وجاء بعده أرسطو فكانت نظرته للجمال تلائم اتساع الدائرة العلمية التى جمع فيها بين العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية ، فقال ان الجمال فى التناسب والتماثل وتناسق الأجزاء التى يتكون منها الشكل ، وانسجام هذه الأجزاء كلها انسجاما يصبح به مجموعها وحدة كاملة

ولنقفز قفزة تاريخية سريعة الى كانت وشوبنهور ، فقد عرف كل منهما الجمال بأنه الصفة التى بها يسر الشيء الجميل الناظر اليه بغض النظر عن منفعته المادية ، والصفة التى يجد فيها المرء لذة وسعادة



تمثال الامبراطور اغسطوس ، ويمثل جمال القوة والعظمة عند الرومان

(راجع مقال : فلسفة الجمال ، جمال الفلسفة)

لا يتطلب من ورائهما نفعا . ثم جاء بعدهما الفيلسوف هيجل فعاد بنا الى عصر الاغريق وصور لنا الجمال كما صوروه . وحاول نيتشه أن يستعين بعلم الحياة فقال ان كلا من الجمال والقبح يرجع الى عوامل حيوية (بيولوجية) فالشيء جميل لأنه وجد بالاختبار أنه صالح للسلالة والعكس بالعكس. فالصينيون يأكلون السمك العفن (كما يأكل المتمدنون الجبنة العفنة « روكفور ») لأنها تكاد تكون المادة الوحيدة عندهم الغنية بالتروجين . ولسنا نستمرىء السكر لأنه حلو وانما نعده حلواً لأننا علمنا بالاختبار أنه يبعث على القوة والنشاط . . ولا غرابة حيال هذه الآراء كلها ، اذا قال لنا الفيلسوف ديورانت إن أسخف المؤلفات هي التي تبحث في موضوع الجمال ، وإن علم النفس الذي كان خليقا به أن يحدثنا عن سر الجمال أحال الموضوع الى الفلسفة ، كالمعتاد في سائر الالغاز التي يعجز العلماء عن حلها ، فانها تحال جميعها الى الفلسفة

بيد أننا نستطيع أن نلخص للقراء ما اتفق عليه الناس في تحديد الجمال بقولنا : انه كل ما يسر الناظر ، أي أنه صفة لشكل ، أو موضوع ، تؤثر فيمن يتصل بها ، فيحب هذا الشكل ، ويرغب في هذا الموضوع . ويفهم من هذا أن المرء لا يسره الموضوع لأنه جميل ، وانما الشيء أو الموضوع جميل لان المرء يسر منه أو يرتاح للنظر اليه . والنظر هنا كلمة عامة تتناول مجموعة من الحواس البالغ عددها في العلم الحديث نيفا واثنتى عشرة حاسة ، فالطعام جميل في نظر انسان مشرف على الموت جوعا ، واليابسة جميلة في نظر سابح مشرف على الغرق ، يكافح أمواج اليم . وأعذب الالحان الموسيقية ، لا تمت للجمال بصلة في نظر هذا أو ذاك . ويذكر القارىء الحكاية الفرنسية المعروفة عن رحل ضل السبيل في الصحراء ، وكاد يقتله الظمأ ، غير أن بارقة من الامل لاحت له في الافق إذ رأى على بعد شيئا يتألق خاله صفيح ماء ، فهرع نحوه حتى بلغه . ولكنه ما كاد يتبينه حتى كادت روحه تزهق ، وصاح بصوت يمزق أحشاءه وهو يقول : « أواه أواه ! ان هذا الا ذهب ! ! »

الجمال في علم النفس

على أنه يجدر بنا أن نرجع الى علماء النفس لنسألهم عن النزر اليسير الذي يعرفونه عن الجمال، يقول هؤلاء ، ان الجمال الذي يتمثل في شخص أو قصيدة شعرية أو دور موسيقى أو رسم أو تمثال أو رقصة أو صوت ، تعلو درجته في نظرنا ، بمقدار ما تكنه نحوه من الحب والاعجاب . وهناك عنصران يرجع اليهما سبب هذا الحب أو الاعجاب ، أولهما الخيال وثانيهما الوجدان . أما عن العنصر الأول فلا يخفى أن العقل الباطن خزانة مكدسة بالصور والخيالات التي مرت بنا في أدوار الحياة فنسيناها أو تناسيناها ، من أحباب ، وأقوال ، واشارات ، وأفراح وأحزان ، وحوادث ووقائع ، وما اليها من اختبارات انسلت الى أذهاننا انسلالا . فمدت الأيام حولها الحبال الدقيقة ، والشباك الخفية ، ولم نعد نذكر منها شيئا ، حتى نرى تمثالا أو حسناء ، أو نسمع لحنا ، أو نذوق حلاوة ، أو نشتم

رائحة عبقة ، وسرعان ما تبعث هذه من رقدتها ، وتعود الى الظهور . وهذا يفسر لنا ما يسميه الناس الحب لأول وهلة أو « أصل الغرام نظرة » . وعلى هذا تكون هذه التسمية غير صحيحة ، لان كل حب أو اعجاب لا بد أن يكون مصدره صورة معادة ، أو خيالا لذكريات مرت فنسيناها، رغم انها ظلت دفينة فى العقل الباطنى حتى أيقظتها صورة شبيهة بها

والعنصر الثانى الوجدان ، أو الحساسية باللذة والارتياح . فبغير الوجدان الذى يتخلل الصور والخيالات وما اليها ، لا يكون حب أو اعجاب. والوجدان يتغلغل فى نفس المعجب المحب ، ويسرى فى بدنه سريان الكهرباء ، فلا يقل صاحبه فى دقة احساسه عن المصور أو المثال أو الشاعر . ورغم هذا التحليل فان العنصر الواحد متدخل فى الآخر تدخلا يجعل الفصل بينهما مسألة نظرية بحتة . فالذكريات القديمة من رحمة ، وشوق ، وحنان ، وسلوى ، ولذة ، وألم ، كلها متصلة بالخيال اتصالها بالوجدان . وهذا الاتصال هو الذى يثير فى الجهاز العصبى أشجانا هى أقرب شىء للعبادة . ولعل التحليل العلمى هو الذى يجعل الناس يؤثرون الحب والجمال كما يراهما الفنان ، على الحب والجمال كما يراهما العالم ، كما يؤثرون الغضب والخوف كما يراهما العالم ، على الغضب والخوف كما يراهما الفنان

بيد أن هناك ناحية أخرى جديرة بالاشارة ، وهى أن الناس فى نظرتهم للجمال لا يتقيدون بقواعد العلم أو الفن ، فالجمال عندهم وحدة لاتتجزأ ، بغض النظر عن الاجزاء التى تتكون منها هذه الوحدة . نسمع فى مسابقات الجمال أن هذه الوحدة تتجزأ الى ساقين وعينين وأنف وجبهة وشعر وغير ذلك من أعضاء الجسم، بيد أن فى الحياة العملية تعد المرأة جميلة اذا أثارت فى مجموعها إعجابا فى نفس الناظر اليها ، وقد يكون مصدر الجمال صفة معنوية تغطى على كل شىء آخر ، كحلاوة الحديث ورقة الاحساس ، أو سرعة الخاطر ، أو سمو الخلق ، أو نبل العاطفة

العاطفة الجنسية والجمال

هل للجمال علاقة بالعاطفة الجنسية ؟ يبدأ الطفل منذ نعومة أظفاره بملاحظة الجمال فى نفسه ، ثم يحس بجمال من حوله من رفاقه ، ثم يبلغ ذلك الحس بالجمال أشده عند ما تنضج فيه العاطفة الجنسية ، فيحب رفيقا من الجنس الآخر . وهنا يصبح الجمال مركزا فى مخلوق يسمونه الحبيب ، تنتشر منه أشعة الجمال فتقع على كل ما يتصل به ، ويفوح منه شذا الجمال كما تفوح رائحة الزهرة ، ويقع على كل ما يتصل به . فكل شكل يشبه الحبيب جميل ، وكل صورة تقرب من صورة الحبيب جميلة ، وكل لون يزين الحبيب بديع ، وكل زى يرتديه الحبيب حسن ، وكل زهرة فى يد الحبيب عطرة ، ذكية ، وكل خطوة يخطوها الحبيب ، الرشاقة بعينها

ونستطيع أن نفهم علاقة الجمال بالعاطفة الجنسية ، إذا علمنا أن « الهرمونات » التى تفرزها الأعضاء التناسلية ، فى أثناء تأدية وظيفتها كغدد صماء ، هى التى تغذى أعضاء الجسم التى تفرق بين

الرجل والمرأة ، والتى بسببها تتكون الجاذبية الجنسية بينهما . وتشتد هذه الجاذبية باتساع مسافة الخلف بين هذه الأعضاء فى كل منهما ، فيرى الواحد الآخر جميلا بقدر مافيه من أنوثة أو رجولة . فحلاوة الصوت ورقته ، وخلو الوجه من الشعر ، وتكوين الخصر والفخذين ، واكتمال الردف والثديين فى المرأة ، يقابله العكس فى الرجل . ومن الغريب أن « هفلوك اليس » من أكبر علماء الانجليز ، يقول ان أشد الناس ذكاء وعلما كثيراً ما يكون أشدهم تعلقا بالجمال والحب لأن الغدة الدرقية تدعو للنشاط العقلى كما تزيد العاطفة الجنسية نشاطا

بيد أنه رغم الحقيقة السابقة ، فان التربية والثقافة والحضارة قد هذبت العاطفة الجنسية تهذيبا ، أصبح الجمال بفضلها مدعاة للاحترام والحب والاعجاب،لا لاثارة الشهوات الكامنة ، ولذا نجد الحب والجمال فى معظم البلدان الراقية أكثر روحانية وطهارة منهما فى التى لم تأخذ من الحضارة والتقاليد الحسنة بنصيب وافر . لأن فى الأولى يبلغ الكبت والحرمان وضبط النفس أشدها ، بعكس الثانية . وتبعا لهذا يقولون ان الفن أو خلق الجمال يبلغ ذروة المجد كلما طال الزمن بين اشتداد الرغبة الجنسية واشباعها . فلا غرابة إذا كان الناس الذين لا يزالون يعيشون على الفطرة لايحسون بالجمال كما يحس به المتمدنون ،لأنهم يستطيعون اشباع العاطفة الجنسية كلما أحسوا بها ، ولأن الحصول على المرأة فى كل زمان ومكان لا تحول دونه تقاليد أو عادات أو مبادىء

ونظرة الهمجى إلى المرأة نظرة الذكر الى الأنثى فى الحيوان تقريبا ، أى أنه لا يكاد يؤثر واحدة على غيرها لأن كل النساء عنده سواء . وقد سئل مرة أحد رؤساء قبائل الهنود الحمر فى أميركا عن أجمل زوجاته ، فأجاب : إنه لم يخطر على باله يوما أن منهن من تفوق الأخرى جمالا . وأردف ذلك بقوله : قد تكون امرأة أملح وجها من أخرى ولكنهن فى كل شىء آخر سواء

بيد أن هناك بين هؤلاء الهمج من يؤثر امرأة على أخرى بعض الايثار لميزة فيها يعدها هو من علائم الجمال ، وقد تكون من علائم القبح عندنا . مثال ذلك مارواه أحد الرحالة الاجتماعيين من أن السود عموما يعدون المرأة جميلة طالما لم تكن نحيلة الخصر ، أى التى يستوى جسمها عرضا من الكتفين الى الفخذين . وعند بعض الأفريقيين يستحب فى المرأة الآذان الكبيرة (آذان الفيل) والبطن المتمدد المتدلى من كثرة الشحم واللحم . وفى نيجريا الجمال والسمن كلمتان مترادفتان ، والمرأة المتوسطة فى الجمال هى التى لاتستطيع السير دون أن تتوكأ على عبد يسندها من اليمين وعلى آخر من اليسار . أما المرأة كاملة الجمال فهى التى تنقل على البعير « فيعيع » من شدة الألم . وهناك ميزة يعدها معظم الهمجيين من علائم الجمال وتنبو عنها أنظار المتمدنين ، وهى الثدى الكبير الطويل المتدلى

ويقول دارون إن رجال الهوتنتوت لايفتنهم فى المرأة سوى ضخامة العجز وبعد خروجه عن سائر الجسم ، وقال انه رأى أجمل امرأة فى تلك البلاد ، فاذا هى لا تستطيع القيام إذا أجلست،

حتى تزحف الى أن تأتى الى منحدر تسند عليه عجزها المترامى الأطراف . وروى آخر أن الرجل الصومالى إذا رغب فى الزواج صف عدداً من النساء فى صعيد واحد ، ووقف خلفهن حتى يتخير أكبرهن ردفا ، وأبعد هذه الأرداف امتداداً إلى الوراء

ونستطيع أن نستمد من ابحاث العلماء فى نفسية الحيوان معلومات طريفة عن علاقة الجمال بالعاطفة الجنسية ، لأن طبيعة الحيوان تقرب من طبيعة الانسان الاولى ، الفطرية ، التى لم تصقلها التربية ، ولم تهذبها المدنية . ولما كانت البحوث الرياضية والطبيعية بعيدة عن الموضوع فلنرجع برهة الى علم الحياة . وهنا نجد « دارون » يقول لنا فى دقته المعهودة : ان حاسة الذوق والجمال محدودة عند الحيوان ولكنها غيرمعدومة . فذكر الطير تبهره الالوان الجميلة فى الانثى ، وكثيرمن الطيوريقطع أميالا للبحث عن ألوان بديعة متناسقة يزين بها عشه . ويؤخذ من تجارب قام بها هفلوك اليس ، فى حديقة حيوانات لندن أن جميع الحيوانات تشمئز من الأصوات المتنافرة وتطرب للموسيقى ما عدا عجل البحر [1] ، وأن معظم الحيوانات تؤثر فيها الكمان والناى أكثر من أية آلة أخرى ، وأن كلبه كان يعوى اذا سمع لحنا خاصا من وضع شوبان ، ويستغرق فى نوم هادىء عميق اذا سمع لحنا مفرحا . والحيات من أكثر الحيوانات طربا بالموسيقى . وقد كان لكاتب هذه السطور كلب ارلندى يعوى عواء مؤثراً محزنا كلما عزف أحد على المندولين ، وتبرق أسرته اذا سمع عزفا على البيانو

بيد أن الحيوان بوجه عام يدرك الجمال بحاسة الشم أكثر منه بحاسة البصر ، وهناك ما يحمل على الاعتقاد أن الانسان الأول كان كذلك ، فى العصور التى كان فيها من ذوات الأربع ، ولم تأخذ العين مكانها اللائق فى الاعجاب بالجمال ، إلا بعد أن سار منتصبا على قدميه ورفع رأسه الى فوق . ومهما قيل فى احتمال وجود حاسة الجمال عند الحيوان فان العلماء متفقون على أن هذه الحاسة تكاد تكون مقصورة على الجاذبية بين الذكر والانثى . وهذا مغزاه أن الأصل فى الجمال أن له علاقة بالرغبة أو الجاذبية الجنسية . وقد تدرج الانسان من هذه الرغبة حتى سما بالغريزة الى نوع آخر من الجمال فتطلبه فى الطبيعة الصامتة بين قمم الجبال ، والطبيعة الصاخبة فى عرض البحار ، وفى البنايات الفخمة فى امهات المدن ، وتلمسه فى الرسوم والتماثيل ، والحيوان والانسان ، وبحث عنه فى القامة المعتدلة ، والصوت العذب ، والحديث الطلى ، والعاطفة الرقيقة ، والخلق الشريف النبيل . .

الجمال والفن

لما كان المرء عاشقا للجمال فانه لايقنع بما يراه جميلا فى الطبيعة ، ولكنه يخلق الجمال — وهذا

(١) والغريب أن هذا الحيوان يعده علماء النفس من العشرة الاول فى الذكاء وهى على الترتيب : الشمبانزى ، الاورنغ تانغ ، الغوريلا . الفيل . الحصان . الكلب . القط …

ما يسمونه فنا . فالفن هو إذاً التعبير عن رأى أو وجدان بأسلوب أو شكل يبدو فى عيوننا جميلا أو ساميا ، وبذلك توقظ فى قرارات أنفسنا تلك اللذة الأصلية الأساسية التى توقظها المرأة فى الرجل ويشعلها الرجل فى المرأة . ومهما حددنا للفن من قواعد ، فاننا لا نتقيد بها فى نهاية الأمر ، لأن الجمال يأبى أن يوزن بميزان المنطق ، أو يخضع لقوانين الرياضيات ، وما ذلك إلا لأن المنطق والرياضيات من وظيفة العقل ، والجمال والفن من وظيفة الوجدان (القلب) . وليس على المرء إلا أن يلقى نظرة سريعة على دور الفنون الجميلة الخالدة فى أوربا ، حتى يتحقق من هذا الرأى . ان الجمال كما هو ممثل فى فلورنسا وروما والبندقية وميلانو وجنوا وباريس ولندن وبروكسل ودرسدن وميونيخ وفيينا وغيرها من عواصم أوربا ، يكاد ينافس جمال الطبيعة ، ان لم يفقه ويبزه . ولا يستطيع امرؤ أن يدرك الجمال بما فيه من أسمى المعانى ، وأعمق الآيات ، مالم يتعرف على تلك الدور الزاخرة بعالم الجمال . يقولون ان النحت سيد الفنون لأن الجمال فيه يجمع بين خلود الرخام وبروز الجسم بروزاً طبيعيا ، وان العيب فيه أنه لاتدب فيه روح الحياة . بيد أنى شاهدت الكثيرين من عباد الجمال يقفون أمام تلك الأحجار الصماء خاشعين ، كأنهم بقدرة الخالق يتحدثون ، وبعظمة السماء يسبحون

الجمال والطبيعة

قلنا إن للعاطفة الجنسية أثراً عظيما فى تذوق الجمال ، فلم إذاً نحب الطبيعة ؟ يجيب العلماء عن هذا السؤال بقولهم ان الانسان قد وجد من قديم الزمان أن فى أحضانها ، فى سكونها ، وعظمة جبالها ، واتساع وديانها ، وخرير مياهها ، وصفاء سمائها ، بين الجداول المنسابة من المرتفعات الشاهقة فى بطون السهول والأودية ، بجانب الماء المترقرق بين الأغصان ، والغدير المتلألىء بالماء الزلال ، وشجرة الصفصاف المعطرة بعبيق الزنبق المبعثرة زهوره الذابلة هنا وهنالك ــ فى هذه كلها يزدهر الحب ويترعرع ، وتأنس المرأة لدعابة الرجل ، وتجلس بين ذراعيه تناقشه الحساب على وعد كاذب ، أو عهد بائد ، أو تقسم ايمان الوفاء والولاء له ولجيلهما المستقبل

الطبيعة جميلة لأننا نرى فيها حب المرأة ، عطفها وحنانها ، كما نرى فيها قوة الرجل ، وشدة بأسه . فيها نجد السعادة وراحة الوجدان ، ونحس فى احضانها بحب أنفسنا والغير . من ثدييها نرضع لبان الطفولة ، وعلى ركبتيها نذكر حرارة الشباب ، ومن شفتيها نتلقى قبلات الغرام ، وفى صحرائها المجدبة نندب الماضى ، ونرقب الهرم يدب فى نفوسنا ، والشيب يخط شعورنا . وفى حفرها نذكر الفناء ، خاتمة الحياة . واخيراً نعترف للطبيعة ضمنا أنها هى التى نفخت فينا روح الحياة ، وهى التى نرقد فى أحضانها بسلام عندما تفارقنا هذه الروح ، ويصبح هذا الجسم الحى الدائب الحركة ، جثة هامدة باردة

يرتاح محب الجمال للطبيعة ، كما يرتاح الفنان للشكل ، لأن فيه يجد ذلك التوازن والتوافق الذى يجده فى الزفير والشهيق ، فى نبض الدم فى الشرايين والأوردة ، فى تعاقب الصيف والخريف ، والليل والنهار ، والمد والجزر . ويرتاح الفنان للشكل لأن فيه التماثل ، والتماثل يذكرنا بالنظام البديع فى خلق النبات والحيوان ، والرجل والمرأة . ويرتاح اخيراً للشكل لأن فيه اللون ـ تلك الخاصة التى تكسب الأشياء بهجة ونوراً وضياء . ومن هذا الشكل الذى تصبو اليه نفس الفنان فيخلق بواسطته الجمال ، نشأ الغناء ، والرقص ، والموسيقى ، والتمثيل ، والنقش والتصوير ، والنحت والمعمار ، والشعر ، والأدب ، والفلسفة . أليست الفلسفة فنا ؟ أليست هى محاولة جريئة لخلق الجمال ، أو ايجاد الشكل الذى يعبر عن فكرة حائرة مضطربة مملوءة بالفوضى ؟

الجمال بين الرجل والمرأة

كان الرجل عند قدماء الأغريق مقياس الجمال لا المرأة ، لأسباب كانت تقتضيها البطولة والقوة والشجاعة فى ذلك العصر ، غير أنهم أسرفوا فى ذلك إسرافا أدى الى شذوذ جنسى طالما كان وصمة عار فى جبين تاريخهم . أما بعد الاغريق الى عصرنا هذا فان المرأة مقياس الجمال ، وان حب الرجل لها أشد من حبها له ، وان كان حب الرجل للمرأة أقصر عمراً من حب المرأة للرجل . ويقول العلماء ان شدة حب الرجل للمرأة يزيدها جمالا . والرجل يحب فى المرأة ما يراه فيها من الجمال المادى والروحى ، الحسى أو المعنوى ، أو كليهما . بيد ان المرأة لا تسعى وراء الرجل لجماله ، وانما تحب فيه القوة والرجولة والنفوذ واتساع الدائرة التى يعمل فيها ، ومقدرته على حمايتها . وقد لا تحس هى فى الظاهر بهذه العوامل التى تحبها فى الرجل ، ولكن هذه العوامل كامنة فيها ، وهى بقية من بقايا الفطرة ، وستبقى غريزة فيها أمد الدهر فى الغالب . يظن معظم الناس أن السيدات يقعن فى غرام المشاهير من رجال السينما لجمالهم . قد يكون ذلك فى الظاهر ، غير ان التعمق فى البحث يدلنا على أن شهرة هؤلاء وذيوع صيتهم واتساع دائرتهم الاجتماعية هى التى تثير إعجاب المرأة بهم . وما أجسامهم الرياضية ، أو جمال وجوههم إلا مسألة ثانوية ، بجانب ما تراه فيهم من مظاهر القوة الاقتصادية والاجتماعية . وقد تحب امرأة شاعراً رث الثياب ، دميم الخلقة ، خاوى الجيب ، على الأساس عينه ، أى انها تعجب بقوته التى تتمثل فى ذيوع اسمه ، كما تحب امرأة رجلا لماله رغم كل عيب فيه ، لان المال مصدر من مصادر القوة لايستهان به . وموجز القول أن المرأة لاتعجب برجل لا شخصية له فى أية ناحية من نواحى الحياة المتعددة مهما كان جميلا

ومما يؤسف له أن الرجل يهبط مقياس شغفه بجمال المرأة متى تغلب عليها وتملكها ، فطالما يشعر ان المرأة لم تهزم أمامه هزيمة حاسمة ، وان كانت « ملكا » له (كالزوجة مثلا) فان جمالها يبهره ويأخذ بلبه ، وان طال الزمن . ولعل هذه هى الضربة القاضية فى الزواج فى معظم الأحوال ،

إذ أن الرجل يعلم أن الزوجة «ملك» له أولا وانه تغلب عليها ثانيا . ويخرج عن هذا المبدأ ، كبار النفوس الذين يبقى اعجابهم بالمرأة وحبهم لها رغم كل اعتبار فى الوجود ما داما على قيد الحياة

ويتبين من هذا أن حب المرأة للرجل أطول أجلا لانه يتعلق بمسألة هى مسألة الوجود والحياة ، أما حب الرجل للمرأة — فى الغالب من الأحايين — فحب زائل لانه اعجاب بجمالها وحسب. ومن المشاهد أن الرجال فى الغالب يعجبون بأصوات المغنيات من النساء بعكس النساء فانهن يعجبن بصوت الرجل ذى اللحية الكثيفة ، على حد قول هفلوك اليس ، وفى هذا دليل آخر على ما ذكرناه من أن المرأة تعجب بالقوة أيا كان مظهرها والصوت « التنور » من مظاهر القوة

وهنا نتساءل : اذا كانت المرأة مقياس الجمال فلم لم تنبغ فى خلق الجمال ؟ أى لم لا نجد نساء فنانات من المرتبة الأولى ؟ يجيب البعض أن السبب يفهم من الفقرات السابقة : المرأة لا ترغب فى الجمال ولا تسعى اليه ، انما الجمال يسعى اليها . المرأة كما أسلفنا لا تريد ان تملك وانما تريد أن تملك

وهناك رأى آخر طريف ، وهو ان المرأة كلها جمال وعاطفة ، وكلها رقة وحنان ، وهذه كلها توزعها على الغير ، على الزوج والولد ، فلا يبقى لهـا شيء تخلقه ، ومن الجهة الأخرى فانها هى كلها مصدر الجمال ، وهى الجمال بعينه ، فلا حاجة لها أن تخلق الجمال . أما الرجل فلخلوه منه يعوض هذا النقص بخلقه الجمال ، فيصبح فنانا . المرأة توحى الى الرجل بالجمال ولا يوحى هو اليها . واذا كان الرجل خاليا من الجمال فمن الذى يوحى اليها الجمال ؟ وما حاجتها الى الجمال الميت ، جمال الأحجار والتماثيل ، طالما تمثل فيها الجمال الحى ؟

ليست هذه الأقوال سفسطة كاذبة ، وانما هى آراء أدلى بها الكثيرون من العلماء . غير أنها نظريات لا تستند على حقائق علمية ، وهيهات لبنى الانسان أن يصلوا يوما الى حل ألغازها العويصة حلا مرضيا . إلا أن هناك نظرية يقبلها المنطق جوابا عن السؤال المتقدم، وهو أن المرأة لم تنبغ فى الفنون الجميلة نبوغ الرجل لانها لم تعط لها الفرصة الكافية بعد . وما مثل الفنون الجميلة إلا مثل الرياضة والعلوم على اختلاف أنواعها . فالعبقرية بين الرجال نبحث عنها بين الملايين من الرجال ، فى حين أن العبقرية بين النساء نبحث عنها بين المئات من النساء المتعلمات ، ونسبتهن ضئيلة جداً اذا قسناها بنسبة الرجال المتعلمين فى العالم كله

الجمال والحرية والحقيقة

الجمال من الكماليات ، ولا تسعى اليه الأمم والأفراد إلا بعد قضاء لوازم الحياة . والفن يزدهر مع تراكم الثروة واستقرار الحياة الاقتصادية واستتباب الأمن عند الأمم . كذلك الأفراد يعشقون الجمال إذا ما خلت نفوسهم من الهموم والمتاعب الاقتصادية ، وخشية الاملاق ، والجمال يخلق الحب كما أن الحب يخلق الجمال . والتاريخ ينبئنا أن الحرية عامل لا بد منه في نجاح الفنون والاعجاب

بالجمال ، فالفنون بلغت أوج عزها عند الأغريق فى عصر الحرية الذهبي . وقد مر بالعالم زمن طغى فيه الاستعباد على بنى البشر فانحطت فيه الفنون ، ولعل الألف عام التى تقع بين السنة التى شيدت فيها كنيسة صوفيا (سنة ٥٣٠) وكنيسة القديس بطرس فى روما ، هي تلك التى هبط فيها مستوى الفنون الجميلة ، ففيها حاربت الكنيسة الجمال لأنه كان فى نظرها شهوانيا

والموازنة بين الجمال والحقيقة موازنة بين القلب والعقل ، بين العاطفة والمنطق ، بين الفن والعلم ، بين الحب والحكمة . ومجرد الموازنة ينقل الى أذهاننا صورة مشوهة كاذبة ، يظهر فيها أحد الطرفين خصما للآخر . غير أننا اذا نظرنا الى المسألة نظرة عامة خالية من الغرض ، واسعة الأفق ، اتضح أنه ليس ثمة من تصادم بين هذا وذاك ، انما هناك ارتباط بين عنصرين من عناصر الحياة ، هيهات أن تكون الحياة بغير أحدهما جديرة بأن نحياها . ولعل جوهر الخلف بين المذهب الكاثوليكي وما يمت اليه من الأديان الأخرى بصلة ، وبين المذهب البروتستانتى وما يمت اليه من الأديان بصلة ، هو نزاع بين الجمال والحقيقة ، بين الفن والعلم . فالكنائس الكاثوليكية فضلا عن انها مكان للعبادة دور فنية جميلة ، والكنائس البروتستانية فضلا عن أنها مكان للعبادة ، دور علمية . وقد فطنت الكنائس البروتستانتية فى أميركا (على الأخص) وأوروبا فأدخلت أخيراً عناصر الجمال فى بناياتها وزينتها بالتماثيل والصور ودعت أعذب منشدى الأوبرا صوتا من رجال ونساء ، وأشهر الموسيقيين للاشتراك فى خدمة يوم الأحد ، حتى يسير العلم والفن فيها جنبا الى جنب العبادة

وما نفع الحكمة إذا لم تعلمنا كيف نعجب بالجمال ونخلقه ؟ الحكمة وسيلة ، غير أن جمال الجسم والنفس ، جمال القول والعمل والتفكير ، غاية . الجمال (أو الفن) بغير علم عدم وفقر ، كما أن العلم (أو الحكمة) بغير فن همجية ووحشية . وكل فلسفة أو حكمة لا تستوحى الجمال والفن ، فلسفة عقيمة لاتليق ببنى الانسان . الحق والحب ، والعلم والفن ، والحكمة والجمال ، يسير الواحد بجانب الآخر . وأولئك الذين يعدون الفن أو الجمال ، فى الموسيقى ، والغناء ، والشعر ، وغيرها عدواً للخلق أو الدين ، همجيون قبل أن يكونوا حكماء وزهاداً

لقد فقدت مصر الفراعنة كل شيء سوى جمال العمارة فى الكرنك وجمال النقوش والصور والتماثيل فى مقابر ملوكها ، وجمال الهرم وابى الهول فى الصحراء ، وحكمة حكمائها فى أوراق البردى . وفقدت أثينا كل شيء من أمجاد الاغريق القدماء فلم يبق منها إلا حكمة سقراط وأفلاطون وأرسطو وسوفكليس وبركليس وغيرهم من الفلاسفة ، وجمال الفن فى الاكربوليس وغيره من الآثار . وفقدت فينيقية كل شيء ولكن بقى منها حكمة التوراة والانجيل ، وأخيراً فقد العرب كل شيء ولكن بقى من آثار جزيرتهم حكمة القرآن وجمال الشعر والنثر . ألا ترى أن الأمم تزول وتطوى صفحاتها ، وتبقى حكمتها وجمالها وعلمها وفنها الواحد يشد الآخر ؟

امير بقطر

المواد الاولى
وصراع الدول الكبرى حولها

يشتد الصراع هذه الأيام بين الدول الكبرى حول المواد الأولى . وقد يكون الغرض من هذا الصراع زيادة الرخاء الاقتصادى بين شعوب هذه الدول . ولكنه فى الحقيقة يتجه الى تزويد الدول بالمواد الأولى لتقوية حركات التسلح فيها . فالمانيا مثلا تطمع لاستعادة مستعمراتها القديمة ويؤكد رجالها الاقتصاديون أن فى وسعها الحصول من تلك المستعمرات على معظم المواد الاولى التى تستوردها اليوم من الخارج . وهكذا تستطيع أن تقتصد كل سنة ٤٠٠ مليون مارك

وايطاليا تبذل الآن قصاراها لتستخرج من الحبشة البترول والنحاس والرصاص والحديد

واليابان فى الحرب التى أثارتها على الصين تسعى هى الاخرى للحصول على المناجم الزاخرة بالمواد الاولى والكائنة فى مناطق الصين الشمالية

ولكن الصراع بين الدول الكبرى حول تلك المواد يبدو على أشده فى الحرب الاسبانية الحاضرة ، فايطاليا والمانيا لم تتدخلا فى هذه الحرب إلا لتنازعا الأنجليز خيرات اسبانيا

والواقع أن اسبانيا تنتج كميات كبيرة من أهم المواد الاولى . فمنطقة استوريا زاخرة بالحديد وكذلك منطقة بسكاى . والمعروف أن (هويلفا) هى أغنى المناطق الاوربية فى انتاج النحاس ، وأن مناجم (ليناروبا) تنتج الرصاص وان الزئبق وافر فى منطقة (المادن)

وقد حدث فى عام ١٩٣٤ عندما كانت الدول الديكتاتورية منهمكة فى التسلح ان تأسست شركة ايطالية المانية لكشف واستغلال ثروات الارض الاسبانية . وقد ساهمت فى هذه الحركة شركات ومصانع فاربن وكروب وسيمنس من الجانب الالمانى ، واتحاد الصناعات الايطالية من الجانب الايطالى . ثم عهد بادارة هذا المشروع والاشراف التام عليه الى مهندس من الروسيين البيض . وقد أسرع هذا المهندس فاقام فى برشلونة وبدأ يهيء الخطط لمشروعه ويعد العدة لتنفيذه ، ولكنه اضطر الى مغادرة المدينة بعد شهرين من فوز الجبهة الشعبية الاسبانية الديموقراطية فى الانتخابات

وكان ان وقعت الحرب الأهلية فسعت ايطاليا والمانيا الى التقرب من الجنرال فرانكو ومده بالأسلحة والذخائر على أمل الحصول على امتيازات اقتصادية لاستغلال مناجم الريف . وقد تم ذلك وأصبح للشركات الايطالية والالمانية الآن النفوذ الاول فى استغلال تلك المناجم

ولقد استطاعت المانيا أن تحصل فوق ذلك على امتياز خاص لاستغلال الحديد الموجود بكثرة فى منطقة (فيجو) على أن يخصم ثمن هذا الحديد من أصل دين فرانكو لالمانيا ومن قيمة الأسلحة

والذخائر التي يستوردها من الالمان . وكانت انجلترا في نفس الوقت تطمع الى الظفر بامتيازات خاصة تمكنها من استغلال عدد كبير من المناجم الاسبانية الحافلة بمعدن اليريت . ولذلك تحفظت وتريثت ولم تجاهر الجنرال فرانكو بأى عداء بل استمسكت بسياسة عدم التدخل وأسرفت فيها وأبقت على صداقة فرانكو ، وانتهى بها الأمر عندما رجحت كفة الجنرال في الحرب الأهلية ان أرسلت مندوبيها الى حكومة الثوار في سلمنكا يسهرون على المصالح البريطانية ويحاولون زعزعة النفوذ الايطالى الألمانى مستعينين بحاجة الجنرال فرانكو الى قروض مالية جديدة

أما في الحبشة فقد أشركت ايطاليا الألمان معها في البحث عن مواردها المعدنية ، ورصد الايطاليون لهذا الغرض مليونى جنيه انجليزى وقدم الالمان نحو ٥٠٪ من رأس مال المشروع . وقد جد المستعمرون الايطاليون في البحث عن البترول في الدناكل ودير داوى ، وعن الحديد والنحاس في كافا ، وعن الزئبق في منطقة هرر . ولكن كبار أصحاب رؤوس الاموال الانجليزية والفرنسية سعوا سعيهم الحثيث للفوز بقسطهم من الغنيمة . فاستطاعوا بعد جهاد طويل شاق مستعينين بحكوماتهم وبموقف هذه الحكومات السلبى من الفتح الايطالى ، أن يساهموا في رأس مال شركة أخرى تبذل قصاراها للعثور على معدن البلاتين في الحبشة . وقد رضى الايطاليون بوجود هذا النفر من الماليين الانجليز والفرنسيين تقربا من انجلترا وفرنسا واغراء لهما بالاعتراف بفتح الحبشة

ولننتقل بعد ذلك الى ما يقع في البرازيل : تصدر ألمانيا الى البرازيل مختلف المنتجات الصناعية ، وتستورد منها القطن والبن . وقد اشترى الألمان من البرازيل عام ١٩٣٥ ما يقرب من ٥٠٪ من محصول قطن سان باولو ، وأصبحوا يمثلون في العام الماضى أولى الدول المصدرة الى البرازيل

وعند ما حدث الانقلاب الديكتاتورى البرازيلى طربت دوائر برلين وازداد أملها في استغلال مناجم البرازيل ، ولكن رجال الصناعة والمال في الولايات المتحدة كانوا يريدون هم ايضا استثمار تلك المناجم ، ولذلك استنكرت حكومة وشنطن قيام نظام ديكتاتورى في البرازيل واعتبرته خروجا على مبدأ الحلف الامريكى وتدخلا من الدول الاوربية الديكتاتورية في شؤون الجامعة الامريكية

وهناك منطقة أخرى يتمثل فيها الصراع حول المواد الأولى بشكل بارز مروع ، وهى المنطقة الواقعة في أقصى شمال البلاد الأسوجية حيث تقوم حركة استغلال مناجم الحديد على ساق وقدم

والواقع ان ألمانيا تستورد من أسوج معظم كية المعدن التى هى في حاجة اليها لانجاز برنامج تسلحها . ولكن روسيا التى تعلم بمطامع المانيا والتى تخشى توسعها وبسط سيادتها على جزء من أرضها ، تنظر بعين الخوف الى تلك الموجة الهائلة من الحديد التى تتدفق من أسوج لتصب في المانيا

ويؤكد الخبراء العسكريون انه لو اشتبكت المانيا والروسيا في حرب ، فيضطر سلاح الجو الروسى الى هدم المراكز الأسوجية الحافلة بالمعادن ، والتى يستورد منها الالمان حاجات جيشهم ، مع ملاحظة أن هذه المراكز كائنة بجوار حدود البلاد الشمالية أى في متناول سلاح الجو الروسى

سجل الأيام

عرض عام لشئون الشرق العربي واحداث السياسة العالمية

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

(١) شئوننا الداخلية

الاعتداء على رئيس الحكومة

كان لحادث الاعتداء على رئيس حكومتنا وقع شديد في أنحاء المملكة المصرية جميعها ، وامتد الى ما بعد الحدود المصرية فشاركتنا في شعورنا جميع الممالك المجاورة والبعيدة . فان الاعتداء إثم في ذاته ، ويزداد الجرم سوءاً اذا قام به صعلوك لا في العير ولا في النفير ، يريد أن يحدث حدثاً في بلاد أحوج ما تحتاج اليه الآن الطمأنينة والسلام

على أنه قدر فجاء الخير من حيث أريد الشر ، فسلم رئيس الحكومة وجاء الحدث المشئوم حافزاً لشعور الأمة ،فأظهرت ماتكنه من حب وتقدير لزعيم بذل كل ما آتاه الله من قوة في خدمتها ووفق في ذلك أيما توفيق

ولم يبق علينا إلا رجاء نلتمسه من الحكومة عساها أن تبحث عن العلة النفسية فتستأصلها بما تعده من مشروعات تعليمية واجتماعية تقضي على هذه النزعة الشريرة وهي لا تزال في المهد

فالأمة المصرية والحمد لله سليمة من داء الاغتيال السياسي ، وما هذا الحادث إلا طارىء عارض يصاب به بعض الأفراد فيكفرون عن ذنبهم بما ينالون من قصاص ويبقى المجموع صحيحا معافى . وإذا كنا نلتمس من الحكومة أن تعمل على مداواة هذه العلة السياسية الاجتماعية قبل استفحالها فاننا نعيذها من تشريع مرتجل يرمي الى قتل روح المعارضة أو اضعافها

فالمعارضة واجبة في كل نظام قوامه الحرية والدستور، وهي قد تطغى حينا وقد تهدأ ثائرتها حينا آخر . ولكنها ضرورة في كل الاحوال لا غنى عنها إذا رغبنا في حكومة صالحة

والحكومة الصالحة تعمل أبداً دائما لغدها لا ليومها ، وفي منفعة الكل لا الجزء . فان اخطأت المعارضة اليوم ظهر خطأها غداً ، وان أصابت أفادت الحكومة منها

بذلك تتقوى الروح الدستورية فى البلد ، فان الغرض الأساسي فى حياتنا السياسية هو أن الجميع ـ الحكومة القائمة بالأمر الآن أو المعارضة التي ستقوم به فى الغد ـ يعملون للخير العام مشبعين بالنية الطيبة

* * *

الاقتصاد وآدم سميث ليس الاقتصاد بعلم ، فقد يعلم الطلبة فى الجامعات أن أول فصل يقرأونه فى كتبما يسمونه بالاقتصاد السياسي يبحث فى هل يصح تسمية الدرس الاقتصادى علما أم فنا . أوهو قوام بين ذلك . فالمعروف عن العلوم أنها ذات قواعد تكاد تكون مطلقة اذا وضعت الأساس ـ وهو معروف ـ اقت البناء فى الحال . وظاهر ان الاقتصاد ليس فى شيء من ذلك . وليس هو فنا لأن الفنون تخضع للعاطفة ، وقل أن يسيطر عليها العقل

على أنه قد يكون أقرب الى الفن منه الى العلم ، فان مصدر الاقتصاد كمصدر الفن ميل شخصى أو غرض ذاتى نحوه يظهر فى الفنون الجميلة مجرداً عن المنفعة المادية ، وفى الاقتصاد كله منافع مادية

ولقد قدمنا هذه الكلمة الوجزة لأنا رأينا الذين يتصدرون لبحث المسائل الاقتصادية عندنا من صحافيين وبرلمانيين وهواة ، يرجعون أبدا دائما الى كتب الاقتصاد الافرنجية يترجمون لنا منها آراء وأقوالا ان صحت فى عصر فلا تصح فى عصر آخر ، أو وافقت بلدا فلا توافق بلداً آخر

فهذه جريدة محترمة من جرائدنا اليومية تنصح للوزارة أن تأخذ بمذهب ادم سميث فى التشريع الاقتصادى وقوامه اطلاق الحرية للفرد يفعل ما يشاء لا يقيده الا ناموس العرض والطلب

ولكنه مذهب أكل الدهر عليه وشرب

فاطلاق الحرية للفرد أنتج هذا النظام الاقتصادى المتهدم الأركان

انتج الآلة فجعلت من ابن آدم عبداً تتسلط عليه فتجيعه عشرة أيام وتشبعه يوما واحداً

انتج شركات الاحتكار فخنقت صغار التجين وقذفت باهلهم الى الاسواق يتسولون

وكيف يترك مبدأ العرض والطلب طليقا والانتاج لاحد له والاستهلاك يكاد ينوء بما بين يديه ؟ الحقيقة أن النظام الاقتصادى قائم الآن ـ أو يجب أن يقوم ـ على مبدأ التضامن . فالتضامن الاجتماعى أو الاشتراكية المعتدلة هى الدواء الذى يصفه أطباء هذا العصر للامراض الاقتصادية . وهو يرمى فى مبدأه الى تعميم نظام المجالس البلدية فى كل نواحى الحياة . أى جعل المرافق العامة وقفا على خدمة الجمهور لا يستأثر بها فرد أو شركة ، ثم هو يرمى الى تأمين العامل ـ العامل بعقله والعامل بيده ـ فى أيام عجزه عن العمل اما لمرض أو لشيخوخة

وما هذا التشريع المنوى عندنا لتأمين العمال الا أثر من آثار هذا المبدأ . ومثله التشريع الذى طلبه المحامون والأطباء ومن اليهم بقصد اعانة المتقاعدين منهم

وهو مبدأ عدل لأنه يحتم على أفراد أى نقابة من النقابات أن تودى قسطها الى خزانة عامة حتى تعود وتتناوله فى أيام البطالة والشيخوخة

والحكومة التى تمثل مجموع الأمة تساعد هذه الخزانة ما استطاعت ، وبذلك يتم التضامن والتعاون بين الأفراد جميعا

ولا شك أنه إذا ساد هذا المبدأ العلاقات الاقتصادية جميعها أمن الناس تحكم المادة فى حياتهم ، فانه إذا أمن الانسان رزقه فى شيخوخته أو مرضه انصرف عن السعى لاحتكار المادة بجميع الاساليب الى السعى لتحسين حياته الروحية والأدبية

والمجال واسع جداً لسرد فائدة هذا المبدأ ، ولكننا نلم به الآن الماما منتظرين فرصة أخرى حتى نقربه من الافهام مكتفين الآن بنصح اخواننا الكتاب أن يتركوا ادم حيث جانبا ومن سبقه من الآدميين : أبوكم آدم سن المعاصى وعلمكم مفارقة الجنان

(٢) الشؤون الخارجية

نبأ من البرازيل

وهذه بقعة أخرى من المعمورة طلقت مذهبها الديموقراطى واعتنقت الدكتاتورية وقد كان عهدنا فى الجمهوريات القائمة فى اميركا الجنوبية واميركا الوسطى حتى تمتد الى المكسيك انها حكومات اعتنقت النظام الجمهورى ولكنه نظام جمهورى غريب . فالاحزاب عندهم تبدأ العراك كلاما ، ثم تضيق صدورهم ، فيخرج زعيم منهم ليجىء باتباعه ويستولى على الحكم بقوة السلاح ، فانهم يرون هذا السبيل فى الوصول الى الحكم أجدى من اتباع طريق اسقاط الوزارات بالتصويت أو بالاقتراع . وليس لنا أن ننتقد خطة سياسية فى أمة من الامم ، فلكل شعب تقاليد وأخلاق تفرض عليه نظام الحكم مهما كانت النظريات والقوانين المدونة . فالناس تحكمهم طبائعهم وتاريخهم وتقاليدهم لا الكتب ولا ما خط فيها من دساتير

ولكنا نتساءل ــ وقد أصبحت الدكتاتورية زيا حديثا قائلين : ما السر فى نجاح هذا الضرب من الحكم فى هذه الأيام ، وما السر فى اخفاق النظم البرلمانية ؟

كلمة الدكتاتور ثقيلة على السمع

اذا وصف بها موصوف طغت فكرة الاستبداد والتفرد بالأمر على كل الاوصاف وبقيت وحدها مرسومة فى الذهن

هكذا كانت منذ القدم ولما تزل حتى الساعة

فلماذا ؟

لسبب واحد لا ثانى له

كان هؤلاء المستبدون الحاكمون بأمرهم طغاة بغوا عندما آل اليهم السلطان واستأثروا بالمنافع

وضحوا بالناس ـ حياة ومالا ـ فى سبيل مآربهم الذاتية

هذه صورة الدكتاتور

لم ينج منها العبقرى نابوليون رغم ما أسداه للعالم من خدمات جلى

ولكنا رأينا بعد الحرب الكبرى طرازاً آخر من هؤلاء الحاكمين بأمرهم ـ طرازاً تحرر من الانانية واقام نفسه خادما لامته

وفى الشعوب كما فى الاطفال غريزة تدل الفرد على عاطفة الحب فيصير كأنه يشم الاخلاص ويتذوق العطف من بعيد ، فيغمض عينيه ويسلم القياد

وهذا هو السر فى نجاح هذه الفئة الجديدة الغالبة التى رأيناها بعد الحرب ، تغزو الديموقراطيات وتأبى أن تقيم الطغيان والأثرة عليها

انظر الى موسولينى كيف تجرد لخدمة أمته فقادها فقيراً وظل فقيراً أخلص للشعب وبذل راحته ولذته فى سبيل اسعاده لايطمع فى مال أو فى ملك فانقاد له الشعب وأحبه

قل مثل ذلك فى اتاتورك ، فلو شاء هذا العبقرى أن يحذو حذو خواقين الترك لأقام لنفسه ملكا عالى الذرى ولادخر المال وجلس على عرش آل عثمان

ولكنه تملكته عقيدة أخرى وأقسم ليخدمن أمة الترك دون سواها ودون نفسه ، فتجرد عن المطامع الذاتية وقعد على كرسى من العظمة والغيرية يبذل كل ما أوتيه من قوة عقل ومن سلطان ارادة فى سبيل إسعاد أمته ، فعرف له الترك ذلك فاحلوه فى القلوب وسلموه القياد

ذلك لأنه آثر الخدمة يقوم هو بها فى سبيل الغير عن أن يستغل الشعب فى خدمته

وكذلك عظيم الالمان هتلر . مثله مثل ذينك العاهلين الشعبيين اللذين مر بك ذكرهما ، تجرد من الانانية فى سبيل مبدأ قائم على منفعة الشعب ، كأنه أخذ الروح الألمانى وتقمصه وأقام على خدمته فصار سيداً أول الجميع بعد أن كان فى أواخرهم

فأنت ترى أن هؤلاء الذين ينعتونهم بالدكتاتورين تنزيلا لقدرهم ليسوا فى الواقع من ذلك الطراز القديم الذى كره الناس حكمه . ان هو إلا مبدأ ألهمه افراد محدثون عرفوا دهرهم وجيلهم ، فادركوا سر العظمة الحقيقية وهو الخدمة ، أو الغيرية تحل محل الأنانية

وعندنا ان افلاس الديموقراطية فى هذه الأيام راجع سببه الى أنها ذهلت عن هذا المبدأ المقدس

فانه عند ما أحل الناس فى ثوراتهم هذه الديموقراطيات بأنظمتها البرلمانية محل ملوكهم المستبدين المتفردين ظنوا أن قد خلا الجو للحكم الصالح وأن قد تطهر السلطان من النزعة الذاتية وخدمة العاجلة دون الآجلة

وجربوا الأمر قرنين أو أكثر فاذا بهم ـ فى معظم بلاد الله ـ أمام تجربة تكاد تكون فاشلة.

تطلعوا فرأوا منتخبيهم الذين أقاموهم ولاة أمورهم قد استأثروا بالسلطة باسمهم فجعلوا همهم منصرفا الى سن القوانين وأرهقوا الناس بنفقات لم يصل اليها الملوك المستبدون

وقد يألف الشعب نظاما ويطمئن اليه والامور سائرة فى سيرها العادى . ولكن اذا جد الجد وأضرمت الحرب أو عصفت ريح أزمة اقتصادية رأى نظامه المألوف آلة ثقيلة الخطى بطيئة المنفعة كثيرة الانفاق ، ورأى وكلاءه البرلمانيين يفتنون جاعلين بقاءهم فى التوكيل نصب عيونهم وفى المقام الأول ومنفعة الموكلين فى المقام الثانى . لذلك كانوا اذا قام فيهم فرد يقفل أبواب هذه المجالس يضع مفاتيحها فى جيبه ويتولى هو الامر لا ينظر إلا الى مصلحة المحكومين يلتفون حوله ، ناسين نظرية سلطة الأمة ، لا يذكرون إلا مبدأ واحداً هو خدمة مرافقهم والعمل على ترقيه الحياة عليهم سواء أكانت هذه الحياة مادية أو أدبية . هذا هو السر فى نجاح الدكتاتوريين فى هذه الأيام ، انهم أدركوا الغرض من الحكومة وهو خدمة المحكومين ، فتم لهم الأمر

فان بغية الشعوب حكومة صالحة . وتستوى بعد ذلك عندها الوسيلة سواء أكانت فردية أم نظاما برلمانيا . فاذا نظرنا بعين مجردة عن الهوى رأينا الذين ينجحون فى هذا النوع من الحكم قوما غيريين آثروا المنفعة العامة وضحوا بأنفسهم فى هذا السبيل

وهذا كل ما يطلبه هذا المسكين رجل الشارع

***

خطة اليابان فى الصين تسير اليابان فى غزو الصين على خطة مرسومة ينفذونها باحكام يكاد يكون كاحكام الساعة الدقيقة الصناعة . وكأننا بهؤلاء الصفر علموا ما فى الغيب فأدركوا عجز روسيا عن مناوأتهم ، وعرفوا موطن الضعف فى الشعب الاميركى واعتزازه بالسلم وكرهه الحرب ، ورأوا اشتغال انجلترا فى كل أنحاء المعمور تحاول أن تسترد مافقدت من ثروة وما قام على هذه الثروة من عزة ومكانة ، فخلا لهم الجو فبسطوا سلطانهم على جيرانهم يتمتعون بما ليس لديهم من خيرات صناعية وزراعية ، حتى اذا تم لهم الأمر ونظموا الامبراطورية الجديدة خطوا الخطوة الكبرى الى احتكار القارة الاسيوية

وما ذلك بعزيز على شعب أهلته الأقدار للتحكم . وأول هذه المؤهلات روح التضحية وضياع الفرد فى سبيل ارتقاء المجموع ، ويتلو ذلك عزم صلب ينظم عدة الجلاد فتلين له الامور وتنقاد

فاليابان مثل يحتذى . وقدوة لا بد منها لجميع الشعوب المتطلعة الى الاستقلال فالزعامة التضحية ، بل الغرام بالتضحية فى سبيل المثل الأعلى ، هذا هو السر فى قيام الأفراد والامم هكذا قامت الديانات والحضارات فى كل زمان ومكان ــ سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

سامى الجريديني

كان للخديو اسماعيل زوجات أربع :

الأولى : شهرت خانم افندى ، ولم تعقب نسلا

والثانية : جنانيار خانم افندى ، وليس لها ذرية كذلك

والثالثة : جشم آفت خانم افندى وقد كانت تلقب « كوجك هانم » أى الهانم الصغيرة وكانت ذات منزلة خاصة عند الخديو اسماعيل ، وامتازت بوجود جوقة موسيقى وتربية خاصة بها ومعها المغنيات . وكانت تتمنى لو رزقت خلفا ، فلما لم يقدر لها ما تمنته فكرت فى أن تتبنى لها بنتاً ، وقد وقع اختيارها على فائقة خانم لما رأته فيها من صفات طيبة وأخلاق فاضلة

وجشم آفت هى التى أنشأت أول مدرسة للبنات فى مصر بحى السيوفية ، وأسندت رياستها للسيدة روزة المربية المعروفة إذ ذاك . وكانت تعلم فيها القراءة والكتابة ومبادىء الحساب والأشغال اليدوية وشئون المنزل،وكان عدد التلميذات قليلا فى بادىء الأمر ، ثم زاد



شهرت خانم افندى زوجة اسماعيل الاولى

الاقبال عليها حتى ضاقت بهن ، فاعتزمت البرنسيس انشاء مدرسة أخرى أكبر منها، وتم بناؤها فعلا. وقبل افتتاحها كان اسماعيل قد بارح مصر هو وزوجاته ، فأهمل شأن المدرسة ، وشغلتها الحكومة ببعض الدواوين ، ومكانها الآن تشغله وزارتا الأشغال والمواصلات ودار البرلمان وما حواليها



جنانيار خانم افندى زوجة اسماعيل الثانية

والرابعة : والدة الخديو توفيق وقد أشار السلطان على اسماعيل بالعقد عليها، فصدع بالأمر فصارت الرابعة وذلك عقب صدور الفرمان السلطانى بجعل ولاية مصر وراثية فى أكبر أولاد اسماعيل . وعند زواج ولى العهد توفيق باشا أقامت معه فى سراى القبة

***

وكان اسماعيل يقيم أغلب أوقاته مع زوجاته فى عابدين ، وفى بعض الأحيان ينتقل الى احدى السرايات الأخرى فى الجزيرة أو الاسماعيلية أو الجيزة فيرافقنه اليها

وكانت كل واحدة من الثلاث تقيم فى «بلك» ، وهو مسكن خاص مستقل ، ولكل منهن «قلفاوات» توزع عليهن الوظائف المختلفة من « خازنداره » و « شماشرجية » . . الخ . .

وكان للقلفاوات خادمات خصوصيات من الجوارى السود . وفتيات شركسيات يدربنهن على القيام بما تقوم به القلفاوات إذا ما كبرن

أما اسماعيل فكان له «بلك» خاص تقفل أبوابه عند دخوله فى المساء ، وكانت له كذلك حاشية خاصة من المحظيات والجوارى ترافقه فى كل سراى من سراياته

***

وفى استقبال الزائرات سواء كن من الافرنج أو أهل البلاد ، كان يتقدم الاغا ، ويساعدهن



جشم آفت خانم افندى
زوجة اسماعيل الثالثة

فى النزول ، ويرافقهن إلى باب الحريم ، وهنا تأتى جوار من مدربات الجمال ليتسلمن منهن « اليشمق والفراجية » أو المعاطف ، ويرافقنهن إلى « الصالون » فى الدور الأسفل وهو مؤثث بالأثاثات الفرنسية الفاخرة ، ثم ترشد الزائرات الى « الصالون » الخاص بالبرنسيسات والدور الثانى

وفى الاستقبالات العامة تتقدم الزائرات إحدى القلفوات فى زى رجل بملابس مزركشة ، وكانت تختار ذات وسامة وقد رشيق طويل ، تحمل فى يدها عصا مفضضة غليظة ، فتسير بين أيديهن الى مكان البرنسيسات ، وكان يطلق عليها اسم « الشاويش »

وكانت البرنسيسات ، يلبسن الملابس الحريرية الفاخرة ذات الألوان الزاهية ، والاذيال الطويلة ، فى زى افرنجى ، وكن يجلسن عند الاستقبال بعضهن بجوار بعض . وتتقدم الزائرات الى كل منهن الوصيفة الخاصة بالترجمة عند وجود الاجنبيات . وكان يقوم بهذه المهمة بالتناوب وصيفتان هما قو يسز خانم وجاره سز خانم

ثم تقدم القهوة فى فنجان ذى ظرف مصوغ من الأسلاك الذهبية الرفيعة على أشكال جميلة ومرصعة بالماس . وكان يسمى : « شغل شفتشى . أو سودانى »

ولقد كانت الداخلة لأول مرة فى سراى عابدين تدهش لمنظر الجوارى اللاتى يستقبلن الزائرات فى ملابسهن الفخمة ، وتتساءل : « أحقاً هؤلاء مملوكات ؟ »

أما فى الحفلات الكبرى وفى الأعياد وأفراح الأنجال ، فكانت البرنسيسات يتزين بأبهى زينة فى الملابس المزركشة بالجواهر ، مما لا يشاهد حتى عند الملكات الأوربيات

* * *

وكانت زوجات اسماعيل يعشن على وفاق تام مع أنهن ضرائر . فضلا عن وجود محظيات كثيرات له . فقد علمت أن الغيرة لم تكن تصل إلى إحداث شقاق بينهن فى الغالب . وإذا حدث شىء من ذلك قام « خليل أغا » وهو « باش أغا والدة اسماعيل » باصلاح ما بينهن سريعاً

والفضل فى ذلك يرجع لاسماعيل لأنه عقد على من كان يعتقد فيها الرزانة والعقل الراجح ، والمحافظة على المقام العالى الذى يرفعها اليه . فكن لآخر حياتهن محترمات موقرات من الجميع

عن مذكرات **الحاج احمد شفيق باشا**



زوجة اسماعيل الرابعة
والدة الخديو توفيق



السلطان صلاح الدين الأيوبي

مؤامرة على صلاح الدين

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

لما قدم صلاح الدين الى مصر لأول مرة مع عمه أسد الدين شيركوه فى سنة ٥٥٨ هـ، لم يكن يتصور أنه سيغدو بعد ستة أعوام فقط سيد هذه البلاد العظيمة التالدة. أجل لم يكن هذا الفتى الذى لم يجاوز السادسة والعشرين من عمره يستشعر ذلك المستقبل الباهر الذى يهيئه له التاريخ، ولم يدر بخلده يومئذ أنه بعد الاستيلاء على ملك مصر سيغدو بطل الاسلام وحاميه ومنقذه ومحرره من خطر الصليبيين

قدم صلاح الدين الى مصر مع الجيش الذى أوفده نور الدين زنكى صاحب الشام الى مصر بقيادة شيركوه لنصرة وزيرها شاور وزير الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله، على منافسه الحاجب ضرغام، وخاض غمار الحرب الاهلية التى اضطرمت بمصر يومئذ وانتهت بظفر شاور ومصرع خصمه. ولما حاول شاور بعدئذ أن يستقل بالأمر وأن يتخلص من منافسه شيركوه وجنده، ثار بين الحليفين نضال استعان فيه شاور بالفرنج الصليبيين، ولكنه انتهى بهزيمته ومصرعه، وتولى شيركوه مكانه وزارة العاضد، ولكنه لم يلبث أن توفى بعد قليل، فخلفه فى الوزارة ابن أخيه صلاح الدين وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م)

وكان ذلك فاتحة عهد جديد فى تاريخ مصر الاسلامية. ذلك أن الخلافة الفاطمية كانت يومئذ تختتم حياتها وتلفظ أنفاسها الأخيرة، وكانت قد فقدت منذ بعيد سلطاتها الزمنية والروحية فى ظل جماعة متعاقبة من الوزراء الطغاة، اتخذوا فى ظلها القاباً ملوكية، واستخلصوا لأنفسهم كل سلطاتها الحقيقية، فلم يبق منها حين آلت الى العاضد لدين الله سنة ٥٥٥ هـ سوى رسومها الأسمية، وكان آخر هذا الثبت من الوزراء الطغاة شاور الذى تلقب بالملك المنصور، فلما تولى صلاح الدين وزارة العاضد جرى على رسوم أسلافه، فتسمى بالملك الناصر، واستأثر بكل سلطة، وثابت له فى الحال نية القضاء على هذه الدولة المحتضرة، وهذه الخلافة الشيعية المترفة، فحجر على الخليفة ورجال بطانته، واضطهد رجال الدولة والزعماء المصريين، وسلبهم كل سلطة ونفوذ، واعتقل الكثيرين منهم، وأطلق يده ويد عصبته وصحبه فى جميع الشئون والمرافق، وأغدق عليهم المنح

والاقطاعات ، ووهبهم القصور والضياع المصرية ، وأخذ يمهد لمحو رسوم الخلافة الفاطمية ، واحداث الانقلاب الحاسم

عندئذ جاشت بأهل القصر(١) والزعماء المصريين فورة من الحفيظة والسخط على ذلك التغلب الأجنبي ، ولم يكن صلاح الدين قد خاض شيئا من تلك الوقائع العظيمة التي أسبغت عليه حلل المجد وجعلت منه فيما بعد بطلا قوميا لمصر وللاسلام كله ، ولم يكن يومئذ في نظر الزعماء المصريين سوى أجنبي مغتصب تجب مقاومته وانقاذ العرش والخلافة من مطامعه . وفكر في الاضطلاع بتلك المهمة الخطيرة بادىء ذي بدء زعيم من زعماء القصر هو جوهر أحد « الاستاذة المحنكين »(٢) الملقب بمؤتمن الخلافة ، ووافقه على مشروعه عدة من الأمراء والقادة المصريين ، واتجه بصر المؤتمرين الى الفرنج الصليبيين فكاتبوا آموري (اومري) ملك بيت المقدس ، حتى إذا زحف الفرنج على مصر ، وذهب صلاح الدين للقائهم وجنده ، أعلنت الثورة في القاهرة وفتك المصريون بخصومهم وسحقوا الغز ، ولكن ضبطت بعض الكتب المرسلة الى الفرنج ، ووقف صلاح الدين على سر المؤامرة ، فذعر المتآمرون واستتروا حينا ، وتربص صلاح الدين بالاستاذ جوهر حتى إذا خرج ذات يوم من القصر الى بستانه يتربض بعث اليه نفراً من رجاله ، ففتكوا به واحتزوا رأسه وحملوه الى صلاح الدين ، وكان ذلك في أواخر شهر ذي القعدة سنة ٥٦٤ هـ . فذاع الحادث في القاهرة ورأى فيه الأمراء والجند المصريون نذير الغدر ، فحشدوا جموعهم وأعلنوا الثورة وزحفوا على دار الوزارة ، وكانت منهم طوائف كبيرة من السودانيين والعبيد ، وحشد صلاح الدين قواته من الغز وركب مع أهله وعصبته للقاء خصومه ، والتقى الجمعان في ميدان بين القصرين(٣) ونشبت بينهما معارك شديدة ، ورمى أهل القصر عسكر الغز من فوق الاسوار بالنبال ، وكادت تدور عليهم الدائرة ، لولا أن شرع الغز في تصويب النفط إلى القصر لحرقه ، فعندئذ خشي الخليفة العاضد العاقبة ، وبعث أحد الاستاذين ، فأطل من القصر ، وصاح بشمس الدولة أخي صلاح الدين وقائد الغز يبلغه سلام الخليفة ووصيته بسحق « العبيد » يعني السودانيين وهم عماد الجيش الثائر ، فانكسرت نفوسهم وانهزموا أمام الغز ، وطاردهم الغز في شوارع القاهرة مدى يومين وفتكوا بهم

---

(١) القصر هنا هو القصر الخلافي الكبير ، وقد كان منزل الخلافة الفاطمية منذ قيامها بمصر (سنة ٣٦٢ هـ) حتى زوالها في سنة ٥٦٧ هـ

(٢) هم جماعة من أكابر البطانة في الخلافة الفاطمية ، وكانوا يشغلون في القصر عدة مناصب هامة ومنهم صاحب المجلس الذي يشرف على مجلس الخليفة ، ومتولي شد التاج ، وصاحب الرسالة وصاحب الدفتر ، وسموا بالمحنكين لأنهم كانوا يدورون العمامة على احناكهم

(٣) بين القصرين هو الميدان الشاسع الذي كان يفصل بين القصرين الفاطميين الكبيرين ، القصر الشرقي وهو الكبير والقصر الغربي وهو الصغير ، وكان يسع نحو مائة الف نفس ، وكانت تنظم فيه المواكب الخلافية الكبرى والحفلات والمظاهرات العظيمة

شر فتك ، وسلم من بقى منهم ، وبذلك حطم الجيش الثائر ، وحطمت قوى الدولة المصرية والخلافة الفاطمية ، فى تلك الواقعة التى تعرف بواقعة العبيد (٢٨ ذى القعدة سنة ٥٦٤ هـ) واشتد ساعد صلاح الدين وعصبته الغز ، ولم تبق أمامهم قوة يعتد بها أو يخشى بأسها

ولما اطمأن صلاح الدين الى منعة مركزه وتوطد أمره ، رأى أن يحقق مشروعه فى القضاء على الخلافة المحتضرة ، فقبض ذات مساء على من بقى من أكابر الدولة وأولياء الخلافة ووضع يده على القصور الفاطمية ، وقطع اسم العاضد من الخطبة ، ودعا للخليفة العباسى المستضىء بالله وأزال جميع شعائر الخلافة الفاطمية ، فمات العاضد حزنا وغما بعد ذلك بأيام قلائل (المحرم سنة ٥٦٧) واحتوى صلاح الدين على جميع مخلفاته ، وقبض على أولاده وأهله وسائر صحبه ، وأخرجهم من القصر ، وانتهت بذلك الدولة الفاطمية وبدأت بمصر دولة جديدة

***

وكان سقوط الدولة الفاطمية على هذا النحو مأساة أليمة حزت فى نفوس الكثيرين من أوليائها وأنصارها ، وكان فوق ذلك ضربة قاضية لسلطان الزعماء المصريين ونفوذهم . وشعر هؤلاء بشدة الحكم الجديد وعنفه ، ورأوا أولئك المتغلبين الجدد يستخلصون لأنفسهم ذلك التراث الباذخ ، ويستأثرون دونهم بكل شىء فى الدولة ، وأيقنوا انهم ان لم يتداركوا الأمر فى بدايته ويسعوا الى تقويض ملك صلاح الدين قبل أن تتوطد دعائمه ، فان الفرصة ستفلت من أيديهم الى الأبد

وكانت خيوط المؤامرة الأولى التى أخفقت وأسفرت عنها واقعة العبيد ، لم تنقطع نهائيا ، ولكنها كانت فى تلك المرة أخطر وأوسع مدى ، وكان قوامها عدة من الزعماء الأقوياء ، منهم داعى الدعاة عبد الجبار بن اسماعيل ، والقاضى المفضل ضياء الدين نصر الله بن كامل ، والقاضى الأعز سلامة العوريس متولى ديوان النظر ، والكاتب عبد الصمد[1] والشريف الجليس ، ونجاح الحامى ، والفقيه الشاعر عمارة اليمنى ، والواعظ زين الدين بن نجا ، وكانت المؤامرة تقوم على نفس الخطة أعنى الاستعانة بالفرنج ، بيد انها كانت عندئذ أوسع نطاقا وأبعد مدى ، ذلك ان المتآمرين لم يقنعوا بالاتفاق مع الفرنج الصليبيين فى بيت المقدس بل رأوا أيضا مخاطبة الفرنج فى صقلية واتفقوا مع وليم الثانى النورمانى ملك صقلية أن يمدهم بحملة بحرية تهاجم ثغر الاسكندرية ، وذلك لكى تفرق قوى صلاح الدين كل مفرق ، ويتمكن المتآمرون من السيطرة على العاصمة بأيسر أمر ، وكان رسول الفرنج الصليبيين المتآمرين فى مصر يدعى جورج (جرج) ، كان يتردد على القاهرة بحجة الاتصال بالسلطان والسفارة اليه ، ثم ينتهز الفرصة فيتصل بالمتآمرين ويشترك معهم فى تدبير الخطط ، وزاد المتآمرون على ذلك ان كاتبوا سنانا شيخ الجبل زعيم الاسماعيلية أو الحشيشية

(١) كان داعى الدعاة من أهم رجال الدولة الفاطمية ، وكان منصبه دينياً خطيراً ، ومهمته السهر على تنظيم الدعوة الفاطمية وخططها الدينية ، وكان متولى ديوان النظر والكاتب من أكابر رجال الديوان الخلافى

فى الشام ، لكى يرسل بعض رجال الفدائية لاغتيال صلاح الدين ، وكانت خطتهم تتلخص فى انه متى غادر صلاح الدين العاصمة بجنده فى احدى حملاته الى الشام ، زحف الفرنج على القاهرة وبعثوا أسطولهم الى الثغور ، وفى الوقت نفسه يضرم المتآمرون فى القاهرة نار الثورة فتثور الحاشية القديمة وبقية العسكر الفاطمى وطوائف السودان ، ويفتكوا بالعصبة الصلاحية وجند الغز ، ويستولوا على العاصمة وينادوا بأحد أولاد الخليفة مكانه ، وبذلك تنتهى دولة المتغلبين ، وتسترد الخلافة الفاطمية ملكها وسيادتها

وكان من أهم أركان هذه المؤامرة الخطيرة فيما يبدو من أقوال الروايات المعاصرة الشاعر الفقيه عمارة اليمنى الذى تقدم ذكره ، وكان هذا الشاعر يمنيا قدم الى مصر لأول مرة فى خلافة الفائز بالله سفيراً ثم وفد عليها مرة أخرى أيام العاضد بالله ، وبقى بها ، ولقى من البلاط الفاطمى أعظم رعاية وبقى على ولائه للفاطميين بالرغم من زوال دولتهم ، وله رثاء مشهور للدولة الفاطمية يبكى فيه محاسنها ومفاخرها ، وكان من أقطاب المعارضين للدولة الجديدة ومن المتصدرين لكل حركة تدبر لمقاومتها ، وكان السلطان يخشى قلمه ولسانه ، وينقم عليه ولاءه للفاطميين ودعايته لهم فى قصائده ورسائله

وهكذا كانت المؤامرة محكمة العرى ، بيد أن الخيانة كانت ترقب هذا التدبير المحكم ، ذلك أن أحد المتآمرين وهو زين الدين الواعظ ، خشى عاقبة الافتضاح أو الفشل ، فأفضى الى صلاح الدين بسر المؤامرة وخطط المتآمرين ، فغمره صلاح الدين بانعاماته ، وأمره أن يبقى على اتصال بزملائه حتى يقف منهم على كل شىء ، ولما أيقن صلاح الدين بخطورة التدبير ، واجتمعت لديه الأدلة الحاسمة ، قبض على المتآمرين ممن ذكرناهم ومن كانت لهم بهم صلة من رجال الحاشية وزعماء العسكر ، وحقق معهم ، فاعترف أقطاب المؤامرة بما اقترفوا ، والظاهر انهم عذبوا ، وأراد صلاح الدين أن يسبغ على تصرفه لون الشريعة والعدالة ، فاستفتى الفقهاء فى اعدامهم فأفتوا له بما أراد باعتبارهم بغاة آثمين ، ولن يعدم الملوك فى أى عصر أمثال هؤلاء المشترعين المطبوعين

وكانت هذه المحاكمة الشهيرة فى أواسط سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) ، ونفذ حكم الاعدام بالصلب والشنق فى زعماء المؤامرة ومنهم عمارة اليمنى فى أوائل «رمضان» ، وأعدم فريق آخر منهم فى شهر شوال ، وأعدم كثير من الجند والحاشية ، وكان بين المحكوم عليهم بعض زعماء الغز الذين اشتبه فيهم ، وأبدى صلاح الدين فى معاقبة المحكوم عليهم قسوة ظاهرة ، فأمر بشنقهم أو صلبهم بين القصرين أو على مقربة من القصور الفاطمية ، وصلب الكثير منهم أمام دورهم على جذوع النخل ، وصادر جميع اموالهم ، ثم تتبع كل من كانت له صلة بهم ، ونفى رجال القصر والجند القديم الى أقاصى الصعيد ، وعذب كثير منهم ، وطورد أولياء الدولة الذاهبة فى كل مكان ، واعتقلوا وشردوا ومزقوا كل ممزق

وهكذا انهارت المؤامرة الخطيرة وسحقت فى مهدها . وقد كان انهيارها لحسن طالع مصر وطالع الاسلام كله . ومما يدل على خطرها أنه لم يمض شهران على ذلك حتى هاجمت ثغر الاسكندرية حملة بحرية بعثها ملك صقلية واحتلته أياما ولم تغادره إلا بعد قتال رائع (ذى القعدة سنة ٥٦٩ هـ) وكان مقدمها من آثار المؤامرة ومن ذيولها ، فقد تحالف المؤتمرون كما رأينا مع ملك بيت المقدس وملك صقلية ، والظاهر أن فرنج صقلية لم يعرفوا فشل المؤامرة فكانوا عند تعهدهم ، ولكن الخطر الخارجى سحق فى مهده أيضا . وكان للقدر حكمته ، وسرعان ماغدا صلاح الدين بطل مصر ، وبطل الاسلام كله ، وسرعان ما انهارت المملكة الصليبية تحت ضرباته القوية ، وعادت الأراضى المقدسة الى حظيرة الاسلام ، وغدت مصر فى ظل الدولة الجديدة زعيمة الشرق ومعقل الاسلام

محمد عبد الله عنان

خواطر أخلاقية

للمفكر فوفنارج

* اذا أردت أن تروق فى أعين الناس فيجب أن تتملقهم وتكذب .
  فاسع قبل كل شيء الى أن تروق فى عين نفسك !
* ان الصبر هو فن الأمل
* لا يعرف المجد كل من لا يعرف قيمة الوقت
* ان الروائى الذى يصور لنا مخاطر الشهوات ومتاعب العواطف يعلمنا قيمة العقل
* الافكار الكبيرة تصدر دائما عن القلب
* لكى تنجز الأعمال العظيمة يجب أن تعتقد أنك لن تموت أبداً
* ان فكرة الموت تخدعنا لانها تلهينا عن الحياة
* السياسى العبقرى هو الذى يستطيع أن يحكم دون الالتجاء الى القوة

الرجل والمرأة
أيهما أوفر نصيباً فى توطيد الحضارة

بقلم الاستاذ على أدهم

« مقدرة المرأة على الابتكار تعادل مقدرة الرجل اذا كان المستوى خفيضاً ، فاذا ارتفع المستوى واتسع الافق تقصر عنه ولا تبلغ مداه »

من الحركات الاجتماعية الهامة التى نشطت فى أعقاب الحرب الكبرى وقوى امرها ، الحركة النسائية . وقد خطت قضية المرأة خطوات حثيثة مفاجئة حتى أصبحت المكانة الجديدة التى شغلتها فى طليعة المسائل التى يعنى بها المفكرون وتختلف عليها الآراء ، لما لها من كبير شأن وبعد تأثير لا من ناحية المرأة فحسب وانما من ناحية الرجل ومستقبل المجتمع ومصير الحضارة ، وقد استردت المرأة الكثير من حقوقها المسلوبة وحريتها المغتصبة وفتحت لها مختلف ميادين النشاط الانسانى الاقتصادية والثقافية والسياسية وكانت من قبل تكاد تكون موصدة فى وجهها ، ولقد حفلت صفحات التاريخ بسير نساء ممتازات فى السياسة والأدب من ملكة تدمر الى الملكة اليصابات ومن اسبازيا وسافو الى مدام دى ستايل وجورج ساند . وكثرة الملكات القديرات اللواتى أظهرن فى مسند الملك سياسة حازمة وارادة صارمة وكفاية فوق المألوف فى تصريف الأمور ورياضة المشكلات تكاد تغرى بالظن بأن حسد الرجل للمرأة هو الذى عاق ظهورها وحجب ملكاتها . ولقد امتاز الكثيرات من النساء بأعمال باهرة وثبتت لهن مواهب سامية حتى اضطر الرجال الى أن يقدموا لهن الاعجاب الخالص والتقدير البرىء ، وفى الأساطير اليونانية نساء يمثلن الحكمة وضروب الشجاعة مما يدل على تأثل النبوغ فى المرأة وعراقة تقدير الرجل لها

ولكن الاعجاب ببعض النساء النابغات واكبار شأنهن شىء آخر غير تقدير النساء بوجه عام ، فالمرأة من قديم العصور تسام الخسف وتجشم الهول ، وهى عند القبائل المتوحشة تعامل معاملة ظالمة قاسية وتعيش على ما يسدى اليها الرجل من عارفة وما يلقى لها من فضلات الزاد ، ولا يسمح لها بشىء من الترف والاستجمام ، وتقوم باعباء الخدمة من حمل الماء واحتطاب الأخشاب وتجهيز الأطعمة والعناية بالأطفال . ومما عاق تقدم المرأة مسألة الحمل وما يستلزمه من احتجاب عن الحياة العامة وحاجة الى الرعاية . ومنذ ابتداء الحضارة صحت عزيمة الرجل على استلاب المرأة كل حق

وحرمانها من كل ميزة قانونية كانت أو اجتماعية واحصر لها بالعداوة والازدراء . ولا نزاع فى أن كل مايعزى الى المرأة من وجوه النقص ودواعى الضعف ليس مرده جميعه الى خليقتها وتركيبها الطبيعى ، وانما مرد الكثير منه الى المعاملة التى عوملت بها والاضطهاد الذى لقيته

وقد رفع ظهور المسيحية من شأن النساء ، لأن العذراء مريم منهن ، وأحاط الجنس النسائى بهالة من القداسة . وساعد ذلك فى العصور الوسطى فى الغرب على نشوء الأقاصيص الخيالية وانتشار فكرة البطولة وقيامها على الدفاع عن المرأة وتقديسها . ولكن هذا التقديس والاكبار لم يكن منطويا على فكرة المساواة بين الرجل والمرأة ، فلم ترتض الكنيسة اختيار « بابا » من النساء ، وكانت النساء فى الأديرة ومختلف المناصب الدينية تحت سيطرة الرجال ، ولم يكن للمرأة سوى طريقين : اما ان تكون زوجة خاضعة مطيعة واما ان تلجأ الى الدير تفنى فيه زهرة شبابها وتقضى بين أركانه الضيقة حياتها

وغالى بعض المفكرين فى الحملة على النساء وأنكروا على المرأة كل مفخرة ورموا النساء بكل نقيصة ونبزوهن بفسولة الفكر وفساد التحيزة . فالنساء فى رأى شوبنهاور طويلات الشعر قصيرات الرأى ، وأنكر عليهن أوتوفينتجر وجود النفس والعبقرية والمنطق والاخلاق . ولم تصادف هذه الآراء المتطرفة بضرورة الحال القبول التام والترحيب الكامل من سائر المفكرين ، ولكنها تبين المدى الذى انحدر اليه تقدير المرأة عند فريق من كبار المفكرين

والمكانة التى بلغتها المرأة فى العصر الحديث لم تأت فجأة ، بل كانت كسائر الحركات الاجتماعية نتيجة مجهودات سابقة ومقدمات طويلة . ولقد انبعث صوت المرأة بالمطالبة بالحقوق السياسية فى القرن السابع عشر بامريكا إذ رفعته مرغريت برنت فى سنة ١٦٤٧ مطالبة بحقها فى النيابة . وفى القرن الثامن عشر طلبت الكثيرات من النساء أن يكن ممثلات فى المجالس النيابية ، وفى أواخره كتبت مارى ولستونكرافت كتابها المشهور فى الدفاع عن حقوق المرأة ، وأخذت أبواب التعليم فى مختلف مراحله تفتح أمامها

ولم يشتد ساعد الحركة ويزخر تيارها إلا بعد استعمال البخار وتكاثر المصانع ، وهو مايسمى فى عرف المفكرين بالثورة الصناعية . وزادها قوة فى خلال القرن التاسع عشر ظهور طائفة من النساء النابغات ودفاع الكثيرين من منصفى الرجال . ويضاف الى ذلك التأثير المباشر لسريان الفكرة الديمقراطية وتغلغلها فى جميع الطبقات والاجناس ، لأن التفريق فى الحقوق بين الرجل والمرأة ينافى الفكرة الديمقراطيــة فى صميمها ويناقض فكرة المساواة ويهدم قواعد الحرية ، والمساواة والحرية هما الدعامتان القويتان اللتان ترتكز عليهما الفكرة الديمقراطية . وشجع المرأة على الاصرار فى المطالبة بحقوقها اشتغال الكثيرات من النساء بأعمال خارج المنزل وعدم تعويلهن فى حياتهن على الآباء أو الازواج

ولكن برغم الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى فازت بها المرأة فان قبولها فى المجتمع باعتبارها مساوية للرجل لا يزال موضوعا للبحث . فهل المرأة مساوية للرجل من الوجهة النفسية والوجهة الفكرية ؟ واذا كان هناك فرق بينهما فهل هو من الفروق القائمة على التفوق من أحد الجوانب والنقص من جانب آخر ؟

لبحث هذه المشكلة فى العصر الراهن طريقتان : طريقة الركون الى التجارب والاختبارات النفسية والاعتماد على مقاييس الذكاء ، وطريقة مشاهدة ما يؤديه كل من المرأة والرجل فى الحياة واصطناع التجرد والنزاهة لاستخلاص مقدرة كل منهما واستعداده . والطريقة الأولى رائجة فى هذه الأيام ، وهى طريقة علم النفس التجريبى . ولكن النتائج التى انتهى اليها العلم فى هذا الصدد لا تشفى النفس ولا تنقع الغلة ، فقد كان معروفا من قبل ظهور هذه الطريقة العلمية ان المرأة معادلة للرجل فى الاحساس بالألم والحرارة والبرودة ، وقد أيد علم النفس التجريبى هذا وجعله وراء متناول الشك ، ولكن ماهو محصل ذلك ؟ وماذا يمكن أن نستخلص منه ؟ الواقع ان أكثر النتائج التى انتهى اليها علم النفس التجريبى فى هذا الصدد من قبيل تحصيل الحاصل، وانما الذى يعنينا معرفته هو هل تفكر المرأة تفكيراً منطقيا مثل تفكير الرجل ، أو هل هى أكثر ادراكا للأمور بصادق الحس وألمعية الفراسة ، وهل هى أقل توثب خيال وأكثر واقعية وأوفر قابلية للشعور وأقدر على النظر فى دقائق الحياة العملية وأصح من الرجل حكما على الاشياء وأعرف منه بالطبيعة البشرية، أو ان الأمر على نقيض ذلك ؟ ان العلم لم يتمكن من رفع النقاب عن أسرار هذه المواهب العقلية السامية بعد ، وليس فى مستطاع العلماء الى اليوم اخضاعها لطرائق البحث العلمى الصارم ، ولا تزال هى مجال الروائى الموهوب والشاعر الملهم والفيلسوف الموفق ترشدهم فى نواحيها البصيرة النافذة والخيال اللامع اذا ما عزت حقائقها على العلماء وشأهم طلابها

والتوسع فى استعمال الاسلوب الآخر ، أسلوب المشاهدة ومراقبة الواقع واستنتاج الاستعداد والقدرات والمواهب والملكات من خلال السلوك المتباين والمواقف المختلفة ، يقتضى استقصاء حالات كثيرة وجمع حقائق جمة ويستلزم بحوثا ضافية الذيول . ونقتصر هنا على حصر الموضوع فى ناحية واحدة ، وهى القدرة على الابتكار وهل هى متساوية متعادلة فى الرجل والمرأة ، وأيهما أوفر نصيبا وأعظم بلاء فى توطيد الحضارة وإنماء ثروتها ؟

***

فى تاريخ الحضارة عصران : العصر القديم البدائى الذى تغيب أصوله ومناشئه فى ظلام ما قبل التاريخ ، والعصر الحديث ومعالمه واضحة وضوحا نسبيا . فى العصر القديم لم يكن للمرأة حظ فى الزعامة السياسية والاجتماعية ، ولم يكن لها نصيب مذكور فى الحفلات الدينية ولا فى توزيع الثروة ، فليس من المنتظر إذن أن تبرز لها مواهب خالقة مبدعة فى هذا المجال أو ان تدانى الرجل فيا

أحرزه فيه من تفوق وانتصار . ولكن فى الفن والصناعة ظهر لها أثر ملموس وتفوق ملحوظ ، واذا تأملنا الانتاج الفنى والصناعى للقبائل القديمة وجدنا مشاركة المرأة للرجل بينة فيه : فالأوانى الفانية بالزخارف والقوارير الحافلة بالرسوم والطارف الموشاة، كلها من صنع المرأة ، وهى فى كل مكان ترقم الحال وتنمنم الوشى وتغزل المخمل ، وفى الجماعات البدائية هى التى تستنبت الأرض وتبذر الحبوب وتقوم بجمع الخضراوات والبقول وتحيلها طعاما شهيا بأساليب هى فى الأغلب من مبتكراتها . وواضح من ذلك أن سجل المرأة فى حالة الانسان الفطرية حافل بجلائل الأعمال ويكاد يكون معادلا لسجل الرجل . ولكن علينا أن نلاحظ هنا أن طابع القبيلة فى أمثال تلك المجتمعات يتغلب على الميزة الشخصية سواء من ناحية الرجل أو من ناحية المرأة ، فوثبات الخيال والقدرة على التجديد والرغبة فى الاختراع مرهقة مكبوحة فى تلك المجتمعات بسبب رسوخ العادات وصلابة التقاليد .

فاذا ما انتقلنا الى العصور الحديثة استبان لنا عجز المرأة وقصورها فى الشؤون الاجتماعية والسياسية والدينية بحيث لا يمكن الاعتراف لها بمشاركة مأثورة فيها ، كذلك فى فن البناء والعمارة ليس لها فضل يذكر ، ولكن مواهب المرأة تجلت فى نواح أخرى مثل الفلسفة والرياضيات والعلوم والنحت والتصوير والأدب والموسيقى والدراما

وفى الفلسفة والرياضيات لم تسم المرأة الى المرتبة الأولى ، كذلك فى العلوم لم تبلغ امرأة المرجة العليا وان كانت لبعضهن آثار جديرة بالاعجاب والتقدير . ويلاحظ أن النساء النابغات اللواتى برزن فى العلوم قد قمن بما قمن به فى العمل لا فى عالم التفكير المجرد ومنطقة الخيال الكاشف

ويمكن المرأة أن تعتذر عن جهدها المتواضع وقلة انتاجها فى هذا المجال بأن الفرصة التى أتيحت لها لاظهار ذكائها فى الفلسفة والرياضيات والعلوم ليست بكافية لقصر مدتها ، وان عدد النساء المتوفرات على العلوم جد قليل ، ومن ثم فانه من الحيف ان يعتبر ما تم فى هذا المجال دليلا نهائيا ومقياسا حاسما ، وهو اعتراض خليق بالرعاية والالتفات

أما فى نواحى النحت والتصوير والأدب والموسيقى فليس هناك ما يبرر عجزها وتفوق الرجل عليها ، فمنذ زمن بعيد أولع النساء بالفن والموسيقى وعالجن الأدب والكتابة ، وزاد فى العصور المتأخرة اقبالهن على هذه الفنون زيادة مطردة ولم يراعين فيها حدود آداب العرف وأحكام التقاليد ، ولكن ماذا كانت النتيجة ؟

أما فى النحت والتصوير فقد نبغت نساء كثيرات ولكن لم تصل احداهن الى مرتبة أمثال رودن أو بيكاسو أو رينوار ، ولعل حظهن فى الأدب والشعر أوفى وأجزل ، فقد وفقن فى الشعر والنثر الى مدى بعيد ولم يقصرن إلا عن الأفذاذ القلائل والفحول النوادر

وفى الموسيقى نجح النساء فى الاداء حيث يكفى القليل من الابتكار ، أما فى التأليف فانهن

فشلن فشلا ذريعا ، ومنهن من تفوقت فى الغناء ورخامة الصوت ولكن ليس لهن في التأليف والتلحين نصيب وافر ولا مقدرة ملحوظة

وفى التمثيل وصل النساء الى القمة وأدين أدوارهن على أحسن الوجوه وأتمها وتحدين فيه الرجال وتفوقن عليهم فى كثير من الحالات ، ولكن فى التأليف المسرحى ــ وان كن قد انتهين الى مستوى رفيع ــ ولكنهن لم يستطعن مساماة الممتازين من أمثال موليير وابسن وشيكوف

فاذا ما أعدنا النظر الآن الى ماضى المرأة فى العصر البدائى وقابلناه بحاضرها فى عصر الحضارة ، اتضح لنا أن المرأة عند ما أتيحت لها الفرصة فى الحالة البدائية ساوت الرجل فى الابتكار ، ولكن فى المجتمع الحديث لم تستطع مباراته فى أرق الميادين وأصعب المجالات ، والنتيجة التى يمكن استخلاصها من ذلك هى ان المرأة زاحمت الرجل وجاذبته فضل الابتكار حيث كان المجال ضيقا محدوداً بسبب حالة المجتمعات البدائية الثقافية ، أما فى المجتمع الحديث حيث الفرصة سانحة والمجال فسيح لاظهار الملكات وتفتح المواهب، فقد تخلفت المرأة ولم تستطع مجاراة الرجل. فمقدرة المرأة على الابتكار تعادل مقدرة الرجل اذا كان المستوى خفيضا ، فاذا ارتفع المستوى واتسع الأفق تقصر عنه ولا تبلغ مداه

ولكن تحليل هذه الحقيقة وتعليلها ليس من الأمور السهلة الهينة . ومسألة أن ذهن الرجل أرق وأكبر حجما من ذهن المرأة لم تصبح بعد فى مرتبة الحقائق العلمية الثابتة ، فانه لم يثبت نهائيا أن ذهن المرأة اصغر من ذهن الرجل ، وفضلا عن ذلك فان العلاقة بين الذهن نفسه والقوى المفكرة لا تزال موضوعا للبحث . والبعض يعلل تفوق الرجل فى الابتكار بقوة التفكير واتصاله فى غير ونية ولا انقطاع . ولكن الواقع أن هذا التعليل غير كاف لأن المبتكر لايعتمد على قوة التفكير وحدها وانما يعتمد فى الأغلب على قوة حصر التفكير وتوجيهه وجهة معينة وجرأة الخيال وتقحمه. والفكر المبتكر لامعدى له عن أن يتخلص من كل قيد موهن ويرتفع فوق كل نزعة سائدة ويفسح المجال لخياله الطليق ، فالابتكار مرده الى الشخصية والخيال لا الى التفكير وحده ، ويظهر أن الرجل يمتاز عن المرأة فى هذه القدرة وان كانت المرأة لاتخلو من آثارها

ولننظر الآن الى الميادين التى خلفت المرأة فيها آثاراً تذكر لنرى تفاوت تلك الآثار ومقدار تفوق المرأة فيها ، وهنا يلاحظ ان المرأة أقل اجادة للموسيقى وأكثر نبوغا فى الأدب وأعظم تفوقا فى الغناء والتمثيل

ويمكننا أن نستخلص من ذلك ان المرأة يكثر نبوغها وتفوقها كلما كان المجال أقرب الى التعيين والتخصيص ، وأدنى الى العنصر الآلى الصناعى والعامل الانسانى . فالابتكار فى الموسيقى أكثر حاجة الى القدرة على التجريد من الابتكار فى الفنون التصويرية والأدب ، ولذا قل نبوغ المرأة فى الموسيقى ، وهى تحسن فيها الأداء بعض الاحسان ولكنها لاتجيد التأليف ، وهى لا تحسن

التأليف المسرحي لما يستلزمه من قدرة على التجريد ولكنها تجيد التمثيل على المسرح إجادة فائقة ، وبزيدها اقبالا عليه وتجويداً له حضور الجمهور ووفرة العنصر الانسانى فيه . وواضح من ذلك أن قدرة المرأة وكفايتها تتجلى فى عالم التعيين أكثر منها فى عالم التجريد ، وفى منطقة العمليات أكثر منها فى منطقة المثاليات ، وفى النواحى الانسانية المحضة أكثر منها فى النواحى الكونية الخالصة . وهى نتيجه تتفق تمام الاتفاق مع أكثر مايرد عن المرأة وتحليل نفسيتها وتشريح سلوكها فى القصص المأثورة والروايات التى تجود بها عبقرية المؤلفين الممتازين

وموجز القول ان المرأة قد اظهرت استعداداً صالحا للابتكار ، ولكن عند ماسمحت ظروف الثقافة بتوسيع مجال الابتكار فانها لم تظهر تفوقا من الناحية التجريدية،والظاهر أن العالم الفكرى المجرد لايستميل نوازع المرأة ، والمرأة بوجه عام أزهد فى الابتكار من الرجل وأميل الى أن تعيش على مستودع الافكار العادية ، وليست شديدة الرغبة فى تحدى المألوف والخروج على الطراز المعهود ومن ثم كانت أكثر محافظة من الرجل

ومن التسرع اصدار الاحكام على الحركة النسائية وتطلع المرأة الى التحرر الكامل والمساواة التامة . وهى الآن تبذل جهدها فى الملاءمة بين نفسها وبين الحقوق التى اكتسبتها . وأرجح أن من مصلحة المرأة ان تعرف فى هذا المقام انها لم تخلق منافسة للرجل وأن عليهما أن ينهضا بواجبين يكمل كل منهما الآخر ، فان ذلك خير للمرأة والرجل وأجدى على الانسانية والحضارة

على أدهم

كلمات مأثورة

تتجلى عبقرية العظيم فى اهتمامه بصغائر الأمور

رينان

لا تسخر من والديك وإلا سخر أولادك بك

امرسون

ان شئت أن تحب بلا خيبة فاتجه بأبصارك نحو الله

تاغور

اننا نحتقر أشياء كثيرة تفاديا لنا من أن نحتقر أنفسنا

فرفنارج

عرض وتحليل :

اليابان تزحف على آسيا

للكاتب الكبير روجيه لافين

Le Japon marche sur l'Asie, par Roger Lavigne

« روجيه لافين من أشهر كتاب فرنسا السياسيين ومن أقدر رجال الصحافة على القيام بتحقيقات سياسية واجتماعية فى مختلف مشاكل العصر الحاضر ، وقد اختص هذا الكاتب في الاعوام الاخيرة بدراسة شؤون الشرق الاقصى فقام برحلة طويلة الى آسيا واتصل بكبار الساسة فى الصين واليابان ووقف منهم على حقيقة الحال هناك وعلى بواعث الخلاف التى تعصف بالأسيويين والتى أدت الى الحرب الراهنة ، وكتابه (اليابان تزحف على آسيا) يلقى ضوءاً ساطعاً على محور النزاع فى الشرق الاقصى »

تبلغ مساحة الجمهورية الصينية ٥٥٨ ١٧٣ ١١ كيلو متراً مربعا ، ويبلغ تعداد سكانها نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٤٥٢ نسمة ، ويعيش ٨٠ فى المائة من أولئك السكان من الزراعة

وقد انشىء النظام الجمهورى فى الصين عام ١٩١١ عقب الثورة التى قادها الزعيم المشهور سان يات سن والتى انحدرت منها سلسلة حروب أهلية مشفوعة بالفوضى ومختلف الاضطرابات

ويلاحظ أن السياسة التى اتبعتها الصين هى السياسة المستوحاة من الحزب الوطنى الصينى المعروف بالكيومنتانغ وأهم أغراضها نشر المبادىء والروح الوطنية وتوكيد النظام الديموقراطى وضمان أسباب الحياة والرفاهية لمجموع الشعب

ولانستطيع أن ندرك أهمية الحرب الناشبة الآن بين اليابان والصين وغايات اليابان من هذه الحرب واستبسال الصين فى الدفاع عن كيانها واستقلالها ، إلا بعد أن ندرس دراسة وافية منطقة الصين الشمالية التى تتطلع اليها أنظار اليابانيين . الواقع أن الصين الشمالية تتألف من خمس مقاطعات ، الأولى والثانية والثالثة أى (هوباى) و (شانسى) و (شانتونغ) هى مقاطعات صينية بحتة واما الرابعة والخامسة أى (شاهار) و (سويوان) فهما تؤلفان الجزء المعروف بمنغوليا الداخلية

ولكى يتبين القارىء الأسباب التى تدفع باليابان الى بسط نفوذها على هذه المنطقة من الصين نقول إن المواد الرئيسية الأولى مثل الحديد والفحم والقطن متوافرة جداً فى الصين الشمالية . والحقيقة أن البلاد الصينية تجلب من هذه المنطقة ٤٥ فى المائة من مجموع انتاج الفحم الصينى و ٣٤

فى المائة من مجموع انتاج القطن و ٩٠ فى المائة من مجموع انتاج الصوف . ويلاحظ أن فى مقاطعات شانسى وهوباى وشانتونج مناجم فحم وحديد تدر خيرات عظيمة على البلاد

وإذن فتوافر المواد الأولى فى الصين الشمالية هو الذى يغرى اليابان ، وهو السبب الأول فى مطامعها الاستعمارية ، وأما السبب الثانى فيتعلق بأهمية المركز الحربى ، واليك البيان :

تعتبر مقاطعة (شانسى) بمثابة قلب الصين ، فاذا ما تمكنت اليابان من الاستيلاء عليها زعزعت الحكومة الصينية المركزية وحالت بينها وبين امكان الاشراف والسيطرة على الاراضى الصينية الواسعة الواقعة فى شمال الصين الشرق

ولقد تم لليابان منذ عام ١٩٣١ فرض رقابتها على منشوريا ، وهى تسعى الآن لبسط نفوذها المطلق على الصين الشمالية . ويبرر اليابانيون سياسة الاستعمار والتوسع هذه بأن تعداد اليابان قد ازداد منذ عام ١٩٢٠ الى ١٩٣٠ بنسبة ١٥ فى المائة ، وأن البلاد تضخمت بسكانها وأن من واجبها البحث عن منصرف جديد لأولئك السكان . ومن المهم أن نعرف أن اليابان فقيرة فى المواد الأولى وأن شعارها اليوم هو « انشاء دولة عظيمة على قاعدة الصناعة » وأن الصناعة لايمكن أن تنمو وتزدهر إلا فى بلد يستطيع أن يكفى نفسه من المواد الاولى

أهداف اليابان ومعاهدة الدول التسع

تنص معاهدة الدول التسع على وجوب احترام سلامة الصين وعدم المساس بأراضيها وتجنب اجراء أى تعديل فى جغرافيتها الحاضرة

واليابان تدرك ذلك حق الادراك ولا تفكر فى احتلال أية أرض صينية بصفة مباشرة بل تقصد من وراء الحرب الحاضرة اخضاع الصين للحكم اليابانى بأسلوب غير مباشر لايناقض صلب معاهدة الدول التسع ولا يثير حربا جديدة بين اليابان وبين احدى هذه الدول أو مجموعها

ويتكهن مؤلف هذا الكتاب استناداً الى خبرته الطويلة بشؤون الشرق الاقصى ومعرفته الواسعة بأغراض الامبراطورية اليابانية وأهدافها بأن اليابان لن تكف عن تدخلها المسلح فى الصين إلا متى حصلت على المطالب الآتية :

أولا ــ الاستقلال الادارى لشمال الصين

ثانيا ــ الاستقلال الادارى لمنغوليا الداخلية

ثالثا ــ التسليم لليابان بأن تشرف على الضرائب والواردات الجمركية فى الصين الشمالية ومنغوليا الداخلية مع فرض الحماية اليابانية عليهما

رابعا ــ توسيع حركة تبادل المصنوعات اليابانية بالمواد الاولية الصينية

خامسا ــ الاحتفاظ بمختلف الجزر الساحلية التى استولت عليها اليابان اخيراً والرضا بتحويلها الى قواعد دائمة للطائرات الحربية اليابانية

سادسا ــ ان يحرم على الصين انشاء جيش كبير مع السماح لها بانشاء قوة عسكرية لحفظ الأمن
سابعا ــ أن تقبل الصين الدخول فى حلف اقتصادى يوثق الروابط بينها وبين اليابان ومنشوريا
ثامنا ــ أن تعترف الصين باستقلال منشوريا

هذه هى أغراض اليابان فى عرف المؤلف . وسواء أكانت الأغراض الحقيقية معتدلة أممشوبة بالاسراف ، فهى ولاريب قريبة في جوهرها من الأصول التى ذكرها المسيو رينيه لافين . وأكبر دليل على صحة تلك الأصول وفداحة تلك المطالب أن الصين لم تتردد فى محاربة اليابان مع علمها بالفارق العظيم وعدم التكافؤ فى القوى العسكرية بين الدولتين

القوى العسكرية عند الصين واليابان

تستطيع الصين أن تجند أكثر من مليونين ونصف مليون جندى . ولكن كل اعتمادها فى الحرب الحاضرة ينهض على الجنود العصرية المنظمة التابعة لحكومة نانكين

وتستخدم الجنود الصينية بنادق (مانليكر) و (موزر) من طراز عام ١٩١٣ ومسدسات أوتوماتيكية من طراز لوجيه وكمية كبيرة من مدافع مكسيم وهوتشكيس

ويلاحظ أن نوع المدفعية قديم وأن الحكومة تحاول تجديده

ويقول المؤلف إن لدى الصين مايقرب من ألف طائرة من طراز فيات ونورثروب ودوجلاس وان الحكومة لاتنفك تعزز سلاح الطيران ،وأن الشعب يكتتب فى هذا السبيل بالمال الوافر ، وان فى وسع الصين مواصلة حرب طويلة بالانسحاب شيئا فشيئا الى المقاطعات الداخلية

وهناك عقبات ثلاث تعترض هيئة أركان حرب الجيوش الصينية فى توجيه حركات الجنود وهى :
أولا ــ ان مصانع السلاح قائمة فى وسط المدن
ثانيا ــ وان الأرز وهو أهم غذاء للجنود غير متوافر إلا فى مقاطعات الجنوب
ثالثا ــ وان مسرح الحركات الهامة الحربية هو فى الشمال لا فى الجنوب

وأما فيما يتعلق باليابان فنى وسعها أن تجند مليونى رجل . وهى تعتبر الدولة البحرية الثالثة ، وموطن قوتها ان اسطولها البحرى كله مركز فى مياه بحار الصين لحفظ المواصلات مع داخلية البلاد اليابانية

وقد جددت اليابان فى عام ١٩٣٦ معظم قطع اسطولها وأجرت عليه مختلف التحسينات فاصبح اسطولا بحريا عصريا من الطراز الأول

وفى وسع اليابان اذا اشتد عليها الخطر واضطرت الى مقاومة متصلة عنيفة أن تخرج بواسطة مصانعها المستوفاة شروط الانتاج الحديث ثلاثة آلاف طائرة وعشرة آلاف محرك والفا وستمائة دبابة وعشرة آلاف مدفع ضخم و ١٥٠ الف مدفع عادى فى عام واحد

ولكنها تصطدم عندئذ بحاجتها الى المواد الأولى فتضطر الى جلبها من الخارج وتصبح تحت رحمة الأجنبي . ويجب أن نلاحظ أيضا أن هناك ٢٢ مادة من المواد الأولى لابد أن تتوافر لدى الدولة المنهمكة في حرب طويلة . فمن هذه المواد الرئيسية لا تملك اليابان غير ٦ منها

ولقد عصفت باليابان عام ١٩٣٦ أزمة شديدة من أزمات الحديد فلم تستطع الخلاص منها إلا بعد أن ابتاعت من الروسيا ٣٥٠ الف طن ، لذلك هي تبذل قصارى الجهد لمضاعفة انتاجها من الحديد والصلب ، غير ان هذا الانتاج المضاعف يتطلب الحصول على مناجم وافية وهذه المناجم كائنة فى الأراضى الصينية . وإذن فحاجة اليابان الى المواد الأولى وخوف اليابانيين من وقوع بلادهم تحت رحمة الغريب هما العاملان اللذان يدفعان رجال الجيش الى الاسراع في انهاء الحرب القائمة خشية أن يدب الخلل الاقتصادى والمالى فى جسم الدولة فتطمع فيها روسيا وانجلترا والولايات المتحدة

ويرى المؤلف أن اليابان لم تنضم الى الميثاق الالمانى الايطالى لمقاومة الشيوعية إلا لتحجب عن الأنظار هذا الخطر وتبقى الخلافات بين دول أوربا على حالها وتستغل تلك الخلافات لمصلحتها متقية بذلك تألب الدول الأوربية عليها واتفاقها على عمل مشترك ضدها

وتدل اتجاهات الموقف السياسي على أن اليابان قد نجحت فى هذه الخطة أيما نجاح ، وتمكنت بوجه خاص من كسب عطف ايطاليا وتأييد السنيور موسولينى ، الى حد انهم يتحدثون الآن فى طوكيو عن احتمال عقد ميثاق ثنائى بين اليابان وايطاليا الفاشستية يعزز الميثاق الثلاثى ويزيد فى متانة العلاقات السياسية والاقتصادية بين روما وطوكيو

والحق انه ما دام محور (روما ـ برلين) قائما على أساس مناوأة الدول الديمقراطية بحجة القضاء على الخطر الشيوعى ، فلا شك ان اليابان ستمعن فى غزو آسيا وتنتهز كعادتها فرصة انقسام أوربا لتحقق برنامجها الاستعمارى الأسيوى الواسع النطاق الذى يرمى فى الواقع الى الاشراف على الصين واقصاء الأوربيين عن البلاد الصينية

وليس ببعيد على اليابان أن تخطو خطوة حاسمة أخرى فتنقض بغتة معاهدة الدول التسع لتضع هذه الدول أمام أمر واقع وتنتزع منها كل أمل فى التدخل فى النزاع اليابانى الصينى

الدعاية اليابانية فى الصين

يقوم اليابانيون بدعاية منظمة فى مختلف الأقاليم الشمالية الصينية لحمل الصينيين على الكف عن المقاومة والنضال . فهم يقولون ما معناه : « نحن لا نريد سوءاً بالصين ولا بآسيا ، وكل ما نطمح اليه هو تمدين الصين والجمع بين حضارتى الشرق والغرب فى محيط واحد هو آسيا التى يجب أن تكون للاسيويين فقط . ولقد احتللنا منشوريا لنبدأ بتهيئة أفراد الشعوب المثقفة فى آسيا الشرقية للتحرر من استعمار واستغلال اخوانهم الغربيين

« ونحن نشعر أن من واجبنا انقاذ فقراء الصين وامتاعهم بروائع الحضارة العصرية التي سنطبعها بالطابع الأسيوى التقليدى المشترك . ولقد كان فى وسع الأوربيين والامريكيين القيام بهذه المهمة ولكنهم تهربوا منها لحسن الحظ كى تصبح آسيا العظيمة ملك الأسيويين وحدهم »

هذا مايقوله دعاة اليابان وهو عين ما كان يقوله دعاة الاستعمار الأوربى . أما الغاية الاخيرة من دعاية اليابان فهى انعاش الحياة الاقتصادية فى الصين الشمالية ليتمكن ملايين الفقراء هناك من شراء الأثواب الجديدة والمصابيح الكهربائية ومختلف المصنوعات التى تنتجها المعامل اليابانية

فاليابان تسعى الى الاستيلاء على مناجم الصين الشمالية وموادها الأولى كى ترد هذه المواد الى أصحابها مصنوعة فى قوالب عصرية يفتتنون بها ولا يترددون فى دفع ثمنها غاليا . وهذه دائما أولى غايات الاستعمار

من هو المارشال شانج كاى شك ؟

تكافح الصين الآن تحت قيادة المارشال شانج كاى شك . فمن هو هذا الرجل وما سياسته وكيف غامر بالدخول فى حرب ضد اليابان ؟

ولد المارشال شانج كاى شك فى عام ١٨٨٦ في فنجوا من اقليم شكيانج . وقد تلقى دروسه الحربية فى الكلية الحربية العليا بطوكيو . وكان من كبار معاونى الزعيم سان يات سن وأحد مؤسسي الحزب الوطنى الصيني . وقد تولى عام ١٩٢٦ قيادة الحملات العسكرية ضد القواد الصينيين الذين تمردوا فى اقليم الشمال . ثم استطاع عام ١٩٢٧ أن ينشىء حكومة مركزية فى نانكين ثم شرع فى مكافحة العصابات الشيوعية والعمل لتوحيد الصين فى شكل دولة ديموقراطية متماسكة ، ثم أصبح رئيسا للحكومة ولهيئة الشؤون الحربية التابعة للحزب الكيومانتانج الوطنى

ولا يصح أن ننسى أن شانج كاى شك عدو الشيوعيين الألد كان متفقا فى هذه السياسة مع حكومة طوكيو ، بل كان من رأيه على الدوام التفاهم مع اليابان وايجاد تسوية معقولة يمكن أن توفق بين مصالح الأمتين ، على شرط ألا تمس وحدة الصين التى كافح المارشال من أجلها طوال حياته والتى جعلته فى نظر الأغلبية من الشعب الصينى بطلا قوميا

وإذن فالسر فى تزعم المارشال شانج كاى شك وقيادته الحرب الصينية الحاضرة ضد اليابان ، هو أن اليابان بمحاولتها الاستيلاء على الصين الشمالية تهدم الوحدة الصينية التى نهض على تحقيقها عبد المارشال والتى لا يستطيع التفريط فيها وإلا غامر بحياته وسمعته وماضيه كله

وليس شك فى أن الحرب الناشبة اليوم هى حرب دفاع عن وحدة الصين . فهل تظل هذه الوحدة باقية ، وهل فى وسع الصين الثبات فى حرب طويلة تنهك اليابان وتردها على أعقابها خاسرة ؟ أم ان الاستعمار اليابانى سيفوز آخر الأمر ويوطد أقدامه فى الصين مرة أخرى ؟

هذا ما سيكشف لنا عنه المستقبل القريب

ا . م .



حضرة صاحب الجلالة امبراطور اليابان

(اقرأ مقالا عنه صفحة ٢٣٦)

الشاعر البلجيكي اميل فرهارين

عاشق الذكرى

تألق نجم الشاعر البلجيكي اميل فرهارين في مطلع هذا القرن ، وكان شاعراً قوى الخيال بعيد أفق التصوير مضطرم العاطفة ملتهب الوجدان تلمس في قصائده روح العظمة وخصائص المزاج الحر السليم

ولم يكن فرهارين من أولئك الشعراء الذين أفنوا حياتهم في التغنى بعاطفة الحب وفي الشكوى والنواح والأنين ومختلف الانفعالات الضعيفة المرذولة التي تبعثها في النفس اليائسة خيانة المرأة أو الحسرة على حب ضائع أو التطلع الى سعادة غامضة مبهمة لاتمت الى الحياة الواقعة بسبب

والواقع أنه كان يلتمس وحيه الشعرى من روح العصر الحاضر : من روائع المدنية الصناعية ، من جبروت الانسان العصرى الذى تفوق بعقله على ظواهر الطبيعة ، من عاطفة الرجولة الفذة الشائعة في قلوب البلجيكيين والتي ازدهرت أيما ازدهار وكانت حديث العالم في مستهل الحرب العظمى

والغريب في أمر هذا الشاعر أنه كان في بدء حياته لايحفل بالمرأة ولايقيم لها كبير وزن ، وينفر أشد النفور من مصادقتها أو اطالة التحدث اليها أو احكام الصلة بينه وبينها أو اتخاذها واسطة حب والهام كما يفعل معظم الشعراء

كان يخاف المرأة ويتجنبها ويوجس شراً منها ، ويعتقد اعتقاداً راسخاً أن في وسعه ابتكار شعر خالد جميل لاتشترك المرأة في بواعثه ولا في جوهره ، ولا توجه معانيه وأغراضه وجهة عاطفية بحتة تضيق فسحاته وتباعد بينه وبين شتى الأغراض والمعانى الرحبة العميقة التي تزخر بها الحياة

لذلك عاش فرهارين عيشة أقرب ما تكون الى الزهد والتقشف ، عاش من أجل فنه ومن أجل الحياة الكبرى ، يتغنى بكل ما هو قوى وكل ما هو صحيح وكل ما يمكن أن يشعر الفرد الفانى بارادته الانسانية وعظمته الروحية وقدرته على اخضاع نواميس الكون لعقله وسلطانه

ولقد ترتب على هذا الاحساس وعلى تلك الرغبة أن تعلق النساء بحب فرهارين بدل أن ينصرفن عنه . .

كبر عليهن أن يسخر منهن الشاعر ولا يحفل بهن ويحيا حياة هانئة سعيدة بمعزل عنهن ، فتألبن عليه وضايقنه وحاول البعض منهن اغواءه ولكن على غير جدوى



القائد الصينى الكبير شانج كاى شك

رئيس الحكومة الصينية ، وقائد جيوش الصين التى تكافح اليابان

(اقرأ تاريخ حياته صفحة ٣١٢)

عندئذ حقدن عليه وشهرن به وذهبت احداهن ، وهى مدام لاروميه ، الى حد التطاول عليه فى حفل عام والقاء خطبة عن شعره وأثره فى الأدب البلجيكى ملؤها التحامل والتعسف والحنق الذى فاض به صدرها لأن الشاعر كان قد اجتواها واعرض عنها

وضاعفت مدام لاروميه كراهية فرهارين للنساء وزادت من سخطه عليهن وقوت عزمه على العودة الى عزلته والامعان فى حياة التأمل والتنسك والحلم

وهكذا لم يعرف الشاعر عاطفة الحب ولم يتق اليها ، ولم يعتقد لحظة واحدة أن هناك امرأة يمكن أن تمنحه اياها وتفتح له مغاليق ذلك العالم السحرى الذى طالما أشاد به الفنانون وأقاموا عليه صروح مجدهم وخلودهم

وظل فرهارين يحيا حياته للعزلة الأبية المتوحدة الى أن أشرف على الكهولة وأوشك أن يستقبل نهاية الحياة بقلب المفكر ونفس العاقل وحكمة الفيلسوف

وفى تلك اللحظة عصف به القدر . فى تلك اللحظة خانته كبرياؤه وزايله صبره وارتمى بجمع قواه فى عاطفة صاخبة جامحة زعزعت كيانه من الاعماق وطوحت به كسيل جارف !

شاهد فى باريس فى احدى الحفلات فتاة تدعى (ماريز دوبوا) . وكانت عذراء بديعة المنظر ، لطيفة المحضر عذبة الحديث ، ذات عينين زرقاوين ساطعتين وأنف دقيق وخدين ملتهبين وجبهة عريضة ناصعة لايشك من يراها أن دنيا من الجمال والصفاء تكمن خلفها

أولع بها فرهارين على الرغم منه . أحس أنها قد احتلت نفسه واستقرت فى فؤاده وملكت عليه مشاعره ، وأن ليس فى مقدوره ابتداع قصائده الرائعة إلا اذا نظر اليها وتملى من محاسنها وأجلسها تجاهه كالنموذج الجميل أمام الرسام العبقرى

وشعر على مر الايام بعجزه عن العمل وعجزه عن التفكير لبعد تلك الفتاة عنه ، فسعى اليها حتى تعرف بها ، فأدركت العذراء بغريزتها المتقدة مدى حبه فازدهت وتمالت وتجبرت واستخفت به وصدته ، واعتبرت أن من العار عليها ومن الزراية بها أن يحبها رجل كهل وأن يكون هذا الكهل فوق ذلك من أولئك الحالمين المجانين الذين يسميهم الناس شعراء

وأحس فرهارين لأول مرة وطأة الذل وعبودية الهوى

كان يذهب الى (ماريز) ويجلس اليها كالطفل ويستعطف ويرجو ويتوسل ، فتثور به الفتاة وتنتهره فيرجع اليها ذليلا خانعا وكل أمله أن تقبله فى بيتها كصديق فقط وتتلطف معه وتسمح له برؤيتها كى يستطيع أن يعيش ويفكر وينتج

لم تجبه الى سؤله بل ازدادت نقمتها عليه ورأت أن حبه الشديد سيجعل منها أضحوكة ويصرف الشبان عنها فاغلظت له القول وأغلقت فى وجهه باب بيتها

ومضى الشاعر يحمل الحسرة بين جنبيه ويحاول أن يتعزى وينسى . ولكنه لم يستطع فكان

ينطلق هائما على وجهه فى الشوارع والطرقات ثم يتجه نحو منزلها ثم يقبع فى زاوية هناك ويظل يرقب المنزل عساه أن يلمحها وأن يتزود منها بنظرة

وشاء القدر أن ينتقم لفرهارين فمرضت الفتاة بغتة . أصيبت بداء صدرى عضال أثر حفلة راقصة تعرضت فى أثنائها لبرد شديد

أسرع الشاعر اليها ، أراد ان يطمئن ويعرض عليها خدماته وبؤاسيها ، ولكنها أغلقت بابها للمرة الثانية فى وجهه

وإذ ذاك ضاقت الدنيا فى عينيه ولم يدر كيف يشاركها عذاباتها فتجلد واحتمل ، وكان يسأل عنها والديها ويستفسر من طبيبها عن صحتها ويرسل اليها كل يوم باقة كبيرة من الورد الاحمر النضير

وحدث فى ذات ليلة أن سمع الشاعر طرقاً شديداً على بابه فهب من فراشه مذعوراً واذا به تجاه شقيق (مارز) يعلنه اشتداد وطأة المرض على أخته ويلتمس اليه أن يرافقه الى المنزل بناء على طلب الفتاة

أحست مارز أن الموت ينتظرها فعز عليها أن تقضى دون رؤية الرجل الوحيد الذى أحبها !

أرادت قبل مفارقة الحياة ان تطلب الصفح من ذلك الرجل الذى اجتمعت فى حبه كل قوى الحياة !

لم تشأ ان تموت وفى قلبه منها تلك الحسرة فاستدعته اليها لتلفظ النفس الأخير بين يديه !

ولما دخل الشاعر المنكود وأبصرها صفراء اللون ضامرة القاطيع أشبه بهيكل عظمى تسربت منه الحياة ، امتقع لونه واختلج اختلاجا عنيفا واغرورقت عيناه بالدموع وعقد الرعب لسانه فكان يترنح ويرتعش كمن اصيب بالشلل !

وجثا عند قدميها وجعل يلثم يديها ويشجعها ويمنيها بالصحة والسعادة والهناء مع شاب جدير بها ،ولكنها كانت تحدق اليه وتبكى . وعلى حين فجأة تمايلت فى فراشها وتاهت عيناها وأرسلت نفساً عميقا مستطيلا ثم تهاوى رأسها وسقطت على الفراش جثة هامدة

لم يصرخ الشاعر ولم ينبس بكلمة بل ظل واقفا تجاهها جاحظ العينين شارد البصر فاغر الفم كالأبله أو كمجنون

وتحامل على نفسه وقاوم ضعفه وانسحاقه وشيعها مع أهلها الى مقرها الأخير ، ثم كر راجعا الى بيته ودخل غرفة عمله وتلفت حوله وإذا به يشعر شعوراً قويا عجيبا أن ليس فى مقدوره بعد اليوم ان يعيش !

أدرك أن لا بد له منها ! لا بد له من حبيبته ولو خيالا ، ولو وهما ، ولو طيفا وشبحا ، ليستطيع أن يقضى البقية الباقية من حياته فى هذه الدنيا ! فماذا فعل ؟

كان غنيا فأسرع الى أهلها وطلب اليهم أن يبيعوه كل ما كانت تمتلكه الفتاة ، كل ما وقعت عليه يدها ، كل ما شاهده بصرها ، كل ما أحاط بها في حياتها القصيرة التعسة

اشترى منهم أثاث حجرتها و بياضاتها وقبعاتها ومكتبها الصغير وأدواته ونقل هذا كله الى داره . وهناك رتب ونسق تلك المخلفات في حجرة خاصة استحالت الى شبه متحف رائع للعزيزة ماريز !

وفي صدر ذلك المتحف أقام الشاعر صورة رائعة لفقيدته أحاطها بوشائح بيضاء وجللها بأزهار مختلفة الألوان ونصب فوقها مصباحا زيتيا صغيراً وجعل منها شبه هيكل مقدس لعبادة الخيال والذكرى

واعتقد فرهارين على مر الأعوام أن حبيبته حية وانها قد أصبحت له ، فكان سعيدا وكان لايفكر في عمله الا في حجرة المتحف ، ولا ينظم الشعر الا وهو متطلع الى الصورة البديعة ، ولا يجد الهناء الا وهو ينظر الى أدوات (ماريز) أو يقلب الاشياء التي نعمت بمس يدها واستمدت منها روح الجمال والحركة والحياة !

وهكذا عاش فرهارين حتى قضى ، عاش وفيا للذكرى ، أمينا للحلم ، خالص المحبة للخيال ، بعيداً عن كل فتنة ، نقيا من كل شائبة

وكان اذ يتفق له أن يغادر متحفه الروحي ويخرج الى الحياة ويرى امرأة جميلة ويسحر بها ويشعر أنه على وشك أن يعطف عليها أو يحبها ، كان إذ يتفق له ذلك يجاهد ما استطاع يجاهد ليطرد عنه التجربة ثم يلوذ بطيف محبوبته ويفر ، يفر الى حيث الحجرة المقدسة ، وهناك أمام الصورة المحدقة اليه في رفق ، يركع ويصلي وينسى نفسه ويفقد حواسه في شبه غيبوبة جارفة

ولما كان يطول أمد احتجابه ، كانت خادمه العجوز تحار في أمره وتقلق عليه ولا تجد بداً في الصباح من اقتحام غرفة المتحف ، عندئذ كانت تتراجع خوفا وذعراً ، إذ تبصر سيدها المسكين فاقد الحول مسلوب اللب ، منطرحا بملابسه على الأرض وقد أنهكت قواه واستغرق في سبات عميق ، فتدنو منه وتوقظه فيهتاج وتثور ثائرته ، ولكنه لايلبث أن يراها ويعرف من هي حتى يرق احساسه وتجيش عواطفه فيفتح ذراعيه ويحتضن المرأة العجوز ويظل يقبل يدها النحيلة المرتعشة ، تلك اليد الأجنبية الوحيدة التي سمح لها بأن تتعهد مخلفات (ماريز) وأن تشاركه في تقديم قربانه اليومي لهيكل الذكرى

ولقد انعكس ضوء هذا القربان على آخر ما أبدعه فرهارين من قصائد ورسائل وقصص ، فتجدد شعره وزايلته خشونته الوحشية الأولى وسرت فيه نغمة انسانية رحيمة لطفت من قوته وهذبت من جوهره واكسبته ــ بواسطة المرأة ــ ذلك الطابع الأبدي المنشود !

الذهن الانجليزي

ينهض على الخلق لا على الثقافة

يقول اندريه سيجفريد الاستاذ بالكوليج دى فرانس والكاتب المشهور بأبحاثه فى طبيعة العقل البريطانى وخصائص الأمة الانجليزية ، أن نظام التربية فى انجلترا لا يرمى الى ايجاد أفراد شديدى الاحساس بفرديتهم يتوجهون بعقولهم وأفكارهم نحو مبادىء وآراء تفصل بينهم وبين البيئة التى نشأوا فيها والمجتمع الذى يعيشون فيه

فالثقافة فى عرف البريطانى يجب أن لا تؤدى الى انسلاخ الفرد عن أمته وتشبعه بمجموعة أفكار تنم عن استقلال شخصى متطرف ، بل يجب أن تصب فى القالب البريطانى التقليدى ، ويجب أن تتكيف بالأنظمة والعادات البريطانية ، ويجب أن تفضى الى خدمة المجتمع الانجليزى أولا ثم الى خدمة العالم

هـذا ما يقوله اندريه سيجفريد . ومعناه الواضح أن الانجليز فيما يتعلق بالثقافة يفكرون أول الأمر فى مصلحتهم كدولة وأمبراطورية مترامية الاطراف ، ثم يفكرون بعد ذلك فى مصلحة الانسانية

ولقد أدركوا بعد بحث واختبار طويل أن نفوذهم وهيبتهم وقدرتهم على الاضطلاع بشق الاعباء التى تلقيها الامبراطورية على كواهلهم ، كل ذلك مستحيل التحقيق ان لم ينهض الذهن الانجليزى على الخلق القوى النزيه قبل ان ينهض على الثقافة

والواقع ان الثقافة متى اتسعت جوانبها وترامت آفاقها وازدادت شعلتها تأججاً واضطراما ، أوجدت أفراداً مولعين بالحرية فى كل شىء ، مسرفين فى التعلق بهذه الحرية ، مغرمين بنقد بيئتهم ، خارجين عليها ، معتبرين أنفسهم أرقى منها

وليس شك فى أن حب الحرية طبيعة فى الشعب الانجليزى . ولكن الانجليز مع ذلك يخشون الحرية ولا يقدرونها إلا فى ظل احترام التقاليد ، واحترام الأنظمة القائمة ، واحترام كيان الامبراطورية فهم يمجدون حرية الفرد فى حياته الخاصة ، وفى الاستمساك بحقه المشروع أمام القانون ، وفى الدفاع عن حقه المشروع فى طلب الأمن والعدل ، وفى رغبة الاعراب عن آرائه ومبادئه أيا كانت هذه المبادىء والآراء ، ولكن الغريب فيهم انهم متى شعروا بأن ثقافة الفرد الواسعة ألهبت فيه نزعات التطرف ودفعته الى الافراط فى نقد أنظمة الجماعة ومحاولة هدم هذه الأنظمة والاستعاضة منها بغيرها فى طفرة فجائية وبدون تطور تدريجى ، سرعان ما تراهم يتبرمون به ويتجهمون له

ويسخطون عليه ويحاولون طرده من حظيرتهم كائنا ما كان مركزه الأدبي أو الاجتماعي وكائنا ما كان نبوغه أو عبقريته

ولقد فعلوا ذلك بنفر بارز من عظمائهم كبيرون وشلي وأوسكار وايلد وأضرابهم

والحقيقة أن الانجليزي الذي يؤمن بجمال التقاليد وصحتها وقيمتها، والذي يهتدي في حياته الخاصة بأخلاق وعادات الطبقة الارستقراطية، يفضل في صميم نفسه الخلق على الثقافة، ويؤثر انسانا قوي الخلق متوسط الفكر على انسان موفور الثقافة غزير المعارف حتى ولو دل هذا الانسان في الوقت نفسه على خلق قوي مستقيم

ويرجع هذا الايثار كما أسلفنا الى الخوف من عنصر التطرف الذي يعتقد سواد الانجليز أنه كامن في كل ثقافة واسعة

ويجب أن نلفت النظر الى أن هذه العقيدة لا يؤمن بها مجموع الشعوب فقط، بل زعماؤه وقادة الرأي فيه أيضا . فهم في الغالب يفضلون الرجل السياسي صاحب المواهب المتوسطة المعروف باعتداله وليونته وتوافق آرائه مع آراء المتوسطين من زملائه، على الرجل السياسي العبقري الذي يرغب في استحداث شيء جديد والذي يخشى زملاؤه بوارق نبوغه ونزوات عبقريته أن تؤدي بالدولة آخر الأمر الى التورط في ظروف وأعمال جديدة لم تصهرها التقاليد ولم يمتحن صلاحيتها الزمن

لهذه الأسباب مجتمعة يتفق الانجليز على ضرورة نهوض الذهن الانجليزي على الخلق لا على الثقافة

ولكن ما هو الخلق في نظرهم، وما هي مميزات الخلق القوي التي ينادون بها ويطبعون أفرادهم بطابعها ويجعلون منها المثل الانجليزي الأعلى ؟

يقول اندريه سيجفريد إن الخلق الانجليزي ينهض على النزاهة والارادة والجلد وكبح جماح العواطف والغرائز وعدم الخوف من الوقوع في الخطأ والقدرة على الانتفاع بالتجارب ومعرفة قيمة الوقت وحسن تنظيمه وتقسيمه مع استغلال ساعات الفراغ في التمتع بشيء يسير من الثقافة العامة وفي الاقبال على مختلف أنواع الرياضة البدنية

فالفرد الانجليزي كما عرفه ولاحظه الاستاذ سيجفريد لايتهيب الاقدام مثلا على عمل وكل اليه، وهو يعرف حق المعرفة انه يجهله . نعم لا يتهيب، بل يحاول ملاحظة وجوه هذا العمل ودراستها في بطء وهدوء، والامعان في هذه الدراسة ولو أخطأ بادىء الأمر في فهم بعض مناحيها، وهكذا تراه يتدرج بالصبر والارادة حتى يصبح ذات يوم واذا به على رأس العمل الذي وكل اليه

وقد نجح الانجليز في مستعمراتهم باتباع هذه الطريقة، وكثيراً ما جلبوا الى تلك المستعمرات أفراداً تهبط عقولهم إلى ما دون المتوسط، ثم ساعدوهم وشجعوهم وأودعوا فيهم ملكة الثقة بأنفسهم فأصبحوا على مر الأيام من كبار الموظفين وصفوة المستعمرين المنظمين

ويعتقد الأستاذ سيجفريد أن لب التعاليم الخلقية الانجليزية يقوم على مبدأ تفاؤلي عجيب . وهذا

المبدأ يتلخص فى أن كل انسان فى وسعه القيام عند الاقتضاء بأى عمل يعهد به اليه مادام سليم الجسم سليم العقل دقيق الملاحظة يستطيع الترفع عن المغريات المادية والاكتفاء بحياة هادئة متواضعة الرخاء

لذلك يهتم الانجليز فيما يتعلق بانظمة التعليم بتربية ملكة الملاحظة والاستقراء فى نفس الطالب، وبتحرير عقله من خاصة الاستظهار الآلى ، ودفعه إلى التفكير بنفسه فى شتى ظواهر الطبيعة كى ينشأ نشأة عملية توجهه إلى الواقع المحسوس لا إلى الفكر التجريدى النظرى

أما فيما يختص بالترفع عن المغريات المادية فالانجليز يعتبرون هذه الملكة من الملكات الثمينة التى أوجدها فى نفوسهم حب الاقتداء بطبقتهم الارستقراطية التى لديها ما يكفيها والتى تظهر على الرغم من ثروتها وغناها بمظهر عادى غاية فى البساطة

ويرى الاستاذ سيجفريد فوق ما تقدم أن من عناصر الخلق الانجليزى الرئيسية خاصة المرح الذي يبعث على العمل ويطرد اليأس ويجمل الحياة

ومن المهم أن نلاحظ أن مرح الفرد الانجليزى يختلف مثلا عن ذلك المرح المشهور لدى زميله الفرد الفرنسى

والواقع أن المرح الانجليزى دائم ثابت ينشأ عن صحة بدنية تامة تسهر على سلامتها الألعاب الرياضية اليومية . أما مرح الفرنسى فينشأ عن عقل لامع متقف وعن لمعات متقطعة يرسلها هذا العقل ساعة الصفو والارتياح

وقد يبدو لك الانجليزى أول وهلة رجلا متجهما عابسا ولكنك لا تلبث أن تتصل به حتى تراه دمث الطبع رقيق الحاشية تستخفه الحياة كالاطفال وتكمن فى طبيعته خاصة المرح الدائم وتتجلى فى حبه العمل مهما كان ثقيلا مرهقا

وإذن فالخلق الانجليزى تؤثر فى تكوينه مصلحة انجلترا ومصلحة أمبراطوريتها . وهو مكون فى أصله لخدمة هذه الامبراطورية وتزويدها برجال السلطة أصحاب النهى والأمر . ومما لا يقبل الريب انك لا يمكن أن تكون صاحب سطوة وسلطان بذكاء خارق وثقافة واسعة قد تبعث على التطرف أو على الهدم أو على الاحتقار والاستخفاف أو على التمرد وكره الطاعة لمن هم أعلى منك. لا يمكنك أن تكون صاحب سطوة بكل هذا بل بالخلق . أى بالنزاهة والاستقامة والصبر والدأب والجلد والترفع عن المحسوبية والرشوة ، وهكذا يقدرك من هم دونك مركزاً وثروة ، لأن الناس فى الحقيقة يقدرون الاخلاق أضعاف ما يقدرون العلم

وهذه هى النظرية الانجليزية : العلم شىء شائع أما الخلق فشىء نادر . الخلق القوى هو الذى يوحى الاحترام والتمجيد والهيبة ، وهو الذى يمكن أن يكون قاعدة للوطن ودعامة للامبراطورية

***

والآن وقد أوضحنا أهم خصائص الذهن الانجليزى العلم ، وكيف أنه ينهض على الخلق لا على

الثقافة ، وكيف أن لهذا الخلق فضائل رائعة وعظيمة ، لا نجد بداً من الاشارة الى موطن الضعف فى هذا الأسلوب من التربية والتفكير

وموطن الضعف هو فى أن العالم لا ينتفع من هذا الاسلوب قدر ما تنتفع به بريطانيا نفسها. وايضاحا لهذه الفكرة نقول :

لقد أفضى تغليب الخلق على الثقافة عند الانجليز الى تضاؤل وندرة النزعات والمبادىء والآراء الاجتماعية الانسانية بين مفكريهم وأدبائهم . فالمفكر الانجليزى قد يتعصب لغاية انجليزية عليـة ، ولكنه لن يتعصب أبداً لغاية تعود بالنفع على البشرية ، ويترتب على تحقيقها هدم الانظمة الانجليزية وتقويض دعائم المجتمع الانجليزى

ومن المحال أن نرجو أن يقوم الانجليز مثلا بثورة ذات غرض عملى وانسانى كالثورة الفرنسية مثلا أو الثورة الروسية

إنهم أهل جزر ، وطبيعة أهل الجزر متأصلة فيهم ، وأبرز جوانب هذه الطبيعة هى الحيطة والحذر والتريث والأنانية . فهم يتوقون الى خدمة العالم ولكن بعد خدمة أنفسهم ، وهم لا يسمحون أبداً بأن يقوم منهم نفر من الخوارج يحاولون خدمة العالم على أنقاض أمبراطوريتهم . وهذا هو السر فى ولع الانجليز بالاعتدال وتعشقهم للحلول الوسطى ووقوفهم حيال الانقلابات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الحاضرة وقفة الرقيب المادىء المتحفظ الذى يكد عقله وأعصابه باحثا عن حل مبتكر يوفق بين هـذه المتناقضات ويؤدى آخر الأمر الى تعزيز مركزه وتقوية أنظمة بلاده وخدمة مصلحته الشخصية باعتباره مواطنا

فالرجل الكامل الحرية الواسع الثقافة الذى رفعته ثقافته فوق محيط بيئته وجعلته يغلب مصلحة الانسانية على مصلحة الوطن ، هــذا الرجل يسمى تجرد الشعب الانجليزى من نزعة الانسانية ضعفا ، ولكن الانجليز يسمونها حكمة وقوة . وعلى هذه القوة الأنانية يقيمون صرح الوطن ومجد الامبراطورية

وعليه فالروح الفردية أقل تغلغلا فى النفسية الانجليزية منها فى النفسية الفرنسية مثلا، وأنت اذا شئت أن تقارن وتفاضل بين الفرد الفرنسى المتوسط والفرد الانجليزى المتوسط لابد أن تشعر على الفور أن الفرنسى أحـد ذهنا وأعمق ذكاء وأغزر ثقافة وأقدر على فهم مختلف ظواهر الطبيعة والمجتمع من زميله الانجليزى

ولكن اتساع أفق الثقافة عند الفرنسى يلهب فى كيانه خاصة الكبرياء العقلية وملكة الاعتداد بالنفس ، وكثيراً ما يحفر هوة سحيقة بينه وبين العادات والأنظمة والتقاليـد السائدة فى بلاده . وهذا هو السبب فى وفرة عدد الاحزاب السياسية فى فرنسا وفى قوة الرأى العام الفرنسى وفى

تعدد الثورات والانقلابات الفرنسية وفى سرعة سقوط الوزارات وفى ظهور الفضائح المالية والسياسية بشكل صارخ وصورة مكبرة مروعة

وقد قال المفكر الاجتماعي لوسيان روميه فى هذا الصدد ان كل فرنسى يجتهد فى تثقيف عقله ما استطاع ، وان العناية برفع مستوى الثقافة العامة غاية التعليم الأخيرة عند جميع حكومات الجمهورية ، وقد ترتب على ذلك ان كل فرد أصبح يعتقد انه هو الحكومة وان من حقه أن يحاسب الحكومة على كل شيء ويقف منها على الدوام موقف الناقد والحكم ، ويطالبها فى كثير من الحالات بتحقيق آراء ومبادىء قد يراها صالحة له كفرد مستقل بصرف النظر عن صلاحيتها لمجموع الأمة

والحقيقة أن الفرنسيين لفرط ايمانهم بتفوق عقولهم وتفوق فرديتهم وتفوق ثقافتهم يظل معظمهم فى تقاتل وتناحر دائم أيام السلم ، فاذا ما شعروا بالخطر الخارجى يوشك أن يعصف بهم تناسوا عندئذ خلافاتهم الفكرية ومشاحناتهم السياسية وتضامنوا لسحق العدو الخارجى

ولا شك أن هذا الغليان العقلى المطرد يجدد الحياة الفكرية الفرنسية ويشعر الأفراد بقيمتهم وتأثيرهم فى تصريف شئون الدولة ويجعل فرنسا مركز الثقافة الأوربية . ولكن هذا الغليان العقلى المنطلق فى حرية تامة كثيراً مايهدد كيان الأمة ويضعف مجموعها ويغرى الأجنبى بها ويجعل مهمة الزعماء فى حكمها عسيرة شاقة إلى أبعد حد

فالسياسى الانجليزى يحكم وهو مطمئن الى تقاليده والى احترام الأمة هذه التقاليد . ولكن السياسى الفرنسى يحكم وأنظاره متجهة الى شعب متعدد النزعات والآراء والأفكار يحدق اليه تحديق التحدى ويطالبه بتحقيق معجزة كبرى ألا وهى التوفيق بين جميع هذه النزعات والافكار

وصفوة القول أن الروح الديموقراطية فى أظهر مميزاتها أصبحت طبيعة فى الشعب الفرنسي، ومن خصائص الديموقراطية متى تمكنت من العقول والأذهان أن تحاول السمو بأغراضها فوق محيط الوطن ، وأن توجه التفكير وجهة انسانية قد تتعارض فى بعض الأحيان مع مصلحة الوطن . ولذلك يعرف الفكر الفرنسي بنزعته المنطقية المثالية ، فى حين يعرف الفكر الانجليزى بنزعته العملية الواقعية . ولكن الظاهرة الغريبة التى يلفت اليها الاستاذ سيجفريد أنظار مواطنيه والتى تنهض دليلا ساطعا على عظمة الأمة الانجليزية ، هى أنه كلما اضطرب نظام الدولة فى فرنسا وكلما أوشكت نزعات أفرادها وخلافاتهم أن تطغى على كيان الأمة ، حول الزعماء الفرنسيون أبصار مواطنيهم الى انجلترا واتخذوا من ثبات النظام الانجليزى قدوة لهم ومن تماسكه وحرصه على مصلحة الدولة واسطة لاقرار التعادل بين عناصر الديموقراطية الفرنسية وسبيلا للتفاهم المنشود بين رغبات الأفراد وما يتطلبه مجموع الأمة

الفِداءُ

قصة ملخصة للروائى الفرنسى

جاك دى لاكربتيل

« جاك دى لاكربتيل عضو الاكاديمية الفرنسية من أشهر أدباء الجيل الجديد فى فرنسا ، وهو روائى مشهور بأسلوبه اللامع وتفوقه فى التحاليل النفسية والوصف الشعرى . وقصة الفداء التى نلخصها للقراء نشرت فى الأصل تحت اسم (باولا) وحازت اعجاب كبار النقاد الفرنسيين ونقلت الى عدة لغات أجنبية وفازت بجائزة مالية فى مباراة كانت قد نظمتها احدى الصحف الكبرى »

نشأت (باولا) فى ضاحية من ضواحى نابولى تدعى (بوزيتانو) . وكانت فتاة هادئة النفس صافية القلب مطمئنة الروح . توفى أبواها وهى فى الخامسة من عمرها فكفلتها عمة لها وسهرت على تربيتها وأحبتها حبا خالصا عميقا وكانت لها بمثابة أم رؤوم

ولم تكن باولا من أولئك الفتيات اللواتى يصرفهن شىء فى العالم عن الحياة الروحية وملاذها . كانت تعيش منطوية على نفسها تفكر فى واجباتها البيتية وفى فروضها الدينية المقدسة وفى راحة عمتها وزوجها وفى الطبيعة الجميلة التى زينت ضاحية بوزيتانو وخلعت عليها أفتن المناظر وأبدع الألوان

كانت تخرج بعد الظهيرة متقدة العاطفة ملتهبة الاحساس فتجلس الى شجيرة ناضرة بالقرب من ينبوع ماء ثم ترفع رأسها وتتطلع الى السماء المصحية ثم تهبط ببصرها الى الشجيرة فتحدق الى الأطيار وتناغيها وتستمع لموسيقاها مختلطة بخرير المياه الناصعة البياض

وكانت هذه هى كل سعادتها . لاتطلب من الحياة شيئا ولا ترغب فى شىء ولا تتطلع الى شىء لم تفكر فى الزواج ، ولم تلحظ الشبان يرمقونها بعيون نهمة ويحومون حولها ويجتهد البعض أن يفوز منها بنظرة . كانت تحيا بمعزل عن هذا العالم ، وكان العالم يتمثل أمامها فى الينابيع الهادرة ، والشجيرات الضاحكة ، والأطيار الصاخبة ، والسهول الشاسعة والفضاء الواسع البعيد

ولفرط ما ألفت حياة العزلة والتأمل ، تجردت بعض الشىء من أنوثتها وشاع فى أخلاقها ضرب من الخشونة وأصبحت فى نظر الناس كالحيوان البرى النفور

ولكن هذا الانكماش أغرى الشبان بها وزادهم حبا لها وأضرم فى نفوسهم كبرياء الشباب وغريزة حب الاستطلاع . فأسرفوا فى الاحاطة بها والتهالك عليها كما أسرفوا فى تعقبها ، فضاق صدرها ذرعا بهم وتبرمت كل التبرم بخلطتهم وآثرت آخر الأمر الانزواء فى بيتها مودعة أحلامها آسفة على فراق الطبيعة معشوقتها الأبدية الخالدة

وولدت فى نفسها وقاحة الشبان نوعا من الحنق المكبوت ، فما كانت ترى واحداً منهم

حتى تفر الى مخدعها مستنكرة ، ولا تلبث أن تسمع فى الخارج أصواتهم حتى تغلق النوافذ وترخى الأستار وتلوذ بصلاة طويلة خاشعة

ولاحظت عمتها انقلابها هذا فأشفقت عليها وخشيت أن تتطور أخلاقها تطوراً يعود بالضرر على حياتها ومستقبلها ، فأقبلت عليها تطيب خاطرها ، وتحاول صقل نفسها وتهذيبها ، وتجتهد فى تحرير عقلها من ذلك النفور الوحشى المتعارض وطبيعة المرأة ووظيفة الأنثى . غير أن « باولا » أعرضت وغضبت وجاهرت بحبها العزلة وبغضها الرجال ورغبتها فى السكينة والراحة فى ظل البيت وفى ظلمات مخدعها

وكانت العمة الطيبة قد أشرفت على الثمانين وكان زوجها للهدم يشكو مرضا عضالا يخشى منه على حياته بين لحظة وأخرى . فرأت العمة من واجبها أن تزوج الفتاة وتطمئن عليها قبل أن تبارح هى وزوجها هذه الدار الفانية

صارحت « باولا » برغبتها فأصرت الفتاة على عزمها وأمعنت فى عزلتها واشتدت فى كراهية الشبان ، فتجهموا لها وانقلبت نظرتهم اليها من عطف وشغف الى استخفاف واحتقار

ومضت الأيام تتبعها الأيام وانفرجت آفاق الحياة فى وجه «باولا» فعادت الى حياتها الاولى باسمة الثغر متهللة الجبهة مشرقة المحيا تندمج فى الطبيعة الرائعة أهنأ ما تكون بوحدتها وبانصراف جميع شبان الضاحية عنها

فى تلك الفترة أحست الفتاة على الرغم منها أن شيئا هاما ينقصها . أحست كأن فراغا عجيبا يحفر فى قلبها . أحست أنها فى حاجة الى قوة تملأ هذا الفراغ ، قوة لم تفكر فيها من قبل ولم تخطر على بالها لحظة واحدة انها يمكن أن تطغى عليها وتحتل نفسها وتسيطر على مشاعرها وتخضعها لسلطانها على هذه الصورة الفجائية غير المنتظرة

وأدركت الفتاة بسليقتها أن نفسها تهفو الى العاطفة وأن فؤادها يتوق الى الحب وأن بدنها الصحيح السليم يتطلع الى الأمومة

ارتعدت فرائصها واستعادت ذاكرتها المتقدة مختلف الظواهر الخلقية التى كانت قد لاحظتها عند الرجال والشبان ، فازداد نفورها وتضاعفت وحشيتها ومضت تقاوم فكرة الزواج وتناضل طبيعتها وتبذل قصاراها فى العمل البيتى كى تهدأ وتطمئن وتنسى

وحدث ما كان فى الحسبان

توفى زوج عمتها ذات مساء فحزنت عليه امرأته أشد الحزن ولم تلبث أن لحقت به عصر يوم كانت فيه « باولا » خارج المنزل تتعهد الماشية وتجمع من الكرم عناقيد العنب

دخلت البيت واذا بها تبصر عمتها الطيبة مسجاة على فراشها مجمدة الوجه صفراء اللون هامدة وحولها رهط من القرويات ينتحبن ويرسلن صرخات طويلة ممزقة

بهتت الفتاة وتملكها الرعب وشعرت أن القدر قد انتزع منها واسطة حياتها وانها أصبحت حقا وحيدة لا حول لها ولا طول

انخلع قلبها وهوت على الجثة تبكى بكاء الاطفال ، وعندئذ تقدم اليها شيخ الضاحية ورفه عنها وعرض عليها مساعدته وصارحها ودمع الشفقة والحنان يجول فى عينيه ان عمتها النبيلة أوصت لها بمجموع ثروتها

* * *

استفاض النبأ فى أنحاء الضاحية وعلم الشبان أن « باولا » اصبحت غنية فكروا راجعين اليها ، وتباروا فى التلطف معها وفى تفريج همها وفى الفوز بالحظوة لديها . وكانت تدرك حق الادراك ألا أحد منهم يحبها ولا أحد منهم يقدرها ولا أحد منهم يستحق الحب أو يساوى مجرد الاهتمام ، فأغلظت لهم القول وباعدت بينهم وبينها وبدت أمامهم فى مظهر مترفع سرعان ما استثار كرههم لها وحنقهم عليها

غير أن الفراغ النفسى كان يتسع فى صدرها شيئا فشيئا وكان يقلقها ويعذبها ويعكر عليها صفو وحدتها فأحست بعد طول الصبر والجهاد أن لا قبل لها بمقاومة نفسها وأن من الحكمة أن تتزوج على شرط أن تعرف كيف تختار

وكان أن لحت بين شبان الضاحية فتى جريئا مفتول الساعدين عريض المنكبين مديد القامة أحمر الوجه ينم مظهره القوى عن سذاجة فاتنة وطيبة متأصلة

كانت تميل اليه وتخشاه فى الوقت نفسه

كانت تلتذ سماع حديثه ويضطرب كيانها كله إذ تراه

كانت تستأنس بقوته وترتجف أمامه كطير فى مهب العاصفة

كانت قد بدأت تحبه وهى لا تدرى !

وأحس منها الشاب هذا الضعف فأقبل عليها وادتن فى اغوائها واصطنع مختلف ضروب الرقة ليطرد عنها وحشيتها ، فأعجبت به وركنت اليه ورضيت أن تكون زوجته ولكن بعد تمنع طويل

وأقيم العرس فى ليلة من ليالى الربيع الشائقة وخرجت طوائف القرويين تمرح وتغنى وبرزت جموع العذارى فى حلل قشيبة رائعة وجعلت ترقص وتهلل أمام العريس والعروس

وخيل لباولا أن العالم قد انفتح لها عن دنيا جديدة وأن ماضيها كان على وشك أن يغرر بها وأن حبها الطبيعة وحبها العزلة كانا حلما خادعا لا يمكن أن يقاس بجمال هذه الحقيقة الساحرة

ومع ذلك فقد كانت ما تزال قلقة ...

كانت ما تزال مضطربة غير مستقرة

كان قلبها يحدثها بأن الحقيقة مهما بدت فاتنة فمن المحال أن تكون أصدق من الخيال روعة وفتنة !

وشاء القدر الغادر أن يتحقق ظنها وأن يتقوض صرح حياتها فى أقل من بضعة أعوام

كان زوجها يدعى (سيزار) وكان شابا وضيع النفس ساقط الهمة مشبوب الغرائز مولعا بالخمر والنساء ، يخفى تحت مظاهر الطيبة والرقة عقلا شريراً وقلبا قاسيا وعاطفة متحجرة وروحا أفسدها الطمع واللؤم والدهاء

كان يهزأ بامرأته ويسخر منها ويبتز نقودها ما استطاع لينفقها على عشيقاته ثم يرجع اليها منهوك القوى محطم الأعصاب وقد عبثت الخمر برأسه وطوحت بعقله وأهاجت حواسه فاستحال الى وحش مفترس فظيع يثير منظره الهلع ويبعث فى النفس الكراهية والاشمئزاز

حاولت أن ترده الى السبيل السوى وأن تبادله اعراضا بعطف وصداً بحب وخيانة بتضحية وإخلاص ، ولـكنه كان يتهكم بها ويتهرها ويبغض قيد الزوجية ممثلا فيها ويطمح الى حرية تامة تشبع غرائزه وتمكنه من التمتع بكل محرم

وأدركت وباولا ، على مر الزمن الا فائدة ترجى من محاولة اصلاح زوجها ، فصبرت واحتملت ولم تفكر فى سواه . لم تفكر فى أن تخدعه . لم تنظر الى رجل آخر . كانت بطبيعتها امرأة نزيهة العاطفة مستقيمة الاحساس شريفة القلب والضمير فعادت تنطوى على نفسها وتلوذ بعزلتها وتهرع الى الله الذى يسع كل حب ويعزى عن كل ألم

وخشيت أن يزداد عذابها وأن تضيق فى وجهها فسحات العالم فتزل بها القدم على الرغم منها ، فابتهلت الى السماء أن تمنحها طفلا تودعه صفوة آمالها وخلاصة حبها وجوهر ما فى نفسها من رغبة عميقة فى التضحية وانكار الذات . وكانت لا تنفك تصلى وتزور بيوت المرضى وتواسى الفقراء والمنكوبين وتحسن اليهم ، وملء صدرها اليقين بان الله لا بد مستجيب دعاءها وأن الطفل الذى تنشده لا بد مقبل عليها يجدد حياتها وينقذها مما تعانيه

واتفق ذات يوم ان كانت فى الحقل تتنزه كعادتها وإذا بها تقف بغتة وتحملق فى الفضاء مشدوهة وتشعر بشىء يتحرك فى احشائها . كادت تجن من الفرح وأسرعت الى البيت فأغلقت أبوابه ثم دخلت مخدعها ثم جثت على الأرض وجعلت تصلى والدموع تترقرق من عينيها

وشرعت تعيش من أجل ابنها !

تناست وجود زوجها ، لم تعد تحفل به ، أغدقت عليه المال لينصرف عنها ، مهدت له سبيل الابتعاد عن المنزل ، تخلصت منه جهد طاقتها وارتمت بجمع قواها فى حضن هذا الأمل الساطع الجديد

وكان ان وضعت غلاما سمته (ساندرو) . وضعت غلاما ناضر الوجه ملء الجسم جميل الطلعة يفيض حيوية وصحة فعبدته وركزت حياتها فيه وانقطعت للعناية به وأحست أبلغ احساس وأوفره أنها لم تكن سعيدة غير الآن وأنها متهيئة لاحتمال كل أنواع المكاره وشتى صنوف الألم فى سبيل ابتسامة واحدة يفتر عنها ثغر هذا الطفل ! . ولقد ذهب بها الفرح الى حد أنها غفرت لقرينها

كل شيء ولم تندم على هذا الزواج الذى اثمر فى النهاية هذه الثمرة الحلوة المباركة

وكان سيزار فى غضون ذلك ممعنا فى غيه ضاربا فى عرض القرية يتصيد النساء ويوقع بازواجهن ويرتكب الموبقات فى شبه جنون وهو لا يعى ، الى أن اوغر عليه صدور القرويين فاخذوا يترصون به وينتهزون الفرص السانحة للقضاء عليه

وفى ليلة من ليالى الشتاء غابت نجومها وتكاثف ظلامها وتساقطت أمطارها زاخرة كالسيل ، سمعت باولا صيحة هائلة منبعثة من أقصى الحديقة فهبت من فراشها مذعورة وتدثرت بمعطفها ثم خرجت الى الحديقة ، وهناك خلف أشجار السرو وعلى مقربة من البئر العميقة شاهدت زوجها منبطحا على الأرض مطعونا فى ظهره بسكين يزأر ويبكى وقد تدفق منه الدم

ولما دنت منه وحاولت انهاضه تعلق بها واستند الى الأرض وجاهد ليتحرك ولكن الألم عاوده فجحظت عيناه ثم تمايل وهوى وأسلم الروح !

***

وانحصرت حياة باولا فى ولدها ساندرو . لم تفكر فى الماضى . لم تتعظ بما وقع لها . لم تخنق فى صدرها نداء العاطفة ولم تستمع لصوت العقل . أجل لم تدرك أن من واجبها العمل جهد الطاقة على تربية ابنها وغرس الفضيلة فى نفسه واستئصال جرثومة الشر التى أودعها فيه والده لم تهتم بكل هذا . بل طغت عليها عاطفة الأمومة وزاد فى اضطرام هذه العاطفة أن باولا المنكودة الحظ كانت فى أشد الحاجة الى الحدب على مخلوق ما والعطف عليه وامتاعه بكل ما وسعته نفسها من اخلاص وحب . وهكذا أسرفت فى تدليل ولدها ، وأسرفت فى التجاوز عن هفواته واخطائه ، وأفرطت فى تملق نزواته وغرائزه ، واعتقدت أن هذا هو الحب وهذا هو الدليل البالغ على تعلق الأمهات الصالحات بأفلاذ أكبادهن

كانت ترى ساندرو يضج ويمرح ويطلق لفطرته العنان فتبتسم ولا تكلف نفسها عناء رده الى محجة الهدى وسبيل الخير والصواب . كانت تراه يتلف أعشاش العصافير ويضرب صبيان القرية ويسرق مختلف أصناف الحلوى ويصر على التمتع بكل ما يريد والحصول على كل ما يشتهى ، فلا تحاول زجره ولا تجتهد فى ردعه ولا تعلق أية أهمية على هذه الظواهر التى كانت تعتبرها نزوات طفولة بريئة لا يمكن أن تدوم ولا بد أن تزول وتتلاشى بفعل الزمن

وشب ساندرو وترعرع أزهى ما يكون بحريته ، مسلما نفسه الى أوضع غرائزه ، تاركا عواطفه وميوله تمرح على سجيتها ، غير عابىء بوالدته ولا بالناس

وكان شرها فى مأكله ، خشنا فى حديثه ، فظا فى طباعه ، لا يحتمل المعارضة ولا يطيق المراجعة ولا يصبر على كلمة نابية توجه اليه من أمه أو من غريب . وكان يعلم حق العلم أن والدته تحبه الى حد العبادة ، فكان يستغل هذا الحب ويسترسل فى غيه دون ما وازع من خلق أو من ضمير

وتطورت شخصيته شيئا فشيئا وعلت قامته واشتد ساعده وبدا لأمه فى يوم من الأيام رجلا كاملا فبهتت ثم تطلعت اليه ثم أطالت التحديق الى ملامح وجهه ولمعة عينيه فاقشعر بدنها وارتجفت وهالها هذا الانقلاب الفجائى الغريب

شعرت الأم والرعب يملأ فؤادها والحسرة تمزقها أن هذا الابن المعبود ، هذا الشاب القوى ، هذا الرجل الفخور بقواه المعتز بصلابة عضلاته ، لا يشبه ابنها ساندرو فى شيء . .

أحست أنه تبدل تبدلا تاما وأنه ينفصل عنها ويتعالى عليها ويرمقها بنظرات محتقرة شزراء . أدركت أنه لم يعد ابنها المحبوب وأنه أصبح على مر الأيام (سيزار) بعينه ! . نعم . شاهدت فى ابنها شخص زوجها وقد خرج من قبره بغتة وتمثل أمامها بكل ما فى نفسه من ضعة وخسة وفجور !

وأيقنت ان لا قدرة لها على اصلاح شاب أفلت منها وأضحى رجلا ، فعمدت الى عواطفها تحاول بها تهذيب احساسه وكسر شرة ميوله وهدايته الى الحق والخير ، ولكن ساندرو تبرم بها واشتهرها وأزمها حدها وجاهر فى صراحة منكرة بأنها لم تعد شيئا يذكر وأنه أصبح السيد المطلق فى البيت

وبدأ يستبد بها ويضطهدها ويذلها ويجردها من المال وينفقه على الفتيات عشيقاته كما كان يفعل والده . ثم طفق يشرب الخمر ويقضى لياليه فى الخارج ويعود اليها صارخا هاذيا ، فلا تستطيع الا أن تنظر اليه ملتاعة وتفر الى مخدعها ثم تستغرق فى البكاء

وكانت باولا قد جاءت فى البيت بخادم صبية عليها مسحة من جمال فأولع بها ساندرو لخفة روحها وظرف حديثها ولطف محضرها . أولع بها وشرع يتودد خلسة اليها ويتقرب منها ويجيئها بشتى الهدايا ويطارحها الهوى .وأدركت الخادم أن فى زواجها بسيدها اكبر مصلحة لها فأعرضت عنه أول الأمر ثم أقبلت . ثم أسلست قيادها فى النهاية فجن بها الشاب حبا وصارح أمه ذات مساء أنه قد اعتزم الاقتران بخادمة البيت

ذهلت باولا وانتابها شبه خبال وجاهدت لتثنى ابنها عن عزمه ولكنه أصر على الزواج ، فأذعنت على مضض وملء نفسها الكره لتلك المرأة الدخيلة التى غافلتها واستلبت منها قلب ابنها

وعقد الزواج ودخلت الخادم البيت دخول الفاتح المنتصر . وما إن استقر بها المقام بضعة أسابيع وما إن استطاعت اخضاع ساندرو لسلطانها حتى كشرت عن أنيابها وبدت فى مظهرها الحقيق استبدت بالأم هى الاخرى . عاملتها أسوأ معاملة . حاولت تجريدها من كل شيء . أشرفت على البيت بمفردها ووضعت يدها على كل ما فيه

وأصبحت باولا ذليلة مهينة تقبع فى عقر مخدعها لا رأى لها فى شيء ولا قدرة لها على شيء

وأوغرت الزوجة صدر زوجها حقدا على والدته ، ولفقت عليها مختلف التهم ، ونسبت اليها أقوالا وأعمالا لا يمكن أن تصدر عنها ، فثار سخط الزوج عليها وأمعن فى اضطهادها وانقاد لامرأته بجميع احساسه وعواطفه وأضحى هو والمرأة الدخيلة حربا عوانا على والدته !

ولم تطق باولا احتمال الحياة فى البيت . اسودت الدنيا فى عينيها وعضها الذل بنابه وشردها فى القرية كالروح المعذب الحائر

وحدث أن الزواج الحب فى ابنها كبرياءه المحمومة وزاد احساسه بالخيلاء والعزة لشعوره الباطنى بأنه قد اقترن بامرأة دونه مكانة وقدراً . فما كان منه الا أن أفرط فى الزراية بالقرويين وامتهانهم وتحقيرهم وفرض سيطرته عليهم حتى تجهموا له وأرادوا الفتك به كافتكوا بالطاغية والده

وأدرك ساندرو ما بيت القرويون له فأسرع يتقيهم بتأليف عصابة من العاطلين عاثت فى القرية فسادا ونشرت الرعب فى أنحائها وضربت عليها شبه نطاق من الجبروت والذعر

واتفق ذات مساء أن اصطدم ساندرو بشيخ قروى عنفه على مسلكه أشد تعنيف وأراد تأديبه بالحسنى فتطاول عليه الشاب وسبه ثم لطمه فى صدره فسقط الشيخ على حجر وشج رأسه . ولما دخل ساندرو البيت كانت باولا قد علمت بالنبأ فهرعت اليه تقبل يديه وتلثم موطىء قدميه وتلتمس اليه أن يرحم أهل القرية ويرحمها . ولكنه زجرها فى عنف فلم تحفل وأعادت الكرة فما كان منه الا أن انقض عليها وأوسعها لكما وضربا

وفى تلك اللحظة سمعت فى الخارج صرخات متقطعة وأسرعت باولا الى النافذة وهى تبكى وتئن من فرط الألم فشاهدت جموع القرويين تصيح وتستنجد بها وتطلب اليها رد عادية ابنها عن الفلاحين الابرياء المساكين . وكانت الخادم زوج ساندرو تنظر الى باولا والى القرويين وهى تضحك فأحست الام كأن يداً غليظة تقبض على قلبها وتنتزعه من صدرها الدامى ولكنها هدأت وكظمت غيظها ووعدت الفلاحين خيرا

وفى نفس ذلك المساء دخلت باولا مخدعها وأوصدت بابه عليها وركعت تصلى . وبعد لحظات صمت طويلة فتحت نافذة المخدع وأطلت منها فأبصرت ابنها خارجا الى الحديقة فاستدارت والتقطت شيئا وقع منها . ثم انأدت . ثم فتحت الباب فى رفق ولما سمعت غطيط الزوجة الدخيلة اطمأنت وتبعت ابنها الى الحديقة

ومشت بخطى وئيدة وجعلت تنحى الاشجار عن طريقها حتى وقع نظرها على ابنها فاقتربت منه دون أن يشعر فأبصرته منحنيا على البئر يغتسل فأمهلته حتى انتهى ثم كشفت عن صدرها واستلت السكين واستجمعت قواها وهوت بها على ظهره فاستقام ثم اختلج ثم تمايل ثم سقط مدرجا بدمه خلف أشجار السرو وعلى مقربة من البئر العميقة وفى نفس المكان الذى قتل فيه والده !

***

وتنفست القرية الصعداء وفرت الزوجة الدخيلة من المنزل ولم يعلم القرويون أن باولا التاعسة المنكودة هى التى أنقذتهم وهى التى افتدت سعادتهم بحياة ابنها !

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

موسوليني وهتلر

يقارن بينهما الكاتب اليهودي اميل لودفيج

أمضى هتلر سني نشأته وشبابه عاطلا ، لا يحس في نفسه رغبة تدفعه الى العمل والدرس ، وتعوزه عناصر الكفاءة والنشاط والتفكير، ورضى أحيانا أن يكسب قوته الزهيد من أعمال تافهة كبيع بطاقات الصور في الطرقات . وكان موسوليني في سنيه الأولى «صبيا» في دكان أبيه الحداد . وبدأ يستقل بنفسه وبعولها منذ كان في الثانية عشرة ، وراح منذ ذاك يدرس ويفكر جاداً دائبا . وامتازت فترة شبابه كلها بنشاط دافق وتطلع دائم الى مرتبة أعلى . وقد سجن قبل أن يبلغ السادسة والعشرين تسع مرات لانه ثائر محرض سياسي . ثم لم يلبث ان تولى تحرير أكبر جريدة اشتراكية في ايطاليا حينذاك

وقد كان موسوليني متفوقا في ساحة الكفاح والنضال . أما هتلر فلم يترك في أثناء شبابه أي أثر ظاهر في هذا السبيل ، ففي الحركة التي قامت في ميونيخ سنة ١٩٢٣ انسحب هتلر من المعركة تاركا وراءه كثيراً من زملائه يقتلون بالرصاص في الشوارع . وهو لا يظهر الآن في المحافل العامة إلا حين تكون الطريق مسورة بثلاثة صفوف من كتائب الجند المدججين

ولم يوفق هتلر الى زعامة الشعب الألماني إلا بفضل موهبة واحدة ـ هي موهبة الخطابة . ذلك أن ألمانيا لم تنجب من قبل خطيبا شعبيا عظيما ، ولهذا استطاع هتلر أن يأسر أبناءها بخطبه التي تشبه الى حد ما موسيقى «واجنر» العنيفة العاتية . فهي تتألف من كلمات وجيزة وجمل مقتضبة يلقيها وهو يتنهد ويتأوه تارة ، ويصيح ويقصف تارة أخرى . وتجده يضفي على خطبه ضبابا كثيفا تمتزج فيه كلمات الدم والجنس بأسماء الآلهة والأبطال . وحين يخطب هتلر يضع أمامه جهاز كهربائي يضغط أزراره من آن لآخر ، فتنبثق منه أضواء تنعكس على جوانب وجهه ، فتبدى سحنته الهائجة واضحة مؤثرة . وهو بهذا يتعمد أن يهيج ، ويتعمد أن يؤثر في الشعب بهياجه

أما موسوليني فان حنجرته ـ التي ترن رنين المعدن ـ تقذف بالجمل البسيطة قوية داوية

وفارق آخر بينهما فى أساليب الخطابة : فى خطبة النصر التى ألقاها موسولينى عقب ان افتتحت جيوشه الحبشة ، لم يذكر كلمة « أنا » سوى مرتين . أما هتلر فيكرر هذه اللفظة فى كل خطبة مائة مرة . وعند ما يكون موسولينى واثقا من نفسه لا يتحدث عنها إلا نادراً ، وهتلر على نقيض هذا : حينما تتزعزع ثقته بنفسه يهضب دائما بالحديث عنها

وموسولينى – الى هذا – مكتمل « الرجولة » من ناحية الجسم والظهر . فهو لا يأنف أن يحمل فأسا ويفلح بها الأرض . وعندما بلغ سن الثالثة والخمسين أدى امتحانا فى فن الطيران . أما هتلر فلا يلقى بنفسه حتى فى أية رياضة بدنية ، ولا يعرف كيف يقود سيارة ، ولم ير أبداً يؤدى عملا يدويا . . وكل ما فيه رغبة كرغبة الممثل فى أن يؤدى دور ملك من ملوك العصور الوسطى

وقد نمت ثقافة موسولينى وتشعبت يوما بعد يوم فى أثناء ولايته الحكم . وهو ينطلق فى الحديث بالألمانية والفرنسية والانجليزية ، ولا يخرج من عنده زائر الا بعد أن يضيف موسولينى الى ثقافته شيئا مما ناقش فيه زائره . أما هتلر فيأبى الا أن ينفرد بالكلام طول وقت الزيارة ، وبعد أن يقذف فى سمع زائره بكلماته الدوارة ، يصرف الزائر شبه مطرود

وموسولينى أعظم كفاءة من أى عون من أعوانه ، وكل منهم فى الواقع «سكرتير» فحسب . أما هتلر فتنبسط فوقه ظلال بعض أعوانه البارزين . وهو لا يفوق أحداً منهم الا فى ناحية الدعاية

ولا يغادر موسولينى عاصمته الا صيفا ، ولا يرتاد الحفلات والولائم ، ولا يستقبل فى بيته ضيوفا ، لأنه يعمل دائما أبداً . أما هتلر فيخشى أن ينفرد بنفسه ، ويشفق أن يظل صامتا ، بل هو يخشى أن يجلس الى كتاب يطالعه فى هدوء . وهو يقضى أكثر السنة بعيداً عن برلين فى بيته الريفى ، وهناك يظل وسط جمع من أصحابه وسماره الساعات المتواصلة يتكلم وحده . وهذا يظهر روح « الممثل » المتأصل فى قرارة ، والذى يدفعه دائما الى إيجاد مجتمع يسمع ما يقول . وهذا يفسر لنا كذلك لماذا كانت آراؤه وأعماله تنحو النحو المسرحى من حيث الغرابة والمفاجأة ، فلا يعرف أحد متى يضرب ولا أين تهوى ضرباته

وموسولينى نموذج للسياسى الايطالى ، رجل تفكير وتقدير وتدبير . فهو لا يغامر فى أن يقيم حربا فى أوربا ، ولكنه يرقب حذراً متأنيا ، حتى يعلم أى الكفتين ترجح فينضم الى أصحابها . وهذه الخطة تناقض خطة هتلر الذى يقامر بكل شىء ليرضى نزعة ألمانيا الطامعة . وهو يعلم أن ألمانيا لا تريد مستعمرات ، ولا تتطلع الى أوكرانيا ، ولكنها تريد أن تنتصر انتصاراً مؤزرا لتقف فى فرساى شامخة متكبرة كما وقفت سنة ١٨٧١ وإلى هذه الغاية يقودها «الممثل الصوفى» هتلر

فموسولينى لا يسبح فى عالم الحلم والخيال ، بل هو سياسى عملى مفكر . وسيجنى ربحه من الحرب التى قد يقيمها هتلر . . الذى سيدفع من ألمانيا كل ما يأخذه موسولينى لايطاليا

[خلاصة مقالة فى مجلة « فورم »]

عامل فرنسي مثقف

يصف حقيقة الحال في بلاد السوفييت

تضارب الآراء في حقيقة الحال في بلاد السوفييت . وقد سافر الى هناك عدد وافر من كبار المفكرين والأدباء وحاولوا دراسة الحياة الاجتماعية في الروسيا الجديدة . ولكنهم عادوا بأفكار ونظريات يغلب عليها الطابع الحزبي ، فبعضها يؤيد أنظمة الحكومة الروسية على طول الخط والبعض الآخر يحمل عليها حملات شعواء ويجردها من كل قيمة اجتماعية

ولم يحدث أن عاملا مثقفا سافر الى تلك البلاد ودرس حياة اخوانه العمال الروسيين عن كثب واستطاع أن يميط اللثام عن حقيقة النظام الذي يعيشون بموجبه ، مثل العامل الفرنسي كلير ليجاى والسيو ليجاى هذا عامل مثقف واسع الاطلاع غزير المدارك يعتبر في فرنسا من زعماء المعدنين المولعين بالافكار الاشتراكية

على أن اشتراكية المسيو ليجاى تمقت الديكتاتورية وتهوى الحرية وتحاول التوفيق بين تعاليم المذهب الاشتراكي وبين ما يجب أن يتمتع به الفرد من حرية مطلقة في آرائه الخاصة وأسلوبه المستقل في الحياة . وقد عاد المسيو ليجاى من روسيا بعد ان قضى فيها ردحا طويلا باحثا ملاحظا مشتغلا في صفوف عمال المناجم الروسيين . واليك صفوة الملاحظات التي دونها عن رحلته في كتاب أخرجه حديثا وأطلق عليه اسم « عامل مثقف في بلاد السوفييت »

يقول كلير ليجاى ان معظم الروس لا يفهمون امكان تحقيق المبادىء الاشتراكية مقترنة بحرية الفرد وباحترام قداسة هذه الحرية

وهو يلفت أنظار الأوربيين الى أن روسيا كانت حتى مطلع القرن الثامن عشر بلاداً همجية . وان النظام الاقطاعي كان سائداً فيها حتى منتصف القرن التاسع عشر . وإن الفلاحين الروس كانوا يرزحون تحت وطأة هذا النظام ويعملون لسادتهم الأشراف وان البلاد الروسية بأسرها كانت خاضعة لارهاب البوليس القيصري

ويقول المسيو ليجاى ان ارهاب البوليس في عهد القيصر استعيض عنه بعد الثورة بارهاب بوليسي سوفييتي لا يقل عن الأول فظاعة وقسوة

هذا فيما يتعلق بالنظام العام من ناحية الحرية والارهاب السياسي . وأما فيما يتعلق بحياة العمال الروس الذين قامت الثورة لاسعادهم والاعتراف بحقوقهم وتحسين أحوالهم ، فيؤكد المسيو ليجاى أن أولئك العمال ولا سيما عمال المناجم يحيون في بؤس قاتم وشقاء مستحكم ، وأن الحكومة تمعن في استغلالهم ولا تهتم بدرء أخطار الحياة في المناجم عنهم ، وأن العمل المفروض عليهم شاق وثقيل ،

وأن الحكومة تجبر النساء العاملات على الهبوط الى أعماق المناجم وهو أمر لا تسمح به الحكومة الفرنسية وقد حرمته اطلاقا

ويقول المسيو ليجاى إن العامل الروسى لا يتقاضى الأجر المناسب لعمله وأنه يعيش فى مسكن غير صحى ويتناول طعاما لا يكاد يقوم بأوده وأن معاملة العمال فى الروسيا لا تشف عن الرحمة واللين بل عن الشدة والقسوة . وقد شاهد هذا العامل الفرنسى بعض بؤساء الروس يأكلون الخبز الاسود بلا ادام وبعضا آخر يأكل الخبز مع شيء من شحم الخنزير

والمهم فى مختلف اللاحظات التى أبداها المسيو ليجاى أنه بينما يرى الانسان طبقات العمال بائسة يرى بجوارها طبقات موظفى الحكومة ورجال الجيش والبوليس ينعمون بحياة رخية ناعمة ويأكلون ما لذ وطاب ويقضون لياليهم فى الحفلات والمراقص

وبالاجمال فالمسيو ليجاى يرى أن حياة العمال فى فرنسا أسعد منها بكثير فى الروسيا وأرفع مستوى وأكثر انسانية . ويلاحظ أن كل ما قاله ذلك العامل الفرنسى المثقف يتفق تمام الاتفاق مع مجموع اللاحظات التى عاد بها من روسيا السر ولتر سترين زعيم الحركة النقابية فى انجلترا

فهذه هى حقيقة الحال فى بلاد السوفييت كما عبر عنها عامل أوربى اشتراكى النزعة يستطيع أن يقدر ويفهم حياة العمال الروسيين زملائه أكثر من سواه

[عن مقال لبيير درمينيك . نشر فى صحيفة « نوفيل ليتزير »]

هل أوعز دانونزيو

بسرقة صورة الجيوكوندة من متحف اللوفر ؟

كانت صورة الجيوكوندة للرسام الايطالى الأشهر ليوناردو دافنشى قد سرقت من متحف اللوفر بباريس فى ٢٢ أغسطس عام ١٩١١ ثم ردها سارقها الى المتحف بعد انقضاء نحو عامين من ذلك التاريخ

والغريب فى الأمر أن المسيو شارل شاسيه وهو من كبار علماء العاديات والآثار الفنية يؤكد أن الشاعر الايطالى جبرييل دانونزيو هو الذى أوعز بسرقة الصورة وهو الذى أشار بردها الى المتحف بعد ان قضى لبانته الفنية منها

ويقول المسيو شاسيه ان دانونزيو أحب الجيوكوندة فى ظرف معين من ظروف حياته حبا خياليا شعريا عجيبا ، أحب طيف امرأة كانت موطن إلهام فنان عظيم فأراد أن يحظى بصورتها

وان يحيا مع تلك الصورة وان يستجلى غوامض ابتسامة الجيوكوندة الخالدة ، فما كان منه إلا أن أوعز بسرقة صورتها وأبقاها فى داره عامين ، ولكنه بعد ان تملى منها عافتها نفسه فأشار بردها الى المتحف الذى سرقت منه

وهذا لا يستغرب من رجل كدانونزيو عرف بنزواته الغريبة الطارئة وميوله الفجائية السريعة التحول والانقلاب وعبادته لمختلف الآثار الفنية ولا سيما آثار مصورى عصر النهضة فى ايطاليا وآثار ليوناردو دافنشى على وجه خاص

ولكن كيف استطاع المسيو شاسيه اثبات تهمة الايعاز بالسرقة على الشاعر دانونزيو ؟

الواقع ان هذا العالم المنقب عثر فى كتاب لدانونزيو طبع فى ميلانو عام ١٩٢٣ على هذه العبارات :

« لا يمكن لأى فرنسى ان يفهم ابتسامة الجيوكوندة ، وليس للفرنسيين أن يفخروا بأنهم احتجزوا صورتها فى متحفهم إذ الحقيقة التى يعرفها الكثيرون ويخشى البعض المجاهرة بها انى أنا الذى أشرت برد الصورة الى المتحف بعد ان شبعت منها وانتابنى الضجر من طول التطلع اليها »

ولم يكتف المسيو شاسيه بهذه العبارات يبرهن بها على صدق زعمه بل بحث ونقب أيضا حتى اهتدى الى حديث كان جبرييل دانونزيو قد أفضى به الى صحفى يدعى جان جبرييل لميوان ونشره هذا الأخير فى جريدة الايكودى بارى فى شهر يونيه من عام ١٩١٤ بعد ان كانت صورة الجيوكوندة ردت الى متحف اللوفر

وفى هذا الحديث يقول دانونزيو :

«لماذا لانسلم بأن من الممكن أن يحب الرجل أو الشاعر أو الفنان امرأة ماتت وطواها الزمن؟

« الواقع أن هذا الحب لا يمت الى الخيال الروائى بصلة كما يعتقد الكثيرون بل هو حب صحيح حى نابع من الحياة التى تجود بكل شىء وتقبل كل شىء

« وأنا أعرف معرفة صميمة « رجلا » هام حباً بالجيوكوندة وابتسامتها الخالدة . أجل . لم يعشق الرجل الصورة التى بقيت لنا والتى فقدت مع الأيام روعة ألوانها بل عشق فى الصورة شخص صاحبتها أى المرأة الفاتنة التى كانت تدعى فيما مضى مونا ليزا

« وهذا الرجل العاشق المفتون هو الذى أوعز بسرقة صورتها »

وأمام هذه الاعترافات التى اهتدى اليها المسيو شاسيه بعد عناء وجهد ، لا يسعنا إلا التسليم بقوة الشبهة الحائمة حول دانونزيو . فاذا كان الشاعر الايطالى هو الذى أوعز حقا بسرقة الصورة ثم أبقاها فى داره عامين ثم ضجر منها فأشار بردها ، فما لا يقبل الشك ان حبه لمونا ليزا كان حبا حقيقيا مبرحا . ولكن حب الأموات كحب الأحياء مصيره أيضا الى الزوال ولو كان الباعث عليه ليوناردو دافنشى نفسه !

[عن مجلة « ا . ج . ت . مجازين »]

اذا أردت أن تجاوز سن المائة

فأقلل من أكل اللحم وابتعد عن صخب المدنية

قلما تقرأ فى صحيفة ما اسم معمر بلغ المائة أو جاوزها ، إلا وجدته من أبناء شبه جزيرة البلقان التى يعيش فيها اليوم زهاء أربعة آلاف نسمة جاوزوا سن المائة . وفى يوجوسلافيا وحدها وفق الاحصاءات الدقيقة ، أكثر من الف رجل وامرأة بلغوا الآن أكثر من مائة عام

ويكاد يكون جميع هؤلاء المعمرين أصحاء البدن ، وافرى النشاط ، محتفظين بقواهم العقلية وحواسهم كلها . وأكثرهم ما زال يزاول عمله كما كان يزاوله منذ خمسين أو ستين سنة مضت

وقد حار العلماء كثيراً فى تعليل تعمير أهل البلقان دون سواهم من أهل الاقاليم الاخرى . فخطر لأحدهم اخيراً ان يفحص مائة معمر بلغ سن المائة أو تعداها ، ولكنه لم ينته من عمله هذا الى رأى حاسم دقيق ، وأعلن أنه لم يوفق الى كشف السر فى طول العمر أو قصره

فقد وجد أن هؤلاء المعمرين يختلف بعضهم عن بعض فى الأكل والشرب . ولكنهم يتفقون غالبا فى الاقلال من تناول اللحوم ، بل إن بعضهم لم يذق اللحم طول حياته ، ولم يجد من بينهم أحداً يسرف فى أكل اللحم . وبعض هؤلاء المعمرين يسرف فى « التدخين » ، وبعضهم لم يعرف « الدخان » بتاتا . ولكن أكثر أهل البلقان « يدخنون » لأنهم يزرعون الطباق فى حقولهم ، فيستهلكون كل ما لا يستطيعون بيعه . وهم يبدأون فى شرب « الدخان » منذ سن الطفولة المبكرة

أما عن الخمر ، فمنهم من يشربها ومنهم من يعافها . وقليل منهم من أمضى حياته ورعا طاهراً على أنهم جميعا تمتعوا بما ينقص أكثرنا ، وهو الحياة الريفية الهادئة ، التى لا تقلق فكراً ، ولا ترهق أعصابا . وكثير من هؤلاء المعمرين لم يغادر قريته الى المدينة ابداً

وجميع هؤلاء المعمرين متزوجون ، ولهم أسرات كبيرة ينعمون ويعتزون بها

وأكبر هؤلاء المعمرين يدعى باشتيان كوزان ، وهو يبلغ الآن ١٣٠ عاما ، ومع هذا مازال يعمل فى حقله ، وما زال يسير على رجليه ثلاث ساعات أو اربع ساعات كل يوم . وحاسة بصره قوية ، ويرى جيداً دون حاجة الى نظارة ، ولم يصب حتى اليوم بألم فى أسنانه ، ولم يمرض طول حياته . وقد تزوج مرتين ، ومات ابنه الأكبر بعد أن بلغ ١٠٥ سنة ، وأصغر أبنائه فى سن السابعة والثمانين . ويبلغ عدد ذريته ٣١٢ نسمة .. وجميع أفراد عائلته يسرفون فى احتساء الخمر ، ولكن لم يغادر أحد منهم قريته الهادئة الى مدينة صاخبة

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة « بستر لويد » بودابست]

سياسة ائتلاف البن

في بلاد البرازيل

ليس شك في أن ميزان الحضارة الحديثة أصابه الخلل . فالانتاج في بعض البلاد قد أربى على الاستهلاك بحيث أصبح عدد من الحكومات لا يرى طريقة لاجراء التعادل بين الانتاج والاستهلاك إلا باتلاف جزء كبير من الانتاج نفسه

وهكذا ترى العالم في بعض المناطق يشكو الفاقة والبؤس والعطل ، وتراه في مناطق أخرى يشكو التخمة ويعمل ما استطاع لا لزيادة الانتاج بل لاتلافه

ومن ذلك مايقع الآن في بلاد البرازيل

فقد دلت الاحصاءات الرسمية على أن حكومة البرازيل اتلفت منذ عام ١٩٣١ نزولا على أحكام سياستها الاقتصادية الراهنة ٤٨ مليون كيس من البن أي محصول عامين كاملين من هذه الزراعة ..

ومع ذلك فربات البيوت ماتزال اصواتهن ترتفع بالشكوى من ان أسعار البن قد ارتفعت الآن بنسبة ٣٠ في المائة

على أن الحكومة مازالت ماضية في سياسة الاتلاف معتقدة أنها خير وسيلة لعلاج هذه الحال وقد قررت فيما يتعلق بموسم عام ١٩٣٧ - ١٩٣٨ أن تشترى من الزارعين ٧٠ ٪ من محصول البن أي مايقرب من عشرين مليون كيس وأن تضيف اليها كية الفائض لديها من محصول عام ١٩٣٦ - ١٩٣٧

وأن تلقى بهذا كله في البحر ..

ويلاحظ أن البرازيل وحدها تنهج هذا النهج وتتبع هذه السياسة ، أما البلاد الاخرى فلا تشكو من أي فائض من محصول البن

وقد ترتب على ماتقدم ان أصبح الزارع البرازيلي لايجني البن إلا لتتلف الحكومة معظمه . وهذه الظاهرة الخطيرة في حياة البرازيل الاقتصادية دفعت بالساسة الامريكيين والاوربيين الى التفكير في عقد مؤتمر للبن أشبه بالمؤتمرات التي عقدت فيما مضى لبحث انتاج السكر والمطاط . وذلك للاهتداء الى طريقة تقر التعادل بين الانتاج والاستهلاك وتضع حداً لارتفاع أسعار البن وتقلباتها

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة « ليبوا »]

الى الشمس المشرقة

هيروهيتو امبراطور اليابان

هذا القوام الضئيل الناحل ، الذى لا يتجاوز طوله خمس أقدام وبوصتين ، ولا يزيد وزنه عن ١٣٥ رطلا ، هو الذى يقبض بيديه على زمام ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٦ يابانى و ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠ كورى و ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠ منتشيكى ، ويريد الآن أن يبسط سلطانه على ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٥٠ صينى

وهذا هو هيروهيتو الذى نسميه نحن امبراطور اليابان ، وتلقبه هذه الألوف المؤلفة بابن السماء وحفيد الشمس !

وليس امبراطور اليابان من طراز ملوك أوربا الحديثة ، الذين يملكون ولا يحكمون ، فان سياسة اليابان القومية ـ كما قالت الحكومة فى رسالة أذاعتها يوم اعتلى عرش بلاده ـ « تتمثل وتتلخص فى هذه الرسالة المقدسة التى ألقتها إلهة الشمس لحفيدها الامبراطور »

واليابان تخلع على امبراطورها شتى مظاهر القداسة ، فلا يجوز أن تمسه يد انسان ليس من رجال الحكومة . فحين يقوم الطبيب بجس نبضه مثلا يغطى يديه بقفاز . وحين يتلو موظفو الحكومة على الشعب أوامر الامبراطور يجب عليهم أن يولوا وجوههم شطر عاصمة ملكه طوكيو وأن يطأطئوا الرءوس قبل القائها تحية واجلالا . وإذا مر موكب الامبراطور فى طريق لم يجز لامرىء أن يقف على نشز من الأرض ، فتخلى سطوح المنازل وشرفاتها ، حتى عتبات البيوت الواطئة لا يسمح بالوقوف عليها . قيل ان عاملا صعد ذات مرة بناء عاليا ، وراح يخطب زملاءه يحضهم على الاضراب ، وأراد البوليس أن يقبض عليه ولكن العامل أبى أن ينزل رغم تهديدهم اياه باطلاق الرصاص عليه ، فلم يكن هناك من وسيلة ينزلونه بها الا أن يتظاهروا بأن الامبراطور قادم الى هذا المكان ، فاذا بالعامل يهوى الى الأرض سريعا ، لئلا يكون على مستوى أعلى من مستوى الامبراطور !

ومن الشائع فى اليابان أن لا يتوانى من يأتى أى عمل لا يرضى الامبراطور أن يكفر عنه بالانتحار . فقد حدث ذات مرة أن توانى أحد عمال السكة الحديدية فى افساح الطريق للقطار الملكى ، فتأخر الامبراطور عن موعد وصوله دقيقتين ، فما كان من العامل الا أن أطلق الرصاص على رأسه تكفيرا عن خطيئته وارضاء لابن السماء !

ويوم يتوفى امبراطور اليابان تدوى فى أنحائها أصوات النائحات ، لا حزنا على الامبراطور فحسب ، بل حزنا كذلك على كثير من رجال الجيش والحكومة الذين يجدون فرضا عليهم أن يلحقوا بامبراطورهم الى القبر . . .

وقد تعرض كثير من الدول لغضب اليابان أو عدائها ، لأن أفراداً منها أشاروا الى الامبراطور اشارة لا تتفق وما له في بلاده من حقوق القداسة . ففي سنة ١٩٣٥ قالت المجلة الصينية « الحياة الجديدة » ان امبراطور اليابان عالم أكثرمنه حاكم . ثم قالت عن « كانج تى » امبراطورمنشيكو إنه « العوبة تلهو بها العوبة » . فما كان من قواد الجيش اليابانى الا أن وجهوا أمرا الى قائد الصين « تشيانج كى تشك » يطلبون فيه ازال العقاب بمحرر هذه المجلة البذيئة . فقدم هذا الصحفي الى القضاء ، وسمح لأحد الضباط اليابانيين بأن يتتبع مجرى القضية التى انتهت بسجن الصحفي أربعة عشر شهراً . ثم صدر أمر أذيع على أربعمائة مليون نسمة يأمرهم « ألا يذيعوا بينهم كلة واحدة تمس شعور الشعب اليابانى » وحدث هذا مع مجلة « فانيتى فير » الأمريكية حين نشرت صورة هزلية تشير فيها الى أن امبراطور اليابان يريد الحرب ويعادى السلم ، فقد احتجت اليابان احتجاجا رسميا صارخا ، ولكن أمريكا اعتذرت بأنها لا تستطيع أن تحجر على صحافتها الحرة

على أن الامبراطور هيروهيتو قد خرج على كثير من تقاليد آبائه العتيقة . فهو أول امبراطور ذهب الى المسرح وشاهد التمثيل ، وأول امبراطور سافر خارج بلاده وطاف بأنحاء العالم الفسيح ، وهو أول « حفيد شمس » يرضى بأن يهز يد من يصافحه ، وبأن تلقى فى حضرته بعض الكلمات الفكهة ، وبأن يشارك سواه فى الألعاب الرياضية . ولم يسبقه ملك يابانى اختار زوجته بنفسه كما اختار هو الامبراطورة « ناجاكو » وقد خالف آباءه الذين كانوا يتخذون عدداً من السرارى ، واكتفى بزوجته التى أنجبت له طفلين فى الرابعة والثانية

والامبراطور هيروهيتو فى طليعة الملوك المثقفين . وهو يمضى شطراً من يومه فى دراسة العلوم ، وقد تبحر فى علم الحياة واستقصى موضوع الوراثة الجنسية على ضوء قوانين مندل

وهو ــ الى هذا ــ من أغنياء العالم البارزين . ففضلا عن مرتبه من الحكومة ، يملك ملايين الأفدنة من غابات اليابان ، تقوّم بزهاء ٦٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه . وهو يساهم فى أكثر الاعمال المالية الكبرى بشطر من « اسهمها وسنداتها » يبلغ مقدارها ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، موزعة على البنوك الكبرى وشركات البواخر والفنادق وغيرها . أما أملاكه من المبانى والمواشى فتضيف الى هذه الملايين ٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه أخرى . . . وهو الى جانب هذا يملك ــ لا نظريا فحسب وانما قانونا كذلك ــ اليابان كلها بمن فيها وما فيها

على أن الامبراطور قلما يتدخل فى سياسة حكومته ، وكثيراً مايعمل بمشورتها ، كما فعل حين أنب الجيش تأنيبا قاسيا على هذه الثورة التى قام بها سنة ١٩٣٦

ويجب أن نذكر هنا شيئا عن الجيش اليابانى ، فان تاريخ اليابان الحديث يتلخص فى جهاد هذا الجيش ليبسط سلطانه على شتى آفاق الشرق الأقصى

لايخضع الجيش فى اليابان لسلطة الحكومة كما يخضع لها كل جيش فى جميع البلاد الدستورية ،

فله الحق فى أن يعمل بغير ، أو ضد ، رأى الحكومة . وله أن يصرح بآراء فى السياسة الخارجية مستقلة عما تصدره الحكومة . وللجيش سلطة كبيرة فى تأليف الوزارة وعزلها ، لأن وزراء الحربية يعينون ويعزلون ، لا برأى الحكومة ، وانما برأى الجيش . ويتألف الجيش من ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ جندى و ٧٠٠٠ ضابط . على أن عدد من هم فى دور الجندية ، أى من السادسة عشرة الى الاربعين ، يناهز ٦٫٥٠٠٫٠٠٠

ويبدأ التدريب للجندية فى اليابان فى دور الطفولة . أى منذ سن السادسة على أنغام الموسيق والالحان والاناشيد . ويسلح الطفل بأداة خفيفة حين يبلغ سن الثانية عشرة ، ويعرض الاطفال فى مناورات العسكرية وهم فى هذه السن المبكرة . ويدخلون الجيش فى سن السادسة عشرة ، بينما تقوم الفتيات حينذاك بتعلم طرق الاسعاف والتمريض

ومستوى الجيش المعنوى يفوق مستوى سائر الجيوش . ولكن معداته الحربية لم تتقدم كثيرا منذ سنة ١٩١٨ ، كما أن موارده لاتمكنه من أن يصمد طويلا ، والحرب القائمة الآن بين الصين واليابان ، كالحرب التى قامت بين ايطاليا والحبشة ، الوقت فيها عدو المحارب ، فان استطاع أن يصبر طويلا ليحتمل الصدمة الاولى كسب المعركة ،واذا وفقت الصين الى احتمال هجوم اليابان عامين فمن المحتمل أن تندحر عدوتها وترتد على أعقابها [خلاصة مقالة من مجلة « باريد »]

ما هو الوحى ؟

رأى طائفة من كبار الكتاب والنقاد

يقول أفلاطون على لسان سقراط ان ليست هى الحكمة التى تهدى الشاعر أو الكاتب أثناء القيام بعملية الخلق والابتكار وانما هو ضرب من العبقرية أو نوع من الوحى الالهى

والشاعر أو الكاتب فى عرف سقراط هو رجل أشبه بالساحر أو العراف كثيراً ما تصدر عنه أشياء رائعة لا يستطيع هو نفسه تقدير مدى روعتها وصدقها

وقد جمع الأديب « هانن سوافر » عدة ملاحظات طريفة أبداها عدد من كبار الكتاب عن موضوع الوحى وأثره فى حياتهم الأدبية . واليك بعض هذه الملاحظات :

قال الروائى الانجليزى جون جولزورثى :

« من عادتى الجلوس الى مكتبى وسيجارتى فى فمى والورق الأبيض أمامى أحاول ان أكتب فلا أجد شيئاً . . . نعم أشعر برأس مبلد فارغ وأركض خلف الافكار فلا أستطيع العثور على

فكرة واحدة منها فيتملكني شبه يأس ، ولكنني أقاوم الضجر وأنتظر وقد زايلني كل أمل في عبقريتي وبدأ اليأس الفظيع ينهش فؤادي

«وعلى حين فجأة يخيل الى ان ذهني فارق المقعد الذي أنا جالس فيه ومضى يعدو مع شخصيات رواياتي ثم ارتد إليَّ واستحال الى كلم وجمل وعبارات وسرعان ما ينطلق معها قلمي على الورق من تلقاء نفسه

«وهكذا أظل ساعة أو ساعتين شبه محموم أكتب وأكتب وأنا لا أعي

«ولما يستولى على التعب فأهدأ وأتلو ما كتبت يتملكني نوع من الدهشة فلا أستطيع ان أصدق انى أنا صاحب هذه العبارات وان جون جوازورثى هو الذى كتب تلك الصفحات الجلية الشائقة . هذا هو الوحى الذى لا أعرف سره واعتبره نوعاً من الاتصال الصوفى بقوة الله»

وقال الروائى المسرحى الفرنسى فكتوريان ساردو :

« أستطيع ان أؤكد انى لست مؤلف المسرحيات التى تحمل اسمى . ان قوة غريبة عنى هى التى أوجدتها ، والواقع انى أعيش مع أشباح كبار مؤلفى المسرح القدماء ، وكلما أقدمت على وضع درامة جديدة طافت بى أشباحهم وتمثلتها أمامى واستقيت وحي منها ومن مخلفاتها

« والغريب انى عند ما كتبت رواية (الساحرة) كنت أرى شكسبير أمامى وأسمعه يتكلم ويضحك ويوحى الى أعمق الخواطر وأغرب المواقف والمباغتات . ولست أشك فى انى لا أستحق الشهرة التى فزت بها وفى ان مؤلفاتى هى فى الحقيقة مولدات غريبة أنتجها عقل رجل مجنون»

وقال الناقد الانجليزى شسترتون الشهور بنزعته الكاثوليكية :

« ورد فى التعاليم الدينية التى تلقيتها أيام صباى ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله . فانا أعتقد ان الوحى ما هو إلا لحظة من اللحظات التى تتفتق فيها الشخصية الانسانية ويبرز منها الجانب الالهى الكامن فى أعماقها

« وعندى أن الشاعر أو الكاتب كلما كان نقى النفس صافى القلب عف الضمير مؤديا واجبه الاجتماعى والدينى على الوجه الأكمل ، كان أقرب الى استنزال الوحى على نفسه لقربه من الذات العلية مبعث كل وحى وإلهام

«والدليل البالغ على ما تقدم ان الرسل والانبياء كانوا أكثر استعداداً لتقبل الوحى من الشعراء والكتاب . بل ان الوحى كان يهبط عليهم فى كل لحظة ، أى فى الساعات التى أذاعوا فيها على الناس آيات الله وفى الساعات العادية التى كانت تتألف منها حياتهم اليومية الخاصة . فسهولة تقبل الوحى وسرعة الاحساس به وتوالى هبوطه وتجليه ، براهين لا تقبل النقض على أن الوحى جوهر الهى كامن فينا ، جوهر يزداد ظهوراً وتألقا كلما ازداد الانسان اقترابا من الله وتوغلا فى حياة التجرد والتأمل الروحانى »

[ملخصة عن مجلة « لو »]

الذين يسمعون بأعينهم

كيف يتعلم الصم استماع الكلام

فارق كبير بين من يولد فاقداً حاسة السمع ، ومن يصيبه الصمم فى أثناء حياته . فذلك لا يدرك أن ثمة شيئا ينقصه ، وأن سواه يزيد عنه حاسة خامسة . أما هذا فانه يعيش فى دنيا غريبة تضطرب فيها ذكرياته عن الأصوات العذبة الشجية أو العنيفة الصاخبة التى سمعها فيما مضى . على أن كل أصم حين يرى شفاه الناس تتحرك ، يريد أن يعرف ماذا تسفر عنه حركتها هذه ، أى ما هى الألفاظ التى تخرج من بينها

وقد انشئت معاهد شتى لتعليم الصم كيف يفهمون حديث الناس ، بملاحظة حركات شفاههم حين تخرج الألفاظ . أى لتمكنهم من أن يستعيضوا ـ بأعينهم ـ عن آذانهم التى فقدت حاستها . وأهم هذه المعاهد ما أنشأه « ادوارد نيتشى » فى أمريكا

أصيب هذا الرجل بالصمم فى حداثته ، فلما استعصى عليه البرء من عاهته رأى أن يتخلص من حياته . وكان هذا سنة ١٨٩١ حين كان فى الرابعة عشرة . ولكنه عدل عن فكرة الانتحار ، ورأى أن يعمل جهده على تخفيف وطأة الصمم على من منوا به . فبعد أن أتم تعليمه الجامعى متفوقا ، ذهب الى نيويورك حيث تعلم « القراءة بواسطة الشفتين » ثم أنشأ مدرسة لتعليم هذه القراءة بطريقة سهلة يسيرة يمكن للاطفال أن يفهموها . ولم تلبث للمدرسة أن اجتذبت اليها مئات الصم من جميع الطبقات ، وقام نيتشى بحض تلاميذه الاغنياء على القيام بنفقات تلاميذه الفقراء . وقد مضت الآن خمس وعشرون سنة على تأسيس هذه للمدرسة التى صار لها فروع فى شتى أنحاء أمريكا ، والتى تعد محور « الحياة الاجتماعية » لآلاف الصم وضعاف السمع

وتشرف على هذه الحركة « جمعية ضعف السمع بنيويورك » ولها ادارة جميع من فيها من مدرسين وموظفين ـ اللهم الا سكرتيرين ـ صم الآذان ، ومع هذا لا تسمع فى أرجائها صوتا عاليا ، ولا شخصا يحمل بوقا لتضخيم الصوت ، ولا ترى أحداً يطلب الى محدثه أن يعيد شيئا مما قاله . ذلك أنهم جميعا يتقنون ادراك كل لفظة بمراقبة حركة الشفتين فى أثناء نطقها

وقد أشارت هذه الجمعية منذ عشر سنوات على ادارة التعليم بنيويورك ، أن تعنى بحاسة السمع فى تلاميذ للمدارس ، فان فى أمريكا زهاء ثلاثة ملايين تلميذ معرضون لفقد حاسة سمعهم اذا لم يدركوا بالوقاية والعلاج . ولكن ادارة التعليم لم تلق بالها الى هذا ، فقامت الجمعية ببيان ما تتحمله هذه الادارة من خسائر جسيمة بسبب اهمال هؤلاء الصبية المعرضين للصمم . فقد ثبت أن الطفل ضعيف السمع يتخلف عن زملائه عامين أو ثلاثة لانه لا يتتبع كثيراً من شروح المدرس ومناقشاته.

وكل تلميذ يكلف ادارة التعليم كل سنة زهاء ٣٠ جنيها . واذاً لو أنفقت ادارة التعليم بضعة آلاف من الجنيهات على علاج تلاميذها من ضعف السمع أو من عاهة الصمم ، لادخرت آلافا وآلافا تضيع هباء.

واقتنعت ادارة التعليم بهذا ، فبدأت سنة ١٩٣٤ باجراء اختبار لقوة السمع فى مليون تلميذ وتلميذة ، فخرج منهم ٨٠٠٠٠ نسمة قوة سمعهم أقل من المتوسط . فوضعت عشرة آلاف منهم تحت العلاج الطبى ، وأرسلت تسعة آلاف آخرين الى مدارس انشئت لتعليم القراءة بواسطة الشفاه . . .

وطريقة هذه القراءة أن يحرك المدرس شفتيه باللفظة دون أن ينطقها . ويراقب الأصم هذه الحركة عدة مرات حتى يحفظها ، كما يحفظ من يسمع تركيب حروفها وكيفية نطقها . ويبدأ المدرس باختيار الألفاظ البسيطة المتشابهة مثل : باب ، ناب ، غاب ـ دال ، ذال ، سال ، وبعد ان ينطقها عدة مرات ، يبدأ التلاميذ بنطقها معا بصوت مرتفع ويراعى المدرس فى اختياره الألفاظ ان أكثر حروفها تظهر فى حركة الشفتين

ولكن هذه الطريقة لاتمكن الشخص من أن يفهم كل كلة ، لان ٥٥٪ من جميع الأصوات لا أثر لها فى حركة الشفتين ، لانها تصدر من الحلق أو من جوانب الفم . على أنه اذا استطاع الأصم أن يفهم الأصوات التى تأتى بها حركة الشفتين ، أمكنه أن يفهم الباقى بتتبع سياق الحديث

على أن هذه المدارس لا تقوم فقط بتعليم الصم وضعاف السمع كيف يدركون الحديث. وانما هى مركز النشاط الاجتماعى لهذه الطبقة . فهى تسعى الى ايجاد أعمال لهم تلائم تكوينهم هذا . وقد ثبت أن هذه الفئة أصلح من سواها لاداء الأعمال التى تحتاج الى تركيز التفكير والابتعاد عن الضوضاء ، كالاعمال الكتابية ، والاحصائية ، والعمل على الآلة الكاتبة ، بل ان كثيراً من الناس ما كانوا يوفقون الى أداء أعمالهم لولا أن بهم شيئا من ضعف حاسة السمع . وقد قالت احدى المشرفات على هذه المدارس : إن من أصيب بفقد أو ضعف سمعه اذا وجد من يعطف عليه ويستخدمه ، قدر له هذا العطف فكان أخلص اليه من سواه . وهو يتجنب الاطالة فى الحديث وقد يظل طول الوقت صامتا ، فلا يضيع من وقت العمل شيئا فيما لا يجدى . وهو يعمل دائما على نسق واحد ، ولا يحب ، أو لا يستطيع ، أن يغير ويحور فى طريقة العمل ، وهذه ميزة حسنة تجعل مجرى العمل مطرداً فى طريقه . ثم هو مضطر الى أن يعمل بعينيه عمل العينين والأذنين معا ، وهذا يرهف حاسة بصره ويجعله أدق ملاحظة وأكثر انتباها

[خلاصة مقالة نشرت لرسل أوين فى مجلة « فورم »]

لذة الرجل أن ينسى نفسه

فيحاول اضعاف شعوره ليغيب عن رشده

لذة الرجل أن ينسى نفسه ، ولذة المرأة أن تتنبه الى نفسها . فما يتمنى الرجل أكثر من أن يضعف شعوره بنفسه فترة ما ، يغيب في أثنائها عن رشده الواعي . وما تسعى المرأة إلا الى كل ما يوقظ شعورها ويرهفه ، لتدرك نفسها وتعي ما حولها . ولهذا ترى كثيراً من الرجال يسرفون في شرب الخمر ، التي تغيبهم عن رشدهم حينا ما ، بينما النساء عامة يعفن الخمر ، لأنهن يردن أن يبقى شعورهن صاحيا متيقظا يدرك كل ما يجرى

ابحث عن الأوساط التي يسعى اليها الرجل ، والهوايات التي يتخذها ويمارسها ، تجد أنها انما تستبد بشعوره وتستأثر به ، فيبقى غير شاعر بنفسه ، غير منتبه الى ما يجرى فيها وحولها

فمن الهوايات التي يمارسها الرجل عادة الألعاب الرياضية ، لا لأنها تقوى صحته أوتنشط بدنه ، بل لأنها تمكنه من أن ينغمس فيها الى حد ينسى عنده نفسه . تراه واقفا أمام المنضدة ، وقد ارتسمت على محياه أمارات الجد والكد ، وتركز كل شعوره في كرة أو عصا مثلا ، ولم يعد سواها يستحق أية لفتة أو اشارة منه ، لماذا هذا كله ؟ أليتفوق على خصمه ؟ أليظفر باعجاب من يراه ؟ كلا ! بل لينصرف كل شعوره عن نفسه الى ما أمامه ، فينسى كل مايضطرب في نفسه من عاطفة واحساس ، ذلك أنه كلما استطاع أن ينسى نفسه وما يجرى فيها ، اقترب الى السعادة التي ينشدها

ونرى الرجل يسعى الى الحفلات والولائم ، والمرأة ليست اقل منه سعيا الى هذه الأوساط ، ولكن لكل منهما قصداً وغاية . فهو يريد أن ينسى هناك نفسه ، وهي تريد أن تعرض نفسها . فبعد أن يحتسى الرجل كأسا أو كأسين من الخمر ، يغيب عن وعيه شيئا ما ، فيفارقه هذا التهيب الطبيعي من المرأة ، ويروح يلقى نظراته على الاعناق والصدور والسواعد العارية ، ويروح يتخيل نفسه سلطانا يمتلك « حريما » عامراً . وتدرك في نظراته ولفتاته أنه يقول لكل امرأة تعجبه في هذا الحفل :

— ألا تعرفين من أنا ؟

مع أنه لو كان متيقظا الى نفسه لعرف أن هذه السيدة التي ينظر اليها في كبرياء وخيلاء ، لو انفرد بها في غرفته لجعلته يرتعد أمامها كما يرتعد التلميذ أمام مدرسه القاسي

أما المرأة فشديدة التنبه الى نفسها . تشعر أن شعرها جميل فتحاول أن تبرزه لكل عين ، وأن يديها غير بضتين فتحاول أن تخفيهما . وترى قوامها رشيقا معتدلا ، فتقضى أكثر الحفلة واقفة

لا جالسة . ولا عمل لها طول الحفلة الا أن تقارن وتوازن بين نفسها ومن حولها وتظل دائما أبداً تسائل نفسها :

الى من ينظر الرجال وعمن يعرضون ؟ أى الملابس تجتذب الأنظار وأيها لا تلفتها ؟ ما هو مركزها فى هذه الحفلة ، وهل يرتفع عن مركز سواها أم ينحط عنه ؟

ولكن الرجل لن يفكر فى أثناء هذا فى أن يقارن بينه وبين الحاضرين فى طول القوام ، وعرض المنكبين ولون البشرة ، وزى الملابس وهو يشعر بنفسه جملة واحدة لا جزءاً جزءاً . فلا يحاول أن يظهر بعضه ويخفى بعضه . بل هولا يفكر فى أن يقبله الناس أو يرفضوه . لأنه فى الواقع قد غاب عن وعيه ، ولم يعد هناك من صلة بينه وبين الآخرين

وترى الرجل فى حفلة كهذه اذا تنبه شعوره الى ما لا يرضيه ، لم يحاول اخفاء انقباضه واكتئابه أمام الآخرين ، ولو كانوا ضيوفا فى بيته . ذلك أنه حين نسى نفسه لم يعد يعنيه أن يظهر أمام الناس فى صورة مستحبة أو مكروهة . أما المرأة فتتظاهر بفرحها وابتهاجها رغم كل ما يحدث ، لأنها متنبهة الى نفسها تريد أن تعرضها فى أحسن صورة ، ولو أنها تتحمل فى سبيل هذا ما تكره

الرجل يسعى دائما لأن ينسى نفسه ، بأن ينغمس فى العمل ، أو الخمر ، أو المرأة ، أو الموسيقى أو الرياضة ، أو الحب ، أو الدين . . ولهذا كان من الرجال ـ لا من النساء ـ الفنانون ، والعلماء والفلاسفة ، والانبياء ، والشهداء . أولئك الذين يستطيعون ان ينسوا انفسهم ويغيبوا عنها

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة « هاربر » بقلم الكاتبة القصصية سوزان ايرتز]

وحى مكيافيلى

يسيطر على سياسة العصر الحاضر

كان مكيافيلى من كبار المفكرين السياسيين فى عصر النهضة ، وقد لازم الطاغية قيصر بورجيا وأوحى اليه بعض تعاليمه وأودع هذه التعاليم كتاب « الامير » وكتاب « خطاب تيت ليف »

ولا شك ان هذه التعاليم أحدثت أبلغ الأثر فى عقول معظم الساسة فى العصر الحاضر ، بل هى الوحى الذى يستمدون منه مختلف الأساليب السياسية المتعلقة بنظام الدولة وغاياته واتجاهاته

ولكن ما هى تعاليم مكيافيلى وما هى الأصول والقواعد التى تنهض عليها ؟

فى وسعنا أن نلخص تلك التعاليم فيما يلى :

يرى مكيافيلى أن كل سياسة لا تقوم على الحقائق العملية هى سياسة محكوم عليها بالفشل الذريع . وهو يبشر فى إيمان وحماسة بالمبدأ المعروف من أن الغاية لا تبرر الواسطة فحسب بل

تتطلبها وتدعو اليها وتفرضها على السياسى العملى فرضا . فاذا كنت سياسيا وكانت غايتك ترمى الى ربح استعمارى مثلا فلك أن تستخدم جميع الوسائل كائنا ما كانت لتفوز بهذا الربح

ويرى مكيافيلى ان هذه الوسائل هى قوة السلاح وقوة العقل وقوة الدهاء . وأن العمل بهذه الوسائل يستلزم من الرجل السياسى الصحيح ألا يحفل كثيراً بقوانين الآداب والشرف

ففضائل الأفراد التى تنصح لهم باتباعها كالاستقامة الروحية والبعد عن النفاق والكذب وعدم استخدام العنف هى بالنسبة الى الرجل السياسي رذائل يؤدى العمل بها الى تقويض صرح الدولة

وأما غاية الدولة فى نظر مكيافيلى فهى الطموح والتوسع والغنى ومحاولة تحقيق عناصر القوة والسلطان هذه بواسطة غرس مبادىء الطاعة العسكرية فى نفوس الشعب واجبار أفراده عند الاقتضاء على التضامن التام فى سبيل مصلحة الدولة ولو باستخدام القوة

وهذا ما يفسر لنا سر اعجاب موسولينى بمكيافيلى واتخاذه من هـذا المفكر الايطالى استاذاً له ومحاولته اقامة صرح الدولة الايطالية الفاشستية على قاعدة سياسة مكيافيلى

وقد يتساءل القارىء عن الدوافع الأولى التى تكونت منها شخصية مكيافيلى ، وعن الأسباب الاجتماعية والسياسية التى أوجدت ذلك الداهية ودفعت به الى تركيز مبادئه على الدعائم التى ذكرنا . ونحن نجيب على ذلك بقولنا ان مكيافيلى كان يعيش فى عصر قوة وجرأة وبسالة واقدام ، وان ايطاليا فى عصره كانت ممزقة تنتابها أيدى الدول الأوربية وتغزوها فى الحين بعد الآخر جيوش فرنسا واسبانيا . فنشأ من ذلك فى ذهن مكيافيلى وفى أذهان قيصر بورجيا والبابا جول الثانى والبابا اسكندر السادس حلم الوحدة الايطالية . ولما كان هذا الحلم قد بدا مستحيل التحقيق فى ذلك العصر بدون القوة وبدون البطش بالجمهوريات الايطالية المتنافرة وسحق الغزاة الاجانب فقد تشبع مكيافيلى بروح العنف وبمبدأ الغاية تبرر الواسطة وبفكرة وجوب ارغام أفراد الشعب الواحد على التضامن ولو بالقوة فى سبيل انشاء دولة عظيمة متماسكة [ملخصة عن مجلة « ليوا »]

شعب يعيش فوق الماء

في عرض المحيط الهادي بين آسيا واستراليا ، عدة سلاسل من الجزر المرجانية ، تسكنها أقوام فطرية تحيا حياة ساذجة بسيطة . وأهم هذه السلاسل الجزرية سلسلة « تواموتو » أو « بوموتو » التي تتألف من زهاء خمسين جزيرة طولها ١٣٠٠ ميل ، ومساحتها ٣٣٠ ميلا مربعاً . ولا يجاوز عدد سكانها أربعة آلاف نسمة يعيشون على أكل الثمار التي تكثر عند شواطئها . ومن طريف مشاهد الحياة في هذه الجزر أن البيوت لا تقام على سطح الأرض ، وإنما فوق البحيرات والخلجان ، على قوائم من جذوع الأشجار . فهي بيوت فريدة في نوعها ، لأن جميع الأمم تبني بيوتها ، منذ القدم ، على وجه اليابسة لا على سطح الماء . ولا تزيد هذه البيوت في هذه الجزر عن أكواخ من الغصون والحشائش ، تعصف بها الأعاصير العاتية التي تهب هناك بين شهري نوفمبر ومارس . وقد اكتشف هذه الجزر الرحالة الاسباني « بدرو فيرناندي كويرو » سنة ١٦٠٦ ، وقد ضمتها فرنسا الى أملاكها منذ سنة ١٨٤٤ ، وهي تشتمل غاباتها الغنية بأشجار « جوز الهند » ولكن الجزيرة فقيرة في حيوانها ، وأكثر هذه الحيوانات « الفئران » . ولا يعرف أهلها الزراعة ، ولكنهم يربون كثيراً من الطيور المنزلية كالدجاج والحمام . وترى هنا صورا لما في هذه الجزر من قرى وبيوت أقيمت فوق البحيرات والخلجان التي تفصل بينها



منظر عام لقرية في جزائر بوموتو أقيمت فوق احدى البحيرات ، على قوائم من جذوع الاشجار

تقدم العلم والعالم

ليست الحرب من طباع الانسان

رأت « جمعية البحوث النفسية فى المسائل الاجتماعية » — وهى جمعية مؤلفة من أساتذة علم النفس والاجتماع فى جامعات امريكا ومعاهدها الكبرى — أن تحتفل بعيد الهدنة احتفالا علميا ، فطرحت أمام مئات من الباحثين فى المسائل النفسية هذا السؤال : « هل للحرب دافع نفسى لايمكن مقاومته » . فأفق أكثر من ٩٠ فى المائة بأن دراساتهم وتجاربهم اثبتت لهم أن الحرب ليست طبعا من طباع الانسان ، وأن غرائزه ليست هى التى تدفعه الى الحرب

فأصدرت الجمعية بيانا للرأى العام ، ضمنته القرار الذى انتهى اليه هذا الاستفتاء نقتبس منه هذه الفقرات :

« نحن علماء النفس نحتج أشد الاحتجاج على هذا الرأى الشائع الذى يقول ان الحرب نتيجة محتومة تؤدى اليها طبيعة الانسان ، فان هذا الرأى لا يستند الى أى أساس علمى ، وليست هناك أية قرينة تؤيده

« والى هؤلاء الذين يزعمون أن غرائز الانسان هى التى تقيم الحرب نوجه هذا السؤال: غرائز من هى التى تؤدى الى الحرب : غرائز الجنود الذين يحاربون ، أم غرائز الذين يوجهون سياسة العالم توجيها يؤدى الى الحرب؟ ان الناس يخلطون فى الأمر خلطا حين يقولون ان الحرب بين دولتين تشبه شجاراً بين فردين، ففى هذه الحالة يعرف كل فرد لماذا يتشاجر ، وفى وسعه أن يمتنع عن الشجار اذا تبين له أن الأمر لا يستأهله . ولكن فى تلك الحالة ثبت لنا أن أولئك الذين يحاربون لايعرفون السبب الحقيق الذى اندفعوا من أجله الى المعمعة ، وأنهم يسيرون مدفوعين بصيحات الدعوة «البروباجندا» التى تتألف غالبا — كما ثبت لنا — من أكاذيب وافتراءات

« وهب أن الحرب تشبه شجاراً ، فانا ما زلنا نسأل : أيتسامح المجتمع مع من يريد أن ينهى نزاعه مع سواه بيديه ؟ . كلا ! . ولهذا وضع البشر القانون ، وانشأوا المحاكم ، بدلا من تلك الطريقة البدائية التى تقول ان « العين بالعين » ، وما من أحد منا يستنكر أن تقوم هذه القوانين والمحاكم مقامه فى علاج كل نزاع بينه وبين الآخر على غرض أو رأى ، واذن فلماذا نصر على أن طبائعنا وغرائزنا يجب أن تطلق لتؤدى الى الحرب »

وبعد أن ذكر البيان ازدياد نسبة الجنون والخبل ، والامراض العصبية ، والأزمات الخلقية عقب الحرب الكبرى قال : « يمكن أن تبطل الحرب ، متى عرفنا كيف نقاوم الدعوة التى يبثها من يريدون أن تنشب الحرب ، ومتى عزمنا على أن نترك أمر الخلافات الدولية للتحكيم ، كما نترك أمر الخلافات الفردية للقضاء »



الجزء الأعلى من بيت في جزيرة بوموتو . وفيه تبيت الأسرة معرضة للامطار والرياح ، وأفرادها عراة الا من غلالات رقيقة

بيت من بيوت جزائر « بوموتو » وهو كوخ ساذج أقيم فوق الماء بعيدا من اليابس

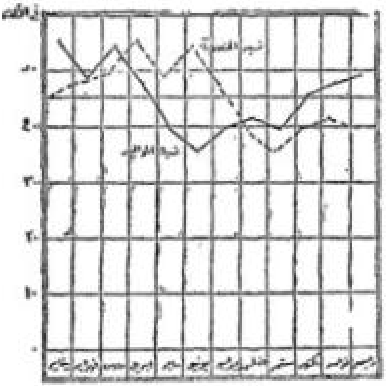


أثر فصل الربيع فى المرأة

الطبيعة تنظم النسل المصرى

ألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل بك ، أستاذ علم الصحة بكلية الطب ومفتش صحة مدينة القاهرة ، محاضرة تحدث فيها عن أثر الطبيعة فى تحديد النسل وتنظيمه قال فيها :

« كنت منذ نحو ١٥ سنة أدرس بعض الاحصاءات الصحية المصرية ، فصادفتنى ظاهرة عجيبة رأيتها فى نسبة المواليد ، ولم أكن أتصور وجودها . ذلك أنى رأيت أن المواليد يزيد عددهم فى موسم خاص من كل سنة ، أى فى



رسم بيانى يوضح هذه الظاهرة

أشهر ديسمبر ويناير وفبراير ومارس ، فترتفع النسبة فى تلك الأشهر كل عام ثم تنخفض بعدها بشكل ظاهر

« وقد عجبت من ذلك ، لأنه إذا كان ارتفاع الوفيات مثلا فى موسم خاص ، وهو فصل الصيف فى بلادنا ، امر مفهوم ، لأن ذلك الفصل هو فصل النزلات المعوية التى تحصد ألوف الأطفال ، وإذا كان للامراض المعدية مواسم ترتفع فيها بشكل أوبئة لملاءمة الأحوال الجوية أو الاجتماعية لها أو للحشرة الناقلة ، كالملاريا فى الخريف مثلا بسبب البعوض ، أو التيفود فى الصيف بسبب الذباب ، فان نسبة المواليد بعيدة عن مثل ذلك لأن الحمل ينتج من اتصال الرجل بزوجته وهو اتصال فى الغالب دائم على وتيرة واحدة طول السنة

« وحيث ان الولادة نتيجة الحمل ، والحمل يحدث قبل الولادة بتسعة أشهر ، فلا بد أن هناك أربعة أشهر أخرى فى السنة يكون فيها النساء أهلا للحمل أكثر منهن فى سواها . وقد اتضح أن أشهر زيادة الخصوبة فى النساء هى مارس وابريل ومايو ويونيو — أى فى فصل الربيع ، فصل توالد النبات والأزهار

« ولا يمكن اذاً الفرار من الاستنتاج أن للطبيعة في نساء مصر على الأقل — إن لم يكن فى رجالها أيضا — تأثيراً سريا لا يشعر به أحد ، وهو أنها تجعلهن أكثر خصوبة فى موسم ، وأقل خصوبة فى موسم . فكيف نجحد اذاً النظرية القائلة إن للطبيعة شأنا فى تحديد النسل وتنظيمه »

الحضارة الصينية

من الاعتقادات الشائعة بين الناس ان الحضارة الصينيه هى من أقدم حضارات البشر ان لم تكن أقدمها . ومن النظريات التى تؤيد هذا الاعتقاد النظرية القائلة ان انسان « بكين » الذى عثر العلماء على أحافيره فى الصين هو أقدم انسان ظهر على وجه الأرض . على أن بعض العلماء الألمان يزعمون أن الحضارة الصينية أحدث عهداً من الحضارة المصرية والبابلية بكثير ، وانما تمتاز تلك بثباتها على أحداث الدهر حالة كون حضارة المصريين والبابليين انقرضت بسبب كثرة الحروب والغزوات

ومما يجدر بالذكر ان المنطقة التى كان يعيش فيها انسان بكين ، هى اليوم احدى الساحات التى يجرى فيها القتال بين الجيوش الصينية والجيوش اليابانية

عمر الارض

يختلف عمر الكرة الارضية باختلاف الطرق التى يستعملها العلماء لتقدير ذلك العمر. وأحدث ما اهتدوا اليه هو النشاط الرديومي لعنصر الارض. وقد استخلص العلماء منه ان عمر الكرة الارضية لا يزيد على ثلاثة آلاف مليون سنة ، وهو تقدير يختلف عن جميع التقديرات السابقة ولكن له فى نظر العلماء ما يسوغه

هل تغلب الطب على التهاب الرئتين

يعلم القراء أن ضحايا مرض النومونيا أو التهاب الرئتين يبلغون مئات الألوف فى كل عام . ومع أن الطب قد اكتشف عدة وسائل لمكافحة هذا الداء إلا أنه لم ينتصر عليه الانتصار الحاسم حتى الآن . وقد أشرنا فى أحد أجزاء «الهلال» الماضية الى مستحضر كيميائى جديد يسمى «سلفانيلاميد» ، وقد اشتهر باسم «بروتنوسيل» وهو يقتل جميع الجراثيم من نوع «الستربتوكوك» ومنها جراثيم الصنف الثالث من مرض التهاب الرئتين . وقد ثبتت فائدته بالاختبار

وفى المجلات الطبية الأخيرة أن مباحث بعض كبار الأطباء فى ألمانيا واليابان أثبتت أن بعض مركبات الكينا تفيد فائدة كبيرة فى مكافحة التهاب الرئتين . ولكن شوهد فى بعض الحالات أن لتلك المركبات أثراً رديئا فى حاسة البصر ، فأخذ معهد ملون بامريكا يسعى لتحسين بعض تلك المركبات . وبعد فحص ستة وسبعين مركبا منها توصل الى تحضير مركب جديد أساسه الكينا ، وأطلق عليه اسم « هيدرو كسيثلايو كيوبرين » (Hydroxyeth lapocupreine) وقد جربته عدة مستشفيات فأسفرت التجربة عن خفض نسبة الوفيات بالتهاب الرئتين خفضا كبيراً وهذا العلاج أقراص تؤخذ بطريق الفم

غاز الهيليوم

غاز الهيليوم هو الغاز الذى يكاد يكون وجوده محصوراً فى الولايات المتحدة . وحكومة هذه الولايات تحظر اخراجه من بلادها لاستعماله في بناء المناطيد المسيرة خيفة بناء المناطيد لأغراض حربية . وهو أفضل من غاز الايدروجين للمناطيد لانه غير قابل للانفجار وقوته على رفع الأثقال تزيد عن ٩٢ فى المائة على قوة غاز الايدروجين . أى أننا اذا أخذنا كمية من غاز الايدروجين ترفع مائة رطل ، فان تلك الكمية نفسها من غاز الهيليوم تستطيع أن ترفع ١٩٢ رطلا

للخلاص من الجراد

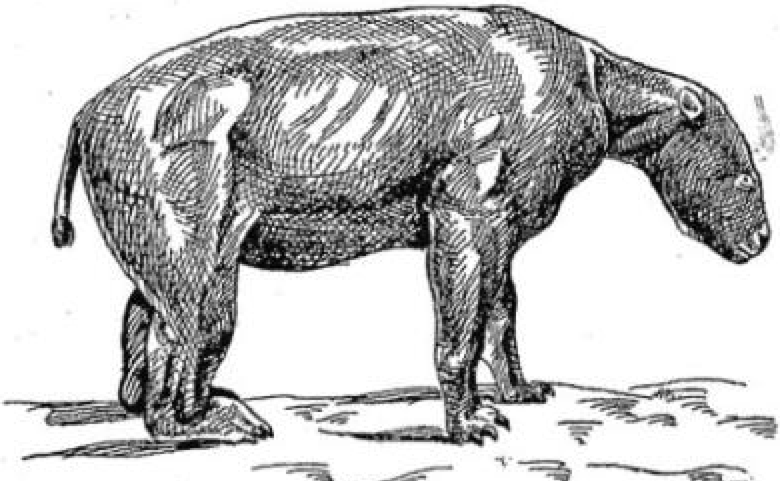
يؤخذ من التجارب الواسعة النطاق التى قام بها بعض العلماء الاميركيين أن الملح الانجليزى هو خير مادة يمكن استعمالها لمكافحة الجراد بجميع أنواعه ولا سيما النوع المعروف منه بالنطاط . وهو أفضل بكثير من مادة الزرنيخ التى تستعمل لهذا الغرض . وطريقة استعماله هى أن يصنع منه مزيج من ٦٠ — ٦٥ فى المائة من النخالة و١٥ فى المائة من العسل الاسود و ٢٠ — ٢٥ فى المائة من الملح الانجليزى ويضاف الى هذا المزيج قليل من الماء ثم يرش على الارض حيث يكثر صغار النطاط فيبيدها ابادة تامة

غاز النيون

هو الغاز الاحمر الذي يضيء ليلا في الاعلانات التي تكثر في الشوارع . والمعروف عن هذا الغاز أنه نادر في الكرة الأرضية ، ولذلك ترى في مختلف البلدان شركات قد أسست لاستثماره . على أن هذا الغاز النادر يوجد بكثرة هائلة في كثير من الشموس والنجوم التي تسبح في الفضاء وفي بعض السدم الساطعة المنتسبة الى نظام المجرة . والموجود منه في بعضها أكثر من الموجود من عنصر الاوكسجين في جو الكرة الأرضية

آلام الولادة

يلجأ بعض الأطباء الى تخدير الأم في ساعة الوضع لانقاذها من آلام الوضع . ولكن هذا التخدير مضر جداً ويؤدي الى عواقب وخيمة ، إذ كثيراً ما يؤدى الى تسميم الطفل وولادته ميتا . وفوق ذلك ان الام التي تضع طفلها ولا تشعر بآلام الوضع تفقد — على ما يقول علماء النفس — معظم حنانها عليه . وفي الواقع ان الطبيعة قد رتبت آلام الوضع لغاية سامية وهي غرس العطف والحنان في قلب الام



حيوان حزين قبيح عاش منذ ملايين السنين

ما أقبح هذا الحيوان وما أبأسه ! فان تركيب جسمه الغليظ ، والامارات المرتسمة على وجهه ، تدل على شتى مظاهر الغباء والبلادة والكآبة والدمامة . ولعل الرسام الذي تخيل صورته قد أسرف في تقبيحه . ولكن العلماء الذين كشفوا عن هيكله العظمى يرون أن هذا الرسم يلائم هذا الهيكل ملاءمة تامة . وقد عاش هذا الحيوان — الذي سموه « هومالودوتيرم » — في أمريكا الجنوبية في العصور الجيولوجية . وكشفت عن آثاره بعثة أوفدها أحد متاحف التاريخ الطبيعي بأمريكا . . وهو يشبه الى حد ما ثوراً صغيراً . ولعلنا لا نجد الآن حيوانا يجتمع فيه ما اجتمع في هذا الحيوان من قبح المظهر ودمامة الهيئة

كتب جديدة

على هامش السيرة

للدكتور طه حسين بك

مطبعة المعارف فى ٢٨٤ صفحة

لا يتيسر أن يدرك المرء كيف تنشأ هذه الآراء والعقائد الخطيرة التى تغير تاريخ الانسانية، وكيف تنفذ آثارها الى القلوب وتتأصل فى نواحيها، وكيف ينبسط ظلها على الآفاق وترسخ فيها دعائمها، مالم يفهم «البيئة» التى نشأت فيها، فهما شاملا أنحاءها الفكرية والدينية، وأنحاءها السياسية والاقتصادية، ليتبين هذه الوسائل التى تهيء لها وسائل الظهور والنضج والانتشار.

فقد يحير المرء أن الاسلام دين التوحيد، ينشأ فى مكة مركز الوثنية، ومع هذا لا يلبث أعواما حتى يغمر ضوؤه القلوب التى أظلمت دهراً طويلا، فاذا بأصوله تمتد من آفاق الجزيرة العربية سريعا، ثم تنفذ منها الى ما جاورها من الاقطار جميعا، فلا تنقضى سنوات حتى يقضى على الوثنية قضاء تاما، ويحل محلها الدين الذى لا ذرة فيه من الشرك بالله. ولكنه اذا درس ما كان يضطرب فى عقول الناس وقلوبهم من شتى آراء الشك والالحاد حينذاك، لفهم كيف وجد الاسلام ارضاً خصبة نما فيها، وآتى أكله عاجلا

وهذا الكتاب يصور هذه الحياة الفكرية القلقة المضطربة التى كان يحياها أهل الجزيرة العربية وما حولها من الأقاليم، حياة الشك فى الأديان القائمة والتطلع الى دين أصدق وأسمى، حياة التردد بين إذلال العقل والقلب للآراء القديمة السقيمة، ايثاراً للراحة والمتعة والعافية، وبين البحث عن الرأى الذى يقنع العقل ويرضى القلب، واحتمال ما تلاقيه النفس فى سبيل هذا من الأذى والعدوان، أو قل حياة النضال العنيف بين القديم والجديد، التى تؤذن دائما بانقضاء عهد فاسد، وابتداء عهد صالح

وهو لا يصور هذه الحياة تصويراً علميا يرجع الى الوثائق والأسانيد، وانما تصوير الأديب الفذ الذى يسبح خياله ويفكر عقله جنبا الى جنب، فتراه يرسم الشخصيات التى يجرى على لسانها أحاديثه، ومشاهد الحياة التى يعرض فى أثنائها تبلبل العقائد واضطرابها، رسما يمتزج فيه خيال الأديب وعقل المفكر معا. وهذا كله يجرى فى سياق رائع لا يدانى فيه الدكتور طه حسين، فهو أديب أوتى أوفى نصيب من دقة الحس، وسعة الخيال، وضخامة الثقافة

واذا كان الدكتور طه حسين محدثا بارعا فى نقاشه وجدله، فهو محدث أبرع فى هذا الحوار الشائق الذى يجرى فى فصول كتابه

ولا شك أن الدكتور طه حسين بكتابه الرائع «على هامش السيرة» قد غذى الأدب العربى الحديث بلون من الفن القصصى الرائع، فيه تحليل الشخصيات وتصوير المشاهد كأبرع ما يكون التحليل والتصوير، وفيه عرض للافكار الدقيقة الناضجة فى أسلوب ممتع شائق

المسألة الجنسية

لأوجست فوريل

ترجمة الدكتور صبرى جرجس

جزءان الأول فى ٢٨٠ صفحة
والثانى فى ٢٥٠ صفحة

الدكتور أوجست فوريل من أعاظم الرواد فى بحث المسائل الجنسية ، ودراساته الذائعة الصيت فى هذا الوضوع الخطير لا تقل أهمية وخطورة عن دراسات هفلوك اليس وكرافت ابينج وأمثالها . ويعتبر كتاب أوجست فوريل عن المسألة الجنسية الدعامة الأولى التى استند اليها معظم العلماء المعاصرين فى بحث مختلف الأعراض المتعلقة بالتناسليات من الوجهتين الفزيولوجية والاجتماعية

وقد أحدث هذا الكتاب أثراً كبيراً فى العلامة النمسوى سيموند فرويد الذى صرح فى رسالته عن (علاقة الشخصية بالحياة الجنسية) انه لاينفك يقرأ كتاب أوجست فوريل ويعتبره مرجعا لا يمكن أن يستغنى عنه أى طبيب

ولم يدع فوريل فى كتابه أى عارض من الأعراض الجنسية الفزيولوجية الا وأفاض فى بحثه وتحليله وشرح أسبابه . واليك أهم الموضوعات التى عالجها بأسلوب علمى دقيق ينهض على الملاحظة والاستقراء : التناسل فى الكائنات الحية ، الاختلاف بين الجنسين ، الحب والعواطف المنحدرة من العاطفة الجنسية ، الزواج والحياة التناسلية ، المسألة الجنسية وعلاقتها بالتربية والاقتصاد والفن

وقد أبدع المؤلف فى دراسة الأثر العميق الذى تحدثه الحياة الجنسية فى أنظمة الجماعة وتقاليدها وعاداتها فلم يكن طبيبا فحسب بل كان عالما اجتماعيا أيضا

وليس شك فى أن الشعوب الشرقية العربية أحوج ما تكون الى مثل هذا الكتاب الذى يلقى ضوءاً ساطعا على حياة الفرد الخاصة فينيرله السبيل المؤدية الى ضبط التوازن بين غرائزه الجنسية وبين الواجبات المطالب بتأديتها نحو المجتمع

وقد اعتاد البعض منا إسدال حجاب كثيف على المسائل الجنسية واعتبار بحثها أو الاشارة اليها خطراً على الأخلاق،ولكن الواقع يدل على أن الجهل بحقيقة المسائل الجنسية هو الخطر على الأخلاق . وما دام الطبيب يبحث تلك المسائل بحثا علميا تجريبيا محضا ، فلا خوف من أن يؤدى بحثه الى اثارة الغرائز أو افساد الأخلاق ، بل هو على النقيض يدفع بنا الى محاولة التحرر من غرائزنا والتسامى بها . وهذا ما يبدو واضحا فى كتاب أوجست فوريل الذى نقله الى العربية الدكتور صبرى جرجس فى أمانة مطلقة وفى أسلوب علمى بسيط فأدى بذلك خدمة جليلة لمصر ولشعوب الشرق العربى قاطبة

الوحدة السورية ومستقبل العرب

للاستاذ ادمون رباط

مطبعة مارسيل ريفيير بباريس . فى ٤٠٠ صفحة

الاستاذ ادمون رباط من النواب السوريين البارزين ومن أعمق مفكرى سوريا وأغزرهم ثقافة وأكثرهم توافراً على دراسة مختلف المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بحياة سوريا . وهو الى ذلك وطنى ملتهب العاطفة صادق الايمان يدعو الى الوحدة السورية

والى مستقبل مجيد لبلاده ولشعوب العربية جمعاء.
وقد وضع كتابه عن (الوحدة السورية ومستقبل العرب) باللغة الفرنسية لتنوير الاوربيين عامة والفرنسيين خاصة عن آمال ورغبات السوريين توثيقا لعرى التفاهم بين فرنسا وسوريا على قاعدة الحق والعدل وانصاف السوريين والحركة العربية

وقد عالج الاستاذ رباط فى كتابه موضوعات من الأهمية بمكان عظيم و هى (الأمة العربية) و (الاستقلال اللبنانى) و (الولايات المتحدة العربية) و(فرنسا فى سوريا) . وتوخى فى ابحاثه بساطة الأسلوب ووضوحه ودقة البراهين المستمدة من حوادث التاريخ الأخيرة، فجاء كتابه مرجعا لا يستغنى عنه كل سورى وكل عربى

ومن أروع ما ورد فى كتابه قوله : « ان وحدتنا الوطنية تنبثق من العروبة وتمتد وتترامى وتستقر فى الشرق العربى »

وأيضا : « ان الخطر الذى يهدد العمل الفرنسى فى سورية ويهدد افريقيا الفرنسية لا يكمن فى النهضة العربية بل فى محاولة خنق روح هذه النهضة »

أمثال العبارات المتقدمة تدلنا أبلغ الدلالة على قيمة هذا الكتاب وما يمكن أن يحدثه فى أوربا وخاصة فى فرنسا من تأثير نافع عميق

مجلة مجمع اللغة العربية الملكى

الطبعة الاميرية فى ٣٧٥ صفحة

أخرج مجمع اللغة العربية الملكى الجزء الثالث من مجلة المجمع فجاء حافلا بشتى الأبواب والمصطلحات اللغوية المستحدثة التى تعود ولا شك بأجزل الفوائد على كل قارىء عربى

وفى هذا الجزء من مجلة المجمع قرار هام عن طبع معجم المستشرق الألمانى الاستاذ فيشر وقرارات أخرى عن المعجم الاصطلاحى العلمى ووضع المعجم اللغوى الوسيط

وفى هذا الجزء أيضا طائفة من المصطلحات الجديدة فى الآداب والفنون وفى العلوم الطبيعية وفى علوم الأحياء لا غنى عنها لكتاب العربية وأدبائها وجميع المشتغلين منهم بالعلوم العصرية والمشتغلين بنقل آثار الفكر الأوربى الى لغتنا العربية

أناشيد دينية

للاستاذ محمود أبو الوفا

مطبعة مصر . فى ٢٥ صفحة

الاستاذ محمود أبو الوفا من أجزل شعراء مصر أسلوبا وأرقهم عاطفة وأعمقهم شاعرية . وقد استفاضت شهرته عندما أخرج ديوانى (أنفاس محترقة) و(الأعشاب) وقد ابتكر لأول مرة فكرة وضع أناشيد دينية عن الصلاة والصيام والزكاة وليلة القدر والحج والهجرة والمولد النبوى والاسراء ، فجاءت هذه الاناشيد الرائعة شبه باقة عاطرة يفوح منها عطر الاسلام

وتمتاز أناشيد الاستاذ أبو الوفا برقتها وسلاستها والعذوبة المترقرقة فيها وشيوع الايمان الدينى الصادق بين أبياتها مما يجعل تدريسها على الطلبة فرضا واجبا

وقد أبدع الشاعر فى وضع النشيد الدينى لجلالة الملك فاروق مما يدل أبلغ الدلالة على أن اخلاصه للذات الملكية الكريمة ينبع من اخلاصه للوطن والاسلام

مسبحة الصوفى

Le Chapelet d'un Mystique

للاستاذ راجى الراعى

مطبعة الجليل . بيروت . فى ٨٠ صفحة

يعرف القراء الاستاذ راجى الراعى من مختلف المقالات والكلمات المختارة الشائقة التى نشرها على صفحات « الهلال »

والاستاذ الراعى نبغ نبوغا ظاهراً فى الحكم الفلسفية والكلم المختارة المركزة التى يودعها خلاصة تجاريبه ونظراته الى الحياة . وهو أديب حساس دقيق الملاحظة ثائر النفس لا يكاد يقع على عاطفة غريبة أو فكرة خطيرة أو انفعال نفسانى عميق حتى يسرع الى تدوين تلك الفكرة أو ذلك الانفعال سالكا مسلك بعض كبار كتاب الغرب أمثال لاروشفوكو وجوبير وجان روستان

وكتاب (مسبحة الصوفى) هو طاقة من تلك الكلم المختارة وضعه المؤلف بالفرنسية فدل على معرفة واسعة بهذه اللغة لاتقل عن معرفته باللغة العربية وأسرارها

ومن أبدع ما فى الكتاب هذه الكلمات :

« ان التأمل يهىء الانسان للعمل

«أزهار الشجرة هى أحلامها تتحقق فى الثمار

«الحب يتمطى وينفصل ويتبدد فى القبلات

« ثبات الانسان فى عمله دليل على تحدى القدر »

وأمثال هذه الكلمات الرائعة فى الكتاب كثير ، ومنها يتضح للقارىء مبلغ المشقة التى عاناها المؤلف فى وضعها بهذه الصورة الدقيقة المركزة

المصاعب اللغوية والثقافية والاجتماعية

التى تعترض الكاتب العربى المعاصر ولا سيا فى مصر

للدكتور بشر فارس

مطبعة جوتنر باريس . فى ٢٢ صفحة

عرض الدكتور بشر فارس فى هذه الرسالة التى نشرتها باللغة الفرنسية مجلة الدراسات الاسلامية ، لموضوع خطير يصطدم به كل كاتب عربى معاصر وهو موضوع المصاعب المختلفة التى تعترضه وتقف عثرة فى سبيل انتاجه الفكرى

وقد أجمل الدكتور بشر فارس تلك المصاعب فيما يلى :

أولا — نقص المصطلحات العلمية والفنية والفلسفية الحديثة فى اللغة العربية واعتياد كتاب العرب فيما مضى على التهرب من دقة العبارة ونصوعها بحيث فشت فيهم ملكة الاستعانة بالمترادفات التى يغيب فيها الفكر الواضح السليم

ثانيا — شيوع التنميق فى الأدب القديم والبحث عن الغريب من الاستعارات والكنايات التى لا تنهض على أساس من الواقع

ثالثا — تضييق نطاق الحرية الفكرية من جراء تمكن الافكار والتقاليد القديمة من عقول بعض المحافظين

رابعا — المجتمع المصرى المتردد بين حضارتين

هذه هى أهم المصاعب التى تعترض فى نظر الدكتور بشر فارس الكاتب العربى المصرى المعاصر . والواقع أن الدكتور على حق فى نظرته ، وان كل من عالج الكتابة فى مصر لابد يدرك خطورة هذا الموضوع المتعلق بمستقبل ثقافتنا ، فعسى أن يترجم الدكتور بشر فارس رسالته الى العربية كى يتناولها أدباؤنا بالدرس والتحليل فهى مثار بحث شائق لجميع كتاب العربية

العواطف

للاستاذ محمد صالح بحر العلوم

مطبعة الراعي بالنجف . في ١٥٠ صفحة

يمتاز ديوان (العواطف) للشاعر النجفي محمد صالح بحر العلوم بنزعة اجتماعية اصلاحية تدل على عقل متحرر ونفس زاخرة بالمشاعر الانسانية . وتبدو نزعة الاصلاح مقترنة بعاطفة الرحمة في قصائد الشاعر عن (الحي المقبور أو فلاح القرية) و (ثورة الفلاح) و (الفلاح)

والواقع أن الاستاذ المؤلف يبذل قصاراه لتجنب الانقياد للروح القديمة في الشعر العربي ، وهو يبحث في ديوانه عن وحي جديد ، ويستمد هذا الوحي من حياة الطبقة العاملة ولا سيما طبقة الفلاحين . فهو شاعر شعبي النزعة يعرف كيف يتصل بريف بلاده ويتغنى به ويجيد التعبير عن شقاء أهله . وهذا العنصر الجديد في الشعر العربي يكسب ديوانه لونا طريفا حيا

شاعريات

للاستاذ عبد المجيد مصطفى خليل

مطبعة مصر . في ١٢٠ صفحة

قد يتسع النثر في بعض الأحيان لالوان من الفكر والخيال لا يتسع لها الشعر . ولا شك في أن مجال التفكير في الشعر ضيق محدود الا عند كبار الشعراء . أما في النثر فيستطيع الكاتب أن يجمع بين استفاضة التفكير وعمق التصور والخيال . وهذا التوفيق بين الخيال والفكر يتمثل في الشعر المنثور وفي كتاب (شاعريات) الذي وضعه الاستاذ عبد المجيد مصطفى خليل

ففي هذا الكتاب قصائد نثرية بديعة الحبك غزيرة المعنى تنم عن روح شاعر حساس وعقل مفكر مثقف . وأجمل هذه القصائد النثرية (جريمة حفار) و (الشاعر المصور) و (الراهبة الحسناء) وكلها تحمل طابع التصور الملتهب والعاطفة الشبوبة وقوة الاحساس بعظمة الكون وجمال الطبيعة

رسالتي

للاستاذ عيسى السفري

مطبعة مكتبة فلسطين يافا . في ١٢٦ صفحة

تتجلى في هذا الكتاب روح الشباب الفلسطيني وحماسته وتوقه الى الحرية ونزعته الى تشييد مجد قومي عربي ثابت الدعائم موطد الأركان

وقد تناول الاستاذ عيسى السفري في هذا الكتاب موضوعات اجتماعية ونفسانية خطيرة أهمها (أركان المجتمع) و (هدفنا في الحياة) و (الدين والعلم) وعالجها بأسلوب تقترن فيه دقة الملاحظة بمتانة العبارة في شيء من النثر الشعري الشائق الجميل

وفي الكتاب خلا هذا عدة أبحاث عن التجدد في ناموس الحياة وعن القيود الاجتماعية والتقليدية التي تعوق حركة التقدم ، وعن الخلاف بين القديم والجديد ، وقد وفاها المؤلف حقها من الدراسة والتحليل ودل فيها على ذهن متحرر وعقل صقلته الثقافة الحديثة

ومما يلفت النظر في هذا الكتاب أيضا بحث مستفيض عن جبران خليل جبران يذكرنا بالابحاث الطريفة التي وضعها الكاتب النمسوي ستيفان زفايج عن (تولستوي) و (نيتشه) و (دستويفسكي)

الأدب في شهر

ترجمة ابن خلدون الى البولونية

ظهرت فى عاصمة بولونيا ترجمة جديدة لمقدمة ابن خلدون ، وقد ورد فى التصدير الذى وضعه الناشر أن فى نيته العناية بنقل آثار عربية أخرى الى اللغة البولونية ولا سيما أشعار المتنبى وأبى العلاء ومجموعة من النثر العربى الحديث وبعض درامات شوق

ظاهرة سياسية غريبة

من أغرب الظواهر فى الحياة السياسية الفرنسية أن المسيو توريز سكرتير الحزب الشيوعى الفرنسى ألقى فى الشهر الماضى خطبة دعا فيها الكاثوليك الفرنسيين الى التعاون مع حزبه . وقد صرح بأن عدداً كبيراً من وجوه الكاثوليك قبل فكرة التعاون ورحب بها . والاهمية فى هذا النبأ أن فريقا من أدباء فرنسا الاحرار قد أيدوا فكرة التعاون وأذاعوا نشرة قالوا فيها ان هذه الحركة لو تحققت فستعدل من تطرف الافكار الشيوعية وتصبغها بصبغة ديموقراطية مقبولة وتوفق آخر الامر بين روح الاشتراكية وروح الدين

انذار لأوربا

وضع الكاتب الألمانى الكبير توماس مان الحائز لجائزة نوبل فى الآداب كتابا بالعنوان المتقدم أحدث ضجة كبيرة فى الأندية الاجتماعية والسياسية فى فرنسا وأمريكا وانجلترا. وقد دافع توماس مان فى كتابه دفاعا حارا عن حرية الفكر المنتهكة فى ألمانيا بلاده ووطنه ، ووجه الى الدول الأوربية انذاراً خطيراً يتعلق بحياتها وكيانها السياسى ومستقبل ثقافتها . ومما قال فى هذا الكتاب الرائع ان شعوب أوربا ولا سيما فى ألمانيا وايطاليا قد استعاضت عن مبدأ الحرية الفردية وعن حق الفرد فى انتقاد أعمال الحكومات وتصرف رجال السياسة ، بمبدأ الخضوع الأعمى لمجموعة أفكار وتعاليم يفرضها الديكتاتوريون على سواد الشعب ويجعلون منها شبه عقائد دينية لا تقبل الجدل

ويرى توماس مان أن الجماهير فى ألمانيا وايطاليا أصبحت مصابة بمرض أطلق عليه اسم (نشوة الطاعة) ، وان هذا المرض أفقد تلك الجماهير استقلالها الشخصى ، وقضى على مواهبها الوراثية ، وأجهز على حرية الفرد المقدسة التى أعلنتها الثورة الفرنسية ، وجعل تلك الجماهير مهيأة فى أية لحظة لاضرام نار حرب عالمية هائلة

ويقترح توماس مان فى مقال نشرته صحيفة أسوجية عقد مؤتمر من كبار ساسة أوربا لتقرير واجبات الفرد وحقوقه تجاه نظام الدولة وتجاه السلطات المطلقة التى يتمتع بها بعض الزعماء فى الأمم الفاشستية

وتقول الصحيفة الأسوجية المشار اليها ان وزير خارجية أمريكا المستر كوردل هول وافق على فكرة عقد هذا المؤتمر

وفاة مؤرخ كبير

توفى المؤرخ الفرنسى المشهور المسيو ايلى فور. وكان من الاخصائيين فى دراسة تاريخ اليونان والرومان . وله مؤلف ضخم عن تاريخ الفن فى العالم يقع فى أربعة مجلدات ويعتبر مرجعا عظيما فى هذا الموضوع ، وقد توجت الأكاديمية الفرنسية هذا الكتاب ومنحت صاحبه جائزة مالية كبيرة .

ويلاحظ ان فى دار الكتب الملكية المصرية نسخة من كتاب تاريخ الفن يمكن أن يطلع عليها وينتفع بها كل من يهتم فى مصر بالفنون وتطورها عند مختلف الشعوب

كتاب جديد عن زولا

وضع هنريخ مان شقيق توماس مان كتابا جديداً عن حياة وأعمال الروائى الفرنسى ميل زولا

وهنريخ مان لا يقل فى عالم الأدب الأوربى شهرة عن أخيه. وهو من أكبر دعاة الديموقراطية وأنصارها والروجين لها. وقد تناول شخصية اميل زولا بصفته من الكتاب الشعبيين الديموقراطيين، وأظهر فى أسلوب شائق وتحليل نفسانى عميق كيف أن زولا عاش من أجل الشعب ، وخدم فى رواياته سواد الشعب ، وأشعر الشعب العامل المجاهد بقوة عمله ومدى جهاده وعظم تأثيره فى تكوين حضارة أوربا الحديثة . ومما ورد فى كتاب هنريخ مان قوله : « ان جميع الروائيين الالمان الذين ظهروا عقب الحرب السبعينية وأنشأوا الأدب القصصى الالمانى الحديث هم فى الواقع تلامذة موباسان وفلوبير واميل زولا »

روسيا السوفيتية وفكرة الأسرة

كان معظم أدباء روسيا السوفيتية من أنصار هدم نظام الأسرة ومنح الزوجين حريتهما الكاملة فى الطلاق متى دب النزاع بينهما. ولكن هذا التيار الاجتماعى قد تحول الآن وظهرت فى روسيا حركة جديدة ترمى الى توطيد صروح الأسرة وتقييد حق الطلاق والاعتراف لرب العائلة بسلطة استثنائية

وقد نشأت هذه الحركة من اسراف بعض النساء فى طلب الطلاق لأتفه الأسباب، ومن عجز عدد كبير من الأزواج عن الانفاق على أبنائهم بعد الطلاق

ومما يدل على شيوع هذه الحركة الجديدة أن المطابع الروسية أخرجت فى الشهر الماضى فقط خمسة عشر كتابا فى هذا الموضوع الاجتماعى الخطير

قصة يطبع منها مائة الف نسخة

فى شهرين

أخرجت كاتبة فرنسية مجهولة هى مدام ريموند فنسان قصة عاطفية بديعة سمتها «الريف» ولم تكد توزع هذه القصة على الأدباء ويتناولها النقاد بالبحث حتى غدت صاحبتها فأصبحت بين عشية وضحاها من أشهر اديبات أوربا

وهذه القصة تحلل فى صدق عجيب شخصية فتاة ريفية وتنقلها من الطفولة الى الشباب فالحياة الزوجية . ولقد امتازت القصة ببساطتها التناهية وعدم تأثرها بالمذاهب الفنية الحديثة وامتلائها بالاحساسات والعواطف الفطرية السليمة ، فى اطار من جمال الريف وسحره

وقد بيع من هـذه القصة فى شهرين فقط مائة ألف نسخة وترجمت الى أربع لغات أوربية

حداد المسرح الفرنسى

أوقف التمثيل فى فرنسا فى الشهر الماضى بضع دقائق حداداً على وفاة الكاتب المسرحى فرانسيس دى كرواسيه . وكان هذا الروائى من صفوة أدباء المسرح الكوميدى البارىسى ، وقد أحرز شهرة كبيرة عندما مثلت روايته (الملاك) التى عادت عليه بربح يقدر بنصف مليون فرنك والتى مثلت على أحد مسارح أمريكا عامين متواليين . وكان هـذا الكاتب من أصدقاء المصريين وقد نشر فى صحيفة الفيجارو عـدة مقالات شائقة عن مصر الحديثة

أندريه سيجفريد فى مصر

امتازت الحركة الادبية فى مصر الشهر الماضى بسلسلة المحاضرات الهامة التى القاها المفكر الاجتماعى الذائع الصيت اندريه سيجفريد بقاعة مدرسة الليسيه فرانسيه بالقاهرة

والمسيو اندريه سيجفريد من كبار أساتذة الكوليج دى فرانس ، وهو اخصائى فى دراسة حضارة العصر الحاضر ودراسة تاريخ انجلترا وتطورها فى هذا القرن . وكانت أبدع محاضراته تلك التى تناول فيها موضوع الحضارة الصناعية وعلاقتها بشخصية الفرد . فأظهر كيف أن الانتاج الصناعى الآلى الحديث يقضى على مواهب الفرد الخالقة المبتكرة ، ويحيل الفرد نفسه إلى آلة فيعطل حركة التطور ويرجع بالمدنيـة القهقرى

ومن رأى سيجفريد أن من الضرورى عدم القضاء على الصناعات اليدوية التى يتجلى فيها فن الصانع وتتمثل فى جمالها عبقرية العقل البشرى المستقل . وقد قوبلت هـذه المحاضرة بالاعجاب العام

الأدب المصرى الحديث فى أوربا

اعتزم المسيو جورج بلتييه وهو من الأدباء الفلائل الذين يعيشون فى مصر ويجيدون اللغتين الفرنسية والعربية ، أن ينقل الى اللغة الفرنسية مجموعة من القصص الصغيرة لبعض أدباء مصر . والمسيو جورج بلتييه كاتب معروف فى فرنسا وله قصة شائقة بعنوان (الأوهام الدائمة) لاقت فى باريس أعظم تقدير . وقد شرع الآن فى ترجمة أربع قصص هى (الشيخ جمعه) لمحمود تيمور و(الخريف) لابراهيم المصرى و (سخرية الناى) لطـاهر لاشين و (السجين) لحسن محمود

مصير اسبانيا

ظهر أخيرا فى انجلترا كتاب لأديب اسبانى يدعى جوان مارينتيز يدور موضوعه حول مصير اسبانيا بعد الحرب الأهلية الراهنة . ومما قاله الأديب الاسبانى ان اسبانيا المقبلة ستتجه فى طريق الديموقراطية وستناصر الدول الديموقراطية الكبرى حتى ولو انتصر الجنرال فرانكو بصفة نهائية

وحجة الكاتب فى هذا الرأى أن كتل العمال فى اسبانيا قوية جدا ومنظمة على خير وجه وان الجنرال فرانكو سيضطر فى حالة انتصاره الى تملقها وكسب ثقتها ومحاولة إيجاد حل يرضيها ويرضى المحافظين الكاثوليك الذين ساعدوه فى الحرب . ويرى الكاتب الإسبانى أن فرانكو سيسعى الى مرضاة الكاثوليك باعلاء شأن هذا

للذهب فى اسبانيا وإسناد بعض المناصب الكبيرة لوجوه الكاثوليك ، أى أنه سيرضى الكاثوليك فى الداخل ، ثم يجتهد فى اخماد ثورات العمال واتفاضاتهم عليه بانشاء نوع من الملكية الدستورية التى تعترف بحرية الأحزاب ، وبتوثيق صلاته بالامتين الديموقراطيتين الكبيرتين أى انجلترا وفرنسا . ويعتقد الكاتب أن اسبانيا المهدمة الخربة لا بد أن تحتاج فى المستقبل للاموال الانجليزية لتباشر حركات البناء والتعمير

جائزة جيته

وضع الألمان جائزة مالية كبيرة باسم جائزة جيته . وقد فاز بها الكاتب اروين جيدو كولبنهاير تقديراً لاعماله الأدبية التى ترسم فيها خطوات جيته ، وحاول الاقتداء به من حيث وضوح الاسلوب ومتانة العبارة وصفاء الذهن القلق وتمجيد الحضارة الاغريقية

موريس روستان ومسرحيته الجديدة

موريس روستان هو ابن الشاعر المشهور ادمون روستان وهو شاعر كأبيه ومؤلف مسرحى وقصصى . وقد مثلت له أخيراً على مسرح « الاوديون » فى باريس رواية عن (كاترين امبراطورة روسيا) حاول أن يظهر فيها تلك المرأة العظيمة بمظهر مخلوقة طغت فيها خصائص الرجولة على مميزات الانوثة فكانت انساناً خارقاً وشخصية فذة

وقد لاحظ النقاد على مسرحية موريس روستان التى يمتزج فيها النثر بالشعر ، ان الجزء النثرى منها قوى والجزء الشعرى ضعيف ، واستخلصوا مما تقدم أن موريس روستان يجهل سر نبوغه ، وأنه فى الواقع ليس بشاعر كما يعتقد ، بل هو من أبلغ الناثرين الفرنسيين فى العصر الحديث

ولكن موريس لا يؤمن بهذا ، وسيخرج رواية جديدة كتبت كلها شعراً على نسق رواياته القديمة التى لم تعجب النقاد

جوليان بندا وشخصية المفكر

يعتبر جوليان بندا فى مقدمة أدباء أوربا الذين يقدسون حرمة الفكر الانسانى ويعملون لتطهير شخصية المفكر العصرى من اللوثات النفعية التى علقت بها

وقد ظهر لجوليان بندا كتاب بعنوان « ايضاحات جديدة » حمل فيه حملة شعواء على أولئك المفكرين الذين يتنزلون عن حرياتهم وكراماتهم واستقلالهم للدفاع عن سياسة حزب من الأحزاب . ويرى (بندا) ان مهمة المفكر هى التعصب للعدل والحقيقة فقط ، وهى السمو فوق الأحزاب للتمكن من خدمة العدل والحقيقة فى إخلاص مجرد عن المطامع الشخصية والاهواء المادية

ويعتقد هذا الكاتب أن من الخطر على المفكر النزيه أن ينضم انضماماً كليا الى هيئة او حزب . لأن الحزب السياسى قد تضطره ظروف الحياة الى التضحية بشيء من مثله الاعلى فى العدل والحقيقة لينجح ويعيش ويزداد عدد أنصاره . وقد يكون الحزب على حق فى انتهاج هذه الخطة ، ولكن واجب المفكر ، أى الكاتب الحر ، ألا يقبل هذا على الاطلاق ، وان يظل دائماً أبداً وفيا للعدل اميناً للحقيقة المجردة واهبا نفسه وعقله لخدمة مثله الأعلى كاملا . وبهذه الطريقة وحدها يخدم الحزب ويخدم وطنه ومجموع الانسانية

بين الهلال وقرائه

تشنيط الشعر وحلقه

(الموصل — العراق) عبد الجليل البصرى

أصحيح أن تشنيط شعر الرأس وحلقه بالموسى يؤديان الى نموه ؟

(الهلال) هـذه خرافة شائعة بين العامة وبعض الحلاقين يساعدون على ترويجها . وفى الحقيقة أنه لا تشنيط الشعر ولا حلقه يؤدى الى اطالته . ولعل العكس هو الأقرب الى الصواب فان تشنيط الشعر يجعله قصفا جداً

مرارة الخيار والفقوس

(بئر السبع — فلسطين) شكرى ترك

لماذا تكون مرارة الخيار فى قشره ومرارة الفقوس فى لبه ؟

(الهلال) ليست مرارة الخيار فى قشره فقط بل هى فى لبه كذلك كمرارة الفقوس تماما

سبب هزال الجسم

(بيروت — لبنان) ك

لى صديق عرفته منذ صغره . كان قوى البنية صلب العود متين العضل ، ولما بلغ سن الرشد هزل جسمه وضعفت قوته وغارت عيناه وازرق لون أجفانه ، فهل تظنون أن سبب هذا ممارسته العادة الممقوتة ؟

(الهلال) هذا هو الأرجح الا اذا استطاع الطبيب تعليل حالته تعليلا آخر مقبولا . ولا شك أن ممارسته تلك العادة بإفراط مجلبة لبلايا كثيرة ، ولا ينقذ الشاب منها الا الاكثار من الرياضة فى الهواء الطلق وممارسة الألعاب الرياضية والاقتصار على أنواع خاصة من الغذاء

علم السياسة

(أربد — شرق الأردن) بشارة عقيب

أضع الآن رسالة فى علم السياسة . فما هو أحدث كتاب بالعربية فى هذا الموضوع ؟ وما اسم الكتاب الذى يدرس بمعهد الحقوق المصرى فى علم السياسة ؟

(الهلال) لم توضع فى العربية كتب كثيرة فى علم السياسة . وخير هذه الكتب : (١) تاريخ النظم السياسية للدكتور زكى عبد المتعال الاستاذ بكلية الحقوق المصرية (٢) علم الدولة للاستاذ احمد وفيق وهو موسوعة شاملة دقيقة صدر منها خمسة أجزاء آخرها جزء خاص بعصبة الأمم

وعلم السياسة لا يدرس فى كلية الحقوق المصرية وانما فى كلية التجارة . ويتولى تدريسه استاذ انجليزى ولهذا لم يوضع فيه بالعربية سوى الكتابين المذكورين

عبد الله نديم والمسيحية

(الزقازيق — مصر) احمد الروبى

سمعت أحدهم يقول إن عبد الله نديم الكاتب الخطيب المعروف قد ترك الاسلام واعتنق المسيحية فى أواخر حياته . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) لعبد الله نديم صورة تمثله فى مسوح القس ، وعلى رأسه عمامة سوداء ، قلما يلبسها المسلمون ، ولعل هذه الصورة هى التى جعلت صاحبك يزعم ان عبد الله نديم اعتنق المسيحية . والواقع ان الذى حمله على التزيى بهذا الزي أنه حينما أخفقت الثورة العرابية وقبض على زعمائها ، وكان عبد الله نديم من أبرزهم وأقواهم ، اختفى عن الأنظار تسعة أعوام ، كان فى أثنائها يتنقل بين قرى القطر ومدنه ، متنكراً فى ملابس مختلفة . فتارة يلبس ملابس أهل المغرب ، أو أهل اليمن ، أو عرب الفيوم ، أو قس الأقباط . وكان ذكياً سريع الخاطر ، فكان يجيد الحديث باللهجة التى توافق زيه ودعواه

وقد أعيا الحكومة أمره ، وجعلت ألف جنيه عطاء لمن يرشد عنه . ولكنه ظل هذه المدة الطويلة بعيداً عن قبضة الحكومة ، بفضل ذكائه وبراعته

أولا ، وبفضل من كانوا يعرفونه ويقدرونه فيكتمون أمره ولا يرشدون عنه . ولكن بعض الطامعين فى العطاء وشى به أخيراً فعثرت عليه الحكومة ، ولكن موعد العطاء كان قد انقضى ، فلم ينل من أرشد اليه شيئا . وقد عفا عنه الخديو توفيق بعد هذا ونفاه الى سوريا حيث نزل يافا . ثم عاد الى مصر فى عهد الخديو عباس الثانى ، واستأنف الجهاد ضد الاحتلال الانجليزى ، وأنشأ مجلة « الاستاذ » التى كانت تناصر الخديو وتقاوم العتمد البريطانى

ومن هنا ترون أن عبد الله نديم لم يعتنق المسيحية ولكنه كان دائماً يدعو الى الوئام بين المصريين ، وهو الذى قال :

« لينضم المسلم الى المسلم تثبيتاً للوحدة الدينية ، ولينضم الاثنان الى القبطى واليهودى تثبيتاً للوحدة القومية . وليكن شعار الجميع مصر للمصريين »

انقلاب جنس الحيوان

(القاهرة — مصر) ا . ح .

ذكر لى صديق أثق فى قوله أنه كان يقتنى دجاجة تبيض ، ثم انقطعت عن وضع البيض عدة شهور ، ثم تحول شكلها رويداً حتى صارت تشبه الديك . وقد وجد بعد ذلك ان هذه الدجاجة تؤدى مع غيرها من «الدجاج» الوظيفة التى يؤديها الديك ؟ فهل تصدقون هذه الحادثة الفذة ، وهل تستطيعون تعليلها ؟

(الهلال) نعم نصدق هذه الحادثة ، فقد ذكر العلماء حوادث تشبهها . وقد صار من المقرر فى علم الحياة وجود حالة يطلقون عليها اسم «انقلاب الجنس» « Sex Reversal » أى أن الذكر من الطائر أو الحيوان يتحول أنثى ، والأنثى تتحول ذكراً . وقد وصف كثير من العلماء هذه الحالة التى انتابت حيوانات شتى وصفاً دقيقاً لا يدع مجالا للشك فيها

وقد قرأنا فى كتاب « الوراثة » الذى وضعه الدكتور احمد فاضل الحشن أمثلة شتى لهذه الحالة الغريبة ، فقد ذكر عن العالم ايسنبرج أن بعض الأسماك عرضة لانقلابات جنسية كثيرة ، فبعد أن تضع الاناث صغارها ، تظهر عليها علامات الذكور ، ثم تتحول الى الجنس الآخر تحولا تاما . ويحدث هذا فى الضفادع وغيرها من الحيوانات المائية الأرضية . ولكنه اكثر حدوثاً فى الطيور . وقد تتبع العلماء تاريخ بعض الدجاج ، وبعض الحمام ، فوجدوا كيف تحولت اناث مكتملات صفات الأنوثة ، ذكوراً مكتملة صفات الذكورة

وأغرب من هذا ما ذكره كولور سنة ١٩٢٨ عن بقرة حلوب ولود تحولت ثوراً نبتت له قرون ، وسلك مسلك غيره من الثيران

وقد ذكر فيزنر من علماء الحيوان أن انقلاب الجنس يحصل فى الانسان أيضاً ، ووصف حالة من حالات هذا الانقلاب

ويرى القارىء فى عدد مايو الماضى نبذة عن « تغيير جنس الطير » بواسطة عملية جراحية دقيقة مكنت علماء الحياة ورجال الطب من أن يحولوا الذكور اناثاً ، والأناث ذكوراً ، بنقل الغدد الجنسية من جنس الى آخر ويتبع هذا التغير تغير فى المظاهر الاخرى كتغير لون الريش ، ونمو أطراف واختفاء أخرى ، وتغير الصفات والطباع كذلك

السوفسطائيون

(بغداد — العراق) على الرامى

نسمع أحدهم يسب آخر أو يتهكم به ، فيقول له : أنت سوفسطائى . فما معنى هذه الكلمة ؟

(الهلال) هذه الكلمة يونانية الاصل ، ومعناها حكيم أو مفكر . ولكن الناس أساءوا استعمالها فصاروا يطلقونها على من يكابر ويغالط فى نقاشه

وقد ظهر فى اليونان (٤٥٠ — ٤٠٠ ق . م) جماعة من الفلاسفة أطلق عليهم اسم (السوفسطائيين) أى الحكماء . وكانت مهمتهم أن يجوبوا فى أرجاء اليونان ليعلموا الشبان الحكمة ، ويدفعوهم الى الحرية . وقد أداموا البحث فى تعليم الشبان وتثقيفهم الى البحث فى أصول الاخلاق ، وقواعد الدين ، فجاءوا فيها بآراء جديدة تركت أثراً ظاهراً فى تاريخ الفلسفة . وثار عليهم لهذا كثير من الفلاسفة ، منهم افلاطون الذى انتقد آراءهم انتقاداً شديداً

وكان خصومهم يتهمونهم بالتلاعب بالالفاظ ، فيلبسون الباطل ثوب الحق ، ولهذا يسمى كل من يغالط

ويتلاعب سفسطائياً ، وصارت « السفسطة » مثلا للمكابرة فى الحق والمغالطة فى الجدل . ولكن الواقع أن مدرسة السوفسطائيين من أبرز المدارس الفلسفية وأبعدها أثراً فى تاريخ الفكر الانسانى

تاريخ الآداب

(القاهرة — مصر) محمد حمدى

أريد أن أدرس تاريخ الآداب الفرنسية والألمانية والروسية ، فأرجو أن تفيدونى عن كتاب قيم عن كل من هذه الآداب . مع مراعاة أنى طالب ثانوى لا أقرأ الانجليزية الا مستعيناً بالمعاجم

(الهلال) نرى أن الكتب التالية تلم بتاريخ هذه الآداب إلماما وافياً ، وأنها بسيطة العبارة الى حد كبير فلا تشق قراءتها على طالب ثانوى متفوق فى الانجليزية وهى :

1. Landmarks in French Literature by Lytton Strachey
2. The Literature of Germany by Prof. J. G. Robertson
3. An Outline of Russian Literature by Maurice Baring

إميل لودفيج

(القاهرة — مصر) ومنه

ما هى أشهر مؤلفات اميل لودفيج ؟ وأرجو أن تذكروا نبذة وجيزة عنه ؟

(الهلال) إميل لودفيج كاتب يهودى ، برع فى انشاء « التراجم » وابتكر فيها أسلوبا طريفاً . وقد بدأ حياته يكتب قصصاً للمسرح ، ثم فصولا للصحف ، ولكن اتجاهه الأدبى استقر أخيراً على انشاء التراجم التى أخرج منها عدداً وافراً تمتاز بنصاعة تفكيرها وطرافة أسلوبها ، حتى ليخيل الى من يقرأ الترجمة أنه بين يدى المترجم يحدثه ويستمع اليه

وأشهر هذه التراجم : « جوته » وهو يزعم اعادتها فى أسلوب جديد و « نابليون » و « بسمارك » و « ميكائيل أنجيلو » و « رمبرانت » و « بتهوفن » والمسيح فى كتاب أسماه « ابن الانسان » . وكتب كثيراً عن زعماء أوربا الحديثة ، وله فيهم كتاب تحدث فيه عن موسوليني وستالين ومزاريك وبريان وفينزيلوس وغيرهم

وآخر كتبه كتاب « النيل : حياة نهر عظيم » وقد تحدث الاستاذ العقاد عن جزئيه فى أعداد مضت من « الهلال » . وهو يكتب بالألمانية وتترجم مؤلفاته الى كثير من اللغات الاخرى عقب صدورها . ولكنه لا يعيش الآن فى ألمانيا فقد نفى منها — كما نفى اكثر اليهود — عقب قيام الحكومة النازية

تسجيل الأدوية

(سان باولو — البرازيل) عبد الله ابراهيم

وفق طبيب أعرفه الى تكوين أربعة أدوية ، تناولها كثير من المرضى فشفوا مما ألم بهم . وقد أراد أن يسجل هذه الأدوية فى مصر ، فاتفقنا على أن نسافر اليها . ولكنا نريد أن نعرف ما هى شروط التسجيل فيها قبل أن نقدم اليها

(الهلال) اذا أراد طبيب أو صيدلى أن يسجل دواء أخرجه ، قدم بيانا الى وزارة الصحة العمومية عن المواد التى يتألف منها الدواء ، وكمية كل منها . وأرسل كذلك نموذجا « عينة » منه لتبحث وترى خلوها من الضرر . فاذا ثبت لوزارة الصحة أن الدواء وفق البيان الذى قدمه الطبيب أو الصيدلى ، وأنه لا يحدث ضرراً لمن يتناوله ، أقرته وأباحت لصاحبه بيعه للجمهور

ثم يقدم صاحب الدواء طلباً الى المحكمة المختلطة يطلب فيه تسجيل هذا الدواء الذى أقرته وزارة الصحة ، فتسجله المحكمة وترقمه برقم معين مقابل رسم بسيط . وعند هذا يستطيع صاحب الدواء أن يقاضى من يقلد دواءه ، أو يتخذ اسمه ويطلقه على دواء آخر . وطبعا لا نرى ضرورة لسفركم من البرازيل الى مصر . وحسبكم أن ترسلوا نماذج وبياناً بهذه الأدوية الى وزارة الصحة حيث تفحص فتقبل أو ترفض

وكلاء الهلال

فى الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
فى البرازيل		Snr. M.N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo (Brazil)
فى اللاذقية	سوريا	الخواجه نخله سكاف
فى انطاكية	سوريا	انيس افندى انطونيوس لاذقانى
فى اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قرى
فى طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندى حسنى ـ غرفة القراءة الامريكية
فى حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
فى الناصرة	فلسطين	موسى افندى خميس
فى بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندى طباره ٩ شارع اياس بيروت
فى دمياط		زكريا افندى الحزاوى، ناظر مدرسة الحزاوى
فى حلب	سوريا	عبد الودود افندى الكيالى صاحب المكتبة المصرية
فى مكة وجدة والحجاز		هاشم افندى على النحاس ص . ب ٩٧ مكة
فى الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
فى جاوه		Mr. Abdullah Bin Affif—Cheribon Java
فى القاهرة وضواحيها		عوض افندى فهمى

الروح الجامعى
وكيف نشيعه فى نفوس الطلاب

بقلم الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

ان تقدير الهلال لشخصية الدكتور طه حسين بك هو الذى حدا به لاقتراح هذا الموضوع عليه . وما ذلك الا ليقين الهلال بأن الدكتور هو خير من يعالج هذا الموضوع الخطير الوثيق الصلة بحياتنا الفكرية ومستقبلنا الثقافى . والهلال فى هذا لم يكن متجنيا على الدكتور ، بل طامعاً فى الوقوف على رأى من يشرف على احياء الروح الجامعى فى مصر

لم أختر هذا الموضوع مادة لهذا الحديث ، وانما اقترحته الهلال متحكمة به فىّ ومتجنية به علىّ ، وما أكثر ما تتحكم الهلال فى أصدقائها من الكتاب ، وما أكثر ما تتجنى به عليهم ! وما أشد إذعان هؤلاء الأصدقاء لهذا التحكم والتجنى ، كأنهم طلاب يقترح عليهم أساتذتهم بين حين وحين هذا الموضوع أو ذاك ، ليكتبوا فيه ما يفتح الله به عليهم من الجيد والردىء ومن المحال والمستقيم . وما أظن أننا نستطيع بعد ان قدمنا الاذعان للهلال أن نثور بها ونتمرد عليها ، ونخالف عما تصدر الينا بين حين وحين من أمر يطاق أو لا يطاق ، ويستحب أو لا يستحب . فلنكتب اذن فى هذا الروح الجامعى الذى هبط الوحى على الهلال بأن تبتلينا به وتمتحننا فيه . وليكتب الله لنا التوفيق فيما نديره فى نفسنا من رأى ، وما نملى على كاتبنا من لفظ ، وما نسوق الى قارئنا من حديث

وأول ما أقول فى ذلك انى لا أكاد أتبين معنى واضحا دقيقا محدود الاطراف والنواحى لهذا الذى تسميه الهلال روحا جامعياً وتريد أن نشيعه فى نفوس الطلاب . فهذا اللفظ فى لغتنا جديد ما أعرف أن عهدنا قد بعد به ، وما أرى أنه قد بلغ العشرين من عمره . وأكبر الظن أنه لم يكد يتجاوز الخامسة عشرة ، وأكبر الظن أنه لم يشع فى مصر الا بعد ان انشئت الجامعة المصرية الحكومية وأخذ صاحب المعالى الأستاذ احمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة يتحدث عن جامعته ، مبينا ما يفهمه من هذا اللفظ وما يجب أن يفهمه الطلاب والأساتذة ، والنواب والشيوخ أيضا ، من لفظ الجامعة ، وأخذ بعض الأساتذة المصريين الذين اختلفوا الى الجامعات

الهلال

١ فبراير ١٩٣٨

الأوروبية يتحدثون عن الجامعة ومثلها العليا ، وعما يفهمون وما يحبون أن يفهم عنهم اذا تحدثوا عن الجامعة ومثلها العليا . وقد يكون من المفيد أن نبحث ونستقصى لو أتيح لنا الوقت وهيئت لنا الفرصة عن أول نص عربى حديث استعمل فيه لفظ الروح الجامعى هذا . ولكن الوقت لا يتاح لنا والفرصة لا تتهيأ .ولعل الهلال لاترضى منا مثل هذا البحث اللغوى التاريخى الثقيل

فالشيء الذى لا شك فيه هو أن اللفظ العربى الفصيح فى نفسه أجنبى المعنى ، قد جلب معناه من أوروبا ومن أمريكا وأسبغ عليه لفظ عربي صريح لا غبار على عربيته ولا شبهة فى صراحته . فهو فى ذلك كالسيارة والدراجة والحاكى والمذياع ، ألفاظ تستقيم من الناحية اللغوية استقامة حسنة ، ولكنها تدل على أشياء طريفة لم تعرف من قبل . ولو سمع الجاحظ وأشباهه لفظ الروح الجامعى هذا لما فهم منه شيئا ولما انتهى منه الى شيء ، الا أن نبين له ما نريد وما نقصد اليه حين نستعمل هذا اللفظ العربى القديم فى هذا المعنى الأجنبى الحديث . ومع ذلك فلا بد من أن نلاحظ شيئين فى ملاحظتهما انصاف وتحقيق . الاول ان معنى الروح الجامعى اذا كان مستحدثا طريفا فى لغتنا فلعله ألا يكون مستحدثا من جميع الوجوه ، ولعله أن يكون قد وجد عندنا قبل أن تنشأ الجامعة الحكومية أو الحرة ، ولعله أن يكون قد وجد قبل هذا العصر ، الحديث فى القرون الوسطى فى مصر وفى غير مصر من أقطار الأرض الاسلامية التى نظم فيها التعليم على نحو ما والتى اطردت فيها سنن وعادات لجماعة المشتغلين بالعلم والمنقطعين له والعاكفين عليه . لعله أن يكون قد وجد بل قد وجد بالفعل ،ولكننا لم نحاول أن نشخصه أو نسميه كما يفعل الاوروبيون والامريكيون وكما نفعل نحن فى هذا العصر الحديث

فليس من شك عندى فى أن المعلمين والمتعلمين من أهل الازهر الشريف منذ العصور البعيدة قد اتخذوا لانفسهم عادات وسننا شملتهم جميعا وفرضت عليهم جميعا ورأوا على مضى الزمان واختلاف الظروف ان الخضوع لها والرعاية لحرماتها أصل من أصول الادب الازهرى الذى لا تليق المخالفة عنه أو الخروج عليه . وقل مثل هذا فى الذين اشتغلوا بالتعليم المنظم من غير الازهريين فى معاهد العلم الاسلامى وفى غير القاهرة من مراكز الثقافة الاسلامية . وليس التاريخ الصحيح للازهر وأشباهه من معاهد العلم الا تحقيق هذا الروح الأزهرى الذى يشمل المنقطعين له والعاكفين عليه مهما تختلف ظروفهم ومهما تتغير أطوار حياتهم . وهذا الروح الجامعى قد وجد كذلك فى أوروبا أثناء القرون الوسطى فى البيئات التى نشأت فيها الجامعات القديمة ، فكان للجامعة الباريسية روحها الجامعى فى القرن الرابع عشر ، كما كان

الهلال

الجزء الرابع ـ السنة ٤٦

اول فبراير ١٩٣٨ ـ اول ذى الحجة ١٣٥٦

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt

(1 February 1938)

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Sudan P.T. 85. — Syria, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100. — Other countries P.T. 130 or £ 1-7-0 or $ 6.50.

هدايا الهلال

خمسة كتب قيمة الموضوع ، شائقة الأسلوب ، جميلة الاخراج ، أهداها الهلال هذا العام من دفعوا قيمة الاشتراك كاملة وهى :

١ ـ تاريخ الحب ـ عرض تاريخى لاقوى عاطفة انسانية ، وضعته الأديبة الفرنسية مارسيل تينير وترجمه الاستاذ ابراهيم المصري

٢ ـ الماضى الحى ـ أجمل قصة نفسية وضعها الاديب الفرنسى العظيم جى دى موباسان

٣ ـ تاريخ الفن المصرى القديم ـ أوفى كتاب فى هذا الموضوع القيم ، للاستاذ محرم كمال الامين المساعد بالمتحف المصرى

٤ ـ تقويم الهلال ـ أحداث الشرق العربى والعالم الخارجى معروضة عرضا وافيا فى أسلوب بسيط

٥ ـ نوابغ الشباب ـ حديث شائق عمن نبغوا فى سن الشباب ، للاستاذ احمد قاسم جوده

كل من دفع قيمة الاشتراك السنوى أرسلت اليه هذه الكتب الخمسة النفيسة

لجامعة أوكسفورد وكمبردج روحها الجامعي الخاص الذى تطور مع الزمن . ولكننا نستطيع أن نستقصى تاريخه ونشخصه على اختلاف العصور والظروف . ومعنى هذا كله أن الروح الجامعي ليس حديثا ولا هو من الاشياء التى ابتكرها هذا العصر الذى نعيش فيه . ليس حديثا فى أوروبا وليس حديثا فى الشرق . وانما التكلم عنه والاشادة به والعناية باشاعته فى نفوس الشباب هو الجديد . ومعنى هذا أيضا أن الروح الجامعي شيء حى قائم يتطور ويتغير ، ويساير فى تطوره وتغيره ما يختلف على الحضارة الانسانية من ألوان التطور والتغير . وما أرتاب فى أن الأكاديمى التى كان يشرف عليها أفلاطون واللوكايون التى كان يشرف عليه ارسطاطليس ومدرسة الاسكندرية قد كان لكل منها روحه الجامعي الخاص الذى يشترك فيه الاساتذة والطلاب جميعا والذى تتوارثه أجيالهم حريصة عليه محتفظة به مجتهدة فى حمايته أن يدخل عليه ما ليس منه أو أن يصيبه الضعف من التقصير فى حمايته والذود عنه

فهذا أول الأمرين اللذين أردت أن ألاحظهما قبل كل شيء . والأمر الثانى أن الذين يذكرون الروح الجامعي الآن من المصريين لا يكادون يتفقون اتفاقاً دقيقاً على ما يريدون منه وما يدلون به عليه . فالروح الجامعي يختلف باختلاف الجامعات ، وهو من أجل ذلك يختلف عند الجامعيين المصريين باختلاف البيئات الجامعية التى نشأوا فيها وتأثروا بما لها من العادات والتقاليد . ومن المحقق أن الروح الجامعي الفرنسى ليس هو بالضبط الروح الجامعي الانجليزى ، بل من المحقق أن الروح الجامعي الانجليزى نفسه يختلف فى انجلترا اختلافاً شديداً . فهناك الجامعات الانجليزية القديمة ذات التراث العظيم الذى تحرص عليه أشد الحرص وتذود عنه أعظم الذياد . وهناك الجامعات الحديثة التى أنشئت فى القرن الماضى مناهضة للجامعات القديمة أو مكملة ما كان ينقصها . وما من ريب فى أن الروح الجامعي فى اوكسفورد ليس هو بالضبط الروح الجامعي فى كمبردج . ثم ما من ريب فى أن الروح الجامعي فى لندرة بعيد كل البعد عن أن يطابق الروح الجامعي فى هاتين الجامعتين العظيمتين . ومثل هذا يقال فى فرنسا بالقياس الى السوربون والى الجامعات الفرنسية فى الأقاليم والى بعض المعاهد العلمية الحديثة فى باريس نفسها ، ومثل هذا يقال فى المانيا وفى ايطاليا . فاذا تجاوزت أوربا الى أمريكا فالاختلاف أعظم وأوسع مدى . والاوروبى يبسم عادة اذا ذكر له كثير من الجامعات الامريكية ، والامريكى يضحك كثيراً جداً من تقاليد الجامعات الاوروبية

فالروح الجامعي إذن شيء مختلف أشد الاختلاف متباين أشد التباين ، يختلف باختلاف



حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

الظروف والبيئات ويختلف باختلاف الطبائع والأمزجة فى الأمم التى تنشأ فيها الجامعات . فالرياضة البدنية مثلا عنصر مقوم للروح الجامعى فى انجلترا ولكنه ليس كل شيء ، فاذا ذهبت الى فرنسا فالروح الجامعى يستغنى استغناء تاما عن الرياضة البدنية في تكوينه ، ويستطيع الشاب الفرنسى أن يكون جامعياً بأدق معانى الكلمة وأشملها دون أن يشارك في الالعاب الرياضية أو يكون له حظ من العلم بها قليل أو كثير . فاذا ذهبت الى أمريكا فالالعاب الرياضية هى العنصر الأول الذى يقوم الروح الجامعى ويكون الحياة الجامعية

وعلى هذا فالمصريون الجامعيون اذا ذكروا الروح الجامعى لم يكادوا يتفقون على ما ينبغى أن يفهم من هذا اللفظ. يفهم منه السوربونى معنى ، ويفهم منه خريج أوكسفورد معنى ، ويفهم منه خريج لندرة وليفربول معنى ، ويفهم منه خريج جامعة برلين أو ليبزج معنى ، ويفهم منه خريج الجامعات الامريكية معنى يكاد يخالف كل هذه المعانى أشد الخلاف

وقد تغيرت نظم الحياة الانسانية فى هذا العصر الحديث الذى نعيش فيه ، وكان من أشد مظاهر هذا التغير تقريب مسافات الخلف ومحاولة الغاء الفروق بين الجماعات الانسانية فى كثير من انحاء الحياة . فنظمت علاقات بين الجامعات تمكنها من التبادل والتعاون ، ونظمت علاقات بين الطلاب تمكنهم من أن يلتقوا ويتعارفوا ويتعاونوا . ويفهم بعضهم بعضا ويؤثر بعضهم فى بعض ، هذا الى أنواع من المواصلات القهرية التى لا يستطيع الانسان أن يخلص منها ، بل هو مضطر الى أن يخضع لها سواء أراد أو لم يرد ، كالكتب والصحف والمجلات والراديو والسينما وما يشبه ذلك . كل هذه الأسباب تقرب بين الناس على اختلافهم من جهة وتتيح لاصحاب الصناعات المتقاربة والمهن المتشابهة أن يزدادوا تقاربا وتشابها من جهة أخرى

وقد شهدت أثناء الصيف الماضى فى باريس محاولة من هذه المحاولات كان لها فى نفسى أبلغ الأثر وأغربه . فقد عقد فى باريس مؤتمر التعليم العالى مثلت فيه جامعات الشرق والغرب ، وسمعنا فيه ممثلى الجامعات الأوروبية والامريكية والأسيوية والافريقية يتحدثون عن الجامعة وعما يفهمونه من الروح الجامعى . وكانت أحاديثهم ممتعة حقا ، لأنها كانت مختلفة أشد الاختلاف متناقضة أشد التناقض ، ولأنها كانت مع ذلك يسيرة سائغة فهمناها جميعا واستطعنا أن نجادل فيها ونستخلص منها نتائج وقرارات

وهذا هو الذى أريد أن انتهى اليه بعد هذه الاطالة وبعد هذا التفصيل فأجيب فى ايجاز على السؤال الذى القته على الهلال : ما الروح الجامعى ؟ وكيف نشيعه فى نفوس الطلاب ؟



حضرة صاحبة الجلالة الملكة فريده

الروح الجامعي الذى يسمو على كل الفروق ويرتفع فوق كل لون من ألوان الخلاف ، هو الذى ميز الانسان وسيميزه من الكائنات الحية كلها ، هو حب الحق والبحث عنه ، هو الرغبة فى المعرفة والحرص عليها ، هو الاقبال على العلم من حيث هو لا من حيث ما قد ينتج من الخير أو يحقق من النفع . هذا الروح هو الذي مكن ممثلى الجامعات المختلفة فيما بينها أشد الاختلاف من أن يفهم بعضهم بعضا ومن أن ينتهوا الى نتائج وقرارات

هذا الروح من طبعه أن يرفع الانسان عن الصغائر ويبرئه من الدنيات ، لأنه يرفعه عن المنافع العاجلة التى تثير الخصومات الرديئة بين الناس وتفسد صلات الود والحب

الروح الجامعى هو الذى يجعل الناس اخوانا فى العلم ، ويقيم اخوتهم على المودة والحب ، وعلى الحرية والمساواة فى الحقوق والواجبات ، هذا هو الروح الجامعى . فأما السبيل الى اشاعته فى نفوس الطلاب فيسيرة جداً لأنها لا تكلف صاحبها عناء ولا مشقة ، هى أن يكون الاستاذ مثلا صالحا لطلابه لايفرض عليهم نفسه ولا رأيه ولا يأخذهم بشدة الحاكم ولا يسير فيهم سيرة المتحكم ، وانما يصطنع منهم روح المودة التى تنشأ من حب العلم والتعاون على تحصيله فى غير مماراة ولا تهالك على الخصومة ولا اعتزاز بالنفس ولا اعتداد بالرأى

الروح الجامعى هو التعاون على طلب الحق ، ولن تشيعه بين الطلاب إلا اذا ضربت لهم من نفسك أحسن الأمثال وأصدقها في حب الحق والسعى اليه . ثم يختلف الروح الجامعى بعد ذلك باختلاف البيئات والظروف ، ولكن جوهره الذى لايختلف ولا يتباين مهما تختلف البيئات والظروف هو حب الحق والاذعان لسلطان هذا الحب

طه حسين



الزواج الملكى

فيض من الفرح يغمر كل قلب ، وأمارة من البشر تملأ كل وجه ، وهتاف صادق ودعاء خالص يترددان على كل لسان . .

هكذا كانت مصر قاطبة يوم احتفلت بزواج مليكها فاروق بمليكتها فريدة ، يوم ٢٠ يناير الماضى الذى كان عيدا مشهودا اختلجت فيه أفئدة الأمة قاطبة بأصدق عواطف البهجة والغبطة ، فاذا بالفرح يزدهى الشيخ الفانى كما يهز أعطاف حفيده الدارج ، واذا بالكوخ المتزوى يفيء بالبشر كما يفيء القصر الباذخ ، واذا بالفقير يهلل ويدعو صادقا كما يجود الغنى ويسخو مبتهجا . .

ذلك أن مليك مصر جزء من قلب كل مصرى ، تحفه عاطفة من الحب الخالص وشعور من الولاء الصادق ، فقد لمست الأمة فى كل صفحة من صفحات حياته السعيدة شتى علائم اليمن والتوفيق ودلائل الحكمة والسداد ، وآيات الكمال والجلال . . . ألم تبد لنا بشائر السعد يوم أشرق الفاروق ولياً للعهد ، ثم ألم تنشر لنا صفحة المجد يوم تبوأ الفاروق أريكة العرش ! فلم يكن فرح المصريين اذاً تظاهراً وادعاء ، وانما كان شعوراً جائشا تدفق من قلوبهم فرداً فرداً ، حتى من كان منهم نائيا فى قريته أو منزويا فى بيته

هذا الى ما يقترن بالزواج الملكى السعيد من علائم التوفيق والسداد . فمبادرة جلالة الملك الى الزواج دلالة على أن أمر مصر فى يد ملك يخشى الله ويرعى دينه ، فان الزواج عصمة للمرء من نزوة الهوى ، وتثبيت للتقوى فى قرار النفس ، وتلبية لداعى الله الى الهدى والرشاد . والزواج فى إبان الشباب أفضل وأجدى ، إذ يهيء للمرء وجهة صالحة يقصدها من طريق لاعوج فيه ولا التواء ، كما أن الشباب هو عهد الفتوة والنضج والخصوبة . واذاً فزواج جلالة الملك فى هذه السن المبكرة أعلى مثل يضرب فى هذه الآونة التى أعرض فيها كثير من الشباب عن أداء فريضة الزواج ، فراراً من واجب تفرضه عليهم حقوق الرجولة وحقوق الحياة

وشاء جلالة الملك فوق هذا أن تكون قرينة حياته ومجده من صميم الشعب الذى يحبه ويرعاه ، فحقق بهذا غاية نبيلة جليلة رمى اليها من قبل والده العظيم . وهذا الاختيار الموفق أوضح دلالة على أن على عرش مصر مليكا يؤثر الشعب بحبه وعطفه ، ويؤمن بأن مجده من مجد رعيته ، فينهج فى أخص شؤونه نهجا ديموقراطيا واضحا

وقد أفاء الله على جلالته اليمن والسعد وافراً ، فوفقه الى اختيار مليكة جديرة بقرينها العظيم ، فى عراقة أصلها ، وحميد نشأتها ، ورفيع خلالها جميعا . فجلالة الملكة فريدة سليلة بيت مؤثل عريق.

الجيل المصري المقبل

تكوينه من ناحيتي الاخلاق والشخصية

بقلم الاستاذ أمير بقطر

> « . . يجب لتكوين الجيل المقبل أن يدور محور التعليم حول استقلال شخصية التلميذ عن شخصية المعلم ، واشعار التلميذ بحريته الفردية وتعويده البحث والمناقشة الحرة ، واستبعاد عوامل الاكراه والاجهاد من برامج الدراسة ، واتصال الثقافة بالحياة البيئية ، وتغذية العواطف بالفنون لتهذيب الغريزة الجنسية . . »

تتأثر الأخلاق فى جميع البلدان بجميع البيئات التى يتصل بها المرء منذ نعومة أظفاره . ويمكن تلخيصها فى البيت والأسرة ، والمدارس الأولية (وتشمل الابتدائية) والثانوية والكليات والجامعات ، وسائر الانظمة الاجتماعية كالزواج والقانون والحكومة والصحافة والملاهى ودور التمثيل والمنشآت الادبية والدينية

إن أثر البيئة البيتية فى مصر صفر على اليسار ان لم يكن أثراً سلبيا محضا . أما الجامعة فلا يكاد أثرها يذكر إلا فى إعداد زعماء الامة وقادة الرأى فيها وتزويد البلاد بأرباب المهن الراقية . ولست أريد بهذا القول أن اهضم الجامعة حقها فى مصر أو فى سائر بلدان العالم ، ولكنى أريد ان أقول ان أمرها لايكاد يذكر لثلاثة أسباب : أولها أن الذين يلتحقون بها نسبة ضئيلة من أبناء الأمة ، وثانيها أن الجامعة تقبل النشء بعد تكوينه ، وتصلب الجهاز العصبي فيه ، ورسوخ مبادىء الخلق والشخصية في أفراده ، وثالثها أن وظيفة كليات الجامعة مهنية غير ثقافية ، ولا يستثنى من ذلك إلا الدراسات الأدبية والفلسفية فى كلية الآداب . وحسبى لايضاح السبب الأول أن أقول إن عدد طلبة الجامعة فى مصر اليوم على سعتها أقل من عشرة آلاف فى حين أن تلاميذ المدارس جميعها يقرب من المليون . وفى أميركا ، وفى معاهد التعليم فيها ربع سكانها ، لايوجد فى جامعاتها سوى مليون طالب يقابل ذلك ٢٥ مليونا فى المدارس الابتدائية وخمسة ملايين فى المدارس الثانوية ، ولولا ضيق المقام لسردت أرقاما من انجلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا واليابان وكلها شاهد على ما أقول

ونعود الى مصر فنقول ان تأثير البيئة غير المدرسية فى الجيل المقبل لايبشر بالخير ، فان البلاد لاتزال فى مجموعها بعيدة فى أنظمتها الاجتماعية عن الرقى الحقيق الذى يكون الشاب من ناحيتى الأخلاق والشخصية . ولست أبالغ اذا قلت إنه فيما عدا المنشآت الدينية وبعض الصحف والمجلات


حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلي

الراقية وقليل جداً من دور السينما والتمثيل ، فان التربية الأخلاقية يصعب تكوينها خارج المدارس الابتدائية والثانوية ولا سيما الأولى منها . ومما يؤسف له أن هذه المدارس على حالتها الراهنة لا تعمل مطلقا على تكوين الشخصية ولا تقويم الاخلاق . وسيرى القارىء هذه الحقيقة من وصف الوسائل التى تؤدى الى تكوين الأخلاق كما رأيتها فى أوروبا وأميركا

وجدير بنا أولا أن نفهم معنى الخلق ومعنى الشخصية . يفهم أكثرنا الأخلاق بمعناها الضيق المحدود ـ معناها الروحى الدينى ، كالتقوى والصدق والأمانة والعفة . بيد أن الأخلاق تتسع لجميع الصفات السامية النبيلة التى تجعل للمتصف بها مكانة خاصة فى البيئات والهيئات التى يلابسها . ومن هذه الصفات : الدقة ، المثابرة ، الصبر ، الاحتمال ، الاقدام ، الشجاعة ، قوة الابتكار ، التعاون ، خدمة الغير ، مراعاة شعور الآخرين ، الاعجاب بكل حسن وجميل ، الذوق السليم ، الاتقان ، المرونة ، إعطاء كل ذى حق حقه ، سعة الصدر ، عزة النفس

هذا هو معنى الخلق . أما الشخصية فيقصد بها مجموعة الصفات التى تكسب صاحبها قوة التأثير ، وتشعر الغير بهذه القوة الكامنة فيه ، فى ناحية أو أكثر من نواحى الحياة . والشخصية تختلف عن الفردية قليلا ، وان اتفقتا من بعض الوجوه . فالفردية individuality هى مجموع الخلال التى تجعل للفرد ميزة خاصة تميزه عن سواه ، وتطبعه بطابع معين ينفرد به عن المجموع

***

فى أوربا وأميركا كما رأيتها مبادىء هامة عامة ، تتخذ أساسا لبناء الشخصية وتكوين الأخلاق فى معاهد التعليم ، وسأشير هنا إشارة موجزة الى أربعة منها :

١ ـ ان المحور الذى تدور حوله جميع النظم المدرسية هو التلميذ ، فالجهود التى تبذل ، والأموال التى تنفق ، والادارات التعليمية التى تنشأ ، والمناهج التى تقرر ، وأساليب التعليم التى تتبع ، والنظار والمعلمون والمفتشون الذين يعينون وينقلون ويرقون ويعزلون ، ويحالون على الاستيداع ، هذه كلها وسواها من المسائل ، يكون الهدف الأسمى فيها موجها للتلميذ ومنصبا عليه ، قبل كل اعتبار آخر . وهنا يتساءل بعضهم قائلا : أليست جميع النظم المدرسية فى مصر كما فى غيرها من البلدان تشاد على أساس واحد ، هو صالح التلميذ ؟ أقول كلا . . فانه قد جرت العادة أن تنشأ الادارات ، وتنفق الأموال وتبذل الجهود بحكم العرف . والعادة أن النظام يبالغ فى المحافظة عليه للنظام ذاته ، لا مراعاة لصالح التلميذ . والمناهج والكتب الدراسية تحشى بها المواد والحقائق وغير الحقائق ، وتزهق بها روح التلميذ لأن السلف فعل هكذا ، وان كنا لاندرى لوجودها نفعا . والأساليب التى نتبعها فى التعليم هى هى الأساليب التى تعلمها معلمو معلمى معلمينا ، ومفتشو مفتشى مفتشينا ، ونظار نظار نظارنا ، عملا بلوائح ترجع الى عهد بائد ، وأنظمة طال عليها الزمن ، وعز على أولى الأمر إعادة النظر فى صلاحيتها . والامتحانات توضع أسئلتها ، وتعقد لجانها ، وتصحح

وقد نشأ جدها الأعلى « يوسف بك رسمى » فى ظل محمد على الكبير الذى تعهده بتربية حربية ممتازة أهلته لأن يقود كتائب من الجيش المصرى فى حربى الحبشة والروسيا . وكان رجلا وفيا لولاة مصر ، فلما اعتزل الخديو اسماعيل عرشه ذهب اليه يوسف بك واستل سيفه وهم بكسره قائلا: «ان سيفى هذا لا يخدم سواك» . فقال له اسماعيل : «اغمد سيفك يايوسف، ان مثله لقليل ، وإنى فى حاجة اليه يوما ما. .» وجد جلالتها المباشر هو على باشا ذو الفقار من رجال القضاء والادارة البارزين ، ووالدها يوسف باشا ذو الفقار من كبار الشرعيين والقضاة فى المحاكم المختلطة . أما جدها لوالدتها فهو محمد سعيد باشا رئيس الوزارة المصرية أيام ثورة سنة ١٩١٩ ، ومن دعائم الحركة الوطنية الحديثة

وقد ولدت جلالتها فى اليوم الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٩٢١ ، وانشأها والدها نشأة رفيعة أهلتها لأن تكون شريكة فاروق الأول ، فتلقت دروسها الحديثة فى مدرسة « نوتردام دى سيون » حيث أجادت اللغتين الفرنسية والانجليزية ، ودرست فى بيت أبيها علوم الدين الاسلامى واللغة العربية ، فجمعت بهذا بين خصائص النشأة الحديثة ، وعناصر التربية الاسلامية ، وربطت بهذا بين وسائل النهضة المرجوة فى عهد قرينها العظيم ، وتقاليد الحياة الرفيعة فى عهود أسلافه العظام



هدية الأسرة المالكة

من أثمن الهدايا التى قدمت الى صاحب الجلالة الملك فى قرانه الميمون هدية أصحاب السمو الامراء والاميرات ، وهى صينية وكوبان من الذهب الخالص مرصعة بأحجار الماس الثمين

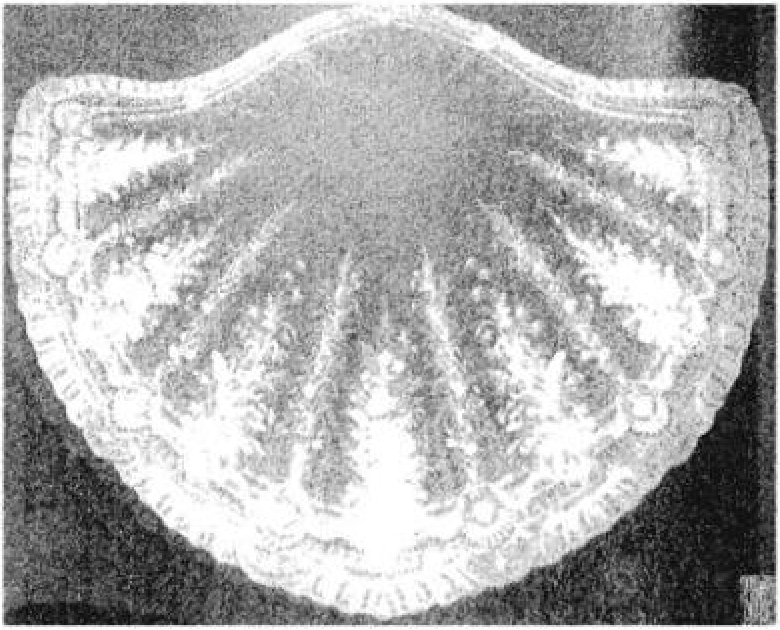
أوراقها ، لأن هذا هو النظام المتبع وكفى ، وليس لأن فى هذا النوع من الامتحان فائدة التلميذ ترجى . والمعلمون والنظار والمفتشون والمراقبون ومساعدوهم يعينون وينقلون ،ويرقون ويعزلون ويحالون على الاستيداع ، طبقا للوائح وأساليب تتفق وأمزجة السياسيين وكبار الموظفين ،لامراعاة لصالح التلاميذ . منذ زمن بعيد فاجأنا « كوبرنيكس » باكتشاف انتقل به محور الفلك من الارض الى الشمس ، ومنذ نهاية القرن التاسع عشر انتقل مركز الجاذبية المدرسية من المناهج والدروس والامتحانات والنظم الادارية البيروقراطية الى التلميذ .غير أننا لانزال نقول إن الارض ثابتة لاتدور وإن التلميذ بعيد عن مركز الجاذبية . وكيف يستطاع تكوين الأخلاق والشخصية فى جو مدرسى يعنى فيه بالواسطة لا بالغاية ، بالتعليم لا بالتربية ، بالدرس لا بالتلميذ ، تفكيره ، خلقه ، شخصيته ؟

٢ ـ التعليم فى أوربا وأميركا شطر من عملية التربية ، يكون التلميذ فى كليهما عاملا active لاعاطلا passive . مبتكراً لامقلداً . طرق التدريس هناك ، وتنظيم المناهج ، والامتحانات ، وجميع نواحى النشاط ، كلها تقوم على أساس واحد ، وهو أن يقف المعلم خلف الستار ، وأن يلعب التلاميذ أدوارهم تارة افراداً وتارة جماعات تحت إشرافه . وأقل المعلمين دراية بأساليب التربية عندهم هو من يتدخل فيما لا يعنيه فيشرح الدروس شرحا لا يحتاج التلميذ بعده الى عناء الدرس . وأقل المعلمين دراية بأساليب التربية هو من تراه أظهر شخص فى حجرة الدراسة وأكثر كلاما ، من يكون تلاميذه أشد صمتا وهدوءاً وأقل حركة . وأكثر المعلمين دراية بأساليب التربية من تبدو حجرته لأول وهلة كمصنع دبت فيه الفوضى . فهذا يشتغل منفرداً ، وهذا يستعين بزميله على حل مسألة ، وهذا يجادل هؤلاء فيشتد بينهم الجدل . وليس ثمة متسع من الوقت للاسهاب فى هذه النقطة ، وحسبى أن اقول إن هذا النظام مبنى على مبدأ ديوى « التعلم بالعمل » learning by done أو عملا بقول برنرد شو : « إذا علمك أحد شيئا فانك لن تتعلمه » ، وأنجع الطرق لتعلم السباحة هو أن تسبح ، وخير الوسائل لاتقان الرقص ، هو المران عليه »

هناك فى حجرة الدراسة يتعلم التلميذ التفكير كما يتعلم التعاون والاعتماد على النفس ومراعاة الغير وما عداها من الصفات ، لا بالاصغاء الى الشرح والنصح والارشاد ، واستظهار قواعد الأخلاق ودروس الديانة

٣ ـ ان عملية التربية (بما فى ذلك تنمية الأخلاق وتكوين الشخصية) يراعى فيها فى البلدان الغربية الراقية تهيئة الجو المدرسى تهيئة يتوافر فيها عاملان أساسيان هما الرغبة أولا interest والجهد ثانيا effort . أما فى بلادنا فالجو المدرسى يتوافر فيه على النقيض من ذلك عاملان أساسيان هما الاكراه والاجهاد violence & strain .ويعود الفضل فى ذلك الى العناية التامة بانهاء المقرر والفوز فى الامتحان وإرضاء المفتشين والناظر وكفى

٤ ـ المدرسة فى البلدان الغربية الراقية هى حياة اجتماعية مصغرة miniature society ، والتلميذ



هدية ولى العهد

قدم صاحب السمو الملكي الامير محمد على الى جلالة الملكة عقدا ثميناً كانت قد أهدته الامبراطورة يوجينى حين زيارتها مصر الى احدى كريمات الخديو اسماعيل . وكان قد بيع فى أوربا بعد هذا ، ثم اشتراه سمو ولى العهد أخيراً وأهداه الى زوج حفيد اسماعيل العظيم

وهكذا هيأ الله لصاحبي الجلالة أسباب التوفيق والسداد جميعا ، ومكن لهما من قلوب رعيتهما الوفية مكانا منيعا ، فكانت أفراحهما الميمونة أعيادا مشهودة فى مصر قاصيها ودانيها . فضمت العاصمة أضعاف أهليها ممن وفدوا اليها من جميع المدن والقرى ، ليشاهدوا ما أقيم فيها من معالم الأفراح الباذخة ليلا ونهارا . فرأوا دورها الكبرى وقد أخذت زخرفها الآسر البهيج ، ورأوا كتائب الجيش المصرى الناهض يعرضها قائدها الأعلى ، ورأوا أسراب الطائرات تملأ الفضاء رهبة وروعة ، فتجيش قلوبهم فخرا وأملا ، ورأوا شباب الكشافة وفتيات المرشدات يحيون فى مصر ورمزها الأسمى ، وصمموا وسط هذا كله ما انتشوا له سعداء فخورين

وكذلك كانت هذه الأعياد مناسبة جميلة أظهرت ما يكنه العالم لمصر ومليكها من تقدير ووفاء ، فأهدى ملوك الدول ورؤساؤها الى جلالته هدايا ثمينة تدل على أنهم يرون فى جلالته رمزا الأسمى ما تعتز به مصر من تاريخها المجيد ، وأنبل ما تسمى اليه فى نهضتها الحديثة . وكذلك تنافست شتى هيآت مصر فى رفع الهدايا الى جلالته ، دلالة من دلائل ولائها ووفائها . وما كان المرء يسمع طول هذه الأيام السعيدة المشهودة الا الدعاء الخالص بأن يقرن الله أيام صاحبى الجلالة باليمن والاقبال ، وبأن يجعل عهدهما أبر العهود بمصر وأكرمها عليها

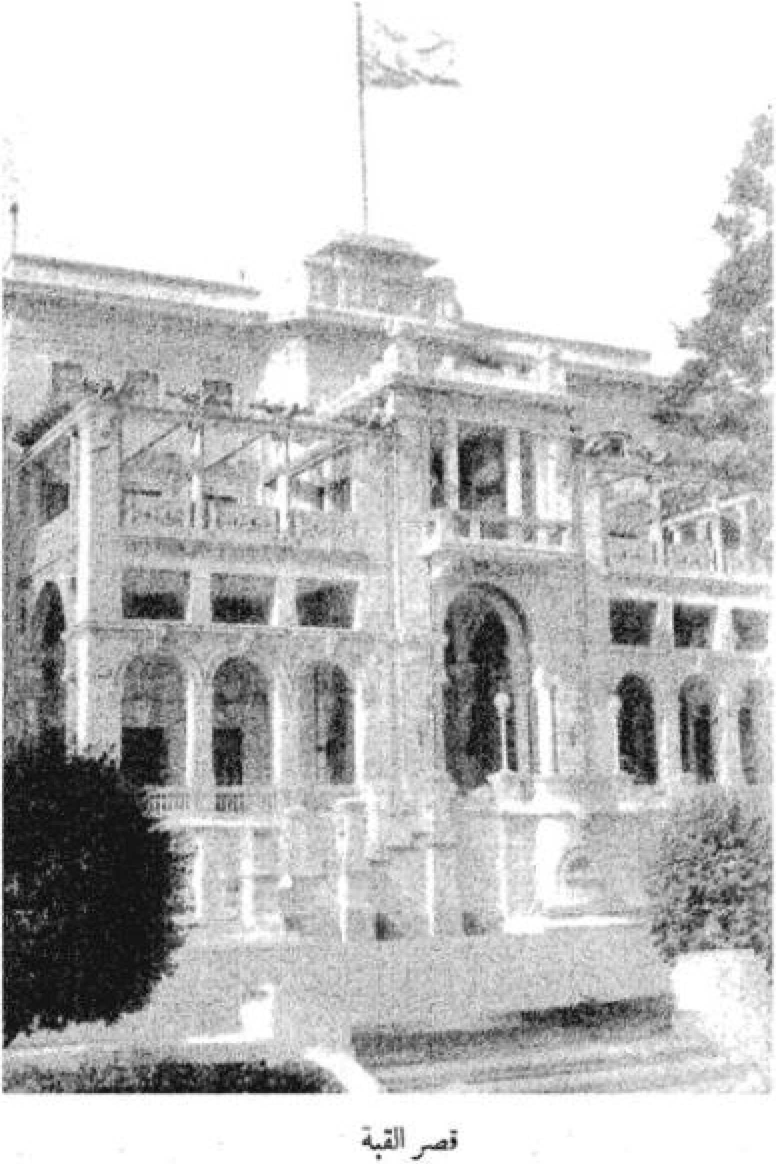
فرد عامل من أفرادها ، يشترك فى ملاعبها وأنديتها وجماعاتها ، يدرس ويتعلم ، ولكن ليس هذا كل شىء ، فانه فيها يلعب ويسبح ، ويناقش ويخطب ، ويغنى ، وينشد ، ويشرب الشاى ، ويتناول العشاء ويشترك فى حفلات السمر ويرقص . وبذا يتعلم بجانب الجغرافيا والحساب والكيمياء وعلم الاحياء الشرف الرياضى sportsmanship وآداب المجاملة etiquette والنبل genetlemanliness . ولا يرجع الفضل فى تكوين هذه الصفات الى هذه المنشآت فى ذاتها ، وانما الى الروح التى تسودها ، والى شعور الطالب ، أنه هو الذى يشترك فى إدارة دفتها لا المعلم ، وأن المدرسة هى مدرسته أولا لامدرسة المعلم أو الناظر

ونتج عن هذه المبادىء العامة انقلاب فى الأنظمة المدرسية ، تتجلى آثاره فيما يأتى :

(١) ان كل ثقافة لاتتصل بالحياة والبيئة تستبعد من مناهج الدراسة ، حتى يتسع الزمن للنظار والمعلمين للعناية الفردية بكل طالب ، والعمل على تنمية أخلاقه وتكوين شخصيته . فدروس اللاتينية والاغريقية تحذف من مقررات التلاميذ ، إلا الذين يرغبون فى التخصص فيها أو الذين تتصل دراستهم اتصالا مباشراً بهاتين اللغتين أو احداهما . ولا يتوسع طالب فى دراسة النظريات الرياضية إلا اذا كان يرغب فى مزاولة مهنة تقتضى ذلك . وإلا فليقل لى قارىء من غير المهندسين أى نفع جنيت من معرفة أن مساحة الدائرة تساوى ط نق٢؟ وكم مرة أتيحت لك الفرصة لاستعمال هذه المعرفة عمليا ؟

(٢) ان كل نظرية شيدت على أساسها المناهج ، واتضح فسادها عمليا تقضى عليها ، وحذفت المواد التى كانت ترتكز على هذه النظرية . مثال ذلك قولهم ان دروس الرياضة العالية وإن كان لا يستفيد منها الطبيب أو المحامى أو التاجر فانها تمرن العقل وتعين على التفكير وحل المسائل العامة فى الحياة . وقد برهن علماء النفس على فساد هذه النظرية ، وحسبنا أن نعلم أن القابضين على دفة الزعامة فى جميع الأمم اليوم لا تزيد معارفهم الرياضية عن الكسور الاعتيادية . وقد سئل العالم اينشتين عن رأيه فى الأزمات السياسية والاقتصادية ، فكانت المقترحات التى أدلى بها لحل هذه الأزمات شبيهة بأقوال صبية المدارس . والحقيقة ان الرياضة لا تمرن العقل الا فيما يختص بالرياضة أو ما يقرب منها ، والمنطق لا يعين على التفكير الا فى دائرة الدروس المنطقية أو ما يقرب منها ، ورسالة الغفران لا تثقف العقل بأى وجه من الوجوه ، لأن مفرداتها لا تمت الى حياتنا العملية بصلة ، ومعانيها ترجع الى العصور الجيولوجية ، ولكن هذا لا يمنع الاخصائيين فى اللغة العربية ، دون سواهم ، أن يضعوها فى حكم المراجع التاريخية

(٣) يتمتع التلميذ فى المدارس الغربية الراقية اليوم بجانب عظيم من الحرية الفردية . ولا يقصد بهذه الحرية الخروج عن القوانين ، لأن هذه القوانين هناك يشترك فى وضعها التلاميذ أنفسهم ،



قصر القبة

عقد قران الملك السعيد وأقيمت أفراحه المشهودة فى قصر القبة العامر . وقد أنشأ هذا القصر الباذخ الخديو اسماعيل وخصصه لزوجه الاميرة شوق نور هانم والدة اكبر أنجاله الخديو توفيق . وكان مقام اكثر ولاة مصر منذ ذلك الحين . ويتألف من ثلاث طبقات وسط حديقة فسيحة ، وقد أفرد فيه جناح خاص بصاحبى الجلالة

وهم الذين يشتركون فى تنفيذها تبعا للنظام الذى يسمونه هناك student participation أو student self-government

وهم الذين يعقدون المحاكم المدرسية لتوقيع العقاب على زملائهم . ويحدث فى الجامعات والكليات والمدارس الثانوية أحيانا أن يحكم الطلبة على زميل لهم أن يغادر المعهد نهائيا وألا يلتحق بمعهد آخر فى جميع أنحاء الولاية . انما الغرض من هذه الحرية تهيئة الجو المدرسى لصفات الصراحة فى ابداء الرأى ، والشجاعة فى القول والعمل ، وصحة الحكم على الأشياء ، وتحمل المسئولية والاعتماد على الذات ، بغير أن يكون للعلم ضميرا للتلميذ مهيمنا على كل كبيرة وصغيرة . ومن أهم مظاهر هذه الحرية أن يكون التلميذ على الدوام موضعا لحسن ظن المعلم ، وأن يكون المعلم موضعا لحسن ظن الناظر ، وهكذا الى آخر السلم . وبهذا يثق التلميذ فى نفسه وفى أخلاقه وشخصيته ، وعلى حد قول شكسبير على لسان هملت "Assume a virtue if you don't have it."

وازنوا بين ذلك الجو الغربى وجونا المصرى المدرسى . هنا نهيء الجو وكأننا لا نريد به سوى اضعاف الشخصية ، والانتقاص من الرجولة ، وحط الأخلاق ، وغرس البذور التى تبعد صاحبها عن الخلق النبيل السامى . فمهمة الطالب عندنا الانصياع الى المعلم والتحايل عليه لأنه عدوه بحكم وظيفته ، أليس هو الذى يمتحنه كل يوم وينهيه ويزجره ويبعث باسمه الى ولى الأمر ؟ ومهمة المعلم أن ينكمش أمام الناظر ويتملقه ويكذب عليه . أليس الناظر واقفا له بالمرصاد يتلمس له الاخطاء ؟ أليست مهمة المفتش الانتقاد ؟ وموجز القول أننا نسعى الى التربية عن طرقها السلبية فى حين أنهم يسعون اليها عن أساليبها الايجابية ، لاننا نعتقد أن الاصل فى التلميذ المكر والكذب والخداع والغش ، وهم يعتقدون primama facia ان الأصل فى التلميذ البراءة من كل هذه . وكيف نريد منه بعد ذلك الكرامة وعزة النفس ؟

(٤) لكل معهد هناك مطمح سام فى الوصول الى مثل عليا ، مثل أو اكثر يمتاز بها عن سواه ، ويسمون هذا the tone of the school وترجمته الحرفية « نغمة المدرسة » وترجمته البعيدة « صيتها » . فهذه مدرسة شعارها الصدق ، وهذه الامانة ، وهذه الاعتماد على النفس ، وهذه خدمة الغير . وتجد جميع من فى المعهد من المدير الى الخدم يعملون على تحقيق هذا المبدأ . وأضرب للقارىء مثلا واحدا :

وجد ناظر مدرسة بعد اللعب مع مدرسة أخرى أن أحد الطلبة اللاعبين كانت سنه اكبر من اللازم فأعاد الكأس بعد اللعب مع الاعتذار للفرقة المغلوبة لان قانون اللعب كان ينص على سن معلومة

(٥) تعترف المدرسة هناك بالفروق الفردية بين التلاميذ ، فتنوع لهم المناهج ونواحى النشاط تنويعا كافيا يستطيع أن يجد فيه الطالب ما يلائم ذكاءه واستعداده الطبيعى ، ويتجنب مالا يكون كذلك . وقد شاهدت مرة فى أميركا مدرسة ثانوية قسمت فيها السنة النهائية ٢٩ قسما يختار الطالب منها مع إرشاد معلمه القسم الذى يلائمه

(٦) تعترف المدرسة هناك بوجوب تغذية الوجدان والعاطفة وتهذيبهما ، وذلك بطرق عدة منها العناية بالفنون الجميلة كالموسيقى والغناء وفن التصوير والتمثيل والرقص . وليس معنى هذا أن تخرج المدارس من التلاميذ فنانين ، ولكنها تقوى فيهم بواسطتها ملكتى الاعجاب والذوق السليم ، وبذلك تهذب فيهم الغريزة الجنسية الجامحة وتعمل على صقلها وتثقيفها ، ومنها تدريس المسائل الجنسية تدريسا صريحا لاتشوبه شائبة ، حتى يشب الطالب واقفا على ماهية هذه الغريزة القوية الحيوية ، ملما بنفعها وضررها إلماما علميا لا حياء فيه ، ومنها الاكثار من حفلات السمر التى يمتنع فيها التكليف وتجمع المعلمين والناظر والتلاميذ والتلميذات فى صعيد واحد فيتعلم التلميذ كيف يحترم المعلم بغير أن يكون له عبداً ذليلا ، وتتوطد الالفة بين المعلم وتلميذه بغير أن تفضى الى الاستخفاف ، ويتعلم الصبى أن يجالس الفتاة ويسامرها بغير أن يكنّ لها سوى كل احترام واجلال ، وبغير أن ينطق أمامها ما لا ينطق به أمام أخته أو قريبة له

(٧) لكل مدرسة هناك قاعة للمحاضرات يختلف اليها جميع التلاميذ من جميع الفرق فى خلال الحصص الدراسية مرة كل يوم أو ثلاث مرات أو أكثر كل أسبوع ، لسماع الألحان الموسيقية الجميلة و الاشتراك فى نشيد مدرسى أو قومى أو الاستماع الى خطبة وجيزة أو تنبيهات عامة . وبذلك تتقوى الروح المعنوية esprit de corps

كما أن لكل مدرسة قاعة مطالعة كبيرة تتصل بمكتبة عامرة بالكتب والمجلات يختلف اليها كل طالب يوميا بغير انقطاع وبذلك يشبون على الشغف بالكتب والمطالعة

ولكل مدرسة ملعب كبير gymnasium وبحيرة للسباحة . ومعظم المدارس الثانوية والكليات لا تمنح شهادتها النهائية لمن لا ينجح فى السباحة . يضاف الى ذلك ان من الوسائل التى يلجأون فيها الى تكوين الخلق الاكثار من المصانع فى كل مدرسة وجعل تعليم الحرف اجباريا لكل تلميذ وبذلك يعلمونهم درسا عمليا فى احترام الاعمال اليدوية dignity of labour حتى لا يتكون منهم جيش عاطل من ذوى الياقات البيضاء ، فضلا عن ان فى هذه المعامل تكتشف مواهب الطالب واستعداده

(٨) من وسائل تكوين الاخلاق الشخصية تقوية الصلات بين المدرسة والمنزل ، بين الوالدين والمعلمين . وذلك انهم ينشئون أولا ناديا يختلف اليه الوالدون والوالدات ، يتناولون فيه الشاى أو العشاء أو يعقدون فيه حفلات السمر فى فترات معلومة ، تتاح فيها الفرصة للتعارف بين الناظر والمعلمين من جهة وأولياء أمور تلاميذهم من جهة أخرى ، ولا يخفى أن التلميذ الذى يعلم أن المعلم من معارف أحد والديه يستحى أن يأتى فى المدرسة عملا لا يروق فى عينى والديه ، ويستحى أن يأتى فى المنزل عملا لا يروق فى عينى معلميه . وفوق ذلك فان لكل مدرسة معلمة أو أكثر لا تقوم بالتدريس ولكن تنحصر وظيفتها فى زيارة المنازل للوقوف على الحياة المنزلية والبيئة التى يعيش فيها

كل طالب وتبذل جهدها للتوفيق بين البيئة المدرسية والبيئة المنزلية ما استطاعت الى ذلك سبيلا ووظيفة هذه المعلمة visiting teacher

من زمن ليس ببعيد زار أحد المربين الأجانب المغفور له الملك فؤاد وذكر لجلالته أنه ينوى افتتاح معهد فى القاهرة فقال له الملك : «ينبغى أن تعلم أولا انك ستجد الكثيرين من التلاميذ من غير أمهات ». وكلما ذكرت هذه الواقعة وددت لو أتيح لنا إدخال نظام المعلمات الزائرات فى بلادنا

(٩) لست أريد ان أتحدث عن مهمة المحلل النفسانى ومهمة الموظفين المختصين باستيفاء سجلات الطلبة الخاصة بتاريخهم الوافى من جميع الوجوه كوسيلة لتهذيب الاخلاق . وحسبى فى هذه العجالة أن أشير اليها

(١٠) من أبلغ الوسائل فى نظرى التى تعمل على تكوين الرجولة والشخصية ، المناقشة الحرة فى غرف الدراســة أثناء تلق الدروس الاجتماعية كالتاريخ والجغرافية والتربيــة الوطنية والاخلاق والاقتصاد وعلم النفس الخ ، وفى الجماعات والاندية بشتى أنواعها . وفى خلال هذه الدروس لايعتمد على الشرح ولا على المحاضرة ولا على التسميع ، بل على المناقشة الحرة . وهنا أضع أمام القارىء أمثلة من الاشياء التى يبحثونها فى قاعة الدرس ، ومنها نعلم أنها جميعها تتصل بحياة الطالب وأن المناقشة تسود فيها الحرية التامة وعدم التحيز :

(١) ما الفرق بين الخطأ والصواب

(٢) ما معنى الـكذب ، وهل الغاية تبرر الوسيلة ؟

(٣) هل تقوم الدولة بتعليم أبناء الأمة للمحافظة على كيانها ، أو تنشىء المدارس كما تنشىء السجون للمجرمين ؟

(٤) هل في طاقة الشباب أن يعيش عيشة طاهرة ، أم هذه العيشة لاوجود لها إلا فى عالم الخيال؟

(٥) هل من الصواب أن يسمح للطالب بالتدخين ؟ واذا كان الجواب سلبا فلم يدخن المعلمون وأولو الأمر ؟

(٦) وهل يجوز التدخين للطالبة أيضا ؟

(٧) هل الرقص مرغوب فيه ؟

(٨) ما ينبغى أن يكون شعور المرء نحو من يخالفونه ــ رأيا أو مذهبا أو دينا أو ســلالة أو طبقة أو لونا ؟

(٩) متى يجوز للشباب أن يثور على العادات والتقاليد ومتى لا يجوز ؟

(١٠) ما الفائدة من الدعاء لله أن ينزل الغيث (المطر) فى فترات الجفاف طالما نحن نعلم أن المطر خاضع لقوانين طبيعية جوية هيهات أن يعمل الخالق على كسرها ؟

(١١) اذا كان والد الطالب يعتقد أن دور الـسينما مفسدة للخلق ويحرم على ابنه الذهاب اليها .

والطالب من جهته يعلم أنها وسيلة للتثقيف لا غناء عنها ، فهل يجوز له (ا) أن يختلف الى هذه الدور رغم ارادة أبيه (ب) أو يختلف اليها سراً ويكذب على أبيه (ﺟ) أو لا يختلف أبداً ؟

(١٢) هل من العدل أن تكدس الأموال فى أيدى أصحاب الملايين ويترك الكثيرون فى فقر مدقع ؟

(١٣) أى النظم أصلح للامة : الدكتاتورية أم الديموقراطية ؟ وأى الدكتاتوريات أكثر عطفا على الانسانية : الفاشستية أم البولشفية ؟

(١٤) اذا تعارض الدين مع العلم فأيهما نصدق ؟

وأخيراً أريد أن أوجه الانظار الى أمرين :

(أولا) معظم هذا الكلام عن المدارس الابتدائية والثانوية ...

(ثانيا) لا سبيل الى نجاح الأداة التعليمية فى البلاد إلا بثلاثة أشياء وكل منها فى مصر أعقد من ذنب الضب وهى :

(ا) ادارة حازمة ناجحة عاملة يجمع أفرادها بين المرفة والرونة وحيوية العمر ولذته

(ب) جيش من المعلمين الاكفاء الملمين بالطبيعة البشرية ، المثقفين المحيطين بأحوال البيئة

(ﺟ) رأى عام مستنير يكتسح كالتيار الجارف كل ادارة لا تؤدى الغرض من وجودها

ولنعلم أخيراً أن الاخلاق لا يمكن تكوينها بتدريس الاخلاق على حدة لان الاخلاق شجيرات تغذيها جميع المواد وجميع نواحى النشاط وجميع الشخصيات التى تتصل بالمدرسة . وقد أتيح لى حضور مؤتمر الاخلاق الذى عقد فى واشنطون سنة ١٩٣٢ وقد كان ملخص القرارات التى وضعت فيه ما يأتى :

(١) أن كل منهاج مدرسى حسن يؤدى حتما الى تكوين الاخلاق والشخصية مهما كانت المواد التى يتركب منها

(٢) ان كل طريقة حسنة فى التدريس تؤدى حتما لتحسين الاخلاق والشخصية

(٣) ان كل شخصية قوية بين الادارة المدرسية ومعلميها المتصفين بحسن الاخلاق لابد أن تؤدى الى تكوين الاخلاق والشخصية

أمير بقطر

شبابنا وعاطفة الحب

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

«.. الحب هو الولاء لامرأة واحدة ، هو ارادة الاحتفاظ بهذه المرأة موفورة الكرامة مطمئنة على حياتها ومستقبلها كزوجة وأم . فما الذى يحول بين شبابنا وبين الاحساس بهذه العاطفة ؟ وكيف نغرسها فى نفوسهم وننقذهم من المأساة التى يعيشون فيها ، مأساة العجز عن الحب والعجز عن تحقيق الحب فى دائرة الزواج ؟ هذا ما يجيب عليه كاتب المقال ..»

يزعم البعض أن الحب احساس طارىء ، وعاطفة جائية سرعان ما تستولى على العقل والقلب وسرعان ما تضمحل وتتبدد وتموت

ويرى هذا النفر ان من الخير ألا ينهض الزواج على الحب ، وأن تبنى الأسرة على قاعدة توافق المراكز الاجتماعية واشتراك المصالح المادية ، وان فكرة الزواج نفسها تقوم على معنى الثبات والاستمرار ، وهو معنى يتعارض كل التعارض مع نزوات الحب وتقلباته وسرعة تحوله

هذا هو الرأى الشائع عند طائفة من المحافظين أنصار التقاليد ودعاة الحرص على مخلفات الماضى

فهل هم على حق فيما يذهبون اليه ، وهل صحيح أن زواج الحب لا يعمر طويلا وان زواج المصلحة أصلح وأبقى ؟

الواقع ان اتحاد ذكر وانثى فى غير دائرة الحب الاختيارى هو انحطاط بالكرامة البشرية ، واسفاف بالعلاقات الجنسية ، وتغليب شأن المادة على الروح ، وخنق لعواطف الفرد المتحضر ، واجبار له على الرضى بحياة الكذب والنفاق ، ومحاولة اشباع عواطفه خارج دائرة الزواج بتضحية واجباته البيتية على مذبح أهوائه وميوله وأنانيته

فالذى لا يتزوج عن حب قد يبحث فيما بعد عن الحب خارج نطاق الزوجية

والذى لا يتزوج عن حب يظل حاملا فى أطواء نفسه ذلك الفراغ الروحى الذى يهدد الأسرة بشر الكوارث والنكبات

ثم إن زواج المصلحة قد تدفع اليه فى الغالب تقاليد الآباء وأوضاعهم الاجتماعية ورغبتهم فى توثيق نسبهم بنسب رفيع وارتباطهم بأسرة ملحوظة المكانة ذات نفوذ وسلطان وجاه عريض . فاذا ما اتفق ودبت جراثيم الفساد فى هذا الزواج أحس الزوج أو الزوجة انه لم يكن مسؤولا عن شقائه وان أهله هم علة هذا الشقاء ، فتراه يتبرم بهم ثم يسخط عليهم ثم ينحى على نفسه باللائمة كيف

انه أسلم حياته ومستقبله لقوم أعمتهم النظرة المادية الى الحياة

ونفس هذا الشقاء قد يصيب الفرد الذى تزوج عن حب . ولكن هذا الفرد قد تزوج بمحض اختياره واقترن بالشخص الذى يهوى ، فهو والحالة هذه لا يمكنه إلا أن يحمل نفسه مسؤولية شقائه ولا يشرك سواه فى أسباب ألمه ، شاعراً أبلغ شعور وأوفره بأن عليه وحده أن يقر السلام فى الحياة التى اصطفاها لنفسه

فزواج الحب يغرس فى النفس معنى المسؤولية الشخصية ، ثم هو فوق ذلك يولد فى شخصى الزوجة والزوج استعدادا رائعا لاحتمال عذابات الفقر وتقلبات الزمن ، ثم هو يروضهما على التفاهم الفكرى وعلى التسامح المتبادل والتضحيات المشتركة . فالحب والحالة هذه عاطفة لابد أن يحسب حسابها ، ولا بد أن يقام لها فى الزواج كبير وزن

وسواء أكنا من أنصار الحب فى الزواج أم من خصومه فعلينا أن نسلم بفضائله العظيمة وعلينا أن نعترف بأنه دليل بالغ من أدلة الاعتماد على النفس والاستعداد لتحمل المسؤولية والنزوع الى حياة قائمة على المغامرة والبطولة

ولكن أى حب ذلك الذى يهيء الفرد للزواج ويحفزه اليه ؟

ليس شك فى أنه ذلك الحب الوجدانى الذى يهذب الفكر ويصقل المشاعر ويسمو بقوى الشخصية ويتجه آخر الأمر نحو الاندماج العقلى والبدنى التام . فهل عناصر هذا الحب متوافرة فى نفوس الشباب المصريين ؟ وهل تعدهم حياتهم الراهنة لهذه العاطفة وتدفع بهم لتحقيقها فى دائرة الزواج ، ثم كيف هم ينظرون الى الحب والمرأة وكيف يحبون ؟ . .

الواقع أن العوامل التى تخلق ذلك الضرب من الحب فى نفوس الشباب المصريين ناقصة كل النقص أو تكاد تكون معدومة الوجود فى مجتمعنا المصرى

فالشاب يتزوج وبدلا من أن يعيش فى أسرة تنقضى حياته فى صحراء . فلا امرأة تعطف عليه ولا مخلوق يفهمه ويستطيع أن يودعه صفوة أفكاره وعواطفه

والغريب انه هو نفسه ــ على الرغم من تعليمه وثقافته ــ لم يفكر فى ذلك قبل الزواج ولم يبحث لحظة عن الحب ولم ينشد فى المرأة غير الأنثى الولود ، ولم يسع إلا الى الجاه والثروة وتوطيد مستقبله الاجتماعى وتعزيز مصالحه المادية !

فهو وقد صممه المجتمع ينساق مع التيار ثم يثوب فجأة الى رشده وتستفيق فيه مؤثرات ثقافته فيشعر ان حياته خاوية من كل فكرة أو عاطفة ، وانه يعاشر مخلوقا لا يمت اليه بأية صلة ، وانه يحيا فى الزواج حياة العزوبة ، شريداً قلقا محيراً ، فيثور ويتمرد ويوشك أن يحطم ويهدم . ولكن الحياة تدوخه والعادة تصرعه ، وشيوع هذا النظام فى بيوت الغير يؤنسه ويبتليه بالشلل والعجز فيخضع ويستسلم ويطمئن فى النهاية لحياته البليدة ويعيش رقما غامضا بين أرقام !..

تلك هى للأساة المروعة يحدثها زواج المصلحة ويؤدى اليها نقص العوامل التى تخلق الحب وتجعل منه الطريق الطبيعى للزواج

فما هى هذه العوامل التى تعوق شبابنا عن الاحساس بالحب ، وتحول بينهم وبين اقامة الاسرة على الحب ، وتفسد كيان العائلة ، وتحيل البيت المصرى الى شبه فندق يأوى اليه عابر سبيل ؟

أهم هذه العوامل هى :

أولا — نظام المجتمع المصرى

ثانيا — مركز المرأة فى الأسرة

ثالثا — جهل الآباء بعاطفة الحب

رابعا — اعتقاد المحافظين من الآباء ان الحب عار

خامسا — اللون الغالب على الحب فى الأدب العربى

وسنحاول بحث هذه العوامل الخمسة فيما يأتى :

لا ريب أن نظام المجتمع المصرى ينهض على التفريق بين الرجال والنساء . وهذا التفريق ينشأ من تقديس مبدأ المحافظة على العرض وتمجيد فكرة الشرف

فالعرض فى نظرنا أثمن جوهرة فى تاج المرأة ،والشرف أغلى فضيلة تتحلى بها الأسرة . ولكن محافظة المرأة على عرضها تبدو للبعض منا مستحيلة التحقيق فى جو تسوده الحرية ، واستمساك الرجل بشرف اسرته يلوح مستحيلا أيضا فى جو تسوده العلاقات المختلطة

فنحن نفصل بين الرجل والمرأة فصلا تعسفيا لنجبر كلا منهما على الاحتفاظ بفضيلته . وهكذا نخنق العواطف التى تدفع غلواؤها الى آخر ونستعيض عن هذه العواطف بعلاقات مشروعة ينظمها العقل وتهدي اليها المصلحة

وليس المهم فى نظرنا أن تكون الأسرة دار تفاهم فكرى وعاطفى بين رجل وامرأة ، بل المهم أن تصون الأسرة الأعراض وتحرص على الثروات وتنقذ من مهاوى الفسق وتمكن من الأنسال وحفظ النسب

فكيف يمكن وهذا هو نظام مجتمعنا أن تنمو فيه عاطفة الحب وتتشربها نفوس شبابه وتصبح مقترنة فى أذهانهم بفكرة الزواج ؟

ان الحب عند شبابنا شىء والزواج شىء آخر . والحب نفسه — لاستحالة الاتصال الدائم بين أفراد الجنسين — ينقلب فى نظر الشباب الى محض نداء شهوى مجرد من كل احساس عاطفى وكل إيثار فكرى أو خلقى

هذا هو العامل الأول فى نفور شبابنا من عاطفة الحب . فلننظر فى العامل الثانى وهو مركز المرأة فى الأسرة المصرية

ان اسراف الجيل القديم فى استغلال محللات الشرع للانتقاص من حقوق المرأة والعبث بكرامتها وفرض سلطان الرجل المطلق عليها ، قد لوث نفسية المرأة وامتهنها وترل بها عن مركز ربة البيت وسيدة الاسرة

فالجيل القديم فى مجموعه لم يرع أحكام الشرع وأفرط فى الطلاق وتعدد الزوجات وفى توكيد سيادة الرجل ، فترتب على ذلك أن تسرب الشىء الكثير من هذه الجراثيم الى الجيل الجديد ، فانحطت لديه شخصية المرأة واعتبرت فى نظر الاغلبية منه أداة استمتاع وانسال فحسب

ولا شك ان شباب الجيل الجديد يكافح ويقاوم ويؤمن بوجوب انهاض المرأة وتحريرها ، ولكنه فى أعماق نفسه ما يزال خاضعا لتقاليد الماضى رازحا تحت مؤثرات التربية والوراثة ، لا يستطيع أن يرى فى المرأة غير صورة الانثى ، ولا يستطيع أن يتخيل ويفهم أن فى وسعه التطور بها الى مرتبة المرأة واشراكها فى أفكاره واحساساته واتخاذها صديقة ورفيقة عن طريق العاطفة وطريق الحب

وصحيح ان الشباب يحاول تحقيق هذه الامنية ، ولكن النجاح قل أن يحالفه لان ماضيه يتحكم فى تصرفاته ، ولان المرأة نفسها ـ لفرط ما امتهنت وتعذبت ـ أصبحت تحذر الرجل وتوجس خيفة منه وتعتبر حبه ضعفا فتعمل على استغلال هذا الضعف مما يزيد الرجل حسرة على حسرة ويأسا على يأس

فلا بد من تعاقب بضعة أجيال وترادف بضع سلالات ، حتى يشعر كل من الشاب والفتاة بتلك الاستجابات الروحية التى تفتق جوانب الشخصية وتبعث على الحب وتستقر فى محيط الزواج

وأما العامل الثالث وهو جهل الآباء بعاطفة الحب فهو نتيجة مباشرة للعامل الثانى

وإنه لمن البديهى أن من لا يفهم حكمة الشرع ولا يمعن النظر فى حقيقة مبادىء الدين الحنيف فيطلق العنان لغرائزه ويستبيح لنفسه الطلاق لاتفه الاسباب والتمتع بعدة زوجات دون ما وازع من خلق أو ضمير ، لا يستطيع أن يفهم عاطفة الحب أو يتصور ان الزواج يمكن أن ينهض على الحب

والواقع ان الحب هو الولاء والاخلاص لامرأة واحدة ، هو ايثار امرأة معينة على سواها من النساء ، هو ارادة الاحتفاظ بهذه المرأة موفورة الكرامة مطمئنة على مستقبلها كزوجة وأم . ثم هو فوق ذلك اعتراف صريح من الرجل بأن لامرأته شخصية مستقلة وان لها حقوقا كما ان عليها واجبات

فهذه النزعات الفكرية والعاطفية لم تكن متوافرة فى رجال العهد الماضى ، ولم يكن قد أنضجها التطور بعد فى نفوسهم ، ولم تكن قد خالطت عقولهم وقلوبهم . إذ كيف كان يمكن أن يشعروا بها وهم على ما كانوا عليه من رغبة فى اقامة بنيان الاسرة على سلطة الرجل وحده وعلى تجريد

المرأة من كل شخصية واعتبارها متاعا حلالا وأداة للنسل وحفظ النسب وبقاء النوع ؟

فالآباء والحالة هذه كانوا يجهلون عاطفة الحب . ولقد زادتهم تقاليد الحجاب جهلا بها ، فنشأ من ذلك ان أصبح السواد الاعظم منهم ينكرها على أبنائه ويحرمها عليهم ولا يفهم وجوب اقترانها بالزواج بل لا يسمح بها ولا يطيق من الابناء انتصارهم لها أو ميلهم الى تشييد صرح حياتهم ومستقبلهم عليها

وقد يتفق أن يكون الابن راغبا فى زواج الحب تواقا اليه شاعراً بأن سعادته منوطة به، فيعارضه الوالد ويلوح له بحياته هو وبالسعادة التى أحرزها بفضل زواج العقل والمصلحة ، فيتمرد الابن ويخرج على طاعة أبيه أو يضعف ويستسلم ويستطرد الحياة التى عاشها والده

والحق أن صراع الأجيال يتجلى فى هذا المشكل واضحا مروعا !

فالجيل القديم لايفهم الجيل الحديث ، والجيل القديم يصر على مبدئه ويستخدم نفوذه الأبوى لاقرار نظامه ! والجيل الحديث فى مجموعه يخشى التمرد ويتهيب الطفرة وتغريه فى نفس الوقت قيمة المال ويجذبه عامل المصلحة فيضحى آخر الأمر بعاطفة الحب ويرضى بزواج المصلحة

وهناك ظاهرة أخرى تعوق الشباب عن تحقيق الحب فى الحياة الزوجية . وهى العامل الرابع الذى أشرنا اليه أى اعتقاد المحافظين من الآباء أن الحب عار

هذا الاعتقاد شائع فى معظم بيوتنا ، متأصل فى عقول ونفوس عدد كبير من آبائنا

وهو فى جوهره لايرجع الى شعور باستنكار الحب فى ذاته ، بل الى استنكار النتائج الاجتماعية المادية التى تترتب عليه . وإيضاحا لفكرتنا نقول :

ان من مميزات الحب عدم الاحتفال بالفوارق الاجتماعية وعدم الاكتراث لتوافق المركز والثروة ، وهذا هو مايستنكره المحافظون من الآباء . إذ هم لو سلموا بقانون الحب لاضطروا الى تضحية قانون المصلحة والتسليم باختلاط الطبقات وديمقراطية الحياة العامة

فالحب في نظرهم عار لأنه قد ينزل بالفرد عن مركزه الاجتماعى ويسوقه الى التزوج بمن هو غير أهل له ويدفعه الى مصاهرة أسرة دون أسرته حسبا وجاها وثروة

وهذه النظرة فى صميمها نظرة ارستقراطية أو اقطاعية تنكر العواطف وتنبذها لأنها تتعلق فقط بتقاليد الطبقة ونفوذها فى الحياة الاجتماعية

والآن فلننظر فى العامل الخامس والأخير أى اللون الغالب على الحب فى الادب العربي

هذا العامل الثقافى يحدث ولا ريب فى عقول شبابنا أبلغ تأثير ويوجه حياتهم الخاصة وجهة تعارض كل التعارض مع الحب كما بسطناه آنفا

ان اللون الغالب على الحب فى الادب العربى هو اللون الحسى الشهوى المقرون بشتى ألوان الترف ومختلف ضروب اللهو والتسلية

فالمرأة عند معظم شعراء العرب انثى قبل كل شيء ، انثى من حيث الجمال وانثى من حيث الخلق وانثى من حيث العقل . وما دامت انثى فقط فهي مثار لذة وهي وسيلة من وسائل المرح والتفريج عن النفس ونسيان الحياة

هي كالخمر يذوب فيها العقل وتفنى الشخصية

هي كالغناء الشرقي واسطة لاثارة الأعصاب والهاب الحواس والتحلل من قيود العرف وآداب المجتمع

لذلك يجمع معظم شعراء العرب بين المرأة والخمر والغناء في وحدة فنية ترمي الى الفرار من الحياة الواقعة بواسطة الاحساس بأقوى اللذات مجتمعة

فمحاولة الفرار من الحياة على أجنحة اللذة هي ماينشده أولئك الشعراء في المرأة ، لا محاولة النهوض بها والسمو بشخصها في سبيل تجميل الحياة وترقيتها واضفاء حلة روحانية عليها

فكيف يمكن أن يولد هذا النوع من الأدب الحسي عاطفة الحب في قلوب شبابنا ؟

انه على النقيض يمسخها ويشوهها ويجهز على البقية الباقية منها لأنه يستخدم قوة الذكاء وقوة الخيال وقوة البلاغة في تمجيد اللذة واعتبارها مثلا أعلى

هذه أهم العناصر التي تشترك في تكوين المأساة التي يعيش فيها شبابنا . مأساة العجز عن الحب والعجز عن تحقيق الحب في الزواج ، والعجز عن تجديد الاسرة واقامتها على صرح التفاهم العاطفي والفكري

فاذا شاء الشباب أن يشعر بكرامته ويصون مستقبله وينهض بعقله وعواطفه ويجدد الاسرة المصرية لخيره وخير الوطن ، فعليه أن يجاهد لاصلاح المجتمع المصري وتبديل مركز المرأة في الاسرة والتحرر من بعض مؤثرات الأدب العربي ، وإشعار المحافظين من الآباء بارادته وشخصيته وحقه المشروع في التصرف بحياته

ولكن هذه الاغراض لن تتحقق إلا متى عقد كل شاب متحرر متعلم عزمه على تطبيق علمه على حياته ، وثقافته على تصرفاته ، ومبادئه وأفكاره على بيئته وعشيرته

أما التشدق بالعلم والثقافة والآراء الحديثة مع التردد في تطبيقها على الحياة العملية خشية اثارة المنازعات واستجلاب السخط ، فذلك هو الجبن الشائن الذي يمكن للمحافظين ويحط من قدر الشباب وينقص من قيمة تفكيرهم ويرجع بالبلاد ونهضتها القهقرى !

ابراهيم المصري

الصحافة والثقافة

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

«.. كما تكونون تكون صحافتكم ، فاذا شئتم أن تقوم الصحافة بنصيب أكبر في التعليم فلا بد أن تكفلوا لها قراء في هذا المستوى ، تتوافر لهم الثقافة الكافية وعلى الأخص ملكة النقد والحكم الصحيح على الأشياء .. »

الشأن الأول للصحافة تزويد القارىء بخلاصة مفيدة قريبة المنال عن الدنيا التي يعيش فيها . فان هذه الدنيا في مجموعها أشد تعقيداً من أن يفهمها فكر وحده ، وأوسع رقعة من أن تحيط بها نظرة واحدة . فتتولى الصحيفة من الصحف بما لها من محررين مختصين ومكاتبين في مختلف الشئون ومراسلين في أنحاء المعمورة ، موافاة القارىء في كل حين بصورة مجملة واضحة الحدود عن هذا العالم المترامي الآفاق المتشابك المصالح المتعدد الجهود المتجدد التيارات . فالصحافة من ثم وليدة الرغبة في المعرفة وحب الاستطلاع . وهذه الرغبة الملحة الحافزة التي فطرت عليها النفس البشرية والتي هي قوام كل تقدم عمراني وانتصار علمي ، هي نفسها التي أشعرت بالحاجة الى الصحف وأوجدتها وكفلت بقاءها وزادتها اتساعاً وانتشاراً

وكانت الصحف في أول عهدها بالوجود مقصورة على أخبار الملوك وانتصاراتهم وأسفارهم واستقبالاتهم وحفلات القصر وميلاد أولياء العهد وما الى ذلك مما يتصل بالبيت المالك ومن يلوذ به من ذوي الجاه . وتوالت الأحقاب إثر الأحقاب وأخذ الناس يقبلون على التعليم والالمام بأطراف من المعارف والعلوم وتحصيل مبادئها العامة ، وإذ ذاك أفسحت الصحافة مكاناً فيها لبعض الكتابات في هذا الباب التعليمي مع بقاء الشأن الأول للاخبار . ثم ما لبثت أن ظهرت بوادر الديموقراطية واشتد شعور الانسان بحقوقه ، فالتفت الناس الى أساليب الحكم وأيالة الملك واهتموا بالشئون العامة ، وقام القادة من المفكرين يدبجون البحوث في الصحف بياناً لما يعرض من أمور الدولة وتأييداً لما يذهبون اليه من رأي . وهنا انقلبت الصحافة انقلابها الكبير من سجل للاخبار الواقعية الى أداة للدعاية . فاتخذ دعاة المذاهب السياسية والاجتماعية من الصحف ألسنة لهم ، لكل فريق صحف تنطق باسمه وتروج لمذهبه وتعمل جهدها للتأثير على الرأي العام اجتذاباً للانصار والمؤيدين وتمكيناً له من النفوذ والغلبة

فلما هبت الروح الصناعية التجارية في القرن التاسع عشر هبتها ، وطبعت المدنية بطابعها ، وبسطت سلطانها على جميع مرافق الحياة وتحكمت فيها ، كان من غير المنتظر أن تغفل عن الصحافة

مع هذا الذى لها من الأثر فى الناس والاتصال بالحياة . وكان على الصحافة الاندماج فى هذه الحركة الصناعية التجارية ولا جناح عليها فيا حصل ولا يد لها فيه ، لأنه ضرورة لازبة من مقتضيات الزمن . وقد أحدث هذا انقلابا فى الصحافة لا يقاس به كل ما طرأ عليها من قبل . فقد كانت الصحافة فى طورها الأول تعنى بنقل الأخبار لقرائها الاقلين للاحاطة ، وللقارىء أن يفهم منها مايشاء ويعقب عليها بينه وبين نفسه أو خاصته بما يشاء . ثم انتقلت الى طورها الثانى وهو أدخل فى حياة الناس وأقرب الى الفعل فى سير الحوادث ، فقد صارت أداة فى أيدى دهاقين السياسة للتأثير بها على ذوى الرأى يقصدون بذلك الى توجيه سياسة الدولة هذه الوجهة أو تلك ، ودعواهم على كل حال خدمة الامة والصالح العام

فالصحافة كان لها فى أول أمرها رسالة العلم ، ثم تطورت رسالتها ، كالعلم نفسه ، من مجرد الأخبار وتلقين المعلومات الى تربية الادراك بالبحث والمناظرة . فماذا استجد على الصحافة بعد دخولها الحتمى فى طورها الأخير التجارى ؟

قامت هذه الصحافة الأخيرة على أن يكون قراؤها لا بضعة الألوف المعهودة بل جمهور الملايين من السواد الأعظم الذين تعلموا اليوم القراءة بفضل التعليم الالزامى ولكنهم لم يتعلموا التفكير بعد ، فلا غرو اذا هى أسقطت من حسابها تلك المطولات السياسية المتفقهة المتزمتة التى كانت تدور عليها الصحافة فى طرازها القديم لتنصرف — وهى الصحافة الجديدة — الى ما تمس اليه حاجة القارىء الجديد وتردد ما يستجيب له شعوره . فان هذا القارىء يلمس لا محالة فى عصرنا الحديث أنه فى مجتمع هائل عجيب لا يعرف عنه الا القليل ، وهو قد تعلم القراءة الآن ، فلتكن الصحيفة له اذن فى هذا العيلم الزاخر بمقام الدليل المرشد ، فتقرب الى ذهنه عجائب العلم ومستحدثات الصناعة والتقدم فى وسائل النقل وتيسير الأسفار وما الى هذا ، كما توقع فى روعه الهول والعظمة فيما يقع للجند الدافعين ورواد المجاهل المستكشفين والطيارين الأولين وما بسبيل ذلك ، وهذا وذاك جميعه فى سياق شائق وأسلوب حى يجعلان هذه المطالعات فى حيز تجاريبه الفعلية ومغامراته الشخصية

ثم يأتى بعد هذا — بل قبله بالنظر الى اهتمام الملايين من سواد القراء — تفصيل خبر ما يقع من الجرائم ، فان أقل الجرائم شأنا يطلق العنان لخيالهم . فترى القارىء أشبه ما يكون بكلب الشرطة البراق العينين فى مطاردته للمجرم حتى مكمنه . أو هو يتخيل نفسه ذلك و الخارج على القانون ، كبير الهمة رائع الاقدام ، صاحب النجدة والروعة على الدوام ، القائم فى وجه العالم كله ، نسيج وحده فى وحدته وعزته

وهناك فيما عدا هذه ألف موضوع وموضوع مما كانت الصحافة القديمة تعتبره لغوا لا قيمة له ، فاذا هو من دواعى رواج الصحافة الجديدة : كيف تنجح فى الحياة ؟ فى أى سن تتزوج ؟ خير الطرق لاستحمام الطفل الرضيع أو لصنع الحساء الشهى أو لتنظيف الأنف ، وهلم جرا من أمثال

هذه الارشادات النافعة والوصفات المنزلية . فالصفات الواجب توفرها لنجاح صحيفة حديثة هي ما يتصل بالحياة الخاصة ، وما يفعل في الخيال ، وما يتعلق باللعب والرياضة . أما الحوادث السياسية مهما بلغ من خطورة شأنها فلا تستهوى جمهرة القراء إلا اذا أفرغتها الصحيفة في صورة المأساة حتى يرى العامل والمستخدم الصغير مآسى حياته فيها . وظاهر أن هذا النموذج من الصحافة جاء مطابقا لحاجة حقيقية ، فهو امتداد لشخصية القارىء وفيه إيناس له بما يجلوه من التشابه بينه وبين الملايين حوله في شواغلهم الخصوصية ونشاطهم العملى واحساساتهم وأحلامهم

واذا كانت الصحافة القديمة تعالج الموضوعات الاجتماعية والسياسية على نحو الرسم التخطيطى يرمز الى مواضع الأشياء وعلاقاتها ووظائفها دون تجسيمها وإبراز صورها وما كانة عملها ، فان الصحافة الحديثة أشبه بالستار الفضى تعرض عليه الصور المتحركة متعاقبة تجتذب الانظار وتحرك المشاعر ، ثم منها أيضا المفيد ، ثم هى قبل كل شىء تتوخى الابداع والادهاش

والصحافة الحديثة في سعيها للرواج لا تدع وسيلة ، حتى لتعمد أحيانا الى الترغيب في شرائها بانشاء جوائز أو توزيع نصيب لأصحاب الحظ من قرائها أو باعطائهم الحق في التخفيض في ثمن ما يبتاعونه من السلع في بعض المحال والاسواق . وذلك أن الصحافة لم تعد أداة دعاية للنفوذ السياسى فحسب كما كان العهد بها من قبل ، وانما هى تنظر أيضا من وراء رواجها الى الكسب . فهى اليوم ليست بمعزل عن العوامل الصناعية التجارية بل انطوت في سلطانها كما انطوت السياسة نفسها . وهؤلاء ملوك الصناعة وعواهل التجارة في عصرنا هم المسيطرون الحقيقيون على مصائر الأمور

ولقد اتخذ هؤلاء الممولون الصحف للاعلان عن مصنوعاتهم ومتاجرهم . وكلما وضحت فائدة الاعلان بين الملايين من القراء الجدد من جميع الطبقات اشتد حرص أصحاب الاعلانات على نشرها ، وغالى أصحاب الصحف في أجور النشر على قدر رواج صحفهم ، حتى أصبحت الاعلانات الركن الركين في قيام الصحافة والمورد الاكبر لثروتها . وأدى التنافس بين الصحف فيما يزيد من رواجها من مضاعفة عدد أوراقها وأبوابها وكتابها وصورها ، ان أصبحت الصحيفة تباع بأقل من تكاليفها وصار المعول كله على الاعلانات في سد النقص وتوفير الكسب . ومن فضول المقال أن نشير الى ما تستتبعه هذه الحال من أن الصحيفة من هذه الصحف مهما لهج اللاهجون باستقلالها فلا مراء أن للشركات الكبرى صاحبة الاعلانات بعض الأثر فيما يكتب فيها من المقالات والاخبار

وعلى كل حال فان هذه الصحافة الجديدة يتوخى الكتاب في تحريرها مثالا يجعلونه نصب أعينهم ، وهو أن القارىء أو القارئة انما يلقون عليها نظرة في فترات الترسل وخلو البال أثناء تناول فطور الصباح أو في أثناء العودة في الحافلة أو القطار بعد نهار من العمل الناهك . فالمقصود بها تسلية قرائها ، وترضى ما نشأوا عليه من ميول ، ومصانعة ما ورثوه من اعتبارات ومزاعم متواترة

وما نحسبنا نعدو الحقيقة اذا اجترأنا فقررنا أنه فى عهد هذه الصحافة الجديدة تم الانفصال بين «الجريدة» و «الكتاب» . وان القارىء نفسه ليحس من تلقائه الفارق فى القيمة بين الكلمة المطبوعة فى كتاب والكلمة المطبوعة فى جريدة . وهو يحتفظ بكتبه وقد يراجع القراءة فيها ، وقلما يحتفظ بجريدته أو يعود اليها

ويجب أن ننبه فى هذه المناسبة الى ان المجلات غير ما نقصد اليه بكلامنا عن الصحافة . لأن المجلات مكانها بين الجريدة والكتاب ، ويختلف الكلام فيها بمقدار ميلها الى هذه الناحية أو تلك . والذى يحدو محبي الانسانية الحريصين على تقدم المدنيـة الى التوجه دائما الى الصحف قبل غيرها بالتفكير ومطالبتها بالشىء الكثير ولعله المستحيل ، فذاك ان انتشارها هائل لا يعدله انتشار المطبوعات الاخرى مهما يكن من رواجها

والصحف يصح فيها أسوة بغيرها قولنا : « كما تكونون تكون صحافتكم » فاذا شئنا أن تقوم الصحافة بنصيب اكبر فى التعليم فلا بد أن نكفل لها قراء فى هذا المستوى . قراء تتوفر لهم الثقافة الكافية وعلى الأخص ملكة النقد والحكم الصحيح على الاشياء بحيث يقيمون من أنفسهم رقيبا على ما تنشره الصحافة من غث وسمين ومنطق ومخالف للمنطق ويقتضونها وصفا للعالم وللحالة السياسية والقيم الأدبية أجدر بالثقة مما تفعل الصحف اليومية عادة . واذا كان غير قمين بالصحافة أن تقف عندما يستطيبه القراء ويحلو لهم وأن تكون مجرد مرآة لعقليتهم ، فانه كذلك من الظلم لها أن يلقى على عاتقها واجب المعلم كله وأن تكون المسئولة وحدها عن الثقافة . ولا مراء فى أنه اذا تضافرت القوى كلها للنهوض بالتعليم بمختلف الطرق على وجهه الصحيح لتهيأ للصحافة أن تكون بحق : المترجم والمعلم معا

عبد الرحمن صدقى

الشعوبية في العصر الحديث

بقلم الاستاذ على أدهم

« . . ليست الشعوبية شرطاً أساسياً للقومية لأن الامة وحدة سياسية تمهد أسبابها الدوافع الاقتصادية والروابط اللغوية والدينيـة والموقع الجغرافى وذكريات التاريخ . وأما الصفات الاخلاقية الجيدة والمواهب العقلية الممتازة فليست وقفاً على جنس من الاجناس أو على شعب من الشعوب . . »

الشعوبية فى العصر الحاضر فى طليعة المعضلات الجسام التى يتناولها المفكرون من نواحيها المختلفة ، وتستأثر بالنصيب الأوفر من عناية الساسة ، وهى من المسائل التى تتأكد أهميتها ويشتد تعقيدها على مرور الايام وتكاثر الأجناس . فعلاقة الأوربيين بالسكان الاصليين في افريقية لا تزال من مشكلات القرن العشرين المستعصية . وفى الولايات المتحدة رغم كل ما يبذل من جهد لتوحيد العناصر ولم مبعثر الشمل ، لا تزال المسألة الشعبية تثير الخلاف وتؤجج العداوة وتنبه الفتنة ، ففى الجنوب تعد مشكلة الزنوج من المشكلات المحيرة . وكثرة هجرة الصناع من أوروبا خلق فى الشرق مشكلة خاصة،وفى نواحيها الغربية يثير وجود اليابانيين عداوات جنسية شديدة واحتكاكات خطيرة. وتبرز هذه الصعوبات وتزداد كلما كثر تلاقى الاجناس المختلفة وتقدمت المواصلات واشتد الترابط الدولى وعظمت الحاجة الملحة الى الهجرة بسبب عدم التكافؤ فى توزيع السكان واشتداد الشعور القومى واتساع نطاق التعليم ويقظة الطموح السياسى

ولتأثير الجنس والقول به ثلاث مدارس ، احداها تقول إن للجنس أهمية أساسية وأن مستقبل الحضارة قائم على صراحة الجنس وخلوصه من الشوائب ، ومن بين أنبياء هذه المدرسة دزرائيلى الوزير المشهور والكونت جوبينو ، ومن أقوال دزرائيلى فى ذلك : « ان شعبا خالص الجوهر لم يشوهه الاختلاط لهو ارستقراطية الطبيعة » وكان يصرح بأن الأرض سترثها الشعوب النقية وتبيد الدخلاء الهجناء ، وأنه لا قوانين العقوبات ولا الآلام الجسدية ولا الاضطهاد الشديد تستطيع أن تجعل شعبا أرقى يتحلل وتفنى شخصيته فى شعب أدنى ، واسترعى جوبينو التفات الاوربيين الى ضرورة الاحتفاظ بصراحة الجنس الابيض وتنزيهه عن الاختلاط بسائر الأجناس . وقد قسم الشعوب الى ثلاثة أقسام شعوب بيضاء وصفراء وسوداء . والعظمة والنبل والتفوق مقصورة فى نظره على الشعوب البيضاء ، وهو فى أكثر بحوثه يطيل الأسف ويكثر من التحيب لأن الشعب الأبيض الخالص قد تدنس شرفه وتلوثت دماؤه لتنازله الى الاختلاط بالشعوب الملونة ،

وهو يذهب الى أن التزاوج بين الشعوب المختلفة قد يسمو بالشعب الوضيع ويصلح من شأنه ويسفر عن نتائج محمودة ، والعبقرية الفنية فى رأيه غريبة عن مختلف الشعوب ، وهى اعاشات من التزاوج بين البيض والسود ، ولكنه مع ذلك يرى ان انحطاط الجنس الأبيض بسبب الاختلاط شر لا يستعاض عنه ولا تزيل آثاره اية ميزة . والتزاوج بين الأجناس الثلاثة هو فى نظره سبب تدهور النوع الانسانى

والسياسة العملية التى تقوم على هذه النظرية هى الحرص على الاحتفاظ بالشعب الابيض القوى وصونه عن الاختلاط بمختلف الشعوب ،حتى يستمر فى تقدم مطرد وتغلب دائم على قوى الطبيعة ويسمو بمعايير الاخلاق ومقاييس الفن . وسيصل تأثيره بعد ذلك الى الشعوب المتخلفة فيعلى منها ويقوم من أمرها . وتقدم الانسانية رهن بوجود تلك الارستقراطية بين الأمم

والمدرسة الثانية تعتبر الشعوبية بابا من أبواب الشر ومصدر خطر كبير ،وينادى أنصارها بأن توطيد السلام والقضاء على أسباب النزاع بين الشعوب والامم وتقريب وجهات النظر المختلفة ، لازم لتقدم الحضارة واطراد سيرها .ويقتضى ذلك نبذ فكرة الشعوبية واضعافها والعمل على زيادة الاختلاط بين الشعوب وتوثيق الروابط والصلات. وأقوى المدافعين عن هذا الرأى عارضة وأشدهم نشاطا هو الكاتب الانسانى المشهور ولز

والمدرسة الثالثة تنكر صحة فكرة الشعب ، وترى أن الشعوبية من المسائل التى تخلقها سرعتنا فى تصيد الاحكام واقتناص الآراء والمبادرة بدون روية ولا اعتدال الى تعميمها والتوسع فى تطبيقها، ويملى لنا فى ذلك التعصب والكراهة والغرور، وأكثر الصفات التى نعزوها الى شعب من الشعوب مردها فى الحقيقة الى الوسط الطبيعى والبيئة الاجتماعية والأحوال التاريخية

ويرى بعض الباحثين فى طبقات الشعوب وأطوارها أنه قد وجد ثمانية أنواع من الانسان ، ولكن الرأى الأغلب ان ايجاد الانسان استلزم من الطبيعة قدرة خارقة ومجهوداً ضخما ، وهى أكثر تحريا للاقتصاد من أن تستنفد قواها وتفنى حيلها فى خلق أنواع أخرى من الانسان

وفى الماضى العريق الموغل فى القدم الذى لا يلمع فى ظلماته بصيص من النور ولا توضح مجاهله أضواء ولا معالم ، انتشر الانسان على سطح الكرة الارضية وسعى فى مناكبها فنشأ فى افريقية الزنوج وفى اسيا المغول وفى أوروبا الجنس الأبيض القوقاسى والتقسيم الغالب للشعوب هو تقسيم الانسانية الى ثلاثة أجناس : الجنس القوقاسى والجنس المغولى والجنس الزنجى ، فالقوقاسى يشمل أكثر أهل أوربا وشمالى افريقية وجنوب غربى اسيا ويضم التيتونى الأزرق العين والايطالى الملوح الخد والاسبانى والساميين فى جنوب غربى اسيا والحاميين فى شمالى افريقية

وليست الشعوبية شرطا أساسيا للقومية ، لأن الأمة وحدة سياسية تقوم على ملامح عضوية متشابهة سببها تقارب المنشأ واتفاق الوسط ، وتمهد أسبابها الدوافع الاقتصادية والروابط الدينية

واللغوية أو التجمع لرد غارة ودفع اعتداء حربى أو اقتصادى . ومن مقوماتهـا الوقع الجغرافى والاشتراك فى الذكريات التاريخية ، والشعور الشعبى قد يكون كبير الأثر فى تكوين القومية وتوحيد الأمة ، ولـكن الأمة يمكن أن تتم وحدتها وتقوى قوميتها وهى مع ذلك مكونة من شتى الشعوب والأجناس

ومن الادلة الناهضة على وحدة النوع الانسانى ان الشعوب المختلفة عندما تتكون منهـا أمة يتقارب تفكيرها ويتشابه مزاجها ويصبح ما بينها من وجوه الشبه أقوى وأوضح مما بينها وبين الشعوب الامس بها رحما . فالتمـاويون مثلا وهم من أصل مغولى قد أصبحوا أوربيين فى تفكيرهم وهم الآن أقرب الى الاوروبى القوقاسى منهم الى المغولى الشرقى ، ومما يعزز وجود هذه الوحدة ان اختلاط السـلالات المختلفة لا ينتج نسلا منحرفا عقيم الذرية ، ومن أقوال العلامة الشعبى راتزل : « لا يوجد سوى نوع واحد من الانسـان ، والتنوعات على اختلافها وكثرتها لاتنتهى الى الاعماق »

وتقول طائفة كبيرة من العلماء بتساوى الشعوب ، وأنه لا فضل لاحدها على الآخر . وينكر بعض العلماء ذلك ، فالقائلون بالوحدة الاصيلة الجوهرية للنوع الانسانى يفسرون الاختلافات الثقافية والعضوية بالوسط الطبيعى والبيئة الاجتماعية ، ويؤكدون قابليـة النوع الانسانى للتغير والتكيف على حسب الظروف ووفقا للمؤثرات المتواترة . والقائلون بنقيض ذلك يعللون الاختلافات المعهودة بين الشعوب بوجود تنوعات أصيلة مركوزة ثابتة أوعلى الاقل طويلة الدوام شديدة التشبث بالبقاء ، ويمكن القول بأنه لم يهتد حتى الآن الى فيصل حاسم يميز الكامن الاصيل فى طبائع الشعوب مما يرد عليها من تأثير البيئة وفعل الوسط ويجعلنا نقدر دور كل منهما فى الحضارة

والتجارب التى أجريت فى دراسة الفروق والخصائص الشعبية لا تزال قليلة ولا تزال نتائجها مظنة التعصب والتحامل ومجافاة الروح العلمية والبحث المتنزه . وفى علم الاجتماع وعلم طبقات الشعوب دعاوى عريضة وتعميمات شاملة ونظريات لامعة لا تقوم على أساس وثيق ولا تستند الى تجارب علمية ، وعمادها ما يكتبه السائحون وما يلحونه بنظراتهم الخاطفة وخواطرهم السانحة ، وكثيراً ما تتعارض تلك النظريات وتتصادم أحكامها لقيامها على زيوف الآراء وسطحى المشاهدات

وكثيراً ما يردون نكوص الزنجى فى مضمار الحضارة الى نقص طبيعى مركب فى فطرته ، ولكنه تعليل لايؤيده الاثبات العلمى . وهناك أسباب كثيرة يمكن أن يعزى اليها تأخر الزنجى ، أهمها احتكاكه القليل بالحضارات الاخرى وطبيعة الامراض المتفشية فى افريقية وهى من شأنها اضعاف قوى الذهن وحيوية الجسم

ويمكن القول بأن الصفات الاخلاقية الحميدة المرجوة والمواهب العقلية الممتازة ليست حكراً موقوفا على أرومة من الارومات أو جنس من الاجناس ، وليس لشعب من الشعوب تفوق داخلى بارز ومواهب لدنية موروثة . ولقد أحاطت بالاوروبى القوقاسى ظروف تاريخية واحداث اجتماعية

زودته بصفات خاصة وأكدت فيه مواهب معينة وميزته بالقدرة على التعاون والتساند . وأكثر ابتكارات الاوروبى وما قدمه للحضارة يرجع الفضل فيه الى بروز تلك الميزة فى سلوكه ، فليس هو أقدر على الابتكار من الصينى الذى استعمل الابرة الممغطسة والفرقعات والطباعة وعرف وسائل الرى قبل أن تعرف فى أوروبا ، وقد امتاز الاوربى بقدرته على تطبيق تلك المخترعات واعمالها فى مجال واسع ، وأعانه على ذلك غريزة التعاون القوية فى نفسه

والمغولى صانع قدير وفنان بارع ومنظم ممتاز وفيلسوف صادق الوحى ملهم الفكر ، فقد ابتدع البوذية والكونفوشيوسية وهما من ديانات العالم العظيمة . والزنجى موهوب فى الفن والموسيقى ، وجوبينو نفسه أكبر غلاة المدرسة النوردية ينسب اليه الحاسة الفنية ، والزنجى شخصية جذابة ترجع الى خلقه الرضى وعاطفته الشبوبة وفكاهته المشرقة وهى احدى خصائصه ونبع فياض من منابع حيويته وله جلد على العمل الشاق المرهق

وقد اشتركت الشعوب المختلفة فى بناء الحضارة ونشر المعرفة ، وقد أخذ الأوربيون التقويم عن بابل ، وحروف الهجاء عن الفينيقيين ، وأرقام الحساب من الهند ، والدين من اليهودية ، واقتبسوا القوانين من الدولة الرومانية والفلسفة من اليونان ، واستمدوا أسس العلم الحديث من العرب

وقد علل بعض المؤرخين المتشبعين بالفكرة الشعبية سقوط الحضارات القديمة بالاختلاط الشعبي ، وقد عزا هوستن شمبرلن سقوط روما الى اختلاط العنصر الرومانى الحر بالشعوب الأخرى ، ولم يلق باله الى أن شر قياصرة الرومان الذين عجلوا بسقوط الدولة الرومانية من أمثال تيبرياس ونيرون وكاليجولا ودومتيان ، كانوا جميعا من أصل رومانى خالص . وسقوط الدولة الرومانية أكثر تعقيداً من أن ينسب الى سبب واحد ، وهناك أسباب اقتصادية هامة ودوافع سياسية داخلية وثورات اجتماعية كان لها الأثر الأكبر فى احداث ذلك السقوط . وقد توفرت طائفة من كبار المؤرخين على بحث تلك العلل ولم يروا فى مسألة الاختلاط الشعبي ما يستدعى عنايتهم وما يكشف لهم عن العلة الخفية واللغز الغامض فى انهيار حضارة الرومان

ولقد ادعى أنصار المدرسة النوردية للنورديين من بارع الخلال وأثير المواهب ما يجعلهم المتفردين بخلق الحضارة وحمل رسالتها ، ولكن الكثير مما كتب فى هذا الموضوع يعزى الى عدم استقامة الفكر وشدة التعصب . ويقول فريق من المتمسكين بهذا الرأى ان حضارة الرومان واليونان استمدت وحيها من أصل نوردى ، ولكن المعروف الآن أن حضارة اليونان كانت فى جوهرها احياء للحضارة الايجية ، والايجيون على ما يظهر من سكان حوض البحر الأبيض المتوسط ، وقد تمخض غزو أهل الشمال عن عصور مظلمة استلزم انقاذ أوربا من دياجيرها عدة قرون ، وكان الفاتحون الغزاة من الشمال أقل مستوى ثقافة وأقرب الى الهمجية من الشعوب المتحضرة التى غلبوها على أمرها

والنظرية الألمانية الحديثة التى يؤيدها النازيون نظرية الشعب الآرى قائمة على أن النورديين بيض الوجوه ذوى الرؤوس المستطيلة فى شمال أوروبا هم الممثلون للشعب الآرى الأصيل ، وأن هذا الشعب هو أرقى أنموذج للثقافة فى العالم المتحضر وأسمى ما أنتجته الحضارة سواء فى العصور القديمة أو العصور الحديثة ، وان الطبيعة قد خصتهم بصفات جسدية تبين أقصى التطور الذى بلغته الصورة الانسانية ، وحبتهم بمواهب عقلية ضنت بها على غيرهم أصبحوا بفضلها سادة وحكاما فى العالم القديم والمجتمع الحديث وحازوا بذلك تليد الشرف وطريفه وجمعوا المجد من أطرافه . واختلاط النورديين بالسلالات الأخرى من شأنه أن يضع منهم ويحمل فى تضاعيفه عوامل الركود والانحطاط . فمن أوجب واجبات الحكومة إذن الاحتفاظ بالشعب الآرى سليما خالصا من شوائب الاختلاط سواء من الوجهة الحيوية أو الاجتماعية أو السياسية . والأدلة الآن متوافرة على أن مسألة الدم الآرى التى أسطورة من الأساطير وخرافة من الخرافات التى تتخذ ستاراً لاخفاء المآرب السياسية وضربا من الدعاية التى يقصد بها ايقاظ الشعور القومى واذكاء الروح الوطنية

ومسألة الشعوبية من المشكلات المعقدة التى يعالجها ساسة العصر الحديث ، والمعتدلون منهم يتعبون رويتهم فى التوفيق بين سير الحضارة وحركة التقدم والاستفادة من المواهب الشعبية المختلفة . والمعروف الآن فى علاج الموقف ثلاث نظريات : نظرية احتفاظ كل شعب بمقوماته وشخصيته خلال اقامة أفراده بين ظهرانى شعب آخر أكبر منهم عددا ، وتسمى نظرية الاجتماع المتمايز ونظرية الفصل والعزلة ونظرية المزج ، والنظرية الأولى وهى نظرية ابقاء شعبين متجاورين تنتهى فى الأغلب بتغلب الشعب القوى ، ونظرية الفصل والعزل واقامة أفراد كل شعب فى حى بعيد عن الآخر أو منطقة منعزلة خاصة جربت فى الولايات المتحدة مع الزنوج ولم تأت بنتائج مرضية . والطريقة الثالثة وهى مذهب اختلاط الاجناس المختلفة وتزاوجها تلقى معارضة من بعض الشعوب وتصادف ترحيبا من شعوب أخرى . والنقد الوحيد الجدير بالاعتبار الذى وجه اليها هو أن التزاوج بين الشعوب المتقاربة ينشأ منه نسل قوى ، بخلاف التزاوج بين الشعوب المتباعدة الأصول فانه ينشأ منه نسل منحرف مختلط مستضعف

وخلاصة القول أن أكثر المفاضلات بين الشعوب قائمة على اللجاجة فى التعصب والاغراق فى الأنانية وتشويه الحقائق وتغذية روح الزهو والغرور على حساب البحث النزيه والاستفادة من عقلية الجماعات التى لا يؤثر فيها العقل ولا تفقه المنطق . وتقوية النزعة الانسانية تقتضينا أن نعرف ذلك ونهتدى بهديه

علي أدهم

الجنون أساسه الاختلال فى بعض القوى الذهنية ، أما العبقرية فتضخم
فى بعض قوى الذهن العليا على حساب القوى الغريزية العمياء . فالجنون
شذوذ أصله اختلال وانحلال ، والعبقرية شذوذ اصله سمو وارتفاع

هل الجنون من مستلزمات العبقرية

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

لكى نجيب على هذا السؤال جوابا صحيحا ، يجب أن نتناوله تناولا علميا بحتا ، أى يجب أن نحدد معنى اللفظين (الجنون والعبقرية) تحديداً علميا سيكولوجيا مبنيا على حقائق تشريحية وفسيولوجية ثابتة ، وبعبارة أخرى يجب أن نفهم عملية التفكير فهما دقيقا ، فبغير هذا الفهم لا نستطيع أن نصل الى شىء ثابت

أما الجدل الأدبى فلا يؤدى الى نتيجة . سيقول الأدباء ، ويقولون دائما ، إن آية العبقرية الشذوذ ، وآية الجنون الشذوذ ، وإذن فالشبه بينهما متين ، واذن فهما من عنصر واحد . وهذا منطق غير معقول . فقد تجد اثنين يتشابهان كل المشابهة فى تقاسيم الوجه ، وفى أشياء أخرى ، ومع ذلك ليسا ولدين لأب واحد ...

وان الذين يهتمون بدراسة علم النفس سيخرجون بنتيجة مخالفة كل المخالفة لما هو مفهوم أدبيا عند أكثر المثقفين . وقد كنت أعجب لرأى شوبنهاور حين يصف العبقرية ، فقد أصاب اكثر الحقيقة بتحليل منطقى فلسفى غريب ، وقد أيدت رأيه السيكولوجية الحديثة المبنية على دراسات تجريبية قوية . وسيرى القارىء تفصيل هذا بعد

إذا أردنا ان نتناول دراستنا تناولا علميا وجب علينا أن نبدأ البحث من أوله ، وذلك يستلزم أن نذكر فى ايجاز بعض الحقائق التشريحية والفسيولوجية للمجموع العصبى ، ومن ذلك الوصف نمضى الى شرح الحقائق السيكولوجية التى تعنينا فى بحثنا

فالمجموع العصبى يتكون من قسمين ، المخ وفيه المراكز العليا ، ثم النخاع وفيه المراكز السفلى ، والثانية تابعة للاولى وتحت تأثيرها واشرافها ، وهى أبسط منها تركيبا ، وتمثل المجموع العصبى البدائى ، على أن العمل فى كلتيهما تقوم به خلايا عصبية متصلة متشابكة . وفى كلتيهما وحدة العمل أساسها ما يسمى بالقوس الانعكاسية reflex وهى تتكون من محرك ورسول ومحطة ، ومهما اختلف نوع هذه القوس ، فهو اختلاف فى الكيف اذ هى فى المراكز السفلى بسيطة ، وفى

المراكز العليا معقدة ، ولكى نفهم عمليات التفكير والانفعال والارادة ، يهمنا أن ندرس القوس المعقدة فى المراكز العليا

فهذه القوس المعقدة مبنية فى الواقع من طبقتين طبقة عليا وطبقة سفلى ، أما الأولى ففيها التفكير والانفعال والارادة ، وأما الثانية ففيها الوجدان والغرائز ، وسنسمى القوس العليا اختصاراً قوس التفكير ، والقوس السفلى قوس الغرائز . ويجب ان نعلم أن تلك القوى تعمل معا عملا منسجما متحداً غير أن القوس العليا تكبح القوس الدنيا وتمسك بلجامها ، ومآل كل ذلك الى التنفيذ ، وهو ما يسمى علميا بالسلوك ، أو الخلق . فالسلوك اذن متصل اتصالا وثيقا بالعمليات الفكرية ، وفساد الخلق مظهر من مظاهر اختلال تلك العمليات الذهنية ، وهذا السلوك يجب أن يكون أثره الطبيعى « أن يتلاءم الشخص مع البيئة التى يعيش فيها » أى يجب أن تكون التفاعلات الذهنية محققة لهذا الأمر فى النهاية ، والا حدث مايسمى عند الانجليز وضع الوتد المستدير فى الثقب المربع ، فتكون النتيجة أن الوتد قد لا يستطيع دخول الثقب ، أو يتكسر الوتد باصطدامه مع الثقب الذى لا يقبله

من هذه المقدمة يتضح لنا :

١ — ان المراكز العليا للمخ تسيطر على السفلى

٢ — ان القوس الانعكاسية هى وحدة التفكير . وهى فى المراكز العليا تنقسم قسمين : أعلى وأدنى ، والأعلى يسيطر على الأدنى ويكبح لجامه

٣ — ان نتيجة التفاعلات الذهنية أن يتلاءم الشخص مع الوسط الذى يعيش فيه

٤ — ان التفاعلات الذهنية مكونة من عناصر هامة أرقاها التفكير والارادة ، وادناها الغرائز

أما التفكير فيتوقف على التذكر ، ويتفرع من ذلك الخيال ، ويتصل بالتفكير اتصالا شديداً ما يسمى بالانفعال ، وعند ما تتكون مجموعة من الانفعالات حول غرض واحد يتكون ما يسمى بالاحساس

والتذكر يحدث بما يسمى « تداعى الافكار » أى ان الكلمة تجر أخرى من مكمنها والفكرة تبعث الفكرة الدفينة من مكمنها

وتوجد فى المخ أجزاء تدعى « مساحات التداعى » وكلما زاد ذكاء الشخص كبرت هاته الأجزاء واتسعت مساحتها ، وكلما اتسعت مساحتها ، كان محصولها من الكلمات والافكار والصور أغنى وأكبر . فشاكسبير أمكنه أن يستعمل ١٥٠٠٠ كلمة لأنه عبقرى ، وقد لوحظ أنه كلما قل ذكاء المرء قل عدد الكلمات التى يستعملها ويكررها بعينها

والوعى هو مركز التفكير ، اما مركز الذاكرة فهو العقل الباطن وهو الذى يرسل الكلمات أو الصور المدفونة ، وعلى مقدار قوته تتوقف سهولة بعث هاته الكلمات أو الصور أو المعانى ،

وارسالها الى مركز الوعى ، فمن الواضح اذن أن فى العبقرية (١) يكون مركز الوعى قويا متماسكا،وتكون قوس التفكير طاغية متحكمة فى قوس الغرائز (٢) يكون العقل الباطن قويا كذلك اذ هو يغذى مركز الوعى

ويزاد على ذلك شىء يعده كثير من الفلاسفة وعلماء النفس أساسيا وهاما فى العبقرى . وهو (٣) تكون التفاعلات الذهنية عنـد العبقرى على أشد ما تكون التفاعلات حدة وتجدداً وحيوية. فالشخص العادى تكون عنده التفاعلات الذهنية كل يوم سائرة على نظام واحد لا يتبدل ، اما فى العباقرة ، فالصور الذهنية ، والأفكار ، تتبدل وتتغير وتتشكل على آلاف من الأشكال ، تتقابل وتتنافر ، تقرب وتبعد ، تجرب وتستحدث . وهذا يحقق ماسمعناه من الأدباء فى وصف العباقرة ، فان « ويل درانت » يعد هذه الحيوية الثرية أساس كل عبقرية ...

ويقول كارليل إن العبقرية قدرة على الصبر والتعب قبل كل شىء ...

ويعد وليم جيمس هذا « التخمر » الذى لا بد أن يحدث حدثا يوما ما ، أساسا العبقرية يفوق عوامل الوسط والمناخ والتركيب الشخصى . وقد أفرد فصلا خاصا بذلك فى كتابه « أوراق فى الفلسفة »

وما شأن الغريزة إذن ؟

هى فى رأى الاستاذ كول ترمي الى « الاتجاه نحو هدف ما بغير تبصر ولا تعليم »

وهنا يحسن ان أذكر رأى شوبنهاور الذى أشرت اليه قبلا ، فهو عند ما تكلم عن العبقرية قسم العملية الذهنية الى ارادة وغريزة ، أى الى قوسين كما صنعنا ، فنى الاطفال والحيوانات تكون قوس الغريزة كل شىء ، وفى الاشخاص العاديين تتساوى القوسان قوة ، وفى النساء (فى رأى شوبنهاور !) تطغى قوس الغريزة على قوس التفكير ، وفى العباقرة تتضخم القوس الفكرية حتى تكتسح القوس الثانية اكتساحا تاما

ولذلك تكون من صفات العبقرى

(١) ان يرى مالا يراه الشخص العادى ، بسمو تفكيره وخياله وانفعاله

(٢) ان يرى وجوها للمسائل لا يراها الشخص العادى ، الذى يحكم بالغريزة ، والغريزة عمياء « غشيمة » لا ترى غير وجه واحد ولا ترى غير نفسها

(٣) ان يكون صادق الهوى غير متحيز لانه يرى للمسائل من جميع وجوهها

(٤) ان يتنبأ تنبؤاً صادقا بما سيحدث بعد زمن ، لانه بعيد النظر دائب التفكير

فالعبقرى على ذلك شخص غير عادى لانه يرى غير ما يراه الناس ويحكم غير حكمهم ، فهو فى رأى العامة « مجنون » ، وفى رأى الطب والسيكولوجيه يمثل أرق طبقات الذهن البشرى

والواقع انه هو «الانسان» كما يجب ان يكون

وأما الباقون فى الطريق نحو هذا الانسان !

ولم يعد من جدال اليوم فى أن العبقرية وراثية وأن للوسط والمناخ والعوامل القومية والجنسية أثراً بعيداً ، وقد أمكن للعلم الحديث أن يقيس الذكاء الفطرى ويضع له درجات ،وأكثر الاختبارات ترمى الى عرفان القوى الذهنية المبنية على التفكير والذاكرة والخيال ، مع استبعاد آثار العلم المكتسب

هذه هى العبقرية . فما هو الجنون ؟ !

الجنون هو فى رأى مرسييه « اختلال فى أى عنصر من عناصر القوى الذهنية »

وقد يكون هذا الاختلال تشويها أو توقفا فى النمو ، أو انحلالا أو التواء أو مبالغة فى عنصر من تلك العناصر . والنتيجة ان المجنون ولايتلاءم مع الوسط الذى يعيش فيه ثم يصطدم به اصطداما ضاراً لأحدهما أو كليهما ، ولايدرك انه يقوم بما لا يجوز »

ولا جدال اليوم فى أن للوراثة والبيئة والتربية المنزلية الأولى ، والتركيب الكيمياوى الحيوى للانسجة العصبية شأنا كبيرا

ويقول مرسييه ان أكثر حالات الجنون سببها تسمم بطىء ، يؤدى الى انحلال العرى بين المراكز العليا والمراكز السفلى ، ثم يؤدى الى انحلال العناصر التى تكون تلك المراكز ، ويمكن احداث الجنون عمليا باعطاء أى سم من السموم بالتدريج

ويعتقد مرسييه أن السكر ضرب من الجنون ، ويبالغ فيقول ان المجرم لا يرتكب جريمته إلا وهو سكران .. أى مجنون !

وفى رأى فرويد أن العوامل الوراثية وتركيب البنية فى المقام الأول ، ثم يتلوها عنف النضال بين عناصر الوعى وغير الوعى ، ثم بين العقل بأكمله والمؤثرات الخارجية ، وبين الذات والذات العليا التى هى بمثابة الرقيب . فهذا النضال هو السبب فى الأمراض العصبية ثم فى الجنون ، ولكن لابد من استعداد خاص كالوراثة والبنية ، ويضاف الى ذلك عوامل أخرى كالادمان والمخدرات والافراط التناسلى والاجهاد العقلى

يتضح مما تقدم أن العبقرية هى تضخم فى بعض القوى الذهنية العليا على حساب العناصر البدائية العمياء . وان الشذوذ ناشىء من أن العبقرى غير عادى . وان الجنون أساسه اختلال فى بعض القوى الذهنية . فالمظهر الخارجى هو الخروج على المألوف فى المجنون والعبقرى . ولكن التحقيق العلمى يدلنا على أن الشذوذ فى المجنون أصله اختلال أو انحلال ، والشذوذ فى العبقرى أصله سمو وارتفاع . وشتان بين هذا وذاك ، وان اتحد المظهر فى الخروج على المألوف

ابرهيم ناجى

الصراع الغرامى

بين رجولة جورج ساند
وانوثة الفريد دي موسيه

ظل الشاعر الفرنسي الكبير الفريد دى موسيه يحلم طوال أيام حداثته بحب امرأة نادرة تجمع الى فتنة البدن جمال العقل والروح . ولقد كان رجلا حاد المزاج سريع التحول متوثب الأعصاب خيالى النظرة الى المرأة والحياة ، فقضى ردحا طويلا من شبابه الأول مطلقا العنان لغرائزه يلهو ويمرح مع نساء عابثات مستهترات ، أمتعنه بكل ما فى الحياة من ملاذ حسية وضيعة سرعان ما تتبدد وتخلف القلب البشرى فى عزلته الأبدية ، يجد فى البحث عن نعيم الحب وسعادة الهوى

والواقع أن إمعان الفريد دى موسيه فى مخالطة أولئك النساء زاده رغبة فى المرأة الكاملة المنشودة التى كان خيالها يطوف بذهنه ويحتل عقله ويعكر عليه صفو لياليه ويبتليه بضرب من الحزن العميق الممزوج بالضجر والتبرم والحسرة

كان يخشى أن يموت قبل أن يعرف الحب . وكان يخاف أن يصرعه القدر وهو لم يعرف غير اللذة الغادرة التى تزول بزوال الساعة ، وكان شعره فى تلك الفترة من حياته رجع صدى نفسه القلقة الحائرة فى بحثها الطويل عن العاطفة المشبوبة الخالدة

هذا السعى المطرد وراء الحب أفاض على قصائده حلة ساحرة غريبة ! فشاع فيها نوع من السذاجة الفاتنة والبراءة المعبودة والطفولة الخلابة ، مما أكسبها شهرة واسعة وأجراها على كل فم وكل لسان

وعندئذ تنبهت الكاتبة الروائية النابغة جورج ساند لشخصية الشاعر الفريد دى موسيه أعجبت به وراعها منه سذاجته وشدة إيمانه بأحلام الحب وتقديسه جمال المرأة وطهرها فأحبته . .

أحبت فيه الشاب اليافع والفتى الغرير والبطل الخيالى والشاعر المتلهب صدقا وحماسة وإخلاصا وكانت امرأة ناضجة الأنوثة وافرة قوى العقل مضطرمة الحواس جليدة الأعصاب حديدية الارادة ، عاشت وأحبت واختبرت الرجال وعرفت منهم عدداً كبيراً من صفوة عظماء عصرها ونخبة أفذاذه ونوابغه

والحق أن جورج ساند كانت قد مجت اللذة هى الأخرى وتاقت الى الحب ، الى حب صادق ينبع من قلب برىء ، فتوددت لموسيه وتقربت اليه وافتنت فى استمالته وإغرائه ، فبهت الشاب وازدهى وتملكته النشوة الكبرى ، نشوة العابد الصوفى إذ يستفيق من تأملاته فيبصر معبوده ماثلا أمامه يتألق حسنا ويختلج حركة وحياة

شعر موسيه أن حلمه قد تحقق وأن المرأة المنشودة الجامعة الى فتنة البدن ، جمال العقل ، أصبحت له وحده ينعم بها ويستطيع أن يستلهمها أروع القصص وأبدع الاشعار ، فاسلم نفسه لها وانقاد لنزواتها وودع العالم وتبعها وهو موقن بأن حبهما سيكون أقوى من الموت لأنه أقوى من الحياة

وأرادت جورج ساند ألا ينازعها فى حبيبها انسان . وأراد موسيه أن يباعد بينها وبين مفاتن باريس ، وأن ينتزعها من أيدى المعجبين بها ، وأن يطمئن فى العزلة الى حبه ويتطهر من شوائب الغيرة ولوثات الشك ، فاتفقا على ترك العاصمة والسفر الى البندقية مدينة الهوى والحلم

وهناك ، فى تلك الوحدة الزاخرة بالحب المحفوفة بالدعة والأمن ، نشبت بين العاشقين معارك نفسية مروعة ، وتجلت عوامل صراع عنيف بين رجولة جورج ساند وانوثة الفريد دى موسيه أسفرت عن تمزق فؤاد الشاعر وانهيار حلمه وخيبة أمله وتقوض الصرح الذى شاده بعقله ودمه !

واليك أهم العناصر التي اشتركت فى تكوين هذه المأساة كما ذكرها الأديب (روجيه فونتان) فى كتابه عن حياة موسيه :

كان موسيه يحب الناس وكانت جورج ساند تكرههم

كان الشاعر مولعا بالحياة فى المجتمعات وكانت القصصية تهوى التأمل والعزلة

كان الرجل كسولا يقضى سحابة نهاره متنزها فى القوارب ، وكانت المرأة جادة عاملة تشتغل أكثر من أربع عشرة ساعة فى اليوم ولا تغادر مكتبها إلا لتخرج باحثة عن حبيبها فلا تلتق به إلا فى الحانات سكران معربداً

وكان موسيه أهوج طائشاً نزقاً ، يعد بشىء ثم ينسى فيخالف الوعد ، يقتنع بفكرة ثم يتأثر بنقيضها فجأة وبلا سبب ، يهتم بشخص ثم يعرض عنه بغتة وفى غير أدب ، يظهر اعجابه بحبيبته ثم يطرى أمامها محاسن من صادف فى البندقية من نساء . وهكذا كان يعيش معها ساعة ويعيش فى الخارج ساعات ، يتجول فى أنحاء المدينة ويغشى احياءها الشعبية ، مصطحباً فى جولاته رهطا من البحارة وفئة من الموسيقيين وجما مشاغبا من المترفين العاطلين وطائفة مختارة من بنات الهوى

والغريب فى أمر الفريد دى موسيه أن القوة التى حفزته الى الاسراف فى اللهو والافراط فى المرح كانت هى نفسها قوة الحب !

كان افرط حبه جورج ساند يود لو استطاع أن يحتنق العالم

كان حبه الشديد يغريه بالفرح ويدفعه الى السرور ويدعوه الى التسامح وعدم الاكتراث ويضاعف أخلاقه تقلباً وتلونا ويزيده طيشاً ورعونة كطفل فاز بما يشتهى فهو يطرب ويهلل ويملأ الدنيا صياحا وضجيجاً

وأما جورج ساند فكانت هادئة النفس صافية العقل متزنة الأعصاب تنظر الى شاعرها نظرة اللاحظ الصارم فتستجلى بواطن شخصيته وتقف على حقيقة اهوائه وتعد عليه هفواته وتشعر على الرغم منها بعظم الفارق بين خيالها عنه وبين ماهو عليه فى الواقع

وأعجب من كل هذا أن الفريد دى موسيه ظل يمرح ويعربد دون أن تخطر على باله لحظة واحدة فكرة خيانة جورج ساند ! . .

أجل ، كان يحيا بين أجمل نساء البندقية ، ولكنه لم ير فيهن من تستحق قبلة أو نظرة ولم يتطلع الى امرأة غير حبيبته ولم يسمح لغرائزه بتلويث ضميره ، وكان فى لهوه مثال الترفع عن كل ما يمكن أن يسىء الى الخلوق الذى يجله ويعبده

ومع ذلك فقد أعرضت عنه جورج ساند وتنكرت له وزايلها شيئاً فشيئاً حبها الجامح القديم

أعرضت عنه لا لأنه لم يكن وفياً لها ، بل لأن أخلاقه لم تعجبها . .

أعرضت عنه لأنها لمست فى سلوكه وتصرفاته ، ولا سيما فى طيشه ونزقه وتقلبه وسذاجته ، أشياء هى فى عرفها من خصائص الأنوثة ، هذه الخصائص التى كانت تكرهها وتحاربها في ذاتها وتجتهد في تحرير نفسها منها

شعرت أنها بارادتها القوية وحبها العمل وهدوئها واتزان أعصابها ، تمثل فى هذه المأساة دور الرجل وأن موسيه برعونته وغروره واستهتاره يمثل دور المرأة فكبر عليها أن يستعبدها الحب لمن هو أضعف منها ، وثارت فى نفسها تلك الرغبة الأبدية ، رغبة المرأة فى الرجل الذى هو أقوى منها والذى تستطيع أن تحبه لأنه يستطيع أن يخضعها ويفرض عليها سلطان رجولته وخلقه ! . .

ولم تعد تحتمل الحياة مع الشاعر ونمت فى ذهنها فكرة الانفصال عنه

أرادت أن تسترد حريتها وتتخلص من هذا الطفل المتعلق بعنقها . ولكنها احجمت أول الأمر وترددت

أحست غرامها القديم يستفيق من سباته ويستولى عليها ويقترن بعاطفة جديدة لم تكن فى حسبانها

خيل اليها أنها تحنو على موسيه حنو والدة على ولدها وأن شيئاً من روح الامومة قد سرى في حبها ، فتريثت وراجعت نفسها واستقر رأيها على وجوب تهذيب شخصية حبيبها لتتمكن من الحياة بجواره والاخلاص له

حاولت أن تجعل من الشاعر الكسول رجلا عاملا ، ومن الفتى الطائش شابا عاقلا ، ومن الانسان الصلف المتكبر المستهتر المغرور مخلوقا رقيقا هادئاً متواضعاً ، فبدأت تصارحه برأيها فيه ، وتنتقد مسلكه بالحسنى ، وتمده بمختلف الارشادات والنصائح ، وتدفعه الى حب العمل اليومى ، وتزين له حياة البيت ، وتبذر في عقله وقلبه بذور الارادة والقوة والرجولة . ولكن الشاعر استخف بها وسخر منها ثم كبر عليه أن تجرؤ امرأة على اقتحام حرمه النفسى ، فتمرد عليها وازمها حدها ، وانطلق يلهو ويمرح وفق هواه وهى تنذره وهو يضحك ويهز كتفيه غير حافل

ويجب إنصافا لجورج ساند أن نقول إنها أعادت الكرة مرات ، وجاهدت أسابيع طويلة لتبديل شخصية حبيبها ، وأنها استعطفت وتوسلت وبكت ولكن على غير جدوى

حينئذ دب اليأس في فؤادها ، فتغير كل شيء فيه واستحالت الى امرأة أخرى

أهملت الشاعر بتاتاً فالتهبت كبرياؤه وكاد يجن !

لم تكترث له وشرعت تخرج مع سواه وتتعرف الى الرجال وتغشى المجتمعات وتطيل السهر في الملاهى حتى ساعة متأخرة من الليل

وأصبح هو الذى يمكث في البيت بمفرده وهو الذى ينتظرها وهو الذى تأكل الغيرة قلبه وعقله وهو الذى يمثل حقيقة دور المرأة المستضعفة المنكودة الحظ

وعصفت به الغيرة وبرح به الألم ، ولكنها لم تشفق عليه ومضت توفق بين حياة العمل وحياة اللهو هانئة سعيدة طروبا كأن وجوده بالأمس كان عالة عليها

ولم يفهم موسيه أنها بمسلكها الجديد أرادت اشعاره بضرورة الانصراف عنها

لم يفهم أنها أعرضت عنه ليتخلى عنها من تلقاء نفسه

لم يفهم أنها زهدت فيه وأن من واجبه أن يرحل ، فاستمسك بها وازداد تعلقاً بحبها وآلى على نفسه أن يسترجعها مهما كلفه الأمر

واحست جورج ساند بثقل وطأة حبه عليها فزادته إعراضا وجفاء ، فاحتمل ، وزادها لعنا وتقرباً وغيرة ، مما أثار حفيظتها عليه وولد فيها الرغبة الآثمة في الغدر والانتقام

وإذ ذاك أصيب الفريد دى موسيه بحمى خبيثة ألزمته الفراش وحالت بينه وبين كل مقاومة وقع فريسة للمرأة وهو لايدرى !

سلمته المقادير اليها وتركتها تفعل به ماتشاء !

اصطنعت الحنان وتكلفت العطف وتظاهرت بالاخلاص والتضحية ، وأخذت في البدء تعنى

به وتسهر عليه وتحرص على معاونته فى كبح المرض ، ثم تراخت عزيمتها وفترت همتها وابتردت حماستها ، وعادت الى الخروج ليلا مع أصدقائها ، متناسية ذلك المريض المنبوذ الذى يئن فى وحدته عذابا وحسرة !

ولما اشتد به المرض جاءته ذات يوم بطبيب ايطالى يدعى (باجيالو) . ولم يكد يبصر هذا الطبيب الجميل الأسمر اللون القوى العضل ، ولم يكد يلحظ نظراتها اليه ويستبطن حديثه اليها ، حتى ارتعد وانخلع قلبه ، وشعر بالحقيقة المرة تنفذ الى صدره كطعنة سكين !

أدرك والحمى تلهبه وتذهب بقوى عقله أن ذلك الطبيب أصبح عشيقها !

أدرك أنها اغتنمت فرصة مرضه وخدعته !

أدرك أنها تعمدت ارتكاب هذه النذالة لتجهز على البقية الباقية من أمله وتقطع بينهما فى المستقبل كل صلة !

أدرك هذا إدراكا عميقاً جارفا ساحقا . وفى تلك اللحظة ، فى تلك اللحظة التى خلدها فيما بعد فى اشعاره ، أحس موسيه احساسا طارئا غريبا أن كل شىء قد انتهى ، وأن الكرامة أغلى من الحب ، وأن الحرية أغلى من الهوى ، وأن الحياة أرحب وأجمل من أن تحصر فى شخص امرأة ، فعقد العزم على أن ينقذ نفسه ويحطم قيده ويتخلى عن جورج ساند متى استطاع مغادرة الفراش

ولقد رد الألم اليه رجولته ، ولم تثنه الحسرة الدفينة عن عزمه . فلم يكد يشفى حتى جمع أمتعته وحزم حقائبه وودع المرأة المنشودة وعاد بمفرده من حيث أتى

عاد الى باريس يحمل شخصية رجل . ولكن قلبه كان قد مات . مات لتبعث عذاباته شعراً خالداً على مر القرون والأجيال

نظرات فى الحب

* قبلة واحدة فى وسعها أن تهدم حياة انسان !
* الفقير الذى يحب ويستطيع أن يكون محبوبا هو الغنى المحسود !
* الحب وحده هو الذى يقى الانسان أحيانا من الانتحار !
* لا يصح أن نثق بامرأة تصارح بسنها الحقيقية !

« أوسكار وايلد »

حضارتنا عالمية

وكذلك يجب أن تكون ثقافتنا

« . . ان الأخذ بثقافة معينة ضرب من العبودية الفكرية ، سرعان ما تنتهي بنا الى عبودية سياسية واقتصادية . . »

وردت فى كتاب للمفكر المجرى هنرى رالف(الوطنية أو الانسانية) هذه العبارة : « أصبحت الحضارة الصناعية الراهنة حضارة العالم بأسره . وهذه الفكرة قد فهمتها الشعوب الشرقية وشرعت تأخذ بها وتحاول تطبيقها على أنظمة حياتها . ولكن السبب فى أن تلك الشعوب ما تزال متأخرة ، يرجع الى أنها لم تفهم بعد أن الثقافة أصبحت كالحضارة عالمية أيضا ، وان كل شعب يفرض على نفسه ثقافة محدودة أو عدة ثقافات معينة لا بد أن تتجه ميول أفراده وجهات مختلفة متباينة تهدد آخر الأمر ذلك الانسجام المعنوى الذى ينهض عليه بنيان الأمة »

هذا ما يقوله العلامة المجرى .والواقع أن الظاهرة التى أشار اليها يلحظها الباحث فى مختلف أمم الشرق العربى ولا سيا فى مصر

فنحن نعيش الآن خاضعين لعدد معين من الثقافات الأجنبية يحتل عقولنا ويسيطر على عواطفنا ويصدر عنه وحى تفكيرنا واحساسنا

فالذى تثقف منا ثقافة انجليزية ، يظاهر الانجليز ويؤيد المبادىء والتعاليم الانجليزية ويمجد الروح الانجلوسكسونية . والذى تثقف ثقافة فرنسية ينتصر لنزعات الفرنسيين ويشدو بالعبقرية اللاتينية ، والذى أحرز قسطا وافراً من ثقافة الألمان يسخر بالثقافتين المتقدمتين ويقدس فضائل العنصر الجرمانى

فكل فرد من هؤلاء يتجه فى حياته ومنزعه الفكرى اتجاها خاصا ، ويحاول أن يطبع أعماله وجهوده بصبغة الثقافة الأجنبية التى تشربتها نفسه ، بل هو يجتهد متى تزعم حركة كبيرة أو متى أسند اليه منصب خطير ، فى طبع أعماله العامة بطابع تلك الثقافة المعينة التى يدين بها ويرى الخير كل الخير فى ترويجها ونشر الدعوة لها

ولقد ترتب على هذا ان فشا بيننا التعصب الثقافى للمقوت وانحدر منه نوع آخر من التعصب السياسى للأمة صاحبة الثقافة المفضلة

وأبلغ دليل على ما تقدم أن فى البلد الآن تيارات ثقافية متعارضة تحاول الدول الأجنبية استغلالها فيا يعود عليها بالنفع فى دوائر السياسة والاقتصاد

والحقيقة ان مصر أشبه بمنجم حافل بالكنوز تسعى الدول الأجنبية لاستثماره من طريق العمل على نشر ثقافتها وتكوين طوائف من المصريين تعتنق هذه الثقافات وتنقسم على بعضها وتنحاز كل منها لدولة دون أخرى مما يعود آخر الامر بالنفع العميم على نفوذ تلك الدول ومصالحها المادية

ولقد اتجهت مصر صوب أوربا منذ عهد محمد على الكبير ، وكانت ميالة بوجه خاص الى اقتباس الانظمة والتعاليم الفرنسية ، ثم جاء الاحتلال البريطانى فحاول زعزعة نفوذ فرنسا . وهاهم الانجليز يبذلون قصاراهم لتغليب ثقافتهم على البقية الباقية من سلطان فرنسا الادبى

وأما نحن فما نزال نتخبط بين هاتين الثقافتين وبين غيرهما تخبطا تبدو آثاره فى أعمالنا وتصرفاتنا وأساليب الحياة فى بيوتنا واللغة الاجنبية التى نتخاطب بها فى منازلنا ، بل فى انتاجنا الفكرى نفسه

وليس شك فى أن هذا التعارض الثقافى يهدد كيان الوحدة المعنوية المصرية ويوسع مسافة الخلف بين أفراد شعب واحد ، ثم هو بعد ذلك كله يفقدنا الاحساس بشخصيتنا المصرية التى تضمحل وتتبدد وتغيب معالمها فى شخصية الأجنبى وطابعه

ولقد استفحل ذلك التعصب الثقافى فى نفوسنا الى حد أن أصبح تحقيق التفاهم بين عناصرنا المثقفة أمراً عسيراً شاقا ، فبتنا نرى المنازعات الفكرية والخلافات العقلية وتضارب الميول والأهواء العاطفية والخلقية ، ماثلة فى عائلاتنا بين من تلقوا العلم من أفرادها فى انجلترا مثلا وبين من تلقوه فى فرنسا أو المانيا

وهكذا شملت الحيرة الحياة المصرية وعمها القلق وأحاطت بها عوامل التفرق والتوزع . وأمست مضطربة لا تدرى على أية ثقافة تستقر ومن أية ثقافة تستوحى وتقتبس

ومما لا يقبل الريب أن هذا الداء الذى ينخر هيكل الوحدة المصرية كامن فى عجزنا عن ادراك الحقيقة التى أشار اليها الكاتب المجرى ، وهى أن ثقافتنا يجب أن تكون عالمية بما أن الحضارة العصرية التى آمنا بها وسلمنا بوجوب الأخذ بها ووطأناها أكنافنا أصبحت حضارة العالم بأسره

فواجبنا اليوم وقد سلكنا سبيل هذه الحضارة أن نقتدى بأقطابها وأن نتعصب للفكر لا للفكر ممثلا فى ثقافة معينة ، وان نتعصب للفكر الحر لا للفكر مقيداً بوجهات نظر خاصة وبميول واعتبارات لا تتفق ونفسيتنا ومزاجنا

المهم أن نفهم ان الأخذ بثقافة معينة ضرب من العبودية الفكرية سرعان ماتنتهى بنا الى عبودية سياسية واقتصادية

المهم أن نقبل على شتى ثقافات العالم ننهل منها مااستطعنا ، وان ندرك أن ثقافة الهند أو الصين أو روسيا أو ايطاليا أو اسبانيا أو بلاد أوربا الشمالية ، لاتقل عظمة وروعة ولاتقل نفعاً لنا وفائدة لنهضتنا عن ثقافة الانجليز أو الفرنسيين أو الألمان

وأما ثقافتنا العربية القديمة فلا ينبغى أن تستحيل فى أذهاننا الى شبه عقيدة تقيد عقولنا وتشل حركاتنا وتستغرق مناحى تفكيرنا وتباعد بيننا وبين العالم

ان تلك الهالة القدسية التى يخلعها البعض على الثقافة العربية لمن أفعل الأشياء فى خنقها ، وان ذلك الوهم الشائع بأن تلك الثقافة قد وسعت المعارف جميعا ، وان الاكتفاء بها فرض على كل شرقى عربى غيور ، لمن أشد المؤثرات وأبعدها خطراً على مستقبل العربية ومصير الشرق العربى

ومن الخطأ أن نتصور أن فى تمذيننا للثقافة العربية تقوية لعصبيتنا القومية ، إذ الواقع أن تضييق دائرة الذهن ، وحبسه فى محيط الماضى ، وقصره على تمجيد عقلية محدودة ، هذه الفروض لا تقوى العصبية القومية بل تضعفها ، لانها تقطع صلاتها بعوامل الرقى الخارجى وتحرمها الانتفاع بثمرات عقول الغير وتحيلها الى ايمان تعصبى قائم على المكابرة والعناد والجهل

وإذن فليست العبرة فى أن نكون مثقفين بل فى ان تكون ثقافتنا مطلقة واسعة الأفق رحبة الفسحات مترامية الأطراف،خالية من شوائب التعصب المرذول تستمد قواها من مختلف القوى وتنحدر وتنصب آخر الأمر فى الطينة المصرية والمحيط المصرى لتعزيز وحدة الأمة واقرار الانسجام الفكرى بين أعضائها ومضاعفة شعورها بشخصيتها الممتازة وخصائص كيانها المستقل

فنحن كلما تجردنا من التعصب لثقافة معينة ازدادت قدرتنا على اقتباس ما يصلح لنا من متعدد الثقافات وازداد احساسنا بحريتنا وتوكيدنا لهذه الحرية

ويجدر بنا أن نلاحظ ان سمونا فوق التيارات الثقافية المتنوعة ، ونظرنا اليها جميعا بعين البحث المجرد ، وتجنبنا اجراء أية موازنة أو مفاضلة بين واحد منها وآخر ، واستعدادنا للاعتراف بما فيها من جوانب القوة ونواحى الضعف ، كل هذه الفضائل تساعدنا على الاحتفاظ بجوهر عقلنا الفاحص وتنقذنا من شر المحاكاة ووصمة التقليد وتدفع بنا الى الخلق والابتكار بما يتفق ومؤهلاتنا ونظرتنا الحرة الى الحياة

فكما نحن نكره العبودية لسياسة دولة معينة كذلك يجب أن نكره العبودية لثقافة أمة معينة

وهذه الكراهة هى سر عظمة الأمم الاوربية الكبيرة التى تنصف ثقافات الأمم الاخرى وتنقلها الى لغاتها وتبحثها وتدرسها وتقدر قيمتها ، لا لتتعصب لواحدة منها بل لتمد عقول أبنائها بلقاح جديد يغذى روح الأمة ويدعم كيانها المستقل ويزيدها شعوراً بقوة شخصيتها

ولقد عرض الكاتب النمساوى ستيفان زفايج لهذا الموضوع فى حديث له مع محرر مجلة « الحياة الجديدة » الدنمركية فقال ما معناه :

« نشأت مولعا بالثقافة الفرنسية فغلبتها فى نفسى على سائر الثقافات وتعصبت لها ، وذهبت فى تعصبى الى حد انى أردت لبلادى أن تنسلخ عن ماضيها وتنكر تراثها الأدبى وتقبل على كل ما هو فرنسى تصطنعه اصطناعا حتى يصبح على مر الزمن طبيعة فيها . وكنت أعتقد أن هذا هو السبيل

الأوحد لرقيها وان فناءها المعنوى فى قرننا هو خير تجديد لحياتها ونشاطها

«والحق أن هذه النزعة لم تضيق فى نظرى محيط بلادى فحسب ، بل ضيقت محيط شخصى أيضا. فشعرت على الرغم منى انى قد بدأت أقلد الفرنسيين فى حياتى وطريقة تفكيرى وفى أساليب الأدبى وانتاجى العقلى . الى ان بدا لى فى يوم من الايام انى لم أعد نمساويا وانى غريب عن وطنى ودخيل على أهلى وعاجز عن كل ابتكار وانتاج

« وعندئذ أيقنت ان لا شخصية لى وان تعصبي لثقافة واحدة هو الذى يوشك ان يجهز على

«فلما أحسست هذا الخطر فى ساعةمن ساعات التأمل ومحض الضمير، ثبت الى رشدى وفتحت بصرى على العالم الواسع وآليت على نفسى ان أكون عالمي الفكر جديراً بالحضارة العالمية التى أعيش فيها ! »

ومثل هذا الذى وقع لستيفان زفايج فى مستهل حياته ، يقع لمعظم الأفراد فى فترات ضعفهم ولمعظم الشعوب فى فترات ضعفها أى فى أزمنة التحول ومراحل الانتقال

فنى عهد التحول تضطرب النفوس وتتداعى القواعد ويسرع الانسان الى كل جديد تسوقه اليه المصادفة ، فيتعلق به ويتشبث بأوضاعه ويؤمن على الفور بقيمته ويعتقد أنه السبيل الأوحد لتعجيل التحول واجراء الاصلاح المنشود

ولكن الاصلاح العميق هو نتاج شتى الثقافات مستخلصة مركزة

والتجديد الصحيح هو نتاج الكل الشامل لا الجزء المنفصل المحدود

فالقدرة على حيازة هذا الكل هى دليل القوة وهى عنوان التأهب لتوكيد الشخصية توطئة لاحراز السيادة والتفوق

والذى يسرى على الفرد يسرى على المجموع

فكما أن ستيفان زفايج بعد إذ تحرر من لون معين من الثقافة ، وبعد إذ تطلع الى مختلف آفاق المعرفة ، استطاع أن يشعر بشخصيته ويستجلى بواطنها ويؤكد لها السيادة والتفوق باظهار ما كانت تنطوى عليه من ملكات الخلق والابتكار ، كذلك المجموع لا يبتكر ولا يقوى ولا يسود إلا بعد إذ يهضم جهازه الفكرى أوفر العناصر وأغزرها كى يحولها الى مادة مستقلة تضمن حياته وتتجه بدورها الى منفعة الآخرين . وفى هذا يقول فرانك رالف :

« ان جسم الانسان السليم عالمى بطبعه بمعنى انه يعيش ويقتات من كل شىء . فلا عجب ان يكون الذهن السليم أيضا عالميا ، وان تكون الحضارة كذلك مشتركة مع الطبيعية فى تمجيد روح القوة ونزعة العالمية ! »

سجل الأيام

عرض عام لشؤون الشرق العربي ومسائل السياسة العالمية

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

أفراح الملوك
ملوك الافراح

ليت لنا لسان الشعراء بل ليتنا أعطينا ريشة الفنانين لنصف أفراح الأمة في فرح مليكها

واذا قلنا أفراح الأمة قلنا أفراح الامراء والعمال والفقراء وأفراح كل من احتوته شمس مصر الزاهرة

فليهنأ صاحب العرش بما حباه الله واختصه به ـ ليهنأ بشبابه وروعته وليهنأ بزوجه وما من الله عليهما به من حب وجمال وليهنأ بمحبة أمته له

وليهنأ بملك تريده ويريده هو ملكا مؤيداً بالعدل معززاً بالحرية مكرما بالمساواة بين الرعية من الآن والى أبد الآبدين

شؤوننا الداخلية : الدستور !
الدستور ! وما هو الدستور ؟

عندما فرغ القانونى « سائيس » رئيس اللجنة التى نيط بها وضع الدستور فى عهد نابليون من مهمته قدم الى الامبراطور فى حفل ، والداهية « تاليران » واقف الى جنب مولاه ، ففتح سائيس فاه وقال : « ها قد أنجزنا يا مولاى ما أخذناه على عاتقنا من جهد وأتممنا نصوص الدستور فجاءت شاملة كاملة »

قال تاليران : « ومبهمة »

ولم تكن فى الواقع مبهمة ولكن عبقرى الاستهتار أراد أن يعبر بكلمة واحدة عما سطره التاريخ ولا يزال يسطره من خلاف على الدساتير ، تفسر بشيء الآن وبشيء آخر بعد زمان ،وهكذا الى أن يسود روح الوفاق والتعاون أو تتغلب إرادة على أخرى

وقد قالوا تعليلا للتقنين ووضع الشرائع فى مواد ذات أرقام وأعداد إنها وضعت هكذا لا لتكون فى متناول الكافة فحسب بل ليحمى صاحب الدعوى نفسه من قاضيه عند ما تطرح لديه الخصومة ، فلا يميل مع الهوى بل يقضى بما هو منصوص فى مواد معينة مرقومة

وقالوا فى كتب شرح الدساتير شيئاً كثيراً وفى الأنظمة البرلمانية شيئاً أكثر ، لعل خيرها ما يستخلص من درس تاريخ انجلترا البرلمانى ومطالعة سير رجالهم وأعمالهم باعتبار أنهم طليعة الأقوام الدستوريين وقادة الحكومات البرلمانية ، فقد اجمعوا أمرهم على أن معنى الحكومة البرلمانية وروح النظام الدستورى هو أن تكون الحكومة حكومة تعاون وتفاهم وتساهل لا حكومة تمسك بمواد ونصوص

فسموها بلسانهم Government by Concession

فالدستور روح وليس ألفاظا جوفاء

أما التمسك بالروح فيحيى ، وأما الحرف فيميت

قوام الحكومة الصحيحة فى النظام البرلمانى الأخذ والعطاء وسبيلها محاولة الاقناع . فشىء من النزول عن بعض الأمر هنا وشىء مثله هناك وهكذا حتى يلتقى الفريقان

النظام البرلمانى القائم على الدستور ليس مواد قانونية مهما تعددت مواده . ان هو إلا روح سهلة متساهلة تعلم ما لها وتدرك ما عليها فلا تصلب ولا عنت

وهو بعبارة أوضح ذوق وكياسة

حتى تكييف المواد القانونية فى المحاكم ان لم يتناوله القاضى فى ذوق وكياسة التوى القصد من العدالة وضاعت الحقوق

فالرجال المتمرسون بالحكم المتطلعون الى خدمة الجمهور يجب أن يضعوا نصب أعينهم استقرار أداة الحكم واستمرارها حتى تصبح وكأنها تستطيع المشى وحدها ان غاب عنها المديرون . وفى سبيل ذلك يطلقون التصلب فى الرأى ويلينون ويذعنون ، حتى قال كبير من رجال الفكر بفرنسا إنى أعرف الزعيم الحق عند ما أجد رجلا اذا قال تصلب وتشدد فتحسبه صخرة لا تلين ، أما اذا فعل وجلس ينفذ ما قاله فى معاملة الناس والأخذ والعطاء فيهم تساهل وانقاد ولم يتمسك برأى

أو لم يقل رجل من أعظم رجال الدول فى التاريخ : لو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت فانهم اذا شدوا أرخيت واذا أرخوا شددت

وليس معنى هذا أن ينافق المرء أو يصدر فى أعماله عن غير عقيدة فهذا شأن الوصوليين لا قيمة لهم بين الرجال . انما معناه احترام رأى الغير كاحترام المرء نفسه ومعرفة الحد فيما هو مستطاع أو غير مستطاع والنزول عن بعض الشىء فى سبيل إدراك الغاية

وما الغاية فى عرف الحكومة إلا خدمة الجمهور

لذلك سعى القوم الناثون فى هذه الايام ، أيام حكم الشعوب ، الى استنباط أداة للاستقرار فى نظام من خلقه التبدل والتغير عند ما أعوزهم الاستقرار التاريخى والطبيعى

ومن حسن طالعنا أن مصر صاحبة عرش ثابت الاركان ، والعروش كانت ولا تزال خير دعامة

لاستقرار الحكومات . ويقولون لك إنه لولا العرش بانجلترا لما تسنى لها أن تعيش هذه الحقبة من الدهر بلا تغلغل ولا طغيان . ويقولون إن داء البرلمانات فى كثير من انحاء العالم مصدره فقد عامل الاستقرار لفقد نظام ملكى ثابت

ولا يخفى أن آلة الحكم عمل لا نظريات

وأن خير ما تخدم به الشعوب تكييف حكومتها حسب تقاليد الناس وبغية منفعتهم

فاذا استقرت هذه المبادىء فى الأذهان وجب على المشتغلين بالسياسة منا ـ رعاة وقطعانا ـ أن يأخذوا الامور كما هى وأن يتجردوا من « الكرامة الشخصية » فى سبيل كرامة أعلى وأبقى هى كرامة خدمة الامة بتهيئة حكومة صالحة وضمان الاستقرار

ولن يتم لنا كيان أو نبلغ الغاية فى البناء الدولى إلا اذا كان حجر الزاوية فى سياستنا القومية الاعتراف بما للعرش من حقوق

ولا نقول حقوقا مكتوبة

فانها ان لم تكن مدونة مسطورة فواجب الخدمة العامة بله المصلحة القومية ـ يقضى بأن نوجدها ونزيد فيها ونرعاها ونوجهها توجيها شعبيا

ذلك أدعى الى الاستقرار . وذلك ضمان للعدل أن يجد له ملجأ يفزع اليه اذا حزب الأمر وضاع الصواب وطغى الاستبداد

قد تزول الحكومات على اختلاف الوانها وقد ينقلب دست هذا الوزير بتقلب مذهب صاحبه السياسى . أما العروش فى الممالك فتبقى ما بقيت الامة سليمة

والعروش فى هذا العصر جزء لا يتجزأ عن الشعوب ، فهى ليست كما كانت عليه أيام الجاهلية السياسية الاولى منتبذة من الناس مكانا قصيا ومترفعة عن تفهم حقيقة أمرها على أنها رمز الأمة شعارها « الخدمة » لا « السيطرة »

ونحن من الذين يفرضون النية الطيبة ويؤمنون بتحلى رجال الدولة عندنا بها

لذلك نعتقد بأن روح الدستور سينتهى بأن يفوز

روح الدستور لا حرفه

فرجل الدولة من عمل لغده لا ليومه ، ولأمته لا لنفسه

ونود أن نفرق بين رجل الدولة ورجل السياسة فقد وضعنا هاتين الكلمتين ترجمة لما هو فى لسانهم statesman أو homme d'Etat للاولى و politician للثانية

فرجل الدولة عظيم يمتد نظره الى أفق بعيد وقد لا يعرف له قومه حقه فى حياته ولكنهم يقدرونه قدره عندما يجىء ملء الزمان وتدق الساعة التى عمل لها . ولكنه لم يظهره لنا التاريخ إلا عاملا فى ظل نظام ثابت مستقر لا تزعزعه التقلبات السياسية أو الاهواء

وهذا من طبيعة الأشياء ،فالعمل المنتج يؤتي ثماره في هدوء وظرف استمرار ، لذلك قالوا ان أكابر رجال الدولة قاموا في ظلال العروش القوية فثبتوا دعائم الملك وغذوا الروح القومى ووحدوا الجهد الشعبي

ويقول أعداء النظم البرلمانية إن هذا الصنف من الرجل أصبح قليلا لا تكاد تجد له أثراً الآن بعد ان ملأ التاريخ كتبه إشادة بذكرهم فى سالف الزمان

وأما رجل السياسة Poletician فهذا الذى تجده وقد غصت به البرلمانات فى هذا القرن ومعظم القرن التاسع عشر ، فهو ابن النظم التى قامت على انقاض الثورة الافرنسية عتدية النظم الانجليزية ما استطاعت فكادت تعم العالم.

فهو ابن يومه وليد الظروف يمثل ما فى الحكم البرلمانى من تغير وتحزب وتقلقل

وليس فى هذا القول ما ينعى به على رجال البرلمانات « شخصيا » فانهم يكادون يكونون مسيرين لا مخيرين

فالحياة البرلمانية وليدة الديموقراطية بشكلها الحاضر تنزع من الفرد سلطانه وتسلمه للحزب وتسلمه الحزب للزعماء وترجعه هؤلاء الى الامة اذا قالوا، وإلى تأييد مايدينون به فى رأى أومذهب اذا فعلوا

فأنت ترى أن النظام نفسه وهو عرضة للتغيير والتبديل وتقلب الآراء والأهواء ، يخلق رجالا على طرازه يضطرون أن يعدوا ويسرفوا فى المواعيد ثم لا يفوا وأن يبالغوا ويشيدوا فيما أتوه من الخدمة العامة ثم لا ينفذوا . ذلك أن الوقت يكاد يضيق بهم فهم بين جهاد فى انتخاب الى جهاد فى مناقشات فى مجالس النواب الى جهاد فى ارضاء الناخبين بصدد جهاد فى ارضاء المنفعة العامة ، فلا يبقى للعمل المنتج شيء من الدقائق أو الساعات

أما ونحن قد أخذنا بهذه النظم التى كثر مناهضوها فى هذا الزمن فقد صار من أوجب واجبات رجال الحكم أن يوفقوا بين ما تنطوى عليه النظريات فى تعاليمها وبين ما تقتضيه الحياة منهم بما أورثتنا من تقاليد وما عودتنا من طرق للحكم لا تتفق الاتفاق كله مع النظم البرلمانية

وليس الامر سهلا بل نراه عملا تكاد تنوء به همم الرجال فانه يستدعى مهارة ربان يسير السفينة فى بحر كثير التيارات مضطرب الأمواج عميق الغور تارة ، رقراقه أخرى . ولا مندوحة أن يكون هذا الربان متمرسا بآفات الدهر يعرف مسالك الايام فيأمن العثار

وجيراننا أبناء الاقطار الشقيقة هل يجوز لنا أن نترحم على أيام الدولة العثمانية ؟ وهل آن أن ننسى ما اتصفت به تلك الحكومة من مساوىء فى الادارة ومظالم فى توزيع العدالة وعجز فى كل مرافق الحياة الاقتصادية ؟

ولماذا لا نترحم على ميت شرير إذا تطلعنا فرأينا خليفته الحى له ما كان للميت من شر ، وليس له ما كان للمتوفى من عزم وحزم وعلم بادارة آلة السيادة الحكومية . فنحن بشر معرضون للنسيان والزمان ينسى . ونحن بشر أملنا فخاب الامل ، وإذا بنا لانعرف الا ما نحن فيه ، وما نحن فيه شر وبلاء . ويعذرنا اخواننا وأبناء أعمامنا اذا نطقنا بلسانهم فانتقدنا ما آلت اليه حالهم على ايدى أولى الامر فيهم

أليسوا يدعوننا وندعوهم أبناء الاقطار الشقيقة ؟ ومن حق الأخ على أخيه الصراحة فى الرأى والاخلاص فى ابداء الرغبة . رجال منا تولوا الحكومة فى شتى الحكومات والدولات فماذا فعلوا ؟

رضوا أن يضعوا طرابيش كبيرة واسعة فضفاضة على رؤوس صغيرة ، وظنوا أن هكذا تكون الدول وهكذا تكون الحكومات !

وزراء وبرلمانات ورؤساء حكومات وموظفون بالمئات . كل ذلك فى سبيل ارضاء المطمع الشخصى والطموح الفردى . ولكن ماذا فعلتم للشعب ؟

تؤخذ الأموال وتضرب الضرائب على شعب تكاد مرافق الحياة تسد فى وجهه . فهلا أقللتم من الانفاق ؟ وهلا نظرتم نظرة صحيحة الى تحسين الادارة والأخذ بالعمل المنتج وتركتم هذه المظاهر الخلابة الكاذبة ؟

أليس لهذه الشعوب العاملة من حق على ابنائها غير أن تشقى لتقوم بأداء مرتباتهم وليس لاصحابها من نفع الا القليل القليل ؟

اننا نبدأ بلومكم أنتم أيها الاخوان لأنكم أبناء هذه الشعوب تعلمون ما كانت تشكومنه وتعلمون ما هى الآن فيه فما معنى هذه الانانية والتضحية براحة أمة فى سبيل ملء وظيفة . وما هذه المعاول يهدم بها بعضكم البعض الآخر

ثم نعذركم ونلوم هؤلاء الذين تولوا أمر الانتداب فيكم فقد رأوا فى الأخلاق اعوجاجا فما قوموها بل زادوا فى التوائها . يرسلون حكامهم من طراز لا يصح وضعه فى الدرجة الثالثة ، إذا كان الأصل فى الحكم أن يتولاه الشريف النزيه العامل على خير المحكومين . ويجعلونه ويجعلونه أنتم ربكم الاعلى تسيرون سيرته وتهتدون بهديه ، وما أنتم بظالمين ، فالناس على دين حكامهم فى كل زمان ومكان ، فما بالك وتاريخ هؤلاء الناس حافل بحكام لا يليقون بالحكم منذ مئات من السنين حتى الآن

وقد أجملنا وعممنا ولم نخصص ، فالداء يكاد يكون وباء . فمن لنا بسيد مطلق الأمر والنهى (وطنيا كان أم اجنبيا) يتزعم الاصلاح بسيرته وبحكومته ويمد له فى الأمر وفى العمر حتى تستقيم له قواعد الحكم ؟

الموقف الدولى العالمى

لو كان كاتب هذه السطور خصب الخيال مغرما بكتابة القصص والروايات لحاول أن يخرج رواية يجعل عنوانها « المؤامرة على الامبراطورية البريطانية » وأبطالها أولو الأمر فى اليابان وايطاليا والمانيا

فقد مر على الناس بعد الحرب فصول من السنين كان يتنقل القول فيها بانحلال الامبراطورية البريطانية ودنو أجلها من بلد الى آخر

وكان أول من نادى به الفرنسيون عند ما تخلت عنهم الامبراطورية ولم تتبعهم فى سياسة قمع المانيا

ثم راجت الفكرة فى الولايات المتحدة وأخذ القوم هناك يعدون عدتهم للحاول على الميت فى بعض تركته

ولكنها كانت عقيدة متأصلة فى نفس موسولينى آمن بها هتلر وأخذ اليابانيون فى تنفيذها وصاحب التركة حى يرزق . ذلك أن هذه الامبراطورية متسعة الاطراف لا تغرب الشمس عنها ، وشاءت لها سياستها أن تعتنق دين جامعة الأمم وأن تبشر فى الناس بانجيل نزع السلاح وتبدأ بالتجرد من كثير منه بغية أن يحذو العالم حذوها فتطمئن على ما ملكت يداها

فلم تجز الحيلة وعدوا ذلك ضعفا منها ، فنفخ موسولينى فى الصور فاذا به يبعث ايطاليا دولة لم تعهدها من قبل ، وأخذ يتسلح فى البحر والهواء والبر ، وعقبه هتلر بعد العدة لعسكر يجر تضيق به أوربا ، وشرعت اليابان تكتسح الصين

وهؤلاء قوم جاعوا وطمعوا وعقدوا النية أن يشبعوا فما تكاد تمتد يد من أيديهم الى ناحية من نواحى المعمورة حتى تصطدم بالامبراطورية . فأعدوا العدة للنزول معها الى ساحة البراز

فلما جد الجد ورأى هؤلاء الجزيريون أن أعداءهم غير لاعبين نهضوا يتسلحون

فهل ينجح الاعداء أم ترى الانجليز ينجحون ؟

وهم لهم من موقعهم الجغرافى ومن أخلاقهم ومن ثروتهم ومن الزمن حلفاء وأنصار . فهل يسعفهم الوقت ويمكن لهم استعدادهم قبل أن تقع الواقعة

لذلك تراهم يفاوضون هتلر حينا علهم يفصلونه عن زمرته بما يعدون ، وحينا يبرزون نيوبهم لموسولينى ثم يعودون فيبسمون ، وحينا يستعدون اميركا على اليابان فيا هى موغلة به من ضرب بالقوانين الدولية عرض الحائط لعلهم يأتون بها لشد أزرهم فيا هم عليه مقبلون

فهل يسعفهم الوقت ؟

ان نجاح اليابان فى الصين يجعلها سيدة خمسمائة مليون من الصفر وما ملكت أيمانهم من ثروة معدنية وزراعية

فهل تستطيع الامبراطورية البريطانية أن تصمد فى وجه هذه القوة وحدها ؟

وهل تأتى اليها أميركا تقف الى جنبها فى حرب ان فاز فيه الانجلوسكسون كان الغنم للاميركيين والاعياء والضعف للانجليز ؟

وماذا تفعل فى القارة الاوروبية توليها ظهرها حين تتوجه الى الشرق الاقصى . ومن يحمى لها هذا الظهر وقد كاد ينحنى للسنين ؟

فى الاقدام على الحرب مجازفة لا تؤمن عقباها منتصرة أو مهزومة

وفى الاستكانة الى السلم والرضاء بالحال الراهنة موت محتم بطىء . حقا انه لموقف لا يتمناه رجل لعدوه ، فما بالك وهؤلاء البريطانيون حلفاء كرماء هذبهم الاستمتاع بالثروة وممارسة السيادة ردحا من الزمن حتى حببوا الى معظم الآدميين ؟

انها لخسارة تنكب بها المدنية اذا نكب هؤلاء الاقوام

أم تراهم أصبحوا كهذه الخيل الكريمة العريقة فى شجرة الاصل الطيب كبرت فعجزت عن نزول ميادين السباق واكتفت بانجاب أمهار من صلبها يحلون محلها حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا ؟

سامى الجريدينى

كلمات قيمة

* اذا كنت سياسياً وأردت الاحتفاظ بنفوذك لدى الجماهير ، فكن حازما فى اقرار العدل ، ولكن تجنب ما استطعت الاختلاط بالجماهير

« **كليمانسو** »

* يجب أن تطأطىء الرأس فى بعض الاحيان لتستطيع فيما بعد أن ترفعه

« **فوشيه** »

* كثيرون منا يصابون بمختلف الآلام دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث فى أسباب شقائهم . وعندى أن هؤلاء الناس يشبهون الحيوانات تنهال عليها عصا سيدها دون أن تفهم السبب الذى تعاقب عليه

« **أندريه موروا** »

الأمراء القواد
فى الأسرة المحمدية العلوية
بقلم الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك

أخذ الجيش المصرى فى عهد قائده الأعلى جلالة الملك فاروق الاول ينهض نهضة موفقة يستعيد بها مجده العظيم . فطلبنا الى المؤرخ الكبير الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعى أن يكتب هذا المقال عمن أنجبتهم الأسرة العلوية من القواد العظام

يزدان تاريخ الأسرة المحمدية العلوية بطائفة من الامراء والقواد الذين جمعوا بين الامارة وقيادة الجيوش وبعضهم ممن تولى حكم مصر

محمد على الكبير

فمحمد على كان قائداً قبل أن يرتقى أريكة مصر ، وقد كان لنشأته الحربية فضل كبير فى توجيه عزيمته الى انشاء الجيش المصرى والأسطول المصرى . وقد خاض هو غمار القتال فى الحرب التى انتهت بجلاء الفرنسيين عن مصر . وهو وان لم يشترك بنفسه فى معارك رشيد والحماد التى انتهت بجلاء الانجليز عنها سنة ١٨٠٧ لكنه كان المدبر للخطط التى سار عليها قواده فى تلك



مدالية محمد على: ضربت فى باريس سنة ١٨٤٠ تذكاراً لمعركة نصيبين التى انتصر فيها الجيش المصرى بقيادة ابراهيم باشا على الجيش التركى انتصاراً باهراً



الامير طوسون بن محمد على الكبير يرتدى لباساً عسكرياً في طفولته

المعارك . وقد اشترك بعد ذلك فى الحرب الوهابية وسار الى الحجاز فى أغسطس سنة ١٨١٣ ، وهناك تولى قيادة الجيش المصرى وبقى يقاتل الوهابيين حتى سنة ١٨١٥ ثم عاد الى مصر بعد ان ظفر بهم . ولم يشترك بعد ذلك فى حروب مصر على عهده ، ولكنه كان الرأس المدبر الذى يجهز الجيوش والأساطيل وينفذها الى ميادين القتال ويرسم لقواده طريق الزحف والنصر

احمد طوسون باشا

هو ابن محمد على الكبير ووالد عباس باشا الأول . عهد اليه أبوه قيادة الحملة التى جردها سنة ١٨١١ لاخضاع الوهابيين ، وكانت سنه لا تتجاوز السابعة عشرة . فاضطلع باعباء القيادة والقتال بشجاعة كبيرة ، وواجه فى هذه الحرب الضروس قوات الوهابيين فى أوج سطوتهم . فزحف عليهم بطريق البر يقود فرقة الفرسان وظفر بهم فى بداية الحرب واحتل مواقعهم الهامة . ثم انهزم أمامهم فى (الصفراء) فلم تثن الهزيمة عزيمته وبعث يطلب المدد من أبيه فوافاه به . ثم هاجم الوهابيين فاحتل (الصفراء) ثم (المدينة المنورة) وأرسل مفاتيحها الى أبيه فى مصر (اكتوبر سنة ١٨١٢) وعاد الى ينبع وأقلع منها الى (جدة) فاحتلها . وسار منها الى (مكة المكرمة) فدخلها دخول الظافر . وتقدم الى (الطائف) فاحتلها . ورجع الى مصر وقدم الى القاهرة يوم ٨ نوفمبر سنة ١٨١٥ وكان يوم رجوعه يوما مشهوداً واحتفلت به العاصمة احتفالا عظيما

وقد أنفذه محمد على الى برنبال (تجاه رشيد) لقيادة الفرق المرابطة على فرع رشيد، واتخذ معسكره هناك يلتمس الراحة من عناء المعارك التى خاضها فى الحجاز الى ان عاجلته المنية ليلة ٢٩ سبتمبر سنة ١٨١٦

القائد البطل ابراهيم باشا

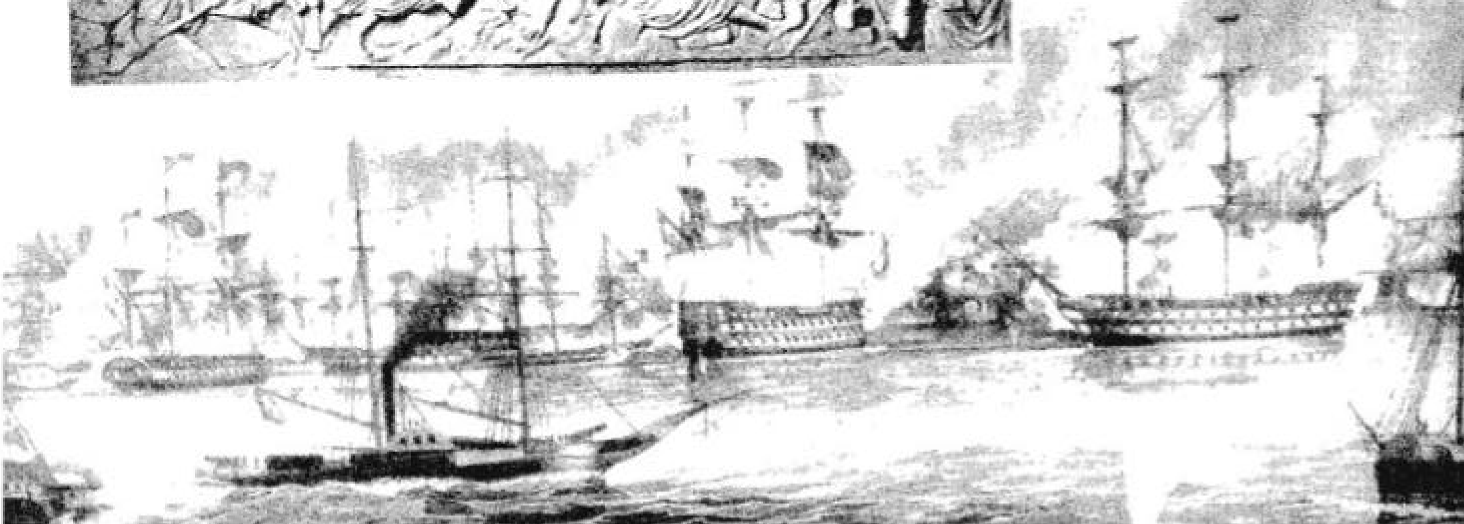


ابراهيم باشا

هو ابن محمد على وذراعه اليمنى فى ميادين القتال، وقائد الجيوش المصرية فى حروب الاستقلال. اشترك فى الحرب الوهابية وقاد الجيش المصرى فيها سنة ١٨١٦ وظل يتولى القيادة فى هذه الحرب الشاقة الى أن تم له النصر بعد كفاح دام عامين . وعاون أخاه اسماعيل فى فتح السودان ، ولكن لم يطل مكثه هناك إذ أصيب بمرض شديد اضطره الى العودة الى مصر ، وتولى فى حرب اليونان

معركة عكا

الاسطول المصرى يضرب قلاع عكا



ابراهيم باشا في مقدمة جيشه
المصرى يهاجم حصن عكا



(١٨٢١ - ١٨٢٨) قيادة الجيوش المصرية في البر والبحر أربع سنوات متوالية ، ففتح بلاد المورة (اليونان) وبسط فيها نفوذ مصر ، الى ان تألبت عليه الدول الأوروبية فدمرت الأسطول المصرى في واقعة (نافارين) سنة ١٨٢٧ . وجاءت حروب سوريا والأناضول (١٨٣١ - ١٨٣٩) وخاض ابراهيم غمارها على رأس الجيش المصرى فتجلت فيها عبقريته واقترن اسمه بكبار القواد والفاتحين إذ ظفر بالجيوش التركية في وقائع (عكا) وحمص وبيلان وقونية ، ووصل الى قلب الاناضول . واضطر تركيا الى عقد الصلح المعروف باتفاق (كوتاهيه) - ٨ ابريل سنة ١٨٣٣ - وهو يقضى بأن تتخلى لمحمد على عن سورية واقليم ادنه مع تثبيته على مصر وجزيرة كريت والحجاز مقابل جلاء الجيش المصرى عن بلاد الاناضول . ثم نقضت تركيا هذا الصلح سنة ١٨٣٩ واستؤنفت الحرب بينها فقاد ابراهيم باشا الجيش المصرى في هذه الحرب الجديدة التى انتهت بهزيمة الجيش التركى في واقعة (نصيبين) الشهيرة ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ . ويعد ابراهيم باشا أكبر شخصية حربية في الأسرة المحمدية العلوية

الامير اسماعيل باشا

هو ثالث أنجال محمد على (وهو غير الخديو اسماعيل) عهد اليه أبوه بقيادة الجيش الذى أنفذه سنة ١٨٢٠ لفتح السودان فاضطلع بهذه المهمة وزحف بجيشه حتى وصل (كورتى) فاحتلها بعد معركة نشبت بينه وبين الشايقية (نوفمبر سنة ١٨٢٠) . واستأنف زحفه حتى بلغ (بربر) ففتحها في ٢١ مارس سنة ١٨٢١ ثم (شندى) ثم (أم درمان) وفتح مملكة سنار (يونيه سنة ١٨٢١) ووصل في زحفه الى بلاد (فازوغلى) فدانت له في (يناير سنة ١٨٢٢) ثم شبت ثورة في (شندى) وكان عليها الملك (نمر) وهو المدبر للثورة فجاءه اسماعيل باشا في أواخر اكتوبر سنة ١٨٢٢ وأحضر الملك (نمر) أمامه فقرعه وأسرف في تأنيبه إذ لطمه بالشبك على وجهه



قبر اسماعيل ثالث أنجال محمد على الذى قتل ودفن في بشندى بالسودان . والى جانبه لفيف من ضباط الجيش المصرى يتوسطهم النبيل اسماعيل داوود (×)



عباس باشا الاول شريك
ابراهيم باشا فى الحروب
السورية



الخديو سعيد من كبار
رجال الاستقلال المصرى
وممن نهضوا بالجيش
نهضة عظيمة

فأسرها الثمر فى نفسه وأظهر الاذعان والخضوع . ثم دعا اسماعيل الى وليمة فى قصره فلبى الدعوة . وفيما هو وبطانته فيه أضرم الثمر النار فى أكوام من الحطب والقش أعدها من قبل حول القصر بحجة العلف لخيول الباشا ، فاشتعلت النار فيها وامتدت منها الى القصر ومات اسماعيل ومن معه حرقا

عباس باشا الاول

اشترك مع ابراهيم باشا فى الحروب السورية وقاد فيها أحد الفيالق

سعيد باشا

ابن محمد على . نشأ نشأة حربية بحرية إذ اختار له أبوه السلك البحرى ودربه على فنونه الحربية وانتظم فى خدمة الاسطول المصرى قومندانا لاحدى البوارج الحربية التى كانت ترفع علم مصر فوق ظهر البحار وارتقى فى المراتب البحرية حتى تولى فى أواخر عهد أبيه منصب القائد العام للاسطول . ولما ارتقى عرش مصر كان مولعا بالجيش وقيادته ، وكثيراً ما كان يصرف أيامه فى معسكر الجيش وتعرض عليه شؤون الحكومة وهو وسط جنوده . ويطيب له أن يسير بالجيش متنقلا فى أنحاء البلاد . ولكنه لم يخض غمار القتال



الأمير حسن باشا ابن الخديو اسماعيل

حسن باشا

هو الأمير حسن باشا ابن الخديو اسماعيل . اشترك فى حرب الحبشة سنة ١٨٧٦ إذ كان من قواد الجيش المصرى فيها. ولم تكن حربا موفقة وانتهت بهزيمة الجيش فيها ثم عهد اليه أبوه قيادة الجيش المصرى الذى جرده لمحاربة الروسيا فى حرب البلقان (ابريل سنة ١٨٧٧) فاضطلع بأعباء القيادة واشترك فى القتال حتى وضعت الحرب أوزارها فى مارس سنة ١٨٧٨ وعاد الى مصر

* * *

والآن وقد سعدت مصر بحكم جلالة الملك المحبوب فاروق الأول فقد آن لها أن تأمل أن يعود لها مجدها الحربى على يده وفى عهده الزاهر

عبد الرحمن الرافعى


قائد الجيش الأعلى
صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

بحث نفسي طبي في

دور الكهولة وخطره على المرأة

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد

مدير مستشفى الملك

جاء ترتيب سن المرأة في كتب فقه اللغة كما يأتي :

« هي طفلة مادامت صغيرة . ثم وليدة اذا تحركت . ثم كاعب اذا كعب ثديها . ثم ناهد اذا زادت ثم معصر اذا أدركت . ثم عانس اذا ارتفعت عن حد الاعصار . ثم خود اذا توسطت الشباب ثم مسلف اذا جاوزت الأربعين . ثم نصف اذا كانت بين الشباب والتعجيز . ثم شهلة كهلة اذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد . ثم شهبرة اذا عجزت وفيها تماسك . ثم حيزبون اذا صارت عالية السن ناقصة القوة . ثم قلعم ولطلط اذا انحنى قدها وسقطت أسنانها »

أما في عرف الطب فالمرأة جنين مادامت في الرحم . ووليد اذا ولدت ورضيع مادامت ترضع وفطيم اذا قطع عنها لبن الأم أو الصدر . وصبية اذا دبت ونمت الى أن تسقط رواضعها وهي الأسنان اللبنية . وكذلك هي صبية اذا تفتت تفتيا فامتنعت من اللعب مع الصبيان وتشبهت بالفتيات وهي أصغرهن . فاذا دخلت في عداد النساء وكعب ثدياها ونهدا ونبت الشعر في مواضع مختلفة من جسمها لم يكن فيها وجاءها الطمث كل شهر فهي فتاة أو جارية

ويمر الرجل بهذه الأدوار : « فهو جنين مادام في البطن . ورضيع مادام يرضع . وفطيم اذا فطم عن لبن الأم أو الصدر . فاذا دب ونما فهو صبي . فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور . فاذا ترعرع ونشأ وكاد يبلغ الحلم فهو يافع ومراهق . فاذا دخل في عداد الرجال واخضر شاربه وبقل وجهه ونبت الشعر في مواضع مختلفة من جسمه وتغير صوته ، ومال الى النساء فهوفتى وشارخ »

وجسم الفتى أو الفتاة من لدن الميلاد الى حين البلوغ ينصرف – وهو يستكمل نموه – لحفظ ذاته مستصرخا بأبويه وقت الخطر من الخطر

أما بعد البلوغ فينصرف جسم الفتى أو الفتاة لحفظ النوع أو النسل . ذلك لان الله سبحانه وتعالى جعل المرأة لباسا للرجل كما جعل الرجل لباسا للمرأة . وتظل المرأة صالحة للقيام بوظيفة حفظ النسل الى أن تصير شهلة كهلة . أما الرجل فيظل قادراً على حفظ النسل مادامت حياته ، حتى

لقد قال بعضهم انه يستطيع أن يهز المهد باحدى قدميه بينما تكون الاخرى في القبر . ولسائل أن يسأل : ولم قيدت قوة حفظ النسل في المرأة فلم تتجاوز دور الكهولة ؟

وللجواب على ذلك لابد أن نعرف أولا متى تصير المرأة كهلة . لقد مر بك أن دور الكهولة يأتي بعد دور النصف . والمرأة النصف هي التي بلغت خمسا واربعين أو خمسين سنة أو نحوها ، فكأن الكهولة لغة تعادل ما سمي عند الاطباء سن اليأس . واليأس في عرفهم هو العقم الذي تصاب به المرأة اذا وصلت الى هذه السن فانقطع حيضها وخصبها

وتختلف سن اليأس باختلاف النساء ، فهي بين الاربعين والخمسين من العمر . ويقول الاطباء إنه كلما بكر دور المراهقة في المرأة تأخرت سن اليأس . أي اذا بكر ظهور الحيض تأخر انقطاعه فاذا ظهر في العاشرة من العمر انقطع فيما بين الخمسين والثانية والخمسين . واذا ظهر في السنة الحادية عشرة انقطع فيما بين الثامنة والاربعين والخمسين . واذا ظهر في الثانية عشرة انقطع فيما بين السادسة والاربعين والثامنة والاربعين . وهكذا اذا تأخر الحيض الى العشرين من العمر انقطع فيما بين الثلاثين والثانية والثلاثين . ومن ذلك يتضح أن مدة الخصب في المرأة هي مدة الحيض وهي المدة ما بين سن المراهقة الى سن اليأس ، وهي نحو ثلاثين سنة على المتوسط . وذلك لأن ظاهرة الحيض التي تحدث كل شهر تلازمها ظاهرة أخرى وهي خروج بويضة من أحد مبيضي المرأة . والبويضة هي التي يتكون منها الجنين اذا لقحت . والمبيضان من أعضاء التناسل الباطنة في المرأة ويعتريهما ضمور فيما يعتري سائر أعضاء التناسل اذا دخلت المرأة في دور الكهولة أو سن اليأس

وقد يحدث انقطاع الحيض في سن اليأس دفعة واحدة وقد ينقطع تدريجا إذ يأتي شهراً ثم ينقطع شهرين أو ثلاثة . ثم يأتي شهرا آخر وينقطع بضعة اشهر . ويمكث هكذا نحو سنتين أو ثلاث سنوات . ثم ينقطع انقطاعا لارجوع بعده

ولا يقتصر تأثير الكهولة في المرأة على انقطاع خصبها وحيضها بل كثيراً ماتبدو عليها أعراض عصبية مختلفة غير مرضية فتصبح سريعة البادرة وتغضب من غير صبيح ولا نفر أي من غير شيء . وقد يشق الطعام على معدتها ويثقل عليها فلا تستمرئه ولا تحمد مغبته . وقد تصاب بالامساك أو الاسهال . وقد يهجرها النوم فلا تذوق الكرى ولا يطمئن جنبها الى مضجع . وقد يأخذها صداع أو دوار أو سدر في البصر الى غير ذلك مما يطول شرحه

ويعلل بعضهم هذه الاضطرابات العصبية بقولهم ان وظيفة المرأة هي الامومة وما اليها ، فاذا حرمت منها في سن اليأس اختل توازنها

ولا يقتصر تأثير الكهولة في المرأة على ضمور المبيضين بل يمتد الضمور الى سائر أعضاء التناسل فيحدث الضمور مثلا في الثديين فيسترخيان في المرأة الفتخاء ذات الثديين المرتفعين نحو صدرها ، وقد يكثر شحم المرأة رشيقة القد ممشوقة القوام مرهفة الجسم رقيقة البطن ، فاذا هي

سمينة ممتلئة درماء لاتستبين كعوبها ومرافقها فان كانت المرأة قبل الكهولة سمينة فاحشة السمنة فقد يذوب شحمها ويذهب لحمها فاذا هى هزيلة عجفاء

ومن ظريف ما يحكى عن سبب الحيض الذى يبدو فى ابان خصب المرأة وينقطع عند سن اليأس مايقال انه أثر لغضب الله سبحانه وتعالى على أمنا حواء لخروجها هى وزوجها عن أمر ربهما، اذ قال لهما فى سورة البقرة : « اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وقال لهما فى سورة طه : «إن لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى »

فلما أغواهما إبليس وأكلا من الشجرة ناداهما ربهما بقوله تعالى : « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين » فكأن الحيض فى المرأة على هذا الرأى أثر من آثار هذه الغضبة

ومن الناس من يقول ان الحيض من فضول البدن التى يتخلص بها الجسم من المواد الدائرة التى تتجمع فيه

ومنهم من يقول انه لجسم المرأة كصمام الأمن للآلة البخارية . ذلك لان المرأة منذ ماتدخل فى زمن الخصب وتصبح معرضة للحمل يدخر جسمها غذاء اضافيا لما عسى أن تحمله . فاذا خرجت البويضة من المبيض ولم تلقح أصبح الجسم فى غير حاجة لما ادخره من الغذاء الاضافى ، وعلى ذلك يتخلص الجسم منه فى مواد الحيض ، ويتكرر هذا الادخار وهذا التخلص حتى اذا حملت انقطع الحيض لتحوله غذاء للجنين . ويستدل أصحاب هذا الرأى على صحته بقولهم ان الحيض ينقطع فى المرأة فى أثناء ارضاعها مولودها لان الغذاء الاضافى الذى يدخره الجسم يخرج منه لبنا للرضيع . وهم يتمادون فى تأييد رأيهم بقولهم ان الحيض ينقطع أيضا فى المرأة اذا كانت مصابة بفقر فى دمها . ذلك لانها تكون هى نفسها وقتئذ فى حاجة شديدة لكل ما يدخره جسمها

وهناك رأى آخر يدعى ان الحيض ضرورى لتهيئة الرحم لقبول البويضة الملقحة وعلوقها فى تجويفه بتضخم الغشاء المخاطى الذى يبطن هذا التجويف. فاذا لم يحدث الحمل بتلقيح البويضة ذاب التضخم وخرج فى مواد الحيض . وعلى هذا الرأى يحسب الحيض حملا فاشلا

ولا يسبقن الى ذهنك أيها القارىء ما هو شائع من أن المرأة لا تحمل مادامت ترضع ولدها . فمن النساء من تحمل ولما يرجع الحيض فى أثناء الرضاعة . والمعتاد أن يبدو الحيض فى الوالدات اللاتى لا يرضعن أولادهن عقب ولادتهن بستة أسابيع . أما اللاتى يرضعن أولادهن فيتأخر رجوعه عندهن

وان تعجب من حدوث الحمل فى المرأة وهى ترضع ولدها ولما يرجع الحيض فعجب أن تعرف أن المرأة قد تحمل فى سن المراهقة ولما يبتدىء الحيض عندها ! بل العجب العاجب أن تعرف أن

المرأة قد تحمل بعد انقطاع حيضها لبلوغها سن اليأس . ولعل من هذا النوع ما بشرت به امرأة ابراهيم عليه السلام فقالت : « يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشيء عجيب ؟ ! قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد »

وليس هنا ما يدعو الى العجب حقا ، ذلك لان من أمره تعالى ما هو معروف عند الاطباء مما يحدث أحيانا من خروج البويضات من المبيضين فى سن المراهقة قبل أن يبدو الحيض فى الفتاة . ومن استمرار خروجها حينا من الوقت فى سن اليأس بعد انقطاع الحيض

ومن خطر الكهولة فى المرأة تعرضها للسرطان ، اذ كثيراً ما يدب فى عنق الرحم ويحدث نزفا غير منتظم قد تحسبه المرأة حيضا فلا تبادر بعلاجه فى الوقت المناسب . وقد يدب فى أحد ثدييها . وههنا أيضا يجب أن تبادر بعلاجه مخافة أن يفوت أوانه

ومن خطر الكهولة فى المرأة تعرضها لارتفاع الضغط الدموى بسبب انقطاع الحيض وما قد يعتريها من السمنة الفاحشة . هذا الى اسرافها فى الغذاء باستمرار تناولها ما اعتادت أن تتناوله فى شبابها من اللحوم والبيض وما الى ذلك من المواد النتروجينية بمقادير لا يحتاج اليها جسمها فى هذه السن

ولا تحتاج المرأة فى اتقاء أخطار الكهولة الا الى مراعاة الشروط الصحية المألوفة فى نواحى الحياة المختلفة ، والا الى ايمانها فى كهولتها بقوتها ونشاطها وحيويتها ايمانها بها فى شبابها ، فان من التعجيل بالشيخوخة اعتقادك بلوغها . وهيهات أن يكون ذلك فى المرأة

الدكتور محمد عبد الحميد



إحراق مكتبة الإسكندرية

التاريخ يبرئ عمر بن الخطاب من هذا الوزر

بقلم الاستاذ حسن الشريف

افتتح «الهلال» هذه السنة الجديدة من سنى حياته المباركة بعدد ممتع وقف صفحاته على سيرة ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه ، ولقد تطوع أئمة الأدب فى مصر للوفاء بدين التاريخ لذلك الأمير العظيم فلم يدعوا ناحية من نواحى شخصيته البديعة إلا جلوها للقارئين . .

بيد أن اغتباطى بقراءة هذا السفر التاريخى القيم قد شابته شائبة من الأسف إذ رأيته خاوياً من مسألة مكتبة الاسكندرية وما يقال فيها من أن عمر قد أمر عامله على مصر باحراقها ، وأحزننى ان أحداً من كبار الكتاب لم يشأ ان يعرض لتلك المسألة على مالها من الأهمية العظمى فى تاريخ الفاروق . لذلك رأيت ان أتدارك هذا النقص وأن أحاول بالقدر الذى تصل اليه معلوماتى جلاء حقيقة تاريخية لا يجوز أن تبقى معلقة أبد الدهر ولا أن تظل موضوع اختلاف بين المؤرخين

وفى اعتقادى، أن من حق عمر بن الخطاب على المؤرخ العصرى الذى توافرت لديه المراجع وا كتملت عنده وسائل الاستقراء والتمحيص ، أن يعرض لقضيته وأن يحكم فيها له أو عليه ، فاما أن يحمله وزر الأمر باحراق دار كتب الاسكندرية وابادة ذلك الكنز العلمى الذى لا يعوض ، وأما أن يبرئه من هذا الوزر فيمحو وصمة علقت ظلما بسيرة رجل من أعظم رجال التاريخ

على أنى أبادر فأقول إن الذين يصورون إحراق دار كتب الاسكندرية فى صورة الجريمة الشنيعة والجناية النكراء انما يتجنون على الواقع ويهولون فى تقدير الأشياء ، إذ ينسون أن لكل زمان عقلية تدفع بنيه الى اتيان أعمال قد نراها اليوم مرذولة ونعتبرها ضربا من ضروب الوحشية وقد كانت فى حينها وفى ظروفها وملابساتها فضيلة من الفضائل يتنافس فيها المتنافسون

نعم فلقد أتى على الانسانية حين طويل من الدهر كان فيه احراق الكتب وهدم المعابد وابادة كنوز العلم والفن فضائل توحى بها روح المحافظة على الدين والخوف على العقائد من أن تتأثر بآراء الخصوم . ولم تقتصر هذه الروح على المسلمين وحدهم بل لقد سبقتهم اليها أقوام من قبلهم وجاراهم فيها أقوام من بعدهم ، وهذه صفحات التاريخ فياضة بالأدلة التى تؤيد صدق ما اقول :

فلقد أمر الامبراطور تيودوسيوس في سنة ٣٨٩ ميلادية بهدم معابد الوثنيين وهياكلهم وآثارهم ثم تعقب جميع معالم المدنيـة الوثنية في سائر أنحاء الامبراطورية فخرب معبد سرابيوم بالاسكندرية واعدم ما اشتمل عليه هذا المعبد من كتب وتحف ومقتنيات

ولما أغار هولاكو التترى على بغداد سنة ٦٥٦ للهجرة أمر بالقاء كتب العلم التى كانت فى خزائنها الى نهر دجلة كما أمر بأن تبنى بجزء من هذه الكتب اسطبلات الخيل ومذاود البقر بدلا من الآجر والطين (راجع تاريخ ابن الساعى ص ١٢٧ وابن خلدون ج ٣ ص ٥٧٣)

ولما فتح الفرنج طرابلس الشام فى الحروب الصليبية أحرقوا دار كتبها بأمر قائدهم الكونت برتران ده سانجيل (راجع تاريخ الامبراطورية الرومانية ج ٢ ص ٥٠٥ للمؤرخ جيون) وكذلك فعل الاسبانيون بمكتبات الأندلس لما انتزعوها من أيدى المسلمين

وفى عصرنا الحديث لم تسلم أمم عريقة فى المدنية من هذه الروح فلقد أحرق الفرنسيون كل الكتب المطبوعة والمخطوطة التى وجدوها بمكتبات مدينة قسطنطينة عند ما فتحوا بلاد الجزائر كأنهم من صميم الهمج أو من أهل القرون الوسطى (راجع كتاب سيديلو : تاريخ العرب العام ج ١ ص ١٨٥)

فهل يقال بعد ذلك ان الأمر باحراق دار كتب الاسكندرية كان جريمة تستنكرها مدنية العصر الذى فتح المسلمون مصر فيه ، أو أن عمر بن الخطاب قد انفرد بجريرة منكرة لم يسبقه اليها أحد ولم يقدم على مثلها بعده أحد ؟

على أنه سواء كبرت هذه الفعلة أو صغرت ، وسواء كانت إجراء عاديا اقتضته صيانة الدين أو جريمة شنعاء يستبشعها إحساس الانسان ، فان عمر بن الخطاب برىء منها ولم يأمر بها . والدليل على ذلك سهل بسيط وهو أن دار كتب الاسكندرية لم تكن موجودة حين فتح العرب مصر إذ هى قد أحرقت قبل ذلك الفتح بزمن طويل

***

لما مات الاسكندر المقدونى سنة ٣٢٣ ق . م . وكان لم يعقب وارثا يرث العرش من بعده ، اقتسم قواده أجزاء امبراطوريته المترامية الحدود ، فكانت مصر نصيب القائد بطولوماوس سوتر مؤسس أسرة البطالسة التى حكمت مصر فترة طويلة من الزمان

ولقد كان هذا القائد الملك رجلا مستنيراً محبا للعلم والثقافة يكرم وفادة أهلهما ويجرى الأرزاق على الكتاب والمؤلفين ، فتقاطر اليه العلماء والفلاسفة من بلاد اليونان ومن كل صوب وعاشوا فى كنفه هانئين فكان يشجعهم على مواصلة البحث والدرس ويحثهم على التبحر فى شتى فروع الثقافة العامة ووضع الكتب فيها ، حتى انحصرت الحياة العلمية بمدينة الاسكندرية وصارت هذه المدينة عاصمة العلوم والفنون ومقر الدراسات والمباحث ومجمع العلماء وملتقى الفقهاء من مختلف البلاد

وكان من بين المقربين الى بطولوماوس أديب يونانى اسمه ديمترى فاليروس (لعله هو الذى مسخ مؤرخو العرب اسمه فجعلوه زميرة) وقد أشار هذا الرجل على الملك بتأسيس دار الكتب يجمع فيها ما يتيسر جمعه من الكتب العلمية والدينية المبعثرة فى أنحاء العالم . وصادفت هذه الفكرة هوى فى نفس بطولوماوس فعمل على تحقيقها ولم تمض سنوات حتى كانت عشرات الألوف من أنفس الأسفار تحتل جناحا واسعا من أجنحة القصر الملكى بالاسكندرية

وجاء بطولوماوس الثانى الشهير باسم بطليموس فيلادلفوس فنحا نحو سلفه وزاد أن أرسل رسله الى أقطار الدنيا يبتاعون الكتب المهمة والأسفار النادرة ، فجمعوا له فى بضع سنين مؤلفات اليونان واليهود والاشوريين والفينيقيين وكل ما احتوته مكتبة الفيلسوف ارسطوطاليس .

ثم جاء من بعده بطولوماوس أورجيتس فأضاف الى مكتبة الاسكندرية كثيرا من الكتب وفرض على كل عالم يقيم بالاسكندرية أو يمر بها أن يهدى مكتبتها نسخة من كل كتاب يملكه . وهكذا ظلت تلك المكتبة فى عهد الملوك البطالسة تنمو وتتضخم وظل شأنها يعلو ويعظم حتى بات ما فيها من المؤلفات قبل ميلاد السيد المسيح يعد بمئات الألوف وذهب معظم المؤرخين الى القول بأنه بلغ زهاء سبعمائة ألف كتاب

وفى سنة ٤٧ ق . م . كان الرومان قد غزوا مصر وثارت مدينة الاسكندرية على يوليوس قيصر لما شاعت بين أهلها فضيحة علاقة هذا القائد بالملكة كليوباطره فحاصر الاسكندريون القصر الملكى فأمر قيصر باحراق القصر وباحراق الاسطول المصرى الذى كان راسيا فى الميناء أمامه حتى يلهى الأهالى بنكبة اسطولهم فيدبر لنفسه مهربا من القصر أثناء اشتغال الناس بالحريق . ولقد امتدت النيران من الاسطول ومن القصر الى الجناح الذى كانت المكتبة تحتله فالتهمتها أو التهمت الجزء الأكبر منها

ولما ظهرت النصرانية ونفذت الى مصر ثم تبعها اندماج مصر فى الامبراطورية الرومانية ، اصطبغت الحياة العلمية فى هذه البلاد بصبغة الدين الجديد وبدأت العلوم والفنون والآداب الوثنية فى التأخر لتفسح الصدر لعلوم المسيحية وآدابها وفنونها

ولقد أسلفنا أن الامبراطور تيودوسيوس المسيحى كان قد هدم معابد الوثنيين وهياكلهم وأباد آثارهم وكتبهم ثم تعقب معالم مدنيتهم فلم يبق منها على شىء قائم ولا على شىء محفوظ ، ونضيف الى ذلك أنه لما كان الجزء الذى سلم من نيران حريق قصر الملوك فى سنة ٤٧ ق . م . قد نقل الى معبد سرابيوم وأعد له فيه مكان خاص ، فقد امتد نشاط الامبراطور الى هذا المعبد فدكه دكا سواه بالأرض بعد أن أوقد النار فى محتوياته ، وهكذا أعدم هذا العاهل المتحمس لدينه كل ما بقى من كنوز العلم والفن التى جمعها الملوك البطالسة من مشارق الدنيا ومغاربها

وفى سنة ٤١٥ ميلادية دار نقاش دينى بين امرأة اسمها هيباتيا كانت آخر فلاسفة الوثنية فى

الاسكندرية وكيرلس الأول بطريرق المدينة ، فرأى هذا الحبر الجليل أن يضع حداً لذلك النقاش الذي آثار خواطر الناس فأمر بهدم آخر معهد وثني في مصر وباحراق ما يوجد عند الأفراد من كتب الوثنيين

ويظهر أن حملة الرومان على آثار الوثنية وعلومها وكتبها لم تقصر نشاطها على مصر وحدها بل وجهته أيضا الى بلاد اليونان . فلقد رأى الامبراطور جوستنيان سنة ٥٢٩ للميلاد أن يطهر الأرض من كل أثر يمت الى الوثنية بسبب ، فأمر باغلاق أبواب مدرسة أثينا الفلسفية وباعدام كل كتاب يتضمن اشارة الى تعاليم الوثنيين في سائر أنحاء الامبراطورية الرومانية

بعد كل هذه المطاردة المنظمة، وبعد كل تلك الحرائق والابادات المتواصلة ، يحق لنا أن نتساءل : ماهي إذن مكتبة الاسكندرية التي أحرقها عمرو بن العاص بأمر عمر بن الخطاب ؟ واذا لم تكن بالاسكندرية مكتبة أيام عمر فعلام تلك الضجة التي أثارها بعض المؤرخين قديما وجاراهم فيها بعض المؤرخين حديثا ، وما أصل هذه الفرية التاريخية ، وما هي الأدوار التي مرت بها ، وما الذي انتهى اليه أمرها اليوم ؟

***

انقضى زهاء ستمائة عام على فتح العرب مصر ولم يقل أحد من الناس ولم يذكر أحد من الرواة أو المؤرخين خلال تلك القرون أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية بوحي من نفسه أو بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب . فلما كان القرن السابع الهجري ظهر رجل يهودي الأصل اعتنق الديانة المسيحية وترقى في رتب الكنيسة حتى صار اسقفا وكان اسمه « ابو الفرج الملطي » وقد وضع هذا الرجل كتابا باللغة السريانية ثم نقله الى اللغة العربية وجعل عنوانه : « مختصر تاريخ الدول » وأورد في النسخة العربية عبارة لاوجود لها في الأصل السرياني هذا نصها :

« ... وعاش يحيي الغراماطيقي الى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب أنسة بها ماهاله ففتن به . وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه . ثم قال له يحيي يوما : « انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاصناف بها ، فمالك به انتفاع فلا نعارضك فيه ، ومالا انتفاع لك به فنحن به أولى » فقال عمرو : « وما الذي تحتاج اليه ؟ » قال يحيي : « كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية » فقال عمرو : « هذا ما لا يمكنني أن آمر فيه إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » فكتب الى عمر وعرفه قول يحيي فورد عليه كتاب عمر يقول فيه : « وأما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها مايوافق كتاب الله ففي كتاب الله غنى عنه ، وان كان فيها مايخالف كتاب الله فلا حاجة اليه ، فتقدم باعدامها » فشرع عمرو بن

العاص فى تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها فى مواقدها فاستنفدت فى مدة ستة اشهر ، فاسمع ماجرى واعجب »

ولقد ظن بعض المؤرخين أن هذه الرواية العجيبة فرية دسها على عظيمين من عظماء الاسلام قس مسيحى متعصب لدينه حاول أن ينال من حسن سمعتهما ومن حسن سمعة الادارة الاسلامية فى آن واحد . ولكن الحقيقة غير ذلك فان أبا الفرج الملطى لم يفتر ولم يختلق شيئا وانما نقل ما كتبه نقلا يكاد يكون حرفيا عن كتاب « تراجم الحكماء » لابن القفطى المعروف باسم القاضى الأكرم . واليك ما ذكره هذا المؤلف المصرى الأصل ننقله عن النسخة المخطوطة بدار الكتب بالقاهرة :

قال ابن القفطى :

« ... وعاش يحيى النحوى الى أن فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم وما جرى له مع النصارى فأكرمه عمرو ورأى له موضعا وسمع كلامه فى ابطال التثليث فأعجبه ، وسمع كلامه أيضا فى انقضاء الدهر ففتن به ، وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التى لم يكن للعرب بها انسة ما هاله . وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكاد لايفارقه . ثم قال له يحيى يوما : « انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأجناس الموصوفة الموجودة بها ، فأما مالك به انتفاع فلا أعارضك فيه وأما مالا نفع لكم به فنحن بهأولى فأفرج لنا عنه . » فقال عمرو : « وما الذى تحتاج اليه ؟» قال : « كتب الحكمة فى الخزائن الملوكية وقد أوقعت الحوطة اليها ونحن محتاجون اليها ولا نفع لكم بها » فقال له : « ومن الذى جمع هذه الكتب وما قصتها ؟ » فقال له يحيى : « ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك حبب اليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن وولى أمرها رجلا يعرف بابن ذميرة (ديمترى فاليروس) وتقدم اليه بالاجتهاد فى جمعها وتحصيلها والمبالغة فى أثمانها وترغيب تجارها . . الخ . . الخ . . وما تزال هذه الكتب محروسة محفوظة يراعيها كل من يلى الأمر من الملوك وأتباعهم الى وقتنا هذا » فاستكثر عمرو ماذكره يحيى وعجب منه وقال له : « لا يمكنني ان آمر بأمر إلا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب » وكتب الى عمر يعرفه بقول يحيى الذى ذكر واستأذنه ما الذى يصنعه فيها فورد عليه كتاب عمر يقول فيه : « وأما الكتب التى ذكرتها فان كان ما فيها يوافق كتاب الله ففى كتاب الله غنى عنه وان كان مافيها يخالف كتاب الله تعالى فلاحاجة اليها ، فتقدم باعدامها ، فشرع عمرو فى تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها فى مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذ وانسيتها ، فذكروا أنها استنفدت فى مدة ستة اشهر فاسمع ماجرى واعجب »

ويتضح من مقابلة هذه الفقرات بالفقرات الواردة فى كتاب أبى الفرج الملطى انابا الفرج كما قدمنا لم يكن مفتريا ولا مختلقا وانما كان ناقلا . وغاية ما يقال فيه أنه استغل رواية لا سند لها من

لحقيقة ولا من الواقع ليحط من قدر عمرو بن العاص والخليفة عمر بن الخطاب ، وانه لو توخى الحق فى تدوين وقائع التاريخ لشك على الأقل فى صحة تلك الرواية التى لم يسبق ابن القفطى اليها أحد من المؤرخين طوال ستة قرون والتى لايذكر لنا واضعها من أين جاء بها ولا السند التارخى الذى يعول عليه فيها

إذن فابن القفطى ـ لا أبو الفرج الملطى ـ هو أول من كتب أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية بأمر من عمر بن الخطاب . ولكن ما هو المصدر الذى استمد منه هذا الرجل تلك القصة ، ولماذا سكت عنها المتقدمون عليه من مؤرخى الفتوحات الاسلامية ؟ يميل المرحوم جرجى بك زيدان فى كتابه «تاريخ التمدن الاسلامى» الى الأخذ برواية ابن القفطى ويحاول أن يوجد لها سنداً من التاريخ فيذكر ان ابن القفطى نقلها عن كتاب «الافادة والاعتبار» لعبد اللطيف البغدادى الذى زار مصر وكتب عن كثير من مشاهداته فيها . ولكن هذا السند الذى يلجأ اليه منشىء «الهلال» غير صحيح لان البغدادى لم يعرض لمكتبة الاسكندرية ولم يدرس مسألتها وكل ما جاء فى كتابه «الافادة والاعتبار» فقرة أوردها عرضا فى سياق حديثه عن عمود السوارى المعروف فى الاسكندرية وهذا نصها :

« . . . ورأيت أيضا حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف ، وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها . وأرى أنه كان الرواق الذى كان يدرس فيه ارسطاطاليس وشيعته من بعده وأنه دار العلم التى بناها الاسكندر حين بنى مدينته . وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضى الله عنه »

ولا شك أن القارىء لا يجد فى هذه العبارة توكيداً لرواية ابن القفطى ولا مرجعا تارخيا يؤيد القصة المختلف فيها ولا دليلا يدعمها ، وأغلب ظنى أن عبد اللطيف البغدادى هو الذى أخذ عن ابن القفطى لأنهما كانا متعاصرين وقد كتب فى «الافادة والاعتبار» متأثراً بما قرأه فى «تراجم الحكماء» ولم يشأ أن يكلف نفسه مشقة التحقق من صدق الرواية ولا عناء البحث عن مصادرها

على أنه سواء كان البغدادى هو الناقل أو المنقول عنه فان المرحوم جرجى بك زيدان لم يستطع أن يقول لنا من أين استقى البغدادى وابن القفطى روايتهما ، ولا أن يسوق أى دليل تارخى يؤيد هذه الرواية . وكل ماذكره فى هذا الموضوع كلام لا يركن اليه المؤرخ ولا يعول عليه الباحث إذ هو لا يعدو حدود الظن والتخمين كقوله : « .. ولكن لسوء الحظ قد ضاعت تلك المصادر (أى المصادر التى أخذ عنها البغدادى وابن القفطى) فى جملة ما ضاع من مؤلفات العرب »

ولو سئل المرحوم منشىء «الهلال» من أين جاءك أنه كانت هناك مصادر حتى تؤكد أنها ضاعت لأحرج ولم يهتد الى جواب . ثم يبرهن المرحوم زيدان بك على رأيه فيقول :

« على أننا إذا تدبرنا ما ذكره ابن النديم فى كتاب « الفهرست » عن أخبار الفلاسفة الطبيعيين من حكاية انشاء مكتبة الاسكندرية يتضح لنا أن فى جملة المصادر التى نقلت عنها تلك الرواية تاريخا لرجل اسمه اسحق الراهب كان يبحث فى أخبار اليونان والرومان وآدابهما ، ومن جملة ما تناوله عنه خبر انشاء مكتبة الاسكندرية على يد زميرة وهذا نصه : « ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك بحث عن كتب العلم وولى أمرها رجلا يعرف بزميرة فجمع له من الكتب على ما حكى أربعة وخمسين الف كتاب ومائة وعشرين كتابا وقال له أيها الملك السعيد قد بقى فى الدنيا شىء كثير فى الهند والسند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم » . وهى نفس عبارة ابن القفطى ، فالظاهر أن ابن القفطى أخذ انشاء المكتبة عن اسحق الراهب وأخذ حرقها عن سواه »

ولست أرى فى هذه الفقرة من كتاب الفهرست دليلا على أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية . والقارىء لا يخرج منها بأكثر من أن اسحق الراهب يقرر أن البطالسة أسسوا مكتبة فى الاسكندرية وهذا أمر مسلم به ولا خلاف فيه ، انما الخلاف كله فى أن عمر بن الخطاب أمر باحراق تلك المكتبة فأحرقت وهذا ما لم يعرض له ابن النديم فى «الفهرست» بشىء ولم يشر اليه اسحق الراهب بكثير ولا بقليل

وإذا سلمنا بأن « الظواهر » تصلح لأن تكون أدلة تاريخية وأسانيد يعول عليها المؤرخون حتى فى المسائل الخطيرة فمن هو « سواه » هذا الذى يقصد اليه صاحب «تاريخ التمدن الاسلامى» ومن أين جاءه نبأ هذا « السوى » حتى يرجح أن ابن القفطى أخذ عنه نبأ الحريق ؟

وبعد أليس العرب هم الذين جلبوا كتب العلم من بلادها المختلفة ونقلوها الى لغتهم ثم حملوها الى شمال افريقيا وجنوب أوروبا فحملوا اليها بذلك شمس المعارف والعلوم ؟ فهل الذين فعلوا ذلك هم الذين يصدق فيهم أنهم أعداء العلم وكتب العلم يحرقونها أنى وجدوها ؟

ثم أليس عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص هما اللذان وضعا القواعد التى يجرى عليها حكام مصر من المسلمين فى معاملة أصحاب الأديان الأخرى وفى مقدمة هذه القواعد قولهما : « انما أعطيناهم العهد على أن نخلى بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما يشاءون ، وأن لا نحملهم ما لا يطيقون ، وأن نخلى بينهم وبين أحكامهم إلا أن يأتونا راضين فنحكم بينهم » ؟

فهل الذين يؤمنون مخالفيهم فى الدين على عقائدهم وآرائهم وكنائسهم وأحكامهم هم الذين يؤذونهم فى دور كتبهم ويخربون كنوزهم ويحرقون مخلفات آبائهم وأجدادهم ؟

وفى النهاية ألم يهادن عمرو بن العاص مقاوقس هدنة طويلة جعل مداها أحد عشر شهراً لا يدخل الاسكندرية قبل انقضائها وسمح لهم أن يحملوا الى بلادهم فى خلالها ما يرون الاحتفاظ به من أموالهم وأمتعتهم ومقتنياتهم وترك لهم البحر مفتوحا لا يحول فيه شىء دون ذهابهم وإيابهم طوال

تلك المدينة ؟ فهل يعقل أن يهمل الروم هـذه الفرصة ويغفلوا عن نقل الكنوز العلمية التى كانت تحويها مكتبة الاسكندرية لو أن هذه المكتبة كانت باقية ؟

وإذا كان عمرو بن العاص قد أحرق المكتبة خشية أن يتسرب ما فى كتبها الى عقول المسلمين فما معنى تلك الخرافة الضخمة التى تقول بأنه وزع الكتب على حمامات الاسكندرية لتحرق فى مواقدها وأن عملية احراقها فى تلك المواقد استغرقت ستة أشهر ؟ علام تحميل الناس مشقة نقل الكتب من مكانها الى أماكن متفرقة بعيدة وتعريضها طوال ستة أشهر لسرقة السارقين وعبث العابثين ونهب الناهبين ؟ ألم يكن أيسر وأسهل ما دامت الكتب قد قضى عليها بالاحراق أن تحرق فى مكانها فوق ربوة الاكروبول فيضمن الوالى اعدامها اعداما كاملا لا يبقى ولا يذر ؟

الا إن هذه كلها لأدلة وقرائن تنفى رواية ابن القفطى وتجلو بطلانها ولا تدع منها الا خرافة وضعها كاتب لم يشأ التثبت من المصادر التى نقلها عنها أو اختلقها ليخدم بها سياسة له لا نعرفها .

وإذا كانت هـذه الخرافة قد تواترت واستفاضت حتى أخذ بها بعض المؤرخين المحترمين فهى لا تقف اليوم أمام النقد العلمى البرىء ولا تقوى على مواجهة الأدلة التاريخية التى تضافرت عليها من كل صوب

***

وحسبنا فى نهاية هذا المقال أن نورد آراء لبعض كبار المؤرخين الأوروبيين فى العصر الحديث ممن عرضوا لهذه المسألة الهامة وتناولوها بالبحث والتمحيص فتبين لهم تلفيقها وكذبها . ولو شئنا أن نورد الى جانب ذلك آراء المؤلفين المسلمين لأوردنا منها الشىء الكثير ، ولكنا لا نريد أن يعترض علينا بأن هؤلاء المؤلفين متأثرون بعقيدتهم الدينية أو بعاطفتهم الاسلامية ، ولذلك نترك الكلمة لمن لا يمكن أن يرتاب فى صدقهم وحيادهم ولا يجوز أن توجه اليهم مثل تلك التهمة

قال المؤرخ لوكلير فى المجلة العلمية الفرنسية :

« ان مكتبة الاسكندرية لم تبق الى عهد الفتح الاسلامى لمصر حتى يقال ان العرب أحرقوها »

وجاء فى دائرة المعارف البريطانية :

« ان ماذكره أبو الفرج الملطى عن احراق العرب مكتبة الاسكندرية ليس فى الحقيقة إلا مهاترة وتلفيقا ، لأن المكتبة لم تكن وقت الفتح العربى تحوى شيئا ذا قيمة بعد الحرائق التى انتابتها قبل العرب بزمن طويل وبعد ما أمعن البطريرق تيوفيلوس فيها احراقا بأمر الأمبراطور تيودوسيوس سنة ٣٨٩ للميلاد »

وجاء فى دائرة المعارف الفرنسية الكبرى تحت كلمة « عمرو بن العاص » :

« لقد كان عمرو رجلا مهذبا ومثقفا فليس مما يصدق أن يكون قد أمر باحراق بقايا مكتبة الاسكندرية التى كان المسيحيون قد سبقوا فأعدموها »

وجاء فيها أيضا تحت كلمة « اسكندرية » بقلم المؤرخ الكبير دوتامبل :

« كانت هذه المكتبة قد أكلتها النيران عندما أحرق يوليوس قيصر أسطول الاسكندريين الذي كان راسيا في الميناء سنة ٤٧ قبل الميلاد »

وقال العلامة المعروف جوستاف لوبون في صفحة ٢٠٨ من كتابه حضارة العرب :

« أما ما زعموه من احراق مكتبة الاسكندرية فخرافة لا تصدقها لأن مثل هذا العمل الوحشي لايتفق وعادات العرب بل هو يتنافر وإياها الى حد يجعلنا نتساءل كيف رضى بعض المؤرخين أن يقبلوا هذه الخرافة ويسلموا بصحتها . لقد تولى كبار المؤرخين من معاصرينا ومن سلفائنا تفنيد تلك الفرية تفنيداً يغنينا عن تناولها ببحث جديد وإلا فليس أيسر من التدليل بنصوص صريحة وبأسانيد لا تناقش على أن المسيحيين كانوا قبل الفتح العربي بزمن طويل قد أعدموا الكتب الوثنية التي كانت مكتبة الاسكندرية تحتويها وانهم أعدموها بنفس العناية التي هدموا بها كل التماثيل والهيا كل الوثنية حتى لم يبق منها شيء يحرقه العرب »

وعقد المؤرخ الانجليزي الكبير آلفرد باتلر في كتابه النفيس «فتح العرب لمصر» فصلا ممتعا عن مكتبة الاسكندرية وحريقها كنت أود لو يسمح لي المقام بنقله كله ، أما والمقام لا يسمح فاني أجتزىء منه بالنتائج التي وصل اليها ذلك المؤرخ العظيم قال :

« ... ثم اذا سلمنا بأن تلك المكتبة بقيت على عهدها حتى فتح العرب الاسكندرية ، كان أبعد الأمور أن يكون العرب قد أتلفوها ودمروها . ولذلك سبب نورده : وهو أن العرب لم يدخلوا المدينة إلا بعد أحد عشر شهراً من الفتح ، وقد جاء في شروط الصلح التي أمضاها عمرو مع المغلوبين أن الروم في مدة الهدنة أن يخرجوا من البلد اذا شاءوا وأن يحملوا معهم كل ما استطاعوا نقله من متاعهم وأموالهم [1] وكان البحر في كل تلك المدة خاليا من العدو لا يقف شيء فيه بين الروم والقسطنطينية أو سواها من ثغور البحر ، فلو كانت مكتبة السرابيوم باقية الى يومئذ لطمع الروم في ثمن كتبها ولأغراهم ذلك بنقلها ان لم يدفعهم الى هذا دافع آخر من حب الاحتفاظ بذلك الكنز الثمين ، ولسعوا في وقت الهدنة الى نقل تلك الكنوز العلمية والفرصة سانحة

« ... لم نقصد بكلامنا هذا سوى اثبات الحقيقة . ولا شك في أن العرب عنوا بعد فتوحاتهم بجمع كثير من الكتب القديمة وغيرها مما وقع في أيديهم وعنوا بحفظها وترجموا منها في كثير من الاحوال. وفي الحق أنهم ضربوا أمثلة يجدر بالفاتحين في العصر الحديث أن يحذوا حذوها ، فليس

(١) تنص الشروط على عقد هدنة بين الطرفين لمدة أحد عشر شهراً . وتقضي المادة الرابعة من هذه الشروط بما يأتي : « ترحل حامية الاسكندرية وتحمل الروم معهم متاعهم وأموالهم جميعها » وتقضي المادة السادسة بما يأتي : « يمتنع المسلمون عن أخذ كنائس المسيحيين ومقتنياتهم وعن التدخل في شؤونهم بأي شكل من أشكال التدخل »

مما يسهل تصديقه إذن أنهم كانوا من الوحشية بحيث يخربون كنوز العلم والفن مغتبطين راضين
« . . لعلنا لا نكون مخطئين اذا نحن أجملنا فيما يلي مافصلنا في هذا الباب من الحجج والأدلة والبراهين على بطلان قصة احراق العرب مكتبة الاسكندرية

١ ـ ان قصة الاحراق لم تظهر إلا بعد نيف وخمسمائة عام من وقت الحادثة المزعوم وقوعها

٢ ـ اننا فحصنا القصة وحللنا ما جاء بها فألفيناها سخافات غير متناسقة يستبعدها العقل ولا يستسيغها المنطق

٣ ـ ان القصة تشير الى واحدة من مكتبتين : الأولى مكتبة المتحف وقد ضاعت في الحريق الذي أحدثه قيصر . . . والثانية مكتبة السرابيوم وهي اما أن تكون قد نقلت من المعبد قبل عام ٣٩١ م ، واما أن تكون قد خربت وأعدمت ، فتكون على أي حال قد اختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن

٤ ـ ان كتاب القرنين الخامس والسادس لا يذكرون شيئا عن وجود مكتبة بالاسكندرية وكذلك كتاب أوائل القرن السابع

٥ ـ لو صح أن المكتبة كانت موجودة وأن العرب أحرقوها لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم قريب العهد من الفتح مثل حنا اليقوسي ولما مر على هذا الحادث من دون أن يكتب عنه حرفا »

ثم يختم الدكتور باتلر هذا الفصل بقوله : « ولا يمكن أن يبقى في الأمر شك بعد ذلك . فان الأدلة الناطقة تبرر ما ذهب اليه رنيودو من رفض قصة أبي الفرج الملطي[1] وعدم تصديقها . ولا بد لنا أن نقول إن رواية أبي الفرج لا تعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس في التاريخ »

حسن الشريف

تعقيب

﴿ الهلال ﴾ عرض الأستاذ حسن الشريف لما ذكره منشيء « الهلال » في كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » من أدلة ترجح رواية احراق مكتبة الاسكندرية بأمر عمر بن الخطاب، فرأينا أن نعقب على مقاله بكلمة وجيزة نذكر فيها أن المرحوم جرجي بك زيدان عاد الى بحث هذا الموضوع في مقال نشره في « هلال » أول اكتوبر سنة ١٩١١ أوضح فيه رأيه السابق وأيده بأدلة جديدة

فأبان في بحثه أنه لو ثبتت هذه الرواية لما نقص هذا من قدر عمر بن الخطاب العظيم ، ولا ناقض ما عرف من مناقبه العالية ، فقد كان إحراق المكاتب في عرف الساسة القدماء ضرورة من

---

(١) واضح أن الدكتور باتلر وغيره من العلماء لم يطلعوا على المصدر الذي نقل منه أبي الفرج الملطي روايته وهو كتاب ابن القفطي الذي ورد ذكره في هذا المقال ولذلك فهم ينسبون أصل الرواية الى أبي الفرج

ضرورات الفتح والغلبة ، ولاسيا إذا كان التنازع بين أمتين من مذهبين مختلفين . وأورد أمثلة شتى فى هذا ذكر الأستاذ الشريف بعضا منها ، فمن ذلك ما فعله عبد الله بن طاهر بكتب فارسية سنة ٢١٣ هـ ، وما فعله هولاكو سنة ٦٥٦ هـ بخزانة دجلة ، وما فعله الافرنج بمكتبة طرابلس الشام فى أثناء الحروب الصليبية ، وغير ذلك من الوقائع الثابتة فى التاريخ القديم . وإذا فلا تثريب على المسلمين إذا نحوا هذا النحو فى إبان تشييد دولتهم ، ولاسيا وقد كانوا يعتقدون و أن الاسلام يهدم ما قبله ، وقد كان من الأحاديث الشائعة يومئذ « كتاب الله خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم »

ومما يدل على أن احراق مكتبة كمكتبة الاسكندرية لا ينافى ما عرف عن عمر من غيرة شديدة على الاسلام ، ورغبة أكيدة فى نشره وتأييده ، أن مؤرخى المسلمين وفيهم الائمة والقضاة وعلماء الكلام والفلاسفة لم يتعرض أحد منهم للاعتراض على تلك الرواية أو انكارها ، وقد مضى على اقدم كتاب وردت فيه نيف وسبعمائة سنة ظهر فى أثنائها جماعة من كبار العلماء الناقدين الباحثين وفيهم إمام المؤرخين ابن خلدون . ومما جاء فى هذا المقال :

« لقد وضع ابن خلدون كتابه فى آخر القرن الثامن الهجرى ، أى بعد ابن القفطى بقرن ونصف قرن ، وعقد فيه فصلا طويلا ذكر فيه ما يعرض للمؤرخين من الاغلاط والأوهام كما شدد النكير على من يلفقون التهم على رجال الاسلام كمن يتهمون الرشيد بشرب الخمر ، وبالغ فى انكار ذلك تنزيها لبنى العباس عن المنكرات . وهو بلا شك أكثر تنزيها لعمر بن الخطاب عما يمس سمعته أو يقلل من فضله . فلو رأى فى حريق المكاتب أيام الفتح عاراً لما سكت عن نقده وتبيينه ، ولا يهمه من قاله فان بين الذين انتقد أقوالهم جماعة من كبار الائمة والمؤرخين . ولا يقال إن ابن خلدون لم يطلع على ما كتبه ابن القفطى والبغدادى فانه يجل عن هذا التقصير . ويؤيد ذلك أنه أورد حكاية الحريق فى عرض كلامه عن طبيعة العمران وما فيه من الصنائع والعلوم ، وانما ذكر محو علوم فارس فقال : « أين علوم فارس التى أمر عمر رضى الله عنه بمحوها عند الفتح ؟ »

وقال بعد هذا : « أما خلو مابين أيدينا من كتب الفتح أو نحوها من خبر ذلك الحريق فلا ينفى صحته لكثرة ماضاع من تلك الكتب . واذا وضعنا القاعدة ألا نصدق من أخبار الفتح إلا ما هو مذكور فى كتب الفتح التى وصلت الينا فاننا نبخس الاسلام حقه وننكر على أصحابه كثيراً من الفضائل ، لأن ماضاع من كتب التاريخ والغزوات التى كتبت فى القرون الاسلامية الاولى أكثر كثيراً مما بقى »

وبعد أن ناقش رواية الحريق جيداً ختم بحثه بهذه الكلمة القاطعة : « على أن هذا كله لا يعد برهانا قاطعا يقينيا على حريق تلك المكتبة على أيدى العرب ، وانما هو ترجيحى يقبل النقض عند الوقوف على مايناقضه » وهذه الكلمة وحدها توضح رأى منشىء الهلال ، فى هذا الموضوع خير توضيح

عرض وتحليل

الرذائل الكبرى

للباحث الأخلاقي ادوار شاربنتيه

Les Péchés Capitaux par Edouard Charpentier

« ادوار شاربنتيه من صفوة المفكرين الاخلاقيين في العصر الحديث . وهو شاعر وروائي وفيلسوف . وله سلسلة مؤلفات شائقة في (معنى المسئولية) و (قيمة الاخلاق في حياة الفرد) و (الاجرام في تاريخ البشرية) وقد وضع هذا الكتاب بناء على رغبة جمعية الاصلاح الخلقي في فرنسا ورسم فيه صوراً دقيقة رائعة لطائفة من الرذائل الكبرى التي تطوح بحياة الفرد وتقوض انظمة الجماعة »

تصدع الشخصية البشرية

يهتم الانسان العصري بتثقيف عقله فيجاهد للظفر بأوفر قسط من العلوم ، ولكنه لا يهتم بتثقيف روحه ولا يتكلف مؤونة الجهاد في سبيل الظفر بأوفر قسط من كمال النفس ونبل الخلق وسمو الميول والأهواء

وثقافة العقل نفعية تدر المال وتعزز المركز الاجتماعي وتدني من تحقيق أعظم المطامع والأغراض ، لذلك يقبل عليها الناس . أما ثقافة الروح فنزيهة تجد غايتها في نفسها ، لذلك يعرض عنها الناس ولا يكترثون لها

وقد ألهب هذا العصر النزعة النفعية في القلوب فأخمدت ثقافة الروح واتسعت شقة الخلاف بين العقل والعاطفة وتصدعت الوحدة التي يجب أن تنهض عليها الشخصية البشرية

فعندما ازدهرت الحضارة الصناعية الراهنه وظهرت أدوات الترف وراجت المصنوعات الرخيصة وانبسط سلطان العلم ، طغت على الأفراد غريزة التمتع فتزعزع إيمانهم بالدين واشتد إيمانهم بالعلم وأصبحت النفعية قبلتهم والمصلحة المجردة غذاءهم الأول والأخير

فسدت عواطفهم واعتلت أذواقهم وتبلدت قلوبهم ، فخيل الى المصلحين أن الفن قد يحل محل الدين وان الثقافة الفنية بما تشتمل عليه من دعوة خالصة الى الجمال والحق والخير كفيلة بتهذيب النفس وتثقيف الروح

ولكن الفن ذاته أصابته النزعة المادية المستحوذة على العصر فتضاءل وانحط وبدل أن يكون فنا مثاليا يتسامى بالعقل والقلب والسلوك ، استحال الى محض عناية بجمال الظواهر وروعة الاشكال

وهكذا خاب المصلحون وظل البون شاسعا بين رق الانسان من ناحية العقل ورقيه من ناحية العاطفة والاحساس

فلكى يتم التعادل بين عقل الانسان وعاطفته ، أى بين تفكيره وسلوكه ، يجب أن يستأصل من نفسه الرذائل الكبرى التى تعوق رقي عاطفته كما يعوق التعصب والمكابرة رق عقله

ولو فطنت الحكومات لخطورة الرذائل النفسية فأوعزت الى كبار رجال التربية بدراستها وتحليل أعراضها فى كتب صغيرة واضحة الأساليب توزع على التلاميذ والطلبة وتعتبر فى المدارس جزءاً غير منفصل من البرنامج المدرسى ، لو تم ذلك فما لا يقبل الريب أن العاطفة تماشى العقل حينئذ فى الرق تمهيداً لتحقيق وحدة الشخصية البشرية

فتلك الرذائل النفسية الكبرى التى ما تزال كامنة فى نفوس الأفراد والتى ما يزال يشكو عسفها وطغيانها كل انسان بالغا ما بلغ من العلم والعرفة ، هى التى سنحاول شرحها وتحليلها بايجاز فيما يلى :

رذيلة البخل

الحرص فضيلة ، ولكن البخل رذيلة منكرة

والرجل الحريص هو الرجل العاقل المدبر المقتصد ، ولكن الرجل البخيل هو الانسان الوضيع الذى استعبد للمال واستغرق جمع المال خلاصة قوى عقله وعواطفه

ويلاحظ فى البخيل أنه لا يجمع المال لمصلحة تقضى بذلك ، بل يجمعه حبا فى جمعه وولعا باكتنازه وشغفا برعايته وتدليله كأنما هو معشوقة يخشى عليها من عيون الناس

والحق أن البخيل يغار على ماله كما يغار على المرأة ، ويظل يقتر ويجمع وهو يعلم حق العلم أن أمواله لن تعود عليه بأية فائدة وانها قد تبدد من بعده ، ومع ذلك فهو يجاهد جهاد الجبابرة للاستزادة منها والاحتفاظ بها والفتك ان استطاع بكل من تحدثه نفسه بالدنو منها

وقد رسم (موليير) فى مسرحية البخيل صورة مروعة لهذه الشخصية ينفر منها كل انسان نبيل

ورذيلة البخل تولد رذائل نفسية أخرى لا تقل عنها ضعة وخطورة . ومن ذلك أنها تجرد صاحبها من كل خلق سمح وكل عاطفة سخية وكل عمل ينهض على انكار الذات . ثم هى تضيق فى نظر البخيل آفاق العالم وتحبسه فى حدود معينة وتحرمه آخر الأمر من التمتع ـ ولو فى اعتدال ـ بطيبات هذه الدنيا

وصفوة القول أن البخيل هو الرجل الذى يعيش وهو ميت والذى تضاءلت فى نظره الحياة وضاقت وتركزت فى لذة سلبية لا نفع منها ولا غرض لها

ولكى نحارب البخل يجب أن نحسن مخاطبة البخيل . يجب أن نقدر حبه للمال . ثم يجب أن نفهمه أن اقباله على الحياة وانفاقه المال فى وجوه الخير ولتأدية الواجبات البيتية والاجتماعية المفروضة عليه ، أشياء يمكن القيام بها مع الحرص والمحافظة على الاقتصاد وبدون تبديد المبالغ الطائلة التى جمعها والتى قضى فى جمعها الأيام الطوال

هذا مع الاجتهاد فى تهذيب نفسه ورفع مستوى عقله وهدايته الى المتاعب والآلام التى يحدثها بخله فى أقرب الناس اليه أى فى أفراد عائلته

رذيلة الغضب

كثيراً ما يفقد الانسان حقه اذا ما جمح به الغضب

وسرعة الغضب دليل على ضعف الأعصاب وقصر الذهن والاعتداد بالنفس

وليس شك فى أن الحليم يربح على الدوام وسريع الغضب يخسر على الدوام . إذ غضبة الرجل العصبي تعتبر فى معظم الأحوال اهانة موجهة الى من يخاطبه . أما تؤدة الحليم فتعتبر أدبا ورجاحة عقل وإن كانت مشوبة بالدهاء والمكر

وقد يتحدث اليك أحب صديق الى نفسك حديثا فيه كل الخير لك ثم يغضب ويحتد فجأة وبدون مسوغ فتشعر على الرغم منك أنك قد بدأت تكرهه وتنفر منه . وقد يتحدث اليك عدو لك فى هدوء ورفق واتزان فتشعر أنك تحبه وتدهش لهذا الميل الطارىء الغريب

فسريع الغضب عدو مصلحته ومصلحة الآخرين ، وحليم الطبع يربح على حسابه ويشيعه فى الغالب بابتسامة استخفاف وتهكم

وسرعة الغضب فى فرد من الأفراد لا تفقده حقه فحسب ، ولا تفقده الأصدقاء والمعجبين فحسب ، بل تفقده احترام الناس أيضا . لأن الغضب فى ثورانه يهبط بمستوى الفكر ويشوه معارف الوجه ويمسخ الانسان ويحيله هزأة تبعث على الاحتقار وتستثير الضحك

وعلاج الغضب فى علاج الاعصاب والمعدة وسلامة البدن أولا . ثم فى رياضة النفس على كظم الغيظ وكبح العواطف وضبط النزوات التى تبعثها المشاعر وينطلق بها الفم قبل أن يمحصها الفكر

وقد كان فولتير عندما يشعر بنوبة غضب تعصف به ، يطرق الى الأرض لحظة طويلة ويظل عاضا على شفتيه وهو يفكر ، ثم لا يرفع رأسه الى محدثه الا وهو يبتسم

وكان نابليون كلما ثارت نفسه وخشى نوبة الغضب يذرع الغرفة عدة مرات ويتسعط حتى يهدأ

وكان جانجاك روسو يخرج بغتة ويختفى عن الأبصار ويظل يتنقل فى حديقته حتى تقر أعصابه ثم يرجع الى زواره ضاحكا متهللا يستأنف الحديث فى هدوء رائع !

والحقيقة ان تدريب النفس على مثل هذه الأنواع من الرياضة المعنوية هو خير وسيلة لعلاج مرض الغضب

رذيلة الكسل

الكسل اكثر الرذائل شيوعا فى طبيعة الانسان لأن الحياة جميلة وقصيرة ، ولأن ملذاتها المختلفة المتجددة تغرى بالاستنامة والراحة والانصراف عن مشاق العمل

والكسول فى الغالب رجل استمتاع . يهوى اللذة ولو كانت خيالا ووهما وحلما من الأحلام . فهو ينشد الراحة لأنها فى نفسها لذة ولأنها طريق معبد لغيرها من اللذات . فتراه منطويا على ذاته مستغرقا فى خموده خائر الاحساس والعقل متثاقلا متوا كلا يؤجل الى الغد ما يستطيع عمله اليوم . وهو كثير التسويف والتأجيل لخوفه من العمل وتبرمه بالحركة وشعوره بعجزه عن مواصلة السعى واعتقاده الفلسفى بأن الحياة باطلة وانها لا تستحق النصب والكد

فالكسول يأخذ ولا يعطى . يرغب فى كل شىء ولا يمنح من قواه أى شىء . ولكن الكسل متى تأصل فى نفسه انحطت رغباته وضعفت مشتهياته وأصبح يقنع من الحياة بالنزر اليسير على شريطة ألا يعمل وألا يرهق بالجهاد اليومى أعصابه وعقله

ومتى تمكنت منه هذه الظاهرة استحال الى عضو كسيح وأصبح عالة على أهله وعالة على مجتمعه وكان أشبه بنبات طفيلى يعيش ويتغذى من عصارة سواه

ومما يلفت النظر أن عدوى الكسل من اخطر وأفتك أنواع العدوى ، اذ من طبع الكسول ألا يحس لذة الراحة ويتذوق نعيم البلادة إلا متى ساق الآخرين فى تياره واستطاع أن يحيا فى مجتمع حافل بالكسالى العاطلين . فهو والحالة هذه يتعمد نقل ميكروبه الى الاصحاء ليجد مبرراً لكسله فيتمكن من التمادى فيه

ومن أبرز خصائص الكسول اهماله نظافة بدنه وعدم شعوره بقذارة هذا البدن واعتباره الاستحمام عملا مرهقا ومضيعة للوقت الثمين ...

ثم هو الى ذلك محب للثرثرة يقتل الوقت الثمين فى لغو القول أو التعريض بشخصيات العاملين

وإذن فالكسل رذيلة تفصل الفرد عن المجتمع ، وتجرده شيئا فشيئا من عنصر الانسانية ، وتنتزع من نفسه قابلية التطور والرقى ، ثم تجعله عقبة فى سبيل تطور ورقى الآخرين

وخير علاج للكسول أن يبتعد عن أوساط الكسالى ، وأن يندمج فى مجتمعات رجال الكد والعمل ، وأن يمارس بعض أنواع الرياضة البدنية ، وأن يختط لنفسه خطة واضحة وغرضا معينا ، ثم يقبل على مطالعة تراجم العظماء جاعلا منها غذاءه الروحى الدائم

والواقع أن حياة العظماء بما فيها من صبر ودأب وجلد وتضحية ، هى أصدق الأمثلة وأروع القدوات وأقوى الحوافز على العمل والجهاد والتفوق

رذيلة الزنا

الزنا جريمة لا رذيلة ، أو هو رذيلة لا يمكن أن تتحقق إلا بالاجرام . والزانى فى عرف الناس وفى عرف القانون كالسارق ، لذلك يعتبر مجرما

ولكن كيف تنشأ رذيلة الزنا ومن أين تنبع ؟

الواقع أنها تنبع من ولع الانسان الفاسد العقل والخلق بكل ما هو محرم ، ومن اعتقاده الساذج أن كل ممنوع مرغوب ، ومن شعوره الوهمى أن اللذة المحرمة هى اللذة القوية الجديرة بأن يغامر المرء فى سبيل الحصول عليها

فهذه القوة أو الفتنة الخيالية الكامنة فى اللذة المحرمة هى التى تدفع الرجل الى اشتهاء زوجة الآخر ، أو المرأة الى اشتهاء زوج الأخرى ، أو الشاب الخليع المستهتر الى إشباع رغباته الجثمانية من طريق غير مشروع

ولا شك فى أن هناك عاملين يلهبان فى النفس رذيلة الزنا وتتفرع منهما عوامل وحوافز مختلفة الأول سوء التربية وما ينشأ عنه من فساد الخلق وضعف الارادة وعدم اعتياد العفة منذ الحداثة والثانى تهرب الفرد من الزواج ومن حمل مسؤولياته الاجتماعية والاقتصادية

فالزانى يحاول أن يستمتع على حساب غيره ويتوق الى الظفر بسعادة لا تكلفه شيئا ولا تضطره الى تقييد شبابه وحياته ومستقبله . وهذه هى السرقة فى أوسع معانيها

ومن المحال أن تتمكن رذيلة الزنا من انسان بدون أن تلازمها رذائل أخرى كالكذب والنفاق والخبث والدهاء واحتقار الفضائل والاستخفاف بالآداب والزراية بالقوانين وتحدى ميول الناس وأوضاع المجتمع

ولذلك سمى الرجل المدمن على الزنا فاسقا ، وسميت المرأة فاجرة . والفسق أو الفجور مصيره النهائى الى الاباحية المرذولة ، والاباحية عنوان الفوضى ومعول الهدم وجرثومة الموت تنخر جسم المجتمع وتبليه شيئا فشيئا

واذن فالزانى هو عدو الجماعة كاللص أو القاتل ، بل هو أشد منهما خطرا وأبلغ فى حياة الأمة والأفراد أثراً ، لأنه لا يسلب الناس أعراضهم فحسب ، بل يسلبهم كرامتهم وسمعتهم وراحتهم وشرف اسمهم وجوهر كيانهم الاجتماعى والأدبى الذى لا يقدر بثمن

ولو عرف الزانى أن اللذة المشروعة أصفى وأمتع وأنبل من اللذة المحرمة ، ما أقدم على الثانية وما عاف الأولى

ولذلك يجب تسهيل الزواج كى يقل الزنا

يجب تذليل العقبات الاقتصادية التى تعترض الزواج كى يقبل عليه الشبان بلا وجل

والحق أن الزواج متعة تقابلها فى هذا العصر تضحيات ومطالب متعددة . فكلما خففنا من عبء هذه المطالب عن كواهل الشبان ، وكلما غرسنا فى قلوبهم عاطفة الغيرية ، وكلما أشعرناهم بأن قيمة اللذة لا تقاس إلا بقيمة ما نضحيه فى سبيلها ، زاد اقبالهم على الزواج وتنكبوا من تلقاء أنفسهم طريق الزنا والفسق

رذيلة الشره

من الافراد الذين تنحط احساساتهم وميولهم ، وتجدب عواطفهم ووجداناتهم ، وتزايل أنفسهم النزعات والرغبات الفكرية والروحانية ، من لا يجد له فى الحياة مطلبا غير الاستمتاع بلذة المائدة وما يمكن أن تكون حافلة به من مختلف ألوان الطعام والشراب . والحقيقة أن الشره فى الأكل رذيلة تنحدر من عدم الرغبة فى المعنويات . وكلما ضعفت مطالب الفرد المعنوية اشتدت بطبيعة الحال مطالبه المادية وتركزت فى معظم الأحيان فى شهوة الطعام

والخطر فى رذيلة الشره انها تحمل فى تضاعيفها رذائل أخرى قد تجر الويلات على الفرد سواء فيما يتعلق بصحته وسلامة بدنه أو فيما يختص بمركزه فى الحياة الاجتماعية

ومما لا يقبل الريب أن الشره فى الأكل ظاهرة مرضية تنعكس على سائر الحواس وتحدث فيها أعمق تأثير

والدليل على ذلك أن من كان شرها فى مأكله تجده فى نفس الوقت شرها فى عواطفه وميوله وشهواته ولا سيما الشهوة الجنسية

فالاسراف فى تناول الأطعمة الثقيلة الدسمة يؤدى بالانسان الى الاسراف فى إشباع رغباته الجنسية والغلو فى اتباع اللذائذ البدنية المحضة ، والافراط فى النظر إلى الحياة على اعتبار أنها متعة فحسب . وهكذا تجف ينابيع الاحساس فى نفسه وتغلظ عاطفته ويتحجر قلبه وينحدر شيئا فشيئا إلى درك الغريزة الحيوانية الاولى

والواقع أن الرجل المصاب بالشره هو مثال الأنانية ، لا يعنى بآلام الغير ، ولا يتكلف عناء التفكير فيهم ، ومن المحال أن تصدر عنه أية تضحية فيها مصلحة كبيرة لسواه ، وقد فشت رذيلة الشره عند الاغريق والرومان أيام انحطاط حضارتهم فكانت نتيجتها الوبيلة ضعف الروح الوطنية فيهم وموت نزعة التضحية الفردية فى سبيل الصالح العام

فالشره والحالة هذه داء يفتك بصاحبه وبمجموع الأمة على السواء . ومن آثاره فى الفرد أمراض الكبد والسكر وضعف الدم وضعف القلب وما يلازم كل هذه الأدواء من ترهل وكسل

وخمول . أما آثاره فى مجموع الأمة فعدم الاكتراث بمصالحها العليا وعدم الاحتفال بواجب الفرد حيالها مع النظر الى الحياة وملاذها باعتبارها غنيمة تدعو الفرد الى اقتناصها وتملكها رغبة فى محض الاستمتاع

ومن الغريب أن التطرف فى شهوة الطعام يصحبه فى العادة تطرف فى شتى الميول والاهواء . كما أن الاعتدال فيها يلازمه اعتدال فى الميول الاخرى . وحيث أن الاعتدال هو الدليل البالغ على قدرة الانسان على ضبط غرائزه وكبحها فى وسعنا أن نقول ان كل رجل شره هو رجل لم تكتمل بعد فى شخصيته عناصر التحضر . لأن التحضر هو الاعتدال فى كل شيء أو هو بمعنى أوضح قدرة الانسان على ادراك وفهم ما يعود عليه بالضرر أو النفع

وليس فى مقدورنا أن نحارب رذيلة الشره فى الفرد الا بتوجيه عقله وقلبه نحو التعلق بالمعنويات من مطالعة واهتمام بالفنون وما أشبه . وهكذا يشعر بلذائذ أخرى أنبل وأسمى من اللذائذ المادية التى تفسد العاطفة وتجفف القلب وتخنق الضمير

رذيلة الحسد

لا يشعر بعاطفة الحسد إلا كل من فقد ثقته بنفسه وأحس فى قواه الخور والعجز عن تحقيق مطامعه . فهو بدل أن يعمل ليصل ، يظل متطلعا الى الذين وصلوا منفقا خلاصة عمره وصفوة قواه فى الانتقاص من قدرهم والحط من شأنهم ومحاولة اظهارهم فى عين الناس بمظهر المشعوذين الدجالين

والحسد فى الواقع عاطفة تقتل النشاط وتفنى الهمة وتغرى الانسان بالحياة المائعة فى جو من الكسل والبلادة والخمول . ثم هى فوق ذلك عاطفة يشوبها الخبث ويتخللها الدهاء ويسيطر عليها الكذب والنفاق وحب الايقاع والدس

وانه من البدهى أن الحسود الذى لا تطيق نفسه رؤية النجاح يسعى بجميع قواه الى الحاق الأذى بالرجل الناجح ، غريمه وعدوه اللدود . فتراه ينصب له الاشراك ويحيك له المكائد ولا يتورع عن القضاء على سمعته قضاء مبرما كلما سنحت له الفرص

فالحسود لعجزه عن النجاح يتوق اليه من أقرب السبل أى من طريق النميمة والوشاية أو من طريق الملق الشائن يزجيه الى العظماء والكبراء الذين تطربهم الزلفى وتحول بينهم وبين تقدير قيمة عمل الفرد وخلقه

والغريب فى عاطفة الحسد أنها متى تأصلت فى نفس انسان أصبحت لذته الكبرى ونعيمه الأوحد وانتهت به لا الى كره شخص معين فحسب بل الى بغض ومقت جميع العاملين الناجحين . وعندئذ يصبح الحسود مريضا فيستوحش خلقه وتجف عواطف الطيبة والحنان فى نفسه وقد يذهب به المرض آخر الأمر الى حد ارتكاب جريمة

ومن الأمثلة الرائعة على خطر طغيان عاطفة الحسد وتملكها من النفس ، ما أظهره شكسبير في رواية (عطيل) ممثلا في شخصية (ياجو)

فياجو هذا وقد تأكلت نفسه حنقا وألهبه الطموح المقرون بالعجز ، شعر من نحو (ميشيل كاسيو) بحسد هائل فأراد أن يقصيه ليحل محله عند عطيل ويشغل وظيفة حامل علم القائد المغربي بدلا منه

أراد هذا فلم يحجم عن الوشاية بغريمه فأسرع وألقى في أذن عطيل أن ميشيل كاسيو يخونه ويغرر به ويطارح امرأته الهوى

وكان ياجو يعلم حق العلم أن عطيل رجل غيور وأن هذه الوشاية قد تفضي الى قتل كاسيو . ولكنه مع ذلك لم يتردد لأن عاطفة الحسد كانت قد برحت به وعصفت بعقله وقادته بالرغم منه الى حد الجريمة

ولكن عطيل استكشف الحقيقة في النهاية وانتقم من ياجو بأن قتله هو الآخر . وهذا مايحدث في غالب الأحوال . إذ الحسود لا بد يفشل في النهاية ولا بد تفتضح أعماله ويعاط اللثام عن مكائده ، لأن العجز لا يمكن أن يؤدي الى نجاح موطد ، والخبث والدهاء والوقيعة لا يمكن أن تحل محل القدرة الذهنية والكفاءة الشخصية والعمل الشريف في وضح النهار

فغاية أمل الحسود هي أن ينجح ويصل على أكتاف الآخرين وإن لم يستطع فعلى انقاض الآخرين ، وهي ظاهرة تتعارض كل التعارض مع نظام المجتمع وسلطة القوانين وناموس التطور نفسه . وهذا هو السر في أن الحسود كثيرا مايذهب ضحية حسده وفريسة ايمانه الساذج بغباوة الناس

رذيلة الكبرياء

من الخير أن تكون أبيا ولكن الشر كل الشر في أن تكون متكبرا

والاباء هو الترفع عن الدنايا والشعور بقيمة الشرف والاحساس بمعنى الكرامة ، ولكن الكبرياء هي أن تضع حاجزا بينك وبين الناس ، هي أن تزدريهم وتشمخ عليهم وتستخف بعقولهم ولا تكترث لأقدارهم وتنصب نفسك السيد المطلق على نفسك وعلى الآخرين

هذه الرذيلة التي اشتهرت بها جماعات الارستقراطيين في العهود الاقطاعية ، هي التي أضرمت نار الثورات وقوضت الأنظمة والعروش وسفكت من الدماء مالم تسفكه جميع الحروب الموسومة بالتعصب الديني والمذهبي

وذلك لأن الكبرياء باقصائها الفرد عن سواه ، تجرد المتكبر من خاصة الرحمة وتحول بينه وبين الاهتمام بمصالح الغير ، وتمنحه في نظر نفسه حقوقا وهمية كثيرا ما يحاول الفوز بها متخطيا حقوق سواد الناس . ولقد كانت امتيازات الارستقراطيين في العصور الغابرة هي التي تخلق

الكبرياء ، وتقيم الحدود والفواصل بين طبقة واخرى ، وتغرى الدهماء بالخاصة ، فأصبحت الكبرياء اليوم تقترن بقوة الثروة ، وتلازم سلطان المال أو أبهة المنصب الرفيع

فصاحب الثروة الكبيرة أو صاحب المنصب السامي ، لابد تعصف برأسه الكبرياء ان لم يكن على ثقافة واسعة وخلق كريم ، وعندئذ تراه يمثل نفس الدور الذى كان يمثله الارستقراطى فيما مضى ، فيحتقر الشعب وينسلخ عنه ولا يكترث لرغباته ومطالبه ، بل يتحول بسلطانه ومجموع ما فى يده من قوى ، الى خدمة نفسه وخدمة طبقته وخدمة الطائفة المحسوبة عليه

وهكذا ينشأ الملق وتشيع الزلفى بين الجماعات الملتفة حول المتكبر ، فيزدهى ويطرب ثم يغض الطرف ويتسامح ، فتفسد أداة العمل ، ويتعطل سير الأمور ، وتدب الفوضى فى كل ما يتعلق بالصالح العام

والمتكبر رجل يقدر الملق أضعاف ما يقدر الكفاية ، لأن مرجع الملق الى شخصه ومرجع الكفاية الى منفعة الناس ، فهو والحالة هذه انسان خطر على غيره بقدر ما هو خطر على نفسه

والخطر على نفسه يتولد من عجزه — لفرط تمجيد ذاته — عن معرفة مواطن ضعفه . فتراه يخطىء وهو يعتقد أنه يصيب ، ويتظاهر بالعمل وهو يعتقد أنه يعمل ، ويقرب اليه المتزلفين وهو يعتقد أنه يكافىء ويقدر جهود العاملين

لهذا يخشى المصلحون كل متكبر صاحب سطوة ونفوذ ، أما الوصوليون فيسخرون منه لعلمهم أن من السهل عليهم خداعه والتغرير به والحصول على أغراضهم منه بأيسر كلفة وأقل مجهود

فالكبرياء إذن — سواء أتملكت فرداً من الخواص أو العوام — هى رذيلة منكرة تنبع من حب الذات ، وتقترن بالاستبداد والقسوة ، وتعمى صاحبها عن رؤية نقائصه وتسمم أخلاق من حوله وتجعل الذكى منهم يقنط من ذكائه ، والموهوب ييأس من تقدير مواهبه ، ثم ينتهى آخر الأمر الى وضع الملق والزلفى فوق الكفاية والمصلحة العامة

ولقد وفق مؤلف هذا الكتاب الى علاج طريف لرذيلة الكبرياء ، وهو أن يذهب المتكبر — ولا سيما اذا كان من العظماء — فيزور المقابر العامة فى كل اسبوع مرة . وهناك حيث تضمحل العظمة ويتساوى الجميع فى التحلل والفناء ، يستطيع المتكبر أن يلمس حدود نفسه ، ويلمس الشقاء العام ، ويدرك ضرورة الرحمة ومعنى المساواة !

***

هذه هى الرذائل الكبرى التى تصدر عنها سائر الرذائل والتى يكمن بعضها أو جلها فى نفس كل انسان منا . فعلى قدر طاقة الفرد فى التحرر من هذه النقائص يكون اقترابه من المثل الأعلى . أما اذا استطاع بعد صبر ورياضة وجهاد طويل أن يتحرر منها جميعا فهو البطل وهو القديس وهو رمز الكمال الروحى والمثل البشرى الأعلى

الشهيد

قصة ملخصة

عن الروائي أندريه تيرييه

عضو الاكاديمية الفرنسية

«أندريه تيرييه من أدق الروائيين الفرنسيين أسلوبا وأبلغهم عبارة وأقدرهم على رسم أخفى عواطف النفس وأعمق خلجات الروح. وهو يميل الى وصف الفواجع الأليمة والمآسي البجية ومختلف الاحساسات البشرية التي تحمل في طواياها فكرة اجتماعية ناقصة أو مغزى خلقيا سامياً أو نزعة إنسانية نبيلة تحرر الفرد من سلطان غرائزه وتتجه به نحو تحقيق مثل أعلى . وهذه العناصر تتوافر في قصة (الشهيد) التي هي من أبدع قصصه وأشهرها »

كان الليل حالك السواد ، والريح تهب عاصفة مجتاحة ، والمطر يهطل ، والشارع مقفراً من الناس . وكانت أضواء المصابيح تبرق بريقا باهتا ينعكس على الارض المبتلة الموحلة فيتألق تألقا رائعا غريبا

ودقت ساعة دار البريد فجأة فانتعشت الحياة في الشارع واكتسى حلة من الجمال والشعر ، ثم ساد الهدوء فترة وعادت الريح تصفر والمطر يهدر والظلمة تتكاثف وتبعث الرعب في القلوب

وعندئذ انطلق من أقصى الشارع شاب مديد القامة عريض الكتفين عليه معطف قصير وفي يده عصا وجعل يعدو غير حافل بالمطر ولا بالريح التي كانت تصدمه وتطوح به وتحاول عبثا رده عن الطريق

وكان يركض كمحموم متجهم الوجه غائر العينين شاحب اللون يترقرق العرق من جبينه ويلمع في حدقتيه الواسعتين ومضات تنم عن حنق هائل كظيم

انحرف قليلا ثم زلقت قدمه فتهاوى على نفسه وكاد يسقط ولكنه ضرب الارض بقدمه الاخرى ثم أسرع وقفز الى الرصيف وظل يعدو حتى أبصر بيتا صغيراً في احدى زوايا الشارع فرفع رأسه وتطلع الى النافذة فألفى النور ينبعث منها ضئيلا خافتا فعض على شفته وجاهد ليقر السكينة في فؤاده ثم انحرف مرة ثانية وتستر خلف جدار البيت وكمن هناك وهو يلهث والماء يقطر من ثيابه

وبعد انقضاء عدة دقائق فتح الباب الصغير وأطلت منه فتاة وجعلت تتلفت ، ولما لم تبصر احداً أرخت نقابها على وجهها وتدثرت بمعطفها وخرجت تعدو هي الاخرى كحيوان مطارد

تعقبها الشاب لحظة وعندما اجتازت الشارع وعرجت على زقاق قصي مظلم واتأدت في مشيتها ولم تعد تخشى عين الغريب ، دنا منها ولمس كتفها وصاح :

— قفي !

فارتعدت الفتاة والتفتت مذعورة ولم تكد تتبين وجه الشاب حتى صرخت :

ـــ أخى ؟ ! ..

فاغمض عينه نصف اغماضة وأمسك بها من ذراعها وجعل يهزها هزاً عنيفا وهو يغمغم :

ـــ من أين أنت قادمة ؟ من أين ؟ . .

فسرت قشعريرة فى بدنها الغض وتأوهت من فرط الألم ولم تستطع الكلام فتأبط ذراعها وقال وهو يدفعها بالرغم منها الى متابعة السير :

ـــ كنت هناك ! .. معه ! .. مع عشيقك ! .. رأيتك بعينى خارجة من الباب الصغير ! رأيتك بعينى !

وصمت بغتة ثم اختلج وتدلت شفته كطفل وانحدرت من عينيه الدموع . فوجمت الفتاة وطفقت تردد كمتوهة :

ـــ روبير .. روبير ..

فصاح :

ـــ ماذا أصنع ؟ . . الى أين أذهب ؟ .. كنت أحبك بكل قواى ! .. كنت أمثل فيك الطهر صافيا حيا ! . . كيف تبدلت على هذه الصورة ؟ .. كيف أصابتك العدوى ؟ .. أكاد أجن !

فتمتمت الفتاة بضعة ألفاظ مبهمة فعيل صبر الشاب وأقصاها عنه فى عنف ثم عاد فجذبها اليه وقال وهو يرعد :

ـــ أعرف ذلك الرجل

فاشرأبت بعنقها اليه وقالت :

ـــ من ؟

فاجاب في صوت خافت :

ـــ عشيقك !

فنظرت اليه خلسة ثم قالت فى هدوء :

ـــ وبعد ؟ ..

فقال وهو يحدق اليها تحديقا هائلا :

ـــ سأقتله

فتوقفت الفتاة عن السير فجأة وتطلعت الى شقيقها فترة ثم طوت ذراعيها على صدرها ورشقت روبير بنظرة ملؤها الكبر والزهو والتحدى وقالت :

ـــ افعل ان استطعت . . ولكن اعلم ..

واتأدت دقيقة وهى تزفر فصاح بها :

— ماذا ؟ . .

فأردفت وقد اتسعت حدقتاها وزايلتها رقة أنوثتها واستحالت الى وحش مفترس :

— اعلم انى أنا عندئذ سأقتلك !

فأجال بصره فيها وجعل يتأملها وهى مستوية أمامه كتمثال ، وفى تلك اللحظة فقط أحس روبير احساسا قويا عميقا أن هذه الفتاة أقوى منه ، وأنها انحطت الى أسفل درك خلق ، وأن سقوطها زادها جرأة ووقاحة ، وأنها لاتستحق فى الواقع أن يهتم بها مخلوق وأن يغامر شاب مثله بحياته من أجلها ويرتكب فى سبيلها جريمة قتل

أجل أحس روبير أن شقيقته مقضى عليها وشعر فى نفس الوقت أبلغ شعور وأوفره بأنه هو ، هو الذى كان السبب فى هذا المصير ، فارتجف وغشى الدم عينيه وصاح للمرة الأخيرة :

— ضميرى يبكتنى ! . . لولا ذلك المال الذى أغدقته عليك المقادير بواسطتى ، ما انتهينا الى هذا الختام الفاجع !

وانحنى تجاه أخته وتناول يدها وطفق يقبلها وهو يغمغم :

— ارحمينى وارحمى نفسك . . . ثوبى الى رشدك . . . عودى الى ماضى حياتك . . . تخلى عن ذلك الرجل !

فانقبضت عضلات وجهها وقالت فى سكون العزم والثقة :

— ابداً !

حينئذ رفع الشاب يده وهم بلطمها ولكنه أبصرها جامدة ثابتة موثقة برذيلتها راسخة فى الوحل الاسود المعبر عن قرارة نفسها ، فتراجع مرتعداً وطغت على صدره موجة اشمئزاز وسخط ثم دفع الفتاة عنه وهو يردد فى يأس ممزق :

— اذهبى ! . . اذهبى ! . .

واستدار بغتة وطفق يعدو كمجنون ضاربا الريح بذراعيه متلقيا ماء المطر كحبات الندى غير آبه لما يعترضه ، ميمما وجهه شطر حان يعرفه فى أقصى الشارع الكبير

وما ان دخل الحان حتى ارتمى على مقعد خائر النفس محطم الأعصاب مهدود القوى ، ثم نادى الخادم وطلب خمراً فجاؤوه بزجاجة من الابسنت فافتضها وجعل يشرب متفرسا فى الفضاء الملبد بسحب الدخان شاعراً أن حيويته قد تسربت منه وأن ذهنه قد تبلد وتحجر وأن روحه قد انتزعت من صدره وغادرت هذا العالم البغيض الحافل بمختلف ضروب الرذيلة والاثم

وثقلت على رأسه وطأة الخمر وأرخت عضلاته وتملكه تعب عميق فأحنى هامته ومد قدميه واستند الى المقعد وأرسل نفسا مستطيلا ثم استسلم للنوم فكان يبدو للناظر أشبه بجثة قتيل ألقيت فى عرض الطريق !

نشأ روبير فى بيت فقير. وكان والده كاتبا متواضعا فى احدى الوزارات وكانت أمه تشتغل بالخياطة والتطريز لتعاون زوجها فى القيام بواجبات المنزل. أما أخته هنرييت فكانت تقضى سحابة يومها فى صنع قبعات السيدات وهى جادة صابرة تضحك وتغنى لترفه عن نفسها وتخفف عن عاتقها عبء العمل

ولم يستطع روبير اتمام علومه فترك المدرسة واشتغل عاملا فى مخزن كبير ثم التحق بمكتب أحد المحامين وشرع يدرس القانون

وكانت الأسرة تحيا حياة هادئة سعيدة يحف بها الصفاء ويسودها التواضع وتزينها القناعة وتخلع عليها الفضيلة حلة ساحرة الالوان

كان الوالد يدخل البيت متهلل الوجه مشرق التقاطيع فتستقبله زوجه بابتسامة الاعجاب والترحيب ثم تسرع اليه ابنته فتتعلق بعنقه وتوسعه ضما وتقبيلا ثم تعد له الطعام وهى تقفز وتغنى وتملأ الدار بهجة وسرورا

ولما كان يدخل روبير كانت تتصاعد صيحات الفرح ويغمر البشر وجوه الجميع وتدمع عينا الام حنانا وحبا، فيحتضنها الشاب ويلثم جبينها ويقدم اليها طاقة من الورد أو علبة من البسكويت أو بعض أصناف الحلوى، فيخفق فؤادها طربا وتقول وهى تبتسم ابتسامة عتاب حلوة:

— متى تقلع عن هذه العادة ياروبير؟

فيجيبها مازحا:

— عند ما اتزوج . .

فيضج الكل بالضحك وقد تناسوا الفقر والحرمان وشقاء الجهاد اليومي!

هكذا عاشوا لايتطلعون الى من هم أرفع منهم، ولا يتوقون الى تبديل حياتهم، ولايحسدون الغنى على غناه، ولا يخشون انسانا بالغا مابلغ من العز والسطوة والجاه العريض

كانت سعادتهم فى القناعة وفى تمجيد العمل وفى عبادة الفضيلة وفى الرضا بما قسم الله

والحق أن الوالد لم يشك يوما ولم يتبرم. وكذلك الام والبنت لم تبد عليهما فى لحظة من اللحظات أية رغبة فى التطلع الى عالم غير هذا الذى يعيشون فيه. أما روبير فكان مثال الصبر والدأب والجلد والنشاط وحسن السمعة وشرف النفس واستقامة الخلق والضمير

وانقضت الحياة أصفى ما تكون سماء حتى توفى الوالد بداء الصدر ذات مساء

عندئذ خيم على البيت سكون رهيب وفارق الابتسام محيا الأم واختنقت الضحكات فى صدر البنت وازداد شعور روبير بمسؤوليته، فاكتأب أول الامر وشاع الحزن فى أخلاقه، ولكنه سرعان ما استجمع قواه وطرد عنه شبح اليأس ثم ضاعف مجهوده ليقر السعادة فى البيت من جديد بذل قصاراه ليعوض النقص الذى أحدثته وفاة والده، فسعى للحصول على وظيفة أخرى أو على

عمل اضافى فلم يوفق وتمكن منه الأسى والضجر ، فطيبت الأم خاطره وصارحته بعزمها على ترك البيت والبحث عن عمل دائم فى أحد مخازن باريس المشهورة حيث تقدر الكفاية الفنية وتعطى لنوابغ العاملات مرتبات كبيرة

وكان أن نجحت الام واستطاعت بعد سعى طويل أن تفوز بمركز مديرة لقسم صغير من أقسام الازياء فى مخازن جاليرى لافاييت . ولكنها كانت ترمى الى أبعد من هذا فما زالت تعمل وتثابر وتكتسب بنشاطها ثقة الرؤساء حتى تمكنت من الحاق ابنتها هنريت بنفس القسم الذى تعمل فيه

وعادت السعادة الى البيت ، وتجدد الأمل ، وافتر ثغر الام عن ابتسامتها المعهودة ، وتطور فرح الفتاة من الضحك الى القهقهة ترسلها قوية داوية بعد أن يرتفع صوتها بأشجى الالحان

وكان روبير يلحظ كل هذا وهو مغتبط . ولكنه كان فى بعض الأحيان يقف مبهوتا حيال والدته وشقيقته ! . .

كان يلمح فى ابتساماتهما وحركاتهما شيئاً غريبا لم يستطع فهمه

كان يشعر أن مظهر شقيقته قد تغير وأن والدته أصبحت أقل هيبة وأكثر ميلا الى العبث وعدم الاحتفال بشؤون البيت

كان يحس أن روحا جديدة سرت فى المرأتين وأن كلا منهما أضحت مشغوفة بالحرية ولوعا بالمرح والانطلاق مفتونة بالربح وكسب المال

وأبصر الام تعنى بزيها وتسرف فى العناية ، وأبصر الفتاة تقتدى بوالدتها وتزداد فتنة وجمالا ، ثم استولت عليه الدهشة عندما علم أن هنريت تنفق نصف مرتبها على شتى أدوات الزينة والتبرج

لم يعجبه هذا الانقلاب ولكنه عجز عن مقاومة تياره . كان سيل السعادة قد طغى على البيت وكانت الام سكرى والفتاة نشوى ، وكانت ذكرى الفقر والحرمان ما تزال ماثلة فى الاذهان متخلفة فى أعماق القلوب

صمت الشاب وغض الطرف وتجاوز ثم ألف الحالة الجديدة وأصبح هو نفسه كلفا بالحرية ، ميالا الى التسامح ، ينظر الى والدته وشقيقته نظرة الكهول يلتمسون العذر للشباب وان كانوا يشفقون عليهم من عواقب الطيش والنزق والغرور

ومع ذلك فقد كان روبير غير مطمئن . .

كان يتجاوز ثم يندم ، ويتسامح ثم يلوم نفسه ، ويقبل الواقع ثم يمتعض . ويهم بالنصح والارشاد ثم يحجم ويتردد

لم يلحظ فى مسلك المرأتين أى انحراف جوهرى يستوجب اللوم والتعنيف . كل ما كان يأخذه عليهما هو شدة اهتمامهما بالمظاهر وشدة حرصهما على التمتع البرىء بنتاج عملهما . ولذلك لم يستطع

الكلام ولم يجد مبرراً له ، وآثر آخر الأمر العودة الى الصمت والتسامح مع شيء من التحفظ ينم عن قلقه وحيرته وترفعه

وأدركت الام ما يجول فى نفسه فكانت تهزأ به وتسخر من تصوراته ، وأما الفتاة فقد كانت تغريه بالحياة الرجبة ، وتزين له الخروج الى الملاهى ، وتتهكم به لبساطة هندامه وتنصحه باغتنام فرص اللهو وإلا اضمحل شبابه وذوى قبل الأوان

غير أن روبير لم يحفل وظل وفيا لأخلاقه ، مخلصا لمبادئه ونزعاته ، محبا للاعتكاف والوحدة ، يقضى لياليه فى مراجعة القضايا ودراسة كتب القانون ، بينما شقيقته تمرح فى المراقص ، وأمه تلهو فى السينما أو المسرح أو تتخطر بثوبها الجديد فى حفلة ساهرة أحياها قوم من الاغنياء العاطلين لا يمتون اليها ولا الى بيتها ومجتمعها بأية صلة

وكانت الام أو الفتاة إذ تدخل البيت بعد منتصف الليل ، تبصر روبير جالسا الى مكتبه معتمداً رأسه بين يديه ، مستغرقا فى المطالعة والتفكير ، فتحييه تحية عارضة ، ثم ترمقه بنظرة أسف واشفاق ، ثم تهز كتفيها وتنطلق الى مخدعها غير حافلة

***

وإذ ذاك حدث ما لم يكن فى الحسبان . وقع حادث غير منتظر بدل حياة روبير ، وكشف عن حقيقة التطور الذى تم فى نفس والدته وشقيقته ، وضاعف هذا التطور شدة وقوة واتجه به نحو غايات معينة زعزعت نظام الاسرة وقوضت صرح البيت

كان لروبير عم سرى لم يعقب خلفا . وكان هذا العم بخيلا كل البخل يقتر على نفسه وأهله ويجمع المال حبا للمال ويعيش كأفقر وأبأس ما يمكن أن يعيش انسان

أصيب هذا العم بمرض عضال بعد وفاة زوجه . وأحس أنه مشرف على الموت وكان يحب روبير حبا جما ويؤثره على أخته ويعتبره ابنا له . فلما أسرفت هنرييت ووالدتها فى حياة اللهو والحرية تبرم بهما العم وازداد حبا لابن أخيه

فى ذات صباح تسلم روبير خطابا من عمه يدعوه فيه الى مقابلته فى الدار التى يسكنها بمفرده فى احدى ضواحى باريس

اضطرب الشاب وخشى أن تكون قد اشتدت وطأة الداء على الشيخ المتوحد فأسرع واستقل القطار حاملا الى عمه بعض الهدايا مصطحبا طبيبا من أصدقائه كان يثق بعلمه ومهارته كل الثقة

ولم يكد يدخل الدار حتى أبصر الشيخ ممدداً على فراشه أصفر اللون ضامر التقاطيع فانحنى وقبل يده ثم استفسر عن صحته وقدم له صديقه ، فشكره العم على نبل عواطفه ثم أعرب عن رغبته فى التحدث اليه على انفراد

وانسحب الطبيب وأوصد الباب على العم وابن أخيه . وكانت الحجرة رحبة يشيع فيها ضوء

الشمس وكان الهواء يهب من النافذة جافا منعشا ، فاستوى الشيخ على فراشه واعتنق الشاب وبكى ، ثم صارحه بأنه كان بالأمس عند مسجل العقود وبأنه قد وهب كل ثروته للشخص الوحيد الذى أحبه أى لابن أخيه روبير

بهت الشاب وجحظت عيناه وأوشك أن يختبل ، ثم تهلل وجهه وأبرقت أساريره وهوى على يد عمه يلثمها وقد اغرورقت عيناه بالدموع

وأبى العم إلا أن يبقيه فى ضيافته يومين . ولكن مضاعفات المرض برحت بالشيخ فتوفى فى مساء اليوم الثانى ، كأنه لم يكن ينتظر غير مقدم ابن أخيه كى يراه ويسعده ثم يموت قرير العين مطمئن البال

* * *

وكان ان عصفت هذه الثروة غير المنتظرة بالبقية الباقية من فضيلة الأم والفتاة

أسرعت كل منهما بتقديم استقالتها والتحرر من عبء العمل اليومى . ثم اتحدتا وتآلفتا فى سبيل الحصول من روبير على أوفر مبلغ ممكن من المال . وكان روبير سعيداً بهذا الحظ المفاجىء ، منتشيا بهذه النعمة الطارئة ،مغتبطا بهذا الحدث الرائع ، فأراد لطيبة قلبه وصفاء نفسه أن يشرك فى سعادته أقرب الناس اليه ، فأغدق على الأم وابنتها المال بلا حساب واستأجر لهما مسكنا فخما وجاءهما بسيارة بديعة ومكنهما من شراء أثمن الحلى وأجمل الاثواب

وانفتح أمام المرأتين عالم جديد

أحاط بهما الاصدقاء من كل صوب ، انهالت عليهما الدعوات الى الحفلات الكبيرة ، رحبت بهما المجتمعات العالية ، تحدثت الصحف عن اناقتهما ورشاقتهما وجمالها الساحر ، تهافت الشبان على خطب ودهما ، وتهالك أذكاهم وأمهرهم على الفوز ولو بنظرة واحدة من عينى هنرييت

وكانت الأم ما تزال حسناء فأحدق بها المعجبون وسعوا الى التقرب منها ولا سيما وقد زادتها مختلف ألوان الترف والتبرج فتنة واجتذابا !

وأما هنرييت فقد ازدهت وترفعت وشمخت بأنفها وسخرت من الشبان جميعا ، وراحت تلهو بهم وتلقى بذور الشقاق بينهم ، وتعرض عن هذا لتقرب ذاك ، ثم تقبل على الأول وتصدف عن الثانى ، حتى تعلقت بها القلوب وأصبحت فى نظر الرجال دمية نادرة تهون فى سبيل الظفر بها تضحية كل مرتخص وغال !

ونشأت فى ذهن المرأتين أفكار ومبادىء جديدة

طابت نفس الأم استمتاعا بشتى الروائع التى يجلبها المال ، ولكنها لم تقنع فأرادت التمتع أيضا بلذة الحب ونعيم الهوى ، فعقدت بعض الصلات العاطفية مع بعض المعجبين ، وكانت تنتقل من صلة الى صلة ومن رجل الى رجل دون ما وازع من خلق أو ضمير

ولحظت هنريت سلوك أمها فأفرطت فى اللهو هى الأخرى واقصتعنها فكرة الزواج وتمادت فى رغبة التمتع بممكنات الحرية ، حتى تصيدها شاب طموح وضيع النفس غليظ القلب ساقط الهمة بديع الجمال ، فأحبته وأنفقت عليه من مال أخيها وإن كانت لم تفكر فى التزوج منه اتقاء لغدره واحتفاظا بحريتها

وبدأ روبير الساذج الطيب يلمح فى تصرفات والدته وشقيقته أشياء كانت كل من المرأتين تكذب وتنافق لاخفائها عنه

راقبهما فى المجتمعات العامة ولكنه لم يفز بطائل . تحرى عن سلوكهما ولكن على غير جدوى

كان الناس يتحدثون عنهما فى غيبته ولكنهم كانوا يشفقون على روبير من معرفة الحقيقة .

كانوا يشفقون عليه ،ولكن أنبلهم نفسا واحساسا كان ينفرمنه ويتجنبه ويشعره فى لباقة بأنه غير مرغوب فيه ، حتى استفاق الشاب ذات يوم وإذا به يحس أنه يعيش فى عزلة ، وان خطيبته نفسها ، خطيبته التى يحبها وتحبه ، أصبحت تتبرم به وكأنها تهم بالتحدث اليه فى موضوع خطيرتعلق بجوهر حياته فتتردد ولا تستطيع !

وكانت الألسنة تلغط بالاشاعات ، وسيدات المجتمعات العالية يتغامزن كلما أبصرن هنريت أو والدتها ، ويقطبن جباههن استنكارا وسخطا كلما وقعت أنظارهن على روبير، ومع ذلك فالحياة كانت تنصب فى مجراها العادى ، حتى تعلقت الأم الكهلة بفتى غرير لم يبلغ العشرين ، وتوثقت علاقة ابنتها بالشاب الذى كانت تموله وتفاخر بحبه على مرأى ومسمع من الجميع ، وعندئذ استفاضت الأنباء عن سلوكهما وأغلقت دونهما أبواب البيوت الكريمة واعتبرتا خارجتين على المجتمع ، فأفضى هذا إلى طرد روبير أيضا من كل بيئة ممتازة وكل وسط راق وكل بيت شريف ، ولا سيما البيت الذى اختار منه زوجته وشريكة حياته

أجل ، أنبأه والدها باستحالة تحقيق الزواج ثم رد اليه خاتم الخطبة بعد ان حرم على ابنته الاتصال به وأوصى زوجه بالامتناع عن استقباله

وفى ذلك اليوم المشؤوم أدرك روبير أن تلك الثروة التى عقد عليها أسباب سعادته كانت سببا لشقائه ، لأنها فتحت لأهله باب عالم كانوا يطمحون اليه فعجلت بسقوطهم وأصابته هو نفسه بشر ما يمكن أن يصاب به رجل كريم حر

واستولت عليه هذه الفكرة وضاعف سلطانها فشله فى الزواج بمن يهوى ، واصطدامه اليومى بسخرية الناس واحتقارهم ، وتحمله الذل والتعيير والوحدة ، فثارت ثائرته ووطن العزم على قبض يده وحرمان أمه وأخته من المال عسى أن تردهما الحاجة الى طريق الصواب والهدى

واتبع الفكر بالعمل ، فجن جنون المرأتين ودبت المنازعات فى البيت ونشب صراع هائل ، ولكن روبير ثبت فى موقفه وجاهر بحقه فى الاحتفاظ بماله وأصر على اتباع خطته حتى تعدل الأم

وابنتها عن سلوكهما المخزى وتقطع كل منهما علاقتها الشائنة بعشيقها

وشعرت الأم بالخطر . وكانت أحد ذكاء وأعمق دهاء وأوفر خبرة من ابنتها فنصحت لها بالتريث والطاعة وتحين الفرص ، ثم راوغت واحتالت وبذلت قصاراها لكسب ثقة ولدها ، ثم كفت عن مغادرة البيت واستنكرت مسلكها القديم وصارحت باستعدادها للتكفير عن ذنوبها وتظاهرت بالسعى لدى ابنتها كى تنفصل عن خليلها

وكان ان أجادت المرأتان تمثيل الدور فخدع روبير واطمأن وخيل اليه أنه قد فاز وأن ارادته الحازمة القوية قد استأصلت من نفس الأم وابنتها جراثيم الفساد والشر

وزاده ثقة واطمئنانا اعتكاف والدته فى دارها واقتداء شقيقته بها وامتناع المرأتين عن الخروج الى الملاهى والمجتمعات العامة إلا باذنه ، فاعتقد على مر الزمن أن كلا منهما قد ثابت الى رشدها وتخلت بصفة نهائية عن عشيقها

وأوشك الشاب أن يغتبط بما أحرز من نصر ، وأن يعلل النفس بالعودة الى خطيبته واقناع والدها بفكرة الزواج ، ولكن القدر الغادر أبى الا أن يميط اللثام عن عينيه ويلقى به أمام الحقيقة وجها لوجه !

أبصر جاستون شقيق خطيبته فى أحد الأندية ذات مساء فحياه عن بعد ، ولكن الرجل أشاح بوجهه وأعرض ولم يرد التحية ، فاشتد غضب روبير وكبر عليه أن يحتقر الى هذا الحد ، فقصد الرجل وعاتبه وأسرف فى العتاب واللوم ، وإذ ذاك صارحه جاستون وهو ينتفض حنقا واشمئزازاً أن أخته هنرييت ما تزال متصلة بعشيقها وأنها تغافله وتذهب خلسة اليه وأن العار كامن فى البيت ، والرذيلة باقية تعشش فى أوكاره كالبوم وتنذر بالخراب العاجل والشر المستطير

اسودت الدنيا فى عينى روبير واستهول هذه الخديعة وبعد ان كان مصلحا حازما رشيدا انقلب بين عشية وضحاها الى منتقم جبار عنيد

استحوذت عليه فكرة القتل ، تملكه خيال الجريمة ، أراد أن يقتل عشيق اخته بعد اذ يستوثق من استمرار علاقتهما ، فيخلص من عاره ويغسل بالدم فضيحة الأسرة وينقذ شقيقته من ذلك الغرام المسمم الموبوء . ونمت الفكرة فى رأسه وانتابه شبه جنون ، فطفق يستعلم عن العشيق حتى اهتدى الى داره ، ثم راقب الفتاة حتى أبصرها بعينى رأسه خارجة من تلك الدار . ولكنه لم يكد يلاقيها ويتحدث اليها ويحس مبلغ تأصل الرذيلة من نفسها ، حتى تداعت قواه وانهدت أعصابه وزايله الايمان بفائدة الجريمة فترك الفتاة لشأنها وانطلق الى الحان وجعل يعاقر الخمر حتى صرعته

وها هو يتحرك ... ها هو يستيقظ ... هاهو يتحامل على نفسه ويسير بخطى وئيدة متجها نحو الباب محدودب الظهر مترنح البدن يرفع رأسه وينظر الى الشارع وهو لا يدرى الى أين يذهب !

***

وكان فى ذلك اليوم قد أعرب عن عزمه على السفر لتبديل الهواء عند صديق له فى الريف ، وأكد لوالدته أنه سيتغيب عن العاصمة ثلاثة أيام . أقدم على الكذب ليغرر بأهله ويستجلى الحقيقة . وها هو قد أبصرها فاجعة مروعة . ولكن هل هى كل الحقيقة ؟ .. وهل عرف هو فى الواقع كل شىء ؟ ...

لازمته هذه الفكرة الجديدة الطارئة وعضت على قلبه بنابها وعذبته أيما تعذيب فأوسع الخطى نحو منزله وصدره يخفق والرعب آخذ منه كل مأخذ . وعندما وصل وطرق الباب لم يجبه أحد فارتجف وعاود الطرق ولكن على غير جدوى . وحينئذ أدرك وهو محطم منسحق أن والدته قد غادرت البيت أيضا ، غادرته الى منزل عشيقها . فتراجع وكبح جماح سخطه واستدار ، واذا به يبصر شقيقته مقبلة عليه راجعة الى البيت تتخطر وتغنى

لم يستوقفها ، لم يخاطبها ، بل أفسح لها الطريق وأحنى رأسه وانتظر . ولما اختفت ثاب الى رشده واستجمع قواه وانطلق يعدو متوثب النفس ملتهب الوجدان نشط العضلات ، حتى بلغ دار مسجل العقود فتسلق الدرج وهو يلهث وأيقظ المسجل من نومه وأحاطه علما برغبته العاجلة فى النزول عن كل ما يملك للفتاة التي أحبها والتى كان سيتخذ منها قرينة له

وهبها كل ماله وجرد أهله من كل شيء ثم ودع المسجل وكر راجعا الى بيته . وهناك أوصد عليه باب مخدعه وجثا أمام صورة أبيه وصلى ثم نهض وفتح النافذة وألقى على السماء الحالكة نظرة ، ثم شرب قدحا من الماء ، ثم أخرج مسدسه من درج مكتبه وصوبه الى صدره وأطلق النار فتمايل وهوى على الأثر مضرجا بدمائه !

* * *

وبعد انقضاء بضعة أيام علمت الأم والفتاة بمصيرهما وناءت عليهما من جديد وطأة الفقر والحاجة فانصرف عنهما العشاق وهجرهما الأصحاب والأحباب، وأدركتا أن التمادى فى الغى لا بد مفض بهما الى احتراف الدعارة فى أحط وأقبح أشكالها . وإذ ذاك عادت الأم الى صوابها وردت الفتاة الى الطريق السوى وشرعت تبحث لنفسها ولابنتها عن عمل شريف تكفر به عن المعاصى والآثام التى أودت بحياة وحيدها

وهكذا أينعت شجرة الألم وأثمرت التضحية وانبثق نور الحياة من ظلمة الموت والعدم !

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

انجلترا وسياستها الخارجية

لاندريه موروا

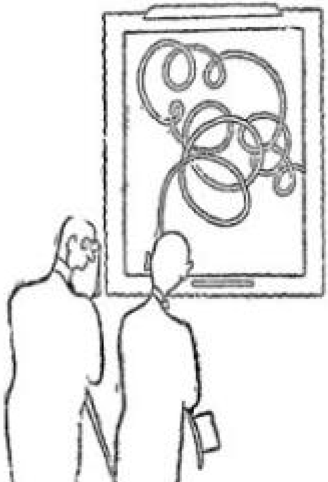
ما رأى انجلترا فى متعدد المشاكل التى أصبحت الآن مثار تنازع وانقسام بين أمم أوربا ؟ للاجابة عن هذا السؤال يجب أن نتفق قبل كل شىء على المعنى المقصود بكلمة « انجلترا »

الواقع أن الرأى العام فى انجلترا كما هو فى فرنسا جاهل ومنقسم على نفسه . وفى وسعنا أن نلمح فى الصحافة الانجليزية آراء ومبادىء ووجهات نظر متعارضة يؤيد كل منها طائفة كبيرة من الأنصار

ولكن المهم هو السياسة الخارجية التى تتبعها الحكومة الانجليزية . وذلك لأن الحكومة الانجليزية الحاضرة ستظل على ما أعتقد قابضة على ناصية الدولة متربعة فى دست الحكم الى زمن بعيد

والواقع انها تمثل أغلبية كبيرة من الشعب الانجليزى وان هذه الأغلبية الكبيرة هى التى ألقت اليها مقاليد الحكم ، فهى والحالة هذه غير مستهدفة لأى تهديد جدى من خصوم أقوياء يخشى منهم على مركزها الثابت الوطيد ، فى وسعنا أن نقرر ان هذه الحكومة تمثل انجلترا حق التمثيل

فلنحاول الآن تحديد موقفها من السياسة الانجليزية العامة ومختلف مشاكل أوربا الراهنة



السياسة الانجليزية

فرنسى ــ ما هذا الرسم الغريب ؟ لا أرى أنه يدل على شىء !

انجليزى ــ لا ! ان له مغزى عميقاً . . كلة فى سرك . . انه رمز للسياسة الانجليزية

(عن هيومانيتى)

يجب أن تدرك قبل كل شيء ان الحكومة البريطانية ليست في حاجة ولا هي تريد اتباع سياسة تنهض على تغليب النفوذ البريطاني في أوربا ثم هي لا تتمنى بأي وجه من الوجوه تقسيم أوربا الى معسكرين متنافرين

والحقيقة ان الحكومة البريطانية تنفر أشد النفور من الشاحنات الفكرية والتقاتل حول نظريات كالفاشية أو النازية أو الشيوعية . وهي الى ذلك تمقت الأخذ بالسياسة القائمة على العاطفة دون الحقائق الواقعة

ومن مميزاتها انها تطبق على الحالات السياسية الجديدة أو المواقف السياسية الطارئة تقاليد وقواعد السياسة الانجليزية التي صقلتها الأيام وامتحنها الزمن والتي كان العمل بها في الماضي أكبر ضمان لانقاذ الامبراطورية وخلاصها

وأولى هذه القواعد أنه لا ينبغي لانجلترا أن تسمح لأية دولة ولا لأية مجموعة من الدول أن تبسط على أوربا نفوذها وتحاول الهيمنة على الاتجاهات السياسية فيها

وليس شك في أن الاختبارات وحوادث الماضي علمت الانجليز ان كل شعب اتسع في أوربا سلطانه وطمع في الهيمنة السياسية على القارة ، انقلب على الفور خصماً عنيداً لانجلترا

وهذا ينطبق تمام الانطباق على موقف اسبانيا في القرن السادس عشر وموقف فرنسا في القرن الثامن عشر وموقف المانيا في القرن العشرين

واذن فكل ما ترغب فيه انجلترا هو الاحتفاظ في أوربا بنوع من التوازن الواضح بين قوى الدول . وهو مبدأ ابتكره الكردينال ولسي في عصر هنري الثامن وكان يطلق عليه إذ ذاك اسم (ميزان السلطة)

ولكن كيف يطبق على الظروف الحاضرة هذا المبدأ السياسي الذي ما يزال في جوهره سليما ونافعا ؟

ان محور (روما — برلين) يوحد ولاريب بين قوى عظيمة . فاذا تم الاتحاد النهائي بين هذه القوى بحيث تصبح أوربا خاضعة لسيطرتها السياسية ، كان في ذلك أكبر الخطر على انجلترا

لذلك تحاول انجلترا اعادة التوازن المختل بتوثيق عرى الوفاق بينها وبين فرنسا

ومما لا يحتمل الجدل أن الحكومة الانجليزية لن تقبل بأي حال من الأحوال أن تبسط دول أوربا الوسطى المعروفة بنزعتها الفاشية سلطانها على اسبانيا . ولكن انجلترا لن تقبل في نفس الوقت أن تبسط مجموعة من الكتل الشيوعية أو الاشتراكية المتطرفة سلطانا آخر على القارة الأوربية

واذا ما بدا لانجلترا أن هناك مجموعة مؤتلفة من الكتل الاشتراكية المتطرفة توشك أن تبسط على أوربا ذلك السلطان أو يحتمل أن تبسطه ، فمن المتوقع جداً أن نرى الانجليز ينتقلون فجأة من قطب الى قطب ويحملون جميع قواهم الى الكفة الأخرى من الميزان أي الى الجانب الفاشي

وعندى أن تقرب انجلترا من فرنسا سيزداد توطداً ورسوخا ما بقيت السياسة الفرنسية بعيدة عن التورط فى تأييد النظريات السياسية والاقتصادية المتطرفة

تلك هى القاعدة الأولى للسياسة البريطانية الخارجية . أما القاعدة الثانية فهى أن انجلترا تبذل قصاراها لحماية مواصلاتها البحرية والا استهدفت للخراب والجوع

والحق أنها لا تستطيع أن تعيش وتجد ما يكفيها من المواد الغذائية إلا باسطولها التجارى ، كما أنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها والحرص على كيانها وضمان مواصلاتها إلا بأسطولها البحرى

وهذا هو السبب فى أن أعمال القرصنة فى البحر الابيض المتوسط دفعت بوزارة الخارجية البريطانية الى القيام بحركات حاسمة لم تقم بمثلها فيما يتعلق بنتائج الحرب الناشبة فى داخلية اسبانيا

فالبحر الابيض المتوسط من طرق التموين التى تعتمد عليها انجلترا ، ومع ذلك فامارة البحر البريطانية تلحظ الموقف وتحسب حساب المستقبل وتعد العدة منذ الآن فى تؤدة وحذر لتنظيم طريق آخر للتموين يمكن أن تستعيض به عن طريق البحر الابيض اذا ما دق ناقوس الحرب

ولكن ليس معنى هذا ان انجلترا ستتخلى عن البحر الابيض فى زمن الحرب باعتباره ميدانا للقتال ، بل هى على النقيض سترسل اليه البوارج الحربية بعد تخفيفها من محمول التموين فتصبح مطلقة الحرية فى القيام بمناوراتها الحربية الهجومية

وعلينا أن نفهم من جهة أخرى ان انجلترا ما تزال باقية على اخلاصها لعصبة الأمم بالرغم من بعض الظروف التى خيبت أملها فى تصرفات العصبة . ولا ينبغى أن نتوهم كما يعتقد كثير من الفرنسيين أن اخلاص بريطانيا للعصبة هو ضرب من التعلق الفكرى الطهرى شبه الدينى يشتد أو يخف حسب الظروف ، اذ الحقيقة أن عصبة الأمم تعود بأجزل الفوائد على انجلترا وان جنيف هى الميدان الوحيد الذى تستطيع فيه بريطانيا العظمى وبلاد الدومنيون أن تتلاقى وتتفاهم وتبحث مشاكل العالم بطريقة ترضى جميع شعوب الامبراطورية

ومما لا يقبل الريب ان انجلترا فى أشد الحاجة الى مرضاة الدومنيون والى تأييدها القائم على الثقة . وهى بفضل ارضاء المستعمرات المستقلة واقرارها روح المساواة والتفاهم بين أجزاء الامبراطورية ، تمكنت من ضمان تأييد الدومنيون للسياسة التى يتبعها الآن المستر تشمبرلين والمستر ايدن والتى ترمى الى تعزيز برنامج التسلح الذى فرضته الظروف مع السعى جهد الطاقة لاحياء روح السلم وانعاش عصبة الامم

وصفوة القول أن الشعب الانجليزى لا يطلب الى وزرائه القاء خطب رنانة مثيرة للشغب ، ولا اتخاذ موقف سياسى ينم عن العداء والتحدى ، بل يرغب اليهم ان يسلكوا مسلكا تقترن فيه الكرامة بالحزم وضرورة الحرص ما أمكن على سلام أوربا . وهذه الرغبات تشبه فى جوهرها تمنيات ورغبات الأغلبية الساحقة من الشعب الفرنسى [خلاصة مقالة فى مجلة ماريان]

أغرب بلاد العالم

لا يسكنها الا العميان أو الاقزام أو الذكور

جنة العميان

جميع رجالها كهول عميان ... هذه هي قرية فترنك بيوجوسلافيا التي أنشأها الملك الكسندر منذ تسع سنوات لايواء من كف بصره من الجنود الكهول في أثناء الحرب الكبرى

فقد جمعت الحكومة هؤلاء الكهول الأكفاء في احدى مناطق الريف ، وأقامت لكل منهم بيتا ريفيا بسيطا ، ومنحته قطعة فسيحة من الارض ، وما يلزمه من ماشية وأدوات زراعية

ورأى الملك أن يزوج من لا زوج له منهم ، ليهون عليهم آلام العاهة التي منوا بها ، فأعلنت الصحف عن حاجة هؤلاء الكهول العميان الى عرائس فتيات ، فتقدم مئات من أجمل بنات يوجوسلافيا اختار منهن عمدة القرية أزواجا وزعهن بين رجاله المهذبين الاكفاء

ويقوم رجال القرية ونساؤها بزراعة أرضها وتربية حيواناتها وطيرها ، وقد أقامت الحكومة سوقا خاصة لبيع ما تنتجه القرية وحدها من غلات مختلفة . وهم لهذا يعيشون في رخاء عميم . ولم يفكر أحد منهم حتى اليوم في أن يطلق زوجته ، ولم تبد احدى نسائهم امارة أي تأفف أو نفور ، وقد أنجبت القرية في خلال هذه السنوات التسع زهاء مائة طفل يشاطرون آباءهم السعادة والرخاء

مملكة الاقزام

من أرذل الأمور الشائعة في الطبقة الدنيا في بعض جهات بلاد المجر أن تجهض المرأة نفسها قبل أن تتم مدة الحمل بأسابيع ، ليأتي وليدها قميء القامة ضئيل البدن فيصلح للعمل في الملاهي الرياضية « السيركات » التي تكثر في تلك البلاد . ولهذا فان نسبة الاقزام في تلك البلاد أكبر منها في أي بلد آخر ، حتى انه رؤي أخيراً أن يختص هؤلاء الاقزام الذين يبلغون بضعة آلاف بمنطقة معينة تجرى الأمور فيها وفق أجسامهم الضئيلة

وصاحب هذا الرأي هو مسيو « يوليوس جونت » زعيم الاقزام ، وهو من كبار تجار بودابست ، وله فيها متجر فخم جميع من يعمل فيه من رجال وسيدات من الاقزام ، وجميع ما فيه من مناضد ومقاعد واطىء ضئيل لئلا يجهد هؤلاء الاقزام في بلوغها وتسلقها . ويبلغ طول هذا الزعيم ٦٨ سنتيمتراً فقط

ويبلغ عدد من في العالم من أقزام زهاء ٥٦٠٠٠ نسمة يرى مسيو جونت أن يعزلهم في منطقة

خاصة ولان حياتهم مع هؤلاء الطوال الضخام تولد فيهم عقيدة نفسية تشعرهم ـ خطأ ـ بالنقص والقصور » . وهو يرى أن تكون هذه « المملكة » كما يسميها ملائمة لضآلة أجسام أهلها ، فلا تكون مدنها وكنائسها ومدارسها ومستشفياتها شاهقة باذخة فيشعرون تجاهها « أنهم نمال تدب فى جحورها » . وسيعيش أهل هذه المملكة فى رخاء ونعيم ، إذ ستقصدها أفواج السائحين من شتى الجهات ، فينفقون فيها أموالهم وتجبى عليهم الضرائب والمكوس

جزيرة الراحة

هذه هى جزيرة «مياجيما» احدى جزر اليابان ، وقد تحدث عنها الأديب الفرنسى «بييرلوتى» حديثا شائقا رائعا . . . فق احدى الحنيات الحادثة فى شاطىء المحيط الصاخب ، تقع هذه الجزيرة الصغيرة التى تحمل بضعة بيوت نسقت أجمل تنسيق ، وسط حدائق ناضرة وخمائل غناء

وأهل الجزيرة يخضعون لقانون لا مثيل له ، إذ لا يعاقب من يؤذى انسانا فحسب ، بل ومن يؤذى حيوانا أو طائراً أو نباتا كذلك . فلا يباح لأحد أن يذبح الحيوان أو الطير ، ولا أن يقتلع الشجر أو يجتث النبات

وأغرب من هذا أن القانون لا يبيح أن يولد أو يموت فى الجزيرة أحد . فاذا ما أشرفت امرأة على الوضع غادرت الجزيرة لتضع وليدها بعيداً عنها ، وكذلك يفعل من يشتد به المرض ويشرف على الموت . ذلك ان هذه الجزيرة لا تعرف ألما من آلام العالم ، بل هى قد خصت مثابة للسعادة ومنزلا للسعداء . واذا فلا تسمع فيها أنة متوجع ولن ترى فيها عبرة محزون . وللطير أن يسبح فى فضائها ، وللظبى ان يهيم فى غاباتها ، مستمتعين بالأمن والسلام كيف شاءا . .

دنيا بلا إناث

فى أعلى جبل « آتوس » حيث كانت تقيم آلهة الاغريق ، يعيش اليوم زهاء ٧٠٠٠ كاهن عيشة غريبة حقا . فمنذ اتخذت هذه المنطقة مقراً للرهبان فى منتصف القرن الرابع عشر لم تطأها قدم امرأة سوى اليزيث ملكة رومانيا التى سمح لها أن تزورها وتلبث فيها خمس عشرة دقيقة

ولهذه المنطقة حرس من الرهبان مهمته مراقبة الحدود خشية أن تجتازها « الذئاب أو النساء » ولا يمنع النساء وحدهن من غشيان جبل آتوس هذا ، بل كذلك إناث الحيوان والطير كذلك . ففيها قطعان من الثيران ليس بينها بقرة واحدة ، وفيها أسراب من الديكة لا دجاجة فيها

وعلى سفح جبل آتوس أديرة وكنائس ملأى بأقدم الكتب ، مزينة بأبهى النقوش ، حافلة بأثمن التحف . وكلها من مخلفات بيزانطة التى تزعمت العالم الغربى ردحا طويلا من الزمن ، والتى ظهر فيها كثير من نوابغ الفنانين والصناع أبدعوا فى إقامة كنائس آتوس وأديرته التى تقوم فى القرن العشرين نموذجا دقيقا للعصور الوسطى [خلاصة مقالة فى مجلة ريدرز ديجست]

دين ثورى جديد

ينشأ فى الهند الصينية

ظهر فى الهند الصينية دين جديد يبشر به نبى يدعى « دام كلان » . وهذا النبى لم يره أحد ولكن الشائع أنه يقطن على ضفاف نهر بو - ين . والغريب أن هذا الدين يحمل روحا ثورية وتلخص تعاليمه فيما يلى :

أولا - وجوب مسايرة السلطات الفرنسية حتى تدق الساعة التى يستطيع فيها دام كلان إنقاذ البلاد منها

ثانيا - وجوب الحرص على الأخلاق الفاضلة ولا سيما التضامن حيال الأجنبى

ثالثا - تحريم القرابين التى تقدم لأشباه الآلهة

رابعا - تحريم أكل لحم الحيوان الأبيض سواء أكان دجاجة أم ديكا أم خنزيرا

خامسا - وجوب التخلص من هذا النوع من الحيوان بقتله أو بيعه

وينص هذا الدين على أن من واجب كل قرية تعتنقه أن تنتخب من سكانها ثلاثة أعيان تخضع لهم كما تخضع للنبي دام كلان ، وتدفع لهم جزية معينة من الفضة . ولكى يستطيع المؤمنون الحصول على بركة وحماية دام كلان ينبغى أن يستقوا من ينبوع كائن فى قرية (داك يون) ماء عجيبا يشفى المرضى ويقيم المقعدين ، وقد يبعث الموتى من قبورهم فى يوم من الأيام . غير أن الحج الى تلك القرية المقدسة يجب أن تتقدمه سلسلة طويلة من أعمال التفكير والتطهر والتقوى

وقد وعد دام كلان المؤمنين بحماية كل قرية حصلت على ذلك الماء من الهدم والتدمير فى اليوم الأخير ، ذلك اليوم الذى سيطلق فيه النبى عناصر الطبيعة من عقالها ، فتظهر فى السماء شموس ثلاث ويهب إعصار هائل مخيف يكتسح ما يصادفه من جبال وأشجار وأجانب طغاة مستبدين من فرنسيين وأناميين

هذه بعض ظواهر هذا المذهب الدينى الجديد الذى يخفى تحت ستار الدعوة الروحية نزعة ثورية ساذجة تقترن فى العادة عند الشعوب البدائية بنزعة الايمان وروح الدين

[ملخص مقالة فى مجلة الفيجارو]

اصلاح التعليم فى فرنسا

تجارب جديدة يجدر بنا أن نقتبس منها

تتقدم نظم التعليم الحديثة فى فرنسا بخطوات واسعة وتتجه نحو غايتين رئيسيتين :

الأولى ـ محاولة معرفة مواهب التلميذ الشخصية وتلقينه العلوم التى تتفق مع هذه المواهب

والثانية ـ مزج العلم بالصناعة بحيث يخرج الطالب وهو يحذق مهنة معينة يستطيع التكسب منها ان أصابه الفشل فى الأعمال الكتابية

وقد بذلت الحكومة الفرنسية ومختلف المجالس البلدية والقروية جهوداً جبارة لتحرير النشء من سيطرة ملكة الاستظهار على عقولهم ، وذلك بتنقيح المواد الدراسية وبرامج التعليم وتركيزها وتبسيطها وتعويد الطلبة الاعتماد على أنفسهم وعلى مواهبهم المستقلة وعلى مباشرة الدرس والتفكير بأسلوب ينهض على الملاحظة والاستقراء والاستنتاج

ومن الظواهر الجديدة فى حركة التعليم الفرنسية ان الحكومة أنشأت فى عدد كبير من المدارس الابتدائية فصولا أطلق عليها اسم (فصول التوجيه) وفيها يعنى المدرسون بتوجيه الطالب الى العلم الذى يتفق واستعداده وميوله والذى فى وسع الطالب أن ينبغ فيه . وقد جىء لهذا القسم بنفر من الاخصائيين فى فن التربية يراقبون الطالب سنة كاملة ويجتهدون عند نهايتها فى تقرير المادة العلمية التى تصلح له وتناسب استعداده ويمكنه التفوق فيها اذا ما توافر على دراستها فيما بعد

وهناك عناية خاصة بصحة الطلبة يقوم بها عدد من الأطباء يعاونون المدرسين والاخصائيين

أما مزج التعليم النظرى بالصناعة فقد فاق نجاحه الحد المنتظر . ويوجد الآن فى باريس معهد وطنى للتوجيه الصناعى أو ما يسمى بتوجيه الحرف ومعهد آخر تابع للغرفة التجارية يتجلى فى نظامه اتصال المدرسة بالمصنع الميكانيكى وتقريب مسافة الخلف بين العلوم النظرية والتطبيقات العملية

وهذه المعاهد لا تقسر الطالب على تعلم صناعة محددة أو حرفة معينة ، بل توجهه نحو الحرفة التى يميل بطبيعته اليها والتى أظهر الاختبار الاولى استعداده لها ، وذلك بالاتفاق مع أهل الطالب بعد ان تعرض عليهم نتائج اختبارات الاخصائيين فيما يتعلق بمواهبه واستعداده

وصفوة القول ان التربية فى فرنسا اليوم تقوم على التعاون الوثيق بين أهالى الطلبة وبين الطلبة والمدرسين والاخصائيين والاطباء ورجال الصناعة . وهكذا يتخرج الطالب شاعراً بقيمة الفكر المستقل الشخصى قادراً على البحث والتنقيب والابتكار قادراً على النجاح فى معترك الحياة مفتح الذهن قوى البدن سليم الاعصاب [خلاصة مقالة فى مجلة لوموا]

نظام حيدر أباد

أغنى رجل فى العالم

أصدرت الحكومة الهندية منذ عهد قريب قرضا أهليا كبيراً ، ساهم فيه نظام حيدر أباد بأوفى نصيب ، فخرج من قصره قطيع عديد من البغال يحمل أكياسا من النقود الفضية ، وتحرسه كتيبة من الجند المدججين بالسلاح ، ذاهبا الى دار الحكومة يحمل ثمن « الأسهم » التى اشتراها . ذلك أن « النظام » لا يحب أن يودع أمواله فى المصارف ولا أن يستثمرها فى الشركات ، بل يؤثر أن يكدسها فى خزائن قصوره التى يقدر ما فيها من أموال وجواهر بزهاء ١٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه !

وقد شهدت حيدر أباد ذات مرة منظراً طريفا يدل على ثراء « نظامها » فقد امتلأت خزائن قصره كلها بالأموال والجواهر ، فلم تتسع لكمية جديدة من الذهب تبلغ ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه فوضعت فى أكياس فى فناء القصر تحت حراسة الجند ريثما تنشأ لها خزائن جديدة !

ويمتلك النظام عدة قصور باذخة منها قصر « فلاكنوما » الذى يعد أجمل وأفخم قصور الهند كلها ، ولكنه يؤثر الاقامة فى قصر « كوتهى » الفسيح حيث تقيم زوجاته وأولاده معا

ولم يتزوج النظام سوى عشر سيدات احداهن « ملكة حيدر أباد » . وقد خرج فى هذا على سنة آبائه وأجداده الذين كانوا يتزوجون عشرات النساء ويتخذون عشرات الجوارى

ولنظام حيدر أباد من زوجاته عدد كبير من الأولاد يمنح كل منهم لقب « نواب » ويبلغ عدد من يقيمون فى قصوره من الزوجات والاولاد والجوارى والخدم زهاء ثلاثة آلاف نسمة يرتعون جميعا فى ثراء ونعيم

وقد احتفل النظام فى فبراير من العام الماضى بالعيد الفضى لولايته الحكم . وأقيمت حينذاك حفلة باذخة فى « ميدان الفاتح » بحيدر أباد ، اجتمع فيها أقيال الهند وكبار الانجليز . وقال النظام فى الخطبة التى ألقاها حينذاك : « لقد آثرت ان أقتصد فى المظاهر الكاذبة الخادعة واكتفيت بهذه الحفلة البسيطة المتواضعة ، لننفق ما كان يضيع فى هذا هباء فى انشاء مستشفى أو مصحة أو مدرسة » وقد كانت هذه الخطبة بليغة رصينة الى حد أن أكثر الحاضرين لم يفقهوها ، وذلك أن النظام متمكن من اللغة الهندية ، وله فيها أشعار جميلة ترجم بعضها الى الانجليزية ، ومنها هذه الفقرة : « انى فى الدنيا خرافة حية ، يختلج بها قلب حزين وخاطر متألم . انى شاعر القلوب الكسيرة ، هذه القلوب التى تتفجع بغير جدوى »

والنظام على حظ كبير من الثقافة الاسلامية والأوربية ، وقد أنشأ فى الهند أول جامعة حديثة

هي « الجامعة العثمانية » نسبة الى اسمه الحقيق « عثمان » ومدير هـذه الجامعة هو رئيس وزرائه المهراجا السير « كشين » وهو قانوني كبير وشاعر معروف ، وله سلطة واسعة ونفوذ شامل ، ولـكنه لا يتقاضى مرتبا كبيرا إذ لا يزيد كثيرا عما يتقاضاه رئيس وزارة بريطانيا . بينما كان أسلافه يتقاضون زهاء ٤٥٠٠٠ جنيه في العام !

وما زالت أم النظام على قيد الحياة ، وهي عجوز عمياء تقيم في قصر باذخ على مقربة من قصر ابنها الذي لا ينقطع عن زيارتها . وهو شديد الحنو على أهله جميعا ، فمنذ عهد قريب أخـذ بعض بناته الى « مدراس » حيث كان يشترى لهن بعض مخازن الملابس بأسرها . وقد اشترى لكل منهن ثلاثين رداء للسهرة !

وتصحبه أنى ذهب حاشية كبيرة من الحشم والاتباع قد يبلغ عددهم أحيانا ألف نسمة . وهم جميعا ينفقون عن سعة وينزلون أكبر الفنادق والمطاعم ، ويروجون سوق البلدة التي يقصدونها

ولعل « حيدر أباد » أرقى مقاطعات الهند جميعا ، ويعمل نظامها على ادخال التعليم الحديث والنظم الأوربية السياسية فيها . وهو يميل شيئا ما الى المبادىء الديموقراطية والآراء الحرة . وقد ألقى أخيرا خطابا تحدث فيه عن الطبقات الدنيا والطبقة المنبوذة من الهندوكيين فقال :

« انى أرى أنه يجب ألا تكون هناك طبقة عليا وطبقة دنيا . ولا يمكن ان نسمح بايجاد طبقة منبوذة ما دامت تؤدى عملا نافعا وخدمة صالحة . الجميع متساوون فى نظام المجتمع ، لأنهم جميعا متساوون أمام الله . وهؤلاء الذين يسمون منبوذين ليسوا كذلك إلا لأن أكثرهم جهلاء أميون ، وليس هذا ذنبهم بل ذنب الحكومة التي تتولى أمرهم » [خلاصة مقالة لهنرى برلين فى مجلة ناش]

روما - برلين - توكيو

ماهي الغايات الحقيقية من تأليف هذا المحور

الواقع أن ليس الغرض من تأليف محور (روما ـ برلين ـ توكيو) هو مكافحة الشيوعية كما يدعى الزعماء السياسيون فى هذه الحكومات الثلاث . ولو كان هذا هو الغرض الحقيقي ماحركت الدول الديموقراطية ساكنا . لأن هـذه الدول جعلت من تقاليدها تجنب المنازعات الفكرية والحرص على عدم التورط فيما يسميه البعض معارك صليبية جديدة قائمة حول مبادىء ونظريات لا تمت بصلة الى الوقائع العملية

ويظهر أن الغاية الحقيقية من تأليف هـذا المحور هو التعاون العسكرى بين ايطاليا وألمانيا

واليابان ووقوف هذه الدول صفا واحداً عند الاقتضاء

ويرى الساسة الديموقراطيون أنه قد شرع بالفعل فى تكوين لجنة ثلاثية مكونة من بعض رؤساء هيئات أركان حرب ايطاليا والمانيا واليابان ، وأن هذه اللجنة سيكون مقرها مدينة برلين وأنها تبحث مختلف أسباب ومقتضيات التعاون العسكرى بين الدول الثلاث

ولكن ما الغرض من هذا التحالف العسكرى ؟

أهو تقسيم الجهود المتعلقة باستعمار الصين واستبعاد الدول الأخرى من الاتفاقات الاقتصادية المقبلة التى ستتناول تنظيم الوضع السياسى على شواطىء المحيط الهادى . أم هو انفراد اليابان باستعمار الصين الشمالية مقابل أن ترد الى الألمان مستعمراتهم القديمة الواقعة على المحيط الهادى والتى هى الآن تحت انتداب اليابان ؟

لا شك أن الاتفاق الثلاثى ينطوى على الكثير من هذه الأغراض

ولا شك أيضا فى أن المانيا لو حصلت بموجبه من اليابان على مستعمراتها القديمة فسيشتد ساعدها ـ بمعاونة ايطاليا ـ وستمضى فى العمل لتحقيق حلمها الكبير وهو الاستيلاء على قمح اوكرانيا وفحم دونيتز وبترول باكو ، بعد اذ تستوثق من موقف النمسا وموقف الألمان القاطنين فى بوهيميا ، وبعد اذ تفرغ من ارهاب تشيكوسلوفكيا وحملها على الانفصال عن السوفييت وهو الأمر الذى تسعى اليه الآن بكل قواها وبواسطة الدعاية النازية الشديدة التى يبثها الألمان السوديت فى بلاد تشيكوسلوفكيا . أما روما فتعتمد على هذا الاتفاق فى ارهاب انجلترا فى البحر المتوسط وارغامها على توزيع قواها بين البحر المتوسط والشرق الأقصى

وقد وعدت الألمان واليابانيين مقابل هذا باشراكهم فى استعمار الاراضى الحبشية على شريطة أن تكون مطلقة اليد فى البحر المتوسط منفردة بحماية الاسلام والمسلمين ساعية فى الشرق الأدنى للحصول على ما يمكن أن تنتزعه من القطن والبترول من مخالب بريطانيا

هذه هى الغايات الحقيقية من تأليف محور (روما ـ برلين ـ توكيو) وقد شعرت انجلترا بخطورتها وخشيت أن تؤدى الى تقوية ساعد المانيا واغرائها بالاقدام على تحقيق التحالف الألمانى النمساوى توطئة للهجوم الفجائى على تشيكوسلوفكيا كما فعلت ايطاليا فى الحبشة واليابان فى الصين فأوفدت اللورد هاليفكس الى برلين ليستطلع نيات هتلر ثم عززت التحالف القائم بينها وبين فرنسا ونظمت رحلة المسيو دلبوس الى أوربا الوسطى للسعى فى تدعيم المحالفات المعقودة بين فرنسا ودول التحالف الصغير

ومما لا يقبل الريب أن سفر اللورد هاليفكس الى برلين وجولة المسيو دلبوس فى أوربا الوسطى تدلان أبلغ الدلالة على اشتداد الخوف من نتائج تأليف ذلك المحور الذى زاد فى متاعب الدول الديموقراطية [خلاصة مقالة فى مجلة لوموا]

غرائب الطعام واللباس

رحالة انجليزي يتحدث عن مشاهد اجتماعية طريفة

أغرب وليمة حضرتها كانت في بلاد الحبشة ، إذ كنا نأكل اللحم نيئا . فقد أتى خادم مضيفنا يحمل بين يديه حملا مذبوحا مسلوخا ، وراح كل منا يقطع منه بسكينه شريحة من اللحم يغمسها في سائل أذيب فيه كثير من التوابل . ومن أطرف ما يذكر عن موائد الحبشة أن سطحها وجوانبها تغطى بصنف من الخبز الرقيق يأكله الجالسون اليها فيخيل الى الرائي أنهم يأكلون أغطيتها !

أما في الصين فيتهافت الناس على شراء رؤوس الأسماك وذيولها ، وزعانف الحيتان وعظامها ، وهي عندهم من الاطعمة الشهية الثمينة التي تقدم في الولائم الكبرى ، بينما تترك لحومها للنساء والأطفال والخدم

ولا أعرف ناسا يسرفون في الأكل اسراف أهل سيام ، وهم يخلطون بين ألوان الطعام خلطا عجيبا مؤذيا ، ويستريحون في أثناء الأكل عدة مرات يقدم في أثنائها مناشف مبللة بالماء الساخن يمسحون بها وجوههم ورقابهم إراحة لهم مما بذلوه من الجهد ، وإثارة لشهيتهم النهمة . ومثلهم في هذا الهولنديون الذين يقيمون في جاوه ، حتى ليغفوا أحيانا وهم جلوس الى المائدة لكثرة ما جرعوا من الخمر وما التهموا من الأرز . وقد رأيت بعضهم يتجشأ من فرط ما أكل ثم يعود الى المائدة فيتخم معدته من جديد !

***

أما عن الملابس فأطرفها ما يبتكره المستعمرون الأوربيون المقيمون في بعض جهات افريقيا وآسيا . ففي سيام مثلا يتخذ الانجليزي لباسا خليطا من الزي الغربي والزي الشرقي ، فقميصه أوربي وسرواله صيني ، وحذاؤه كهذا الذي يتخذ في ملاعب « الجولف » . والفرنسيون في الصحراء الكبرى يقلدون رجال قبيلة « الطوارق » ، فيحجبون وجوههم بنقاب رقيق

وقبيلة الطوارق هذه تشذ عن سائر العالم الاسلامي في أمر النقاب ، فالمسلمون المحافظون على تقاليدهم وشعائرهم يحجبون وجوه نسائهم لئلا يراهم من الرجال سوى الآباء والاخوة والاعمام ، أما في الطوارق فالرجال هم الذين يحجبون وجوههم بدلا من وجوه نسائهم السافرة ، فلا ترى من الرجل سوى عينيه الحادتين العميقتين . ولكن الحجاب هناك لا يتخذ لغرض ديني بل لحماية الوجه من أذى الرمال التي تحملها الرياح العاصفة ، ومن سفع الشمس الحامية التي تلهب الوجوه وتلوحها . ولهذا فان النساء لايحتجبن لأنهن لا يغادرن البيوت والخيام إلا نادرا . وديانة الطوارق

هى الاسلام مشوبا بعقائد وثنية قديمة . وقد علمت أن للمرأة هناك أن تتزوج عدة رجال معا . ومع أن الطوارق يعيشون فى صميم الصحراء الجرداء فان نساءهم يعرفن كثيراً من وسائل الزينة الحديثة فيصبغن أصابعهن وأظافرهن ، ويلون بشرة وجوههن بألوان زاهية مختلفة

أما عن الحلى فلم أر أغرب من نساء قبيلة « ماساى » بكينيا ، فان الواحدة منهن قد تلبس عشرة أقراط فى أذن واحدة ، بعضها اطواق كبيرة ثقيلة . ومن غرائب هذه القبيلة أن رجالها يغطون أجسامهم ويدهنون شعورهم بصنف من الطين لونه مائل الى الحمرة ، ويصنعون منه تماثيل ونقوشاً ساذجة يلصقونها بأجسامهم

ونساء بعض قبائل افريقيا لايكتفين بالاقراط فى آذانهن ، بل يتخذنها كذلك فى أنوفهن وذقونهن . وقد رأيت بعضا منهن وقد تدلى أنفها لثقل ماتحمل من الحلقات والاطواق المعدنية ، كما تغطى معظم الوجه بقطع شتى من الفضة والصفيح . وهن يقاسين فى سبيل هذا التجمل عذابا أليما ، حتى لتجرى على صفحات وجوههن أخاديد عميقة أحدثتها السكاكين والخناجر

* * *

وتعدد الزوجات تقليد قلما يشذ عنه رجل من رجال القبائل الافريقية . والنساء هناك سلع رخيصة لايكلفن أفقر الرجال مهراً يبهظه . فقد كان لخادمى فى الكونغو زوجتان لم تكلفه احداهما أكثر من قطعة صغيرة من القماش أهداها اياها لتستر بها عورتها ، ولكنه مهر الثانية بضع نعاج ، ولباسين ، وقلنسوة لأبيها ، كما أقام مأدبة كبيرة . وفى بلادالكنغو تترك الفتاة بغير اسم إلى أن تتزوج ، ليختار لها زوجها الاسم الذى يشاؤه . وقد أسمى خادمى زوجته الثانية « قطار » ، وذلك أنه أيام اقترن بها جرى هناك أول «قطار» فأطلق اسمه عليها لفرط دهشته منه واعجابه بها !

ومن الشائع هناك أن يبيع الرجل زوجته بدلا من أن يطلقها ، وكثيراً مايربح الرجل من هذا البيع . والرجل يتزوج أمه وابنته وأخته ، كما أن رئيس القبيلة ملزم بأن يتزوج كل امرأة يموت عنها زوجها

وقلما يتفق قطران فى نظام حفلات الزواج ومن أغربها مايجرى فى « داهومى » حيث يركب الشاب والفتاة التى خطبها حصانا ينطلق بهما بينما رجال القبيلة يسددون اليهما السهام ، فان اصيب احدهما بسهم الغيت الخطبة وطرد الشاب الى أن يتقن ركوب الجياد واتقاء سهام الأعداء ..

ومع سهولة الطلاق وتبادل النساء فى الكونغو ، فان زوجات رؤساء القبائل لا ينفصلن عنهم حتى بعد الموت ، فان المقربات منهن الى الرئيس يدفن فى قبره أحياء ليكن برفقته فى الحياة الاخرى التى يؤمنون بها

[خلاصة مقالة للرحالة الانجليزى بأريك بلفور فى مجلة بريطانيا آند ايف]

هل أنت جرىء ؟

أجب عن هذه الاسئلة تعرف نفسك

هذه عشرون سؤالا عن مسائل الحياة اليومية ، أجب عنها تعرف مقدار ما تمتاز به ، أو مقدار ما يعوزك ، من جرأة وشجاعة

وطريقة الاجابة أن تضع أمام كل سؤال أحد الأرقام الأربعة الأولى ، فان كنت تخشى الأمر الى حد الفزع والرجفة فضع أمامه الرقم ٤ ، وان كان خوفك منه لايجاوز حد الاشمئزاز والنفور فضع أمامه الرقم ١ ، وضع أحد الرقمين الأخيرين لما هو وسط بين هذا وذاك . ثم اجمع هذه الأرقام كلها واقسمها على ٢٠ ، يبين لك هذا المتوسط مقدار التوافق بين حالتك والحالة العادية التي يكون فيها متوسط الرجل ٢٫٤٥ ، ومتوسط المرأة ٢٫٦٥ . وبمقدار الفارق بين متوسطك وأحد هذين المتوسطين يكون شذوذك وانحرافك عن الحالة الطبيعية . وتستطيع أن تفاخر بالأمر الذي تجيب عنه بأحد الرقمين ١ و ٢ ، ويجب عليك أن تعالج نفسك في الأمر الذي تجيب عنه بأحد الرقمين ٤ و ٣ . على أن امرءاً يجب أن يلاحظ : فلو أن فأرا بدا لرجل وامرأة ، فاقشعر بدن الأول دون أن يجرى أو يصيح ، وراحت الثانية تملأ بيتها ضجيجا وعجيجا ، لما كان هذا دليلا على أن الرجل أشجع وأثبت من المرأة ، وانما هو نتيجة اختلاف بينهما في اظهار شعور الخوف الذي يحسانه بدرجة واحدة

وهذه هي الاسئلة :

١ ـ كم تخشى العمليات الجراحية الصغيرة ، كخلع ضرس أو فتح دمل بسيط ؟

٢ ـ الى أي حد تستاء أو تضطرب حين تشعر أن جليسك لايحتملك أو يضيق بك ؟

٣ ـ هل تشعر بكثير من الخجل والتهيب حين تطلب الى أحد أن يقرضك مالا ؟

٤ ـ اذا كان رأى صديقك الحميم يناقض رأيك تماما ، فهل تؤثر أن تظل صامتا أو تجاريه ظاهراً ؟

٥ ـ الى أي حد تضطرب حين يقع نظرك على فأر أو عقرب أو ثعبان أو ضفدعة أو ما شابه هذه من الحيوانات الصغيرة ؟

٦ ـ هل تفضل أن ترسل خطابا ، أو تتحدث في التليفون ، الى شخص بينك وبينه أمر ما على أن تقابله وتجابهه بالحديث ؟

٧ ـ الى أي حد تحب أن تغمض عينيك أو تلفت وجهك حين ترى منظراً غير جميل ،

كشحاذ تعرى أكثر بدنه ، أو جريح بتر الترام ساقه ؟

٨ — هل تهيب أن تعلن رأياً يخالف الآراء المعروفة فى حفل حاشد ؟

٩ — اذا دخلت محلا تجاريا فهل تفضل أن تشترى شيئا ما حتى ولو لم يكن ما تريده ، على أن ترفض كل شيء يقدمه اليك البائع ؟

١٠ — هل تحب أن تقول « إني مريض » أو « انى عصبي » كلما واجهك أمر لا تحبه ؟

١١ — هب أنك قابلت شخصا بارزاً أو عظيما معروفا ، وجئت تقص ما جرى بينكما من حديث فهل تضيف من عندك كلمات فكهة وأخرى بارعة لم تجر فى هذه المقابلة ؟

١٢ — الى أى حد تحب أن تكتم رغائبك ومطالبك لئلا تقابل بالرفض أو بالامتعاض ؟

١٣ — هل تجرى هذه العبارات كثيراً في حديثك : « لا أحب ان اسمع شيئا عن هذا » — « أرجو ألا تحرجنى » — « أظن ألا دخل لى فى الموضوع » ؟

١٤ — اذا اختلف اثنان فى رأى فالى أى حد تحب أن تناصر أحدهما على الآخر ، والى أي حد تحب أن تؤيد الضعيف منهما ضد القوى ؟

١٥ — الى أى حد يلين عزمك على أمر ما اذا ماهددك أحد بالايذاء اذا مضيت فيه ؟

١٦ — هل أنت ممن يلجأون كثيراً الى « الكذب الابيض » أى الكذب الذى يخلصك ولا يؤذى غيرك ؟

١٧ — الى أى حد تحب أن تقابل ما يوجه اليك من لوم أو نقد بمثل الاجابات : « لم تكن الظروف مؤاتية » — « لو لم يتدخل هذا الشخص فى الأمر لما وقع الخطأ » . . ؟

١٨ — هل تقبل أن تعاتب أو تعاقب مراراً على خطأ لم تفعله أنت وانما أتاه سواك ؟

١٩ — هل تحتاج الى كثير من الجرأة لتقول لخادم المطعم الذى أكلت فيه إنك نسيت كيس نقودك فى البيت ؟

٢٠ — اذا قابلت أحد كبار رجال الاعمال أو السياسة أو المجتمع فهل تتحدث اليه « بضمير الغائب » حتى ولو تكررت هذه المقابلة عدة مرات ؟

[خلاصة مقالة لاميل لوتز فى مجلة دى كورال الالمانية]

تقدم العلم والعالم

أى الدول أغنى ؟

هل تنتصر الديموقراطية فى الحرب المقبلة ؟

تسعى كل دولة الى أن تختزن فى مصارفها أكبر كمية من الذهب ، الذى مابرح ــ فى النظام الاقتصادى القائم ــ أكبر ضمان للرخاء والاستقرار المالى ، والذى تعتمد عليه الدول فى سياستها وحروبها قدر ما تعتمد على جيوشها وأساطيلها

وقد وضع الكاتب الاقتصادى الفرنسى « ا . ل . جين » احصاء عن مقدار ما تمتلكه بعض الدول الكبرى من الذهب ، فوجد أن الدول التى تتمتع بالنظام الديموقراطى أغنى من الدول التى تخضع للحكم الديكتاتورى . واذا فالاولى لا تستمتع بالحرية السياسية والفكرية فحسب ، بل بالرخاء والرواج كذلك ، أما الثانية فتقاسى الأزمة والكساد كما تعانى العنف والاضطهاد

وهذا هو الاحصاء مقدراً بملايين الفرنكات الذهبية :

ألمانيا	١٤١
ايطاليا	٦٣٨
اليابان	١٤١٦
انجلترا	٧٩١١
فرنسا	٩١٦٨
الولايات المتحده	٣٤٤٣٩

واذاً فمقدار ما تمتلكه الدول الديموقراطية الكبرى مجتمعة ، أى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ، يساوى ٥١٫٥١٨ مليون فرنك ذهبا ومقدار ما تمتلكه الدول الثلاث الاخرى ، ايطاليا والمانيا واليابان ، وهى الدول التى تجرى فى اتجاه سياسى واحد ، يبلغ ٢٫١٩٥ مليون فرنك ذهبا



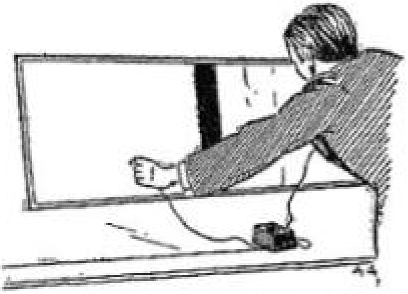
ويستنتج من هذا أنه من المرجح أن تنتصر الدول الديموقراطية فى الحرب القادمة ، بفضل تفوقها المالى ، على الدول الديكتاتورية ، وأن العالم سيدين فى المستقبل بالمبادىء الديموقراطية بعد أن ينبذ الأساليب الديكتاتورية التى يخيل الى بعضهم أنها سوف تنتصر وتنتشر

خريطة للعميان

لايتيسر لكفيف البصر أن يجيد دراسة الجغرافيا لأنه لايستطيع أن يطلع على خرائطها ، فرؤى أن تصنع للعميان خرائط خاصة يلمسون فيها بأيديهم تضاريس الارض ويعرفون كذلك أسماء مدنها وأنهارها

فيستطيع الاعمى أن يعرف بحاسة اللمس وحدها ، ما تبينه الخريطة من جبال وهضاب وأودية وبحار وبحيرات . أما المدن فقد ثبت فى موضع كل منها قطعة صغيرة من النحاس ، وكذلك الأنهار مدت فى مجاريها أسلاك نحاسية

دقيقة . والحقت بهذه الخريطة قائمة تشتمل على أسماء جميع المدن والانهار مكتوبة بطريقة « برايل » التى يتعلم بها فاقدو البصر القراءة ، ووضعت أمام كل اسم قطعة صغيرة من النحاس، ويعطى كفيف البصر سلكان يسرى فى أحدهما تيار موجب وفى الآخر تيار سالب . فاذا أراد أن يعرف اسم مدينة أو نهر ثبت طرف أحد



السلكين فوق القطعة النحاسية القائمة فى موضع المدينة أو فى مجرى النهر ، ومر بالسلك الآخر فوق قائمة الاسماء حتى يلمس طرفه الاسم المطلوب فيدق جرس كهربائى ، وعندئذ يقرأ هذا الاسم المكتوب بطريقة برايل . ولا شك فى أن هذا الاختراع سيوسع أفق ثقافة العميان كثيراً

نحن فى عصر العلم

أمثلة من المخترعات التى تظهر كل يوم

* أول ما يبدأ المرء يتعلم الموسيقى تكون الانغام التى يصدرها نافرة ناشزة ترهق الاسماع. ولهذا رؤى اختراع آلات موسيقية صامتة يتعلم المبتدئون العزف عليها . ولا يسمع صوت هذه الآلات سوى المدرس وتلميذه ، وذلك بواسطة سماعات ــ كسماعات التليفون ــ توضع على آذانهما

* كثيراً ما يستطيع الفأر ، وهو حيوان شديد الحس والانتباه ، أن يفر من المصايد التى تنصب له فى البيوت. واذا وقع فأر فى المصيدة وأطبقت عليه ، صار الفئران الاخرى فى مأمن منها ، فراحت تعيث فساداً . فرؤى أن تصنع مصايد أخرى لا تطبق على الفئران ، وانما تقتلها فقط وهى مفتوحة . وذلك بأن يسرى تيار كهربائى فى السلك الذى يوضع فيه « الطعم » فاذا جاء الفأر حول هذا الطعم مسه التيار فصعقه. وتظل المصيدة بعد هذا مفتوحة تقتنص سواه . وهذا يريح الخدم أو ربات البيوت من عملية قتل الفئران

* يحدث أحيانا فى مستشفيات الولادة أن يختلط الاطفال بعضهم ببعض فى أثناء الاستحمام مثلا ، فتخرج الأم من المستشفى وهى تحمل طفلا غير وليدها . فرأت بعض المستشفيات فى أمريكا أن تتفادى هذا بأن يدمغ كل طفل بعلامة خاصة ، ولتكن الحرف الاول من اسم أمه مثلا، وذلك بواسطة أشعة كهربائية لا تؤلم الطفل ولا تحدث فى جسمه أثراً لا يمحى

* سوف يستخدم البوليس الامريكي قريبا نوعا من القفاز ــ لباس اليد ــ يسرى فيه تيار كهربائي بسيط ، مصدره « بطارية » صغيرة توضع فى جيب رجل البوليس . وبهذا القفاز يستطيع رجال البوليس أن يقبضوا على المجرمين أو على المتظاهرين حين يقاومونهم ، فكلما يمسونهم بأيديهم يصابون برجفة كهربائية تشل حركتهم مؤقتا ريثما يتمكنون من القبض عليهم. ولا يتعدى تأثير التيار هذا الحد ، فلا ضرر منه على حياة من يمسهم

مصحات الروماتزم

يمكن إبراء الجسم من الروماتزم إذا أسرع المريض الى العلاج أول ما يصاب به . وهــذا

العلاج يتطلب الراحة التامة ، واجتناب كل ما يكدر أو يتعب . فهو يقضي أن يأوى المريض الى « مصحة » تتوافر فيها وسائل الراحة والعناية . ولهذا فكر بعض أطباء نيويورك في انشاء مصحات للروماتزم على نمط مصحات التدرن الرئوى . فقد ثبت أن بقاء المصاب بالروماتزم في بيته أو في مستشفى لا يؤدى الى برئه ، لانه لا يجد فيهما كل ما يلزمه من الراحة والعناية

هذا الى أن مرض الروماتزم يتطلب علاجا مستمراً طويلا ، يتطلب تدليك أعضائه المصابة ، وعلاج أسنانه المريضة ، وما عنده من عسر أو اضطراب في الهضم ، وكذلك تعريضه لأشعة الشمس أو للأشعة فوق البنفسجية

ولا شك ان الاطباء والجمهور يجب أن يقاوموا الروماتزم بشتى الوسائل وبنفس العناية التي يقاومون بها الحميات والتدرن وغيرها . ذلك أن المرض يمنع الانسان من مزاولة عمله أكثر مما يمنعه مرض الديابيطس أو السرطان أو تصلب الشرايين . وقد ثبت ان العائلة التي يصاب أحد أفرادها بالروماتزم يضيع نصف دخلها : أولا لعجز المصاب عن العمل والكسب ، ثانيا لما تنفق على علاجه من نفقات طائلة . فان هذا العلاج يستغرق مدة طويلة تتراوح بين ستة أشهر وسنتين . على أنه يجب أن يذكر دائما أن علاج الروماتزم ميسور ، وانه يمكن إبراء المريض منه الى حد ما حتى بعد ان يتمكن من عظامه ، ولكن علاجه عقب الاصابة به مباشرة أيسر وأجدى

السرطان مرض المدنية

رأى شائع ولكنه خطأ

نقرأ ونسمع كثيراً أن السرطان من أمراض المدنية ، أى أن حياة الانسان المتمدن ، وعلى الأخص طعامه وشرابه ، هي التي تؤدى الى انتشار هذا المرض الخبيث

ويكاد يقبل هذا الرأى أكثر العلماء ، ولكن ظلا من الشك قد ألقي عليه أخيراً ، اثر النتائج التي أسفر عنها بحث الدكتور « كارل ويلر » من أساتذة جامعة متشيجان أهل جزيرة هيتي . فهنا حيث يعيش الناس عيشة بدائية الى حد كبير ، وما زال مستواهم الفكرى ونظامهم الاقتصادى عند الدرجة الاولى من درج الحضارة ، وجد أن السرطان منتشر بينهم انتشاره في البلاد التي بلغت درجة عالية من الحضارة كالولايات المتحدة

فقد فحص هذا الطبيب ١٧٤ مريضا بالقلب ، فوجد بينهم ١١ شخصا مرضى بالسرطان . ولابد أن تكون نسبة المصابين بالسرطان بين غير المرضى بالقلب أكثر من هذا ، لان مرض القلب يودى بمن يصيبه غالبا قبل أن يصل الى سن الشيخوخة ، أى حين يتعرض الانسان عادة لمرض السرطان . وإذاً فمن المحتمل أن تكون نسبة المصابين بالسرطان في هذه الجزيرة كبيرة جداً

وربما كان السبب في عدم انتشار السرطان بين الأقوام البدائية انتشاره في الشعوب المتحضرة ، أن السرطان لا يصيب المرء غالبا إلا بعد أن تتقدم به السن ، وعلى الاخص بعد تجاوزه العقد السادس . ولما كان متوسط طول العمر في الأمم المتمدنة ، أقصر منه في الشعوب التي أصابت حظا كبيراً من طريق المدنية ، كان أولئك أقل عرضة لهذا المرض من هؤلاء . وإذاً لا يكون طعام المتمدن وشرابه سبب اصابته بالسرطان ، بل ان فضل المدنية في إطالة عمره هو الذى يؤدى الى هذا المرض أحيانا

فرس النبي

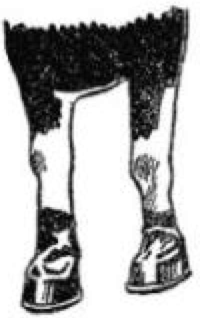
هنـاك نوع من الجراد ـ أخضر غالبا ـ تطلق عليه العامة اسم «فرس النبي» وللبسطاء منهم خرافات غريبة عنها. وأسراب هذه الحشرة تدفعها الرياح الى المزارع والمـدن ، ولـكنها لا تحدث أضراراً كهذه التي تحدثها أسراب الجراد التي كثيراً ما تقفر آفاقا فسيحة من نباتها

وقد انتقلت أسراب من « أفراس النبي » من آسيا الى امريكا واستوطنتها و « تأقلمت » فيها . وهي منتشرة هناك انتشاراً كبيراً ولـكنهم لا يقاومونها لانها لا تضرهم شيئا . ومن الغريب أن البسطاء من الامريكيين يذكرون خرافات عنها تشبه ما يذكره بسطاؤنا عنها من خرافات

وأغلب هـذه الحشرات اناث ، لانها ـ كالنحل ـ تأكل ذكورها عقب أن تلقحها ، ولا تبقى منها إلا الاناث

أحذية للبهائم

لعل ما يكسبه الفلاح الأوربي أو الأمريكي من ما شيته يوازي ، أو يفوق ، ما يكسبه من أرضه ، رغم ما تقتضيه زراعة الأرض من مشقة ومال . ولهذا يعني بالبهائم عناية فائقة ويحافظ عليهـا كل المحافظة . فمن ذلك أن الفلاحين الأمريكيين وجـدوا أن بعض الامراض المعـدية تنتقـل الى الأبقار والأغنام عن طريق حوافرها ، وأن هـذه الامراض تقتلها أحيانا وتقعدها عن العمل غالبا ، فرؤى أن تلبس هذه المواشي



أحذية خاصة من الـكاوتشوك . وقد صنعت هذه الأحذية من مادة رقيقة كي يتيسر للمواشي أن تسير وتجري بها ، ولـكنها متينـة فتتحمل طويلا . وقد استخدمت بعض المزارع هـذه الاحذية لأغنامها فنقصت فيها نسبة الامراض والوفيات نقصا محسوسا

هل تعلم ؟

طرائف علمية مختلفة

* أن جميع أنواع الثعابين والأفاعي تجيد السـباحة

* أن هنود أمريـكا ، أي الذين كانوا يستوطنونها حين كشفها كولمبوس ، أكثر الشعوب ـ بعد الصينيين ـ تقـديراً للجمال ، وشعوراً بضرورة توافره في الحياة

* أن قبائل الهنود في امريكا الجنوبية كانوا يصنعون « الابر والدبابيس » من الذهب في عصور ما قبل التاريخ

* أن الخبازين يعرفون بحاسة الشم وحدها متى ينضج العجين الذي يخبزونه

* أنه قد اخترعت في ألـمانيا آلة كاتبة « تايبريتر » تكتب بها « نوتات » للموسيقى

* أن صبغ اظفار الاصابع ـ المانيكير ـ كان عادة شائعة في شعوب الشرق الأدنى القديمة ، ثم اختفت الى ان ظهرت وانتشرت أخيراً في شعوب اوربا وامريكا

* أن هناك نوعا من الحيتان يستطيع أن يأكل في اليوم الواحد طنا كاملا من الطعام

* وانه تقع في الولايات المتحدة كل عام زهاء ٧٠٠٠٠ حادثة اجهاض جنائي . وان قرابة ١٥٠٠٠ واحدة تموت سنويا بسبب هذه الحوادث الجنائية الأليمة

كتب جديدة

فى منزل الوحى

للدكتور محمد حسين هيكل بك

مطبعة دار الكتب المصرية فى ٦٤٠ صفحة

عندما يغمر ضوء الدين قلب الرجل المثقف تنتعش نفسه ، وتتجدد أنبل عواطفه ، وتتسع آفاق فكره ، فيستطيع أن يرى العالم من خلال إيمانه حافلا بشتى الكنوز الروحية التى لايلحظها الرجل العادى ولا يحفل بها الرجل المتعلم الذى ابتلاه العلم بالقلق والشك أو بالجحود والكفران

ولا شك أن ثقافة الرجل المتدين تخلع على إيمانه حلة رائعة من طرافة التفكير وتسوقه الى النظر فى فلسفة دينه بعين جديدة وتهديه الى أفكار ومبادىء ونظريات لم يكن ليحلم بهـا . وهكذا تتجدد قوى الدين على يديه وتفيد من ثقافتـه فيشتد تأثيرها على نفسه وعلى نفوس المؤمنين وغير المؤمنين

ولقد أسدت حماسة الايمان بالاسلام أجل الخدم للدكتور محمد حسين هيكل باك ، فزادت أسلوبه صفاء وتفكيره عمقا وفتنة ، ثم تحولت بطبيعتها نحو خدمة الاسلام والمسلمين ، وكل انسان حر خالص من شوائب التعصب يلتمس فى جوهر الدين الحقيقة الكبرى مقرونة بالسلوى والعزاء

ومما لا يقبل الريب ان كتاب « حياة محمد » كان صرخة فرح ونشوة أطلقها الدكتور هيكل من صدره التواق الى الحق ومن نفسه التى اطمأنت الى هذا الحق بعد جهاد طويل . وأما كتابه « فى منزل الوحى » فهو صرخة أخرى تفيض بالتسبيح والتمجيد وتتجلى فيها قوة الايمان فى أروع مظاهرها !

وهذا الكتاب هو تاريخ الرحلة التى قام بها الدكتور الى منزل الوحى لتأدية فريضة الحج المقدسة

ولقد وجه أكبر عنايته الى آثار الرسول الكريم وجعل همه أن يسير حيث سار وأن يلتمس ما فى حياته من أسوة وعبرة . ولكن الدكتور لم يتقيد فى تفكيره بغير منطقه وعقيدته الذاتية اللذين كونتها الطريقة العلمية الحديثة ، فهو لا يسلم بالعقيدة الموروثة اذا لم يكن لها أساس غير ما وجد الناس عليه آباءهم . واذا لم يمتحنها ويمحصها ويصل اليها باعتبار أنها حقيقة يسيغها عقله ويطمئن اليها ضميره

فالعقل الباحث هو الذى هدى الدكتور الى الايمان وهو الذى ضاعف ايمانه بالحقيقة التى انتهى اليها بحثه

وهذا الايمان الصادق العميق نجده ممثلا فى فصول الكتاب ولا سيا فى فصل (وقفة عرفات) و (فى جوف الكعبة) و (فى غار حراء) و (فى زيارة الوداع) ثم فى الفصل الختامى البديع الدائر حول خصائص الحياتين المادية والروحية والذى وردت فيه هذه العبارات الخليقة بأن ينعم النظر فيها كل مفكر عصرى : « ان ضياء الروح يهدينا الى وحدة الكون

ووحدة الحياة ، أى الى الوحدة بالحب والوحدة بالرجاء فى الله ونوره الذى يضىء الكون كله ، والى وحدة الزمان والمكان . وهذه الصبوة الروحية هى التى تصور لنا وحدة الخالق . أما الحياة المادية فانفصالية بطبيعتها ولذلك جعل التفكير المادى الانقسام والتقسيم أساس الحياة »

الحبشة المسلمة

لمحمد تيسير ظبيان الكيلانى

طبع فى دمشق فى ١٤٥ صفحة

الاستاذ محمد تيسير ظبيان الكيلانى هو منشىء جريدة الجزيرة التى تصدر بدمشق ، وهو أديب نابه مولع بالرحلات والأسفار . وقد قام برحلة الى بلاد الحبشة درس فيها أحوال المسلمين هناك واستطاع أن يرسم صورة رائعة من عاداتهم وأخلاقهم ومبلغ تعلقهم بالاسلام ومدى تطورهم الاجتماعى والأدبى . ومن أبدع فصول كتابه « الاسلام فى الديار الحبشية » و « نموذج من أحكام المسلمين » و « سلطنة جما الاسلامية »

والواقع أن المؤلف أماط اللثام عن جوانب من الحياة الاسلامية كانت ما تزال مجهولة ، فعزز روابط التفاهم والاخاء بين المسلمين وسعى فوق ذلك لدى السلطات الايطالية فى الحبشة لايصال مطالب اخوانه اليها ، فأدى بذلك خدمة مزدوجة للاسلام بوجه عام ولمسلمى الحبشة بوجه خاص

وقد صدر هذا الكتاب بمقدمة شائقة للكاتب الكبير الأمير شكيب أرسلان حمل فيها على الاستعمار الأوربى وأشار الى حقيقة أحوال مسلمى الحبشة الذين هم نصف سكان تلك البلاد ولفت الأنظار الى وجوب الاهتمام بهم ومحاولة الاتصال بالعناصر المستنيرة منهم لتحسين أحوالهم والعمل على رفع مستواهم الدينى والثقافى

ويلاحظ أن المؤلف لم يدرس فى كتابه عادات وأخلاق مسلمى الحبشة فقط ، بل تناول الحياة العامة فى أهم البلاد الحبشية ، فجاء كتابه دراسة كاملة وافية جديرة بأن يطالعها كل مسلم وكل عربى

المريد

لبول بورجيه

ترجمة سليم سعده

مطبعة « مجلى » فى ٤٦٠ صفحة

قصة المريد أو التلميذ من أبدع القصص التى تمخض عنها خيال الروائى الفرنسى الأشهر بول بورجيه . وقد أراد بها المؤلف تصوير نتائج التعاليم اللادينية فى عقل شاب تلقى تلك التعاليم عن أستاذ فيلسوف يدين بها ويروج الدعوة لها

فتحت تأثير تلك الأفكار شاءت الحوادث أن يكون الشاب مسؤولا عن جريمة لم يرتكبها بالذات ولم يشترك فى ارتكابها وان كان قد دفع اليها خاضعا للافكار والتعاليم التى تلقاها من مؤلفات استاذه الفيلسوف

وقيمة القصة فى أن حوادثها تطرح علينا هذا السؤال الخطير : هل يجب على الفيلسوف أو المفكر أن يصارح بالحقيقة كائنة ما كانت أم عليه أن يحجبها ويخفيها متى أدرك أو شعر أن تطبيقها والعمل بها فى الحياة الواقعة قد يجر على الناس الكوارث ؟ . .

يقول بورجيه إن الحقيقة يجب أن تخدم المجتمع بصفة مباشرة وتنتهى الى المنفعة العامة ، وإلا فهى حقيقة مشكوك فى سلامتها . ويقول

أحرار الفكر إننا لو قيدنا كل حقيقة عقلية أو فلسفية بنتائجها العملية لوجب أن نقيد حرية الفكر نفسه وبذلك نقيم العراقيل فى وجه تطور الذهن البشرى

فهذا الصراع بين النزعتين هو لب هذه القصة الرائعة التى نقلها الاستاذ سليم سعده الى اللغة العربية فى اسلوب واضح جزل وفى أمانة مطلقة ، وصدرها الاستاذ ابراهيم المصرى بمقدمة وافية عن شخصية بول بورجيه

ملكات العقل الباطن

للاستاذ وليم سرجيوس المحامى

المطبعة التجارية بالقاهرة فى ٩٦ صفحة

من أوفى الكتب التى وضعت فى علم النفس الحديث هذا الكتاب الذى يعتبر خلاصة وافية لابحاث فرويد ويونج وادلر وغيرهم من أقطاب السيكولوجيا الجديدة . وقد أحاط المؤلف بأهم ظواهر العقل الباطن ، كازدواج الشخصية وسيطرة الفكرة الثابتة ونوم اليقظة وقوة الايحاء والتلباثيا أو الاتصال العقلى بدون وساطة الحواس . ثم عقد فصلا رائعا عن قوة الابتكار وسرعة البديهة وما يسميه علماء السيكولوجيا بالعقد النفسية أى حالات النفس التى تنشأ عن الاحتكاك الذى يحدث بين غرائزنا وانفعالاتنا الموروثة ، والتأثيرات والايحاءات التى تفيض علينا من العالم الخارجى

وقد بذل المؤلف جهداً كبيراً فى تحرى الأدوار التى مر بها علم النفس حتى استقر على التحليل النفسى وعلى دراسة الظواهر العقلية والنفسية دون فزيولوجية العقل وتشريحه . والواقع أن بحث ملكات العقل الباطن جهد يعود بأعظم النفع على الفرد والمجموع لأن غاية علم النفس هى دراسة الانسان أو دراسة حقائق السلوك البشرى باعتبارها نتائج لحالات عقلية ونفسية خاصة . فكلما كشف العلم عن هذه الحالات اقترب الانسان من معرفة حقيقة شخصه واستطاع توجيه سلوكه نحو الحق والخير والجمال

تصدع مذهب دارون

للدكتور حليم عطية سوريال

المطبعة الوطنية باسيوط فى ٢٠٠ صفحة

وضع الدكتور حليم عطية سوريال هذا الكتاب ليثبت أن مذهب التحول يخالف نواميس الطبيعة وان العلم الحديث نفسه يؤكد وجود الخالق. وقد درس المؤلف فى كتابه منشأ الحياة وعلاقة نظرية التحول بالبيولوجيا، وتحدث فى اسهاب عن الحلقة المفقودة ومختلف عوامل التحول ، ثم استخلص من كل ذلك عدة مبادىء جعلها قاعدة لفلسفته، وأهمها : ان هناك قوة غير منظورة وراء عالم المادة والحياة ، وان تلك القوة عاقلة مفكرة تصنع كل شىء من لاشىء ، وأن العوامل الطبيعية والمواد الطبيعية الجامدية لا قدرة لها على صنع كائن حى أو على تحويل نوع من الكائنات الحية الى نوع آخر

وجملة القول ان كتاب الدكتور سوريال هو كتاب رجل انتهى من العلم الى الايمان واستند فى معارضة نظرية التحول الى علماء أفذاذ أمثال كوفييه وأجاسيز وفيرخوف

مملكة الجمال والحق والخير

للاستاذ محمود على قراعة

مطبعة الفتوح بمصر . فى ٢٧٧ صفحة

ألوان الجمال فى الحياة كثيرة ومنها ما يتصل بالعواطف والاحساسات والاخيلة ويرجع الى

عالم الادب والفن ، ومنها ما يتصل بالاخلاق والعادات والانظمة ويرجع الى عالم الاجتماع . وقد أراد المؤلف فى كتابه دراسة مختلف هذه الالوان فعالج موضوع الجمال فى روح الجماعة وفى أساليب الحكم وتدرج من ذلك الى تحليل فكرة الجمال فى الحب والصداقة وفى تكوين الجانب الروحى فى الانسان . ويرى المؤلف وهو فى ذلك على حق أن غاية الجمال أى غاية الفن الاخيرة هى الاتجاه بالنفس البشرية الى الكمال الروحانى التجريدى المطلق

وهذه النظرة تتفق كل الاتفاق مع نظرة الفلاسفة المثاليين الذين يقرنون على الدوام بين الفن والدين ، ويرون أن الفن ينزع نفس نزعة الدين ، من حيث السمو فوق المادة والتطلع الى مثل معنوى أعلى يحرر الفرد من سلطان غرائزه الوضيعة ويتجه به نحو عبادة الكمال أى عبادة الله باعتباره رمز الروحانية الكاملة

روبنسن كروزو

للاستاذ كامل كيلانى

مطبعة المعارف فى ١٢٠ صفحة

سيذكر أطفالنا حين يشبون أن أكثر ما يملأ عقولهم من آراء نافعة وأخيلة طريفة ، قد استمدوها من هذه المكتبة الحافلة التى أنشأها لهم الاستاذ كامل كيلانى . فبين أيديهم الآن عشرات من الكتب مختارة من أرق كتب الأدب العربية والغربية ، معروضة فى أسلوب سلس ممتع شائق ، فتغذى عقل الطفل وتنبه خياله وتثير ملكاته

ومن هذه القصص الجميلة قصة « روبنسن كروزو » التى تعد محور الدراسة فى المدارس الأولية الانجليزية ، والتى اختارها جان جاك روسو لتكون غذاء « إميل » الفكرى ، لأنها « أصدق مقياس نقيس به مدى نجاحنا فى الحياة كما نقيس به أحكامنا التى نصدرها » فلا شك أن أطفالنا يجب أن يقرأوا قصة ممتعة كهذه ، ولا سيما وقد ترجمت فى أسلوب عربى طريف وزينت بكثير من الرسوم الجميلة !

وقد كتب الاستاذ نجيب الهلالى بك كلمة ممتعة فى آخر القصة قال فيها : « لئن أدركت الأطفال « برياض الأطفال » مراداً بعيداً ، لقد فتحت لهم « بمكتبة الأطفال » فتحا جديداً . أدركت أرب نفوسهم ، وأبدلتهم أنسا بين عبوسهم ، وهجت للمعالى أشواقهم ، وحسنت لغتهم وأخلاقهم . . . وإن طفلا تتعهده هذه الكتب ، وينشئه هذا الأدب ، لهو خليق أن يمضى فى مراق البلاغة قدما ، حتى يطلع فى سمائها نجما » وحسب الاستاذ كامل كيلانى هذه الشهادة !

سعد زغلول التعاونى

للدكتور ابراهيم رشاد بك

المطبعة الاميرية . فى ١٦ صفحة

يطرد سير الحركة التعاونية فى جميع الشعوب مع سير الحركة الديمقراطية ، وتقوم نهضة التعاون دائما على مناكب المؤمنين بالنظام الديموقراطى ، فلا عجب اذا كان سعد زغلول ـ وهو الذى خلق الروح الديموقراطى فى هذه الأمة ـ من أهم أركان حركتنا التعاونية . فقد أراد انهاضها ودافع عنها عندما كان فى الجمعية التشريعية ، ومهد لها سبيل النهوض والقوة عندما كان رئيسا للوزارة ، وتولاها برعايته فى كل الظروف حتى قوى أمرها وصارت كما ترى الآن : مبعث النور والرخاء فى كل قرية حلت فيها

وقد وضع الدكتور ابرهيم بك رشاد مدير

التعاون كتابا صغيراً عن جهود سعد زغلول في هذه الحركة ، أبان فيه جهوده العظيمة في سبيل نصرة الفلاح والعامل عن طريق التعاون. والكتاب على ضآلة حجمه قيم ممتع ، لان مؤلفه الذي يتزعم بكفاءته واخلاصه حركتنا التعاونية، يعد في طليعة مفكرينا ، سعة ثقافة ، ودقة بحث ، ونضج تفكير ، ووضوح بيان

المطالعة التاريخية

للاستاذ محمد بك رفعت ، والدكتور زكي علي والدكتور محمد مصطفى زيادة

مكتبة الهلال في ١٢٠ صفحة

أحسنت وزارة المعارف حين عدلت منهج التاريخ الابتدائي الى نحو قصصي ، يستهوي التلميذ الناشيء الذي لم يألف الدراسة الجديدة . فقام جماعة من الاساتذة البارزين في وزارة المعارف والجامعة بوضع كتاب وجيز بسيط ، يصوغ بعض الموضوعات التاريخية صياغة قصصية تقربها من أفهامهم ، بعبارتها البسيطة وعرضها الشوق . وهؤلاء الاساتذة هم :

محمد رفعت بك مراقب تعليم البنات المساعد، والدكتور زكي علي المدرس بكلية الآداب ، والدكتور محمد مصطفى زيادة الاستاذ فيها ، والاستاذ احمد نجيب هاشم المدرس بمعهد التربية للبنات ، والاستاذ سيد احمد خليل ناظر مدرسة السيدة حنيفة الابتدائية

ويتناول القسم الأول منه طائفة من عظماء المصريين القدماء ، وبعض الانبياء الذين تتصل سيرتهم بتاريخنا القديم ، كيوسف وموسى ، فعرضوا سيرتهم عرضا مبسطا واضحا ، يمتاز بما يثيره في النشء من روح الفخر بوطنه والاعتزاز بتاريخه

ولعل أجمل ما في الكتاب ما ورد فيه من الحديث عن حضارة مصر القديمة وأساليب الحياة فيها وذلك بما أورده من أحاديث ممتعة تناولت كثيراً من نواحي تاريخنا القديم وأبطاله البارزين

AT RANDOM

للدكتور زكي أبو شادي

ندوة الثقافة بالاسكندرية في ١٢٠ صفحة

تنتظم هذه المقالات النثارة التي كتبها بالانجليزية الدكتور زكي أبوشادي فكرة واحدة هي السعي الى المثل العليا في شتى نظمنا وأفكارنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية . وهو لا يسعى اليها سعي أصحاب الأحلام الذهبية الغابرين ، بل يفكر فيها على أسس علمية منطقية تعالج المشاكل التي تواجه الشعوب والأفراد في هذه الآونة القلقة العصيبة ، ونستطيع أن نلمس هذه الفكرة في تصفح أسماء هذه الموضوعات : تربية النوع البشري ، ما الذي يمدن الانسان ، العبقرية ، الديموقراطية والديكتاتورية ، الدين النظم والتقدم الانساني ، المساواة بين الجنسين ، الديموقراطية الاقتصادية

والاستاذ المؤلف يعرض أفكار الباحثين في هذه الموضوعات ، وينقدها نقداً دقيقا يثبتها أو يفندها ، ثم يدلي برأيه مدعما بأدلة العالم وحجج الباحث ، مسوقا في أسلوب الأديب ونزعة الشاعر . وهو يرى أن الحضارة الحديثة قد آذنت بالزوال لتخلفها حضارة أصح منها وأرقى .

وتتضح في هذا الكتاب ثقافة المؤلف الواسعة المتشعبة ، فقد قرأ كثيراً من أمهات الكتب في السياسة والاقتصاد والاجتماع والعلوم، وأثبت به أنه ليس طبيبا بارعا وشاعراً مجيداً فحسب ، بل هو باحث مفكر كذلك

الأدب في شهر

ختام فاجع

مدام ماجدا رولنس من أنبغ السيدات الدنمركيات . وقد بدأت حياتها بالاشتغال بالأدب الشعرى ففشلت، فما كان منها إلا أن اتجهت وجهة علمية وظلت تجاهد حتى أحرزت شهادات كبيرة ممتازة فى علمى الطبيعة والكيمياء . غير أن انصراف هذه السيدة الى العلم لم ينسها الأدب . وقد شعرت أخيراً أن فى بلادها عدداً وافراً من شيوخ الادباء العجزة المرضى الذين أقعدهم الفقر عن مواصلة العمل ، وابتلاهم هم وعائلاتهم بشر الآفات ، فعز عليها ان تنتهى حياتهم على هذه الصورة فطافت بهم وجمعت من كل واحد منهم قصيدة أو مقالا ثم طبعتها فى كتاب سمته (ختام فاجع) ثم دارت بالكتاب على زملائها العلماء وقامت فى وفد منهم الى رئيس البلدية تناشده طبع الكتاب على نفقة العاصمة

وقد طبع الكتاب بالفعل وتخطف الجمهور نسخه وعاد بمبلغ وافر جداً أرصدته مدام ماجدا رولنس على بناء ملجأ لشيوخ الأدباء المعوزين

حول الاحتفال بذكرى ديكارت

بمناسبة الاحتفال الأخير بذكرى الفيلسوف الفرنسى الذائع الصيت رينيه ديكارت ، نظمت المكتبة الفرنسية الوطنية معرضا خاصا لاعمال الفيلسوف ومختلف المؤلفات التى وضعت عنه وعن فلسفته . وقد أربت هذه المؤلفات التى وضعت عنه وعن فلسفته على الف كتاب تولى تنظيمها عدد كبير من أمناء المكتبة الوطنية

ومما يجدر بالذكر انهم عثروا بين مخلفات ديكارت على عقد كان أمضاه مع الناشر الذى قام بطبع كتابه الخالد المعروف باسم (دراسة فى الطريقة الفلسفية) . ويتضح من هذا العقد أن الناشر لم يدفع للفيلسوف أى مبلغ من المال ، وأن كل ما فاز به ديكارت هو ٢٠٠ نسخة من كتابه وزعها على أصدقائه ومريديه

ثروات كتاب الانجليز

يربح كتاب الانجليز اموالا وافرة من مؤلفاتهم ، وقد قامت احدى الصحف الباريسية باحصاء دقيق عما خلفه بعض أولئك الكتاب من ثروات فقالت ان الروائى المسرحى جيمس بارى خلف ١٧٣٫٤٦٧ جنيها وهول كين ٢٥٠٫٠٠٠ ورديارد كبلنج ١٥٥٫٠٠٠ ، وتوماس هاردى ٩١٫٠٠٠ وجون جالسورثى ٨٨٫٠٠٠ . وهكذا يقدر الانجليز كبار أدبائهم ويقبلون على التثقف والاطلاع

اكاديمية الشعراء

كانت قد تألفت فى باريس أكاديمية للشعراء باسم أكاديمية (مالارميه) وهو شاعر فرنسى تألق نجمه فى مستهل القرن الحالى . وتمتاز هذه الأكاديمية بقبولها السيدات النابغات فى عضويتها . وقد ورد فى الأنباء الأخيرة أنها انتخبت عضوين جديدين هما الشاعر جان

كوكتو والشاعرة جيرار دوفيل

وقد اشتهر جان كوكتو بقصائده العصرية القائمة على عرض وتصوير خلجات العقل الباطن ومختلف الاحساسات التى تطرأ على الحواس فقط ولا تشوبها شوائب العقل المنطق .

واشتهرت مدام جيرار دوفيل بشعر نسوى حلم رقيق يمثل عواطف المرأة ولاسيما الحب المقرون بالعزم والولاء والتضحية

نظرات فى خلق المرأة

أصدرت الأديبة الانجليزية هيلين جراس كارليل رسالة بحثت فيها بعض أطوار الخلق النسوى . ومما ورد فى هذه الرسالة الطريفة أن المرأة لاتحب الرجل القوى كما يتوهم سواد الناس بل تحب الرجل الذى تشعر بغريزتها أن فيه بعض مواطن الضعف وأن فى مقدورها أن ترعاه وتخدمه وتجعل من ضعفه قوة . وترى مس جراس أن غريزة الحدب والأمومة هى التى تسيطر على المرأة متى أحبت ، لا الحوافز والدوافع الجنسية المجردة ،فهى تنظر الى الرجل الذى تحب نظرة أم من خلال عينى أنثى ، ولذلك تنفر من الرجل القوى المعتز بقوته الذى لايشعر بأية حاجة اليها

فاجعة الفتاة مادلين

هذا هو الاسم الذى خلعته الاديبة الاسوجية ماريا بنكهردت على قصة أخرجتها حديثا وعالجت فيها باسلوب شائق مؤثر ظاهرة من الظواهر العائلية الخطيرة

وهذه الظاهرة هى تهاون الآباء فى اخفاء مشاحناتهم البيتية عن أبصار أبنائهم مما يؤدى الى تسمم أخلاق الابناء . وقد رسمت الروائية الاسوجية صورة مروعة لفتاة شاهدت بعينى رأسها مختلف ضروب النزاع بين والديها فاتحدت بهما وشبت وضيعة النفس ملوثة العاطفة والاحساس تمثل مع زوجها نفس الدور الشائن الذى مثلته أمها مع والدها

وقد أحرزت قصة مدام بنكهردت نجاحا كبيراً لخطورة موضوعها ولشيوع تلك الظاهرة الاجتماعية الوبيلة فى معظم الاسر المولعة بالاسراف فى تقدير الحرية الشخصية

أربع جوائز أدبية

وزعت فرنسا فى الشهر الماضى أربع جوائز من أكبر الجوائز الأدبية وهى جائزة جونكور وفمينا ورينودو وجائزة جمعية الصحفيين

وقد فاز بجائزة جونكور الروائى شارل بلينيه تقديراً لقصتيه (الزواج) و (جوازات سفر مزورة)

وشارل بلينيه أديب بلجيكى الأصل معروف بنزعاته الحرة وميوله الاشتراكية المعتدلة . وقد فازت بجائزة فمينا مدام ريمون فنسان تقديراً لقصتها (الريف) التى أشرنا اليها فى العدد الماضى من الهلال . وفاز بجائزة رينودو أديب يدعى جان روجيسار تقديراً لقصته الأخيرة (مرفال) وهى تتناول أيضا وصف حياة الفلاحين فى الريف الفرنسى . وأما جائزة الصحفيين فقد منحت لجورج بيلمان تقديراً لكتابه (ملذات الحب) وهو دراسة تحليلية عميقة لعاطفة الحب فى قالب قصصى

فى الادب الامريكى

جون دوس باسوس من أقدر كتاب أمريكا المعاصرين ومن أنبغ الروائيين فيها . وقد أصدر

قصة جديدة عنوانها (عام ١٩١٩) . وفى هذه القصة التى صادفت من الجمهور أعظم اقبال رسم الكاتب مرحلة خطيرة من تاريخ بلاده وتاريخ أوربا . وهى المرحلة التى اجتازها المجتمع الغربى عقب انتهاء الحرب العالمية واعلان الهدنة

فتداعى المبادىء القديمة وشيوع خاصة المرح والاستهتار وانتشار الاخلاق المشبعة بنزعات التمرد والفوضى والناشئة عن ويلات الحرب وآلامها ، كل ذلك عالجه جون دوس باسوس فى قصته فسجل بها صفحة هامة من تطور العالم ، وقد ترجمت هذه القصة اخيراً الى الفرنسية وبيع منها فى اسبوع واحد الف نسخة

هدايا الاطفال فى الاعياد

اعتزم ناشر مجرى فى بودابست إصدار عدد من الكتب المصورة الجميلة تقدم للاطفال فى الأعياد

ولم يفكر هذا الناشر فى طبع قصص أوربية غريبة الوقائع من أمثال قصص أندرسن وبيرو التى اعتاد أطفال أوربا مطالعتها . ولكنه رأى أن يختار عدداً من قصص « الف ليلة وليلة » ثم يهذبها ويعهد الى بعض كبار المصورين برسم حوادثها . وقد أخرج مشروعه بالفعل وأصدر آلاف النسخ من هذه القصص . وتقول صحيفة (سوسوار) الفرنسية إن أصحاب المكاتب تهافتوا على شرائها وإن الناشر باع منها حتى الآن مايربى على ٢٠٠ الف نسخة

كتاب عن الحب

يعتبر جاك شاردون من أبرع أدباء فرنسا فى معالجة مشاكل الاسرة والزواج والحب . وقد أخرج كتابا حديثا هو مجموعة خواطر وملاحظات عن هذه العاطفة وعلاقتها بحياة الفرد . ومن أعمق ماجاء فيه هذه الخواطر :

الابوة أقوى فى نفس الرجل من عاطفة الحب الجنسى . ومولد الطفل يكشف للرجل عن عالم أرحب وأعزز الف مرة من ذلك العالم المشوش المضطرب الذى يكشفه له الحب

ان المرأة التى تحبها ولا تحبك تظل فى نظرك على الدوام سراً غامضا

المرأة يغيرها الحب ويبدلها تبدلا تاما . ومتى أحبت النساء تشابهن فى الخلق والطبع وفى كل شىء

ان غاية الحياة فى نظر الرجل هى عمله وجهاده ، ومن المحال أن تجد رجلا غايته الوحيدة فى الحياة أن يحب امرأة . وهذا ما لا تستطيع النساء أن تفهمه

الدهماء والجماهير

أخرج كاتب فرنسي يدعى أندريه جوسان كتابا عن نفسية الدهماء أثار ضجة كبرى فى الدوائر الاجتماعية الأوربية

وهذا الكتاب ينهض على نظرية جديدة تخالف النظرية التى نادى بها جوستاف لوبون فيما مضى وحاول ان يثبت بواسطتها أن الجماهير لا عقل لها ولا فكر وان حكومة الجماهير أى حكومة الديموقراطية لا يمكن أن تعيش وتنمو وتخلق أمة قوية متماسكة . ويرى أندريه جوسان أن الجماهير شىء وأن الدهماء شىء آخر . فالجماهير هى الكتل التى تنتظم فى شكل هيئات وجماعات وأحزاب تعبر عن مختلف آراء الأمة وتستطيع أن توجه رجال الحكم ، وأما الدهماء فهم سواد الشعب الذى لا يفكر ولا يقبل الانتظام فى أى هيئة مفكرة بل تبدو ميوله وعواطفه فى فورات

متقطعة يمكن أن تهدد نظام الدولة . فالدهاء هم الذين تنطبق عليهم آراء جوستاف لوبون ، وأما الجماهير فهى القوة العاقلة التى تمزج العاطفة بالفكر وتؤثر فى حكومة الدولة . واذن فالدهماء مخربون وأما الجماهير المنظمة فتبنى . ولاشك أن جميع مبادىء الحرية والعدل والمساواة وجميع ضروب الجهاد السياسى خرجت من هذا النوع الناضج من الجماهير

شكسبير الخالد

من أعجب الظواهر الدالة على خلود شكسبير وحاجة كل عصر اليه أن سبع تراجم جديدة ظهرت لبعض رواياته فى امم مختلفة وفى شهر واحد . فقد نقلت الى الفرنسية لرابع مرة رواية (العاصفة) ونقلت (هملت) لخامس مرة الى الألمانية و (عطيل) لعاشر مرة الى المجرية و (حلم ليلة صيف) لثالث مرة الى البولونية . وكذلك أعيدت ترجمة (مكبث) و (ترويض الشريرة) و (عطيل) الى اللغة الرومانية

دانونزيو كاتب فرنسى

لم ينبغ شاعر ايطاليا جبرييل دانونزيو فى الأدب الايطالى فحسب . بل تفوق تفوقاً ملحوظاً فى الأدب الفرنسى أيضاً . وكان قد وضع فيما مضى باللغة الفرنسية مسرحية (استشهاد القديس سباستيان) التى مثلتها ايدا روبنشتين على أكبر مسارح باريس

وفى الأنباء الأخيرة أن دانونزيو أنجز مسرحية جديدة باللغة الفرنسية عن بطلة من أبطال التاريخ الفرنسى تدعى (جان هاشيت) . وقد شاع بهذه المناسبة ان فرنسا تفكر فى ادماج دانونزيو فى عضوية مجمع الدراسات الاجتماعية وفى الكرسى الذى خلا بوفاة المسيو مازاريك رئيس جمهورية تشيكوسلوفكيا السابق

البابا والعلوم البيولوجية

ورد من مدينة الفاتيكان ان البابا بيوس الحادى عشر وضع جائزة مالية تقدر بـ ٢٥ ألف ليرة ايطالية تمنح فى كل عام لأبدع كتاب يظهر فى العلوم البيولوجية

ويلاحظ ان الفاتيكان لم يحدد جنسية الكتاب بل ترك باب المباراة مفتوحاً لكل مفكر

أخلاق العظماء

عثروا فى مخلفات المؤرخ الشهير هيبوليت تاين على مخطوط بقلم كارليل يتحدث فيه الكاتب الانجليزى عن أخلاق العظماء . ومما ورد فى حديث كارليل أن عظماء رجال الفكر لم يتمكنوا من ابراز جوانب العظمة المنطوية عليها نفوسهم إلا بالخضوع التام أول الامر لمن هم أقوى منهم ذهناً وأغزر عبقرية . فالاعجاب هو فى نظر كارليل منشأ العظمة ومبعثها . ومن المحال أن يستقر الاعجاب فى نفس انسان الا متى أنكر شخصيته انكاراً موقتاً وتواضع أمام من هو أعظم منه وراض عقله وذهنه على اعتبار سواه مثلاً أعلى . وأما الكبرياء، فلازمة للعظيم كى لايفقد ثقته بنفسه ، ولكنها إن طغت عليه وأفقدته خاصة الاعجاب بغيره استحالت الى مرض وبيل . واعراض هذا المرض هى الحسد والغيرة والأنانية . ومتى استفحلت الأنانية وتأصلت فى شخصية عظيم أصيب هذا العظيم بالعجز عن رؤية العالم ورؤية الناس ، وتوجه بكليته الى عبادة شخصه ، وهكذا يسدل بينه وبين حقائق الكون حجاب كثيف

بين الهلال وقرائه

الاسلام فى بولونيا

(الخرطوم - السودان) احمد احمد بدوي

قرأت فى بعض الصحف أن الدين الاسلامى منتشر فى بولونيا انتشاراً كبيراً . فما هو عدد المسلمين هناك، وما هو مركزهم الادبى والمادى ، وحالتهم الاجتماعية والاقتصادية ؟

(الهلال) صدر فى مصر منذ عامين كتاب عن « الاسلام فى بولونيا » وضعه طالب بولونى يدرس فى الازهر هو الاستاذ على اسماعيل فوروتوفتش ، وأديب مصرى زار بولونيا هو الاستاذ محمد سيد الحموى . وقد عرضنا فيه تاريخ الاسلام فى بولونيا وما لاقاه من اضطهاد الى أن استقر فيها وصار لاتباعه مكانة بارزة فى الحياة الاجتماعية هناك . ونستق من هذا الكتاب إجابتنا على هذا السؤال :

يبلغ عدد المسلمين فى بولونيا زهاء ١٢ ألف نسمة حسب تعداد سنة ١٩٣٣ . وهم يقيمون فى نحو ثلاثين قرية منتشرة فى الجهة الشرقية الشمالية من أرض الدولة . وفى هذه القرى مساجد كثيرة يقيمون فيها شعائرهم الدينية

واكثر المسلمين هناك يعملون فى زراعة الارض وفلاحة البساتين وهم على جانب من الرخاء . وكثير منهم يشغل مراكز رفيعة فى الحكومة والجيش . ومنهم مهندسون وأطباء ومحامون كثيرون . وقد انقضى عهد الاضطهاد الدينى . وأخذ المسلمون يعيشون فى صفاء مع اخوانهم المسيحيين . وليس أدل على ما بين الفريقين من وفاق وتعاون أن الفيكونت زاموبسكي تبرع فى منتصف القرن الماضى ببناء مسجد للمسلمين . وأن الفيكونت يوسلوفسكي تبرع بتوريد الخشب لبناء مسجد آخر . وكذلك فعل الجنرال رومانفتش المسلم حين تبرع بتوريد الخشب لبناء كنيسة مسيحية سنة ١٩٣٠

وحياتهم الاجتماعية خليط من التقاليد الشرقية والنظم الغربية . ولا تعرف المرأة الحجاب وهى تتمتع بجزء كبير من الحرية . ولهم جمعيات كثيرة تعنى بشئونهم الدينية والاجتماعية والمادية . ولتتبين ما للمسلمين فى بولونيا من مكانة ، حسبك أن تعرف أن فيها ست مجلات خاصة بهم تصدر بالبولونية والتركية والروسية وغيرها من اللغات . وعلى الجملة فان المسلمين البولونيين على جانب كبير من التعلم والرخاء بفضل ما تحبوهم به الحكومة والشعب من رعاية وتسامح

الاذاعة اللاسلكية فى مصر

(كاكسياس - البرازيل) توفيق سمعان

ما هى أوقات الاذاعة اللاسلكية فى القاهرة ؟ وما هو الفرق فى الزمن بين مصر والبرازيل لنعرف متى نوجه جهاز الالتقاط الى مصر؟ وما عدد « الكيلو سيكل » التى يمكن بها التقاط هذه الاذاعة ؟ وهل توجد محطة للاذاعة اللاسلكية فى فلسطين ؟

(الهلال) تختلف أوقات الاذاعة اللاسلكية فى القاهرة حسب اختلاف الفصول وكذلك الأيام . ففى الصيف تبدأ مبكرة عنها فى الشتاء . ومواعيد الشتاء هى : من الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين صباحا الى الساعة السابعة والدقيقة الخمسين . ومن الساعة العاشرة الى الساعة الحادية عشرة . ومن الساعة الثانية والدقيقة العاشرة الى الساعة الثانية والدقيقة الخمسين . ثم من الساعة السابعة والنصف مساء الى الساعة الحادية عشرة . وهذا فى أغلب أيام الاسبوع

وعدد الكيلوسيكل اللازمة لمحطة مصر هى ٦٢٠ كيلو سيكل وطول موجتها ٤٨٣٫٩ متر . وهناك محطة اضافية طول موجتها ٢٢٢٫٦ متر ، وعدد الكيلو سيكل ١٣٤٨

والقاهرة تقع على خط طول ٣٠ شرق جرينوتش والبرازيل يخترقها خط طول ٤٠ غرب جرينوتش .

واذاً فالفرق بين مصر والبرازيل ٧٠ درجة طول . وحيث ان كل ١٥ درجة تحدث فرقا في الزمن قدره ساعة ، اذاً يكون الزمن في القاهرة سابقا الزمن في البرازيل بمقدار ٧٠ ÷ ١٥ يساوي أربع ساعات وأربعين دقيقة ، وبحكم على هذا أن تعرفوا أوقات الاذاعة عندكم

وتوجد في فلسطين محطة للاذاعة اللاسلكية قوتها ٦٦٨ كيلوسيكل وطول موجتها ٤٤٩,١ متراً

قرارات مجمع اللغة العربية

(جبيل — لبنان) الأب بطرس السكفوني اللبناني

أرى أن تنشر « الهلال » في كل عدد منها بعض الألفاظ التي يقررها مجمع اللغة العربية الملكي ، ليتيسر لنا فهمها اذا قرأناها ونعبر بها في الحديث والكتابة

(الهلال) يصدر مجمع اللغة العربية مجلة حافلة بالمصطلحات التي يقرها أعضاؤها بعد البحث والنقاش . ويجدر بأبناء لغة الضاد جميعاً أن يطالعوا هذه المجلة لأن الألفاظ التي يقرها المجمع تتعلق بشتى العلوم الحديثة وبكثير من الشؤون العامة . وهي تشتمل فضلا عن هذا على المصطلحات التي يقترح بعض الباحثين إقرارها وعلى بحوث كثيرة في مسائل اللغة يضعها أعضاء المجمع وكبار اللغويين

ولا يتسع نطاق «الهلال» لنشر كل المصطلحات التي يقرها المجمع أو يقترحها أعضاؤه . فنكتفي بما قد يذكره كتاب «الهلال» في مقالاتهم من هذه الألفاظ. ونرى أن يعنى قراء العربية بمطالعة مجلة المجمع التي صدر منها ثلاثة أعداد . تطلب رأساً من ادارة المجمع (وعنوانه ١١٠ شارع القصر العيني بالقاهرة)

مجلة عربية لفن التصوير

(جبيل — لبنان) ومنه

هل تصدر في مصر مجلة مصرية خاصة بفن التصوير؟

(الهلال) تعنى بعض المجلات العربية بفن التصوير . فتنشر بعض الآثار التي ينتجها الفنانون المصريون والأجانب ، وتنشر عنهم بعض المقالات والدراسات الممتازة . وسيعنى الهلال قريباً بنشر بعض الآثار الفنية الممتازة وشرحها والحديث عن مبدعيها . ولكن لا تصدر بالعربية مجلة خاصة بفن الرسم ولا بفن التصوير الفوتوغرافي

برنارد شو والاسلام

(كوستانتي — صولو) عبد الرحمن بن نوح

ما هو الدين الذي يعتنقه برنارد شو ؟ وما الذي حدا به الى أن يقول ان الاسلام دين المستقبل . وان الغرب سيدين به بعد نصف قرن ؟

(الهلال) الدين « الرسمي » الذي يعتنقه برنارد شو هو المسيحية . ولكن المسيحي المؤمن يرى في كتب برناردشو ما يعده الحاداً في المسيحية . وهو وكثير من أمثاله لا يقبلون ما تذكره الأديان من معجزات وملائكة وحساب وعقاب وجنة ونار . . الخ .. بل هو يعتقد أن « الله » ليس سوى « ضمير » الانسان الذي يحاسبه حين يخطىء ، ويشرح حين يصيب . على أنه في عرف الكثيرين رجل مؤمن شديد الايمان ، بعيد عن الكفر بالله كل البعد ، وهو يحفظ الانجيل جيداً ويمثل بآياته في حديثه وفي كتاباته

ولا نعرف أن برنارد شو قال ان الاسلام دين المستقبل ، وانه سيسود الغرب بعد نصف قرن . ولكنه في كتاب « البربرية تبحث عن الله »
The Black Girl Search for her God.
ذكر على لسان عربي — لعله رمز الى محمد نبي الاسلام — أن المسلمين سوف يحكمون الارض

ولم يقل برنارد شو بعد هذا اني أرى صحة هذا الرأي . ولم يورد من الأدلة ما يثبته ويؤيده . وان كان حديثه عن الاسلام فيه كثير من التمجيد والاكبار، حتى ان بعض ما يعده الآخرون نقائص فيه يراه هو فضائل يشاد بها . فهو يرى أن تعدد الزوجات نظام حسن ، لأنه خير للحسناء امرأة أن تشترك في رجل ممتاز ، ينجبن منه أطفالا ممتازين ، من أن تنفرد كل منهن برجل ضعيف الجسم والعقل والخلق . .

السل الفقرى

(بيروت — لبنان) م . ا .

أصيب صديق لى منذ سنتين بمرض «السل الفقرى» فقد وجدت الفقرة التاسعة من سلسلته الفقرية تحت أشعة اكس مصابة بالسل . وقد أشار عليه الأطباء بالراحة وتناول الدواء ولكن هذا لم يجد نفعاً . فرأيت أن أسألكم : ما سبب هذا المرض ؟ وهل له من علاج ؟ وهل من أمل فى الشفاء منه ؟

(الهلال) هناك نوعان من السل : الرئوى والجراحى . والأول يصيب الرئة والثانى يصيب أى عضو آخر من الجسم ، فيأتى فى القلب أو المعدة أو الساق أو العمود الفقرى . . الخ . واذا أصيبت به احدى فقرات السلسلة الفقرية تآكلت شيئاً فشيئاً حتى تزول أو تسقط ، ثم تلتئم السلسلة ولكن بعد حدوث انحناء فيها ، هو ما يعرف باسم الحدب أو « القتب » وهذا العيب ينشأ إما عن اصابة بالسل الفقرى وإما عن اصابة بمرض الكساح

ومرض السل بنوعيه لا يورث ، ولا ينشأ ميكروبه من الجسم ، وانما ينتقل الى السليم من انسان أوحيوان مريض ، كأن ينام فى فراش شخص مصاب به ، أو يشرب لبن بقرة مسلولة . وقلما ينجو انسان من الاصابة بميكروب هذا المرض ، ولكن اكثر الاجسام تقاومه وتقضى عليه . أما فى الجسم الضعيف فيستطيع هذا الميكروب أن يقوى ويتكاثر حتى يودى به ، اذا لم يبادر المريض الى العلاج

وقد أثبتت التجارب الطبية ألا دواء للسل سوى الراحة التامة للجسم كله أو للعضو المصاب به فحسب ، ولهذا انشئت مصحات خاصة يستمتع فيها المريض بالراحة التامة فى غرف تنفذ اليها أشعة الشمس ويتجدد فيها الهواء النقى ، وتتيسر فيها التغذية الكاملة ووسائل نسيان الهموم والمشاغل ، وذلك تقوية للجسم كى يقاوم ميكروب المرض . وقد يتناول المريض بعض الادوية بقصد تقوية جسمه ، لا بقصد قتل الميكروب

وفى مصر مصحتان : احداهما فى حلوان وهى للسل الرئوى ، والاخرى فى الاسكندرية وهى للسل الجراحى . والمدة التى يقضيها فيها المريض تتراوح حسب درجة تمكن الداء منه ، وان كان علاج السل الرئوى أيسر من علاج الجراحى

ايروس وبسيشيه

(الاسماعيلية — مصر) عبد العزيز محمد عبد الهادى

نشرت فى هلال نوفمبر سنة ١٩٣٥ صورة ايروس وبسيشيه » المعروضة الآن بمتحف اللوفر ، فأريد أن أعرف شيئاً عن القصة التى تعبر عنها

(الهلال) تمثل هذه الصورة أسطورة اغريقية خلاصتها ان « ايروس » — أحد آلهة الحب وابن فينوس إلاهة الجمال — كان يطير فى فضاء العالم عندما ينتهى الشتاء ويبدأ الربيع ، فيورق ويزهر كل ما يصادفه من الأشجار ، وكذلك كان يلقى سهامه هنا وهناك فضلاً كل قلب تصيبه بالحب والهوى . وسمعت « فينوس » أن فتاة اسمها « بسيشيه » هى ابنة أحد الملوك قد فتنت الرجال بجمالها الرائع ، فانصرفوا اليها عن إلهة الجمال ذاتها ، فحقدت عليها أشد الحقد وأرسلت ابنها ليلقى فى قلبها سهماً ، وسهماً آخر فى قلب رجل قبيح دميم ، عقاباً لها على تحديها إلاهة الجمال وتبرزها عليها

ولكن لم تكد تقع عين ايروس على بسيشيه حتى بهرته روعة الجمال وأذهلته ، فأحبها ، وحملها الى قصر أقامه فوق ربوة عالية ، وراح يزورها خفية فى ظلام الليل ، وقد أوصاها ألا تشعل ناراً ولا نوراً لئلا تراه أبداً . وسمع أخوات « بسيشيه » بما جرى فقلن لها ان هذا الحبيب عفريت شرير ، فلما جاء ذات ليلة واستلقى الى جانبها نائماً ، أشعلت مصباحا لتراه ، فوقعت قطرة من زيته على وجه «ايروس» فاستيقظ من نومه جافلا ، وغاب عن بصرها الى الأبد . .

والقصة كما ترى رمز جيل للحب الذى ينتهى أمره ساعة أن يعرف ويكشف سره ، ويرى أفلاطون أن هذه القصة رمز الى الحب الروحى — الافلاطونى كما يقال — فى أسمى معانيه . وهناك صور كثيرة لهذه القصة التى تروى فيها روايات غير هذه ، واذا كنتم تعرفون الانجليزية فاقرأوا هذا الكتاب :

The Story of Cupid and Psyche, by L.C. Purser

وكلاء الهلال

فى الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
فى البرازيل		Snr. M.N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo (Brazil)
فى اللاذقية	سوريا	الخواجه نخله سكاف
فى انطاكية	سوريا	انيس افندى انطونيوس لاذقانى
فى اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قرى
فى طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندى حصنى - غرفة القراءة الامريكية
فى حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
فى الناصرة	فلسطين	موسى افندى خميس
فى بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندى طاره ٩ شارع اياس بيروت
فى دمياط		زكريا افندى الحزاوى، ناظر مدرسة الحزاوى
فى حلب	سوريا	عبد الودود افندى الكيالى صاحب المكتبة العصرية
فى مكة وجدة والحجاز		هاشم افندى على النحاس ص . ب ٩٧ مكة
فى الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
فى جاوه		Mr. Abdullah Bin Affif—Cheribon Java
فى القاهرة وضواحيها		عوض افندى فهمى

المصالحة

بقلم الاستاذ احمد امين

استاذ الادب العربي بالجامعة المصرية

« ... كثيراً ما يؤدي التعصب لوجهة النظر الشخصية الى شر النتائج . والخير كل الخير فى اجراء المصالحة بين الطرفين المتخاصمين أو بين الحزبين المتنافرين بحيث ينزل كل منهما عن شيء من مطالبه . وهكذا يتحقق الحل الوسط الذى يحسم النزاع ويقرب بين وجهات النظر .. »

من الواضح أن اللغة الحية تتبع الحياة الواقعية للامة التى تتكلم بها ، فاذا استعملت الأمة آلة من الآلات أوجدوا لها اسما للتعبير عنها واذا اخترعوا مخترعا أو استكشفوا عنصراً أو ركبوا تركيبا جاءت اللغة مباشرة فكملت نقصها بوضع اسم لذلك الشيء الجديد ، فتمشت اللغة مع العلم والفن والصناعة ـ وكذلك الشأن فى المعانى ، فاذا استكشفوا ظاهرة فى علم النفس وضعوا لها اسما واذا شعروا بمعنى من المعانى فكذلك . ويكثر استعمال الالفاظ فى اللغة ويقل بقدر وقوع الشيء فى الحياة العملية وأهميته ، على حين أن أمة أخرى لا تستعمل هذا اللفظ فى لغتها ولا ما يرادفه ويقابله لأنها لم تشعر بهذا المعنى ولم تستعمله

سقنا هذه المقدمة لمناسبة أننا رأينا فى اللغة الانجليزية كلمة تدور على ألسنتهم كثيراً ويستعملونها فى كتبهم كثيراً ثم لا نجد لها مقابلا يستعمل كثيراً فى لغتنا العربية ، وهذه الكلمة وأمثالها فى اللغة الانجليزية يصقلها الاستعمال ويتحور مدلولها على ممر الأزمان تبعا لما يجرى عليه العمل

تلك الكلمة هى Compromise وقد تنقلت فى استعمالات مختلفة حتى صارت الآن تستعمل بمعنى حسم النزاع بين فردين أو أمتين أو حزبين ، وذلك بتنازل كل منهما عن شيء من وجهة نظره ومن مطالبه واتفاقهما بعد ذلك على نتيجة هى وسط بينهما ، أخذت بطرف من هذا وطرف من ذاك وقربت بين وجهة نظر هذا ووجهة نظر ذاك

وهذه الكلمة بهذا المعنى تدور فى الكتب وعلى الألسنة دورانا كبيراً لان حياة الانجليز الأخلاقية والسياسية تخضع لهذا المعنى كثيراً ، فهو مسلكهم فى فض النزاع بين الافراد فى المعاملات اليومية وفى الخلاف بين أفراد الأسرة وفى الاحزاب السياسية وفى المفاوضات بين الدول وهكذا ،

الهلال

مارس ١٩٣٨

وعلى الجملة فقد استعملوا هذا المعنى كثيراً فى حياتهم فكثر استعماله فى لغتهم

ولكنا لا نستعمله كثيرا فى حياتنا فلم نشعر بما يلجئنا الى استعماله فى لغتنا ، فانا اذا تنازع فردان منا أو حزبان صمم كل منهما على وجهة نظره الى النهاية غالبا مهما كانت نتيجة ذلك من الخراب ، واعتقد الاعتقاد الجازم أن رأيه كله صواب لا محالة ورأى مخالفه كله خطأ لا محالة . ولأجل هذا لا يسمح أن يدخل فى صوابه شىء من خطأ مخالفه ـ أما هذا الخلق التى تدل عليه هذه الكلمة الانجليزية فيتطلب أن يحترم ذو الرأى رأى مخالفه ثم يجيز فى باطن نفسه أن يكون رأيه خطأ ورأى مخالفه صوابا ، أو على الاقل يجوز أن يكون فى رأيه بعض الصواب وبعض الخطأ وفى رأى مخالفه بعض الصواب وبعض الخطأ فيحملهما ذلك على أن يتقاربا ويتفقا على حل وسط

لا أجد أقرب في اللغة العربية للدلالة على هذا المعنى من كلمة « مصالحة » ، فمن معانى المصالحة القانونية فى كتب الفقه أن يكون بين اثنين خصومة وكل منهما يدعى بحق فيأخذ كل منهما بعض حقه ويتنزل للآخر عن بعض حقه ، فاذا وسعنا هذا المعنى وجعلناه يطبق على المعنويات كما طبق على الحقوق المالية كانت هذه الكلمة أنسب للدلالة على كلمة Compromise الانجليزية ، ثم اذا أكثرنا استعمال هذا المعنى فى حياتنا اليومية اضطر الناس للتعبير عنه بهذا اللفظ فصقل وأخذ حيزه من الافكار ومن المعاجم

وبعد ، فما الدائرة التى يستعمل فيها هذا اللفظ ، وأى مناحى الحياة يستخدم فيها هذا المعنى ؟

إنى أرى أن الحياة العملية فى جميع مناحيها مضطرة الى استخدام المصالحة أو التصالح ، وهذا من أهم الفروق بين المنطق النظرى والحياة العملية ، فالمنطق بنظرياته يحكم أحكاما صارمة فهذا أبيض وهذا أسود ولا شىء من الأبيض بأسود ، وهذه القضية صحيحة أو خطأ ولا شىء بينهما ، وهذا الرأى حق أو باطل لا محالة . أما الحياة العملية فليس فيها هذه الأحكام القاطعة الحاسمة ، ولكن فيها المصالحة سواء كان ذلك فى النواحى الاخلاقية أو القانونية أو السياسية ، فكل انسان ان دققت النظر فيه ـ مسرح صغير تلعب فيه الفضيلة والرذيلة وتتحاربان ثم تتصالحان على أن تتنازل الفضيلة عن بعض تشددها وتتنازل الرذيلة عن بعض استهتارها . وما الفضيلة فى الحقيقة إلا الرذائل معدلة أو منقحة

فالانسان المتوحش كان يعيش بغرائزه فلما تمدين عدلت هذه الغرائز المتوحشة وسميت فضائل . فالفضائل بالنسبة للرذائل كالزهرة فى البستان والزهرة فى الوادى أو كالقط المستأنس بالنسبة الى القط المتوحش فالشبق عند المتوحش تحول الى حب لطيف فى المدنية ، والقتل والغارة والانتقام عند المتوحشين دخل فيها العقل والنظام ، فصارت قانونا وسياسة وعدلا عند المتمدنين . والأنانية عدلت فصارت الثقة بالنفس واحترام النفس ونحو ذلك مما يعد فضائل ، والحرب بين الافراد والجماعات دخلها التعديل فسميت منافسة مشروعة كالمنافسة بين التجار والعلماء والأدباء ، والمنافسة

الهلال

الجزء الخامس ـ السنة ٤٦

اول مارس ١٩٣٨ ـ ٢٩ ذو الحجة ١٣٥٦

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt

(1 March 1938)

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Sudan P.T. 85. — Syria, Lebanon, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100. — Other countries P.T. 120 or £ 1-7-0 or $ 6.50.

هدايا الهلال

أهدى الهلال من دفعوا قيمة الاشتراك فيه كاملة هذا العام خمسة كتب قيمة شائقة تتناول نواحي شتى من الثقافة العالية وهي :

(١) تاريخ الحب للاديبة الفرنسية مارسيل تينير وترجمة الاستاذ ابراهيم المصرى

(٢) الماضي الحي قصة تحليلية للاديب الفرنسي العظيم جي دي موباسان

(٣) تاريخ الفن المصرى القديم للاستاذ محرم كمال الأمين المساعد بالمتحف المصرى

(٤) تقويم الهلال ـ مجموعة تقاويم الهلال تؤلف دائرة معارف قيمة ممتعة

(٥) نوابغ الشباب للاستاذ احمد قاسم جودة

بين الأمم لتتبوأ كل منها خير مركز فى المدنية . ومالنا نذهب بعيداً ونظرية أرسطو فى الأوساط وهى أن كل فضيلة وسط بين رذيلتين ، ليست في الحقيقة إلا من هذا القبيل أى أن هناك رذيلتين تعادلتا وتصالحتا فكان منها الفضيلة ، فالجبن والتهور تصالحا فكانت الشجاعة ، والبخل والسرف تصالحا فكان الكرم ، والفجور والخمود تصالحا فكانت العفة

بل لعل هذا هو الشأن فى العلم والأدب . فالخرافات وأوهام المتوحشين صارت خيالا خصبا عند المتمدينين ينتج الشعر والقصص ، والتنجيم عند الأولين صار علم الفلك عند الآخرين ، والسحر والكهانة فى الجاهلية أصبحا علم النفس فى العصور الحديثة ، وتحويل المعادن الى ذهب فى القرون الوسطى أصبح الكيمياء فى القرون القريبة ، ووصفات العجائز والمعالجة بالتجارب أصبحت على مر الزمان علم الطب بعد ان دخلها كلها التعديل والمصالحة

وهذا هو الشأن فى القضاء ، فى القضية يتولى محامون جانبا من جوانب القضية يبذلون علمهم وفصاحتهم ومهارتهم الخطابية والقانونية فى بيان أحقية جانبهم ، ويفعل مثل ذلك محامو الجانب الآخر ــ ثم يقف القاضى موقف الناظر الى الجانبين ويفاضل بين وجهتى النظرين ، فقد يقتنع بجانب منهما ويقضى به ، ولكن فى كثير من الاحيان يلجأ الى المصالحة ، ولست أعنى أن يصلح بين الخصمين ولكن أعنى أن يرى لكل خصم جانبا من الحق وجانبا من الباطل فيصالح بين وجهتى النظر ويشتق منهما معا حكمه فهذا هو التصالح

فان نحن جئنا الى السياسة فمجال القول ذو سعة فى التصالح ــ فالاحزاب السياسية البرلمانية تقوم فى قضايا الأمة العامة مقام المحامين فى القضايا الشخصية فى المحاكم : كل يؤيد رأى حزبه ويدعمه بالحجج ويبين الخطأ فى وجهة نظر خصمه ، ثم يقوم الاقتراع على الرأى مقام القاضى فى المحاكم ، وفى كثير من الاحيان تكون المصالحة أيضا أعنى أن يتنازل كل حزب عن بعض رأيه ويأخذ ببعض رأى الآخر وهكذا ، نزولا على قاعدة أن كل حزب يجب أن تسيره مصلحة الأمة لا مصلحة حزبه الخاص

فمعنى الحزب السياسى جماعة لهم مبادىء معينة يرون أن الحكومة يجب أن تسير عليها لتحقيق مصلحة الامة ، ولهم وسائل معينة فى تحقيق هذه المبادىء ، ولهم خطة معينة فى ترقية الامة من ناحية يرون أنها أهم النواحى ، وهم يعملون للوصول الى الحكم لتحقيق هذه الاغراض النافعة للأمة

والحكم فى صلاحية حزبهم أو بعبارة أخرى فى صلاحية مبادئهم أو عدم صلاحيتها هو رأى الامة فى الانتخاب

ولكن مبادىء كل حزب اذا نزلت من سماء نظريتها الى حياتها الواقعية تبين أنها فى حاجة الى تعديل واصلاح وأن مبادىء الاحزاب الاخرى قد يكون فيها من الخير ما ليس عند غيرها ، فتتصالح المبادىء



عيد ميلاد جلالة الملك

صاحبا الجلالة الملك والملكة والى يمينهما جلالة الملكة نازلى بين سمو الاميرتين فوزية وفائزة ، والى يسارهما عظمة السلطانة ملك فى الحفلة الساهرة التى أقيمت فى قصر عابدين مساء ١١ فبراير الماضى احتفالا بعيد ميلاد جلالة الملك

وأساس هذا التصالح والباعث عليه هو « تحصيل الخير للامة » فمتى اتخذ هذا مقياسا تلاشت الى درجة كبرى المصالح الشخصية والاغراض الحزبية ، ودخل هذا الاساس يعدل حدتهم ويقرب بين وجهة نظرهم . وهذا المبدأ ـ أعنى مبدأ المصالحة ـ يتطلب من الشخص ومن الحزب سعة النظر ، فصاحبه يعتقد أنه يرى المسألة من جانب وأن خصمه يرى المسألة من جانب آخر ، وأن كل جانب قد يكون فيه حق وباطل ، وأنه هو نفسه قد يكون مبطلا ويكون خصمه محقا ، وقد يكون من الخير أن ينظر الى المسألة من الجانبين معاً ويؤخذ منهما مقدار الحق فيهما

فهذا النظر يلطف حدة كل من المتخاصمين ويحمل كل خصم على احترام خصمه كما يحترم نفسه ، وألا يعتقد أنه هو وحده العاقل الامين وأن خصمه هو الجاهل الخائن ، بل يعتقد أن له وجهة نظر جديرة بالاحترام ولخصمه وجهة نظر أخرى جديرة بالاحترام كذلك

وبعد فلعل ما يصيب الشرق الآن من اضطراب سياسى سببه أنهم لم يعرفوا هذا الخلق ـ خلق المصالحة ـ ولم يفهموا سره ، ولذلك لا يجدون أنفسهم فى حاجة الى البحث عن كلمة تدل عليه

أعتقد أن الخصومات الفردية تتلطف كثيراً بهذا الخلق وأن الخلافات الحزبية تفقد حدتها إذا سارت عليه

فهذا الخلق يجعل الاحزاب السياسية المتنازعة تحترم وجهة نظر خصومها وتنظر اليهم كاشراف لا مجرمين ، وتعاملهم معاملة الند لا معاملة المتهم، وترى أن الحزب اذا تولى الحكم فليس يحكم حزبه ولكنه يحكم الامة على اختلاف أحزابها ، فهو مطالب أن يعدل فى خصمه كما يعدل فى مؤيده ـ وهذا الخلق يجعل صاحبه ينظر الى خصمه كما تنظر كل فرقة فى لعب الكرة الى الفرقة الاخرى ، كلهم يتسابقون ويتراكضون وكل فريق يود الغلبة ولكن قانونهم جميعا فى اللعب هو قانون الشرف ، فاذا انتهى اللعب صافح كل خصم خصمه ولا غل ولا ضغينة ، وتبين لهم أن الخصومة كانت مصطنعة وأن الغرض قد تحقق للغالب والمغلوب معاً ـ وهو الرياضة البدنية للجميع

كم أتمنى أن يتنبه الناس لهذا الخلق خلق المصالحة Compromise وأن يكرروه وأن يستعملوه فى لغتهم وفى معاملتهم وأن يضعوه فى أول ثبت الاخلاق بجانب الصدق والشجاعة والعدل

احمد أمين



الرازى فى امريكا

تعد جامعة برنستون فى امريكا مثابة البحث فى تاريخ العرب وحضارة الاسلام ، فقد أنشئت فيها « دائرة العلوم العربية والاسلامية » التى يتولى التدريس فيها جماعة من الباحثين المجيدين شرقيين ومستشرقين برآسة الاستاذ فيليب حتى . وقد رأت الجامعة أن تخلد ذكرى طبيب العرب العظيم « الرازى » الذي ترك أثرا واضحا فى تاريخ الطب ببحوثه المبتكرة وكتبه الشاملة . فوضعت صورته منقوشة على لوح زجاجى بين مجموعة من صور مثلها تمثل من خدموا التفكير العلمى فى جميع العصور . وقد أهدى الجامعة هذه الصورة الطبيب الامريكى « بول ادمجون » الذى درس أعمال الرازى وتبين أثره العميق فى تاريخ الطب ، وهى تمثل الرازى يكتب مؤلفه العظيم « الحاوى » الذى توجد منه نسخة خطية فى مكتبة الجامعة

سياحة الأوربيين في مصر في القرون الوسطى

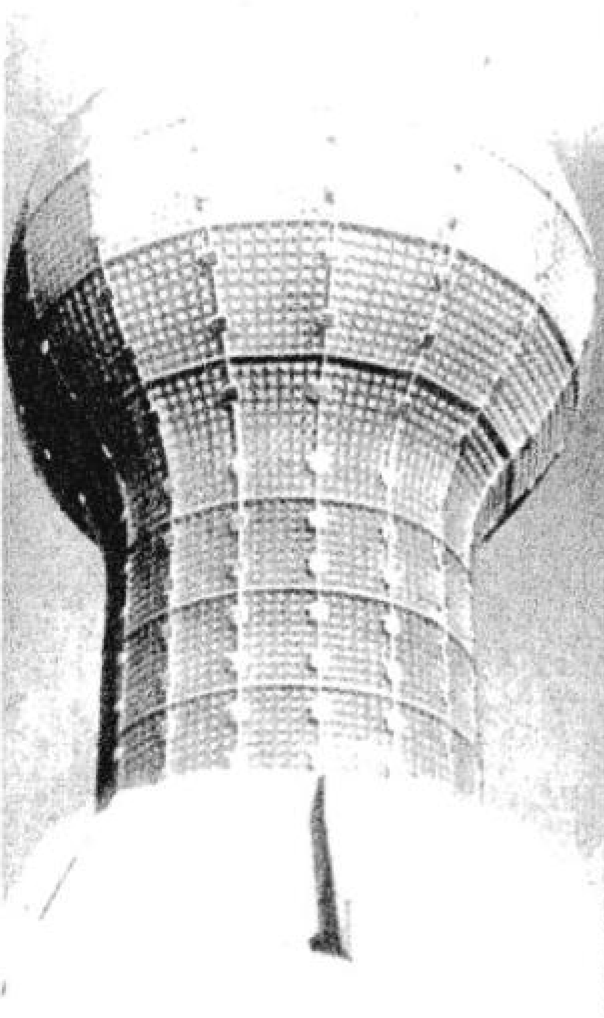
بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

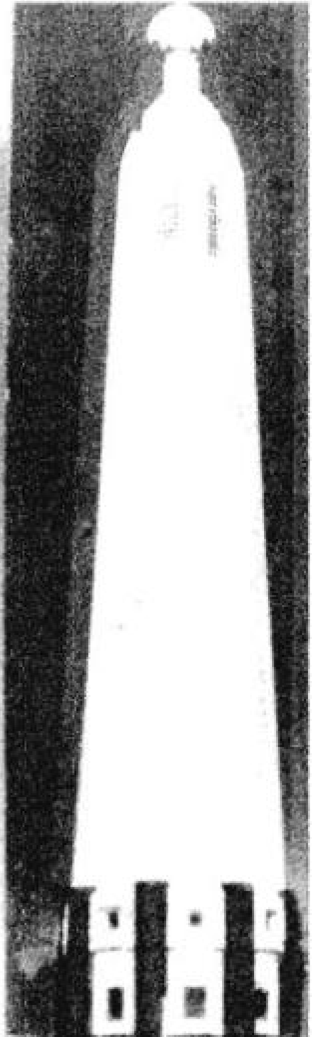
كانت مصر في القرون الوسطى مركز حضارة تستهوي الألباب والأفئدة . وكان يؤمها الاوربيون لمشاهدة معالم تلك الحضارة ولزيارة بقاع دينية كانت لها قداسة خاصة في العالم المسيحي إذ ذاك . وفي هذا المقال وصف شائق لهذه البقاع بقلم اثنين من مشاهير الرحالة الاوربيين

ليس من العجيب أن تكون بلاد مصر في الوقت الحاضر مقصداً للسائحين من جميع الأقطار فان جوها البديع وحده ، ولا سيما في فصل الشتاء ، كاف لأن يجذب أهل الشمال ، للتمتع بالشمس والهواء الجاف والسماء الصافية ، وشروق الشمس وغروبها ، بين السحب التي تزينها الوان اللطيف المختلفة ، بين الذهبية الوهاجة والبنفسجية الهادئة . ولكن السائح الحديث يجد في مصر فوق ذلك ما يغذي روحه ، ويفعم قلبه بالمشاعر الدقيقة العميقة . فانه يحيا في خيال مستمر ، إذ يستعرض مناظر القرون الماضية ماثلة أمام عينيه ، تعيد اليه ذكرى عوالم بعيدة مضت ، ولم يبق منها في العصر الحديث إلا تلك الآثار البديعة التي لا نظير لها في قطر آخر من أقطار العالم . فهو يحيا حيناً في خياله في مصر القديمة ويتمثل جيوش طوطميس ورمسيس عائدة بالنصر من بلاد الشام أو من مجاهل كوش ، ويحيا حيناً آخر في مصر الاسلامية ، ويتمثل أسواق القاهرة المزدحمة بسلع الشرق والغرب ، وقصور السلاطين العظام بما حوت من آيات الترف والبذخ والأبهة . وقد أصبحت مصر في العصر الحديث على قيد أيام قلائل من أقصى أطراف أوربا ، يستطيع الغني القادر أن يصبح في باريس ، ويصبح بعد يومين اثنين في حضن الجبل الاحمر ، على حدود الضاحية البديعة القريبة من عاصمة مصر القديمة « مدينة الشمس » . فلا مشقة ولا كلفة غير نفقة القادر على الانفاق

ولكن العالم لم يكن في وقت من الأوقات غريبا عن مصر ، فقد كانت مصر دائما مقصد السائحين في كل العصور ، وكانت دائما مثار الخيال والروعة في قلوب الشعراء ، أو مثار الأمل والثروة في نفوس طلاب الثروة من التجار . فكان السائح يفد الى مصر في القرون الوسطى بعد سفر طويل في البر والبحر ، يقضي فيه أشهراً ويتعرض فيه الى المخاطر ، فاذا حل فيها حمد السرى وامتلأ قلبه بمشاعر قوية ، لا تزال الى اليوم خالدة في الكتب التي خلفوها في لغات متعددة ولهجات متباينة

ولكن المشاهد التي كان السائح في القرون الوسطى يسعى اليها ويهتم بها كانت تختلف كثيراً عن المشاهد التي يسعى اليها السائح في العصر الحديث . فلم تكن همة السائح في القرون





تخليد ذكرى اديسون

من الوسائل التي تحيي بها أمريكا ذكرى رجلها العظيم « اديسون » هذا البرج الباذخ الذى أقامته مكان أول معهد بدأ فيه تجاربه العلمية التي غذت العالم بكثير من المخترعات الخطيرة . وقد رأت أخيرا أن تتوج هذا البرج الذى يبلغ طوله ١٣١ قدماً بمصباح كهربائي ضخم ستكون قوة الضوء الذى يشعه ٥٢٠٠ « وات » ، ويبلغ طوله ١٤ قدما وزنته ٦٠٠٠ رطل من الزجاج و ٣٥٠ رطلا من الألمنيوم ، تذكيرا للناس بأن اديسون هو الذى أظهر لهم المصباح الكهربائي الذى يشرق ضوؤه متى افتقدوا ضوء الشمس

الوسطى تنصرف الى الأقصر وأسوان ، وما فيهما من معابد وهياكل ، إذ كانت تلك الآثار عند ذلك غامضة لايعرف عنها إلا أنها من بناء الأوائل . ولم تكن كتابتها إلا طلاسم لا يطمع أحد فى إدراك معناها . وكانت كنوز المقابر وما فيها من آيات بارعة للفن خفية لايعرف عنها أحد شيئا ، اللهم إلا بعض الاعراب المقيمين الى جوارها ، وكانوا بين حين وحين يغيرون على مقبرة منها ، فيفوزون بجثة محنطة ، يبيعون منها قطعا يعزون اليها أسراراً سحرية للعلاج ، أو تتخذ تمائم ذات أثر خفائى . ولكن مع ذلك كانت مصر فى العصور الوسطى مقصداً لتيار غير منقطع من السائحين ، يفدون اليها لأغراض متباينة ، فكان بعضهم يؤمها للتجارة ، إذ كانت عند ذلك مستودع سلع الأقطار الشرقية من الصين والهند وفارس وأفريقيا . وكان البعض الآخر يقصدها لزيارة ما فيها من عجائب وتحف . فقد كانت عندئذ مركز حضارة العالم المعروف ، تستهوى الألباب والأخيلة بما فيها من قصور منيفة ، حافلة بآثار الفن الدقيق ، وآثار اسلامية تملأ الأنظار بما تبرزه من جمال وروعة . فكانت مصر فى تلك العصور بين الدول فى المقام الذى تحل فيه اليوم دول أوربا الكبرى ، يؤمها الناس لما فيها من معالم المدنية ، وأرقى معاهد الحضارة التى أقامتها أرقى عقول البشر . وكان البعض يقصدها فوق كل هذ لغرض ثالث وهو زيارة مشاهد دينية لها قداسة خاصة فى العالم المسيحى . وكانت عقول أهل أوربا فى تلك العصور منصرفة انصرافا قويا الى الدين وما يتصل به من رسوم، فكانت أمنية الكثيرين منهم أن يحجوا الى البقاع المقدسة فى فلسطين ، فاذا ما قصدوا الحج عرجوا على مصر لزيارة بعض البقاع المحترمة فيها ، ويعدون ذلك جزءاً متمما لحجهم . وكانت أكبر تلك البقاع المحترمة أربعا وهى دير الانبا انطونيوس والانبا بولا بالصحراء الشرقية ودير القديسة كاترينة فى شبه جزيرة سينا وشجرة العذراء بالمطرية . وقد تخلف عن كثير من هؤلاء السائحين وصف ما شاهدوه فى مذكراتهم وكتبهم . ومن خير هذه الكتب ما الفه اثنان كانا من خير من يستطيع الكتابة من أهل أوربا فى تلك العصور ، وهذان هما (حناتنو) الفرنسى و (دومنيكو تريفيسان) البندق الايطالى (حوالى سنة ١٥٠٠ الميلاد)

وسنبدأ بشىء مما ذكره هذان المؤلفان عن بعض المشاهد الدينية التى سميناها ، نريد بذلك أن نظهر جانبا عجيبا من عقلية أوربا فى القرون الوسطى :

قال (دومنيكو تريفيسان) البندق يصف شجرة العذراء وما جاورها : « وفى الناحية الأخرى من القاهرة فى الجهة الشرقية تقع قرية اسمها المطرية ، وفيها لايمكن أن يختمر العجين ، لأن السيدة العذراء عند ما حلت بتلك الجهة ، وهى هاربة من بلاد يهوذا من ظلم (هيرود) ، طلبت من أهلها خبزاً ، فأخبرها نساؤها أن خبزهن لم يختمر . وهنا شجرة جميز ضخمة ، وهى الشجرة التى انحنت للسيدة العذراء وأسقطت عليها من ثمرها إذ هى جالسة تحتها . والمسلمون يتطيبون بها اذا أصابهم مرض ، ويعتقدون أن ذلك يشفيهم سريعا . وامام تلك الشجرة قنديل مضاء . وهذه الشجرة

طرفة تاريخية

قصة عايدة

للأستاذ توفيق بك اسكاروس

أعدت رواية « عايدة » ليكون تمثيلها جزءاً من الحفلات الباذخة التي أقامها الخديو اسماعيل حين افتتح قناة السويس ، ودعا اليها ملوك أوربا وملكاتها وكبار رجال الدول وسيداتهم . وقد عثرت في المجلة الايطالية « لاليتوريا » على مقال عن هذه الرواية محلى بعدة صور جميلة ، فأحببت أن أتحدث عن قصة « عايدة »

الواضع الحقيق لهذه القصة هو العالم الأثرى « ماريت » . فقد كتب إلى أخيه في ٨ يونيو سنة ١٨٦٩ يقول : « هل تصدق أنى وضعت أوبرا عظيمة ، يؤدى « فردى » موسيقاها ، ثم تمثل في مسرح القاهرة في فبراير القادم ... ان الخديو ينفق مليوناً !.. لا تدهش ولا تسخر فان ما أقوله صحيح حقاً »

وفي كتاب ادوار ماريت الذى ضم طائفة من الرسائل والذكريات الخاصة بماريت باشا ، واسمه "Mariette : Lettres et souvenirs" ما يثبت اشتراك ماريت في وضع الرواية . لتأتى مطابقة للحقائق التاريخية . وقد وفق في هذا كما يبدو في أوضاع الرواية وشخصية بطلتها « عايدة وراداميس »

وقد استدعى ماريت باشا أخاه ادوار ليساعده على إعداد الرواية التي اعتزم عرضها في شتاء سنة ١٨٧٠ على مسرح الأوبرا المصرية التي أنشئت تكريماً لضيوف الخديو وفي مقدمتهم الامبراطورة « أوجيني » ولكن لم يتم تمثيل هذه الرواية كما كان مقرراً في منهاج حفلات الافتتاح ، إذ لم يكن قد تم إعدادها ، فمثلت بدلا منها في نوفمبر سنة ١٨٦٩ « ريجوليتو » التي وضعها الفنان العظيم « فردى »

ولكن في الليلة التالية شب حريق في دار الأوبرا فشوهها وأتلف بعض أثاثها وأرجائها

أما رواية عايدة فقد طبعت بالايطالية وعلى غلافها هذا الكلام « عايدة . أوبرا في أربعة فصول وسبعة مناظر من تأليف ا . غيسلانزوني وتلحين الكومندااتوري ج . فردى . كتبت بأمر سمو الخديو لمسرح الاوبرا . وستمثل بالقاهرة لاول مرة في ديسمبر سنة ١٨٧١ » وعدد صفحاتها ٩٥ صفحة صغيرة ، ومنها نسخة بدار الكتب المصرية

وقد نقلت من الايطالية الى الفرنسية . ومن هذه الى العربية بقلم المرحوم أبو السعود افندى سنة ١٢٨٨ هـ . ونرى هنا غلاف هذه الترجمة كما نشرته مجلة « ليتوريا » والى جانبها صورة الخديو اسماعيل وصورة احدى زوجاته واحدى كريماته كما تقول المجلة . وللقارىء أن يتأمل الازار الذى التفت فيه زوجة الخديو ، والصليب الذى تزين به كريمته عنقها . وكذلك قول المعرب تأليف « المعلم غيزلنسوق » وتوقيع « الاوسطة وردى »

أما المترجم فهو أبو السعود افندى ابن الشيخ عبد الله أبو السعود أحد مدرسى المدارس المصرية توفى سنة ١٢٩٥ وترجمته في كتاب خطى محمد بك أنسى المتوفى سنة ١٣٥٣ . وكان قديراً في الترجمة ، وشارك في ترجمة القوانين المصرية . ومن مترجماته غير قصة « عايدة » ترجمة « المتفرج على الانتيكخانة الخديوية » الذى وضعه ماريت ، وألف « الدرس التام في التاريخ العام » وأنجز منه خمسة فصول طبعت سنة ١٢٨٩ . وترجم « ترقية الجمعية في الكيميا الزراعية » وطبع سنة ١٢٩٥ ، وأهم آثاره تعريب « تاريخ مصر » لماريت بعنوان « قناعة أهل العصر بخلاصة تاريخ مصر » ، وذلك بأمر الخديو ، وكان يدرس في المدارس المصرية

كسائر أشجار الجميز فى مصر ، تحمل الثمر فى كل الفصول ، وليس لها فروع صغيرة ، بل هى مكونة من جذع وأفرع كبرى (١)

« والى جوارها بئر عميقة ، غسلت منها السيدة العذراء ثياب السيد المسيح ، ومنها يسقى نبات البلسم الذى فى الحديقة . ولكن تلك البئر فاضت عند زيارة السيدة العذراء حتى انها روت كل الارض المحيطة بها

« والبلسم الذى ينبت هناك خير بلسم فى بلاد العالم فهو خير مما ينبت فى بلاد الهند أو بلاد العرب ، ويستطيع الانسان أن يعرف البلسم الجيد من صفات عدة ، فهو كثيف وينفذ فى اليد اذا وضعت منه قطرة فى الراحة ودلكت بها ، واذا وضعت قطرة فى الماء هبطت كتلة واحدة الى القاع ، ويمكن أن يستخرجها الانسان بدبوس بغير أن تنحل . واذا دهن بها جسم دجاجة أو أى لحم آخر لم يصبه تعفن؛

« وقد أصبح عدد أعواد البلسم قليلا فلم يبق وقت زيارتنا للحديقة إلا نحو اثنى عشر عوداً . ويقول المسلمون إن قلة عدد الاعواد راجع الى زيارة بعض اليهود للحديقة وهم لذلك لا يسمحون بدخولهم اليها . »

وقال (حانتو) فى وصف حجه الى دير القديسة كاترينة بشبه جزيرة سينا :

« وجبل سيناء جبل عال منيع يكاد لا يستطاع الوصول اليه ، وفيه بقى جثمان القديسة نحو خمسمائة عام بغير أن يعلم به أحد . ولكن الآباء الرهبان كانوا يسمعون هناك ليلا ونهاراً تسبيح الملائكة بغير أن يروا أحداً . وفى أيام الأب (كلماك) رئيس ديرسينا الذى بناه الامبراطور (جستنيان)، صعد ذلك الأب الى القمة مع جماعة من الرهبان فى ثلاث ليال متوالية ، وكان سيرهم على هدى ضوء لامع ينير لهم الطريق فى ظلمة الليل الدامس ، حتى بلغوا القمة فوجدوا الجثة ونقلوها ، وكان ينبعث منها سائل فيه شفاء من كل الامراض

« ولأجل أن ندخل الى الدير دلى الينا حبل من أعلى السور توضع القدم فى عقدة معقودة فى نهايته ، ويمسك الانسان بالحبل ويرفع الى برج فى أعلى البناء ، فانه اذا وجدباب قريب الى الارض حاول العرب الدخول منه لتخريب الدير ، وقد بقيت فى أسفل الدير أكثر من أربع ساعات حتى أذن الديرانى فادلى لى الحبل ، لأن رهبان ذلك الدير من الاغريق وهم يكرهون اللاتين »

وقال فى وصف الكنيسة التى فى الدير : « وكنيسة الدير جميلة لها جناحان ، والى أقصى اليمين فيها يوجد مذبح كبير ومدفن من رخام أبيض فيه جثمان القديسة العظيمة والشهيدة العذراء السيدة (كاترين) ، وغطاؤه من خشب الارز والرصاص »

---

(١) وقال فانسليب فى كتابه (وصف رحلة الى مصر) ص ٢٣٤ : إن هذه الشجرة قد سقطت فى سنة ١٦٥٦ للميلاد وحفظ رهبان (الارض المقدسة) فروعها فى كنيستهم بالقاهرة

وقد ولد أبو السعود افندى سنة ١٨٢٠ ودرس فى الازهر الشريف ثم فى مدرسة الالسن . وقد أجاد الايطالية والفرنسية . وعين رئيسا لقلم الترجمة ، ثم أستاذا للتاريخ بمدرسة دار العلوم . وعمل فى الصحافة فأصدر جريدة وادى النيل التى كانت تصدر فى القاهرة مرتين فى الاسبوع ، وقد ألغيت سنة ١٨٧٢ ، وتوفى صاحبها بعد ذلك بست سنوات عن ستين عاما

ونرى هنا صفحة من مجلة « ليتوريا » نشرت فيها (١) صورة لاحدى زوجات الخديو (٢) وصورة لاحدى كريماته (٣) وصورة للخديو (٤) وصورة لغلاف رواية عايدة فى ترجمتها العربية . ولا ندرى هل الصورتان الاوليان أخذتا من مصدر موثوق به أو لا

توفيق اسطاوروس



LA FIGLIA DEL KEDIVÈ.



LA MOGLIE DEL KEDIVÈ.



ISMAIL PASCIA, KEDIVÈ D'EGITTO.

...ribile pausa del mal di mare, del quale soffriva. L'opera venuta in Italia, quindi passata sopra quinconcenti lirici di tutta Europa e d'America sollevò, com'è noto, un'infinità di discussioni fra i critici dei suoi giorni, i quali accusarono Verdi di... [illegible]

...co: la parte di Amneris era sostenuta dalla signora E. Grossi e Radamès fu il tenore Mongini, assai apprezzato. Pure Amonasro ebbe un eccellente interprete nello Steller. Il successo fu grandioso. Ma Verdi non fu presente al trionfo. Nel suo epistolario c'è a questo proposito una curiosa lettera all'amico Piroli: « Io non andrò a metterla in scena (l'Aida) perchè temerei...

ترجمة

الاوبره المسماة باسم

عايدة

تأليف ... وتلحين ... ويردى

بامر سعادة خديو مصر

تعريب

العبد ... ابي السعود افندى

محرر جريدة وادى النيل

(الطبعة الاولى)

Il tempo ha mostrato tutta la balda vitalità di questa magnifica opera verdiana, nella quale il favore popolare va ogni giorno di più riconoscendo i caratteri più genuini dell'ispirazione verdiana, sì che la si considera non solo un capolavoro ma, se è lecito di...

وقال يصف معيشته ومعاملته هناك : « وبعد الصلاة أحضر لى رئيس الدير شيئا من النبيذ ، وكانت له رائحة ذكية تشبه رائحة المن ، وهو نبيذ لا يوجد مثله فى أية ناحية أخرى من أنحاء العالم، ثم أحضر إلى فاكهة من الجوز والتفاح والكمثرى ، وسألنى عن رأيى فى النبيذ ، فقلت له إنه يكفى لتحبيب الانسان فى الحياة فى ذلك الدير ، وعرض على أن يبيعنى شيئا منه ، ولما لم أجد معى مالا بادلته اناءين منه بعباءة ارلندية كنت أتغطى بها فى الصحراء ، وقد أنسانى ذلك النبيذ كل ما مر بى من الآلام »

أما أثر القاهرة فى نفوس زوارها من أهل أوربا فى تلك العصور ، فقد كان شبيها بالاثر الذى تحدثه زيارة القاهرة اليوم فى نفوس أهل الريف من سكان مصر ، عند أول زيارتهم لها ، فان مناظرها الخلابة ،وقصورها الشاهقة البديعة الصنع ،وكثرة سكانها ، ورخاء الحياة فيها ، وكثرة الخيرات المتدفقة اليها من جميع الاقطار ، واختلاف أجناس من فيها من القاطنين ، كل ذلك كان يقع عندهم موقع الروعة والدهشة،لانه يخالف ما كانوا يعهدونه فى بلادهم أو فى الاقطار التى سبق لهم المرور بها.

قال « حناتنو » فى وصف أول نزوله بالقاهرة :

« ولما بلغنا بولاق ، أتى الينا أمير من قبل السلطان ، ومعه المماليك يجرون بعض الخيول والحمير لتقلنا الى المنزل الذى خصصه السلطان لنزولنا . وكان ذلك المنزل يحتوى على ستة أبهاء أو سبعة ، فائقة الجمال ، يغطى أرضها الرخام والمرمر والحجر المجزع وغير ذلك من الاحجار الثمينة ، وقد نسقت على نمط لا نظير له من دقة الفن ، وكانت الجدران تغطيها حجارة من تلك الأنواع ، وقد طليت بالذهب والألوان الزاهية ، وكانت الابواب مزينة بالعاج والابنوس وغير ذلك من الطرف ، ولكن دقة الصناعة كانت دائما تفوق مواد البناء وتبزها فى الروعة . وكان فى تلك الابهاء عيون جارية ، فى (فسقيات) تجلب المياه الباردة والحارة فى أنابيب خفية ، ويمكن للانسان أن يقول ان مثل هذا المنزل قد تكلف من النفقات ما يزيد على ثمانين الفا من قطع الذهب . على أن هناك فى القاهرة مائة الف منزل أكثر من هذا بهاء ، لا يقارن بها هذا المنزل ، وقد رأيت منها كثيراً.وكان حول هذا المنزل حدائق فسيحة ، تعلوها الاشجار المثمرة كالليمون والبرتقال والشمش والتفاح وغير ذلك . وهذه الحدائق ترويها مياه النيل التى ترفعها الثيران والخيول ، ولهذا فان هذه الحدائق تكلف أصحابها نفقات طائلة ، لا تقل عن خمسمائة أو الف قطعة من الذهب كل عام . ويوجد بالقرب من القاهرة ما يزيد عن الف وخمسمائة من تلك الحدائق (١)

وقال المؤلف نفسه يصف القاهرة فى موضع آخر :

« وفى الصباح الباكر أتى الينا أمير وترجمان من قبل السلطان ، ومعهما خمسون مملوكا ، وسرنا معهم فى طريق عظيم ، يبلغ طوله مثل طول (طريق باريس) من (سان جاك) الى (سان دنى) ،

(١) رحلة حناتنو (صفحة) ٣٥ — ٣٦



المؤتمر الطبي في بغداد

عقدت الجمعية الطبية المصرية مؤتمرها العاشر في بغداد خلال الشهر الماضي ، وقد شهده زهاء ٤٠٠ عضواً من أطباء البلاد العربية وعلمائها ، ممثلين لشتى الهيئات التي تقوم بأمر الطب والصحة في أنحاء الشرق العربي ، وتعنى بتوثيق عرى التفكير بين أبناء اللغة العربية . وترى في هذه الصورة أعضاء المؤتمر يتوسطهم رئيسه الدكتور علي باشا ابراهيم

وكان ذلك الطريق مليئا بالناس فى كل أنحائه ، ويشبه الازدحام فيه ازدحام الناس فى بهو (الباليه دى باريس) فى الايام التى تقرأ فيها المراسيم ، ثم وصلنا الى سراى السلطان، وهى لاتقل فى الاتساع عن مدينة (أورليان) . . ولما دخلنا ايوان السلطان قمنا بتحية بالغة ، بأن لمسنا الارض بأطراف أصابعنا ثم قبلناها . ثم قرب السفير حتى طرف البساط ولم يتقدم بعد ذلك . . وقدم الترجمان خطابات الملك الى السلطان . فتناولها أولا الامراء واحداً بعد واحد ، حتى اذا تناولها السلطان فض ختامها ، واطلع الجميع عليها ، ثم سألنا عن أحوالنا . وقال انكم فى بلادى آمنون كما تكونون فى بلادكم وأملا ككم

« ... والقاهرة مدينة عظيمة بما فيها ، تبلغ فى السعة ثلاثة أضعاف باريس ، ويبلغ عدد أهلها خمسة أضعاف باريس . وأظن أن مايوقد به من الزيت فى تلك العاصمة يبلغ نحو مايشرب من النبيذ فى مدينة أورليان. وهذا الزيت يستخرج من نبات القرطم . فان بالقاهرة عشرين الف مسجد ، يوقد فى كل منها باستمرار نحو ثلثمائة قنديل. ولا يوجد فى المدينة غرفة مسكونة بغير أن تكون مضاءة طول الليل ، بل ان الطرق كلها توقد فيها المصابيح طول الليل . فلا عجب أن يحرق فيها من الزيت ذلك المقدار العظيم . وهذه المدينة أغنى من كل المدن ، نظراً لخصوبة أرض البلاد، وكثرة مافيها من السلع التى ترد اليها كل يوم ، ولكل نوع من السلع سوق خاصة، فهناك سوق للفضة وسوق للذهب وسوق للحجارة وسوق للحرير وأخرى للمنسوجات وأخرى للعقاقير أو السجاجيد وسائر الاشياء . . .

« وقيل لنا إن بالقاهرة تجاراً أغنياء كثيرين ، ففيها مائتان ممن تبلغ ثروتهم أكثر من مليون قطعة من الذهب ، وألفان ممن تبلغ ثروتهم مائة الف ، وقصر السلطان وحدائقه شىء جدير بكل الاعجاب من حيث الجمال والعظمة والابهة »

وقال دومنيكو تريفيسان : « وتزلنا فى قصر يستحيل أن نجد له مثيلا فى هذه المدينة . ومن باب أولى فى أية مدينة أخرى ، ويقدرون نفقات بنائه بمائة الف دوقية . فان جدرانه كانت مغطاة بالنقوش والذهب من أعلاها ومن أسفلها ، وكانت الارضية مغطاة بالفسيفساء والابواب مطعمة بالعاج والابنوس . وبعد ذلك ذهبنا الى قصر السلطان ودخلنا فى ايوان فى غاية العظمة والابهة ، وهو فى جماله وعظمته لا يمكن أن يقارن به بهو القابلات فى إمارة البندقية موطننا العظيم »

وانه ليطول بنا القول لو أردنا أن نأتى على ملخص ما جاء فى وصف القاهرة وجمالها فى أعين هؤلاء الزائرين . وحسبنا هذا المقدار لنطلع منه على جزء من عظمة مصر الغابرة

هذه لمحة مما كانت عليه مصر فى تلك العصور الوسطى، وما كانت عليه أوربا عند ذلك ، قبل أن يدور الفلك دورته ، ويتقلب الدهر فى سنته . وها هى مصر اليوم آخذة فى النهوض صعداً ، لاسترجاع مكانتها ، وتوشك أن تكون بعد حين قلب العالم النابض ، ومركزه العامر المجيد

محمد فريد أبو حديد



الحرية تقود الشعب

احدى الصور الرائعة التى أبدعها « اوجين دیلاکروا » وعبر بها عن روح الثورات العامية التى قامت فى شوارع باريس سنة ١٨٣٠ . والى جانبها صورة الفنان العبقرى الذى كانت قصته الغرامية أروع من نبوغه الفنى . كما ترى فى مقال « مرض التعذيب فى الحب » صفحة ٥١٩



الاختبار

يعوق التفكير ويعترض طريق النجاح

بقلم الدكتور أمير بقطر

« .. الاختبار ــ كالنار والمال ــ اذا اتخذناه عبداً كان نعمة لنا وبركة ، واذا اتخذناه سيداً كان نقمة علينا ولعنة ، وبسط علينا سلطانه مستبداً شديد البطش .. »

الاختبار من الناحية العلمية يحتمل معنيين ، أحدهما خاص والثانى عام . فالاختبار بمعناه الخاص التجريب والفحص ، وهو ما يعتمد عليه العلماء فى تقرير الحقائق ، وتدوين الوقائع ، واخراجها من دائرة الأقوال والنظريات الى حيز العمل والتطبيق . أما الاختبار بمعناه العام فهو المعرفة السابقة ، أو كل ما يأتى الينا اعتباطا عن طريق البيئة ، وكل معرفة تصل الينا من الغير بوساطة الكتب والصحف والحواس ، وتشمل العناصر الذهنية والوجدانية والحركية (أو ما يسمونه بالارادة) . وقد يكون المعنى الأول عنصراً من العناصر التى يتكون منها المعنى الثانى ، بيد أن الاختبار بمعناه العام يكون فى الغالب صوراً ذهنية مشوهة ، لا ضابط لها ، متنافرة غير منسجمة ، مشكوك فى صحتها ، مضطربة . والسبب فى ذلك أن الحواس وحدها لا يعتمد عليها فى تقرير الحقائق لعيب خلقى فيها ، ولانها ليست من الدقة بحيث تكفى للحكم على الاشياء ، كالعين المجردة مثلا فانها لا ترى الاشياء على حقيقتها فى كل الاحيان ، وقد لا تراها أبداً . يضاف الى ذلك أن العاطفة وما يتبعها من النزعات والميول تزيد الصور التى يتألف منها الاختبار تشويها واختلالا واضطرابا ، وتكسبها ألوانا مزيفة ، لا وجود لها فى عالم الحقيقة . وهذا هو بلا ريب الاختبار الذى تريدنى « الهلال » ان أتخذه موضوعا لهذا العدد

بركة أم لعنة ؟ الاختبار كالنار والمال ، فاذا اتخذناه عبداً كان نعمة لنا وبركة ، واذا اتخذناه سيدا ، كان نقمة علينا ولعنة ، وبسط علينا سلطانه مستبدا ، شديد البطش . ولما كانت الناحية الايجابية لا تفتقر الى تبسيط أو اسهاب رأيت ان أركز البحث فى الناحية السلبية

الاختبار من أشد أعداء الانسان فهو عدو التفكير ، والتقدم ، والنجاح ، والتجديد . هو خصم لدود شديد العناد ، قوى الشكيمة ، دائم اليقظة ، يقف بالمرصاد للمغامرة ، والاقدام ،

والمجازفة ، ومحارب التجديد ، والنجاح ، والتقدم ، وبينما تراه يقبل العلم على الخد الأيمن إذا به يصفعه على الأيسر . الاختبار صديق حميم للقديم من العادات ، والتقاليد ، والمعتقدات السائدة ، شديد الغيرة والمحافظة على الخرافات الشائعة والأباطيل البائدة . بظله يستظل الجهل والتردد ، وفى أرضه يشب التحيز والتعصب ، ويترعرع الغرور والتحذلق والاعتداد بالذات

الاختبار يطغى على العيون فيعميها ، وعلى الآذان فيصمها . به يرى المرء الليل نهارا ، والحلو مراً ، ويسمع اللحن العذب قبيحا ، والكلام المنسجم متنافراً ، ويخال الألم لذة ، والسكر صحواً ، والدميم وسيما ، والعكس بالعكس . وخطر الاختبار الدائم انه يخيل الى صاحبه أن حالة واحدة أو حادثة واحدة تكفى أن تكون مقياسا دقيقا لما يأتى بعدها من الحالات ، وما يجرى بعدها من الحوادث . ولست أنسى ما قاله لى صديق فى زمن التلمذة ، كان قد قضى أياما فى نزل على شاطىء رمل الاسكندرية ، وكانت جارته فتاة روسية الأصل . ذكر لى بين اختباراته الصيفية أن السيدات الروسيات أقبح نساء العالم أجمع ، وكان شديد الثقة برأيه ، صادق الاخلاص فيما يزعم . ولست أغالى اذا قلت انه لا يزال مصرا على ما يقول ، رغم أن هـذا الحادث مضى عليه عشرون عاما ، ورغم أن روسيا تضم ٨٥ مليون أنثى ، لم تر عيناه منهن سوى واحدة ، وواحدة فقط . لهذا السبب عينه تبنى « قصورا أو أكواخا فى اسبانيا الخيال » وقد تبقى هـذه القصور قصورا ، والاكواخ أكواخا ، مابقى فى الحياة رمق . ولهذا السبب عينه نكره زنجيا أو فرنسيا أو مسيحيا ، أو مسلما ، أو اسرائيليا ، أو اقليما من الاقاليم ، أو لونا من الطعام ، أو فردا من الافراد ، أو العكس ، وان كان عهدنا بهذا كله لا يتجاوز المرة أو المرات ، لان عامة الناس يتخذون الحالة الواحدة مقياسا لجميع الحالات . وهكذا يدفع الاختبار صاحبه الى الجرى فى غنائه على قاعدة واحدة من قواعد النغم ، لانه لا يرى لذة فى غيرها . أعرف رجلا فاضلا لا يقرأ إلا التوراة والانجيل ، وأعرف رجلا فاضلا تقيا لا يقرأ إلا القرآن

فى مثل هذه الاحوال يصعب على المرء ألا يسلم ان الاختبار نكبة على صاحبه ، ويصعب على المرء ألا يعترف أن قلة الاختبار نعمة على ذويها . انظر الى الطفل البرىء الساذج ، وانظر ذهنه الخالى كالصفحة البيضاء . ألا تراه يتغلغل فى الآراء والاشياء ، كما يتغلغل الطائر المحلق فى غمار السحاب ؟ ألا ترى غريزة الاستطلاع فى سن الطفولة فيها من القوة ما تأنس به الفكرة بالفكرة ، ويقترب الرأى من الرأى ؟

الاختبار يغلق على من يقع فى قبضته باب الاجتهاد ، لان لصاحبه آراء ثابتة وعقائد راسخة ، صحت أو كذبت ، يبقى عليها أكثر مما يبقى على صداقة الاصدقاء . فاذا حاولت أن تريه الوجه المستتر للصورة المرسومة فى ذهنه ، أخذ يهدر تهدار البعير فى رغائه ، دفاعا عن الوجه الظاهر ، وهو يأبى بكيفية قاطعة أن ينظر الى الوجه المستتر . منذ شهور قلائل مضت التقيت برجل على عدد

ليس بقليل من الشهادات العلمية ، ولكنه للأسف لا يفكر تفكيراً علميا ، لانه يخلط بين العلم والاختبار . ذكر لى فيما ذكر أن المدنية الحديثة تقصر الأعمار ، ولما ان أبنت له ان كتب الاجتماع والارقام الاحصائية تبين بجلاء أن متوسط الأعمار يتناسب تناسبا طرديا مع حظ البلد من أسباب المدنية (١) ، وانى على استعداد لاعارته هذه الكتب وما فيها من أرقام ، أقسم لى بكل محرجة من الايمان أنه لن يصدق كتب الاجتماع والارقام الاحصائية ، لانه رأى بعينى رأسه عدداً من المتمدنين يموتون فى عنفوان الصبا ، وعددا من الفلاحين الذين يعيشون على الفطرة يعمرون الى ما بعد المائة . . . وكلما ذكرت أن الكثيرين ممن يتخذون تعليم النشء فى بلادنا مهنة لهم من ضحايا الاختبار ، قلت على الآمال والأمانى وأبناء المستقبل السلام. ان مثل هذا الرجل المسكين جدير بكل عطف ، لان العلم يحاول أن يجد له فى جدران عقله العاتية الصماء منفذا يدخل منه ، فلا يستطيع اليه سبيلا ، ولا غرابة اذا ماتت أنسجته الذهنية كما تموت خلايا الجسم فى الشيخوخة ، الخلية تليها الخلية

والاختبار ينسج فى قلوب الأمم والأفراد على مدى الأجيال والسنين ألوانا من الحب والصداقات والعلائق ، تصبح الحياة بغيرها ذلا وبؤسا وجحيما . غير أنه يحدث أحيانا أن يبلغ السيل الزبى ، فيؤثر الفرد (أو الأمة) أن تهدم الماضى وأعز ما يتصل به من آثار ، وتبنى من جديد على صفحة جديدة من الارض ناصعة البياض(٢)وروسيا السوفياتية أفضل مثال استطيع أن أضربه لذلك . وتكاد روسيا تكون الأمة الوحيدة التى يصلح لها ذلك النظام الاجتماعى ، لأن القياصرة بلغوا من الاستبداد وسوء النظام ما استحال به كل قديم فى روسيا جثة عفنة ورمة بالية ، فقام السكان الجائعون المغلوبون على أمرهم يهدمون أعز مابناه السلف ، من حكومة وأسرة وعادة ، وحملوا معاول التخريب يعملون بها فى أقرب اختباراتهم السابقة الى قلوبهم من دين ، وبيت ، وملكية فردية ، وحرية ذاتية ، وتقليد تالد ، وبنوا على أنقاضها نظما اجتماعية غيرها ، ووضعوا حريات جديدة مرنة ديناميكية dynamic بدلا من الحرية المعروفة الجامدة static وابتكروا شرائع أخلاقية ، وآدابا سلوكية ، وأدوات حكومية ، وتقاليد متطرفة ، قد يحمر منها وجه العالم القديم خجلا ، ونسى الجيل الجديد من مواليد سنة ١٩١٤ فما فوق أن هناك فى الوجود دينا غير اللادينية وآدابا وسننا فردية أخلاقية غير آداب الجماعة والدولة ، وعفة غير مايخيل للبعض أنها إباحية لاشك فيها (٣) . وبهذا التحول المدهش أطلقت من عقالها مجموعة قوية من المواهب والذكاء ، الكامنة فى

(١) زاد متوسط الاعمار فى البلدان الغربية عشر سنوات للفرد على ما كان عليه منذ نصف قرن مضى

(٢) اقرأ ما كتبه عالم من علماء الاجتماع فى الكتاب التالى The Lasting Elements of Individualism لمؤلفه William Ernest Hocking (Yale University Press,1937)

(٣) اذا تركنا التحيز جانبا وقرأنا المؤلفات التى يعتمد عليها وتحدثنا الى السياح الذين يوثق بمشاهداتهم الحالية من الفرس اتضح لنا أن السوفيات كادت تنعدم من بينهم ما نسميه المشكلة الجنسية وأن الاباحية لا أثر لها فى تلك البلاد

الافراد ، وقضت على راسبوتين الداهية وأمثاله ، واستأصلت الاعتقاد بالقضاء والقـدر ، والداء الذي كان وصمة عار في جبين البلاد واسمه بالروسية nichivo وترجمته بالعربية الدارجة صديقتنا المحبوبة « معلهش »

وماذا تصنع بمدينة من الخشب تنخر كل لوح من ألواحها جراثيم الوباء والطاعون ، حتى أصبحت فيها المحاليل الكيميائية للطهرة عديمة الجدوى ؟ النار أنجع دواء و « شراء العبد خير من تربيته » وما يسرى على المجموع يسرى على الأفراد ، في هدم الكثير من اختبارات قديمة ، وبناء اختبارات غيرها جديدة خالية من جراثيم الداء . والرجل المثقف تثقيفا بالمعنى الصحيح هو الذى لا يذعن للاختبار ، وانما يكون على استعداد تام لان يهدم في دقيقة واحدة مابناه السلف في أعوام ، إذا جاءت التجاريب العلمية معززة لذلك . وهذا ما فعل العالم الايطالى جاليليو عندما هدم في لحظة اعتقادا ظل ألوفا من السنين ، وصاح كالمجنون : « الارض تدور حول نفسها » وظل غيره من العلماء والرعاع « عقلاء » لا شك فيهم

ومن سوء الحظ أن الشيخوخة عرضة لتصلب الاعصاب التي تحمل الاختبارات السابقة كما هي عرضة لتصلب الشرايين ، وكلما كبر الانسان حل الجمود في تفكيره محل الليونة والمرونة وهزأت « حكمة » الشيوخ فيه ، و « جلال » الاختبار ، « بطيش » الشباب ، و « صغر » العلم الحديث ، وأصبح وإذا به مناعة لقبول الاختبارات الحديثة . وقد صدق الوزير الأنجليزى دزرائيلى في قوله المأثور : « ان الآراء السائدة التي تسيطر على العقول ، انما هي آراء جيل زائل ... » ومن سوء الحظ أيضا أن المرء المسن بطبيعته يحن الى الماضى حنين الليل الى مطلع الفجر ، وإذا ما أراد أن يدرس مبدأ جديدا تعثر بين أغوار الماضى وأنجاد الحاضر ، وإذا ما لفظ مبدأ قديما من مخيلته الصوانية القاسية ، كان مثله مثل الفتاة الحيية البكر وهى ترسل من محاجرها أول دمعة من دموع الحب . وإذا ما عقد النية على الاحتفاظ بآرائه القديمة رغم تسليمه بفسادها ، آثر أن يريق في سبيل ذلك محجا من دماء القلب ، كما تؤثر العذراء جز العنق على التفريط في أعز مالديها

ان المهندسين ورجال القانون والمعلمين والأطباء وغيرهم من ذوى المهن الراقية (وغير الراقية) منافقون ، دجالون ، إذا كانت رءوس أموالهم الاختبار وحده ، واذا كانوا لايرجعون الى الكتب والمراجع ، ويشتركون في المجلات الحديثة ، ويتمشون مع الزمن ، ويطلعون على ما استجد في مهنهم ، لانهم بغير ذلك يستلمون للصدف والخيالات والصور ، ويعتمدون على الذاكرة ، ويحاولون أن يلبسوا الناس اليوم أزياء معلميهم التي مضى عليها عشرات السنين

الاختبار أداة بطيئة للتعلم ، لان ما يتعلمه الرجل في ساعة أو ساعات من الكتب العلمية الصحيحة ، لا يستطيع ادراكه من الاختبار في عشرات الاعوام ، ومهما قيل من أن الكتب وحدها لا تعلم الانسان ، فانه لا سبيل الى التعلم بغيرها . ويخطىء الناس اذا قاسوا كفاية الطبيب

أو المعلم أو المحامى بسنه وطول خبرته لان رقاص الساعة لا تقاس قيمته بقدمه بل بدقته Le perfection d'une pendule n'est pas d'être vieille mais d'être reglée والالهام كما يقول الفرنسيون لا ينزل على صاحبه بطول السنين بل بالاستمرار فى العمل. L'inspiratim.... c'est de travailler tous les jours

وبعد كتابة ما تقدم وقع نظرى على كلمة لعالم بحاثة كان له الايادى البيضاء فى تقدم صناعة السيارات ومخترعاتها ننقلها بحروفها (١) : « مما يؤسف له أن مواد الدراسة التى تلقاها توهم الطالب أنها القول الفصل والاخير فى الموضوعات التى نطرقها . والعامة من الناس يصرخون على الدوام مطالبين بالاستقرار ، لان تفكيرهم تقليدى ، وكل جديد فى نظرهم زندقة ، وقد نسوا أن التغير سنة الحياة . ان المكتبات لا تكاد تتسع للمؤلفات التى تبحث فيما نعرف ، وكم أود لو كان هناك مكتبات للبحث فيما لا نعرف . لو أتيح ذلك لكانت مؤلفاتها أكثر عددا وأشد ضخامة من سابقتها . ان العالم لفى حاجة الى جهل مع ذكاء (فهو خير من علم مقترن بغباوة) ، لان معظم المتعلمين يظنون أنهم ملمون بكل شاردة وواردة فى الموضوع ، فيقفون عند هذا الحد » وهذا ما حدا بالفيلسوف فرنسيس بيكون أن يقول : « إذا أردنا ان نفكر تفكيراً صحيحا فلنتخلص أولا مما علق بأذهاننا من المعانى المجردة » (٢) ومن أقوال غندى : أن السبيل الوحيد لانقاذ الهند من جهالتها هى ان تنسى ما تعلمته unlearn وتبدأ صفحة جديدة

ولسنا نريد أن نقفل باب البحث فى هذا الموضوع قبل أن نعطى « الاختبار » حقه ، ونشيد بذكره وقيمته فى الحياة . ونحن لم نتعمد الكلام على الناحية السلبية بإسهاب الا لعلمنا أن الناحية الايجابية أمر مسلم به سلفا ، ولكن قلما يفكر الناس فى النكبات والمصائب التى يجرها الاختبار على ذويه وعلى العالم بوجه عام

تبدأ عملية الاختبار منذ ولادة الطفل ، وتستمر طالما كان المرء على قيد الحياة ، والفرق بين الطفل والرجل فى المشاهدات الحسية ، أن الأول يعتمد على الحواس وحدها (تقريبا) فى تفهم الاشياء ، فى حين ان الثانى يكون جل اعتماده على الاختبار . فاذا نظر القارىء الى ساعة ملقاة على المائدة ، لا تكاد تقع عيناه عليها بضع ثوان حتى يحكم أولا أنها ساعة ، وثانيا أنها من الفضة ، وثالثا أنها من مصنع كذا ، ورابعا أنها الساعة الرابعة الخ . . .

أما الطفل الذى لم يسبق له عهد بها ، فانه لا يفهم عنها الا ما تمليه عليه الحواس ـ العين لتنظر الى شكلها ولونها ، والأذن لسماع دقاتها ، واليد للمسها ، والفم لتذوقها ، وكل ما يدركه عنها أنها تشبه شيئا آخر سبق له اختباره ، وقد يكون هذا الشىء ريالا أو بيضة أو صدفة . ولذا لا يكتفى بالنظر اليها بل يفك أجزاءها اذا تمكن من ذلك ، وفى الغالب يكسرها تكسيراً ، ويحاول أكلها

---

(١) عن Charles F. Kittering فى مجلة American Magazine

(٢) وعبر عنها بتعبير قوى فى قوله "To think correctly, we have to get rid of your "isms"

أحيانا ، اشباعا لغريزة حب الاستطلاع . ومن هذا يتضح أن الطفل أحوج الى الحواس من الرجل . والرجل الريفى الساذج يكون مثله مثل الطفل ، اذا وقع نظره على مجهر ، بعكس المتعلم فانه سرعان ما يراه حتى تتمثل أمام عينيه الجراثيم والأمراض والعالم الفرنسى « باستير » الخ الخ

بغير الاختبار اذاً تبقى الاشياء والحقائق نظرية بحتة ، عديمة المعنى . فدروس الطب مثلا بغير اختبار آلات غير مشحونة ، وأقوال جوفاء ، وصور خيالية ، وما الاتقان والحذق والمهارة عند الصانع والجراح والفنان سوى انصياع الاعصاب لصاحبها انصياعا يصبح به الجهاز العصبى (المخ والحبل الشوكى) طوع بنانه ، وهذا ما نسميه اختبارا . ولو وقفت عملية الاختبار ساعة واحدة من العالم الذى نعيش فيه ، لا نقرض الجنس البشرى (والحيوان) ونسى الناس كيف يأكلون ويشربون ويناموں ويعشون ويستدفئون ويتقون غوائل الجو والرض ، ومتى وأين .. وما العلوم والمخترعات والاستكشافات الا نتائج لاختبارات سابقة ترجع الى فجر التاريخ الانسانى ، وما العلوم القارنة فى الطب والقانون والتربية والهندسة وغيرها الا اعتراف صادق بفضل الاختبار

ونتيجة البحث ان الاختبار اذا اتخذناه لنا سيدا ، تعسف وتجبر ، وكان علينا نكبة ورزيئة واذا اتخذناه عبدا ، كان لنا عونا ونصيرا

امير بقطر

التعصب والتسامح

كلمات مختارة لارنست رينان

منشأ التعصب هو العاطفة التى لم يهذبها العقل والتى تنطلق فوارة جامحة لا وازع لها من ارادة أو تفكير

والتعصب يفشو عادة فى الأمم المتأخرة وفى الشعوب البدائية الساذجة . وقد تنحدر اليها هذه الرذيلة من الطبقات المتمولة التى كثيرا ما تلهب التعصب فى نفسية الجماهير خدمة لمصالحها وقضاء لأغراضها

والواقع أن التعصب لا يخدم الشعوب نفسها بل يخدم أصحاب المصلحة فيها ، أولئك الذين يزينون للجماهير التعصب لفكرة مرذولة أو لعقيدة فاسدة بحجة أن هذه الفكرة أو تلك العقيدة هى دعامة استقلالهم أو رمز قوميتهم أو عنوان مجدهم وفخارهم

وهكذا تقع الشعوب الجاهلة فى الفخ وتزداد تأخرا وانحطاطا

* * *

كلما تسامحنا فى قبول آراء الغير وحررنا نفوسنا من لوثة التعصب وحكمنا عقولنا وغلبناها على عواطفنا ، استطعنا تجنب الاضطرابات وتفادى الثورات وسفك الدماء

ولا شك ان التعصب أهرق من الدماء اكثر مما أهرقته الحروب . بل هو الذى دفع الى معظم الحروب وما يزال يثير بين الامم كوامن الضغائن والاحقاد

فالرجل المتحضر هو الذى يتسامح والرجل الهمجى المتوحش هو الذى يتعصب

ولن يستقر السلام فى العالم الا متى أخذت الدول بمبدأ التسامح على قاعدة الحل الوسط أى التوفيق بين مصالحها ومصالح الآخرين بتحمل بعض التضحيات التى لا غنى عنها لتحقيق السلم والرخاء البشرى

* * *

ان التسامح دليل بالغ على سعة العقل ورحابة الصدر والتعصب رمز لضيق الذهن وضآلة النفس

ومن خصائص التعصب متى استولى على شعب من الشعوب انه يحيل هذا الشعب الى شبه قطيع من الانعام تساق وفق مبدأ واحد ونزعة واحدة

ومما لا يقبل الريب أن الأمة المساقة الى هدف واحد بفعل التعصب لابد أن تفقد قوة الحكم على الأشياء والاشخاص وعندئذ يسيطر عليها أصحاب السلطة سيطرة مطلقة ويجردونها شيئا فشيئا من كل حق فى مباشرة شؤونها والاشراف على أنظمة الحكم فيها

* * *

لم تقم لأوربا قائمة إلا منذ اليوم الذى صاح فيه فولتير بوجوب سحق روح التعصب والأخذ بمبدأ التسامح

والحق أن التسامح لا يمكن أن يسود إلا متى سادت حرية الفكر . فحرية الفكر معناها حرية الفحص والدرس وتقليب الاشياء على مختلف وجوهها

فان لم تحقق الحرية الفكرية وتغرس أصولها فى نفسية الجماهير ، عجزت الجماهير عن التحرر من عواطفها التى تدفع بها على الرغم منها الى التعصب الممقوت

ولذا كان فولتير يدعو الى حرية الفكر وهو يبشر بالتسامح . وسر عظمته كائن فى هذه الدعوة المزدوجة الرائعة

القضاء والقدر
فى رأى العلم الحديث

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

« ... ان حياة الانسان يحدوها من داخلها وفى خارجها عوامل من وراء وعيه وفوق ارادته . ففى الخارج المؤثرات الكونية وأحكام البيئة . وفى الداخل عالم النفس الباطنة يصدر عن أغوارها صوت الغريزة القوى وهمهمة النوازع الوراثية فتتجاوب بها جميعاً جوانح الانسان وتنبض لها كل جارحة من جوارحه ... »

مما تداولته الألسن وتقرر فى الأذهان أن الشرق بلاد القضاء والقدر . ولا نحب أن ندفع هذا كما يفعل بعضنا استنقاذاً لسمعتنا نحن الشرقيين من وصمة الجهل وظلام الفكر ، بل نؤثر أن نسوق هذا بعينه شاهداً على ما انطبع عليه الشرق قديما من عمق التأمل وسداد النظر

فانه اذا كان من الطبيعى ألا يقتل كل من خاض معركة طاحنة ، وألا يغرق كل من تحطمت به سفينة ، إلا أنه ليستوقف النظر أن يصطلى الرجل نيران الوغى أو تتحطم به السفن فى المحيط اللجى ثمانى مرات أو عشر مرات ويخرج فى كل مرة سليما معافى

وليس فينا من لا يعرف أو يسمع على الأقل بامرأة من معارفه أو معارف معارفه كما تزوجت عاجلت المنية أزواجها الواحد بعد الآخر . وكذلك ليس فينا من لا يذكر تاجراً ممن حواليه ظل دائم الفجيعة فى ماله من جراء طوارق خارجة عن ارادته لا تقع فى الوهم ولا ترد على الحسبان . ولقد ينشأ الاخوة نفس النشأة ويتلقون نفس التعليم بنصه وفصه ويسلكون طريقا واحدة ، فاذا أحدهم قد أفاد الثراء والجاه كله وأخوه يوشك ألا يجد قوته ويقيم أوده

ومن الناس من لم يتحقق له قط أمان فى الرزق أو فى الحب أو فى حياته الزوجية العائلية أو الاجتماعية مهما دبر وجهد . على حين تتكفل الأيام برفع غيره كل آن من حضيضه الأوهد حتى تبلغ به ذروة المعالى وتبوئه سنام المجد . والتاريخ حافل فى هذا بالشواهد العديدة من كل أمة وفى كل زمان . وما لنا نذهب بعيداً وآية هذا فى أنفسنا ، فلو أمعن كل انسان منا النظر فى حياته لما عتم أن ينتهى الى العجب من أنه هو أيضا كان يلقى على الدوام العسر مثلا أو قل اليسر فى أمور بعينها

فلا جرم يشق على العقل البشرى أن يتصور أن تكرار هذه الحالات المتماثلة فى حياة هذا الفرد من الناس أو ذاك من موجبات مسلكه الشخصى ورهن تدبيره وتصرفه . ولا مندوحة لنا نحن البشر أبناء الفناء — حين نريد التعبير عن هذا الاتفاق فى الظروف والملابسات والمواقف والمؤثرات ، وبالجملة هذا التوجيه السائد على حياة بعينها — من أن نذكر القضاء والقدر

ولقد كد أئمة الأديان والحكماء وعلماء الكلام والباحثون فى الاخلاق جميعا أذهانهم ، وطال جدالهم واشتدت ملاحاتهم دهورا ليتقروا مدى ما هو مضروب على الانسان من جبرية وما هو متروك له من حرية . ثم هذه هى مسألة « الجبرية والقدرية » لا زالت بعد هذا كله حيث هى من المسائل الخلافية

على أن الذى نريد ملاحظته هنا أنه كلما تقدمت العلوم الطبيعية كانت أشد قبولا فى مجالاتها لفكرة الجبرية . فالكثير مما يراه الذهن العامى بداءة من بدوات الطبيعة غير معلقة على شرط ولا مردودة الى علة ، لا يزال العلم بها على طول الزمن حتى يهتدى الى مصادرها ومآتيها ويستقرى حركاتها ومجاريها ويحيط بنظامها ويتعرف نواميسها . فكل شىء فى نظر العلم محكوم بالسببية ، خاضع لسيانها المحكم ، صادر عن علل طبيعية الى نتائج حتمية

وهذه الجبرية الكونية المحيطة بنا يضيف اليها علماء عصرنا جبرية أو جبريات أخرى

ذلك أن الشاهدة المحققة والتجارب المتعددة دلت بأجلى بيان على مابين الخلقة الجسدية والطباع الخلقية من صلة وثيقة فى الاحياء كافة من انسان وحيوان . وقد أجرى بعض العلماء تجاريبهم فى بعض الطيور مثلا ، فزودوها بعد خصائها بالغدد التناسلية الخاصة بالجنس الآخر ، فاذا التغير الطارىء عليها لا يقف أثره عند سمات التكوين والشكل فى الريش والاعراف والأظفار وغيرها ، بل يتعداها الى الصفات الخلقية . فاذا الدجاجة التى صارت ديكا قد أخذت فى المناقرة والعراك مع الديكة الأصيلة وأقبلت على مغازلة الدجاجات بنات جنسها السابقات

ثم مأساة الفراشة التى ما برحت موضع الوصف والتشبيه فى اشعار العشق وهى تحوم حول سنا المصباح حتى تحترق فى آخر الأمر بناره . تلك المأساة بعد ان كانت موضوع الشعراء تناولها أيضا بحث العلماء . فذهب بعضهم الى ان دوران الفراشة حول الشعلة دورانا منتظما مطرد السياق يدل على أنها تتذبذب بين النور والظل كالذرة الزلالية فى جسم يتحلل كهربائيا ، فهى تارة نحو الموجب وأخرى نحو السالب على حسب ما تصيبه فى كل مماسة من شحنة كهربائية موجبة أو سالبة . أى ان دوران الفراشة باختصار يدخل فى نطاق ما يسمونه قانون التذبذب التفاضلى . وهكذا تكون حركات هذا الكائن اللطيف الحى — كلما اتفق وجوده على مسافة معينة من المصباح — خاضعة لحكم القوانين الطبيعية الكيمياوية خضوع حركات الكرية الصغيرة المدحرجة فى الصحن للقوانين الميكانيكية

وعدا ما رأيناه من تأثير العنصر الجنسى وحكم التفاعل الطبيعى فى الكائنات الحية ، فهنالك حكم الوراثة . فالكلب مثلا يدور فوق مرقده من البساط قبل أن يسلمه جنبه ، لأن أسلافه المتوحشة كانت تفعل ذلك فى الغابة تمهيداً للورق وطرداً للهوام منه قبل افتراشه . وبديهى أنه لا حاجة اليوم بكلاب النعمة أحلاس البيوت الى هذه الحيطة . ولكنه على الرغم من بطلان الحاجة فقد بقيت العادة

وهذه الاحكام غير مقصورة كما قدمنا على مملكة الحيوان ، بل تسرى فى جملتها على نوع الانسان . إلا أن الانسان يخلع على جميع ما يأتيه لبوس العقل ويعتبره صادراً عن الارادة . فى حين انه لم يفكر فى فعل من الافعال ولم يرده إلا لان دوافع طبيعية فى دخيلة نفسه اقتضت ذلك . فارادة الانسان للشىء دليل على الحالة النفسية لا باعثها . فهى ليست سببا موجبا بل نتيجة مباشرة

وبديهى أن هذه الحالة النفسية التى تصدر عنها أفعال الانسان ومعقباتها واقعة تحت تأثير الظروف وللملابسات الخارجية المحيطة كما انها رهينة بالاستعدادات والنوازع التى يهيء نفوسنا لها نوع التركيب العضوى ومدى قيام الاعضاء بوظائفها وعوامل الوسط والوراثة والعادة وما شاكلها

ولقد أفاض علم التحليل النفسى الحديث فى الابانة عما للنوازع الجنسية من الشأن الأكبر فى الحياة الفكرية والعاطفية والروحية وغيرها من نواحى الحياة بما لا يدع مجالا لقائل ، كما أنه فى رده حقائق حياتنا جميعها الى غيابة النفس الباطنة لا يدع لنا أدنى حرية فى تصرفاتنا . فان الرجل منا قد يعرف سوء المصير لنزعة فى مسلكه وقد لا تعوزه ارادة التحرر منها ، ولكن ما قيمة هذه الارادة اذا اصطدمت باستحالة التنفيذ ؟ هيهات يغنى هنا شيئا أن تنعقد الارادة فى النفس الواعية اذا كان المحرك الحقيقى الكامن فى النفس الباطنة لا يشترك فى هذه الارادة ولا يصدق على قرارها

وكذلك الوراثة فان أثرها ملحوظ منذ أقدم العصور . وقد ترك لنا أبقراط الفيلسوف والطبيب الاغريقى نظرية فيها. وأجرى علماء الوراثة المحدثون تجارب عدة وسجلوا فيها مشاهداتهم خلصوا منها الى أقيسة وقوانين ، حتى ليصح القول اليوم أن الوراثة أخذت تدخل فى عداد العلوم التى يطلقون عليها اسم « العلوم المضبوطة »

أما العادة فلا يخفى سلطانها حتى على رجل الشارع . وهى تجعل أكثر ما نأتيه فى حياتنا اليومية من أفعال كالسير واللبس وادارة بعض الآلات ، أفعالا آلية نأتيها على الوجه الصحيح دون أن نوقظ لها شعورنا أو نوجه اليها انتباهنا . وفوق ذلك فان هنالك أعمالا تحتاج الى منتهى الدقة وألعابا فى غاية الخطورة يؤديها من اعتادوها وتمرسوا طويلا بها فى ترسل وارتجال دون مبالغة فى تكلف الاهتمام وتركيز الذهن ، بل ان هذه الاعمال تتم على الوجه الأدق والأسرع والأضمن كلما قلت حاجة الوعى الى الاستيقاظ لها والتدخل فيها . ثم اننا كلما تقدمت بنا السن ودرجت علينا الايام

تأصلت العادة فينا ، فاذا هى مستولية علينا واذا بنا نستنيم اليها فلا نجهد فكراً ولا نعمل روية ، وانما نفعل ما نفعل بحكم العادة لا غير ، تبعا لقانون الجهد الأدنى والتحرك الذاتى . ولا مشاحة فى أن كل عمل نجترحه يولد فى نفسنا نزوعا من نوعه ، فاذا تكرر اجتراح العمل زاد مجراه فى النفس تعميقا بعد تعميق وانساقت فى تياره لا تملك ارعواء ولا توقفا بل هى ماضية فى الاتجاه الى الغاية المقدورة له

ويخلص مما تقدم أن حياة الانسان يحدوها من داخلها وفى خارجها عوامل من وراء وعيه وفوق ارادته . ففى الخارج المؤثرات الكونية وأحكام البيئة . وفى الداخل عالم النفس الباطنة يصدر عن أغوارها صوت الغريزة القوى وهمهمة النوازع الوراثية فتتجاوب بها جميعا جوانح الانسان وتنبض لها كل جارحة من جوارحه . وقد أشار « ماترلنك » الى هذين فى قوله : « ان العلاقة قائمة أبداً بين الغريزة والقدر . فهما متضافران ، يحومان ويد كل فى يد زميله حول الانسان الغافل » . والجمع بين هذين المقدورين يتفق واعتبار الانسان فى حكمة الاقدمين كونا صغيراً يقابل الكون الكبير ، ويتفق وما جاء العلم الحديث مصدقا له باكتشافه أن تركيب الخلية مثل تركيب الجسم وأن الذرة فى كيانها كالنظام الشمسى ، وبالجملة تقريره المماثلة بين الجزء والكل . فمهما قيل بعد هذا عن حرية الانسان فلا حرية له فى تغيير غرائز الخلقة الطبيعية والاخلال بالنواميس الكونية

فالقدر محيط بنا ، والقدر قائم فينا . وقد صدقت الشرق أديانه ، ولم يكذبه وجدانه

عبد الرحمن صدقى

الموسيقى الشرقية

لم تعد تعبر عن روح الشرق الجديد

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

يحاول الشرق العربى أن يتقدم ويتجدد متجه الانظار صوب الحضارة الغربية القائمة . ولقد جاهد فى هذا السبيل حتى الآن جهاداً رائعا استمد عناصره من مختلف الحركات السياسية التى قام بها للمطالبة بحريته وتحقيق استقلاله

فرغبة الحرية أشعرت الأمم الشرقية بأن لا حرية بدون علم ولا استقلال بدون ثقافة ولا نهضة سياسية صحيحة بدون نهضة فكرية وروحية تعزز قواها وتبرر حق المطالبة بها

فى ميدان الفكر استطاع الشرق العربى ولا سيما فى مصر أن يؤكد نهضته . فجدد الأدب وأشربه روح الأساليب الأوربية وانتقل به من دائرة الخيال المطلق الى فسحات الحياة الواقعة ثم أخذ بقسط وافر من العلم فأخرج نفراً من العلماء تمكنوا من اضافة شىء جديد الى المكتشفات العلمية الحديثة

وفى ميدان الفن ولا سيما فى مصر أيضا ارتقى الرسم والنحت والتمثيل واتجه أصحاب هذه الفنون الى أوربا فاقتبسوا منها الاشكال والاوضاع والاصول ثم تحول بها أذكاهم وأنبغهم فأدمجها فى النفسية الشرقية بغية استخلاص فن مستقل يعبر عن مصر خاصة والشرق عامة

وهكذا سايرت الفنون فى الشرق العربى تيار أوربا ما خلا فن الموسيقى الذى بقى جامداً تردد ألحانه صدى للماضى السحيق

فما هو السر فى تقدم الفنون الأخرى وركود فن الموسيقى ؟

الواقع أن هذه الظاهرة ترجع الى سبب واضح وهو اننا قبل نهضتنا الحالية لم تكن قد عرفنا فنون الرسم والنحت والتمثيل بمعناها الحديث . كان تصوير الشخوص محرما عندنا ، وكان حجاب المرأة يحول بينها وبين الظهور على المسرح ،فما أخذنا بأسباب الحضارة الأوربية نقلنا فنون الرسم والنحت والتمثيل من مصدرها المباشر فكان التطور بها سهلا علينا وكانت هذه الحركة بالنسبة لنا شبه طفرة فصلت بين القديم والحديث

وأما فن الموسيقى فكان قائما عندنا . كان للشرق العربى فنه الموسيقى المعين وتزعته الموسيقية

المستقلة تمكنت منه وتغلغلت فيه وتأصلت فى نفوس أبنائه وخلقت لهم أذنا خاصة ومزاجا خاصا وطابعا منفردا فى الاحساس والشعور

فهذا الرسوخ فى الماضى هو الذى عاق تطور الوسيقى الشرقية وهو الذى جعلها اليوم فى مؤخرة الفنون

ولقد ارتقى الشرق العربى فى تفكيره وأدبه ومعظم فنونه التصويرية ولكن موسيقاه بقيت على حالها تدل أبلغ الدلالة على اتساع الهوة بين عقل الرجل الشرقى واحساسه ، بين قشرته ولبابه ، بين ذهنه المتطلع وقلبه المتخلف ، بين ثقافته العصرية ومزاجه الفنى

فروح الشرق الناهض الجديد لم تعد تعبر عنها موسيقاه . وهذا التناقض الصارخ لابد أن يفسد العقل والتفكير والذوق ، ويفسد فى الفنون خاصة تطورها المنسجم ان تجاوزنا عنه ولم نلفت النظر الى خطره

والحقيقة ان الموسيقى الشرقية فى أوضاعها الحاضرة فن لم يخرج عن طوره البدائى بعد . أو هى لم تصبح بعد فنا بالمعنى المقصود بهذه الكلمة . إذ يشترط فى كل فن صدق التعبير وتنوع غاياته ونبل وحيه وجمال تأديته وعمق أثره وشيوع نزعة التسامى فيه

فما هى غايات الموسيقى الشرقية وما هو وحيها وعم تعبر ؟

نجيب فى صراحة انها مجموعة نغمات تنطلق من الغريزة الحيوانية ولا تخاطب غير الغريزة الحيوانية وبعض عواطف معينة تلهبها أو تقترن بها أو تنحدر منها

فاذلال النفس أمام الحبيب وتملقه والتخنث من أجله واستجداء رحمته بالبكاء والندب والعويل، هى النغمات الرئيسية المسيطرة على الموسيقى الشرقية . وأما الغاية منها فواحدة لا تتبدل وهى التمتع بهذا الحبيب تمتعا جنسيا محضا

فالرقة والنعومة والحلاوة الشائعة فى تلك النغمات تموه علينا العواطف وتموه علينا الشعر والجمال ، ولكنها فى جوهرها شهوية الغرض حسية الهدف حيوانية الغاية والمعنى . بل ان تثنيات الانغام الشرقية والتواءاتها وما فيها من تأوهات متعاقبة وأنات متداركة وزفرات وشهقات حادة متقطعة ، لترمز الى النداء الجنسى وتعبر عنه تعبيرا شائنا فاضحا لا يجاريها فيه غير رقص البطن البغيض المرذول !

فاذا كانت الموسيقى الغربية توحى الينا المعبد فالموسيقى الشرقية توحى الينا الحان . وهى من هذه الوجهة تمثل نفسية الحان ورواده أبلغ وأتم تمثيل

وأكبر دليل على ذلك انها لاتطرب السامع الطرب العميق المنشود إلا وهو سكران . فتلهب عندئذ بأنغامها الحادة حواسه وتشترك مع الخمر فى زعزعة عقله وأعصابه وفى حمله على تناسى الدنيا وما فيها بالارتماء فى لذة البدن ونعيم الشهوة

فليس هو الحب الذى تعبر عنه موسيقانا إذن بل هى الشهوة . وما الحنين المزق السارى فى نغماتها إلا حنين الرجل الشرقى المحروم من المرأة ، الى عاطفة الحب التى ينشدها ويتحسر لعجزه عن الشعور بها

فالحسرة على حب مستحيل التحقيق فى مجتمع يفرق بين الجنسين ، هى التى تخلع على موسيقانا ذلك اللون الأليم الذى يسميه البعض حنينا ، وما هو فى الواقع إلا صدى عجزنا عن الحب تخفف عبئه عن نفوسنا بالتخلص منه واغراقه آخر الأمر فى محيط الشهوة

والعجيب فى الموسيقى الشرقية أن الرجل يطربنا حين يغنى ألحانها أضعاف ما تطربنا المرأة . وذلك لأن هذه الالحان فى أصلها بكائة نائحة ، فمتى انشدها الرجل القوى وتخنث وتأوه وتحرق وبكى أو تباكى أثر فينا بالطبع أكثر من المرأة المفروض فيها الضعف . فكأننا نأبى إلا أن تذل الرجولة أمامنا كى يستخفنا الطرب ونشعر بالتأثير العميق . . .

والطرب فى الموسيقى الشرقية طرب « سماعى » يلذ على الآذان وقعه ولا يجاوز تأثيره حد الحواس . وأما العواطف المنوعة المتضاربة المتفرعة من الحب مثلا كالحيرة والقلق والأمل والحلم والغيرة والكراهية والثورة والانتقام وغيرها ، فموسيقانا لاتوحى بها ولا تكشف الستر عنها ولا تحاول صقلها وتهذيبها لأنها لاتصورها ولا تعبر عنها ولا تعبر عن الحب نفسه كمجموعة عاطفية منوعة ، إذ التعبير العاطفى « المنوع » الشامل ليس من غاياتها وانما الأثر « السماعى » الحسى القائم على نغمة مطربة واحدة أو عدة نغمات مطربة معينة هو غرضها الأول والأخير

فالملحن عندنا والحالة هذه يسجل فى ألحانه الجزء البدائى الفطرى من عاطفة الحب ، ويسجله خلوا من مظاهر الانتفاش والقوة فى حين أن هذه المظاهر جزء من الفطرة أيضا . ولكنها الروح المتواكلة السلبية المتخلفة فى نفس الملحن من عصور الجهل وأزمنة العبودية والاستبداد تدفع به الى قصر جهوده على تسجيل مظاهر الضعف والتواكل والسلبية فى الحب ، والاكتفاء بها واعتبارها أصدق وأكمل صورة لهذه العاطفة

والملحن إن ادرك بالهامه ان الحب مجموعة عاطفية خصبة بالميول والاهواء المتنوعة المتمايزة فلن يجد من أصول وقواعد فن الموسيقى الشرقية ما يسعفه على تحقيق ذلك التعبير العاطفى المنوع الذى اهتدى اليه ببصيرته

وإذن فموسيقانا ليست تعبيرية بل هندسية . تعنى فى أنغامها بالتعاريج والالتواءات والعقد المتداخلة والبحات والحشرجات المتشابكة المنتظمة . وكلما كانت هذه العقد والبحات منسجمة وتلك الالتواءات محبوكة متماسكة زاد طرب الجمهور بها واعجابه وتهليله لصاحبها

وهذه الظاهرة تدل أصدق الدلالة على أننا نطلب فى الموسيقى الحذق البهلوانى لا التعبير الصحيح عما يشعر به الانسان

وأعجب من كل ماتقدم انك لا تكاد تسمع قطعة موسيقية شرقية حتى تدهش للفارق العظيم بين الحانها ومعانى الالفاظ المقترنة بهذه الالحان . . .

فاللحن ينزع الى غاية واللفظ الى غاية أخرى . . .

واللحن يسير فى طريق واللفظ فى طريق أخرى . حتى انك لو أبدلت هذا اللفظ بغيره وركبت عليه نفس الألحان ، ما أحدث هذا الانقلاب أى أثر فى القطعة الموسيقية ولظلت الانغام حرة مستقلة بنفسها لا تعبر الا عن الأغراض التى قصد اليها الملحن بصرف النظر عما قصد اليه الأديب واضع الألفاظ ...

وتلك فى الواقع مهزلة نشجعها ونقبل عليها ونطرب لها ونغرى الملحنين بالاسترسال فيها . ومرجعها كما ذكرنا تملك فكرة الطرب على الملحن واعتقاده بأن الطرب المنشود يصدر عنه وحده أى عن قدرته على التوفيق والملاءمة بين العقد والالتواءات والمحطات ومختلف ضروب « الغناء » بصرف النظر أيضا عن معانى الالفاظ التى عليه أن يجسمها ويبرزها ويصبها فى الانغام المنطبقة عليها

فالأنغام المطربة المحددة التى يعرفها الملحن والتى اعتادها سواد الجمهور والف أن يطرب لها هى التى تصب بنسب وأساليب مختلفة على كل لفظ وكل كلام مهما تنوعت معانيه وتباينت أغراضه

وهذا هو السر فى أن موسيقانا آلية متشابهة ، بل هذا هو السر فى السخط الذى يبديه شبابنا المتعلمون على كل تلك الادوار والطقاطيق التى لا تنفك تتكرر أنغامها فى ركود مذل للنفس مثير للاعصاب

يسخط المتعلمون منا ويشتد بعضهم فى السخط لشعورهم بأننا أصبحنا اليوم أرقى من موسيقانا

لقد تقدمنا فلم تلحق بنا وتطورنا فتخلفت عنا وتنوعت ميولنا واحساساتنا وما تزال موسيقانا جامدة راسبة متعفنة

ان العواطف الجديدة التى أشاعها العصر فى نفوسنا والانفعالات الجديدة التى ولدتها الثقافة فى عقولنا وقلوبنا ، لم يعد فى وسع اللحن الشرقى المستعبد للقديم تصويرها والتعبير عنها

لقد أصبحنا أرقى من اللحن ولقد انقطعت صلة اللحن بنا ، وبتنا لا نجد فى بلادنا فنا موسيقيا يستطيع أن يخاطبنا وينقع ظمأ وجداناتنا

وقد تكون موسيقانا فى وضعها الحالى متفقة ونفسية الجماهير المتأخرة من شعبنا ، ولكن وظيفة الفن أن ينهض بالجماهير لا أن يداهنها ، أن يرتفع بها لا أن ينحدر اليها ، أن يجدد احساسها وشعورها لا أن يمالئها على ذوقها ومزاجها . والحق أن الملحن عندنا عبد الجماهير المحافظة الجاهلة يستوحيها ألحانه ويأبى الا أن يفرض هذه الالحان على الطبقة المتعلمة وعلى الشعب كله باعتبارها فنا قوميا يعبر عن روح الشرق ويحمل طابع الامة

غير أن الشرق الناهض لم يعد يقنع بهذه الألحان ولم يعد ممثلا فى هذه الموسيقى . فان نحن

أبقينا عليها وأغضينا الطرف عنها وخدعنا بواجب الحرص على لونها الشرقي المزعوم ، عطلنا نهضتنا وانكرنا ثقافتنا وغررنا بأنفسنا وبالناس

فواجبنا اليوم أن ندعو الى فن موسيقى جديد . فن يمثل نهضتنا ويساير تطورنا ويعبر عن المستحدث الطريف من أهوائنا وميولنا

نحن لم نعد سلبيين ولم نعد أذلاء متواكلين . لم نعد نقنع من الحياة بالتأمل الأجوف والحلم الباطل والرخاوة العابثة المستمتعة

لم نعد نقنع من المرأة بالأنثى ومن الحواس بالشهوة

لم نعد نقنع من الحب بألوان التضرع وظواهر التوجع وصنوف الحسرة والابتهال

ان فينا لقوى ايجابية تتحرك وتنطلق وتعمل . ونحن بعد هــذا كله أناس كغيرنا لا نتوسل فقط عندما نحب ولا نشتهى فقط ولا نبكى فقط بل ننفعل ونفكر ، نغار ونحقد ، نثور ونتمرد ، نسمو ونتحط ، نتشجع أو نجبن ، فهذه العوامل جميعا وما يتصل بها ويتفرع منها يجب أن تترادف وتأتلف وتتمثل فى القطعة الموسيقية الغرامية الجديدة بأن تحمل اسم الفن

ولــكن ائتلاف هذه العوامل فى قطعة موسيقية فردة يتعارض مع طبيعة الموسيقى الشرقية . وتلك هى المشكلة !

فموسيقانا تأخذ بنظام الطرب السماعى أى « الميلودى » وموسيقى الغرب تأخذ بنظام آخر هو « الهارمونى » أى التعبير عن عدة عواطف وانفعالات متباينة يوفق للحن بين أنغامها المتنافرة ويجمعها فى قطعة واحدة منسجمة

فهذا النظام هو الذى نحتاج اليه . وما دمنا لم ندخله بعد على موسيقانا فلا يمكن أن نسميها فنا . لأن الفن هو طرب الروح بواسطة التعبير الشامل لا طرب الاذن بواسطة البراعة الهندسية فى ترتيب الانغام

وقد يعتقد البعض أن ادخال نظام الهارمونى على موسيقانا يفقدها طابعها الشرقى ، ولــكن الترك أدخلوه على موسيقاهم فتجددت واتسعت آفاقها واستعذبها الاوربيون وظلت مع ذلك تركية صميمة

والموسيقى الروسية او الاسبانية أوربية الاوضاع ومع ذلك ففيها من خشونة الشرق وحدته وشجواه وحنينه وأحلامه الدينية ونزعاته الصوفية الشىء الكثير

فنحن لن نفقد خصائص شرقيتنا ان جددنا موسيقانا بل نعززها ونؤكدها ونكشف للعالم المتحضر عن جوانب الصحة والقوة التى أوجدها التطور فينا ، على أن نتخذ من أوضاع الموسيقى الغربية واسطة للابتكار لا للتقليد ووسيلة لابداع مقطوعات أرحب وأكمل وأغنى تتجلى بين تضاعيفها حقيقة العواطف الشرقية كما يحسها أبناء الشرق الجديد

وأما ما يفعله ملحنونا « العصريون » من نقل بعض النغمات الأوربية الشائعة وترقيع بعض النغمات الشرقية بها بدون توافر سابق على دراسة أوضاع الموسيقى الغربية وبدون احداث انقلاب جوهرى فى أصول وقواعد موسيقانا ، فجهد لا تصدر عنه فى الغالب سوى أنغام مشوشة مضحكة لا رابط بينها ولا انسجام فيها ولا معنى لها ، أنغام لا ترمى الى تحقيق التعبير بالمعنى الذى بسطناه ، بل الى مضاعفة الطرب الشرقى السماعى من طريق ادخال بعض العناصر الاجنبية الطريفة عليه

فلكى نتحرر من داء الطرب هذا ونخلص الى جو التعبير النفسى ، يجب أن نحدث الانقلاب الجوهرى فى أصول موسيقانا ، ويجب أن نقيمها على أسس وقواعد الموسيقى الغربية . ولن يتم هذا الانقلاب فيما يتعلق بمصر إلا باتباع الوسائل الآتية :

أولا ـ تنشيط الدعوة للتجديد الموسيقى بشرح الفوارق الفنية العظيمة بين الموسيقى الشرقية والغربية

ثانياً ـ تنظيم الجزء العربى من الاذاعة اللاسلكية بحيث تتخلله أمثلة مختارة من الموسيقى الأوربية تقدم الى المستمعين بكلمة عن الفنان الأوربى وطريقته والغاية التى قصد اليها من وضع قطعته . وهكذا يهذب احساس الجمهور العربى وتتربى فيه حاسة الذوق والمفاضلة وتتكون له أذن موسيقية جديدة

ثالثا ـ توجيه دراسة النشء فى معهد الموسيقى الشرقى وجهة أوربية على أيدى جماعة من الاخصائيين

رابعا ـ ايفاد البعثات الموسيقية الى اوربا

خامسا ـ انشاء كونسرفتوار يدرس فيه أعضاء البعثات فن الموسيقى على أصوله الأوربية أو الحاق أولئك الأعضاء بمعهد الموسيقى الشرقى بعد تجديده

قد تكون هذه الوسائل غير كافية وقد يكون هناك أفضل منها . ولكن الاهتداء الى العلاج الشافى هو نتيجة لحسن تشخيص المرض

ولقد حاولنا فى هذا المقال دراسة سيكولوجيا الموسيقى الشرقية وشخصنا جهد استطاعتنا الداء الذى يفتك بها ولفتنا الانظار اليه ، فعلى الخبراء ورجال الفن المقتنعين بنقص موسيقانا أو الذين يمكن أن يقتنعوا بوجود هذا النقص فيها بعد مطالعة هذا المقال ، أن يدلوا الآن بآرائهم فى خير سبيل تتبع لتجديدها وانهاضها وتجريدها من عنصر التشابه التقليدى وما يحمل من الألوان العاطفية الوضيعة الذليلة المنكرة ، هذه الألوان التى قال فيها الموسيقى الفرنسى الكبير (رافيل) انها لو سلطت على أقوى الشعوب عزما واصلبهم ارادة وأشدهم ولعا بالحياة ، لقضت فيه على كل رجولة وكل كرامة وكل حياة !

ابراهيم المصرى

حياة الأديب ومبادئه

هل يجب التوفيق بينهما

يعتقد سواد النـاس ان حياة الأديب يجب ان تكون قدوة لسواه ، وان أخلاقه يجب أن تكون مضرب المثل فى الفضيلة ، وان مبادئه وآراءه وتعاليمه يجب ان تكون رجع صدى حياته بحيث لا يبدو فى سلوكه الشخصى ما يدل على تعارض جوهرى بين تفكيره وتصرفاته اليومية

فهل أولئك النـاس على حق ، وهل من واجب الأديب ان يوفق بين حياته ومبادئه ، وهل يكون انتاجه الأدبى فاسدا اذا كانت حياته فى عرف السواد فاسدة ؟ . . .

هذا ما سنحاول الاجابة عنه فى هذا المقال :

الواقع ان الأديب الصحيح انسان لايؤمن فى الحياة الابعقيدة الاختبار . فهو يتوق الى اختبار مختلف العواطف وشتى الوان الميول والأهواء كى يتسع مدى تفكيره وتتضاعف قوى خياله وتتوافر لديه أسباب المعرفة ويشرف بعقله على العالم ويعيش فى حياة واحدة عدة حيوات ! . . .

وما دام قانون الاختبارهو الذى يتحكم فيه ، فهو رجل لايستطيع انيدعو الى مبادىء تناقضه ولا يستطيع ان يدعو الى فضيلة الا بعد ان يختبر الرذيلة التى تلهمه هذه الفضيلة وترشده اليها

وهو فوق ذلك مخلوق دائم التحول مطرد التبدل والتطور يأبى الوقوف عند رأى واحد والتسليم بفكرة واحدة تجتمع فيها عناصر الحقيقة الكبرى لأن الاختبار قوام حياته ولأن الرغبة فى تجربة كل شىء ومعرفة كل شىء هى الظاهرة المسيطرة على شخصيته

فالحقيقة المجردة لا وجود لهـا فى نظره ، والمبدأ الصحيح المطلق غير قابل للتصديق عنده ، والفضيلة الثابتة الجامدة الصالحة للناس فى كل زمن لا يمكن ان تصادف من نفسه الوثابة المتلونة أى هوى

وهذا هو السر فى ان حياته الخاصة كثيرا ما تتعارض مع الفكرة التى يدعو اليها فى وقت من الأوقات أو المبدأ الذى يروج له فى ظرف من الظروف

فهو فى حياته العامة ينادى اليوم مثلا برسالة معينة . ولكن حياته الخاصة تنطلق فى نفس اليوم بل فى نفس اللحظة باحثة عن رسالة جديدة خشية ان تكون قد خدعت برسالتهـا الاولى واطمأنت بصفة نهائية الى سلامة الحقائق المشتملة عليها

فخاصة الأديب البارزة هى عدم اطمئنانه الى صحة الفكرة التى اهتدى اليها ، ورفضه التسليم بأن هذه الفكرة كائنة ما كانت قد اجتمعت فيها خلاصـة الحقيقة ، واعتقاده الراسخ بأن الحياة

اعتقد وارحب من أن تحصر فى مبدأ محدد أو رسالة معينة

ولذا فهو يمعن فى الاختبار ويفرق بين حياته الخاصة والعامة ليتمتع بحرية الاختبار خدمة للفكر وخدمة للحياة

وهو من هذا الجانب شديد الشبه برجل العلم

وكما ان العالم يظل مخلصا للنظرية العلمية حتى تدعوه التجربة الى نقضها واستبدالها بأخرى ، كذلك الاديب يظل مخلصا للمبدأ الاجتماعى او الخلق حتى تدعوه التجربة الى نقضه والأخذ بسواه

ولكن العالم يجرى تجاربه فى معمله ، اما الاديب فحياته هى المعمل ، وهى ميدانه المستقل تتراكض فيه قوى المعرفة والاختبار

ولو اننا طالبنا الأديب بتوثيق الصلة على الدوام بين حياته ومبادئه ، لجردناه من حقه فى الحرية وباعدنا بينه وبين الحياة ، وضيقنا آفاق تجاربه ، واقمنا الحواجز والسدود أمام ذهنه ، وعطلنا حركة الفكر ، ورجعنا بالتطور الثقافى القهقرى

وقد يستنكر البعض هذا الشذوذ فى شخصية الاديب ويستقبحه ويرى فيه خروجا على العرف وثورة على اوضاع المجتمع . ولكن هذا الشذوذ ان عاد بالضرر اليسير على الفضائل المصطلح عليها فهو يعود بالنفع العظيم على الانسانية بأسرها لأنه الوسيلة الوحيدة لخدمة الفكر والحافز القوى الفرد لكل حركة من حركات التطور

ويجب ألا نتوهم أن الأديب يلتذ هذا التنافر الملحوظ فى شخصيته ويغتبط به ، ويتخذ من إغضائنا عن حرية سلوكه ومن التسليم له بهذه الحرية ، مشجعا على استغلالها والاتجاه بها فى طريق الاثم والشر . إذ الواقع أن الاديب لا يتطلع الى الاثم إلا ليفهمه ، ولا يشرئب اليه إلا ليستبطنه ، ولا يقبل على الشر رغبة فى الشر بل فى معرفة الحياة ، ولا يروج لفكرة تناقضها حياته الخاصة إلا وهو معذب بهذا الشذوذ ، مدفوع بغريزة الاختبار ، مساق بحافز التطور

وليس شك فى أنه يتعذب لأن حياة الناس تميل بهم الى الثبات والاستقرار وحياته تنزع به الى التقلب المطرد والحركة الدائمة . يتعذب لان ملذات الناس لا تكاد تمر بهم حتى تضمحل وتتبدد وتتلاشى فى غيرها . أما ملذاته هو فيجب أن تكون مسممة . . . أى يجب أن تكون خصبة ، يجب أن تكون خالقة ، يجب أن تصور وتحلل وتستخلص منها مادة فكر وخير وجمال

يتعذب لأن الحقيقة فى نظر الناس ينبغى أن تكون مطلقة ، أما فى نظره فلا يمكن أن تكون إلا حرباء متلونة أو جنية ساحرة تتخذ شتى الصور وتتشكل بأغرب وأروع الأشكال !

فعذابه هذا هو الذى يشفع لحريته ! وهو الذى يضطرنا الى التجاوز عن شذوذه وعن التنافر الشاهد فى بعض الأحيان بين حياته ومبادئه

وبعد كل هذا فماذا يهمنا من حياة الأديب ان كان عمله جميلا ؟

ماذا يهمنا من السماد ان كانت الزهرة جميلة ؟ ماذا يهمنا من الشر ان انتج الخير ؟

قد تنبت الزهرة فى مستنقع ، وقد تنبثق الفضيلة من ماخور ، وقد تكمن الرذيلة فى مسوح راهب ، وقد تكون العذراء أشد قحة من بغى !

ومما لاريب فيه ان الأديب الكبير أو الفنان المتفوق يعلم حق العلم أنه لايستطيع أن يعطى إلا على قدر ما يأخذ . وهو لن يكون عبقريا إلا متى شابه أمه الارض ، الارض الأبدية التى تهضم كل شىء لتخرج أبدع الأشياء . وكما أن الارض لا تستحى من أكل الجيف وهضم الرمم ، كذلك الأديب الكبير لا يخجل من استيعاب شر ما فى الكون من عواطف وميول يقينا منه أنه سوف يرده الى الحياة مادة ناضرة خالقة !

ومع ذلك وعلى الرغم مما تقدم فللمسألة وجه آخر لا ينبغى اهمال بحثه نظراً لخطورة اتصاله بالحياة العامة

يرى الكثيرون أن التنافر بين حياة الأديب ومبادئه اسوأ مثل يضرب للجماعات فى عصور الانتقال وأزمنة الاضطراب الاجتماعى وعدم الاستقرار الفكرى والسياسى ، حيث تكون الأمة فى أشد الحاجة الى قادة مثاليين يوفقون بين حياتهم ومبادئهم ويثبتون على هذه المبادىء ويكافحون من أجلها حتى النفس الأخير . فالاديب الذى يظهر فى تلك الأزمنة ، ويعيش فى حياته الخاصة وفق مبادىء معينة ، ويجاهر فى حياته الخاصة بمبادىء معينة ، ثم يروج يوما فى الحياة العامة لمبادىء معاكسة ثم ينقلب يوما آخر فيدعو لغيرها ، هو رجل كاذب منافق يسىء الى وطنه ويتلف عقلية الجماعة ويفسد أخلاقها ويشوش فى ذهنها خاصة الحكم على الأشياء وينتزع منها الثقة ببطولة الفكر والمفكرين ويضعف ايمانها بواجب الثبات على المبدأ

ولا شك ان أصحاب هذا الرأى على حق فيما يذهبون اليه . ولقد قاسينا فى مصر وما نزال نقاسى شر العذابات من جراء استفحال هذه الظاهرة فى نفوس بعض رجال الفكر عندنا . فمنهم من فنى فكره فى السياسة الحزبية وأغراضها ، ومنهم من استخدم صفوة مواهبه العقلية فى انتهاز الفرص والتنقل من حزب الى حزب بلا وازع من خلق أو ضمير ، ومنهم من كان رسول مبدأ حر ثم أنكره وناصر نزعة رجعية ، ومنهم من كانت حياته سلسلة تحول متصلة تثير السخط وتبعث على الاشمئزاز ، حتى لقد ضجت البلاد من مفكريها ولم تعد تفرق بين الصالح منهم والفاسد وبرمت بهم جميعا وخالجها من نحوهم شعور غريب بالحذر الممزوج بالاحتقار

كل هذا صحيح ولكن هل معنى هذا أن من واجبنا أن نحكم على كل أديب مفكر بالخيانة وننعت كل أديب مفكر بالكذب والنفاق والذبذبة لانه خرج يوما على مبدئه أو لانه تقلب مرات عديدة على مبادىء ونظريات مختلفة ؟ الواقع أن التحول أو التطور فى طبع الاديب كما ذكرنا وأن من حقه أن يكون حراً وأن ينقض اليوم ما قاله بالامس بل أن يهدم اليوم ما شيده بالامس

فليس هو الجمود الذي ينبغي والحالة هذه أن نعتبره دليل عظمة فيه ، وليس هو الثبات الجامد الذي يجب أن نطالبه به ، بل التطور ولكن مقترنا بالاخلاص ناهضا على الصدق مستمداً من حب الحقيقة بعد تمحيصها وتقليب أوضاعها على مختلف الوجوه

فللاديب المفكر أن يتحول من فكرة الى فكرة ومن مبدأ الى مبدأ على شرط أن يتم هذا التحول بعد جهاد عقلي نزيه وبعد بحث شامل عميق . ومتى وجدت رغبة البحث والتحرى توافر احترام الفكر وتوافرت عناصر النزاهة والصدق وبطلت سرعة التحول من تلقاء نفسها . لان الاديب الذي يحترم فكره لا يسرع في النزول عنه أو يتساهل في التفريط فيه واستبداله بسواه

وللاديب المفكر أن يتحول وينقلب على شرط أن يتم انقلابه بمعزل عن كل مصلحة شخصية وعلى أساس انكار الذات والتأهب لاحتمال أقصى التضحية عند الاقتضاء . وهذا هو مقياس الصدق ، بل هذا هو مقياس الحكم على الاديب متى اشتغل بالمسائل العامة سواء منها ما اتصل بالسياسة أو الاجتماع

فاذا كان قد انتقض على مبادئه الاولى رغبة منه في مصلحة تقضى ، وبدون أى مبرر فكرى نرى ونعلم ان قد هداه اليه البحث الطويل ، فهو الخائن وهو النافق وهو الوصولى الكذاب

وأما إذا كان يزعم أنه اهتدى الى رسالته الجديدة من طريق الفكر المنزه والرغبة الخالصة في خدمة الصالح العام ، ثم أنعمنا النظر في أدلته وبراهينه واستوثقنا من صدق تحوله ، فواجبنا إذ ذاك أن نختبر أخلاقه ونمتحن استقلاله ونجرب في الحياة العملية صدقه ونطالبه بأقصى التضحية من أجل توكيد رسالته أى بتطبيق مبدئه على شخصه وباحتمال نتائج هذا التطبيق أيا كانت ، فان فعل بلا خوف أو تراجع فهو المجاهد وهو القدوة وهو البطل ! . ولن يغفر له الناس تحوله إلا على قدر تبريره القوى لمسلكه ، ثم على قدر تضحيته

وكلما كانت تضحية المفكر شاقة قاسية كان تقدير الناس له أعظم وإيمانهم بصدق تحوله أشد ، واتباعهم له أسرع وأبقى

وإذن فمن الجانب الأدبي المطلق علينا أن نفرق بين حياة الأديب وفكره وان نحكم عليه بانتاجه كما نحكم على الشجرة من ثمرها . وأما من الجانب الاجتماعي والسياسى فلا مفر من مطالبة الأديب باثبات صدقه والتوفيق بين حياته ومبادئه على قاعدة أقصى الاخلاص مقترنا بأقصى التضحية

وفى ذلك يقول المفكر والزعيم السياسى الشهور جان جوريس :

« ان الأديب المشتغل بمسائل تتعلق بمستقبل أمة ، يجب أن تطابق حياته فكره ، وتمثل أخلاقه مبادئه ، بل يجب أن يهب للمبدأ المستخلص حياته ، وإلا خان الفكر وخان الأمة وجرد الشعب من أقدس العبادات البشرية وأقدرها على رقيه ، ألا وهى عبادة الانسان الذى عاش وفكر ثم استشهد ومات في سبيل مثل أعلى !

القرية المصرية
وجوب ترغيبها إلى الفلاح والمالك

بقلم الدكتور ابراهيم رشاد بك
مدير مصلحة التعاون بوزارة المالية

ان الشعور بالحاجة الى امر ما هو أول الخطى للتفكير فيه ، ويعقب ذلك الانتقال به الى وضع الخطط التي تنتهي إلى تحقيقه . ولما كان موضوع مقالنا من الخطورة بمكان فقد رأينا أن نستعرضه ليتمكن الرأى العام المثقف من الاشتراك فى تمحيصه ومداولة ابحاثه رجاء الاهتداء الى أقوم القواعد التي يقوم عليها صرح الاصلاح المنشود

وموضوع ترغيب القرية هذا الى الفلاح والمالك ينقسم بطبيعته الى شطرين : الاول ـ الغاية منه ، والثانى ـ الوسيلة اليه . أما الغاية من ترغيب القرية الى الفلاح فنوردها فيما يأتى :

أولا ـ وجوب الاهتمام بمصلحة الانسان بصفته أشرف المخلوقات

انه لما يدهش المفكر حقا أن يرى هذا « الانسان » الذى سخرت الكائنات جميعها لخدمته والذى بفضل ذهنه وعضله أخرج الخيرات من بطن الارض ليستمتع بها ، هو ـ وأعنى بذلك السواد الأعظم من بنى الانسان ـ أول المهملين وآخر المنتفعين . فبينما نرى العناية بالجماد والنبات والحيوان متوفرة نرى الشعوب مهملة

وقد كان علماء الاقتصاد الى عهد قريب يوجهون كل عنايتهم الى الثروة من حيث انتاجها واستهلاكها وتوزيعها وتداولها ، بما يدخل تحت ذلك من مسائل شتى وأبحاث متباينة ، شغلت ولا تزال تشغل الحكومات والمعاهد والهيئات ، فمن اهتمام بالمواد الأولية الى تنظيم الأسواق الداخلية والخارجية الى البحث وراء الثروة المعدنية ، الى غير ذلك من مختلف شئون الماديات . وقد أدت هذه النزعة بالأمم الى السعى لحيازة الثروة دون الوقوف عند حد ، ونجمت عن ذلك حروب أهلكت الحرث والنسل فضلا عن التطاحن بين الطبقات من الأمة الواحدة . وقد نبه ذلك أذهان المفكرين الانسانيين الى ضرورة الاهتمام بالانسان من حيث هو انسان ، فاهتموا بدرسه الى جانب درسهم الثروة ، وما لبثوا ان وضعوا قواعد لعلم اقتصادى جديد سموه بالاقتصاد الاجتماعى

ولقد كان لهذا العلم الحديث أصول بدت طوالعها فى عصر « روبرت اوين » الذى نشر تعاليمه فى انجلترا ونهض بتنفيذها ، فكانت الحجر الأساسى لاحلال العامل الانسانى مكانه بين عوامل

الانتاج . وتبع ذلك قيام الحكومات بوضع التشريع الوافى لمصلحة العمال ، وانشئت جمعيات لخدمة الشعوب من الناحية الاجتماعية ، الى غير ذلك من مختلف النشاط الأهلى، فالدولى، والذى سيترتب عليه حتما مع الوقت أن يعنى بأمر الشعوب من جميع نواحيها اقتصادية وصحية واجتماعية وثقافية

هذا هو الذى يدفعنا الآن الى التفكير فى أسباب المعيشة الصالحة للفلاحين بصفتهم السواد الاعظم من شعبنا

ولقد كانت هذه النظرة بعينها هى التى حركت الفيلسوف الارلندى « جورج وليم رسل » الى التفكير فى تهيئة أسباب المدنية لأهل الريف ، خصوصا فى البلاد الزراعية ، ليتمتعوا بالمياه النقية والنور والوقاية من الامراض وعلاجها والبيوت الحديثة والطرق النظيفة والثقافة العامة الى غير ذلك . وقد كانت الولايات المتحدة من أسبق الأمم الى الأخذ بهذه الروح الجديدة مما دفع كثيراً من شعوب الغرب الى ترسم اثرها

واذا وجب أن يقوم مثل تلك الحركة فى أمريكا مع مابلغته من التقدم فما أحوجنا نحن فى مصر الى حركة مثلها تدعو الى الاهتمام بالريف والسعى الى رفع شأن أهله

والواقع ان الفلاح المصرى ينظر اليه كنظرة أصحاب الزراعات « Plantations » الى عمال الزراعة لا كنظرة المالك الى العامل فى مزرعته « Farm » والفرق بين الاثنين بين. فى «الزراعات» يكون العامل فى اعتبار المالك فى مستوى واحد مع البذور والأسمدة والآلات والمواشى ، والقصد من تشغيله هو الاستغلال . أما فى « المزرعة » فان المالك يعطف على الفلاح العامل وتهمه هناءته ويعترف له بوجود مستقل عن الأرض ومستوى أعلى من مستوى عوامل الانتاج الاخرى

واليوم اذا رمنا نفع الفلاح وتحسين حالته فانما يحدونا الى ذلك الاعتبار الانسانى المحض قبل كل شىء ، لأن الفلاح بشر مثلنا وله الحق الأول فى الانتفاع بخيرات الارض التى يفلحها وفى رغد البلاد التى يخدمها بعرق جبينه . وتحضرنى فى هذه المناسبة كلمة مأثورة لمستر لويد جورج رئيس حكومة انجلترا فى أثناء الحرب العالمية ، قالها بعد ان انتصرت انجلترا : « علينا الآن أن نجعل هذه البلاد جديرة بأن يعيش الابطال فيها » والذى يعنيه أن هناءة الاهالى هى أول ما ترمى اليه انجلترا ثانيا — وجوب تمكين الانسان بصفته منتجا من تأدية عمله على أكمل وجه

ذكرنا الدرس الأول الذى تلقاه العالم عن « روبرت اوين » وقد برهن فعلا — عن طريق تنفيذ تعاليمه — على أن العناية بالعنصر الانسانى فى الانتاج ، أيا كان نوع هذا الانتاج ، لا يقتصر نفعها على العاملين وحدهم بل يزيد كذلك فى الثروة الناتجة ، فلاتنافر اذن بين مصلحة العامل وصاحب العمل بل بالعكس هناك مصلحة واحدة هى زيادة الثروة وتمتع الجميع بها

وقد أنتجت هذه النظرية ثمرتين هامتين :

أولاهما ، خلق ما يسمى بالممول الخير "Benevolent Employer" الذى يرعى الله والوطن فيمن

وكل اليه من مواطنين يعملون تحت ادارته كمال ، فيراقب مصلحتهم المادية والمعنوية ، فلا يضن عليهم بالأجور العادلة ، ولا يرهقهم بالعمل ، ويهيء لهم أسباب المعيشة المحترمة فى بيوت صالحة ، وأسباب المسرات ، ويوفر لهم كذلك أسباب الحياة الصحية والثقافية ، الى غير ذلك مما يهيئهم ليكونوا عمالا أصحاء جسما وعقلا ، رغبة منه على الأقل فى ان يكونوا خير اداة لانتاج أكبر ثروة

ثانيتهما ، وضع قواعد المذهب التعاونى . وهو ذلك المذهب الاقتصادى الاجتماعى القائل إن الثروة انما هى سبيل لا غاية لهناءة المعيشة . وقد نجح هذا المذهب وأقيمت فى كل أمة متمدنة حركة تعاونية تعمل لتحسين حالة شعوبها من الناحية المادية ورفع مستواها الاجتماعى . ولقد كان لمصر نصيب من هذا التعاون يعلمه القراء

ولا ريب أن العامل الزراعى اذا توافرت له أسباب الصحة والقوة وراحة البال يزيد انتاجه ويقبل على عمله بنفس راضية ، وقد جرب هذا فى مزارع كثيرة فى مصر وفى الخارج فأتى بأحسن النتائج ، ولكن مما يدعو للاسف أن الملاك في مصر بوجه عام لا يقدرون العنصر الانسانى حق قدره ، ولا يدركون أن رعاية فلاحيهم تؤدى الى تحقيق مصالحهم وزيادة دخلهم ، فهم يتبعون خطة قائمة على قصر النظر ، اذ يجهدون الارض وما عليها من حيوان وانسان ، اجهادا يتضح سوء أثره بعد قليل من السنين ، ولا تعدو غاية المالك المباشرة أن يحصل على أكبر ربح مستطاع فى الحالة الراهنة وبعده الطوفان

حال كهذه يجب توجيهها توجيها آخر بحيث يفطن الزراع الى أن مصلحة أصحاب المزارع والفلاحين واحدة ، كما فطن من قبل أصحاب المصانع والصناع

ثالثا ــ وجوب ادراك أن الريف هو مصدر حيوية الأمة

ان الريف بحق هو مشتل الحضر ، ومنه يستمد العناصر الفتية الصحيحة لتحل محل عناصر المدن التى أنهكتها المدنية فقضت عليها بسبب ما فيها من نشاط مجهد وحركة دائمة وعيشة مزدحمة وضجة مضنية ترهق الاعصاب وتهدم القوى وتضعف النسل . فكأنما القرية ينبوع يمد بحر المدنية بأسباب الحياة . وعلى قدر قوة أجسام أهل الريف وسلامة عقولهم ومقدرتهم على الانتاج والابتكار ، يتوقف تقدم المدن واتساع آفاق الجهاد فيها . فرقى الريف يتبعه حتما رقى المدينة وبالتالى رقي الأمة ، وبالعكس إذا سادت حال الحياة فى الريف من عقلية وجسمانية تبع ذلك حتما انهيار المدنية فى المدن ثم فى الأمة . وعندها لايمكن أن يداوى هيكلها الفانى بعد أن جف ينبوع الحياة القادمة من الريف

فينبغى اذن أن يحاط الريف وأهله ــ ذلك المشتل للحياة القومية ــ بأسباب الحفظ والرعاية ، بل وأسباب التقوية والتهذيب ، فيتمكن من تأدية رسالته ، وهى تغذية المدن بالعناصر الصالحة جسمانيا والراجحة عقليا ، تمكينا لها من الكفاح فى الحياة ، والانتصار فى هذا الكفاح حتما من نصيب الأشداء جسما وعقلا

رابعاً ــ وجوب وقف تيار النزوح من الريف الى المدن وهو مايسمونه بالأنجليزية Rural Exodus

هناك خطر من نزوح أهل الريف الى المدن حبا فيا تسبغه عليهم من رزق أوفر وما تقدمه لهم من متاع المدنية فيها . ولما كان الذين ينزحون الى المدن هم عادة من ذوى النشاط والمقدرة والنفوس الطامحة ، فان الريف يفقد كثيراً من حيويته إذا زاد على القدر اللازم لتغذية المدن

لذلك وجب ألا تمد المدن بتلك العناصر الفتية القادمة من الريف إلا بحذر ، وبقدر معلوم لا يتخطى الحاجة اليه ، والا ساءت العاقبة ، لأن المدن بطبيعة الحال لا تتسع الا لعدد محدود يشتغل فى أمورها ، وعندئذ يضطر الباقون إلى العطلة ويصبحون عالة على المجتمع الانسانى ان لم يكونوا عوامل هدامة فيه . ومن ثم كان علاج النزوح الى المدن داخلا فى الاعتبار القومى الذى يدعونا الى تحسين حال الريف ، بتوفير أسباب المعيشة الراضية وسبل الارتزاق وخلق جو المباهج فيه ، وبالاجمال تهيئة أسباب البقاء فيه ليقتنع أهله فيبقوا فيه راضين مطمئنين

* * *

أما الغاية من ترغيب القرية الى المالك فتتلخص فيا يأتى :

أولا ــ القدوة

ان المثل القائل: « الناس على دين ملوكهم » هو مذهب متأصل فى النفوس،فالبيئة الحالية عندنا من رؤوس تحركها ووجهاء تتزعمها لا يمكن أن يرتقب منها خير كثير . أما إذاكانت هناك قرية حباها القدر بأن يقيم بها أعيان صالحون ، ويسكنها أصحاب رأى مفكرون ، فانهم يحدثون فيها أثرا ظاهراً ، ويكونون بين الفلاحين بمثابة ملوك محليين يؤخذ عنهم ويقتدى بهم ، سواء فى اتباع وسائل المدنية أو اسباب الصحة أوالمعرفة أو طرق المعيشة لأنفسهم ولأسرهم ، أوفى أساليب الزراعة الحديثة والطرق الاقتصادية المجدية فى البيع والشراء . هذا فضلا عن أنهم يتزعمون كل حركة زراعية أو اقتصادية أو اجتماعية تدر الخير على القرية وأهلها ــ تلك الحركات التى لا غنى عن أن يرأسها امثال هؤلاء الأعيان بما لديهم من ثروة وجاه ومعرفة

ثانيا ــ مصلحة المالك المادية

لا ريب أن الأرض الزراعية التى يباشرها المالك بنفسه ويشرف على حرثها وريها وحصاد محصولها ، تكون أوفر خصبا وأكثر وأحسن أثماراً من أرض يهجرها مالكها فلا يزورها الا يوم يقبض ايجارها أو يطلب غلتها ، فيقوم على زراعتها « مستأجر » لا يعنيه الا أن يحصل منها على أكبر فائدة فى أقصر وقت دون النظر الى الابقاء على خصوبة أرضها أو المحافظة على ما فيها ، أو يقوم عليها« ناظر زراعة » لا يهمه الا أن يحصل على مرتبه كل شهر وربما يحصل كذلك على فوائد أخرى قد تكون غير مشروعة على حساب المالك وهو أولى منه بها

ثالثا ــ هناءة المالك وأسرته

وهى تتحقق بلا مراء من اقامة الملاك فى « العزبة » جزءاً كبيراً من السنة ، فان ذلك يهيء لهم أسباب الصحة والمتعة ويجعلهم بنجوة من شرور المدن ومتاعبها ، ويكفل لهم الصحة الجيدة والأعصاب الساكنة والقوة الموفورة ، فبينما هم يعمرون ربوع الريف إذا بهم يستفيدون فائدة قل أن يجدوها فى المدن الصاخبة . وها نحن أولاء نرى كبار الملاك فى البلدان الغربية لا يفتأون يهرعون الى مزارعهم حيث يدعون الأقارب والأصدقاء ويباشرون الصيد ويقيمون الحفلات ويحتفون بالاعياد ويجعلون من الريف جنة مملوءة بالمتعة والسعادة ، فلا يرجعون الى المدن الا وهم يمتلئون حيوية ونشاطا واقبالا على الحياة

وقد بلغ من اهتمام الملاك الانجليز بهذا الوضع من الحياة أن جعلوا مثواهم الأول بين مزارعهم وأطلقوا عليه Country seat بينما جعلوا مسكنهم فى المدن كتابة لهم فيها وأطلقوا عليها Town residence

رابعا ــ الخدمة العامة

ان المالك باتصاله المباشر بالفلاحين كبارهم وصغارهم من أبناء قريته يتعرف حاجاتهم ويشعر بشعورهم ويخبر أحوالهم ويقف على نزعاتهم . فاذا ذكرنا أن الملاك هم عادة وجهاء القرية ورؤساؤها أدركنا فضل ذلك الاتصال المباشر فى الادارة الحكومية وفى الاصلاحات العامة ، فان المالك يستطيع فى تلك الحالة بما له من اتصال بأولى الأمر ونفوذ فى مختلف الهيئات أن يبلغ السلطات مطالب الاهالى ورغباتهم وأن يدلها على مواطن الضعف ومواضع الاصلاح ، فيتحقق على يديه بواسطة تدخله القائم على الاختبار والمعرفة كثير من الاصلاح والخير، وخصوصا إذا كان المالك عضوا فى الهيئات النيابية . أما إذا كان متمتعا بالاتصال بذوى النفوذ أو حائزا على شرف العضوية فى الهيئات المذكورة دون أن يقيم فى قريته ويتصل بالأهالى اتصالا مباشراً فان آراءه فى تلك الهيئات لا تصدر عن خبرة ومعرفة ولا تصادف ارتياحا وتقديرا

* * *

كل ما ذكرنا يبين الغاية من ترغيب القرية لكل من الفلاح والمالك . بقى علينا أن نتكلم فى الوسائل التى تحبب القرية اليهما معا

ان بيان هذه الوسائل على أكملها يتطلب ميدانا أفسح من مقالة ، فان الريف المصرى بحالته الحاضرة يكاد يفتقر الى كثير مما يحبب الاقامة فيه الى الانسان. على أننا مجملون هنا أهم تلك الوسائل، ومنها ما يتعلق بالهيئة الحاكمة ، ومنها ما يتعلق بالأهلين أنفسهم أعيانا كانوا أم فلاحين ، ومنها وسائل مادية وأخرى غير مادية . وعلى كل حال فهناك أمران يجب أن نشير اليهما فى بدء الأمر لضرورتهما باعتبار أنهما فى نظرنا عنوان لكل اصلاح فى ريف مصر :

أولهما ، اللامركزية

وهى مبدأ أساسى من شأنه أن يجعل كل اقليم بمثابة قطر قائم بذاته ، أدرى بمصالحه وأعرف

بحاجاته وأقدر على تحقيقها وأسرع فى انفاذ كل اصلاح مطلوب له . وسيظل الريف محروما من مباهج الحياة ،وسيبقى أهله محرومين من أسباب المعيشة الرغدة حتى يسود ذلك المبدأ ، فلا يتوقف كل اصلاح مهما كان طفيفا و كل عمل مهما كان جزئيا فى قرية ما على موافقة السلطات البعيدة فى العاصمة

ثانيهما ، تعاون الحكومة والشعب

ان الاصلاح الذى تقوم به الحكومة لا يقابل عادة من جانب الاهالى بالارتياح الا إذا كان لهم رأى فى وضعه واشتركوا فى تنفيذه ، فيشعرون بأنه نتيجة جهودهم وأنهم مسئولون فعلا عن نجاحه

هذا فضلا عن أنه اذا اشتركت الحكومة والاهالى فى وضع مشروع الاصلاح وتنفيذه يكون ذلك أقرب الى تحقيق مطالبهم مما لو انفردت الحكومة به ، وزيادة على ذلك فان إشراف الاهالى على أعمال الاصلاح فى الريف يخفف فى كثير من الاحيان الأعباء المالية التى لابد من أن تقع على كاهل الحكومة اذا لم يكن للاهالى يد فيها . والأمثلة على ذلك كثيرة أقربها الى الذهن جمعيات التعاون للصحة فى بلاد يوجوسلافيا وهى منتشرة فى أنحاء الريف تؤدى خدماتها على أحسن وجه ، مما حسن الحالة الصحية عموما للريفيين فى تلك البلاد ، دون أن تثقل نفقات ذلك ميزانية الحكومة ، إذ أن إدارة وتمويل هذه الجمعيات موكولان الى أعضائها ، وما مهمة الحكومة إلا الاشراف العام وتقديم المساعدات المالية ، فكأن الحكومة والشعب متضامنان فى تحسين الحالة الصحية لأهل الريف وكل منهما له حصته الفنية والمالية

أما الوسائل التى تحبب القرية الى المالك والفلاح فهى :

أولا ــ هناك أعمال متعددة تقوم بها الحكومة أو السلطات المحلية لخدمة القرى وأهلها كتعبيد الطرق الزراعية وانارتها وتجميلها وتسهيل المواصلات ونشر الامن العام فيها وردم البرك واقامة المدارس والمستشفيات وتعميم الماء الصالح للشرب وغير ذلك مما يعتبر الآن من لوازم الحياة العصرية والتى لا غنى عنها ، فيستفيد الفلاحون منها ويتشجع الأعيان بها على الاقامة فى الريف هم وأسرهم من غير أن يحسوا حرمان شيء من هذه الضرورات ، هذا الى جانب توفير وسائل الرى والصرف وتعميم أصول الزراعة الحديثة مما يترتب عليه رفع قيمة الاراضى وتحسين حالة الزراعة وزيادة غلتها فتعم الخيرات وتنتعش الحياة الاقتصادية

ثانيا ــ وهناك أعمال متعددة يقوم بها الاعيان وتحملهم على البقاء فى القرى مدداً أطول ويستفيدون هم منها مباشرة ، وبالتالى يستفيد من ورائهم الفلاحون عموما ، ويترتب عليها زياده الخيرات فى القرى وانتعاش الحياة فيها . هذه الاعمال تمهد الحكومة السبل لاخراجها الى حيز العمل ، إما بأبحاث فنية تعملها بواسطة موظفيها الفنيين ، وإما بأبحاث تجارية يقوم بها ممثلوها فى خارج القطر ، وإما بسن تشريع يساعدها على تحقيقها وإما بمنحها امتيازات تشجع على إقامتها ،

وأحسن مثل نضربه لمثل هذه الاعمال تعميم بساتين الفاكهة وتنظيم تصريف حاصلاتها فى الاسواق الداخلية والخارجية وإقامة الصناعات الزراعية المرتبطة بالفاكهة

فيترتب على ذلك تعدد أنواع الحاصلات ، فلا تبقى البلاد تحت رحمة محصول واحد ، وزيادة الثروة الناجمة عن زراعتها ، وخلق تجارة وصناعة فيها تدر الربح على صاحب المال واليد العاملة فتشجع الأول على استثمار أمواله فى الريف بدل توجيهها الى المدن وتشجع الثانى على البقاء فى الريف قانعا مطمئنا

وهناك أمثلة أخرى فى إقامة معامل الألبان ومنتجاتها والنحل وأعسالها وغير ذلك من حاصلات الريف سواء كانت طبيعية أو مصنوعة . ولا يخفى أن لمصر مكانة ممتازة تهيئها للتفوق فى مثل هذه الاعمال نظراً لوفرة المواد الخام ورخص اليد العاملة ومركز مصر الجغرافى وإمكان إمداد الأقطار الشرقية على الأخص بانتاجها

هذا الى جانب ما يجب أن يعمله الأعيان من إقامة العزب النموذجية وإصلاح ما فسد من مساكن الفلاحين وتوفير سبل المسكن الصالح والمعيشة الطيبة لهم فيصبحوا رواداً فى القرى والعزب لكل ما من شأنه أن يوفر أسباب الحياة الراضية بما فيها من منافع متعددة وجمال شامل

ثالثا ـ وهناك حصة لا يستهان بها للفلاحين أنفسهم ولا يمكن أن تستقيم الحياة فى الريف إلا إذا أدوها ، فلو أن الحكومة عملت كل ما فى وسعها وعمل الاعيان كل ما فى مقدورهم وبقيت الاهالى دون أن يكون لهم نصيب فيما يرمى اليه من اصلاح الحياة عامة فى الريف لجاءت الصورة التى نرغب فى تصويرها للريف وأهله ناقصة مشوهة

نحن نعلم أن أهالى القرى ضعفاء بأنفسهم فلا يكاد أحدهم يستطيع لنفسه نفعا ولا ضراً ، ونعلم كذلك أن فى مجموعهم قوة اذا اجتمعت أصبحت عاملا يعتد به من عوامل التقدم والرفعة فى الريف . هنا يبدأ دور التعاون الذى يخلق من ضعفهم قوة ومن قليل ثروتهم كثيراً ، فاذا كان الثلاثة الآلاف نسمة الذين تتكون منهم احدى القرى ضعفاء فى تفرقهم وقلة ذات يدهم ، فانهم اذا اجتمعوا وتعاونوا حققوا لأنفسهم ـ جماعة وأفراداً ـ كل المزايا المادية والأدبية المكفولة للمالك الكبير بفضل ثروته ومكانته . والتعاون هو الذى يجعلهم بنجوة من الغبن والغش عند شراء حاجاتهم الزراعية وعند بيع حاصلاتهم ، وهو الذى يبعدهم عن مخالب المرابين ويحفظ بذلك عليهم أراضيهم وحاصلاتهم ، إذ يمدهم بما يحتاجون اليه من قروض قصيرة الأجل أو طويلته ينفقون منها على الزرع أو إصلاح الارض أو اقتناء الآلات والماشية ، فضلا عما يقدمه التعاون من خدمات اجتماعية مختلفة النواحى ، كاقامة الصالات والمكتبات وانشاء الملاعب الرياضية وغير ذلك مما يرفع مستواهم ويقرب اليهم أسباب المدنية وما بعد من شئون بلادهم وشئون غيرها من البلاد الأجنبية . كل هذه المزايا المادية والأدبية التى يقدمها التعاون الى الفلاح تعود عليه بالثروة والهناء

ا ما أقبل عليه وعمل بمبادئه وأدى واجبه وتمسك بحقوقه وكان حقيقة مثالا صالحا للرجل التعاونى

***

قسمنا فيما سبق موضوعنا الى قسمين : وهما الغاية من ترغيب القرية الى المالك والفلاح ثم الوسائل الى ذلك . وقد يبدو للقارىء أننا اطلنا فى الجزء الأول من الموضوع وقصدنا فى الجزء الثانى منه ، على أنه سوف يدرك أن الناحيتين من الموضوع متصلتان اتصالا وثيقا وأن كثيراً مما قيل فى الناحية الاولى يصح أن يقال فى الناحية الثانية اذا ما كتب عنهما فى مقالين منفصلين . أما وقد جمعنا بينهما فى هذا المقال فيكفى ما كتبناه فى الناحية الثانية باعتبار أن الناحيتين مكملتان الواحدة للاخرى

وقبل أن نختم مقالنا يتعين علينا أن نقرر بأن الحصة الكبرى من الاصلاحات المنشودة سواء فى الغاية أو الوسيلة هى فى مصلحة الفلاح . وان ما كتبناه لمصلحة الملاك أقل مما خصصنا به فلاحيهم . والسبب فى ذلك واضح وهو أن الفلاحين هم الذين يمثلون السواد الاعظم وانهم هم المحرومون ، بينما الأعيان هم الأقلية وقد أغدقت الحياة عليهم من نعمتها كثيراً فحق علينا أن تكون عنايتنا الاولى بالفلاحين !

ابراهيم رشاد

كلمات مختارة

* عند ما تنظر الى المرآة فتعرف وجهك ، فكر قليلا هل فى وسعك أن تعرف نفسك ؟

(مترلنك)

* المرأة في الحب تفكر فى الابد ، والرجل لايفكر إلا فى ساعة الغرام الرائعة التى يقضيها بجوارها . فالمرأة فى الحب خيالية ولكن الرجل عملى

(ادمون روستان)

* عند مايتحاب شخصان لابد أن يحب أحدهما أكثر من الآخر . ومن المحال أن تجد عاشقين يتحابان بنفس القوة والحرارة . وهذا هو السر فى شقاء المحبين

(بول كلودل)

مرض التعذيب فى الحب

او غرام المصور العبقرى ديلاكروا

اوجين ديلاكروا من أشهر المصورين الفرنسيين فى القرن التاسع عشر وهو من أقطاب المدرسة الرومانتيكية . وقد تأثر بفن التصوير الاسبانى ولاسيا بأعمال (جويا) و (فلسكيز) وكان من أشد المعجبين بالشاعر الانجليزى « بيرون » وقد جاهد مثله فى سبيل استقلال اليونان . واما ابدع الصور التى خلدت اسم ديلاكروا فهى (دانتى وفرجيل) و (عرس يهودية) و (مذبحة شيو) . وفى هذا المقال تحليل شائق لنفسية ديلاكروا من خلال حادث غرام كان له اكبر الاثر فى توجيه حياته

من خصائص الحب ان يقترن فيه الخير بالشر ، والفضيلة بالرذيلة ، والغيرية بالانانيـة ، والرحمة والحنان والتضحية بالجور والاستبداد والقسوة

وقليل هم العشاق الذين استطاعوا تجريد الحب من عناصره الدنيا وتغذيته بمادة الخير وحدها وتحريره من شوائب الفطرة المتحكمة فى طبائع سواد الناس

ومن الغريب ان الجانب الوحشى فى الحب قد يسيطر على نفس الرجل العظيم اضعاف ما يسيطر على نفس الرجل المتوسط او العادى ، وعندئذ يتجلى اسراف العظيم فى الحاق الشر بمن يهوى ويتخذ هذا الاسراف شكلا فظيعا مروعا يقضى على فضائل الحب شر قضاء

والواقع ان العظيم يسرف غالبا فى كل شىء . فمتى أحب واستبد به الحب جنح الى الاسراف ، اما فى انكار الذات والتضحية ، واما فى ارادة التملك ممثلة فى الغيرة المصحوبة بشتى الوان الجور والعسف والاضطهاد

ولقد كان الرسام العبقرى ديلاكروا مثال العاشق الذى سخط على قلبه واستكثر حياة وجدانه واوشك ان يبغض حبه لفرط ما شاع فيه من عوامل الشر ورغبات الأذى

كان رجلا دقيق الحساسية ، متوتر الأعصـاب ، واسع افق التصور ، معتزا بنفسه ، مؤمنا بعبقريته ، مصابا بشبه سل فى الحنجرة يضنيه ويعكر عليه صفوه وينزع به الى سرعة الانفعال وسرعة الغضب وسرعة التبرم بالمجتمعات ولا سيما تلك التى يغشاها النساء

وكان مولعا حبا بسيدة تدعى جوزفين دى لافاليت أحبها وهو يشعر بالهوة السحيقة التى تفصل بينه وبينها . أحبها وهو يحس الضعف المستمر فى قواه والوهن المتغلغل فى بدنه والمرض المخيف الآخذ بخناقه والرغبة الجامحة فى اعتناق الحياة قبل ان يلتهمها الموت ويغيبها فى ظلماته

وكان ديلاكروا انسانا يعذبه المرض وتعذبه الكبرياء

يلمس عبقريته الخارقة فى روعة رسومه فيزداد حنقا ويزداد ذلا ويكتنفه الخجل من نفسه

والخجل من حبيبته فتعصف به الكبرياء الى حد الجنون فيلوذ بالوحدة ويستغرق الأيام طوال في صمت عميق . ولم يكن له من عزاء في هذه الحياة الشقية غير جوزفين

وكانت امرأة نادرة ممتازة خليقة بأن يعشقها عبقرى

كانت سيدة بسيطة المظهر وديعة الخلق صافية المزاج موفورة العطف بالغة الرقة عميقة الحنان . هامت بالمصور حبا وآلت على نفسها ان تجود بكل شيء في سبيل اسعاده وان تخلع عليه من حبها ثوبا من العافية ينسيه مرضه ويرده اليها على مر الزمان سليما قويا مجدد العزم والايمان والشباب

وخضع ديلاكروا لسحرها ، وراعه منها اخلاصها الشديد له ، واعجابها المطلق به ، وحرصها العجيب على طاعته ، وسعيها المطرد للتثقف والاطلاع رغبة في فهم اسرار فنه والاشتراك معه في تصوراته واحلامه ، ومحاولة الاندماج التام في شخصه ساعة الابداع والخلق

وكانت بطبيعتها امرأة ذات سليقة فنية وقادة . تأخذ عينها ملامح الجمال لأول نظرة ، وتستبين لفورها مواطن الضعف في الاثر الفني ونواحي القوة . بل ان الالوان المختلفة واساليب المزج بينها والظلال المتباينة واشباه الظلال وطريقة الجمع والتوفيق بين لمعاتها ، والروح والفكرة والغاية والمعنى ، كل ذلك كانت تبصره في اللوحة الفنية وتعرف كيف تعبر عنه وتعلق عليه وتتبسط في شرحه بدقة ووضوح يعجز عنهما الناقد الاخصائي . قدرها ديلاكروا قدرها واحس منها استجابة روحية نادرة ، واحب فيها المرأة التي اخطأها القدر واودع الله فيها جمال الانثى وقدرتها على التعزية ، مع جمال عقل الرجل وقدرته على الملاحظة والتفكير والادراك

وكانت جوزفين تفكر في هدوء ، وتتأمل في صفاء ، وتتحدث في رقة ، وتبتسم ولا تضحك وتسيح ولا تصرخ ، وتعاتب عند الاقتضاء ولكن بدون حدة وبدون قسوة وبدون اى حنق أو اية ضغينة ، وكانت ماهرة كل المهارة في الصبر على نزوات الرجل واحتمال تقلبه ومسايرته في اهوائه والعمل بمشيئته واقناعه بأنه محبوب لأنه سيد وان ليس على السيد الا ان يأمر كي يطاع

والحقيقة ان جوزفين بذلت اقصى ما يمكن ان تبذله امرأة في سبيل الرجل الذي تحب

وفي هذا يقول ديلاكروا في احدى رسائله البديعة اليها : « لقد غمرتني عطفا وحنانا وطوقت عنقي بجميل لا استطيع ان انساه ابدا

« ان حبك يشرق على حياتي كشمس الربيع ، وسمو اخلاقك يرفعني في عين نفسي ويجمل شخصي في انظار الناس ويطهرني من ادراني ويضفى على في حلة من النبل الأصيل

« لقد احببت فيك شتى فضائل الجنس البشرى مجتمعة ، وما انا بجدير بك . ولن اكون خليقا بحبك الا متى جعلت اخلاقي في مستوى فني من حيث العظمة والنقاء والخدمة الانسانية الخالصة لوجه الحق والخير والجمال . وانه لسواء عندي ان احيا الآن او اموت . فقد ابصرت بعيني رأسي مثل الفضيلة الاعلى وانحنيت على الينبوع فرويت منه عميق ظمأى . ولكني فنان وطبيعتي اقوى

منى ومهما ارتويت فلا بد ان يتجدد ظمأى ، ولذلك اريد ان اعيش ، اريد ان اعيش بقربك وعلى مشهد منك وفى ظل حنانك الوارف ، فاقبليني عبدا لك واغفرى لى حبي ! . . . »

وهكذا انطوت جوزفين فى شخصية ديلاكروا ، فنت فى عبقريته ، لم تأنف من مرضه ، خففت عنه عبئه ، طردت من نفسه خجله التأصل ، ردت اليه كرامة رجولته ، زادته ثقة بنبوغه ، لم توجه اليه فى ساعات غضبه أى لوم ، لم تصدر عنها اية شكوى ، فماذا فعل بهـا العبقري وكيف احبها وكيف قدر ولاءها التقدير العملى الصحيح ؟ . . .

أقبل عليها أول الامر بقلب صح وعاطفة مبتهجة وروح نشوى وعقل عير مشدوه يكاد يذهب به الفرح من فرط السـعادة . ثم تمكن منه الحب ، ثم برح به ، ثم استأثر بذهنه واتصل بخياله الملتهب فاضطرم واستحال على مر الايام الى رغبة عاتية فى التسلط على المرأة والقضاء على شخصيتها وتعذيبها بمختلف الوسائل وعلى شتى الصور ...

وكان ديلاكروا لشدة حبه يتوهم أنه عاجز عن خلق مثل هذا الحب فى نفس جوزفين . كان يعتقد انها لا تحبه بقدر مايحبها ، وكان يتناسى الادلة الرائعة التى قدمتها له ويفتن فى التعذيب ليزداد شعوراً بألمها ويقينا بأنه هو السبب فى هذا الألم وانها خاضعة له راضية به تحبه حقا

وتطورت به عاطفته وأصبحت لذة الحب عنده مشوبة بلذة التعذيب ، لقد بات لا يشعر بالحب إلا وهو مقترن بلذة التعذيب أى بأعراض ذلك المرض المعروف لدى الاطباء باسم « السادزم »

فكان يحرم على جوزفين الاتصال بأصدقائها ، ويلومها على أبسط هفوة تصدر منها ، ويعد عليها أخطاءها ، ويحاسبها على كل نظرة أو اشارة ، ويتعمد اثارة أعصابها ، واهاجة كرامتها ، واستفزاز غضبها ، كى تخرج عن طوقها فتبادله ثورة بثورة وحقداً بحقد ، فينقض عليهـا ويتظاهر بأنه يهم بضربها ثم يحتضنها ويوسعها ضما وتقبيلا شاعراً بما فى هذا الحب المقرون بالتعذيب من لذة كبرى

وكان على حد تعبير الناقد اندريه شاسرو فى كتابه عن حياة ديلاكروا ، يحس كلما عذب جوزفين انها ازدادت قربا منه واندماجا فيه وابتعاداً عن سواه وانه أصبح بالفعل سيدها

والغريب فى أخلاقه أنه كان يعذبها ثم يبكته ضميره فيندم ولا يكاد ينفصل عنها ويرجع الى داره ويأوى الى مضجعه حتى يطوف خيالها بذهنه فيبكى ويعض شفتيه حتى يدميهما ثم يهب من فراشه ويسرع الى مكتبه ويأخذ فى تدبيج خطاب يعتذر فيه عن ذنوبه وينسبها الى شدة غيرته وعظيم حبه ، ثم يطلب الاغضاء عنها ويستجدى الصفح ويقسم كالطفل أغلظ الايمان بأنه لن يعود الى مسلكه القديم مرة أخرى . والحق أنه كان يجاهد ليتحرر من مرضه . وهذا الجهاد يتمثل فى الرسالة الآتية التى بعث بها الى جوزفين عقب ان أمعن فى تعذيبها ذات يوم :

« لا أعرف كيف أفر من نفسى ! أنا وحش فى صورة انسان ! أكاد أجن كلما فكرت انك بطهرك وصفائك عجزت عن تبديل خلق ، وأن فضائلك أحدثت فى نفسى عكس ما كنت أنتظره

منك . هذه الفكرة توشك أن تأتى على ! لانى إذا كنت لم أوفق وأنا بجوار امرأة مثلك الى تحقيق الكمال النفسى الذى أنشده فأى مخلوق فى هذه الدنيا يستطيع بعد ذلك أن ينقذنى ! لاتيأسى والا أيأستنى ! لن أقنط . سأجرب . سأحاول . وغداً ، نعم ، منذ غد سأبدل كل شىء فى .. لن أمسك بسوء .. لن أخدش مسمعك بعبارة جارحة .. لن أتكلم .. سأجلس اليك صامتا وأظل أحدق اليك عسى أن أفهم سر محياك وأستطيع بعد هذا الشقاء الطويل ان أستمد من عينيك ما أنا فى حاجة اليه من قوى الصفاء والطمأنينة والراحة والاستقرار »

وكان لا يلبث أن يكتب مثل هذه الرسائل ويعود الى جوزفين ويراها كاملة الخلق بديعة الجمال ، حتى تعصف به الغيرة ويعاوده المرض ويلهب فيه من جديد ارادة التعذيب

وكأنه كان يخشى أن يفلت منه كل هذا الجمال ويصبح فى لحظة من اللحظات ملكا لغيره ، فكان يعجز عن كبح غيرته والتغلب على ضعفه والتجرد من عوامل الشر التى سممت حبه

ومع ما احتملته المرأة منه وعلى الرغم من كل ما صبرت عليه فى سبيل حبه فقد أقدمت على عمل عظيم تجلت فيه حقيقة شخصيتها

اعتقدت جوزفين أن داء السل المصاب به ديلاكروا هو الذى يدفعه الى التنكيل بها

توهمت أن رغبته الجنونية فى تعذيبها وامتلاكها ناشئة عن احساس خفى فى نفسه بأنها لا يمكن أن تخلص فى حب رجل مريض مثله وأنها تموه عليه الحب وقد تخدعه يوما

فماذا فعلت هى وكيف قابلت جحوده ؟ عرضت عليه فكرة الزواج !

عندئذ تميز غيظا واستشاط غضبا واختبل حنقا وحسرة ، لأنه فى الواقع لم يكن يغار عليها ويعذبها لاعتقاده بأنها تموه عليه الحب رحمة به واشفاقا عليه من وطأة المرض ، بل كان يغار عليها ويعذبها لأنه كان لايطيق ــ لفرط اعتداده بنفسه وزهوه بعبقريته ــ الشعور بأنها من حيث الحياة النفسية أرقى منه وعبقرية مثله . فلما عرضت عليه الزواج بعد أن سامها من ضروب الخسف ألوانا ، ضاعفت احساسه بتفوقها الخلقى وزادته شعوراً بالمهانة والضعة وألمسته الفارق العظيم بين شخصيتها وشخصيته ، فثارت فيه كبرياؤه ورفض الزواج منها !

رفض الزواج من جوزفين وأدرك فى الوقت ذاته أتم ادراك وأبلغه حقيقة نفسه التى كان يجهلها وجوهر نفس المرأة الفريدة التى أحبته ! أدرك انه مهما فعل بها ومهما عذبها فلن ينزل بها عن عرشها ولن يدنيها منه ولن ينقص من كمالها شيئا

أدرك انه مهما اضطهدها فلن يتمكن من التفوق عليها ، وانها ستظل أفضل منه وأنبل وأسمى ، ويظل هو العبقرى أمامها مخلوقا تافها وضيعا ، أضأل وأحقر من أن يستطيع التغلب على ميوله الشاذة وغرائزه الدنيا والارتفاع بقلبه وعواطفه الى مستوى عبقريته

وإذ ذاك استفاق من سباته وارتد اليه عقله وتمثلت له فى هدأة التأمل أعراض مرضه المزدوج :

السل ينهش صدره ويتصاعد من رئتيه الى حنجرته ، ورغبة التعذيب فى الحب تقضى على مصير وجدانه وتصب قطرات السم فى كل لحظة من لحظات سعادته، فأيقن أن جسمه ونفسه كانا فريسة للمرض ، وان ليس فى العالم امرأة يمكن ان تقبله وتحبه وتخلص له اخلاص جوزفين

وتحت تأثير هذه الفكرة التى استقرت فيه واستحوذت عليه وأحاطته بشتى الهواجس، جاشت فى فؤاده عوامل السخط على نفسه واستنكار سلوكه والندم الصادق على ما بدر منه ، فتملكه شعور قوى بالخجل والعار ، عار الاستبداد بامرأة ضعيفة بذلت له كل شىء فقوبلت منه بالجحود

ولما أمعن فى التأمل وتأصل فى قلبه الاحساس بالعار وصغرت فى عينيه شخصيته وشرع يتعذب بدوره رازحا تحت تبكيت الضمير ، شعر انه لم يعد فى مقدوره رؤية حبيبته والتحدث اليها والتطلع الى وجهها الشاحب الحزين ، فاستجمع قواه وألهب ارادته وودع حياته وغادر باريس الى ضاحية قروية بعيدة ، وهناك حبس نفسه فى داره وعكف على رياضة مرضه ، وكتب الى جوزفين هذه الرسالة الخالدة ، رسالة الحسرة والتوبة والتفكير :

« لقد أخرسنى المرض ياحبيبتى فلم يعد فى وسعى التحدث اليك !

« ان القدر الغاشم أجهز على بدنى ولكنى أنا الذى أجهزت على نفسى بيدى ! . .

« كيف لم أقدرك قدرك أيتها الساحرة المنشودة ، يا أبدع مثال صيغ للبشر من صخرة الوفاء ؟!

« كيف لم أحبك كما كان يجب ان أحب ؟ كيف لم أفهم انه كان فى وسعى لو كنت قد طهرت قلبى على يدك ان أطهر فنى أيضا وأسمو به الى ذروة الكمال الشائع فى نفسك ؟ . .

« ولكنى كنت انسانا ، انسانا متكبراً صلفا مغروراً ، بسطت اليه السعادة يدها الناضرة ، فأعرض عنها وتركها تسقط ! . .

« آه لو رأيتنى الآن . أخشى أن تشمئز نفسك منى وتعاف عيناك النظر الى . ان المرض أنهك قواى وشوه وجهى وقوس ظهرى وخنق صوتى وأحالنى هيكلا عظميا يدب الى القبر على مهل !

« لقد انتقم لك القدر ياحبيبتى . فهنأى بانتقامك فأنا أستحقه ! ولكن اعتقدى انى لم أسىء اليك بمحض اختيارى . لم أكن مسؤولا عما صدر منى. هو حبك الذى اعمى بصيرتى وساقنى الى الشر بالرغم عنى !.. فهنأى بانتقامك اذا شئت أو فارحمينى اذا قدرت ان جريمتى هى برهان حبى !

« لن أراك بعد اليوم ولكنى لن أنساك ما حييت ! سأعيش فى ضوئك الساطع وظلك المحيى !

« سأعبد فيك خلاصة فضائل جنسك،ولكنى لن أشقيك بوجودى. لن أفرض عليك النظر إلى، فأنا نفسى بت أفزع من رؤية نفسى ! . . فكونى سعيدة ، كونى سعيدة مع سواى ولا تبخلى على فى المستقبل بنعمة الذكرى ! . . أقبل يدك فى احترام وأودعك ! »

وكانت هذه آخر رسائل ديلاكروا الى جوزفين دى لافاليت

سجل الأيام

عرض عام لشؤون الشرق العربي ومسائل السياسة العالمية

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

شؤوننا الداخلية

وقالت الاحزاب نحن نفسر الدستور وأحكامه واجمعوا أمرهم على أن يحتكموا اليه ففسرت النصوص وتناول الفقه أسباب الهوامش وأوحى اللاهوت الى أهله ما أوحى ، وقضى الأمر فاذا بمجلس النواب يلحق بمجالس لهم من قبل اصابه ما أصابها - هنا وفي كل بلد آخر يدين أهله بالانتخاب

ويقف ابن البلد صاحب الشأن فيما يجب ان ترمى اليه الحكومات ويتلفت قائلا : اين ذهبت القوانين التي وعدوني باشتراعها لفائدتي ؟ وأين النظام الذي يؤدي الى الحساب عما أنفق من اموالي وماذا يراد بي ؟ أأقضي العمر بين خطاب أصغى اليه ومقال يقرأه سواي ويرويه لي حق آمنت وحسن ايماني ، فقمت اطلب الدستور وأطالب بالسلطة التي زعموها حقا مستمداً مني فاذا ما تم لي الأمر مكتوبا على الورق جاء بنو أمي وجلسوا في ندوة انفقت عليهم وعلى اعدادها ما انفقت ، فأخذوا يؤلفون اللجان ويبتكرون المشروع أثر المشروع ويفكرون في ضرائب يمحونها مرة ويثبتونها مرات وانا اعلل النفس بالنعيم المقبل وبالفردوس يرد بعد ضياع طال زمنه

ثم لا ألبث ان افاجأ بانتخاب اكتوى بناره وقروحي لا تزال دامية من آثار نيران الانتخابات الماضية ؟ وهل يرجى الخير من انتخابات تحصل في عنفوان الانفعال السياسي وفي ابان النضال الحزبي ؟

وهذا الذي شرع نظرية الانتخاب وهو جالس على كرسيه في عقر داره بعيدا عن العالم المجاهد قريبا من الورق والدواة والكتاب ،هل خطر في باله أن يشاهد الانتخابات ويحضر مجالس التصويت فيرى الناس يبادرونها بالشهوات والتعصب والغاية المادية وبكل عواطف ابن آدم ما عدا التجرد عن الهوى وتحكيم العقل . فيخرج الغالب والمغلوب خروجهما من معركة من معارك الحرب . فاذا قدر لجماعة أن لا يتنازعوا امرهم فذاك لأنهم يخضعون لزعيم متفوق يملى ارادته . اما بالانصياع أو الامتناع فيكون هو الناخب وهم الابواق ، اذن ما هو الغرض من الانتخاب وما هي حكمته ؟

ويعود ابن البلد الى ذاكرته فتبدو له الأحلام القديمة اذ كان عامر الجيب عامر الايمان بالمبادىء

الاربعة عشر التى هبطت على الرئيس ولسن فأثارت نخوته وعصفت بخموله فقام يغير ويبدل ويطلب ان يتولى امره بيده . ثم يعود الى واقع امره فيرى انه لا يزال حيث بدأ بل عاد أدراجه خطوة أو خطوتين ، وان ما ضحى به كان فى سبيل نفر قليل كريم جرىء استولى على الغنيمة ولم يترك له من الشاة عظامها

ولكنه على شىء غير قليل من فلسفة الناسكين وقد علمه الدهر ان لا عائدة عليه من التذمر وان الصبر مفتاح الفرج وانه ان كان مطية هذا اليوم فقد كان مطية لغيره من قبل ، وهكذا الى ان يتاح له فيرزق ابنا يرى بعينه ويسمع بأذنه ويشعر بحسه فيعمل على ما فيه خيره

وها هو ابنه فى البيت الى جانبه ولكنه لا يزال يافعا قليل التمرس بآفات الحياة حسن الظن بالغير سهل الانقياد ضعيف الخلق . فمن اليوم الى أن يستكمل رجولته يغير الله من حال الى حال . فقد تعود اليه تقاليده وما ألفه وورثه من آبائه وأجداده حكومة يفهمها وتفهمه فتأخذ منه وتعطيه وتفعل به ما يفعله هو بأهل بيته وبمن هو دونه وكما يفعل به من هو فوقه ـ مزيجا من آلة الدست قد لا ينطبق على نظرية جان جاك روسو أو مبادىء نيتشه أو أعمال لينين مما جاءت به الانباء من وراء البحار ، ولكنه يطابق هوى نفسه ويمهد له طريقا يعرف أين خطواته فيها

***

الملكية الصغيرة

أما وقد قدر لنا أن ننقل عن أوربا كل أمر نعتزمه فى حياتنا السياسية فهلا يحسن أن نأخذ عنها نظاما آل الى تحسين حال رجل الشارع هناك وقد يجعل نظامنا الاجتماعى أقوى دعامة وأمتن بنيانا

ذلك النظام المؤدى الى الملكية الصغيرة لتشجيع ما هو موجود الآن وخلق ماهو غير موجود فانه لا يخفى أن الطبقة المتوسطة وما دونها هى قوام الأمة . هذا شىء معلوم للكافة يكاد يلمس باليد . فاننا اذا شجعنا الملكيات الصغيرة وحميناها ـ ماذا أقول بل اننا اذا خلقنا هذه الملكيات فسهلنا السبيل لعدد غير قليل من الزراع أن يقتنى أرضا تتراوح بين خمسة من الأفدنة وعشرين فدانا نكون قد أوجدنا فئة مكتفية يلبس أفرادها حذاء فى السنة أو حذاءين وبذلة أو بذلتين ولبدة أو لبدتين ، وهو لا سبيل له الى شىء من ذلك الآن . فتنشأ الى جانب هذه الحاجة ملكيات أخرى صغيرة تبيعه الأحذية والأقمشة وتتداول الأيدى النافع فتقوى ملكة الشراء عند عدد غير قليل من الافراد ـ وهذه هى الطبقة التى أشرنا اليها . وأما الملكيات الكبيرة من ناحية وعددها قليل والفقراء المدقعون من ناحية أخرى وعددهم لا يكاد يحصى فنظام لا يغنى فى القومية شيئا

فاننا نصطدم بالغنى ينفق جل دخله فى غير فائدة المجموع ، ينفقه فى غير الضرورى ـ فى أنانيته الظاهرة فى القصور والدور ، وأعمال مالية ينفق معظمها خارج البلاد . وبالفقير تراه الى الحيوان أقرب منه الى الانسان

وهذه حال عرفها القوم فى فرنسا وفى سويسرا وفى بلجيكا ، فأسسوا نظامهم الاقتصادى على تكوين سلسلة فقرية قوية تبعث أقواما أشداء . وليست هذه السلسلة إلا الطبقة الوسطى ومن دونها من زارع وتاجر وعامل . يكثر عددهم ويزيد فتصبح الأمة فى مجموعها على شيء من الراحة الاقتصادية وبالتالى الاجتماعية والسياسية فيستقر النظام وتبلغ الأمة أشدها

هذه أمنية حبذا لو أعارتها الحكومة اهتماما جديا وما ذلك بعزيز على رئيس الدولة الحالى فانه مشهور عنه النزاهة والترفع عما يشين والرغبة الصادقة فى انهاض مجموع الأمة المصرية

فالضروريات قبل الكماليات . هذا مبدأ لم تتغير حقيقته فى كل الأزمنة الماضية ، ولا يزال مرعى الجانب حتى الساعة . فتخفيف الديون العقارية عن كبار الملاك قد يكون فى فائدتهم ومن المشكوك فيه أن يكون فى فائدة المجموع الاقتصادى ، ولكن توزيع ثروة معقولة على عدد كبير من الاهالى لأمر نفعه أكيد وأثره فى الحياة العامة بعيد

***

شيء جديد فى رومانيا

وليس من جديد تحت الشمس . فقد جاءت الانباء أن رومانيا قد خطت خطوة الى الوراء فصار رئيس وزرائها رجلا من رجال الدين . بل الرئيس الأكبر فى الكنيسة الارثوذكسية عندهم

ولقد كاد العالم ينسى أن لرجال الدين مجالا فى حلبة السياسة فقديما كانوا الكل فى الكل فى مختلف شؤون الدولة . بعضهم يتولى أمورها جهراً كنابغة السياسة فى كل الدهور ريشيليو وبعضهم من وراء ستار . ثم طغت النزعة اللادينية على الافكار عقب الثورة الفرنسية فأبعد رجال الثوب الفضفاض عن كل ما له مساس بالدنيا ، واقتضى هذا الأمر جهداً عنيفا ونزاعا حزبيا لايزال أثره باقيا حتى الآن فى الجمهورية الفرنسية . ان فى هذه التجربة الرومانية شيئا يثير ذكريات السياسات الأوربية القديمة . فقد مر على هذه القارة زمن كان رجال الكهنوت فيها يحتكرون الدنيا احتكارهم للآخرة ــ فالفلسفة والعلم والسياسة كادت تكون وقفا عليهم ، فلما تغيرت الافكار ولانت العقائد أبعدوا عن مواطن العمل الدنيوى وانصرفوا الى ما هو أنفع ، فانك لن تجد مهما جهدت عملا يفوق أعمال الرهبان ومن اليهم فى تنظيم شؤون التدريس والقيام على تهذيب العقول والنفوس قيام هؤلاء المنقطعين عن العالم المنصرفين الى ما خصوا أنفسهم به

وقد يلوح لبعض الناس أن مجال رجل الدين فى غير حلبة السياسة . وهذا خطأ مبين فهم بتجردهم عن الروابط العائلية يصبحون أكثر استقلالا فى الرأى لا تحكمهم شهوة المال أو البنين فيتجردون للخدمة ويتسع لهم الوقت

وقد نبغ منهم نوابغ لا يزال ذكرهم بين سمع التاريخ وبصره

على أن أعظم الأمثلة قائم فى روما حيث يبسط الفاتيكان رواقا من السيادة العالمية لايعرف الناس

لها مثيلا . فان هذه الادارة العظمى التى يدعونها الكنيسة الكاثوليكية لأدارة ثبتت على الدهر وامتدت جذورها ونمت وعمت العالم ولا تزال قوية اليوم قوتها فى شرخ شبابها تزول العروش وتدول الدول وهى ثابتة لا تتزعزع

على أنه من الخطأ فى المنطق أن نأخذ بالقياس

فرومانيا غير رومة . وقد يكون بطريرك الكنيسة فى بوخارست رجلا عظيما ولكننا فوجئنا بالخبر وتطلب مهلة لترى ونحكم فانهم عندما ينقلون الينا أخبارهم يصوبون كل أغراضهم الى الملك هناك

فاذا ألف جوجا وزارة قالوا سيكون الملك دكتاتوراً ، واذا أقيلت وزارته أو استقالت وجاءوا بالبطريرك قالوا لنا القول نفسه ، فصرنا أميل الى الاعتقاد بأن ملكهم هو صاحب الكلمة العليا وقد يكون هو معبراً عن رأى الجيش مرة وعن رأى مدام ليبيسكو مرة أخرى

***

والعقدة الاسبانية على أن هذا الغموض الذى نشاهده في رومانيا يكاد يعم العالم الاوربى كله . فدونتا العقدة الاسبانية . ما هى ؟ وما هو حقيقة التدخل وعدم التدخل ؟ وهل يساعد الفرنسيون بلاشفة اسبانيا مساعدة موسولينى أنصار فرنكو ؟

وهل رأى العالم فى عجيب ما يرى دولة ترسل جنوداً تنصر فريقا على آخر فى حرب أهلية . فاذا سئل رجال الدول فى ذلك أنكروا الامر الواقع وظلوا يرسلون العدة والعتاد . فهذه عقدة محكمة الربط لا تنفك. وانا نتحدى أى رجل عادى أن يقول لنا الحقيقة فى أمر اسبانيا . أما الرجال غير العاديين فقاطنون بين جدران بعض القصور فيدبرون ويتآمرون . وهذا ما ينعاه المتبرمون بالديموقراطية عليها

يقولون لهـا إنك تزعمين أن الحكم للجمهور ، وان الأمر أمره فى كل الشؤون فما بالك تسلكين سلوك الحكام الآمرين الناهين يديرون دفة السياسة فى الشعب غير مبالين أفراده ؟ وما بالك تأخذين أخذهم فتدار الامور سرا ولا تتسرب حقيقة الأخبار الا بمقدار يقطر خدمة لدعاوة حينا وتخديراً للرأى حينا آخر واستفززاً لحماسة العامة أحيانا كثيرة . فيضيع الرجل العادى ابن السبيل فى معرفة الحقيقة وهو الذى يؤدى فى آخر الأمر نفسه ونفيسه فى سبيل هذا النزاع ؟

اما كان أجدى وانفع وانت انت الديموقراطية القائمة على مبدأ حكم الشعب من الشعب وللشعب وبالشعب أن توضحى ما اختفى وتظهرى ما بطن ليعلم هؤلاء القطعان فى أى سبيل هم سائرون

لقد كان على حق ما بعده حق ذلك المسكين ضحية الديموقراطية الرئيس ولسن عند ما أهاب بالأمم أن يخلعوا الرداء السرى فى الحادثات السياسية وان لا يكون هناك شىء اسمه محالفات سرية أو محادثات سرية

فلو قدر للانجليزى ان توضح له حكومته حقيقة الموقف وتقول له : لقد قام موسولينى فى آخر

الايام ينازعك سيادتك على البحر المتوسط فيقطع شرايين الامبراطورية ويمنع عنك الغذاء ويحرمك من امبراطورية بذلت النفس والمال فى بنائها فتعود رجلا عاديا ينتمى الى دولة من الدرجة الثالثة

فقد يزمجر ويضحى بكل شىء فى سبيل المحافظة على ما ملكت يداه وقد يهز كتفيه ويقول : ما لى وللامبراطورية فانا لا أزال كما كنت منذ قرن وأكثر من قرن أعمل ليومى ولا أضمن عشاء لغدى ، والذين أفادوا من عظمة الامبراطورية جزء صغير من مجموع ما اغنت الامبراطورية عن فقره شيئا

أو قدر للفرنسى ان تخاطبه حكومته قائلة : ها قد أصبحت امبراطوريتك الفرنسية فى خطر الضياع ، وكذلك كل ما جاء بعدها جنوبا وشرقا حتى مدغشقر والصين الهندية . فماذا أنت صانع ؟

فقد تغلب عليه النزعة الاشتراكية الماركسية ويضرب بمستعمراته عرض الحائط قائلا : دونى بلادى تتسع لضعف ما فيها من السكان يعيشون آمنين فى رغد ما بعده رغد ، أو تأخذه العزة بالروح العسكرية فيأبى أن ينزل عن شبر من أرض سفك دمه فى غزوها

سواء أكان هذا موقف ابن السبيل أو ذاك فلا حكومته تطلعه على ما يدبر له ولا وقته له فينئذ فى سبيل ما تناقض من الاخبار والروايات

ولقد صدق القائلون ان الجوهر فى حكم الشعوب هو هو منذ الازل والى الابد ، واما العرض فيتغير ويتكيف . فاذا انت ازلت بعض الجمل وبعض جوامع الكلم من قاموس السياسة لم يبق لديك ما تستهوى به الجماهير

***

نبأ من بعض الجارات الشرقية

ذكرت الصحف ان وزارة فرنسا الخارجية ارسلت الى ممثليها فى لبنان تمنعهم من التدخل فى شؤونه الداخلية، وهو عمل يقابل بشىء غير قليل من الغبطة . على اننا نشك فيما اذا كان المتبرمون بالتدخل هم ذوو الوظائف فى لبنان

فقد أسعدنا الحظ فى هذه السنة ان زرنا لبنان مرتين فعدنا معتقدين اعتقادا لا يأتيه الباطل بأن الزعيم الجالس على العرش الرفيع سيكرك وبالديمات والذين حوله من رجال الدين والدنيا لخير ضمان لحرية لبنان واستقلاله وكرامته . وليس بدعا ذلك فقد كانوا هكذا من قديم الزمان ولا يزالون على تقاليدهم الكريمة حتى الآن

فحبذا لو أشرب رجال الحكومة الوطنيون شمم الآباء الروحيين وأخذوا بخير تقاليدهم . اذن لاستقر الأمر للحكم الوطنى فى لبنان وزالت اسباب الحزبية الملية والاقليمية

سامى الجريديني

متحف اللوفر

وأجمل آثاره الفنية

متحف اللوفر قصر باذخ اتخذه ملوك فرنسا مقرهم ردحاً من الزمن ، ويعد من أجمل وأوسع الابنية فى أوربا . تمتد واجهته زهاء نصف ميل ، وتحيط به من جميع الأرجاء حدائق منسقة غناء . يطل هذا المتحف على نهر السين من ناحية ويطل على طريق (ريفولى) الذى أنشىء تذكاراً لاحدى المواقع الحربية من ناحية أخرى . وواجهات هذا القصر من أبدع ما أنتجت فنون الهندسة وتنافس فى تصميمها وتنفيذها كبار الفنانين ، وتبارى فى تزيينها بالتماثيل والنقوش فطاحل المثالين . ويضم المتحف بين جنباته أثمن درر العالم من آثار كبار الفنانين ، وقد تسابق بعض الملوك فى امداده بما فى حوزتهم من تحف ، وتنازل البعض الآخر عما يملكون ان طوعا وان كرهاً كما حدث فى أيام الثورة ، وجلبت له الجيوش الفرنسية الظافرة فى فتوحاتها فى ايطاليا والنمسا وبروسيا ما وقع فى أيديها من أنفس الصور وأبدع التماثيل وأغلى التحف ، وتكاتفت جميع الهيئات فى عصور مختلفة من التاريخ على تزويده بهذه النفائس ، حتى جاء آية فريدة فى نوعها وحيدة بين متاحف العالم

والطابق الاول من هـذا المتحف خصص للآثار الاغريقية والرومانية من تماثيل وأنصاب تختلف فى مادتها من برونز وحجر ومرمر ولكنها تتفق فى مظهرها الرشيق ودقتها البالغة كما يبدو فى تحت ثنيات الملابس التى تشف عن أجسام بديعة التكوين تلمس فيها الاغريق المثل العليا للجمال الذى خلقته فيهم الرياضة البدنية . فهذا تمثال زهرة ميلو (فينوس) وهو تمثال فتاة فارعة القوام ممتلئة الجسم ، تكاد تظهر فى عروقها نبضات الصحة والقوة والجمال ، وهو يمثل إلهة الحب والجمال عند قدماء اليونان . وقد وجد هذا التمثال سنة ١٨٢٠ م فى جزيرة ميلو ولكن المنقبين لم يجدوا أثراً لذراعيه حتى ليكاد وضعهما الاول من الجسم يلتبس على الباحثين ونصفه الادنى مغطى بقماش أبدع نحته ابداعا يعز فى غير تماثيل اليونان . ولا يضير جمال هذا التمثال واعتدال نسب أجزائه تلك المسحة الطفيفة من النضج الجسمانى البادية على وجهه والتى أبعدته قليلا عن نعومة الانوثة

وفى مكان آخر نرى « تمثال النصر » الذى نحت تخليداً لذكرى موقعة (ساموتراس) سنة ٣٠٥ ق . م ويمثل جسم فتاة (لأن رأسها وذراعيها حطمت فى احدى الثورات) وقد انتزرت بازار ينم عما تحته من جسم بديع التكوين . ولها جناحان ويدان اشتركا مع الاندفاع البادى على الجسم فى ابراز الحركة المقصودة ، فهو يكاد يفترق عن قاعدته طائراً . وقد ذكرت وصف هذين التمثالين الاغريقيين من باب التمثيل فقط

وفي ناحية أخرى من هـذا الطابق نرى القسم المصرى . وهو يكاد يكون صورة مصغرة لدار العاديات في القاهرة من حيث ما تجمل به من الآثار التى تمتاز عن سواها بطابعها الخاص وشخصيتها المعروفة ، ومن أجملها تمثال (هوروس وازوريس وايزيس) وهو على صغره دقيق رائع . وتمثال الكاتب القاعد القرفصاء وهو فى انصاته ونظراته النافذة يكاد يقرأ ما في الصـدور . على انى أرى فيه شيئا آخر يمت الى التاريخ بصلة ، وهو هذا التمثيل الصادق لعضلات الجسم الذى روعيت فيه قواعد التشريح مراعاة تذكرنا بتلك النهضات التى كانت تعترى الفن فى بعض حقب تاريخ مصر القديم والتى لا شك فى ان هذا التمثال نحت فى غضون احداها . وفي ناحية أخرى من هـذا الطابق تماثيل رخامية لأباطرة الرومان وفلاسفة اليونان وآلهتهم

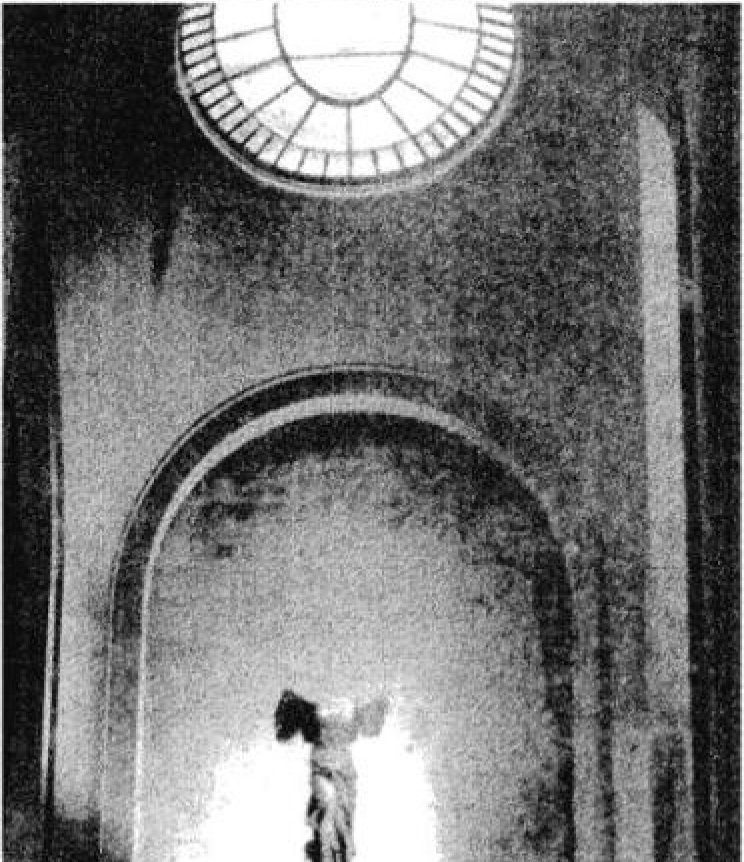
وفي الطابق الثانى من متحف اللوفر نرى تلك المجموعة الهائلة من الصور التى لا يستطاع دراستها فى أقل من عام بل ولا يستطاع مجرد ذكرها فى أقل من مجلد ضخم . . آلاف من الصور كل صورة منها لا يسهل تقديرها بثمن ، وهل يستطيع المال وهو مادة رخيصة أن يعادل هـذه



فينوس ميلو

تمثال إلهة الجمال عند الاغريق

بقصره ضوء اللوفر



تمثال النصر

يزدحم اللوفر بزائريه طرفاً طويلا من الليل ، فرؤى أخيراً اضاءته وفق طرق الانارة الحديثة التى تضفى على آثاره الرائعة كثيراً من البهاء والرواء ، كما ترى فى تمثال « النصر » الذى يعد من أروع آثار المتحف



قاعة أبي الهول

جانب من القسم المصري في متحف اللوفر ، اصطفت على جانبيه تماثيل أبي الهول كما اصطفت على جانبي طريق الكباش أمام معبد الكرنك



مدام ريكاميه للرسام «دافيد»، وهي تمثل الجمال الفرنسي الآسر الانيق

الكنوز ؟ فنها صور لمصورين قدماء مثل فرا أنجلكو وفيليو لي وبروجان وغيرهم . وأغلب رسوم هؤلاء تغلب عليها المسحة الدينية ، فقد كان المصورون في تلك العصور أشبه بالرهبان ، بل كان فيهم الرهبان فعلا. ومن أشهر التحف في هذه الدار صور (الجيوكندا) من عمل المصور المشهور « ليوناردو دافنش » وهى صورة نصفية تمثل سيدة كانت تدعى « موناليزا » هام بحبها دافنش فقضى في رسمها أربع سنوات . وقد امتازت هذه الصورة بتلك الابتسامة الخافتة الحائرة تتردد بين زاويتى فمها ، ويديها الحياتين وقد اختار لها الرسام وضعا فاتنا. وقد كانت هذه الصورة في (ميلانو بايطاليا) الى ان أخذها نابليون . وسرقت مرة من اللوفر ثم عثر عليها وسلمت في حفل كبير الى ان استقرت أخيرا في مكانها الحالي فاطمأنت اليه بين زميلاتها بدائع الفنون . واحدى هذه البدائع صورة (مدام ريكاميه) من عمل المصور دافيد . وهي احدى سيدات المجتمع الفرنسى الراقي في أيام نابليون . صورها دافيد ممددة على سرير في وضع ارستقراطي تغلب عليه روح الفن الاغريقي سواء في ملابسها الفضفاضة وفيا يحيط بها من قطع الأثاث . ومع ان راسمها لم يتمها الا انها جاءت آية بين الصور . ومن أبدع ما فيها قدماها اللتان تكاد الحياة تدب فيهما مع جمال وضعهما في غير كلفة

وفي اللوفر عدة صور لامام التصوير في عهد النهضة (رفائيل سانتزيو) ومن هذه الصور ما يمت الى الدين بصلة كصور العذراء الكثيرة ، ومنها ماهو خاص ببعض الشخصيات التاريخية . وفي هذه الصور كلها يظهر طابع رافائيل الخاص من رسم قوى مدعم وتكوين بديع وتلوين دقيق . وقد مات بعد ان أنتج هذا الانتاج الهائل كما يموت غيره من البشر ، ولكنه امتاز عليهم بهذه العبارة التى نقشت على قبره في موطنه ايطاليا : « كانت الطبيعة تخشى في حياته أن يفوقها وهى الآن تخشى بموته أن يموت »

وفي أحد أبهاء اللوفر - وعلى حاجز مستعرض (براقان) صورة « أم ديسلر » من رسم ابنها وتمتاز بثبات خطوطها وتوازنها وبساطة ألوانها واحتشامها اللائق بالأمهات . ومن أشهر رسامى اللوفر « روبنز » مؤسس المدرسة الفلامندية و « تسيان » و « رمبران » و « كورو » وغيرهم . وهذا هذه الصور الزيتية آلاف من الرسوم ، بعضها بالفحم وبعضها بالقلم الرصاص . ولا يفوتني أن أذكر حجرة الجواهر حيث عرض تاج نابليون وتاج شارلمان . وقد وضعت هذه التحف النفيسة في تنسيق بديع في أحد أبهاء اللوفر تحنو عليها السقوف المستديرة البالغ في نقشها وتذهيبها . وقد نالت هذه الحجرة اعجاب الكثيرين من الزائرين ، حتى أنستهم ما فيها من صور وتماثيل ، ولا عجب . فان من الناس من يختطف بصره بريق الذهب وتألق الماس ولكنه يظل أعشى البصر مغلق البصيرة أمام صورة أو تمثال !

محمود رزق الله

من كتاب « معالم باريس »

أصبح مذهب التحليل النفسي الذي ابدعه العلامة النمساوي فرويد مسيطراً على جزء كبير من الأدب الأوربي الحديث . فما هو جوهر هذا المذهب وما علاقته بروح الفن وتطوره وكيف أثر في اعمال كبار أدباء الغرب ؟

أثر فرويد في الأدب الحديث

بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

ماذا نقصد بالادب الاوربي الحديث ؟ وهل يختلف الادب الاوربي الحديث عن القديم ؟ وما هو الحد الفاصل بين العهدين ؟ وماذا نقصد بالادب على الاطلاق ؟

نجيب أولا على هذه الاسئلة ، ثم نتكلم عن (فرويد) وأثره في الادب الحاضر

الادب في العصر الحديث يشمل « القصة » و « السيرة » و « التاريخ » و « الشعر » و « الادب » و « المقال » . والقصة أكثر أنواع الادب ذيوعا ، والسيرة والتاريخ قد احتلا مكانا ممتازاً بالنسبة للطريقة الجديدة التي اتبعت في كتابتهما . وقد ندر أدب المقال وصار الشعر الجيد قليلا جداً . وقد صحب تطور الادب تطور الفن على ممر الاجيال

الفن في أصله عبادة ، أصله قربان يقدم لمعبود . وقد يكون القربان كلاما ، أو لحنا موسيقيا ، أو نقشا ، أو تمثالا . ويشترط فيه شيئان :

الاول — أن يعبر القربان عن خوالج المهدى

والثاني — أن يكون الجمال طابعه أو إطاره ، أو الصندوق الذي يقدم فيه ليليق بالمهدى اليه التعبير عن الاحساس هو الاصل والجمال لازم له ، أو تابع له . وما دام الفن في أصله قربانا لمعبود ، فقد كان وقفا على الذين جعلتهم الانسانية موضعا للعبادة والتقديس

فالألحان كانت تغنى في هيا كل العبادة وفي حضرة الملوك وعند أقدام الابطال . و « هومير » الخالد جعل شعره حاديا لركب الآلهة . ونقوش « رافائيل » العظيم وتهاويله كانت تمجيداً للكنيسة وأكثر القصص كانت تسلية للملك ، أو ترويحا عن عظيم ، أو تمجيدا لبطل . لهذا كتبت « ألف ليلة » ، ووضع « كليلة ودمنة » ، وأكثر مسرحيات « شكسبير » عن الملوك ، وقد مثلها أمام الملكة « اليزابيث » ، وكان « موليير » يؤلف لتسلية البلاط الفرنسي ...

بعبارة أدق كان الفن أرستقراطيا ، وقد حاول الفن مع الزمن أن يتحرر من عبودية الارستقراطية . وله في ذلك طريقتان : الأولى — أن يتملق الشعب فيبذل له ما يحبه ، غير آبه

لشيء آخر . كأن يغريه بتماثيل النساء الجميلة والصور الزاخرة بالألوان والأضواء والظلال . . أو القصص الحافل باللفظ الناصع المجلجل

والطريقة الثانية — أن يتزلف الى الشعب بالتقرب اليه بما هو متأصل ثابت فى نفوس الجماهير ، كالأخلاق والعفة والدين ، ومثال ذلك العصر الفكتورى فى انجلترا . فالصور فى ذلك العصر كانت تمثل الخلق والفضيلة ، والروايات تخط فى مثل ذلك الشأن ، والمسرحيات تؤلف لهذا الغرض

وفى الطريقتين افساد للفن ، وتزول به عن سمائه . وفى الواقع أن الأجيال التى مرت على هاته الحال تعتبر أجيال اضمحلال . ولقد مرت على العالم عهود مظلمة حتى أطل فجر النهضة فكان طابعه الظاهر أن ينقل الانسانية من عبادة الارستقراطية ، والتفكير فى السماوات ومابعد السماوات الى الاهتمام بالذات البشرية ، هاته الذات التى تلاشى وجودها فى ركاب الملوك والابطال والكهنة وكان فنها تقديسا لهؤلاء . يجب اذن أن ينصرف الى التبصر فى أمرها هى . لقد حاولت أن تعبر عما يخالجها من العبادة وقدمت ما شاءت من القرابين ، فهل يحق أن تعبر عما يخالجها من الآمال والآلام ؟ ألم يحق أن ترسم الصورة آمال فرد ، ويصور اللحن آلام باك حزين ، أو فرح قلب متهلل . . أو يوضح التمثال تعبير قلب بشرى ينبض بمختلف النزعات والميول ؟

بهذا يصير الفن ديمقراطيا لا بالتزلف الى الشعب بعرض الجمال ونماذجه ، ولا بالتقرب اليه عن طريق الفضيلة والخلق والعفة والدين

يرتفع الفن ويسمو بشيئين : أولا أن يحافظ على أصوله الاولى ، وهى أن يكون التعبير ثم للجمال ، وثانيا أن يكون ديمقراطيا . والشىء الاول مرتبط بالثانى ، فان الفن الذى يعنى — فى أية صورة من صوره — بالتعبير عن خوالج الفرد وميوله هو فن ديمقراطى

عند ما نجح النداء بالديمقراطية ، حظى الفن بكثير من النجاح . فأما الموسيقى فبالرغم من كل ما صنع من أجلها لم تزل ارستقراطية . فان ألحان « بيتهوفن » و « باخ » و « شوبان » يتاح سماعها لكل مخلوق ، ولكن لا يتمتع بفهمها الا القليلون

أما الادب فقد نجح فى أن يكون ديمقراطيا تمام النجاح ، حتى صار تعريفه الجديد الصحيح « الأدب هو الجزء الديمقراطى من الفن » فان أى فرد متوسط الذكاء يستطيع أن يقرأ أية قصة . فاذا لم يرد ذلك فما عليه الا أن يمشى الى السينما فيجد أمهات القصص على الشاشة البيضاء

عندما صار الادب ديمقراطيا ، عنى — كما تقصد كلمة الديمقراطية — بالاهتمام بامر الفرد وتحليل عواطفه وميوله ، غير أن هذا التحليل قد اختلفت أنواعه بحسب العهود التى مر بها الادب والبلاد التى رأت تطوره . لقد بدأ التحليل فلسفيا ، ولا شك أن روايات « روسو » و « فولتير » فيهما الكثير الرائع من ذلك . كان « روسو » ينادى بتربية القلب البشرى و « فولتير » ينادى بتثقيف العقل . فأخذ الاول يشرح القلب ، والثانى يشرح العقل . ولا يفوتن القارىء كتاب « قاموس

الفلسفة » فهو كتاب ثمين . وفى المبدأ كان علم النفس جزءاً من الفلسفة ، وكان من أبوابها ، ويقرأ فى كتب الفلسفة كفصل من فصولها

وكان الفلاسفة يعرفون كثيراً عن النفس و « العقل الباطن » ، ولكن « العقل الباطن » لم يكن فى رأيهم إلا مخزنا تتكدس فيه الذكريات والتجاريب . على انهم كانوا « يرقعون » ما لم يستطيعوا فهمه من حقائق النفس البشرية « ترقيعا » فلسفيا

ثم أخذ علم النفس ينفصل عن الفلسفة حتى استقل بنفسه تماما ، وصار له مكانه الفريد

وعندما استقل بنفسه وتناولته أيدى العلم بالتحقيق والتبويب ظهرت الرواية « السيكولوجية » فى أفق الأدب الحديث . ومن أقطاب المؤلفين في ذلك «هنرى جيمس» فى انكلترا و « بروست » و « بورجيه » فى فرنسا . وظلت الرواية « السيكولوجية » تظهر وعلى وجهها قناع الخلق والحياء والخوف . فان « ديكنز » كان يجمع « دورا وكوبر فيلد » فاذا أوشكا أن يتعانقا ختم الفصل وعلى وجهه حمرة الخجل !

فلما جاء « توماس هاردى » كانت رواياته الاولى عليها ذلك الطابع المقنع بالخجل والخوف ، حتى كتب روايتى « تيس Tess » و « هود الغريب » فثارت عليه ثائرة النقاد . فان «هاردى» فى رواية « تيس » العظيمة المنقطعة النظير ، يصف « الذكر » القوى وهو يحمل الأنثيات الرقيقات الجميلات على ذراعيه المفتولتين عبر قناة ، ولا يدع « هاردى » فتنة من فتن « الجنس » إلا أبدع فى تفصيلها إبداعا متناهيا فى الجرأة والروعة

ولعل « تيس » هى رمز « الجنس » فى الأدب العصرى الحديث . وهذه الرواية فى رأيى الشخصى ، هى الحد الفاصل بين القديم والحديث . وانى لأنصح لكل متأدب أن يقرأها ببطء . فقد قرأتها مراراً وأتمنى أن تتاح لى فى العمر فرصة أخرى لأعيد قراءتها على مهل . فيها الأسلوب وفيها التحليل السيكولوجى ، وفيها الفلسفة ، وفيها الجرأة في التحدث عن « الجنس Sex » فى عهد لم يكن أحد ليجرؤ فيه حتى على ذكر التقبيل والعناق !

مر القرن التاسع عشر وهو عصر الغرور العلمى فكان يعتبر الكلام عن الجنس جريمة لا تغتفر

كانت هناك مؤامرة واسعة النطاق ، اشتركت فيها الجامعات والصحف والعلماء والأطباء ، تعتبر «الجنس» وحشا كامنا فى الدم الانسانى يجب أن يقهر ، وانه يمكن قهره بالاحتقار والحرمان . فالمراهقون والشبان الذين حملوا عبء « الجنس » على أكتافهم كانوا يتلفتون حيارى ! لمن يشكون ذلك العبء الجبار يثقل كواهلهم المريضة ؟ لا يجدون غير وجوه متجهمة فى مؤامرة عامة

وكان « شاركو » العظيم يعالج مريضاته « بالهستيريا » بواسطة التنويم ، فتبوح المريضة بأسرارها الدقيقة — أسرار جنسية — فما تكاد تطرح عن قلبها عبء تلك الاسرار حتى تنال الشفاء

وكان « شاركو » يهمس بذلك لمريديه وتلاميذه . وفى ذلك العهد كان « فرويد » تلميذاً

« لشاركو » وكان يترك « فيينا » ليستمع الى شاركو فى باريس . وقبل ذلك كان « فرويد » مشتغلا بعلم النفس ، وقد حاول أن يضع له قواعد جديدة . فلما عاد الى « فيينا » كان فى ذهنه ذلك السر الرهيب .. وهو ان « شاركو » كان ينتزع من مرضاه النساء أسراراً جنسية هى السبب فى أمراضهن العصبية الهائلة

ولما وجد أن التنويم لا يجدى فى كثير من الأحوال علم من صديقه « برنهايم » أنه يمكن للانسان بقليل من الصبر أن ينتزع من مرضاه أسرارهم ، وان الانسان طبع على « المقاومة » وأنه يخفى ويحاول أن يخفى ماضيه ورغباته وميوله . فهذه المقاومة حقيقة لاريب فيها بتاتا ، وهى مقاومة عامة .. الانسان يقاوم الافشاء ويحارب المعلومات الآتية اليه من خارج نفسه أو من داخلها

هاته حقائق ثابتة هى نواة علم النفس الحديث ، ومن تذكرها فسر بها ألف حقيقة من حقائق العالم . فالعباقرة غرباء أشقياء ، لانهم يأتون بالجديد لعقول فطرت على مقاومة كل جديد . والمصلحون والأنبياء ، اضطهدوا من أجل ذلك . والمجددون فى كل أمة يشردون وينكرون !

قلنا انه بالتنويم المغناطيسى أو بالايحاء ، يمكن انتزاع هاته الأسرار ، ويمكن الاستدلال عليها كذلك بكثير من الاعمال التى نقوم بها غير متعمدين ، أى فى غير وعى .. وفى الاحلام أيضا

وإذن فلا بد من مستقر لها دون « الوعى » . لا شك أنه « العقل الباطن » مأوى « غير الوعى » . فهو ليس بمخزنه فقط ، بل هو أساس المقاومة . . هو الذى يحبس هاته الأسرار فى قبره السحيق المظلم

ولماذا يبقيها ؟ هاته الاسرار إما رغبات أو ذكريات ماضية . وهاته الرغبات أو الذكريات عادة تكون جنسية ، ولهذا لا يسمح العقل الباطن لها بمخرج ، لانها تتعارض مع حقائق الدنيا الخارجية ومع ما اصطلح عليه الناس من تقاليد وعوائد . فهى تبقى فى مكانها ، ولكنها لا تنام ولا تموت . ولا يسمح لها بالخروج ، فيكون هناك نضال فى الظلام ، نضال لا يدرى به الشخص الذى يدور فى نفسه هذا النزاع ، بل هو فى الواقع لا يريد أن يصرح به ، ولا يريد أن يعرفه ، وانما الأثر الواضح له هو « الأمراض العصبية المختلفة » . . . Neuroses

والخلاصة أن الجنس هو المسيطر على الانسان من يوم ميلاده . وان له تطوراً طبيعيا وأدواراً فى الصغر حتى البلوغ ، يمر بها كل مخلوق طبيعى . وهاته الأدوار هى : أولا — أن يحب الطفل أمه أو أباه جنسيا ، ثم تعقب ذلك فترة لا شىء فيها . ثم يميل المراهق الى الجنس المماثل له ، وبعد ذلك يحب الجنس المخالف له ، أى أن الذكر يحب الأنثى . . وينتهى ذلك بالزواج الذى هو السنة الطبيعية للحياة . فاذا حدث ما يعترض هاته الأدوار فى مجراها الطبيعى ، أدى ذلك الى الوقوف عند دور غيرطبيعى ، أو الى أن يتحول الانسان الى حب نفسه . . والى رغبات مكبوتة ، نتيجة لذلك الشذوذ فى تيار الجنس

هذا هو « فرويد » ملخصا وموجزاً غاية الايجاز : يقوم كل علم النفس الحديث ، الذى خلقه فرويد خلقا ، على أن الحب هو كل شيء . فمن فقد حب الأم والأب وعطفهما ، أثر عليه ذلك فيا بعد تأثيراً عجيبا ، فهو يبحث عن شيء يقوم مقام ذلك ، فاذا لم يجد أحب نفسه ودللها ، وقد يطلب العظمة والمجد لها فيبلغ من ذلك ما يشاء

ومن وقف حبه عند دور الأم أو الأب ، لا يريد أن يتعداه الى الأدوار التى بعده ، يتكون لديه ما يسمى بمركب «أوديب» وهو الأسطورة الأغريقية الشهيرة عن الملك الذى تزوج أمه

وفى الدور الثالث ، يتحول تيار حبه المصدوم الى داخل نفسه ، فينطوى عليها ويدمن النظر فى مختلف نواحيها ليل نهار . وما فى تلك النواحى غير رغبات لم تتحقق، فكظمتها فأخذت تعمل عملها الخفى فى ظلمات النفس فتحاول أن تجد لها مخرجا عن طريق الجسد ، بالتشنج أو الصرع أو بسبيل عضو من الأعضاء . هذه هى الهستريا أو النورستانيا

فالآن ننظر الى الأدب فى أى ناحية من نواحيه

أما القصة الحديثة فهى وصف لهاته الرغبات وتحقيق للصلة الوثيقة ، بين الماضى والحاضر والمستقبل . وما من رواية حديثة إلا قامت على فكرة سيكولوجية مما ذكرنا

ثم لماذا نذهب بعيداً ؟ لماذا يقبل الناس على السينما هذا الاقبال ؟ السر بسيط ، فان القوم يشاهدون على الشاشة البيضاء من يحقق لهم أحلامهم ورغباتهم التى لايستطيعون تحقيقها، فيضع كل متفرج نفسه موضع البطل فتهدأ أعصابه ، ويخف عنه مايسمونه «بالضغط الخلقى» Moral Tension

فأما المسرح الحديث فقائم كله الآن على هذا التحليل السيكولوجى الجنسى . وقد انتهى عهد الصياح والضجيج فى المسرح ، وصار فى خبر كان . وانى لأنصح للذين يريدون الاستزادة أن يقرأوا مسرحية «موجلم» (الدائرة) . فان أروع ما فيها أن بطلة القصة متزوجة من رجل يبذل لها المال .. ويضعها فى جو سام من الغنى والجاه والترف، ولكنها تفضل عليه رجلا عاديا يقول لها: اسمعى ، انى رجل فقير خشن . . وربما نختلف ونختصم ، بل وتتماسك ألف مرة فى اليوم . . ولكنى سأعطيك شيئا لم تعرفيه مطلقا ! . . . هى ــ ما هو هذا الشيء ؟

. . . هو ــ « الحب » . . . هى ــ أيها الوحش الجميل . . . ! ! !

وانصرفت معه عن دار زوجها بلا تردد . . . !

ورافع علم هاته الروايات ــ بغير منازع ــ هو « لورانس » و «جويس» فهو أجرأ . وقد صودرت روايته « يوليسيس » فى انجلترا

ومن العجيب أن الكلاسيكيين الحديثين ، أمثال « مورجان » و « هكسلى » ، لايسلمون من تأثير « فرويد » . . فان «مورجان» فى روايته «الينبوع» يصف علاقة الأنثى الممتلئة بالأنوثة ، بالرجل المريض المشلول العائد من الحرب ، بأسلوب خليق « بلورانس » وحده ــ فأما « هكسلى »

فانه فى مختاراته الاخيرة جمع كثيراً من الشعر الذى يصف العلاقة الجنسية فى أسلوب غاية فى الاعجاز ، ونهاية فى الجرأة ! وفى فرنسا ، نجد مدرسة « فرويد » لها أروع تأثير . وله مريدون يخطئهم الحصر . أما فى ألمانيا والنمسا فالتيار أقوى . ويكفى أن تقرأ « لتوماس مان » (الموت فى البندقية ، والحزن المبكر) وأن تقرأ « لاستفان زفيج » أى سيرة من السير لترى كيف يحلل الشخصية ، ويربط ماضيها بحاضرها

وعلى ذكر السير نقول ان هذا الباب صار كله تحليليا للجنس وأثره فى حياة المترجم له

وأغرب مثال لذلك ما قرأته عن « هتلر » وأثر الجنس فى حياته الشخصية ، بقلم « لورانس جولد » فى مجلة « التربية البدنية » وهذا موجز لرأيه فيه :

« ان صعود ديكتاتور ألمانيا الى المجد سببه ان الحب لم يجر فى حياته مجراه الطبيعى . . فانه لم يظفر بحنان الأبوين فى صغره ، فتحول حبه لنفسه . . وصار يطلب لها السمو

« كانت طفولته شقية لا حب فيها ، فتجنب فيما بعد حب الناس جميعا ، ووجه كل قواه الى تهذيب نفسه وصقلها ، والصعود بها الى أعلى . . وقد أفلح فيما أراد ! »

أما التاريخ ، فالمعروف ان تفسير حوادث التاريخ إما تفسير اقتصادى ، وإما له مرجع من أزمات في نفوس أفراد ، أو هما معا . وقد كان الاول هو المعترف به والغالب ، أما فى العصر الحاضر فالتفسير الثانى وهو هاته الأزمات فى نفوس الأفراد فهو الأغلب . واني أدعو المستزيدين من هذه البحوث الى قراءة المؤلفات التاريخية الحديثة ، من قلم « هيلير بلوك » و « جون بوكان » فقد أصدر كلاهما فى عام واحد مؤلفا عن « كروموبل » ، ومتى تقرأها تعرف جيداً كيف يكتب التاريخ اليوم

والحق انه فات الوقت الذى كان التاريخ يقرأ فيه لأنه مجرد حوادث ، بل لقد صار يقرأ لأنه سلسلة « أزمات » فى نفوس أفراد أدت الى تلك الانقلابات الهائلة التى يعرفها قراء التاريخ .

أما فى الشعر ، فليقرأ عشاق هذا الفن قصائد « لورانس » فهى « فرويدية » لحما ودما . خذ مثلا قصيدة (البرق) : « العاشق يقبل حبيبته فى الظلام . . فرأى البرق يلمع على وجهها فقال لها : إذهبي ! ان البرق قد كشف لى كل ذلة « الجنس » وعبوديته . . لقد لعنت حبي ولعنت دمى . . إذهبي قبل ان يعود البرق فيكشف لى ذلتك وخضوعك من جديد ! »

هذا أثر « فرويد » فى الأدب الأوربى الحديث ، وخاصة فى « الشواذ » الذين كثروا بعد الحرب ، بسبب ما أحدثته من صدمة فى النفوس ، حتى قامت طائفة من الكتاب لا تعنى بغير هؤلاء الشواذ ! ومهما يكن من أمر « فرويد » — اذا صدقته وآمنت به أيها القارىء الكريم ، أو لم تؤمن — فان أثره ومداه بعيدان ، ويكفيه انه خلق من علم النفس علما جديداً قامت أصوله على دعائم من المنطق لا تنقض

ابراهيم ناجى

صحبة الورد

قصة الأستاذ محمود تيمور

تركت بلدة « تارابيرا » بعد أن قضيت بها شهراً وأياما أحاول أن أصلح من أمر جسمي ما أفسدته الايام . حقا كنت عليلا ومتعبا . عشت فى « تارابيرا » كما يعيش المذنب الموضوع تحت المراقبة : الأكل بميعاد ، والنوم بميعاد ، والاستيقاظ بميعاد ، والفسحة أعد فيها خطواتى بالياردة والمتر خوف الزيادة والنقصان . والماء الذى أتناوله من النبع يجب أن أقيسه فى الكوب بالسنتى والملى . وحجرة الحمام التى أسجن فيها نفسى نصف ساعة كل يوم ، معلق على حائطها ساعة كبيرة متجهمة الوجه ، تسمعنى صوتها الغليظ مرة كل دقيقة ــ وأنا ممدد فى الحوض (البانيو) مغموراً بالماء الفاتر الفوار ــ كأنها تعد علىّ دقائق حياتى . . .

تركت بلدة « تارابيرا » ، فتركت خلفى القيود والاغلال . تركتها لأنعم بالحرية . آكل ما أشتهيه لا ما يفرضونه علىّ ، وأسير فى الحقول ، فلا أقف إلا إذا تعبت ، ولا أشرب إلا اذا ظمئت ، حيث لا تلاحقنى دقات تلك الساعة الكريهة التى كانت تكرر على مسمعى أنى مريض وأنى هالك . . .

حللت فى بلدة « شنت » وهى قرية جبلية تكتنفها الغابات ليس بها إلا ساحة صغيرة وطريق واحد غير ممهد ، تتعثر فيه السيارات . فيها فندقان هزيلان ، وشرذمة من دور قروية . وعلى هضبة غير بعيدة عنها ــ وهى أحسن مواقع الجهة ــ تجد المقبرة والكنيسة . أما الحوانيت فلم يكن فيها إلا اثنان مصنوعان من الخشب ، مقامان فى الساحة ، يشبهان أكشاك بائعى الجرائد والدخان فى المدن الأخرى

بدأت أحيا فى « شنت » حياة راحة واستجمام ، وأطلقت نفسى على سجيتها ، مستمتعا بما يحيط بى من جمال وهدوء وسذاجة

وكان الجو بديعا . والجو البديع فى عرفى هو الجو المتقلب الذى لا يدوم على حال واحدة . ففى هذا التقلب سر جماله . إذا ثقلت علينا الشمس بضوئها وحرارتها ، ظهر السحاب المتكاثف يجر معه المطر ، فيرطب القلوب ، وينعش الازهار ، ويلين الأرض الصلبة القاسية . . . حتى اذا ثقل علينا المطر واستطال ، بزغت الشمس ثانية ، تحيينا مبتسمة ، وتغمرنا بدفئها وضيائها ... فالطبيعة فى « شنت » يقظة نشطة ، لا تغفو لها عين ، ولا يسمع لها غطيط

وكنت أجد نفسى دائما ــ مع الساع الوقت أمامى ــ مشغولا ، فقد وضعت برنامجا مشحونا بمختلف الزيارات والفسح . ولشنت ضواح غنية بالرائع من المشاهد ، من دور أثرية تحمل طابع

القرون الوسطى ، بزخارفها الدقيقة ، ورسومها الملونة الساذجة ، ومن مواضع فى الغابات مشهورة بمناظرها الرائعة ، ومن بحيرات مترامية الاطراف ، تقبع على قمم الجبال كأنها عيون نجلاء تنظر دائما الى السماء . . .

كنت أترك الفندق صباحا ، ولا عمل لى غير التجوال ، أسير طويلا مخترقا الأحراش والغابات والوديان صعوداً ونزولا ، فاذا ما تعبت أو ضجرت ، جلست واستغرقت فى تفكير هادىء ، والنسيم يهب على وجهى محملا بشذا الحشائش الندية

وقد أقطع المسافات الشاسعة ، فلا يقابلنى غير حطاب عريض المنكبين صلب العود — لا يستر جسده إلا قميص مفتوح الصدر ، وسروال من الجلد قصير — يحمل على كتفه جذعا ضخما ، فيبتسم لى ، ويحيينى تحية صافية ساذجة ، وتقابلنى بين فترة وأخرى قطعان صغيرة من البقر تجلجل بأجراسها الضخمة ، وترتع فى الوديان فرحة ، تنعم بحرية لا ينعم بها الكثير منا — نحن الآدميين — فى عصرنا الحاضر ! ! هذا البقر الجبلى لا يرعى غير الحشائش المزهرة العطرة ، فيحيلها الى لبن عطر شهى ، لا تجد مايماثله فى غير هـذا المكان ، إذ أن أزهار « شنت » الطبيعية تمتاز بنبل رائحتها من زمن قديم . واذا طالت غيبتى عن البلدة ، وغافلتنى الشمس فتوارت خلف الجبال ، ورأيت نفسى شبه ضال فى ذلك المكان المنعزل ، سرت خلف قطيع من هـذه القطعان ، وأنا مطمئن مرتاح ، فأوصلتنى الى « شنت » أو الى قرية مجاورة لها . وكلما مررنا أمام دار ، رأيت بقرة قد تخلفت عنا ، وصارت الى البيت فى خطى وئيدة ، تجلجل بجرسها ذى الرنين الخاص ، تعلن لأصحابها خبر قدومها . . .

***

وفى نهاية الطريق العام ، عند مدخل الغابة ، حيث تتفرع عدة طرق ، يقوم كشك صغير ضئيل أخطأته أول الأمر ، فحسبته لعبة من اللعب ، وعلقت عينى بشخص واقف بجواره ، فتاة تبلغ العاشرة ، لها شعر ذهبى ، وعيون زرقاء صافية ، ساذجة الملابس نظيفتها . اقتربت منى فى خفة ، وعيونها تبتسم ، ثم قدمت لى صحبة ورد صغيرة من صندوق معلق على صدرها ، وهى تقول :

— ألك فى مجموعة من زهور الجبل يا سيدى . . . ؟ رخيصة الثمن ، ثابتة الرائحة ، تعيش مدة طويلة ؟

تناولت منها الصحبة وجعلت أتأملها . كانت صحبة صغيرة لا يتجاوز حجمها قبضة اليد ، جميلة التنسيق ، تحوى نخبة من زهور الجبل ، زهور ساذجة المظهر ، لها عطر خفيف ذكى ، يدل على عراقة ونبل . شممت الصحبة وأنا مغتبط ، وقلت للفتاة :

— أأنت التى تجمعين هذه الزهور ، وتؤلفين هذه الصحب ؟

— نعم يا سيدى ، انى أقوم بهذا العمل منذ أعوام

— وحدك ؟ — باشراف أمى

— أأنتم من سكان المنطقة ؟

— انها موطننا وموطن أجدادنا من قبل

— وأبوك ، ما صناعته ؟

— كان حطابا ولبانا ، فلما مات احتفظت أمى ببعض بقراته

وكانت تكلمنى فى لباقة ، وعيونها الزرقاء الصافية تلمع ذكاء . وأعجبتنى خفة روحها ، وهدوء جمالها ، والتفت الى كشكها فقلت :

— إن كشكك يعجبنى يا فتاتى ، ماذا يحوى يا ترى ؟

— تعال أريك إياه

— انه أصغر من أن يدعنى أدخله

— كلا يا سيدى ، فكثيراً ما احتمى الناس فيه من المطر

وحنيت هامتى ، ودخلت الكشك ، فوجدته كأنه حديقة صغيرة مكتظة بالزهور ، تماثل الحدائق اليابانية المصغرة التى وصفها بعض الكتاب فى رحلاتهم الى بلاد الشمس المشرقة ، وخرجت وأنا أقول :

— كل هذا بديع ، أنت تعيشين كزهرة برية بين اخواتك الزهور

ثم أخرجت من جيبى قطعة من النقود وناولتها إياها ثمنا للصحبة . فقالت :

— إن الصحبة تساوى نصف هذا القدر !

— لابأس ، لابأس...

وودعتها ملاطفا ، وسمعتها تقول وهى تداعب القطعة فى يدها :

— اذا هطلت الامطار ، أو اشتدت الرياح ، وأردت مأوى صالحا فهذا هو الكشك تحت تصرفك

— أشكرك . . .

— إذا عدت تعبا حران فى يوم شديد القيظ فانك تجد فى الكشك ما تطلبه من ظل وماء

فقلت لها مبتسما وقد أعجبتنى ذلاقة لسانها ؟

— أشكرك يا صغيرتى أشكرك

وسرت وأنا ممسك بصحبة الورد أشمها مسروراً . ولما عدت من تنزهى ، وضعتها فى زهرية على منضدة الزينة فى حجرتى مستمتعا برائحتها طيلة اليوم

وفى اليوم التالى خرجت الى تنزهى اليومية ، ولما مررت بكشك صديقتى ، بائعة الورد ، ألفيتها بجواره ، تعد الصحب وترتبها فى الصندوق ، فوقفت عندها وقلت :

— أين صحبتك يا بنية ؟ — أترغب اليوم فى واحدة ؟

— طبعا . سأضعها بجانب أختها ، لتزين لى حجرتى وتعطرها

— حسنا يا سيدى . إنى أؤكد لك أن الصحبة اذا وجدت من يعتنى بها عاشت أشهراً لا أياما

وأخذت منها واحدة ، وكانت كصحبة الأمس فى حجمها وتنسيقها ، وألوان زهورها ، كأنهما توءمان ، وقلت لها :

— أيظل كشكك مفتوحا طوال العام ؟

— كلا يا سيدى ، بل فى أيام الموسم ، بضعة أشهر فى الصيف ، وبضعة أسابيع فى الشتاء

— فى الشتاء ؟ ألا يغطى الثلج الجبل بأسره ؟

— ولكن هناك مناطق ينبت فيها الزهر وسط الثلج . إن من السائحين ومحبي الرياضة من هو مفتون بزهور الثلج !

— وهذا الكشك . . . ؟

— انه يقاوم الثلوج والرياح مقاومة أشد الأمكنة وأصلبها

— وما رأيك فى الشتاء ؟

— الثلج أحب إلى من خضرة الربيع ... الثلج بهجة ومرح ... احزر كم من الوقت يلزمنى لأقدم من منزلى الى هنا ؟

— وأين منزلك ؟ — هناك ، أنظر . . .

— انكم تسكنون قرية « كيتان » . انها بعيدة ومرتفعة جداً أيتها الصغيرة

— انى أقدم منها فى مدة لا تتجاوز خمس دقائق

— غير معقول ! كيف ؟

— على زحافتى ! — . . بديع !

— أما فى الصيف ، فانى أقطع المسافة فى نصف ساعة

— هذا اذا التزمت الطرق الصغيرة غير المألوفة

— إنى دائما أسلكها ، ولا أكاد أعرف سواها

ووقفت أتأملها ، وأصور لنفسى حياتها فى تلك القرية النائية المنعزلة ، مع بقراتها وزهورها ، ثم أخرجت من جيبى قطعة النقود ، وأعطيتها إياها . . ومضيت فى طريق ، وقد غمرتنى فلسفة جديدة ، فلسفة تأمل عميق ، وبدأت أحس فى أعماق نفسى بضآلة تلك المظاهر الدنيوية التى تحيط بنا

ومرت الايام وأنا أرى كل يوم صديقتى بائعة الورد ، فأشترى منها صحبة وأستمتع بحديث لطيف معها . ولكنى لاحظت أن الصحبة بدأت تتضاءل فى حجمها يوما بعد يوم ، وان احتفظت دائما بعطرها النبيل ، وطابعها الساذج الممتاز . . . وقالت لى الفتاة بعد أن حزرت ما يجول فى خاطرى عن صحبتها :

— إن الخريف يا سيدى على الأبواب ، وهو كما ترى قاس لا يرحم . . .

***

واضطررت ان أرحل عن قرية «شنت» الى «راداز» على أثر دعوة تلقيتها من بعض أقاربى هناك . ومكثت معهم أسبوعين ، ثم عدت الى «شنت» وأنا أحس لها فى صميم قلبى حنينا غريبا . ودخلتها كما يدخل المغترب وطنه بعد غياب طويل . وأول شىء فكرت فيه ، صديقتى بائعة الورد . فذهبت الى كشكها لأبتاع صحبتى فوجدته مقفلا . . . والتفت حولى فوجدت الغابة قد بدأت تكفهر وتتعرى ، والحقول أخذت تشحب وتسقم ، واندفع الهواء البارد القاسى يلفح وجهى وكأنى أسمع منه همس السخرية . . .

وقصدت فندقى وأنا آسف مكتئب

وعدت الى نزهاتى أقطع الوهاد والوديان وحيداً. لم يعد يقابلنى أصدقائى الحطابون يبتسمون لى ويحيوننى . واختفت قطعان البقر ، وصمتت أجراسها فى الحقول . فلم يبق إلا صفير الرياح يتجاوب صداه على جوانب الجبال . كنت أمر « بكشك الورد » فأجده دائما مغلقا ، وقد غطته أوراق الشجر الجافة . فكأنه قبر مهمل مهجور ، وازدادت كآبتى فاعتزمت الرحيل . وقبل سفرى بيوم خطر لى أن أتنزه جهة « كيتان » بالرغم من ارتفاعها وبعدها وانعزالها عن باقى القرى . وسلكت فى سيرى الطرق الصغيرة غير المألوفة . وما إن دنوت من القرية حتى وجدت فتاتى «بائعة الورد» جالسة على جذع مقطوع ترقع ثوبا فى يدها. فما ان رأتنى حتى نهضت مهللة بى. فقلت لها وأنا أشد على يدها وابتسم :

— ما هذا الاختفاء ياصغيرتى ، لم يعد أحد يراك ؟

— وما ذنبى يا سيدى ، ألا ترى فعل الخريف بنا ؟

— حقا انه قاس لا يرحم !

وجلست على الجذع بجانبها ؛ وأخذت أستمع الى حديثها عن حياة الخريف ، وعملها فى المنزل، وحلبها للابقار وما شابه ذلك . حديث ساذج لطيف ، ملأ قلبى بهجة ونوراً . . .

ولما تهيأت للعودة ألقيت بدى تخرج « قطعة النقود » من جيبى وتعطيها الصغيرة ، فأمسكت بها الفتاة متسائلة وقالت فى بساطة كبيرة :

— ولكن ، ليس لدى يا سيدى صحبة أقدمها لك . . .

فانحنيت على الفور عليها ، وقطفت من خدها الورد المتفتح قبلة هادئة ، وقلت لها :

— إن صحبة اليوم أشهى وأحلى من أى صحبة مضت . إنها لا تقدر بمال

وانحدرت فى طريقى الى الفندق ، وأنا أشعر بنشوة الربيع تستيقظ فى قرارة نفسى . . . !!

محمود تيمور

عرض وتحليل

شيطان الغيرة

للباحث النفسانى ريمون مولر

Le démon de la Jalousie Par Raymond Muller

ريمون مولر من كبار علماء النفس المعاصرين وهو من أصل الزاسى وقد نبغ نبوغا ظاهرا فى مختلف الدراسات التى اخرجها عن (الامومة فى المجتمع الحديث) و (جنون الفكرة الثابتة) و (اعراض النورستانيا) و (واجبنا حيال اطفالنا) . واما كتاب (شيطان الغيرة) فيعتبر اقوى اعماله واعمقها وقد اكسبه شهرة واسعة فى عالم الادب الاوربى

الغيرة والحب

يعتقد الكثيرون أن الحب يولد الغيرة وان الحب الصادق الصحيح لا يمكن أن يستولى على القلب والعقل إلا وهو مقرون بأشد مظاهر الغيرة . وهذا فى الواقع خطأ شائع

فالغيرة فى صميمها عاطفة تنبع من حب الذات وتصدر عن كبرياء الرجولة وتتولد من ذلك الشعور الوراثى القديم بحق الرجل المطلق فى ملكيـة المرأة التى حازها لنفسه وانفق من حر ماله عليها وعلى أولادها

فالرجل يختار امرأة معينة ويفتح لها ابواب بيته ويكد ويكدح من أجلها ، فى سبيل ان تكون له وحده ، وان يعقب خلفا منها ، وان يحس أوفر احساس وابلغه ان أبناءه قد انحدروا من صلبه ، وانه انما يكافح ويجاهد من أجل مجموعة بشرية تنتسب اليه وتحمل اسمه

وهذا هو الأصل فى غيرته

واذن فالباعث على غيرة الرجل ليس هو الحب ، بل هى المصلحة ، أو هى عاطفة الحنق الممزوج بالاستنكار ، استنكار الذكر القوى كيف ان الانثى الضعيفة قد خدعتـه وغررت به وجلبت الى الأسرة عناصر دخيلة وساقت زوجها المخدوع الى العناية بأبناء الغير والانفاق عليهم واعتبارهم من لحمه ودمه

وليس شك فى ان الزوج على حق فى تمرده وثورته وغيرته ، اذ شرف الاسرة منسوب اليه ،

وسمعة الزوجة عالقة بسمعته ، ومستقبل الاولاد منوط بجهاده ، ولكن هذه الغيرة التي يشعر بها الزوج عن حق لا تمت الى الحب بصلة ولا تشترك عوامل الحب الكبرى فى اثارتها والهابها

ويرى مؤلف هذا الكتاب أن سبب الغيرة عند الرجل يرجع الى الفارق العظيم بينه وبين المرأة . فهو قد ألف السيطرة والسيادة وهى قد اعتادت الخضوع والتسليم ، وهو قد ألف العمل والحرية وهى قد اعتادت الحياة عالة على الغير ، وهو قد نشأ مجاهدا وهى قد نشأت قعيدة بيت

فضعف المرأة الوراثى وحاجتها الى رجل يعولها واعتمادها على الرجل فى تشييد مستقبلها ، واحساسها العميق المتخلف فى نفسها منذ عصر المغاور والكهوف بأن الذكر كان يختطفها ويقاتل من أجلها ويغامر بحياته للاحتفاظ بها ، كل هذه العوامل التى اشتركت فى تكوين شخصية المرأة اشتركت أيضا فى تكوين شعور الرجل من نحوها . فهو والحالة هذه لا يستطيع أن يحبها إلا وهو خاضع لشعوره بضعفها وقوته ، بضعف انوثتها وقوة رجولته وكبريائها وسلطانها

لذلك هو يغار عليها . يغار عليها لأنه لا يطيق من المرأة الضعيفة أن تذل كبرياءه ، وتعبث برجولته ، وتنتقص من قدره ، وتؤثر غيره عليه

وانت اذا انعمت النظر فى اطوار الغيرة وفى شخصية الرجل الغيور ، تبين لك أن مثار الغيرة هو تلك الخيالات والاطياف الشهوية التى يتمثلها الغيور والتى تصدر عن احساسه بملكية المرأة وعن كبريائه الذليلة العاجزة

وايضاحا لهذا الرأى نقول :

ان الرجل اذ يحصل على امرأة ويتمكن من اخضاعها والاستمتاع بها ، يزداد شعورا بقوته ويزداد فخرا وزهوا بنفسه ، ويسعى جهد استطاعته للاحتفاظ بهذه المتعة لشخصه كدليل بالغ على قدرة رجولته ، فاذا ما حدث واعرضت المرأة عنه ومالت الى سواه ، اضطرم خياله والتهبت قوى تصوره ويبدأ يتمثل تلك المرأة بين احضان رجل آخر يسرق ماله ويستبيح ملكه وينعم بلذائذ كانت له وحده

فشدة احساس الغيور بملكية المرأة ، وعلى الخصوص ملكية بدنها وحواسها ، هى التى تشعل فى قلبه نار الغيرة ، وهى التى تحشد فى ذهنه مختلف صور الشهوة ، وهى التى تبتليه فى بعض الأحيان بالانحلال العصبى والجنون

وقد ابدع شكسبير فى تصوير هذا العارض فى قصة (عطيل المغربى)

فعطيل وقد تملكه الشك فى سلوك زوجه وساورته الريب فى اخلاصها له ، يأبى الا ان يتصورها بين احضان غريمه ، ولا يستطيع الا ان يتمثلها وهى تمنح لعدوه نفس اللذائذ التى كانت تبيحها له وحده ، فهذه القدرة فى نفس الغيور على تصور متاعه ملكا لسواه وعلى الاندفاع فى هذا

التصور اندفاعا أعمى والمبالغة فيه الى حد الهوس ، هى التى عصفت بعقل عطيل ودفعت به الى ارتكاب الجريمة ثم الى الانتحار

ولرب معترض يقول : ولكن الرجل قد يشعر بالغيرة على امرأة يحبها وليست زوجه واذن تكون الغيرة هنا وليدة الحب

وهذا الزعم خطأ شائع أيضا ، اذ الرجل هو الرجل ، فاحساسه بقوته لا يتغير ، واعتداده بنفسه لا يتبدل ، واستمساكه بحق ملكية المرأة متأصل فى كيانه ، وحرصه على كرامته ورجولته هو الذى يولد فيه عاطفة الغيرة

وما دامت الفوارق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية قائمة بين المرأة والرجل فستظل غيرة الرجل عنيفة حادة وسيظل الحب مقرونا بالغيرة

وكلما تحررت المرأة ، وتمكنت من الفوز بقسطها من العلم ، وأتاح لها المجتمع فرص العمل واعترف بشخصيتها ، وانقذها من الحياة عالة على الرجل ، تهذبت عاطفة الغيرة وتلطفت من تلقاء نفسها وزايلت غلظتها الوحشية الأولى

وذلك لأن الغيرة قل أن تتخذ مظاهر القسوة والاستبداد والعنف بين شخصين متكافئين ، يستطيع كل منهما الاكتفاء بنفسه عند الحاجة ، ولا يشعر أحد منهما بأنه مشدود الى الآخر يحيا بواسطته ويعيش من فضله ويستحيل عليه الاستغناء عنه

دليل الحب

ولكن إذا كانت الغيرة دخيلة على الحب واذا كانت لا تنم عن صدقه وقوته ، فما هو دليل الحب وما هى غايته المثلى ؟

يعتقد ريمون موار أن دليل الحب الصحيح هو التضحية لا الغيرة

فالذى يحب ويشتد فى غيرته ، انسان يحب فى الواقع نفسه أكثر مما يحب حبيبته

والذي يحب ويشتد فى تضحيته انسان آثر حبيبته على نفسه . وهذا هو الحب الصادق العاطفة الصادق الولاء

ويرى ريمون موار أن غرض الحب اسعاد الحبيب بصرف النظر عن الشخص الذى يمكن أن يكون مصدر هذه السعادة

وسواء فى نظره لدى العاشق الحقيق أن يسعد معشوقه على يده أو على يد غيره ما دامت قبلة الحب تضحية النفس لاسعاد الحبيب

ويعترف ريمون موار بأن هذا الضرب من الحب نادر إلا فى الأوساط الرقيعة وبين الشعوب التى قطعت شوطاً كبيراً فى ميدان الحضارة وعند نخبة من رجال الفكر والفن . ولكن هذه

الغيرة لا تدل على شذوذ الحب المنزه عن الغيرة بل تدل بالعكس على أن الحب العميق الأصيل ، استفاق فى القلوب الكبيرة وتألق فى النفوس المختارة بعد اذ تجردت من قيود المجتمع وخلصت من شوائب العرف التقليدى وتحررت من فروض الحياة الاقتصادية وساوت بين الرجل والمرأة وارتدت بكل منهما الى سابق حريته الطبيعية المطلقة

فكأن الحب الناهض على التضحية هو النزع الأصلى فى النفس البشرية

وكأن الحب المقرون بالأنانية والغيرة هو حب نظمه الرجل لفائدته وابتدعه لمصلحته ووطده بقوته واستند الى سلطانه الاقتصادى ليفرضه على المرأة فرضا

ولكن الغريب فى الأمر أن المرأة لفرط ما تعذبت واضطهدت والفت الذل والعبودية فى عصور الجهل والظلام ، أصبحت هى نفسها شديدة الرغبة فى الاحساس بغيرة الرجل عليها ، بل أصبحت ترى فى غيرة الرجل دليل حب ، وهذا ما يزيد فى كبرياء الرجل ويضعف من شأن الحب القائم على التضحية ويحول بينه وبين الشيوع والانتشار

فالمرأة إذا كانت قد أحبتك ثم شعرت بميل نحو سواك ثم أبصرتك نبيل النفس عالى الهمة متأهبا لانكار ذاتك فى سبيل اسعادها ، احتقرتك وطعنت فى صدق حبك ولم تحفل بألمك ولم تقدر تضحيتك واتهمتك بنقص فى الرجولة وضعف فى الكرامة ، ثم اعرضت عنك وأسرفت فى التقرب الى غريمك على حساب نبلك وسمو عواطفك

فهى تطلب اليك أن تتشبث بها ما استطعت ، وتغار عليها جهدك ، وتقاوم وتناضل للاحتفاظ بها ، وإلا فأنت فى نظرها مسلوب الحول مهتوك الرجولة لا تعرف كيف تحب ولا تستحق أن تكون محبوبا

فالمرأة لا تنشد الغيرة فى الحب الا لشعورها الوراثى بانها متاع للرجل . وهذا ما يفسر لنا اغتباط بعض النساء الشرقيات بحياة العزلة ورضاهن عن الحجاب واعجابهن بأزواجهن القساة المستبدين

فالحجب فى نظر هؤلاء الشرقيات دليل غيرة والغيرة دليل حب ، أما الحرية فبرهان على إعراض الرجل وفتوره وعدم اكتراثه لهن

ومما لا يقبل الريب أن تعلق المرأة بالغيرة وابتهاجها بصاحبة الرجل الغيور واعتقادها الصدق فى الحب المشوب بالغيرة ، كل هذه العوامل ساعدت على تشويه معنى الحب الصحيح ومكنت الرجل من مضاعفة سلطانه على المرأة وأخرت حركة التحرير النسوى بواسطة النساء انفسهن

والأعجب من كل هذا أن النساء العصريات ينشدن الحرية ثم يتبرمن بالحب المنزه عن الغيرة يطلبن المساواة ثم يسعين وراء الرجل القوى

يتطلعن الى التكافؤ الفكرى والاجتماعى ثم يبحثن عن رجل يستطيع التفوق عليهن

فهن فى مجموعهن – على الرغم من تطور العصر – ما زلن خاضعات لاحكام الوراثة . والحق أن نظرتهن الى الحياة لم تتجدد الا منذ الحرب العظمى . فلا بد والحالة هذه من تعاقب أجيال طويلة قبل أن تتحقق فى نفوسهن المساواة العاطفية المنشودة ، وقبل أن يدركن ادراكا شاملا عميقا ان الحرية الشخصية هى أساس الحب ، وأن الاعتراف بحرية المحبوب فى اختيار من يهوى هو الدليل الأعظم على الرغبة فى اسعاده وهو عنوان الحب الصحيح ممثلا فى قوة التضحية !

شخصية الغيور

الغيور انسان تملكته فكرة ثابتة واستحوذ على عقله غرض معين واستأثر بأعصابه انفعال لذيذ مصحوب بألم شديد يزيده وقعاً ولذة

فهو أشبه بالبخيل يخاف على ماله ويخفيه عن أبصار الناس ويشك فى كل من يحدثونه عنه ويود لو استطاع خزنه فى أقصى أنحاء العالم

والغيور كالجاسوس دقيق الملاحظة جم التصورات يتسقط الأخبار ويتحرى الوقائع ويعيش فى ذعر دائم ولا يعرف سبيلا للراحة والاستقرار

ومن طباعه التعلل بأبسط الشبهات يقيم عليها أخطر الاتهامات . فان غادرت زوجه المنزل بدون اذنه انتابته الوساوس وأحاطت به الشكوك ، وان خاطبت شخصا لا يعرفه أحاطت بعقله الريبة ومزقته الظنون ، وان خرجت يوما على طاعته اسرع فاتهمها بالخيانة ، وان أبصرها بعد ذلك مع سواه أيقن من غدرها وقضى على سمعتها دون رحمة

فهو يغار لا لأنه يحب ، بل لأنه يشعر بعجزه عن الاحتفاظ بشىء ثمين هو ملكه . فيسرف فى الحرص ويسرف فى البخل ويسرف فى التعلق والتشبث ، وينتهى به الامر الى حب الغيرة لذاتها والحرص لذاته ، وهذه أدنى مراتب الغيرة

والواقع أن المرأة وإن كانت تقدر فى الحب بعض مظاهر الغيرة إلا أنها لاتطيق الافراط فيها ، اذ هي تعلم علم اليقين ان حياتها مع الغيور سلسلة شقاء متصلة

فهو متى ركبه شيطانه واحتلت الشكوك الجامحة ذهنه ، انحرف باعث اللذة عنده ، وبدل أن يكون مركزا فى أعراض الغيرة نفسها أى فى سوء الظن والحرص والقلق والتجسس وتسقط الأخبار ، يتركز فى دائرة واحدة وهى تعذيب المرأة واضطهادها لأنها السبب المباشر فى غيرته

وعندئذ تراه يحرم عليها مغادرة البيت أو مخالطة بعض الصديقات ، أو الظهور بمظهر ينم عن التبرج ويضاعف الجمال

وقد يغلو فى زجرها وتقريعها ، وقد يرشقها بألفاظ بذيئة وعبارات جارحة ، وقد يمتهنها ويضربها ويحاول ما استطاع اذلالها ليشعر بقوته ويستوثق من سيادته عليها ويزداد ايمانا بأن فى وسعه

ارغامها على الاخلاص له والانقطاع لحبه وتوديع الدنيا فى سبيل شخصه وحده

وهو كلما ساورته الريب فى مسلك امرأته ثم عجز عن التثبت من صحتها ، أفرط فى تعذيب المرأة ، لا جزاء لها على خيانة لم ترتكبها بل عقابا لها على انها الحبت فيه الشكوك على غير جدوى واثارت فيه ظنونا وهواجس لا طائل تحتها

فهو يريد أن تتحقق ظنونه ليقر الطمأنينة فى نفسه ويستريح ، ولكنه فى الوقت ذاته يعلم أنه واهم ويشعر ان المرأة قد تكون مظلومة فيثور لا على وهمه ولا على ظلمه بل على المرأة التى يعذبه وجودها والتى لولاها ماعرف الغيرة وماكان تاعسا شقيا الى هذا الحد

فالغيرة تعذبه ، لذلك هو يعذب المرأة . والمرأة قد تصبر اول الأمر وتحتمل ولكنها فى النهاية تستنكر وتسخط وتتمرد ، وقد يدفعها اسراف الرجل فى غيرته واصراره على اتهامها بالخيانة الى خيانته بالفعل محملة اياه مسؤولية جريمتها

وهذا هو خطر الغيرة على الزواج

فالمرأة تحب الرجل المتمسك بها الحريص عليها ولكنها تحب الاناقة أيضا وتحب التبرج وتحب الاستمتاع بشىء من الحرية وتحب ان تحس ان زوجها يخفى غيرته ويشعر بقوته ويثق بأن امرأته له . فاذا ما طغت الغيرة على العلاقات الزوجية وترتب على طغيانها خنق حرية المرأة وحرمانها من أسباب التجمل وصرفها عن الحياة العامة وظهور الرجل أمامها بمظهر الحائر المضطرب غير الواثق بقدرته على الاحتفاظ بها ، أبغضته كما تبغض من يحبها بدون غيرة ، وانتهت الى خيانته والتغرير به

وذلك لأن المرأة تكره الاسراف وتميل الى الاعتدال والتوسط

وكما أنها تكره الحب مجردا من كل غيرة كذلك هى تكره الحب مستبدة به الغيرة . تكره هذا النوع من الحب لأنها تدرك بسليقتها أن تسليمها التام بغيرة الرجل معناه انطواؤها فى شخصه ورضاها بألا تتجمل وتتبرج الا له وحده . وهذا فوق استطاعتها لأنها تحب الحياة وتحب أن يراها الناس جميلة وان كانت لا تفكر البتة فى خيانة زوجها أو حبيبها

ولكن الغيور لا يفهم هذه الظاهرة فى خلق المرأة فيسيء الى نفسه ويسيء اليها ويتبع هوى شيطانه فيهدم هيكل حبه ويقوض بيديه مستقبل ابنائه ودعائم أسرته

الغيرة من الماضى

مما يمتاز به الغيور ان حيازة الحاضر والمستقبل لا تكفيه ، فهو ينزع ايضا الى حيازة الماضى الذى أفلت منه وغاب فى جوف الزمن

انه متى احب امرأة أحس رغبة قوية فى الاستيلاء على كيانها كله ، على جسمها وروحها وما خلفه الماضى فى ذلك الجسم وتلك الروح من ذكريات واهواء وميول

فهو يغار عليها حتى من ماضيها الذى لم تعد مسؤولة عنه

يغار عليها من علاقاتها القديمة وأصدقائها السابقين واتجاهات أفكارها وعواطفها فى الزمن الذى لم يعرفها فيه

يحاول الا يدع منها شيئا لسواه ، يتصور انها خلقت منذ الأبد له وحده ، يعتقد أنها مسؤولة عن مختلف الأعمال التى صدرت عنها قبل أن تتصل به

فهو يحاسبها على الماضى حسابا عسيرا ، ويعد عليها سابق هفواتها ، ويؤاخذها على ذنوب لم ترتكبها فى عهده ، ويأبى الا ان يعكر صفو هنائها وهنائه ويجهز على الحب الذى أراق فى تكوينه عصارة فكره وقلبه

وهو يتطلع الى الماضى ويغار منه ليستكمل احساسه بملكية المرأة ، متوهما بأن واجب الحب كان يقضى عليها بأن تظل عذراء نقية ، مرتقبة حبه ، منتظرة مقدمه ، حريصة على الا تمنح من ذاتها شيئا لسواه . . .

وعبثا تحاول المرأة التى تعيش فى الحاضر ان تفهم الغيور ان الحاضر شيء والماضى شيء آخر .

فهو لا يمكن ان يفهم ولا يمكن ان يقبل او يتصور أنها كانت فى يوم من الايام متعة رجل آخر وان رجلا آخر كشف لها عن نعيم الهوى ولذة الحب

والواقع ان لب شخصية الغيور كامن فى هذه الظاهرة ، فى ان يكون أول وآخر رجل تعرفه المرأة التى يحبها ، وأول وآخر رجل يكشف لها عن حقيقة الحب وتتلق على يديه فن الهوى

هذا هو سر غيرته وهذا ما يدفعه الى الغيرة من الماضى الرحب القصى السحيق ، حيث يجد لذة كبيرة فى الاحاطة بكل ما يتعلق بشخص محبوبته ، وحيث يتوهم ان هذه الاحاطة تجعلها على رغمها ورغم الزمن ملكا خالصا له !

وفى وسعنا ان تتمثل شقاء امرأة وقعت فريسة لمثل هذا الغيور بعد ان أحبته وعزمت على ان تكفر بهذا الحب عن سيئات ماضيها

انها تخلص له وهو يذكرها باخطاء الماضى ، انها تحبه وهو لاينفك يذكر أنها أحبت سواه ،إنها تعيش فى يومها الزاهر وهو يصر على الحياة فى أمسها المغبر

انها تتوق بواسطة الحب الى تجديد الحياة وهو ينزع بواسطة الماضى الى خنق وتشويه الحياة

فمثل هذا الضرب من الغيرة لا يمكن ان يولد الحب ، بل الحقد والبغض والفرار ، فرار المرأة من الرجل كائنا ما كان حبه وبالغا ما بلغ من الاخلاص والولاء

وقد يحمل الغيور عندئذ على المرأة وينعى عليها غدرها ونفاقها ، ويتهمها بالمواربة والختل ، ويقول ان ماضيها استفاق وتسلط عليها وانها خانت اليوم لأنها كانت خائنة بالأمس

ولكن الحقيقة هى ان المرأة لم تخنه ، بل هو الذى خانها . خان عهد الحب ولم يفهم ان كل حب

يعقد بين شخصين انما يقوم على قاعدة الحاضر والمستقبل فقط . اما الماضى فسرعان ما تتجاهله المرأة وسرعان ما تنساه وتسدل عليه الستار

الفارق بين غيرة المرأة وغيرة الرجل

تختلف غيرة المرأة باختلاف علاقتها بالرجل

فهى ان كانت زوجة كان الباعث على غيرتها خوفها من المستقبل ودفاعها عن نفسها وأولادها وتشبثها بالرجل الذى يعولها وشعورها بأن لاحياة لها إلا فى دائرة الاسرة

والمرأة قد تكون متعلمة وقد يكون فى وسعها الاعتماد على ذكائها وعلمها ، والعثور على عمل شريف تستغنى به عن الرجل متى طلقها . ولكن حياة الزواج تحبب اليها فى الغالب الحياة العائلية حيث المستقبل مكفول وحيث غريزة الانثى تسوقها الى حفظ النسل وتعهده والسهر على نمائه

فغيرة الزوجة والحالة هذه تصدر عن عاملين : المصلحة الخاصة ومصلحة الابناء

فهى غيرة لم تستأثر بها الانانية ولم يتحكم فيها حب الذات ولذا كانت أسمى من غيرة الرجل

ومع ذلك فغيرة الرجل ترمى الى خدمة مصلحة الابناء أيضا باقصاء عناصر الفساد عنهم وعدم السماح للزوجة بأن تحمل اليهم جراثيم الشر ، ولكن من السهل على الرجل أن ينفصل عن زوجته متى خدعته ، وليس من السهل أن تنفصل المرأة عن زوجها متى خدعها إذ هى أشد تعلقا بأبنائها منه

فهو لا يحتمل الخيانة أما هى فتحتملها فى سبيل الحياة مع أبنائها وتربيتهم بنفسها وانقاذهم من أيدى الغريبة الدخيلة

وحيث ان المرأة احرص على بقاء الاسرة من الرجل فغيرتها تحمل طابع التضحية أكثر مما تحمله غيرة الرجل

ولذلك شبهوا الزوجة الغيور باللبؤة المتفانية فى الدفاع عن أشبالها

وأما غيرة المرأة التى تحب خارج دائرة الزواج فتصدر فى العادة عن كبرياء الانثى واعتدادها بجمالها وقوة خاصة الزهو فيها وشدة إحساسها بالمهانة لايثار الرجل غيرها عليها

فالمرأة لفرط زهوها وخيلائها ولفرط شعورها الوراثي بالضعف لاتستطيع أن تتصور بعد أن اخضعت الرجل لسلطانها كيف انها ارتدت عاجزة ضعيفة وكيف أن هذا السلطان أصبح لامرأة اخرى

فحرص الضعيف على سلطان أحرزه بعد جهاد طويل هو الباعث الرئيسى لغيرة المرأة بوجه عام

وهذا هو السبب فى أن الغيرة النسوية لاتبدو قاسية خشنة مطلقة كغيرة الرجل بل تشتد

تارة وتفتر أخرى ، وتتخذ فى العادة مظهراً يقترن فيه الحزم باللين وينم عن روح المكر والدهاء والسياسة

ولا شك ان هذا المظهر طبيعى لأن المرأة ضعيفة والضعيف متى أحس الخطر يتهدده لجأ الى المراوغة والحيلة ونبذ القوة والخشونة لئلا تنقلبا عليه وبالا

ومن النساء من تطغى الغيرة على عقولهن وتذهب بألبابهن وتفقدهن حاسة التوازن. ولكن هؤلاء هن القلة ، أما الكثرة فصانع وتراوغ وتصبر وتحتمل وتفتن فى الدهاء والاغراء لتسترد الرجل وتحتفظ به

على أن المرأة متى كانت وافرة الاحساس بشخصيتها شديدة الخيلاء والزهو ، فخوراً بجمالها ، ذات أبناء تحبهم وتسهر على مستقبلهم ، كانت غيرتها فظيعة مروعة لا تتردد فى ارتكاب جريمة عند الاقتضاء

ولكن الغريب فى علاقات الرجل بالمرأة ان الرجل يبيح لنفسه الغيرة وينكرها على المرأة . فهو متى غار عليها أعتبر ذلك حقا من حقوقه . ومتى غارت هى عليه تأفف منها وتبرم بها . ومتى أسرفت فى الغيرة أحس نقصا في حريته وظلمة فى حياته فأعرض عنها واستبدل بها غيرها

هذه الظاهرة فى نفس الرجل يفهمهامعظم النساء ، أما النزقات الطائشات اللواتي يدعن الغيرة تأ كل قلوبهن وتستبد بعقولهن وتضيق على الرجل الخناق وتنتقص من رجولته وتسلبه حريته ، فهؤلاء ينفرن الرجل منهن ويؤلبن قواه عليهن ويدفعن به الى أحضان غيرهن ، ومتى استفقن وألفين الوحدة تعصف بهن وحاولن اصلاح ما فات ، اصطدمن بالواقع وأدركن أن الرجل قد أصبح سعيداً بدونهن ، فعدن ذليلات خائبات منبوذات

العظماء وعاطفة الغيرة

قاوم عدد كبير من العظماء عاطفة الغيرة مدفوعين بطبيعة العظمة التى تنهض على انكار الأنانية والتعلق بالتضحية

فالروائى الروسى تورجنيف طهر نفسه من لوثات الغيرة فى حبه النقى لمدام فياردو ، وكان يعلم حق العلم ان هذه المرأة تحب زوجها وتخلص له ، فلم يسخط عليها ولم يتجهم لها ، بل قدر فيها كرم أخلاقها ونبل شخصيتها ، وكان يشعر بسعادة كبيرة ليقينه بأن محبوبته سعيدة مع سواه

والقصصى الفرنسي جوستاف فلوبير كان يهيم حبا بالأديبة لويز كوليه ، وكان يعلم هو الآخر أنها تؤثر عليه شاعراً متوسط المواهب ، تافه الخلق ، شائع الجمال ، فلم يعاتبها على اعراضها الفجائى عنه ، ولم يستنكر عاطفتها ، وأبت عليه كبرياؤه أن يرغمها على قبول حب لا تجد فيه سعادتها .

وكان يتألم فى سكون وصمت ، ولكنه كان يخفى ألمه ولا يسمح للغيرة بأن تفسد نفسه وتفسد حبه وتعكر على محبوبته الجميلة صفو هنائها

والمفكر ديدرو كان مولعا بسيدة نبيلة ذات عقل لامع وذهن متوقد وحسن رائع ، فلم يكد يشعر انها انصرفت عنه ومالت الى غيره حتى أنكر ذاته وأفسح المجال لغريمه وظل صديقا لتلك السيدة يلحظها عن بعد ويسعد لسعادتها ويفرح برؤيتها محبة ومحبوبة ، حتى دب الخلاف بينها وبين غريمه ، فعادت اليه من تلقاء نفسها وقدرت فيه أدبه وتحفظه وقوة تضحيته

والموسيقى مندلسوهن كان يعشق فتاة قروية خدعته وغررت به وفضلت عليه عاملا متواضعا من أبناء الشعب ، فلم يشك ولم يتذمر ، وعند ما جاء يوم زفافها أسرع وباع ساعة ذهبية ثمينة كان قد خلفها له والده ، فاستطاع أن يؤدى واجبه ويقدم لحبيبته هدية العرس

والشاعر الروسى لرمونتوف كان مغرما بفتاة ارستقراطية خدعته أيضا واقترنت بشاب ثرى خليع هجرها بعد ان سامها من صنوف العذاب ألوانا ، فمرضت بذات الرئة وأقصيت عن الناس خشية العدوى ، فلم يذكر الشاعر ما فعلته به ونسى خيانتها ولم يحفل بأوامر الأطباء ، وكان يهرع اليها مساء كل يوم حاملا مختلف أنواع الزهور والحلاوى فيجلس اليها ويطيب خاطرها ويطرد شبح الموت عنها ويعللها بحياة مديدة وهناء مقيم

فهؤلاء العظماء هم مضرب المثل فى الحب الصحيح . الحب المنزه عن الغيرة ، الحب القائم على اسعاد الحبيب ، الحب النابع من الروح لا من الجسد ، الحب الصادر عن الرغبة العميقة فى الولاء المطلق والتضحية المطلقة

ولقد تمكن أولئك العظماء من تحقيق هذا الحب الأمثل فى نفوسهم ، لانهم نزلوا عن استبداد الرجولة ، ونزلوا عن حق الذكر فى ملكية الأنثى، واحترموا المرأة، واعترفوا بحريتها، وأدركوا أن الحب الكامل القوى المنشود لا يمكن أن يصدر إلا عن شخصيتين متكافئتين فى حرية العاطفة وحرية الاختيار وحرية المحبة

وهذا هو محور المسألة

فكلما ارتقى الرجل وازداد شعوره بحرية المرأة فى الاحساس والاختيار والمحبة ، وكلما ارتقت المرأة وازداد شعورها بهذه الحرية ، تغلب الجنسان على أوضاع المجتمع ، واهتديا الى قانون الطبيعة الحرة ، وضعفت فى نفسيهما عوامل الغيرة ، وتلطفت وتهذبت، وقام الحب والزواج بينهما على أساس التبادل العاطفى الاختيارى وتقدير الكرامة المشتركة

وفى هذا السبيل تتجه الآن معظم الشعوب المتحضرة فى أوربا وأمريكا

المنتقمة

قصة ملخصة عن الروائي

جول كلارتي

عضو الاكاديمية الفرنسية

تمتاز قصص الروائي جول كلارتي بأنها تجمع بين الوقائع العنيفة ودقة التحليل النفسي. فتكشف للقارىء عن أسرار ميوله وعواطفه من خلال حوادث شائقة تأخذ بلبه وتخضعه لتأثيرها القوي. وقد صادفت قصة (المنتقمة) نجاحا كبيرا عند ظهورها وقال عنها الناقد المشهور أميل فاجيه انها مثال القصة التى ترضى الخاصة والعامة على السواء

كان الجو صحوا والنسيم عليلا والشمس فاترة الحرارة والكون كله يمرح فى نشوة الغبطة والقوة كشاب فى مقتبل العمر وريعان الصبا

وكانت مدام مورتان تعبث بخصلات شعرها الأسود المموج وترسل فى الفترة بعد الأخرى ضحكات ساخرة قصيرة، وترشق مادلين بنظرات حادة متهكمة، ثم تشيح بوجهها الناضر الصبوح وتهز كتفيها زراية واستخفافا

ونهضت مادلين لتخرج فقطبت مدام مورتان حاجبيها وقالت فى هدوء مصطنع :

— كيف ؟ تنصرفين ؟ ...

فعضت الفتاة على شفتها وكظمت غيظها وأجابت فى هدوء أيضا :

— أشعر بصداع ...

فترنحت مدام مورتان فى مقعدها ثم قهقهت قهقهة داوية طويلة ثم قالت :

— يا لك من ممثلة !

فامتقع وجه مادلين وأحست الحقد يغشى بصرها ويطغى على صدرها ويوشك أن يخنقها، فلم تستطع التمالك وصاحت :

— لست مجبرة على الخضوع لأوامرك ! ان والدى زوجك ولكنى فى بيته ولست فى بيتك !

وحاولت مدام مورتان الكلام ولكن الفتاة قاطعتها وأردفت وهى لا تعى :

— لم أعد احتمل استبدادك وغطرستك. لم أعد احتمل احتقارك وسخريتك. انك لتجدين لذة في تعذيبي وامتهانى أمام والدى وأمام الناس. بالأمس انتهرتنى على مشهد من صديقاتك، بعد ان اتخذت منى واسطة للمزاح وبعد ان عرضت بسلوك والدتى. ووالدتى أعف امرأة وأشرف زوجة وأطهر مخلوق ! لا.. لم أعد احتمل !

وصمتت وهى ترتجف، فتفرست فيها مدام مورتان وكانت تعلم أن البرود يقتلها فقالت فى ابتسامة ملؤها الدهاء والخبث :

— كلما غضبت ازددت فتنة وجمالا ! أنا معجبة بك ! أهنئك على كرم أخلاقك وعلو نفسك وسمو أدبك !

وضحكت مدام مورتان وتصاعد الدم الى محيا الفتاة وشملها الكمد وهمت بالخروج . ولكن زوجة أبيها لم تمهلها وأردفت على الفور :

— يجب عليك طاعتى ! يجب أن تظلى هنا وتعاونينى فى استقبال أفراد أسرتى ! أريد ذلك !

فانتفضت مادلين وشاع فى نفسها غضب هائل وقالت :

— لن أمكث اليوم فى البيت ! لن أكون هزأة لعائلتك ! . لن أسمح لك باذلالى على هذه الصورة !

فصاحت مدام مورتان :

— اخوتك أكثر منك أدبا وأوفر احتراما وأشد فهما لقوانين المجتمع وواجب المجاملة . كلهم هنا ، وكلهم يطيعنى ، فعليك أن تقتدى بهم وإلا عرفت كيف أوغر صدر والدك عليك وأحطم كبرياءك تحطيما !

فقالت ما دلين بلهجة التحدى وكأنها تلقى عن كاهلها عبئا ثقيلا طالما أرهقها :

— اخوتى ؟ ليس فيهم من يطيعك ! ليس فيهم من يحبك ! انك هنا بالرغم عنهم ! لقد أذللتهم هم أيضا ! تحكمت فيهم . أثرت والدهم عليهم . حرمتهم عطف أبيهم . حبست يده عنهم . ضيقت عليهم الخناق بغطرستك واضطهادك ومختلف الوشايات الوضيعة التى يصدقها زوجك . أبى . أبى الذى أعرض عن امرأته الكريمة الطيبة الحنون من أجلك أنت ، من أجل مخلوق . . .

فوثبت مدام مورتان من مكانها وقبل أن تتم الفتاة عبارتها أمسكت بذراعيها وجعلت تهزها هزاً عنيفا وهى تقول وقد جحظت عيناها واندلع منهما الشرر :

— سأحطم كبرياءك !

ورفعت يدها ولطمت مادلين فأجفلت الفتاة واقشعر بدنها واستهولت اللطمة وأوشكت أن تهور وتفقد صوابها ! ولكنها استجمعت قواها وكبحت جماح أعصابها وحاولت التخلص فلم تفلح فضاق صدرها وجاشت عواطفها وتراخت أعصابها وانفجرت من عينيها الدموع وجعلت تردد كالغريق تتقاذفه الأمواج :

— هذا من فرط عذابى ! هذا من فرط عذابى ! لم أعد أحتمل ! لم أعد أحتمل ! . . .

وارتمت على المقعد وطمرت وجهها بين راحتيها وأجهشت بالبكاء ، ومدام مورتان ترمقها وتزفر وكأنها تتوق الى سحقها والاجهاز عليها

وفجأة تحركت مادلين وأرسلت نفسا مستطيلا ورفعت رأسها وجالت بأنظارها الشاردة فى أنحاء الغرفة . وعندئذ حانت منها التفاتة فأبصرت زوجة أبيها تحدق اليها عن بعد وتبتسم ، فلم تطق

وثار ثائرها وصرخت صوتا فظيعا أشبه بالعواء ثم نهضت واستدارت ودفعت الباب بعنف وانطلقت مسرعة من الغرفة كحيوان مطارد مكلوم !

* * *

دخلت مادلين مخدعها وأحكمت اغلاق بابه ثم ألقت بنفسها على فراشها وتدثرت بالأغطية وحجبت بها وجهها ويديها وكل عضو فيها . وكانت تحس ارتعاشات عنيفة متعاقبة كارتعاشات الحمى، وكانت تحس في نفس الوقت أن العار يجللها وأن الاهانة قد انطبعت على محياها وأنها لو ظهرت أمام الناس فسيشعر الكل بعارها ويلحظ الجميع ذلها وانحطاطها

حجبت بالأغطية وجهها وجعلت تبكي وتخنق زفراتها وتندب سوء الطالع الذي جعل منها فريسة لتلك المرأة

ولما برح بها الألم وتمكن منها الاحساس بوحدتها ، تبين لها على دهش منها أن أعصابها قد هدأت وزايلتها رجفات الحمى فطرحت عنها الاغطية وهبت من فراشها شبه مذعورة وطفقت تذرع المخدع وهى لا تدرى الى أين تذهب وماذا يجب عليها أن تفعل !

وساقتها قدماها فجأة الى زاوية قصية من الحجرة فتنبهت ورفعت رأسها واذا بها تجاه صورة والدتها تطل بعينيها الصافيتين من خلال الاطار الذهبى البديع وتبتسم

ما أعظم الفارق بين هذه الابتسامة وتلك ! هنا الطيبة والعطف والحنان وهناك اللؤم والخبث والقسوة !

وحدقت مادلين الى الصورة وجعلت تتأملها وصدرها يعلو ويهبط والحسرة تمزق فؤادها تمزيقا

واضطرم ذهنها وتدافعت فيه الخيالات والخواطر ، وترامى فكرها وارتد الى الماضى ومثله أمامها حيا نابضا مختلجا !

شاهدت والدها عندما كان يدخل البيت سكران معربدا فينهرها ويضرب اخوتها ثم ينقض على امرأته فيوسعها سبا وشتما ، وما يزال يتعقبها بصيحاته ويطاردها بتهديداته ، حتى تخضع وتستسلم وتعطيه المال الذى يريد

وعندئذ كان ينقلب من وحش مفترس الى فتى مرح طروب فيثب ويضحك ويرقص ، ثم يودع الأسرة وداع الظافر ، ثم يخرج فى صميم الليل متحاملا على نفسه جارا معطفه الطويل هازا بيده عصاه الفضية ميمما وجهه شطر الحانات والمراقص ودور اللهو الليلى

وكانت والدتها بعد اذ ينصرف ، تجمع حولها أولادها ، وتطيب خاطرهم وترفه عن نفوسهم وتبذل قصاراها لادخال الطمأنينة على قلوبهم ، ثم تدخلهم غرفتها وتجثو على الأرض وتؤدى فريضة الصلاة وهم حولها يرددون صلاتها فى وقار وتواضع وخشوع

هكذا عاشوا لا يعرفون الفرح ، ولا يتصورون السعادة ، ولا يخطر لهم ببال أن فى وسع

القدر تبديل حياتهم وامتاعهم بيوم سكون وصفاء وجمال

وكانت مادلين أكبر الأبناء سنا ولذا فقد كانت أشدهم صرامة فى الحكم على والدها

كانت تشهد عذابات الاسرة وتشعر بتفككها وانحلالها فيأخذ الرعب منها مأخـذه ويهلع فؤادها وتخشى سوء المصير

كانت كلما نظرت الى أمها خيل اليها أن فى عينيها بريق الاستشهاد فيثور ثائرها وتتجمع فى نفسها عوامل السخط والحنق والتمرد

وكانت كلما نظرت الى اخوتها تقطعت نياط قلبها حزنا على مستقبلهم واسفا على ربيع شبابهم يذبل ويموت فى بيت مظلم خانق لا يدخله الهواء ولا يتخلله النور ولا تنفذ اليه أشعة الشمس

ولقد جاهدت لترد والدها الى صوابه وتهديه سواء السبيل ، ولـكنه كان يكرهها ويتبرم بها ويستنكر تدخلها فيا لا يعنيها ويغلظ لها القول ويحقرها فى عين اخوتها ، فخارت وقلقت وانتابها على مر الأيام ضرب من اليأس العميق استولى عليها وتمكن منها وأشاع فى نفسها ضعفا غريبا جعلها شديدة الشبه بأمها

وفى تلك الفترة حدث ما كانت تتوقعه وما كانت ترتعد لمجرد التفكير فيه

تبددت ثروة والدتها ونفد المال الذى كان يربطها بزوجها وأصبحت فى نظر قرينها عالة ثقيلة يجب التخلص منها

وكان لا بد للزوج من المال ينفقه فى لهوه ويسخو به على عشيقاته ويروى بواسطته ظمأ النائلة ، فلم يعد فى مقدوره الا كتفاء بمرتبه الحكومى المتواضع وأخذ يشرئب ببصره نحو أهداف جديدة وحياة أخرى

وكان رجلا فائق الجمال ملحوظ السحر ، يخلب لب السيدات بقامته المديدة ومنكبيه العريضين وعضله المفتول وزرقة عينيه المتألقة فى بشرة نحاسية سمراء . وأعجب ما كان يتصف به شدة احساسه بجماله ، وعظيم ثقته بنفسه ، وقوة ايمانه بسلطان حديثه وأثره البالغ فى قلوب النساء

وكان يمزج الثقة بالجرأة ، والجرأة بشىء من الوقاحة ، والوقاحة بشىء من الفكاهة ، والفكاهة بكثير من الغبطة والانشراح . وكل هذا كان يستأثر بمشاعر السيدات ويبهر عقولهن ويجبر أشدهن تحفظا على الالتفات اليه والاهتمام به

وهكذا تعلقت به « سوزان » الفتاة الجميلة الثرية وفتحت له أبواب بيتها وقربته الى أبيها وعقدت معه صلة الهوى ، ثم لوحت له بمالها ، وأثارت حقده على الفقر ممثلا فى امرأته وأبنائها ، وما زالت به تغريه وتفتنه وتعلله بأبهة الحياة ونعيم الترف حتى مال اليها وهام بها

وكان فى غرامه أسعد انسان يتطلع الى الجمال والشباب مقرونين بالجاه والغنى ، ويشعر أن الحياة بأسرها أصبحت طوع يده ورهن أشارة منه ، وأن ليس عليه الا أن يقطع ويفصل ويحسم

كى يستقبل عالما جديداً ما كان ليحلم به

وختم الغرام والطمع على بصره ، وعصفا بعقله ، وأفقداه عاطفة الأبوة ، ودفعا به الى الاسراع فى التحلل من الرباط الزوجى

ولما كانت امرأته بريئة فقـد شرع يلفق عليها التهم ويخلق المشاغبات ويفتن فى اضطهادها وتعذيبها ليرغمها على طلب الطلاق منه

وذهبت به القسوة الى حد انه احتجز مرتبه عنها وحرمها المال وقبض يده عن أبنائه وكف عن الانفاق على البيت ثم خير امرأته بين أن يطلقها ويغدق المال عليها وعلى أولادها أو ان تظل معه فينكل بأولاده وبها . فلم تجد التاعسة بداً من الاذعان فأسلمت حظها الى المقادير ورضيت بالطلاق

كل هذه الخواطر والذكريات جالت بذهن مادلين وهى تتأمل صورة والدتها . فأطرقت برأسها عياء ثم تحولت الى فراشها وهمت بأن تعود فتلقى بنفسها فيه،وإذ ذاك اخترق مسمعها صوت شقيقها (هنرى) يخاطب مدام مورتان فى ذلة وأدب ، فاهتاجت عواطفها وضاعفت سخطها وتمردها على أبيها ، على ذلك الرجل الذى أنكر ولاء امرأته وضحى بها ثم نبذها ، ثم انتزع منها أبناءها ، ثم فرض عليهم الحيـاة مع الأخرى ، نازلا على حكمها خاضعا لارادتها ، ناصراً لها فى حربها على امرأته ، مؤيداً رغبتها فى سحق زوجه الأولى والقضاء عليها

أجل تضاعف سخط مادلين وتمردها . ولم يكد يطرق سمعها صوت مدام مورتان تتكلف الرقة فى حديثها مع هنرى حتى زفرت والتمعت عيناها واصطكت أسنانها وعاودتها فكرة الانتقام

ولكن كيف تنتقم ؟... هل تصارحها بما تعلم ؟... هل تنبئها بأن زوجها . . . زوجها الذى حصلت عليه بعد جهاد طويل والذى تحبه الى حد العبادة والذى تنفق عليه من ثروتها عن سعة ، قد خدعها هى أيضا واتخذ له عشيقة من انصاف الحرائر اللواتى يتصيدن الرجال الموسرين ويوهمن عليهم الحب والاخلاص والوفاء ؟ . . .

لا شك أن مدام مورتان تجهل كل هذا ... تجهل اسم غريمتها وتثق بمحبة زوجها ولا تتصور ان هذا الزوج قد جحد فضلها وغدر بها وخان عهدها كما خان عهد امرأته الأولى ! . . .

أجل . ان مدام مورتان لم تفهم ان طبيعة زوجها لم تتبدل وأخلاقه لم تتحول وان الشر كامن فى نفسه وانه من المحال ان يبر بوعد أو يصدق فى قول أو يهب ذاته خالصة لأى مخلوق

فهل تصارحها مادلين بكل هذا ، وهل تقتص منها للشقاء الذى أنزله بوالدتها ، وهل تطعنها هـذه الطعنة النجلاء فتصرعها وتدمر حلمها وتقوض بيتها وتشردها كما تشردت هى نفسها مع أمها وأخواتها ؟ . . .

ونمت هـذه الفكرة فى ذهن الفتاة وجالت بخيالها أطياف منوعة وصور غريبة متعاقبـة ،

وأحست كأن قوة مجهولة تتمشى فى بدنها وتسرى فى أعصابها وتسوقها الى التنفيذ والعمل . فطوت ذراعيها على صدرها وأحنت رأسها وتقدمت فى عزم ثابت نحو الباب

وإذ ذاك سمعت صوته الجهورى الرنان !...

سمعت صوت والدها يخاطب امرأته محتداً منفعلا وهى تجيبه بعبارات فظة غليظة تتخللها فى الآونة بعد الأخرى صرخات توسل أشبه بالاستغاثات

دهشت مادلين ودنت من الباب على الرغم منها وأصاخت السمع وهى ترتعش

وتصاعد صوت أبيها يقول :

— لا أسمح لك بالتدخل فى شؤونى ... لم أتزل عن حريتى عند ما رضيت الاقتران بك !

فقالت مدام مورتان بلهجة الاستنكار :

— حريتك ؟... لا ... لا أسلم بهذه الحرية التى تتنفع بها على حسابى !..

وصمتت وهى تلهث ثم أردفت :

— أين كنت ليلة أمس ؟... أين قضيت سهرتك ؟... ومع من ؟... أجبنى .. لقد تنكرت على ... أصبحت رجلا آخر . . . أصبحت تنفر منى ... تعرض عنى . . . تخلفنى فى البيت بمفردى وتقضى لياليك فى الخارج ثم تعود الى قبيل الفجر سكران مترنحا ، فلا أكاد أعرب لك عن استيائى وغضبى حتى تنهرنى ثم تضحك وتلوى بوجهك عنى ، ثم تأوى الى فراشك وتستغرق فى نوم عميق كجثة هامدة !... هل أذنبت فى حقك ؟ . . . وهل هذا هو جزائى لأنى أنقذتك من براثن الفقر وأغدقت عليك المال بلا حساب ؟...

فقهقه الزوج وأجاب فى سخرية :

— لقد تزوجتنى ودفعت الثمن ... ويجب أن تكتفى بالقدر الذى أعطيه لك . . .

فأرسلت مدام مورتان صيحة ممزقة وقالت :

— أنت زوجى ويجب ان تكون لى وحدى !

فضحك ضحكة حادة وقال :

— أنا ملك نفسى !

فعاجلته امرأته بكلمة مروعة دوت فى أنحاء الغرفة :

— حذار !

فقهقه الزوج مرة ثانية وقال فى هدوء :

— سوف ترى

ثم انصرف . وفى تلك اللحظة انحنت مادلين ونظرت من ثقب المفتاح وهالها ما رأت !

رأت مدام مورتان وقد عصفت بها نوبة هائلة تلطم وجهها وتضرب صدرها بقبضتيها وتنزع

شعرها من جذوره وهى جاحظة العينين فاغرة الفم تجوب أرجاء الحجرة كطائر برى سجين وتصيح وتهذى وتخاطب نفسها وتبكى بكاء الاطفال

وأنعمت مادلين النظر فأبصرت المرأة وقد انهدت قواها وتصلبت عضلات وجهها وشحب لونها شحوب الموت ، تنطرح على المقعد المستطيل وتشهق ثم تلق برأسها على كتفها كمن فارق الحياة واستراح

وعندئذ حدث فى نفس الفتاة انقلاب عجيب . تطورت حالتها النفسية تطوراً فجائيا تاما أشفقت على هذه المرأة المنكودة الحظ !.. أشفقت على زوجة أبيها وتحول بغضها كله الى الجانب الآخر وامتلأت سخطا وكرها له ! ..

واستغربت هى نفسها هذا التبدل المباغت فى عواطفها وحاولت ان تصرف ذهنها عن الاهتمام بتلك المرأة ولكن شيئا أقوى منها استحوذ عليها وجرفها كالتيار ونهض بها ودفع يدها الى فتح الباب وتلقت جسم مدام مورتان بين ذراعيها وجعلت تربت لها على يدها الضامرة الممتدة كفرع مصفر فاستفاقت المرأة وفتحت عينيها ولم تكد تعرف مادلين حتى جذبت يدها فى عنف ، ولكن الفتاة ابتسمت لها وطيبت خاطرها فحدقت اليها مدام مورتان ، وعلى الرغم منها رفعت ذراعيها الكليلتين وضمت مادلين الى صدرها وقد خنقتها العبرات

ولبثت كل من المرأتين صامتة ترمق الواحدة منهما الأخرى وتتعلق بها كغريق مشرف على الموت يستغيث بغريق طغى عليه الموج وغيبه فى جوف المحيط !

***

وكان سلام بين مادلين ومدام مورتان

تغيرت زوجة الأب وأصبحت تعطف على أبناء زوجها وأمهم . بل لقد اتخذت من مادلين صديقة لها وجعلت منها موضع سرها وصارحتها بحقيقة الحياة التى تعيشها مع والدها

وأحست الفتاة بعظم شقاء هذه المرأة وأدركت ان فى نفسها جوانب طيبة كانت تحجبها عوامل الحب والغيرة وارادة الاستئثار بالرجل ، فازدادت شفقة وتحولت شفقتها الى اعجاب واخلاص عندما رأت مدام مورتان تقف من زوجها موقف الدفاع عن امرأته الأولى وتطلب اليه ان يرعاها ويقوم بنفقاتها ونفقات أبنائها على خير وجه وأكمله

شعرت مدام مورتان انها ضعيفة حيال زوجها وانها فى حاجة الى من يأخذ بيدها ويشد أزرها فاستعانت بمادلين وإخوتها ووقف الجميع كتلة متراصة فى وجه الرجل !

ولم يحفل الزوج بهم لفرط اهتمامه بعشيقته

لم يحفل بهم أول الأمر ولكنه عند ما أبصرهم متألبين عليه سخر منهم وتحداهم ، تمادى فى غيه ، وأسرف فى هجر زوجه ، وأمعن فى تبذير مالها ، وأبى عليها أن تسخو بالنقود على امرأته

الأولى وأبنائها ، فأصبح هو الذى يظلمهم وهو الذى يستبد بهم وهو الذى يختلس من زوجه ومنهم لينفق على خليلته

وكانت هـذه الخليلة امرأة وضيعة النفس ساقطة الحرمة خليعة المظهر وقحة الفجور متهتكة مبتذلة لا تعرف أدبا ولا تحترم عرفا ولا تخضع لأى قانون ، فلما أحبها الزوج وأفرط فى حبها وفى الظهور معها والاتصال الدائم بها ، شاع أمره فى النوادى والمجتمعات واستفاض نبأ علاقته ، فانتقد مسلكه وتلوثت سمعته ونفر منه بعض أصدقائه ، وتبرمت به الأسر الكبيرة وأغلقت فى وجهه أبوابها

وكان قد اكتسب الكثير من وقاحة عشيقته ، فلم يأبه للناس وأحكامهم ، بل تحداهم أيضا واستخف بهم وانطلق يلهو ويمرح على حساب امرأته وعلى أنقاض زوجه الأولى وأبنائها

ولم يكن يدرى أن مادلين قد تسقطت أخباره وعرفت بأمر عشيقته وعلمت باسمها ورأته برفقتها فى احدى الحدائق العامة ذات صباح ولم تتكلم

وكان مطمئنا الى جهل زوجته بعلاقته ، يخدعها ويغرر بها ويبتز مالها وهو معتمد فى اخضاعها وتبديد شكوكها على شدة حبها له

وانقضت الايام ومسيو مورتان يشتد فى تضييق الخناق على زوجه الاولى وأولادها ، ويرهق امرأته بطلب النقود ، ويفتن فى تعذيبها واضطهادها ويجتهد فى حملها على المطالبة ببقية أموالها التى كانت قد أودعتها فى أحد البنوك باسم أخيها وتحويلها الى اسمها الخاص

جاهد طويلا ليحقق هذه الرغبة فلما أعيته الحيل تملكه الغيظ والحنق، وأسرف اسرافا مروعا فى التنكيل بامرأته ، وازداد ولعا بعشيقته واتصالا بها واستخفافا بأقوال الناس وأحكام المجتمع

وصبرت مدام مورتان واحتملت ولم تقطع الأمل فى عودة زوجها اليها . وكانت لفرط حبها إياه واعتزازها بمالها وجمالها تعتقد اعتقاداً ساذجا محببا بأنه لم يؤثر عليه غيرها ولم يذهب فى علاقته بأية امرأة الى حد الحب ، ولم يتخذ له عشيقة معينة ، وانه رجل طائش كثير النزوات يلهو بالنساء جميعا ويحب اللهو فقط ولا بد أن يسأمه فى النهاية فيكر راجعا الى بيته

وهكذا صبرت مدام مورتان ولـكن مادلين لم تصبر !

استفاقت الفتاة ذات يوم واذا بروبير ... خطيبها ... خطيبها الذى أحبته وعقدت عليه الأمل فى انقاذها من هذه الحياة الملوثة ، يتبرم بها ويتجهم لها ويعرض بسلوك والدها ثم يصارحها برغبة أبيه فى التفريق بينهما وينذرها بالكارثة ان استفحل أمر والدها ولم يرتد الى السبيل السوى

جن جنون مادلين . أدركت والخطر يتهددها والذعر يملأ قلبها ان المال هو علة شقائها ، وأنه لولا الطمع فى المال ما تعلقت تلك الغانية بوالدها ، وما استسلم أبوها لغرائزه ، وفقد سمعته ومرغ شرف الأسرة فى الأوحال . وإذن فيجب وضع حد لتصرفاته . يجب تقييد حريته . يجب ارغامه على تعديل سلوكه وارغام تلك المرأة على التخلى عنه ! . . ولا سبيل الى ذلك . . نعم

لا سبيل إلا بأن تعرف زوجه الحقيقة وتطرد من نفسها الأمل الساذج وتقف على كل شيء !

واستولى على مادلين إحساس قوى عميق بأن المسألة بالنسبة لها مسألة حياة أو موت . فلم تحجم ولم تتلكأ ولم تطل التفكير ، وذهبت من فورها فاطلعت زوجة أبيها على جلية الأمر . ولما شعرت بارتياب الزوجة وترددها فى التصديق بثت حول والدها العيون والارصاد واستخدمت لهذا الغرض أبناءه الثلاثة حتى استوثقت من المكان الذى يجتمع فيه بعشيقته فرافقت زوجته اليه عدة مرات . وهناك بجوار منزل الغانية وعلى مسافة قصيرة منه وفى ظل الليل المخيم عليه شاهدت مدام مورتان زوجها يدخل أو يخرج ضاحك السن متهلل الوجه متأبطا ذراع عشيقته !

تهدم حلم الزوجة وانهار أملها وسرت فى فؤادها لوعة مرة مشوبة ببغض فظيع أبغضت قرينها ولكنها اشتدت فى الحرص عليه لفرط اعتزازها بنفسها وحبها إياه

حرمته المال إلا بقدر معلوم فثارت ثورته واضطرمت كبرياؤه واستعرت فى صدره نار الحقد، وازداد حقده التهابا عند ما أبصر عشيقته تتجنى عليه وتنصرف بعض الشيء عنه وتتقرب فى خبث الى سواه . وازداد غضبه توهجا واشتعالا عند ما أحس فى صميم نفسه أنه قد جن حباً بعشيقته وأنه قد يصبح عاجزاً كل العجز عن مرضاتها وانها قد تعرض فى الغد عنه وتخلفه محتقراً مهينا ، متخبطا فى فقره ، مخنوقا بحسرته ، عبداً لامرأته تذله وتتحكم فيه كيف تشاء

ولأول مرة أحس أن الغيرة تمزق فؤاده ، وانه بعد أن كان يتدلل على النساء ويسوقهن الى التعلق بأذياله ، ويخضع أجملهن لمشيئته وسلطانه ، يوشك أن يصبح الرجل المنبوذ المقهور الذى لا تكاد المرأة تميل اليه وينفرها منه عجزه عن جعل هنائها المادى مساويا لهنائها العاطفى

ولمح من خليلته إسرافا فى السخرية به وعدم الاكتراث له ، ورغبة فجائية خبيثة فى تحقيره وتعييره ، ثم لاحظ انها تخاتل وتراوغ وتزداد تعلقا بحريتها ومجاهرة بحقها المشروع فى هذه الحرية، ثم تبين له آخر الامر أنها تنفق عن سعة وتبتاع أغلى الحلى وأجمل الاثواب ، وأن لا قدرة له على زجرها ومحاسبتها على تصرفاتها ومطالبتها بالعودة الى وفائها القديم له

أدرك أنه فقدها . وأدرك فى نفس الوقت أن فى وسعه استردادها لو كان يملك النقود ولو استطاع أن يرغم امرأته على اعطائه قدرا آخر من المال

وأرادت الغانية أن تعتصره اعتصاراً فتقربت اليه من جديد ، ولما شعرت بحبه نابضاً تتأجج ناره تحت رماد العجز واليأس ، أعرضت عنه بغتة وصارحت بكرهها له ولاذت بوقاحتها المعهودة فى الاعراب عن رغبتها فى الاتصال بالشاب الموسر الذى تحبه والذى ينفق عليها الآن والذى كان يعتبره (مورتان) من أخلص أصدقائه ومن أوفى الناس له

عندئذ استحوذت الغيرة عليه ونهشت قلبه وطغت على عقله وافقدته كل احساس بالكرامة والمسؤولية ، فهوى من عرش كبريائه ، وطفق يتمسح بعشيقته ويتملقها ويداهنها ويلتمس اليها فى

ذلة المدين البائس أن ترحمه وتشفق عليه وتمهله بضعة أيام أخرى عساه أن يستطيع رد حياتها الى عزها السابق ومجدها التليد ، ولكن المرأة تجهمت له وأصرت على الانفصال عنه واستنكرت منه كيف يعلل النفس بامكان عودتها اليه وهو معدم وهى لاتطيق الفقر ولا تفهم التضحية ولا يمكن أن تحب المعدمين . وكانت فى صراحتها شديدة الجرأة ، شديدة الصرامة ، بالغة القسوة ، فخرج من لدنها منسحق الفؤاد ، مشرد الذهن ، ثائر النفس ، متوتر الأعصاب ، تحز فى صدره الغيرة والاهانة ، ويخالق الحب فيه ارادة عاتية جبارة لاعهد له بها

ويمم وجهه شطر البيت . وكانت الليلة عاصفة والمطر ينهمر والريح تصفر وبوارق الرعد تلتمع فى صفحة السماء فتمزق حجاب الليل . وكان يعلم أن زوجه فى البيت بمفردها وان أبناءه قد ذهبوا الى المسرح وأن الخادم العجوز يغط فى نومه وأن الفرصة سانحة للتفاهم أو للتهديد

واجتاز الحديقة وصعد الدرج ودفع الباب فى رفق ثم سار فى المشى الطويل ثابت العزم متئد الخطى ، ثم تحول نحو مخدع امرأته وهم بالدخول ثم تريث وحاول أن يجمع شتات فكره ، ثم دخل الحجرة فأبصر امرأته راقدة فى فراشها ساكنة الحركة صافية الملامح

وإذ ذاك خيل اليه أنه يسمع صوتا خفيفا صادراً من بعيد ، فتلفت مضطربا ثم هزأ من نفسه وابتسم . وكان يجهل أن ابنته مادلين قد اصيبت فى المسرح بصداع شديد مصحوب بدوار اضطرت بسببه الى ترك اخوتها ومغادرة المسرح والعودة فجأة الى البيت قبل انتهاء التمثيل

وضرب مورتان الارض بقدمه فاستفاقت زوجه مذعورة ولم تكد تعرفه حتى صرخت فتقدم نحوها وفى صوت غائر أجش مكظوم النبرات حاد المقاطع ، طلب اليها أن تسعفه بمبلغ كبير على عجل أو ان تسلمه خطابا الى شقيقها بسحب جزء من أموالها المودعة فى البنك باسمه

وكان مورتان يتكلم بلهجة حازمة وينطق بعبارات تشف عن اليأس وتنم عن نفاد الصبر والتأهب للثورة والانقضاض ، فتملك الخوف امرأته واصطكت أسنانها وشحب وجهها واختلج بدنها اختلاجا متداركا عنيفا ، فأخذته الشفقة عليها وخفف من حدته وبدل أن يهدد استعطف بعض الشىء وتوسل ، فاعتبرت المرأة هذا الانقلاب ضعفا وتشجعت ونهضت من فراشها وصارحته والعزم يبرق فى عينيها أنها لن تسمح له باستغلالها فى سبيل عشيقته ولن تعطيه أى مال

فامتقع وجهه وتضامت شفتاه وارتجف ، فتقهقرت المرأة وهى تحدق اليه ، فتبعها وأمسك بها فحاولت أن تصيح ولكنه اطبق على فمها بكفه فناضلت وتملصت منه وأرسلت صرخة قصيرة خنقها الرعب ، ففقد الرجل رشده وغاب عن صوابه وانقض عليها وغرس يديه المتشنجتين فى عنقها فظلت تجاهد وتناضل وتختلج ، فازداد غضبه وتضاعفت ثورته ، وفى مثل لمح البرق وبدون أن يفكر أو يعى تلفت حواليه كالمخبول فابصر على المنضدة الصغيرة مقصا مستطيلا يلمع فى ظلام الغرفة فالتقطه وانهال على صدرها طعنا به وهو يسبها ويلعنها ويصيح وقد اتسعت حدقتاه

وتصلبت عضلاته وعلا الزبد شدقيه . وخيم السكون بغتة على الحجرة وتمايل رأس مدام مورتان وانحلت أصابع زوجها فسقط جسمها على الارض والدم يتفجر منه . وفى تلك اللحظة أفاق مورتان من غشيته وارتد عقله اليه ولم يكد يبصر الدم المتفجر ويرى امرأته جثة هامدة ، حتى انقبض قلبه وانشب فيه الذعر مخالبه ، فأجال فى الغرفة عينيه الشاردتين ثم اسرع والتقط قبعته وعصاه وقفازه، وخرج يتعثر فى مشيته ويتسلل فى الممشى الطويل كاللص حتى أدرك الحديقة . وهناك تنفس ملء رئتيه ورفع ياقة معطفه وغطى بها وجهه ، وانطلق عن الرأس محدودب الظهر يسرع الخطى ويضرب على غير هدى

وفيما كان يفر من نفسه ومن شبح امرأته ، كانت ابنته التى أيقظتها صيحاته الأخيرة والتى اقتحمت مخدع زوجه وشاهدتها سابحة فى دمها ، تجتاز الحديقة وتعثر اتفاقا على قفاز والدها وقد سقط منه سهواً ولوثه الدم ، فتدسه فى حقيبتها وتسرع الخطى الى منزل والدتها

لجأت الى والدتها كى تختفى وتحتجب عن الابصار ولا تضطر الى اتهام والدها . وكانت تعلم أن التهمة ستنصب على الخادم العجوز المسكين ، ومع ذلك فرت من البيت وخضعت لاحساسها الغريزى واستهولت كيف تكون هى التى تسلم والدها الى يد الجلاد

ولكن القدر أبى إلا أن يجعل منها المنتقمة ، وإلا أن يجرى العدل مجراه على يدها وبالرغم منها . وبينما كانت جالسة الى والدتها تفكر فى مصير أبيها ومصير الخادم العجوز ومصير الاسرة وقد طلع النهار وضج الشارع بالحركة ، طرق الباب ساعى البريد وسلم الام رسالة من والد خطيب مادلين يعلنها فيه أنه قد فصم عقد الخطبة استنكاراً لسلوك زوجها وحرصا على سمعة عائلته

عندئذ اسودت الدنيا فى عينى الفتاة وتداعت آمالها واستعر فى صدرها ضرام الحنق فتمثلت ذلك المخلوق الفظيع ، ذلك القاتل الذى فتك بزوجه وكان السبب فى شقاء امرأته الاولى وشقاء ابنائه وشقائها هى وتقويض صرح مستقبلها ، فتملكتها عوامل السخط والاباء والانتقام ، ونهضت من فورها ، ثابتة العزم ، صلبة الارادة ، مروعة النية ، شاعرة بأن ليس فى الارض قوة تحول بينها وبين تأدية الواجب وتلبية نداء الضمير . ولما أبصرت امها تبكى وتتعلق بأذيالها وتناشدها حق الابوة عليها أن تعدل عن عزمها ، دفعتها الفتاة عنها وقبل أن تستطيع التأثير فى نفسها الحساسة واعصابها المنهوكة كانت مادلين قد افلتت منها وغادرت البيت وطفقت تعدو وفى يدها القفاز الملوث حتى أدركت مخفر البوليس

وعند ماالقوا القبض على الوالد وواجهوه بابنته ، لم يبدعليه أى حقد عليها بل تفرس فيها لحظة ثم اعترف بكل شىء ثم اغرورقت عيناه بالدموع وتقدم الى الفتاة فقبلها وودعها الوداع الاخير!

وفى تلك اللحظة فقط شعرت مادلين بعد فوات الوقت أن ذلك المجرم أصبح انسانا ! ..

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

الاحزاب السياسية فى انجلترا

عددها ومبادئها

حزب المحافظين ـ يبدو هذا الحزب لأول وهلة أقوى الأحزاب الانجليزية . وهو الذى يسيطر على الحكومة القومية ويقود سياستها ، وقد اشترك أعضاؤه فى هدم مبدأ السلامة الاجماعية فى أوربا ثم اقنعوا الرأى العام بوجوب اعادة تسلح بريطانيا وضرورة اعتمادها على قواها الحربية الخاصة لمعالجة مختلف المشاكل السياسية الراهنة

والمحافظون يكرهون الفاشستية ، ولكنهم يميلون الى تعزيز سلطة الطبقات العالية . وهم يقاومون الاشتراكية ، ولكنهم يتدخلون فى المنازعات التى تقوم بين العمال وأصحاب الأعمال ، فيخدمون العمال مع الحرص على تدعيم مركز أصحاب العمل . وهم الى ذلك يعتقدون أن فى وسعهم الاحتفاظ بالحكم عشر سنوات أخرى سواء أتوطد السلم أم نشبت الحرب

الجناح الايسر لحزب المحافظين ـ هذا الجناح مؤلف من ٣٠ عضواً لا نفوذ لهم . ولكنهم يمتازون برغبتهم الصادقة في انجاز عدد وافر من الاصلاحات الاجتماعية التجديدية وفى حمل زملائهم المحافظين المتطرفين على أن يكونوا أشد ديموقراطية وأقرب الى المبادىء الحرة والى التلطيف من حدة الاستعمار البريطانى

حزب الأحرار الوطنى ـ هو جزء من حزب الأحرار المستقل انسلخ عنه تحت زعامة السرجون سيمون وانضم الى الوزارة القومية

حزب الأحرار المستقل ـ تجتمع فى هـذا الحزب بقايا المبادىء والتقاليد الانجليزية الحرة ، كالتسامح فى العقائد والحرية فى التبادل التجارى والرغبة فى تلقيح أنظمة الدولة بالصالح من الأفكار والنظريات الاشتراكية ، والعمل على توسيع نطاق التعاون الدولى

والاحرار المستقلون لا يميلون الى التحالف مع العمال . وتعتقد الطبقات المستنيرة من الشعب أن اسناد الحكم اليهم هو خير ضامن لاستقرار السلم

حزب العمال الوطني ـ لا وجود الآن لهــذا الحزب . وقد كان فيا مضى جزءاً من حزب العمال ثم انسلخ عنه بزعامة المستر ما كدونالد عند ما انكر هذا الاخير مبادئه الاشتراكية وأقدم علم ١٩٣١ على تأليف الوزارة القومية

حزب العمال ـ خيل لبعض الساسة فى انجلترا أن حزب العمال سيحل محل حزب الأحرار فى توجيه البلاد نحو سياسة تجديدية عامة ونحو سلام ثابت موطد . ولكن هذا الحزب فى حاجة الى زعماء أكفاء يمتازون بالشجاعة والصراحة والدقة فى تعيين أهدافهم . والحقيقة أن حزب العمال قوة تجديدية مشبعة بالآراء الحديثة . ومن غاياته المعروفة أن تستولى الحكومة على وسائل الانتاج وتديرها لمصلحة الأمة. ولكن الحزب يخضع خضوعا تاما لجناحه الأيمن المعتدل. وهو مع مقته الاساليب الفاشستية يرفض التعاون مع الأحزاب الأخرى التى تنادى بتضافر القوى السياسية لسحق الفاشستية

الحزب الشيوعى ـ لا أمل لهذا الحزب فى احراز سلطة واسعة فى البلاد الانجليزية . وهو مؤلف فى الغالب من عدد معين من الشبان المثقفين أنصار الديموقراطية فى سعيها لهدم الفاشيزم . وقد شعر أعضاؤه بضعف مركزهم وعجزهم عن القيام بعمل ناجع فسعوا للتفاهم مع حزب العمال . ولكن هذا الحزب أعرب فى صراحة عن استنكاره الشديد لمبادئهم ، فانصرفوا عنه وشرعوا فى تكوين جبهة متحدة منهم ومن أعضاء حزب العمال المستقل . ومع ذلك فقوى الشيوعيين تصطدم على الدوام بنفوذ حزب العمال . وهذا هو السر فى ضعفهم

حزب القمصان السوداء ـ هو الحزب الفاشستى الذى يتولى زعامته السر اسوالد موزلى والذى جعل شعاره اثارة روح البغضاء والكراهية ضد اليهود واعتبارهم عنصراً دخيلا يفسد الحياة الانجليزية . وهذا الحزب ينفر الانجليز بأساليبه المسرحية التهويشية ودعوته للقضاء على الحريات الفردية . وقد حاربته الحكومة بتحريم أعضائه ارتداء شكلتهم الرسمية . وأما بقية الاحزاب فترى في مبادئه خروجا صارخا على التقاليد البريطانية . وكل أمل هذا الحزب ينحصر فى استغلال الظروف التى قد تطرأ على انجلترا فى حالة نشوب حرب وتحويلها الى مصلحة مبادئه

حزب الجبهة الشعبية ـ يحاول أعضاء هذا الحزب تأليف جبهة شعبية من جميع أحزاب اليسار ، لمكافحة الفاشستية وتحقيق بعض الاصلاحات الاجتماعية ذات الطابع الاشتراكى على النحو الذى اتبعته الجبهة الشعبية الفرنسية أيام وزارة بلوم . ولكن العمال والأحرار يرفضون هذه الفكرة . ومع ذلك فليس تأليف هذه الجبهة فى انجلترا ببعيد ، ولا سيما إذا اشتد طغيان الفاشستية وتضافرت جهود جميع أحزاب العمال فى الدول الديموقراطية

هذه أهم الأحزاب التى تسيطر اليوم على الحياة السياسية فى انجلترا ولا شك أن قواها تنحصر وتتركز فى حزبين رئيسيين هما : حزب المحافظين وحزب العمال

[خلاصة مقالة في النيوز كرونيكل]

أخلاق المرأة الحديثة

العوامل التي أدت الى تطورها

يجب أن نعرض لأمور تسوء « الجيل القديم » اذا أردنا أن نتحدث عن المستوى الخلقي للمرأة الحديثة ، ولكن لامناص لنا من هذا الحديث ، فاناجميعا ندرك أن ثورة عنيفة عاتية أصابت أخلاق المرأة منذ بدء هذا القرن ، فأحدثت فيها انقلابا لا يجوز لنا أن نتجاهله ، بل علينا أن نبحثه بحثاً جريئاً نزيهاً . لنتبين منه ما ربحت المرأة وما خسرت ، وما أصاب الرجل من خير وشر ، ثم نرى مدى هذا التغير الخلقي والوجهة التي يرمي اليها

أستطيع أن أعبر عن الحياة الخلقية للمرأة الحديثة بهذه العبارة الوجيزة : « لا يمكن أن تكون المرأة فاضلة ما لم يكن الرجل فاضلا » أي أن امرأة اليوم تنظر الى الفضيلة والرذيلة نظرة الرجل ، وتطلب أن يباح لها ما يحلل له ، والا تمنع الا مما يحرم عليه ، أي أنها ارتفعت – أو هبطت – الى مستوى الرجل الخلقي ، وقرر لها العرف ما قرر للرجل من حقوق

فما هي العوامل التي أدت الى توحيد الجنسين في فضائلهما ورذائلهما ؟ أبسط الاجابات عن هذا السؤال أن الحرب الكبرى هي التي أحدثت هذه المساواة الخلقية ، ولكن الواقع أن الحرب لم تؤد الا الى تأييد هذه الحركة التي ظهرت ونمت قبل الحرب بسنين ، وأن المرأة كانت بالغة هذه الغاية ولو لم تنشب أية حرب ، فهناك دوافع شتى أقامت هذه الحركة ومهدت لها سبيل الظهور :

أولها – الاستقلال الاقتصادي الذي وفقت اليه المرأة منذ بدء الثورة الصناعية ، وحققته جيداً في اثناء الحرب الكبرى وفي أعقابها ، فالمصانع والمتاجر تفتح أبوابها للنساء وتؤثرهن غالبا على الرجال ، لانخفاض أجورهن وسهولة اخضاعهن . ولم تكن المرأة تعلي قدر الرجل وترضخ لأمره الا لأنه يكفلها ويعولها ، فلما استطاعت أن تستغني عن معونته لم يكن بد من أن تساويه وتكافئه . وكانت نتيجة هذه المساواة المادية أن تحققت المساواة الخلقية من تلقائها

فأخذت المرأة تكيف أخلاقها وفق ما تقتضيه هذه المساواة ، فأبت أن تترك الرجل يستأثر بأخلاق القوة والجرأة والمغامرة ، بينما تحصر تفكيرها وشعورها في اخلاق الضعف والخجل والتهيب والبراءة ، بل شعرت أنه يجب أن تكون « ايمي جونسون » ، و « اميليا ارهارت » ما دام في الرجال سكوت ولندبرج . ورأت من واجبها أن تتخلى عن كل خلق ، وان شئت فقل عن كل فضيلة ، تحول بينها وبين هذه الحياة الجريئة العنيفة

وهنا ننتقل الى نقطة شائكة . فان المساواة لا يمكن أن تجزأ فيؤخذ طرف منها ويترك طرف ، فبدأت المرأة تطبقها في حياتها الجنسية . ولم يعد في وسعها إذن أن تقبل الفكرة التي قررت منذ

بدء التاريخ « ان العفاف فريضة محتمة على المرأة ، وأمر مستحب فى الرجل » فيجب لهذا أن ينزل بالمرأة أقسى العقاب اذا عرضته لسوء ، وأن يعاتب الرجل أو يلام اذا انتهكه وفرط فيه. ثارت على هذه الفكرة ، وجابهت المجتمع قائلة : لماذا تفرق بينى وبين الرجل فى عمل واحد ؟. فلما أجيبت أنه : « لولاك ما وجد الرجل من يغويه » قالت ساخرة هازئة : « ولولاه ما وجدت من يراودنى . . . . »

ثانيا ــ أن تقدم العلم وانتشاره مكن الفتاة من أن تتغلب على « الطبيعة » التى كانت تخذلها أمام الرجل . فان انتشار وسائل منع الحمل مكنتها من أن تتق « العقوبة الطبيعية » التى كانت تجزاها قهراً لتحمل وحدها جرائر الرذيلة . وهكذا قاومت المرأة الطبيعة كما قاومت المجتمع من قبل ، واثبتت للرجل أنها مثله حقا فلن ينالها من خير وشر الا قدر ما يناله

ولا شك ان هذه الحالة ستشجع الرذيلة وتحميها ، ولكن يجب ان نذكر ان المرأة لم تكن قبل هذا تعرف « الفضيلة الصحيحة » . وانما الفضيلة الزائفة التى تعيش فى جو من الخوف والجبن ، فاذا ما انتفت اسبابهما بدت هذه الفضيلة رذيلة منكرة فى مسوح البراءة والطهارة . ويجب ان تهدم الفضيلة التى تقوم على الخوف اذ الخوف أرذل خطيئة تهدم الخلق وتقوض الحياة

ثالثا ــ الثورة التى قامت فى علم النفس الحديث ، اعنى التى أقامها هذا العبقرى العظيم سيجموند فرويد . فقد زلزل هذا الرجل دعائم التفكير القائمة حين اعلن ان اعمالنا ، صغيرها وكبيرها ، وفى جميع مراحل الحياة ، تجرى وفق تفكيرنا وشعورنا الجنسى . وان هذه الأمراض التى ترجعها الى اضطراب الاعصاب يجب ان نعللها تعليلا جنسيا صريحا

غيرت هذه الآراء مجرى التفكير ، رغم ان الناس لم يفهموا ماذا يعنى فرويد بكلمة «الجنس» وأقبلوا جميعا يطالعون كتب السيكلوجيا التى يبحثها الآن مئات من تلاميذ فرويد ونقاده . وبدأ كل رجل وكل امرأة يحلل نفسه ويشرحها وفق هذه النظريات الخطيرة التى كان لها أثر واضح فى الحياة الخلقية . فقد اقتنع الناس جميعا بأن لهم رغبات لا سبيل الى انكارها وأن اتباع هذه الرغبات ليس عملا وضيعا ولا مخزيا ، وان كبتها يؤذى الرجل كما يؤذى المرأة اذى واضحا . وكانت نتيجة هذا ان الفتاة لم تعد تهيب ان تصارح نفسها على الاقل ، بأنها لا تتزوج لتشبع عاطفة الامومة فقط كما كانت تدعى ، بل لتبادل زوجها حبا جنسيا

اما الحرب الكبرى فقد ساعدت على انجاح هذه الحركة التى أقامتها العوامل الثلاثة . وذلك انه اول ما شبت الحرب زادت مكانة الرجل ارتفاعا ومكانة المرأة انخفاضا . فان ميادين الحرب لا تحتاج الا الى الرجال ، أما مصانع الذخيرة فلم تكن قد فتحت ابوابها حينذاك للنساء ، وكانت نتيجة هذا ان شعرت المرأة انها أكثر ضعفا مما كانت امام قوة الرجل المتزايدة ، فلم يكن عسيراً عليه ولا كبيراً عليها أن ترضخ لرغباته . هذا الى أن كل امرأة كانت تشعر فى قرار نفسها أن عليها أن تضحى

من أجل هؤلاء الابطال الذين أضفى عليهم هول الحرب مسحة المجد والفخار ، وأحست كل فتاة أنها تقصر فى حق وطنها ان هى صدت عن نفسها بطلا من أبطاله قد يموت دفاعا عن حياتها بعد ساعات أو أيام . وأدت هذه الحال الى شىء من الاباحية التى كاد المجتمع يحبذها فضلا عن أن يحللها

وكان الجندى يعود من الميدان بعد غيبة شهور قاسية ليقضى ليلة خاطفة . فهل ينتظر عقودا تكتب وحفلات تقام ليقتنص لذة ساعات يعود بعدها الى ساحة الموت المرتقب ؟

ومع ان احدا من الناس لم يفكر فى أن الحرب ستمتد عشرين عاما ، فقد قام الكتاب والخطباء فى كل بلد يحضون الناس على الاكثار من النسل . . . وآمنت النساء جميعا بأنهن يشاركن أزواجهن مجد الوطنية اذا هن أنجبن أطفالا يخلفونهم فى ساحة الحرب ، وآمنت معهن الفتيات بأنهن يؤدين واجبا وطنيا اذا هن قاسين أيضا عبء الحمل وألم الوضع . . . ! !

وهكذا حطمت الحرب قيود الفضيلة وأباحت اقتراف الرذيلة . ثم انتهت الحرب فلم يجد الناس ما وعدوا من رخاء وثراء ونعيم ، بل وجدوا فقرا شاملا وعملا مضنيا وهما ثقيلا ، فانهمكوا فى الملذات قدر ما استطاعوا ، يعوضون بها ما فاتهم وما خسروا ، وقد آمن الرجال والنساء على السواء أن التفريج عن نزواتهم المكبوتة هو ذلك الرخاء المأمول والنعيم الموعود

هذه هى الاسباب التى سوت بين الرجل والمرأة فى الاخلاق ، وهيأت للمرأة أن تحيا حياة خلقية جديدة لها محاسنها ولها مساوئها

[خلاصة مقال للدكتورة مودر ويدين فى مجلة ناش]

أرباح أبطال الحرب

من الحرب

أصدر الكاتب الامريكى ريموند لوينسوهن رسالة شائقة فى هذا الموضوع الطريف الذى لم يسبق ان عالجه كاتب بمثل هذه الدقة فى تحرى الحقائق التاريخية المؤيدة بالأرقام

ووجه الطرافة فى هذا الموضوع ان المستر لوينسوهن لم يعرض كغيره من الكتاب للأرباح المالية التى فاز بها تجار الاسلحة فقط أو أقطاب رجال المال من مختلف الحروب التى أثاروها أو اشتركوا فى استغلالها ، بل حاول ان يبحث فى كتب التاريخ عن مقدار الثروات الكبيرة التى

ربحها من الحرب أبطال الحرب أنفسهم أى قواد الجيوش وواضعو الخطط الحربية بما فيهم الملوك والباطرة والامراء

ويؤكد المستر لوينسوهن فى كتابه مستنداً الى مراجع تاريخية عديدة لا تحتمل الشك والتأويل، أن ثروة يوليوس قيصر تضخمت بعد عشر سنوات قضاها فى الحروب وبلغت ثلاثة آلاف (تالنت) بعملة ذلك العهد أى ما يقرب اليوم من مائة مليون فرنك فرنسى

وأما ثروة غليوم الفاتح فقد قدر دخلها فى أواخر أيام حياته بنحو ثلثمائة جنيه انجليزى حصل على معظمها من أرباح الحروب ومن دخل ١٤٣٢ ملكية عقارية كان قد احتفظ بها لنفسه فى مختلف أنحاء بلاده

ولقد حدث فى عام ١٨٠٧ عند ماعاد نابليون الى فونتنبلو ان أصدر أمره بان يوزع مبلغ ١٢ مليون فرنك على جنوده و ٦ مليون على ضباط الجيش و ١١ مليون على القواد . وأما المارشالات فقد تمتعوا بدخل مالى قدر بنحو ٤١٠٠٠٠ فرنك

ومما يجدر بالذكر أن القائد المشهور ولنجتون منح خمسمائة ألف جنيه انجليزى تقديراً للنصر الذى حالفه في اسبانيا . ومنح أيضا جائزة شرف مالية عقب معركة واترلو بلغت ٢٠٠ ألف جنيه انجليزى

ولما انتهت الحرب السبعينية بين ألمانيا وفرنسا وزع غليوم الأول مبلغ ١٥ مليون فرنك على قواد جيشه ، ومنح بسمارك أرضا واسعة تعرف باسم الغابة السكسونية ، وأقطعه أخرى في منطقة هولشتين تبلغ مساحتها ٨٠٠٠ هكتار ووهبه فوق ذلك قصر فردريكسرو وكانت تقدر قيمته بملايين الماركات

ويلاحظ أن بريطانيا عادت بعد الحرب العالمية فأخذت بمبدأ المنح ووهبت عدداً كبيراً من قوادها مبالغ عظيمة من المال شفعتها بألقاب الشرف

ويلاحظ أن أرباح أبطال الحرب من الحرب كانت فيا مضى أرباحا مباشرة . أما اليوم فقد تطورت واستولت عليها خزينة الدولة واستحالت عند بعض الدول الى منح وهبات ، ولكن القدر الأعظم منها يدخل الآن جيوب أقطاب رجال المال وتجار الأسلحة وموردى الذخائر والوسطاء

وقد أحصى ما استولى عليه هؤلاء فى الحروب الأخيرة فى الدول المحاربة والمحايدة فبلغ نحو ١٥٠ مليار فرنك ذهبا [خلاصة مقال في مجلة لوموا]

شخصية رجل العلم

مميزاتها وخصائصها

فى وسعنا أن نجمل خصائص شخصية رجل العلم فيما يأتى :

أولا — الولع بالعزلة

كل عالم جدير بهذا الاسم هو انسان مدفوع بطبعه الى التزهد والتقشف والبعد عن مغريات المجتمع والحياة فى عزلة زاخرة بالاحلام والرؤى مركزة الجهود فى فكرة واحدة أو فى مجموعة أفكار تحمل فى اطوائها نعيم الحياة الكبرى

فاحتقار المظاهر وازدراء المتع الدنيوية وارتداء مسوح النسك والترهب ، كل هذه الأعراض يشيعها فى نفس رجل العلم حبه العزلة وشعوره بما فيها من صفاء وهدوء وقدرة خارقة على الاشراف من فوق جبل الفكر على مختلف صور الحياة

ثانيا — الميل الى التواضع

يتواضع رجل العلم أمام الحقائق ليتمكن من استجلاء أسرارها والنفاذ الى جوهرها ، والتواضع عنده نوع من التحايل العقلى فيه لذة عظيمة هى لذة توقع النجاح الفجائى بعد سلسلة من التجارب الفاشلة . وهذا التواضع العقلى يحدث فى نفس العالم تواضعا خلقيا رائعا قوامه النظر فى نفسه وفى الاشياء والأشخاص بعين محايدة متحفظة بعيدة عن الغلو والاسراف والتعصب والكبر ، وهو ليقينه بأن العلم دائم التبدل والتحول وأن كل نظرية علمية يعترف بها اليوم قد تنقض فى الغد ، يزداد حذرا ويزداد تحفظا ويزداد تواضعا وبساطة

ثالثا — الكلف بالخيال

فى شخصية كل عالم روح فنان ومخيلة شاعر . فهو كالفنان يعجب بنظام الطبيعة وينشد من طريق الكشف عن أسرارها تمجيد ذلك النظام . وهو كالشاعر يسبح فى جو من التصورات ويتخيل افتراضات لا عدد لها ، وكثيراً ما تهديه الصدفة ألجبتها شدة التخيل الى استكشاف جديد قضى العمر يفكر فيه على غير جدوى

لذلك يميل العلماء فى الغالب الى الفنون بدليل أن اينشتين مهر فى العزف على الكمان وهنرى بوانكاريه فى الرسم ومدام كورى فى قرض الشعر

رابعا — رياضة النفس على الصبر

الصبر خادم الارادة والارادة مفتاح شخصية رجل العلم . فهو لا يعرف اليأس ولا يمكن أن تتطرق الى قلبه وتضعف ذهنه عوامل الخيبة وما تحمل من أسف وحسرة

ان التجربة الفاشلة تحز فى صدره ولكنها بدل أن تصرع ارادته ، تضرم على النقيض كبرياءه فتضاعف صبره وتسوقه بالرغم منه الى معاودة التجربة مرات

والحقيقة أن عظم الفارق بين قوى الانسان وقوى الطبيعة هو الذى يلهب فى رجل العلم خاصة العناد ، لأنه لو فاز فسيؤكد مرة أخرى قدرة الانسان الضعيف على اخضاع العناصر المتألبة عليه من كل جانب . لذلك هو يؤمن بفضيلة الصبر ويعتقد أنها السبيل الفرد الى النجاح

خامسا — النزعة الانسانية

العالم يبحث ويجاهد متخطيا حدود وطنه مشرئب العنق نحو الانسانية . وهذا هو السر فى ترفعه عن المنازعات الحزبية وبعده عن معارك السياسة وميله الحق الى الآراء والمبادىء الاجتماعية ذات الطابع الانسانى

وقد تنتفع الدولة بمخترعات ومكتشفات علمائها وتحولها الى طريق الشر ، ولكن العلماء الحقيقيين الذين يهتدون الى نظريات جديدة لا يمكن ان نعتبرهم مسؤولين عن الأساليب التى تطبق بها نظرياتهم والتى تتعارض مع نزعتهم الانسانية [خلاصة مقالة فى مركوردى فرانس]

روح البطولة

فى العصر الحديث

لقد استحال الشعور الوطنى عند بعض الدول الكبرى الى عقيدة شبه صوفية تمكنت من النفوس وتغلغلت فى الافئدة واستولت على العواطف والعقول بين أغزر الناس فكراً وأعمقهم ثقافة وأشدهم رغبة فى خدمة الحقيقة المجردة لذاتها

والواقع أن الحقيقة أصبحت لا تقدس ولا تحترم إلا متى كانت حقيقة وطنية ضيقة الحدود والفسحات تنبع من الدولة وتنصب فيها . فالشعور بعظمة الدولة ووجوب تفوقها وتضافر قوى الافراد جميعا فى سبيل مجدها ، هو العامل النفسى الصوفى الذى ينهض عليه النظام الفاشى فى ايطاليا والنازى فى المانيا . ولا شك أن هذا الشعور أوجد آدابا وأخلاقا جديدة هى آداب وأخلاق القوة المستمدة من الاعتزاز بالنفس والاحساس بروح البطولة

فموسولينى يعمل جهد استطاعته على خلق شعب من الابطال المغامرين وكذلك هتلر . وأبلغ دليل على ذلك أن الصيحات التى ترتفع من ايطاليا والمانيا هى دائما صيحات الدفاع عن الكرامة والذود عن الشرف والمطالبة بالمساواة فى الحقوق . والغريب فى جهاد موسولينى وهتلر أن كلا

منهما يحاول لأول مرة فى تاريخ البشرية ، أن يرغم شعبا كاملا على الحياة فى جو من التوتر العصبى الدائم والشعور اليومى المطرد بمعنى النبل وفضائل المغامرة والتقشف والتضحية !

والحقيقة أن فلسفة موسولينى وهتلر فى حكم الشعوب قائمة على اشعارها بأنها تعيش ابداً فى حالة ثورية أو فى أزمة من أزمات البطولة ، ولذلك لاينفك موسولينى يدعو الى التسلح ويلوح بالفتوحات الجديدة ، ولا ينفك هتلر عن المطالبة بحق المساواة وعن اقناع شعبه بضرورة التأهب ، لا لاسترداد مستعمراته القديمة فقط ، بل لتوسيع حدوده أيضا واسترجاع عهد امبراطوريته القديمة

فالايطاليون والالمان يعيشون الآن فى حالة حرب دائمة أو فى حالة تأهب لخوض حرب طويلة ، والدولة المتحكمة فى شؤونهم تسعى جهد طاقتها لانماء هذه الحالة فى نفوسهم والتطور بها من حالة شاذة الى حالة طبيعية ، خشية أن يدب فيهم دبيب الفتور وتستولى عليهم عناصر البلادة والرخاوة وعدم الاكتراث الكامنة فى أعماق النفس الانسانية

ولكن هل فى وسع الطبيعة البشرية احتمال الحياة فى هذا الجو العاصف مدة طويلة ، وهل فى مقدور رجل أو عدة رجال اجبار شعب مؤلف من خمسين مليون نسمة على اتخاذ روح البطولة مثلا أعلى ؟

لاريب فى أن هذا الارهاق يناقض ما نعلم عن جوهر النفس الانسانية . إذ البطولة لم تكن مثلا أعلى إلا عند طبقة معينة هى طبقة الارستقراطيين . وصحيح أن جمهورية لاسيدبمونيا كانت قائمة على فكرة البطولة ولكنها كانت جمهورية متواضعة مؤلفة من ثلاثين الف نسمة

فلكي نجعل من هذا المثل الأعلى الصالح لفئة صغيرة قانونا تخضع له الشعوب الكبيرة وتدين به وتسير على هداه ، يجب ان نأخذ بخناق هذه الشعوب ، ونحد من حريتها ، ونرغمها على الطاعة العمياء ، ونروضها على التسليم بآراء ونظريات أقطاب رجال الدولة ، ونقسرها على تصديق مختلف ضروب الدعاية التى يذيعها أصحاب السلطة ويقيمونها فى الغالب على قاعدة التهويش والتدجيل

وهذا هو السر فى كراهية أحرار الفكر للانظمة الفاشية أو النازية . بل هذا هو سر الضعف فى هذه الأنظمة . والواقع أن البطولة كالحب عاطفة سرية صميمة تأنف النفوس الكبيرة التظاهر بها وعرضها على قارعة الطريق فى مناسبة وفى غير مناسبة

والبطولة كلما كانت صامتة ، كانت أعمق اثراً وأشد استعداداً لاحتمال التضحية . وهى تنمو فى نفوسنا بفعل التربية ، تربية حاسة الشرف وحاسة المسؤولية وحاسة الاعتزاز بماضى بلادنا المجيد وارادة الاحتفاظ بهذا الماضى وجعل الحاضر جديراً به والمستقبل أروع منه وأعظم

والبطولة المطلقة نادرة كما أن جان دارك نادرة ولذلك لا يجب أن نطلب من الانسان أكثر مما يستطيع أن يعطى وإلا خدعناه وخدعنا أنفسنا

[مترجمة بتصرف عن لويس جيليه فى الوفيل لترير]

المانيا تخفض قيمة المرأة

فتزوبها فى بيتها وتمنعها من التعليم العالى

تريد المانيا من نسائها ألا يؤدين اليوم الا عملا واحداً : هو انسال أطفال يخدم الوطن للحروب القادمة . ذلك أن النازية - كما قال الفريد روزنبرج أحد زعمائها « تعد المرأة التى لم تنجب طفلا ، سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة ، عضواً ناقصا من أعضاء المجتمع »

فليس التعليم العالى محرما على الفتاة الألمانية ، ولكن وضع فى طريقها اليه صعاب تصدها عنه . وقد قال رئيس اتحاد جامعة برلين : « ان الجامعات أنشئت للرجال وحدهم لأن الغاية المنشودة من تعليم المرأة هو اعدادها لأن تكون أماً ، ويجب لهذا أن نلغى الآن فكرة تعليم النساء قصد التثقيف فحسب »

وإعداد الفتاة للأمومة لا يقتضى سوى ثقافة بسيطة تنالها فى المدارس الثانوية التى توجه أكثر همها الى الشؤون الصحية والرياضية ، لتعد من فتياتها أمهات سليمات البدن فحسب . ففيها تدرس مسائل الوراثة والتعقيم ، وأعمال الطهى والتنظيف ، وقواعد الصحة وتمرينات الرياضة . وروح التعليم بوجه عام قائم على تثبيت المبادىء النازية فى نفوس الفتيات ، أى رياضتهن على تمجيد الحرب ، واكبار الدولة ، وتعظيم هتلر ، وقبول فكرة التفاوت الذهنى والخلقى بين الشعوب والأجناس

وبعد أن تتم الفتاة دراستها الثانوية تقضى فترة من الوقت فى ممارسة عمل يدوى ، خادمة فى أحد البيوت ، أو عاملة فى احدى المزارع ، أو مربية فى رياض الاطفال

وتحث الحكومة الشباب والفتيات على الزواج ، بأن تقرضهم من خزانتها ما يقيمون به حياتهم العائلية ، ثم يسددون هذه القروض منجمة على عدة سنين . ويسقط ربع الدين كلما أنجب الزوجان طفلا فى أثناء مدة معينة . وهى بهذا تقصى المرأة عن مجال العمل والربح ، وتحول دون تحقيق استقلالها الاقتصادى

وقد يجد هذا العمل من يبرره ويحبذه لو أن غايته اعفاء المرأة من وطأة العمل المجهد وقصرها على العمل المنزلى الهين ، ولكن الواقع أن المرأة لا تمنع الا من الأعمال التى يتهافت عليها الرجل ، لسهولة أدائها ووفرة ربحها . أما المصانع والمزارع والوظائف الصغيرة فى دوائر الحكومة فتفتح أبوابها للفتيات والنساء حيث يحملن أعباءها المضنية التى يفر منها الرجال الى الاعمال الهينة الرابحة

وبهذا اختفت للمرأة الألمانية من المراكز السياسية والمناصب الادارية الكبرى ، بينما ازدحمت بهن حجرات الآلات الكاتبة . بل لم تعد ترى فى ألمانيا كثيراً من المدرسات والطبيبات لان أبواب الجامعات موصدة فى وجوه الفتيات . ولم يدخل كليات الحقوق فى ألمانيا كلها سنة ١٩٣٥ سوى سبع عشرة فتاة ، لانه « ينبغى ألا تؤمل المرأة الألمانية فى أية وظيفة قضائية » . وليس هناك اليوم ناظرة مدرسة ولا أستاذة فى جامعة ، لان مناصب الاشراف العلمى مقصورة على الرجال وحدهم

ولا يباح للمرأة أن تلتحق بأية وظيفة حكومية قبل أن تبلغ سن الخامسة والثلاثين . واذا تعادلت كفتا الرجل والمرأة فى جميع الوجهات رجحت الأولى فى تقدير الحكومة . أى أن مكانة المرأة الاقتصادية لم تعد خاضعة للمنافسة الحرة ، انما لرغبة الرجل وسيطرته فحسب

والحكومة تعلل هذا بأنها تريد أن ترغم الفتيات على الزواج ، ولكن لو فرضنا أن كل رجل فى ألمانيا تزوج وكفل زوجته لبقى فيها ١٫٨٠٠٫٠٠٠ فتاة وامرأة بدون زوج وبدون عائل

ولم تظلم المرأة الألمانية الحديثة ماديا فحسب ، بل أدبيا كذلك . فمع أن مهمتها فى الحياة قد انحصرت فى دائرة الزوجية والأمومة ، فانها لا تشعر أنها مسؤولة عن تنشئة أبنائها وتعليمهم . ذلك أن الهيئات النازية المختلفة هى التى تتولى أمرهم منذ عهد الصبا ، لتوجيههم وجهة قومية حزبية معينة . فمنذ سن العاشرة يضم الصبى الى « فرق الشباب المختارى » ، وبهذا يحال بينه وبين أمه ليوضع فى ربقة هذه الهيئة التى تجهل التقاليد الاجتماعية وتنكر المبادىء الدينية التى ينشأ عليها سائر أطفال العالم

وقد تتساءل : كيف ترضى المرأة الألمانية بهذه المكانة ؟ وجواب هذا أن الفتيات منهن يعشن على أمل الزواج بتأثير الدعاية القوية الثائرة ، والمتزوجات منهن قانعات بحياتهن العائلية منصرفات الى انسال أكبر عدد ممكن من الاطفال

أما هؤلاء المثقفات القليلات فلا يجرؤن على الجهر بآرائهن فيما وصلت اليه المرأة من ضعة المكانة وشدة الحال . وكل ما فى وسعهن أن ينظرن فى يأس وخيبة فيجدن ان المرأة الالمانية لم يعد لها إلا أن تكون زوجا وأما ... وأى زوج وأى أم ؟.. زوج تؤدى واجب الانسال ، وأم تؤدى واجب الرضاع ، دون أن تشعر بأنها روح البيت ومنجبة الطفل . . .

[خلاصة مقال لفريدا فندرليش فى مجلة أميركان سكولار]

حول كتاب الزواج

للمسيو ليون بلوم

المسيو ليون بلوم من أقطاب رجال السياسة فى فرنسا وهو رئيس الحزب الاشتراكى الفرنسى . وقد تولى زمام الحكم قبل قيام وزارة شوتان الحاضرة وكان يستند فى حكمه الى الأحزاب الثلاثة التى تألفت منها الجبهة الشعبية الفرنسية ، وهى حزب الراديكاليين والحزب الاشتراكى والحزب الشيوعى

وليون بلوم كان أديبا قبل أن يكون سياسيا ، وقد اشتغل مدة طويلة بالنقد الأدبى والمسرحى ووضع طائفة من الكتب الاجتماعية أهمها كتاب الزواج

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة فى فرنسا حين ظهوره ، ثم نقل أخيراً الى اللغة الانجليزية فأثار عاصفة من النقد والتقريظ دلت أبلغ الدلالة على قيمة النظريات التى اشتمل عليها

ويرى المسيو بلوم ان الزواج لا بد يفضى الى كارثة ان أقدم عليه المرء فى غير موعده . وهو نظام يصلح لبعض الرجال وبعض النساء فى فترة معينة من فترات حياتهم ، ولكنه لا يصلح للجميع فى كل وقت

ويعتقد المسيو بلوم أن عهد الشباب لا يتفق ومسؤوليات الزواج وان الرجل يميل أيام شبابه للتنقل والفوز ــ ان استطاع ــ بعدة نساء ، كما أن المرأة العصرية تطمح هى الاخرى الى التمتع بنوع من الحرية قد لا يتلاءم وواجبات الزواج

ولذلك ينصح المسيو بلوم بعدم الاقدام على الزواج قبل أن تخمد فى نفس الرجل والمرأة عواطف التبدل والتحول والتوق الى التنقل والتغيير

ويقول المسيو بلوم ان ما يكفل ثبات الزواج وتوطده هو شيوع رغبة الهدوء والاستقرار فى نفس كل من الرجل والمرأة . ويرى ان عناصر هذه الرغبة لا يمكن أن تتوافر لدى الرجل قبل سن الثلاثين . فمتى بلغ كل منهما السن الصالحة استطاع أن يتزوج واثقا من قدرته على الهدوء والاستقرار متبرما بعواطف التحول والتنقل الملازمة لطبيعة الشباب

ويحمل المسيو بلوم فى كتابه على الزواج الناشىء عن الحب ، ويؤكد أنه فى حياته كلها لم يعثر على زواج واحد نشأ عن الحب وتكلل بالسعادة . وذلك لأن الحب نفسه نزعة من نزعات الشباب الأول تحمل فى أطوائها جميع ظواهر القلق والاضطراب وسرعة التحول مما لا يتفق ونزعة الاستقرار التى ينهض الزواج عليها

ومع ذلك فليون بلوم لا ينصح بزواج المصلحة القائم على التوافق فى الثروة والمركز الاجتماعى

والمجرد فى الغالب من عوامل التفاهم العقلى والروحى

واذن فهذا الضرب من التفاهم هو فى رأيه قاعدة الزواج ، ولكن السعادة البيتية لا يمكن أن تنهض عليه فقط بل على اقترانه بنوع من رياضة النفس على توديع مفاتن العالم الخارجية وحصر قوى العقل والقلب فى كل ما يعود على البيت بالهدوء والسلام

وهذه الرياضة يكتسبها الزوجان من تجربة الزواج نفسها على شريطة أن يكونا من الاشخاص المتعلمين المستنيرين

ومن أفكه وأعمق ما ورد فى كتاب المسيو بلوم أن تحقيق السلام فى معظم البيوت ، لايتم فى العادة الا بواسطة معاهدة أو اتفاق شبه سياسى يعقده الزوجان ويتعهد كل منهما بالحرص على التزاماته : فهو سلام عقد بعد حروب طويلة . ولكن هذه الحروب تترك على الدوام فى نفس الزوجين مرارة الحنة قد تعكر صفو هنائهما وتمهد لحروب جديدة

فخير سبيل لتجنب تلك المعارك هى الزواج فى سن متقدمة ، أى فى الوقت الذى يشعر الانسان فيه بحاجته الى الراحة والاستقرار والاخلاد الى السكينة بجوار مخلوق يفهمه ويعطف عليه ويستطيع أن يكون صديقا وفيا له

والحق ان تحقيق الصداقة العقلية والروحية بين رجل وامرأة هو غاية الزواج عند الأمم المتحضرة فى عرف ليون بلوم . ولذلك يجب استبعاد العواطف منه وتطهيره من الميول الطارئة والنزعات الاحساسية المفاجئة وشتى الأهواء الجنسية المضطرمة التى تذهب بلب الشباب وتحول بينهم وبين الاستماع لصوت العقل [خلاصة مقال فى الدبلى ميل]

ثروات ملوك أوربا

مرتباتهم لا تكفيهم فيتاجرون . . .

يملك أكثر ملوك أوربا ثروات خاصة جمعوها من الاعمال التجارية التى نزلوا الى سوقها وجنبهم الى جنب أفراد الشعب ، فلم تعد مرتباتهم التى تحددها الحكومات وفق ميزانياتها تقوم بما تستدعيه حياتهم الباذخة ، ولم يعودوا آمنين على هذه المرتبات وسط الثورات والحروب التى تزلزل قوائم عروشهم من يوم الى آخر

ولهذا أخذوا يستثمرون بعض أموالهم فى الاعمال التجارية فساهموا فى الشركات ، وضاربوا فى البورصات ، ومولوا المتاجر الكبرى

فمن الاسباب التي أثارت اسبانيا على ملكها السابق « الفونسو » مغامرته في السوق المالية بأسهم احدى شركات البترول ، مما أدى الى نشوب نزاع بينه وبين «بريمو دى ريفيرا» ديكتاتور اسبانيا حينذاك ، فسقط هذا من منصبه أولا ، وعزل ذلك من عرشه ثانيا . وهو يعيش اليوم في رخاء على دخل يأتيه من أملاكه في مدينة نيويورك

وقد ورث ملك يوجوسلافيا عن أبيه الملك الكسندر ثروة تبلغ زهاء أربعة ملايين من الجنيهات ، يتراوح دخلها اليومي بين ٦٠٠ جنيه وألف جنيه ..!

ولم يرث الملك الكسندر شيئا من هذه الثروة بل جمعها كلها من تجاراته التي كادت تحتكر أسواق يوجوسلافيا . وذلك أن البرلمان ــ وكان أداة طيعة في يده ــ قرر له مرتبا سنويا قدره ٢٥٠٠٠٠ جنيه ، فاستثمر منه جانباً كبيراً في تجارة الخمور . فامتلك مساحات واسعة من الكروم ، وأقام مصانع حديثة للتخمير والتقطير ، فلم يلبث ان تغلب على جميع منافسيه في هذه السوق ، وصارت جميع الفنادق والمطاعم والملاهي تستورد خمورها من المصانع الملكية. ونمت تجارته وزادت ثروته فأنشأ مصانع أخرى للاسمنت ، والآلات ، والاخشاب ، خدم بها استقلال يوجوسلافيا الاقتصادي

والناس يعرفون كارول ملك رومانيا مضحيا في سبيل الحب بأغلى مايملك ، ولكنهم لايعرفون أنه من أشد الملوك حرصا على المال وتقديراً لشأنه . وهذه فضيلة غرستها في نفسه أيام الشدة التي قضاها بعيداً عن بلاده ، الى جانب حبيبته مدام ليبسكو ، على دخل بسيط علمه قيمة المال ووسائل تدبيره . فهو يتقاضى ٧٣٠٠٠ جنيه سنويا يدخر منها ٢٠٠٠٠ ألفا لا يفرط فيها أبداً وتبلغ ثروته الآن زهاء ٢٠٠٠٠٠ جنيه يستثمر أكثرها في شركات أجنبية

ولا يعرف بوريس ملك بلغاريا كثيراً من بذخ الملوك لان مرتبه السنوي لا يتجاوز ١٢٠٠٠ جنيه . وتبلغ ثروة زوجته الايطالية ٢٥ مليون ليرة يوازى دخلها السنوي مرتبه . ولكن أربعة وعشرين ألف جنيه لا تقوم بما تستدعيه قصور الملك من تكاليف باهظة ، ولا سيما أنه يدفع منها مرتبات خدمه وموظفيه ، ويقيم منها حفلاته ومآدبه . وقد وافق الملك بين حياته وحياة شعبه الفقير ، فقلما تقام في القصر الملكي حفلة باذخة ، ولا تعرف مآدبه كؤوس الشمبانيا كثيراً ، ويتعهد الملك بنفسه حديقة قصره ، ويدفع بيديه عربة ابنه ، ويسير في شوارع العاصمة يصافح الفلاحين والعمال

ولكن بوريس أحسن حالا من زوغو ملك ألبانيا ، فان مرتبه السنوي ٤٠٠٠ جنيه فحسب . وليس هذا المرتب ضئيلا اذا قيس بثروة ألبانيا ورخائها . ولكن ملكها يعيش مع هذا عيشة بذخ وترف ، لانه استغل ماليا تدخل ايطاليا في بلاده ، وجمع من هذا ثروة تبلغ ٣٠٠٠٠٠ جنيه مودعة في بنوك سويسرا وشركاتها

وقد كان ادوارد الثامن ــ دوق وندسور ــ أغنى ملوك العالم جميعا ، إذ مرتبه من خزانة

الحكومة ٤١٠٠٠٠ جنيه ، يضاف اليها دخل مقاطعة كورنول التي يمتلكها « أمراء ويلز » . وما زالت هذه المقاطعة ملكا له تدر عليه ربحا سنويا يتراوح بين ٥٠٠٠٠ جنيه و٨٠٠٠٠ جنيه . وله فوق هذا نصيب من تركة جدته الملكة فيكتوريا التي كانت تبلغ ١٨٠٠٠٠٠ جنيه ومن تركة جدته الملكة الكسندرا التي تجاوز مليون جنيه . وقد رفضت الحكومة أن تدفع له مرتبا بعد اعتزال العرش ، ولكن يقال ان أخاه جورج السادس يدفع له كل عام ٢٥٠٠٠ ألف جنيه من مرتبه الحكومي الذي لا يملك سواه ، والذي ينفق منه على قصر بكنجهام الباذخ . ويعد منه بعض أمراء أسرته وأميراتها ، ويحافظ به على مظاهر العرش البريطاني

[خلاصة مقال لفرانك هاقن في مجلة دايجست]

وباء الانفلونزا سنة ١٨١٩

أهلك في شهور أكثر ممن أهلكتهم الحرب الكبرى

انتشر في كل عصر من عصور التاريخ الثلاثة وباء فاتك شديد ، ففي العصر القديم حدث وباء الطاعون الذي أخلى آفاقا من الناس والحيوان في عهد الامبراطور جستنيان ، وفي العصر الوسيط انتشر « المرض الاسود » الذي أقفر أقاليم أوربا الغربية في القرن الرابع عشر ، وفي العصر الحديث أصيب العالم كله بوباء الانفلونزا الذي انتشر في الشهور الأخيرة من الحرب الكبرى

وكان هذا الوباء الأخير أكثرها انتشاراً وأخطرها أثراً ، لأنه عم جميع أنحاء الدنيا في أثناء أسابيع قلائل ، وأودى من أهلها بأكثر مما أودت الحرب الكبرى ذاتها . ولولا أن هذه الحرب كانت حينذاك قد استأثرت بتفكير الناس وشعورهم في شتى جهات العالم ، ولولا أن صفحات الجرائد وأقلام الكتاب كادت تكرس لنشر أنباء الحرب والحديث فيها ، لعد ذلك الوباء أخطر حادث وقع في تاريخ الانسانية كله

ففي خلال شهرين فحسب أهلك وباء الانفلونزا في الهند خمسة ملايين نسمة ، وفي أمريكا نصف مليون نسمة أي عشرة أمثال من توفوا من الامريكيين في ساحات الحرب الكبرى . ولم ينج منه اقليم في أشد المناطق حرارة وفي أكثرها برودة ، فعم قارة أفريقيا التي تلفح الشمس أهلها ، كما انتشر في شمال أوربا وامريكا حيث يكسو الجليد الارض أكثر شهور السنة ، وأصاب غربي أوربا وشرقي أمريكا ، كما انتقل الى الجزر المتناثرة في ارجاء المحيط الهادي

ففي السكا خلت قرى بأسرها من جميع رجالها ونسائها ، وفي جزائر فيجي أصيب بالانفلونزا

زهاء ٨٥ فى المائة أو ٩٠ فى المائة من أهلها ، وهلك ٧٠٠٠ نسمة فى جزائر ساموا فى جنوب المحيط الهادى التى يبلغ عدد سكانها ٣٠٠٠٠

وقد ظهرت علائم هذا الوباء أول مرة يوم ٥ مارس سنة ١٩١٨ فى ولاية كانساس بامريكا ، فذاعت هناك إشاعة غريبة هى أن الأمر مكيدة دبرها جواسيس المانيا ، ولكن لم تمض ايام حتى جاءت الصحف بانباء انتشاره فى فرنسا والمانيا والصين واليابان . . ثم انتقل فى شهر ابريل الى ميدان الحرب فاصيبت به الجيوش البريطانية والالمانية والامريكية المحاربة فى أوربا . وفى يونيو انتشرت جراثيم المرض شمالا وجنوبا فشملت اسكندناوه واسبانيا ، ثم طارت شرقا فملأت أجواء الهند والصين ، وطارت غربا فعبرت المحيط الاطلسى الى امريكا . وهكذا شملت أقاليم العالم كلها ، دون أن تترك فى اقليم منها مدينة أو قرية لم تصل اليها

ولا يعرف أحد من الناس حتى اليوم كيف كان ينتقل هـذا الوباء ، ولكنهم انصرفوا مذعورين عن الأماكن المزدحمة وآثروا العزلة قدر الامكان . فألغيت المباريات الرياضية وأوقف سباق الخيل ، وأغلقت أكثر الملاهى فى أوربا وأمريكا

وكاد هذا المرض الوبائى يوقف حركة العالم ، ولتدرك مبلغ خطورته نحدثك عما حدث فى أمريكا حينذاك : أغلقت المدارس والجامعات فى مدينة بوستن وواشنطن ، ومنعت دار الكتب فى نيويورك إعارة كتبها ، ومرض من عاملات شركة التليفون فيها ١٦٠٠ فتاة فطلبت الى الجمهور ألا يلجأ الى التليفون إلا وقت الضرورة الملحة ، وامتنع النـاس من دخول الكنائس وراح بعضهم يؤدى الطقوس الدينية فى الهواء الطلق . وكنت ترى الناس في الطرق والعربات والمصانع قد غطوا وجوههم بكمامات واقية من الجراثيم التى عمت الهواء

وأصيب نصف سكان بعض المدن بالانفلونزا ، فصار النـاس فى حاجة الى أضعاف الاطبـاء والممرضات ، وكان الطبيب يذهب ليسعف مريضا فيجد الى جانبه عشرة آخرين . أما المستشفيات فكانت تبث الفزع والرعب فيمن يراها ، إذ تكدس المرضى فى طرقها وردهاتها بعضهم فوق بعض ، فالغرفة المخصصة لثلاثين مريضا تكدس فيها سبعون أو أكثر . وكانت الممرضة تدخل غرفتها فى الصباح فتجد وجوها جديدة لم ترها فى المساء الفائت ، وتفتقد وجوها أخرى ماتت فى أثناء الليل

وزادت الحالة سوءاً حين عجز الاطباء عن وقاية أنفسهم من المرض فمات كثير منهم . . وبلغ الأمر بالناس أن ارتفعت أثمان الأكفان وصناديق الموتى ، ووجد العاطلون عملا فى حفر القبور . . !

ووقع مثل هذا فى أكثر بلاد العالم . ولكن لم تلبث هذه النكبة الفادحة طويلا ، وإلا لأخلت الارض من البشر ، فأخذت وطأة المرض تخف شيئا فشيئا حتى جاء شهر نوفمبر فاذا بالعالم قد خلص من هول الوباء كما خلص من هول الحرب . .

[خلاصة مقال لفردريك لويس الين فى سكريبنرز مجازين]

تقدم العلم والعالم

جبل جديد

قد يخيل الينا أن الانسان لم يعد يجهل أى جزء من الارض ، فقد مكنته الوسائل العلمية المختلفة من أن يصل الى القطبين الشمالى والجنوبى ويسير فيما حولهما من الآفاق ، ومن أن يتسلل الى جوف الغابات الاستوائية يصيد حيوانها وسط الظلام الدامس . ولكن «المعهد الامريكى للتاريخ الطبيعى» أعلن اخيراً أن هناك جبلا شاهقا فى منطقة مأهولة لم يره الانسان من قبل ، ولهذا فقد أوفد بعض رجاله ليكشفوه ..

وهذا هو جبل «أويتبوى» كما أسماه أول رجل رآه وهو فى طائرته ، ويقع وسط غابات فنزويلا بأمريكا الجنوبية . وهى منطقة يجهل الانسان أكثر أسرارها ، إذ أن اجتياز هذه الغابات الكثيفة يستدعى مسيرة شهرين وسط وحوش وزواحف قاتلة .. ويبلغ ارتفاع الجبل ٨٠٠٠ قدم .ومساحة قاعدته ٣٠٠ ميل مربع . وقد ظل مجهولا حتى اليوم ، لأن جزءاً كبيراً منه غائر فى الارض نتيجة كسر حدث فى القشرة الأرضية هناك .. وعلى مقربة منه جبلان كشفا منذ سنوات قلائل وهما « دويدا » فى الغرب ، و « روراءيما » فى الشرق ، وقد اتخذ القصصى الانجليزى «كونان دويل» ثانيهما مسرحا لقصته « العالم المفقود »

وستكون مهمة البعثة التى أوفدها معهد التاريخ الطبيعى على نفقة أحد أغنياء فنزويلا ، أن تضع رسما جغرافيا لهذه المنطقة بما فيها من غابات وجبال ، وأن ترجع بطائفة من حيوانها وطيرها ومجموعة من حفائرها كذلك . وما زال فى فنزويلا والبرازيل وغانة مناطق مجهولة تحتاج الى جهود الرحالة والعلماء

علاج السيلان فى ثلاثة أيام

أعلن الدكتور ألي Prof. E. P. Alyen من أساتذة الطب فى جامعات أمريكا ، أنه ابرأ عدداً كثيراً من المرضى بالسيلان فى مدة ثلاثة أيام بواسطة مركب سلفانلاميد Sulfanilamide فقد عالج به ١٥٨ مريضا ابرأ اربعة اخماسهم بعد ثلاثة أيام ، ولم يصب أحد من الباقين بمضاعفات هذا المرض التى تسبب آلاما لا تطاق

وقد ثبت أن نصف من يعالجون بالوسائل الحالية ينتابهم المرض بعد ذلك ، لأنه لايقضي على جراثيمه قضاء تاما .أما بواسطة هذا المركب الذى لم يعرفه أطباء أمريكا إلا العام الماضى فقد عولج ٨٣٠ مريضا لم ينتكس احدهم حتى اليوم كما أمكن ابراء بعض من أصيبوا بمضاعفات السيلان ، وتخفيف وطأة آلامه عن بعضهم

ويجب أن يكون العلاج بهذه الطريقة تحت اشراف طبيب يفحص دم المريض مرة كل يومين ، لاتقاء ما يصيب كرات الدم البيضاء والحمراء من جرائها أحيانا

أسرة العلم

صدر أخيراً بالانجليزية الكتاب الذى وضعته الآنسة « ايف كورى » عن أمها العظيمة

« مدام كورى » ، وهو ترجمة طريفة دقيقة لهذه السيدة التى تمثل بطولة المرأة فى أسمى صورها ، فقد كشفت للعالم عنصراً من أثمن العناصر وأندرها وهو « الراديوم » كما أنها انشأت أسرة يبذل أفرادها أنفسهم وينذرون جهودهم للعلم وحده . فهى التى أعانت زوجها « بيير » أيام الشدة والضنك على المثابرة فى بحوثه العلمية التى مهدت السبيل الى كشف الراديوم ، وشاركته جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٠٣ . ولما مات قتيلا سنة ١٩٠٦ استأنفت بحوثه ، عاكفة فى معملها ساهرة على كتبها ، حتى وفقت الى النصر ، فمنحت جائزة نوبل للمرة الثانية سنة ١٩١١ . وهى التى أنجبت ابنتين من أبرز الشخصيات العلمية المعاصرة « ايف » التى ترجمت حياة أمها ترجمة علمية بارعة ، و « ايرين » التى نالت هى وزوجها « فردريك جوليوت » جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٣٥ . وهذه هى الأسرة الوحيدة التى نال ثلاثة من أفرادها اسمى جائزة علمية أربع مرات

لماذا بني سور الصين

كما اختلف علماء الآثار فى سبب تشييد أهرام مصر ، اختلفوا كذلك فى سبب اقامة سور الصين العظيم الذى يعد احدى عجائب الدنيا السبع القديمة

فقال أكثرهم إنه أنشىء لغرض حربى هو صد غارات الشعوب التى كانت تعيش فى شمال الصين . وبنوا قولهم هذا على ماذكره المؤرخون والرحالة القدماء من شرقيين وغربيين

أما عامة الصينيين فيعتقدون أنه أقيم لحماية بلادهم من الارواح الشريرة التي تهيم فيما يليه من آفاق مقفرة جرداء

ولكن أحد الجغرافيين الحديثين اعلن أخيراً أن الغرض من اقامة السور لم يكن هذا ولا ذاك ، ولكن بناء الأسوار كان عادة شائعة فى الصين فيما بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد . وكانت الصين حينذاك مقاطعات منفصلة يحوط كلا منها سور مرتفع سميك ، فلما قام الامبراطور « هوانج تى » بتوحيد هذه المقاطعات معا وانشاء الامبراطورية الصينية الأولى رأى أن يحيطها بسور يوضح حدودها . وقد آثر تعيين الحدود الشمالية وحدها لأنها تنتهى بمناطق مقفرة تهيم فيها قبائل من المتبربرين الذين يعيشون على الصيد والرعى ، فيخشى منهم على الصينيين الذين كانوا يعيشون عيشة زراعية مستقرة فى ظل حكومة منظمة . أى أن القصد من السور ليس منع الوافدين والمغيرين ، فمن الثابت أنه لم يقف فى وجه كثير من قبائل التتر ، وانما منع الصينيين من اجتيازه الى بلاد متبربرة بدائية

تستطيع وحدك إسقاط الطيارات

أظهرت الحرب الاسبانية القائمة كثيراً من وسائل الدفاع وأدواته . فمن ذلك مدفع جديد يستطيع وقف هجوم الدبابة التى كانت اكبر أسباب انتصار الحلفاء فى الحرب الكبرى ، وانتصار ايطاليا فى فتح الحبشة . ومن ذلك أيضا بندقية سهلة الحمل والتوجيه تستخدم فى إسقاط الطائرات التى كان لا يسهل اسقاطها من قبل الا بمدافع ضخمة ثقيلة ، تقتضى نفقات باهظة وعددا من الجنود والمهندسين لادارتها ، وقد كان اقتناء هذه المدافع غير ميسور ، الى حد أن قوة الدفاع المصرية لم يكن بها الى عهد قريب سوى مدفع واحد من هذا الطراز

والبندقية الجديدة يديرها جندى واحد ، له مقعد صغير فى الجزء الخلفى منها . وبقدميه يستطيع أن يرفع أو يخفض أنبوبتها (ماسورتها) وبيديه يستطيع أن يوجهها الى اليمين أو الى الشمال . وهى تقذف قنابلها الى أعلى مسافات بعيدة فتبلغ ما تبلغه قنابل المدافع الكبيرة . ومن مزاياها أن أجزاءها يمكن أن يطوى بعضها على بعض فيستطيع الجندى أن يحملها على ظهره فى أثناء سيره . وهى الى هـذا لا تتطلب نفقة كبيرة ، فينتظر أن تحدث تطوراً خطيراً فى أعمال الدفاع الحربى

اختبار متانة القماش

تستطيع بعد اليوم أن تدخل محال الاقمشة أو الملابس وأنت واثق من أنك لن تخدع فى متانة مادتها ودقة نسجها . لانك لن تعتمد فى اختبارها ــ كما تعتمد الآن ــ على تجاربك الخاصة أو على أقوال البائع ، وانما على آلة اخترعت حديثا في أمريكا يمكن بواسطتها معرفة متانة خيوط القماش ودرجة اتقان نسجها . وذلك باثبات طرفى قطعة من القماش فى رأس مسمارين ثم ادارة عجلة تباعد بين المسمارين شيئا فشيئا . فاذا انقطعت خيوط القماش تواً دل على ضعف مادتها وسوء نسجها ، وكلما استطاعت هذه الخيوط أن تبقى رغم تباعد المسمارين دل على صلاحيتها . ويتحرك المسماران فوق مقياس دقيق يمكن بواسطته المقارنة بين أنواع الاقمشة المختلفة من حيث المتانة . ويرجح أن ينتشر هذا الجهاز البسيط فى شتى محال الاقمشة ليقدم اليها المشترون وهم مطمئنون الى أن نقودهم ستدفع فى أقمشة تستأهلها

لماذا تغزو اليابان الصين ؟

الحرب التى تدور الآن بين اليابان والصين ليست إلا حلقة من سلسلة طويلة من الحروب شنتها اليابان على جارتها تنفيذاً لخطة مرسومة منذ خمسين عاما . فقد واجهت اليابان منذ منتصف القرن الماضى مشكلة زيادة سكانها زيادة خطيرة تفوق كثيراً نمو مواردها الاقتصادية حتى بعد ان اتخذت الصناعة الحديثة وتقدمت فيها خطاها الفسيحة كما ترى من تعداد السكان الآتى:

سنة	مليون نسمة
١٨١٥	٢٥
١٨٥٠	٢٧
١٨٧٥	٣٥
١٩١٠	٤٥
١٩١٨	٥٧
١٩٣٠	٦٤
١٩٣٥	٦٩
١٩٣٨	٧١

ويرجع هذا الى أن نسبة المواليد فى اليابان تزيد عنها فى أكثر أقطار العالم ، فيولد الآن فى اليابان كل عام زهاء ٢١٠٠٠٠٠ طفل . ومع أن نسبة الوفيات مرتفعة كذلك إلا أن عدد السكان يزيد يوميا بمعدل ٣٠٠٠ نسمة ، فكأن اليابان في حاجة الى أن تنشىء كل يوم قرية جديدة . ومع أن صناعة اليابان وتجارتها تقدمتا فى الخمسين سنة الماضية تقدما كبيراً يدل على زيادة حمولة أسطولها من ١٥٠٠٠ طن سنة ١٨٧٠ الى أربعة ملايين طن فى العام الماضى ، فان مواردها الاقتصادية ما زالت عاجزة عن التمشى وفق زيادة سكانها

ولهذا اتجهت اليابان قسراً الى جارتها الصين ،

وما فيها من مرافق غنية بالفحم والحديد وغيرها من المواد الخام التى لم تستغل بعد لقلة رؤوس الاموال الطائلة وهبوط مستوى الصناعة الحديثة فيها . وقد حاولت اليابان أن تحل مشكلة زيادة سكانها بدفعهم الى المهاجرة الى البلاد الناشئة الفسيحة مثل استراليا وأمريكا ، ولكن هذه لم تلبث أن أوصدت أبوابها فى أوجه اليابانيين بدعوى منع اختلاط السلالات الملونة بالسلالات البيضاء ، ولحماية عمالها من منافسة العامل اليابانى الذى يرضى بأزهد الأجور مقابل أشق الاعمال

تأثير الحرارة فى اللحية

ظل الدكتور بول أيتون من أطباء أمريكا عاما كاملا يدرس تأثير حرارة الجو وبرودته فى نمو شعر اللحية ، حتى انتهى أخيراً الى أن هذا الشعر ينمو فى الصيف أسرع مما ينمو فى الشتاء

وكانت التجربة التى أجراها طريفة حقا . فقد اختار مساحة قدرها بوصة مربعة من خده الايمن ، وظل يحلقها صباح كل يوم فى ساعة معينة . وابتكر جهازاً خاصا للحلاقة يضمن به أن يكون اجتثاث الشعر على نظام معين . وأخذ كل يوم يختار ١٠٠ شعرة من الشعرات التى اجتثها ، ويقيسها بجهاز الميكرومتر الذى تقاس به الاطوال الدقيقة . ويضع متوسطا لطول هذه المائة شعرة ، ويثبت أمام هذا المتوسط درجة حرارة الجو فى اليوم الذى سبق الحلاقة ، أى فى اليوم الذى نما فيه الشعر . وقد انتهى من هذا الى أن نمو الشعر يطرد مع درجة حرارة الجو ، وأنه لهذا يطول فى الصيف اكثر مما يطول فى الشتاء

هل تعلم ؟

* أن عدد من قضت عليهم الزلازل التى حدثت فى الصين فى الأربعة القرون الماضية زهاء ٥٠٠٠٠٠ نسمة ، أى بمعدل يزيد عن ألف انسان فى السنة الواحدة ؟

* وأن حاستى البصر والشم فى النحلة أقوى منهما فى الانسان ، فقد وجدت نحلة تمتص نباتات لا يراها الانسان بعينه المجردة ؟

* وأن ١١٠٠٠٠٠٠ فتاة وامرأة فى الولايات المتحدة يمارسن مختلف الاعمال اليدوية والفكرية ، وأن عائلة من كل عشر عائلات فى أمريكا تقوم بالانفاق عليها الفتيات والنساء العاملات ؟

* وأن الكتل الثلجية التى تنحدر على سفوح جبال الألب ، وتكتسح أو تطمر ما فى طريقها من أكواخ ودواب ، تهوى بسرعة ١٢٠ ميلا فى الساعة ؟

* وأن بعض مصانع ألمانيا استطاعت أن تستخرج من الفحم مادة دهنية يصنع منها الصابون، وانه عرضت فى السوق قطع من هذا الصابون ولكنها غالية الثمن ؟

* وأن الانجليز فى القرن السابع عشر لم يكونوا ينزعون ريش الأوزة عند طهيها ، بل يسلخونها كما يسلخون الشاة ؟

* وأن عدد اللغات التى تتكلمها شعوب أوربا لا تقل عن ١٢٠ لغة ، منها ٣٨ لغة مجموع المتكلمين بها لا يجاوز مليون نسمة ؟

* وأن كلبا من كلاب السباق قطع ٦٠٠ ياردة فى ٣٤ ثانية ، أى أن معدل سرعته ٣٦ ميلا فى الساعة ؟

كتب جديدة

أمراء البيان

للاستاذ محمد كرد علي

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . جزآن

في نحو ٦٠٠ صفحة

الاستاذ محمد كرد علي في طليعة الأدباء الذين يسعون لاحياء التراث العربي ودراسة كتاب العرب وشعرائهم دراسة عصرية قائمة على بحث مؤثرات البيئة والعنصر وخصائص العبقرية الذاتية

ومما لا يقبل الريب ان انشاء متحف أدبي عظيم يجمع مختلف الشخصيات العربية الملحوظة المكانة في عالم الأدب ، جهد عسير شاق لم يوفق أديب الى تحقيقه بمثل هذه الاحاطة الموسوم بها كتاب الاستاذ محمد كرد علي

فشخصيات عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون وعمرو بن مسعده واحمد بن يوسف الكاتب والجاحظ وأبي حيان وابن العميد ، جميعها ماثلة أمامنا تختلج حركة ونشاطا وحياة

ويلاحظ أن طريقة المؤلف في رسم هذه الشخصيات تمتاز بعرض شؤون العصر ومؤثراته أولا ثم تتناول الاصل والعنصر ثم الاخلاق الخاصة فالاسلوب فمذهب الكاتب وطريقته فالاعمال الباقية له والتي خلدت بخلوده واستطاع أن يساهم بها في حركة التطور الفكري العربي

ولقد اتبع الاستاذ محمد كرد علي في وضع كتابه الشائق نهجا علميا تقريريا تجرد أسلوبه من المحسنات اللفظية وضروب التزين الظاهري وأفاض عليه حلة رائعة من الدقة وبلاغة النقد القارن، فجاء سفراً طريفا يجب أن يقتنيه ويتوافر على دراسته كل عربي

وعندنا ان أمثال هذه الكتب تحبب ماضينا الينا وتحفزنا على احياء الصالح منه وتغرينا بمطالعة الأدب العربي وتساعدنا على فهمه وتذوقه واحلاله المكان الجدير به بين آداب العالم

ابن سينا الفيلسوف

بقلم الأب بولس مسعد

مطبعة الاتحاد ببيروت في ١٣٠ صفحة

يقول العلامة بارتلمي سانت هيلير إن العقل الانساني بطيء في سيره ونحن به وهو سائر في طريقه أن يعود بنظره بين الفينة والفينة الى الوراء ليرى من أين ابتدأ سيره، وهكذا يستطيع أن يسدد خطاه في المستقبل غير المحدود الذي ينتظره

ويعتقد مؤلف هذا الكتاب أن لا شيء يعيننا على دراسة العقل العربي في خطواته الأولى أكثر من دراسة تاريخ الفلسفة العربية دراسة علمية . وهذا ما أقدم عليه في رسالته الوافية عن الرئيس ابن سينا

ولقد تحدث الينا الأب الفاضل عن البيئة التي نشأ فيها الرئيس وعن حياته ومصنفاته ومنطقه وتقسيمه للعلوم ونظرته الى النفس وأبحاثه في ماهية الله وفي العناية الالهية وفكرة

الخير والشر ، ثم انتهى من هذا كله الى أن فلسفة ابن سينا لا تختلف عن جوهر فلسفة أرسطو . فالرئيس يدرس المنطق أولا ويحلله وفق طريقة أرسطو ثم يتناول الطبيعيات فيلق عليها نظرة تلائم المعارف التى كانت شائعة فى عصره ، ثم يعالج علم النفس باعتباره جزءاً من أجزاء الطبيعيات ، فيتكلم عن الأنفس النباتية والحيوانية والعاقلة متطرقا الى قواها ومميزاتها ثم يتلو ذلك تحليل للعقل وسائر الادراكات

ويعترف الاب الفاضل بأن الرئيس ابن سينا جمع فى صدره شتات الحكمة والمعارف الطبية وهضم نتاج المفكرين الأقدمين ورقاها وأضاف عليها ما هدته اليه بحوثه الخاصة

وأبدع ما فى رسالة الأب بولس مسعد تفريقه بين شخصية الفيلسوف الحر وشخصية الفيلسوف اللاهوتى المقيد بتعاليم الدين وأصوله ، فالأول يبحث بواسطة العقل المجرد عن براهين تؤيد حقائقه ، والثانى يتجه بأبصاره الى الوحى الدينى لاثبات شتى الحقائق . فالعقل شىء والوحى شىء آخر . وقد يسلم العقل بحقائق الوحى ولكنه لا يستطيع اثبات اسراره اثباتا مطلقا . وعندئذ يكون تسليم العقل صادراً عن الايمان . وهذا هو الحد الذى يفصل بين الفلسفة والدين

الهام

قصة مصرية للاستاذ نقولا يوسف

مطبعة المجلة الجديدة فى ١٨٠ صفحة

لا بد لكل قصصى من استخدام ذكرياته الشخصية ووقائع حياته متى أقدم على وضع قصة. ولكن من الروائيين من يعتمد على تخيل الحوادث العامة أكثر مما يعتمد على نقل وتصوير الحوادث الخاصة

والفن الروائى ينقسم فى جوهره الى قسمين «ذاتى» و «موضوعى» . ولقد آثر الاستاذ نقولا يوسف أن يضع قصة ذاتية حشد فيها مختلف الوقائع والعواطف التى مرت به فى مقتبل عمره ومستهل شبابه

وقصة «إلهام» تمثل لنا الصراع الأبدى بين الروح الخيالية الرومانتيكية المتمكنة من نفوس معظم الشباب وبين الروح الدنيوية العملية المستمدة من اغراء المادة والتوق الى التمتع بكل ما هو مادى في الحياة

فالحب الشعرى الخيالى النقى ، والنزعات التأملية التجريدية ، والرغبة فى الفرار من هذا العالم على أجنحة التصور والوهم ، والحلم بدنيا أسمى من هذه الدنيا وأروع صفاء وأكمل خلقا وعدلا ، جميع هذه الاحساسات التى تطوف بنا وتحتل أذهاننا فى طور الشباب الأول ، نجدها فى رواية «إلهام» ممثلة خير تمثيل ومصورة بريشة رسام ماهر

والحق ان الاستاذ نقولا يوسف أبدع أيما ابداع فى الجزء الوصفى من قصته . فهناك مناظر طبيعية مصرية أجاد تصويرها اجادة فائقة وتحرى الدقة المتناهية فى ابراز معالمها فأشعرنا بما فيها من جمال هادىء فاتر وسنان

وليس شك فى أن الابداع فى وصف الطبيعة المصرية يزيد القارىء المصرى حبا لبلاده ويضاعف تعلقه بها وحرصه عليها واندماجه فيها واخلاصه لها . وهذه الظاهرة الوجدانية شائعة فى كل سطر من سطور القصة وهى السر فى قيمتها الأدبية واعجابنا الشديد بها !

ولعل مؤلفها يواصل الجهد ويتبعها بأخرى

إذ عناصر الفن القصصى متوافرة ولا ريب فى أساليبه ونظرته الى الحياة

الضرائب ومصروفات الدولة

للاستاذ روفائيل مسيحة

مطبعة المجلة الجديدة فى ١٠٠ صفحة

لكل ضريبة مالية تفرضها الحكومة أثرها فى حياة الشعب ، لأنها تجبى منه وتنفق عليه ، فينبغى لكل فرد منه أن يدرس ايرادات الدولة ونفقاتها ليكون على بينة من أعمال الحكومة المالية ، ولا سيما بعد أن صار تقدير الميزانية ومراقبتها أول حقوق الشعب وأهمها فى النظام الديموقراطى . وقد انقضى العهد الذى كان ينظر فيه الشعب الى الحكومة نظرة الحذر والتوجس والرهبة ، ويعتقد انها قامت لتستبد بجهوده وتبتز أمواله ، لتنفقها على الامراء والاشراف ، وصار يرى أنه هو الذى يقيم الحكومة لتدبر أمره وتوجه خطاه نحو الأمن والرخاء والحرية

وهذا الكتاب الذى وضعه الاستاذ روفائيل مسيحة خريج كلية الآداب يشرح موضوع ايرادات الدولة ونفقاتها شرحا وافيا دقيقا ، متوخيا فى دراستها الناحية الاجتماعية العامة لا الناحية الادارية الضيقة . فأورد أولا آراء الاقتصاديين فى تعريف الضريبة وناقش كلا منها ، ثم قسم الضرائب أقساما مختلفة وبين أين يقع عبئها وكيف يتوزع على أفراد الشعب ، ثم تحدث عن مختلف الضرائب المفروضة على الارض والمبانى والرؤوس والدخول والزكاة ، وختم هذا بعرض عام لسائر ايرادات الدولة . ويبحث الجزء الأخير من الكتاب مصروفات الدولة والمبادىء العامة التى تنفق وفقها ، والوجوه التى تتوزع عليها هذه المصروفات

وليس الكتاب بحثا اقتصاديا جافا ، بل دراسة اجتماعية قيمة ، يجدر بنا جميعا أن نعيها ، فلن يصح حكمنا على حكومة ما اذا لم نكن على بينة من سياستها فى جمع المال وانفاقه

رأى فى تدريس اللغة العربية

للدكتور اسحق موسى الحسينى

المطبعة التجارية بالقدس فى ٦٤ صفحة

يرى الدكتور اسحق موسى الحسينى أن لاغناء كل لغة ونموها طريقا واحداً هو اغناء الفكر وتعزيز العواطف وتوليد الظروف الاجتماعية . ولا يمكن أن تكون لغة من اللغات غنية بتعابيرها الاجتماعية ان كانت لغة أمة حياتها الاجتماعية ضيقة محدودة . كما أنه لا يمكن أن تكون لغة غنية بتعابيرها العاطفية ان كانت لغة شخص محدود العواطف . فاذا كان هذا حال اللغات جميعا فى الماضى والحاضر فهو إذن الحال الطبيعى الذى يجب أن تخضع له اللغة العربية

ويعتقد الدكتور أن التطور الاجتماعى كفيل باغناء اللغة العربية ثم يقترح أن تدرس هذه اللغة جملا لا مفردات تعجيلا باحداث ذلك التطور . وهو يرى أن الجملة هى وحدة الكلام ومع ذلك فقد قلت العناية بالجملة وانصرف النظر الى المفردات ، فى حين ان للفظة منتزعة من الجملة مدلولات كثيرة واستعمالات عدة . ولكن الذى يحدد المدلول ويعين الاستعمال هو القرينة ولهذا يجب أن تدرك القرينة لادراك المدلول وأن تحيا المفردات باحياء الجمل وأن تدرس اللغة جملا لا مفردات

ولا شك أن رسالة الدكتور الحسيني جديرة بأن يطالعها المدرسون ويمعنوا النظر فيها لما اشتملت عليه من حقائق طريفة ومنزع عصري في تدريس اللغة العربية

فرويد والتحليل النفسى

للاستاذ جورج عزيز

المطبعة الفخرية فى ٨٠ صفحة

ظهر فى مصر عدد وافر من المؤلفات التى تبحث فى السيكولوجيا الحديثة وفى نظريات وتطبيقات العلامة النمساوى فرويد فى التحليل النفسى . ولكن الرسالة التى وضعها الاستاذ جورج عزيز يمكن أن تعتبر مختصراً جامعا وافيا لهذا المذهب ، فقد عرض فيها بأسلوب واضح بسيط لشتى آراء وتعاليم فرويد فى الغريزة الجنسية وعالم اللاشعور وتفسير الاحلام وتأثيرها على اليقظة

ولقد أجاد المؤلف فى شرح عوامل الكبت الجنسى وتصوير كل مرض نفسي يرده الى العامل الجنسى الذى كان السبب فى تكوينه . ثم استدرك وحمل على أعداء فرويد وأوضح كيف أن هذا العالم لم يقل مطلقا بأن اللذة الجنسية هى القوة الوحيدة التى تحرك العالم وتسيره ، وانما قال ان جميع أحلامنا تقريبا ترجع الى الغريزة الجنسية التى كبتناها فى نفوسنا تحت تأثير أنظمة المجتمع وقوانينه ،فأصبح اخفاء أخص المسائل الذاتية من أكبر أسباب الجنون النفسى عند الرجال والنساء. فالطريقة الوحيدة لتفادى هذا الخطر هى كشف الستار عن حقيقة هذه المسائل واظهارها فى وضح النور بقوة التحليل النفسى

والكتاب فى مجموعه مركز أفضل وأتم تركيز وقد استند صاحبه فى وضعه الى عدة مراجع لطائفة من أكبر علماء السيكولوجيا الحديثة

جهاد المستعبدين

للاستاذ خليل ابراهيم النبوت

طبع فى يولس ابرس فى ٦٥ صفحة

أهم عناصر القصة التمثيلية تركيز الحوادث وتجنب الاسهاب فى التحليل النفسى ورسم الشخصيات والقدرة على ابتداع مواقف تهز الاعصاب ولا تخرج عن دائرة الواقع . وهذه العناصر متوافرة فى قصة جهاد المستعبدين التى اقتبسها عن الاسبانية الاستاذ خليل ابراهيم النبوت

وتقع حوادث هذه القصة فى البلاد الروسية وفى العهد الذى طغى فيه سلطان النبلاء وبعض كبار رجال الكنيسة وجار على حقوق سواد الشعب

وتمتاز القصة بشيوع روح التسامح الفكرى بين سطورها وانطوائها على الدعوة الى اعتناق ما تأمر به الاديان جميعا من فضائل الاخوة البشرية والتراحم الانسانى والبحث عن الحق الروحانى الاسمى . وهى درامة عنيفة الوقائع شديدة التأثير تمثل فى صراحة وجرأة ذلك الجهاد الذى تقوم به الطبقات العاملة المستعبدة لتتحرر من استبداد الاقطاعيين ومن يناصرهم من رجال الاكليروس الرجعى ، وتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية فى ظل التضامن وبمعزل عن التعصب الدينى

ولقد أفرغ الاستاذ خليل ابراهيم النبوت هذه الدرامة فى حلة عربية شائقة تدل أبلغ الدلالة على محصول لغوى وافر وذوق أدبى سليم

قصص من الغرب

للاستاذ انور شارل

مطبعة المعارف ببغداد فى ١٠٦ صفحة

الاستاذ انورشاول من أبرع كتاب العراق فى وضع القصة العصرية ذات الطابع العراقى الاصيل . وله مؤلفات قصصية تنم عن مواهب أدبية بارزة وعن قدرة ملحوظة فى تخيل وقائع وحوادث تنبع من الواقع المحسوس وتعبر عن النفس الانسانية

وقد أراد فى كتابه الأخير (قصص من الغرب) نقل بعض روائع القصص الاجنبية وتقديمها لأدباء الشرق العربى كأمثلة لما يجب ان يكون عليه فن القصة الرفيع . فاختار عدة أقاصيص فرنسية وروسية وانجليزية لنفر من كبار كتاب الغرب أمثال جوركى وتورجنيف ومارسيل بريفو وولز، وصاغها فى أسلوب عربى شائق محكم العبارة متين التراكيب . ولا شك أن وفرة عدد القصص الصالحة المنقولة الى لغتنا العربية هى التى يمكن أن تمهد لنهضة الفن القصصى عندنا وتروض جمهور القراء على فهم وتذوق الأدب العالى والفن الروائى الحديث

صديق أبو الحسن

للاستاذ إلياس قنصل

مطبعة بونادر — بونس ايرس . فى ٦٨ صفحة

فن تصوير الشخصيات من أدق فنون القصة، وهو جزء رئيسى منها، وكل من حذقه واستطاع التجويد فيه يستطيع ابداع القصة الطويلة متى حس من نفسه القدرة على معالجة الأجزاء الاخرى أى الوصف والتحليل والسبك

وقد حاول الاستاذ الياس قنصل اعطاءنا صورة دقيقة أمينة لشخصية رجل من عامة الشعب هو (أبو الحسن) فأجاد الى حد بعيد، ولا سيما فى رسم أخلاق هـذا الرجل ومميزات تفكيره وبساطة نفسه التى لم تعكرها المدنيـة الحديثة

فالسذاجة للقرونة بالصفاء هى جوهر نفس (أبو الحسن) وهى سر قوته فى الحياة وهى السلاح الذى يتق به غوائل الزمن

وأنت إذ تقرأ عن حياته وعن أساوبه فى النظر الى الاشياء والاشخاص لا بد أن تروعك حكمته وتشعر على الفور انك أمام رجل وضيع فى حياته الاجتماعية عظيم فى خلقه وبساطته ونظرته الفلسفية الى الحياة . وهكذا تفهم وتحس أن فى وسع الانسان التفوق على نفسه والغير بواسطة قوة الشخصية ، وأن فى مقدور الانسان أن يكون سعيداً بدون مال أو ثروة ما دامت السعادة تنبع من قلبه وإحساسه

المحفوظات الابتدائية

للاستاذ مصطفى محمد ابراهيم

مطبعة الاعتماد بالقاهرة

ثلاثة أجزاء كل منها ٦٠ صفحة

أصدر الاستاذ مصطفى محمد ابراهيم المدرس بالمدرسة المحمدية الاميرية هـذه المجموعة من المحفوظات لتكون مثلا يحتذيه التلاميذ ويهتدون به فى فن الانشاء وصوغ العبارة العربية

ولم يقتصر المؤلف على جمع طائفة مختارة من كلام العرب بل أضاف اليها قطعا مختارة لأشهر أدباء العصر الحديث كشوقى والمنفلوطى والعقاد وأضرابهم ، وهكذا أحكم الروابط بين القـديم والحديث وأرشد التلاميذ الى روح التجديد فى الاسلوب العربى

الأدب في شهر

فلسفة السينما

وضع الكاتب الأسوجي سيزار برجمن كتابا سماه « فلسفة السينما » وعرض فيه لموضوع شائق طريف يدور حول النزعة الفكرية المسيطرة على معظم الأفلام الامريكية والأوربية . ويتلخص رأى الكاتب الاسوجي في أن الاغلبية الساحقة من الأفلام تنهض على فكرة تمجيد الترف وتمجيد قوة المال والثروة في الحياة . فالمناظر السينمائية التي تنفق عليها الشركات ألوف الجنيهات ، وملابس الممثلات الرائعة ، ووصف فواجع الحب في الاوساط المترفة ، وابتكار أفلام تقوم على غرام بنات الشعب برجال من أصحاب الملايين ، كل ذلك يبهر جمهور النظارة ويفتنه ويدفع بافراده الى الاقتداء بحوادث السينما والرغبة في حياة الترف التي يحياها الممثلون والممثلات في معظم الأفلام

فالسينما في رأى الكاتب الاسوجي ما تزال فنا يشيد بحياة الطبقة المتمولة ويغرى سواد الناس بعبادة المال . وهذا ما يفسر لنا نجاح الأفلام البوليسية التي لا تعجب الجمهور الا لأن جماعات اللصوص فيها يعرفون كيف يغررون بالبوليس ويظفرون بالمال والثروة

ويطلب الاديب الاسوجي في كتابه أن تشرف الحكومات على الانتاج السينمائي وتعمل على محاربة هذا الضرب من الفلسفة المادية المسيطرة على ذلك الانتاج فتحرم عرض الأفلام البوليسية وتكافىء الشركات التي تخرج أفلاما انسانية راقية تصف مختلف جوانب الحياة لا جانبا واحداً منها

أدب الأمومة

من النادر أن تتخذ المرأة متى كانت شاعرة مادة الأمومة وحيا لشعرها . بل هي على النقيض تسترسل في رسم الحب واعراضه وتطوراته كما تشعر به الانثى . ولكن هذه الظاهرة غير ملحوظة على الاطلاق في قصائد الشاعرة الفرنسية هنرييت شاراسون والشاعرة النمساوية برتا لوزا

ولقد أخرجت الاولى ديوانا جديداً من الشعر جعلته وقفا على تمجيد عاطفة الأمومة وما تحس به المرأة أمام طفلها وما يجول في نفسها أيام الحمل وساعات الوضع فابتدعت فنا جديداً متصلا بالغريزة ومنحدرا من أصول الحياة الكبرى . وأما الشاعرة النمساوية فقد رسمت في ديوانها (أزهار الربيع) لهفة الأم على ابنها المريض وحنانها عليه واخلاصها له وقلقها على حياته وتأهبها الدائم للتضحية بنفسها في سبيل انقاذه

ومن الغريب أن حب الام في قصائد الشاعرة النمساوية يتسامى ويرتفع ويقرب من حب المتصوف لربه ، ويشترك مع العاطفة الدينية في الاشادة بعظمة الله الذي منح المرأة القدرة على الامومة وجعلها في الحياة قوة خالقة !

أكبر مترجم في العصر الحديث

هو الكاتب المجري « زولتان فرانيو » وقد اختص هذا الكاتب في أعمال الترجمة ونقل الى

لغته فى عشر سنوات فقط أكثر من خمسين مؤلفا رائعا لأشهر أدباء فرنسا وانجلترا

وهو يحذق الفرنسية والانجليزية والألمانية والاسبانية والروسية والايطالية . وقد وهب حياته لترجمة أعمال كبار أدباء العالم الى اللغة المجرية ووهب جزءاً من ثروته لطبع بعض هذه الاعمال على نفقته الخاصة

وكان الى أمد قريب لم ينقل بعد شيئا من مؤلفات الشاعر الألمانى جيته ولكنه أخرج فجأة فى الشهر الماضى أربعة كتب لهذا الشاعر منها (فاوست) و(هرمن ودوروتيه) و(ولهلم مايستر)

والعجيب فى شخصية زولتان فرانيو أنه لا يشتغل إلا فى المشارب والقهوات ولا يكتب إلا وهو صائم ولا يصدر أية ترجمة لأى عمل أدبي إلا بعد أن تطالعها امرأته وهى سيدة مثقفة وتجيزها وتعجب بأسلوبها اللغوى

وقد وضع مقدمة لرواية فاوست تحدث فيها عن الترجمة فقال ان المترجم أشبه بالممثل يجب عليه أن ينكر ذاته ويتجرد من شخصه ويندمج فى البطل الذى عليه أن يمثله . فعلى قدر اندماجه يكون نجاحه ، بشرط أن يظل محتفظا بخاصة التلون والتشكل ليستطيع الاندماج بصفة تامة فى شخصيات مختلفة متنوعة الألوان والأمزجة

ويضيف الكاتب المجرى الى ما تقدم انه وهو يترجم عملا لأديب أجنبي يخيل اليه أن شخصية ذلك الأديب قدتقمصت فيه وانه يحياها حياة شاملة عميقة ، وهذا سر شعوره بأنه والممثل العبقرى سواء

كنز الثقافة

رأت مجلة (الحياة الدولية) التى تصدر فى عاصمة الدانمرك أن تطرح هذا الاستفتاء على طائفة من كبار أدباء أوربا : « اذكروا عشرين كتابا يمكن أن تعتبر كنزاً للثقافة الاوربية الادبية لا يستغنى عنه أى رجل مستحضر مستنير ؟ »

وقد وضعت المجلة جائزة مقدارها ٥٠ جنيها لأوفق جواب ، وهذا هو الجواب الذى أحرز الجائزة وقد تلقته إدارة المجلة من الكاتب الامريكى والدو فرانك :

« اليكم قائمة بالعشرين كتابا التى اعتقد أن فيها صفوة الفكر الاوربى الأدبى والتى أنا مدين لها بثقافتى وبعناصر التحضر التى اشتركت فى تهذيب عقلى ونفسى: (خواطر المفكر) لمونتانى و (هملت) لشكسبير و (دون كيشوت) لسرفانتس و (الكوميديا الالهية) لدانتى و (فيدر) لراسين و(فاوست) لجيته و (القاموس الفلسفى) لفولتير و (العقد الاجتماعى) لروسو و (روح الشرائع) لمونتسكيو و (ترتوف) لموليير و(الاب جوريو) لبلزاك و (غليوم تل) لشلر و (تاريخ الحضارة الرومانية) لومسن و (الاناني) لجورج مريديث و (آدم بيد) لجورج اليوت و (مدام بوفارى) لفلوبير و (جرمينال) لأميل زولا و (ماريوس الابيقورى) لولتر بارتر و (رسائل طاحونتى) لالفونس دوديه و(تاييس) لاناتول فرانس

هذه هى الكتب التى اختارها والدوفرانك واعتبرها كنز الثقافة الاوربية الادبى . وقد بحثت إدارة المجلة وتحرت لدى أصحاب المطابع ودور النشر فى الدانمرك فوجدت أن جميع تلك الكتب مترجمة الى اللغة الدنمركية ماخلا قصة (الاناني) لجورج مريديث فشرعت المجلة فى نقلها وطبعها على نفقتها الخاصة

موجة روحية

من أبلغ الدلائل على حاجة الاوربيين الى

التحرر من قيود الحضارة المادية الراهنة واستكمال أوجه النقص الشائعة فى الجانب المعنوى منها ، تلك الموجة الروحية التى طغت على كثيرين من أقطاب الفكر وأعلام الادب

وقد أصدر المؤرخ الفرنسى الكبير اميل بريهييه كتابا جديداً عن تاريخ الفلسفة فى العصور الوسطى ينم عن تمكن هذه الظاهرة من عقول كبار المفكرين فى فرنسا أيضا . وقد قسم المؤرخ كتابه الى خمسة أقسام : فتور الحركة الفلسفية فى القرنين السادس والسابع . نهضة الفلسفة فى القرنين التاسع والعاشر . نمو الفلسفة فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر . ازدهار الفلسفة فى القرن الثالث عشر . عوامل انحلال الفلسفة اللاهوتية فى القرن الرابع عشر

وقد رسم المؤلف فى هذا الكتاب الجامع صورة رائعة للصراع بين العقل والايمان واظهر فى حيدة تامة مختلف أوجه التعارض والتوافق بينهما ، ثم تحدث فى شىء كثير من الانصاف المقرون بالاعجاب والاحترام عن شخصية الرئيس ابن سينا وشخصية الفيلسوف ابن رشد وما كان لافكارهما من أثر عميق فى توجيه الحركة الفلسفية إذ ذاك وتوثيق الصلة بين الشرق والغرب

ويدور الكتاب كله حول الجهاد الذى قام به العقل البشرى الحر ليجد قاعدة وطيدة للتفاهم مع الدين

ويعتقد اميل بريهييه أن هذا الجهاد هو سر عظمة الانسانية ، وأن العودة اليه واجب محتم على رجال الفكر المعاصرين لاستكمال وحدة الحضارة الحديثة القائمة على العلم أى على العقل وحده

مملكة الأفاعى

هو اسم كتاب غريب وضعه الرحالة الامريكى كرنوشان بمساعدة زميل له يدعى هنرى ادامسون . وكانت الحكومة الامريكية قد أوفدت المستر كرنوشان الى بعض المناطق النائية فى تنجنيقا للبحث عن عدد من الافاعى النادرة لحديقة الحيوانات فى وشنطن

والكتاب يصف الحياة العجيبة التى يحياها فى تلك المناطق جمع من الرجال والنساء استحالوا هم أنفسهم لفرط اتصالهم بالافاعى الوافرة العدد فى بلادهم الى مخلوقات انسانية شاذة لا تتأثر بتلك الحيوانات السامة الغادرة بل تعيش بينها مستأنسة بها آمنة شرها

ولاولئك الرجال طرائق غريبة فى اتقاء شر تلك الافاعى فهم يطبلون لها ويغنون ويرقصون ومنهم من قد اشتهر بصنع نوع من البلسم مستخلص من عصارة النباتات يشق من لدغ الافعى ويصرعها ويلقى بها فى سبات عميق

ويحكم تلك المناطق سلطان مشهور برجاحة العقل وصفاء القلب واسمه « كالولا » ، وهو أقدر الرجال على ترويض الافاعى والعبث بها والحياة معها . ولذلك يحترمه أتباعه ويذهبون فى حبهم له الى حد التقديس والعبادة

ومما يمتاز به كتاب « مملكة الافاعى » ان مؤلفه المستر كرنوشان وضعه فى أسلوب طريف يقترن فيه البحث العلمى بروح شعرية تنحدر منها شبه نغمات موسيقية بدائية تنم عن تأصل عوامل الطيبة والسذاجة فى نفوس سكان مملكة الافاعى . وقد أحرز هذا الكتاب شهرة كبيرة فى أمريكا وترجم فى الشهر الماضى الى أربع لغات أوربية

كتاب خطير لفيكتور مرجريت

أخرج الأديب المشهور فكتور مرجريت كتابا سياسيا دعاه « خداع النفس » أحدث به ضجة كبيرة في الدوائر السياسية الاوربية . وهذا الكتاب هو حملة على سياسة فرنسا الخارجية بعد الحرب الكبرى . وقد جاء فيه أن فرنسا باصرارها على إذلال المانيا بمعاهدة فرسايل وبسعيها المتواصل لتطويقها بواسطة المحالفات التي عقدتها مع دول التحالف الصغير ثم مع حكومة السوفييت ، زادت الخطر الالماني قوة وعززت سلطان الافكار والمبادىء النازية وحفرت هوة جديدة بين الأمتين المتجاورتين

والمهم في هذا الكتاب أن فكتور مرجريت يلفت النظر الى ضعف المحالفات الفرنسية والى تدخل ايطاليا في سياسة دول التحالف الصغير وسعيها للقضاء على النفوذ الفرنسي فيها ، ثم الى مختلف الاضطرابات الداخلية التي تعصف بروسيا والتي تجعل مساعدتها لفرنسا عند خطر الحرب من الأمور التي لايمكن الغلو في التعويل عليها . وينصح الكاتب فرنسا بالتقرب من الالمان والتفاهم معهم على مشكلة المستعمرات وعدم التعرض للنظام الذي اختاروه لحكم بلادهم بدلا من اتباع سياسة العزل والتطويق التي لابد أن تؤدي آخر الأمر الى حرب جديدة

أدباء الشرق العربي في أوربا

نشرت مجلة « المانيا » التي تصدر بباريس خبراً مؤداه أن أحد الناشرين في برلين قد اعتزم طبع مجموعة أشعار للشاعر العربي المشهور فوزي المعلوف . وقد نقلت هذه المجموعة الى اللغة الالمانية بدقة تامة . وستظهر في مستهل العام الجديد

عضو جديد في الاكاديمية الفرنسية

انتخب الاميرال لاكاز عضوا في الاكاديمية الفرنسية . وكان وزيرا سابقا للبحرية . وهو رجل لم يشتغل بالأدب ولم يخرج أي سفر أدبي ، ولكنه من كبار مشجعي الحركات الفكرية في بلاده ، وقد أغدق مالا وافراً على عدد من نوابغ الشعراء عصف بهم الفقر

والاميرال لاكاز مشهور بولعه الشديد باقتناء مجموعات نادرة من الكتب الشرقية ، ويقال إن في مكتبته نسخة رائعة من شعر عمر الخيام وأخرى من « الشاهنامة » . والشائع أن الأميرال يهتم الآن بوضع اول مؤلف أدبي له عن حياة الشاعر الفردوسي

فرنسا واسبانيا

يلاحظ أن الرأي العام في فرنسا منقسم كل الانقسام فيما يتعلق بالحرب الأهلية الناشبة في اسبانيا اليوم

فالبعض ينتصر للثوار والبعض الآخر للحكوميين . وهذا الانقسام يتجلى في مختلف الكتب التي تخرجها المطابع عن الحرب الاسبانية . ولقد حدث في الشهر الماضي أن ظهرت أربعة كتب تؤيد الثوار وستة تناصر سياسة حكومة مدريد . والعجيب أن الانقسام الفكري تغلغل بين طبقات الشعب وامتد الى البيوت وأصبح يهدد وحدة عدد كبير من الأسر

والواقع أن مسألة اسبانيا أصبحت في نظر الفرنسيين مثار خلاف وشقاق ، وهي توشك أن تصبح كمسألة دريفوس . ولكن الذي يلطف من غلوائها هو أن أحزاب اليسار ذات الأثر البالغ في توجيه الجماهير تميل الى مواصلة اتباع سياسة عدم التدخل والاقتداء بانجلترا

بين الهلال وقرائه

أعظم شعراء الفرس

(خليج ايران — كويت) ميرزا جعفر الحائري
من هو أعظم شعراء الأدب الفارسي ؟

(الهلال) يكاد يجمع مؤرخو الادب الفارسي على أن « الفردوسي » هو أعظم شعراء الفرس ، إذا أقام من « الشاهنامة » أدب « الملاحم » الذى تجهله سائر الآداب السامية . ولكن « عمر الخيام » طار اسمه اكثر مما طار اسم الفردوسي ، فترجمت رباعياته إلى اكثر لغات العالم ، وتهافت الناس على اقتنائها وترتيلها ، وهو يسمو بغزله الصوفي الفلسفي الى أرقى صفوف الشعراء الخالدين . على أن من نقاد الأدب من يقدم « السعدى » على الفردوسي والخيام ويرى في كتابه « جولستان » من الادب القصصي والآراء الحكيمة ما يفوق الشاهنامة والرباعيات . هذا ومن العسير في أى أدب في الآداب أن تفضل شاعراً أو ناثراً على كل من عداه في جميع النواحي ، فلكل ناحية يبرز فيها وناحية يقصر فيها

دلالة الازياء

(رياق — سوريا) ميشيل كمدى
هل تدل الأزياء على نفسية الشعوب ؟

(الهلال) اتخذت الملابس أول الامر لوقاية الجسم لفح الشمس وبرد الشتاء ، فلم تكن ذات أزياء مختلفة يدل كل منها على تفكير أو شعور معين . ثم صار الغرض منها التزين والتجمل ، فظهرت منها أزياء مختلفة تبعا لاختلاف مرتديها في التفكير والشعور . فاختلاف الازياء الآن دلالة من دلائل اختلاف الشعوب واختلاف الافراد

فلباس الرأس مثلا في الشعوب التى تعنى بالظواهر دون الحقائق هو عمامة ضخمة انتثرت فوقها قطع من المعادن البراقة ، أو قلنسوة طويلة ثبت فيها ريش ملون جميل ، ولكنه في الشعوب التى تبذل نفسها للعمل والجد تراه شيئاً بسيطا لا يكلف كثيراً ، خفيفاً لايعوق عن العمل ، نافعاً واقياً . والخرقة التى لاتستر اكثر جسد الزنجى تدل على أن صاحبها بدائى العقل فطري الخلق ، بخلاف ملابسنا الكاملة الجميلة فانها تدل على ما بلغته أفكارنا من الرقي وشعورنا من النضج . أما دلالة الازياء على نفسية الافراد فتلمسها اذا قارنت ملابس رجل الدين السوداء الفضفاضة بملابس الجندي الملتصقة بجسمه ، او اذا قدرت شعورك قبل رجل في ملابس امرأة أو امرأة في ملابس رجل

هذا وتجد في مقال الدكتور أمير بقطر في هلال ديسمبر الماضي ما يوضح لك الأمر اكثر من هذا

انتحال الشعر الجاهلي

(سامرا — العراق) صبيح أنور الاورفه لى

قال طرفة بن العبد :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي على مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وقال امرؤ القيس :

كأنى غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحى ناقف حنظل
وقوفا بها صحبي على مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتجمل

فلايهما البيت الاخير ؟ . أم هل يمكن أن تتوارد خواطر الشعراء هكذا ؟

(الهلال) لماذا خصصت هذين البيتين بالسؤال وفى الشعر الجاهلي عشرات من الابيات تنسب لهذا تارة ولذاك أخرى ؟ وهذا راجع الى أحد امرين : اما ان هذه الابيات انتحلها الرواة فى العصور

الاسلامية فيما انتحلوا من أشعار وأخبار لأسباب سياسية أو دينية أو اجتماعية ، وأضافها بعضهم لطرفة وبعضهم لامرىء القيس ، واما أنها صحيحة ولكنها اختلطت بين الشاعرين فى أثناء عدة اجيال قطعتها فى طريق الحفظ والرواية ، لا التدوين والتسجيل

وقلما تجد شاعراً جاهلياً لا تنسب كتب الادب بعض أبياته ، بل بعض قصائده ، الى شاعر جاهلى سواه . هــذا الى أن كثيرا من هذا الشعر لم يقله شعراء جاهليون وانما شعراء ظهروا بعد الاسلام ، كان دأبهم ابتكار الاخبار والاساطير وترويجها .
وقد وفى الدكتور طه حسين موضوع انتحال الشعر الجاهلى بحثا ودرسا فى كتابه القيم «فى الادب الجاهلى»

مؤلفات بعض المفكرين

(نيويورك ــ الولايات المتحدة) الياس الطويل

هل ترجمت الى العربية مؤلفات نيتشة ، وكارل ماركس ، وبول بورجيه ، وأوسكار وايلد ، وفكتور هوجو ، وأناتول فرانس ؟

(الهلال) نشر بعض آراء وبحوث هؤلاء المفكرين فى الصحف العربية الراقية ، ولكن لم يترجم من كتبهم الا النزر اليسير

فترجم الاستاذ فيلكس فارس كتاب « هكــذا قال زرادشت » لنيتشة ونشره مفرقا فى إحدى المجلات الأدبية

ولم يترجم كتاب كارل ماركس « رأس المال » .
ومن العسير على من لم يتعمق فى دراسة الاقتصــاد السياسى أن يفهم بحث ماركس فى رأس المال ، ولكن فى وسعه أن يفهم رأيه جملة بالرجوع الى ما كتب عنه فى كتابي « التوزيع » للاستاذ عبد العزيز مهنا الاستاذ بكلية التجارة بالجامعة المصرية و « التوزيع » للدكتور عبد الحكيم الرفاعى الاستاذ بكلية الحقوق بالجامعة المصرية

وترجم الاستاذ خليل مطران قصة « التلميذ » لبول بورجيه ، وترجم عنه الاستاذ سليم سعدة قصة « المريد » وقد ترجمها كذلك الاستاذ عبد المجيد نافع ترجمة ملخصة بعنوان « التلميذ »

وترجم الاستاذ نقولا يوسف كتاب De Profondis « من أعماق السجون » لاوسكار وايلد

وقد نقل المرحوم حافظ بك ابراهيم شطراً من رواية البؤساء ، فى أسلوب جزل رصين . ولكن ترجمته تنطوى على كثير من التصرف

وترجم الاستاذ احمد الصاوى محمد قصتى (تاييس) و (الزنبقة الحمراء) لأناتول فرانس . وترجمت له كذلك قصة (جريمة سلفستر بونار)

تراجم العلماء والمكتشفين

(نيويورك ــ الولايات المتحدة) ومنه

هل يوجد فى اللغة العربية كتاب مؤلف أو مترجم يتضمن تراجم العلماء والمخترعين وأهل الفن ؟

(الهلال) للاستاذ فؤاد صروف كتابا « أساطين العلم الحديث » و « فتوحات العلم الحديث » وفيهما حديث واف عن أثم العلماء وما وضعوا من نظريات وأثم المخترعين وما انتجوا من مخترعات

وكتاب « تاريخ الفنون وأشهر الصور » التى أصدرته دار الهلال منذ سنوات يلم بتراجم كثير من أهل الفن فى شتى العصور ، وذلك فى أثناء عرضــه لتاريخ الفنون وتطورها منذ العصور القديمة الى النهضة الحديثة . وللاستاذين عبد الحميد بك العبادى وإلياس جندى ملطى كتاب واف فى تاريخ الفنون وأشهر رجالها ، وهو مؤلف من جزءين « تاريخ الفنون الجميلة فى القرون الوسطى » و « تاريخ الفن الجميل من عصر النهضة الى العصر الحديث »

مجلة انجليزية

(يافا ــ فلسطين) الياس فرح المتير

أى مجلة تنصحون بقراءتها لشخص له المام متوسط باللغة الانجليزية ؟ وما هى الكتب العامة التى يستطيع بقراءتها اتقان هذه اللغة ؟

(الهلال) نرى أن تبدأ بقراءة بعض الكتب البسيطة التى تمكنك من قراءة الصحف ، ففى الانجليزية كتب تناسب المبتدئين الذين يعسر عليهم فهم أساليب المجلات . ولعلكم تنتفعون كثيرا بقراءة بعض كتب من مجموعة « Peeps at Many Lands » لبساطة أسلوبها وطرافة موضوعها . وتختار وزارة المعارف

المصرية بعض هذه الكتب للفرق الاولى من مدارسها الثانوية . وتنقلون من هذه الى كتب بعض المؤلفين الذين يتوخون بساطة الاسلوب ومنهم الكاتب المشهور «لورد افبورى» ، وبعض مؤلفاته مترجم الى العربية فيعينكم هذا على تفهم الاصل جيداً

أما الصحف فربما تستطيعون قراءة مجلة « Children Magazine » وهى والكتب السالفة تطلب من المكاتب العامة

منابع النيل

(الاسكندرية ــ مصر) حسن درويش النخيلى

ما هو مصدر مياه النيل قبل وصولها الى بلاد الحبشة ؟ وهل للنيل « فاع » كما كانوا يزعمون ؟

(الهلال) يبدأ النيل من اقليم البحيرات الاستوائية مستمدا مياهه من بحيرتى فيكتوريا وألبرت ادوارد ، ومما تستمدان الماء مما تصبه فيهما أنهار صغيرة أهمها نهر كاجيرا ، ومما يسقط عليهما من الامطار . ثم يتجمع ماء البحيرتين فى بحيرة البرت التى تبلغ مساحتها ٥٤٠٠ ك . م . وتحمل سيول الامطار ومجارى الانهار الى هذه البحيرات كميات ضخمة من الصخور ستردمها على مر الايام وتحولها سهلا منبسطا . ويخرج النيل من هذه البحيرة معروفا باسم « بحر الجبل » الذى يخترق منطقة السدود ، وهى منطقة مستنقعات تنمو فيها الاعشاب المائيـــة الكثيفة وتعيش فيها انواع من الحيوانات البحرية الضخمة . وتلتقى بالنيل هناك روافد كثيرة أهمها بحر الزراف وبحر الغزال . ثم يتجه النيل بعد ذلك شمالا معروفاً باسم النيـل الابيض الذى يلتقى عند الخرطوم بالنيـل الازرق حاملا ما يأتى به من المياه المنهمرة على هضبة الحبشة ومن الغرين الذى يحفظ خصوبة أرض مصر ويزيدها

أما « فاع النيل » فحديث خرافة سخيف

حفلات الزار

(صفد ــ فلسطين) سائل

ما هى حفلات الزار التى تقيمها بعض نساء القاهرة ؟

(الهلال) كادت تختفى هذه الحفلات التى كانت منتشرة بين النســاء الجاهلات اللاتى كن يؤمن بأن ما ينتابهن من أمراض جسمية أو نفسية انما يرجع الى حلول أرواح الشياطين فى أجسامهن . فيقمن هــذه الحفلات التى تضرب فيها الدفوف وتنشد الاناشيد فى أسلوب خاص يستهوى المريضة ويغيبها عن وعيها . ثم تسأل وهى فى اغمائها عما تريده من ثياب أو حلى أو طعام . فتجاب الى سؤلها ارضــاء لذلك الشيطان الذى « ركبها » كما يقولون

وقد تبرأ المريضة من علتها اذا كانت نتيجة أزمة نفسية أو كبت جنسى ، لأن دقات الدفوف وألحان الاناشيد تمكنها من أن تغيب عن « الوعى » فترة من الوقت يظهر فيها « اللاوعى » رغباته المكبوتة ويطالب بتحقيقها على صورة من الصور . فمثلا اذا كان مرض المرأة نتيجة اخفاقها فى الحب وكبتها عواطفها كبتاً شديداً أثر فى جهازها العصبى ، فانها فى فترة الاغماء تستطيع أن تعلن ما كتمته وتفرج عما احتبسته فى قرار نفسها ، وبذلك تبرأ من علتها

ولكن النساء اللاتى يقمن حفلات الزار يجهلن هذا ولهذا يقمنها حتى للمرضى بالجروح والكسور وينفقن فيهـا أحيانا مبالغ كبيرة اذ يدعون اليها صديقاتهن ويولمن فيها الولائم الباذخة . على انها قد زالت من اكثر الاوساط وبدأت تذهب من اوساط الطبقة الثالثة كذلك

صور كتاب الهلال

يقترح كثير من القراء أن ينشر « الهلال » صور الكتاب الذين يساهمون فى تحريره

و « الهلال » يوافق قراءه على هذا الاقتراح . فان صورة الكاتب قد تجعل القارىء اكثر فهما لروحه وادراكا لمنحاه . وقد كان الكاتب الانجليزى الكبير توماس كارليل يضع على مكتبه ونصب عينيه صورة الرجل الذى يقرأ أو يكتب عنه ، لان هذه الصورة قد تجلى له كثيراً من النواحى التى لا تبين له فى أثناء دراسة أعماله واستقراء آثاره ، وكذلك يفعل المؤرخ الكبير إميل لودفيج حين يدرس ويحلل شخصاً ما

ومع أن اكثر كتاب « الهلال » من البارزين الذين كثيراً ما تنشر صورهم فى مختلف الصحف العربية ، فانا سنعنى قريباً بنشر صور ورسوم لهم

وكلاء الهلال

فى الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
فى البرازيل		Snr. M.N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo (Brazil)
فى اللاذقية	سوريا	الخواجه مخله سكاف
فى انطاكية	سوريا	انيس افندى انطونيوس لاذقانى
فى اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قرى
فى طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندى حصنى - غرفة القراءة الامريكية
فى حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
فى الناصرة	فلسطين	موسى افندى خميس
فى بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندى طباره ٩ شارع اياس بيروت
فى دمياط		زكريا افندى الحزاوى، ناظر مدرسة الحزاوى
فى حلب	سوريا	عبد الودود افندى الكيالى صاحب المكتبة العصرية
فى مكة وجدة والحجاز		هاشم افندى على النحاس ص . ب ٩٧ مكة
فى الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
فى جاوه		Mr. Abdullah Bin Affif—Cheribon Java
فى القاهرة وضواحيها		عوض افندى فهمى

التعبير عن رأى الأمة

خير الوسائل لتحقيقه

بقلم الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري بك
عميد كلية الحقوق سابقا والقاضي بالمحاكم المختلطة

يتطلب الاخلاص الحق للافكار والمبادىء الدمقراطية دراسة خير الوسائل لانتخاب ممثلين يعبرون عن رأى الامة أصدق التعبير . وهذا الموضوع الذى يثير اهتمام الرأى العام المصرى في هذه الآونة ، ويتصل بمستقبل الحياة الدمقراطية في بلادنا هو الذي يبحثه هذا المقال بحثاً فقهياً جديداً يلائم ما بلغنا من الرقى الفكرى والاجتماعى

الدمقراطية والدكتاتورية

يتصل النظام الانتخابى اتصالا وثيقا بالحكم الدمقراطى . وتعانى الدمقراطية فى الوقت الحاضر أزمة عصيبة ، يتوجس المتشائمون من عواقبها ، حتى ذهب البعض الى أن الحكم الدمقراطى سيعلن افلاسه قريبا ، ويحل محله الحكم الدكتاتورى فى ناحية من ناحيتيه المتطرفتين : البلشفية أو الفاشية

على انه لا ينبغى أن يفل هذا التشاؤم من عزائم الانصار المخلصين للدمقراطية ، فلا يزال الحكم الدمقراطى هو خير أسلوب للحكم عرفه البشر حتى اليوم . واذا كانت للدمقراطية عيوب أحدثها تطور النظم الاقتصادية ، وانتشار سلطان المال ، فان هذه العيوب ليست موجبة لليأس ، بل إن هناك مجالا واسعا لبذل جهود منتجة فى علاج هذه العيوب

وعندى أن المعيار الصحيح للدمقراطية السليمة ليس هو فى ضمان الحرية والمساواة للافراد ، فقد علمت الناس بعد تجارب قاسية أن الحرية والمساواة أمر اذا أمكن تحقيقه من الناحية القانونية ، فهو مستحيل التحقيق من الناحية الفعلية . وليس المعيار الصحيح هو فى حكم الشعب لنفسه ، فان أفراد الشعب يستحيل عليهم عملا أن يشتركوا جميعا فى الحكم . وأرى ان الدمقراطية لا تأبى أن يحكم الشعب قادة مختارون من صفوة رجال الامة ، هم الذين يقومون

الهلال

مايو
١٩٣٨

ما يأتى : « والواقع ان فى الطبيعة الانكليزية إعراضا عن الاعتراف بمثل هذا الفن وهو فن التعامل أو اجراء الصفقات بين الدول باعتباره صنعة تليق بالسياسى البريطانى المحنك أو أنه يخول صاحبه سمعة طيبة مشرفة . فالناس ينظرون الى هذا الفن اجمالا بانه يقوم على أخلاق لا تستحب فى معاملة الناس بعضهم بعضا وانه يتخذ واسطة لاستعمال الحيلة والتوسل بها حيث تعجز القوة عن تحقيق الغاية السياسية . ويقال فى الرد على من زعم أن عظمة الدولة تقوم على قوة حيلتها فى السياسة الخارجية أن مصدر هذه العظمة من الداخل لا من الخارج ـ من حسن صحة أفرادها وتفوقهم فى الصناعة والاخلاق ومن أنظمتهم السياسية المتقنة وحكوماتهم الصالحة ، فاذا كانت هذه الامور مفقودة فمن العبث أن يقوم مقامها أى دهاء فى الشؤون الخارجية واذا هى وجدت فهذا الدهاء لا يزيد قوة الدولة التى تتسلح به شيئا » . ومن رأى العلمة البريطانية ـ وقد أملى رأيها هذا من لا يعتقد بسياسة البسطة والتوسع ـ ان لممثلى الدول القوية والشريفة وظيفة أسمى من التوسع أو العظمة فقط ، وهذه الوظيفة هى الحيلولة دون سحق الدول الضعيفة من طغيان جيرانها الاقوياء عليها ، والدفاع عن السلام العالمى مادام الدفاع عنه مشرفا ، وملاحظة العدل بين الامم ـ وكل ذلك بطريق المفاوضة المتينة الشريفة المعتدلة

ومن أقدر من حلل الاخلاق التى يجب ان يتصف بها رجال السياسة بالمعنى الصحيح، الدجال الدساس الكاتب المشهور نيقولا مكيافيللى من كتاب أواخر القرن الخامس عشر فى كتابه « الامير » ، ونحن اذا أشرنا الى هذا المروق من الأخلاق فلا نعنى أن مكيافيللى ما رق منها ، بل قد كتب ما كتب تحليلا للاخلاق التى يليق بالسياسى فى ذلك العصر ان يتصف بها ، على أنه هو القائل : خير للمرء والف خير ان ينال ثقة الشعب من أن يعتمد على الحصون . ومن ألطف ما أشار اليه الشبه القائم بين المرأة وبين الحظ ، وأن الرجل المقدام ـ لا الرجل الحذر ـ هو الذى يحصل عليهما كليهما ويحتفظ بهما

وذكر الطريقة التى يجب أن تدار بها البلاد التى كانت تتمتع بحريتها وباحكام شريعتها الخاصة قبل أن يتولى عليها الأمير الفاتح . فكأنه ذكر الطرق الاستعمارية التى تسير عليها دول أوربا من حيث المبدأ والتطبيق فى هذا العصر . قال : هنالك ثلاث طرائق أمام من يروم اخضاع هذه البلدان لأمره والاحتفاظ بها ، فالطريقة الأولى هى : أن يدك الأمير معالم هذه البلدان ويجعلها قاعا صفصفا ، والطريقة الثانية : أن يقيم بها ، والثالثة : أن يسمح لها بالتمتع بشرائعها الخاصة وان يضع عليها جزية ، ويؤسس فيها أقلية من أبنائها تكون همزة الوصل بينه وبينهم وتضمن له ولاءهم وخضوعهم

وأننا لنرى تطبيق مثل هذه القواعد في الاستعمار الأوربى فى الوقت الحاضر ، فهنالك أقطار فى الشرق حلت بها البسطة الاوربية الاستعمارية فامتصت ذهبها وأفقرتها حتى جعلتها فى حكم المريض المقعد ، واصطنعت من أبنائها نفراً نفذوا أغراضها وخدموها بكل ما أوتوا من قوة ، وثبتوا أركان سلطانها ولم يتورعوا أن يتخذوا ستاراً من الوطنية المفرطة الكاذبة لتكون كل خدمة يقدمونها

الهلال

الجزء السابع ـ السنة ٤٦

اول مايو ١٩٣٨ ـ اول ربيع الاول ١٣٥٧

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL Cairo, Egypt

(1 May 1938)

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Sudan P.T. 85. — Syria, Lebanon, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100. — Other countries P.T. 130 or £ 1-7-0 or $ 6.50.

عدد خاص

ابو العلاء المعرى

لعل أخصب الاعداد التى عني « الهلال » باصدارها ، هذا السفر الذى سيخرجه في أول الشهر القادم عن أبى العلاء المعرى ، بمناسبة انقضاء الف عام على ميلاده ، اذ يجتمع فيه نخبة الادباء والمفكرين فى الشرق العربى ، فيبحثون ما خلفه هذا الشاعر من آثار فنية باذخة يزهو بها الأدب العربى ، ويدرسون ما تركه هـذا الحكيم من تراث فلسفى غنى يعتز به الفكر الاسلامى ، ويحللون حياته الفذة التى تستدعى التأمل فى جميع نواحيها ، ويرسمون فى أثناء هذا صورة تشمل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية حينذاك

وذلك كله في مجموعة كبيرة من الدراسات المبتكرة الشائقة ، التى دبج كلا منها كاتب توافر على دراسة احدى نواحى المعرى المتعددة ، مما يجعل هذا العدد كتابا نفيساً من خير كتب النقد والتاريخ : دقة وعمقا ، وجدة وطرافة ، ووفاء وشمولا ، وبهذا يحيى « الهلال » جانبا نفيساً من الادب العربى والحكمة الاسلامية ، ويمجد ذكرى هـذا الشاعر العبقرى والفيلسوف العظيم

لها مطبوعة بالطابع القومى ومسجلة في المستندات الوطنية . قال مكيافيللى يؤيد نظريته : وكل من يصير السيد المطاع فى بلدان تعودت الحرية ولم يدك صرحها، عليه أن يوطد نفسه على الانهيار بيدها، ذلك لأن شعارها الذى تجتمع كلمتها حوله فى ابان الثورة هو الحرية والمصالح السالفة التى كانت تتمتع بها ، وهى أشياء لا تقوى على محوها الأيام ولا تستطيع المنافع بالغة ما بلغت أن تنسيها إياها . ومهما حاول المرء صرف الانظار عنها فالمغلوبون على أمرهم من الأهلين لن ينسوا ذلك الاسم ولا تلك المصالح ما لم يمزقوا ويبعثروا وتقطع أوصالهم ، ولكنهم عند كل فرصة سانحة يجمعون كلمتهم حالا كما فعلت (بيزا) بعد مرور مائة سنة قضتها فى ربقة الاستعباد الفلورنتى

ثم ان مكيافيللى قارن بين الاقطار التى يحكمها أمير من أبنائها وبين التى تتمتع بالحكم الجمهورى ، فقال عن تلك : « ان زوال أميرها مع انقراض بيته يحول دون اتفاق أهلها على أمير جديد من بينهم،وعلى ادارة أمورهم فلا يقدمون على امتشاق الحسام فى وجه الامير الفاتح فيسهل اكتسابهم والاستيلاء عليهم . واما الجمهوريات ففيها قوة حيوية أشد وبغضاء أنكر وشوق الى الانتقام أعظم ، وهذه أمور لن تنسيهم ما كانوا يتمتعون به من حرية واستقلال ، فالطريقة السليمة للتلى اذن هى إفناؤهم والقضاء عليهم ودك صروحهم أو بالاقامة بينهم »

ولا حاجة بنا بعد الآن ان ننبه أنظار القارىء الى ان اوربا قد تسلك الطريقتين فى آن واحد : قد تفقر الأهلين وتقضى عليهم من ناحية،وترسل زبانيتها وجيوشها للاقامة فيما بينهم من ناحية أخرى

وأوصي مكيافيللى الأمير الفاتح بالابتعاد عن التجديد وبعدم الانحراف عن السنة المتبعة والطريقة المألوفة خشية تألب أرباب المصالح من المحافظين عليه . وقد رأينا فى عصرنا بعض الدول الاستعمارية فى الشرق تتظاهر بالمحافظة على بعض التقاليد المحلية البالية – ولو كانت من شر ما خلفه الآباء للابناء – اكتسابا لعطف المحافظين من اصحابها وارضاء لسخافاتهم وسعيا وراء استبقائهم فى تدن وخمول . وعند مكيافيللى كما عند غيره ممن يعانون الشؤون السياسية أن القوة هى الكل فى الكل . قال : « فاذا أردنا أن نوفى موضوع القوة حقه من البحث وجب علينا ان نتساءل : أفى مقدور هؤلاء المجددين المبتدعين أن يعتمدوا على أنفسهم أم ان يعتمدوا على غيرهم ؟ يعنى إذا هم أرادوا ان يقوموا بمشروعهم التجديدى أعليهم أن يستعينوا بالأدعية والصلوات ام ان يلجأوا الى القوة والبطش ؟ فى الأولى يخفقون اخفاقا معيبا دائما فلا يعملون عملا يذكر ، وأما فى الثانية فهم إذا اعتمدوا على انفسهم واستعانوا بالقوة قلما عرضوا أنفسهم للخطر . و لا جرم ان جميع الانبياء المسلحين ظفروا والانبياء العزل اخفقوا واندثروا» ، وهذا ما يؤيد قول نابليون ان الله يلتزم فى الحروب جانب المدافع المتينة ذات القنابل الاقوى

ولم يتورع مكيافيللى عن نصح الامير بالشح وامساك اليد إذا كان فى الكرم ضياع للمال وما يؤول اليه من الفقر وزوال الهيبة – وبالظلم والبطش لحفظ النظام ، ذلك لأن الفوضى وما يتبعها



افتتاح البرلمان

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول فى قاعة البرلمان عند افتتاح دورته السابعة يوم ١٢ ابريل الماضي ، يستمع خطاب العرش يلقيه رفعة رئيس الوزراء والى يمين جلالته حضرات أصحاب السمو أعضاء البيت المالك الكريم

من قتل وسرقة واضطراب فى حبل الامن تعود بالضرر على مجموع الاهلين ، فى حين يتناول الظلم والبطش الافراد فهو والحالة هذه ذو أثر على محدود وعنده أن المثل العربى القديم (رهبوتى خير لك من رحموتى) هو المثل الصالح من الوجهة العملية التطبيقية ، وان كان ا كتساب القلوب من الوجهة النظرية خيراً من اقامة الحصون

وقصارى القول إن مكيافيللى يرى ان على الأمير الذى يطمع فى الاحتفاظ بمكانته ان يعرف كيف يتصرف فى استعمال الشر فينزله بالناس فى الساعة المناسبة ويمتنع عنه فى الساعات الاخرى . قال : « فاذا أردنا أن نضع جانبا الخيالات التى يتوهمها الناس فى الأمير وأهملنا المبالغات التى يبالغونها واقتصرنا على الواقع،وجدنا جميع الناس ولا سيا الأمراء اذا ما ذكروا يولغ فى شأنهم وفى مكانتهم وفى المقام الذى يشغلونه فى النفوس بسبب بعض السجايا التى تجلب لهم سوء السمعة من ناحية أو طيب الاحدوثة من ناحية اخرى ، وهكذا نرى الواحد من هؤلاء الامراء الخطيرين البارزين موصوفا بالكرم والآخر موصوفاً بالبخل ، والواحد صارما قاسيا والآخر سمحا ، والواحد صاحب وفاء والآخر لا عهد له ، والواحد جبانا مخنثا والآخر شجاعا مقداما ، والواحد أديبا لطيفا والآخر فظا غليظا ، والواحد شهوانيا والآخر تقيا طاهراً ،والواحد مخلصاً والآخرمحتالا ، والواحد صعبا شرسا والآخر هينا لينا ، والواحد رزينا والآخر خفيفا ، والواحد دينا والآخر كافراً ، وهلم جرا . . . وليس للامير ان يضطرب من نقد لاذع ينصب عليه أو توبيخ يصيبه على آثام ارتكبها لا مفر له منها بحيث ، لو وضعت الامور فى نصابها المعقول لوجد أن ما تبادر الى الذهن أنه فضيلة لو اتبعه الأمير لكان منه القضاء عليه فى حين لو اتبع شيئا آخر يشبه الشر لكان فيه النجاح والسلامة»

أما العهود والمواثيق فعند مكيافيللى « ان الامير العاقل ليس فى مقدوره بل ليس من الواجب عليه أن يتمسك بعهد قطعه اذا كان فى هذا التمسك شر يعود عليه ، أو اذا كانت الاسباب التى حملته على قطعه أصبحت مفقودة ... ولكن من الضرورى أن يعرف كيف يستر هذه الخليقة فى نفسه ويخفيها عن أعين المراقبين وأن يكون دعيا عظيما ومتحلا خداعا ، فالناس فى حالة من البساطة والعوز المؤقت والحاجة الملحة تجعلهم على استعداد ليكونوا دائما فريسة لمن يسعى لغشهم وخديعتهم»

هذه هى الاخلاق او المبادىء المكيافيلية . وقد يكون نيقولا مكيافيللى نفسه غير مؤمن بها كما أشرنا فى صدر مقالنا ، بل ذكرها من باب من يذكر الخديعة والألم آخذ منه مأخذه ، فيقول : ومن سوء الحظ أنها سر النجاح فى هذا العالم الفاسد ولا مفر من الالتجاء اليها . والشر كل الشر أن المجتمع السياسى الحاضر على الرغم من هذه الظواهر الدالة على ارتفاع المقاييس الاخلاقية لايزال فى السياسة الخارجية حتى فى لب الحضارة الغربية طافحا بالدجالين الذين أقلقوا السلم العام بجرائمهم وعرضوا المدنية الى الانقراض . وأما فى الشرق فالظاهر أننا لا نزال نطبق هذه المبادىء فى سياستنا الداخلية من غير ان نشعر بشىء من التبعة الملقاة على عاتقنا تجاه من نسوسهم ، وهذا دور

منحط قد نجت أوربا منه منذ زمن بعيد فقد رأينا فى بعض بلداننا الكذب الصراح والتدجيل على أنواعه بل التلبس بالجريمة والخيانة يجرى حتى على مسارح مجالس النواب ـ فى الشؤون الداخلية البحت التى تتعلق بحياة الأمة مباشرة ـ أمام العشرات والمئات من النواب المشاهدين الذين قد لا يفهمون،وان فهموا فقد لا يجرءون على التفوه بكلمة واحدة لخور عزيمتهم أو للمصالح الحقيرة التى يضمنونها بسكوتهم ، والبلاء من السكوت أنه يشجع الجانى على المضى فى جناياته فى حين أن المحاسبة الصارمة هى التى تضع الاشقياء ضمن الحدود التى لا يجوز أن يتعدوها ، ولعلنا فى المقال الآتى نأتى ببعض الشواهد البارزة على من طبقوا هذه المبادىء فى سياستهم فكان الاسم الذى تركوه فى التاريخ من بعدهم عنوان التدنى والانحطاط

عبد الرحمن شهبندر

حكم شتى

* ان أردت الاحتفاظ بكرامتك فى عين نفسك والناس ، فقم بالواجب الشاق من تلقاء نفسك وبدون استشارة أحد

هنرى فورد

* ليست العبرة فى أن تكون غنيا بل فى أن تكون نافعا ومحبوبا

روكفلر

* أبسط عمل تؤديه خير لك ألف مرة من التحسر على المجد الضائع

هنرى بوانكاريه

* ان لم تحمل السعادة فى نفسك فلن تحملها اليك الحياة

ماترلنك

* كنوز العالم بأسره لا تساوى المرأة الفاضلة المتعلمة

مثل صينى

* اذا أردت ان تحبك المرأة فاحترم نفسك واكبح عواطفك وإياك أن تشكو لها حبك بدموع كدموع الاطفال . إذ الشكوى فى نظر المرأة ضعف والحب المختلط بالدموع يبعث على الضجر ويدل على الهزيمة

فاغيه

تجارب جديدة فى التربية

للناس فيما يدرسون مذاهب

بقلم الدكتور أمير بقطر

يرى رجال التربية الحديثة أن للمدرسة مهمة أسمى من مهمة التعليم ، فى وسع التلميذ أن يتثقف بمطالعة الكتب وهو فى داره . فمهمتها الاولى أن تهيىء التلميذ للحياة الاجتماعية المتشعبة المعقدة ، أى أن تؤدى الخدمة التى يتطلبها المجتمع فى حدود اللباقة والحكمة ، كما ترى فى هذه المدارس الجديدة التى أنشئت حديثا فى أوربا وأمريكا لاجراء تجارب مبتكرة فى التربية والتعليم

تجانس التعليم المركزى

فى البلدان التى تشتد فيها وطأة المركزية وتستحكم حلقاتها ، كمصر واليابان وفرنسا الى حدما ، نرى التجانس فى كل مرحلة من مراحل التعليم ممثلا فى كلياته وجزئياته ، فى كل كبيرة وصغيرة . فكل مدرسة ابتدائية فى طول البلاد وعرضها نموذج لكل مدرسة ابتدائية سواها ، وكل معهد ثانوى ، أو صناعى ، أو تجارى ، أو زراعى فى أى اقليم من الأقاليم ، صورة طبق الاصل لمثله ، نوعا ومرحلة ، فى غيره من الاقاليم . وكل منهاج تسير بمقتضاه الدراسة فى سنة دراسية معلومة أو فى مرحلة معلومة ، هو هو عين المنهاج الذى تسير بمقتضاه الدراسة فى كل سنة تماثلها نوعا ومرحلة . وما يقال عن المنهاج يقال عن أساليب التعليم ، ونواحى النشاط ، وطرق الادارة ، والنظام العام ، والفلسفة والمبادىء والأغراض التى شيدت على أسسها كل من هذه المعاهد

بيد أنه حتى فى البلدان التى تبلغ فيها المركزية أقصى حدها ، توجد مدارس خصوصية ، غير المدارس العامة (الحكومية) تتنوع فيها أنظمة التعليم تنوعا يسد الحاجات التى تعجز المدارس العامة عن القيام بها . ففى اليابان مثلا تدخل السنة الأولى من مدرسة ثانوية ، فتجد أربعين طالبا ، وكما وصفهم شاهد عيان من كبار رجال التربية ، كأنهم صبوا جميعا فى قالب واحد ، زيا ، وعمراً ، وقامة ، وملامح ، وشعراً . فاذا انتقلت من هناك الى السنة الأولى من معهد آخر ثانوى ، خيل اليك أن الأربعين طالبا الذين أمامك هم عين أولئك الذين تركتهم منذ برهة . بيد أنك اذا توجهت الى معهد آخر خصوصى فى المدينة عينها ، شاقك ما تراه من مظاهر التباين والتنوع ، وخيل اليك أنك فى مملكة أخرى غير اليابان . ويكاد يكون الحال كذلك فى فرنسا . أما فى مصر ، فاننا إذا استثنينا عدداً قليلا من المعاهد الأجنبية ، استطعنا ان نقول إن التعليم ، فى جميع مظاهره ، يسرى

فى جميع معاهد التعليم ، فى مراحله المتعددة ، على وتيرة واحدة ، ونمط واحد . وكأن رءوس أبنائنا تصلح كلها لطرابيش من زى واحد ، وقياس واحد ، وكأن أقدام بناتنا كلها تصلح لها أحذية من زى واحد ، وقياس واحد

ولعل أساس المبالغة فى مراعاة التجانس فى معاهد التعليم هو الجهل بمبادىء الفروق الفردية ، واختلاف الصغار والكبار فى مقادير ذكائهم ، وميولهم واستعداداتهم . وفى تباينهم فى القامة ، والوزن ، والملامح ، والشعر ، ولون العيون . ومعرفة هذه الفروق ، والاعتراف والعناية بها ، كلها مسائل حديثة ، لم تنتشر انتشاراً يعول عليه الا منذ ربع قرن أو اقل ، وهى لا تزال مجهولة فى كثير من أنحاء العالم الى اليوم

ولست أريد أن أصدع رءوس القراء بتفاصيل لا طائل تحتها فى البيداجوجيا ، والتجارب السيكولوجية ، التى قضت على الكثير من أنظمة التعليم البائدة ، وأدخلت من الانظمة الحديثة ما يهيىء الفرصة لكل طفل أن يلبس اللباس العلمى الذى يلائمه ، زيا ، ونوعا ، ومقداراً . لأننى أعتقد أن مثل هذه الموضوعات الفنية خاصة بالمشتغلين بالتربية ، ومكانها مجلات التربية دون سواها . بيد أنى اسرد للقارىء العزيز شيئا عن معاهد التعليم الحديثة فى أوربا واميركا ـ تلك المعاهد التى لم ينشئها القائمون بأمرها الا قياما بحاجات الافراد والجماعات ، وتوفيراً لشتى النواحى التعليمية التى تناسب كلا ، على قدر ماله من الكفاية والميل والاستعداد

شعب زنجى مستقل

من أبدع ما رأيت من هذه المعاهد ، تلك التى تنشأ بمثابة وحدة اجتماعية كاملة ، يقوم الطلبة فيها بما على الأفراد من واجبات وبما عليهم من حقوق على المجتمع ، ومن أمثالها معهد همبتون فى ولاية فرجينيا باميركا . ومن الغريب أن جميع طلبته من الزنوج . اما اساتذته فيكونون من البيض أو السود على السواء . تبلغ مساحته الف وخمسمائة فدان ، وعدد مبانيه مئة وخمسين . بيد أن المعهد بدأ بناء واحدا ، وزيدت الأبنية الأخرى تدريجيا حسب الحاجة اليها . ومن العجيب أن نعلم ان جميع هذه البنايات عدا الاولى ، قد بناها الطلبة بأنفسهم ، اذ أن مبدأ هـذا المعهد أن يكون وحدة اجتماعية مستقلة فى كل شىء . فلا يوجد فيه بناء أو نجار ، ولا يدخله حائك ، أو مهندس ، أو حلاق ، أو خادم ، أو زارع ، او طاه ، إذ أن جميع الحرف والصناعات ممثلة فى الطلبة البالغ عددهم أربعة آلاف نصفهم من الاناث . ويحرث الطلبة الذكور الارض ويزرعونها ، ويربون الماشية ، ويغرسون الأشجار والزهور ، ويجمعون الغلة ويطحنونها ويخبزونها ، وتقوم الطالبات بحلب البقر وصناعة الالبان ، وطهى الطعام ، وغسل الثياب ، ويتناوب الطلبة جميعهم كنس الدور وتنظيفها ، واعداد غرف النوم ، والخدمة على المائدة . ويتولى البعض العزف على

الآلات الموسيقية والغناء ، ويخصص البعض لتفصيل الثياب ، والآخر لاصلاح السيارات وقيادتها من بناء الى بناء . وبالجملة فان هذا المعهد يكفي نفسه بنفسه ، ولا يكاد يحتاج ذووه الى شيء من الخارج . ومن الغريب أن الطلبة الذكور يرتدون الملابس الحربية ، ويحملون البنادق ، ويركبون الخيل ، ويتقنون السباحة والرماية . ويتلاقى البنون والبنات معا في المواد الثقافية ، ويفترقون في المواد الصناعية والزراعية والتجارية . ثم يجتمعون على المائدة ، ويفترقون أخيراً في عنابر النوم . ويعطى للجان الطلبة في هذا المعهد نصيبا وافرا في الادارة ، والتأديب ، وحفظ النظام ، والسياسة العامة

وحدات اجتماعية كاملة

وتوجد صورة مصغرة لهذا المعهد في عدة مدارس حديثة في انجلترا ، كما يوجد ما يشبهه ، أو يفوقه في أنحاء أخرى من ولايات امريكا المتحدة . ومن المعاهد المعروفة في انجلترا من هذا النوع المدرسة الفريدة التي يديرها برتراند رسل ، الفيلسوف والرياضي الانجليزي المشهور ، بالاشتراك مع زوجه الفاضلة ، وقد أنشئت سنة ١٩٢٧ . والذي يسترعي الأنظار في هذا المعهد أنه يقبل الاطفال ، ذكورا واناثا في أعمار تتفاوت بين الثانية فقط ، والثامنة عشرة . والمدهش فيه أيضا أنه يختلف عن معهد همبتون السالف ذكره بأن الابنية المخصصة للنوم ، يؤمها الذكور والاناث مختلطين . ومع ذلك قد مر على هذه المدرسة أكثر من عشر سنوات ، ولم يسمع عنها ما يخل بالآداب ، أو ما يشتم منه رائحة كريهة . ويوجد في انجلترا مدارس كثيرة مثل هذه المدرسة التي يديرها الفيلسوف واسمها « يكون هل » (١)

ومن المعاهد البديعة التي أتيح لي مشاهدتها في فرنسا ، والتي تقوم على مبدأ الأسرة ، أو الوحدة الاجتماعية ، هي مدرسة دى روش ، وتبعد بضع ساعات من باريس(٢) . وليس هذا المعهد جديداً ، إذ أنه تأسس سنة ١٨٩٠ أثر ظهور مؤلف جليل عنوانه « سر تقدم الانجليز السكونيين » (٣) للكاتب دى مولان . ويعرف قراء العربية أن هذا الكتاب قد نقله الى العربية المرحوم احمد فتحي زغلول باشا . ويعد هذا المعهد طلبته لنيل البكالوريا الفرنسية . ولكنه يعنى عناية تامة بالصناعات والأعمال اليدوية والسباحة والفنون الجميلة واللغات الأجنبية . ومما يذكر في هذا الصدد أن الطالب لا تمنح له الشهادة قبل أن يقضي ستة شهور في البلد الاجنبي الذي يتعلم لغته . فاذا كانت اللغة الاجنبية التي اختارها هي الانجليزية فعليه أن يقضي ستة شهور في أسرة انجليزية في انجلترا تحت اشراف أحد الاساتذة بشرط الا يكون معه طالب آخر فرنسي ، حتى لايتاح له

(١) انظر وصف عدد من هذه المدارس في Modern School Handbook,(1934)

(٢) École des Roches, Verneuil, Avre, Eure.

(٣) A quoi tient la superiorité des Anglo-Saxons.

التكلم بغير الانجليزية . وهكذا الحال إذا تغير الالمانية او الفرنسية . ويعيش الطلبة جماعات فى منازل المهد ، ويصحب كل جماعة منهم معلم وأفراد أسرته ، او معلمة . ولما كان التعليم فى هـذا المعهد مختلطا فان الأساتذة كذلك من الذكور والأناث ، ويعيش الجميع كأسرة واحدة . غير أن هـذا المعهد ارستقراطى لأن الطالب يدفع فى العام بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ جنيه بالعملة المصرية

دراسة لا منهاج لها

وشاهدت فى ضاحية من ضواحى بروكسل ، عاصمة بلجيكا مدرسة دكرولى الشهيرة ، لمؤسسها الطبيب الذكر ، دكتور اوفيد دكرولى . ويطلق عليها اليوم اسم (Ecole l'Hermitage) ولا يوجد لهذا المعهد منهاج خاص كالمألوف فى مدارسنا . لأن التلاميذ يناط بهم درس وحدة عامة تكون نواة لنشاط بيئتهم (Centre d'Intérêt) وهذه الوحدة موضوع عام كالطفل والجماعة ، والطفل والكون ، والطفل وعالم النبات . ويتفرع من هذه الوحدات موضوعات صغيرة يلجأون الى بحثها ودرسها كلما دعت الحاجة . ولا يستطيع من ألف المدارس المعروفة لدينا ان يفهم كنه هذا المعهد . اذ أنك تجد فرقة الدراسة كالمصنع . وكل طالب يؤدى فيه عملا ، وتجد المعلمة أوالمعلم ـ والتعليم هنا مختلط أيضا ـ يلبس معطفا ابيض كمعطف العمال . واذا ما رأيت التلاميذ يمرحون فى أرض الحديقة خيل اليك انهم يلعبون ، واذا ما رأيتهم يربون الحيوانات ، ويداعبون الطيور خيل اليك انهم يلهون ، واذا ما شاهدتهم فى حجر الدراسة يتزاحمون حول النماذج ، ويشتغلون فى جو واسع من الحرية ، ويتحدث بعضهم الى بعض فى غير كلفة ، ويرسمون بالألوان الصور الرمزية على الحوائط ، ويلصقون بجانب ما يدونون فى كراساتهم قصاصات وصورا من المجلات والصحف ، وقطعا صغيرة من الاصواف والأقطان ، وغيرها من المواد الخام ـ إذا ما رأيت ذلك كله خيل اليك ان طلبة هذا المعهد ومعلميه هازلون أكثر منهم جادون ، والى اللعب أقرب منهم الى العمل

ومن الغريب فى هذا المعهد ان كل معلم يلزم ان يكون ماهراً فى الطباعة ، وان كل طالب يجب ان يتعلم الطباعة وبواسطتها تطبع موضوعاتهم الانشائية وأعمالهم المدرسية . ومع أن الطلبة من بيوتات راقية فانهم داخل المدرسة كالعمال فى أزيائهم ، ولا يدفعون الا مصروفات قليلة سنويا تتراوح بين ١٣ و ١٨ جنيها مصريا

ومع بعدهم عن المنهج الدراسى الحكومى ، فان الثقة فى هـذا المعهد بالغة حدها ، حتى أن الحكومة والجامعات البلجيكية تعفى خريجها من نيل شهادة البكالوريا البلجيكية استعدادا للالتحاق بالدراسة العليا

ومما لا يختلف كثيراً عن هذا المعهد مدرسة لنكولن فى نيويورك ، التى لا يوجد بها منهاج ،

والتدريس فيها مبنى على تجارب مستمرة يدور دولابها طيلة العام الدراسى . ومن العجيب ان هذه المدرسة تشترط على طلبتها انها لا تضمن نجاحهم فى امتحانات الدخول لكليات أميركا وجامعاتها ، نظراً للتفاوت بين العلم فيها والمدارس الأخرى ، ومع ذلك يستعد طلبتها لامتحانات الدخول من تلقاء أنفسهم وينجحون ، ورغم أنها مدرسة تجريبية وان المصروفات المدرسية تبلغ نحو ١٥٠٠ جنيه مصرى فى العام فانها لا تقبل الا ثلث ما ينهال عليها من الطلبات

حرية مطلقة للفتيات

ومن الكليات التجريبية الغريبة فى بابها كلية ساره لورنس باميركا . هذه الكلية لبنات الطبقة الارستقراطية اللاتى يرغبن أن تكون الكلية صورة مصغرة من العالم الخارجى ، ففيها تجد الحرية بكل ما فيها من تطرف ظاهر ، وإسراف واضح ، تمثلين تمثيلا كاملا ، فللطالبة أن تبيت خارج الكلية اذا شاءت بشرط أن تكون هى المسئولة عما يترتب على ذلك من النتائج . ومنهاج هذه الكلية يشمل مجموعة وافرة من الفنون الجميلة . وركوب الخيل والسباحة والرقص ولعب الشيش ، والحياة الاجتماعية بما فيها من حفلات ومآدب وولائم وأزياء صباحية ومسائية الخ . وبالاختصار فانى بعد أن قضيت فيها اليوم الأول خلت أنى فى قصر منيف لأحد أرباب الملايين . ولما شاهدت الفتيات يملأن قاعة التدخين برائحة التبغ ودخانه الأزرق المنعقد فوق الرءوس ، سألتهن اذا كان منهن من لا تدخن ، فكان الجواب « لايوجد هنا مثل هذا الحيوان » . بيد أنى أيقنت بعد مدة قضيتها هناك ان اخلاق أولئك الفتيات رغم هذه الحياة الصاخبة ، لاتقل قوة عن أخلاق سواهن ، والدليل على مزايا تلك الكلية أن الاقبال عليها من جميع الولايات شديد جداً ، ولا سبيل الى قبول أكثر من ربع الطلبات التى تتقدم اليها . والمبدأ الفلسفى الذى تقوم عليه هذه الكلية هو أنها خادمة شطر خاص من المجتمع ، وتسد حاجة فتيات من طبقة خاصة

ولما كان للناس فيما يتعلمون مذاهب ، فان المدارس الخصوصية هى التى توجه سياستها قياما بحاجات أولئك الناس

مدارس للعرى والرقص

ولقد اتفق مرة أن قبض رجال الشرطة فى اميركا على ناظر مدرسة فى نيويورك ، لأنهم شاهدوا من خلال النوافذ الاطفال عراة . غير أن التحقيق أظهر أن هذه المدرسة ليست جديدة وانها انشئت بناء على طلب عدد كبير من الافراد الذين يعتقدون أن بقاء أطفالهم عراة فى حجر الدراسة قبيل سن البلوغ ، أدعى لصحة الابدان ، وسلامة الوجدان ، ورشاقة الأجسام ، وحسن الخلق . وقد اطلق سراح الناظر لأنه اتضح أن مبادىء مدرسته قويمة ، ونيته حسنة . ولا يخفى

أنه توجد مدارس من هذا القبيل فى سويسرا والمانيا (قبل النازى) ، غير أن الاطفال لا يجردون أنفسهم من الثياب إلا فى خلال الالعاب الرياضية

وتوجد فى جميع أوروبا مدارس كثيرة تعنى بنوع واحد من الرياضة فوق كل شيء آخر ، وهو الرقص التوقيعى الذى يسمونه Eurythmics على طريقة دلكروز المشهورة . ولو وجدت مثل هذه المدارس فى الأوساط التى لم تألفها ، لرمى ذووها بالجنون والشذوذ

ولا يتسع المقام للتحدث عن المدارس التى يبدأ التلاميذ فيها تعلم الكتابة على الآلة الكاتبة قبل أن يتعلموها بالقلم ، أو المدارس التى لايقبل فيها إلا مايقرب رقم ذكائهم من رقم « العباقرة » ، والتى يتعلم فيها الاطفال ضعف ما يتعلم غيرهم من العاديين كمية ، وصعوبة ، والمدارس التى لا يقبل فيها إلا من هم دون المتوسط فى الذكاء ، وما يتلقونه من الدروس والصناعات التى تلائم استعدادهم

وكنت أريد أن أكتب كلمة عن التجربة التعليمية العظيمة التى قامت بها صديقتنا الفاضلة الدكتورة مجرو ، والتى استطاعت بواسطتها أن تعلم الاطفال التزلق على الجليد Skating قبل بلوغ السنتين من سنهم والسباحة قبل السنة الاولى من أعمارهم

ولا يوجد سوى مغزى واحد لهذه التجارب وهو أن المدرسة خادمة الاجتماع ، وما عليها إلا أن تؤدى الخدمة التى يتطلبها هذا المجتمع فى حدود اللياقة والحكمة والعلم الحديث

أمير بقطر

كلمات مختارة

* مهما حاولت فلن تظفر من المرأة التى تحبها بغير الجسد الفانى والجمال المادى السريع الزوال ، فاتجه بالحب دائماً نحو الفكر والروح وهكذا تحتفظ من حبيبتك بالجمال المعنوى الباقى حتى ولو خدعتك

أمرسون

* لا يطلب منك ان تكون عبقرياً اذ العبقرية موهبة نادرة . وكل ما يطلب منك ان تكون نابغاً . والنبوغ فى متناول الجميع لأنه ينهض على قوة الخلق ، اى على العمل المتواصل فى صبر وجلد وتضحية

موليير

* الرحمة من فضائل الآلهة ولذلك يجب ان يتخذها الانسان مثلا أعلى

أناتول فرانس

موقعة أبي قير البحرية

حيث قضى الاسطول الانجليزى على الاسطول الفرنسى

بقلم حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون

هذا بحث تاريخي نفيس للامير الجليل عمر طوسون ، عن معركة أبي قير البحرية ، التي تركت أثراً خطيراً في تاريخ مصر الحديث ، ووطدت دعائم سيادة انجلترا البحرية ، وقضت على أطماع نابليون الواسعة في الشرق ، ووجهته الى تحقيقها في ميادين أوربا — ينشر اليوم بمناسبة اعتزام احدى الشركات أن تستخرج بقايا الاسطول الفرنسي التي استقرت في البحر عند ساحل الاسكندرية . وقد تفضل الامير الجليل كذلك ببعض الصور التاريخية النادرة لهذه المعركة وقوادها واساطيلها يراها القارىء في الصفحات التالية

حركات الاسطول الانكليزى

اتصل بالحكومة الانكليزية فى ١٢ مايو سنة ١٧٩٨ م خبر سفر الجنرال بونابرت فى ٤ من الشهر المذكور الى طولون حيث حشد جيشاً وأسطولا ، فساورتها الظنون ورجح فى رأيها ان هذه القوة ما حشدت الا لكى تذهب لاحتلال موضع ما فى البحر الابيض المتوسط ، ولهذا بعثت بعشر سفن حربية للاميرال نلسن الذى كان وقتئذ يجول فى ذلك البحر بقسم صغير من السفن مؤلف من ثلاث سفن حربية ، وأمرته ان يقاتل هذه الحملة أينما وجدها ويحول دون وصولها الى غرضها

وحالما وصل الأميرال نلسن هذا المدد أبحر الى طولون فوصل تجاهها فى ١٢ يونيه سنة ١٧٩٨ م ، وهناك علم ان الاسطول الفرنسى سافر منها فى ١٩ مايو ولم يستطع معرفة الوجهة التى ذهب اليها ، فوجه أسطوله شطر نابولى فوصل اليها فى ١٨ يونيه ، وعلم فى هذه الفرصة ان الجيش الفرنسى كان يقوم بحصار مالطة ، وفى الحال ولى وجهه شطر مسينا ، وفى هذا الثغر أخبر ان الجيش الفرنسى بعد ان استولى على مالطة سافر منها مع أسطوله متجها الى الشرق ، وعندئذ ظن الاميرال نلسن انه لابد ان يكون قد ولى وجهه شطر مصر ، وعلى هذا مر من مضيق مسينا

فى ٢٢ يونيـه ، وقصد ثغر الاسكندرية وسار بسرعة تفوق سرعة الاسطول الفرنسى وسفن المؤن والذخائر التى كان يقوم بحراستها ، فبلغه فى ٢٨ من نفس هذا الشهر

وشاءت المقادير ان يمر الاميرال نلسن بأسطوله فى برهة من البرهات على مقربة من الاسطول الفرنسى دون ان يراه ، ولولا ذلك لعاجله بالهجوم وقاتله وشتت شمله قبل أن يحتل مصر

ولم يستطع نلسن ان يحصل على أية معلومات من ثغر الاسكندرية لان الأسطول الفرنسى لم يصل اليها الا فى أول يوليه أعنى بعد وصول الأسطول الانكليزى بثلاثة أيام

وعاود نلسن السير موليا وجهه شطر الاسكندرونة أولا ، ثم نحو الدردنيل ، فدخل البحر الادرياتيكى ، وفى ١٨ يوليه ألقى مراسى أسطوله فى سرياقوسة وفى صقلية ليتمون بما يكفيه من الماء ، وبعد ذلك سافر فى ٢٤ يوليه الى قورون من بلاد المورة ، وفيها استعلم من سفينـة يونانية كانت عائدة من الثغر الاسكندرى ، فقيـل له انه بعد قدومه الى ذلك الثغر بثلاثة أيام قدم اليه أسطول فرنسى وأنزل اليه جيشاً عرمرما بتاريخ ٢ يوليه واستولى على المدينة ثم زحف بعد ذلك الى القاهرة ، وان هذا الاسطول ملق مراسيه أمام الميناء الغربى . وحالما وقف الاميرال نلسن على هذا الخبر وجه أسطوله شطر شواطىء مصر فبلغها فى أول أغسطس سنة ١٧٩٨ م

حركات الاسطول الفرنسى

ولدى قيام الجنرال بونابرت الى القاهرة أوصى الاميرال برويس « Bruoys » الذى كان يقوم بقيادة الاسطول الفرنسى ان يتخذ لاسطوله ملجأ فى الميناء الغربى . ولـكن كان من رأى هذا القائد الذهاب الى خليج أبى قير والقاء مراسى الاسطول فيه ، الا انه تخلصاً من احتمال أعباء المسئولية على عاتقه كلف ضابطا من ضباط البحرية ان يقوم بسبر غور المـاء فى الممرات لـكى يتحقق مما اذا كان فى الاستطاعة الدخول فى البوغاز بدون ان تتعرض السفن للاخطار

وقدم هذا الضابط تقريراً عن مهمته خلاصته انه وان كان عمق الماء فى الممرات لا يؤدى كل الضمانات المرجوة الا انه فى الاستطاعة مع ذلك ادخال السفن باتخـاذ بعض الاحتياطات

ولما كان الاميرال بروبس لم يزل على رأيه فى الذهاب الى أبى قير والقاء المراسى فيه ، أبدى انه من اللازم عرض الحالة على الجنرال بونابرت قبل مباشرة أى عمل من الأعمال، وعلى ذلك بعث اليه بتقرير الضابط وذهب الى أبى قير وألقى مراسى أسطوله

وعند ما وصل هذا الخبر الى الجنرال بونابرت اغتم وتكدر ، وأرسل على الفور من القاهرة الكابتن جوليان أحد ياورانه وأذنه ان يركب السفينة الاميرالية المسماة اوريان (الشرق) ، وان لا يبارحها قبل ان يرى بعينى رأسه الأسطول بقضه وقضيضه ألقى مراسيه فى الميناء الغربى

وسافر الكابتن جوليان فى التو والساعة غير انه لم يصل الى أبى قير لأن المركب الذى استقله أغار عليه المصريون قرب قرية علقام (مركز كوم حمادة من أعمال مديرية البحيرة) ، وقتلوا الكابتن جوليان . وحتى على فرض ان هذه الواقعة لم تحدث فما كان فى استطاعة جوليان ان يصل فى الوقت الملائم بل كان يصل فى اليوم التالى لحصول الكارثة التى حلت بالأسطول الفرنسى

وقد كان الأميرال بروبس يعتقد ان أسطوله فى موقع حريز لا مطمع فيه لحصانته ، وانه مع تولية وجهه شطر الجزيرة التى كان قد وضع عليها مدفعان وخمسون جنديا كان متحققا الى حد بعيد من ان الأسطول الانكليزى لا يستطيع ان يخاطر بالمرور بين الجزيرة و بين سفينته الأولى . غير انه كان مخدوعا فى تقريره هذا لأن ذلك هو ما حدث فعلا

وكان أيضاً من الأمور التى ينبغى الوقوف عليها كذلك معرفة ما اذا كان فى حالة ظهور الأسطول الانكليزى تدور رحى الحرب وسفن الأسطول الفرنسى رامية مراسيها أم وهى ناشرة أشرعتها . ثم تقرر الرأى الأول

القتال

ولاح الاسطول الانكليزى فى أفق أبى قير فى أول اغسطس سنة ١٨٩٧ م حول الساعة ٢٫٥ بعد الزوال ، ولما كانت نيران الحرب لا يمكن أن تبتدىء فى الاشتعال الا بين الساعة الخامسة والسادسة بعد الظهر ، كان الرأى العام السائد فى الأسطول الفرنسى ان الحرب لابد أن تنشب فى الغد لا سيا ان الأسطول الانكليزى كان أقل عدداً من الأسطول الفرنسى . ولكن هذا الرأى الأخير لم يتحقق وابتدأ القتال فى الحال

وفى الوقت الذى وصل فيه الاسطول الانكليزى أمام الاسطول الفرنسى انقسم الى قسمين بعكس ما كان يتوقعه الاميرال الفرنسى . ومر قسم منهما بين الجزيرة والسفينة الأولى والقسم الثانى اقترب من الأسطول الفرنسى من ناحية البحر لكى يقع قسم الاسطول الفرنسى الذى فى المقدمة بين نارين . وبما ان السفن الفرنسية الخمس التى كانت فى مؤخرة الخط لم تشترك فى الحرب ، فقد صارت قوة الاسطول الانكليزى مع قلة عدد سفنه عن عدد سفن الاسطول الفرنسى أكثر من ضعفى هذا الأخير ، لان كل سفينة فرنسية أمست بين سفينتين انكليزيتين

وقد حدث ان شحطت السفينة الانكليزية الاولى التى مرت بين الجزيرة وأول سفينه فرنسية وهى المسماة « كولودان Culloden » ولم تتمكن من الاشتراك فى القتال ، وهذا ما أدى الى زيادة عدد السفن الانكليزية ، ولكن السفن الاخرى مرت

وذكر ياتس Yates السائح الانكليزي فى مؤلفه « تاريخ مصر الحديث والحالة فيها » ج ١ ص ٦١ « The modern History and Condition of Egypt » أن الذى قام بارشاد الاسطول الانكليزى فى خليج أبي قير صياد اسكندرى يسمى مصطفى حامد . وان هذا الرجل فقد اصبعه فى أثناء الموقعة ، وان الحكومة الانكليزية رتبت له معاشاً يتمتع به طالما كان على قيد الحياة ، وان السائح المذكور عند ما قدم الى الاسكندرية فى سنة ١٨٤٢ م كان مصطفى حامد لم يزل حياً يرزق

وابتدأ القتال بين الساعة الخامسة والسادسة واستمر الى ظهر اليوم التالى . فاشتعلت النيران فى سفينة الاميرال الفرنسية المسماة « لوريان ـ الشرق » وكان عليها ١٢٠ مدفعا ، ونسفت فى الساعة العاشرة مساء وسمع لانفجارها دوى هائل يصم الآذان . ووقفت الحرب نصف ساعة ثم عادت سيرتها الاولى وانتهت بتدمير الاسطول الفرنسى تدميراً تاما غير ان السفن الخمس التى كانت فى المؤخرة خلف الخط هى التى أقلعت فى الغد قبيل الظهر

ولقد كان من المحتمل ان تتغير نتيجة الحرب لو أن هذه السفن الخمس اشتركت فى القتال

وكان الاسطول الفرنسى مؤلفا من ١٩ قطعة تحمل ١٢١٨ مدفعا ، بينما كان الاسطول الانكليزى مكونا من ١٤ قطعة عليها ٩٥٢ مدفعاً

عمر طوسون

التعبير عن رأى الأمة

٢ – وجوب تعديل نظام مجلس الشيوخ

بقلم الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى بك

عميد كلية الحقوق سابقا والقاضى بالمحاكم المختلطة

نشرنا فى العدد الماضى رأى الدكتور السنهورى بك فى أفضل الوسائل للتعبير عن رأى الامة ، وقد تناول مشكلة اختيار ممثلى الأمة فى مجلس النواب . ثم عرض فى هذا المقال لنظام مجلس الشيوخ ووجوب تعديله بحيث يلائم ظروفنا الاجتماعية ومدى تطورنا السياسى والثقافى

مجلس الشيوخ ، أو المجلس الأعلى ، موجود فى الغالبية العظمى من النظم البرلمانية فى العالم ، لا يكاد يخلو منه نظام برلمانى . ويقصد من وجوده أن يكون سياجا يقوم دون اندفاع مجلس النواب وتطرفه ، فيزن من خطواته ، ويخفف من حدته . ولذلك يلاحظ عادة فى اختيار أعضاء مجلس الشيوخ أن يكونوا أكبر سنا من أعضاء مجلس النواب ، وأوفر حلما

وإذا كان وجود مجلس أعلى في النظم البرلمانية مفيداً ، فهو فى مصر ضرورى . فقد رأينا أن الجمهور فى مصر غير متعلم ، وانه لم يتوافر على النضوج السياسي الكافى . فاذا كان هذا الجمهور هو الذى ستكون له الكلمة الغالبة فى اختيار أعضاء مجلس النواب ، بفضل مبدأ الاقتراع المباشر الذى لا نرى العدول عنه ، فلا بد اذن من وجود مجلس آخر الى جانب مجلس النواب ، يلاحظ فى تكوينه تدارك ما عسى أن يقع من النقص من وراء جعل اختيار النواب فى يد جمهور الأمة . فأمر اختيار الشيوخ يجب ان يكون موكولا الى الخاصة الذين يستطيعون أن يقدروا مسئولية الحكم وتبعاته ، ويجب أن يكون هؤلاء الشيوخ هم الممثلون للكفايات الفنية وللرأى العام الناضج المتعلم

فلننظر الآن على أى الاسس قام النظام الحالى لمجلس الشيوخ

يقوم هذا النظام على أسس ثلاثة :

(١) يشترط فى عضو مجلس الشيوخ أن يكون من احدى الطبقات الآتية :

أولا – الوزراء ، الممثلين السياسيين ، رؤساء مجلس النواب ، وكلاء الوزارات ، رؤساء ومستشارى محكمة الاستئناف أو أية محكمة أخرى من درجتها أو أعلى منها ، النواب العموميين ،

موقعة
أبي قير البحرية

مجموعة من الصور التاريخية النادرة عن موقعة أبي قير البحرية ، التي شرح احداثها صاحب السمو الامير عمر طوسون في مقاله القيم صفحة ٧٣٢



بونابرت

في زي مملوك شرقي ، أيام الحملة التي جردها على مصر ، والتي كان من أهم أسباب اخفاقه فيها ، تحطيم أسطوله في معركة أبي قير البحرية



نلسون

قائد الأسطول الانجليزي ، الذي حطم الأسطول الفرنسي في معركة أبي قير البحرية ، ووطد لانجلترا دعائم سيادتها على البحار

نقباء المحامين ، موظفى الحكومة من درجة مدير عام فصاعداً سواء فى ذلك الحاليون والسابقون

ثانيا – كبار العلماء والرؤساء الروحيين ، كبار الضباط المتقاعدين من رتبة لواء فصاعدا ، النواب الذين قضوا مدتين فى النيابة ، الملاك الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن مائة وخمسين جنيها مصريا فى العام ، من لا يقل دخلهم السنوى عن ألف وخمسمائة جنيه من المشتغلين بالأعمال المالية أو التجارية أو الصناعية أو بالمهن الحرة

(ب) يؤلف مجلس الشيوخ من عدد من الأعضاء ، يعين الملك خمسيهم ، وينتخب الثلاثة الأخماس الباقون بالاقتراع العام على مقتضى أحكام قانون الانتخاب

(ج) ينتخب الناخبون فى كل دائرة من دوائر الانتخاب عضوا واحداً لمجلس الشيوخ

ونحن نرى أن هذه الأسس فى أشد الحاجة الى التعديل ، لا سيا ما يحدد منها على سبيل الحصر ، الطبقات التى يكون منها أعضاء مجلس الشيوخ . فهذه الطبقات تكاد لا تعدو كبار الموظفين وكبار الأغنياء

ونرى أن يعاد النظر فى نظام مجلس الشيوخ . ونقترح أن يقوم هذا النظام على أسس جديدة نلخصها فيما يأتى :

أولا – يلاحظ فى تكوين مجلس الشيوخ أن يكون أعضاؤه ممثلين للكفايات الفنية فى البلاد ، وينبغى أن يمثل مجلس الشيوخ الى جانب ذلك الجمهور المتعلم وأصحاب المصالح ، حتى يكون هذا المجلس مكملا لمجلس النواب الذى يمثل رأى الجمهور وعامة الشعب

ثانيا – يبقى مجلس الشيوخ كما هو الآن : ثلاثة أخماس أعضائه منتخبون والخمسان معينون

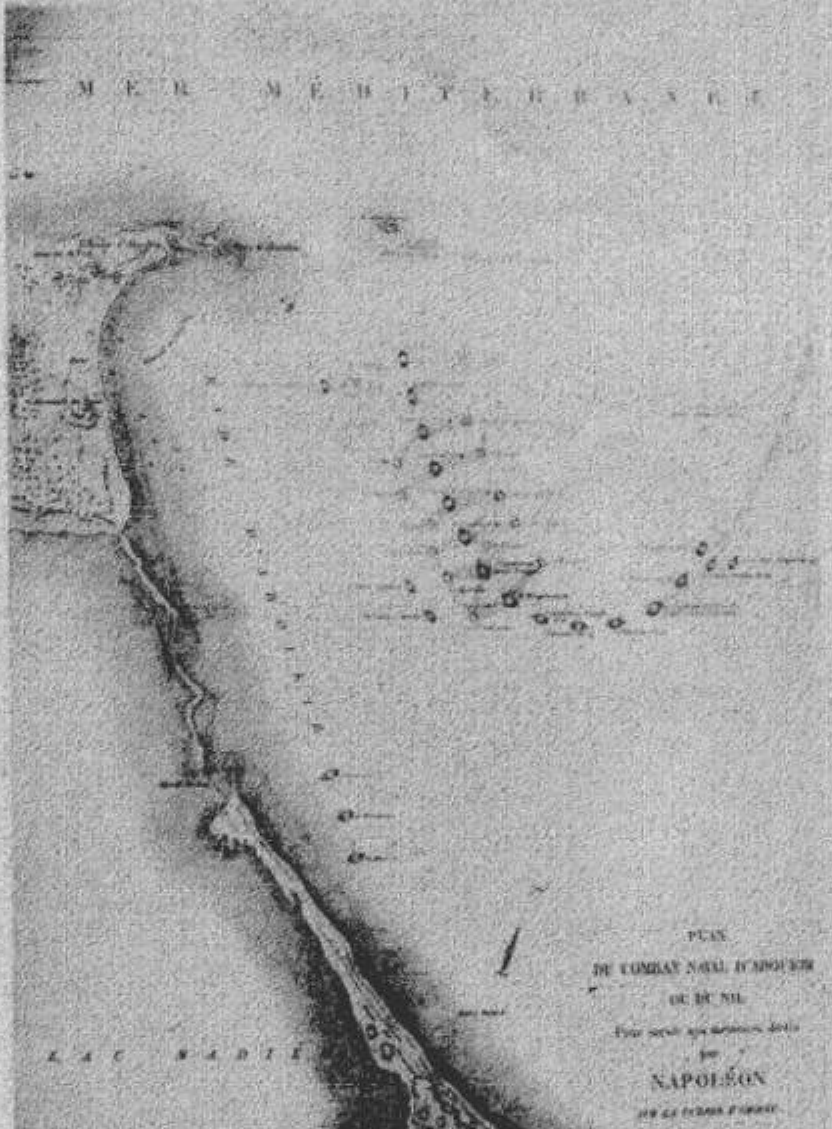
ثالثا – يكون الناخبون لاعضاء مجلس الشيوخ طائفة ممتازة ، يشترط فيها توافر نصاب معين من العلم أو من المال

ويسهل بعد ذلك تطبيق هذه الأسس . فيخلص لنا من تطبيقها نظام يقرب من النظام الآتى :

(١) تحدد الدوائر الانتخابية لمجلس الشيوخ على أساس أن يندمج فى الدائرة الواحدة ثلاث دوائر انتخابية لمجلس النواب . فيكون عدد أعضاء مجلس الشيوخ المنتخبين ثلث عدد أعضاء مجلس النواب

(٢) يشترط فى الناخب أن يكون حاصلا على الشهادة الثانوية (أو ما يعادلها) أو ان يكون دخله السنوى لا يقل عن مبلغ معين (مائة جنيه مثلا)

(٣) يشترط فيمن يرشح نفسه عضوا منتخبا فى مجلس الشيوخ أن يكون حاصلا على شهادة عالية أو ان يكون دخله السنوى لا يقل عن مبلغ معين (خمسمائة جنيه مثلا) . ولا تقل سنه فى الحالتين عن أربعين سنة



واقعة أبي قير

خارطة تبيّن موقع المعركة التي دارت بين الأسطولين الفرنسي والانجليزي عند شاطىء الاسكندرية في أول أغسطس سنة ١٧٩٨ ، وقد رسمت لتوضيح ما كتبه نابليون في مذكراته عن هذه الموقعة

(هذه الصورة منقولة عن مجموعة لسمو الأمير عمر طوسون)

(٤) يعين من الاعضاء فى مجلس الشيوخ عدد يساوى ثلثى عدد الأعضاء المنتخبين

(٥) يرشح مجلس الوزراء الأعضاء المعينين ، ولا يكونون أعضاء الا بعد موافقة الملك

(٦) يستأنس مجلس الوزراء ، بقدر الامكان ، فى ترشيح الأعضاء المعينين برأى الطوائف والهيئات التى ينتمى اليها هؤلاء الاعضاء

(٧) يلاحظ مجلس الوزراء فى ترشيح الأعضاء أن يكونوا منتمين الى الطبقات الآتية ، بحيث تكون كل طبقة ممثلة تمثيلا كافيا فى مجلس الشيوخ ، سواء كان ممثلوها من الاعضاء المعينين ، أو من الاعضاء المنتخبين ، أو من الفريقين معا :

المشتغلين بالأعمال الزراعية ، والمشتغلين بالأعمال الصناعية ، والمشتغلين بالاعمال التجارية وبالأعمال المالية

رجال الدين ، ورجال الجيش ، ورجال السياسة ، ورجال الصحافة

رجال التعليم ، ورجال القانون ، والاطباء ، والمهندسين

الجامعتين المصرية والازهرية

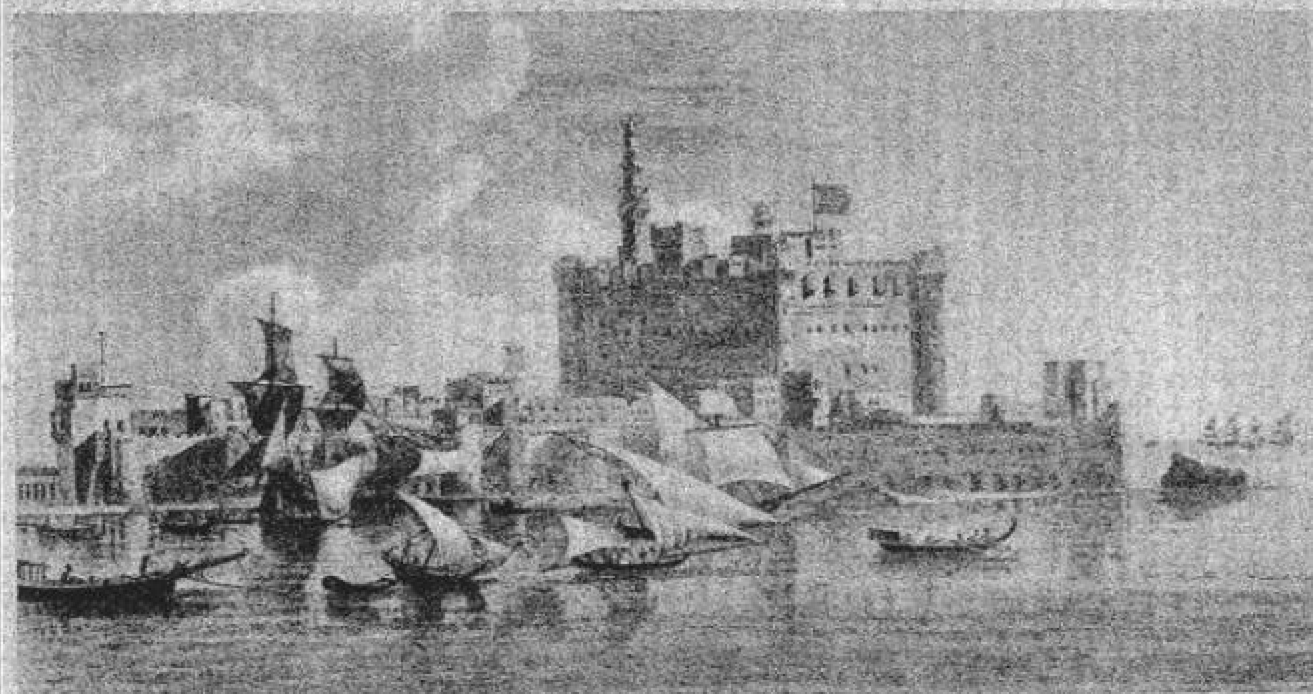
ويتبين جليا مما قدمنا أن النظام المقترح يختلف اختلافا بينا عن النظام الحاضر :

فالناخبون لأعضاء مجلس الشيوخ فى النظام المقترح غير الناخبين فى النظام الحالى . هؤلاء هم نفس الناخبين لأعضاء مجلس النواب ، أما أولئك فناخبون اشترطنا فيهم العلم أو المال ، وبذلك كفلنا أن يكون اختيارهم لممثليهم أسد وأحكم

وأعضاء مجلس الشيوخ فى النظام المقترح فريقان :

(ا) فريق منتخب ، يمثل المتعلمين وأصحاب المصالح . ولم نشترط فى هذا الفريق ما يشترطه النظام الحالى من ان يكونوا من كبار الموظفين أو من كبار الاغنياء ، إذ يكفى أن يكون العضو حاصلا على شهادة عالية ، او ان يكون ذا دخل سنوى ليس من الضرورى أن يبلغ الفا وخمسمائة جنيه كما يشترط النظام الحاضر . وبذلك نكون قد جعلنا أعضاء مجلس الشيوخ المنتخبين نخبة من متعلمى الامة وأهل الثراء فيها ، دون أن نقصر اختيارهم على الطبقات المحصورة التى حددها النظام الحالى

(ب) فريق معين . وجعلنا أمر تعيينه موكولا فى آخر الأمر الى الملك ، فهو فوق الاحزاب ، ولا يتأثر الا بالمصلحة العامة ، ولذلك ينتظر ان يجىء التعيين على يديه خاليا من الهوى الحزبى ، وان يكون الاعضاء المعينون هم الذين يمثلون الكفايات الفنية فى البلاد تمثيلا صحيحا مستقرا ، لا تمثيلا يحمل أثر النزعات الوقتية والملابسات السياسية . على اننا جعلنا ترشيح الاعضاء المعينين من عمل مجلس الوزراء ، بعد ان يستأنس بآراء الهيئات والطوائف التى ينتمى اليها الاعضاء ، وفى هذا ضمان لجعل الاعضاء المعينين يمثلون بقدر الامكان الهيئات والطوائف التى ينتمون اليها



(هذه الصورة منقولة عن مجموعة سمو الأمير عمر طوسون)

قلعة قايتباي

منظر لقلعة قايتباي سنة ١٧٨٥ ، مأخوذة من كتاب السائح الفرنسي كاساس ، وقد كانت قائمة على شاطئ الاسكندرية حينما وقعت معركة أبي قير

أما الاعضاء المعينون أنفسهم فقد توخينا فيهم ان يكونوا خلاصة الكفايات الفنية فى البلاد ، دون تقيد بسن أو بثروة ، فان أمور التشريع والشؤون العامة فى العصر الحاضر تقتضى أن يوجد رجال الكفايات الفنية الى جانب ممثلى الأمة المنتخبين ، يعاونونهم على الاضطلاع بالمسئوليات الخطيرة الملقاة على عاتق البرلمان . ولم نقصد أن يمثل الاعضاء المعينون طبقات معينة فى الأمة بقدر ما يمثلون كفايات فنية ممتازة . فالعبرة فى اختيار عضو معين ، ان يكون متوافراً على الكفاية الفنية المطلوبة لا أن يكون منتميا الى طبقة من الطبقات

ولا نشك فى أن النظام المقترح اوفى بحاجات البلاد من النظام الحالى . على أننا لا نتشدد فى الأخذ بجميع التفصيلات التى قدمناها . بل ان ما يعنينا الوقوف عنده من كل هذا هو ان يكون مجلس الشيوخ ممثلا للمتعلمين ولأصحاب المصالح ولذوى الكفايات الفنية

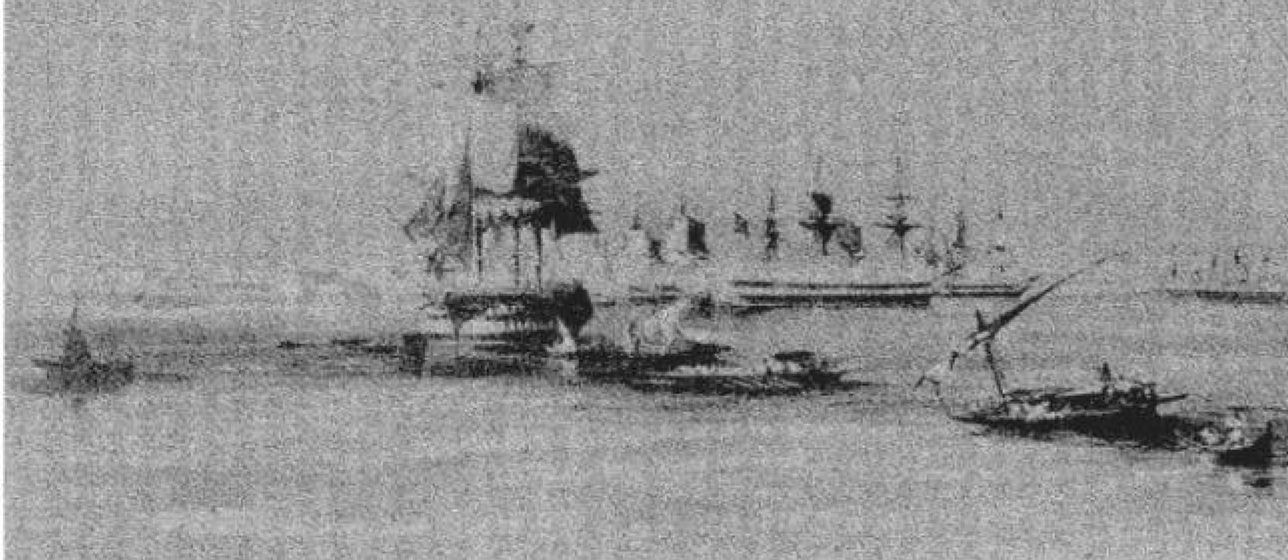
ولا ريب فى أن مجلس الشيوخ الذى يضم كل هذه العناصر الرشيدة يجب ان يكون مجلسا قويا يعتد برأيه فى إدارة شؤون البلاد . وينبغى ألا يقل شأنه فى الرقابة على السلطة التنفيذية عن شأن مجلس النواب . فتكون الوزارة مسئولة أمام المجلسين ، ويجوز لكل مجلس أن يقترع على الثقة بها ، فاذا لم تنل الوزارة ثقة أحد المجلسين وجب عليها أن تستقيل . وبذلك يكون لمجلس الشيوخ حق لا يتمتع به فى النظام الحالى . ويبرر اعطاءه هذا الحق أنه يصبح طبقا للنظام المقترح ممثلا تمثيلا صحيحا للرأى المتعلم ولأصحاب المصالح والكفايات الفنية فى البلاد ، فوجب على الوزارة إذا أرادت أن تبقى فى كراسيها الا تقتصر على التمتع بثقة مجلس النواب ، بل ينبغى أيضا أن تتمتع بثقة الهيئة التى تمثل الرأى العام المتنور ، فتكون حائزة لثقة الشعب عامته وخاصته . وبهذا تأمن البلاد طغيان حزب قد يحصل على ثقة مجلس النواب بالوسائل السياسية الملتوية ، ويحكم البلاد بمقتضى هذه الثقة ، دون ان يعبأ بالرأى العام الرشيد ممثلا فى مجلس الشيوخ . وليس أعطاء هذا الحق لمجلس الشيوخ بدعا فى النظم البرلمانية ، فان مجلس الشيوخ فى فرنسا كثيراً ما يسقط الوزارات ، حتى دون أن يقترع على الثقة بها ، وأقرب مثل لذلك وزارة بلوم الاخيرة

والذى تهم ملاحظته فى كل هذا ان البلد الذى تكون عامة الشعب فيه محرومة من التعليم يحسن ان يكون له مجلسان ، مجلس يمثل عامة الشعب ، وآخر يمثل المتعلمين ، وان يكون لكل مجلس قسط من النفوذ والهيمنة على الشؤون العامة يعدل القسط الذى يتمتع به المجلس الآخر . حتى يتم بذلك التوازن بين نفوذ العامة ونفوذ المتعلمين ، وحتى يستقر الحكم الدمقراطى ، ويتوطد النظام البرلمانى ، رغم الجهل الذى يخيم على سواد الشعب . ولا يزال هذا هو الشأن ، حتى ينتشر التعليم فى البلاد ، وحتى تتثقف الجماهير التثقيف السياسى الكافى فعندئذ يتضاءل أمر مجلس الشيوخ ، ويعظم شأن مجلس النواب

عبد الرزاق احمد السنهورى

الاسطول المصرى

ترى هنا منظراً من مظاهر مجد مصر الحربى فى عهد محمد على الكبير ، فهذا جانب من الأسطول المصرى العظيم راسياً بميناء الاسكندرية فى أول ابريل سنة ١٨٣٩ ، وأمامه زوارق ركب محمد على أحدها وأخذ يعرض سفن الأسطول الكبيرة



(هذه الصورة منقولة عن مجموعة سمو الأمير عمر طوسون)

ينبغي أن تتعهد الدولة الفن بوصايتها وحمايتها ، على ألا تسلبه حريته وتجرده من استقلاله ، وتكرس الفنانين لخدمة أغراضها السياسية أو مناهجها الاجتماعية ، فليس أضعف من الفن « الرسمي » الذي تسيطر عليه الأداة الحكومية

الفن والدولة

بقلم الاستاذ محمد ناجى

ناظر مدرسة الفنون الجميلة العليا

كان الكهنة فيما مضى يقومون بوظيفة رعاة الفنون ، فيحمون الانتاج الفنى الفردى ويكرسونه لخدمة الدين وخدمة الملك . وكان يؤمن بالفن أفراد القبيلة بأسرها ويفسرون مظاهره طبق الفكرة التى كانوا يفسرون بها مختلف ظواهر العالم . وكان الفن فى مبدأ الأمر أشبه شىء بتعبير صوفى عند صيادى الوعول ، ثم انتهى بأن اعتنقته القبيلة وآمنت به

والواقع ان لغة الفن الاجتماعية هى وسيلة من وسائل التفاهم والتضافر بين الشعب ، ولذلك أبقى عليها واختص بها جميع أصحاب النفوذ ممن يمثلون السلطة والنظام فى الامة

وهذا هو السبب فى أن الدولة أخذت على عاتقها مهمة تشجيع الفنانين فقربتهم اليها وفتحت أمامهم ميادين العمل والنشاط

وطالما حدث فى الساعات الخطيرة حيال الرغبة في الاحتفاظ بأمثلة الشعب العليا ووقايتها من غدر الزمن الذى يطغى على كل شىء ويضع جميع الاشياء على حد سواء ، ان هرعت الدولة الى الفنانين وأوصتهم بابداع آثار فنية تخلد الاعمال العظيمة والامثلة العليا

والواقع ان العمل الفنى يتغلب على الموت والنسيان ويحمل فى تضاعيفه من قوة البقاء ما يمنع رمل الصحراء من ان يكتسحه ويجرفه . وهو الى ذلك يحمل سراً مستغلقا : سر الاصول التى انحدر منها واشتركت فى تكوينه

ولقد كانت الحكومات الدينية تحرص الحرص كله على خلاص العنصر وتتخذ من الفن واسطة لوضع ذلك العنصر تحت رعاية الله

ولذا فقد كان الفن المقدس او الدينى الذى ترعاه الدولة ضرورة من الضرورات السياسية التى

ترى الى ايجاد ذلك التجانس العاطفى والدينى بين أفراد ينتمون الى عنصر واحد وجنس واحد وأما الفن غير الدينى فهو رابطة عاطفية أخرى تعبر أعمق التعبير عن العبقرية المشتركة

ولقد حرصت الدولة المصرية ـ رغبة فى تدعيم وحدتها أو انسجامها السياسى والدينى ـ على الاحتفاظ بتقاليد فنية لها . ولقد شاء أحد الامراء ان تزدهر تلك التقاليد فاينعت تحت شمس اخناتون الساطعة

فالدولة احتضنت عمل رعاة الفنون وسعت فى تنميته ومنذ ان ساد مبدأ تعليم الفنون الجميلة اقبل عليه ابناء الشعب وظهر انهم بحكم الوراثة أشد ميلا الى فن النحت وأقدر على النجاح فيه منهم على النجاح فى الفنون الاخرى

أما فن الرسم فهو مكتسب ، واستقراره يرجع الى البحث والاستعانة بوسائل تعبيره الحديثة وليس هناك سبب يحول بين ظهور أثر البلد والعنصر فى العمل الفنى . ولكن الفن القومى المحض لا أثر له فى الرسم أو النحت العصرى لأن مميزات العنصر مبهمة خفية . والحقيقة أنها تكمن فى جوهر العمل الفنى وتتجلى عادة فى القوة العاطفية التى تنبع منه وفى خصائص المذهب الفنى المعين الذى اختاره الفنان. فالمذهب التعبيرى مثلا (Expressionisme) وجد ارضا خصبة فى المانيا ، ومذهب المكعبات(Cubisme)صادف هوى من نفوس أهل البلاد اللاتينية ، وذلك لأن الشمس فى هذه البلاد تحدد الاشكال والاوضاع أما فى المانيا فان الجو القاتم يخفى حقيقة تلك الاشكال

وأما فيما يختص بنا الآن ، فالدولة المصرية لا تحتكر الفنون ولا تحاول ان تتوجه بها وجهة معينة ، بل تساعد على اجراء نوع من التبادل الفنى بين هيئات تقدر الفن وتولع بالجمال

والواقع أن الدولة المصرية الراغبة أصدق الرغبة فى نشر تعليم الفنون الجميلة ، يقودها منطق صارم نحو تحقيق الثمرة المنشودة من هذا التعليم

فى مصرجيل من الفنانين متأهب لتزيين مدينة القاهرة وتجميلها بأروع الصفحات المستخلصة من تاريخها . ولا شك فى أن نقوش الجدران وآيات فن النحت والآثار الفنية نفسها ، كل ذلك يوحى الثقافة الفنية الى نفوس المواطنين . ومما لايقبل الريب أن القروى الذى يعيش فى منطقة تجاور مدينة فنية هو ألطف حساً وأرق اخلاقا من ذلك الذى لم تقع أبصاره على أثر فنى قط

ولقد أخذ البعض على الحكومة المصرية استمرارها فى استخدام الاجانب لتعليم الفنون الجميلة بحجة محاربة التأثير الاجنبى ورغبة فى نشر مبدأ العزلة الفنية

ولكن المؤثرات الاجنبية لم تفسد غير الضعفاء . ولقد اختلطت الاجناس والعناصر أيام الحروب الصليبية فلم يحل هذا الاختلاط بين عبقرياتها وبين النمو والازدهار

والملاحظ فيما يتعلق بنا أن آثارنا الاسلامية تولدت من حضارة عرفت بالتسامح ، حضارة تفخر بأن فى وسعها أن تهضم وتستوعب خصائص العبقرية الاجنبية

وعندى أن السبب الرئيسى فى عظمة فن الرسم الفرنسى هو أنه استطاع أن يستوعب مختلف النزعات الفنية العالمية

ومما يجب لفت النظر اليه أن وصاية الحكومة المصرية على الفنون الجميلة لم يترتب عليها ايجاد فن رسمى كما حدث فى بعض الحكومات . وذلك لأن الحكومة المصرية لا تسرف فى اتباع نزعات الأجانب ولا تنسى ان فرض اسلوب معين على فن من الفنون أمر يتعارض كل التعارض مع حرية الفن فى الاداء والتعبير

ومن جهة أخرى فهناك حكومات ديموقراطية وغير ديموقراطية تجهل الغرض المقصود من الفن وترغب فى أن يخدم الفن دعوة سياسية أو اخلاقية أو عسكرية . ولكن تجريد الفنان من حريته واجباره على الوقوف موقف التحايل والتراضى من جمهور الشعب أو من الديكتاتور هو عمل تعسفى ينزع من الفن خاصة الاشراف على المستقبل ويجرده من كل وحى شخصى

فليس لنا أن نقحم الفن فى السياسة إذن ، ونتخذه وسيلة لتمجيد آراء ونزعات باطلة ، ونخلع عليه من زهونا وخيلائنا وجهلنا ثوبا زريا لايتفق وجلاله وروعته والغاية المنشودة منه ، ألا وهى التعبير عن أخفى عواطفنا وتجميل حياتنا وتمجيد حظنا البشرى مهما كان بسيطا متواضعا

وفي رأيي أن مدرسة الفنون الجميلة العليا تتوافر فيها الشروط والاسباب الكافية لبحث شتى المسائل الخاصة بالفن بحثا قوامه المنطق وغايته الجمال

فهذه المدرسة المؤلفة من هيئة من الاخصائيين الفنيين تعاونهم طائفة من النقاد ، فى وسعها أن تهيىء الاذهان لفهم المسائل الفنية بأسلوب يجعل هذه المسائل فى متناول الجمهور ويخدم فى نفس الوقت جماعة الهواة الذين كثيراً ما يتسرعون فى الحكم على عمل فني أو يتجاوز بعضهم الحد فيحكم على التعليم الفنى نفسه ويطالب باصلاحه وهو يجهل عن الفن كل شىء

فمدرسة الفنون الجميلة العليا تحرص والحالة هذه على بقاء مختلف أشكال الجمال ومبادىء الفن بفضل نفوذها الذى لا بد من الاستناد اليه والانتفاع به ، سواء فى أزمنة التأخر الفنى أو فى عصر كالعصر الحاضر نحاول فيه تنظيم ثقافة بلادنا البيداجوجية على أسس وقواعد جديدة

ولا شك أن الحكومة تدل على سعة عقل وحكمة عندما تعهد بالشؤون الفنية الى رجال مثقفين من أهل الفن . والواقع أن أولئك الرجال المشهود لهم بالاخلاص والنزاهة هم الذين يستطيعون تغذية النهضة الفنية وحمايتها من الحملات الكلامية الجوفاء ومن روح الوصولية التى فشت هذه الأيام بين نفر من أصحاب العقول والمواهب المتوسطة

ويلاحظ فى هؤلاء ان نقص ثقافتهم يدفع بهم الى التلويح بآراء منكرة ، وأن حب الفن قد تقلص من نفوسهم وحلت محله منازع وأغراض لا يستطيعون الاعراب عنها إلا مستورة بستار وطنى كاذب مصطنع

وهكذا أصبح الفن عندهم طريقا من طرق الوصولية

وإذن فلا بد للفنون الجميلة من استقلال أدبي ومالي يجعلها بمأمن من التقلبات السياسية وهذا الاستقلال تتمتع به الجامعة المصرية الآن

ولذا يجب ان تنشأ مصلحة أو إدارة للفنون الجميلة تنظم هذه الفنون في مصر وتكفل لها اطراد الحياة والتقدم . ولكن أعمال الحكومات لا تتوج الا بعبقرية المليك الذي يود دائما أن يطبع العمل الفني بالطابع المستقل الانساني المعبر عن عقلية شعبه وجهوده

ولنا وطيد الأمل في أن تتحقق نهضة الفن في مصر وشيكا على يد جلالة الملك فاروق

محمد ناجي

الخاصة والعامة

* لا معنى للحضارة ان تركزت في الخاصة . وكل أمة لا يهتم خاصتها بسواد الشعب مصيرها الى الاضمحلال والفناء

* من خصائص الامم المتحضرة ان يعمل تحضرها مختلف طبقات الشعب . فرفع مستوى العامل والفلاح هو الدليل البالغ على ان الامة قد استكملت عناصر حضارتها

* كلما كان الخاصة قدوة للعامة في تقديس معنى الواجب واحقاق روح العدل . توطد النظام وحرس العامة عليه واحترموه وجادوا في سبيله بشتى التضحيات . وكلما هزأ الخاصة بمعنى الواجب واستباحوا قوانين العدل . فشت الفوضى وتولدت في نفوس العامة غرائز التمرد والثورة

ديدرو

سكرتير نابليون

بقلم الاستاذ حسن الشريف

لم تطل خدمة الشاب كلود سيار للامبراطور نابليون الأول أكثر من نصف ساعة ، ومع ذلك فقد كانت تلك الدقائق الثلاثون كفيلة بأن تجعل لصاحب ذلك الاسم ذكراً على ألسنة المعاصرين وبأن تفسح له مكاناً فى كتب التاريخ ، ولولاها ما وصلت الينا هذه الطرفة الظريفة التى نرويها اليوم والتى تكشف لنا ناحية مجهولة من نواحى شخصية نابليون

أتم كلود سيار دراسته القانونية فى سنة ١٨١٠ ولكنه لم يأنس فى نفسه استعداداً لأصول الخطابة وفنون الكلام ، فلم يشأ أن يمتهن المحاماة التى كان أبوه يهيئه لها ويحسب أن سيكون له فيها شأن كبير ، وآثر أن يوجه نفسه وجهة أخرى يخلق بها لشخصه مركزاً سامياً فى باريس فسعى سعياً موفقاً انتهى به الى أن عين كاتباً ملحقاً بمكتب وزير الحربية

كان ذلك فى عهد الامبراطور نابليون الأول ، وكانت كمية العمل المفروضة على الموظفين ثقيلة مرهقة تقتضيهم اثنتى عشرة ساعة من اليوم وتقتضيهم أغلب الأيام أن يتناولوا طعام الغداء وطعام العشاء فى الديوان . وكان المارشال برتييه ، وزير الحربية إذ ذاك ، يضرب المثل بنفسه لمرءوسيه فيصل ساعات النهار بساعات الليل فى الاشراف على عملية وضع قوائم التجنيد وتوزيع القيادات وتوسيع السكن وتوفير وسائل النقل والتموين ، لا تأخذه فى ذلك رحمة بنفسه ولا رحمة بمعاونيه

ولم يكن عجيباً والحالة هذه أن يتمنى موظفو مكتب الوزير لو تتاح لكل منهم فرصة الانتقال من هذا العمل المضنى الشاق الى أية وظيفة بديوان آخر تسمح طبيعة العمل فيه بفترات للاستراحة وترويح العناء عن النفوس . لذلك كان فرح أولئك الموظفين المكدودين عظيماً يوم استدعاهم الوزير وأفضى اليهم بأن السكرتير الخاص للامبراطور قد أصيب بمرض صيره غير صالح لتأدية أعمال وظيفته ، وبأن جلالته كلفه أن يختار له شاباً تتوافر فيه المزايا التى تؤهله لأن يكون سكرتيراً له . وأضاف الوزير الى ذلك أنه سيعقد لهم فور الساعة امتحاناً فى سرعة الكتابة مع جودة الخط وضبط قواعد النحو والاملاء

وانعقد الامتحان وأملى الوزير على موظفيه صفحة كاملة اجتهد كل منهم فى أن يخرجها على أحسن حال . وحمل المارشال برتييه أوراق الامتحان الى قصر التويلرى ولبث الشبان فى انتظار

النتيجة ساعة ، كانت قلوبهم خلالها تمشى فى صدورهم ، وأعناقهم تلتهب فى جماجمهم كلما فكروا فى أن احدى تلك الأوراق ستنتشل صاحبها من جحيم وزارة الحربية لترفعه الى نعيم مكتب الامبراطور حيث ينتظره المجد والراحة والعظمة والثراء

وعاد الوزير بعد انقضاء الساعة وتوجه الى حيث يجلس الشاب كلود سيار بين زملائه وقال: « اهنئك يابنى فقد وقع اختيار جلالة الامبراطور عليك وأرجو أن تسمو بنفسك لتجعلها فى مستوى الشرف الذى أتاحته لك الأقدار . . . . اذهب يا ولدى فان جلالة الامبراطور ينتظرك . . . . »

ونظر كلود الى الوزير نظرة من يسمع خبراً مذهلا ، أو نظرة من يرى قصور أمانيه تهبط عليه فجأة من السماء ، وحاول أن يتكلم فلم يسعفه لسانه بالكلام ، فمد الى رئيسه الأعلى يداً متراخية مترددة وجعل يتمتم بكلمات متلعثمة غير مفهومة ويجيل الطرف فى ما حوله كالمشدوه ، ثم أخذ يتقبل تهانى زملائه ويعانقهم بحركات آلية لا تدل على شيء سوى الاضطراب الشديد ، ثم جلس أو قل ارتمى على كرسيه فى حالة تشبه الخبل لم يخرجه منها إلا صوت الوزير يهيب به مرة أخرى : « عجل يا بنى الى القصر فالامبراطور ينتظرك » ونهض الشاب مترنحا وتناول معطفه وقبعته وقفازيه وودع زملاءه ببعض الايماءات وركب مركبة أقلته الى قصر التويلرى

ولقد جلس الزملاء يتحدثون عن صاحبهم المحظوظ ويرونه بعين الخيال . وهو فى طريقه الى المجد يقفز من سلم المركبة الى عتبة القصر ويجتاز الردهات والابهاء . ثم يرونه وهو يقتحم بخطواته المترددة باب الامبراطور ليتقلد منصبه السامى الجديد وليجلس على كرسى حسبه الجلوس عليه ساعة من الزمان ليخلد اسمه فى التاريخ على مر الأزمان . وأخذ كل منهم يتكلم بما تمليه عليه عواطفه : فهذا يستعظم اسراف القدر فى العطاء ، وذاك يشك فى أهلية الشاب المختار لما اختير له ، وذلك يقرر فى لهجة الحكيم الوقور ان الحظ أعشى يصيب الغبى فيسعده ويتخطى الالمعى فيعيش مغموراً ، ثم يتفق الجميع على أن يرجوا من الله أن ييسر لصاحبهم أمره ويوفقه لما ندبته له الأقدار بينما يتمنى كل منهم فى قرارة نفسه أن يعسر الله على الشاب هذا الأمر حتى لا يكون منهم فاضل ومفضول

واسترسل الشبان فى التحدث عن الصاحب المحظوظ وتفرعت شجون الحديث وتنوعت الفكر وكثرت التعليقات . وبينما هم فى شغل بذلك عن عملهم اذا بالباب ينفتح واذا بالشاب كلود سيار يجتاز عتبته مطأطيء الهامة ويسير الى مكتبه بخطوات وئيدة متعثرة ويقتعد كرسيه مهموما كمن تصالحت على رأسه مصائب الدنيا ومصائب الآخرة

نظر الزملاء الى صاحبهم محملقين وقد أدهشهم ان رأوه شاحب الوجه مقلوب السحنة زائغ البصر بلا قبعة ولا معطف ولا قفاز ، فاقبلوا عليه يسألونه ما خطبه وماذا دهاه وهو يشيح عنهم

برأسه ويتأوه ويتلوى كالملسوع . وصبر عليه اخوانه ريثما يعود اليه صوابه ويسترجع قواه ثم عادوا يسألونه ويلحون فى السؤال . وأخيراً أدار الشاب عينيه فى ما يحيط به وابتسم ابتسامة محزونة نمت على ما فى قلبه من هم شديد وأخذ يقص نبأ خيبته على الاخوان :

قدم كلود سيار نفسه الى رئيس الديوان واستأذنه فى الدخول على الامبراطور ، فلما أذن له دخل على نابليون فى حجرة مكتبه فألفاه يسير بخطوات سريعة وقد جعل يديه وراء ظهره وأمال رأسه على صدره شأن من يفكر فى أمر خطير . واذ أغلق الشاب الباب وراءه وحنى رأسه بالتحية تلقاه الامبراطور بنظرة فاحصة شملته من ذروة الرأس الى أخمص القدم وقال : « هذا أنت . لقد ابطأت . . اجلس هناك . . » وأشار بيده اشارة سريعة الى مكتب صغير قائم فى احدى زوايا الحجرة بين نافذتين كبيرتين

جمع الشاب أطراف ثوبه بيديه واقتعد الكرسى الموضوع أمام المكتب الصغير ومد يده فتناول ورقا وقلما ولبث ينتظر

أما الامبراطور فتولى عنه ليستأنف سيره ذهابا وجيئة فى الحجرة الواسعة ، وكأنما نسى وجود السكرتير الجديد بالقرب منه فأخذ يجمجم بعبارات يصحبها باشارات من يده ثم يعقبها بكلمات متقطعة تتلوها جمل سريعة وتتخللها زمجرات ودمدمات يدغمها فى بعضها فتجىء غير مفهومة ولا يعلم سامعها أهى شتائم يصبها على شخص مجهول ، أم ايمان يقسمها على شىء غير معلوم

ولقد لبث السكرتير يرقب هذه الحالة برهة طويلة ويتعجب من هذا الامبراطور العظيم الذى يحدث نفسه كالمجانين ، ثم انتهى به الأمر الى أن ظن أن نابليون مشغول البال مهتاج الخاطر أو متوعك المزاج ، ورأى ان الأدب واللياقة يقتضيانه التظاهر بعدم سماع ما يقول ، فحنى رأسه على أوراقه وظل ينتظر أن يوجه اليه الامبراطور الكلام أو يملى عليه رسالة يكتبها . وطالت نزهة نابليون فى الحجرة وهو لاينفك يتمتم حينا ويجمجم حينا آخر ثم حانت منه التفاتة الى سكرتيره فأقبل عليه ووقف الى جانب مكتبه ، وأحس الشاب أن عينى الجبار مسلطتان عليه فجعل ينكمش ويتضاءل ويدخل عنقه فى كتفيه ويشد بأصابعه على القلم لكى لا يقع من يده المرتجفة الى أن قال الامبراطور « اقرأ على ما كتبت » ، فرفع الشاب عينيه الزائغتين وأجاب مرتبكا :

— ماذا أقرأ يا مولاى ؟

— اقرأ ما أمليته عليك

— ما . . ما . . ما أم . . ولكن جلالتكم لم تمل على شيئا يامولاى

— كيف لم أمل عليك شيئا يا ولدى ؟ إذن ماذا كنت تفعل طوال هذا الوقت ؟

— كنت أظن . . كنت أحسب . .

ولو أن صاعقة هوت على قصر التويلرى ودكت جدرانه دكا لما كان وقعها على الشاب كلود سيار أعظم من وقع صيحة الغضب التى صاحها الامبراطور فى وجهه فأذهلت رشده وأذهبت صوابه حتى أنه لم يع شيئا من ألفاظها ، وكل ما يذكره هو أن يداً انقضت على قفاه فقبضته بأصابعها كما تقبض يد الأسد على أرنب أو هرة ، وأن هذه اليد اقتلعته من كرسيه واقتادته الى الباب ودفعته الى الدهليز دفعة قوية ، وأن الباب أغلق وراءه بعنف وأنه هرول الى فناء القصر وظل يعدو كالمذعور حتى قطع المسافة الواقعة بين التويلرى وسراى وزارة الحربية تحت المطر الشديد عارى الرأس بلا معطف ولا قفاز ، وأن الغريزة قادته بلا وعى ولا تفكير الى مكتبه لا لشىء إلا ليفر من وجه الخطر ويحتمى وراء الأبواب والجدران بين الزملاء والاخوان

ولقد أثرت الحادثة على أعصاب الشاب فمرض ولزم الفراش خمسة أيام لم يكن خلالها يسمع فى منامه إلا الصيحة التى أذهلت رشده وأذهبت صوابه ، ولا يرى فى صحوته إلا اليد القوية التى دفعت به الى الدهليز . ولقد عاش بعد موت نابليون ثلاثين عاما لم يطاوعه قلبه فى يوم من الأيام على أن يجتاز حديقة التويلرى ، ولم تقع عيناه مرة على قباب القصر من بعيد إلا أحس برعشة تسرى فى جسده وتذكره بذلك اليوم المشئوم

***

ويظهر حقيقة أن مهمة السكرتير الخاص للامبراطور نابليون كانت مهمة شاقة عسيرة الأداء على من يتولاها . فبين يدى الآن مذكرات ضافية للبارون « فان » Baron Fain الذى أمضى فى هذا المنصب سنوات عديدة من حياته . ولهذه المذكرات قيمة تاريخية كبرى . فلقد عاصر صاحبها كل الحوادث التى يرويها وعرف جميع الرجال الذين لعبوا دوراً فيها ووقف على معظم الاسرار التى أحاطت بها . فمذكراته من هذه الناحية متعة عقلية تطيب لكل قارىء وتمد المؤرخ بذخيرة وافرة من التفاصيل الشائقة التى لا نجد مثلها فى مطولات التاريخ

ويصور لنا البارون « فان » حياته فى خدمة نابليون فاذا هى سلسلة جهود عنيفة مضنية أقل ماتوصف به أنها تقصر العمر أو تورث الجنون . فلقد كان يدخل حجرة مكتب الامبراطور عند مطلع الفجر من كل يوم ويقتعد كرسيه أمام المكتب الصغير بين النافذتين موليا نابليون ظهره فلا يراه وانما يسمع وقع اقدامه وهو يذرع الغرفة بخطواته السريعة رائحا جائيا ويسمع دمدمته وجمجمته وصوت الأوراق التى يمزقها وينثرها فتتطاير حوله ذات اليمين وذات الشمال . وكان الامبراطور يباشر عمله اليومى عند الساعة السابعة من الصباح فيستقبله سكرتيره واقفا ثم يجلس من دون أن ينبس بكلمة ويتناول القلم والورق وينتظر حتى يقول له نابليون : « اكتب » وعندئذ يبتدىء العمل المرهق الشاق الذى يكاد العقل لا يتصوره

كان الامبراطور وهو يملى رسائله أشبه الناس بشخص يتحدث الى نفسه حديثا سريع الالفاظ

متقطع العبارات . أما سرعته فى الاملاء فكانت بحيث يستحيل على أسرع الكاتبين أن يلاحقه فيها ، وأما النطق فكان مزيجا من همهمة ودمدمة وصيحات لايميز المنصت منها شيئا إلا اذا طال تمرنه عليها . وكان الامبراطور يتوقف عن الاملاء هنيهة ليمزق بعض الأوراق ويبعثرها على أرض الحجرة ، أو ليصب بعض اللعنات على شخص مجهول أو على أمر غير معين ، ثم يستأنف املاءه العجيب مؤيداً عباراته باشارات من يده أو بضربات من قبضته على المكتب

ولم يكن فى استطاعة السكرتير أن يجارى بالكتابة سرعة الامبراطور فى الكلام ولا أن يلتقط ، وهو فى هذه الناحية من الغرفة ، جمجمة الملى وهو فى الناحية الاخرى منها . لذلك كان كل فنه ينحصر فى أن يترك على الورق مسافات بيضاء بين الجمل ليجتهد بعد ذلك فى أن يملأها بما علق فى ذاكرته من الاملاء . ولكن الصعوبة كانت فى استذكار الارقام واسماء الأعلام والاصطلاحات الفنية التى كان السكرتير يدونها بسرعة على هامش الورق ليضعها فى أمكنتها بعد ذلك

وكثيراً ما كانت أسماء الاعلام تختلط فى ذهن الامبراطور فيخطىء إذ يضع الواحد بدلا من الآخر فيملى « سمولنسك » بدلا من « سلمنقة » ونهر « الايبر » بدلا من « الالب » و « باجادوس » بدلا من « جيدوفسكى » وهكذا . وكان على السكرتير أن يدرك هذه الاخطاء بذكائه ويصححها بنفسه وبدون الرجوع الى نابليون فى أمرها ، والا فالويل له اذا هو لم يفعل

ومتى توقف الامبراطور لحظة عن الاملاء عمد البارون « فان » الى المسافات البيضاء التى تركها بين الجمل فيملأها جهد ما تصل اليه ذاكرته أو بما يسعفه به ذكاؤه مما يوحيه اليه سياق الكلام ، ثم يعود فيبيض تلك المسودات التى ما هى الا خطوط بعضها مستقيم وبعضها متعرج يكاد الناظر اليها لا يتبين منها كلمة ولا حرفا . ولكن الامبراطور لا يلبث حتى يعود الى العمل فيلقى اضبارة على مكتب سكرتيره مصحوبة بكلمة « للتنفيذ » وأخرى مصحوبة بكلمة : « يهمل » ثم يلقى على البساط اضبارة أو بعض اضابير لا يصدر بشأنها تعليمات ويتحتم فى هذه الحالة على السكرتير أن يفهم معنى هذا السكوت . ثم ينهض فيسند ظهره الى المدفأة ويبتدىء فتح المكاتبات الواردة اليه فتتطاير الظروف والغلافات فى أنحاء الغرفة وتتبعها المكاتبات نفسها وتمتزج بالأوراق الممزقة وتكون أكداسا فوق البساط . فاذا خرج لحظة هرع السكرتير اليها لجمعها ورتبها وحاول ان يفهم ما ينبغى تصريفها فيه ، ثم يعود الامبراطور ويقول : « اكتب » فتبدأ عملية الكتابة من جديد ...

ويزداد الأمر تعقيداً على السكرتير عندما يدخل فوشيه وزير البوليس حاملا ملفاته الضخمة ليعرض تقاريره اليومية على الامبراطور ، إذ يجلس بجوار المكتب ويبدأ تلاوة أوراقه وكلها متعلقة بمؤامرات تدبر لاغتيال حياة نابليون ، وثورة الملكيين فى مقاطعتى بريطانيا والفانديه ، وزعماء الثوار المنبثين خفية فى أرجاء باريس ، والأموال التى تنثرها حكومة انجلترا لمساعدة أولئك

الثوار . فيصغى الامبراطور الى كل هذا ويناقشه جملة وتفصيلا ، ولكن الاصغاء والمناقشة لايحولان دون استمراره فى إملاء رسائله على السكرتير واملاء تعليماته وأوامره على الوزير فيختلط عليهما الكلام ويتعسر على كل منهما ان يعرف ما هو موجه اليه منه

وبينما هو على تمتد يده الى اضبارة فوق المكتب فيقلب أوراقها بأصابعه ويتصفح بعض ما فيها ويهز رأسه ويقول : « لا . لا ... هذه أثمان مبالغ فيها . . ان هذا الرجل يسرقنا ... » وينظر الوزير فوشيه فاذا الاضبارة التى بين يدى الامبراطور تحوى « فواتير » ومطالب من بعض التجار الذين يوردون للامبراطور قبعاته واحذيته وللامبراطورة مختلف الثياب والعطور والمساحيق

وليتصور القارىء موقف هذين الرجلين والامبراطور واقف بينهما لا يسمح لأحدهما ان يقطع عليه تفكيره باستعادة كلمة لم يسمعها ولا بالاستفسار عن اسم أو رقم لم يتبينه ، وهو على عليهما اشياء من الخطر بمكان ولا يكلف نفسه الاشارة الى أحدهما بأن الكلام موجه اليه ولا يرفع رأسه عن الاوراق التى فى يده حتى يدرك الواحد منهما من نظراته أو ايماءاته ان هذه العبارة أو تلك تعنيه ولا تعنى الآخر ، بينما تتخلل تلك العبارات تعليقات على موضوعات أخرى لا علاقة لها البتة بما هما منهمكان فيه فيجىء كلامه مرتبا هذا الترتيب العجيب :

« ... ويهمنى ان أوجه نظر سموكم الملكى الى أن الحماية للشبعة بروح العطف والتأييد التى يلقاها المهاجرون الفرنسيون من حكومة لوندرة . هذه المرأة قد جاوز اسرافها كل حد معقول . ترسل تجريدة قوية لتعزيز حامية الفانديه ولحراسة شواطىء بريطانيا فقد انتهى الى أن الكونت دارتواه يزمع .. من شأنها ان تشجع المجرمين الذين يفدون على فرنسا بغية .. قبعة باثنين وستين فرنكا .. النزول الى الشاطىء مع شرذمة من المهاجرين .. وهو معذور فى وضع هذه الأثمان لأنه لا يجد من يحاسبه .. يحسن ترك هذا الرجل حراً ورصد العيون حوله لمعرفة الذين .. قلب نظام الحكم واغتيالحياتي .. تدبير طريقة لمنع أولئك التجار من الوصول الى القصر فجوزفين لاترفض منهم شيئا ولا تردهم خائبين »

وعلى الوزير أن يتبين ما يخصه من ذلك فيهتم بأمر التجريدة والقبض على الكونت دارتواه شقيق الملك السابق . وعلى السكرتير أن يلفت نظر الوصى على عرش انجلترا الى مسألة تشجيع المهاجرين والمجرمين . وعلى الاثنين أن يغفلا عن القبعة واسراف الامبراطورة

ولا يحسبن القارىء أن فترات حروب نابليون العديدة كانت فترات راحة لسكرتيره الخاص ، فما كانت خيمة الامبراطور تنصب فى ميدان القتال حتى يخصص جزء منها لمكتب السكرتير ، وما كانت أضواء الفجر تشع على الكون حتى يكون العمل مهيأ والأوراق مجهزة والمكاتبات مرتبة والآلة الآدمية التى يسمونها « السكرتير » جالسة أمام المكتب مستعدة للحركة عند أول اشارة . فما يكاد ضوء النهار ينفذ الى الخيمة حتى ينهض الامبراطور ويتناول الملفات والاضابير فيفتحها بسرعة

ويقرأ ويمزق ويوقع ويطوح وهو يقول للسكرتير : « ارسل هذا . . وهذا للحفظ . . وهذا مستعجل . وهذا يعرض على فى الوقت المناسب . . » وينهض السكرتير المسكين ليجمع من فوق بساط الخيمة أو ليلتقف من الهواء تلك الملفات المبعثرة والأضابير الطائرة وما يكاد يجلس ليجمع شتاتها ويرتب محتوياتها حتى يفاجئه الامبراطور بقوله : « اكتب » فيتناول القلم والورق ويكتب

وكان العمل يمتد أحيانا الى نصف الليل وأحيانا أخرى الى الهزيع الأخير منه حتى ليجهد السكرتير نفسه فى المحافظة على توازنه لكى لا يقع على الارض من فرط التعب وتحت سلطان النوم . .

أما خيمة الامبراطور فكانت تنصب أينما يحل بسرعة لا يتمكن معها ناصبوها من تمهيد الارض وتسويتها ولا من كنسها وتنظيفها . وكانت مكونة من شقتين احداهما يوضع فيها سرير صغير ينام عليه نابليون والأخرى ينصب فيها مكتبه ومكتب السكرتير . وإذا قلنا مكتب السكرتير فانما نقول ذلك من قبيل التجوز لأن هذا المكتب لم يكن فى الحقيقة الا منضدة واطئة وبجانبها حشية صغيرة يجلس عليها البارون فان

ويذكر البارون فان ان الاجهاد كان يصل به بعض الاحيان الى حد يجعله يكتب ورأسه يترنح مغمض العينين . ولقد حدث ذات ليلة ، وكان ذلك أثر الانتهاء من احدى المعارك الحربية ان طال به السهر وثقل عليه عبء العمل حتى عجزت يده عن الكتابة فانتهز فرصة دخول الامبراطور الى مخدعه فارتمى على الارض وزحف متسللا من تحت قماش الخيمة ومن بين حبالها ، فلما صار خارجها فى العراء صادفت يداه شيئا لينا ظنه ربطة من الحشايا او كومة من الثياب فتوسدها غير قادر على تعرف حقيقتها ونام . ولشد ما كانت دهشته عندما أفاق من نومه فاذا تلك الوسادة جثة جندى مقتول !

تلك كانت مهمة « السعيد المحظوظ » الذى يقع عليه اختيار نابليون ليكون سكرتيرا له . ولقد حفظ التاريخ أسماء أربعة وقع عليهم هذا الاختيار وهم : بوريين ومينفال وفان وذلك الشاب المنكود كلود سيار الذى لم ينعم بتلك السعادة المتعسة أكثر من نصف ساعة

حسن الشريف

مسألة القضاء والقدر أو

معضلة الكون العظمى

هل الإنسان مُسَيَّر أو مخيَّر؟

رأى العالم الفلكى الكبير كميل فلامريون

بقلم الاستاذ ادوارد مرقص

عضو المجمع العلمى العربى بسورية

كتاب « أسرار الموت » من خير ما خطته يراعة العالم الروحانى الفلكي الطائر الصيت « كميل فلامريون » الفرنسى وقد نقله الى اللغة العربية الاستاذ ادوارد مرقص عضو المجمع العلمى العربى بسورية . وهو الآن تحت الطبع فرأينا أن ننشر منه فصلا عقده عن معضلة الكون العظمى وهى مسألة القضاء والقدر . فنوه بسمو شأنها وذكر عجز العلم والعقل عن كشف سرها وهتك حجابها الا على سبيل التقريب . وهو تقريب ظفر به المؤلف وعرضه معرضا سهلا يتشربه الطبع ويرضى به الوجدان . لا سيما وقد خرج منه الى نتيجة جلية لتنطبق على عقيدة الاسلام وعقيدة النصرانية . تلك النتيجة هى أن للانسان حرية جزئية فى اجراء الأمور ومصايرها ، وهذه الحرية يتفاوت مقدارها وأثرها حسب طبيعة صاحبها وأخلاقه والأحوال المحيطة به عند اتيانه امراً ووقوعه فى حادث . ومما تجب الاشارة اليه أن فلامريون ليس من رجال الايمان بل من رجال الالحاد ، ولكنه معتدل فى الحاده غير متعصب فيه ولا متصلب ، فالذى يهمّ به هو ما تصدره أحكام العقل والعلم المبنى على العمل والتجربة . وقد جاهر بذلك وبسط الكلام بشأنه فى مقدمة كتابه المذكور قائلا أنه لا يعنى إلا بالحقيقة حسبما تلوح له فما هو بتعمد نصرة رجال الدين ولا التحامل عليهم ولا تأييد الملحدين ولا السخرية بهم

قال فلامريون :

من حوادث الاطلاع على المستقبل أن زوجة الجنرال الروسى توتشكوف حلمت سنة ۱۸۱۱ كأن والدها ــ وكان حيا ــ جاءها ممسكا بيده أخاها الوحيد وقال لها وسمات الحزن ظاهرة على وجهه : « انتهى عهد هنائك يابنية فقد سقط زوجك صريعا فى بوروديتو » فانتبهت مذعورة ثم تماسكت وزال خوفها تدريجا لما رأت زوجها نائما بقربها وهو على خير ما يكون من قوة وعافية

وعادت الى النوم فرأت الحلم نفسه . فازداد خوفها وقلقها وقصت الحلم على أبيها فاستغربه ولكنه لم يهتم به مثلها وأخذ كلاهما يفتشان فى الخريطة الجغرافية عن اسم « بورودينو » الذى ذكر فى الحلم مرتين فلم يجداه وقالا : « اما ان يكون هذا المكان غير موجود فى روسيا واما انه صغير فلم يجعل له نصيب من الخريطة » . ثم انقضى على هذا الحادث ثلاثة أشهر وإذا بالجيش الفرنسوى تحت قيادة الامبراطور نابليون الاول يقتحم روسيا بغارات شديدة ، وإذا بالجنرال توتسكوف يسقط قتيلا مع كثيرين من أبناء وطنه قرب نهر صغير اسمه بورودينو وقرية صغيرة تسمى أيضا باسم النهر . ومن ذلك الحين اشتهر اسم تلك الجهة بسبب المعركة الهائلة التى جرت فيها . وقبل ان تدرى المرأة بمصرع زوجها دخل عليها أبوها ممسكا بيده أخاه وقال لها والدموع فى عينيه : « وا اسفا عليك يا بنية . انتهت ايام هنائك . فقد قتل زوجك فى بورودينو »

وفى أيام الثورة الفرنسوية الكبرى اتفق لاحدى السيدات أن تخيلت زوجها فى خطر اذ اتهم تهمة شنيعة وسيق الى محكمة الثوار ولكنها تمكنت بالجهد ان تدافع عنه دفاعا معقولا وتتضرع لأجله حتى تمكنت من انقاذه وأخلى سبيله . وهكذا جرى لزوجها بعد أيام قليلة

وكتبت الى فتاة ايطالية تقول أن روحا أحضرتها بضربات المنضدة احدى المشتغلات بهذه الطريقة ، وأجابت الحضور حالا على أسئلة بعضهم أن فلانا وهو زوج خالة الفتاة — وكان صاحب الروح زوجا لها قبله — سيخسر ثروته الطائلة بعد سنتين ، وبعد فقد ثروته بخمس سنوات يموت على الفور دون أن يمرض . وهكذا جرى : فالرجل جازف فى مضاربات البورصة فخسر فيها ماله جميعه . وبعد ذلك بخمس سنوات وهى سنة ١٩١٧ دخل الحرب العظمى فى جيش وطنه ايطاليا ولم يلبث ان اصابته رصاصة فى رأسه قضت عليه لساعته

كتبت الى الفتاة الايطالية ذلك وعقبت عليه بقولها : « إذا كان أبناء الزمان الحاضر يعلمون الاستقبال كما جرى لنا فى ما رويته لك وكما جرى لكثيرين غيرنا مما رويته أنت فى مؤلفاتك القيمة . اذا كان الامر كذلك فهو دليل على أن ما سيجرى لا بد أن يجرى مهما اجتهد المجتهدون وسعى الساعون . وهذا هو القضاء والقدر بحذافيره ، فهو وحده اذن المتسلط على الكون . فما أشقى الانسان حينئذ وما أضعفه وما أحقره ما دام محروما كل حرية واختيار . ما دام محروما حق السلطة على تصوراته وأفكاره ونياته ، فهو فيها مسوق وعليها مرغم . بربك أخبرنى مارأيك فى هذه المعضلة يا استاذنا العظيم »

فكتبت اليها أقول : « ان هذه المسألة أدق المسائل وأصعبها مسلكا . كانت وما زالت شغل العلماء الشاغل . والذى أراه فيها لا يخرج عما يراه جمهور من العلماء ، وهو أن الزمان بحد ذاته غير موجود جوهريا ولكنا نحن أوجدناه نسبيا لسهولة التعبير ولأن مداركنا محدودة . فليس هناك ماض وحاضر ومستقبل بل كله حاضر بحكم طبيعة الاكوان . وحوادث الاكوان كلها

مترابطة بأسبابها ونتائجها . فلا تكون نتيجة إلا وقد سبقها سببها . ولارادتنا نصيب كبير فى اختيار هذا السبب . فحريتنا الشخصية غير مفقودة بل تعد عاملا يضاف الى غيره من العوامل الخفية التى يتألف منها النظام الاعلى لترابط الحوادث والحالات بعضها ببعض

نعم ان للانسان جزءاً من الحرية وجزءاً من الاختيار فيما يقوله وينويه ويأتيه . وهذا الجزء له تأثير على قدره فى مجرى الأحوال والحوادث . جزء لا يمكن أحداً أن يدحض وجوده أو يحملنا على انكاره لأنه أمر وجدانى لا سبيل لنفيه . فهو ثابت فينا ثبوت التصور والفكر والشعور . أنا الآن جالس على كرسى فى مكتبي بين اوراق ودفاترى . احس تمام الاحساس بأنى أستطيع أن اكتب او اقرأ . ان اكتب فى هذا الموضوع على تلك الصورة او أقرأ كتاب كذا أو أقوم أو اقعد أو أترك مكتبي على الفور أو ابقى فيه ساعات متوالية الخ الخ . هذه احساسات واقع أثرها فعلا . فكيف يصح أن اقول أو يقال لى انك مع ذلك يافلان ليس لك شيء من الحرية والاختيار فى قراءتك وكتابتك وقيامك وقعودك ولبثك طويلا أو يسيرا فى مكتبك . وإذا قيل لى ان هذا الاختيار الذى يلوح لك هو ظاهر سطحى لا حقيقى ، أجبت القائل: نعم أنه ظاهر مثل وجود هذا الكرسى تحتى وهذا المقعد أمامى وهذا الباب الذى عن يمينى الى غير ذلك من الأشياء فهل هى وهمية ؟ كلا وحاشا . ولكننى لا أنكر أن حريتى فيما أنويه أو أفعله هى جزئية لا كلية مطلقة ، إذ ينازع ارادتى فى الشيء المقصود عوامل أخرى عديدة من طوارىء على ، وميول واخلاق بى ، ومن تأثير الجو والمجتمع والعادة ، وغير ذلك من سلسلة الاسباب العمومية التى تتسلط على حوادث الكون وتربط النتائج بأسبابها والمستقبل بالماضى ، ولكنها تجعل أيضا فى جملتها حيزاً للارادة البشرية . فاذا قيل : لو كان للارادة البشرية شيء من التأثير لتحولت حوادث المستقبل المسطورة فى لوح الغيب الى شكل آخر حسب تأثير تلك الارادة . اذا قال المعترض ذلك أجبناه : ومن أعلمك علم اليقين ان شكل الحوادث والحالات المسطورة فى عالم الغيب ليس هو والشكل الآخر الذى نسبه اليه . ليس هو الشكل الذى عدلته قليلا أو كثيراً الارادة البشرية . ولولا سلطة هذه الارادة لكان الشكل المذكور منحرفا عما هو عليه

والصحيح عندى ان حرية الانسان فى اجراءاته ليست مطلقة ولكنها ليست معدومة وتقتضى نصيبها من تلك المؤثرات يترتب على الانسان التبعة الادبية . هذا هو المذهب المتوسط الذى يحاكى العقل والصواب فى هذه المعضلة العظمى . وبهذا المذهب يمكن التوفيق ولو بوجه تقريبى بين حقوق الخالق وواجبات المخلوق . والى هذا المبدأ أشار المثل اللاتينى القديم القائل : « ان أعنت نفسك فالله يعينك »

ولو كانت حرية الانسان مستقلة تامة،وخياره مطلقا ، لم يبق معنى للقدرة الالهية أو لناموس الاكوان العام وأحكام القضاء والقدر . ولو كانت حرية الانسان معدومة ولا أثر البتة لارادته لما

يبقى معنى لمؤاخذته ولم يكن فارق أدبي بين وجوده ووجود الجمادات . بل لكان من الاوهام الصبيانية والخزعبلات تفرقتنا بين الخير والشر ، وبين الفضيلة والرذيلة . . . وهل من فوضى أهول وأفظع من هذه الفوضى التى تسود الارض والسماء اذ ذاك

لا شك أن لكل انسان مصيراً ، وان مصيره هو نتيجة عدة أسباب ومؤثرات ، وفى جملتها ارادته ومساعيه . ولا شك أن كل حادث كبير أو صغير يحدث فى العالم تقدمته أسباب وبواعث فى سلسلة متصلة الحلقات ، وهذه السلسلة لابد من حصولها ولو اطلعنا فى حاضرنا على ذلك الحادث الاستقبالى

مهما بلغ اعتقادك فى القضاء فلا أظنك تستسلم اليه وتقول : انه واقع لا محالة كيفما كان الامر ، بحيث أنك لا تلجأ الى الطبيب حين يقع إبنك أو أخوك فى مرض شديد ، وبحيث لا تستغيث برجال المطافىء حين تبدو علامات الحريق فى بيتك . ومساعيك هذه هى حلقات فى سلسلةالاسباب لوقوع ما سيقع . ولا تنس أن الحرية الجزئية أو الحرية النسبية التى يتمتع بها كل انسان يتفاوت مقدارها فى الشدة والضعف على قدر ما فى المريد من جوهر روحانى وما يطرأ عليه من المؤثرات الخارجية ، وقد يكون المرء الواحد فى أمر من الأمور حرية نسبية تزيد أو تنقص عن حريته النسبية فى أمر آخر

ثم أن ما نسميه قضاء وقدرا فى هذا الكون ليس من الصواب أن نتصوره قوة عمياء تتخبط فى سبيلها ، بل هو خاضع للنظام الكونى الأعلى فى الأسباب والنتائج ، وبهذا الاعتبار يليق بنا أن نسميه « الوجوب الأعلى » أو « القوة التصميمية العليا » اذا كان بعض الناس يفهمون من اسم « القضاء والقدر » معنى التحكم والتنفيذ الاستبدادي . وبين المبدئين فرق ظاهر ، فلينتبه اليه المنتبهون

ولننتبه الى أن الزمان ليس له قوام ثابت بحد ذاته . فهو شيء نسبي اصطلحنا عليه لأننا محتاجون اليه فى معايشنا وفى اتخاذ مقياس لحوادثها . الزمان عندنا ناجم عن دورة الكرة الأرضية فلو كانت سرعة هذا الدوران ضعف ما هى عليه لكانت مدة كل يوم من أيامنا قدر نصف مدتها الحالية . ولولا دوران الأرض والكواكب لما وجد الزمان . كما أن الأوقات فى كل كوكب من الكواكب تتخالف مددها في الايام والشهور والسنين وذلك حسب سرعة دورة كل كوكب . فاذا علمنا ذلك ، اذا علمنا أن الزمان شيء وهمى لا قوام له ، فكيف نهتم به ونجعل شأنا عظيما لاعتباراتنا فى ماضيه وحاضره ومستقبله مع ان الثلاثة هى على مستوى واحد فى نظر الحقيقة المجردة . ومن ثم فأية غرابة اذا استجلت القوة الروحانية اليوم أمراً سيجرى غداً أو بعد غد أو بعد سنة أو بعد سنين . وليس هنالك مستقبل حقيقى لديها بل هو مستقبل اصطلاحى ألفته قوانا الجسدية ولاءم قواها المحدودة

هذا يقال عن الزمان باطلاقه . واما المكان المطلق فليس هو مثله بل له وجود بحد ذاته . ومرجع وجوده هو الى هذا الفضاء الذي لا ندرك تخومه

ان اطلاعنا على الحوادث قبل حدوثها لا يقيد حدوثها على كيفية مخصوصة ولا يسلب شيئا من حرية القائمين بهذه الحوادث ولا حرية الذين لهم دخل فيها . ولسهولة استيعاب هذه النظرية نقول للقاريء : هب انك على سطح هضبة تشرف منها على جميع ما حواليها فالتفت الى احدى الجهات فرأيت رجلا بيده سلة وهو يسير قاصداً البلدة التي في الجهة المقابلة اذ لا بلدة أخرى ولا مكان معمور آخر في تلك الجهة . فعلمت أنت ذلك . علمت أنه سيمر تحت الهضبة حيث أنت ثم يستأنف الطريق الى البلدة المذكورة . اذا اطلعت على ذلك قبل وقوعه وأخبرت به أحد الناس فهل علمك به واطلاعك عليه سلفا بفضل مركزك ذاك يحسب سببا لقيام الرجل وسيره وحمله السلة وقصده الى تلك الجهة . وهل يكون في اطلاعك المعجل شيء يمس حرية الرجل في ما نواه وفعل من قيامه وسيره واتجاهه وحمل ما يحمل ؟

كلا . لا علاقة بين ما علمته وبين حرية الرجل واختياره . فان علمك بالأمر تابع ذلك الأمر ولم يكن الامر تابعا بكثير أو قليل لعلمك المعجل به

وهكذا يقال وانت واقف على تلك الهضبة اذا رأيت قطاراً حديديا سائراً بسرعة البرق ثم التفت ورأيت قطاراً آخر يسير بمثل سرعته على الخط نفسه في الجهة المقابلة . وعرفت من عدم توقف أحد القطارين اللذين أصبحا على أهبة الالتقاء أنه لم تعط لهما أشارة لاتخاذ الحيطة سهواً من مأموري المحطات أو لسبب آخر . إذا رأيت ذلك كله فلا شك أنك ستعلم على أثره بأن القطارين سيصطدمان اصطداما هائلا بعد دقائق قليلة وسيتحطمان ويقتل ويجرح ويشوه كثير من الركاب . تعلم ذلك قبل وقوعه ثم تقع الكارثة كما رأيت . فهل كانت رؤيتك سبباً لوقوعها . وهل كان علمك بالحادث مؤثراً على سير القطارين أو على حرية القائمين بهما في تقصيرهم باتخاذ الحزم والتدبير . هيهات ، هيهات ! فان لكل انسان حرية وحق الخيار ، ولكن بمقدار نسبي قد يزيد في هذا الشخص وقد ينقص في ذاك . وقد يزيد في هذه الحالة وقد ينقص في تلك . واما أن تكون له الحرية المطلقة والخيار التام في أموره فهو شيء لا مطمع فيه إذ لابد أن يكتنف هذه الحرية عدة مؤثرات وأسباب وهذه الأسباب والمؤثرات هي نفسها حلقات من سلسلة النظام الكوني الأعلى لترابط الحوادث والحالات . وبناء على ذلك لا يصح لنا أن نعد الانسان مسيراً تمام التسيير ، ولا مخيراً تمام التخيير . بل هو في مرتبة متوسطة بين الطرفين . وهذه المرتبة شريفة كافية لحضه على الاجتهاد والتنبه مما يساعده في مواقف كثيرة على استزادة نصيبه من تلك الحرية النسبية . ولا يخفى ان هذا التعليل ينطبق على أحكام العقل والوجدان ويلائم ناموس العمران أتم الملاءمة . . .

ترجمة : ادوار مرقص

صراع بين الفن والحب

او غرام القصصي جوستاف فلوبير

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

جوستاف فلوبير هو القصصي الفرنسي الكبير مبتكر المذهب الواقعي فى الأدب وصاحب القصة الخالدة « مدام بوفاري »

كان جوستاف فلوبير يقدس فنه ويعيش من أجل هذا الفن ولا يخطر بباله لحظة واحدة أن فى العالم فتنة مهما بلغت من الجلال والروعة يمكن أن تباعد بينه وبين فنه وتصرفه عنه وتستنفد من حياته ولو بضع ساعات

وكان رجلا مصابا بشبه لوثة ، يحب العزلة ويكلف بالتأمل وينفر من الناس ، ويقضى سحابة يومه فى داره يطالع ويكتب ثم يتلو على نفسه ما يخطه قلمه بصوت جهير داو يملأ قلبه غبطة وفرحا

ولم يكن جوستاف فلوبير من أولئك الأدباء الذين يعتقدون أن وحي الفن مصدره المرأة ، وان المرأة فى وسعها أن تلهم الشاعر أو القصصى أو الفنان ، بل كان يؤمن ايمانا راسخا عميقا أن خيال الفنان هو كل شيء ، وأن الحياة بأسرها قد جمعت فى خياله المتقد ، وأن الطبيعة حشدت فى ذهنه الخارق من الأشكال والألوان والظلال ما يغنيه عن المرأة وعن التطلع الى الحافز العاطفى الذى تمثله المرأة فى نظر طائفة كبيرة من أهل الأدب والفن

فالحافز عند فلوبير هو العمل لا المرأة . ولذا فقد كان يعمل الساعات الطوال ، ويظل بالعبارة الواحدة يصقلها وينحتها اليوم كله حتى تخرج مصقولة كاملة كما تخرج الجوهرة الكريمة من بين يدى الصائغ الماهر

وكان فى ذلك يقتدي بالروائى العبقرى بلزاك ولا ينفك يردد مثله : « ان أجمل بدن لأجمل امرأة لايساوى سطراً واحداً يخطه قلمى ! . . . »

وكان فلوبير سعيداً كل السعادة بهذا الايمان ، لايتوق فى الحياة الى اية لذة ، ولا يسعى الى أى نعيم ، ولا ينزع الى أى ترف مادى ، ولا يطلب من الدنيا أكثر من حياة متواضعة يستطيع أن يستخدمها خياله لابداع روائع الاعمال التى يزخر بها عقله . ولطالما نصح له أصدقاؤه بالزواج

ولكنه كان يكره أن تستلب منه المرأة ولو جزءاً من وقته ، وأن تهبط به فتعكر مجرى حياته وتتحول بتيارها وتفسد جمال وحدتها وتملأها صخبا وضجة وعبثا

ومع ذلك فقد كان فلوبير رجلا مديد القامة مفتول العضل جم الحيوية يفيض نشاطا وقوة ورجولة ، وكان يحس من نفسه فى بعض الأحيان رغبة شديدة فى المرأة . ولكنه على الرغم من شعوره بوطأة حواسه كان يتألم فى سكون ويجاهد فى صمت ويكبح جماح اهوائه فى اطراد ويلجأ الى (البرومور) ليخفف عن نفسه عبء ميوله ويستطيع أن يقر السلام فى بدنه ويستريح

وشاء القدر أن يحب هذا الرجل وأن يخضع لسلطان المرأة وأن يخون فنه ويخون ايمانه ويتناسى واجبه المقدس أياما عدة من أجل امرأة

أولع فلوبير بسيدة تدعى (لويز كوليه) مديدة القامة مثله عريضة الكتفين ناهدة الصدر ممتلئة صحة وجمالا وحياة

كانت أديبة وكانت تعجب بأعماله وتفهمها وتناقشه فيها وتستطيع أن تتحدث عنها بأعمق وأجمل مما كان يتحدث عنها صاحبها . وكانت الى ذلك ملكة من ملكات الصالونات خفيفة الروح أنيقة المظهر حاضرة البديهة بارعة النكتة فاحبها فلوبير وانزلها من قلبه منزلة خاصة وفكر فى لحظة من اللحظات أن يجعل منها قرينته

وتوثقت بينهما الصلات فكانت تكتب اليه رسائل شائقة وكان يبث اليها بخطابات يتجلى فيها صراعه النفسى العنيف . ذلك الصراع الذى قام بين حبه لفنه واخلاصه له وتفانيه فيه ، وبين حبه تلك المرأة وهيامه بها ورغبته فيها وخوفه الشديد منها ، ومن أن يطغى عليه حبها فيفقده خاصة العمل وفضائل الراحة والسكينة والتفكير المنتظم فى هدأة العزلة

وأوشك فلوبير أن ينسى كل شيء فى سبيل لويز كوليه على حد تعبير الناقد (جول لميتر)

أوشك ان ينسى كل شيء . انطلق من محبسه وشرع يقتفى خطوات المرأة . اهمل فنه وجعل يغشى الصالونات حيث يراها . تبرم بكتابة القصص ومضى يكتب لحبيبته رسائل غرام . . .

احتلت المرأة ذهنه ، ملكت عليه مشاعره ، أحاطت بقوى خياله ، أحدقت به من حيث لا تشعر وضربت الحصار حول عقله فاستفاق الأديب ذات يوم واذا به على شفا الهوى والانحدار

ولم تفطن لويز كوليه الى ما جره حبها على فلوبير من شقاء نفسي كان يخفيه عن الابصار جهد الطاقة ولا يصارح أحداً به

والغريب أنها وقد كانت تجهل كل الجهل ما ألم بصديقها ، لم تحاول الهبوط الى قرارة نفسه وتعرف سر شخصيته ، بل استسلمت لانوثتها واستسلمت لكبريائها وزهوها ، ورأت ان تسرف فى السيطرة على حبيبها كي تبقيه لها وحدها ، وتحتفظ ابدا به وتجعل منه متاعها

ولو أنها كانت بعيدة النظر حكيمة ما حلت الكارثة بحبها . بل لو أنها أدركت حقيقة نفس فلوبير وأغضت بعض الشيء عن حبها وتركت للاديب متسعا من الوقت للتفكير والعمل ، ما تبرم بها وما أحس خطرها وما نفض هذا الحب عن صدره وطرده آخر الأمر شر طرد

ولكن لويز كوليه كانت امرأة طموحا كمعظم النساء . ولقد ارادت أن تظفر من حبيبها بكل شيء مرضاة لكبريائها وطموحها وما فيها من أنانية وحب ذات . وعندئذ ثارت ثائرة الاديب عليها فصدف عنها واجتواها واستحال حبه الشديد لها الى خوف مشوب بالحنق والبغض والكراهية

وأحست منه الصد فأعرضت عنه لتستثير عاطفته ، ولكن اعراضها لم يزده إلا كرها لها وازدراء لأخلاقها ويقينا من انها لا تحبه لنفسه بل لها ، ومن أن هذا الحب لو انتهى الى صلة وثيقة دائمة ، أو الى زواج ، فلا بد ان يجهز فى عقله على كل ارادة وكل نبوغ وكل تفوق

ويقول (جول لميتر) ما معناه ان رغبة لويز كوليه فى حيازة فلوبير والاستيلاء على فكره وعواطفه ، هذه الرغبة النسوية المعروفة ، هى التى أنقذت الاديب وردته الى صوابه والقت به مرة ثانية فى أحضان العمل والعزلة

والغريب ان لويز كوليه على الرغم من أنها كانت أديبة ، لم تستطع أن تفهم كيف يمكن لفلوبير أن يحبها ثم يحب فى ذات الوقت فنه أضعاف حبه لها

وهذه الظاهرة فى نفسيتها هى التى قضت على ذلك الغرام ، بل هى التى جعلت فلوبير التعس يقول : « إذا كانت المرأة المثقفة الاديبة تغار من حب الرجل الاديب لفنه وتعمل على اقصائه عنه ، فكيف يمكن ان تكون المرأة العادية التى لا هم لها فى الحياة الا حيازة الرجل ؟ .. الا ان الخير كل الخير فى توديع المرأة وعبادة الوحدة والتفكير والعمل ! »

وهكذا استيقظ فلوبير ، ولكن لويز كوليه حقدت عليه أشد الحقد ولم تغفر له أعراضه الفجائى عنها . وبينا كان الأديب يخفى نفوره منها ولا يذكرها أمام الناس إلا بالحسنى ولا يفكر فيها إلا ليشفق حسرة عليها ، كانت هى تغتابه فى المحافل العامة ، وتعرض به ، وتهزأ باعماله الادبية ، وتحاول الحط من شأنه فى عيون زملائه ، شاعرة أبلغ شعور وأوفره بلذة الانتقام السلبية النكرة

على أن فلوبير لم يجاهر ببغضه ولم يصارح باحتقاره ولم تصدر عنه أية لفظة تنم عن حقيقة عواطفه نحو لويز كوليه

بل لقد تسامى آخر الأمر بحبه وعكف على العمل المتواصل فى وحدته وظل يتمثل حبيبته كما ود ان تكون ، مخلوقا جميلا وادعا لطيفا يحب الفكر ويقدر العمل ويدرك سمو التضحية ويخلص لتلك العقيدة التى جعلها فلوبير شعار حياته وهى : « الانسان لا شيء ، والفن هو كل شيء ! .. »

ابراهيم المصرى

مختارات من الشعر الغرامي

من الأدب الفرعوني

هبطت النهر . . .

هبطت النهر بقاربي وانطلقت أضرب الماء بمجذافي حاملا على كتفي باقة كبيرة من الأزهار والأغصان

وعندما أصل الى منفيس ، سأتوجه الى رب الحقيقة (فتاح) واستصرخه قائلا : امنحني أختي هذا المساء !

ان منفيس لأشبه بكوبة من الاعطار وضعت عند قدمي الاله الجميل

وان الفجر في منفيس ليشبه جمال أختي

فاذا لم ألتق بها اليوم فسأذهب الى غرفتي وأتمدد على سريري مريض الجسم من هذا الظلم الذي حل بي

ولا شك ان الجيران سيتوافدون مستفسرين عني ، فاذا اتفق وكانت أختي بينهم فستهزأ ولا ريب بأطبائي لانها وحدها تعرف دائي وتعرف أيضاً دوائي !..

تغنيات العاشقة

آه يا أخي ! يا للعذوبة التي أجدها إذ أهبط النهر معك ، وأستحم فيه أمامك

اني لأود أن اكشف لك عن محاسني كلها عند ما اكون في النهر تستر بدني غلالة رقيقة يبللها الماء

أود أن أهبط الى الماء معك وأخرج من الماء معك حاملة سمكة حمراء تبدو رائعة الجمال وهي بين أصابعي

فتعال ، تعال وانظر الي ! . .

تغنيات العاشق

لو كنت عبدها الأسود الذي يتبع خطواتها لاستطعت أن أتبين لون بشرتها

ولو كنت أعمل في دارها ماشطاً ولو ميقات شهر واحد لاستطعت أن أغسل الدهان الذي تخضب به عصابة رأسها

ولو أتيح لي وكنت ذلك الخاتم الذي يشبه الطلسم ويضم أصبعها ، لفرحت فرحاً عظيما بقدرتي على تجميل حياتها ! . .

□

من الشعر الصيني

لن أعشق

للشاعر الصيني هوشيه

لن أعشق ، فالعشق ضعف و بلادة وخمول . لن أنتحر في الربيع ، ولن أحزن في الخريف . لتتفتح الازاهير أو لتسقط اذا شاءت بل لتلتهب الشمس ، أو تتقلص ، أو تغيب ، ماذا يهمني ؟ . .

العاشق يمجد السماء ولا ينفك يشدو بلونها الصافي . ولكني أود أن أعتليها وأسخرها لمصلحتي واشرف منها على العالم !

لماذا أندب سوء حظي وأظل راقداً أبكي كالعبيد ؟

ينبغي أن أحمل الراية وأدرب ساعدي على القتال ! . . .

ينبغي أن أفرغ الأجيال مما أودع الظلم في بطونها من عبودية ! . .

ينبغي أن تفتح أمام قدمي أبواب العصور !

ينبغي الا أترك فرصة الظفر بالبطولة لسواي !

الحياة قصيرة والموت بالمرصاد ويجب أن أنهض بذكرى واخلد برغم الموت والحياة ! . . .

فلأكتسح ، فلأكتسح كل ذلك الضعف ، ولأتفوق على نفسي ، كي أخلق للصين روحا جديداً وحياة جديدة خالدة !

□

من الشعر الياباني

خطرة

لشاعر شعبي مجهول

اذا اهتم الانسان بنفسه

أحس مطر السماء خفيف الوقع على مظلته ..

واذا فكر فى الحب
أحس عبئاً ثقيلا على كتفيه
واذا ذهب لملاقاة حبه فى ليلة من ليالى الشتاء
أحس ريح الجدول باردة والعصافير تبكى
ومهما جد العاشق فى طلب عشيقته ، ومهما تعذب واحتمل
فلا بد أن يطرق سمعه صوتها المتبرم يقول :
لشد ما اتعبنى انتظارك . أما كان فى وسعك
ان تأتى مبكراً ؟ ! . .

الحب زهرة

الحب زهرة
و بينما كنت أنفق حياتى فى الاباطيل
ذبلت واأسفاه هذه الزهرة
ذبلت ثم انطوت ثم ماتت قبل ان أعرف لونها

□

من الشعر الهندى

العاشقة

للشاعر الفيلسوف ربندرانات طاغور

انى احبك يا حبيبى ، فسامحني على حبي
كنت عصفوراً ضالا فآ ويتنى ، وزعزعت قلبى حتى سقط عنه قناعه
فاغمره بالشفقة يا حبيبى ، وسامحنى على حبى !

***

اذا لم تستطع أن تحبنى يا حبيبى ، فسامحنى على ألمى . لا تنظر إلى عن بعد بازدراء ، فسأقبع فى زاويتى ، وأظل جالسة فى الظلام أحجب عارى بكلتا يدي
فلا تلو بوجهك عنى يا حبيبى ، وسامحنى على ألمى !

***

اذا أحببتني يا حبيبي ، فسامحني على فرحي

ومتى رأيت قلبي وقد اجتاحه سيل السعادة ، فلا تبسم لاستسلامي الخطر ، ومتى رأيتني جالسة على عرشي استبد في حكمك يا غرامي ، وامنحك كآلهة نعمى ، فاحتمل كبريائي يا حبيبي ، وسامحني على فرحي ! . . .

من الشعر الفرنسي

ضحكتها ! . . .

للشاعر الفرنسي ادموند هاروكور

ترن ضحكتها فى أذنى كالفضة أو البلور

ما أشبه ضحكتها بالمشعل الوهاج ، أو بوسوسة الحلي ، أو بالنور ينبثق فجأة من صلب الظلام !

***

ضحكتها نزوة من نزوات الشمس ، فرح من أفراح الربيع ، نافذة مفتوحة أبدا على الهواء الطلق !

ما اشبه ضحكتها بالشراع المنصوب على صفحة البحر ، بهدير الموج ، بلمع البرق ، بطنين النحل ، أو بصليل السيوف

***

ضحكتها أنثى توافرت فيها عناصر الخصب

ضحكتها عود ومزمار وطبل

ضحكتها مأدبة للجسوم وبهجة للقلوب وعيد للآذان !

***

ولقد سمعت ضحكتها وسكرت بها وعشت منها ولها

فطوبى لمن عاش وسمع وسكر ! . . .

[من كتاب للاستاذ ابراهيم المصرى يضم مجموعة منتقاة من أعذب الاشعار الغرامية لكبار شعراء الحب فى شتى شعوب العالم ، وسيصدره الهلال ويهديه لقرائه قريبا]

سجل الأيام

عرض عام للشؤون الداخلية والمسائل السياسة العالمية

بقلم الاستاذ سامى الجريديني

(١) الشؤون الداخلية

مجلس البرلمان

التأم البرلمان بعد غيبة قصيرة . وسواء على الباحث المنزه عن الغرض أكان البرلمان وليد ما يسمونه انتخابات حرة أم ابن التعين والاختيار . انه يستوى لديه اللون الحزبى الغالب على الاعضاء

فالعبرة الحقيقية هى فى أن هناك ملأ من المصريين تفرض عليهم الوطنية وواجب الخدمة العامة أن يكونوا عند حسن ظن البلد بهم

فالمملكة المصرية لا تعجز عن أن تحوى اربعمائة برلمانى يجمعون أمرهم على خدمتها ، وسيان عندها انتخبوا أم عينوا ، فالعبرة فى مقاييس الأمم ليست فى عقيدة الخادم الحزبية أو طريقة توليته الخدمة العامة ، بل بالاعمال ، والاعمال وحدها دون سواها

واننا نرجو مخلصين أن ينصرف الجهد كله الى خدمة المرافق العامة وفى مقدمتها أمورنا الاقتصادية فتوضع فى المقام الأول

وقد فرض الاستقلال الذى ظلت مصر تسعى اليه منذ تولى أمرها ذلك العبقرى رأس العائلة المالكة عبئا ، تمرست به أمم الغرب أحقابا طوالا فألفوه ـ أعنى الضرائب تجبى من كل الناس على شتى المعايش والأرزاق

فالضرائب كانت منذ القدم من أهم أسباب الثورات الشعبية ، وهى لاتزال واجبا مكروها يحوطه رجال الدول بمختلف الأساليب حتى يمر بالذين يؤدون الجزية مرآ خفيفا لا يشعرون به ، وهنا تتجلى العبقرية الحقيقية

فالقول بتوزيع الضرائب توزيعـا عادلا جميل كقـولك إن الله حق ، وإن العلم خير من الجهل

ولـكن ما هو السبيل الى اجراء هذا العدل ؟ وكيف يكون ؟ هذه هي العقدة

ولقد كنا حتى البارحة نكتفي بالضريبة على الارض المغلة والبناء المستغل

ولكننا وقد فكت قيودنا أصبحنا نرى أن تعم الضرائب حتى تشمل كل مال ثابت ومنقول ، وحتى يشترك كل أحد فى العبء الوطنى

والصعوبة فى فرض الضرائب قائمة فى أن الذين يفرضونها يذهلون كثيراً عن الحقيقة الاقتصادية فى سبيل عاطفة يدعونها وطنية وقد شبه لهم ، أو فى سبيل ارضاء فريق من أبناء الوطن يخشون انفضاضه من حولهم فتذهب حكومتهم

والأمر مران وتجربة

على أن فرض الضريبة على الشىء الثابت لا يفر ، لم يخترعه الناس عبثاً ، فهو أضمن للخزينة أولا ، ثم هو على ظاهره يلحق صاحب العقار ولكنه على حقيقته يشترك فيه المالك والمستأجر والتاجر وعابر السبيل

وأما المنقول فكأمحه يفر ساعة الى هناك ، وساعة هنا فاللحاق به صعب والتضييق عليه اما أن يحبسه فلا ينتج أو يطلقه فيطير الى بلاد أخرى

فالمهارة الاقتصادية تقوم كلها فى تشجيع الثروات المنتجة وفى زيادة ما يمكن أن يكون ثروة وفى تنويعها وهذا لا يكون إلا بضريبة خفيفة تكاد أن تخفى فلا يشعر بها المؤدون . والعدل فى الضرائب في حكم المستحيل

فتبقى السياسة الخليقة بالاتباع سياسة الأمر الموافق ومصلحة الخزينة

فنحن اذاً ، والعهد حديث بنظام فرض الضرائب — أحوج الى ادارة مالية عملية نزيهة منا الى براعة مالية . فالبراعة المالية القائمة على ترتيب الأرقام وتسوية الميزان بنقلها من باب الى باب واقتباس ما يفعله القوم فى أوربا فى نظام الضرائب وأنواعها وطرق جبايتها — هذا نوع الفنا أن نسميه براعة مالية فى الادارات الحكومية لافتقارنا الى البراعة ولبعدنا عن ممارسة الشؤون المالية ولكنها فى الواقع ليست من البراعة فى شىء

فعسى التمرس بالاستقلال واقتحام الميادين التجارية الحرة وتحمل العبء المالى أن يخلق لنا رجالا ماليين يقودون خطانا فى صراط نزيه وطنى مستقيم

ولعل فى رأس ما نحتاج اليه تأمين التوفير العام ، أي جعل الرجل العادى أمينا على ما يوفره بأن تضمن الحكومة له قانونا عادلا شديداً يأخذ كل من يزعزع الثقة المالية بيد لا تلين

وهذا أمر كان ولا يزال حتى الساعة فى حكم العدم فى تشريعنا

فمراقبة الذين يحترفون الاعمال المالية فى أسهم شركات أو سندات أو اقراض نقود لواجب أول على حكومة تغار على توفير أبنائها من الضياع

وكان من سوء حظ البلد أن الذين اختصوا بمثل هذه الاعمال المالية قوم شماميط تفرقهم

جنسيات منوعة فلا يجتمعون إلا على حب المال وكسبه . واذا ماضاعت الاخلاق فى تداول المعايش راح الصغير الساذج ضحية المالى الكبير البارع

فلو أمن الافراد شر بعض الذين يتزيون بزى الماليين وعلموا أن حكومتهم بالمرصاد ترقب اصدار الاسهم وتلحظ المصارف ولها الكلمة العليا فى أعمال البورصات – اذاً لشجع ابن البلد على اقحام توفيره فى الاعمال المالية المنقولة فتكثر الثروة ويسهل انتقالها فتنال الخزينة ربعين اثنين بدلا من ربع واحد

على اننا نؤمن بأن أول الاعباء على الحكومة هو فى تخفيف النفقات العامة وضغطها ضغطا عسيراً سواء بتسريح الجيوش التى تتقاضى أجورها من الخزينة العامة أو بتنقيص هذه الأجور فمما لا شك فيه أن العمل الحكومي فى غنى عن كثير من عماله وأن بعضهم يعمل قليلا ويأخذ كثيراً

وهذا النظام ميراث آل الينا من الادارة الانجليزية فهى التى سنت سنة الاكثار من العمال واغداق الاموال العامة عليهم ثم جعلت التعليم سلما الى هذه الاعمال

فاذا صح ان عزمنا قد عقد على تدعيم الاستقلال فلا بد من تضحية تصعب الآن وتصير نعمة عما قليل

فالنشء يجب أن يصرف عن العمل الديوانى بتكثير ساعات العمل وتقليل الأجور والغاء الامتيازات التى يستمتع بها الموظفون على حساب الجيب العام

عندها ينصرف المصريون مكرهين الى ميادين الاعمال التى تعملها كل الشعوب الحية من صناعة وتجارة وزراعة ومهاجرة

فالحاجة تولد الاجتهاد والاجتهاد أساس كل تقدم مادى وأدبى

والأمر كله منوط برجال منا تأخذهم الجرأة فى الحق والشجاعة للعمل للغد لا لليوم . رجال لايعبأون بالثناء يكال جزافا أو باللوم لا يتورع فيه . يضعون نصب أعينهم الخدمة العامة بعيدة المدى فيبيعون العاجلة بالآجلة . وعلى مثل هؤلاء تقوم عظمة الأمم

(٢) الشؤون الخارجية

جرمانيا فوق الجميع

قد يظن بعض الآخذين من الأمور بظواهرها أن هتلر جاء بمبادىء جديدة جعل الجرمانيين يعتقدونها فى السياسة والحرب والاقتصاد وانه على اعتبار كونه الحاكم بأمره قد سير الشعب الالمانى سيرة فذة

وليس الأمر من هذا فى شىء

فهتلر شأنه شأن كل العبقريين تقمصت فيه مبادىء عنصره ومذاهب بنى جنسه فوجد فى نفسه فكرة متغلغلة فى قرارة النفس الجرمانية

والرجوع الى تاريخ ألمانيا الحديث ـ بله القديم ـ ينبئنا أنباء خير . ولكن القدر اختار هتلر كما اختار من قبله قوادا ورسلا وأنبياء بعضهم يبشر بالفكرة ـ وبعضهم يأخذ بالسيف

وليس أدل على تفسير عقلية هتلر وبالتالى العقلية الجرمانية من قراءة كتابه المشهور « كفاحى » فهو انجيل كتبه هتلر مفسراً فيه خواطر العنصر الجرمانى ومعبراً عن أمانيهم

فعقيدة الجرمان ومطمع آمالهم كانت منذ القدم منصبة على جمع شمل عنصرهم ولمه فى وحدة حكومية تضم كل من مت الى جنسهم بسبب

فهم يؤمنون بتفوقهم العقلى والفنى على سائر الشعوب ويعدون العدة لجمع أفراد عنصرهم فى بقعة أوربية واحدة خاضعة لحكومة منهم فتتهيأ لهم أسباب القوة ثم أسباب التحكم فى أوربا وبالتالى فى العالم

وأنت اذا قرأت كتاب هتلر وجدته يضع هذا الأمر غرضا أولا من أغراضه ، أو بالحرى غرضا يجىء بعد التخلص من قيود معاهدة فرساى الأدبية والمادية ، وها هو قد أدرك الأمرين إلا قليلا

ويبسط المذهب الجرمانى فى كتابه فيقول : اننا اذا وفقنا الى توحيد العنصر الجرمانى تحت راية واحدة ، ترتب علينا أن نضمن لهذه الكتلة القوية معاشا واسعا على الارض التى تضمهم ، فهم ان كانوا ثمانين مليونا الآن فسيصبحون نحو مليونين عدا بعد قرن أو بعض قرن فتضيق بهم على ما وسعت فنضطر الى الضرب فى مضطرب الارض بالقرب منا ، فلا نرى إلا ما هو الآن فى بلاد الروس من اوكرانيا البيضاء فنرجع هؤلاء القوم الاسيويين الى أوكارهم التترية ويخلو لنا وجه أوربا جمعاء

وهو لا يرى حائلا يقف فى سبيل الأمنية الجرمانية الا فرنسا فهى هى العدو التاريخى لا يهنأ لها العيش وجرمانية قوية

على أننا (والكلام لهتلر) ان جمعنا جموعنا وتمت لنا الوحدة ثم اتخذنا عدتنا من سلاح وطعام لأصبحنا القوة ما بعدها قوة فى أوربا لا يجسر أحد فيها على مناوأتنا

وهو لا يطمع فى مستعمرات الآن ولا يتكلم عن قوة ألمانية عبر البحار . ولذا يتلفت فلا يرى له حليفا فى العالم الا انجلترا أو ايطاليا . فتصعبت انجلترا وأبت المحالفة فلم يبق له الا ايطاليا

وليست النظرية الجرمانية فى التعفف عن الاستعمار صادرة عن تقوى وقناعة ولكنها قائمة على الحقيقة المادية التى لا يتلمس الالمان سواها

فهم إذا تربعوا فى البقعة الاوربية التى تضم عنصرهم كله أصبحوا سادة أوربا لا تجسر عليهم دولة أو مجموعة من الدول

فاذا ما سادوا أوربا سادوا بعد ذلك العالم

لذلك اجمعوا أمرهم ان يتناسوا هفوة غليوم الثانى اذ قام يتحدى انجلترا بانشائه الاساطيل البحرية وصرفوا همهم الى القوة البرية والجوية ليخدروا الاعصاب الانجليزية فتطمئن الى خلو البحار المجاورة ممن يتحداها . ويتم لهم الامر فيستعدون لما عقدوا عليه العزيمة

فان تعجب لشيء فعجب أمر هؤلاء الساسة الانجليز الذين لا يأخذون للامر عدته الا عند ما تقع الواقعة

فالحال لا يخلو من أمرين : اما انهم لا يريدون السيادة الالمانية على اوربا او انهم يريدونها

والامر الثانى فى حكم المستحيل فلا السيادة الالمانية ولا أية سيادة أخرى مما يروق للتقاليد الانجليزية أو يتفق مع بقاء القوة الانجليزية . فقد قضوا عمرهم الطويل يناجزون كل دولة تصدت للسيادة على القارة لانهم ان سلموا بهذه السيادة سلموا أقواتهم ومعايشهم لأيد غريبة عنهم وأصبحوا أرقاء مستضعفين

بقى الامر الاول وعليه سياستهم منذ البدء حتى الآن وهى انهم لا يرضون عن سيادة الدولة على أوربا سواء أكانت المانية ام غير ذلك

ولقد تهيأ لهم الأمر عقب الحرب العظمى عند ما رغب اليهم الافرنسيون ان يحتلوا المانيا ويشجعوا روح التجزئة فيها فيعيدونها الى ماكانت عليه قبل بسمارك

فأبى الانجلوسكسون ذلك واستعصموا بحبل جامعة الامم ومانطوى عليه من المبادىء الولسنية بل خافوا سيادة افرنسية تحل محل الالمانية فى القارة ولوحكموا العقل دون التقاليد والعواطف ، ولو احكموا النظر لتبين لهم أن السيادة الافرنسية لاتفمر فليست جائعة عطشى بل بنت رخاء وترف لا يخشى بأسها . وها قد مرت الايام فاذا بهم يلجأون الى فرنسا وايطاليا عسام ان يقفوا مرة أخرى فى وجه التيار الجرمانى

* * *

والاتفاق الانجليزى الايطالى ؟

ولقد طيرت لنا الاسلاك نبأ توقيع هذا الاتفاق . فاذا به يسر الانجليز ويفرح الطليان ويطرب الالمان وكترق له اسرة الافرنسيين . وعسى الله ان يجعل هذا صحيحا وأن يجعل بعد عسر العالم يسرا

على أننا لا نزال جاهلين مغزى هذا الاتفاق فى تفاصيله ولكن التفاصيل ليست مما يهتم له المؤرخ السياسى ، فهو ليس صحافيا يروى الاحاديث يوما بعد يوم ويفسرها طبق هواه أو هوى ما ينقله اليه البرق . ان نظره اجمالى عام يأخذ زبدة الأمر الواقع ويقيسه على ضوء تاريخ الامم ومطامعها . فهناك حدث تاريخى لا قبل للناس به . تلكم القوة الطليانية برزت الى العالم واتخذت لها قاعدة فى هذا البحر المتوسط منشىء المدنيات ومبيدها

ولقد ظن الذين الفوا اللين الطليانى فيما مضى من القرون القريبة أن هذه الدولة الناشئة عرض

أوجده فرد يحسن التمثيل فلا يلبث هذا الطلاء ان يزول عندما يتعب الممثل من لعب دوره

ولكن الجيوش المزردة والأساطيل تكاد تملأ البحر المتوسط ، والقلاع والحصون تقام فى قواعد فى جزر وفى شبه جزر ، والحبشة تغزى بين عشية وضحاها ، وأسبانيا تكاد أن تعود ولاية من ولايات الامبراطورية الرومانية . هذه الوقائع فتحت عيون الانجليز فرأوا الخطر يحيق بهم من ناحية الألمان فالطليان فاليابان

فانقلبوا يخطبون ود موسولينى عسى ان يفصلوه عن حلفائه ، أو أنهم لمسوا قوة جار لا يستطيعون قهره ، واليد التى لا تستطيع كسرها قبلها

وهكذا فعلوا منذ نيف قرن وبعض قرن

فقد عقدوا معاهدة اميان مع نابوليون بعد ان رأوا بطشه وقوته وظن العالم أن السلم قد أرخى سدوله وأن الدولتين المتنازعتين اصطلحتا واتفقتا على كل ما اختلفتا فيه

ولم تمنع معاهدة اميان فى سنة ١٨٠٠ من وقعة وترلو فى ١٨١٥ . ذلك أن « المصلحة » الانجليزية نظام قاس اعتاد التحكم فى أمور العالم فهؤلاء القوم يضحون بالدنيا وما فيها فى سبيل ابقاء الرجل الوجيه البريطانى متمتعا بمستوى من العيش ألفه فلا يتزل عنه

وقد جاورتهم فرنسا مئات السنين عدوة مرة وصديقة كرة ، فما زالوا حتى أصبحت حليفة تابعة

فهل يستطيعون ذلك مع الطليان

انهم يخالفون الزمن . والنظام الطليانى الحاضر قائم على الفرد ومشيئته والاعمار محدودة

فهل من شىء يضمن الاستمرار فى الخطة الطليانية بعد اربعين أو ثلاثين من السنين

ان استمر الجهد وصار قوميا لا فرديا يقبل الانجليز حكم الأمر الواقع ، فاما جوارا حسنا واما تحديا تحسمه معركة بحرية لا بد منها

أم فتحت أوربا عينيها وعادت الى سياسة القرن التاسع عشر : تختلف الدول فيما بينها حتى يظن ان لامفر من الحرب ثم تصطلح على حساب افريقيا وآسيا وما الى ذلك من بلاد تقطن فيها شعوب كتب لها القدر ان تكون فى عداد الأكولة

والناس بعضهم اناء كرامة وبعضهم اناء هوان

ومهما تحدث الاحداث بعد زمن ليس ببعيد سواء أخلص الفريقان ام عادا يتزاحمان ويتدافعان فما لا شك فيه ان هذا العقد الذى وقع فى روما فوز لموسولينى مبين

فقد تم له ان عاد القوم الذين قاطعوه واستعدوا عليه جامعة الامم وكادوا ان يهموا به ، عاد هؤلاء القوم يقولون له هيت لك . نعم ما فعلت . انك كنت صادقا وكنا فى الكاذبين

سامى الجريديني

خطرات وذكريات عن :

غرناطة وقصر الحمراء

بقلم الاستاذ ا. ليفي بروفنسال

المستشرق الفرنسي الكبير

« من لم ير اشبيلية ، لم ير من روائع الحياة شيئاً »

« ومن لم ير غرناطة ، لم ير في حياته أي شيء ! »

« مثلان جاريان في أسبانيا الحديثة »

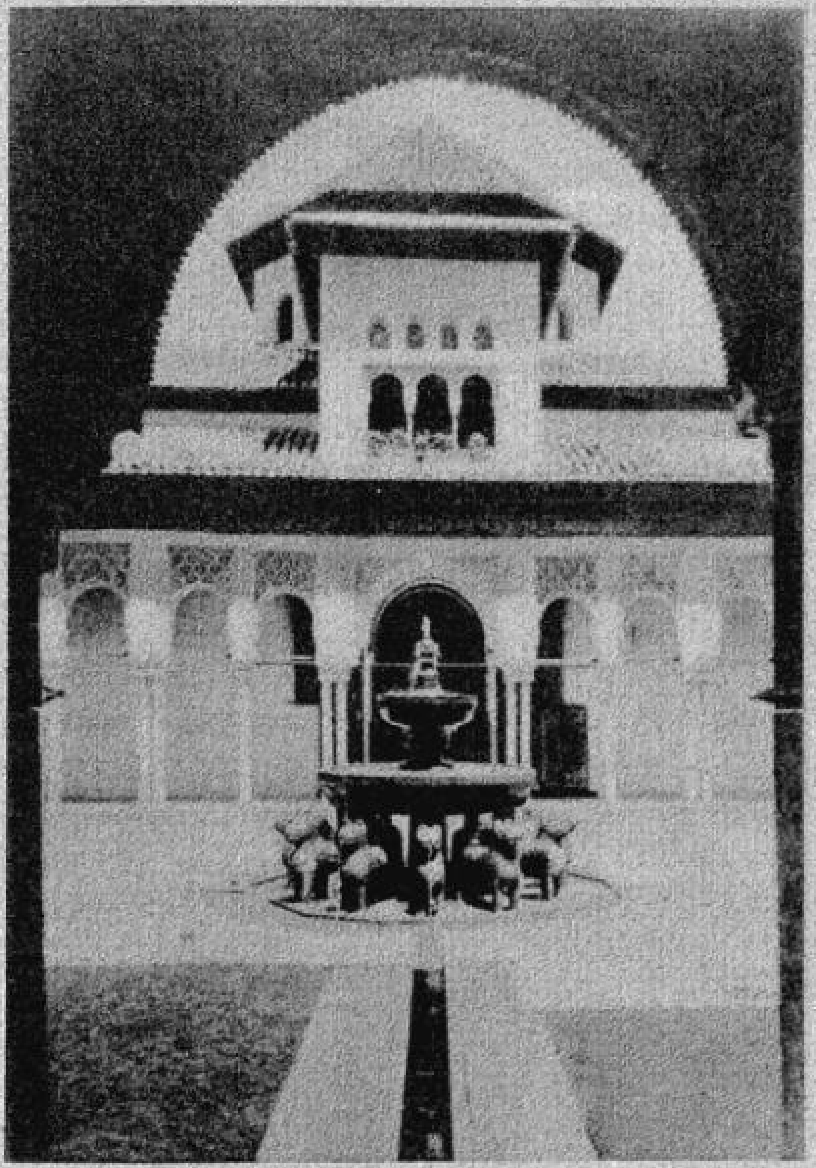
إن سر حبي لأسبانيا لا يرجع فقط الى اهتمامي بماضي الاسلام في الاندلس من الوجهات السياسية والاجتماعية والثقافية واتخاذي من ذلك الماضي مادة لدراستي . إذ الواقع ان أسبانيا في ذاتها مجموعة متناقضة صارخة تكاد تعد من أكثر أقطار العالم جاذبية وسحراً

فالذي يسعده الحظ بزيارتها يجد نفسه حيال ضروب مختلفة من الآفاق الرائعة تتمثل في قمم الجبال الصخرية الشاهقة ، وفي الأنجاد العارية تلهبها الشمس في الصيف ويغمرها الثلج في الشتاء ، وفي الاراضي الضاحكة الخصبة الواقعة على الشواطىء

والحق أن ليس في أسبانيا من منظر طبيعي إلا والعظمة الصارمة تفيض منه تارة ، والسحر الريفي ينبعث منه أخرى . وكل ذلك في جو شائق صاف رقيق يضيف الى لذة النظر لذة التأمل والنجوى

واني لأود ان أصرف اليوم ذهني عن فواجع المأساة الحاضرة التي تدمي تلك البلاد الجميلة ، وأرغب في ألا أفكر إلا في الايام المقبلة التي يتمنى الجميع ان تسترجع فيها أسبانيا هدوءها واتزانها ، فتسري فيها الحياة من جديد كما كانت تسري في الماضي ، عذبة سهلة لينة في بعض الاحيان ، تحمل في أطوائها البعيدة روح التقاليد العربية

كان المسلمون فيما مضى قد خلعوا على القسم الذي امتلكوه من أسبانيا اسم الاندلس . و « اندلوسيا » اليوم تمثل جنوب أسبانيا وهي المنطقة التي منحتها الطبيعة أبهج الحلل والتي كانت مدى ثمانية قرون وطن العرب المفضل



صحن السباع في قصر الحمراء

فالمدن الكبيرة الآهلة الصاخبة المختلفة الاشكال والالوان ، تمتزج وتتشابك فيها كما تمتزج وتتشابك قطع الجواهر ، وذلك في سهل أخضر زاهر بديع . أو تمايل وتستند في رخاوة الى ضفاف بعض الخلجان الصغيرة في البحر الابيض

فهذه المدن تعد اليوم أكثر من سواها مستودع التراث الاسلامى وهى قادس والجزيرة الخضراء ومالقه والميريه ولا سيما اشبيلية وقرطبة وغرناطة

ويلاحظ أن هذه الحواضر الاخيرة الثلاث التى ما تزال تحتفظ بطابع المدن العربية القديمة ، تسترعى نظر المسافر قبل أن يدخلها ، وذلك بفضل ما اشتهر عنها فى الماضى وما حواه تاريخها من ذكريات مجيدة اسلامية ومسيحية

فاشبيليه هى مدينة البساتين الغناء ، مدينة القصر (Alcazar) وبرج الذهب الذى أبدعه فن العمارة الاسلامى

وقرطبة هى عاصمة الامويين القديمة فى اسبانيا وآثارها الرائعة تنم عن حضارة الاسلام ويتمثل أجلها فى الجامع الكبير حيث تنهض فى ظل الاروقة المتعددة شبه غابة من أعمدة تحمل أقواساً مزدوجة تبعث بجلالها الدينى ونظامها المنسجم أعمق عواطف الاعجاب فى نفوس الشاهدين

أما غرناطة فهى مليكة تلك الحواضر وهى تشبه الرمانة المفلوقة والى هذا الشبه ترجع تسميتها Granada . وهى مدينة تتساند بيوتها وتتضام بساتينها ورياضها على المنحدرات الوعرة المتجهة نحو الوادى الذى يجتازها

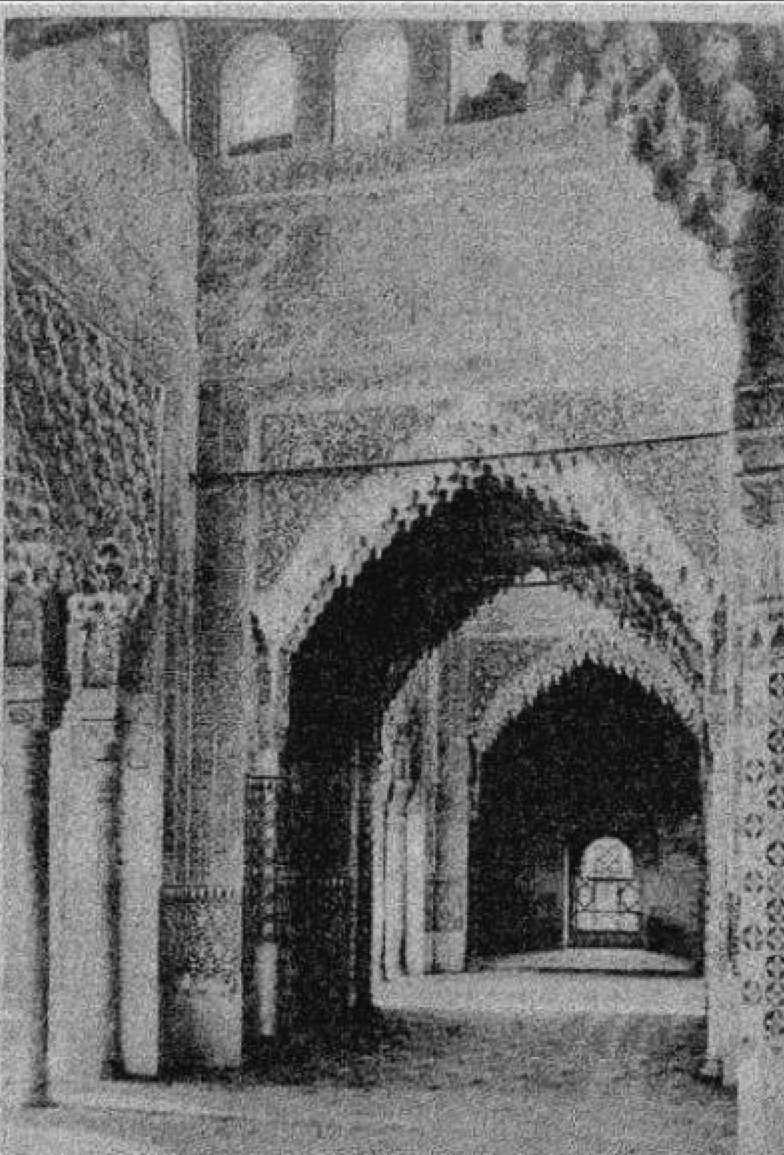
ولقد كانت غرناطة آخر المدن الاسبانية الاسلامية التى بقيت فى يد المسلمين فلم يزل حكمهم عنها إلا منذ أربعة قرون . وربما كان هذا هو السبب الذى جعلها حتى اليوم أبعد ماتكون فى مظهرها عن بلد أوربى عادى وأقرب ما تكون شبها ببعض مدن المغرب الاقصى مثل فاس التى ظلت هيأتها حتى يومنا هذا كما كانت في القرون الوسطى

على أن غرناطة تمتاز بشيء آخر وهو أن اسمها المجيد مقرون على الدهر باسم قصر الحمراء ، ذلك القصر الذى يلهم الاحلام والذي تهيم فيه حتى الآن أرواح فرسان الاندلس والذى اتخذه نوابغ الكتاب والموسيقيين والمصورين وحيا لهم ومادة لخيالهم

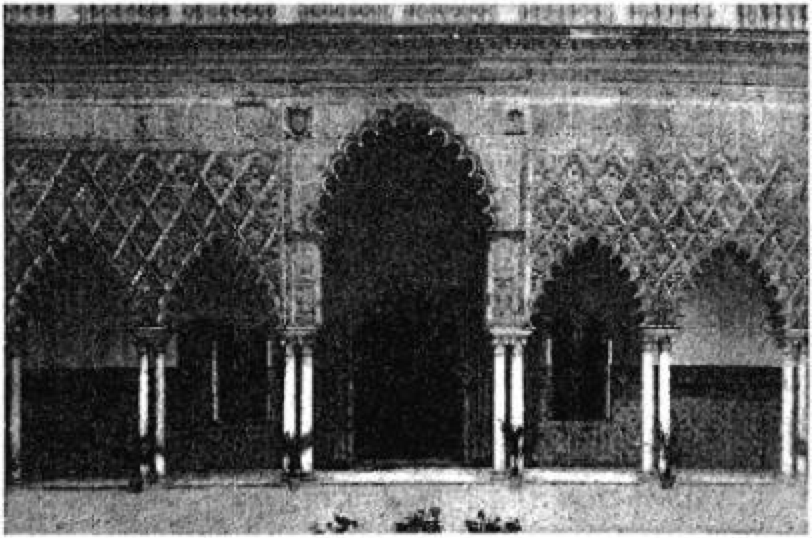
فبفضل قصر الحمراء أصبحت غرناطة مدينة ذات شهرة عالمية ، مدينة من تلك المدن المختارة التى تعرف كما لا تعرف سواها كيف تخاطب الخيال وكيف تبعث الى الذهن ألوان جمالها الرقيق الخالد وسحرها الفذ القديم

فمن ذا الذى يجهل فى الدنيا اسم قصر الحمراء ؟ وهو الذى أوحى لكتاب عظام أمثال واشنطن ارفنج وشاتوبريان وتيوفيل جوتيه من روائع التأملات ما سيظل على الأبد خالداً ؟ . . .

***



روعة الفن العربي ودقته كما يتمثلان في قاعة السفراء الأندلسية



بهو بالذخ فى قصر الحمراء

وانى لا انفك اذكر أولى زياراتي لغرناطة

كان ذلك في يوم ربيعى حار . وكنت مستقلا قطارا متئد السير يبسط أمام عينى محاسن الحقول الاندلسية وهي سابحة فى نور ساطع

وكنا قد سافرنا من قرطبة صباحا وأشرفنا فى المساء بعد اجتياز مراحل ملتوية متعددة على سهل غرناطة

وكانت تتألق في جوف الافق أبراج قصر الحمراء وقد انعكست عليها من شمس الغروب الوف الاشعات فأبرزتها أشبه بمنارة متلألئة وسط بحر يغمره الظلام

ولم اكد أترك القطار ــ وكان الوقت ليلا ــ حتى انطلقت اتعرف الى قصر الحمراء

والواقع أن قصر الحمراء وان كان يعرض أمام الناظر فى وضح النهار طائفة من أغرب المشاهد والرؤى تثير في النفس خاصة الخيال والشعر ، فهذه المشاهد والرؤى تتضاعف قوة وتتخذ مظهرا عجيبا وهي فى ضوء القمر . وعندئذ لا يسع الناظر الا أن يرجع بذهنه الى الماضى ، ومتى استولت عليه الذكريات لم يستطع الا أن يعجب باولئك الفنانين الذين شادوا تلك القصور والبساتين والذين كان التأمل الروحى أغلى في نظرهم وأرق وأصفى وأقرب الى الطبيعة ومعنى الانسانية من الولع بتحقيق هذا التأمل فى الواقع واخراجه من حيز الفكر الى دائرة العمل

في ذلك المساء فقط أدركت سر ذلك الالم الذى يملأ اليوم قلوب من أبعدوا عن الاندلس حسرة على غرناطة الضائعة

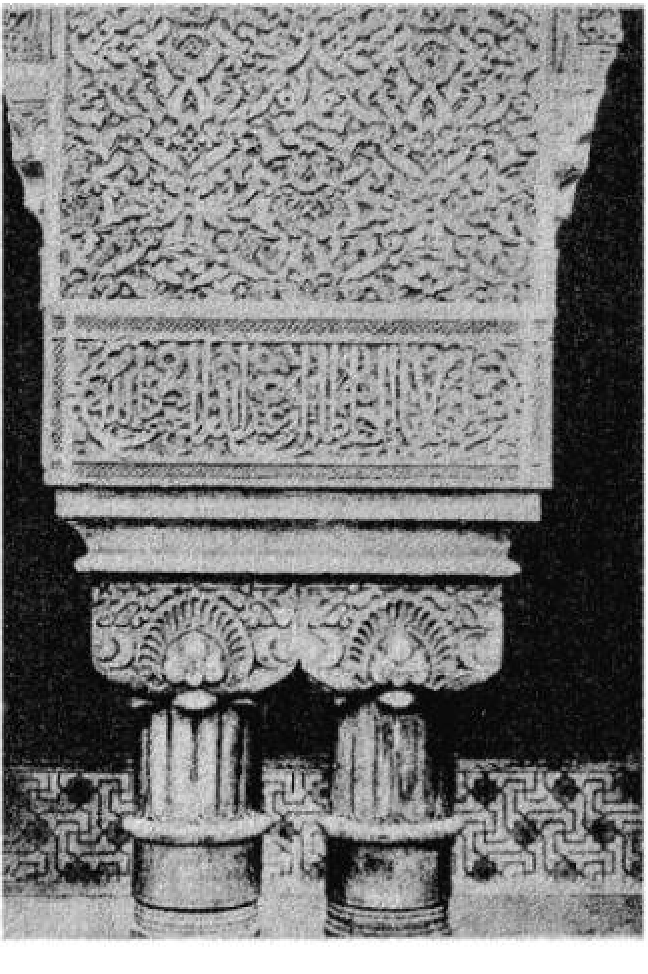
ثم أخذت أردد تلك الانشودة الزاخرة بالحنين الباكية على المجد الضائع التى طالما سمعتها تنحدر من أفواه أعيان فاس ووجوه تطوان ، أولئك الذين يحتفظون حتى الساعة بأسرار تلك القصور التى كان يقطنها أسلافهم

ولقد تغنى بقصر الحمراء من شعراء العرب عشرات . واليك ما قاله ابن مالك الرعيني :

رعى الله بالحمراء عيشاً قطعته   ذهبت به للانس والليل قد ذهب
ترى الارض منها فضة واذا اكتست   بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب

وهناك غيره من شعراء مجلس السلطان فى غرناطة أمثال : لسان الدين بن الخطيب وتلميذه ابن زمرك

ومع ذلك فقصر الحمراء يتغنى بنفسه وبما فيه من أشعار عربية تجمل بخطوطها الابواب والنوافذ وحتى الحنايا الصغيرة التى كانت توضع فيها قلل الماء القراح يروى به الزائر المتعب ظمأه . وبين كل هذا يتجلى شعار حكام غرناطة فى هذه العبارة الدالة على استسلامهم لسلطان القدر الا وهي « لا غالب الا الله ! »



تاج عمودين من أعمدة صحن السباع كتب عليهما بالخط النسخ الاندلسى : « عز لمولانا السلطان أبى عبد الله الغنى بالله »

ومن ذا الذي يعرف أسماء كل هذه الابهاء وهذه الردهات ولا يحبها ؟ لاشيء يحول بيننا وبين اعتبار تلك الاسماء حقيقية . فهذا صحن السباع . وذاك صحن الرياحين وتلك ردهة السفراء وذاك بهو الملوك . والحق أن مجرد ذكر هذه الاسماء يبعث في هذه الاماكن أشباح سكانها القدماء تخلع مجداً وحياة

ها هو بهو ضيق مستطيل تنفتح في وسطه نافذة مؤلفة من حنيتين مستندتين الى عمود صغير من رخام

فلنستعن بالخيال ولنملأ هذا البهو بالارائك المنخفضة والاسجاف الحريرية والطنافس النادرة . ولنتصور سيد القصر ممدداً على أريكته يتحدث الى نفر من أخصائه في شأن من الشؤون

ثم لنتخيل السيد وقد أصدر أمره فأقبلت على الفور جارية تكسوها الحلى وتقدمت اليه من عتبة الباب فانحنى واسر اليها أمراً أو أوصاها خيراً باحدى الحظيات . ثم لنتصور تلك اللحظة الرائعة التي يفتر فيها الحديث ويسود الصمت باعثاً على الحلم الطويل ، عميقاً لا يعكره غير خرير الماء . ثم لننظر الى السيد واصفيائه . ها هم ذاهلون جامدون تسبح عيونهم التائهة في تأمل مشهد جميل أو تتراءى من الطاقة الى الخارج لتتملى بمنظر شجرة السرو وهي تبرز من خلال سماء زرقاء الاديم

* * *

ان اكبر الموسيقيين في اسبانيا الحديثة وهو السنيور مانويل دى فايا قد اتخذ من غرناطة موطناً له . وانا لا اعرف أنشودة توحى الى النفس خلاصة ما في قصر الحمراء من معاني الفتنة والسحر اكثر مما توحى بها انشودة ذلك الموسيقى المعروفة باسم : « ليالى في بساتين اسبانيا »

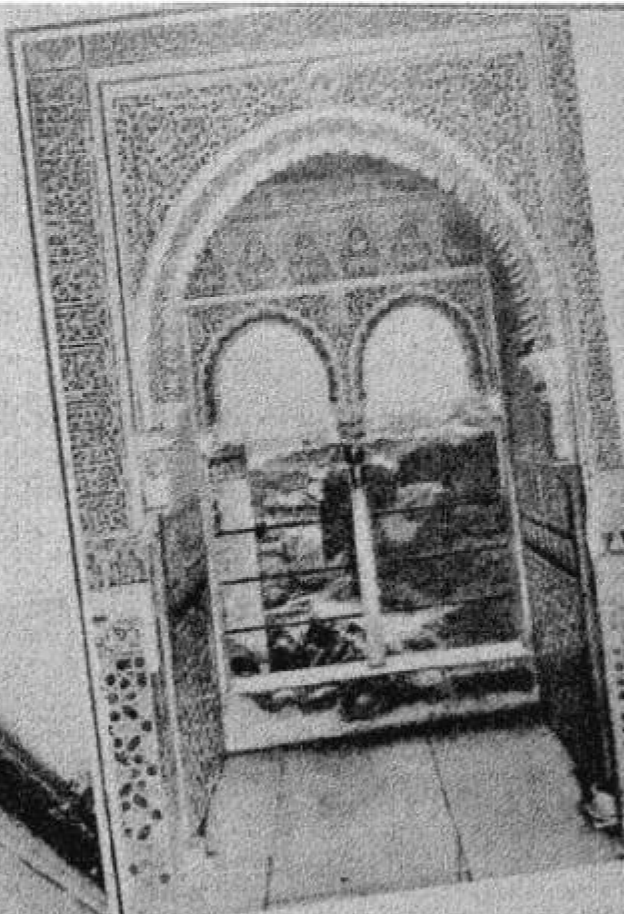
فهذا الموسيقى كجميع الاسبانيين المثقفين يعرف ويقدر كل ما تدين به اسبانيا للعرب . بل ان أسماء السلاطين العرب لتتردد الآن في غرناطة على ألسنة الشعب وفي الاغاني التي ينشدها حملة (الجيتار) بصوتهم الخشن الأبح في المقاهي الحافلة بعامة الناس

والله وحده يعلم اذا كان واضعو تلك الاغاني الشعبية التي ترجع الى قرون خلت قد شوهوا الحقيقة التاريخية ليحلوا محلها أساطير أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة

ولكن هل للحقيقة التاريخية فيما يختص بقصر الحمراء تلك الاهمية التي يعلقها البعض عليها ؟ الا يمكن أن تعتبر الرغبة في تقرير هذه الحقيقة نوعا من التدنيس وخرق القدسيات ؟

الأفضل في نظرنا تجنب البحث عن حقيقة تلك الاساطير الجميلة ، وترك الخيال السائد على تلك الاماكن يغمر كيان الناظر وهو يتأمل من شرفة مواجهة لقصر الحمراء أضواء الغروب تتوهج وتنصب على هذا القصر موطن الامراء المسلمين في القرون الوسطى ، أولئك الامراء الذين أمضتهم الحيرة ، وشفهم القلق ، واستخفوا بالغد ، وكانوا مع ذلك يعشقون غاية العشق مدينتهم الرائعة ببساتينها الفيحاء وسمائها الزرقاء !

ا . ليفي بروفنسال



غرفة برج الأسيرة ، وهي
تطل على أحد خنادق الوادي
الذي يكشف قصر الحمراء



ردهة تمتد الى جانب بركة
الريحان احدى جنان غرناطة

« . . الجماهير سريعة التصديق كثيرة التقلب ضعيفة ملكة النقد ، ومع ذلك فهي النقاد في كل نهضة . ولن يصلحها غير التعليم والتربية ، ثم المثل الاعلى تضربه لها الطبقة العالية في مظهر واضح محسوس . . »

الجماهير كالأطفال

لا يقودها الفكر بل يحركها الشعور

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

كثيراً ما ترد كلمة « الرأى العام » فى معرض الكلام عن حركات الجماهير واتجاه تياراتها وفى رأينا أن اطلاق هذه الكلمة فى هذا المعرض فيه كثير من التجوز . فان هذا الذى تصدر عنه الجماهير ليس بالرأى العام بل هو الشعور العام . وذلك أن الرأى لا يكون الا بتقليب النظر وإعمال الروية فى مجموع الوقائع ، وهو ما لا يتسع له الوقت ولا تسمح به طاقة الذهن ومستوى التعليم عند الدهماء والعامة . ثم إن المفكرين مهما يكن اجتماعهم على جملة الرأى فانهم مذاهب شتى فى تفصيله . فالتفكير مؤداه التميز الفردى فى الأصول أو الفروع . وأما الذى يؤلف الألوف من الجماهير فهو الشعور الواحد يعمها ويملك عليها مشاعرها . والجماهير يسهل تحريكها على من يعرف مخاطبتها باللغة التي تفهمها وتؤثر فيها ، وهى لغة حاجاتها ورغباتها وأمانيها ، وأحيانا لغة مطامعها وشهواتها ومثارات اعجابها أو احقادها . وهو بتهييجه ما فيها من هذه العواطف الطيبة او الخبيثة ، عواطف الاثرة أو الايثار ، يذهلها عن عقلها ويستولى على قيادها

وهذا الاستسلام فى الجماهير لا يستتب من غير الدعاية القوية . وكلما كان المذهب المدعو اليه أو الوضع المقترح الأخذ به مستحدثا على الجماهير بعيدا عن مواطن افتتانها كانت الحاجة الى الدعاية أشد وأوجب . وهذه الدعاية قوتها على كل حال فى بساطة الافكار وفى الدأب على الترديد والتكرار والذى يتعقب أقوال المصاقعة من الخطباء فى مختلف الأقطار يلحظ أن الساسة الامريكان حين يخطبون الناخبين مثلا يحذفون من كلامهم كل ما ينافى البساطة المطلقة ، فلا يحملون الألفاظ غير معانيها الأولية ولا يرمون بها الى غير مدلولاتها المادية ولا يجيزون من الافكار الا ما ينقلب فى الحال الى محسوسات . وأما فى فرنسا فالملحوظ أن الساسة يكثرون من استعمال العبارات العامة والكلمات المعنوية ، على أنهم فى استعمالهم لها يراعون اقترانها فى أذهان الجماهير بعواطف شعبية مقررة من ودية وعدائية ، كترديدهم كلمات الديموقراطية والاخاء والمساواة وسيادة الشعب ، وعكسها كالدكتاتورية

والفاشية . ومرجع هذا طبعا الى ان الامريكان شعب عملى والفرنسيين شعب عاطفى . على أن هذا الاختلاف وأمثاله لايغيران من طبيعة الدعاية وهى البساطة والتكرار كما قدمنا . وهذه شهادة هتلر فى كتابه « كفاحى » تدل على ان الحال فى كل مكان على هذا المنوال ، حيث يقرر « أن الشأن فى الدعاية للبساطة الأولية ودوام اللجاجة »

ثم إنه كلما كان اتجاه الخطيب بخطابه الى السواد الأعظم حيث الجهل أعم ، كانت الفرصة أنسب للكلام المفخم الأجوف والتوكيدات المتعسفة والمبالغات الحسبة . وان خطيبا يجتمع له فى خطابه الجماهير بساطة الأفكار ووضوحها ولهجة اليقين وقوة العبارة وحرارتها لقمين أن يسترعى اسماع الجماهير ويملك عليهم حسهم . فاذا هو عاودهم كل حين ولم يزل بهم يردد عليهم نفس الأفكار بنفس هذه الحرارة وهذا اليقين ،فانه لامحالة بالغ من تحريك عواطفهم واستجاشتهم الى غرضه من مشاطرتهم رأيه والتفافهم حوله وتفانيهم فى سبيل نصرته وتغليب مذهبه

وان المرء ليعجب ولا ينقضى له عجب من سلطان الألفاظ على الجماهير وحاولها فى أذهانهم على الحقائق . وهم أبدا مصدقون لما منخدعون بها ، وذلك لأنهم انما يحكمون على الظواهر ولا يستقصون قط أمرا . فاذا استراحوا الى اللفظ المطمئن لم يذهبوا وراءه الى الحقيقة التى لا تتفق والطمأنينة ، كما أنهم يهتاجون ويطير طائرهم ويفور فائرهم فلا يلوون على شىء حين يكون اللفظ المستعمل مقترنا فى أخلادهم بما يكرهون من مزاعم مقررة أو ذكريات ألمة

ويروى التاريخ أن القوم فى فرنسا كانوا فى غم شديد حين شاع فيهم أن نابليون قلب الادارة الشعبية ونادى بنفسه ديكتاتوراً، ولكنهم تنفسوا الصعداء حين علموا أنه انما نصب نفسه قنصلا أول، ومثله كرومويل فى بلاد الانجليز حين خلف الملك شارل الأول ، فانه تسمى باسم السيد حامى الحمى

ونحن نرى ساسة اليوم فى انحاء العالم يعمدون الى تسمية ماهو مستكره من الاجراءات باسماء جديدة مستساغة . فاذا زادوا الضرائب زعموا أنها اعادة نظر فى التقدير مقصوداً بها الى تصحيح الخطأ وتسوية الحال فاسموها «تحرير الضرائب» . كما أن قولهم ضغط المصروفات وتوفير الايرادات قد يكون كناية عن التخفيض فى مرتبات الوظائف والزيادة فى الضرائب . ولقد حذقوا أخيراً كلما أرادوا التسليم النهائى بتدهور سعر العملة الى حيث تدهورت ، أن يتظاهروا بمواصلة الجهد ليل نهار ، ثم لاتسمع منهم عن اعادة السعر الى سيرته الاولى شيئا وانما تسمعهم يتنادون « بتثبيت العملة » ويدعون لانفسهم فى ذلك فضلا

والحق أن استحسان الجماهير رخيص . ويعرف ذلك خطباؤهم كل المعرفة فيضمنون خطبهم طائفة من هذه العبارات المحبوبة المرددة التى تعود الشعب التهليل لها كلما ارتفع بها صوت القائل فى جهارة وطنطنة . وليس أدل على مبلغ آلية الاستحسان عند الجماهير مما يرويه الرواة عن هذا الممثل الذى كان يقوم بدور المتطبب المدعى فى احدى مهازل موليير وذلك فى أعقاب الثورة

الفرنسية وأول العهد بقيام الجمهورية . فان المتطبب فى الرواية يبغى التسمع على قلب المريض شأن الاطباء جميعا ، فيعمد الى ناحية الصدر اليمنى ، فاذا أظهر القوم دهشتهم ورجع المتطبب أن موضع القلب فى الجانب الأيسر ، صاح بالمتعجبين من حوله : « نحن نسخنا كل هذا » ، إلا أن صاحبنا الممثل الجمهورى خطر له أن يزيد : « نحن نسخنا كل هذا . . . . منذ قامت الجمهورية ! » ، ولا تسل وقتئذ عن حماسة الجمهور البالغة وتصفيقه القاصف لهذه الكلمة على الرغم من سخافتها وما يحمله مدلولها من الاشارة الى قلب الأوضاع حتى لتصلح تعريضا بالجمهورية لا اشادة بها . ولكنه الجمهور يهتز للكلمة التى يحبها ولا يعنيه سياقها

ومع هذا المعهود فى الجماهير من تصديق الكلم المعسول والانسياق مع ما يزين لهم من الامانى فان الجماهير همها الاول النتائج ، ولن يطول تعلقها بعدة غير مشفوعة بالانجاز ، ومن ثم لا يلبث الشعب المغرر به أن يستدرك أمره ويبصر رشده معتبراً بالحوادث ، وهذا هو الشاهد الملحوظ فى أعقاب كل ثورة . فهؤلاء الذين حفزوها بآمالهم و بذلوا فى سبيلها أعز ما لديهم سرعان ما يتغيرون عليها ويتنكرون لها ، بل هم أشد من غيرهم عليها تنكيراً . والجماهير يالتون فى تمجيد صانعى الثورات اعتقاداً منهم بأن التغيير الطارىء كله منافع وبركات ، وأنها تواتيهم أكلها فى أيام معدودات . ولما كان ارضاء الامال التى تعقدها الجماهير صعبا عسيراً وكان دوام رضاهم أصعب وأعسر ان لم يكن من المستحيلات . ثم إن بالجماهير ما بالاطفال من شغف بالمحاكاة حسنت العقبى أو ساءت . وان مجرد امكان وقوع الشىء يغريها أحيانا بمعالجته . فليس من شك فى أن نجاح ثورة الاستقلال الامريكية ضد انجلترا كان من عوامل تشجيع التيار الفكرى والعاطفى وقتئذ فى فرنسا والذى عنه صدرت ثورتها الكبرى عام ١٧٨٩ . وهذه الثورة الروسية الأخيرة لقحت منذ سنوات لواقح الفتن فى المجر وبافاريا ، وقد اتصلت شرارة منها بالطرف الآخر من أوربا ، فاضرمت الحرب الأهلية فى اسبانيا حيث يتناحر أبناء الامة الواحدة ويبيد بعضهم بعضا ، ويعلن هذا الفريق وذاك أنه لا يثقل كاهله ويعوق حركته بالاسرى فالقتل المعجل فيها مصير الجميع

على أن هذا الروح القلق فى الجماهير توازنه فيهم طبيعة أخرى هى طبيعة التسليم بالواقع متى قامت الشواهد على استقراره ودوامه . وهذا نجاح الفاشية فى ايطاليا قد جعلها تلاقى القبول فى المانيا ، وهذا موسولينى بعد أن كان الكافة ينظرون اليه نظرهم الى الأفاق المغامر ، أصبحوا وهو فى نظرهم مثال الرجل ذى الهمة الذى أعد لكل شىء عدته ولم يقعده الرهب عن طلبته

فالجماهير تدين بالنجاح ، وهذا الانطباع منها على التسليم لمن يتحقق له النجاح ويستتب الأمر ، جعل الأمة الفرنسية مثلا بعد ثورتها الكبرى وارتضائها حكم مجلس وكلاء الشعب ، تنضوى تحت ألوية نابليون ابن الثورة الخارج عليها وترتضيه امبراطورا ، ثم تنقلب الى ملوك البوربون ثم تزهد فيهم الى الامبراطور نابليون الثالث وأخيراً الى الحكم الجمهورى مرة أخرى . وليس بين القادة

من يجهل هذه الطبيعة فى الجماهير، فتراهم يحرصون أشد الحرص على عدم اظهار التشكك فى استقرار حكمهم ومتانة صرحه ورسوخ دعائمه ودوام عهده . والجماهير أبعد ما يكونون عن ادراك للبادىء فى ذاتها ، وانما هم يدركون فيها تحقيقها لمصالحهم ، فقد تقوم المظاهرة للاحتجاج على افتئات الحكومة مثلا على الحريات الفردية ، فاذا المتظاهرون يكرهون التجار على اغلاق حوانيتهم والصناع على ترك مصانعهم ، وإذا هم يرفعون عقائرهم بالزياط تحت نوافذ الدواوين ساخرين من الموظفين لعدم اضرابهم ، وهذا كله فى حين ينادون بحرية الافراد ويتظاهرون من أجلها

والجماهير فى تحمسها لا تستمع الى من يحدثها حديث التعقل والروية ، بل هى اذا تحمست لا تسمح لأحد ألا يتحمس مثلها . فواجب لزام على العالمين اجمعين أن يفكروا تفكيرها ويهتموا للأمر اهتمامها له ، وأن يريدوا ما تريده ، ومن لم يفعل فهو عدوها . فاذا الجماهير زعمت أن هنالك تآمراً على حقوقها فلم يصدق هذه المؤامرة الوهمية بعض الناس فقد صح عندها ان هذا البعض من المتآمرين وحقت عليه عقوبة التآمر . ومهما نهض من البينات على خلاف زعمها فلا وزن له عندها ، كأنما يعز عليها الشك فى نفسها . فهى مصرة اصرار الجنون على عنادها وقد استولت عليها كالمجانين احدى الفكر ، فهى تبدىء فيها وتعيد وان كانت ظاهرة البطلان ملموسة التناقض . ولا يزال عالقا بالاذهان موقف الجماهير فى قضية الضابط دريفوس . فقد تحمست لحكم المجلس العسكرى عليه لاتهامه بتسليم الوثائق الهامة الى الدولة الاجنبية ، فلما قامت الظنون عند البعض فى صحة الاتهام وردد هذا البعض أن الحكم الصادر خطأ من القضاء تحسن مراجعته ، عمد الرؤساء الى اهاجة الجماهير على النفر المطالب بالمراجعة ، فهاجت مرددة ما ألقى فى روعها من أن تخطئة قضاء المجلس العسكرى سبة للجيش ، كأنما اثبات تهمة الخيانة على الضابط ليس سبة للجيش أشنع ميسما والصق عاراً وأذهب فى الصميم ، لتعلقها بالشرف العسكرى وأمانة الجندى على سلامة وطنه . ولعل أبدع تصوير لعجز الجماهير عن الاحساس بما تأتيه من التناقض ما يعرضه شكسبير فى مأساته عن مصرع « يوليوس قيصر » وكيف ان الصديق بروتس خشى على الجمهورية من طمع صديقه ان يقلبها ويستبد بالأمر ، فقتله فى دار الندوة ووقف بين الجماهير منددا بطمع القتيل الذى نال جزاءه . فاهتزت جماهير روما اعجابا بمنقذهم من ذلك الطامع فى تنصيب نفسه قيصراً عليهم وهللوا لبروتس وهتفوا فى نشوة اعجابهم : « فليحيا بروتس . فلنجعله علينا قيصراً »

هذه هى الجماهير ، وهذا مبلغ بساطتها وسرعة تصديقها وكثرة تقلبها وسهولة تحريكها وافتقارها الى التعقل والتفكير وضعف ملكة النقد عندها وانسياقها الى المحاكاة واحترامها للسلطة المستقرة وتقوبعها للمذاهب والرجال على قدر النجاح . ومع هذا كله فالجماهير هم العتاد فى كل نهضة مرجوة . ومن الواجب استصلاحهم جهد المستطاع بالتعليم والتربية من ناحية ، وبالمثل الاعلى يضربه لهم جماعة الخاصة وأهل الطبقة العالية

عبد الرحمن صدقى

التمدن الحالى :
وهل يمكن أن ينقرض ؟

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

« . . الطبيعة البشرية مصابة بمرضين ، الاول مرض المطامع غير المحدودة ، والثانى خلل العقل الاجتماعي الذى لم يدرك حتى الآن ان فى الطبيعة من الخير ما يكفى لقضاء حاجات الجميع مهما تضاعف عدد سكان العالم . فاذا لم نشف من هذين المرضين فقد تنتهى حضارتنا الى الفناء والانقراض . . »

يقال ، وشاهد القول حاضر فى التاريخ ، أن للامم أعماراً . فهى تولد ثم تنمو ثم تزول زوال عاد وثمود ، إذ تقرضها أمم أخرى أقوى منها ، تارة إفناء وتارة استغراقا

وكذلك يقال ، وشاهد القول فى العاديات والآثار والأحافير ، ان للمدنيات اعماراً أيضا . تنشأ فتعيش حقبة ثم تضمحل ، ولا يبقى منها إلا أثر بعد عين . والمراد بالمدنية مجموعة تقاليد الامة وعقائدها وطراز فنونها وأساليب معيشتها وحياتها الاجتماعية

أما ان المدنيات تعيش حقبات من الزمن ثم تبيد فآثار ما قبل التاريخ وروايات التاريخ القديم ملأى من أخبار مدنيات مختلفة ترعرعت حينا ثم ذوت وانطوى خبرها . فما من مدنية قديمة بقيت الى اليوم اذا استثنينا المدنية الصينية التى عاشت متحجرة نحو أربعة آلاف سنة من غير أن تطرأ عليها صروف خطيرة إلا فى العصر الحديث

مدنيات مصر وعيلام وبابل واشور وفارس والحيثيين وفينيقيا والهند الجنوبية والهند الصينية وجاوا وكريت القديمة الخ — كل هذه المدنيات الشرقية بادت ولم يبق منها لنا إلا آثارها تشهد عليها . وكذلك مدنيات أواسط أميركا من المكسيك الى بيرو اضمحلت ولم يبق إلا ما حفظته العاديات من الأدلة عليها وما بقى من جراثيمها فى خلفاء أهلها ، حتى فى شرق أفريقيا وأواسطها آثار تدل على ان أقواما عاشوا هناك متحضرين وكانوا على جانب من الرقى المناسب لعصرهم . ثم فى تاريخ دائرة البحر المتوسط وأواسط أوربا أخبار انقراض حضارات عاشت حقبة من الزمان ثم انقرضت أيضا وغمرت مواطنيها ظلماء الجهل والانحطاط مدة غير قصيرة

ان دراسة هذه المدنيات المتقاربة العهود تفضي الى حقيقتين عامتين رئيسيتين : الاولى أن

جميع معالم تلك المدنيات على تباعد مواطنها وتعاقب عصورها متشابهة تشابهات كلية في صورها وفنونها وعادات أهلها وعقائدهم كأنها كلها مأخوذة عن أصل واحد

واذا تقصيتها الى اصولها في المكان والزمان رأيتها ترجع الى أصل أول موطنه مصر . وهذا بحث طريف في موضوع جليل الشأن طرقه العلامة « بري » استاذ الانثروبولوجيا الثقافية في جامعة لندن في مؤلف خاص يظهر وحدة أرومة النوع الانساني ووحدة أرومة حضارته

والثانية ان أسباب انقراض تلك المدنيات المتقادمة والمتأخرة متماثلة ، كأن علة فناء الحضارات واحدة كما أن علة تسلسلها ونموها واحدة . واليك بيانا موجزاً لهذه الحقيقة الثانية

عوارض انقراض المدنيات القديمة

في آثار أية حضارة من الحضارات القديمة ترى أن فناء تلك الحضارة لم يكن تدريجيا بسبب نضوب أسباب الرزق فيها ، تلك الاسباب التي أغرت أقوامها على التحضر فيها واستيطانها وانما كان مباغتا ، لطروء طوارىء خارجية قضت به . ترى مثلا على ذلك في خرائب روديسيا — ترى آثاراً تدل على أن القوم القدماء اكتشفوا هناك مناجم للمعادن الثمينة وغير الثمينة . والادوات التي تركوها تدل على انهم بلغوا الى درجة من المعرفة والفن تقدرهم على استخراج تلك المعادن واستعمالها . ولكن المناجم لم تنفد بعد ، ولا صار استخراجها متعذراً حتى يقال انهم هجروها بسبب نضوب معين الرزق فيها . فاذن ماذا طرأ حتى باد أولئك القوم واندرست معالم مدنيتهم ؟

كذلك الأمر في مناجم الذهب القديمة في الهند وفي شبه جزيرة مالاي التي تجدد التعدين فيها في العصر الأخير وظهر أنها لاتزال غنية بالذهب . وفي أحافيرها آثار قوم عاشوا هناك مدة طويلة وكانوا يستخرجون ذهبها ويتجرون به . فما الذي قرضهم وقرض حضارتهم قبل أن يجف ينبوع رزقهم ؟ . مثل ذلك أيضا في مناجم غينيا الجديدة البريطانية . فان مناجم ذهبها غنية بالذهب وبآثار الذين كانوا يستخرجونه وآثار أسلافهم من أهل العصر الحجري إذ وجدت بين آثارهم أدوات حجرية متنوعة . فلماذا انقرضوا وانقرضت معهم حضارتهم وبقيت تلك المناجم بعدهم غنية ولم تمسها يد بشرية دهراً طويلا ، إذ ساد العفاء على تلك الديار الى اليوم ؟

نرى الجواب في أسباب فناء حضارات أخرى في أماكن أخرى أتت بعد تلك وعندنا أخبارها في التاريخ . من ذلك ان قوما يتكلمون اللغة السامية ، لا يعلم حتى الآن من أين جاؤوا ، احتلوا أرض أكاد من جنوبي بابل ثم جعلوا يغزون الممالك المجاورة . فغزوا بابل وعيلام وتوغلوا في الغزو الى البحر الابيض وآسيا الصغرى . وكان ملكهم سرجون أول من انشأ دولة حربية في ذلك القطر . وكان ملوك بابل وغيرها كهنة مستكنين لا رجالا حربيين . فدمر أولئك الغزاة مدنيات عيلام وبابل واشور الى أن انطوت تلك الممالك في عصور مظلمة

كذلك الرعاة الذين وفدوا من ناحية جزيرة العرب غزوا المملكة المصرية وهى فى أبهة مدنيتها مطمئنة لعلومها وفنونها ونظاماتها الاجتماعية . ودمروها فسادت الهمجية عليها أكثر من قرن ، وما استردت مجدها السابق إلا بعد بضعة قرون . والدولة الرومانية التى بلغت من العظمة شأواً لم يطاول فى تاريخ الامم سقطت لدى غزوات التيوتون الذين وفدوا من أواسط أوربا أو من سكنديناڤيا واجتاحوا أوربا الى أن سحقوا جميع الحضارات المحيطة بالبحر المتوسط

واذا درست أسباب سقوط جميع الدول القديمة ومدنيات الامم المتقادمة وجدتها تجتمع فى سبب واحد وهو غزو قبائل رحالة أو أمم عاربة للامم المستقرة الآمنة . والغالب بل المطرد هو أن الامم الغازية كانت أحط حضارة من الامم المغزوة . لأن هذه كانت مستقرة منصرفة الى فنونها وعلومها ومطمئنة فى ظلال نظمها وغير مستعدة للقتال . فاذا طغت عليها أمة عاربة سحقتها . وأما الامة المحاربة فكانت فى الغالب متبدية مترحلة ، قلما تشتغل بالفنون والصناعات ، بل تنصرف الى رعى الماشية والغزو . فسنة الطبيعة هى أن الحرب عدوة الحضارات والمدنيات . كانت كذلك وتبق كذلك فى الأزمنة الماضية لم ينطفىء نبراس المدنية على سطح الارض لان الحضارات لم تكن متعاصرة حتى يكون فناؤها فى عصر واحد ، بل كانت تنقرض الواحدة هناك بينما تكون الحضارة الاخرى مترعرعة هنالك . كذلك الحروب لم تكن مشتعلة فى كل معمور بل كانت منطفئة هنا ومتقدة هناك تلتهم هشيم الحضارات حينما تتقد . ترى هل يطرد هذا الناموس الطبيعى الاجتماعى فى عصرنا هذا وفى العصور القادمة ؟ هذه هى القضية التي استخلصناها من البحث الآنف

تباين الحضارتين القديمة والحديثة

كانت الحضارات القديمة غير متعاصرة بسبب تباعدها وصعوبة المواصلات بينها . ولهذا لم يحدث فناؤها فى زمن واحد بل كان متعاقبا تعاقب الازمنة . أما الأمم الحاضرة فجميعها تقريبا ذات مدنيات متقاربة الشكل،ولكنها متفاوتة فى الرقى ومشتركة فى كثير من معالم المدنية . والرقي العام فى العلم والاختراع يعجل فى تقاربها وتشابهها فىطراز التمدن حتى تكاد تتراءى ذات حضارة واحدة

يمكن أن تلقب حضارة هذا العصر حضارة البذخ والترف من حيث أن جميع طبقات الأمم تقريبا تتمتع بالقسط الوافر من أنواعها . حقا ان هذا العصر عصر البذخ والترف لأن تقدم العلوم الفائق أنار السبيل امام النبوغ العقلى وأطلق له العنان فى استكناه أسرار السنن الطبيعية واعتقال قواها واستخدامها فى الحصول على أسباب التمتع الوافرة

لذلك لم يبق الباعث للغزو طمع القوم المتبدين الرحل فى ثروة القوم المتحضرين المستقرين كما كان الأمر فى العصور المتقادمة . بل صار الباعث للحرب تنازع الأمم الراقية موارد الثروة حينما كانت وتنازع الأمم القوية غلة جهاد الأمم الضعيفة . صار الأمر كذلك مذ وفرت وسائل الاتصال

بين الأمم وتهدمت أسوار الانفصال بينها وتدفق بعضها الى بعض واشتبكت فى المعاملات الاقتصادية والسياسية وطغت لجج المطامع فيما بينها . لذلك اتسعت ميادين الحروب واستطالت صفوف المحاربين بنسبة تعاظم القوى الحربية وتعدد فنونها وأساليبها وصنوف عددها وعتادها . فالحرب الأخيرة لقبت « بالحرب الكبرى » لأن ميدانها شغل معظم أوروبا وبعض آسيا . وفى المستقبل سيصبح لقبها « الحرب الصغرى » إذ يكون ميدانها حينئذ معظم المعمور على سطح هذا السيار الأرضى

كانت العلوم والفنون فى القديم توجب التحضر على أهلها اذ تقيدهم بمواطن رزقهم فتشغلهم الى حد ما عن الحرب والغزو . ولكن المعارف والفنون فى هذا العصر فتحت السبيل للاختراعات التى أراحت الأدمغة والعضلات من عناء الكد فى سبيل الرزق . فانصرفت قوى الامم الى الحروب لاشباع المطامع والشهوات الجسدية والنفسانية التى لا يعرف لها حد ، وعاونتها على ذلك اختراعات العدد الحربية الجهنمية . لأنه لو اقتصر البشر على قضاء حاجة الجسد والنفس من التمتع الى أقصى حد لما كان ثمة داع للتنازع ، لأن خيرات الطبيعة مع مقدرة الدماغ على استخراجها بأهون الوسائل تكفى لهذا الغرض وتزيد . ولكن طمع اناس بأن يستغلوا ثمرة جهاد آخرين كأنهم يبتغون أن يكون تنعمهم عالة على فاقة غيرهم ــ هذا هو روح حياة الحروب ، اى ان الحروب الجهنمية التى توقدها تلك المطامع الجنونية لا موجب لها ما دامت أسباب الرزق ووسائل التمتع وافرة وميسورة لكل فرد وقوم وأمة وشعب وجنس

فمسألة سلم العالم هى مسألة قناعة بكل مايحتاج اليه الجسد وترغب فيه النفس من التمتع ، واقتناع العقل بأن الطبيعة غنية جداً بهذه الحاجات

المرضان الاجتماعيان

ولكن الظاهر أن طبيعة البشر مصابة بمرضين : الأول مرض المطامع غير المحدودة . والثانى خلل العقل الاجتماعى (أو قصوره) الذى لا يدرك حتى الآن أن فى الطبيعة من الخير ما يقضى كل حاجة فى النفس من التمتع مهما تضاعف عدد سكان المعمور . ولا يمكن أن يزيد عدد سكان المعمور على ما تستطيع الطبيعة أن تنعمهم من الخير . لأن فى الطبيعة نفسها سنة كافلة بحفظ التوازن بين ناسها وخيرها . وهذه السنة تعمل عملها من غير أن يجهد الانسان نفسه لتدارك خلل التوازن . فاذا قلق الانسان لتخوفه من هذا الخلل فلجهله هذه السنة

والى اليوم لانرى دليلا ساطعا على أن السلالة البشرية شرعت تتعافى من هذين المرضين بل بالضد نرى المرضين يزدادان خطورة وخطراً . فقد كنا نظن ، وكان الساسة يقولون إن الحرب الأخيرة الملقبة « بالكبرى » ستكون آخر الحروب والقاضية على كل أسباب الحروب . ولكن الحوادث التى تلتها الى اليوم أثبتت عكس ذينك الظن والقول . والقارىء يعلم حق العلم ان

الشاكل الدولية تتفاقم يوما بعد يوم ، والسلم يزداد تقلقلا ، وجمعية الأمم التى كانت قبلة صلاة الأمم لأجل السلام ورجاءها فى الحرص على الامن ، تهن وتضعف كلما طرأت عليها قضية دولية حتى تكاد تصبح خيالا لاظل له . والدول تتنافس فى التسلح وفنونه والتوسع فى الاستعدادات الحربية تنافسا لم يسبق له مثيل ، حتى يخيل لك أن جميع رجالها صاروا شاكى السلاح يتوقعون صوت نفير الحرب للهجوم ، وأن جميع الممالك أمست ميادين حروب . وبروق المفاوضات الدولية تنذر برعود حرب تمطر رحاب العمران وابلا من نيران جهنمية يحترق فيها كل ذى حياة ، وأدوات الحرب المستجدة تمثل لنا دولة الأبالسة طاغية على ملكوت الانسان بكل ما فى قدرة إله الشر من عوامل التدمير والابادة . ولذلك ترى شعوب الارض ترتجف فرقا من نذر الهلاك والفناء

زد على كل ما تقدم ان قادة الأمم وقواد الجيوش متخلقون بأخلاق حربية شر من أخلاق أهل الجحيم ، يستحلون أن يستخدموا جميع قوى ناسهم للعمل فى معامل معدات القتال وينفقوا نتاج عمالهم وثروات بلادهم فى صنع السفن والطيارات والأسلحة والذخائر وفى بناء الاستحكامات العسكرية والحصون والانفاق فى أنماط عجيبة مدهشة ! وكذلك يستحلون اتخاذ كل وسيلة شريرة لابادة الاعداء جنوداً ومحاربين وأناسا آمنين فى مواطنهم ، حتى اذا حم القضاء أبيد جميع الانام عن آخرهم بحيث لا تبقى على الأرض بطون لله جنوداً !

اذا شبت الحرب رأيت فى الجو أسراب الطيارات كالجراد تحجب عن الارض السماء . تمطر القنابل والمفرقعات وتنفث الغازات السامة . واذا تحرج الأمر فلا يتورع مثيرو الحرب أن يدسوا فى مياه الخصوم الجراثيم المرضية الخبيثة كجراثيم الكوليرا التى يكاد يستحيل اتقاؤها وعلاجها

أما أن هذه الحرب المبيدة التى تكاد تقرض العمران قد أصبحت على قاب قوسين أو أدنى فنى كل يوم لنا من أنباء الصحف البرقية نذير بها . وحين كتابة هذا المقال نشر فى ألمانيا مرسوم بأنه يجب أن يظل جميع ضباط القوات المسلحة سواء أكانوا متقاعدين أو غير متقاعدين رهن الخدمة العسكرية الاجبارية غير المحدودة ، ومثل هذا المرسوم يصدر كل يوم فى دولة من الدول

وقرأت أيضا أن المستر لانسبورى أشار فى مجلس نواب انكلترا الى اختباراته الشخصية فى أثناء زيارته لبولونيا فقال : « لم أستطع إلا أن أسائل نفسى قائلا : ألم يصب العالم كله بالجنون ؟ ها هى بلاد فى قلب أوربا عادت الى اتحادها وتأسست من جديد ، ومع ذلك ترى حكومتها مع كل جهودها فى اصلاح حالها انه ليس أمامها إلا التسلح والاستعداد للحرب التى ينتظر وقوعها »

المصير الى الحرب وبعدها

فاذا تيقنت أنه لاشرف ولا دين ولا ضمير ولا عاطفة انسانية تكف قادة الامم عن ارتكاب هذه الشرور الجهنمية ، فمتى شبت الحرب وجن جنون قادة الامم وقواد الجيوش ، فلا يتورع

هؤلاء عن أن يرسلوا الى سماء أعدائهم أسراب الطيارات لكي تمطر الناس جنوداً وغير جنود وابل الدمار ، لأن الطيارات سلاح هجوم لا سلاح دفاع . والمثل السائر : « الضربة لمن سبق »

واذا تصورت الأمم جمعاء مشتبكة فى حرب عامة فلا تستطيع أن تتصور نصراً لواحدة وكسراً لأخرى ، لأن وسائل الدمار لا تنفد قبل أن يهلك الجانبان المتقاتلان . فالحرب لا تنتهى بانفاق آخر دينار ، ولا النصر لمن يبقى معه آخر دينار كما قال نابوليون ، بل تنتهى بهلاك آخر انسان

ترى هل هذا ممكن ؟ اذا كانت المقدمات الآنفة صحيحة فهذه النتيجة ممكنة جداً . واذا لم تشف الامم من المرضين المذكورين آنفا وينزع زمام الأمر من أيدى الساسة ورجال الحرب ويسلم لأيدى أهل العلم والفضيلة فالخطر على سلام العالم أكيد . هب أن القضاء نزل وشاء الله أن يطهر الارض من ارجاس الانسان فماذا يكون مصير المدنية الحالية ؟

قد ينقضى جيل أو أكثر ويد التدمير تعمل فى بنى الانسان وفى عمرانهم . وفى تلك الاثناء يشيح ملاك الانسانية وجهه أو يولى ظهره مذعورا — فلا نعيم ولا ثقافة ولا تفكير . أهل العلم والفن والفلسفة والتفكير يهلكون فى ذلك الجحيم مع من هلك . وقد لايبقى إلا حثالة الناس الذين فزعوا الى البرارى والقفار حيث قد لاتصل اليهم يد الفناء . وهكذا تنقطع الصلة بين القديم والجديد وتنتهى سلسلة المدنية المنصرمة . وتبتدىء بقية الجنس البشرى حياة اجتماعية جديدة قد لا تختلف عن حياة أناس ما قبل التاريخ

تندرس المدنية التى نفخر بها الآن ولايبقى منها إلا آثارها . ولكن أية آثار ؟ — حطام أدوات وآلات وعدد لا يفهم منها خلفاء صانعيها شيئا . يسعى هؤلاء الخلفاء الى رزقهم مما يغله لهم الزرع والضرع . وكلما تقادم العهد عفت تلك الآثار لأنها سريعة البلى ، وآلت أخبارها الى أساطير وخرافات

فاذا عاد الانسان الجديد يرقى فى سلم حضارته ومدنيته فلا يفهم من بقايا المدنية المضمحلة شيئا كما نفهم نحن من آثار مدنيات مصر وبابل وغيرهما . لأن مدنيتنا محفوظة فى أوراق سريعة البلى ومدنيتهم منقوشة فى فخارهم ومنحوتاتهم ومصوغاتهم . وبقايا فنوننا فى حطام لايسهل فهمها لما فيها من التركيب والتعقيد ولما يعتورها من سرعة التفكك والتفتت ناهيك عما خفى فيها من أسرار كاسرار الكهرباء . وأما بقايا فنون أولئك الأسلاف فمحفوظة فى المنحوتات الضخمة كما قلنا آنفا

فقد ينقضى عصر طويل جداً قبل أن يستعيد أولئك الخلفاء معالم مدنيتنا الحاضرة . وقد لا تعود كما كانت بل يغلب أن تعود فى اشكال طراز أخرى . واما العلوم ولا سيما العقلية والتصورية فالله أعلم بعد أى دهر تعود . هذا ما نتخيله اذا كان الله يريد أن يطهر الجبلة البشرية من ارجاسها وشرورها بحرب كالتى نتوقعها

ان هذه المدنية الحالية التى نفخر بسموها وعظمتها لاتحمل فى باطنها روح خلودها بل بالعكس تحمل فى صدرها عوامل فنائها

نقولا الحداد

خطورة المراهقة في حياة الشباب

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

دور المراهقة أخطر الادوار التي تجتازها حياة الشباب . وهذا المقال يلخص آراء بعض كبار علماء النفس في أثر المراهقة في حياة الشباب من النواحي الجسمية والعقلية والجنسية والخلقية

المراهقة هي الحقبة من العمر التي تبدأ بزوال دور الطفولة ، أي تبدأ بالبلوغ وتنتهي بالنضج. أما البدء ، فيمكن تحديده على وجه التقريب ، وان اختلف قليلا بحسب الاقليم والبيئة وغير ذلك من العوامل ، وأما نهاية المراهقة فيصعب تحديدها ، ويمكن أن يقال اجمالا إنها قرب الخامسة والعشرين عند ما يستكمل الجسد نضجه التشريحي ، أي عند ما تصير الغضاريف عظاما ، وبذلك يصل النمو الجسدي الى آخر مراحله

والمراهقة هي أعقد أدوار الحياة ، والمشكلة التي لم تحل بعد . فاذا كانت الطفولة قد قتلت درسا وبحثا وتمحيصا ، فلا تزال المراهقة قيد الجدل والمناقشة ، وليس ذلك بمستغرب في مرحلة من الحياة يتغير الناشيء فيها تغيراً تاما إذ يتبدل جسما وعقلا وخلقا ، وتأخذ الحاسة الجنسية عنده في التطلع والاستفهام والالحاح

وعلى ذلك يمكن الكلام عن المراهقة من نواح أربع : الجسمية والعقلية والجنسية والخلقية . ويمكن اعتبار النواحي الثلاث الأخيرة متصلة اتصالا وثيقا ، ويحسن الكلام عليها مرة واحدة

الناحية الجسمية

في الذكر ينمو الجسم نمواً يتناول كل أعضائه ، وبخاصة أعضاؤه التناسلية ، وتنشط الغدد الصماء ويميل الصوت الى الخشونة ، ولا يتخلف عن ذلك النمو إلا الجلد والغدد التي تغذيه . ولذلك تكثر «الاكنة» أو «حب الشباب» ، وبعض المراهقين يكون نموهم الجسدي سريعا ، بحيث يصعب على القلب والأعضاء الاخرى الهامة أن تماشي ذلك النمو السريع ، فيصابون بفقر الدم أو خفقان القلب ، ونوع من الزلال يسمى زلال المراهقة . وفي بعض الأحيان ينمو الجسم نمواً سريعا وتتخلف الحالة العقلية فيصاب المراهق بادواء عصبية وعقلية خاصة بتلك السن . ومعنى كل ذلك ، أن ننبه المربين والوالدين الى أن لا يرهقوا أولادهم في هاته الحقبة من العمر . وان وجب أن يتعهدوهم بالعناية في المأكل والمشرب وبالرياضة المعتدلة في الهواء الطلق

فى الانثى ـ بينما يتجه النمو فى الذكر نحو القوة ، يتجه النمو فى الانثى نحو الأمومة . ويجرى عليها ما يجرى على الذكر من نشاط الغدد الصماء ، وخاصة الغدد التناسلية . ويأخذ دم الحيض فى الظهور

فى هذا الطور يتطلع المراهق الى حالته الجديدة ويأخذ في التساؤل . فان كان قد تعود فى طفولته اللجوء لوالديه والثقة بهما ، توجه اليهما سائلا كعادته ومتوقعا النصح والارشاد . فعليهما أن يشرحا للفتى هاته الأمور بلا مواربة ويفسرا للفتاة معنى الحيض وما يختص به . كل ذلك فى جد واحترام حتى يتعودا أن يحترما بدورهما المسائل الجنسية ، لا أن ينظرا اليهما نظرة قذرة مجرمة

ويزيد الباحثون فيقولون بل يجب أن يتهيأ الفتى والفتاة قبل البلوغ لما سيحدث لهما ، على زعم أن الحاسة الجنسية فى ذلك الدور تكون نائمة ، فلا يكون لذلك الشرح ما قد يكون له من الأثر بعد البلوغ والحاسة الجنسية منتبهة . ويمكن الاستعانة بالرسوم فى ذلك التفسير

ومن أراد الاستزادة من ذلك البيان فعليه بكتاب «العائلة» تأليف «سانت أوبين» ـ الفصل الخاص بالمراهقة ـ ففيه بيان دقيق وشرح واف لما يجب أن يقال وما يجب أن يتجنب . وقد يلوح ما ذكرنا غريبا على من لا يألفه منا ، ولكن الآفة الكبرى تنقسم الى قسمين ، الاول الجهل وهو طامة كبرى ، والثانى العلم المشوه الناقص الذى يتلقاه الناشىء همسا وخلسة عن أفواه تضع له المسائل الجنسية فى قوالب مغرية خبيثة

الحالة العقلية وما يتبعها

يصير الناشىء أكثر جدا ورزانة ، ويبدو عليه طابع الحياء والتطلع والمسؤولية ويختلف عن الطفل بكون الطفل تعود أن ينقاد ، أما المراهق فسؤاله سؤال الند الذى كون رأيا وعقيدة ، وقصده من السؤال أن يناقش ويتحقق ولا يقبل طائعا ما كان يلقى اليه . والنقطة الثانية أن عقلية الناشىء متقلبة غير مستقرة ، وينقض غدا ما يقرره اليوم ، وهو سهل التأثر بالايحاء . وان كان يبدو على شىء من الصلابة ، يظهر غريبا وغير متوقع لدى الوالد الذى ألف من الطفل الطاعة والانقياد

والنقطة الثالثة ، أنه يغلب على هذه العقلية الخيال ، بل الأصح أن نقول الانفعال المقرون بالخيال . ويشرح ذلك « هافيلوك اليس » فى كتابه (رقصة الحياة) فى الفصل الذى عقده على فن التفكير إذ يقول :

ان العاطفة الجنسية تنصب فى المبدأ على « خيال جنسى مثالى » يجمع فيه المراهق كل أحلامه وهواجسه وأمانيه . فهذا الخيال لايلبث أن يتحول الى حاسة فنية ، أساسها عبادة الجمال والكمال،

هى النواة لما بعدها فى المستقبل من التفوق فى العلوم والآداب والفنون ، ويزيد على ذلك «هافيلوك اليس » ـ ويناصره « كيسرلنج » ـ أن العلم والفن والفلسفة أساسها ذلك الذوق الفنى الذى يتجمع فى المراهق

من ذلك يتضح كيف يجب استغلال ذلك الخيال المرهف ، وتهذيبه وصقله ، والتسامى به حتى نخلق ما نشاء من النبوغ والاجادة

هنا نقف لنتحدث عن المعضلة الكبرى : يقول «فرويد» ومريدوه الكثيرون أمثال «نورمان هير »و« بازيل هود » وغيرهما إن العاطفة الجنسية هى كل شىء ، وهى التى توجه الحياة وتسيطر عليها . وانها فى أول عهد الطفولة ، منصرفة الى نواح مبهمة أومناطق جنسية كما يسميها «فرويد» منها الفم والشرج . ثم تأتى حقبة بيضاء تستمر خالية حتى البلوغ ، فاذا جاء البلوغ تنبهت الحواس الجنسية الخاصة بأعضاء التناسل تنبها قويا . ويختلف هذا التنبه باختلاف البنية ، والوراثة ، والوسط ، والمناخ . فهناك الشخص البارد المزاج ، وهناك المعتدل ، وهناك العنيف الجارف . فيقول « فرويد » إن هاته الحاسة الجنسية يمكن تحويلها الى نواح جلية ، ولا يجوز كبتها ولا اخفاؤها ولا الجهل بها . وما الشعر والموسيقى والعبادات الا أمثلة من ذلك التسامى المنشود

ويرد المعترضون قائلين : إن هاته العاطفة تبلغ بعض الاحيان حد الجنون ، ونحن الاطباء نعرف ونعالج نوعا من الجنون يدعى جنون المراهقة . فيعترف « الفرويديون » بذلك ويكتون واجمين

ومن الحوادث الطريفة المشهورة رأى القاضى « لندسى » الأميركى القائل (بزواج المعاشرة) وهو نوع من الزواج يبكر به على سبيل التجربة ويمنع فيه الحمل بالطرق الحديثة ، وقد استقال ذلك القاضى من منصبه بسبب الحملة التى قامت ضده من جراء ذلك الرأى الجرىء الذى اقترحه لحل معضلة المراهقة

نأتى الآن لرأى « أدلر » فهو ينكر ما للعاطفة الجنسية من الأثر البالغ الذى يؤكده «فرويد» . واما سيكولوجية « ادلر » فتقوم على ثلاثة أعمدة : حب التفوق ، والقصد ، ومركب النقص . وموجز هذه السيكولوجية ، أن الطفل يولد بخاصة أولى هى اثبات الذات ـ وهو نفس رأى نيتشه ـ ثم بالتدريج يتكون رأيه واتجاهه وقصده فى الحياة ، وبعد ذلك يشعر بموضع الضعف فيه ، ويحاول أن يغطيه بالتفوق . وما دام الأمر كذلك يجب أن يربى الطفل على حرية وثقة تساعدانه على التفوق وبلوغ الهدف . فاذا لم يكن قد اعتاد فى طفولته الثقة بوالديه فليس من المحتمل ان يجد فيهما ارشادا أو معاونة فى حالة المراهقة . ويجب على المعلم والوالد بناء على ذلك أن يكونا صديقين له . وهو يتدرج من الطفولة الى المراهقة الى الشباب

فأساس التربية على هذا المبدأ ، هو الأخوة المرشدة الناصحة التى تأخذ بيد الناشىء فى رفق

ولين وحذر . وبذلك يصدق القول المشهور « أدب ابنك سبعا ، وراقبه سبعا ، وآخه سبعا ، ثم ألق له الحبل على الغارب »

نأتي الآن للمدرسة الثالثة وهي مدرسة المسلكيين ، فهم يقولون إن كل كلام عن النفس والعاطفة لا معنى له ، وإننا نستجيب « بأفعال منعكسة » استجابة آلية ، وعلى ذلك يمكننا ان نوجه الناشىء كما نشاء ، فنخلق منه الرياضي أو الفنان أو العالم أو العبقرى . أو ننحدر به الى المجرم أو اللص اذا شئنا ..

ومما قرأت فى لطائف السير أن « جون ستيوارت ميل » العلامة المشهور كان والده يؤمن بذلك المبدأ قبل المدرسة المسلكية . فكان يعلم أبناءه كما يشاء ، ويحشد فى عقولهم ما يشاء ، فاذا خرج بابنه « جون » يمشيان ابتغاء الرياضة أخذ يناقشه فى التاريخ والمنطق والفلسفة مناقشة صارمة ، والصبي لا يزال فى دور المراهقة لم ينضج بعد ، على انه إذا جاز ذلك لعبقرى جبار الذهن مثل « جون ستيوارت ميل » فلا يجوز بحال أن يطبق على العقول والنفسيات العادية

والخلاصة من ذلك انه يجب الاخذ بما ارتآه علماء التشريح والفسيولوجيا وعلم النفس الحديث . فنأخذ من « فرويد » مبدأ التسامي ، ومن « ادلر » مبدأ الاخوة ، وننسى مدرسة المسلكيين لان آراءها غير معقولة . ويجب أن نتعهد هذه الاجسام النامية بالرياضة فى الهواء الطلق ، ونرحم العقول الآخذة فى النضج ، فلا نرهقها بحشد العلوم فيها حشداً ، ولا ننسى الارشاد الجنسى ، فنشرح فسيولوجية التناسل وتشريحه ، ونتكلم عن أخطار العادات السرية والامراض التناسلية ونخص الفتاة بالكلام عن الأمومة والحمل

أما نصيحتى كطبيب ، فانى أوصى بالغذاء الجيد المكون من اللحوم والبيض واللبن ، لان الجسم فى طور النمو فى حاجة الى ما يساعد الأنسجة على البناء ، والمواد الزلالية ألزم الأطعمة لذلك

أما الرياضة فيجب أن تكون باعتدال وفى الهواء الطلق ، ولا بد من ساعات كافية للنوم لا تقل عن تسع ساعات فى الليلة

وقد يحتاج الجسم النامى الى بعض المقويات كالحديد والجير والفسفور لبناء العظام

الآن نقطة أخيرة : فى هذا الوقت من العمر يتجه التفكير الجنسى لناحيتين : ناحية حب الجنس المماثل ، وناحية حب الجنس المخالف . ومن هنا أن نصرف المراهق عن الناحية الاولى ، ولا يكون ذلك الا باختلاط الجنسين فى معاهد الدرس . ففى ذلك تخفيف للكبت وتعويد على الألفة المنتظرة وانصراف بالعاطفة الجنسية لمجراها المرتقب

ابراهيم ناجى

أيهما أذكى: الرجل أم المرأة ؟

بقلم الاستاذ محمد عبد القادر طبارة

«.. تختلف وظيفة المرأة في الحياة عن وظيفة الرجل فهي أقل منه ذكاء وأضعف بدنا وأسرع تأثراً. ومن طبعها أن تعقل من جانب القلب وأن تنظر الى الاشياء بعين الاحساس. فرقي المجتمع الانساني ينهض على ذكاء الرجل ولكن خيره ونبله ينبع من قلب المرأة. وفي هذا كل مجدها..»

ان المرأة مخلوق أفاض الخير والجمال والحب والعدل على الانسانية، وإن التحدث عن هذا المخلوق الذي يتجلى فيه السحر والمهابة والدلال يستغرق ابحاثا مطولة اذا أردنا أن ندرس نواحيه المختلفة. فالمرأة كالرجل تتألف الانسانية منهما مناصفة، وتبقى الحياة ناقصة اذا تخلى احدهما عن صاحبه. وسنقصر الكلام عن الذكاء، فان الرقي الاجتماعي قوامه الذكاء، ولا تنهض أمة من الأمم إلا اذا كان ذكاؤها محمياً من التهشيم، كالانتاج الصناعي والزراعي لا يسلم من المزاحمة اذا كان باب المضاربة مفتوحا

ان المباحث التي تهتم بالمقارنة بين ذكاء المرأة وذكاء الرجل بصورة علمية مؤيدة بالاحصاء، حديثة العهد ويرجع تاريخها الى العلماء المعاصرين، وليس للانسان ميزان كميزان الحرارة مثلا يقيس به الذكاء، وقد أبدع علماء التربية منذ أواخر القرن التاسع عشر في اكتشاف معايير الذكاء لطلاب المدارس، وما زالوا يحسنون في المقاييس والمعايير، أما ذكاء الراشدين فقلما أثار اهتمامهم، فما علينا والحالة هذه إلا أن نحول أنظارنا الى اعمال الرجال والنساء لنمتحن ذكاء الجنسين في الحياة كي نرى أن الرجل يتفوق على المرأة ذكاء، وان كانت هي بدورها تتفوق عليه احساسا

فلنشرع في وزن الدماغ فان الطفل الذكر عند الولادة يزن دماغه (٣٣٨) غراما ووزن دماغ الطفل الأنثى (٢٨٣) غراما، فتكون الطبيعة قد حبت الرجل بـ (٥٥) غراما زيادة عن المرأة منذ الولادة، وهذا هو أحد فوارق الذكاء. واذا بلغ الرجل الخمسين من عمره كان وزن دماغه (١٣٣٤) غراما ووزن دماغ المرأة في هذه السن (١٢٢١) غراما فيكون الفرق (١١٣) غراما بجانب الرجل (الأرقام مأخوذة عن كتاب ـ أزمة المراهقة ـ للعلم في التربية فكتور مركنتي في جامعة الأرجنتين)

ونرى أيضا التفوق العضوى من جانب الرجل اذا قارنا بين قوة الرجل والمرأة كما يتبين من الاحصاء الكامل الذى قام به الاستاذ (كاتلت) بواسطة (الديناموتر) باليدين معا بعد أن امتحن عدداً كبيرا من الفتيان والفتيات

العمر	الفتى	الفتاة	العمر	الفتى	الفتاة
٦	١/٥	—	١٤	٤٧/٩	٣٣/٤
٧	١٤	—	١٥	٥٧/١	٣٥/٦
٨	١٧	١١/٨	١٦	٦٣/٩	٣٧/٧
٩	٢٠	١٥/٥	١٧	٧١	٤١
١٠	٢٦	١٦/٥	١٨	٧٩/٢	٤٣/٦
١١	٢٩	١٩/٥	١٩	٧٩/٤	٤٥
١٢	٣٣/٦	٢٣	٢٠	٨٤	٤٥
١٣	٣٩/٨	٢٦/٧			

ان قوى الرجل الجسدية تكاد تكون ضعف قوى المرأة فى هذا الاحصاء ، فلا غرو اذا رأينا الرجل ينبغ فى العلوم والفنون نبوغا تقصر عنه المرأة . فان العالم (مانتكازا) لم يجد فى قاموس أعلام العلماء أكثر من ٤ الى ٨ فى المائة فقط من النساء . وان (بوردا) لم يجد فى خمسين الفا من الاختراعات المختلفة سوى ستة فقط للنساء والباقية للرجال

ان هذه الاحصاءات لاتنفى مطلقا مشاركة المرأة فى العلوم والفنون والفوز بنصيبها من النجاح ، كما نعرف عن سوفيا جرمان وسونيا كولوسكى لاسيما هذه الأخيرة التى كانت تعد فى طليعة العلماء فى الرياضيات فى القرن الثامن عشر ، كما تعتبر مدام كورى فى مقدمة العلماء . غير أن نبوغ سيدة أو عشر سيدات لايتخذ قياسا للمفاضلة والحكم . إلا أن امراً استرعى اهتمام العلماء فقد وجدوا ان المرأة متوسطة الذكاء تفوق على الرجل المتوسط ، وتقصر المرأة النابغة عن الرجل النابغة ، بدليل ان الاختراعات والاكتشافات هى من نتاج قرائح الرجال ، ولذلك لم تبلغ المرأة مطلقا مستوى سقراط وافلاطون وارسطو وكنفشيوس ونيوطن وقيصر . ولم يكن بينهن أنبياء ولا رسل ولا حكام وأبطال من طراز عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ومعاوية والمأمون والرشيد وغيرهم . أما البلاوة فتكون فى الطبقات الخاملة بين الرجال أكثر منها بين النساء . وقد قام احصاء الحكومة البروسية عام ١٨٨٠ دليلا على صحة هذه النظرية حيث وجدت ٩٨٠٩ أبله بينما كان عدد زميلاتهم ٧٨٢٧ بلهاء

ان العائلة تهتم دائما بتربية الأنوثة فى الفتاة والرجولة فى الفتى، ملائمة بين كيان كل منهما الطبيعى ، وقد رأينا العالم يقفل أبواب المعاهد فى وجه الفتيات حقبة طويلة من الزمن ، وكان الأهل يجدون

معرة فى ادخالهن المدارس للتعلم . ولما أجازت لهن الأوضاع أن يتعلمن فى المدارس بقيت الجامعات لا تقبلهن طالبات فيها . ولقد حدث اخيراً فى عصرنا أن جلست الشابة بجانب الشاب فى الجامعة . وقد حرم أيضا عليها بعض العلوم كالطب مثلا ، ولم تقف على قدم المساواة مع الشاب إلا منذ أمد قصير حيث أجيز لها أن تختار الفرع الذى تبتغيه . فهذا الحرمان الذى نال المرأة من المدارس والجامعات لا يوهمنا مطلقا انه السبب فى التفاوت بين ذكاء الرجل والمرأة ، انما هذا التفاوت كامن فى طبيعة المرأة نفسها التى أعدتها الطبيعة للأمومة فى الدرجة الاولى وجعلت ميدان كفاحها غير ميدانه .

ان المرأة اذا درست علما من العلوم التى تتطلب الاجهاد كالرياضيات مثلا لا تلتذ به كالرجل الذى يتحمل الاجهاد ، وقد قالت السيدة طومبسون عن نفسها إنها لا تشعر باللذة فى أية عملية رياضية رغم اشتغالها بهذا الفرع . ومما يحدو بك الى التصديق أن السيدة جينا لومبروزو قد تعاطت الطب ومارسته ، وقالت عن نفسها إن الاهتمام لايبدو على محياها ولا تظهر أمارات التأثر على وجهها عند ما يصف لها المريض مرضه بل عند ما يكشف لها عن شقائه وتعاسته وما يعانيه من الوان العذاب فى الحياة . وان أكثر مايدعونا الى الاستغراب مانعرفه عن العالمة كولوسكى من أنها فى السنة التى أرادت أن تتقدم لنيل الجائزة فى الرياضيات أخذت تتصرف الى أشغال الابرة ، فكانت وصيفتها تعمل بكل ما لديها من حجة واقناع لتصرفها عن هذه الأشغال الى متابعة دراستها العلمية

ان فريقا من العلماء أمثال (كريكسوف) فى كتابه « المرأة فى الجامعة » الذى صدر عام ١٨٩٧ وبعضاً من محررى المجلات العلمية (كالمجلة) عام ١٩٠٣ قاموا بدراسة علمية للفتيات فى الجامعات فأسفرت مباحثهم القيمة عن أن الفتاة وان كانت تنال النجاح فى الامتحان وتبرهن على الاجتهاد غير أن الابداع ينقصها . وان العالم الهولاندى (هيانس) قام باختبار فى عام ١٩٠٩ أجراه على طلاب الجامعة فى موطنه البالغ عددهم ٤٣٤٣ طالبا بينهم ٦٥٦ طالبة بمختلف فروع الجامعة ، فظهر له بعد التدقيق والبحث الشاق أن الفتيات كن مندفعات بعامل الواجب الى الدرس،فيتفوقن تفوقا حسنا . غير أن التفوق الأول كان من حظ الطالب ، وقد علل ذلك تعليلا فلسفيا مطولا فى كتابه القيم (المرأة وعلم النفس)

ان الناس اذا نسبوا الذكاء للمرأة فلا يقوم زعمهم على أساس ثابت ، فقد شاهدوا كما نشاهد نحن فى المدارس الابتدائية ان الفتيات يتفوقن بالذكاء فيها ، فقالوا ان الفتاة أكثر ذكاء من الفتى ، ولو كان لهم شىء من المعرفة العلمية لعلموا أن الفتاة أسرع بلوغا من الفتى ، فبينما يتم البلوغ عند الفتيات فى الثالثة والرابعة عشرة لا يتم عند الفتيان إلا ما بين الخامسة والسادسة عشرة فى رأى بعض العلماء ، ومنهم من يقدم أو يؤخر عاما ، إلا أن كلمتهم أجمعت على ان البلوغ فى الفتيات أسبق ، وفى هذا الدور وقبيله تنمو الفتاة جسما وعقلا وفهما فينتج ذلك بطبيعة الحال اجتهاداً وتفوقاً . ولن تتفوق المرأة على الرجل لان من طبيعة المرأة ان (تعقل) من جانب (القلب) وأن تنظر الى الأشياء

بين (الأحساس) ولا يمكن أن تساويه ذكاء، ووظيفتها فى الحياة تختلف عن وظيفته فان الامومة تفصل بينهما وان كانت الوظيفتان تتحدان فى الأهداف. فتفكير المرأة وشعورها واحساسها ومثلها الأعلى خاضع لهذه الامومة التى تحفظ الجنس البشرى. فالمرأة لا تنظر الى العالم إلا بقلب الامومة الذى أودعه الخالق فى صدرها خفاقاً حساسا يفيض نبلا وعطفا، ولا تحمل نفسها على (التفلسف) إلا نادرا، ولا يلتفت نظرها إلا الى ما فى العالم من جمال وعدل وحق وما فيه من شقاء وأنين وصراع. ولذلك رأينا الفتاة كالفراشة تحوم حول أبيها وأخيها وزوجها ووليدها، لأن انكار الذات من أجمل صفاتها ولأن قلبها يجب أن يستوعب كل ما فى العالم من أم والدة

ان العلوم والفنون تثير اهتمام الرجال حتى الذين لم ينالوا إلا نصيبا ضئيلا من الثقافة. ومن منا لم يلاحظ الحلقات التى يعقدها القرويون ولم تطرق اسماعه المباحث التى يتداولونها كالبحث فى الله والدين والسياسة والعلوم؟ من منا لم يسمعهم يتناقشون فى هذه الموضوعات التى تشغل أدمغة العلماء، ولم ينته الى أن فى طبيعة الرجل استعداداً للبحث وأهلية للاكتشاف؟ أما المرأة فتسرح نظرها الى السماء تلتمس الالهام والاسترسال فى الأحلام اللذيذة، ويمكن لاصحاب الجرائد والمجلات - لاسيما العلمية والأدبية منها - أن يقفوا على استعداد المرأة اذا قاموا باحصاء المشتركين والمشتركات تأكيداً لمدام كرولوسكى التى تعد من أكبر علماء الرياضيات عند ما كتبت فى مذكراتها مايلى: «ان العمل العلمى والابداع الفنى لا قيمة لها لانهما لا يزيدان فى الرفاهية ولا يدفعان الانسانية الى التقدم، وانه من الجنون أن نقضى شبابنا فى الدرس، وانه من التعاسة بنوع خاص للمرأة ان تكون لها ملكة تدفعها الى اجراء الاعمال التى لا يمكن أن تجد فيها السعادة المنشودة.»

ان السيدة جينا لومبروزو فى كتابها القيم (روح المرأة) تقول ما معناه: انها درست الطب لأن حديث الطب كان يكثر فى بيتها، وقد كان أبوها العالم يهيم بكل ما وهبه الله من ذكاء بهذا الفن. ولما مات أبوها انعدم حب الطب فى نفسها، ثم أردفت قائلة: إننا إذا رأينا كثيرا من النساء يهتممن بالأمور السياسية فما ذلك الا لأنهن زوجات أو بنات لملوك وأمراء ووزراء ونواب وغيرهم

ألا نعرف جميعا أن النساء يهمن بالفن والموسيقى وأن سواد النساء يعرفن أكثر من نوع من أنواع الموسيقى، أما ترقية الفن والموسيقى فان الرجل وحده هو الذى يعمل لها وهو الذى ابتدع الألحان واخترع آلات الموسيقى، وريشته لا ريشة المرأة هى التى خلقت لنا أجمل ما فى العالم من رسوم، وذكاؤه أنتج أجمل الروائع الفنية

وأغرب من هذا أن ذكاء الرجل يتفوق على ذكاء المرأة حتى فى الأمور التى خصتها بها الطبيعة كالطهى والحياطة، فان مهرة الطهاة والحياطين هم من الرجال لا من النساء، لأن التفوق فى كل أمر من أمور الحياة يتطلب ذكاء كذكاء الرجل. أما ميزة المرأة فهي أن الطبيعة التى أعدتها للأمومة جهزتها فى الوقت نفسه بالوسائل الخلقية لتأمين حياة العائلة، فغرست فيها ملكة الخدمة

ومكنتها من أن تخيط أثواب وليدها بدون أن تتعلم الخياطة وأن تعد الطعام بدون أن تدرس الطهى ، ولكنها تبقى قاصرة عن مجاراة الرجل فى مضمار التفوق . بدليل أن الثورة الفرنسية لما طردت الطبقة الارستقراطية من فرنسا استطاع نساء هذه الطبقة فى الخارج كسب عيشهن بالأعمال اليدوية ، أما الرجال فبقى العجز مستوليا عليهم يتضورون جوعا ، وهذا ما نشاهده كذلك يعمل عمله فى الطبقة الارستوقراطية التى طردتها الكمالية من تركيا فى كفاحها الحديث ، وهذا ما نسمعه حينا بعد آخر عن الطبقات الارستوقراطية فى العالم التى شردت من أوطانها فى الآفاق ، فكم نقرأ فى الصحف أن أميراً مات جوعا فى كوخ حقير ، وقلما نعرف للمرأة مثل هذا المصير لانها تحتال على الحياة وهى بطبيعتها أقرب الى التكيف من الرجل

وبعض أرباب الفكر يرجح أن المرأة لا الرجل فى الجماعات الأولية هى التى استخدمت وابتدعت أهم مايحتاجه الناس ، بينما كان الانسان الأول — وأعنى به الرجل — يرتاد البرارى والقفار والصحارى للقنص والصيد ، فان المرأة التى أعدتها الطبيعة للأمومة وجملتها بالأنوثة هى التى كانت تقوم بوظيفة الطهى وصنع الخيام وخياطة الاثواب ، وهى أول من فكر فى أن يغرس النبات والزهور قرب النزل ، وهى التى ربت المواشى، وهى أول من عرف أن حليب البقر أو الغنم يقوم مقام حليب ثدييها فى تغذية الوليد ، وهى أول من غزل الاصواف وعمل السلال لحفظ الغلال ، وهى التى عرفت الحشائش الطبية ، وهى التى ربت دودة الحرير للانتفاع منها . أجل من أرباب الفكر من يرجح — ولا يستطيع بطبيعة الحال أن يثبت — أن المرأة فى الجماعات الاولى هى التى استخدمت هذه الاشياء وابتدعتها ، كما قادتها وسيرتها فطرتها الساذجة دون أن تقدح زناد ذكائها ، فجاء الرجل واستثمر علميا ما فعلته المرأة فطريا . لان قوام رقى المجتمع الانسانى يقوم على ذكاء الرجل كما يقوم خيره ونبله فى قلب المرأة

محمد عبد القادر طبارة

مدير دار الايتام الاسلامية ببيروت



إصْلاحُ الهِجاءِ العَرَبِي

طريقة جديدة لرسم الكلمات العربية

قال قاسم أمين : « فى اللغات الاجنبية يقرأ الانسان ليفهم ، أما فى اللغة العربيـة فيجب أن يفهم الانسان ليقرأ » . وذلك لنقص الهجاء العربى وغموضه ، مما يؤدى الى ضعف ثقافتنا العامة وقصورها ، كما يتبين مما اقتطفناه من محاضرة لمعالى وزير المعارف الدكتور بهى الدين بركات باشا ، ومما يدعو الى التفكير فى اصلاحه بوسيلة كهذه التى يقترحها الدكتور أبو فاضل فى مقاله التالى ، والتي يعرضها « الهلال » لقرائه ليبدوا رأيهم فيها

تمهيد للدكتور بهى الدين بركات باشا

يعرف الولد الاجنبي للكلمة الواحدة طريقة واحدة للنطق ، فهو بمجرد وقوع بصره على كلة يعرف ماهى، فكأنه يسمعها فيفهم مدلولها

بل إنا قد نجد بعض الكلمات (المتشابهة فى نطقها) ترسم بطريقين مختلفين وأحيانا بثلاث طرق أو أربع تبعاً لما تحويه من المعنى ، فكأنهم حرصوا على أن تكون لغة الكتابة أدق فى مدلولها وأقرب فى فهمها من لغة الشافهة ، مثال ذلك mère بمعنى أم و mères بمعنى أمهات و mer بمعنى بحر و mers بمعنى بحور أو ami بمعنى صديق و amie بمعنى صديقة و amis بمعنى أصدقاء و amies بمعنى صديقات ، وغير ذلك من الالفاظ التى تكتب على عدة أشكال تبعاً لمدلولاتها المختلفة

أما فى اللغة العربية فانا نكبد الطفل مجهودا فوق طاقته لأنا نضع أمامه طلاسم وألغازاً نكلفه حلها . فاذا وجد الطفل أمامه لفظ (ع ل م) مثلا حار فيما اذا كانت عَلَمَ اوعِلْم اوعَلَّمَ او عَلِمَ او عُلِّمَ واذا وجد لفظ (ان) تحير هل يقرؤها : أَنْ او أَنَّ او إِنْ او إِنَّ واذا وجد لفظ (م ص ر) حار هل هى : مصْرَ او مُصِرّ او مَصَرَّ أو غير ذلك من كلمات واوزان قد لا يكون لها وجود فى اللغة

لذا عن ذلك أنا لا نجد — حتى من بين من تفوقوا فى اللغة وفى الاطلاع — من لايخطىء فى ضبط الكلمات لأن طريق الضبط وعر ، يحتاج الى أبحاث ومجهودات قل من يستطيع التفرغ لها أو الوصول اليها

كما نتج من ذلك — وهو الاهم فى نظرى — أن الطفل الاجنبي اذا بدأ القراءة والكتابة كان ذلك مدعاة لتنمية قوة ملاحظته ، وتوسيع ملكة الادراك فيـه ، وتعليمه كل يوم شيئاً جديداً ، لأنه يستطيع فى وقت قصير أن يقرأ ، فكلما وقع نظره على كتابة سواء كان ذلك في الطريق أو فى المنزل أو فى الاعلانات أو فى جريدة سيارة ، استطاع ان يدرك معناها وان يزيد فى معلوماته عن طريقها

أما عندنا فان الطفل لا يستطيع ذلك لأنه يحتاج لشارح بلغ من الخبرة ما يستطيع معه أن يرشده الى طريقة قراءة الكلمة ، وبلغ من البيان ما يستطيع معه ان يفسر للطفل لماذا يختار النطق بالكلمة طريقا دون

آخر . وهكذا من العقبات التى تجعل الطفل عندنا يزهد القراءة لأنهـــا لا تثيره بل الواجب ان يكون مستثيرا ليقرأ

ولذلك أيضاً نجد جميع الاشخاص الذين لاتسمح لهم الظروف بالاستمرار فى الدراسة لايستطيعون ان ينموا معلوماتهم بالقراءة الا بمجهود شاق لايتيسر الا للافذاذ النبغاء . فاما باقى الامة ، وأما باقى الشعب ، فلايستطيع الاستفادة من تعلمه القراءة والكتابة لأن ما حوله لا يشجعه فيبق من غير أن تتسع مداركه لمــا فى ذلك من مجهود لا يطيقه

وهذا بخلاف الفرنسى مثلا فانه يستفيد وتتسع معلوماته حتى عن غير قصد ، دون ان يشعر بالمجهود الذى يبذله لأنه يكاد يكون ميكانيكيا وطبيعيا

ولقد كان من نتائج ذلك ان الواحد منا لا يستطيع أن يعلم اللغة أو ان يضبط الفاظها الا اذا عرفها عن طريق السماع . أما تعلم القراءة فلا يمكن ان يكون الا اذا وجد اللفظ مشكولا ، او اذا عرف جميع قواعد النحو والصرف واستذكرها وطبقها بالاستمرار ، وهــذا فى حالة الاوزان التى توجد لها قواعد فى الكتب دون جميع الالفاظ غير القياسية التى تكون العمدة فيها على السماع وحده

ولقد اقترح لمعالجة تلك الحال على ما أعلم طريقان : الاول هو الشكل . وهو طريق غير عملى لأنه متعب فى الكتابة جدا ، ولان الشكل أدق من الحروف المعتادة فهو أيضــا متعب للبصر وليس من المستطاع تمييزه بسهولة . أما الطريق الثانى ، فهو الاستعاضـــة عن الشكل بحروف المد ، وهو طريق ترد عليه اعتراضــات عدة . وليس مقصودى من هذه الكلمة أن اشير بطريقة معينة فذلك شأن الفنيين ، وانما الذى أريد الاشارة اليه والمطالبة به هو وجوب الاخذ فى الاصلاح ، وهو عبء يقع على عاتق الحكومة المصرية ووزارة المعارف والمجمع اللغوى بصــفة خاصة ، وعلى المعلمين بصفة عامة . فعلى الحكومة أن تقرر المبدأ ثم تشكل اللجان وتعقد المسابقات للوصول الى احسن الطرق التى يمكن اختيارها لتنفيذه ، لا من طريق الثورة ، فكتابتنا يجب أن تظل عربية ولـكنها يجب ان تتكيف بما يلائم مقتضيات الزمن الحاضر

وليست صعوبة الشكل أو النطق الصحيح هى وحدها التى يقوم عليها الاعتراض فى الكتابة العربية بل إن الهمزة أيضاً وطرق رسمها من المسائل المعقدة التى يبذل تلاميذ المدارس مجهودا شاقا فى فهمها وحفظ قواعدها ومع ذلك فــكثيرا ما يقع الخطأ فيها حتى من جهات لا ينتظر ان تقع فيه . والا فما القول فى ان وزارة المعارف تحتفل بعيد المدرسة الخديوية المثوى وتوزع على طلبتها السابقين استمارات تكتب فيها لفظ « يملؤها » خطأ إذ ترسمها على (الف) بدل الواو ؟ أليس ذلك دليلا على اننا لم نصل بعد الى هضم قواعد رسم الكلمات لما فيها من تعقيد ومجهود شاق ؟

أو ليس من المعقول أن يتقرر رسم الهمزة حسب شكلها ، فان كانت مكسورة رسمت على ياء ، أومضمومة رسمت على واو ، او مفتوحة رسمت على الف . وبذلك نحل صعوبتين فى وقت واحــد : صعوبة الشكل وصعوبة الرسم ؟

بقيت نقطة اخيرة أوجه اليها النظر ، وهى ما قد يظنه البعض من ان ذلك قد لا يتفق تماما مع وجهة النظر الدينية لارتباطنا برسم المصحف الشريف . ولـكن هذا الاعتراض مردود

أولا — لان رسم الكلمات فى تطور مستمر . فمن ذلك ان المصاحف والرسائل الموجودة بدار الكتب والتى يرجع تاريخها الى القرن الاول والثانى من الهجرة تـكاد تـكون خالية من النقط خلوا تاما فمصحف عثمان من غير نقط اصلا . فتصور صعوبة تلك الآية :

« وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا » . وتصور قراءة هذه الآية من غير نقط اصلا ومن غير وجود همزة ايضا . وفوق ذلك فان لفظ الباطل والظالمين وخسارا يكتب فى جميعها من غير الف

وكما نلاحظ ذلك فى مصحف عثمان فاننا نلاحظه ايضا فى الرسائل التى كتبت فى هـذا العهد . فتخيل لفظ حتين او جبين او جنين او خبين او جبين او جبين ، الى غير ذلك من الالفاظ غير المتشابهة فى لفظها ولا فى معناها . بل من الفاظ قد لا يكون لها وجود فى اللغة . ثم قدر النعمة الكبرى والفائدة التى لا حد لهـا التى كسبناها بابتداع النقط حتى صرنا لا نتصور كتابة تخلو منه . فكما خطا أسلافنا تلك الخطوة المباركة ، كذلك يجب علينا أن نقتدى بخطواتهم الموفقة حتى تكون القراءة سبيل الفهم والاستنارة

ثانيا ـ اننا فى يومنا هذا لا نتقيد فى كتابتنا العادية برسم المصحف الشريف . فكثير من الكلمات ترسم بغير الرسم المعروف فى المصحف . اذ ليس فينا اليوم من يكتب الصلاة والزكاة بالواو . ولا من يرسم قـواهن أو ادراك او الحاكم بالياء ، ولا من يزيد الالف قبل الهمزة فى مئه او مئتهم (ملائه او ملائهم) ولا من يضيف ياء بعد نبأ فى كتابة (من نبأى المرسلين) ولا من يضيف الفا بعد امرؤ فى (ان امرؤا هلك)

فرسم الكلمات يجب ان يتطور ليتفق مع الروح التى تسود العالم اليوم من ضرورة التبسيط والتسهيل . فبذلك وحده نستطيع مجاراة العالم فيما وصـل اليه من التقدم ، ونصرف قوانا ومجهوداتنا فيما يجدى من العلوم والفنون التى تقوم عليها المدنية فى العصر الحاضر ، بل هذا وحده هو سبيل الديمقراطية ، حتى لا تكون الاستزادة من المعرفة وقفا على طبقة الاغنياء وحدهم

* * *

يعلم الذين لايعرفون منا لغة أجنبية أن تعلم اللغة العربية أمر شاق مجهد ، وأن قراءتها صحيحة غير ملحونة مطلب عسير ، لا ينال إلا بالسليقة السليمة ، أو بالتمكن من علوم الصرف والنحو وما اليها تمكنا كاملا . فاما السليقة فليس منا من يستطيع ادعاءها اليوم ، فلسنا كلنا عربا خلصا ، ومن كانوا كذلك فقد فشا اللحن فيهم بعد اختلاطهم بالأمم المجاورة . أما اتقان علوم الصرف والنحو واللغة والرسوخ فيها جميعا ، فلا يتيسر إلا للقلائل المتوفرين على دراستها أعواما تلو أعوام . ولا يخفى أن الغاية من تعلم القراءة هو أن يتمكن المرء من المطالعة لتوسيع ثقافته وزيادة معارفه ، لا أن يقضى شطراً كبيراً من حياته فى البحث والدرس والتثقف كى يتمكن بعد هذا كله من ان يقرأ صحيحا

والراغب فى تعلم القراءة العربية الآن ، سواء كان عربيا أم أعجميا ، لا بد أن يقضى عدة سنين طويلة فى تعلم ضبط الكلمات التى لم تمر عليه ، بالرجوع الى معاجم اللغة واسفارها ، ولا بد أن يتنبه دائما الى اعراب أواخرها وفق ما يعرفه من قواعد الصرف والنحو . ومع ما يبذله فى هذا من الجهد والمشقة ، فقد لا يسلم من الخطأ عند ما تصادفه كلمة لم يثبتها القاموس ، كأن كانت اسما اجنبيا مكتوبا بالحروف العربية

ولعل هذه الصعوبة كانت من جملة الأسباب التى حملت بعض الأمم الاسلامية على أن تستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، التى تسهل قراءتها على الوجه الصحيح

ولم تغب صعوبة الهجاء العربى على أبناء اللغة العربية قديما ، فقد أمر الحجاج بوضع التنقيط الذى كان مهملا حتى عصره ، فكانت الحروف ذات الرسم الواحد ـ مثل الباء والتاء والثاء والنون ـ متشابهة مختلطة ، والمدار فى تمييزها بعضها من بعض على ذكاء القارىء وفطنته الى

القرائن . بل كان التنقيط حينذاك يعد عيبا ، إذ يشير الى عجز القارىء وقصوره . ثم جاء الوزير ابن مقلة فاستصعب كتابة الخط الكوفى ، فحوره الى الخط الذى نعرفه الآن . كما أنه وضع الفتحة والضمة والكسرة وغيرها من الحركات والاشارات بقصد ضبط اللفظ والاعراب . ولكن ظلت صعوبة النطق الصحيح قائمة حتى اليوم ، مما حمل كثيراً من المفكرين على بحثها وعلاجها ، ولا سيما بعد أن استبدل الكماليون الحروف العربية بالحروف اللاتينية

فمنهم من رأى أن تضاف الى الأبجدية العربية حروف صوتية يمكن معها لفظ الحروف صحيحة دون الاستعانة بحركات أو إشارات . ونشرت الهلال منذ سنوات مقالا عرض فيه كاتبه عدة آراء فى إصلاح الحروف العربية ، كان أحدها أن نعتبر نصف الألف فتحة ، ونصف الياء كسرة ، ونصف الواو ضمة ، وذلك بوضع خط مائل فوق هذه الحروف . ولكن لا شك فى صعوبة هذه الطريقة ، إذ فضلا عن كتابة حرف جديد ، نكتب خطا هو بمقام «الحركة» . وقد اطلعت على مقال عنوانه « حروف أديب » ، ذكر صاحبه أنه أوجد حروفا عربية منفصلة كالحروف اللاتينية ، وأضاف اليها حروفا صوتية تغنى عن الحركات وتدخل فى صميم الكلمة ، فتضبط نطقها ولا تدع مجالا للخطأ فيها . ولكنى لم أعثر على رسم لهذه الحروف فأبدى رأيى فيها . وقد كتب الدكتور « شوكة الشطى » منذ اشهر مقالا فى مجلة المعهد الطبي العربى بدمشق ، يقرظ فيه رسالة كتبها الأب « انستاس الكرملى » أبان فيها حاجتنا الى حروف صوتية تدخل فى صلب الكلمة العربية ، فتجعل نطقها سهلا صحيحا ، دون حاجة الى وضع الحركات ، أو الى دراسة علوم اللغة وقواعد الاعراب

ويظهر من هذا أن مسألة اصلاح الحروف العربية تشغل أفكار الكثيرين ، رغبة منهم فى تبسيط دراستها ، وتقصير مدة تحصيلها . ولا شك أنه لا يقصد من اصلاح الهجاء العربى وتغيير رسم كلماته ، أن يستغنى عن علوم اللغة وقواعدها . لأن قراءة الكلمة صحيحة الاعراب شىء ، ومعرفة سبب رفعها أو نصبها شىء آخر . فالقصد أن يقرأ كل انسان قراءة صحيحة مهما كانت درجة علمه باللغة ، وبذلك تقرب لغة التكلم من لغة الكتابة ، وترقى درجة الثقافة العامة

واعلم علم اليقين أن إدخال أى تبديل أو تحوير على الحروف العربية يقابل من كثيرين بالاعراض أو الانكار ، محافظة على التقاليد واتباعا لسنة الاسلاف ، ولا سيما أن هذه هى حروف المصحف الشريف الذى نحافظ فيه على املاء الصحابة ، « تبركا » ، كما يقول ابن خلدون . ولكنى اعتقد أنه يمكن التغلب على هذه الصعوبة باحدى طريقتين

أولا : الطريقة المحافظة وهى أن نحافظ على الشكل الحالى المقبول من كل الأمم العربية ، على أن نضبط لفظ الكلمات بالفتحة والضمة والكسرة والسكون ضبطا كاملا ، وأن نبدأ بطبع كتب المدارس فى جميع مراحلها بهذا الشكل الكامل . وبذلك تسهل

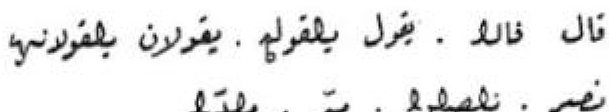
القراءة الصحيحة بالمدارس حتى لتلاميذها الناشئين ، فلا يمضى زمن طويل حتى تصير اللغة الفصحى هى لغة المدارس التى يتكلم بها المعلم والتلميذ

واذا طبعت الجرائد والمجلات مشكولة كذلك ، استطاع قراؤها جميعا ـ مهما كانت درجة علمهم باللغة ـ أن يقرؤوها على وجهها الصحيح . فتستقيم لغة العامة يوما بعد يوم ، وسنة بعد أخرى ، دون أن نبدل شكل الخط أو نحور رسمه

ولا اعتراض على هذه الطريقة الا صعوبة طبع الكتب والصحف وفقها . فتحتاج الى زيادة حروف المطابع وعمالها ومصححيها . كما أنها لا تفى بحاجة المسلمين غير العرب ـ كالفرس والاتراك سابقا ـ مما يؤثرون معه اتخاذ الحروف اللاتينية . وأعتقد أن بقاء وحدة الهجاء بين المسلمين يوثق أواصرهم ويوطد بناءهم المشترك

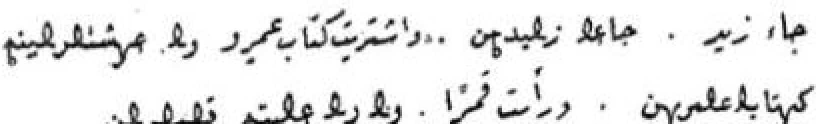
ثانيا ـ <u>الطريقة الجديدة</u> وهى تقوم على المحافظة على الحروف العربية القديمة ، على أن نضيف اليها حروف الحركات ، بشرط أن تكون مأخوذة من شكل الحروف الحالية بعد تحويرها . فتعتبر « الألف » بالخط الديوانى فتحة و « الواو » المعكوسة ضمة ، و « الياء » المعكوسة مع إطالة سنها كسرة ، أى هكذا على التوالى : 

واليك أمثلة من هذه الكتابة :



ويتضح من هذه الأمثلة أن « حرف » الفتحة يأتى بعد الحرف المنصوب ، وحرف الضمة بعد المرفوع ، وحرف الكسرة بعد المجرور . أما الحرف المشدد فتوضع عليه الشدة كما هو الحال ، وهمزة الوصل ، نحو همزة « ال » التعريف ، فتتقدمها « ـ » صغيرة تدل على أنها همزة وصل ولا تقرأ

ونون التنوين تكتب بعد حرف الحركة الخاصة باعرابه نحو :



ويلاحظ أن الهمزة كتبت هكذا : 

أما « التاء » المربوطة التى تأتى فى آخر الكلمة وتنطق « هاء » فتكتب « هاء » متوسطة

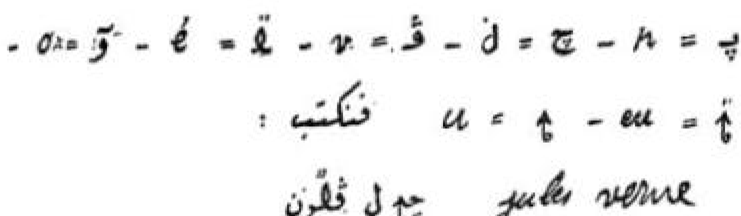
وعليها نقطتان . ثم يليها حرف الحركة حسب موقعها من الاعراب ، فنون التنوين ، على ألا تقرأ نون التنوين عند الوقف بل تقف على الهاء . أما الألف المقصورة فتكتب « ياء » بدون نقطة ، ولكن فوقها الف قصيرة نحو :



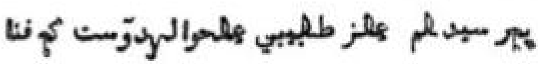
تبدو هذه الحروف غريبة فى بادىء الأمر . ولكن إذا قبل الأساس وهو اتخاذ حروف صوتية تدخل فى صلب الكلمة ، أمكن دعوة الفنيين والخطاطين لأجل تهذيبها وتوضيحها وتجميلها

واعتقد أن فى وسع من يعرف القراءة أن يجيد هذا الهجاء كتابة وقراءة بعد تمرين بسيط أياما قليلة . لأن الحروف هى هى ، ولم ترد عليها سوى حروف الحركة ، وهى غير غريبة عن الحروف المعروفة . ولا يقصد من هذا الرسم الجديد الغاء الرسم الحالى ، بل تبسيط القراءة الصحيحة لكل فرد مهما كانت درجة علمه ، ويظل الخط الحالى نوعا من الاختزال ، منسجما مع أصول الخط العربى ، فنحافظ على مكانته بين الشعوب الاسلامية ، وندفع عنا بدعة الخط اللاتينى

ولو استعملنا الحروف الآتية لتمكنا من كتابة الأسماء الاجنبية بصورة قريبة مما يلفظها أهلها ، ولسهل على المسلمين غير العرب كتابة لغتهم بها :



واليك مثالاً باللغة الفارسية :



برسيدم از طبيبي احوال دوست كفتا

دكتور أبو فاضل

(باريس)

لماذا نقرأ القصص

في الحياة الواقعية نبتغي الهدوء والاستقرار، وكذا في الخيال نلتمس اثارة شعورنا وايقاظ غرائزنا، ولهذا نقرأ القصص ونشاهدها في المسرح والسينما

يحسب الناس أننا نحب أن نقرأ القصص، وأن نشاهدها على المسرح أو الخيالة، سعيا وراء متعة الترويح عن النفس المتعبة، وتهدئة الاعصاب المكدودة، واقرار نزعاتنا المستفزة الهائجة. ولكن الواقع أننا نبغي من قراءة القصص ومشاهدتها إثارة نفوسنا وإيقاظ غرائزنا الأولى التي فطرنا عليها. ففي العصور البدائية كان الناس يشبعون هذه الغرائز بالصيد سعيا وراء القوت، أو بالقتال دفاعا عن النفس، أو بالضرب في الارض وراء مرتع خصب أو الوقوف على شيء مجهول، وبغير هذه الدوافع الفطرية ما استطاع الانسان الاحتفاظ بكيانه ونسله

أما انسان اليوم الذي يعيش في جمعية متحضرة آمنة فلم يعد في حاجة الى هذه الغرائز الأولى فكبتها في نفسه، ولكنه لم يستطع أن يضعف من شأنها ويخضد شوكتها، بل بقيت مستقرة في عقله تسعى دائما الى الظهور كلما واتتها الظروف. غير أن حياتنا الحديثة قد عدلت كثيراً من تلك الرغبات الأولية، فأصبحت الفنادق والمطاعم ترضى فينا حاجات الأكل والراحة، وأصبحت العاب التنافس ككرة القدم والمصارعة والملاكمة تشبع غريزة المقاتلة، كما ان غريزة السيطرة وجدت تنفيسا لها في الملابس والوظائف. وخلقت غريزة حب الاستطلاع منا جوالين وكاشفين

فلا يطلب الانسان اللذة في قراءته تلك القصة أو مشاهدتها، بل يسعى وراء إشباع احساسات دفينة وغرائز كامنة

ثم ان هناك ما يسمى في علم النفس بالاسقاط أو التقمص Empathy وهو وصف لحالة القارىء أو للشاهد الذي يفقد شعوره مدة وهو يتمثل نفسه أحد اشخاص القصة

وكثيرا ما نضع أنفسنا – في الخيال – مكان ابطال القصص، فنشعر بشعورهم ونفكر تفكيرهم ونتألم لآلامهم، حتى تصبح القصة حقيقة واقعية أو جانبا من الحياة نسير فيه بأجسامنا وعواطفنا

اجل، قد نشعر من قراءتنا أو مشاهدتنا القصص، بانواع أخرى من اللذة، بوقوفنا على أوضاع حياة الملوك الخاصة، وأوصاف الاحتفالات الباذخة، ومشاهد الطبيعة محددة واضحة. ولكن هذه اللذات لا تقف بجانب الارتياح التام الذي نشعر به عند ما نتمثل أنفسنا – بطريق لاشعوري – احدى تلك الشخصيات العظيمة التي تمثل دورها في الحياة

قد نسمع أحيانا شخصا يقول : « فى قراءة تلك القصة كنت غائبا عن نفسى » ، فلماذا يشعر الانسان بلذة وهو غائب عن نفسه ؟ إن هذا مرجعه ان الشخص بتقمصه احدى شخصيات القصة يكون قادراً على اشباع رغباته التى لم تشبع فى الحياة الواقعية إذ تقف أصفاد العرف وتقاليد المجتمع فى سبيله

فالانسان مخلوق متعدد الجوانب ، ويتعذر عادة على الحياة الواقعية أن ترضى كل تلك الجوانب التى فى طبائعنا . فاذا أرضينا جانبا بقيت فينا جوانب أخرى كثيرة من غير إشباع

فمثلا قد يحب انسان حياة الهدوء والاطمئنان ، وفى الوقت نفسه يميل الى حياة العنف وركوب الاخطار . فكيف يقضى على هذا الصراع الناشب بين رغباته المتضاربة ؟ لا شك أنه يبحث عن الطمأنينة والهدوء فى الحياة الواقعية ، ثم يعود الى القصص والافلام لتثير غرائزه وتمكنه من ان يحيا حياة البطولة فى الخيال

ثم لماذا يستمتع كثير من الناس بالمسرحيات الهزلية والقصص التهكمية ؟ والسبب فى هذا هو أن أنظمة التعليم والتربية والعرف قد نجحت فى أن تجعلنا نسلك سلوكا خاصا لا ينقد ولا يعاب ، ولكن وراء هذا السلوك الاجتماعى لا تزال نفس الدوافع الاولى ترج بنا الى الطريق الطبيعى القديم . وعلى هذا نشعر بكثير من الارتياح والرضا عند ما نترك أنفسنا تتقمص تلك الشخصيات المرحة المستهترة ، التى لا ترعى عرفا ولا تخشى تقاليد . فتطرح عنها قيود المجتمع الثقيلة وتسير كالمخلوقات الفطرية التى لم تتهذب ولم تتألف ولم تعرف طرق المدنية بعد

لقد استبد بنا العرف فأشبع جانبا من طبائعنا وترك جانبا آخر خاضعا مكبوتا هو الجزء الفطرى أو الهمجى غير المسئول ، لا يجد له تنفيسا الا عند ما تتمثل أنفسنا للممثل الهزلى أو البطل المستهتر الذى يأتى من الاشياء ما تتوق طبيعتنا الفطرية المكبوتة ان تأتيها . فيسخر من المتأنقين المسرفين فى التأنق ، ويتحدى السلطة ، ويقلب مائدة الطعام ، ويطيح بالادوات بعيدا ، ويختطف كل ما يحتاج اليه ويسير فى الشارع « يعاكس » النساء أو يهزأ بالرجال ، وبالجملة يأتى جميع الاشياء التى كنا نرغب فى عملها عند ما كنا أطفالا ، ثم صرفنا التهذيب والعرف عنها

***

ثم ان القصص والصور تعوضنا النقص الذى نشعر به فى الحياة الواقعية . فان القصة أو الصورة التى ترضى انسانا ما توقفنا على رغباته التى يعجز عن الافصاح عنها أو اشباعها فى الحياة الواقعية . ان الناس يفصحون عن أنفسهم — دون أن يشعروا — عند ما يتحدثون عن أحب القصص الى نفوسهم . . .

ثم ان هناك كثيرين من الرجال والنساء لا يجدون فى حياتهم الواقعية الحب الخيالى الذى يتوقون اليه ؟ ومن أجل ذلك نجد المرأة تستمتع بالقصة التى فيها البطلة — التى تتمثلها نفسها

بطريق لا شعوري ـ يعشقها رجل من ذلك النوع الذى يثير ميولها نحوه . فقد يحدث كثيرا أن تتزوج امرأة برجل رقيق الحاشـية وديع الخلق لين الجانب ، بينما تميل بطبيعتها الى رجل قوى الشكيمة مكتمل الرجولة شديد السطوة ، فتلجأ من أجل ذلك الى القصص تطلب فيها ما عجزت الحياة عن تحقيقه لها

فمنذ سنوات أخرج القصصى الأنجليزى الكبير «توماس هاردى» مجموعة من القصص تدور كلها حول امرأة جاوزت سن الشباب وأقبلت على عهد الكهولة ، أغرم بها شاب فتى وسيم من اصحاب الطبائع الدقيقة الحالمة ، الجريئة المغامرة . فلم تكد تظهر هذه القصص حتى كانت موضع اعجاب السيدات اللاتى فى سن الاربعين ، إذ وجدن فيها مجالا للخيال الطليق البهيج يعزيهن عن الواقع المحض الثقيل

***

هناك عدة أمان يعجز كثيرون من الناس عن تحقيقها فى الحيـاة الواقعية فيلجأون عادة الى القصص ليعوضوا من الخيال ما فاتهم فى الواقع . ولذا كانت معظم الافلام تدور حول هذه الامانى : الحب ، والثروة ، والجاه ، وحب الظهور ، وحياة المخاطرة والبطولة . فاذا عجز الانســان عن ادراك واحدة من هذه الامانى فى الحياة الواقعية لجأ الى القصص يقرؤها ويشاهدها ، وان لم يشعر بنوع من القصور فانه لن يجد فى القصة ما يبعث فيه السرور أو ينسيه نفسه

فالقصص على هذا تعيننا كثيراً على فهم انفسنا وفهم أصدقائنا ، إذ تقفنا على الرغبات التى لا يمكن الافصاح عنها فى الحياة الواقعة . اى ان ميل الانسان الى نوع معين من القصص ، وتهافته على مطالعته ومشاهدته كثيراً ، دليل على رغبته فيما تصوره هذه القصص من متع ، وقصوره عن تحقيق هذه الرغبة المكبوتة . وكلما تعددت ميول المرء فى قراءة القصص ، كان عجزه أوضح وأقوى ، وكانت حاجته الى التعويض الخ وأشد

ثم ان عقل الانسـان يحتاج دائما الى التنشيط والتجديد . فهو لا يتعب من العمل مهما طالت مدته وثقلت وطأته ، انما يفقد الميل اليه والرغبة فى المضى فيه . ولهذا يتطلب مثيراً يبعث فيه هذا الميل كلما ضعف ، فيعود الى العمل كلما انصرفت عنه نفسه . وليس هناك اقدر من « القصة » الفنية الدقيقة على شحذ العقل ، وإثارة الميل ، وتنشيط قوى التفكير

لهذا كله كانت القصص ـ منذ العصور البدائية الساذجة الى عصر الحضارة القوية المعقدة ـ مبعث اللذة ، وموئل المتعة ، ومثابة جمهرة القراء

نظمى خليل

جنية الغرام

قصة للاديب الفرنسي الكبير «اميل زولا»

[من كتابه « حكايات لانون »]

اصغي يا نانون ! أتسمعين المطر يضرب النوافذ ، والريح تنتهد خلال الرواق الطويل ؟ انها ليلة ليلاء ، يقف فيها البؤساء على أبواب الأغنياء الذين يمرحون ويرقصون فى الحجر النفيسة ، المضاءة بالثريات المذهبة . . اخلعى نعليك الحريريين ، وتعالى اجلسى فوق ركبتى قرب نيران المصطلى المتأججة ، والقى بالزينة والثياب الفاخرة عنك ، وأعيريني سمعك . فانى أريد أن أقص عليك فى هذا المساء أقصوصة من أقاصيص الجن الطريفة

فى سالف الأزمان قامت قلعة قديمة العهد ، منيعة البنيان ، على قمة جبل عال . وقد كانت كتلة من الأبراج والأسوار والأبواب ، يحرسها عشرات من الرجال المدججين بالسلاح ، اكتسوا بالفولاذ من الرأس الى أخمص القدم . ولم تفتح القلعة يوما ابوابها لملتجىء ، إلا من كان فارسا محاربا ، فان الكونت انجوراند ، سيد القلعة ، يقابله فيها بكل بشر وترحاب

ولو قيض لك يوما أن ترى هذا المحارب القديم يتبختر فى أروقته الواسعة ، وسمعت صوته الجاف الأجش ينفجر بين الفينة والفينة كنذير بالويل ، لارتعدت فرقا كما كانت ترتعد ابنة أخيه أوديت ، تلك الغادة الجميلة الطاهرة . أرأيت يوما اقحوانة بين أشواك ، تتفتح عند انبلاج الصبح أوراقها ، لتتلقى قبلة الشمس الاولى ؟ ذلك مثل أوديت التى أقامت بين الفرسان الأشداء فى رعاية عمها . لقد امتدت قامتها ، وأشرقت طلعتها ، وكانت تتنهد أحيانا مدفوعة برغبة مبهمة ، لم تدرك لها كنها . غير أن رؤية الكونت انجوراند كانت تملؤها رهبة وذعراً ، فكلما وقع بصرها عليه ، وقفت فجأة عن لعبها ، وفاضت عيناها بالدموع

كانت غرفتها فى برج فى ركن بعيد من القلعة ، تقضى فيها وقتها توشى الرايات الأنيقة . وكانت تواسي نفسها بالصلاة الى الله ، وترفه عن كربها بالقاء نظرها الى ما وراء النافذة ، على المناظر الزمردية والسماء الزرقاء النقية

وما أكثر الليالى التى أفاقت فيها لتناجى النجوم فى وحدتها ! وما أكثر ما حلق قلب هذه الفتاة ابنة الستة عشر ربيعا فى أجواز الفضاء ، تسأل اخواتها المتلألئة فى السماء عما حل بها فأقض مضجعها ! ولربما اشتطت بها ثورة العاطفة ـ وهى ليست إلا دوافع حبها المجهول ـ فدفعتها الى

معانقة عمها الشيخ الخشن . إلا أن جوابا منه مقتضبا ، أو نظرة منه حمراء ، صدتها عن غايتها ، فعادت الى ابرتها حزينة واجمة . انك ترثين لحالها يا تانون ، ولا ريب ، فانها كانت كالزهرة الناضرة ، أهمل جمالها ، وامتهن عبيق عرفها

وبينما كانت المسكينة ذات يوم جالسة قرب نافذتها تتبع بصرها بحمامتين تسبحان فى الهواء ، سمعت صوتا حنونا آتيا من بعيد ، من أسفل القلعة . فانحنت الى الخارج ورأت شابا جميلا يستعطف النازلين فى القلعة ، مغنيا يرجو ايواءه عندهم . فارهفت أذنيها ولكنها لم تستبن من كلامه حرفا واحداً . غير ان الصوت الجميل أثقل قلبها واغرورقت عيناها بالدموع ، فسالت على خديها وتساقطت على عود السعتر الذى فى يدها . أما أبواب القلعة فلم تتزحزح ، وصاح جندى شاك السلاح من أعلى الحائط : « اليك عنا ! فلا ينزل بنا إلا المحاربون ! »

وأطالت أوديت النظر اليه ، ثم اسقطت شعبة السعتر المبتلة بدموعها ، فوقعت بجانب قدمى المغنى . فالتقطها ورفع عينيه حيث رأى غدائر الكاعب ، فقبل الشعبة و لر راجعا وهو يقف عند كل خطوة ليلتفت اليها . وبعد أن تلاشى عن ناظريها عادت الى ربها تصلى صلاة حارة ، وتشكر السماء ولا تدرى لشكرها سببا . لقد أحست بأنها سعيدة ، ولم تشك لحظة فى سبب سعادتها

وحلمت فى تلك الليلة حلما جميلا . . رأت شعبة السعتر التى رمت الشاب بها ، واذا من وسط الوريقات المرتعشة تبرز جنية رقيقة ، بجناحين كألوان اللهب ، وعلى مفرقها اكليل من الغار ، متدثرة بثوب فضفاض أخضر ، والخضرة لون الأمل . واذا هى تخاطبها بصوت حلو : « لا تفرقى يا أوديت ، فأنا جنية الغرام ، وأنا التى بعثت اليك ذلك الشاب ، واسمه « لوا » صاحب الغناء الساحر ، وأنا التى رأيت دموعك فأردت أن أجففها . وانى لأطوف فى البلاد لأجمع القلوب التى صدع البين شملها ، فأحل فى أكواخ الفقراء كما أحل فى قصور الأغنياء ، وقد أجمع بين عصا الراعى وصولجان الملك . وأنثر الورود تحت أقدام من أحبهم ، وأقيدهم بسلاسل يلذ لهم لمسها ، حتى لترقص قلوبهم طربا . وأما سكناى فبين الخضرة النامية وفى النار التى تشق الغابات ، وعند الشتاء بين كتل الخشب المضطرمة فى المواقد ، فى غرف الأزواج والزوجات . وأنى نزلت نزل العطف وحلت القبل ، فكفى يا اوديت عن البكاء ، فانى حامية العشاق جئت لأجفف دموعك »

ثم تعود من حيث أتت وتختفى بين الوريقات التى انضمت ثانية الى شكلها الجميل

انك يا تانون تعتقدين ، ولا ريب ، بوجود جنية الغرام . فارقبيها يوما تلهو وتمرح فى بيتنا ، وارثى للمساكين الذين لا يؤمنون بها

وفى الصباح التالى استيقظت أوديت من سباتها ، وقد فاضت غرفتها بأشعة الشمس العسجدية وبين جدرانها تتردد أغنية عصفور مطربة ، ونسمات الصبح العطرة بقبلات الورود تداعب غدائرها المتاوجة . كانت جذلى مملوءة الأمل بأن تبر الجنية بوعودها . فأخذت تجيل البصر فى

أنحاء المشاهد المترامية أمامها ، وتبتسم لكل طير ينهب الفضاء ، وقد غمرها فيض من السعادة ، حتى ليدفعها الفرح الى التصفيق

ولما جر المساء ذيوله دلفت الى القاعة الفخمة ، حيث رأت عمها الكونت انجوراند يتحدث الى فارس يصغى اليه بوقار . فجلست قرب النار التى كانت تلتهم الحطب بأزيز مسموع . فرأت شعبة السعتر التى كان ممسكا بها ، فاستدلت من تلك الشارة ، ومن الصوت العذب ، ان ذلك الفارس انما هو رجل خيالها . فكادت الدموع تطفر من عينيها ابتهاجا ، ولكى تخفى اضطرابها وشوقها دنت من النار ، وجعلت تعبث بحطبها بقضيب من حديد . فاندلعت النار الى أعلى بألسنة متوهجة ، وانفجرت الشرارات بغتة عن جنية الغرام سافرة ضاحكة . فنفضت أجزاء الخشب المحترقة عن ثوبها الأخضر بعد أن كانت تبرق فوقه كحبات الذهب . ثم انسلت الى القاعة واستقرت خلف الحبيبين الشابين ، والشيخ المحارب لاه عنها فى قصة حروبه الطاحنة مع الكفرة

وهمست الجنية بصوت ناعم : « أى ولدى ! اغتنما هذه اللحظات ، وتحابا ! دعوا للشيوخ ذكريات الشباب ، وقصا طوال الحكايات قرب المدافىء ولا تمزجا غير صوت القبلات مع فرقعة الحطب ، فيكون لكما فى سنى الهرم ذخر من الذكريات الحلوة تخفف عناء الشيخوخة وآلامها . انكما إذ تعشقان فى السادسة عشرة ، لا تجدى لكما الكلمات فتيلا ، فنظرة لحظة تغنى عن حديث ساعة . فليحب كلا كما صاحبه وليترك الثرثرة للعجائز . . . »

ثم حجبتهما بجناحيها ، فلم ير الكونت ، وهو يشرح لضيفه كيف قضت جيرالدا بسيفها الثقيل على الجان ذى الرأس الحديدى بضربة واحدة — لم ير « لوا » يقبل جبين أوديت وهى ترتجف . .

يا لله ! ما أغرب أمر هذين الجناحين ! يقال إن الفتيات يحنن دواما عنهما ، وان فتاة سعت ذات مرة الى حجب نفسها خلفهما عن أعين جديها الهرمين . أليس كذلك يا نانون ؟

وأخيراً . . . بعد أن فرغ الكونت من حديثه المسهب ، تسللت الجنية ثانية ، واختفت بين النيران ، وآوى « لوا » الى مخدعه بعد أن شكر لمضيفه قصته ، وأرسل قبلة وداع لأوديت . وكان فرح الصبية لايوصف ، فرأت تلك الليلة في منامها جبالا مرصعة بالزهور ، وقد أشرقت بالنجوم المتوهجة ، والنجم منها يفضل ألف شمس منيرة !

وفي الصباح التالى هبطت الى الحديقة ، وأخذت تتنقل من شجرة الى شجرة . وفيا هى كذلك ، اذا جندى واقف ينتظر ، فحيته باحناء رأسها ، وكادت تمر عنه لولا أنها لحظت شعبة السعتر فى يده ، وهى ما زالت مبللة بعبراتها ، فعرفت فيه حبيبها « لوا » ، الذى جاء ثانية الى القلعة متنكراً بزى جديد . فاخذ بيدها واقتادها الى عين ماء ، وأجلسها على الحشائش الناعمة قرب الجدول ، وقد شغلتهما النظرات عن الحديث . وكلاهما مغتبط برؤية حبيبه فى وضح النهار وجها لوجه ، وشرعت العنادل تبث فى الهواء أغانيها ، وأحس العاشقان بأن طيف حامية الهوى يحوم حولها

ولكنهما سمعا ، على حين فجأة ، وقع اقدام الكونت انجوراند تقترب منهما فاصطكت ركبهما فزعا ، غير ان خرير الجدول علت نغماته ، وانشقت مياه اللجين عن الجنية سافرة ضاحكة . . . تقدمت منهما وكستهما بجناحيها ، وبخفة الطير وقفت دون الكونت ودونهما . فاحتجبا عنه ، وصار ، لشدة دهشته ، يسمع همسا ولا يرى انسا . . . ثم احتوتهما فى حضنها . وأعادت قولها :

« انا التى أحرس الحب ، ومن لم يحب أظلمت عينيه وسددت أذنيه . . . ومن يعبث بالأوامر القدسة لن يقوى على الاخلال بقوانين الحب . ان الله أعطانى هذين الجناحين ، وأرسلنى بين البشر قائلا : « اذهبى وأسعدى قلوب الشباب ! » فلا تخافا شيئا أيها العاشقان العزيزان ، واشربا كؤوس الحب مترعة . فى الشمس الرائقة ، وفى الماشى الخضراء ، وعلى جوانب عيون المياه ، وحيثما وجدتما ، فأنا معكما أقيكما شر العدا ! »

بعدئذ نهضا وشبكا أذرعهما ، وأخذت تطوف بهما بين الازهار والاشجار مرحين يضحكان وهى ترتشف الندى — غذاءها الوحيد — من على الافنان والاوراق

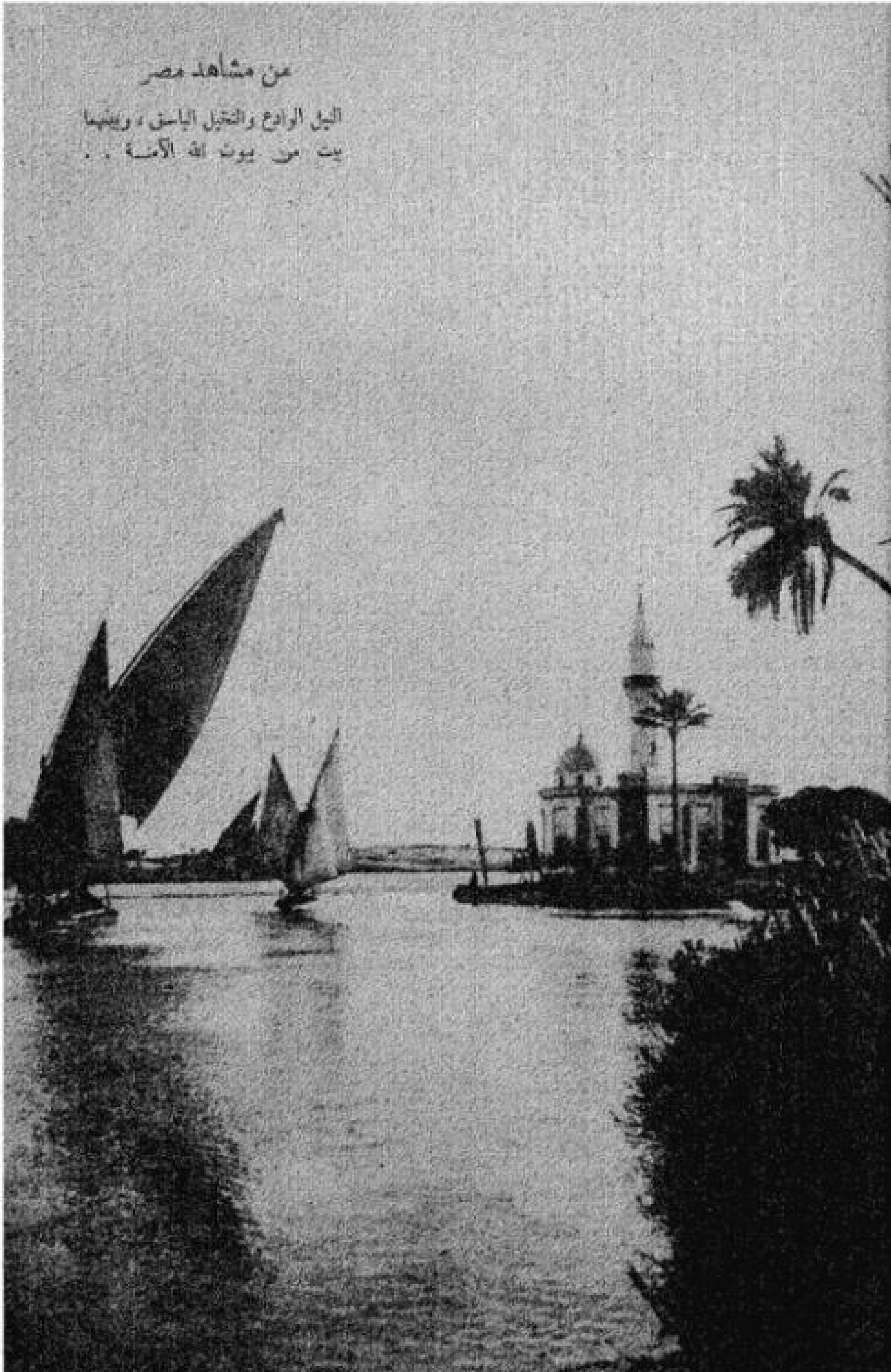
ولعلك تتساءلين الآن : ماذا فعلا بعد ذلك ؟ انى فى الحق يا عزيزتى لا أجرؤ أن أقول ، اذ أخاف ألا تصدقينى ، أو أن تحسديهما على سعادتهما ، فترفضى مبادلتى القبل . ولكن يالك من فتاة ! انك تتوقين للمعرفة . أليس كذلك ؟ اذن فلا مفر لى من أن أروى استغرابك فاسمعى :

قضت الجنية نهارها تطير من هنا الى هناك ، حتى اذا قدم المساء ، وحاولت أن تفرق بينهما ، تذمرا ، وطلبا منها البقاء سويا ، فرضيت بعد تردد ، ثم أخذت تحدثهما همسا حديثا شائقا ساحراً ، الى ان أشرق وجهاهما بشراً ، واتسعت احداقهما جذلا . . . وبعد أن فرغت هى من قولها ورضخا هما لرأيها ، مست جبهتيهما بعصاها السحرية ، وبغتة . . . أوه نانون ! ما أوسع عينيك ! وما أسرع ما تضربين الارض بقدميك الصغيرتين لو رفضت أن أدلى اليك بالخاتمة ! — وبغتة انقلبا وأوديت الى شعبتى سعتر ممشوقتين وارفتين . ولا يمكن لغير جنية أن يفعل ذلك . وهناك بقيا متلاصقين جنب جنب ، حتى اشتبكت فروعهما وأوراقهما . ويا لفتنة أزهارهما ! إنهما نبتتان خالدتان ، ستزهران الى الأبد ، وسيمتزج عبيرهما ونداهما الى الأبد . . . !

والآن يا نانون ، اذا ذهبنا فى سياحة الى القرى البعيدة ، سنبحث عن نبتتى السعتر السحريتين ونسألهما : « فى أى وردة نلقى جنية الغرام ؟ »

عزيزتى ، قد تنطوى هذه الحكاية على شىء من اللغزى ، غير أنى ما رويتها ، ونحن هنا مضطجعان أمام نيران الموقد ، الا لأنسيك المطر الذى يضرب نوافذنا ، وكلى أمل أن توحى اليك بأن تحبى الفتى الذى قصها عليك حبا جما

جبرا ابراهيم جبرا
الـكلية العربية — القدس



من مشاهد مصر

النيل الوادع والنخيل الباسق، وبينهما بيت من بيوت الله الآمنة . .

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

هتلر وموسوليني

في حياتهما الخاصة

لا تعرف الجماهير هتلر وموسوليني إلا من الشاشة البيضاء حيث يظهر الأول مستعرضا بعض فرق الهجوم الالمانية ويطل الثاني على الشعب الايطالي خطيبا من شرفة أحد القصور

والواقع أن هذه المشاهد لا يمكن أن تعطى الجماهير فكرة واضحة عن شخصيتي الزعيمين. بل هي كثيرا ما تلقى في روع الناس أن هتلر وموسوليني لابد أن يكونا من أولئك المخلوقات الشاذة المجردة من الاحساس والعاطفة التي لا تفكر كما نفكر ولا تشعر كما نشعر ولا تتخلل حياتهما ساعات فرح وأوقات هم ولحظات شقاء

ومع ذلك فهتلر مثلا، ذلك الرجل الذي يبدو لنا جامداً صلبا، هو في الحقيقة انسان حساس لا يكلف نفسه في حياته العادية مؤونة كبح أعصابه وضبط انفعالاته والسيطرة على اهوائه وعواطفه

والغريب فيه أنه لا يكاد يتحدث عن جهوده الأولى وعن العقبات التي اعترضته أيام شبابه حتى تتقلص عضلات وجهه وتنهمر من عينيه الدموع. فهو رجل ميال الى الحزن نزاع الى التأمل والأسى، لاينفك يردد هذه العبارات كلما هنأه صديق على النجاح العظيم الذي أحرزه في عالم السياسة: « أجل. أنا في حياتي السياسية أسعد انسان ولكني في حياتي الخاصة شقي كمعظم الناس! »

ومما يمتاز به هتلر بساطة رائعة في الاخلاق والعادات. فهو كثيراً ما يتناول الطعام في الأماكن المتواضعة العامة، والمعروف عنه أنه لا يدخن ولا يشرب غير الماء ولا يأكل غير الخضروات. وأما داره الخاصة في ميونيخ فبسيطة الظهر تشبه دار رجل من رجال الاعمال متوسطي الحال



جهاز لكشف الجرائم

هذا جهاز من الاجهزة التي اخترعت لفحص المجرمين واكتشاف الجرائم ، وقد أخرجه جماعة من العلماء الباحثين في سيكلوجيا الاجرام ، وهو يتألف من اسطوانة سميكة كاسطوانات الجراموفون ، عليها سلسلة مستديرة من النقط الصغيرة . فتدار هذه الاسطوانة ويطلب الى الشخص المراد امتحانه أن يؤشر بقلم من المعدن على جميع هذه النقط ، وذلك في أثناء سؤاله ومناقشته عن الجريمة المتهم فيها وعلاقته بحوادثها ، فاذا كان بريئاً منها ظل متمالك قواه الفكرية ، فيجيب على الاسئلة الموجهة اليه وفي الوقت نفسه يؤشر على جميع النقط المرسومة على الاسطوانة ، أما اذا كان مذنباً اضطرب واختلج فرت من تحت يده نقط لم يؤشر عليها . وقد استخدم هذا الجهاز « معهد العلاج العلمي للجرائم » الذي أنشىء بلندن



رأس كالساعة

جماعة من الأطباء الامريكيين يفحصون رأس الطفل « جاك جرانت » من أطفال جورجيا ، ليدرسوا علة هذه الأصوات التي تصدر من داخل جمجمته متتابعة منتظمة كأنها دقات الساعة ، وقد حاروا جميعاً في تعليل هذه الظاهرة الغريبة وعجزوا عن ايقاف هذه الدقات الحالية

ويلاحظ أن كتاب (كفاحى) يدر على هتلر مبالغ طائلة وان ايراده السنوى يقرب من عشرة ملايين فرنك ، ومع ذلك فالزعيم الالمانى يؤثر البساطة ويحتقر الترف ويفضل الحياة الساكنة المتواضعة

وهتلر يحب الاطفال حبا كبيراً ويسخو عليهم بمختلف الهدايا وعندما يلتقى فى أحد المطاعم بفريق منهم يسرع فيدعوهم للجلوس الى مائدته ثم يقدم لهم شتى أنواع الشوكولاته والحلوى

وأغرب من كل هذا أن الزعيم الالمانى لا يكاد يتأثر وينفعل ويشعر بالسرور حتى تضطرم فيه خاصة الكرم

ولقد حدث فى صيف عام ١٩٣٦ عند ما كان يتجول بسيارته فى بافاريا العليا أن ترجل فجأة وانطلق يتأمل جمال الطبيعة . واذ ذاك تقدمت فلاحة بافارية وحاولت الاتصال به فمنعها حراسه فاختلجت وأجهشت بالبكاء . ولكن هتلر أسرع اليها واستفسر عن حالها فصارحته بأن خطيبها قد طرد من النمسا بسبب ميوله النازية وأصبح بلا عمل ولم يعد فى وسعه أن يتزوجها

فوعد هتلر بالاهتمام بها ثم أنجز الوعد فاسند أحد المناصب لخطيبها ثم أهدى العروسين يوم الزواج داراً جميلة فى ميونخ ، فقدرت الفلاحة البافارية هذا الصنيع وبعد عقد الزواج ذهبت الى دار المستشار وكافأته على صنيعه بأن ارتمت بين أحضانه وقبلته قبلة بريئة ساذجة

وأما حياة هتلر الغرامية فنستطيع أن نجملها فى هذه العبارة : « الاخلاص للحب الافلاطونى ممثلا فى صداقة المرأة »

والحق ان هتلر شعر بهذا الضرب من الحب النزيه نحو فتاتين انجليزيتين هما المس فريمان ميتفورد وديانا جينزس

وقد التقى بالاولى عام ١٩٣٤ أيام كانت تدرس الفنون الجميلة في ميونخ ، فأعجب بجمالها ورقة حديثها واتخذ منها صديقة له وزاده تعلقا بها أنها لم تتحدث اليه فى السياسة ابداً

ومالت الفتاة الى صداقة (الفوهرر) وانخرطت فى الهيئات النازية وأصبحت تغشى الآن الحفلات الرسمية عاقدة حول ذراعها ربطة رسم عليها الصليب المعقوف واختفى فى ظهرها توقيع هتلر

وبقدر ما يحيا هتلر حياة منزوية متأملة يعيش موسولينى فى حركة عقلية وعضلية دائمة

والحقيقة ان موسولينى رجل لايعرف الراحة . واليك مثلا على ذلك نستخلصه من سلسلة أعمال قام بها فى يوم أحد من عام ١٩٣٧ :

نهض الزعيم فى الصباح فاعتلى متن طيارته ثم تفقد بنفسه خمسة مطارات . وبعد أن استراح قليلا زار مدرسة الطيران فى فلورنسا ثم زار إحدى المصحات ثم شاهد بعض التمارين الجوية فى بيزا

ثم ذهب للاستحمام فى فياراجيو ثم زار معهد التربية الذى يحمل اسم والدته ثم عاد الى روما لسماع حفلة موسيقية أقيمت فى الهواء الطلق

وبالرغم من هذا الجهد العضلى والعقلى المطرد فموسولينى رجل حساس كزميله هتلر ، وهو مثله يحب الاطفال ويكاد يعبد ابنته الصغيرة (أنا ماريا) . ولقد حدث عند ما كانت مريضة وكان موسولينى برأس حفلة أقامها الصحفيون الأجانب ، أن نهض صحفى خطيبا ثم قدم فجأة للزعيم عروسا كبيرة وقال إنها هدية الصحفيين لابنته . وحينئذ شحب وجه موسولينى واستدار ليخفى تأثره ولكنه لم يستطع المقاومة فانحدرت من عينيه الدموع

فما أبعد هذه الحقائق التى يعرفها كل من اتصل بالديكتاتورين ، عن تلك الصور والمشاهد الرهيبة التى تحيط بهما على الشاشة البيضاء !

[خلاصة مقال بقلم وارد برايس عن مجلة « أوكورانت »]

انقاذ الذكاء

مدرسة خاصة بالاطفال النوابغ

الطفل النابغ ـ كالطفل الشاذ ـ فى حاجة الى مدرسة خاصة ، تلائم مناهجها وأساليبها تفوقه العقلى

هذا ما فكرت فيه الدكتورة « ليتا هو لينجورث » إحدى عالمات النفس بأمريكا ، بعد أن أمضت عدة سنين فى دراسة عقول الاطفال وتحليل نفوسهم ، رأت فى أثنائها ضرورة تمشى منهاج التعليم مع مستوى التلميذ ، ووجوب انشاء مدارس مختلفة البرامج وفق اختلاف القوى العقلية

فأنشأت هذه العالمة فى نيويورك مدرسة للاطفال المتفوقين فى مستواهم الفكرى ، تضم خمسين صبيا وبنتا تتراوح أعمارهم بين الثامنة والحادية عشرة ، اختارتهم من بين عشرة آلاف تلميذ هم خلاصة تلاميذ المدينة كلهم الذين يبلغ عددهم مليون نسمة !

ولم تراع فى اختيارهم سوى شرط التفوق العقلى ، فجاءوا أبناء شعوب وأجناس مختلفة . فمنهم الانجليزى والروسى ، واليهودى والسويدى ، والالمانى والزنجى . . الخ . وكل منهم قد حصل فى اختبارات الذكاء على أكثر من ١٣٠ درجة (ومتوسط الذكاء هو ١٠٠ درجة) ، وفى المدرسة صبى وبنت حازا ٢٠٠ درجة ، وهى أعلى درجة سجلتها اختبارات الذكاء منذ ابتكرت

وتفتح هذه المدرسة أبوابها ليلا ، ويتوزع تلاميذها فى ارجائها تحت اشراف مربيتهم . فترى

هناك اثنين منهما يحاولان حل معضلة من معضلات لعبة الشطرنج ، بينما انهمك آخران في فهم جهاز الراديو ونظرية اللاسلكي ، وراحت احدى البنات تتلو قصيدة من الشعر وزميلها ينقدها ، أو تعزف قطعة من موسيقى شوبيرت وصديقها يشرحها ، وقد اجتمع الباقون حول مربيتهم وهي تلقى عليهم درسا في التشريح أو الكيمياء ، أو تشرح لهم سياسة روزفلت في شراء الذهب وتثبيت العملة ... كل هذا في السن التي يبدأ الواحد منا يتعلم فيها كيف يؤلف كلمة من ثلاثة حروف ، أو يجمع أرقاما لا تتجاوز عدد أصابع اليدين !!

وقد وجد هؤلاء التلاميذ في مدرستهم مجالا لاظهار مواهبهم القوية الممتازة . فمنهم من بدأ يبرع في فهم العلوم الطبيعية أو الرياضية ، ومنهم من اظهر قدرة فائقة في فن الرسم أو في عزف الموسيقى ، ومنهم من يبشر بالنجاح في مجال التجارة أو السياسة لقدرته على الابتكار والتجديد والتنفيذ ، بأساليب يبدو فيها الحرص والتنبه والدهاء

ومما لوحظ في هؤلاء التلاميذ أنهم أنمى جسما وأسلم صحة وأقوى بنية من ذوي الذكاء المتوسط ، كما أنهم جميعا أقرب الى الدقة في ملاعبهم والى الاستواء في قوامهم . ويتجلى فيهم كذلك روح التآلف والمؤاخاة ، وتتملكهم فكرة التعاون والتآزر . وهذه كلها فضائل لا تتوفر في أكثر المدارس العادية

وقد اثبتت تجارب الدكتورة «هولينجورث» خلال ثلاثة عشر عاما أنه ما من طفل نابغ ينحدر من أسرة وضيعة . فتلاميذ مدرستها جميعا ينتمون الى آباء من ذوي المهن التي تتطلب ذكاء وعلما وخبرة ومهارة ، كما أنهم جميعا على حظ من الثراء أو الرخاء . وكثير منهم بكر والديه أو وحيدهما . وقد بدا ذكاؤهم مبكراً ، إما في مقدرتهم على فهم الالفاظ الغامضة المكتوبة أو التعبير بكلمات موجزة دقيقة ، وإما في مقدرتهم على استخدام الأرقام وفهم التقاويم ومعرفة الأوقات

ومن الآراء الشائعة التي أثبتت خطأها كذلك ان أطفال اليهود أذكى من سواهم . وأن الزنجي يتفوق على الابيض في دور الطفولة فقط ، ويتخلف عنه فيما بعده من مراحل الحياة . ففي مدرستها ثلاثة زنوج سيحافظون على تفوقهم العقلي مدى حياتهم

ولا شك انها قد وفقت في اختيار تلاميذها جيداً . اذ أن اختبارات الذكاء لا يعتمد عليها قبل سن السادسة وبعد سن السادسة عشرة ، أما فيما بين هاتين فقد أثبتت دقتها وكفايتها . ويكاد يكون من المؤكد أن ذكاء الطفولة يستمر مدى الحياة ، ما لم تعترضه طوارىء شاذة . ولهذا ينبغي المحافظة على هذا الذكاء من كل عائق يصده عن سبيله ، وتنبغي تنميته وتقويته باتاحة الفرص وتهيئة الوسائل له ، ولا يتحقق هذا الا بانشاء مدارس خاصة للمتفوقين في ذكائهم وتفكيرهم ، تتمشى مناهجها وأساليبها مع قوائم العقلية النامية المطردة

[خلاصة مقال لجرترا بالر في مجلة ليترارى دیجست]

الفرنسي والامريكي

وكيف ينظر كل منهما إلى المرأة

الفرنسي رجل تشترك فى تكوين عقليته المؤثرات المعنوية والمؤثرات الحسية . فهو يعرف كيف يتذوق بيتا من الشعر ويعرف أيضا كيف يتذوق لونا من الطعام . وهذه الظاهرة تتمثل فى حكمه على المرأة وفى نظرته اليها

فالمرأة فى نظر الفرنسي لا يمكن أن تكون انثى فقط ولا يمكن أن تكون خيالا وشعراً فقط ، ولذا تراه يحاول الجمع فى المرأة المنشودة بين العاملين : عامل الجمال الشعرى وعامل النداء الجنسى

واذا كانت المرأة فاتنة المظهر غضة الاهاب ممتلئة البدن مغرية الحركة والاشارة ، فالفرنسي لا يحفل بها ويظل يلاحقها بنقده اللاذع المر . واذا كانت حلوة الحديث أنيقة الهندام منسجمة التقاطيع فى غير ما دل ولا أنوثة ولا إغراء ، تبرم بها أيضا وانصرف عنها

يريدها أن تكون جميلة على شرط أن يستوفى جمالها عناصر الفن أى تناسب التقاطيع

ويريدها أن تكون شهية مغرية على شرط ألا ينبع اغراؤها من تقاطيع دون أخرى ، من الوجه دون الصدر مثلا ، أو من الصدر دون الردف ، أو من السيقان دون مجموع البدن

فهو فنان يود أن يتأمل ويعجب ، وهو انسان يود أن يحرز ويستمتع

واما الامريكى رجل العمل والدولار فمخلوق ساذج بسيط ينشد فى المرأة لمعة الأنوثة ودماثة الخلق ، ويتمثلها فى شكل زهرة رائعة زرقاء ، ويحبها فتاة ، ويولع بها طفلة

ومن خصائص الامريكى أنه خيالى الحب ، يرهقه العمل ويضنيه الكد فيهرع الى المرأة متساميا بها ، مجملا كل حركة تصدر عنها ، متخيلا اياها على غير حقيقتها ، ناظراً اليها من خلال الاطار الشعرى الذى يخلعه عليها . وكثيراً ما يحب الامريكى امرأة وهمية ، صورة يرسمها له الخيال ، يحبها ويخلص لها ويكتفى بها ولا يبحث فى الواقع عن سواها

والامريكى تفتنه العذراء ، أما الفرنسي فتسحره المرأة . وحب الامريكي للعذراء ينحدر من حبه الخيال والشعر ، وحب الفرنسي للمرأة يصدر عن غرام فنى باكتمال اجزاء البدن ووظائف العقل

فالامريكى يؤمن فى الحب بالمثل الاعلى ويجسم هذا المثل من ناحيتى الجسم والروح فى شخصية العذراء . وأما الفرنسي فيعرف ان الحياة لا تتسع للمثل الاعلى وان المرأة فى نضجها الجسمانى والذهنى أقرب تعبيراً عن الجمال وأوثق صلة بالحياة وأعمق أثراً فى توجيه ملكات الرجل

الامريكى انسان فطرى بدائى يضع القلب فوق العقل ، والفرنسي انسان متمدين معقد يضع العقل فوق القلب ويحب أن يخضع للفكر كل شيء

[خلاصة مقال من مجلة اسكوير]

الدولة المقترة

أو الحياة الاقتصادية فى المانيا

يفرض القانون على كل ألمانى أن يغل يده الى عنقه . . فلا تجد فى ألمانيا اليوم أى أثر التبذير والاسراف ، ولا تجد أى شىء يلق ويهمل مهما يكن غثا تافها

فالباعة قد أمروا أن يرسلوا سلعهم فى السلال بدلا من الأوراق ، لأن السلة تحتمل وتبقى والورقة تتمزق وتتلف . وزجاجات الأدوية وصناديق المساحيق يكتب عليها : « لايجوز القاء هذا ، فسيصنع منه شىء نافع » .ولا تجد ربة البيت قطعة من الكاوتشوك تغسل بها أوانيها وتنظف أثاثها ، فنى وسعها أن تتخذ خرقة بالية وتترك الكاوتشوك لما هو أهم وأجدى . وقد منعت « بالونات » الاطفال ، لأن مايضيع فيها من المطاط يجب أن يصنع منه ماينفع الرجال

وكل ربة بيت مكلفة بأن تقدم للحكومة سبعة أنواع من بقايا بيتها وحثالاته ، مثل الخرق البالية ، والزجاجات الفارغة ، والمفاتيح المهشمة ، والأوانى القديمة ، والأوراق الممزقة ، وجلود الأرانب ، وعظام اللحوم . . ويمر بالبيوت عمال الحكومة فيجمعون هذه الحثالات الى حيث يصنع منها ما تحتاج اليه الدولة

وتبذل السيدة كثيراً من الجهد والحيلة اذا أرادت إعداد وجبة دسمة شهية ، فقد قالت لى مضيفتى ذات عشاء : « لم أذق الزبد منذ ثلاثة أسابيع . . ولم آت بهذه القطعة إلا بعد أن أوصيت بدالى منذ أيام بأن يختصنى بقليل مما يأتيه ، إكراما لضيفى الاجنبي »

ولا يجوز المرء أن يشترى من الحاجات كما يريد ، بل لكل بيت مقدار معين لايصح أن يتعداه. وتضع التاجر قوائم بما يشتريه كل بيت ، لتراجعها الحكومة فى نهاية العام ، فتحاسب المشترى المبذر والبائع المقصر

أما الجبن والزبد والزيت فيجب أن تشترى من بدال واحد ، واذا انتقل المرء من أقصى برلين الى أقصاها فيجب أن ينتقل الى بداله القديم كلما أراد أن يشترى شيئا ، ريثما يستصدر امراً بالشراء من متجر جديد

وقد حددت الحكومة لكل فرد فى الاسبوع الواحد نصف رطل من الزبد ، ونصفا آخر من الزبد الصناعى . ومن أغرب ما فى ألمانيا أن بعض الزبد الصناعى يتخذ من لباب الخشب ، وكانت «تزيت» به الآلات أولا ، ثم قدمته وزارة الصحة للسجناء ، فلما لم يؤذ صحتهم قررت اطعام الناس منه . وكذلك اللحم يجب أن يشترى من قصاب واحد ، لئلا يشترى المرء كما يشاء بينما يجوع سواه

ولاتعرف المانيا دقيق القمح الخالص ، فقد فرض القانون أن تضاف اليه نسبة كبيرة من دقيق البطاطس ، بل ومن دقيق الخشب !

وقد برع العلماء هناك فى استغلال الخشب ، حتى لتصنع منه الملابس ذاتها . .

وقد كان مضيفى يلبس بنطلونا وقميصا ليس فيهما خيط من القطن أو الصوف . . !

والملابس الصوفية نادرة غالية ، ولا يتخذها إلا الاثرياء المترفون . وقد رأيت كثيراً من السيدات يلبسن ملابس خشبية ، ناعمة الملمس أنيقة الزى !

ولعل أغرب أساليب الاقتصاد فى المانيا أن الحكومة أمرت مصانع الملابس أن تقصر من طول قمصان الرجال سنتمترين ، ادخاراً للدخل الاهلى ؟

وتدعو المانيا سيداتها الى الاكتفاء بلحوم الخيول ، « فقد كان أجدادنا التيوتون يؤثرونها على سواها ، ويقدمونها فى ولائمهم وأعيادهم » . وقد غيرت هذه الدعاوة من شهية القوم ومذاقهم، فذبح هناك فى العام الماضى ١٢٥٫٠٠٠ حصان

ولعله لايبدو غريبا بعد ذلك ان اذكر أن حلاق المانيا يجمعون كل عام مايزن زهاء ٣٠٠ طن من الشعر الذى يبلغ طوله ثلث بوصة أو أكثر لاستخدامه فى صنع السجاد وبعض أنواع القماش

وقد أصدر جورنج أمره الى أصحاب المناجم ألا يدعوا قطعة من الفحم أو المعادن ، مهما كانت غائرة فى باطن الارض ، ومهما كانت نفقات استخراجها ، لأن مصانع المانيا لا تطيق ترك فتات المعدن أو الوقود

وعلى الجملة فان المانيا تعيش فى شبه حالة عصبية تدفع كل كبير وصغير ، وكل ثرى وفقير ، الى أن يقتر على نفسه ويضيق عليها الخناق ، ادخاراً للدخل الأهلى ، وتضحية فى سبيل الدولة . وقد استطاعت المانيا بفضل هذه الحالة النفسية الغريبة أن توفق الى سد حاجاتها الى المواد الخام من مرافقها ومواردها القومية ، كما نجحت فى اخراج مواد صناعية تحل محل المواد الطبيعية التى تفتقر اليها ، مثل الصوف والمطاط الصناعيين

ومن أجدى طرائق الاقتصاد التى تتخذها المانيا أنها لا تدفع ثمن وارداتها نقداً بل تقايض عليها بمنتجاتها . وكثيراً ما يقبل عملاؤها سلعا غريبة لاحاجة بهم اليها ، فشركة « ستاندرد أويل » بنيوجيرسى بامريكا قبلت أن تستوفى ثمن بترولها ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طاقم أسنان صناعية ، وشركة مترو جولدوين ماير السينمائية قبلت « فرسا نهريا » باعته الى أحد الملاهى الرياضية ، بينما قبلت احدى الشركات الصناعية الامريكية مائتى الف من طيور الكنارى . !

وقد أدى اغلاق أسواق المانيا فى وجه منتجات الدول الاخرى الى عرقلة التقدم الصناعى الى حد بعيد ، والى خفض مستوى المعيشة عدة درجات ، ولكن الشعب ــ فى حالته العصبية الراهنة

التى خلقتها الدعاوة القومية الملحة ـ راض عن هذه الحياة التى تقبض أيدى الحكومة على جميع أطرافها وتدسها فى جميع نواحيها ، حتى ليبلغ به الأمر أن يغتبط ويبتهج حين تصدر الحكومة هذا الأمر : « من واجب كل مواطن أن يقتصد قدر الامكان فلا يكفن موتاه فى أكفان وصناديق غالية » !!

[خلاصة مقال لفرتون ما كنزي مدير مدرسة الصحافة بجامعة واشنطون فى مجلة ريدرز دیجست]

رأى لويد جورج

فى المارشال فوش

كان للمستر لويد جورج الفضل الأكبر فى تعيين المارشال فوش قائداً عاما لقوات الحلفاء فى الحرب العظمى . ولقد أدرك لويد جورج بنظره الثاقب مبلغ النبوغ العسكرى الذى كانت منطوية عليه شخصية فوش فسعى لدى المسيو كليمانسو كى يعين هذا الأخير فى منصب القيادة العامة

وقد رسم لويد جورج فى الجزء الخامس من مذكراته عن الحرب الكبرى صورة دقيقة للمارشال فوش تدل أبلغ الدلالة على حقيقة رأيه فى القائد العظيم

وبقدر ما حمل السياسى الانجليزى على المارشال هايج ، أطرى عبقرية فوش ووضعه فى طليعة القواد النوابغ الذين اظهرتهم الحرب الأخيرة

واليك ما قاله عنه فى مفاضلة بينه وبين كليمانسو :

كان فوش كاثوليكيا مستمسكا بمذهبه شديد الحرص عليه ، وكانت الاحزاب القابضة على زمام السلطة فى فرنسا تكره الاكليروس وتحذره وتنزع نزعة حرة واضحة . وكان كليمانسو من أشد أعداء الاكليروس ومن أكثرهم مجاهرة بهذا العداء . وقد انفق معظم حياته فى محاربة سلطان الكنيسة ومنعها من التدخل فى شؤون الدولة . ومما يحكى عنه أنه لم يدخل كنيسة أبداً ، وعند ما أقيمت الصلاة فى كاتدرائية ستراسبورج احتفالا بتحرير الالزاس وعودتها الى حضن الوطن رفض كليمانسو حضور القداس فتبرم به مجلس الشيوخ وعدل عن انتخابه رئيسا للجمهورية فى الوقت الذى كان فيه أشهر رجل فى فرنسا

وأما فوش فكان مؤمنا خالص الايمان ، يؤدى شعائر دينه على أتم وأكمل وجه ، وكان شقيقه اسقفا . ولهذه الأسباب كان كليمانسو يتجهم له فى بعض الأحيان ويحذره

والواقع ان كليمانسو كان يحذر جميع القواد الكاثوليك ويوجس خيفة منهم ويأبى منحهم سلطة كبيرة لئلا يستخدموا هذه السلطة فيما بعد فى التدخل فى الشؤون السياسية أو فى التمكين لنفوذ الكنيسة أو فى انشاء ديكتاتورية عسكرية كتلك التى فكر فيها الجنرال بولانجيه

وهذا الخوف الناشىء عن قوة المبدأ هو سبب الخصومة بين كليمانسو وفوش وهو الذى كان يدفع بالأول الى المماطلة والتسويف كلما طرحت مسألة تعيين فوش قائداً عاما على بساط البحث

ومع ذلك فقد رضخ كليمانسو فى النهاية ووضع مصلحة بلاده فوق مبدئه وانتهى بأن ناصر فوش وأيد تعيينه قائداً عاما ولكن بعد صراع نفسى طويل

وعندما انهزم الجيش البريطانى الخامس وأحس الحلفاء أن الالمان قد يهددون الجناح الفرنسى الأيسر فى منطقة نويون عقد مؤتمر حضره اللورد ملنر وكليمانسو والوزير لوشور والقواد بيتان وفوش وهايج . وكان هايج شديد التشاؤم ينذر بالكوارث والنكبات ويقترح فصل الجيش الفرنسى عن الجيش الانجليزى والتقهقر بالأول لتغطية باريس والدفاع عنها

وفى تلك الساعة الرهيبة تجلت شخصية فوش . لم يفقد الرجل توازنه ولم تفارقه ابتسامته المشهورة . كان يفكر بوضوح ونظام ، ويتكلم بدقة ، ويشير الى الخرائط باصبع ثابتة ، ويمعن النظر فيما يقول كأنه يخاطب شخصا لا يراه إلا هو ، شخصا يستطيع أن يفهمه ويقدره ويثق به

والغريب فيه أنه ان كان فى تلك اللحظات الفاصلة أبعد الناس عن السخرية بالقواد زملائه أو تعييرهم أو انتقاص أعمالهم أو الانحاء باللائمة عليهم

كان منصرفا بجمعه الى بسط فكرته وشرحها والاستعانة بشتى الحجج والبراهين لاثبات صحتها . .

وبينما كانت تبدو على وجهى القائدين بيتان وهايج ملامح القلق والاضطراب ، كان فوش هادئا ثابتا يتكلم وينتظر كأنه كان على ثقة مطلقة بأن مصير الامور سيتوقف فى الغد عليه وحده

وعندئذ اقتنع الجميع ولا سيما ملنر وكليمانسو بأن فوش هو رجل الساعة وهو وحده القادر على انقاذ الحلفاء من مأزقهم والتعجيل بانهاء الحرب واحراز الظفر

وفى اليوم التالى عقد فى دولانس مؤتمر آخر حضره بوانكاريه وكليمانسو وبيتان وفوش ولورد ملنر والمارشال هايج والسر هنرى ولسون . وفى هذا المؤتمر نظمت لأول مرة فكرة القيادة العامة وعهد بتحقيقها الى القائد فوش

[خلاصة مقال عن مجلة ليزانال]

بلاد نود رؤيتها

فهى اغرب جهات العالم

مملكة الحيوان

هى حديقة حيوان لا أسوار لها ولا حراس ، تهيم فيها الوحوش الكاسرة ، وجنبها الى جنب الاوربى المتمدن . . .

ففى جنوبى أفريقا حديقة اسمها « حديقة كريجر » ، تبلغ مساحتها ٩٠٠٠ ميل مربع ، قد اتخذتها فصائل الحيوانات المفترسة مقراً لها تعيش فيه آمنة شر الانسان ، الذى يجرى بين جماعاتها فى سياراته وعرباته آمنا غدرها . فترى السيارة تشق طريقها على قيد خطوات من مسبعة تزأر أسودها ، دون أن تفكر الوحوش فى مهاجمة السيارة التى ألفت رؤيتها ، بل دون ان تنظر الى شكلها الغريب أو تنصت الى دويها وصفيرها

وقد قدر عدد سكان هذه الحديقة سنة ١٩٣١ بستمائة أسد ، ومائة فيل ، ومائتى زرافة ، ومائتى فرس نهرى ، وثمانمائة جاموسة برية ، ومائة وعشرين الفا من الغزلان والماعز ، وعدة آلاف أخرى من مختلف أنواع القرود . وتعيش هذه الحيوانات اما من رعى أعشاب الحديقة ، واما من افتراس بعضها بعضا ، ويقدر ما تفترسه الاسود وحدها بتسعة آلاف حيوان كل سنة ، دون أن تفكر فى افتراس أى انسان أو ايذائه . فكأنها تأنس بالانسان وتألفه ، وتستوحش من السباع وتفترسها !

وقد شقت فى هذه المنطقة طرق ممهدة للسيارات ، وأقيمت فى جوانبها خيام يؤمها آلاف الرحالة والعلماء الذين يقصدون « مملكة الحيوان » ، ليشاهدوا جماعات الوحوش فى غاباتها ، أو ليدرسوا حياتها وطباعها . وأجمل المشاهد هناك حين تذهب الغزلان والجواميس فى الصباح الباكر ، والفيلة والاسود فى ظلمة الليل ، تستقى من الغدران ، وقد سار بعضها وراء البعض فى صفوف طويلة ، لا تنقطع عند قدوم سيارة ، ولا تضطرب عند رؤية انسان ، لأن وحوش تلك الغابة تألف الانسان اكثر مما تألف وحوش الملاهى مروضيها

مدينة العبيد الأحرار

لعلنا لا نجد منطقة من مناطق الزنوج لا يمتلكها ويستذلها قوم أجانب . ولكن مدينة « اكومبونغ » بجزيرة جمايكا لا يسكنها سوى الزنوج ، ومع ذلك فهى من اكثر بلاد العالم تمتعا بحريتها المطلقة

فهي أقدم « جمهورية مستقلة » في امريكا ، فقد نالت حريتها قبل ان تحطم الولايات المتحدة أصفاد ذلها بمائة عام . وظلت منذ ذلك الحين ترتع في حريتها ، دون أن تمتد اليها يد مستعمر أو دخيل ، رغم أن جزيرة جمايكا كلها خاضعة للاستعمار الانجليزي

وسكان هـذه المدينة ـ ويطلق عليهم اسم المارون ـ هم أخلاف جماعة من الارقاء جاء بهم المستعمرون الاسبان ليفلحوا أرض جمايكا . ولما استولى الانجليز على الجزيرة وطردوا الاسبان منها سنة ١٦٥٥ ، قام هؤلاء الزنوج فحاربوا الانجليز حرب عصابات بارعة عنيفة ، استمرت ٤٢ عاما متصلة ، مما أرغم الانجليز على ان يعقدوا معهم معاهدة ظلوا يحترمونها حتى اليوم

ولهذه المدينة حاكم من أهلها مستقل في جميع شؤونه ، لا يشاركه في الامر حاكم الجزيرة الانجليزي ، ولا تجبي منه أية ضريبة

ويعيش المارون عيشة هادئة هانئة ، في أكواخ نظيفة مرتبة . ولكل منهم قطعة أرض يزرعها ويعيش منها ، ولا يسمح له ببيعها ، فان مات من غير وريث انتقلت الى حاكم المدينة ، الذي ينتخبه مجلس الشورى المؤلف من ثمانية من رجال المدينة ونسائها . وفي المدينة مدرسة صغيرة يتولى أمرها معلم واحد ، وملهى كبير يجتمع فيه الاهالي يرقصون ويغنون على انغام « الارغول »

والمارون من أكثر الناس رعاية للشعائر الدينية ، ولا تكاد تجد في كنيستهم موضع قدم خاليا ، ولا يقع في بلدهم شيء من هذه الجرائم الخطيرة التي تقع في البلاد المتمدنة ، ولم تحدث هناك ـ منذ استقرت أمورهم ونالوا حريتهم ـ جريمة قتل واحدة ، بينما تقع مئات من جرائم القتل كل يوم في مدن العلم والنور

جزيرة البلابل

منذ مائة عام فحسب كانت صخرة قاحلة تتكسر عليها أمواج المحيط على مقربة من ساحل هولندا ، ولا يقيم بها الا جماعة فقيرة من صائدي الاسماك ، أما اليوم فهي روضة ناضرة تؤمها أفواج السائحين المترفين ليروا الطبيعة في أبهج مشاهدها

ذلك أن أحد هؤلاء الصائدين أراد ان يجعل من جزيرته القفرة أرضا خضراء ناضرة . فزرع وسط صخورها مائة شجرة تعهدها برعايته ، فنمت وبقيت رغم البرد القارس والرياح العاصفة ، ثم أخذ كل عام يزرع مثلها فلما مات خلف هذه الصحراء جنة حافلة بالزهور والثمار

ولم تكن الطيور تألف الحياة في تلك الجزيرة ، فليس فيها ما تقتاته ، بل ليس فيها مكان تأوي اليه ، وتتقي فيه شر الريح العاتية . فلما نمت تلك الاشجار وفدت اليها أسراب الطيور ، وبنت أعشاشها في زواياها الخفية ، فأصبحت تلك الجزيرة التي لم يكن فيها طير واحد منذ عام ، مقصد علماء الطيور من شتى جهات العالم ، ليدرسوا ما فيها من مختلف أنواع الطيور

ومع أن اسمها « جزيرة البلابل » فانها لم تعرف هذا الطائر المغرد الا منذ بضعة أعوام ، حين وفد اليها زوجان من البلابل تناسلا سريعا حتى ملأ نسلهما جو الجزيرة بصوته الشجى . ففى كل يوم يجتمع أهل الجزيرة بعض الوقت فى أحد ميادينها حيث يسمعون غناء البلابل ، ويرتلون أناشيدهم على انغامها

وقد زار هذه الجزيرة كثير من الفنانين ليرسموا مناظر غاباتها وحدائقها الفاخرة ، ومنهم الفنان الامريكى « وليم تشيز » الذى استصحب جماعة من تلاميذه ليرسموا مشاهد « أجمل مكان على سطح الارض كلها »

[خلاصة مقال فى مجلة ريدرز ديجست]

فلسفة البطولة والموت

فى الصين الحربية

تكافح الصين كفاح المستقتل فى سبيل الدفاع عن وحدتها وقهر اليابان التى عقدت العزم على غزوها واستعمارها

وللصين فلسفة خاصة فى معنى البطولة ومعنى الموت تتمثل ظواهرها الرائعة فى الشباب الصينيين المثقفين الذين يقاتلون فى الطليعة ويجودون بكل مرتخص وغال فى سبيل حرية بلادهم واستقلالها

وقد نشرت صحيفة (تيان هسيا) التى تصدر فى شنغهاى مقالا لشاب صينى مثقف يميط اللثام عن تلك الفلسفة ويكشف عن عقلية الجيل الصينى الجديد ويدل على مبلغ استعداده لاحتمال التضحية ومواصلة الكفاح

واليك خلاصة هذا المقال :

أمطرتنا الطائرات اليابانية وابلا من القنابل ، ولكن طائرات الصين صمدت لها وطاردتها والحقت بها شر الخسائر . ولقد شعرنا بعد هذه المعركة الجوية الهائلة أن فى الصين رجالا وأن فى الصين فلسفة تقدس معنى البطولة وتعرف كيف تتحدى الموت

أجل . الموت هو سيد الحياة ، تلك هى عقيدتنا . فلكى نعيش يجب أن نعرف كيف نحارب ، وان كنا نمقت الحرب من صميم نفوسنا

الحرب هى الظلام ، ولكن العالم اليوم لا يؤمن إلا بمن يستطيع أن يحيا ولو فترة معينة فى الظلام . .

هكذا تريد حضارتنا ، ولقد فهمنا تعاليمها واستخلصنا منها المبدأ الصالح لنا

لايجب أن نقتل الوقت فى الكلام . الكلام لايجدى وكل لحظة يختلسها الفكر منا محسوبة علينا ومدرجة فى قائمة الذل والهزيمة

فليعلم الجميع ، جميع أهل الصين من عباد السلام والخير ، أن الشر مرض ضرورى ، وأن الحرب هي التى تدفع الحرب ، وان خصمك ان كان قد جن فلا يسعك إلا أن تقابله بنفس الجنون اذا شئت أن ترده الى محجة الصواب والهدى

يجب أن نقبل الحرب ونعقد النية على الشر وان كانت الحسرة تمزق قلوبنا

والهم ألا ننسى الخير ونحن نرتكب الشر

للهم ألا نصبح متوحشين ونحن نقاتل

اللهم أن نحتفظ فى قرارة نفوسنا بحب الخير ، وألا نحارب وننشر الموت إلا ونحن نأمل فى السلام ونعد العدة لجمال المستقبل

فينبغى أن نحب الحرب على شرط ألا يطغى هذا الحب على الجوهر الانساني الكامن فينا

ينبغى أن نقاتل بعقولنا لا بقلوبنا وتلك أروع ضروب البطولة

ان الحرب عادلة متى كان لابد منها ذوداً عن الوطن ودفاعا عن الحرية . والصين مجبرة فى هذه الأيام على الحرب ، ولكن مجدها فى أن تقاتل بدون لذة وان تسفك الدم بدون طرب وأن تحارب وهى تعلم علم اليقين أن الحرب جريمة مهما كانت

والواقع أننا لو امتنعنا عن الحرب تقديسا للسلام ، فقد يعجب الخياليون بنا ويخلعون علينا أعظم الالقاب . ولكن كل صينى سيحتقر فى تلك الساعة نفسه ويلعن أهله ووطنه ويعيش منتهك الكرامة ذليلا ، وان كان سيبدو فى نظر الكثيرين بطلا من أبطال الخير والسلام

فلكى لانحتقر أنفسنا ولكى نحتفظ فى الوقت ذاته بحب الخير والسلام ، يجب أن نقاتل بدون لذة ، نقاتل ونحن نفهم أن القتل جريمة ، نقاتل قتالا عقليا مشبوب الارادة مطرد القوة . نقاتل لا طمعا فى أرض ولا حبا فى مجد عسكرى باطل، نقاتل فى سبيل الواجب محتفظين بأرواحنا خالية من شوائب الوحشية والشر

بهذه الفلسفة لا نتغلب فقط على أعدائنا بل نسمو عليهم . وعند ما تضع الحرب أوزارها نستطيع ان نقول ان الحرب لم تسممنا وإن فى وسعنا أن نستطرد السير فى طريق الحرية لخير الانسانية ومجد الصين !

[خلاصة مقال عن مجلة كومون]

اذا نفد الفحم والبترول

فهل تحل محلهما البذور والاعشاب ؟

نستطيع أن نسمى حضارتنا الراهنة حضارة « القوى المحركة » التي نستمدها من ثلاثة مصادر : الفحم ، والبترول ، ومساقط المياه

فأما الفحم فقد استنفدت مناجمه حتى لم يعد ما بقى منه فى باطن الأرض يفى بحاجة الصناعة أكثر من مائة عام أخرى . وكذلك آبار البترول كادت تنضب ، ولا يمكن ان يعتمد عليها أكثر من نصف قرن آخر . اما مساقط المياه فلا تستطيع الانتفاع بها إلا المناطق التى توجد فيها ، وكلها ـ باستثناء الولايات المتحدة ـ أقاليم لم تزدهر فيها الصناعات الكبيرة . كصناعة النسيج والآلات والذخائر

وهذا ما ينذر حضارتنا الراهنة بأخطار شديدة قد تأتى عليها ، مما دعا رجال الأعمال الى السعى وراء مصادر جديدة للقوى المحركة تحفظ للصناعة الحديثة حياتها وتهيىء لها وسائل النمو والانتشار . وأكثرهم اهتماما بذلك رجال الأعمال فى امريكا ، إذ ان حياتهم ومستقبلهم رهن بالحضارة الصناعية وحدها ، فعليهم أن يوطدوا دعائمها ويحافظوا على اسباب حياتها . ولهذا فقد قدر ما ستنفقه أمريكا خلال الأعوام المقبلة فى إجراء التجارب العلمية لابتكار مصادر جديدة للقوى المحركة بما يبلغ مائتى مليون من الجنيهات

ويتزعم هذه الحركة العلمية الخطيرة مستر هنرى فورد الذى أقام معملا علمياً باذخا فى مدينة ديترويت ـ الى جانب مصانع سياراته ـ لاجراء تجارب علمية يقصد منها إيجاد مادة تحل محل البترول

ويقال إن التجارب التى قام بها لفيف من كبار الكيميائيين قد أثبتت لهم ان بذور بعض النباتات ـ ولا سيا بذور اللوبياء ـ هى مصدر غنى بالقوى المحركة ، إذ يمكن أن تستخرج منها عصارة تتخذ بدلا من البترول فى تحريك الآلات . ومن المعروف أن بذور اللوبياء مادة هامة فى عالم الصناعة ، إذ يصنع منها كثير من الادوات

ومن القائمين على رأس هذه الحركة كذلك « شارل كيترنج » ، مدير احدى شركات السيارات الكبرى ، ولكنه يتجه فى بحوثه وجهة أخرى القصد منها أن يعرف : « كيف تكتسب جميع النباتات اللون الأخضر ؟ »

وقد يبدو هذا غريبا عن موضوع القوى المحركة ، ولكن الواقع أنه اذا أمكن الاجابة عن

هذا السؤال ، حلت المسألة التى يتساءل عنها العلماء منذ قرون وهى : « كيف تستطيع النباتات ان تمتص أشعة الشمس ، وأن تحتفظ بها فى خلاياها ؟ »

واذا عرفت الطريقة التى تمتص بها اشعة الشمس ، حلت معضلة القوى المحركة حلا نهائيا ، لأن الشمس هى أعظم المصادر وأغناها بالقوى المحركة التى لا تضعف ولا تنقص ...

[خلاصة مقال لجان بريقو فى مجلة بارى سوار]

مرضى السرقة

اعترافات امرأة مصابة بالكليفتومانيا

الكليفتومانيا هو مرض السرقة والنشل ، يصيب الانسان الضعيف الخلق المضطرب الاعصاب واليك اعترافات سيدة تملك منها هذا الداء فوصفت أعراضه وصفا دقيقا مروعا :

اليوم الأول — لا أستطيع أن أبصر شيئاً مغريا جميلا حتى تحدثنى نفسى بسرقته ، ومع ذلك فأنا امرأة طيبة القلب أؤدى فروضى الدينية على الوجه الاكمل . والعجيب فى أخلاق أنى أتوجه الى الله كل مساء بصلاة حارة تصدر عن فؤاد نقى ، ولكنى لا ألبث أن أستيقظ وأرى ضوء النهار حتى تعاودنى رذيلتى وتستحوذ على فكرى بالرغم منى

اليوم الثانى — سرقت اليوم اشياء تقدر قيمتها بمائتى فرنك . أشياء كمالية لا يمكن أن تعود على بأية فائدة . سرقت خاتما من الماس المزيف مع انى أمتلك عدداً من المجوهرات الثمينة النادرة . على أن ما يؤلمنى هو أنى احترف مهنة التدريس وان على اليوم ان اشرح للطالبات فصلا فى تأثير (العادة) من الوجهة السيكولوجية . والواقع أنى أتعذب ، أتعذب وأشعر بالخجل والعار لأنى قد أصبحت فريسة لعادة ممقوتة لا اعرف كيف تمكنت منى ولا أدرى كيف أصبر عليها ، ولا أكلف نفسى عناء مقاومتها وأنا امرأة متعلمة تطالع وتفكر وتتأمل ويعهد اليها بتربية الفضائل فى نفوس النشء

بعد يومين — كنت قد عقدت النية على ألا أسرق اشياء تتجاوز قيمتها خمسمائة فرنك . ولكن رذيلتى أقوى منى ولقد اربت قيمة ما سرقته بالأمس على ألف فرنك

بعد خمسة أيام — لم أغادر بيتى طوال هذه الفترة ولذلك لم أسرق شيئا جديداً . ولكنى أشعر بأن لا بد لى من الخروج والتجول فى المخازن ومخالطة الجمهور والرقباء والتطلع الى أدوات طريفة ومحاولة نشلها واضافتها الى ما عندى . وأنا أعلم انى قد أسرق أشياء مماثلة لتلك التى سبق ان اختلستها ، ولكنى اعلم ايضا ان ذلك لن يثنينى عن عزمى ولن يبعث فى نفسى أية قوة على المقاومة

فى اليوم التالى — سرقت اليوم اشياء جديدة ، اسطوانات للفونوغراف ، وهكذا تجاوزت مبلغ الالف فرنك الذى كنت قد حددته لنفسى

يوم الاحد — احمد الله على أن المخازن اليوم مغلقة . وياليت أيامي كلها تصبح أيام آحاد

بعد اسبوع — شعرت انى مريضة فاستدعيت احد الأطباء ، ولكن المرض فى نفسى لا فى جسمي ، وما متاعبي وآلامى الا نتيجة الجهاد العقلى الذى اقوم به ضد رذيلتى

بعد ثلاثة ايام — خرجت امس مع صديقة لى ، وحدث أنى غافلتها ونشلت علبة مسحوق للزينة اخفيتها تحت قفازى . لم فعلت ذلك ؟ ألم أعاهد نفسى على المقاومة ؟ ان مرتبى كبير وفى وسعى ان احصل على ما أشتهى ، فأى عار يكون عاري وأي شقاء يكون شقائى لو قبض على ؟ . . .

سأفصل عن عملي والحق العار بالمدرسة وأتعطل وأتشرد ويهدم مستقبلى ، ومع ذلك فهذه المخاوف تشجعني وأنا أسخر منها وأمضى فى رذيلتى

فى اليوم التالى — حدث ما كنت أتوقعه . أردت ان أختلس قطعة من الحرير النادر فاضطربت ولم أحسن اخفاءها فقبضوا على وساقونى الى حجرة المدير ، وبعد ان أرهقونى بالاسئلة رأفوا بحالى فدفعت ثمن ما سرقت وأنا أكاد أبكى . اشفقوا على وتركونى أنصرف ، ولكنى وقعت باسمى على وثيقة اعترفت فيها بأنى اختلست قطعة الحرير وأشياء أخرى لا قيمة لها

فى اليوم التالى — ازعجتنى تلك الوثيقة واقضت مضجعى وهدت قواى فذهبت الى طبيب وعرضت عليه امري ثم علقته بمبلغ كبير من المال ان هو اعطانى شهادة تثبت انى كنت بالأمس منهوكة الاعصاب مريضة . وما ان قبل الطبيب وتسلمت الشهادة حتى اسرعت الى المخزن الذى اختلست منه قطعة الحرير ، وهناك قابلت المدير واعتذرت اليه عما بدر منى وأبرزت له الشهادة فأشفق على مرة ثانية وصفح عنى ومزق الوثيقة امام عيني وهو يبتسم

فى تلك اللحظة سرى عنى وأحسست كأن حياة جديدة توشك أن تتفتح أمامى ، فلم اتردد وذهبت من فورى الى منزلى فأحصيت الأشياء التى اختلستها وأحصيت اسعارها ثم استدنت من احدى الصديقات مبلغا من المال ثم ارسلت الى ادارات المخازن مختلف القوائم بالاشياء التى سرقت مصحوبة بقيمتها

وفى ذلك اليوم ، فى ذلك اليوم فقط تنفست الصعداء وانقذت نفسى واستطعت أن انام الليل بسلام

ولقد شفيت الآن من مرضى لابقوة جهادى بل لأنى كنت على وشك ان افقد سمعتى ومستقبلى فعلى منذ الساعة ان ابدأ الجهاد الحق ، الجهاد الصادق للطرد كى لا أقع مرة ثانية بين براثن رذيلتى

[خلاصة مقال من مجلة ذى انلتك مونثلى]

تقدم العلم والعالم

نفقات الحرب المقبلة

تنذرنا الحروب القائمة فى أوربا وآسيا ، والخلافات العنيفة الناشبة بين شتى الدول ، بأن الحرب العالمية قادمة عما قريب . ولكن الواقع أن الدول جميعا تسعى الى ارجاء هذه الحرب قدر ماتستطيع ،لأن ما استنزفته الحرب الكبرى من مواردها يعجز أكثرها عن أن يمون حربا تقدر نفقاتها بأربعة أمثال نفقات الحرب الماضية

ذلك أن الجيش المتوسط الذى يتألف من ١٥٠٫٠٠٠ جندى يحتاج على الأقل الى ثلثمائة مدفع تستهلك يوميا ٣٫٠٠٠ طن من البارود ، تتراوح قيمتها بين ٤٠٠٫٠٠٠ جنيه و ٦٠٠٫٠٠٠ جنيه . فكل طلقة من بندقية عرض فوهتها ٧٫٥ سنتيمتر تساوى جنيهين ، أما مدافع اسقاط الطائرات الكبيرة التى لا يوجد منها فى كل بارجة من بوارج الاسطول البريطانى سوى أربعة فان الطلقة الواحدة تكلف أكثر من مائتى جنيه

أما السلاح الجوى فأكلافه أثقل من نفقات الجيش البرى ، إذ أن الغارة الجوية العادية تحتاج الى ستين طائرة ، تلقى مائة طن من القنابل ، ثمن كل طن منها ١٦٠ جنيها . . . والقنبلة الواحدة من هذه القنابل الثقيلة ينفق فى صنعها ٨٠ جنيها . ويضاف الى هذه الاكلاف نفقات نقل الذخائر والجنود ، وأثمان الطائرات المهشمة والمعطلة

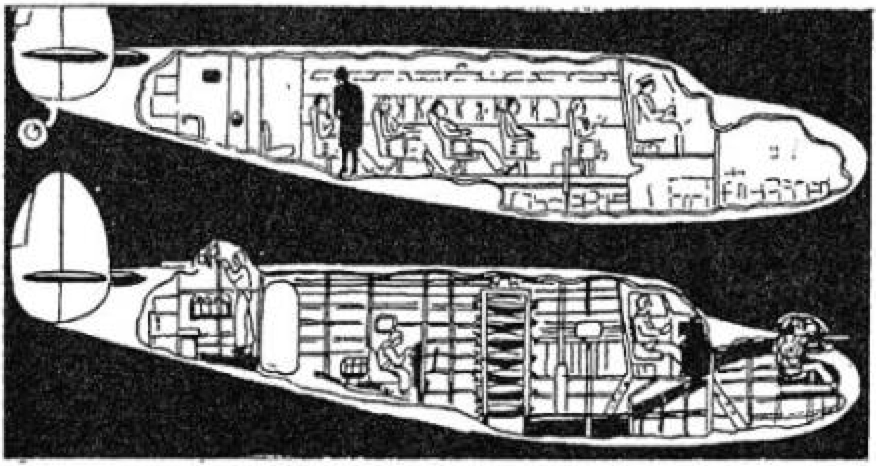
وقد قدر رجال الاحصاء فى امريكا ان اسطولهم ينفق فى معركة بحرية واحدة ، لا تمتد الى أكثر من يوم واحد زهاء ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات ، أى ضعف ما كانت تقتضيه معارك الحرب الكبرى . فما بالك بنفقات اسطول كالاسطول البريطانى أو اليابانى ، فى معارك تمتد شهوراً وسنين ؟

دخان ملون

قد تستطيع السيدات قريبا أن يدخن «سجائر» ينبعث منها دخان ملون الوانا مختلفة ، إذ تحاول احدى شركات الطباق بامريكا أن تخرج نوعا من «السجائر» يحمل مادة كيماوية تكسب دخانها القاتم لونا زاهيا

وستجد السيدة فى هذا مجالا جديداً للتأنق فتوفق بين لون ثوبها وحقيبتها ولون دخان «سيجارتها» ، وسيجد فيه المتأنقون من الرجال كذلك ضربا من التسلية حين يستطيعون أن يبعثوا من بين أصابعهم دخانا مختلف الألوان كأنه قوس قزح ، ولا شك أن هذا سيكون من أكثر أسباب اغراء الشبان والفتيات بتدخين الطباق

ويقول رجال الشركة التى تزمع تنفيذ هذه الفكرة أنه قد ثبت لعلماء النفس ان أكثر الناس يدخنون ليشاهدوا سحائب الدخان المنبعث من بين أصابعهم فحسب ، فمن الواجب ألا يكون هذا الدخان شيئا قاتما مقبضا ، بل زاهيا بهيجا يستريح المرء الى رؤيته



طائرة للسلم والحرب

أخرجت المصانع الامريكية اخيراً طرازاً من الطائرات ، يعد من أجدى وسائل النقل أيام السلم ، ومن أقوى وسائل الهجوم حين تشب الحرب . فعندما تعد للطيران المدنى تتسع لاحد عشر راكباً ، فضلا عن قائدها وزميله وخادمها ، كما ترى فى الرسم الاعلى . وعندما تحول طائرة حربية تتسع لأربعة رجال معدين بمدفعين كبيرين وكمية ضخمة من القنابل ترص وسطها ، كما ترى فى الرسم الأدنى . وتبلغ سرعتها العادية ٢٣٠ ميلا فى الساعة ، ويمكن زيادتها وقت الحاجة الى ٢٦٠ ميلا ، مما يجعلها من أقدر وسائل الحرب للتخريب والتحطيم

التداوى بلحم الافاعى

من العادات الشائعة فى اليابان أكل لحوم الأفاعى ، زعماً بأن فيها شفاء من أمراض التدرن والروماتزم والسرطان

ويقدر عدد ما يؤكل من الأفاعى فى مدينة طوكيو كل يوم بألف أفعى . وفى هذه المدينة زهاء ١٠٠ متجر لبيع الافاعى ، ويبلغ عدد ما يبيعه احدها فى العام الواحد بمائة الف من مختلف أنواع الثعابين . ويحتفظ هذا المتجر فى مخازنه بما لا يقل عن عشرة آلاف أفعى ، يعرض بعضها للجمهور فى « فترينات » أنيقة !

هل البراكين مناجم ؟

قرر جماعة من علماء الجيولوجيا فى أمريكا أن كثيراً من البراكين الهامدة غنية بكميات كبيرة من الذهب والفضة والبترول والماس ، وأن استغلالها أجدى على الصناعة من استغلال كثير من المناجم التى كاد ينفد ما فيها

والبراكين من أغنى المصادر التى أمدت العالم بكثير من ثروته المعدنية ، فقد قذف أحد براكين كلورادو مثلا كيات من الذهب تبلغ قيمتها زهاء ٧٥٫٠٠٠٫٠٠٠ مليون من الجنيهات . وقدر ما قذفه بركان آخر فى تلك المنطقة من

الذهب والفضة بمقدار ٥٤٠٬٠٠٠٬٠٠٠ من الجنيهات . ويشتمل كثير من البراكين على ينابيع غنية من البترول ، ومنها سلسلة من البراكين تمتد فى ولايات تكساس وار كنساس ومسيسبى بامريكا فقد تفجرت منذ ثمانية ملايين من السنين ومع هذا لم يكتشف ما فيها من ينابيع البترول الا سنة ١٩١٥ . وفى مكسيكو الجديدة براكين مطمورة فى جوانبها كميات من الماس النادر ولهذا ينتظر ان يلجأ العالم الى استغلال البراكين اذا نفدت المناجم

مخترعات جديدة

* كثيراً ما يمنع الدخان الكثيف المنبعث من الحرائق رجال المطافىء من اداء مهمتهم فى انقاذ الارواح والامتعة ، فاخترع أخيراً جهاز مكون من أنبوبة تلقى فتحتها فى الأماكن التى يتكاثف فيها الدخان فتمتصه على عجل ، فيستطيع رجال المطافىء أن ينفذوا اليها ويؤدوا واجبهم فيها

* أخرج أحد المصانع الامريكية قفافيز مصنوعة من المعدن الصلب الرقيق ، لتحمى بها أيدي من يزاولون أعمالا تعرضها لشفرات السكاكين والزجاج وما شابهها . ومع صلابة القفاز ومتانته الى حد مقاومته حد السكين وشظايا الزجاج ، الا أنه لين مرن فلا يعوق العامل عن ثنى أصابعه واستخدامها كيف شاء . وينتظر انتشار هذه القفافيز بين عمال مصانع الأسلحة ، والزجاج ، وكذلك بين القصابين والنجارين والحدادين وغيرهم

الصداع : سببه وعلاجه

الصداع البسيط الذى يأتى عقب يوم مجهد أو ليلة مضطربة يمكن ازالته بطرق جوانب الرأس ومؤخره بالأصابع طرقا خفيفا . فهذا أيسر وأجدى من اتخاذ الأدوية التى يترك كثير منها أثراً سيئا فى الجسم

ولكن هناك أنواعا من الصداع تنتاب الرأس من آن لآن ، وتؤلمه ألما شديداً لا يحتمل ، وهذه تصيب غالبا بعض أجزاء الرأس الداخلية ولا يجدي فيها أى طرق ولا أى دواء . فمن الواجب أن يعرض أمرها على الطبيب ليرى أين موضع الصداع قبل أن يشتد خطره

وأسباب الصداع كثيرة ، فقد يكون نتيجة اضطراب فى الجهاز الهضمى ، أو نتيجة الاسراف فى تدخين الطباق أو احتساء الخمر ، كما قد يأتى من اجهاد الجسم فى عمل مرهق ، أو اجهاد الاعصاب فى تفكير طويل ، ولهذا كثيراً ما يعقب الانفعالات النفسية الشديدة . وكل هذه العوامل ان لم تجتث من جذورها فلا يمكن علاج الصداع علاجا ناجعا مجديا .

الاختزال

فى عهد الاغريق والرومان

من طريف ما أثبته علماء الآثار اخيراً ان اختزال الكتابة عرف قبل أن يعرف الورق . فقد اتخذ الرومان نوعا من الاختزال لتسجيل ما كان يهدر به خطباؤهم كل آن وفى كل مجال ، وكان الفضل فى ابتكاره « لماركوس تيرو » صديق شيشيرون الحكيم ، وذلك قبل الميلاد بثلاث وستين سنة . وكان الاختزال يدرس فى مدارس روما ، وكان الأباطرة يتلقونه على أساتذتهم ، وقد أجاده كثير منهم

على أن الاغريق قد عرفوا نوعا من الاختزال قبل هذا ، وتوجد منه نماذج كثيرة فى مكتبة الفاتيكان بروما ، والمكتبة الأهلية بباريس ،

والمتحف البريطانى بلندن . وكان المختزل يتخذ لوحا من الشمع وقلما من المعدن ، اذ لم يكن الورق قد عرف حينذاك
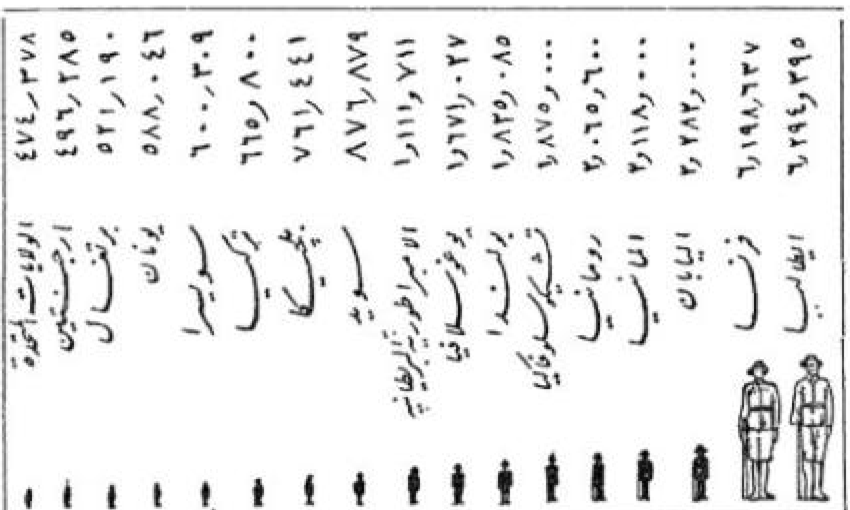
وقد كان ليوليوس قيصر فرقة كبيرة من المختزلين ، يملى عليهم معا ما يريد إثباته من خطب وأوامر وقرارات ، وذلك انجازاً لكثير من الاعمال فى اقصر فترة

طرائف متفرقة

* عدد من جاوزوا سن المائة فى كل مليون نسمة من سكان بلغاريا هو ٤٣٦ نسمة، وكلومبيا ٣١١ ، والبرازيل ١٤٠ ، والسويد ٦٥ ، وبلجيكا ٢٥ ، وللمانيا ٢ ، وسويسرا ١ . أما بريطانيا وفرنسا فيندر فيهما من عمروا الى هذه السن

* يموت فى الولايات المتحدة كل عام من الاطفال الذين لم يجاوزوا السنة الأولى من أعمارهم ٨٠٠ مختنقين بالغاز والدخان ، و ١٢٠٠ فى حوادث الطرق والتصادم

* شرع بعض أطباء الأسنان يصنعون اسنانا من الزجاج الصلب الملون ، وأنه ثبت انها أسهل تنظيفا وأيسر خلعا ووضعا من الاسنان العظمية أو المعدنية ، ولهذا ينتظر انتشارها قريبا



قوات الدول فى الحرب القادمة

وضعت مجلة « الدفاع الاهلى » الامريكية احصاء دقيقا عن عدد الجنود الذين تستطيع الدول المختلفة أن تعدهم لخوض معارك الحرب القادمة ، أى عدد من يصلحون لحمل السلاح من الرجال والشبان اذا شبت اليوم الحرب العالمية . فدل الاحصاء على أن أكبر الجيوش سيكون جيش روسيا السوفياتية اذ يقدر بما ينوف على تسعة عشر مليونا من الجنود ، وأصغرها سيكون جيش الولايات المتحدة اذ لا يبلغ عدد جنوده نصف مليون . وقد استقت المجلة أرقامها من أصح المصادر وأدقها ، لأنها مجلة شبه رسمية ، ووضعت الرسم السالف ليبين احصاءها هذا

كتب جديدة

الري في مصر

بقلم صاحب المعالى حسين سرى باشا

المطبعة الاميرية فى ٥٠ صفحة

يعد معالى حسين سرى باشا حجة فى شؤون الرى فى مصر . وقد اجمل فى هذا الكتاب تاريخ الرى وتطوراته فى اسلوب علمى دقيق يدل ابلغ الدلالة على وفرة المادة وسعة الاطلاع والقدرة على معالجة الموضوعات الفنية فى عبارة واضحة تسيغها أفهام الجميع

وقد عرض سرى باشا لتاريخ الرى فى مصر خلال العصور الغابرة ثم تبسط فى شرح عوامل تقدم الرى فى العصر الحديث ثم تحدث عن التوسع الزراعى فى المستقبل وعن شق أعمال الوقاية من غوائل الفيضان وعن الصرف ومختلف الاعمال الصناعية الكبرى المقامة على نهر النيل وشفع كل ذلك برسوم بيانية وخرائط تعزز البحوث وتوضحها وتقرن بين النظريات وأساليب تطبيقها. وليس شك فى أن هذا الكتاب الفريد فى نوعه يرشد القارىء المصرى الى تعرف جزء خطير من تاريخ بلاده ويكشف له عن حقائق فنية تتعلق بصميم حياته أى بذلك النهر العظيم الذى يوليه بنعمائه ويدر الخيرات على وادى النيل فيضيف الى خصبه خصبا ويجدد من قوته وحياته

السير

بقلم الاستاذ محمد سعيد لطفى بك

مطبعة لجنة التأليف والنشر بالقاهرة فى ٢٣٥ صفحة

فن كتابة السير من الفنون التى ذاعت فى أوربا هــذه الأيام وعالجتها طائفة من أكبر كتاب الغرب أمثال (اميل لودويج) و (اندريه موروا) و (درينكوتر) واضرابهم

والواقع أن كتابة سير العظماء تتطلب الجمع بين عنصر التاريخ وعنصر القصة . وهذا هو وجه الطرافة فيها بل هذا هو وجه الصعوبة فى اجادتها

فالكاتب الذى يستطيع التوفيق بين العنصرين المشار اليهما بحيث لا يطغى عنصر التاريخ على القصة أو عنصر القصة على التاريخ هو الأديب النابغ المتمكن من أصول هذا الفن

وقد اشتهر الاستاذ محمد سعيد لطفى بك بما أذاعه بالراديو من مختلف سير عظماء الاسلام . وقد توخى فى وضع هذه السير الجمع بين التاريخ والقصة فى اسلوب شائق وعبارة جزلة وقدرة ملحوظة على ابراز مواطن القوة فى حياة أولئك العظماء بحيث يتأثر بها الجمهور وينسج على منوالها ويتخذها مثلا أعلى

ومن الشخصيات التى وفاها حقها من البحث والتحليل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى ابن أبى طالب وعمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد

وقد عرض المؤلف هذه الشخصيات ممجداً اعمالها شاديا بعظمتها ملقيا ضوءاً ساطعا على شتى الحوادث التى صدرت عنها واتصلت بها وهكذا بعث حياة جديدة فى تاريخ العرب والاسلام

وأما فكرة اذاعة سير العظماء من طريق الراديو فقد شاعت فى اوربا واسفرت هناك عن

نتائج رائعة اذ هي توثق الصلة بين الماضي والحاضر وتشعر الأمة بمجدها السالف وتحفزها لمواصلة الرقي واستطراد الجهاد

ولقد كان الاستاذ محمد سعيد لطفي بك في طليعة من فكروا في مصر في اذاعة سير العظماء وفي مقدمة من تفوقوا في وضع هذه السير وليس شك في انه أسدى بكتابه الرائع أجل الخدم لبلاده وللاسلام

وطنيتي

بقلم الاستاذ علي الغاياتي

مطبعة عطايا بمصر في ١٤٢ صفحة

أصدر الاستاذ علي الغاياتي الطبعة الثانية من هذا الكتاب المشهور الذي ظهر في منتصف عام ١٩١٠ فصودر وحوكم المؤلف من أجله وحكم عليه غيابيا بالحبس سنة

ويعرف القراء ان الاستاذ الغاياتي فر من مصر سراً قبيل المحاكمة ثم سافر الى جنيف وأنشأ هناك صحيفة منبر الشرق الفرنسية التي طالما روجت الدعوة في الخارج لقضية استقلال مصر

وأما كتاب (وطنيتي) فمجموعة قصائد وطنية ملتهبة تستمد روحها من مبادىء الحزب الوطني وتسجل في حرارة وصدق مختلف الحوادث السياسية التي اثارت كرامة المصريين في ذلك العهد والتي ألفت بينهم ووحدت صفوفهم وهيأتهم للمطالبة بالاستقلال

فجهاد مصطفى كامل ، وقضية دنشواي ، وطغيان قانون المطبوعات ، ومساوىء الاحتلال البريطاني ، ومشكلة قناة السويس ، كل هذه الذكريات وما تحمل من سخط وتمرد وشعور قوي بالاباء الوطني والعزة القومية ، نجدها ممثلة في قصائد الاستاذ الغاياتي التي تشبه في حماستها الوطنية تلك القصائد العصماء التي كان ينظمها الشاعر الفرنسي بول ديروليد ويستنهض بها عزائم الفرنسيين ووطنيتهم قبل الحرب العظمى

أخلاق وعادات الفلاحين المصريين

بقلم الأب هنري حبيب عيروط

مطبعة بابو باريس في ١٨٤ صفحة

هذه رسالة وضعها باللغة الفرنسية الأب الفضال هنري حبيب عيروط اليسوعي وأحرز بها إجازة الدكتوراة من جامعة ليون

والأب هنري حبيب عيروط عاش في مصر واندمج في صفوف الفلاحين واتصل بهم عن كثب وبذل قصاراه في اعطاء صورة صادقة عن عاداتهم وأخلاقهم ومستوى حياتهم الاجتماعي والاقتصادي

والواقع أن رسالة الأب الفاضل هي صرخة صادرة عن نفس كريمة وقلب رحيم ورغبة صادقة في لفت أنظار المسؤولين الى شقاء الفلاح المصري عامة أن يضاعفوا الجهود المبذولة لانصافه وترقيته

ويرى المؤلف ان الدوائر المصرية الرسمية تعير مشكلة الفلاح اهتماما كبيراً ولكن التدابير الحكومية كثيراً ما تنتهي الى الفشل للاسباب الآتية :

أولا — أن مختلف الاصلاحات المتعلقة بالفلاح يضعها نفر من الموظفين أبعد ما يكونون عن حياة الريف . فهي اصلاحات تخرج من المكاتب وتغلب عليها النزعة البيروقراطية النظرية

ثانيا — ان واضعي تلك الاصلاحات لايهتدون

فى وضعها بعقلية الفلاح نفسه واسلوب تفكيره وخصائص عقليته

ثالثا — ان الفلاح يشعر كأن تلك الاصلاحات غريبة عنه وكأنها فرضت عليه فرضاً ، ولذا فهو يتبرم بها ولا يساعد الادارة مساعدة قلبية على تحقيقها

ويعتقد المؤلف ان الاصلاحات الفردية هى التى تجدى وان المالك المستنير المثقف الرحيم المتصل اتصالا يوميا بحياة الفلاح هو الذى يستطيع انهاضه ورفع مستواه بالتعاون مع معلمى القرى

فايقاظ الحياة الأدبية ومعنى الكرامة ووعى الطبقة وخاصة الدفاع عن المصلحة الشخصية فى نفس الفلاح المصرى ، أمر يتوقف فى نظر المؤلف على جهود الملاك ومعلمى القرى إذ هم الذين يمهدون الطريق أمام الاصلاحات الحكومية باشعار الفلاح بشخصيته وتنمية استعداده لقبول تلك الاصلاحات والعمل بها

فالمهم أن نسعى لتربية الفلاح أولا . وكل من يتصل به يجب أن يعرف كيف ينهض بهذا الواجب سواء فى ذلك المالك ومعلم القرية والمهندس الزراعى وموظف البنك وموظف الحكومة

وقد يكون فلاح مصر أسعد حالا من بعض فلاحى سهول أوربا الشرقية ، ولكن العبرة ليست فى المفاضلة والموازنة بل فى انسجام حياة الفلاح مع مستوى الحياة العامة فى بلده ، وفى مبلغ قدرته على التمتع بنتاج عمله . وليس من ينكر أن هذا التمتع المشروع ضئيل ، وأن موارد الفلاح المصرى التى لا تتبدل تعوق رقيه المنشود وتجبره على الحياة كما كان يحيا أيام الفراعنة

وصفوة القول أن المهمة الكبرى ملقاة على عاتق الملاك ، وأن الفلاح لن ينهض إلا بعد أن يصبح هو نفسه المستهلك المصرى الأكبر للصناعة والتجارة المصرية . ومتى أغنانا فلاحنا عن الالتجاء الى الزبون الاوربى فعندئذ يمكننا أن نقول إنه قد ارتقى وتحضر وانا قد قمنا ببعض الواجب نحو ذلك المخلوق النشيط القوى الصبور الذى منه نعيش وبفضله نستمتع بنعيم الترف ومباهج المدنية

ولا يسعنا إلا أن نشكر الأب الفاضل هنرى حبيب عيروط على اهتمامه الصادق بمشكلة تتصل بصميم حياتنا ، ونتمنى أن تنقل رسالته الى اللغة العربية كى تحدث فى البيئة المصرية الأثر المطلوب

مقاييس الكفاءة للاستقلال

بقلم الدكتور والتر هولمز رتشر
استاذ العلوم السياسية بجامعة بيروت الامريكية
المطبعة الامريكية ببيروت فى ١٥٠ صفحة

يبحث هذا الكتاب فى بضعة مقاييس لمعرفة كفاءة الأمم الضعيفة وتقرير مؤهلاتها للاستقلال واقامة هدف ظاهر تتجه نحوه فى سبيل هذه الغاية

وقد عرض المؤلف لتلك المقاييس بالنسبة الى العراق وجزر الفيليبين والهند ثم تطرق الى بحث مقاييس الاعتراف بالدول الجديدة ودخولها فى عصبة الامم

وأهم هذه المقاييس هى :

أولا — أن يكون للبلاد المنوى تحريرها حكومة مستقرة وادارة قادرة على تسيير شؤون الدولة بصورة منتظمة

ثانيا – أن تكون الدولة متمكنة بواسطة قواتها العسكرية من المحافظة على سلامة أراضيها فى وجه عدو خارجي

ثالثا – قدرة الدولة على المحافظة على الامن العام

رابعا – وجود مصادر مالية للدولة تكفى لسد حاجات الحكومة

خامسا – وجود قوانين وأنظمة قضائية تضمن العدل للجميع على السواء

فهذه المقاييس وان اختلفت فى الشكل باختلاف الوضع السياسى والجغرافى فهى التى تقرر مؤهلات الأمة لحياة الاستقلال والحرية

ويتضح مما تقدم أن كتاب الدكتور رتشر من الاهمية بمكان عظيم لشعوب الشرق العربى، وهو سفر يجب على كل عربى مثقف مطالعته وانعام النظر فيه رغبة فى استكمال عناصر الحرية السياسية ومؤهلات الاستقلال القومى

رسل الثقافة

بقلم الأستاذ ذو النون أيوب

المطبعة العربية ببغداد فى ١٥٠ صفحة

أصدر الكاتب العراقى الاستاذ ذو النون أيوب تحت العنوان المتقدم مجموعة قصصية طريفة نحا فيها نحواً مستقلا يدل على اطلاع واسع فى شتى مناحى الفن القصصى

ويميل الاستاذ الى تسجيل صور مستمدة من حوادث الماضى، ويعتقد أن صور الماضى لا تقل أهمية عن صور الحاضر بل قد تفوقها معنى وتأثيراً لاتصالها الوثيق بالحاضر وقدرتها على توجيهه . فاذا كان الحاضر عظيما والماضى حقيراً كانت المفاضلة بين الاثنين أشد حافزاً على التحرر من الماضى والاقبال على الحاضر والا فالعكس بالعكس

فهذه النظرية هى التى أقام عليها المؤلف بنيان قصصه وأهمها « البك المثقف » و «الدرجات النهائية » و «السيد عبيد فى لهوه» و « قلب المعركة »

ويمتاز أسلوب المؤلف القصصى بالقدرة على ملاحظة الاخلاق والعادات الشائعة فى المجتمع العراقى والمنحدرة اليه من أصول ومخلفات الماضى

والحق أن الروح الفكاهية الناشئة عن نقد العادات والتقاليد القديمة تملأ تلك القصص الشائقة وتضفى عليها حلة فنية ساحرة وتذكرنا بطريقة الروائى الانجليزى تشارلز ديكنز ولاسيما فى قصته المشهورة (أوليفر تويست)

محاضرات دينية

للارشمندريت بولس الخورى

مطبعة كوى بالقاهرة فى ٣٢ صفحة

تحدث الأرشمندريت بولس الخورى فى هذه المحاضرات عن أهم الحوادث التى مرت بحياة المسيح عليه السلام واستخلص منها طائفة من الحكم والمواعظ والارشادات الخلقية ، ثم عقد فصلا عن فلسفة الدين دلل فيه على ان الدين والمدنية لا يختلفان وان الدين لا ينهض على الطقوس فقط بل على ضرب من الاتحاد الروحى بالله وعلى فكرة الحق وما تنطوى عليه من مبادىء عالية وأخلاق سامية يقر بها الكل ويسعى الجميع الى تحقيقها . وهذه هى غاية المدنية كما أنها غاية الدين

تاريخ الصيدلة

بقلم الصيدلي صابر جبره

طبع في مصر في ٨٠ صفحة

هذا الكتاب مجموعة محاضرات كان الصيدلي الكيميائي الأستاذ صابر جبره قد ألقاها في جمعية الصيدلة المصرية التي يشرف عليها عميد الأسرة الطبية في مصر الدكتور علي باشا ابراهيم

والحق أن الموضوع الذي طرقه المؤلف جديد ولم يسبق ان عرضه باحث مصري بمثل هذه الاحاطة . وقد تناول المؤلف الفاضل تاريخ الصيدلة والعصر الذي نشأت فيه وعلاقتها بالعقائد والفلسفة والسحر وأثرها في حياة قدماء المصريين والطرق التي كانت تمارس بها عند شعوب الشرق الاقصى وعند اليونان والرومان والعرب وفي القرون الوسطى حتى تطورت ونمت وازدهرت في العصر الحديث

وأبدع ما في هذا الكتاب باب الصيدلة عند الفراعنة ومنه نعلم ان كهنة مصر الاطباء كانوا يرسلون وصفاتهم الى الكهنة الصيادلة في معابد ايزيس . هؤلاء كانوا يقومون بتحضير الدواء لدرايتهم بالأرواح الشريرة التي كانت تسكن في عرفهم النباتات الطبية

وقد روى بلينوس أن المصريين ابتدعوا فن الشفاء واكتشفوا خواص العقاقير وقال هيرودوتوس ان المصريين كانوا يزاولون الطب والصيدلة بتعقل . وأكد العالم برنارد داوسن ان صيادلة مصر القديمة كانوا ماهرين في التعدين والصباغة والدباغة وصنع الزجاج والصابون والسبائك وان كلمة chemistry اشتقت من اسم مصر القديم وهو Khemi

هذه المعلومات وأضرابها يزخر بها كتاب الاستاذ صابر جبرة وهو كتاب لا يهم الاطلاع عليه أهل الصيدلة والطب وحدهم بل كل قارىء مثقف مستنير يرغب في الوقوف على تطور فرع خطير من فروع العلم العصري

آثار نينوى أو تاريخ تلكيف

للاستاذ يوسف هرمز جمو

مطبعة الامة ببغداد ١٢٠ صفحة

تلكيف هي مدينة صغيرة في شمال العراق يسكنها الآن نحو عشرة آلاف من النفوس . وهي البلدة الوحيدة الباقية من آثار نينوى العظيمة . وقد هجرها معظم سكانها وانتشروا في مدن العراق وغير العراق ولكنهم ما زالوا ينتسبون اليها

فتاريخ هذه البلدة هو الذي سجله المؤلف في كتابه الطريف وقد تحدث عن عادات وأخلاق سكان هذه المدينة وأزيائهم وألوان طعامهم وطرائق تفكيرهم وعاداتهم في الزواج والمآتم والملاهي، مما يدل على تحقيق علمي واسع تحرى فيه المؤلف دقة البحث معززة بأوفى المراجع والمستندات

ولم يهتم المؤلف بتاريخ هذه المدينة إلا لأن أكثر من هجرها من سكانها يقطنون اليوم في عاصمة العراق ويشغلون المناصب الكبيرة في الدولة . فكأنه بهذا الكتاب قد كشف عن جانب من تاريخ العناصر التي تتكون منها الدولة العراقية الحديثة

الأدب في شهر

آخر قصة لدانونزيو

كانت آخر قصة وضعها الشاعر الايطالي دانونزيو قبل وفاته هي (رماد) التي قال عنها إنها أبدع وأقوى ما كتب

وقد تراءى الى مجلة (العصر الجديد) الباريسية أن هذه القصة لا تمت على الاطلاق بأية صلة الى روح دانونزيو القديمة ونزعته الأدبية المعروفة القائمة على تمجيد الحب مقترنا بالبطولة

وتؤكد المجلة الباريسية أن القصة المشار اليها شرقية الوحي صوفية الفكرة تنهض على تمجيد الحب الروحاني وتشيد بمفاتن الزهد والتجرد من نعيم الدنيا في سبيل تحقيق مثل نفساني أعلى

ويظهر أن دانونزيو أدمن في أواخر أيامه مطالعة شعر الخيام وتأثر به فعاف ملذات المادة وانتهى الى ضرب من التقشف ساقته اليه فكرة الفناء والعدم

ومما يلفت الأنظار في قصته الأخيرة أن أسلوبها الادبي هادىء متزن رصين تشيع فيه نغمة شعرية ألمية محزنة تنم عن العبث بالحياة وازدرائها واحتقار أباطيلها والتطلع في حماسة وجدانية غريبة الى قوة غير منظورة والى نوع من الحب المطهر العلوي

أندريه جيد والزنوج

يعتبر الكاتب الفرنسي الكبير أندريه جيد من ألد أعداء الاستعمار ومن أكبر أنصار أولئك الزنوج المساكين الذين يقطنون في المستعمرات الاوربية ويحيون فيها حياة العمل والبؤس تحت سيادة الأجنبي

وكان جيد قد سافر فيما مضى الى الكونغو ودرس أحوال الزنوج هناك وحمل على الاستعمار الفرنسي في تلك المنطقة حملة شديدة

وفي الأنباء الأخيرة أنه قام برحلة طويلة في أفريقيا الوسطى ليدرس أساليب المدارس الانجليزية والفرنسية والبلجيكية الخاصة بتعليم الزنوج ، فاستطاع أن يجمع طائفة من المعلومات يقال انها ذات قيمة كبيرة في الدلالة على نفسية الزنجي وفي الاشارة الى خير الوسائل لرقيه وانهاضه واشعاره بما عليه في الحياة من واجبات وما له من حقوق

ومما يؤسف له ان اندريه جيد أصيب بمرض خبيث في أثناء رحلته فاضطر أن يسرع بالعودة الى فرنسا قبل أن يستوفي دراسته

وقد أعلن ناشر باريسي أنه سيصدر عما قريب كتاب جيد عن رحلته في افريقيا الوسطى

فن المجانين

يقول العلامة الايطالي لومبروزو في كتابه عن العبقرية والجنون إن بعض المجانين يبدعون ابداعا خارقا في ميادين الفنون كالرسم والنحت والموسيقى . وقد صدر كتاب للطبيب البرازيلي (اجيار ويتاكر) يعزز هذه الملاحظة ويدعمها بالبرهان

ويقول هـذا الطبيب وهو من مديرى مستشفى المجاذيب فى سان باولو إنه شاهد عجنونا مصابا بالصمم يرسم الشخوص والمناظر الطبيعية رسما دقيقا يفيض حركة وحياة ويعجز عن مثله أكبر الرسامين

ويزعم الطبيب أن وجه الطرافة فى رسوم ذلك المجنون هو أنها عميقة الصدق تعبر أتم تعبير عن أخلاقه وعاداته وأطوار جنونه كما تعبر فى نفس الوقت عن مميزات الشخص أو المنظر الذى يرسمه

وقد لاحظ الطبيب ان جمال تلك الرسوم كامن فى بساطتها وسذاجتها وبراءة الشعور الفطرى المتمثل فيها وعدم تأثرها بأحكام المنطق وقوانين العقل من تناسب وتوازن وانسجام

والذى يفهم من كتاب الطبيب أن العبقرية (الفنية) قريبة من الجنون لمحض اعتمادها على وحى الخيال والغريزة ونفورها من العقل ومنطقه الحسابى الجاف

حياة ميكل انجلو

يشتغل الكاتب الايطالى جيوفانى بابينى بوضع ترجمة جديدة لحياة المثال والشاعر العبقرى ميكل انجلو

وقد صرح بابينى فى حديث له أنه لن يعنى فى كتابه الجديد بتصوير ميكل انجلو كمثال بل بتصويره كرجل

ويزعم الكاتب الايطالى أن حياة ميكل انجلو لاتقل روعة وعظمة عن أعماله الفنية ، وأن تلك الحياة يسيطر عليها عاملان : التضحية فى سبيل الفن والتضحية فى سبيل حب نقى شريف خالص من كل شائبة

والواقع أن ميكل انجلو احتمل مختلف صنوف العذاب وذاق مرارة البؤس من أجل فنه ، واحتمل أيضا شر ضروب الحسرة والألم والذل لأنه كان دميا . وكان يحب سيدة نبيلة تدعى فيتوريا كولونا ، وكانت هذه السيدة تعطف عليه مع ولائها لزوجها ورغبتها الشديدة فى الاخلاص له حتى بعد أن توفى

فهذه المأساة ، مأساة الرجل الدميم الذى يحب امرأة مخلصة لذكرى زوجها ، والذى يشعر ويفهم أن هـذه المرأة لن تكون له ابداً ، والذى يرضى بحظه ويتسامى بحبه ويجرده من كل شهوة ، هذه المأساة هى التى يرغب جيوفانى بابينى فى تصويرها ليخلد ميكل انجلو الرجل كما خلد ميكل انجلو الفنان

الانسان والآلة

ظهر فى باريس هذه الأيام كتاب بالعنوان المتقدم أحدث ضجة كبيرة فى دوائر الأدب والاقتصاد . وقد وضع هذا الكتاب باحث اجتماعى ملحوظ المكانة يدعى جاك دوبوان

وأهمية الكتاب تنحصر فى الحل الذى اقترحه المؤلف لمشكلة الآلات ووجوب اخضاعها لسيطرة الانسان والانتفاع بها فى القضاء على العطل

ويرى المسيو جاك دوبوان أن خير اسلوب لمكافحة العطل هو العمل على استبدال الانسان بالآلة . وذلك بتشغيل جميع الآلات التى تملكها الأمة بدون توقف . ومتى تم هذا يصبح فى الامكان استخدام جميع العمال ثلث اليوم أو ربعه أو خمسه فقط

وهكذا تتهيأ أسباب العمل للكل بتخفيض ساعات العمل اعتمادا على ادارة جميع الآلات بدون توقف

وقد استرعى هذا الاقتراح اهتمام الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكى

نهضة الادب فى امريكا الجنوبية

فى امريكا الجنوبيــة حركة أدبية جديرة بالبحث والاهتمام لاتجاهها وجهة فنية خاصة وتحررها من مؤثرات الأدب الاوربى

وفى طليعة زعماء هــذه الحركة الكاتب (ارموليم) الذى يعتبر بحق مجدد الأدب فى امريكا الجنوبية

وقد أصدر هذا الأديب فى الشهر الماضى قصة سماها (تقدمة يونس ابرس) . وفى هذه القصة الغربية نلمح روحا جديدا يقترن فيه التفكير الفلسفى والنقد الاجتماعى والتخيل الشعرى والقدرة على التحاليل النفسية ، بالرغبة القوية فى تصوير خصائص عقلية سكان امريكا الجنوبية ورسم طبيعة بلادهم وأثر هذه الطبيعة فى تكوين أخلاقهم التى تختلف كل الاختلاف عن أخلاق وعادات أهل أوربا

وتمتاز تلك القصة فوق ماتقدم بأن أبطالها ينزعون فى الحياة نزعة مثالية محضة ويسمون الى تطبيق حياتهم اليومية على أمثلتهم العليا . فالشاعر منهم يأبى إلا أن يكون شاعراً فى الخيال وفى الواقع . وكذلك الأديب أو الفنان أو الفيلسوف يود أن تكون حياته الخاصة رجع صدى أفكاره ومبادئه كى يعيش صادق الفكر والاحســاس متزها عن النفاق متحرراً من أكاذيب المجتمع

الحكومة الفرنسية والثقافة

تجتاز فرنسا هذه الايام أزمة من أخطر أزمات الفكر . وتتجلى أعراض هذه الأزمة فى ضعف اقبال الجمهور على شراء الكتب القيمة وإحجام الناشرين عن طبع عدد وافر منها

وترجع أسباب الأزمة الى طغيان الصحف على الكتب ، والى اكتفاء جمهرة القراء بالمعلومات السطحية العامة التى ترد فى الصحف ، والى شيوع نزعة السرعة فى المطالعة والتفكير

وقد روعت المفكرين خطورة هذه الأزمة وخشى البعض على مستقبل الثقافة فى فرنسا وأوجسوا خيفة من انحطاط المستوى الفكرى فى البلاد . فقام نفر منهم على رأسه الكاتب المشهور جورج دوهاميل بدعاية واسعة النطاق لحمل الحكومة على التدخل فى الأمر وانقاذ الكتاب مستودع الفكر وواسطة الثقافة

ولقد أحدثت تلك الدعاية تأثيرها المنشود فاهتم وزير المعارف المسيو جان زاى بهــذه المشكلة ووضع مشروعا لتشجيع « الكتاب » وتشجيع الناشرين على القيام بطبع الكتب بتزويدهم باعانات مالية تعوض عليهم بعض نفقاتهم فى حالة الخسارة

واستطاع جورج دوهاميل فوق ماتقدم تأليف لجنة للدفاع عن الكتاب مؤلفة من كبار الادباء وبعض الشخصيات الحكومية البارزة . وستجعل هــذه اللجنة همها الطواف فى الاقاليم الفرنسية والقاء شتى المحاضرات عن الفارق بين مهمة الكتب ومهمة الصحف فى الحياة العصرية وأثر الكتاب في توجيه عقلية الفرد وفى مستقبل الامة ومصير الحضارة

احياء القرن الثامن عشر الفرنسى

في فرنسا اليوم نزعة انسانية ترمى الى العودة بالحياة الفرنسية الى مبادىء وآراء فلاسفة القرن الثامن عشر الذين تقدموا الثورة ومهدوا لها ونادى معظمهم بالحرية والاخاء والمساواة

وقد ساعدت الجبهة الشعبية الفرنسية في احياء تلك النزعة فظهرت عدة مؤلفات عن ديدرو وفولتير وروسو واضرابهم وشرعت المجلات والصحف تعيد النظر في أعمال هؤلاء المفكرين وتحللها وتنقدها في ضوء الحياة العصرية والمطالب الاجتماعية الجديدة

وقد ظفر ديدرو من اهتمام مواطنيه بأوفر قسط ، وأخرجت المطابع في الشهرين الماضيين خمسة مؤلفات تبحث في آرائه وفلسفته ، وبينها مؤلف لكاتب روسي الاصل حاول تفسير شخصية ديدرو بتطبيقها على المبادىء والتعاليم الماركسية

والظاهرة الملحوظة في فرنسا الآن أن الثقافة العامة تتجه صوب دراسة المفكرين والفلاسفة الذين نادوا بالديموقراطية وبحرية الفرد واستقلاله وحقه في نقد انظمة الدولة والاشراف على أعمال الحكومة . وهذا الاتجاه يعتبر بمثابة رد فعل لاتجاه الأمم الفاشستية التي تقول ثقافتها الجديدة بوجوب فناء حرية الفرد في الدولة واعتبار الدولة قوة مطلقة من حقها أن تطغى على الفرد وتستوعبه وتفنيه في ذاتها متى وجدت ان حريته تتعارض مع توسعها في العظمة والسلطان

جورج دوهاميل ينقد الحضارة

يمتاز جورج دوهاميل بقدرته على نقد الحضارة القائمة نقداً طريفاً لا يصدر عن ذهن رجعي ولايمكن لاعداء الحضارة من الحملة عليها. وقد أصدر كتابا بعنوان «على فراش الحضارة» عدد فيه مساوىء المدنية الصناعية الحديثة . فقال ان الاعلان يطغى اليوم على جودة الصناعة ومتانتها. فصاحب رأس المال مثلا أوصاحب المصنع ينفق على الاعلان عن منتجاته اضعاف ماينفق على صنعها . وأما المنتجات نفسها فسريعة العطب لا يكاد يقتنيها الفرد حتى يشعر بما فيها من ضعف الصناعة وفسادها،فلما يرغب في اصلاحها يضطر أن ينفق عليها ما يساوى نصف قيمتها الاصلية، وأخيراً يتبرم بها وترغمه ظروف الانتاج على شراء غيرها . فالصناعة الحديثة تخدع المشترى بزخرفها الظاهرى ، وهي في الواقع صناعة تمليها رغبة السرعة وتخضع لقانون السرعة ، ولذلك تفتقر الى عنصر الجمال وعنصر المتانة . ولايدعو جورج دوهاميل الى محاربة الحضارة القائمة بل الى مراقبة الانتاج وتجويده واشاعة عنصر الجمال والمتانة فيه . ويقترح أن تنشأ في فرنسا وزارة يطلق عليها اسم (وزارة الحضارة) تتعهد الانتاج بعنايتها وتصدر المنتجات الجميلة المتينة وتكافئها وتغلب في الحياة الاقتصادية سلطة أرباب المهن على سلطة النقابات التي كثيرا ماتتحكم في صناعة تجهلها وكثيراً ما تفرض على اصحاب المصانع قبول عمال لا يحسنون من الناحية الفنية تأدية الوظائف التي يكلفون القيام بها

غاية العبقرى

تناول هذا الموضوع الكاتب المجرى فرانك رالف وبحثه في رسالة أخيرة له واستخلص منه أن العبقرى هو أبعد الناس عن النفعية وأنه يفكر وينتج ويضحى لا للشهرة ولا للمجد بل لأنه مجبر بطبيعة تكوينه على التفكير والانتاج والتضحية

وهذا ما لا يفهمه الناس وما قد لا يفهمه العبقرى نفسه في بعض الأحيان

بين الهلال وقرائه

قيمة النقود

(القاهرة ـ مصر) محمود ياسين

هل اذا كثرت النقود فى بلدنا ارتفعت الأثمان ؟

(الهلال) نعم . من المبادىء المقررة فى علم الاقتصاد أن كمية النقود المتداولة فى بلد ما تؤثر فى قيمتها تأثيراً عكسياً ، مما يؤدى الى تغير مستوى الأثمان وفق هذا . فاذا تضاعفت كمية النقود ، هبطت قيمتها الى نصف ما كانت عليه ، أى ارتفعت الأثمان الى ضعفها ، وبالعكس اذا نقصت كمية النقود بمقدار النصف تضاعفت قيمتها ، أى هبطت الأثمان الى النصف

ومما يدل على ذلك أنه فى خلال القرن السادس عشر كثرت كمية الذهب والفضة فى أوربا على أثر اكتشاف أمريكا والعثور على مناجمها ، فارتفعت الأثمان على أثر ذلك ارتفاعا كبيراً لم يستطع الناس حينذاك تعليله أو علاجه . وفى منتصف القرن التاسع عشر اكتشفت مناجم كليفورنيا واستراليا فأدى هذا الى ارتفاع عام فى الأثمان استمر الى أن قل انتاج الذهب فهبطت الأثمان ثوا

بل انه إذا زادت كمية النقود الورقية قلت قيمتها . ففى البلاد التى التجأت الى اصدار كميات كبيرة من النقود الورقية فى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ارتفعت فيها الأثمان ارتفاعا مطرداً مع كمية هذه الأوراق . وحدث هذا كذلك عقب الحرب الكبرى فارتفعت الأثمان فى المانيا والنمسا والروسيا ارتفاعا لا مثيل له فى التاريخ بسبب اصدار كميات هائلة من النقود الورقية

قصور العقيق

(قنا ـ مصر) السيد احمد هاشم

ما هى قصور العقيق التى شيدت بالمدينة المنورة ؟ وهل بقى من آثارها شىء يرى اليوم ؟

(الهلال) العقيق واد خصيب يمتد غرب المدينة ، تتفجر فيه عيون الماء وتجرى جداوله وقنواته ، فكان فيما مضى مرتع الاثرياء حيث أقاموا القصور ، وعرفوا فيها الترف والنعيم

وقد كان هـذا الوادى خلواً من البناء حين قدم المدينة رسول الله ، فأقطعه بلالا بن الحارث المزنى . ولـكن هذا لم يزرعه ولم يصلحه ، فنزعه منه عمر ابن الخطاب وأقطعه للناس ، فتنافسوا فى غرسه حتى صار روضة حافلة بالثمار والرياحين

ولما أثرى المسلمون فى عصر الدولة الاموية ، وتدفقت عليهم الغنائم والاسلاب العظيمة ، أقاموا البيوت والقصور الباذخة ، وكان وادى العقيق مقر الاثرياء والمترفين . وأبدع القصور التى شيدت به قصر « سعيد بن العاص » امير المدينة فى عهد معاوية وكان مبنياً من الحجارة المطلية بالجص من الداخل والخارج وما زالت آثاره باقية حتى اليوم . وكان محاطا برياض وجنات فيحاء ، استمتع فيها سعيد بشتى متع الحياة . ومن أشهر قصور وادى العقيق قصر « سكينة بنت الحسين » وقصر « عروة بن الزبير » وقصر « مروان ابن الحكم » ، ولـكن لم يبق منهـا سوى احجار متهدمة

وقد تغنى الشعراء كثيراً بجمال قصور العقيق ، وقص الرواة كثيراً من أنباء ماجرى فيها من أسباب الرفه والنعيم

القافية فى الشعر العربى

(دمشق ـ سوريا) شاعر ناشىء

هل يمكن أن يرقى الشعر العربى الى الدرجة التى بلغها الشعر الغربى ، ما ظل مقيداً بأغلال القافية التى ابتكرت والتزمت فى عصور وجد أهلها فراغا من الوقت للزخرفة التافهة والتأنق الزائف ؟

(الهلال) لعل شعر الغناء فى العربية أجمل منه

في أية لغة أخرى ، اذ تضيف اليه القافية كثيراً من رقة الجرس واتساق الموسيقى . والشعر الغربي يلتزم القافية في أبياته المتوالية الى حد ما ، ويعيب نقاده الشعر المرسل Blank Verse ولا يضيفونه الى الشعر الراقي . فالقافية على هذا من أسباب جمال الشعر العربي ورقته ، وهي ليست عسيرة الأداء على الشاعر المطبوع ، اذ تكاد تكون اللغة العربية أغنى اللغات جميعا بالمفردات

على أنه لا ينكر أن القافية قد أدت الى ضيق مجال الشعر العربي عن كثير من ضروب الشعر . فلم يعرف « الملاحم » مثلا اذ يستحيل على الشاعر أن ينظم الآلاف المؤلفة من الابيات على قافية واحدة . ولم يعرف الشعر التمثيلي الا في عصرنا هذا حينما خرج « شوقي» على قيود القافية . وقد كانت القوافي عقبة في سبيل شعراء العربية القدماء والمحدثين ، فثار كثير منهم عليها يريدون حطمها ، ولكن لم يوفق أحد منهم الى اظهار شعر مرسل قوي يغنينا عن الشعر المقفى

والافضل ان تلتزم القافية في شعر الغناء وحده ، وترسل ماعداه من ضروب الشعر من أغلال القافية ، ولا سيما وقد عرف العرب قديما « الشعر المرسل » وجاءوا منه بقصائد بديعة مختلفة القوافي وان كانت قريبة مخارج الروي . وليست الموشحات التي ابتكرها أهل الاندلس الا ثورة على القافية يراد بها افساح المجال لخيال الشاعر الطليق

زواج المريض

(نابلس — فلسطين) سائل

هل ينبغي منع المرضى من الزواج ؟ وهل ترون ضرورة الطلاق اذا ما أصيب أحد الزوجين بمرض عضال ؟

(الهلال) ينبغي منع الرجل من الزواج اذا كان مصابا بمرض معد او وراثي . فما يصح أن يبيح القانون أو العرف زواج رجل مصاب بالزهري أو السل أو الصرع ، الا إذا جاز له أن يبيح للمجرم أن يزهق أرواح الابرياء . والفرق بين الزوج المريض والمجرم القاتل أن هذا يقتل عدوه على عجل فلا يدعه يتألم ويعذب ، وذلك يقتل أقرب الناس اليه — أي زوجته وأولاده — بعد ان يذيقهم النكال طويلا

أما إذا أصيب أحد الزوجين بمرض عضال ، فنرى من واجب الرعاية لحقوق الزوجية ، أن يبقيا على ما بينهما من صلات ، على أن يتقي السليم منهما عدوى المريض على قدر استطاعته ، كما يتقي الأب أو الأم العدوى من الابن اذا مرض

واذا كان المرض وراثيا — كالصرع مثلا — فمن واجبهما أن يلجأا الى الطبيب ليمنع تناسلهما . ريثما يبرئهما من هذا المرض . فما يليق أن تكون غاية الانسان من الزواج أن يخلف نسلا يعذبه المرض ويشقيه الألم

العمى الوراثي

(القاهرة — مصر) ا . ح .

أعرف عائلة ريفية يصاب أكثر أطفالها بالعمى فهل العمى مرض معد أم وراثي ؟

(الهلال) بعض أمراض العين سريعة العدوى ، ومنها الرمد الحبيبي والرمد الصديدي ، وهما كثيرا الانتشار في بلادنا . ويجب أن يعزل المريض بأحدهما بعيدا ، وألا يسمح للسليم بان ينام معه في فراش واحد أو يستعمل أدواته وملابسه

وهناك نوع من العمى وراثي ، ويصاب به الاطفال عادة في سن الثانية والثالثة . وقد يمكن وقاية الاطفال منه اذا اهتم آباؤهم بالعناية بأعينهم وعرضهم على طبيب العيون كثيراً . على أن بعض الاطباء يرى وجوب تعقيم المصابين بالعمى الوراثي لئلا يتناسلوا . وقد نقصت نسبة العمى الوراثي كثيراً بفضل الجهود العلمية الموفقة فصارت الآن تلث ما كانت عليه في أوائل هذا القرن

لغة المستقبل

(الخرطوم — السودان) أحمد بدوي

أريد أن اتعلم لغة أجنبية ينتظر أن تكون أكثر اللغات انتشارا في المستقبل ، فهل أتعلم الانجليزية أم الفرنسية أم الاسبرانتو ؟

(الهلال) نعتقد ان لغة الاسبرانتو لن تنتشر

كثيراً ، ولن تكون يوما ما لغة السياسة أو الثقافة العامة . فهى لغة صناعية لا ترتكز على ماض من الآثار الفكرية ، كما أنها ــ رغم ما أضيف اليها أخيراً من تحسينات جمة ــ لغة جافة ثقيلة لا تنتج أثراً فنياً جيلا

واذا قدر للعالم أن يتكلم يوما ما لغة واحدة ، فمن الارجح أن تكون الانجليزية : أولا لأنها اكثر اللغات الحية انتشاراً ، واغلب المتكلمين بها من أرقى الشعوب وأنواعها ، وثانياً لأن علماء اللغات يرونها من أصلح اللغات للأداء الفنى الدقيق ، ومن أغناها بالمفردات والمصطلحات والمشتقات ، ومن اكثر اللغات اتصالا بغيرها من لغات اوربا

وقد انتشرت الانجليزية فى العصر الحديث انتشاراً كبيراً جدا ، فهى اللغة السائدة فى امريكا الشمالية كلها ومنطقة أمريكا الجنوبية ، وقد امتدت وتمكنت فى استراليا وافريقيا الجنوبيــة وفى اكثر مستعمرات بريطانيا وممتلكاتها . ولا نكاد نجد فى اليابان صبياً لا يعرف الانكليزية

ولا ننسى ان معظم الافلام السينمائيــة ــ وهى الفن الديموقراطى الذى يعشقه العالم جميعه ــ تتخذ اللغة الانجليزية ، مما ينبىء بتغلبها على سائر اللغات

دولة الاختراعات

(بغداد ــ العراق) ح . س

ما هى أولى الدول فى عالم العلم والاختراع ؟

(الهلال) اذا نظرنا الى كمية المخترعات ، نجد أن الولايات المتحدة الامريكية هى أولى الدول ، إذ أن عدد المخترعات المسجلة فيها أوفر منها فى أية دولة أخرى

ولكن هــذه الاسبقية تتغير اذا نظرنا الى قيمة المخترعات . فقد نجد جهازاً واحداً أفضل واجدى من مئات الاجهزة . وما من شك فى أن القطار والتلفون والتلغراف والراديو أهم كثيراً من هــذه المفاتيح والازرار الصغيرة التى تحفل بهــا سجلات المخترعات فى امريكا ، وعلى هذا نستطيع ان نضع انجلترا والمانيا وفرنسا وايطاليا فى صف الولايات المتحدة ، أو فى مقدمتها ، من حيث قيمة المخترعات واهميتها

على أنه يلاحظ أن بعض الدول تمتاز بقدرتها على ابتكار النظريات العلمية المجردة ، بينما تمتاز دول أخرى بقدرتها على تطبيق هــذه النظريات واقامة مخترعات على أساسها . وأوضح مثال لهذا القبيل من الدول العملية هى امريكا ، فان اعظم مخترعيها على الاطلاق «اديسون» لم يضع أية نظرية علمية ولكنه أظهر مئات من مختلف الاختراعات النافعــة . أما «اينشتين» مثلا فقد وضع نظريته «النسبية» التى يحار فى فهمها كبار علماء الرياضة والفلك ، ومع هــذا لم يخرج جهازاً واحداً . وعلى ذلك فهناك دول تتفوق فى التفكير العلمى أى وضع النظريات ، ودول تتفوق فى التطبيق العلمى أى اخراج المخترعات

الاسماء عند المتوحشين

(بغداد ــ العراق) ومنه

متى عرف الانسان « الاسماء والالقاب » ، وهل هى معروفة الآن عند القبائل البدائية المتوحشة ؟

(الهلال) من المرجح أن الانسان لم يعرف الاسماء الا بعد ان ترك طور الهمجية وبدأ دور التمدين ، أما فى حالته البدائيــة فكان شأنه شأن الحيوان يميز الناس بعضا من بعض بهيئاتهم لا باسمائهم

وكانت الاسماء فى أول الأمر تشتق من صفات المسمى ومكانته . فزعيم القبيلة يسمى « الزعيم » ، وابن عمه يسمى « ابن عم الزعيم » وأحد أقاربه الطوال يسمى « الرجل الطويل قريب الزعيم » . . . وهكذا

على أن بعض القبائل الهمجية ما زالت تمتنع عن التسمية ، على زعم أن الارواح الشريرة تستدل على الناس باسمائهم ، فتؤذيهم أو تهلكهم . فهم يتجنبون هذا إما بعدم التسمية بتاتاً ، وإما باطلاق أسماء تدل على صفات ذميمة لا تغرى الروح الشرير بالانتقام ، فتسمى الام طفلها « الجبان » أو « القذر » . . الخ وموضوع الاسماء فى الشعوب البدائية موضوع طريف متشعب طرقه كثير من العلماء فى مقدمتهم « فريزر » مؤلف الكتاب العظيم « الغصن الذهبى »

وكلاء الهلال

فى الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
فى اللاذقية	سوريا	الخواجه نخله سكاف
فى انطاكية	سوريا	انيس افندى انطونيوس لادقانى
فى اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قمرى
فى طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندى حسنى ـ غرفة القراءة الامريكية
فى حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
فى الناصرة	فلسطين	موسى افندى خميس
فى بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندى طباره ٩ شارع اياس بيروت
فى دمياط		زكريا افندى الحزاوى، ناظر مدرسة الحزاوى
فى حلب	سوريا	عبد الودود افندى الكيالى صاحب المكتبة العصرية
فى مكة وجدة والحجاز		هاشم افندى على النحاس ص . ب ٩٧ مكة
فى الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
فى جاوه		Mr. Abdullah Bin Affif—Cheribon Java
فى القاهرة وضواحيها		عوض افندى فهمى

الهلال

يونيه ١٩٣٨



أبو العلاء المعري

عدد خاص



أبو العلاء المعرى

[فى خيال الرسام

تمهيد

يغتبط « الهلال » إذ يخرج هذا الجزء الخاص للاشادة بذكرى فحل من فحول الأدب العربى وقطب من أقطاب التفكير فى العالم

ولاغتباطه هذا أسباب نجملها فيما يلى :

أولا ـ ان فى إصدار هذا الجزء مساهمة فى إحياء مفاخر العرب الذهنية . وجدير بنا نحن الناطقين بالضاد على اختلاف مواطننا أن نحدث العالم مثل هذا الحديث بين حين وآخر ، ففيه رفع لمكانتنا وتذكير بنصيبنا من الرقى الفكرى والثقافة الانسانية

ثانياً ـ انه تكريم للفكر والتفكير وتمجيد للنزعة الشعرية ـ فى زمن شغل الناس فيه عن المعنويات بمهام العيش ونزاع البقاء . « فالهلال » يغتبط إذ يذكر بالأقدار الرفيعة والقيم الذهنية ، وإذ ينادى بتفويق النشاط العقلى على المشاغل الوضيعة التى يستوى فيها البشر على تفاوت مراتبهم

ثالثاً ـ جاء هذا الجزء من « الهلال » كالمؤتمر للتفكير العربى . فقد اجتمع على صفحاته المفكرون من أبناء البلاد العربية على اختلاف منازعهم ـ وما أحوجنا الى تقريب المسافات بيننا وتلاقى العقول والقلوب !

* * *

وفى اعتقادنا ان « الهلال » يحسن أداء رسالته بمثل هذه الجهود ، ففى حين لا نغفل عن « أن مصر جزء من أوربا » يجب كذلك ألا يفوتنا أننا قد استودعنا ميراثاً أدبياً حقيقاً بأن تفاخر به الأمم وأن يحثنا هذا الميراث على السير فى الطريق الموصل الى أسمى مراتب الحياة وأرفع درجات الرقي

* * *

وبعد « فالهلال » يتقدم بهذا الجزء الى قرائه الكرام واعداً بمواصلة سعيه من هذه الجهة ، باصدار أجزاء خاصة كهذا الجزء حيناً بعد حين ، شاكراً للزملاء الأفاضل والاصدقاء الكرام معاونتهم فى إخراج هذا السفر الأدبى القيم ـ وفقنا الله جميعاً الى ما فيه صلاح العقول والنفوس ، والسلام

اميل زيدان

تحيـــــة

بقلم صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف العمومية

تفضل حضرة صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا بافتتاح هذا السفر الممتاز بهذه الكلمة الرقيقة البليغة ، فنشكر لمعالى الوزير تحية الكريمة لجهود « الهلال » ، ورعايته المحمودة للحركة الثقافية

عزيزى محرر « الهلال »

أشاركم مشاركة صادقة فى الاحتفاء بذكرى المعرى لمرور ألف عام على ميلاده . واذا كنتم قد تعجلتم هذا الاحتفاء بضع سنوات — لأن المعرى قد ولد سنة ٣٦٣ هـ — فلا ضير من ذلك ونحن فى القرن العاشر بعد ذلك الميلاد . . .

وانما يدعونى الى مشاركتكم فى الاحتفاء بهذه الذكرى العظيمة ما لها من معنى سام ومغزى كبير . فالاحتفاء بذكرى العظماء إنما هو احتفاء بالمجهود الانسانى الكبير الذى قاموا به وخلفوا للانسانيـــة ثمراته . ونحن إذ نحتفى بذكرى هؤلاء العظماء إنما نؤدى لهم واجب الشكر على ما نمتع به أنفسنا من هـــذه الثمرات ، كما يشكر أحدنا صاحبه حين يقوم له بعمل نافع . . .

والمعرى جدير بالاحتفاء بذكراه فى كل مناسبة . فهذا الرجل الذى عاش فى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، والذى كف بصره من جدرى أصابه فى الثالثة من عمره ، قد توفر على تمثل المعارف الاجنبية — اغريقية كانت أم فارسية — مما نقله العرب فى تلك العصور ، ثم صاغها شعراً عربياً ، وأدخلها فى حياة

قومه ، فأصبحت اليوم بعض ميزاتهم ، و بعض ما يفاخر به الناطقون بالعربية غيرهم من الامم

وقد نقل المعرى الشعر العربى فى عصره نقلة واسعة المدى : حمل الشعر من المعانى الفلسفية العميقة ومن الآراء النظرية المتباينة ، ما لم يسبقه اليه غيره من شعراء العرب إلا لماما . وقد اتهم لذلك بالزندقة آنا ، وبالالحاد آخر ، على حين اعتبره قوم على رأس أشد المؤمنين غلوا فى إيمانهم . ولا عجب فى هذا ولا فى ذاك . فتقليب الافكار وعرضها على الناس ، مطبوعة بطابع من يعرضها ،منكرة فى كثير من الأحايين ما وجد الناس عليه آباءهم ، قد كان فى عصور كثيرة وفى بلاد مختلفة ، موضع الريبة والظن ، بل موضع الاتهام والتجنى . ذلك أمر لم تنفرد به البلاد العربية ولا البلاد الاسلامية ، بل جرى حكمه على الامم كلها فى الأزمان المختلفة ، وكان فى بعض الامم سبباً فى تعديل أصحاب الرأى لرأيهم ، مما نجا منه العرب والمسلمون فلم يتورطوا فيه كما تورط أهل أوربا فى القرون الوسطى

ولقد كان بودى أن أزيد فى مشاركتكم الاحتفاء بذكرى أبى العلاء على هذه الكلمة القصيرة ، لكنكم تعلمون أن التوفر على الدرس يقتضى من الطمأنينة ما ليس فيما يتيحه القدر لى فى هذا الظرف من حياتى . فأعتذر لكم ، واثقا من أن هذا العدد من « الهلال » سيتناول من البحوث ما يغنى قراءه خير غناء . .

ولكم منى أصدق التحية

محمد حسين هيكل

أبو العلاء المعرى

سطور من تاريخ حياته

* هو احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى ، فهو عربي النسب من قبيلة تنوخ احدى قبائل اليمن

* ولد فى معرة النعمان ، بين حماة وحلب ، فى يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الاول سنه ثلاث وستين وثلثمائة للهجرة (٩٧٣ م .) . وكان أبوه عالما بارزاً ، وجده قاضيا معروفا

* جدر فى الرابعة من عمره ، فكفت عينه اليسرى وابيضت اليمنى ، وظل ضريراً لا يرى من الألوان الا الحمرة ، اذ كان آخر لون رآه لون ثوبه المعصفر الذى لبسه وهو مريض

* تلقى على أبيه مبادىء علوم اللسان العربى ، ثم تتلمذ على بعض علماء بلدته . وكان حاد الذكاء قوى الذاكرة فيحفظ كل ما يسمع من مرة واحدة

* ثم اعتكف فى بيته حتى بلغ سن العشرين ، مكبا على درس اللغة والادب ، حتى أدرك من دقائق التعبير وخواص التركيب ما لا مطمع بعده للغوى أو أديب . وقد بدأ يقرض الشعر وما زال فى سن الحادية عشرة

* وفى سنة ٣٩٢ هـ . غادر قريته قاصداً بلاد الشام . فزار مكتبة طرابلس التى كانت فى حوزة آل عامر ، وانقطع اليها فترة طويلة فانتفع بما فيها من أسفار جمة

* ثم زار اللاذقية وعاج على دير بها ، وأقام فترة بين رهبانه فدرس عليهم أصول المسيحية واليهودية ، وناقشهم في شتى شئون الاديان ، وبدأ حينئذ شكه وزيغه فى الدين

* وقصد بعد ذلك بغداد ، وهى مستقر العلم ومثابة العلماء فاحتفى به البغداديون وأقبلوا عليه . فأقام بينهم فترة طويلة يدرس مع علمائهم الاحرار الفلسفة اليونانية والحكمة الهندية ، ويعرض آراءه وبديع مبادئه على جمع من التلاميذ لازموه وتشيعوا له

• وكان قد فقد أبيه فى سن الرابعة عشرة ، فلما فقد أمه كذلك وهو فى بغداد وجد عليها وجداً مبرحا ، وأحس الخطوب الداهمة تترى عليه بغير ذنب جناه ، فبدأ ينظر الى العالم نظرة السخط والمقت والازدراء ، ورأى من الخير أن يعتزله ويزهد فيه

• فعاد الى بلدته سنة ٤٠٠ ، واحتجز نفسه فى كسر داره ، وسمى نفسه رهين المحبسين: العمى والتزل

• وظل معتقلا عن الناس ما عدا تلاميذه ، دائبا على البحث والتعليم والكتابة . فأخرج مجموعة ضخمة من التواليف ذهبت بأكثرها ريح الحروب الصليبية

• وأشهر كتبه : (١) ديوان سقط الزند ويضم شعر شبابه (٢) ديوان اللزوميات ويضم شعر كهولته (٣) رسالة الغفران وهى قصة خيالية فريدة فى الادب العربى (٤) ديوان رسائله ورسالة الملائكة والدرعيات (٥) كتاب الفصول والغايات . وقد فقد كتاب « الأيك والغصون » وهو موسوعة فى العلم والأدب تتألف من مائة مجلد ، شرح ديوان المتنبى « معجز احمد » ، وشرح ديوان البحترى «عبث الوليد» ، وشرح ديوان أبى تمام « ذكرى حبيب »

• كان زاهداً فى ملذات الحياة ، فظل ٤٥ سنة لا يأكل الحيوان ولا ما ينتج من لبن وبيض ، قانعا من الطعام بالعدس ومن الحلوى بالتين ، ومن المال بثلاثين ديناراً فى العام يستغلها من عقار له

• كان متوهج الذكاء مرهف الذاكرة ، وكان كريم الخلق رقيق القلب ، ولكنه كان يسىء الظن بالناس ويحذرهم ، ويمقت الدنيا ولا يرى فيها إلا الشرور والآثام

• أما عقيدته فقد اختلف فيها الناس فمنهم من زعم انه متصوف ، لكلامه باطن وظاهر ، ومنهم من زعم انه كافر ملحد ، والغالب انه كان متشككا متحيراً فى شعره ما يدل على الايمان وما يدل على الكفر

• وقد أبى أن يتزوج لئلا يجنى على ابنه ما جناه عليه أبوه . ولما مات سنة ٤٤٩ وقف على قبره مائة وثمانون شاعرا فيهم الفقهاء والمحدثون والمتصوفون ، وقد أوصى أن يكتب على قبره :

هـذا جناه أبى على   وما جنيت على أحد

المعرّى: أشاعر أم فيلسوف

بقلم الدكتور طه حسين بك
عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية

> « . . . أبو العلاء شاعر فى فلسفته وفيلسوف فى شعره . قد جمل الفلسفة بما أسبغ عليها من الفن ، ومنح الشعر وقاراً ورزانة بما أشاع فيه من الفلسفة . وهو من هذه الناحية فذ فى أدبنا العربى . . . »

سؤال كان يلقيه على أحد الأصدقاء ذات يوم كنا نتحدث فيه عن هذا الجزء الذى تخصصه « الهلال » لأبى العلاء وعن بعض ما سينشر فيه من الفصول

وكان صديق يريدنى على ان أجعل هذا السؤال موضوعا للفصل الذى سأرسله الى الهلال لأشترك فى هذه التحية التى يهديها الأدباء الى نابغة الأدب العربى . وقد ألقيت هذا السؤال على نفسى منذ أكثر من عشرين سنة ، وأجبت عليه بأن أبا العلاء شاعر وفيلسوف معا ، وبأنه أكثر من الشاعر والفيلسوف ، فهو كاتب ، وهو أديب ، وهو عالم باللغة على أدق ما كان العرب يفهمون هذه الالفاظ فى عصره

وقد مرت الأعوام واختلفت الظروف وعرفت أشياء كنت أجهلها ، وجهلت فى أكبر الظن أشياء كنت أعرفها ، ولكن رأيى لم يتغير فى أبى العلاء ، فما زلت أراه شاعراً وفيلسوفا وكاتبا وأديبا وعالما باللغة أيضا . ولعل رأيى فيه قد ازداد قوة ، ولعل اقتناعى باضافة هذه الخصال اليه لم يكن فى يوم من الأيام أقوى مما هو الآن ، كما يقول المتجادلون فى السياسة عندنا بين حين وحين

ومن الحق أن أحداً من الناس لم يجادلنى فى ان أبا العلاء شاعر أو كاتب أو أديب أو عالم باللغة ، ولكن من الناس من جادلنى فى ان أبا العلاء فيلسوف ، ولعل اشدهم لى مجادلة فى ذلك الأستاذ نيكولسن المستشرق الانجليزى المعروف . فهو لا يرى فى حكمة أبى العلاء التى تمتلىء بها اللزوميات والتى تشيع فى غير اللزوميات من كتبه مظهراً من مظاهر الفلسفة كما يفهمها أهل هذا العصر الحديث ، وانما يراها حكمة عادية تقوم على التأمل والتفكير

وأخص ما يحول عنده بين أبى العلاء وبين لقب الفيلسوف انه لم يقم لنفسه مذهبا فلسفيا واضح

الاعلام متميز النواحى متصل الاجزاء ، نستطيع أن نبينه ونرسم حدوده كما نبين المذاهب الفلسفية ونرسم حدودها حين نتحدث عن افلاطون أو ارسطاليس أو أى فيلسوف من فلاسفة العصر الحديث

فالاستاذ نيكولسن يرى إذن من الاسراف وصف أبى العلاء بأنه فيلسوف ، ووصف اللزوميات بأنه كتاب من كتب الفلسفة . ومع ذلك فأبو العلاء فيلسوف وكتاب اللزوميات كتاب فلسفى ما اشك فى ذلك ولا اتردد فى اعلانه والجدال عنه ، وكل ماق الأمر اننا محتاجون الى أن نتفق على معنى الفيلسوف وعلى معنى الفلسفة حين نضيف اليها كتابا كاللزوميات . وقد أذكر انى حددت منذ أكثر من عشرين سنة هذين المعنيين حين أضفتهما الى حكيم المعرة وفهمتهما على نحو ما كان يفهمهما القدماء من اليونان والعرب . فالفيلسوف عندى هو الرجل الذى يبحث عن الحق ما استطاع ، فاذا استكشفه أو استكشف ما يعتقد انه الحق ، لاءم بين عله وعمله ورتب حياته اليومية على ما يهديه اليه عقله من حقائق الأشياء وأصول الاخلاق . وفهمت من الفلسفة ما كان يفهمه منها قدماء اليونان والعرب أيضا ورتبتها على نحو ما كانوا يرتبونها ، فقسمتها الى فلسفة طبيعية وفلسفة رياضية وفلسفة الاهية وفلسفة عملية . ثم رأيت ان أبا العلاء قد كان فيلسوفا بهذا المعنى الذى كان به فلاسفة اليونان والعرب فلاسفة ، وان كتاب اللزوميات قد كان فلسفيا بنفس المعنى التى كانت به الكتب المختلفة التى وضعها الفلاسفة كتبا فلسفية . ولكنه كان يزيد عليه شيئا يرفع من مرتبته ويعلى من منزلته ويجعله ممتازاً بين كتب الفلسفة بنفس هذه الخصلة التى امتازت بها قصيدة لوكريس فى طبيعة الاشياء ، وهى الميزة الفنية العليا ــ ميزة الشعر

أما ان أبا العلاء كان فيلسوفا بهذا المعنى القديم فما أحسب ان احداً يستطيع أن ينكر ذلك أو يجادل فيه ، فقد أفنى ابو العلاء عمره بحثا عن الحق ، ولعله بذل فى ذلك من الجهد الشخصى الممتاز ما لم يبذله كثير من الفلاسفة الذين لا يجادل أحد فى اضافة الفلسفة اليهم . ذلك ان أبا العلاء لم يكن فيلسوفا مقلداً ، أو قل ــ اذا أردت الدقة فى التعبير ــ انه لم يكن منتميا الى مذهب بعينه من مذاهب الفلاسفة يؤمن بأصوله المقررة ويضيف اليه ما يستكشفه بعد البحث والاجتهاد ، وانما كان مفكراً بأوسع معنى لهذه الكلمة ، يتعمق التفكير فى كل ما يعرض له من المسائل ، وكان مستعرضا لكل المذاهب الفلسفية التى عرفها المسلمون فى عصره يلم بها جميعا فيأخذ منها ويدعها ، ثم يدع ما أخذ ويأخذ ما ترك ، حتى كانت حياته كلها ــ ولا سيما بعد العزلة ــ تفكيراً متصلا وتنقداً مستمراً وتنقلا بين الآراء والمذاهب الفلسفية واستكشافا لأشياء لعل القدماء لم يسبقوه اليها . فانت لا تستطيع أن تقول إنه كان افلاطونيا ، أو انه كان من أصحاب ارسطاليس ، أو انه كان من أصحاب الرواق ، أو انه كان من أصحاب ابيقور ، ولكنك تستطيع أن تقول انه كان من هؤلاء جميعا ، يأخذ من كل فريق منهم ما يرضيه وما يلائمه فى اللحظة التى يفكر فيها . بل أنت لا

تستطيع ان تقول انه كان فيلسوفا على الطراز اليونانى ، أو على الطراز الاسلامى اليونانى ، ولا أن تقول انه كان فيلسوفا على الطراز الهندى ، أو على الطراز الفارسي ، ولكنه كان فيلسوفا على طراز هذه الامم جميعا . يأخذ من فلاسفة اليونان ومن فلاسفة المسلمين ومن حكماء الفرس والهند ، ثم لايكفيه ذلك فيشارك فى فقه الفقهاء وحديث المحدثين وكلام المتكلمين وتصوف المتصوفة وتشيع الشيعة ، ثم لا يكفيه هذا كله بل يشارك فى علوم اللغة ويقرب هذه العلوم الى الفلسفة ويخضعها للفلسفة ، ويستخرج منها نظاما فلسفيا طريفا ما زال فى حاجة الى من يفرغ له ويوفيه حقه من البحث والدرس

لم يكن ابو العلاء إذن فيلسوفا متبعا أو مقلداً ، أو مقصوراً على مذهب من المذاهب أو فرقة من الفرق ، وانما كان متخيراً : كان أشبه بالنحلة التى تتنقل بين الازهر لا فى هذه الروضة أو تلك ، بل فى كل ما يمكن أن تلم به من الرياض ، فتأخذ من كل زهرة تقف عندها ، ومن كل روضة تلم بها ، وتسيغ هذا كله وتستخلص منه هذه الفلسفة الغريبة المختلفة المتناقضة التى تمتلىء بها اللزوميات والتى تنتثر وتنتظم فيما ألف من الكتب المختلفة

كان الرجل جاهداً فى التماس الحق والبحث عنه ، وكان صادق الجهد خالص النية فى هذا البحث ، وكان ملائما بين ما يستكشف من الحق وما يأخذ نفسه به من قوانين الحياة اليومية . وأغرب ما نجده عند أبى العلاء هو أنه على كثرة تنقله بين مذاهب الفلسفة التى عرفتها الأمم المتحضرة كلها ، وعلى كثرة ما نجد فى آرائه من التناقض والأضطراب ، قد رسم لنفسه خطة عملية لم تتغير ، وفرض على نفسه سيرة لم ينلها الاضطراب ، وانما لزمها منذ عاد من بغداد الى أن فارق الدنيا ، لم ينحرف عنها يوما أو بعض يوم . فقد اضطربت حياته العقلية أشد الاضطراب ، وهدأت حياته العملية أشد الهدوء ، وكان هذا التناقض بين الحياة العملية الهادئة الراكدة والحياة العقلية الثائرة الجامحة ، مظهر شذوذ أبى العلاء ، ثم مظهر نبوغه وتفوقه وامتيازه على كل من أنتجت الحياة العقلية الاسلامية من الفلاسفة والشعراء . ذلك أنه لم يكن فيلسوفا فحسب ، ولو كان شاعراً ليس غير لاضطربت حياته العملية كما اضطربت حياته العقلية ولكنه جمع بين الخصلتين : جمع التفوق العقلى الذى هداه الى غرور الحياة وأقنعه بالهدوء والعزلة والتخفف من الأثقال ، الى التفوق الفنى الذى دعاه الى التفكير فى كل شىء والنقد لكل شىء والتصوير لكل ما أساغه والتعبير عن كل ما تصوره فى صورة فنية رائعة ، كما كان الناس يتصورون الروعة فى ذلك الوقت

وقد كنت أقرأ منذ حين فصلا رائعا لبول فاليرى عن الفنان العظيم ليونارد دى فنشى . وقد حاول بول فاليرى فى هذا الفصل أن يقرب بين ليونارد وبين الفلسفة ، بل أن يجعله فيلسوفا ، غاية الأمر أنه أعرب عن فلسفته بآثاره الفنية التصويرية ولم يعرب عنها بما تعود الفلاسفة أن

(البقية فى صفحة ٩٥٩)

خصائص أبي العلاء — دلالة شعره ونثره على لغويته — مشاركته في مباحث اللغة — تواليفه في النحو — شروحه للدواوين ولكتبه — لغويته في رسالة الغفران — المثال الرائع لتمكنه من اللغة — الدعوة الى البحث

أبو العلاء اللغوي

بقلم الدكتور محمد توفيق رفعت باشا
رئيس المجمع الملكي للغة العربية

— ١ —

جميل أن يحتفى رجالات العلم والأدب بمضى نحو من سنين ألف ، على وفاة أبي العلاء ، فان الاحتفاء بذلك وسيلة الى تهيئة الأذهان للتزود ، وتجريد الأقلام للبحث ، وبعث الهمم للاطلاع . على أنه ما يكون لهذا الاحتفاء أن يعزى اليه فضل احياء ذكرى العالم الشاعر المفكر ، فتلك ذكراه حية منذ كان ، وستمتد حياتها ما امتدت حياة اللسان العربي ، والفكر العربي ، فلقد كان أبو العلاء أحد أولئك الذين عاشوا مظهراً لنفاذ البصيرة ، وسمو التفكير ، وخلفت آثارهم صورة زاهية لبلاغة الفصحى

ولقد اتجهت عناية الباحثين في خصائص أبي العلاء الى ما ترك من رائع النثر والشعر ، وما حواه شعره ونثره من خطرات في الحياة تخالف مألوف الناس ، فأداروا الحديث في عقائده وآرائه ، واتخذوا من ديوانيه : اللزوميات والسقط ، ورسائله في الحكمة والأدب ، مرجعا يفسرون منه ما شاءوا ، ويتأولون فيه ما أرادوا . وتجرى بينهم — فيما يبين لهم من ذلك — ألوان المناقشة والخلاف . وكأنما استوعبت هذه الناحية جهد الباحثين ، وميل الكاتبين ، فلم يفرغوا منها ، ولم يلتوا أعنة أقلامهم الى غيرها من خصائص أبي العلاء ، وانها لكثيرة متشعبة ، وكلها حرى بالنظر ، حرى بالبحث ومناقلة الكلام . وهكذا الشأن في كل رجل تتسق له مواهب شتى ، ويتبغ في غير واحدة من نواحي النبوغ ، فان إحداها لتعظم في أعين الناس ، حتى تشغل عن أخواتها . فان عرف الرجل بغيرها عرف لماما ، لا على جهة التثبت والاستقصاء

— ٢ —

ومن خصائص أبي العلاء التي لم تجل فيها الأقلام جولتها في شاعريته أو عقيدته ، انه كان لغويا حقيقا بهذه الصفة في أوسع دلالتها ، وما يتهيأ لشاعر يبني القصيد نظما فخما ، ونسجا محكما ، الا

يكون قد ضرب فى اللغة بسهم ، وطاب له منها الغنم ، وغذى من مادتها بما يوسع محفوظه من صيغها، ويغزر علمه بمسائلها ، حتى تستوى له ملكة الابانة ، وتتفسح أمامه طرق التعبير

وهذا المتنبي لم تؤثر عنه مباحث فى اللغة تدل على اتجاهه اللغوى ، ولكن شعره يشهد بأنه قد قاسم اللغويين علمهم بنتائج البحوث ، وما تجتمع عليه الكلمة من بين الآراء ، وما يستخلص من وجوه الخلاف ، وان كان لم تستدر حوله حلقة من طلاب اللغة ، ولا جرى قلمه بشيء من مباحثها . وأبو العلاء : ينازع المتنبي وأضرابه هذه الخصيصة . فمنظومه ومنثوره يشهدان أنه قد وسع اللغة مبحثا ولفظا ، وبعد شأوه فيها رواية وحفظا . الا أنه يزيد على ذلك انه قد أودع ما انتهى الينا من جمهرة آثاره المنثورة ، أطرافا من المباحث تقطع بأنه قد شارك اللغويين فى علمهم وتصرفهم ، وجاذبهم الرأى فى موضوعات النحو والتصريف والاشتقاق . فما هو بمستمع الى اللغة لتخلص له زبدتها ، تمكينا لقوله من السلامة ، وتوسلا الى عصمة لسانه من الخطأ . ولكنه يتروى أصول الالفاظ وصورها ، وينفذ الى موالج الاشتقاق ومخارجه ، ويدلى دلوه فيما حول ذلك من ضروب التفصيل ، وفنون التأويل ، وما يزال كذلك حتى يخرج : إما بالترجيح بين الآراء والاختيار ، وإما بالابتكار

فهو فى الحقيقة لغوى دائب التحصيل ، بارع التخريج ، وان ما زهدت فيه يد الحدثان من آثاره وتواليفه فى هذا الباب ، ليبوئه — بين اللغويين الأئمة — المكان العلى

— ٣ —

يقول ياقوت : « كان أبو العلاء عالما باللغة حاذقا بالنحو[١] »

وحقا لقد كان أبو العلاء يعرف من نفسه ذلك العلم والحذق ، فسمت به همته الى التأليف فى فروع اللغة ، وكان أهل عصره يعرفون ذلك منه ، فاقترحوا عليه أن يؤلف وأن يشرح ما ألف غيره . وهذا ثبت كتبه يقول : انه ألف فى النحو كتبا ثلاثة : « الحقير النافع » و « الظهير العضدى[٢] » و « شرح سيبويه »

وكذلك كان أبو العلاء يعرف من نفسه بصره بغريب الالفاظ ، واحسانه لتفسير المعانى ، ولباقته بتوضيح الاشارات ، وحسن عبارته فى تحرير ذلك كله . فاتجه الى دواوين الشعر يشرح من غامضها ، ويكشف عن خافيها ، ومما يذكر من كتبه فى ذلك : « الرياش المصطنعى »[٣] و « اللامع العزيزى »[٤] و « ذكرى حبيب[٥] »

وحقيق بمن يجود على آثار غيره بابانة وشرح ، ألا يضن على آثاره بمثل ذلك من الشرح

(١) معجم الأدباء — الأول — ص ١٦٢ (٢) تعليق وتكملة على كتاب يعرف بالعضدى (٣) شرح مواضع من الحماسة الرياشية عمله لأمير يلقب بمصطنع الدولة (٤) شرح شعر المتنبي ويقال هو : معجز أحمد . عمله للامير عزيز الدولة (٥) شرح الغريب فى شعر أبى تمام

والابانة . ومن ثم أبى المعرى لنفسه الا أن يملى لكتبه الشروح والتفاسير ، حتى تكون مثله فى اكتفائه بنفسه ، وترفعه عن عون الناس له ، وخدمتهم اياه . فمن كتبه : « ضوء السقط (١) » و « راحلة اللزوم (٢) » و « السادن (٣) » و « خادم الرسائل(٤) » الى غير ذلك من الكتب التى تروى لنا أخبارها ، ولا نرى آثارها

ونحن اذا استثنينا ماكان من صنيع أبى العلاء فى رسالة الملائكة ، جاز لنا أن نقول انه ليس فيما نملك من آثاره تأليف لغوى محض ، أو بحث فى كتاب مستقل . وانما استثنينا رسالة الملائكة ، لأنها على ثوبها الخيالى ، وما هى مسوقة فيه من أسلوب قصصى ، تأليف لغوى محكم فى اشتقاق أسماء الملائكة وما اليها مما يكون فى الدار الأخرى . على أن أبا العلاء لم يتخلص قط من الصبغة اللغوية الغالبة فى كل ما ألف وما أملى . فالدلالة على لغويته تنهض فيما بين أيدينا من آثاره ، وفى هذا الذى نجد، بعض العوض مما نفقد ، وان لم يكن سوى مباحث متناثرة فى تضاعيف كتبه ، على جهة الاستطراد والوصل والالحاق ، لا قصداً فى الكتابة اللغوية والتصنيف

— ٤ —

ترك أبو العلاء فيما ترك « عبث الوليد » وكان أحد الرؤساء أرسل اليه نسخة من ديوان أبى عبادة البحترى ، ورغب اليه فى سماعها ، واصلاح ما يكون من الأغلاط بها . فأملى أبو العلاء كتابه هذا اجابة لتلك الرغبة . وقد قرأنا النسخة المخطوطة منه ، فاذا مفتتحها : « أثبت ما فى ديوان البحترى مما أصلح من الغلط الذى وجد فى النسخة ، وانما أثبت ذلك ليكون مولاى الشيخ الجليل كأنه حاضر للقراءة »

ولو اقتصر أبو العلاء على هذا لكان قد بلغ من رغبة الرئيس غايتها ، وأنى له أن يجتزىء باصلاح ما عبث به ناسخ الديوان وحده ؟ وكيف لا يجد له سماع شعر البحترى أفانين من الرأى فى الألفاظ والأساليب ، وهو المتملىء علما ودراية ، الوقاد ذكانة وفطانة ؟ لا جرم أنه يملى فى مجلس القراءة عفو القريحة ، وما يسنح الخاطر . لذلك قال فى أثناء الفاتحة : « وقد وصل به ذكر شىء مما أجراه أبوعبادة من الضرورات وما يجتنبه أمثاله »

وفى الكتاب فوق ما يفى بالشرط الذى اشترط أبو العلاء من ذكر الضرورات والأغلاط ، أطارف من البحث اللغوى لا يناط بها غلط أو ضرورة ، وليس على البحترى سبيلها . وانما هى تفسير لكلمة ، أو تذكير بما يقول العلماء فى صيغة ، أو غمز لرأى مأثور فى فعل ، أو توجيه أفاده أبوالعلاء لم يتنبه عليه أحد من قبل

وردت كلمة « التنين » فى بيت ، فتتابع الكلام على لسان أبى العلاء فى تخريجها ، فأرسله

(١) شرح ديوان « سقط الزند » (٢) شرح ديوان « لزوم مالا يلزم » (٣) شرح كتاب « الفصول والغايات » (٤) شرح مجموعة رسائله العلمية والاخوانية

رأيا طارفا لم يسبق اليه فيا نعلم . ذلك أنه يقول : « اذا حمل التنين على أنه عربى ، فاشتقاقه من التن ، يقال ، فلان تن فلان : أى مثله . فكأن هذه الحية لما كانت لها أرؤس يشبه بعضها بعضا أخذت من التن ، لأنها متماثلة »

ولقد كان الرأى بادىء الرأى أن نعدو متن كتاب « الفصول والغايات » الى شرحه ، نتبين فيه جوانب من لغوية أبى العلاء . وانما نعدو متن هذا الكتاب لأنه غير مظنة لبحث لغوى ، اذ كان فى تمجيد الله والمواعظ . على أن أبا العلاء قد طالعنا فى فصوله تلك بأثارة من النحو والتصريف ، وهذا برهان تصبغ أبى العلاء بذلك العلم كل تصبغ ، فهو يزحم خواطره اذا فكر ، ويسرع الى لسانه اذا أملى

إليك يتخذ من الاقرار لله بالتسديد فى القول ، تكأة ينقد بها الصرفيين فى كلتين يجمعون حروف الزوائد بكل منهما ، مقترحا أخريين . يقول ــ ويبدع ــ : « الله مسدد القائلين . جمع من مضى حروف الزوائد ، فجعلها : « اليوم تنساه » وتلك طيرة للمتعلمين . وقال بعضهم : « هويت السمان » وتلك دعوى يحتمل أن يبطل قائلها فى دعواه ، فجمعتها فى لفظين ، لا يكذب قائلهما فيا قال . أحدهما : « التناهى سمو » والآخر « تهاوني أسلم » وربنا مزيل الشبهات » (١)

ولأبى العلاء شرح ما جاء من الغريب فى كتابه « الفصول والغايات » وثم ما شئت من دقة وإحكام ، الى جمال فى الصياغة ورونق . وأبو العلاء لا يقنع باللفظة يشرحها حتى يضح معناها ، ولكنه يتسع ويتدفق ، فيذكر ما قد يطرأ عليها من زيادة أو نقص ، وما قد يكون لها من مختلف الصيغ ، وربما أتبع ذلك بالكشف عن وجوه اشتقاقها ، فجاء من ذلك بما يفوت المعجمات

جاء فى فصل لفظ « الروى » وهو الحرف الذى تبنى عليه القافية ، فأنف أن يقتصر على هذا الشرح ، كما اقتصر عليه صاحب القاموس وصاحب لسان العرب بعده ، ومضى يقول فى اشتقاقه : « قال قوم : أخذ من رويت على الرحل بالرواء ، اذا شددته ، والرواء : الحبل . ويجوز أن يكون الحرف فعيلا فى معنى مفعول : كأنه هو الذى يربط ، لأنه يعاد فى كل بيت ، وقال بعضهم : هو مأخوذ من قولك : رويت الشعر أرويه اذا حفظته (٢) »

— ٥ —

فأما رسالة الغفران ، فحشوتها مباحث لغوية نفيسة ، وانما أراد ابو العلاء أن يجهر برأيه فى هذه المباحث ، فاتخذ من التصوير الخيالى وسيلة الى الجهر والبيان . وأنطق الشعراء والعلماء فى الدار الأخرى بما يرى أنه الحق فيا يتعلق بهم ، من الاحتجاج لقول ، أو ابطال حجة ، أو

(١) ص ١٤٦ وانظر ص ١٢٢ و١٢٣ وص ٩٠ ففيها فصول تدخل فى هذا الباب
(٢) ص ٤٦٤ وانظر ص ١١٢ ، ١٨٧ ففيهما مثل هذا

تصريف نادر من لفظ ، أو شرح غريبه ، أو تبيين وجه من وجوه الاعراب ، الى غير ذلك مما يدخل فى هذه الأبواب

تخيل أبو العلاء ابن القارح ينشد عمرو بن أحمر قصيدة له على الراء ، وجاء فيها كلمة «الزبرجد»(١) فدار النقاش فى اشتقاقها ، ومظنة العلاقة بين كلمة (الزبرج) وبينها

وتخيل مجلسا حضره الاصمعى والمازنى ، فمرت بهما إوزة (٢) ، فمضيا يبحثان فى وزنها ، يستحر بينهما الجدل ، ويشتجر الخلاف . واستطرد أبو العلاء فى مطاوى الكلام الى لفظ « أهل » (٣) فبحث فى أصل وضعها والوجه فى تصغيرها

وجاء فى شعر كلمة (الكل) (٤) فاستكره أبو العلاء إدخال الالف واللام عليها ، وذكر من يجيز ذلك من ذوى العلم ، وما يستدل به على الجواز من شعر القدم

وفى رسالة الغفران مثال رائع ، يتوضح به ما أوتى أبو العلاء من غزارة المادة من اللغة ، والاقتدار على الألفاظ ، والاحاطة بالغريب ، والبراعة فى نظم الكلام . وما أحق هذا المثال بأن ينوه به ، وأن يكون فى طليعة النوادر التى يتهاداها الأدباء

ذكر ابو العلاء ما يحكى عن خلف الاحمر مع أصحابه فى هذين البيتين :

ألم بصحبتى وهم هجوع خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى عسلا مصفى إذا شاءت وحوارى (٥) بسمن

ومعنى ذلك ان خلفا قال لاصحابه : لو كان موضع ام حصن : ام حفص ، ما كان يقول فى البيت الثانى ؟ فسكتوا ، فقال : حوارى بلمص . واللمص : الفالوذج (٦) . وكأنما تعاظم أبا العلاء ان تؤثر عن خلف هذه الطرفة ، وهى ــ فيما يستطيع ويقدر ــ لا عناء على طالبها ولا استعصاء . فطفق يسرد الالفاظ التى يتفق بها هذان البيتان على مختلف حروف الهجاء جمعاء ، لكل حرف زوجان من اللفظ ، الأول : من أسماء النسوة ، والآخر يصلح ان يكون إداما للحوارى . وختم كلامه بقوله : « وهذا فصل يتسع ، وإنما عرض فى قول نائم ، كخيال طرق فى المنام (٧) »

والحديث عن أبى العلاء اللغوى ، لا يستقل به فصل محدود ، وليس ما اسلفنا ذكره إلا اشارة معجلة إلى هذا الأفق الرحيب من كون أبى العلاء . وعسى ان يكون فى هذه الاشارة ما يدعو المشتغلين بعلوم العربية الى استئناف البحث ، والاستفاضة فيه ، وما يغريهم بمطالعة منثور هذا العالم المتزر ، ونشدان لغوياته فى مواقع أماليه . فان كان ذلك ، فقد بلغت الغاية التى قصدت اليها بهذه العجالة . والمستعان الله !

محمد توفيق رفعت

---

(١) ص ٥٢ (٢) ص ٧١ (٣) ص ١٣٣ (٤) ص ١٥١ (٥) الحوارى : الخبز يكون من لباب البر . وهو السميد (٦) ص ١٣ (٧) البحث بتمامه يملأ الصفحات ١٤ و ١٥ و١٦

التشاؤم مزاج أولا ، وظروف خارجية ثانيا . وتشاؤم ابو العلاء كان نتيجة نفسيته وحياته الخاصة ، وأثراً من آثار فساد النظم السياسية في عصره

نظرة أبي العلاء الى العالم

بقلم الاستاذ احمد امين

استاذ الأدب العربي بكلية الآداب

كان أبو العلاء فيلسوفا « متشائما » يرى ان الدنيا لا تستحق البقاء لحظة ، فليت العالم الانساني ينقرض في لحة : وليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء

وان كان ولابد فليت الناس لا يتزوجون ولا ينسلون فيكون عمر الدنيا جيلا واحداً ، وأمداً قريبا . فالناس كلهم كذب ورياء وظلم :

وأفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب

فماذا يكون لهم الحق في البقاء ؟

بل ليس الانسان وحده هو الشر في هذا العالم ، فكل ما فيه شر ، وشر ما فيه الانسان :

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها وأجناسها
والشر في العالم حتى التي مكسبها من فضل عرناسها (١)
وكل حي فوقها ظالم وما بها أظلم من ناسها

ولا يظن ظان أن العالم كان يوما ما براً ففجر ، أو صالحا ففسد ، بل كان هذا دأبه منذ خلق ، وطبيعته منذ وجد ، فما فسد الناس ، ولكن اطرد القياس :

وهكذا كان أهل الارض مذ فطروا فلا يظن جهول أنهم فسدوا

فأبو العلاء لا يقول كما قال غيره : « ليس في الامكان أبدع مما كان » ، بل يقول العكس « ليس في الامكان أسوأ مما كان »

كان هذا النظر المتشائم عند أبي العلاء نتيجة لمزاجه ونوع تفكيره أكثر مما هو نتيجة لظروفه الخارجية ، نعم كان أبو العلاء أعمى فقيراً دميم الخلقة ، ولكن هذه وحدها لا تكفي في تكييف أبي العلاء هذا الكيف المتشائم ، ففي الحياة عمى فقراء مشوهون ، وهم مع هذا كله فرحون مرحون ، ينظرون الى الحياة نظرة ابتهاج وسرور ، وغبطة وحبور ، ويتذوقون من لذائذها ما استطاعوا ، وينهلون من متعها ما قدروا . ولو كانت هذه الاشياء علة ، ما تخلف المعلول ولا في جزئية واحدة — انما هو مزاج طبيعي لابي العلاء يألف الحزن ويأنس اليه ، ويرى في الوجود جوانب

(١) العرناس : المغزل

الشر ولا يرى جوانب الخير ، ويدرك أسوده ، ولا يدرك أحمره وأبيضه .

لقد كان « شوبنهور » فيلسوف التشاؤم فى العصر الحديث بصيراً ، وفى صحة جيدة ، وثروة واسعة . ومع ذلك كان كأبى العلاء فى نظره الى العالم ، فهو شر كله ، « فأينما توجهت ألفيت عراكا وقتالا ومنافسة ، فكل نوع يقاتل لينتزع من الآخر ما يملكه من مادة وزمان ومكان ، وليس الانسان الا ذئبا للانسان ، وهو تعس اذا تزوج ، وتعس اذا لم يتزوج ، وخير للعالم أن يقف النسل وتنقطع الحياة »

اذن فالتشاؤم مزاج ، أولا — وظروف خارجية ، ثانيا . فما لا شك فيه أن ظروف أبى العلاء ساعدت على تشاؤمه ، وزادت فى تلوينه الدنيا بهذا اللون القاتم ، وكذلك كان للظروف الخارجية حول شوبنهور أثر من هذا القبيل ، فقد أصيب فى أسرته ، فمات أبوه منتحراً ، وسارت أمه سيرة لا ترضيه ، وعاش كأبى العلاء عيشة فراغ الا من التفكير والتأليف ، فلا زوجة ولا ولد ، ولا مشغلة فى عمل من الأعمال الخاصة ، انما يدور فى الحياة حول نفسه ، وهذا فى كثير من الاحيان مدعاة للسأم والضجر ، والتبرم بالناس والحياة . يضاف الى ذلك ان سوء الحالة الاجتماعية والسياسية فى عصر من العصور يغذى المتشائمين ، فيظهرون فى المجتمع ظهوراً بينا ، فعلى أثر حروب نابليون وهلاك الحرث والنسل ، وضياع الامل فى الثورة الفرنسية علت نغمة التشاؤم فى أوربا كلها ، وكان لسانها الناطق بيرون فى انجلترا ، ودى موسيه فى فرنسا ، وهينى وشوبنهور فى المانيا — وكذلك كان الشأن فى عهد أبى العلاء : فساد فى النظم السياسية ، ومصادرات للأموال ، وحروب متصلة بين الدويلات الاسلامية — كل هذه وأمثالها إذا عرضت لمزاج كمزاج أبى العلاء كانت مادة صالحة ليغنى عليها غناءه الحزين

* * *

علم أبى العلاء الواسع ، وقراءته الكثيرة فى الديانات والفلسفة والأدب ، وذكاؤه النادر ، جعله يرسم للعالم مثلا أعلى فى منتهى الرقى ، وجعله يتخيل كل جزء من أجزائه غاية فى الكمال . فهذا العالم الذى رسمه خير لا شر فيه ، ولذة لا ألم فيها ، وعلم لا جهل معه ، وعقل لا تشوبه خرافة ، وصلاح ليس فيه شية من فساد ، وعدل صرف ، وحكمة بالغة ، وتعاون على الخير ، وسير على الجادة . فلما فرغ من رسم هذا المثل نظر الى الواقع فصدمه صدمة عنيفة لبعد ما بينهما ، فأخذ يلعن هذا العالم الواقعى بالنسبة الى العالم المثالى ، ويصب عليه جام غضبه ويسبه جملة وتفصيلا

نظر الى الملوك وهم رأس المجتمع وقوامه وقادته فتخيل أنهم يجب أن يكونوا مثال العدل المطلق . والحكمة البالغة ، وأنهم انما ينعمون بخير ما فى الدولة نظير قيامهم بأجل عمل وأكبر خدمة ، وأنهم من اجل ذلك « اجراء الرعية » استأجرتهم لعمل جليل ، فأعطتهم الاجر الجزيل . فاذا لم يؤدوا العمل لم يستحقوا الاجر . فى ضوء هذه الصورة الكاملة نظر الى ملوك عصره فرأى

ترفا ولا عمل ، وغنما ولا غرم ، وظلما منهم يقابله عبودية من رعيتهم . وليتهم إذ ظلموا سموا الظلم باسمه الصريح ، ولكنهم جمعوا الى ذلك الخداع فسموا الظلم «سياسة» . لهذا كله أخذ أبو العلاء يسبهم فى لزومياته اذ لم يحققوا مثله بل لم يقربوا منه :

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

يسوسون الامور بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال ساسة
فأف من الحياة وأف منى ومن زمن رياسته خساسة

ما أجهل الأمم الذين عرفتهم ولعل سالفهم أضل وأبتر
يدعون فى جمعاتهم بسفاهة لأميرهم فيكاد يبكى المنبر

ان العراق وان الشام مذ زمن صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة فى كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم ان بات يشرب خمراً وهو مبطان (١)

ان جارت الأمراء جاء مؤمر أعتى وأجور يستضيم ويكلم (٢)
كحمام ظلت تنادى أجدل ان كنت ظالمة فانى أظلم (٣)

***

وكان مما تصوره أبو العلاء فى مثله الاعلى للمجتمع رجال دين التزموا أوامره واجتنبوا نواهيه ، وآمنوا بالله سراً وجهراً ، وأخلصوا له حقا ، درسوا الدين وعرفوا أسراره ، وميزوا بين ما أتى به حقا ، وما ألصق به خرافة ، وكانت أعمالهم الظاهرة وفقا لعقائدهم الباطنة ، فلا رياء ولا غش ولا خداع ، ان قضوا بين الناس حكموا بما أنزل الله وتحروا للعدل لا يشوبه ظلم ، وقوة فى تنفيذ الحق لا يخالطها ضعف ، وان خطبوا أو وعظوا صدر قولهم من قلوبهم ، وعبر اصدق تعبير عما فى نفوسهم ، تتطابق أقوالهم وأعمالهم وقلوبهم ، هم صوت الله لشعبه ، لا يخافون عظيما ولا يعيرون أمام الحق كبيراً ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدلوا تبديلا

ثم نظر فرأى فى عصره رجال دين قد اتخذوا الدين حرفة ، واصطنعوه وسيلة للكسب : فالقضاة جائرون يرعون مصلحتهم أكثر مما يرعون الحق ، ولا يدفعون البلاء ، وانما يزيدون الشقاء :

وأي امرىء فى الناس ألفى قاضيا فلم يمض أحكاما كحكم سدوم (٤)

والخطيب يخطب فى يوم القيامة وهوله وهو لا يؤمن بحساب ولا يصدق بمآب :

طلب الخسائس وارتقى فى منبر يصف الحساب لأمة ليهولها
ويكون غير مصدق بقيامة أمسى يمثل فى النفوس ذهولها

والواعظ يعظ فى اضرار الخمر صباحا ويشربها مساء :

(١) الخمص : الجوع ، والمبطان : كبير البطن من كثرة الأكل (٢) يكلم : يجرح (٣) الأجدل : الصقر
(٤) سدوم : قرية من قرى قوم لوط وقد يسمى قاضيها أيضا بسدوم وقد ضرب به المثل فى الظلم

رويدك قد غررت وانت حر   بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحا   ويشربها على عمد مساء

والفقيه فقهه مزيف ، وعمله مموه ، قد انصرف عن روح الفقه وسر الدين الى جدال لفظى وحوار حرق :   وقالوا فقيه والفقيه مموه   وحلف جدال والكلام كلوم

وقد كذب الزهاد فى دعواهم ، فليس فيهم زاهد حقا ولا متعفف صدقا ، وكلهم مراء متصنع يتزهد ليسرق ، ويتعفف ليخون :   لعمرك ما فى عالم الارض زاهد   يقينا ولا الرهبان أهل الصوامع

هؤلاء هم رجال الدين الذين نصبهم الله ليكونوا أداة الحق ، ودعاة الصدق ، وهداة الضالين ، وحماة المظلومين ، وردعى الظالمين ! ! فأف من الناس ! كلهم مخرب ، تساوى فى التخريب عالمهم وجاهلهم ، وآمرهم ومأمورهم ، وبدوهم وحضرهم ، وتاجرهم وواعظهم ، فقوم يخربون المال وآخرون يخربون الدين :   فى البدو خراب أذواد مسومة   وفى الجوامع والاسواق خراب

***

ويتصور أبو العلاء العالم الذى ينشده عالما محكوما بالعقل ، وبالعقل وحده ، لا يخضع الا للمنطق والتفكير الصحيح ، لايؤمن أهله بدجل ولا تخريف ، ذلك بان العقل هو السراج الوحيد الذى يضىء ما فى الدنيا من ظلمات ، فيجب أن يظل مشتعلا أبداً :

خذوا فى سبيل العقل تهدوا بهديه   ولا يرجون غير المهيمن راج
ولا تطفئوا نور المليك فانه   ممتع كل من حجى بسراج

فالعقل هو المرشد اذا لم يأت دين ، وهو المرشد اذا اختلفت أحاديث الدين ، وهو المرشد اذ اختلف رجال الدين :

جاءت أحاديث ان صحت فان لها   شأنا ولكن فيها ضعف اسناد
فشاور العقل واترك غيره هدراً   فالعقل خير مشير ضمه النادى

اذا رجع الحصيف الى حجاه   تهاون بالمذاهب وازدراها
فخذ منها بما أداه لب   ولا يغمسك جهل فى صراها (١)

وكانت حياة أبي العلاء مثلا لايمانه هذا بسلطان العقل ، فقد كذب الناس فى خرافاتهم ، وسن له فى الحياة طريقا أرشده اليه عقله ، رأى الخير فى أن يريح أولاده بتركهم فى نعمة العدم ففعل ، وألا يأكل لحما ففعل ، وأن يعرض كل خبر وكل مأثور على العقل حتى يتخير ويحكم ففعل

هذا هو العالم الذى تخيله أبو العلاء ، يسطع فيه العقل ، وتذوب فيه الخرافات والاوهام ذوبان الثلج إذا سطعت عليه الشمس

ولكن وا أسفاه ! ماذا فى العالم الواقعى الذى نعيش فيه ؟ لقد تغلب كل سلطان الا سلطان العقل ، وانقلبت الاوضاع فحكم العقل بالخرافات والجهالات بدل أن يحكمها ، وتغلبت عليه بدل أن يتغلب عليها ، فالصادق الخبير مكذب ، والكذوب الدجال فينا مصدق

(١) الصرى : الماء يطول مكثه

وما أدام الرزء تكذيب صادق على خبرة منا وتصديق كاذب

وخضع الناس خضوعا مطلقا للعادات والتقاليد ، فهم يعتنقون دينهم بالعادة والتطبع ، لا بالعقل والتفكير ، وهم يعيشون كما يعيش آباؤهم لا كما يهدى العقل :

في كل أمرك تقليد رضيت به حتى مقالك ربي واحد أحد
وقد أمرنا بفكر في بدائعه وان تفكر فيه معشر لحدوا
وأهل كل جدال يمسكون به اذا رأوا نورحق ظاهر جحدوا

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن يعلمه التدين أقربوه

عاشوا كما عاش آباء لهم سلفوا وأورثوا الدين تقليداً كما وجدوا
فما يراعون ماقالوا وما سمعوا ولا يبالون من غي لمن سجدوا

ولوحكم الناس العقل ما اختلفوا في دياناتهم ، ولكانوا أمة واحدة ،ولرفضوا كل كذب وخرافة انما أضلهم ان أماتوا عقلهم ، وأحيوا شهوتهم ، وأنهم دانوا بما أملته عليهم الرغبة والرهبة :

لو يتركون وهذا اللب ماقبلوا ميناً يقالولكن شالت الجذم (١)
أتوهم بأحاديث وقيل لهم قولوا صدقنا والا أروي الخذم (٢)
وأرهبتهم جفون ملؤها نوب وأرغبتهم جفان للندى رذم (٣)

ثم ماهذا الذي يسود العالم من ايمان بالخرافات وتصديق بالتنجيم ، وكلها دجل في دجل ؟ فهذه امرأة تذهب الى المنجم ليخبرها كم يعيش طفلها فيقول مائة عام ثم يموت من شهره :

سألت منجمها عن الطفل الذي في المهد كم هوعائش من دهره
فاجابها مائة ليأخذ درهما وأتى الحمام وليدها في شهره

وهؤلاء يأتون المنجم يستخبرونه عن موعد المطر فيقول غداً أو بعد غد كأنه عالم بأسرار الكون مطلع على مكنونات العالم ،وهو لو سئل عن أقرب الاشياء اليه لظهرجهله ، وتبين خبله ، فكيف يجهل القريب ، ويعلم البعيد :

يقول غدا أو بعده وقع دعة يكون غياثاً أن تجود وتسجيا
ويوهم جهال المحلة أنه يظل لاسرار الغيوب مترجما
ولو سألوه ما الذي فوق صدره لجاء بمين أو أزم وجمجما (٤)

وما هذا الذي ساد في اذهان الناس من إمام معصوم يأتي فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً ؟ وقد زعموا أن الغلبة لهذا الامام على خلفاء الدولة العباسية ستكون في عام القران (قران المشترى بزحل) . فلما أتى القران ولم تتحقق النبوة زعموا أن ذلك أخر لسنوات معدودات :

رجوتم اماما في القران مضللا فلما مضى قلتم الى سنوات

كلا أيها القوم لم ينصب الله اماما كالذي زعمتم يهدى الناس ويعلمهم الحق والباطل ، والعدل والظلم ، فالله تعالى جعل كل أولئك للعقل وحده ، فهوالذي يهدي الضال ويرشد الى الحق ، ويبين

(١) شالت الجذم : كناية عن خفة العقل (٢) الخذم : السيف (٣) رذم : مملوءة (٤) أزم : سكت وجمجم لم يبين

الرشاد من الغى ، فاذا أردتم تحقيق ذلك كله فارجعوا الى العقل وارفعوا عنه حجبه وحكموه فى كل ما يعرض لكم بدل أن تلجئوا الى السخافات فترتقبوا إماما مزيفا :

يرتجى الناس أن يقوم امام ناطق فى الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا أمام سوى العقـ ـل مشيرا فى صبحه والمساء

لقد فسدت عقول الناس ، وأهم ما أفسدها أمور : ايمانهم بعلم الكيمياء من تحويل المعادن الى ذهب ، وانفاقهم أموالهم وأعمارهم فيه من غير جدوى ، وعلم التنجيم وربط كل ما يحدث فى العالم بحركات الكواكب ، وتفسير الأحلام وبناؤهم عليها تصرفاتهم . ومن هذه الاوهام التى أفسدت العقل اعتقاد الناس فى الصداقة وأنها ممكنة محققة ، وجريهم فى شئونهم على أساسها مع أن الصداقة الخالصة الصادقة احدى المستحيلات :

أزرى بكم ياذوى الالباب أربعة يتركن أحلامكم نهب الجهالات
ود الصديق وعلم الكيمياء وأحـ ـكام النجوم وتفسير المنامات

هذا الى مجموعة من الاوهام تنتشر بين الناس فتشل عقولهم ، وتفسد تفكيرهم : فهؤلاء يزعمون أن الاخيار يطيرون فى الجو أو يمشون على الماء ، أفلم يروا الى السعدين (سعد بن معاذ وسعد بن أبى وقاص) والعمرين (أبى بكر وعمر) وهم من الدين ما هم ، لم يدعوا ولم يدع لهم أحد شيئا من طير فى الهواء أو سير على الماء ، وهؤلاء يزعمون للمعمرين الأولين عمراً ينكره العقل ويكذبه القياس ، وآخرون ينسبون للاجيال السابقة طولا كطول النخل وأجساما هائلة الحجم ولا شيء يصح من ذلك ، وغير هؤلاء يزعمون رؤية الجن ويقصون عنهم القصص ويلفقون عليهم الاخبار ويخشونهم ويمتلئون رعبا منهم ، وكلها أخبار كاذبة لا تصح فى العقل :

فاخش المليك ولا توجد على رهب ان أنت بالجن فى الظلماء خشيتا
فانما تلك أخبار ملفقة لخدعة الغافل الحوشى حوشيتا

كل هذه وأمثالها سموم سممت العقل وجعلت حياة الناس ضروبا من الخبل

***

ولو كان هذا العالم يجرى على المعقول لكان أكثر الناس حظا من نعيم الحياة ومتع العيش أعقلهم وأكفأهم . ولكن تعال معى ننظر الى هذا العالم الوضيع نجد عجبا : نجد أن الناجح فى كسب العيش هو بائع خلقه ومضيع شرفه ، وأن من تمسك بهما كان الفقر حليفه . فهذا صادق ممقوت وهذا كاذب محبوب ، وهذا صادق أسلمه صدقه الى الضر والعيش المر ، ويجانبه كاذب يمرح بكذبه فى النعيم المقيم والخير العميم :

والناس شتى فيعطى المقت صادقهم من الأمور ويحبى الكاذب الملق
يغدو الى المين من قلت دراهمه فيجمع المال ما يفرى ويختلق
وربما عدل الانسان مهجته فى الصدق حين يرى جد الذى يلق (١)

(١) يلق : ينمق الكلام فى كذب

وهذه الدنيا غريبة فى أطوارها ، عجيبة فى نظامها ، فهذا فقير دخل عليه الشتاء فلا يجد ستراً وهو فى أشد الحاجة اليه ، وهذا مجدود ينهال عليه المال انهيالا وهو غنى عنه :

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير معرى أو أمير مدوج (١)
وقد يرزق المجدود أقوات أمة ويحرم قوتا واحد وهو أحوج

وماذا هذا الذى يسمونه الحظ ؟ قد كان المعقول ألا يكون ، وأن يكون الجزاء على العقل والكفاية والخلق ، فاذا بنا نرى هذا الحظ قد طوح كل هذه المبادىء : فظالم يملك الكنوز وعادل لا يملك القوت ، وعاقل أعيت مذاهبه وجاهل مرزوق ، وأمور تحير العقل وتذهب باللب :

اذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنونا وترزق احمقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرىء رأى منك مالا يشتهى فتزندقا

وليس هذا شأن الانسان وحده ، بل بنى العالم كله على الحظ أكثر مما بنى على العقل ، فهذه الأنهار تفيض بالماء العذب وخصت بالاكرام منها زمزم المالحة :

تباركت أنهار البلاد غزيرة بعذب وخصت بالملوحة زمزم

وهذا الأسد قد يأكل الجيفة ، وهذه الذبابة قد تأكل العسل :

رعت الأسود بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

وهذه الصخور، إحداها تقبل وتستلم ، واخواتها تهشم وتحطم :

وتقسم حظوة حتى صخور يزرن فيستلمن ويلطمنه
كذات القدس أو ركنى قريش وأسرتهن أحجار لطسنه (٢)

***

وهناك طائفة الأدباء والشعراء كان يجب أن تكون لها وظيفة سامية فى المجتمع ـ فتخدم الحق بلسانها وقلمها ، وتدافع عن الحقيقة بحسن بيانها ، وتعبر عن أمانى المجتمع وآلامه بجمال تعبيرها . ولكنا ـ مع الأسف ـ نرى الأدباء وقفوا موقف الذئاب من الراعى تستغفله لتفترس شياهه ، فهم نصبوا مدائحهم شباكا يقتنصون بها أموال الناس ، ويفسدون بها أخلاق الأمراء ، والاغنياء ، بما يصوغون من مديح مختلق ووصف مزيف :

بنى الآداب غرتكم قديما زخارف مثل زمزمة الذباب
وما شعراؤكم إلا ذئاب تلصص فى المدائح والسباب

كلا لا أتبع مناهجهم ولا أسير على آثارهم ولا أهتدى كهذيانهم :

ذرونى يفقد الهذيان لفظى وأغلق للحمام على بابى
معاذ الله قد ودعت جهلى فحسبى من تميم والرباب

وليس الانسان وحده هو الشر فى العالم بل كل العالم شر ، فالانسان يغير على الحيوان فيذبحه ويغتصب منه ولده ، ويغتصب لبنه الذى أعده لولده ، ويلهو بالصيد والرمى . والليث سلط على

(١) مدوج : لابس أغلظ الثياب (٢) لطس الحجر : دق

المهاة ، والبازى على بغاث الطير ، وكل قوى سلط على ما هو أضعف منه ، فالعالم سلسلة مظالم ، ومجموعة مهازل :

وفى كل الطباع طباع نكز وليس جميعهن ذوات سم (١)
فقد جبلت على فرس وضرس كما جبل الوقود على التنمى (٢)

يقول ابو العلاء ان كان هــذا هو العالم : ملوك تظلم ولا ترحم ، وتبجبح فى النعيم ولا تشعر بمن يتألم ، وقضاة تعسف ولا تنصف ، وفقهاء ووعاظ ونساك تتخذ من دينها ستاراً لاقتناص الأموال وشباكا للاستغلال ، وعقل مغلوب على أمره لا يسمع لنهيه ولا أمره ، وناس ان نطقوا بالصواب خفتوا أصواتهم ، وان نطقوا بالمحال رفعوا عقيرتهم ، وخرافات تجول وتصول ، وحكمة تذوب وتزول ، وكل ما فى العالم ظلم يسلم الى ظلم ، انسان يفترس أسداً وأسد يغتال ذئبا وذئب يقتنص شاة ، فأى خير فى الوجود يستحق البقاء وأى عدل فيه يستوجب الثناء

لا لا ، والخير للعالم أن يفنى فى لحظة ، ويمحق فى لمحة :

يا رب أخرجنى الى دار الرضا عجلا فهــذا عالم منكوس
فلوا كدائرة تحول بعضهــا من بعضها لجميعهــا معكوس

فان كان ولا بد فالفرار منه والعزلة منه . ولأرسم لنفسى برنامجا أنفذه فى نفسى ان لم أستطع أن انفذه فى غيرى ، فلا زواج ولا نسل ، ولا ايذاء لحى ، فلا آكل لحم حيوان بحرى ولا برى ، ولا أفجعه فى نتاجه ، فلا عسل ولا لبن ولا بيض ، بل لا ألبس الجلود ولا انتعل بها ، وانما اكتفى بالنبات : فليكن طعامى العدس وفاكهتى التين ، وحسبى الكمأة والبقول ، وشربة من ماء براحتى أو بقدح من خزف ، وليكن ملبسى من القطن الخشن لا لون فيه ولا تزويق ، وليكن مركبى رجلاى فلا خيل ولا إبل :

فاترك لأهل الملك لذاتهم فحسبنا الكمأة والاحيل (٣)
ونشرب الماء براحاتنا ان لم يكن ما بيننا جنبل (٤)
لباسى البرس فلا أخضر ولا خلوق ولا أدكن (٥)

رحمة الله عليه فقد ضيق واسعا ، وحرم مباحا ، وحمل نفسه ما لا يطيق الناس ، والتزم ما لا يلزم ، ولون العالم كله باللون الأسود وخلع عليه قطعة من نفسه القاتمة ، ثم أخذ يندب عليه ويبكيه ، فكان لنا من بكائه وعويله نغمات شجية ، وتوقيعات فنية ، وقطع موسيقية ، عجز عن اخراج أمثالها من عاشوا بين الكاس والطاس ، والراح والليالى الملاح

احمد أمين

استدراك : وقع فى الصفحة الاخيرة من مقال الدكتور عبد الوهاب عزام أن قدمت الفقرة التى تبدأ بكلمة « وبعد فهذا تمثيل » وتنتهى بكلمة « فلسفة الرجلين » ، ووضعها الصحيح أن يختم بها المقال

---

(١) نكز مصدر نكزته الحية اذا لدغته (٢) الفرس : الاهلاك ، والضرس : العض (٣) الاحيل : اللوبيا
(٤) الجنبل : قدح غليظ من الخشب (٥) البرس القطن

ما أثر البيئة العائلية والسياسية والثقافية في شعر المعري ؟ وكيف كونت شخصيته واتجهت بنفسه الحساسة نحو الاخلاص للحقيقة والعنف في مهاجمة الباطل ؟

بيئة المعري

وأثرها في شعره

بقلم الاستاذ أنيس المقدسي

أستاذ الأدب العربي بجامعة بيروت الامريكية

مما لا ريب فيه أننا لا نستطيع فصل الشاعر عن الجو الذي ينشأ فيه . ولو قابلناه من هذه الناحية برجل العلم لوجدنا بينهما فرقا بينا . فالعالم قد ينصرف الى منحى من مناحي بيئته المعنوية أو المادية فيقوم بدرسه ويجدّ في التوصل الى أبعد غاياته . فاذا بسط لنا الحقائق أو المعلومات التي توصل اليها لم نجد فيها مايدل على أنه تأثر بها تأثراً يحرك جهازه العصبي ويحدث فيه اتجاهات عاطفية خاصة . واي علاقة مثلا بين أحكام النور والكهرباء ، او طبائع الحيوان والنبات ، أو قواعد الصرف والاعراب ، وبين شخصية الباحث فيها وحالات نفسه . تلك أحكام وقواعد لا تقوم على التأثر النفسي ، بل على حقائق راهنة قد يتوصل اليها كل باحث ، وليس فيها ما يميز شخصية عن شخصية أو روح عن روح . أما الشعر فحركة نفسية يثيرها مايحيط بالشاعرمن احوال وحوادث . ولا بد لنا لفهمه من ان ندرس البيئة التي تتصل مباشرة بتلك الاحوال والحوادث

فما هي بيئة المعري ـ ما هي تلك العوامل التي تبرز في حياته الشعرية ؟ . سؤال نحاول أن نجيب عنه هنا بكلمة وجيزة نعرض فيها الحقائق عرضا عاما لجمهور القراء دون أن نرهقهم بالتقصي الدقيق من تحقيق وتجريع ، وعرض نظريات ، وغربلة وموازنات ، مما لا يتسع له المقام ولا يلذ الا الخاصة من المتخصصين ، وانما هي خلاصة ما توصلنا اليه من درس الاحوال العامة التي يظهر أثرها في نفس المعري وأدبه . وها نحن نعرضها من نواح ثلاث :

١ ـ بيئته العائلية والتربوية

لم يولد المعري من أسرة وضيعة . بل كان آله ـ بنو سليمان ـ بيت علم وفضل ورئاسة . ويرجع نسبه الى بني الساطع وهم فرع من تنوخ ، وكانوا يعرفون بالشرف والرئاسة والشجاعة . واكثر بيوت المعرة منهم كبني

سليمان ، وبنى حصين ، وبنى عمرو ، وبنى المهذب ، وبنى زريق ، وبنى جهير . واكثر قضاة المعرة وعلمائها من بنى سليمان : تولى المعرة منهم جد جد شاعرنا وقد اتصل القضاء بأولاده وأحفاده حتى والد المعرى ، وكان من أهل العلم والوقار . وقد خلف ثلاثة بنين ابو العلاء أوسطهم . ومعلوم ان ابا العلاء مات غير متزوج . ولم يخلف أخوه الاصغر الا ولداً وهذا خلف ولداً وبه انقطع نسله . أما اخوه الاكبر فبه بسقت شجرة الاسرة ، وفى اولاده واحفاده اتصل القضاء والجاه سنينا طويلة

وقد شهد المعرى موت والديه واخوته جميعا . ويظهر من دراسة احواله ان اولاد أخيه كانوا يحترمونه ويخدمونه ويأخذون عنه . ولم يتصل بنا ان الشاعر ورث ثروة تذكر ، على أن ذلك لايعنى انه كان كل حياته مسكينا فقير الحال ليس له الا دخل زهيد يقسمه بينه وبين خادمه . فكما كان آباؤه من أهل الوجاهة كان هو كذلك . وكذلك كان أولاد اخيه ، نذكر منهم على سبيل المثال ابا مسلم ، الذى ولد قبل موت الشاعر بنحو ١٨ سنة وصار رئيس المعرة وكبيرها المقدم فيها ، وقد ولى القضاء بعد ابيه وكان مشهورا بالجود والعلم

أما ماينقل عن فقر الشاعر فانما هو خطأ فى تفسير معنى الزهد الذى سلك طريقته . فان المعرى أخذ منذ السابعة والثلاثين من عمره فى طريقة الفلاسفة المتقشفين

وقد كان فى ميسوره ان يعيش رخيا وان يجمع ثروة طائلة ، يزكى ذلك شهادات كثيرة نكتفى منها بشهادة الشاعر الفارسى ناصر خسرو الذى زار المعرة سنة ٤٣٩ ، أى قبل موت المعرى بعشر سنوات ، فوصف حاله بقوله : « انه رجل ذو نفوذ عظيم فى بلدته ، وذو غنى ينفق على الفقراء والمعوزين مع أنه هو يعيش عيشة الزهد والتقشف » وفى رسائله وأشعاره عدة اشارات الى هبات مالية كان ينفح بها بعض ذوى الحاجة من الادباء ، كقوله يعتذر لفقيه عن ان الهدية التى ارسلها اليه أقل من قدره ، وكان شاعرنا فى الخمسين من عمره :

فيا ليتنى أهديت خمسين حجة مضت لى فيها صحتى وشبابى
وقلت له — فاترك ثلاثين اسودا متى ما تكشف تلف غير لباب
لعل الذى اهديت يكفيك ليلة لاسباغ طهر حان أو لشراب

فالرجل على ما تثبت اكثر المصادر عاش اكثر حياته وجيها وكان سخى اليد جم التواضع . وقد بلغ غاية الوجاهة بعد ان استقر فى المعرة وعكف على العلم والتعلم ، فقصده الطلاب من الآفاق وكاتبه أو زاره الكبراء والأمراء حتى عظم شأنه وحسنت حاله . على انه لم يكن يستعمل من ماله الا القليل وينفق الباقى فى سبيل اللائذين والمعوزين

(البقية فى صفحة ٩٦٢)

نصيب المعري من الفلسفة الشرقية

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدي

لا مشاحة أن لابي العلاء المعري شخصية بارزة عرفت قيمتها في حياته ، وبقيت حافظة مكانتها بعد وفاته ، ولعل هذه الشخصية قد ازدادت بروزاً في عصرنا الراهن عما كانت عليه في العصور السالفة ، على نسبة تنبه الناس لتحليل الشخصيات الفذة

لا يخلو شعر في الأرض ، حتى الأزجال العامية ، من جنوح ظاهر من أصحابها الى بعض التيارات الفلسفية ، فلم يحشر واحد منهم في زمرة الفلاسفة لهذا السبب وحده ، حتى ولا المتنبي الذي تتلألأ في ديوانه مئات من عيون الحكم وقد غص شعر أبي العلاء بكثير من نوابغ الكلم ، ولكنا لا نستطيع لهذا وحده أن نعتبره فيلسوفا الا اذا تبينا في شعره مذهبا مؤسسا على قواعد ثابتة . وقد عرف من تاريخ أبي العلاء أنه أخذ الفلسفة اليونانية عن الرهبان الذين كان يصادفهم في معرة النعمان . وثبت أيضا أنه لما شخص الى بغداد سنة ٣٩٨ هـ . اطلع فيها على فلسفة الهنود والفرس

> « المعري شاعر لا فيلسوف . وأثر الفلسفات الشرقية ضعيف في تكوينه . وقد تكون الفلسفة الدهرية منها هي التي أثرت فيه »

فاذا أردنا ان ندرس شخصية أبي العلاء في ضوء الفلسفات التي كانت معروفة الى عهده ، لنرى هل أثرت واحدة منها في تكوينه ، عدنا من بحثنا الطويل بغير طائل . فان الذي كان يعرف عن الفلسفات الشرقية أنها على اختلاف نزعاتها كانت متأثرة بمذهب التفاؤل ، حتى أن الهنود الذين بلغ احتقارهم للدنيويات حداً لم يبلغه في أمة أخرى ، كانت ترجو من وراء ذلك الاحتقار الوصول الى سمو روحاني لا تقارن به سعادة ــ مهما جلت ــ من السعادات المادية . ولا يظهر لهذه النزعة أثر في شعر أبي العلاء . فقد أكثر من ذم الدنيا ومن احتقاره لها ، وتوسع في ذكر احداثها وكوارثها ، ولم يذكر ان لذاتها قاطعة للمرء عن سمو روحاني يجل عن الوصف لا يجوز التنازل عنه في سبيل التمتع بلذائذ مادية منحطة ، على مثال ما كان يقول به الهنود ولا يزال يردده شاعرهم المعاصر لنا « طاغور » . بل الذي يؤخذ من شعر المعري أنه كان يذم الدنيا لا لأن لذاتها تقطع الانسان عن بلوغ كماله ، ولكن لأنها موقوتة خداعة وسريعة الزوال . ونحن نعرض طائفة من شعره في هذا الموطن تدليلا على ما نقول ، قال رحمه الله :

تعب حياتك الدنيا سفاها وما جادت عليك بما تحب
واناك منذ كون النفس عنا لتوضع فى الضلالة أو تخب
وان طال الرقاد من البرايا فان الراقدين لهم مهب
غرامك بالفتاة ضنى وغم وليس يسر من يشتاق غب
لو ان سواد كيوان خضاب بكفك والسهى فى الاذن حب
لما نجاك من غير الليالى سناء فارع وغنى مرب
وما يحميك عز أن تسبى ولو أن الظلام عليك سب

الى أن قال :

ولم يدفع ردى سقراط لفظ ولا بقراط حامى عنه طب
اذا آسيتنى بشفا صريعا فدعنى كل ذى أمل يتب
ولا تذبب هناك الطير عنى ولا تبلل يداك فما يذب

وهذه كلها معان سبق بها أبا العلاء جميع من جاء قبله من الشعراء ، وهى لا تخرج عن ذم الدنيا ، والنعى على المغترين بها ، وذكر عوادى الايام وجنايتها على الأحياء ، فلا شيء فى هذه الاقوال مما يجب أن يتنوره الحكيم من وراء هذه المحن ، سواء أكان ذلك من ناحية تنبيهها النفس الى سعادتها فيا وراء ذلك ، أم ايقاظها لأسمى عواطفها التى تبلغها كمالها من طريق تعويلها على الغرائز العلوية الكامنة فيها

نعم انه ذكر ان وراء متاعب هذه الحياة حياة أخرى فقال :

تعب كلها الحياة فما أعـ جب الا لراغب فى ازدياد
ان حزنا فى ساعة الموت اضعا ف سرور فى ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت امة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعما ل الى دار شقوة أو رشاد

ولكنه عاد فأنكر ذلك فى موطن آخر فقال :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

فهو هنا ينكر البعث بعبارة صريحة لا تحتمل التأويل ، فان أردنا أن نتعرف أثر الفلسفات الشرقية فى تكوينه لم نجد غير الفلسفة الدهرية منها ، ولكن اشياعها يبتون فيا يذهبون اليه ، ويقررونه تقريراً جديا ، ولا يتلاعبون فيه بالألفاظ ، فلا يحار الباحث فى الوقوف على حقيقة مذهبهم

فى شعر أبى العلاء ما يستدل منه على أنه لم يكن منكراً للخالق فقد قال من قصيدة :

لم يبق للظاعنين عين تبكى على الاعظم الرفات
أرى اتكالى الى المنايا أغنى عن الاسرة الكفاة
أثبت لى خالقا حكيما ولست من معشر نفاة

هذا قول صريح لا وجه لصرفه الى غير معناه ، لولا ان له قولا آخر ينفى هذا نفيا باتا فى قالب من التهكم ليس وراءه مذهب ، فقد قال :

قلتم لنا صانع قديم قلنا صدقتم كذا نقول

ثم زعمتم بلا مكان ولا زمان ، ألا تقولوا
هــذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

هنا قد يقول بعض المدافعين عن أبي العلاء إن هذه الأبيات الأخيرة مما وضعه بعض خصومه عليه ، ونسبوه اليه لينالوا من كرامته عند الناس

ان ما كان يعرف عن المعرى من عزوف نفسه عن التغذى بلحوم الحيوانات ، لا ينهض دليلا على أنه كان متأثراً بالفلسفة الهندية ، ولكنه حدث له كما حدث لغيره من الأقدمين كسقراط كراهة فى تعذيب الحيوانات بالذبح . أما تحريم لحوم الحيوانات فى الفلسفة الهندية فله سبب آخر مبنى على اعتقادهم فى تناسخ الارواح . فقد كانوا يقولون إن الارواح الشريرة تتقمص أجساداً حيوانية لتعذب فيها على ما جنت فى حياتها السابقة ، ولم يكن أبو العلاء يقول بذلك

وقد بحثنا عن أثر الفلسفات اليونانية فى تكوين شخصية أبي العلاء فلم نصادفه فى واحدة منها ، حتى ولا فى فلسفة التوقف «لبيرهون» اليونانى . فانها مبنية على الجزم بعدم امكان الانسان الوصول الى الحقيقة ، بسبب أن الكائنات فى الطبيعة تخضع لناموس التجدد المستمر ، فلا يمكن ان تعرف منها إلا ظواهرها . لذلك يقع الناس دائما فى الاخطاء والتناقضات ، فالبحث عن الحقيقة لا يقوم والحالة هذه على قرار ثابت ، فإزاء كل قضية عقلية يمكن أن توضع قضية أخرى معارضة لها . فالحكيم لا يسعه إزاء كل هذا إلا التوقف عن ابداء حكم ثابت عليها ، فعليه ان يجرى مع الظواهر دون ان يعلن حقيقة واحدة منها

أما من الناحية الخلقية فتؤدى فلسفة « بيرهون » أن يصل الانسان الى سعادة سلبية ، أى الى الخلاص من الارتباكات النفسية ، وهذه فى رأيه أقصى غاية يمكن أن يصل اليها الفيلسوف فى حياته الأرضية . وهنا تختلف هذه الفلسفة عن فلسفة الشك التى دعا اليها ديكارت ، فقد جعل الشك مرقاة لليقين ، لا أنه جعله غاية لجهود الحكماء

فاذا حاكمنا ما نقرأه من شعر أبى العلاء الى هذه الأصول وجدناه يشذ عنها كل الشذوذ ، بل لا نجد بينه وبينها أية علاقة . فأبو العلاء يجرى بشعره فى المضمار الذى جرى فيه جميع شعراء العربية قبله من ذم الدنيا وتحقير شئونها ، والقدح فى عقل الانسان والاستهزاء بما يستهتر فيه من طلب السعادة ، وخيبته فى الوصول اليها ، ولا يزيد على ذلك شيئا مما يجب أن يقف الانسان عنده من مذهب مقرر ، أو فلسفة محدودة ، أو توقف متواضع

ولو اعتبرنا فلسفة زينون الفيلسوف اليونانى القديم ، وحاولنا أن نجد بينها وبين فلسفة المعرى صلة ، تعذر علينا ذلك أيضا . فان الحكيم الاغريقى كان مذهبه أن الخير كل الخير هو فيما يبذله الانسان من الجهد لكيلا يخضع لغير سلطان العقل ، غير آبه بما يصادفه من الأحوال الخارجية

كالثروة والفاقة ، والصحة والمرض ، والنعيم والبؤس الخ ، حتى كان من اتباعه من قتلوا انفسهم تدليلا منهم على احتقارهم للكوارث المادية

وابو العلاء يذم الدنيا لأنها تخدع الانسان ، ويقدح فى الانسان لأنه يقع فى الفخاخ التى تنصبها له المطالب النفسية ، ولكنه لايقرر اصلا للخير يجب التعويل عليه للوصول الى سمو روحانى ، فشعر أبي العلاء يخلو من تقرير مذهب فلسفى أو نصب مثل أعلى للنفسية البشرية . وإنك لترى ذلك حتى فى الأبيات التى يحاول فيها بيان مذهبه ، فقد قال :

من مذهبي ان لا أشد بفضة قدحي ولا اصفى لغرب معوج
لكن أقضى مدتى بقنيم بقى وافرح باليسير الاروج
هذا ولست اود انى قائم بالملك فى ثوبى اغر متوج

فان سألته ولأى شيء تؤثر هذه القناعة ، والى أى غاية أوصلتك وقد لبثت فيها دهرك ؟ لم يجبك إلا بشكوى يجول بها كل مجال ، لا يتبين منها الناقد الغاية التى يرمى اليها ، كقوله من قصيدة :

يا دهر يا منجز ايعاده ومخلف المأمول من وعده
أى جديد لك لم تبله واى اقرانك لم ترده
تستأثر العقبان فى جوها وتنزل الاعصم من فنده
أرى ذوى الفضل واضدادهم يجمعهم سيلك فى مده
ان لم يكن رشد الفتى نافعا نفيه انفع من رشده
تجربة الدنيا وافعالها حثت اخا الزهد على زهده
والقلب من أهوائه عابد ما يعبد الكافر من بده
ان زمانى برزاياه لى صيرنى أمرح فى قده
كأننا فى كفه ماله ينفق ما يختار من نقده
لو عرف الانسان مقداره لم يفخر المولى على عبده
أمس الذى مر على قربه يعجز اهل الارض عن رده
أضحى الذى اجل فى سنه مثل الذي عوجل فى مهده
ولا يبالى الميت فى قبره بذمه شيع ام حمده

وهي طويلة وكلها على هذا الضرب من التشاؤم ، ولم يذيل ذلك كله بشيء ينم عن أصل مستقر فى نفسه يمكن أن يقال إنه مذهب له

يسوغ لنا بعد هذا كله أن نقول ان أبا العلاء المعرى لم تكن له فلسفة معينة ، ولا مذهب مقرر ، فان كان لا بد من وضع اسم على الحالة التي كانت عليها نفسيته ، فهي الحيرة والتشاؤم الممزوج بالتهكم . أشبه الناس به من معاصرينا كان السيد صدقى الزهاوي الشاعر البغدادى رحمة الله عليه ، فقد كان حائراً متناقضا متشائما متهكما ، فبينا كان يقول :

قال ما دينك الذى كنت فى الدنـ يا عليه وانت شيخ كبير
قلت كان الاسلام دينى وهـ و دين بالاحترام جدير
قال من ذا الذى عبدت فقا ت الله ربى وهو السميع البصير

اذا به يقول : لما جهلت من الطبيعة أمرها وأقمت نفسك فى مقام معلل
أثبت ربا تبتغى حلا به للمشكلات فكان اكبر مشكل

ويقول : أنا ما كفرت كل عمرى بالكتاب المنزل
أنا لم أزل أشدو بنعت النبي المرسل

فهذه الحالة من التناقض والحيرة التي كان عليها الزهاوى ، وكان عليها قبله شيخ المعرة ، لا تصح أن تكون مذهبا ولا مستمدة من مذهب . فقد رأيت زعيم المتوقفين « بيرهون » استقر على قاعدة ثابتة ، وعللها تعليلا علميا ، وجرى منها على سجيته مطمئن النفس ، هادىء البال ، غير واقع فى تناقض ، ولا برم بحيرة ، ولا مالئا الجو شكوى من الزمان وعويلا

ورأيت أيضا صاحب فلسفة الشك ديكارت ، قد جعل الشك اساسا للبحث عن الحقيقة ، ولم يتخذه غاية له . وقد أصبح مذهبه أسلوبا خالداً يذكره به كل باحث عن حقيقه . أما التناقض والحيرة الممزوجة بالتهكم فلا تصح ان تكون مذهبا لا مجتمعة ولا متفرقة . ودواؤها البحث والتأمل والدرس حتى يستقر صاحبها على قرار مما وصل اليه الباحثون ولو أدى به الى الالحاد البحت . أما الشك فلا يصح أن يكون مستقراً قط ، ولا تصح أن تكون له دعوة ، وتجرى هذا المجرى الحيرة والتهكم

انى أحب أبا العلاء وأجله كشاعر عظيم طبع الشعر بطابع خاص به ، ولكن لا كفيلسوف بالمعنى الذى يفهمه أهل العصر الحاضر

محمد فريد وجدى

أبو العلاء : فى العدد القادم

ضاق نطاق هذا العدد من أن يسع جميع المقالات التى تفضل بتدبيجها أصدقاء « الهلال » ، فاضطررنا آسفين الى تأجيل بعض هذه البحوث القيمة الشائقة ، التى تتناول كثيراً من نواحى أبى العلاء الفكرية والفنية ، وهى « المعرى : مثله الأعلى للاخلاق » للاستاذ احمد جاد المولى بك ، « ابو العلاء السياسى » للاستاذ عبد الحميد العبادى ، « رأى المعرى فى حرق الموتى » للدكتور محمد بك عبد الحميد ، « الرثاء فى شعر ابى العلاء » للاستاذ احمد الشايب ، « القصة فى ادب أبى العلاء » للاستاذ كامل كيلانى . فنعتذر الى هؤلاء الاساتذة الكرام أصدق اعتذار ، ونوجه نظر القراء الى هذه المجموعة من المقالات الثمينة التى ستشغل حيزاً كبيراً من العدد القادم

وفرة محصول أبي العلاء من اللغة ، وتمكنه من شوارد العربية ودقائقها ،

وسعة ادراكه أساليب النظم وفنون النثر تتمثل فى آثاره النقدية البارعة

المعرى الناقد

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

مراقب المجمع الملكي للغة العربية

قبل أن نتناول الموضوع الذى نسوق له هذا الكلام ، يحسن بنا أن نلم إلمامة رفيقة بالنقد الأدبى عند العرب فى جاهليتهم ثم فى إسلامهم . ولا شك فى أنه كان هناك نقد ، ضرورة اختلاف الآثار بالجودة والرداءة ، وتفاوت المراتب فى الجيد وتفاوت المنازل فى الردىء ، وتفطن بعض الناس الى هذا ، وقولهم فيه ، وتنبيه سواهم اليه

إذن لقد كان النقد الأدبى قائماً عند العرب من يوم جرت السنتهم بالشعر ، ومن يوم كان الشعراء . على أن هذا النقد انما كان يجرى فى أضيق الحدود ، وبعبارة أخرى كان نقداً ساذجا بسيطا يبعثه مجرد الحس الحاضر ، لا ينطلق فى حدود مرسومة ، ولا يتأثر فى مذهبه قضايا مقررة مقسومة ، شأن كل فن فى عهد البداوة ومطلع النشأة

وكيفما كان الأمر ، فان هذا الحس الحاضر هو الذى هدى الى الفنون ، وعليه قامت آساسها ، واليه المرجع فى تقرير ما تقرر لها من الأصول والاحكام . ولقد بسطنا هـذا الباب فى غير هذا المقام

كان العرب فى جاهليتهم ينقدون الشعر ، ولكن هذا النقد كان ، كما أسلفنا ، ساذجا بسيطا . لا يتكلفون فيه التبسط فى القول ، ولا المطاولة فى سبيل الابانة والكشف ، وتعمد الفلج ، تغنيا بصحة طبع السامع ، وقوة فطنته ورهافة حسه ، هذا الى أن النقد الذى يصدر عن حاضر الحس لا يحتاج الى جهد فى التدليل ولا طول معاناة

ولقد كان نقد العرب فى جاهليتهم متجرداً أكثره ، اذا لم يكن متجرداً كله ، فى سبيل المعانى بالدلالة على جيدها وعلى رديئها ، وللفاضلة بين الحسن والأحسن منها . وينبغى أن يكون الأمر كذلك ، وينبغى ألا يكون الأمر غير ذلك . وكيف يعتريهم النقد من ناحية اللغة فى متنها ، أو فى اعراب جملها ، أو فى تصرف ألفاظها ، وهم أولياء ذلك كله ، وهم ينبوعه ومنجمه ، وهم مصدره ومورده ، صحيحه ما نسب اليهم ، وفاسده مما ينبغى أن ينفى عنهم ؟

وكذلك القول فى نظم الكلام ، ووقوع أجزائه على النبرات الموسيقية ، فما كان (العروض) إلا هاديا فى النظم لسبيلهم ، ضابطا فى قواعده لما التزموا وما تجوزوا ، مقيداً لما تحرجوا فيه وتحرزوا

وأرجو ألا يذهب عنك أن العرب ، فى جاهليتهم ، سواء أكانوا يكثرون من نقد الشعر أم يقلون ، فإن ما انتهى الينا فى هذا الباب قليل أى قليل ، لما علمت من أنهم لم يكونوا أصحاب تقييد وتدوين

ولعل من أقدم ما أثر الينا من نقد الجاهليين ، اذا صدق الرواة ، مازعموا من أن امرىء القيس وعلقمة تنازعا في الشعر ، وأيهما أشعر ؟ فرضى علقمة بأن تكون أم جندب زوج امرىء القيس حكما بينهما . فقال كل منهما قصيدة يصف فرسه ، على قافية واحدة وروى واحد . فجاء فى قصيدة امرىء القيس :

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب

وجاء فى قصيدة علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فقالت أم جندب : علقمة أشعر ، لأن فرسه أدرك الطرائد ثانيا عنانه ، لم يضربه بسوط ولم يتعبه . وأما امرؤ القيس فقد ضرب فرسه بسوطه ، وحركه بساقه ، وزجره بصوته !

وكان النابغة تضرب له قبة بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارها ، فأنشده حسان بن ثابت قصيدة له منها :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقال له النابغة : « أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك » لأن الأسياف والجفان من جموع القلة ، ولو طلب الكثرة لقال : سيوف وجفون !

وأضاف بعضهم نقد هذا البيت الى الخنساء ، وزادوا فى روايتهم نقدها لكلمات البيت جميعا !..

***

ولما كانت دولة الاسلام كثر نقد الشعر ، أو كثر ما نقل الينا منه ، بحكم شيوع الكتابة واثبات الكلام . ومن أطرفه ما حدثوا من أنه لما هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر بقصيدته السينية المشهورة التى أولها :

والله ما معشر لاموا امرءاً جنبا فى آل لأى بن شماس بأكياس

لم يوجعه منها قدر ما أوجعه قوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

(البقية فى صفحة ٩٦٦)

صورة قلمية تمثل

رهين المحبسين

بقلم الاستاذ ميخائيل نعيمة

عشرة قرون . ان دقائق عشراً لفسحة من الزمان كافية لمحو عالم وخلق عالم ، فكيف بقرون عشرة ؟ وكيف برجل تمر به هذه القرون بمدها وجزرها ، فتجرف الكثير من الذين سبقوه والذين عاصروه والذين جاءوا بعده ، ولا تقوى على جرفه ، بل تحمله كمطية مطواع من فجر حول الى فجر حول ، ومن قلب جيل الى قلب جيل ؟ وهكذا يلف هذا الرجل الزمان ولا يلفه الزمان ، ويطوى المكان ولا يطويه المكان ، فيصل ألف عام بساعاتها بهذا العام وهذه الساعة ، ويربط معرة النعمان بألوف المدن والمدن فى سائر الأقطار ، ومنها بلدة جاورت حنين فى لبنان ، ويحرك بأفكاره أقلاما لا تعد ، ومنها القلم الذى يجرى بهذه السطور

هو الرجل الذى كان من أشد الناس تبرما بالزمان والمكان ، ونقمة على حياة كان يحسبها جناية واثما لأنها فى اعتقاده ، أضيق من المكان وأقصر من الزمان . لها أول فيه بعض الحلاوة ، ولها آخر كله مرارة ، ومرارة آخرها تمحو حلاوة أولها . وهذا الرجل عينه ، من بعد ألف سنة مرت على إنعتاقه من حياته المرة ، يفتح لى وللكثير سواى باب منزله على مصراعيه قائلا :

« تفضلوا وادخلوا » فكأنه ما اعتزل الناس فى حياته الا لتكون عزلته حافلة بهم بعد مماته ، ولا طلب الافلات من الحياة إلا ليمسك بالحياة فلا تفلت منه ، ولا الخروج من قبضة الزمان الا ليصبح الزمان فى قبضته

ها انا اطل عليه فى نفق ضيق مظلم من منزله الوضيع . فأراه جالسا وحده الى طبق من القش عليه قصعة من العدس المطبوخ ، وأخرى من الدبس ، وبعض الخبز . وأرى يده اليمين تمتد متمهلة بكسرة من الخبز الى قصعة الدبس وكأنها تخشى ان تخطئها فتقع على العدس ، أوأن تخطىء الاثنين فتقع على فسحة فارغة من الطبق . وبعد تردد تبلغ ما تقصد اليه ، فتغمس اللقمة بالدبس وترفعها بحذر الى الفم . لكنها لا تكاد تلامسه حتى يدخل الخادم لينعى الى مولاه وفاة صديقه ابى حمزة . فتجمد اليد فى الهواء ، وتقع اللقمة من بين اصابعها مارة بجبة الرجل وتاركة عليها آثاراً من الدبس لو كان له أن يراها لأنسته فظاعتها فاجعته بصديقه . إلا أنه لا يستطيع أن يراها

إذ لا منفذ للنور من عينه الغائرة وأختها النافرة ، وقد امتص الجدرى ماءهما ورد مافيهما من نور الى الداخل يوم لم يكن لصاحبهما من العمر أكثر من سنوات أربع

اما وجهه الأسمر النبيل المستطيل فتغشوه في الحال سحابة سوداء لاتلبث أن تنقشع عن سحابة مثلها ، ثم أخرى ، ثم أخرى . فكأن ذلك الوجه النحيل الذى نخره الجدرى تحول مسرحا لخيالات سود تعدو سراعا من شعرة الى شعرة ، ومن شفة الى شفة ، ومن حاجب الى حاجب ، ومن أذن الى أذن . وكأن عينيه ، وقد خبا نورهما ، تحاولان التقاط ما قد يكون فى تلك الخيالات من أنوار خفية

دقيقة . دقيقتان . والرجل لا يتحرك من مكانه كأنه سمر بالأرض . وأخيراً تنفتح شفتاه الرقيقتان الذاويتان بكل ما فيهما من صبر وأنفة وشمم فيأمر خادمه بالانصراف عنه وبألا يأذن لأحد بالدخول عليه . ومن بعدها ينهض متوا كلا بقامته الطويلة النحيلة وقد تغطت بجبة من الصوف الخشن ، وتكللت بعمامة تماثل الجبة خشونة وسواداً ، والعمامة والجبة تنمان عن فقر يتعشق النظافة رغم العمى ورغم قطرات الدبس

ويمشى الرجل بغير عصا ومن غير ان يتلمس الجدران الى باب النفق الضيق الواطىء فينحنى إذ يخرج منه الى حيث عادته أن يجالس قاصديه من طلاب معرفة ، اوغواة جدل ، أو ذوى حاجة من الحاجات . لكنه لا يتوقف هناك بل يجتاز المكان الى باب مخدعه الخاص . فيفتحه ويدخل ثم يوصده وراءه ويخطو بضع خطوات الى زاوية مفروشة باللبد لا غير . وهناك يتربع واضعا يديه على ركبتيه ومصوبا عينيه الى الأرض

وينحنى رأسه قليلا فقليلا كأن به ثقلا لا يقوى عنقه الطويل على حمله . وتكاد العمامة تهوى عنه الى الارض . فيأخذها بيديه ويضغط عليها . وينحدر الثقل من رأسه الى قلبه ، فيحس فيه انقباضا وأى انقباض ، كأن يداً من حديد تعصره فتكاد تزهق أنفاسه ، فيتمنى لو يذهب الموت بأنفاسه. ثم يخيل اليه أنه فى قبر ، وهل القبر أضيق أو أشد ظلاما من هذا البيت الذى قضى فيه أبوه ثم أمه وتركاه أعزلا من كل سلاح حتى من البصر ! — بيت ما أشرقت جدرانه القاتمة ببسمة طفل ، ولا رقصت عيدانه اليابسة لقهقهة ولد منذ خمسة عقود — منذ أن كان هو طفلا رضيعا ثم فطيما صغيرا — بيت لا تهتز أرضه لخطوات زوج تلتهب محبة لزوجها ، ولاتتجاوب زواياه بعذوبة صوتها . حقا أنه لقبر هذا البيت الذى احتبس فيه عن الناس وعن كل ما فى العالم الواسع خلف جدرانه وهو دفين فيه من زمان ، وما برح يحسب نفسه من الاحياء

وهذا الجسد الذى أغلقت نافذتاه الى عالم الاشكال والألوان ، اليس هو كذلك قبراً ؟ فلا السماء بكواكبها ، ولا الارض بمواكبها تجد اليه سبيلا إلا على قدر ما تتناول منه أذناه ويداه ، وأنفه ولسانه ، وهل تتناول الاذن أشباح الانفعالات التى تتمايل على وجوه الناس فتنم عما فى

صدورهم بفصاحة أين منها فصاحة اللسان ؟ أو تتناول اليد البحر والجبل ، أو الانف عجائب الفجر والمساء ، أو اللسان غرائب الزهر والثمر ؟ بل هاهو ، وقد أفنى حياته فى الدرس والتأليف ما تمكن يوما من قراءة ما درس وما ألف لا بيده ولا بأنفه ولا بلسانه ولا باذنه . حتى ان الحروف التى يؤلف منها ما ينظم وماينثر طلاسم عنده فى طلاسم ، يستعين على فكها بنظر يستعيره من سواه

أما لذة المؤلف فى قلمه وهو يجرى به على القرطاس فلذة لا أثر لها فى نفسه على الاطلاق . وأى خير فى التأليف من أى نوع كان ؟ بل أى خير فى كل مايعمله الناس ـ بصيرهم ومكفوفهم ـ ما دام الموت لهم بالمرصاد ؟

أجل . انه ليت . وهذا البيت قبر . بل الارض كلها قبر واحد يبيت فيه أجساد الناس منذ فجر الخليقة ، فما كان أديمها غير أجساد بشرية بالية . فيا لغرور من يمشى عليها مختالا بحسب أو بنسب أو بقوة أو بسلطان ، وهو لايعلم من تراب أى جيل جسده ، ولا بتراب أى بشر سيمتزج ترابه بعد الموت . وقد يكون عدو له فى الحياة شريكا له فى القبر بعد الممات . وقد يمسى فوقه من هو اليوم تحته . فما أجهل الناس يتسابقون فى مضمار حياة محجتها اللحد . وما أغباهم يفرحون للولادة ويحزنون للموت ولا فرق عند الارض بين تلك وهذا . ولو انهم أراحوا انفسهم من مثل هذه التفرقة بين الامور لتخلصوا من أوجاع كثيرة . لا . لا البكاء يجدى ولا الغناء ، انما يجدى الترفع عن الاثنين

« ولد ابو حمزة » . « مات ابو حمزة » . أى فرق بين هذين الخبرين عند من يعرف أن من ولد سيموت حتما ، ومن مات كان مولودا قبل ان مات ؟ أى فرق عند الشمس بين قول قائل : « أشرقت الشمس » وقوله « غابت الشمس » ؟

ان يكن هناك فرق بين شروق الشمس وغروبها فالشمس أدرى به . اما من ليس شمسا فما عليه إلا القبول بالشروق والغروب . كذلك ان يكن فرق بين الولادة والموت فالذى يولد ويموت أدرى به . اما من ليست الولادة ولا الموت فى قدرته فما له إلا القبول بهما

من يجهل العلل حذار أن يفرق بين النتائج فيحسب بعضها خيراً وبعضها شراً ، ويفرح للاول ويبكى للثانى . والناس يجهلون العلل لذلك إن هم فرقوا بين النتائج كان تفريقهم وبالا عليهم

وينكمش وجه الرجل عند هذه النقطة ويتقطب حاجباه وما هى إلا هنيهة حتى تطمئن ملامحه وتنبسط ، ويطفو عليها نور دقيق هادىء يكاد يشع حتى فى عينيه الفارغتين من النور . فكأن البيت الذى أوشك أن يسحقه بين جدرانه وسقفه قد تلاشى فى الأثير . وكأن سحراً مشى فى دمه فأحس جسده خفيفا كالاثير ، وأحس ذاته واسعا كالارض والسماء ، عييا كالقدرة التى

منها الولادة والموت . واذا بلسانه يتحرك وبشفتيه تتململان ، واذا به يسمع صوته هامسا في أذنه :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

ويدور هذا البيت على لسانه دورات واذا بآخر يدور معه :

وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل ناد

لكنه بيت ، اذا فهمه هو ، فلن يفهمه الناس الذين درجوا على ترتيب كل شيء في الحياة ترتيبا يجعل الاشياء متفاوتة القدر والأهمية ، وما هي متفاوتة . فهم سيقولون إن في بشارة الولادة فرحا وفي نعي الموت حزنا . فكيف يتساويان ؟ ألعلهم يقولون ذلك في هديل الحمامة وهم لايعرفون ، أبكاء هو أم نواح ؟

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على غصن دوحها المياد ؟

وهكذا ينبثق البيت من البيت ، وهكذا تتماسك أعجاز البيوت بصدورها وصدورها بأعجازها ، وفي كل بيت صورة بل صور تجعل الناظر اليها يخجل من الحزن والتفجع على الأموات . صور يجلو بعضها بعضا فتبدو رائعة ببساطتها ، غير متناهية في مداها ، لاتعنت فيها ولا تكلف ، لا نغمة تؤذ الأذن ، ولا لون يجرح العين ، ولا معنى ينفر الفكر . حتى كأن هذه الصور صورت ذاتها ، وكأنها كانت في العالم منذ أن كان العالم ، لكن ستاراً كان يحجبها عن أعين الناس ، فما فعل هذا الضرير اكثر من أن أزاح عنها الستار ، فكان وحده المبصر في عالم عميان

رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد

ومن بعد أن يفرغ خياله من صور الموت على الأرض يرتفع الى فوق فيرى ما في الفضاء سائراً الى الاضلال . فزحل على ميعاد مع الردى . والثريا رهينة بتشتت الشمل . كل ما في السماء وعلى الأرض زائل . اما الانسان . . .

ويتقطب حاجبا الأعمى ثانية ، ويضغط بيديه على رأسه أشد من قبل . ويغرق في لجة من التفكير ، ثم يرفع رأسه الى فوق كأنه يستنجد قوة خفية . ويمر بيمناه على لحيته واذ ينحدر بها الى صدره تلامس شيئا لزجا على جبته . فيجفل كالملسوع . ويختفن الدم في وجهه . وتمشى قشعريرة في بدنه . ويفطن للدبس الذى اكل . فينهض من مكانه متمتما « قاتل الله النهم » ويروح يفتش عن ابريق الماء حتى اذا وجده بل منديلا واخذ يمسح به الدبس عن جبته ، متعزيا عن هذه « الكارثة » بانه تنبه لها قبل أن يراها غيره ويضحك منه في سره . فهو شديد الحذر الى حد الجنون من أن تكون بليته ببصره مدعاة لسخر الناس به . لكنه ما يكاد ينتهي من تنظيف جبته حتى يستغرب ذاته . فكأنه ليس الرجل الذى منذ دقائق كان يفكك الثريا ، ويذرى غبار زحل في هاوية الزمان ، ويرفع النقاب عن وجه الأرض ليرى الناس ما تحته من قبور

كيف يخشى قطرة من الدبس على جبته ، من ليس يخشى الموت فى قلبه ، ومن يقول إن الموت والولادة سيّان ؟ أنه لعجيب هذا الانسان الذى يسطو على الاكوان بخياله وتسطو عليه قطرة من الدبس . بلى . عجيب واكثر من عجيب . أليس من الممكن أن يكون مفتاح الحياة والموت فيه ؟

يجول الرجل فى كل ناحية من نواحى فكره لعله يتمكن من الجواب بالنفى أو بالتثبيت ، فلا يتمكن ، فيكتفى باعلان حيرته فى ذاته وفى كل انسان :

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

لكنها حيرة تتمخض عن معرفة . ولكنها معرفة فى قلبها ايمان

***

بعد أعوام يغيب أبو العلاء فى رمسه . اما « غير مجد » فتشرق أبياتها بنور ما يزال يتهادى على أسنمة السنين ، واصلا قطراً بقطر وجيلا بجيل . ولن يخبو هذا النور حتى تخلو الأرض من القبور

لعل من اختارته الحياة اناء لمثل هذا النور ما يزال — من بعد الف سنة — ناقما على الحياة ، وفى ريبة من أن الانسان أبقى من الزمان وأوسع من المكان ؟

ميخائيل نعيمه

جناية الأبناء

صحبتك فاستفدت بهن ولدا أصابك من أذاتك بالسمات
ومن رزق البنين فغير ناء بذلك عن نوائب مسنات
فمن ثكل يهاب ومن عقوق وارزاء يجئن مصمات
وان تعط البنات فأى بؤس تبين فى وجوه مقسمات
يردن بعولة ويردن حليا ويلقين الخطوب ملومات
ولسن بدافعات يوم حرب ولا من غارة متغشيات
ودفن والحوادث فاجعات لاحداهن احدى المكرمات
وقد يفقدن أزواجا كراما فيا للنسوة المتأيمات

المعرى

المعري النباتي

كان رحيماً متقشفاً لا زنديقاً ملحداً

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد
وكيل القومسيون الطبي العام

النباتي لغة العارف بالنباتات . أما النباتي في عرف الطب فهو من اقتصر في غذائه على المواد النباتية ممتنعا عن تناول شيء من المواد الحيوانية . ومن النباتيين من يتنطع في مذهبه فلا يتناول البيض واللبن والجبن والسمك لأنها من أصل حيواني ، ومنهم من يعف عن اللحوم المختلفة لكنه لا يأبى أن يتناول البيض واللبن والجبن والسمك

حجج النباتيين

ويرتكن النباتيون في مذهبهم على أسباب مختلفة . فهم يدعون من الناحيه الفسيولوجية أن الانسان قريب المشابهة بالقرد آكل الفواكه والأثمار ، بعيد كل البعد عن أكلة اللحوم وأكلة الأعشاب وأكلة اللحوم والأعشاب معا . فيرد بعضهم على ذلك بأن الانسان من الناحية الفسيولوجية يعتبر حيوانيا نباتيا ، ذلك لأن له أنيابا ولأن امعاءه متوسطة الطول بين أكلة اللحوم وأكلة الأعشاب . فيعترض عليهم النباتيون بأن للقرد آكل الفواكه والأثمار أنيابا ، أما امعاء الانسان فلا تجعله صالحا لتناول الأعشاب التي تستلزم امعاء طويلة ، ولا تجعله صالحا لتناول اللحوم التي تستلزم امعاء قصيرة لكي لا يطول مكثها فيها فتتعفن ويصيبه أذى من تعفنها

ويقول النباتيون من الناحية الكيميائية إن العناصر الغذائية الضرورية متوفرة في المواد النباتية فيرد عليهم المعترضون بأن الجسم لا بد من استيعابه مقادير كبيرة منها للحصول على العناصر الغذائية الضرورية له وأن الجسم لا يعاني عناء كبيراً في هضم المواد الحيوانية وتمثيلها

ويعتقد النباتيون أنهم باقتصارهم على تناول المواد النباتية يتجنبون الامراض التي قد تنتقل اليهم عن طريق المواد الحيوانية ، وانهم أرحم من أن يقتلوا الحيوان أو يذبحوه ليأكلوه . فيرد عليهم المعترضون بأن تلك الامراض يمكن اتقاؤها بالمراقبة الصحية الشديدة ، وان الرحمة بالحيوان تتم باحسان الذبح على نحو ما يحتم الشرع الاسلامي مما يطول بي الكلام لو أردت بيانه ، واننا اذا

تركنا أنواع الحيوان ترعى وترتع وتلعب ولم ندع الصالح منها لغذائنا تكاثرت تكاثراً كان من شأنه أن يعتدى بعضها على بعض ويفترس قويها ضعيفها

ومن الأسباب التى يعتمد عليها النباتيون أن المواد النباتية أفضل من الناحية الاقتصادية لرخصها عن المواد الحيوانية ، وانهم باقتصارهم على المواد النباتية تكون صحتهم قوية وقوتهم عظيمة . فيرد الخصوم عليهم انهم لو أضافوا الى غذائهم شيئاً من المواد الحيوانية لازدادوا صحة على صحتهم وقوة على قوتهم . وكذلك يقول النباتيون : هبك جنبت عدداً معينا من الأفدنة لتربية المواشى لذبحها فلحومها لا تكفى إلا عدداً صغيراً من الناس ، على غير ماهى الحال اذا زرعتها بقولا وحبوبا ونباتا فهى وقتئذ تكفى عدداً أكبر . فيعترض عليهم أن من الارض مالا يصلح إلا لانبات الكلأ والحشائش التى ترعاها المواشى

وكذلك يقول النباتيون إن إنبات البقول والحبوب والفواكه والخضر يحتاج الى استخدام عدد كبير من الفلاحين أو المزارعين وبذلك تكثر الأيدى العاملة وتقل البطالة على غير ماهى الحال اذا جنبت الارض للمرعى

نباتية المعرى

ودعك من النباتية أو الحيوانية أو الجمع بينهما يتخذها الانسان سبيلا لغذائه المستمر طوعا لارادته وهواه . فهناك امراض معينة تقتضى أن يمتنع الانسان عن اللحوم وأن يقتصر على الخضر والفواكه ، وهى أحوال يطول بى الكلام لو أردت شرحها تفصيلا ، فلنتركها لنتكلم عن أبى العلاء المعرى الذى عاش نيفا وثمانين سنة لم يأكل اللحم منها خمسا واربعين سنة . فقد روى بعضهم « أنه مرض مرة فوصف الطبيب له الفروج فلما جىء به لمسه بيده وقال : استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الاسد ؟ »

وكذلك روى بعضهم : « أنه بقى خمسا واربعين سنة لايأكل اللحم ولا البيض ويحرم إيلام الحيوان ويقتصر على ماتنبت الارض ويلبس خشن الثياب ويظهر دوام الصوم »

وكذلك روى : « أن رجلا لقيه فقال له : لم لا تأكل اللحم ؟ قال : أرحم الحيوان » ، قال : « فما تقول فى السباع التى لا طعام لها إلا لحوم الحيوان فان كان لذلك خالق ، فما انت بأرأف منه ، وان كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت باحذق منها ولا اتقن عملا . فسكت »

ويستدل القوم على ان المعرى كان معتنقا للمذهب النباتى من قوله فى لزومياته :

غدوت مريض العقل والدين فالقنى لتسمع أنباء الأمور الصحائح
فلا تأكلن ما اخرج الماء ظالما ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح
وابيض أمات أرادت صريحه لاطفالها دون الغوانى الصرائح

ولا تفجعن الطير وهى غوافل ... بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذى بكرت له ... كواسب من أزهار نبت فوائح
فما أحرزته كى يكون لغيرها ... ولا جمعته للندى والمنائح
مسحت يدى من كل هذا فليتنى ... أبهت لشأنى قبل شيب المسائح

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة حسبنا منها ماذكرت مما معناه : أنه يدعو عليل العقل والدين ليخبره بالصحيح من الأمور ، وينصح بعدم أكل ما يخرج الماء لأنه يعتقد أن السمك لا يخرج من الماء الا وهوكاره . وكذلك ينصح بعدم أكل غريض الذبائح اجتنابا لايلامها فى أثناء ذبحها . وينصح بعدم شرب اللبن لأنه يرى أنه لأطفال البهائم التى تشرب لبنها . وفى ذلك يقول : « ومشهور أن الأم اذا ذبح ولدها وجدت عليه وجدا عظيما وسهرت لذلك الليالى ، وقد أخذ لحمه وتوفر عليه اصحاب أمه ما كان يرضع من لبنها . وأى ذنب لمن تحرج عن ذبح السليل ولم يرغب فى استعمال اللبن ولا يزعم أنه محرم ، وانما تركه اجتهاداً فى التعبد ورحمة للمذبوح رغبة أن يجازى عن ذلك بغفران خالق السموات والارض . واذا قيل ان الله سبحانه يساوى بين عباده فى الاقسام فأى شىء اسلفته الذبائح من الخطأ حتى تمنع حظها من الرأفة والرفق ؟» ثم استأنف ناصحا بعدم أكل الطير بقوله :

ولا تفجعن الطير وهى غوافل ... بما وضعت فالظلم شر القبائح

وفى ذلك يشرح المعرى رأيه بقوله :

« ان النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى عن صيد الليل وذلك أحد القولين فى قوله عليه الصلاة والسلام : « أقروا الطير فى وكناتها » وفى الكتاب العزيز : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم » الى غيرها من الآى فى هذا المعنى . فاذا سمع من له أدنى حس هذا القول فلا لوم عليه إذا طلب التقرب الى رب السموات والارضين بأن يجعل صيد الحل كصيد الحرم وإن كان ذلك ليس بمحظور »

ثم تمادى فى النصح بعدم تناول العسل الابيض الغليظ لأن النحل لم تحرزه لكى يكون لغيرها ولا جمعته لتجود به أو لتعطيه الغير كما تعطى الناقة أو الشاة لبنها غيرها بقوله :

« لما كانت النحل تحارب الشائر عن العسل بما تقدر عليه وتجتهد أن ترده عن ذلك فلا غرو ان أعرض عن استعماله رغبة فى أن تجعل النحل كغيرها مما يكره فيه ذبح الآكيل وأخذ ما كان يعيش به لتشربه النساء كى يبدن وغيرها من بنى آدم »

واستأنف المعرى قائلا : « انه روى عن على عليه السلام حكاية معناها أنه كان له دقيق شعير فى وعاء يختم عليه فاذا كان صائما لم يختم على شىء من ذلك الدقيق . وقد كان عليه السلام يصل الى

غلة كثيرة ولكنه كان يتصدق بها ويقتنع اشد اقتناع . وروى عن بعض اهل العلم انه قال فى بعض خطبه ان غلته تبلغ فى السنة خمسين الف دينار وهذا يدل على أن الانبياء والمجتهدين من الأئمة يقصرون نفوسهم — أى يحبسونها عن الشهوات — ويؤثرون بما يفضل منهم أهل الحاجة »

ومن الغريب انى طالعت كثيراً عن المذهب النباتى فى المطولات الطبية والموسوعات الانكليزية فلم أجد من ذكر العسل الابيض وأشار بالامتناع عن تناوله كما فعل المعرى . فاذا افتخر بقوله المشهور : وانى وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

أقول فاذا افتخر المعرى بقوله هذا فما كان أحراه أن يفتخر بما لم تدركه الأواخر مع تقدم العلوم تقدما عظيما عن العصر الذى عاش فيه

هل كان المعرى ضالا ؟

ولا ريب فى ضلال من حرم ما احل الله لنا . فقد احل لنا السمك بقوله تعالى : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة » وبقوله أيضا « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » وقد أحل لنا العسل بقوله تعالى : « يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس »

وقد أحل لنا لحوم الانعام بقوله تعالى : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون » وكذلك أحل لنا اللبن بقوله تعالى : « وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » بل لقد ورد فى القرآن الكريم ما يدل على ان المواد الحيوانية قد تكون فى غذاء الانسان أفضل من المواد النباتية وهو ما يلتئم والآراء الحديثة فى الطب فقد جاء فى الكتاب العزيز : « واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم » والطعام الواحد الذى قالوا عنه أنهم لن يصبروا عليه هو المن والسلوى فقد جاء ذكره فى قوله تعالى : « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى . كلوا من طيبات ما رزقناكم . وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وقد عبر عنه بطعام واحد وان كان مركبا من المن والسلوى لانه كان مأكلا واحداً لا يتبدل ولا يتغير . والسلوى الطير المعروف بالسمانى

أقول لا ريب فى ضلال من حرم ما أحل الله لنا من هذه الطيبات متعمداً مستهتراً ولكن هل كان أبو العلاء المعرى من هذا النوع ؟

لقد اختلف المؤرخون فى ذلك . فمنهم من اتهمه بالزندقة والالحاد ومنهم من دافع عنه وبرأه من هذه التهمة

ويخيل لى انه رحمه الله لم يتخذ المذهب النباتى لأنه يرى تحريم ما أحل الله ولـكنه كان مدفوعا اليه اجتنابا لايلام الحيوان رأفة به ورحمة له ورغبة فى أن يجازى عن ذلك بالغفران . ولعل أكبر دليل على ذلك ماجاء فى لزومياته :

تسريح كفى برغوثا ظفرت به ... أبر من درهم تعطيـه محتاجا

لا فرق بين الأسك الجون اطلقه ... وجون كندة أمسى يعقد التاجا

كلاهما يتوقى والحيـاة له ... حبيبة ويروم العيش مهتاجا

فهو فى هذه الأبيات يرى تسريح البرغوث واطلاقه خيراً من التصدق بدرهم على محتاج . ألا يدل ذلك على أنه كان رقيق القلب عطوفا رءوفا ؟

ومن الأدلة على رفقه بالحيوان رفقا شديداً قوله فى اللزوميات أيضا :

يكفيك أدما سليط ما اريق له ... دم ولامس روحا إذ جرى ألم

وعندى أن اقتصاره على المواد النباتية أو امتناعه عن تناول المواد الحيوانية هو من باب ايثار الحيوان على نفسه توغلا فى الزهد والتقشف . فقد رد على من ادعى أن ترك أكل اللحم ذميم بقوله : « ولو أخذ بهذا المذهب ، لوجب على الانسان ألا يصلى صلاة إلا ما افترض عليه لأن ما زاد على ذلك أداه الى كلفة والله تبارك وتعالى لا يريد ذلك ، ولوجب أن الذى له مال كثير اذا اخرج عن الذهب ربع العشر لايحسن به أن يزيد على ذلك ، وقد حث الناس على النفقات فى غير موضع من الكتاب الاشرف »

وقد يكون من التعسف أن نحكم حكما قاسيا على كل من امتنع عن شىء أحله الله لنا وهو لا يقول بتحريمه

ولنا فيما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة ، فقد روى الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له أحرام هو ؟ ـ والكلام على الضب ـ قال لا ، ولـكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى اعافه

فالمعرى ، على ما اعتقد استنباطا من اشعاره وأقواله ، زاهد غاية فى الزهد ، عابد متنطع فى عبادته ، متقلل يأخذ نفسه بالخشونة قانع باليسير ، معرض عن الدنيا وزخرفها . وهذا مما يجعلنى أميل الى الاعتقاد بأن نباتيته ناشئة عن شفقته وزهده وتقشفه لا عن زندقته والحاده

أما ما ورد فى أشعاره مما يصح أن يؤخذ عليه فلا يبعد أن يكون مدسوسا عليه للنيل منه فقد جاء عنه « أنه كان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الاشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وايثاراً لاتلاف نفسه »

ومما يدل على ذلك قوله :

حاول اهـوانى قوم فما ... واجهتهم الا باهـوان

يغرشون بسعاياتهم فغيروا نية اخوانى
لو استطاعوا لوشوا بى الى المريخ فى الشهب وكيوان

وكذلك قوله :

غريت بذمى أمة وبحمد خالقها غريت
وعبدت ربى ما استطعت ومن بريته بريت
وفرتنى الجهال حاسدة على وما فريت
سعروا على فلم أحس وعندهم أنى هريت

ولست أدرى أيصح ان أقول عن المعرى ما قاله المعرى عن المتنبى ، فقد كان يتعصب له ويفضله وكان المرتضى يتعصب عليه فجرى ذكره يوما فتنقصه المرتضى فقال المعرى لو لم يكن للمتنبى من الشعر إلا قوله : « لك يامنازل فى القلوب منازل » لكفاه فضلا فغضب المرتضى وأمر به فسحب برجله وأخرج وقال : أتدرون ما قصد بهذه القصيدة فان للمتنبى ما هو أجود منها ، فقالوا : لا ، قال : أراد قوله فيها

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بانى كامل

واستأنف الراوى على ماجاء فى بغية الوعاه قائلا :

« ولما رجع ابو العلاء الى المعرة لزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين ، يعنى حبس نفسه فى المنزل وحبس بصره بالعمى »

ولعل رفقه بالانسان لا يقل إن لم يزد عن رفقه بالحيوان مما يدل على قوله :

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحا ونفضك الصدر من غل ومن حسد
ما دامت الوحش والانعام خائفة فرسا فما صح أمر النسك للاسد

بل ليس أدل على رفقه بالانسان مما أوصي أن يكتب على قبره :

هـذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

الدكتور محمد عبد الحميد

ان مسافة الخلف بين المعرى والخيام واسعة . فالاول رواقى المذهب والثانى ابيقورى النزعة . ولكنهما فى التشاؤم بالحياة والزراية بها والرثاء لحال الانسانية سواء

بين أبى العلاء والخيام

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام
الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

— ١ —

عظيمان من علماء الاسلام وأدبائه ، عاش أولهما بين سنتى ٣٦٣ و ٤٤٩ من الهجرة ، وعاش الثانى فى القرن الخامس وأوائل السادس لا يعرف يقينا تاريخ مولده ووفاته ، وان يكن أدرك زمان المعرى فما أدرك منه إلا سنين قلائل

بعض الأدباء يذكرون الخيام مع المعرى ، ويكثرون من تشبيه أحد الرجلين بالآخر فهل هم فى ذلك على هدى ؟ . ماذا عسى أن يتبين الباحث من تشابه بين عالم فارسى غلبت عليه الفلسفة النظرية ، والرياضة والفلك ، وأديب عربى غلبت عليه الفلسفة العملية والشعر وعلوم الادب ؟

ماذا يجد من قرب بين بصير رأى الوان الحياة ، وسرح طرفه فى ارجائها وأمتع نفسه بمشاهدها ، وسرى همومه بمرائيها ورأى فيها مضطربا واسعا ، وبين آخر كفيف لا تنطلق نفسه فى نظراته ، ولا يهتدى السبل فى مناكب الارض ، لزم داره وتسمى رهين المحبسين : العمى والدار ، بل رأى الحياة محبسا ثالثا فقال :

أرانى فى الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ولزوم بيتى وكون النفس فى الجسد الخبيث

بل ماذا تجد من شبه بين هذا الفلكى البصير الذى يأخذ حظه من متاع الحياة ولذة العيش ويدعو الناس الى انتهاز الفرص ، وبين هذا الأديب الضرير الذى غلب عليه الحزن والانقباض وزهد فى الدنيا ودعا جاهدا الى الزهد فيها ؟ هذا بين كأسه ومزهره ونديمه فى المروج الخضراء على مجارى الماء ، وهذا فى ظلمته يملى على الناس ما أدرك عقله من مساوىء هذا العالم ، وما أحس قلبه من هموم هذه الحياة ، ويغتم لما لم يدرك من أسرار الكون ومعمياته . كأن هذين الاديبين كما قال ابو العلاء :

زحلى داجم يصحبه زهرى الطبع غنى وزمر

ان قارىء اللزوميات كثيرا ما يمر بمثل هذه الأبيات :

يحل بمهر رحيق الرضاب   وليس يحل رحيق العنب
بعيد الفتى كالذى نابه   جنون ، على أنه لم يثب
توخ بهجر أم ليلى فانها   عجوز أضلت حى طسم ومارب
دبيب غال عن عقار تخالها   بجسمك شر من دبيب العقارب
ولو انها كالماء طلق لأوجبت   قلاها أصيلات النهى والتجارب

وكذلك يمر قارىء اللزوميات بأبيات كثيرة تنهى عن اللهو واللعب . وأما الزهد فلا تكاد تخلو من الدعوة اليه صفحة من الكتاب . وأما قارىء الرباعيات ، رباعيات الخيام ، فهو فى دعوة الى الشراب واللهو تلقاه بها كل صفحة

شرب الخمر والطرب مذهبي
والفراغ من الدين والكفر دينى
قلت لعروس الدهر ما مهرك ؟
قالت مهرى القلب الطروب
تقلب الدهر بالصيف والشتاء
يطوى أعمارنا طى السجل

فتجرع الخمر ولا تتجرع الهم فقد قال الحكيم : هموم الدنيا كالسم وترياقها الخمر

وعلى هذا القطب يدور شعر الخيام فى رباعياته

فهذان شاعران دعوة أحدهما : اشرب واطرب ولا تبال شيئا ، ولا تفكر فى الأمس ولا الغد

* أيأتى نبى يجعل الخمر طلقة   لتحمل ثقلا من همومى واحزانى
وهيهات لو حلت لما كنت شاربا   مخففة فى الحلم كفة ميزانى

* مافات مات والمؤمل غيب   ولك الساعة التى أنت فيها

والثانى دعوته : أزهد واهجر الخمر واللهو وفكر فى أمسك وغدك . ذانك مذهبان فى العيش مختلفان كل الاختلاف تترادف عليهما الأدلة من شعر الشاعرين

— ٢ —

ان الذى يقنع بالنظرات العاجلات لا يرى بين شاعر المعرة وشاعر نيسابور تشابها ، بل يرى بينهما تباعدا وتنافرا وتناقضا . وله العذر فى هذا الرأى فالاختلاف بين الرجلين عظيم ، والذى يقرأ اللزوميات والرباعيات قراءة مستوعب متأمل يرى مسافة الخلف بين الاديبين تزداد اتساعا ، ولكنه ، ولا ريب ، يدرك مع هذا الاختلاف البين شبها بينا

يرى المعرى قد أجال فكره فى العالم كله جملته وتفصيله ، ونظره فى الحياة أصلها وفروعها ،

فهو يروع القارىء بسعة الفكر ، وعمقه ، وتنوعه ، ويرى الشاعر جائل الفكر بين السماء والارض والحياة والموت ، والدين والكفر ، والعدل والجور ، والشفقة والقسوة ، أمور كثيرة ترجع الى أخلاق الناس وسياسة الامم . يقول فى اللزوميات :

* فكرى أنت ربما هدى الانسان للمشكلات بالتفكير
ما الذى نستفيد فى هذه الدنيا بطول الرواح والتبكير ؟

* حياة وموت وانتظار قيامة ثلاث أفادتنا الوف معان

فذلك الأصل الذى يبدأ منه تفكيره ثم يمده ويفصله حتى يتناول كل ما يهم المفكر فى هذه الحياة

ويظهر المعرى فى شعره مفكراً ملحا فى التفكير ، مهموما حزينا ، حائراً ومهتديا ، شاكا ومؤمنا ، باختلاف الامور التى ينظر فيها والأحوال التى تتداول نفسه ، حتى يكاد يكون شعره فلسفة وتفكيراً . وكذلك يدرك القارىء هذا المسلك الوعر الذى حمل الشاعر نفسه عليه فى حياته ظاهرا فى أسلوبه اللفظى كذلك ، فهو يلتزم فى القافية ما لا يلزم ، ويكلف نفسه أن ينظم قوافيه على الحروف كلها المألوف منها وغير المألوف ويقيد نفسه بكثير من الجناس وضروب الصناعة اللفظية والمعنوية

وأما الخيام فتمثله رباعياته رجلا لاهيا قد انتبذ مكانا فى مرج تحت شجرة على مجرى ماء ، ومعه كأسه ومزهره ونديمه وهو يقول : نحن لا ندرى ــ لا ندرى من أين جئنا الى هذا العالم ، ولماذا جئنا ، والى أين ننتهى ، اننا الى فناء سريع فى تطور هذا العالم . فخذ حظك من متاع الحياة ، ولا تبتئس ، ولا تبال بشىء ولا تضيع فرصة تلوح لك . حياتك كالربيع يزدهر ثم يذبل وشيكا ، فاذا زين الربيع وجه الارض وغنى البلبل للورد فخذ مزهرك وكأسك وشارك الورد فى بهجته والبلبل فى غنائه الخ الخ

معان قليلة يصورها الخيام صوراً شتى ، ويعرضها فى ألوان كثيرة . كالزهر تختلف أشكاله وتفترق ألوانه ، ولكنه زهر تعدده الصور ويوحده المعنى . وأين ذلك من لزوميات أبى العلاء التى تشبه البرية المنبتة تخرج من الشجر والنجم والعشب والشوك والريحان كل ما فى طبيعة الارض

ــ ٣ ــ

ما الشبه الذى نجده بين الخيام والمعرى بعد الفروق التى قدمنا ؟ كلاهما متفلسف قرأ الفلسفة وفكر تفكيراً عميقا فلسفيا وكان له فلسفة عملية انتهت اليها آراؤه على بعد ما بين النهايتين . لست أزعم أن الخيام والمعرى درسا الفلسفة بمقدار واحد ، وليس يعنينى هنا ان اقيس الخيام بالمعرى من هذه الوجهة لنبين أن الخيام من الذين درسوا الفلسفة درسا واسعا وألفوا فيها ، والمعري أديب لا نعرف كيف درس الفلسفة والى أى مدى بلغ فيها ، ولكن الذى يعنينا أن الرجلين كليهما فكرا فى

العالم والانسان فتحيرا وتشاءما ، وحزنا وصورا للناس ما أدركا وما أحسا من ذلك . يقول الخيام[1]

« ان الذين أحاطوا بالآداب والعلوم ، وأضاءوا لاصحابهم حينا ، لم يجدوا مخرجا من هذا الليل المظلم فقصوا أساطير ثم اخذهم النوم »

« تفكر قوم فى الأديان والمذاهب ، وتحير آخرون بين اليقين والشك ، واذا بمناد يناديهم أيها الجاهلون ! ان الطريق ليست هذه ولا تلك »

« جاء بى الى الوجود مضطراً ، فما ظفرت من الحياة بغير الحيرة ، ونذهب مكرهين لا ندرى ما المقصود من هذا المجىء والاقامة والذهاب »

وهكذا نجد الخيام حائراً معترفا بالجهل والعجز عن الادراك ، ونجد المعرى يقول :

* سألتمونى فأعيتنى اجابتكم   من ادعى أنه دار فقد كذبا
* وبصير الأقوام مثلى أعمى   فهلموا فى حندس نتصادم
* انما نحن فى ضلال وتعليل   فان كنت ذا يقين فهاته
* أبكى الى من له حكمة   أيكنى اليه ، أيكنى ألك .[2]

وكذلك اتفق الأديبان على تقبيح هذه الحياة ، وذمها والابانة عن مصائبها والفناء السريع الذى قدر للاحياء . وأن الانسان تقلب فى أطوار العالم فهو اليوم انسان ، وغدا تراب يصنع منه الآنية ، وتبنى به الدور وهلم جرا . وكلامهما فى شرور الحياة وسرعة الفناء لا يحتاج الى دليل فحسبنا هذه الأمثلة من كلامهما فى تقلب طينة الانسان فى أطوار مختلفة :

* صاح هذى قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم الأرض الا من هذه الأجساد

* لعل مفاصل البناء تضحى   طلاء السقيفة والجدار

* فلا يمس فخارا من الفخر عائد   الى عنصر الفخار للنفع يضرب
لعل أناء منه يصنع مرة   فيأكل فيه من أراد ويشرب
وينقل من أرض لأخرى ومادرى   فواها له ! بعد البلى يتغرب

ويقول الخيام : « مررت بمصنع خزاف فرأيته قائما أمام دولابه ، يصنع صحافا وأباريق من هامة ملك وذراع سائل . ويلك أيها الصانع ! تلبث أن كنت عاقلا . حتام تهين طينة الانسان ؟ ماذا تظن ؟ ان الذي وضعت على الدولاب أصبع أفريدون وكف كيخسرو »

ذلكم بعض ما يتشابه فيه شيخ المعرة ، وحكيم نيسابور من الجهة النظرية . وأما العمل فقد افترقت فيه مذاهبهما ، واختلفت دعوتاهما ، ولكنهما افترقا بعد ان جمعهما رأى واحد كالمسافرين يبدءان سفرهما من موضع واحد فيشرق أحدهما ويغرب الثانى . اجتمع الرجلان على التشاؤم بهذه

---

(١) لم يتسع الوقت لان أترجم نظما ما استشهد به من الرباعيات   (٢) ألك يألك : أرسل برسل

الحياة والاشفاق من شرها ، والزراية عليها ، والرثاء لحال الانسان فيها ثم قال المعرى كما قال الرواقيون من قبل : هون على نفسك هذه الحياة لذاتها وآلامها ، حرر نفسك من همومها ، واطلق قلبك من قيودها ، ازهد فيها ، ولا تحرص عليها وتجنب لذاتها . اسم فوق حروفها واستكبر على بحيرها واعبد الله حتى يأتيك الموت ، ومرحبا بالموت :

لا أخطب الدنيا الى مالك الد نيـا وانما خطبق أختها
النفس فيها وهى محسودة ذات شقاء عدمت بخنها
ما أم دفر ام طيب ولو أنك بالعنبر ضمختها

وبعد ، فهذا تمثيل يخطر لى كلما تذكرت المعرى والخيام ، اتمثل المعرى أسدا أسيراً قد أحيط محبسه الضيق بقضبان الحديد الغليظة . وطويت قوته وحريته وزئيره ومرحه وافتراسه وكبرياؤه فى هذا المحبس . فهو يطوى نفسه على غم قاتل ، وحزن محرق ،ولكنه ينظر الى الفضاء من خلال القضبان ساكتا ساهما ثائر الروح ساكن الجسد

وأتمثل الخيام عصفورا فى قفص قد حرم مروج الارض وآفاق السماء ، وحبست ارادته التى تنطلق فى الجو انطلاق الفكر فى العالم فى شبرين من الضيق ، كلما احس ضيق القفص ملأه حركات ونزوات ، وزقزقة وصفيراً كأنه فرح مرح ، وكأنه يتسلى بنزواته ، ونغماته عما يجد فى هذا السجن الاليم ، وما يفقد من هذا الفضاء الفسيح

هذه نظرات فى شعر المعرى والخيام لا تكفى الباحث المتطلع ولكنها تصلح أن تكون عنوانا لما وراءها من فلسفة الرجلين

وأما الخيام فقد قال كما قال الايبقوريون من قبل ، هذه الحياة مليئة بالشر والغم ، والآلام والاسقام فاله عنها بملذاتك ، واستعن عليها بلهوك ، ولا تتركن وسيلة الى اللذة الا توسلت بها ، ولا فرصة للسرور الا انتهزتها ، ولا تغفل عن الخمر صبوحها وغبوقها

« الى كم تمضى عمرك فى الهموم ، أو التفكير فى الموجود والمعدوم . اشرب الخمر فهذا العمر الذى يحالفه الغم ينبغى أن يمضى بالنوم أو السكر »

« قد مضى يوم آخر من عمرى وعمرك كما يمر الماء فى النهر ، والريح فى الصحراء ، لست أبالى ما عشت ، ذينك اليومين : اليوم الذى مضى واليوم الذى لم يأت »

« موسم الورد ، وحافة المرج ، وشاطىء النهر ، وفاتنات كالحور العين . هات القدح فان شراب الصبوح قد استراحوا من المساجد ، وفرغوا من الكنائس »

« هذا وقت السحر فافق أيها الغلام ، وصب الخمر القانية فى أقداح البلور ، فان هذه الساعة من العافية ، فى هذه الدنيا الفانية ، ستمر ثم تتفقدها فلا تظفر بها »

عبد الوهاب عزام

أبو العلاء : بقلم جبران خليل جبران



المعري كما تخيله جبران

كان أعمى بين مبصرين ، ومبصراً بين عميان . وقد قادته هذه الحالة الى الوحدة ، فالتشويش، فالكآبة ، فالشك ، فالتمرد

نظر الى الحياة بعينه المعنوية ، فرأى الخرافات فتوهمها دينا ، وأبصر الموت فظنه فناء ، وحدق بالقضاء فتخيله ربا ، فانتصب بين أشباح أفكاره يجدف على اسم الحياة في جيل مستسلم الى مشيئة الايام والليالي ، استسلام العناصر غير العاقلة الى قوة الاستمرار

كان شاعراً متمرداً ولم يكن فيلسوفا . فالفيلسوف يجرد الوجود من ظواهره فيبدو له عاريا مطلقا ، أما الشاعر فيراه سائراً في حقل من الأوزان الرنانة والمعاني المبتكرة . فالمعري لم يوجد فلسفة مطلقة ، ولكنه أوجد شعراً مطلقا

ولكن أي بشري تمكن من إيجاد فلسفة مطلقة ؟ . أوليست الفلسفة كالأزياء تتبدل مع العصور وتتقلب مع الأميال ؟

إنما الحياة موكب يسير أبداً الى الأمام ، فالفيلسوف يستطيع أن يوقفها دقيقة بفكرة مبتكرة ، أو بتعليم جديد ، ولكنه لا يقدر أن يصدها عن متابعة السير الى حيث لا تدرى

أما الشاعر فيسير معها مترنما ، متشببا رائيا ، واصفا مفاخراً ، فاذا ما تنحى عن سبيلها ضحكت منه ، وان ظل متبعا آثار قدميها قادته الى هيكلها الأقدس وكللته بالغار

ولقد كللت الحياة أبا العلاء بأوراق الغار ، ولكنها لم تلتفت اليه كفيلسوف ان الحياة تتمرد حتى على المتمردين . . .

جبران خليل جبران

في هذا المقال سخرية من المعري وعطف عليه ، فما موجب تلك السخرية ؟ وما موجب ذلك العطف ؟

هل كان المعرّي يكره الدّنيا

بقلم الدكتور زكي مبارك
الاستاذ بدار المعلمين العليا ببغداد

أكتب هذا المقال في لحظات حزينة اكتوى بنارها أبو العلاء ، أكتب هذا المقال وأنا أحزم أمتعتي للرحيل عن بغداد ، وهو رحمه الله قد بكى يوم فارق بغداد ، ولعله لم يعرف موجعات الحزن الا يوم قهره الوجد على أن يقول :

أودعكم يا أهل بغداد والحشا ... على زفرات ما ينين من اللذع
وداع ضنًا لم يستقل وإنما ... تحامل من بعد العثار على ظلع
فبئس البديل الشام منكم وأهله ... على أنهم قومي وبينهم ربعي
الا زودوني شربة ولو أنني ... قدرت اذا أفنيت دجلة بالكرع

أما بعد فاني أرى أن أبا العلاء لم يكره الدنيا أبداً ، ولم يكن يوم اعتزل دنياه إلا حيوانا مفترسا نزع الدهر ما كان يملك من أظافر وأنياب . ولو كان أبو العلاء كره دنياه لاكتفى منها بأيسر العيش ، ولكنه عاش عمراً طويلا جداً ، وطول العمر يشهد بقوة الأواصر بين المحب والمحبوب . فالقتال بين ابى العلاء وبين دنياه كان قتالا بين عاشقين يظهران البغض والحقد ، ويضمران العطف والحنان

والناس متفقون على أن أبا العلاء كان طلق دنياه فلم يظفر بما في حواشيها من نعيم ومتاع ، ولكني بعد التأمل عرفت أنه زهد في جميع الاشياء إلا المجد ، والمجد هو أشهى الاطايب في دنيا الرجال . فان لم يكن هذا صحيحا فكيف نفسر خضوعه لما شاع في زمانه من التقاليد الأدبية ، والخضوع للتقاليد الأدبية دليل الحرص على انتهاب ما يملك الناس . وأحب ان أشرح هذه النظرية فأقول :

ينقسم شعر أبي العلاء الى قسمين : أولهما ممثل في سقط الزند ، وثانيهما ممثل في اللزوميات . أما سقط الزند فمجموعة شعرية تشهد بأن الرجل كان يعجبه ويرضيه أن يكون من أقطاب اللغويين ، وهو قد أفصح عن ذلك حين خاطب الشريف الرضى والشريف المرتضى في القصيدة التي رثى بها ابا احمد الموسوى فقال :

يا مالكي سرح القريض اتتكما ... مني حمولة مسنتين عجاف

لا تعرف الورق اللجين وان تسل تخبر عن القلام والخنزاف

وهي شهادة صريحة بأنه كان يحب ان يملك قلوب البغداديين ، وكان البغداديون ألفوا حب البادية ، وهو مرض فظيع ترك فى اللغة العربية أسقاما وعقابيل . وأما اللزوميات فمجموعة شعرية تشهد بأن الرجل خضع لأمراض زمانه أبشع الخضوع ، فقد كان الأدباء فى صدر القرن الخامس قد ابتلاهم الجهل ببلية سخيفة هى الهيام بالزخرف ، والفناء فى التزويق والتهويل

والفرق بين مجموعة سقط الزند ومجموعة اللزوميات فرق عظيم جداً عند من لا يعرف . أما أنا ـ وأنا باحث زعم أنه يعرف ـ فأحكم بان المعرى انتقل من بلاء الى بلاء ، وأراه فى سقط الزند مولعا بالاغراب ، أعنى تصيد الغريب من الأخيلة والالفاظ والتعابير ، وأراه فى اللزوميات مريضا بعلتين : الاغراب والبديعيات

هل كان المعرى يجهل أنه يجنى على اللغة العربية بما صنع ؟ هل كان يجهل أنه فى أغلب أحواله يخاطب أهل العراق وأهل الشام بما لا يفهمون ؟ هل كان يجهل أن فى سقط الزند واللزوميات ورسالة الغفران شطرات وفقرات لا يفهمها المتفهم الا بعد التأمل العميق ؟ هل كان يجهل أن البيان الحق هو الذى يروعك لأول نظرة كما يروعك الجمال الفصيح ؟

ما كان أبو العلاء يجهل ذلك او بعض ذلك ، وانما كان رجلا لبقا يعرف مواضع الضعف فيمن عاصروه فغزاهم بلا رحمة ولا اشفاق

قد يقول القارىء وما محصول هذا الكلام ؟

وأجيب بأن هذه النزعة هى الشاهد على أنه لم يكن فى دنياه من الزاهدين ، ولو أنه كان زاهداً لانصرف عن حيازة ما يملك معاصروه من زخرف وبريق ، وهو قد انتهب ثروتهم فاعتز بها واستطال

كان المعرى سياسيا فى حياته الأدبية ، والسياسى لا يكون صحيحا سليما إلا ان استراح الى أوهام الناس فتملق أهواءهم بلا تهيب ولا استحياء ، وكذلك صنع المعرى فتكلف الغريب من الأخيلة والالفاظ والتعابير ، لأن الغريب كان فى ذلك العهد رائج السوق فى مصر والشام والعراق

ولو كان الرجل زاهداً فى المجد الأدبى لظهرت الحكمة على لسانه سمحة سهلة لا يشوبها تكلف ولا افتعال . ولكن القارىء لن يسكت ، فقد يكون ألأم منى ، فيسأل : وأين أنت من الزاهد الذى حرم على نفسه لحم الحيوان ؟

ان قال ذلك فانى سأقنعه بأيسر جهد ، فقد اتفق لى أن اعيش نباتيا فى باريس زمنا غير قليل ، وما كنت مخلصا كل الاخلاص فى ايثار الحياة النباتية ، وانما أردت ان أعرف سر المذهب النباتى لأكتب عنه بحثا أو بحثين ، وحالى فى هذا أقرب الى النزاهة من حال ابى العلاء ، فقد حرم على نفسه لحم الحيوان ليوهم الغافلين أنه تفرد بالرحمة والشفقة والعطف ، وماكان فى حقيقة أمره إلا

آكل لحوم ، وستعرفون صدق هذا الحكم بعد لحظة أو لحظتين

هل يذكر القارىء ما وقع لأبي العلاء يوم مرض ؟

مرض أبو العلاء ـ عفا الله عنه وعنى ـ فنصحه الطبيب بالحمية ، وحين اطمأن الطبيب الى نجاته من المرض وصف له فروجا ، والفروج فرخ الدجاج ، ودارت يد أبي العلاء حول جسم الفروج فى ترفق مصطنع ، ثم هتف : استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الأسد ؟ !

الله أكبر ! ذلك هو منطق شيخنا أبي العلاء

فهل كان يظن هذا الشيخ ان الطبيب يستطيع ان يصف له شبل الاسد ؟ ان تثيرة واحدة من شبل الاسد كانت تكفى لنقل أبي العلاء الى حظيرة الاموات ، ولكن الرجل استطاب الضحك على المغفلين من أبناء ذلك الزمان

هل زهد أبو العلاء فى أكل اللحم ؟ هذا تمويه وتضليل . كان الرجل يتحرج من لحم الطير والحيوان ، ولكنه كان مولعا بأكل اللحم المحرم ، لحم الانسان ، فما ترك فئة ولا جماعة الا انتاش لحمها بأنياب حداد

لقد انسحب المعرى من المجتمع ، وما كان ذلك بابا من الزهد ، وانما كان فرار المناضل الذى تعب من النضال . وماذا صنع المعرى حين انسحب من المجتمع ؟ أترونه نظر اليه نظر الرفق والعطف ، وذلك واجب الفيلسوف ؟

ما صنع شيئا من ذلك ، وانما قضى دهره فى أكل لحوم المجتمع ، ولو كان قلبه أحس النور لعرف أن المجتمع قد يفسد من حيث لا يريد ، لو كان قلبه أحس النور لعرف أن المجتمع غير مسئول عما يعانى من أوهام وأضاليل ، فتلك مواريث القرون الطوال ، لو كان المعرى على شيء من الصفاء لأدرك أن المجرم قد يجرم وهو غير مسئول

ولو كنت أستبيح لحم المعرى كما استباح لحوم الناس لقلت إن ثورته على المجتمع كانت ضربا من الانتقام الأثيم ، فالرجل كان يعرف أن أهل زمانه يتهمونه بالمروق من الدين ، فشاء له هواه أن يسجل مخازيهم ومآثمهم وأن يفضحهم فى العالمين

قد يقول القارىء مرة ثانية : وما محصول هذا الكلام ؟

وأجيب بأن هذا النزق هو دليل الحيوية ، فالمعرى كان يناضل نضال الاحياء

وما أعيب عليه غير التناقض فى فهم الرحمة . فهو كان يعطف على جميع المخلوقات إلا الانسان ولو أنه دخل فى معركة مع الطير أو الحيوان لنظم فى ثلبها مجموعة أعنف من اللزوميات

كانت نظرات أبي العلاء الى المجتمع نظرات عوام لا خواص ، وأنا أرتاب كل الارتياب فى أن يكون هذا الرجل حاول التوفيق بين سيطرة المقادير وضعف الناس ، وأكاد أجزم بأنه لم يدرك خطر العسف ، عسف الحاكم الذى يبيح فتح الحانات ثم يعاقب الناس على الشراب

أما آراؤه فى الزهد والزهاد فهى أضاحيك . وهى تشهد بأنه لم يعرف الزهد ، لأنه كان فى سريرة نفسه يؤمن بأن الناس لايزهدون إلا مخادعين أو مرائين ، ولعله لم يزهد إلا خداعا ، أو رياء . بل لعله جهل كيف لطف الله به حين حجب بصره عن أسباب الشهوات . فلو أن الله كان حفظ عليه نور العيون لعرف أن الفضائل لا تشق ولا تصعب إلا على من يقارعون فتن الوجود . لو أن أبا العلاء كان مبصراً لرحم الناس . لو أن أبا العلاء كان مبصراً لعرف صدق الحكمة التى تقول «القابض على دينه كالقابض على الجمر» . لو أن أبا العلاء كان مبصراً لعرف ان الرجل لا يستطيع البعد عن مواطن الشبهات إلا حين تكون عزيمته أرزن من الجبال

لو أن أبا العلاء كان مبصراً لعرف أن الناس لاينخدعون لمظاهر الفتون لاهين أو لاعبين

من أنت والانسانية يا أبا العلاء ؟ من أنت والانسانية حتى تفضحها بذلك الكتاب الذى اسمه اللزوميات ؟ أيها الرجل العظيم ! انى أرثى لك واعطف عليك ، فقد حرمتك الأقدار من نعمة الجهاد فى سبيل الفضيلة ، حرمتك الأقدار من أسباب الشهوات فلم تكتب لك صفحة واحدة فى كتاب الجهاد

وكيف يحتاج الى جهاد النفس من يحبس نفسه فى بيته ولا يأكل غير البقول ؟

كيف يحتاج الى جهاد النفس من يقضى الدهر ولا تقع عينه على وجه جميل ؟

كيف يحتاج الى جهاد النفس من لا تذوق روحه صهباء الوجود ؟

أغلقت أبواب الجهاد الأكبر — جهادالنفس — فى وجه أبى العلاء ، منذأصبح رهين المحبسين ومنذ اكتفى بالطعام الذى لايوقظ شهوات الحواس . ولكن بقى أمامه باب واحد من أبواب الجهاد : هو نزاهة الأذن ونزاهة اللسان ، فماذا صنع ؟

لقد أصبح أبو العلاء فى ذمة التاريخ ، وما يضره أن نتجنى عليه ، ولو كنت أعتقد انه يتأذى لحبست عنه قلمى ، وفى حدود هذا التحفظ اقول ان الرجل أقام اذنيه مقام عينيه فعرف من صور المجتمع كل شيء ، وكان له فيما افترض اصحاب ينقلون اليه سوءات الناس فيمضى فى ثلبهم وذمهم وتجريحهم بلا ترفق ، وكذلك حرم من روح التصوف فلم يعرف معنى العطف على مصائب الناس

قلت ان ابا العلاء كان ينتقم من المجتمع . واقول مرة ثانية ان ذلك دليل الحيوية . فمن الذى يحرم على هذا الرجل أن ينتقم من أهل عصره وقد آذوه أشنع ايذاء ؟

ومن الذى يملك من الصبر ما يكف به لسانه عن عورات الناس فى بعض الأحيان ؟

ان ابا العلاء هجم على المنافقين ، والقرآن استباح الهجوم على المنافقين ، وما يمكن أن نعيب على أبى العلاء ما استباحه القرآن . ان أبا العلاء هجم على رجال الدين ، ولا غرابة فى ذلك ، فرجال الدين أنفسهم يهجم بعضهم على بعض . ان أبا العلاء اعلن يأسه من الانسانية ، فهل استطاعت

الانسانية أن تحمى أهل الصدق والوفاء ؟ . ان أبا العلاء سخر من تعدد الديانات والمذاهب ، فهل استطاع المصلحون أن يمحوا أسباب الخلاف بين الديانات والمذاهب ؟

ان أبا العلاء جزم بأن بنى آدم : ما فيهم بر ولا صالح الا الى نفع له يجتلب

فهل استطاع بنو آدم أن يقيموا الدليل على خطأ هذا الظن الاثيم ؟

ان أبا العلاء حكم بأن المرأة اذا شربت الكأس فقد تعرت ، فهل ا كتسى من بعده النساء ؟ .

ان ابا العلاء حدثنا بأن ناسا ينهون عن الخمر فى الصباح ويشربونها فى المساء ، فهل انقرض هذا النوع من النفاق البغيض ؟

أسرف أبو العلاء فى تجريح الانسانية ، وقد انصف ، فهذه الانسانية الباغية تحتاج الى من يفضح بغيها من حين الى حين . ومن هم بنو آدم حتى يعطف عليهم ابو العلاء ؟

هل عاش فيهم مصلح إلا بغصة أليمة لا يزحزحها فى حلقه غير الموت ؟

وهل كانت تواريخ الانبياء إلا سلسلة من الرزايا والنكبات ؟

وما الذى كان يصنع ابو العلاء والدنيا من حوله تضج بالظلم والعسف والزور والبهتان ؟

ان أشعار أبى العلاء سجل صحيح لأوهام الانسانية ، فلتكذبه الانسانية الباغية ان استطاعت

لم يعرف الناس أن أبا العلاء رجل ضرير ، وأن من كان فى مثل حاله خليق بالشفقة والعطف ، وهم تعقبوه بمقالة السوء من أرض الى أرض ، فلتكن قالته فيهم وصمة باقية على الزمان . ولكن ما هذا الذى صنعت بالناس يا ابا العلاء ؟ ان عماك اخف من عماهم ، هم جميعا مساكين صحت فيهم كلة من يقول : القاه فى اليم مكتوفا وقال له اياك اياك ان تبتل بالماء

أنت عبت النفاق على رجال الدين ، فكيف غاب عنك ان رجال الدين لم يعش بينهم رجل صريح ؟ انت عبت الظلم على الحكام — فكيف غاب عنك أن الحاكم العادل جزاؤه الخسران ؟

أنت أنكرت تعدد الديانات والمذاهب ! فكيف غاب عنك أن لله حكمة فى هذا التعدد ؟

أنت رجوت أن يكون الناس حكماء ، وما استطعت أن تكون حكيما

أنت رجوت أن يضبط الناس ألسنتهم ثم عجزت عن ضبط لسانك

أنت عشت فى قرية صغيرة ولم يسلم عقلك من الفتون ، فكيف رجوت السلامة لمن عاشوا فى كبريات المدائن ، وصارعوا فواتك الاهواء

أما بعد فانا اشهد أن المعرى كان رجلا عظيما ، بدليل أنه عاش نحو الف سنة على السنة الناس فى المشرقين والمغربين ، ولو كان حقيراً لمات يوم مات !

والمعرى له أخطاء لا تحتملها الملائكة ولا الشياطين . وله عندى عذر مقبول . فقد كان على عظمته شخصا من بنى آدم ، آدم المسكين الذى أغوته امرأة حمقاء فنزل الى الارض بعد أن كان يسكن فراديس الجنان . عفا الله عنك يا أبا العلاء وعفا عنى !

زكى مبارك

قرية المعري وقبره

للأستاذ سامي الكيالي

محرر مجلة الحديث بحلب

يا ماء دجلة ما أراك تلذ لي   شوقاً كماء معرة النعمان

* * *

فيابرق ليس الكرخ داري وانما   رماني اليها الدهر منذ ليال

فهل فيك من ماء المعرة قطرة   تغيث بهـا ظمآن ليس بسال

من حنين ابي العلاء لوطنه

كثيراً ماتتميز المدن بأسماء الموهوبين من الرجال ، شعراء كانوا أو قواداً أو أدباء أوفلاسفة . فلولا نابليون لما ذكرت جزيرة سنت هيلين مثلا ، تلك الصخرة الناتئة ، الجاثمة وسط الاوقيانوس والتي تبعد ستة آلاف ميل عن اوربا ، ولولا أبو العلاء لما ذكرت المعرة هذا الذكر الضخم الذي استفاض على اقلام الأدباء والشعراء والمؤرخين ، وهي ـ كقرية كبيرة ـ لا تختلف عن الكثير من تلك المعرات الضاربة في هذه البادية بين حلب وحماه وما اليها ، لا يميزها عن غيرها الا أنها مدينة هذا الفيلسوف الشاعر الذي خلد اسمه خلود الأجيال . وأذهب الى أبعد من هذا فأقول ان التصاق اسمه بها هو الذي جعل لها شهرة المدن الكبيرة سيما عند خاصة الأدباء والشعراء ، فما من رجل ، في الشرق وفي الغرب ، له مشاركة في الأدب ، ويعلم طرفاً عن هـذا المفكر الفذ الا وتشوقه هذه البلدة ـ أو القرية على حد تسمية الكثيرين ـ ويود زيارتها حين تطأ قدماه بلاد الشام . فقد زارها كثيرون من أعلام الفكر وود طه حسين منذ عشرين سنة ونيفاً ـ اي حين كتب رسالته « ذكرى أبي العلاء » ـ لو أتيحت له زيارة المعرة ليكتب عن هذه القرية عالما بها ، مستقصيا أمرها ، متأثراً بما توحي اليه من ذكرى أبي العلاء وأزهار علمه وفلسفته (١) . وردد لي هذه الأمنية سنة ١٩٢٦ حين زار مدينه حلب ممثلا « الجامعة المصرية » في مؤتمر الآثار الذي عقد في بيروت . ولكن اضطراب الامن في تلك المنطقة آنئذ ، حال دون تحقيق أمنيته ، ولم تكن أمنيته أن يمر بها مروراً سريعا بل أن يمكث فيهـا سنة أو اكثر من سنة لدراسة أبي العلاء من جديد، لأنه يرى ان كثيرا من آرائه التي دونها في كتاب «الذكرى» تحتاج الى تغيير وتحوير . وقد تفضلت مجلة «الهلال» فخصتني بالكتابة عن قرية ابي العلاء وقبره . أما القبر فقد سبق أن

---

(١) تجديد ذكرى ابي العلاء ص ١٠٧

دعوت فى الصحف وفى مجالس الى ضرورة العناية به عناية تتساوق ومجد أبى العلاء . ويسرنى أن أقول إن هذه الصيحات التى رددها الكثير من الأدباء قد اثمرت بعض الثمر أو كله . وها هى « الجمهورية السورية » تشارك الأدباء والشعراء هذه الامنية الغالية . وسأعود الى تفصيل ذلك بعد أن أستوفى الكلام عن قرية الشاعر الحكيم

المعرة بلدة بنيت على نشز يتصل فى الغرب بالتلعات الصاعدة نحو جبل الزاوية ، وتحيط بها من بقية جهاتها أودية وسهول كانت فيما مضى مغارس للتين والزيتون والفستق واللوز ولم يبق من ذلك الا أثر ضئيل [١] . وقد وصفها المؤرخون وصفا دقيقا . ولم يهملها الرحالون الذين مروا بها . فهذا ناصر خسرو الرحالة الفارسى الذى مر بها عام ٤٣٨ هـ قد وصفها بقوله

« هى مدينة آهلة بالسكان كثيراً . ويحيط بها سور من حجر . وشاهدت بالقرب من هذه المدينة سارية من الحجر زبرت عليها كتابة بحروف ليست بعربية ، فسألت أحدهم عن ذلك فأجابنى ان هذا طلسم يحول دون العقارب ودخول المدينة والبقاء فيها » ثم قال « وأسواق المعرة طافحة بالارزاق والخيرات . وجامعها الاعظم مبنى على اكمة قامت وسط المدينة . ولا يزرع فى هذه الجهات الا الحنطة وتغل غلة حسنة . ويكثر فى قراها اشجار الزيتون والتين والفستق واللوز والكرمة . ومياه المعرة تجمع من المطر أو تمتاح من الآبار »

وذكرها ابن جبير فى القرن السادس فقال :

« وهى سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه . ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهى من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقا »

وقال ياقوت فى معجم البلدان بعد أن عرض الى ذكر كلمة المعرة واشتقاقها ودلالة هذا اللفظ على شتى المعانى ، وبعد أن أورد عدة روايات عن سبب تسميتها بمعرة النعمان وصفها بقوله :

« معرة النعمان مدينة كبيرة قديمة مشهورة ، من اعمال حمص ، بين حلب وحماه . . . ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين »

وقال ابن بطوطة فى القرن الثامن سنة ٧٢٥ هـ « المعرة مدينة صغيرة ، أكثر شجرها الزيتون والفستق ، ومنها يحمل الى مصر والشام » ولا عجب أن يراها ابن بطوطة مدينة صغيرة وهو لم يترك بقعة من بقاع الأرض إلا ذرعها وكتب عنها . ولم يخرج شيخ الربوة والعزيزى وغيرهما من المؤرخين وكتاب السير عما قدمناه فكيف وصفها المحدثون الذين عرضوا لدراسة فيلسوفها ؟ »

لقد أورد الدكتور طه فى كتابه « ذكرى أبى العلاء » بعض نتف مما قاله ناصر خسرو وياقوت ثم اعتمد على المستشرق الفرنسى سلمون . ويظهر من نصوص كلامه انه زارها فى رحلة

(١) جولة أثرية فى بعض البلاد الشامية للمهندس الزراعى احمد وصفى زكريا ص ١٨٤

لا نعلم متى كانت . فقد وصف سفره من حماه ، محاذيا نهر العاصى ، عابراً الجسر الذى أقامه بنو منقذ ، لمدينة أفاميه الأثرية ، فجبل الأربعين الذى تطل هضباته على المعرة « تلك المدينة الجميلة القائمة فى منخفض هذا السهل الفسيح » . وينتهى عند هذه الجملة « ولقد تدل الاطلال المنتشرة فى السهل حول هذه القرية على أنها كانت مدينة كبيرة فى عصرها القديم ، بذلك يشهد مسجدها الذى تظلله قبة ضخمة على ثمانى أساطين » (١)

ويطول بنا المجال لو أخذنا نستعرض أقوال النقادوالمؤرخين الذين ذكروها ، قديما وحديثا ، فحسبنا ما قدمناه على أن نحقق هذا الذى ذكروه بزيارة نقوم بها الى المعرة ـ وليست هى الأولى ، فقد زرناها قبل هذه المرة مرات

على بعد ثمانين كيلو مترا من حلب الى الغرب فالجنوب ، وفى طريق جميل معبد بالزفت تجتازه السيارة بكثير من الراحة ، وبعد ان تمر بعدة دساكر وقرى انتثرت هنا وهناك ، وسهول فاتنة زهت بعفاتن الطبيعة وخضرة الربيع ، تطل عليك المعرة بمنارتها الشاهقة ، وأبنيتها القديمة ، وكرومها الحادثة ، وبساتينها الباسمة الغناء . ويشعر زائر المعرة حين يهبطها بنشوة الفرح للحفاوة التى يلقاه بها أهلوها الذين يفاخرون غيرهم بأن أرضها كانت ولا تزال مثوى لأكبر مفكرى العرب قاطبة . ويلاحظ أولا ان للمعرة منذ مر بها ناصر خسرو حتى يومنا هذا هى هى ، الا فى تفاريق من الوصف غاية فى الايجاز ، فلا تزال أرضها من أخصب الأراضى لزراعة القمح وشتى أنواع الحبوب ، ولا يزال ماؤها يجمع من المطر أو يمتاح من الآبار ، ولا يزال سوقها الطافح بالأرزاق والخيرات صباحاً حتى إذا قارب الظهر نفد كل شىء وجمدت حركة الأخذ والعطاء (٢) ، وجامعها الكبير هو هو ، قد انبسط فى قلب البلد تنحدر اليه فى عشر درجات فاذا أنت فى ساحة واسعة أو ما يعرف بـ « صحن الجامع » توسطه حوض ماء بسقفه وأعمدته البيزنطية ، فمأذنة قائمة فى مدخل الجامع من اليسار ، يبلغ ارتفاعها ثلاثين مترا تقريبا ، مربعة الاضلاع ، نقشت عليها كتابات مختلفة

والمعرة ، ككل البلدان الصغيرة ، قد احتوت الجوامع والحمامات والخانات والمطاحن والمعاصر وهى ، على حد تشبيه البعض « صورة مصغرة من مدينة حلب » (٣) ووقوع المعرة على محاذاة طريق حلب ـ دمشق ـ بيروت ، يجعلها دائما محط الكثير من المسافرين يقصدونها إما للراحة من وعثاء السفر أو لزيارة ضريح أبى العلاء ، أو للأمرين معا . والسيارة التى قربت المسافات البعيدة قد جعلت حتى المدن الصغيرة تعمل جهدها على أخذ طابع المدن الكبيرة . وهذا ما تحاوله

(١) تجديد ذكرى أبى العلاء ص ١٠٧ (٢) من الامثال العامية التى يرددها القرويون حين لا يجدون حاجتهم فى سوق ما ، قولهم « كسوق المعرة لا يباع ولا شرى » (٣) جولة أثرية ص ١٨٤

المعرة التى افتتح فيها شارع كبير يخترق المدينة من مدخلها محاذيا السراى الجديدة حتى ضريح أبى العلاء . وقد سمى هـذا الشارع الذى تقام على جانبيه بعض الابنية الحديثة باسمه ، ويزيد فى جمال المدينة ـ رغم قدمها ـ أنها واقعة فى مرتفع من الارض المحاطة بالسهول والكروم وبعض البساتين . وهى لا تزال غنية بكروم التين والعنب كما كانت منذ الف عام . وثمة بساتين أنشأت حديثا تضم أشجار التوت والجوز والمشمش ، فأغراس من الخوخ والدراق . وأما الفستق الذى تحدث عنه ناصر خسرو وابن جبير وابن بطوطة فلا أثر له فيها . وان كان بعض المزارعين يحاول الآن غرسه فى بعض المناطق الحوارية التى تشابه تربتها تربة حلب تقريبا

وقد حرصت ، وأنا فى المعرة ، على أن أحقق هذا الذى ذكره المؤرخون القدماء عن السور الصخرى الذى كان يحيط البلد ، وعن السارية التى نقشت عليها الكتابة العربية والتى تذود العقارب عن المدينة فلم أجد لها أى أثر . ولا وجدت من شيوخها القدماء من يحفظ أسطورة السارية . وأما السور فلا يبعد أن يكون على عهد ناصر خسرو أو بعده وأن يكون قد تهدم بعد غارة الصليبيين على المعرة ـ تلك الغارة التى انتهت سنة ١٠٩٩ م بفتح المدينة وتدميرها . ومما لا ريب فيه أن المدينة كانت مسورة ، وكانت لها أبوابها السبعة لتتقى بها هجمات الغازين الذين اجتاحوها أكثر من مرة . واحاطة المدن بالاسوار والأبواب هو طابع كافة المدن فى العصور القديمة . ولكن هل حماها سورها الصخرى وأبوابها السبعة من صولات الغزاة والمغيرين ؟ اللهم لا . فمنذ حطم عبد الله بن طاهر أسوار المعرة حين أرسله المأمون لتأديب نصر بن شيث العقيلى الذى غضب لقتل الأمين ، الى الغزوة الرومانية الكبرى التى أثارها القائد البيزنطى نيسفور فوكاس الذى اشتبك بحروب طاحنة مع سيف الدولة ، الى غارات السلجوقيين ، الى هجمات الصليبيين ، عدا الغزوات والفتن الداخلية التى أثارها القرامطة وبنو كلاب ـ ان جميع هذه الغارات والحروب التى استهدفت لها سورية قد اجتاحت فى طريقها مدينة أبى العلاء فتعرضت أكثر من مرة للنهب والسلب ، وللتخريب والتهديم ، وللحرق أحيانا . ولا عجب بعد ما مر بها كل ذلك أن يذهب الكثير من المعالم التى تحيط بها من الخارج كالابواب والأسوار

وقد آد هذه المدينة ما نزل بها على مر العصور فوصف هذه النكبات الكثير من الشعراء ومنهم شاعر مغمور الاسم لعله من شعراء المعرة قال :

هذه صاح بلدة قد قضى الله عليها كما ترى بالخراب

فقف العيس وقفة وابك من كان من شيوخها والشباب

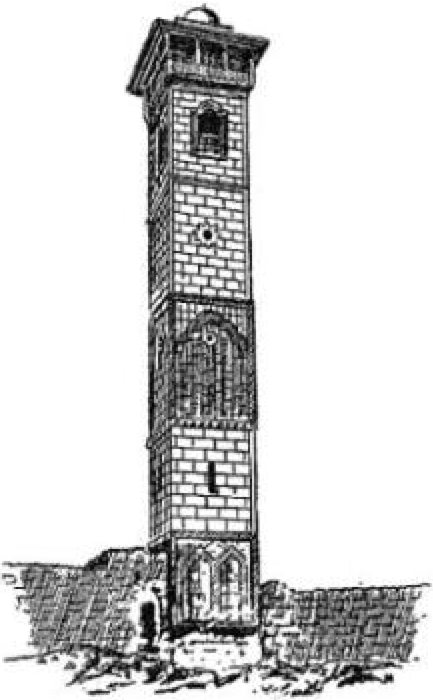
واعتبر ان دخلت يوماً اليها فهى كانت منازل الاحباب

هذا الماع سريع عن ماضى المعرة وحاضرها ـ هذه البلدة التى تصطبغ بصبغة المدن والتى يتكاثر عدد نفوسها يوما عن يوم . فقد قدر نفوسها بعض المؤرخين المعاصرين بستة آلاف نسمة

وهى اليوم تسعة آلاف ، وهى آخذة فى الازدياد . ولا أعلم كيف أفسر رواية صاحب « النجوم الزاهرة » - وهو من ثقاة المؤرخين - حين عرض الى تاريخ الحروب الصليبية وتوغل الافرنج فى المدن الشامية سنة ٤٩٠ - ٤٩١ هـ فقد ذكر ان الافرنج لما اجتاحوا المعرة كانت ١٠٠ الف نسمة ، قال : « وجاءوا الى المعرة فنصبوا عليها السلالم - وهذا يدل على أنها كانت الى ذلك العهد مسورة - فنزلوا اليها - فقتلوا من أهلها مائة الف انسان » (١) فما سبب هذا التقلص ؟ أهو ثمرة الويلات التى اجتاحتها فى الماضى ؟ . . أم ان التقدير لم يكن صحيحا ، وهذا ما نميل اليه . . ام أن العربان التى كانت محيطة بجهات المعرة قد احتمت بالمدينة ؟ وهذا أقرب شىء لانقاذ رواية صاحب النجوم الزاهرة من التجريح !..

ونقف عند هذا الحد لنتحدث قليلا عن المسجد الذي يحوى الضريح . وفى رواية أنه ليس مسجدا بل بيتا . ومهما كان فقد أصبح هـذا البيت من الأمكنة الاثرية التى نحرص على عدم مس معالمه مهما عملنا على اقامة ضريح فخم يليق بمكانة صاحبه

دخلنا الدار ، وهى دار صغيرة ذات ثلاث غرف ، احداها قد اتخذها شيخ ضرير لتعليم أولاد القرية القرآن الكريم على طريقة الكتاتيب . لم نكد نقرئه التحيه ونعلمه رغبتنا بزيارة الضريح حتى فتح لنا الغرفة التى تحتوى جثمان شيخ المعرة وفيلسوفها الفذ . وهى غرفة معتمة ضيقة لا يزيد طولها على ثلاثة أمتار وعرضها على مترين . قد خلت من كل زينة وزخرف اللهم إلا من هذه الكلمات التى خطها الزائرون على جدرانها . نثراً وشعراً - وكلها إجلال لصاحب الضريح - ومن قبر وشاهدتين مكسورتين قد استندت احداهما على حافة فرشة القبر والاخرى على الجدار . وأما الضريح فقد استوى على فرشة حجرية مخرومة من النصف . فشاهدة واحـدة نقش عليها بالكوفية



منارة ضريح المعرى

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٦



ضريح أبي العلاء

هذه الكلمات « ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان » وتتحدث هذه الشاهدة بقدمها عن خاليات العصور ، وقد تساءلت أين هي وصيته التي حرص على ان تنقش على قبره :

هذا جناه أبي علي   وما جنيت على أحد ؟

أترى كان هذا البيت من الشعر على الشاهدة الثانية فاقتلعها خصومه الذين حكموا عليه بالكفر والزندقة ؟ على ان بعض المؤرخين المعاصرين يذهب الى ان الشاهدة الثانية تضم هذين البيتين :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة   نفيسة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها   فردها غيرة منه الى الصدف

ولا اميل الى هذا الرأى ، والبيتان المذكوران مكتوبان على قطعة من الورق معلقة على الجدار

اما الغرفة الثالثة فهي مهجورة لم تنل من اهتمامنا ، وفي رواية انها تضم جسد خادمه

زائر هذا البيت لا بد له من ذكر « البانتيون » والمقارنة بين قبور عظمائهم وقبور عظمائنا وان كانت المقارنة مفقودة بين قبر أبي العلاء وقبر فولتير مثلا . فهناك الجلال والروعة والفن والزخرف ، وهنا الزراية والبساطة والزهد والتقشف . . وتجرنا هذه الحالة الى الحديث عن العناية بالقبر ، وها انا ذا أحدث قراء « الهلال » عن الادوار التي مرت بهذه القضية

فكرة إشادة ضريح لأبي العلاء نبتت قبل الحرب العامة . قام بها بعض الغيورين على مثل هذه

الامور ، وقد جمع قسم من المال ثم طويت الفكرة . ولا أحد يعرف ما تم بالمال ! ولا شك ان الذى اؤتمن عليه أراد ان لا يخيب نظرية أبى العلاء فى البشر !

ثم أعيد البحث فى هذه القضية سنة ١٩٢٥ وأخذت الحكومة السورية الشروع على عاتقها . وبالفعل أدرج المال اللازم فى موازنة الدولة ، ثم نشبت الثورة السورية وأصبح البحث فى مثل هذه المشاريع كتفريط في حق من حقوق الوطن ! . .

وحينما استقرت الأمور السياسية أثار الشروع مجدداً أحد النواب فى دورة سنة ١٩٣٣ ، واقترح طبع مجموعة من الطوابع باسم أبى العلاء المعرى فى عهد أول جمهورية سورية ، على ان الاقتراح لم يقبل وهلة واحدة . فقد وجد من عززه ووجد من حاول قذفه ،وعملت الحكومة كل الوسائل لتسويفه وتأجيل البث فيه فلم يتراجع النواب وهاجموها مهاجمة عنيفة مما جعلها أن تتراجع وتقول بلسان وزير المعارف « ان الحكومة لا تقول بعدم تشييد ضريح لأبى العلاء ، بل انها ساعية لتشييده بما يمكن من السرعة » فوقف نائب المعرة وجابه الوزير بهذه الكلمات : « وقول الحكومة انها تفكر في الامر معناه انها لا تريد أن تعمل شيئاً » . ثم وقف مقدم الاقتراح وجرت بينه وبين مقرر اللجنة المالية مناقشات طويلة ، وكانت بينهما خصومة سياسية عنيفة ـ وخاطبه أو خاطب الحكومة بهذه اللهجة الحادة : « ما هى قيمة جمهوريتكم أمام أبى العلاء ؟ ان ذكرى أبى العلاء أعظم من كل جمهورية تنشئونها » . وانتهت المناقشة بتراجع الحكومة وباقرار الاقتراح ، وفتح اعتماد بثمانية آلاف ليرة سورية لتشييد الضريح . وصدرت الطوابع سنة ١٩٣٤ . وبيعت فى شهور معدودة . ولا يزال المبلغ مرصوداً فى خزانة الدولة لهذه الغاية

وشاءت الاقدار أنلا يتم الشروع أيضاً ! فقد عصفت بسورية الأحداث وصرفتها عن التفكير بمثل هذه المشاريع . وها هى بعد خمس سنوات ، أى بعد أن استقرت الامور ودخلت الجمهورية السورية فى دورها الانشائي الجديد تعاود الحكومة بحث الفكرة بكثير من الاهتمام . فقد ناطت وزارة المعارف بأحد كبار رجال الفن الافرنسيين عمل تصميم القبر وهو يشتغل به منذ سنة وصدر مرسوم جمهورى بشراء بعض الدور التى تحجب موقع الضريح عن الطريق العام . وقد لا ينقضي هذا العام إلا ويوضع الحجر الاساسى لاشادة البناء ، ثم يقام فى المعرة وفى كافة المدن السورية مهرجانات أدبية كبرى للحفاوة بذكراه الألفية، أى بذكرى أكبر أديب عربى لم تحل عزلته فى قريته الوادعة دون أن يكتب أخلد الآراء وأدق التأملات الفلسفية فى أكثر من ستين كتابا لم يصلنا منها غير كتب معدودة تدل بنزعتها التحررية الجريئة على انه أكبر فيلسوف عرض النفس البشرية والطباع الانسانية فى بوتقة صافية من التحليل المزوج بالرفق والقسوة مما لا يستطيع أن يجاريه فيه أحد . وحق له أن يخلد على الأزمان ، وأن تعتبره العربية من أكبر أدبائها العالميين

سامى الكيالى

حول احياء ذكرى أبي العلاء

بقلم الأستاذ محمد أمين حسونة

في صيف سنة ١٩٢٥ سافر الدكتور طه حسين بك مندوبا عن الجامعة المصرية لتمثيلها في في مؤتمر الآثار الذي عقد في بيروت ، وانتهز هذه الفرصة فزار حلب ومنها قصد الى معرة النعمان ليحج الى ضريح الفيلسوف الذي خلد اسمه في رسالته « ذكرى أبي العلاء »

وما انتهى المؤتمر وعاد الدكتور طه الى مصر حتى أخذت هذه الفكرة تطوف بذهنه ، وسعى من ناحية أخرى الى تأليف جماعة أطلق عليها اسم « جماعة أصدقاء أبي العلاء » تضم صفوة من رجال الفكر والأدب وتباشر الاكتتاب لاعادة بناء ضريح أبي العلاء ، وقبل معالي الاستاذ لطفي باشا السيد أن يرأس الجماعة ، واقترح أن تشترك الجامعة المصرية في إحياء ذكرى أبي العلاء ، وذكر الدكتور طه أن الجماعة اذا لم توفق الى تشييد الضريح فانها سوف تعمل جهد الطاقة على نشر مؤلفاته نشراً دقيقا ، خصوصا فلسفته في « اللزوميات » وفنه في « سقط الزند » و « رسالة الغفران » وموضوعات رسائله التي لاتزال غامضة أشد الغموض

وزار الضريح فريق من المفكرين وعلماء الشرقيات وفي مقدمتهم المستشرق ماسينيون الذي أسف للحالة المزرية التي وجده عليها وود لو كان في وسعه أن ينقل رفاته الى « البانتيون » في باريس ليرقد الى جوار زملائه من جبابرة الفكر الانساني ، وما أن عاد الى باريس في شتاء عام ١٩٢٨ حتى ألقى محاضرة نفيسة عن أبي العلاء وقبره في جمعية نشر الثقافة العربية وأهاب بالمستمعين ـ وجلهم من أهل العلم والأدب ـ أن يبادروا بانقاذ ضريح أبي العلاء من يد الدهر والاهمال

وكان الاستاذ الجليل احمد امين أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر قد زار حلب في صيف سنة ١٩٣٠ في رحلة علمية قوامها بعض أساتذة الجامعة وطلابها ، وانتهزوا فرصة تجوالهم في الشام فعرجوا على معرة النعمان لزيارة ضريح المعري ، وقد أخذت الدهشة مأخذها منهم حينما ألفوا انفسهم أمام هذا الضريح المتهالك المتهدم الذي يضم رفات أكبر مفكر عربي

ووجه الصحفي المصري الاستاذ محمود عزمي نداء على صفحات السياسة الأسبوعية دعا فيها أدباء العربية الى العناية بآثار المعري ، ثم كتب سلسلة مقالات ضافية عن ضريحه وأهاب بالعالم العربي أن يعمل على انقاذ قبر أبي العلاء ، مثوى عظمة الفكر العربي وجلال الادب العربي

وكانت لمقالات الاستاذ محمود عزمي صدى تجاوبته انحاء العالم العربي وردد بعض الصحفيين السوريين دعوته على صفحات صحفهم وفي مقدمتهم الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة الحديث

الغراء التي تصدر بحلب . وتولت جماعة الرابطة الشرقية الاهتمام بتنظيم حركة ترمي الى العناية بالضريح ، وقرر مجلس ادارتها في نوفمبر سنة ١٩٢٨ تأليف لجنة تعنى بصيانة قبر أبي العلاء وعلى رأسها معالي الاستاذ احمد باشا لطفي السيد ومن أركانها الشعراء الثلاثة شوقي وحافظ ومطران ثم الاستاذ مصطفى بك عبد الرازق

ولم تذهب صيحات الاستاذ محمود عزمي مع الرياح فقد هزت الأريحية تاجر أديب أصله من حلب ، فوجه كتابا في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣١ الى استاذه الشيخ كامل الغزي رئيس لجنة الآثار العربية في حلب ورئيس تحرير مجلة العاديات ، يعرض عليه ضرورة تجديد ما تهدم من ضريح أبي العلاء ، أو اعادة بنائه بما يتفق مع عصر المعري ومكانته في العالم العربي ، ويعلن رغبته في دفع نفقات البناء من ماله الخاص مهما بلغت ، على أن يعهد الى من فيه الكفاءة من المهندسين لوضع تصميم الضريح وبيان النفقات . ومما يؤسف له غاية الأسف أن كتاب هذا الثرى ظل محفوظا نحو خمسة شهور بدون جواب الى أن عرض الموضوع على لجنة الآثار فحبذ أعضاؤه الفكرة ، ثم نامت الى أجل غير مسمى

والآن بعد مضي نحو عشر سنوات على الموضوع أراد صفوة من أدباء الشباب في المعرة أن يحققوا الفكرة عمليا وأن يربطوا بين بناء الضريح الذي تبرع البرلمان السوري بعشرة آلاف ليرة لاعادة بنائه ، وبين إقامة مهرجان ألفي للشاعر الفيلسوف في جميع مدن سوريا ، ورأت هذه الصفوة المفكرة أن تدعو نخبة من الادباء الى عقد مؤتمر تمهيدي في بلدة أبي العلاء

بيد أن أشد ما نخشى منه أن تطوى هذه الفكرة كما طويت مشروعات سبقتها فيحرم ضريح هذا الفيلسوف من أن يحاط بكل مظاهر التجلة والاحترام ويندثر ما تبقى منه مع الايام

محمد امين حسونة

ابو العلاء المعرى

من قصيدة للاستاذ احمد محرم

ثقة الدهور وحجة الازمان ... خذ من بيانك ذمة لبياني
أعي القريض فان بلغتك خانني ... قلبي ، وعي عن المقال لساني
تبني العقول ، وترفع الايدي ، وما ... يسطيع شأوك رافع أو بان
اكبرت رزء العقل حين رأيته ... رهن العمى ، وغضبت للانسان
تجري الامور وليس يعلم كنهها ... وهو المراد بهذه الاكوان
ويقاد أعمى في الحياة وبعدها ، ... والدين والدنيا له عينان
كل له ذكرى ، وكل عبرة ... تجلو اليقين وصادق الايمان
فلئن حجبت عن الغيوب فانها ... لله ذي الجبروت والسلطان
أجلى لك الغرفات يوم لقيته ... وحباك ما تبغي من الرضوان
فرأيت منزلة العليم وأجره ... وحمدت عقبى العلم والعرفان
شغفت بك الدنيا تريدك وامقا ... وشغفت بالأعراض والهجران
تجلو زخارفها فتغمض دونها ... عين الحكيم ، وتنثني بأمان
فتنت محاسنها العقول ، ولم تزل ... في حيرة من عقلك الفتان
صارمتها وكشفت عن سوآتها ... ليفيق مختبل ويقصر عان
وصددت عن صلف الملوك وكبرهم ... متعاليا عن ذلة وهوان
أغناك عن آلائهم وهباتهم ... أنف الشريف وعفة المتغاني
أوتيت من أخلاق ربك رحمة ... لم يؤتها بشر ، وفرط حنان
أشفقت من وطء التراب على الألى ... غال التراب ، وكل حي فان
يمشي الفتى يختال فوق رفاتهم ... جذلان فعل الشارب النشوان
الجو أرواح تفيض وأنفس ... والارض من رمم ومن أكفان
عفت الاذى ونهيت عن مكروهه ... وأمرت بالمعروف والاحسان
ورحمت حتى الوحش في فلواتها ... وحميت حتى الطير في الاوكان
ورثيت للشاكين من بلوائهم ... فحملت ما حملوا من الاحزان
ومسحت دمع النائحات معزيا ... فكففن عن نوح وعن إرنان
ونسين من هول الفجائع ما مضى ... وسلون بعد تعذر السلوان
شرع بعثت به ، ودين لم تقم ... فيه لغير الواحد الديان
بوركت في دين المسيح وأحمد ... ومدحت في الانجيل والقرآن

احمد محرم

مكانة المعري في الشعر العالمي

بقلم الأستاذ خليل مطران

أخرج المعرى للناس من وحي فكره الحر آيات بينات ، ولكن لاسبيل الى المقارنة بينه وبين شعراء الغرب ، فهم قد ألفوا فى قصائدهم وحدة الغرض وهو لم يألفها ، على أن مراميه الموزعة فى أبياته ثم عن تفوق فى الفكر وان كان دونه قليلا تفوقه فى صناعة الشعر

إذا كان ميسوراً أن تفرد للمعرى مكانة بين شعراء العرب لامكان المقارنة بينه وبينهم ، فلا سبيل الى المقارنة بينه وبين شعراء الفرنجة . وإذا كان فى الواقع قد أحرز شهرة عالية بما ترجم من أقواله الى لغات مختلفة ، فمن المحقق بجانب ذلك أن ليس للمعرى مكانة فى الشعر العالمى يستطاع تحديدها

ذلك أن الأجانب لم يوفقوا الى ترجمة كثير ولا قليل من روائع القريض الذى تعتز به لغة الضاد ، إذ أنه متى جرد من مشرق لفظه ومونق المعنى المرتبط لزاما بذلك اللفظ ، وقفوا تجاهه حيارى لا يفقهون له غرضا على النحو الذى ألفوه . أما منظومات المعرى فقد استطاعوا ترجمة مأثورات منها لأن فى نوع معانيها ما يفعل فعله فى نفوسهم وان عريت من روعة مبانيها . وليس الذى نقلوه عنه الا نتفا ، وأكثر شيوعه انما هو فى بيئات العلم والفلسفة

كان المعرى ذكى الفؤاد ، نفاذ البصيرة ، قوى الذاكرة ، متضلعا من اللغة مستظهراً من أصولها وفروعها وشواردها وأوابدها مالا تضمه دفتا معجم

وكان فياض القريحة فى نثره وشعره ، وانما غلبت عليه فى نثره وشعره نزعته الى اللفظ الغريب والأسلوب الفخم . وقد يخيل الى العارف بمقدرته البيانية وسخاء قريحته أنه لو استخدم هاتين القوتين للتعبير عن الأغراض التى وقف عليها الشعر والنثر قبله ، لجاء الى جانب المتفوقين من الفحول الذين تقدموه بالزمن أو عاصروه ، إلا أن محاكاة أبى العلاء لأولئك كانت مستحيلة عليه لعلة أصيب بها وتأصلت فيه منذ طفولته

رزأ المعرى بصره فى الرابعة من سنه ، فهو بعد ذلك اليوم مغضب على الحياة محنق ، يعتاض من نور الشمس التى فقدها ، نور العلم الذى انصرف اليه واشتغل به عما سواه ، فهو به أصدق نظراً فى الدنيا وأجرأ على أهلها . فاتته منها ملاهيها وزيناتها ومحاسنها ومباهجها وهى الأغراض

التي يختفي تحتها جوهر الحقيقة ، فلم يعج بتلك الأعراض ومضى ممعنا في طلب الحقيقة . فهو بحكم حالته إذا انصرف إلى الأدب لم تعطه منه قريحته سوى ما يلائم تلك الحالة . ويتأتى له من ثم ان يكون كاتبا لا كسائر الكتاب ، وأن يكون شاعراً لا كسائر الشعراء ، إذ أن الدنيا لا تتمثل له الا في صورة « أم دفر » أي أم المصائب والرزايا والجهالات والمتاعب ، فيوسعها ذما وسخراً ولا يكاد يستصلح شيئا من خلائق أهليها ، على أنه مع هذا لايفتأ يدعو إلى الرحمة لأنه تألم وبفهم الألم

فلئن خلا كلام أبي العلاء من الروائع المرقصة والاحاسيس اللطيفة التي استحبها الناس في أولئك المتقدمين ، لقد رزق من الطلاقة في الفكر والجرأة على البحث في العلل والمعلولات ، ما لم يلبث أن وجهه الوجهة التي اختص بها ونبغ فيها وبلغ ما لم يبلغه سواه في بني قومه من قبله ولا من بعده

ولما كان هذا المقال مقصوراً على شعره فسيرى مطالعه الوجه الذي أشرت اليه من أمر المعري فيما يختص بمنظوماته

في ديواني سقط الزند وضوء السقط قصائد متينة المعاني رصينة القوافي ، تمر منها بالقصيدة تلو الأخرى كما تمر بالبناء المتراص ذي العقود القائمة ، ولا تجد فيها من الزخارف والزينات شيئا يغصب الاعجاب كما يقع لك حين تقرأ قصائد لأبي تمام أو للبحتري . ولا يروعك فيها من الحكم المسوقة بعد تمهيد بارع وفي ثوب لامع مثل ما يروعك في شعر المتنبي الذي كان المعري أحد شراحه

فهو في ديوانيه هذين شاعر متصرف صحيح الأسباب متين الأوتاد ، ولكنه في ديوانه الثالث الذي أسماه « لزوم ما لا يلزم » سمت به سليقته الى رتبة العبقرية لا يدافع فيها ولا ينازع . وههنا مبعث شهرته العالمية ومجده الخالد

لم يكن المعري بفطرته الوعرة وما يشعر به من التفوق بعلمه وسلامة حكمه على جمهرة الناس من أولئك الذين يخدعون أنفسهم بأن لهم الصدر بين شعراء الخيال ، وهو خليق بأن يتنحى لهم عنه ، فرجع بالشعر الى الناحية التي يستطيع حقا أن ينفرد بها . ولدى هذه العودة اجتمع فيه متناقضان عجيبان

أخذ ينظم لزوم مالا يلزم . أي أنه أخذ يكلف نفسه في قرض القريض عنتا لم يكن له من تأويل سوى اعتزامه أن يثبت لنفسه اقتداراً على التصرف في اللغة ليس مما يتغالى في مثله الشعراء المجيدون عادة ولا هو مما يأبهون له

ولكنه ماذا فعل وهو يتقيد بتلك القيود الثقيلة الضاغطة ؟ أخرج للناس من وحي فكره الحر، ومن جنى خبرته الأليمة ، ومن معالجته بعض المذاهب الاجتماعية آيات بينات ، نقلته فوراً في الاذهان من محله الحقير في مصف شعراء الخيال الى مكانة الشاعر الفيلسوف المنفرد . على أنه حين طفق يكاشف الناس باستدراكاته الملطفة أو اللاذعة على ما ألفوه وقدسوه من غير أن يعرفوه

عرفان المتحرين المفكرين ، لم يسترسل استرسال المتهور في تقويضه لبعض القواعد الأساسية الكبرى مما دانوا به ، بل تولى ذلك التقويض بوسيلتي النقد والسخرية مع الاحتراس بجانب ذلك والرجوع الى الله اطراداً والى الدين أحيانا ، كأنه بما قال كان ذائداً عنهما من الجهالات الشائعة

فأمر هذا المتقيد الحر كما ترى كان عجبا عجابا ولا سيما في زمنه . لم يسعه — خصوصا وهو رهين المحبسين — أن يعبر عما يخالج صدره من أمور الاديان بطريقة متسلسلة وفي مقالات مفصلة الحجج متصلة ، فاستعار الشعر وبدواته للافصاح عما يجيش به صدره في مقطوعات او في أبيات منفردة يدمجها آنا بعد آن بين معان أخرى ، ويحتال بمداورات شتى للاعتذار عنها ، أو ليدرأ عن نفسه الشبهات السيئة التي كان يخشى أن تثيرها في أذهان مخالفيه . على أنه لم يكن كذلك شأنه في بث أفكاره الاجتماعية فالذي يقوله فيها يباشر به مراميه ولا يحارف ولا يداوي بوسيلة ما جرح بجيله

فلنأت الآن من شعر المعري بالشواهد التي ترينا لباب أمره في فلسفته

كان للمعري آراء اجتماعية وآراء دينية وكلها جريء في ذلك الوقت وكلها مدعاة لبحث دقيق وتفكير عميق ، على أني لا أحصيها في هذا المقال الموجز ولكنني أمر بأهمها من غير اطالة في البيان

فأما الآراء الاجتماعية فمنها الايثار وهو أشرفها

ورد القوم بعد ما بات كعب وارتوى بالنمير وفد ظماء
كيف لا يشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء

فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

ومن يعدم أخوه على غناه فما أدى الحقيقة في الاخاء

ولا تجنبني الاحسان ضنا إذا ما كان نجرك غير نجري

ومنها نهيه عن أكل الحيوان تغاليا منه في البر والرحمة ، وتحت ذلك دعوة مستترة الى السلام بين الناس ، إذ كان يكره البغاة والسفاكين للدماء على ما سترى فيما يلي :

يكفيك ادما سليط ما أريق له دم ولا مس روحا اذ جرى ألم

لو كان يدري اويس ما جنت يده لاختار دون مغار الثلة العدما
فان من أقبح الاشياء يفعله شاكي الجماعة يوما أن يريق دما

أخفيت حلوم الناس أم كان من مضى من القوم جهلا خفاف حلوم

فلا تأسفن الشاة ان أدنى ابنها لشفرة عات فى الرجال ظلوم

لا تحدث القطع فى كف ولا قدم ولا تعرض مدى الدنيا لسفك دم

ومنها حمله على الزواج بترغيبه الناس عنه وتزهيدهم فيه . الا ان تكون الزوج عقيما لأنه يضن بالأولاد على شقاء هذه الدنيا

على الولد يجنى والد ولو انهم ولاة على أمصارهم خطباء
وزادك بعدا من بنيك وزادهم عليك حقوداً أنهم نجباء

جنى ابن ستين على نفسه بالولد الحادث ما لا يجب

وواحدة كفتك فلا تجاوز الى أخرى تجيء بمؤلمات

فان انت لم تملك وشيكا فراقها فعف ولا تنكح عوانا ولا بكرا
والقاك فيها والداك فلا تضع بهما ولدا يلقى الشدائد والنكرا

أرى النسل ذنبا للفتى لا يقاله فلا تنكحن الدهر غير عقيم

ألا تفكرت قبل النسل فى زمن به حللت فتدرى أين تلقيه
ترجو له من نعيم الدهر ممتنعا وما علمت بأن العيش يشقيه

هـــذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

ومبلغ الوصاة فى هذا الباب أنه لا يتورع من فناء الدنيا بمن عليها لينتهى بفنائها الشقاء

لو أن كل نفوس الناس رائية كرأى نفسى تناءت عن خزاياها
لعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

ومنها سوء ظنه بالنساء ونهيه عن تعليمهن لمن يتخذ منهن أزواجا

ولو صلّت بمنزلها وصامت لألفت ما تحاوله لديها
ولكن جاءت الجمرات ترمى وأبصار الغواة الى يديها
وليس محمد فيما أتته ولا الله القدير بمحمديها
اذا ما رامت الصلوات خود فكن البيت أفضل مسجديها

علموهن الغزل والنسج والردن وخلوا كتابة وقراءه

فصلاة الفتاة بالحمد والاخلاص تجزى عن يونس وبراءه
تهتك الستر بالجلوس أمام الـــــــران غنت القيان وراءه

ولا تحمد حسانك ان توافت بأيد للسطور مقومات
لحمل مغازل النسوان أولى بهن من اليراع مقلمات
فما عيب على الفتيات لحن اذا قلن المراد مترجمات
ولا يدنين من رجل ضرير يلقنهن آيا محكمات

ومنها كرهه للرياء وخصوصا من الصوام القوام

قد حجب النور والضياء وانما ديننا رياء
يا عالم السوء ما علمنا ان مصليك أتقياء
لا يكذبن امرؤ جهول ما فيك لله أولياء

يقولون هلا تشهد الجمع التى رجونا بها عفو كمن الله أو قربا
وهل لى خير فى الحضور وانما أزاحم من اخيارهم ابلا جربا

توهمت يا مغرور انك ديّن علىّ يمين الله مالك دين
تسير الى البيت الحرام تنسكا ويشكوك جار بائس وحزين

أما آراؤه الدينية ، فمع رسوخ عقيدته فى الله تتبين من اشتداده فى وصف كل ما اعتقده مخالفا للعقل أو متمشيا مع الأوهام

بعلم الهى يوجد الضعف شيمتى فلست مطيقا للغدو ولا السرى
أأصبح فى الدنيا كما هو عالم وادخل نارا مثل قيصر أو كسرى

اذا تم فيها تؤنس العين مضجعى فزدنى هداك الله من سعة شبرا
وان سألوا عن مذهبى فهو خشية من الله لا طوقا ابثّ ولا جبرا

يسمى غوىّ من يخالف كافرا له الويل أى الناس خال من الكفر
حصلنا على التمويه فارتاب بعضنا ببعض فعند العين ريب من الشفر

وليس الذى قال اليهودى ثابتا سوى انه بالخط اثبت فى السفر

دين وكفر وأنبــاء تقص وفرقا ن ينص وتوراة وانجيــل

في كل جيل أباطيل يدان بها فهل تفرد يوما بالهدى جيل
ومن أتاه سجل السعد عن قدر عال فليس له بالخلد تسجيل

قلتم لنا خالق حكيم قلنا صدقتم كذا نقول
زعمتموه بلا مكان ولا زمان ألا فقولوا
هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

وكيف للجسم أن يدعى الى رغد من بعد ما رم في الغبراء أو ازلا

يتلون اسفارهم والحق يخبرني بأن آخرها مين وأولها
وصاحب الشرع كان القدس قبلته صلى اليها زمانا ثم حولها

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان أهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

أخلت عمود الدين في الارض ثابتا وفي كل يوم يضمحل على مهل

أوجال نفسي في الاولى مضاعفة ولا ازال من الاخرى على وجل

الله عالم غيب لا أحاوله من ذي نجوم ولا أبغيه في الكهن

كم ظلم الأقوام أمثالهم ثمت بادوا فمتى يلتقون

أما رأيه في الاستمساك بمذاهب متعددة في الدين الواحد فيتبين جليا مما يلي :

اذا رجع الحصيف الى حجاه تهاون بالمذاهب وازدراها
فخذ منها بما ابداه لب ولا يغممك جهل في صراها

ونعيد هنا أن المقارنة بين المعري وبين شعراء الغرب المتفوقين لا سبيل اليها ، لأنهم ألفوا في قصائدهم وحدة الغرض وهو لم يألفها ، وسلكوا المعاني متسلسلة في قلائد من نوع متجانس على تنويعه ، واما هو فلم يكتب ملحمة متسلسلة ولم يرم مرمى تتوازعه أبيات قصيدة واحدة فضلا عن أن تتوازعه قصائد ديوان

فله شهرة عالية بلغها بتفوق فكره ، ولم يبلغها بتفوق خياله وصياغته في شعره

خليل مطران

بم يمتاز المعرى عن شعراء العرب؟ وما هي الخصائص الفكرية التي يتفرد بها والتي جعلته أنضج ثمرة من ثمار الادب العربي؟ هذا مايبحثه كاتب المقال

أبو العلاء بين شعراء العربية

بقلم الاستاذ فخري أبو السعود

ليس أبو العلاء أحد فحول شعراء العربية فقط، يحل منهم في الطبقة الاولى بجانب المتنبي وأبي تمام وابن الرومي، وليس هو فقط أحد أساطين كتابها، يبارى ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان بصراً باللغة وتمكنا من أساليبها واحاطة بتراثها. بل هو بين أدباء العربية شخصية فذة فريدة: يتشابه الآخرون في أشياء كثيرة حتى كأنهم أبناء عصر واحد، ويختلف عنهم جميعا في أشياء كثيرة كأنه ابن عصر وحده، أو كأنه يمت الى أدب غير أدبهم وتراث ثقافي غير تراثهم، وهذا التميز أهم سمات ابي العلاء

فقد كانت نزعة المحافظة غالبة على الأدب العربي منذ عرف العرب الحضارة والثقافة، قد احتفظ أهلوه بتقاليد ورثوها عن فحول الجاهلية وصدر الاسلام، وحرصوا على اتباعها ولم يحبوا أن يدخلوا عليها كبير تبديل، فقصروا الشعر والنثر على موضوعات خاصة لم تتجدد كثيراً، وانما كان هم اكثرهم أن يجاري المتقدمين في طرقها. فالفخر والحماسة والمدح والهجاء والنسيب الاستهلالي في الشعر، والرسائل الديوانية والاخوانية في النثر، والاساليب المحلى بالمحسنات البديعية في هذا وذاك. وقد طمع اكثر الشعراء في جوائز الملوك فقصروا اكبر جانب من قصيدهم على المدح، وطمع الكتاب الى الكتابة في دواوين الأمراء فتوفروا على تحبير الرسائل الانشائية، وعاش هؤلاء وأولئك في حياة صاخبة بين مواكب الحاكمين ومحافلهم، وبين مظاهر الترف المادي وأسباب اللذات الحسية، ومن ثم كان الأدب العربي الاسلامي اكثره ارستقراطيا

أما أبو العلاء المعرى فسلك طريقا وحده امتاز بها عن أبي نواس والبحتري والطائي، كما امتاز بها عن عبد الحميد وابن العميد والصاحب وغيرهم من الكتاب الوزراء، فجاء أدبه اكمل من أدبهم، وشخصيته مفترقة ممتازة عن شخصياتهم، وكان تراثه الأدبي من شعر ونثر أعظم قدرا وأخلد أثراً وأشد إمتاعا للاديب العصرى من تراث من ذكروا ومن لم يذكروا ممن هم على شاكلتهم

فأبو العلاء لم يتعلق بحبال الأمراء ولم يقل في مدحهم الا القليل الذي أودعه ديوان سقط الزند، على أنه لم ينظم ما نظم في ذلك الباب طلبا لنوالهم ولا استظلالا بجاههم، ولكن نظمه

عاملة أو مودة أو رياضة للقصيد وتلهيا بمعارضة المتقدمين ، ولم يستغرق ذلك إلا جانبا ضئيلا من شعره ، ولم يستأثر بعظم مانظم كما استأثر المدح والهجاء بمعظم مانظم البحترى والطائى ومهيار وغيرهم

إنما التفت أبو العلاء الى التأمل المجرد والتفكير الحر المنزه ، على أنه لم يطرق الأبواب المعهودة المتوارثة فى الأدب العربى ، والتى كان يطرقها الشعراء حين يتحررون من المدح والهجاء ، كالوعظ الذى شغل به أبو العتاهية وأمثاله ، والحكمة التى أولع بها الطائى والمتنبى وسواهما ، والتمدح بمكارم الأخلاق والتحدث عن الاخوانيات اللذين كلف بهما الشريف الرضى وغيره . كل هاتيك كانت موضوعات مألوفة تقليدية فى الادب العربى ، تداولها الشعراء فى مختلف العصور ، وتشبهوا فى كثير منها بالمتقدمين . أما أبو العلاء فانفرد بالتأمل فى أحوال الانسانية جمعاء : ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، فصرف ذهنه فى التاريخ وتدبر أحوال الغابرين ، وتساءل أين القبور من عهد عاد ، ورجح أن يكون قبل آدم أوادم آخرون ، وتصور سائلا فى المستقبل يسأل عن مكة كما يستخبر المستخبرون عن جديس وطسم ، الى غير ذلك من نظرات الفكر الذى يروعه تقلب العصور وتغير الأجيال والشعوب والبلدان ، ولايقنع قناعة اكثر شعراء العربية بالنظر الى حاضره واغتنام عاجله ، عن التأمل فى الماضى والمستقبل وتقصى بعيد الآفاق

ولم يقتصر أبو العلاء على النظر في شئون الانسان ، بل وسع فكره وشمل اهتمامه عالم الحيوان واحتفى له احتفاءه ببنى جنسه ، بل عد الانسان والحيوان متماثلين فى الصفات والطباع ، متماثلين فى رضوخهم لصروف الأقدار والنواميس الطبيعية ، وخضوعهم لتنازع البقاء وما يستتبع من سجايا كلها غدر ولؤم كما يقول ، وهو ينعى على الأحياء بغيها بعضها على بعض ، ثم يرثى لهما جميعا لأنها لا معدى لها عن ذلك الصراع الدائب ، وتراه يتحدث فى شعره عن الضرغام والظبي والصقر والحمامة والذئب والشاة والنحلة ، حديثه عن أناس يعنيه أمرهم ويحرص على اسعادهم ويود لو يستطيع اصلاح ذات بينهم

وما هكذا العهد بذكر أدباء العربية الحيوان والطير فى آثارهم : إنما كانوا يذكرون الليث والذئب ليدعوا الفخر بالتغلب عليهما ، والظبي والكلب للتفكه بذكر الطرد والقنص ، والحمائم والبلابل تغنيا بجميل أصواتها ، ويستعيرون صفات هاتيك السباع والاطيار لما يتخيلون لأنفسهم أو لممدوحيهم من القوة والهيبة ، ولمعشوقاتهم من حور العيون وتلع الأجياد وسحر اللفتات ، أما الاحتفاء بالحيوان ذاته والحدب عليه وطول التأمل فى أحواله ، فميزة من الميزات العظيمة التى انفرد بها أبو العلاء

ولم يقف فكره الجوال وتأمله الشامل عند الاحياء ، بل كان معنيا بشئون الجماد كذلك موكلا بالتفكير فى الأكوان والكواكب والآباد ، يعبر عن كل ذلك فى أساليب شعرية ممتعة : فيقول ان جبريل لو طار بقية عمره ما استطاع الخروج من الدهر لأنه أزلى ، ويقول ان لنار

المريخ من حدثان الدهر مطفيء وان علت فى اتقاد ، وان مولد الشمس يعني المرء تحديده ، وأن النور محدث والازلى هو الزمان المظلم ، الى غير ذلك من نظرات تجمع بين النزعة العلمية والحلاوة الشعرية . وبدهي ان احداً غيره من أدباء العربية لم يعن بالفلك بعض هذه العناية ، أو يكلف ذهنه فى مجاهل الفكر بعض هذا العناء

وكان أبو العلاء فى تأمله هذا فى شؤون الخلق متشائما ، يكربه مايرى من تصارع الأحياء وتنازعهم البقاء ، ويحزنه ما يشاهد من ضعف الانسان وقصور باعه وذهنه ، ويملأه غما ما يرى فى طباع الناس والاحياء كافة من لؤم وأثرة وخديعة وعدوان . وهو فى تشاؤمه أيضا نسيج وحده فى العربية ، فالتفاؤل هو السمة الغالبة على الأدب العربى ، وان كثرت فيه شكوى الزمان والاخوان والوعظ والتذكير بالموت والبلى ، والمتنبي مثلا على طول ما خاصم معاصريه ولاقى منهم ، ورغم خيبة مساعيه وضيعة أمانيه ، ظل عمره حريصا على الحياة كما قال مستهاما بها صبا

وانما أفضى بأبى العلاء الى التشاؤم طول تفكيره فى شئون الخلق والحياة ، كما تقدم ، وتوقله فى قمم الفكر العالية الباردة ، بجانب ما رزىء به من فقد البصر الذى كان فاتحة رزايا أخرى ، وما امتاز به من رهافة الحس ، هذا الى ما كان يعج به عصره من فساد واضطراب ، أما شعراء العربية الآخرون فنأى بهم عن التشاؤم انصرافهم — كما تقدم القول — الى حاضرهم ، واقبالهم على دواعى الحياة العملية ، واعراضهم عن طول التأمل فى مظاهر الحياة والغازها ، فابو العلاء هو ممثل التشاؤم فى العربية ، وهو فى هذا أيضا فذ متفرد

ولأبى العلاء فلسفته الالهية ، وهى جانب كبير من فلسفته ، والدين من أهم المسائل التى شغلت له طول حياته ، وهو شاك رافض لمعظم ما كان يدين به معاصروه من عقائد ، متعجب لما يرى من خلاف بين أتباع اليهودية والمسيحية والاسلام . وليس ينفرد أبو العلاء بالشك والزيغ بين أدباء العربية ، ولكنه يمتاز عن سواه في هذا الأمر امتيازه عنه فى سواه : فان المتزندقين من أمثال بشار وحماد وأبى نواس كانوا قوما مستهترين متهالكين على اللذات ، لا يكربهم أمر الدين إلا ريثما يتهكمون بالمؤمنين ويتحدون عقائدهم ويغيظونهم بفتكهم ، وكأنهم فرحون إذ خلعوا عذار الايمان وخلصوا من ربقة الدين

أما ابو العلاء فكان زاهداً لا مستهترا ، محرما على نفسه متع الدنيا لا متهافتا عليها ، وما انتهى الى الشك اعتباطا ولا استهتارا ، ولا لسوء صحبة أوضعة بيئة أفسدت خلقه ومعتقده ، وهو الناشيء فى بيت التقى والفضل ، وانما انتهى فكره الناصب الى الشك بعد طول التأمل والنظر وبعد شديد العناء والجهد ، وبعد أن حاول ما وسعه أن يصل الى اليقين ويقتنع بما يقتنع به غيره دون طويل بحث ولا تساؤل ، وكم طلب اليقين من جهينة كما قال فلم تخبره جهينة سوى الظن ، ولو ارتاحت نفسه الى الايمان عن اقتناع لكان أول المؤمنين وأحسنهم عقيدة

وعلى سبحات فكره فى آفاق الزمان والمكان ، وعنايته بالماضى والمستقبل ، لم يهمل أبو العلاء حاضره القريب ، ولم يعش بنجوة عن مجتمعه ، بل كان معنيا بأمره ، يأسى لسوء حال الرعية وجور الامراء على مصالحها ، ويعد أولئك الامراء أجراء لها عينتهم ليتعهدوا مرافقها ويسوسوا أمرها ، وهى نظرية العقد الاجتماعى التى ناقشها فلاسفة أوربا المحدثون . وكان أبو العلاء يأسف لعدم تساوى الناس فى الثروة وتفاوتهم فى الحظوظ ، فمنهم أمير متوج بالذهب وفقير معرى فى الشتاء ، ومجدود يرزق أقوات أمة ومنكود يحرم قوت يومه

وهنا أيضا يمتاز ابو العلاء على غيره من أدباء العربية ميزة عظيمة : فقد كان أكثرهم صنائع الملوك يترجمون عن رغباتهم ويتمدحون باعمالهم ، ويؤيدون دولتهم وان عتوا وان ظلموا ، قد انحازوا الى صف الحاكمين وكل همهم أن يغنموا مما يفيئون عليهم ، واعتزلوا المحكومين لا يأبهون بحالهم سعدت أو شقيت ، ولا يترجمون لهم عن شكاة ، ولا يحاولون لهم إصلاحا

وقد كان شعراء العربية وكتابها لاتصالهم بالامراء وتوفرهم على مدحهم وانشاء رسائلهم ومشاركتهم فى حياتهم الرسمية والخاصة ، مشغولين عن التوفر على الادب الخالص والفن لذاته . ومن ثم ترى الشعراء العظام منهم كانوا شعراء فحسب ، لم يؤثر عنهم غير القصائد ، كالمتنبي والبحترى وغيرهما ، والكتاب كانوا كتاب رسائل فحسب ، فلم يؤثر عنهم فيما عدا ذلك شيء يعتد به ، كالصاحب وابن العميد ، ومن أجاد الشعر من الكتاب كالصابىء وحميد بن سعيد كان مقلا فيه ، ومن توفر على الشعر قلما تظفر له بنثر أو رأى يعتد به فى النقد

أما ابو العلاء فلاعتزاله حياة الامراء الصاخبة ، وتوفره على الأدب والدرس توفر الكاهن على كهانته ، كان أديبا مكتملا متعدد نواحى الانتاج ، ضرب فى الشعر بقدح معلى وفى النثر بسهم وافر ، فصاحب اللزوميات هو أيضا صاحب رسالة الغفران ، وناظم ذلك الشعر الفائق هو كاتب هذا النثر الممتع ، وهو فى هذا وذاك لا يقتصر على باب من القول دون باب ، بل يجيل ذهنه فى شتي شئون الحياة والموت والماضى والحاضر والدنيا والآخرة ، والأدب والنقد واللغة والفقه ، وهو الشاعر العربى الكبير الوحيد الذى أثر عنه نقد وآراء معروفة مفصلة عن سابقيه من الشعراء كالمتنبي والبحترى وحبيب الطائى

وقد كان الأدب العربى فى جملته عملى المقاصد قريب الاغراض ، تقل فيه آثار سبحات الخيال ، وتقل فيه الآثار الفنية المطولة ، فغاية ما بلغ فيه الخيال إنشاء المقامة ، أو اختراع موقف الغزل ، أو تلفيق الأقصوصة القصيرة تنسب الى الجاهلية ويفسر بها خبر من الأخبار أو مثل من الأمثال السائرة ، أما القصة والملحمة والرواية وما اليها من آثار الخيال الواسع ، فان خلو الادب العربى منها معروف واضح . ولكن أبا العلاء أبى إلا أن يمتاز على سائر فحول العربية فى هذا الفن أيضا ، فرسالة الغفران هى العمل الأدبى الكبير الوحيد فى العربية ، الذى يقوم على الخيال

المتصل ، ويحوى أروع الصور والأوصاف والقصص والفكاهات ، وتدور حوادثه فى العالم الآخر، مستمدة حقائقه مما جاء فى القرآن الكريم ، كما استمد دانتى وملتون حقائق ملحمتيهما من أنباء الانجيل ، ورسالة المعرى وان طابقت كل أنباء القرآن الكريم وأظهر صاحبها الاعتقاد بصحتها ، عمل جرىء لم يقدم عليه غير أبى العلاء من قبل ، هو عمل جرىء من وجهة الفن والخيال ، وهكذا يمتاز أبو العلاء على غيره من أدباء العربية فى ارساله عنان الخيال وكبحهم إياه ، وانه للكفيف المحجوب وانهم للمبصرون الطلقاء

ذلك أدب أبى العلاء المعرى ، هو فيه نسيج وحده بين أدباء العربية ، وما كان أدبه إلا صورة من حياته ، حياة الزهد والاعتزال والدرس والادب ، فهو لم يصدف عن حياة الأبهة فى حاشية الامراء فقط ، ولم يأب على نفسه ما كان يصبو اليه الشعراء والكتاب فحسب ، بل حرم على نفسه ما يتمتع به الفرد العادى : فاقام رهين محبسيه أو فى ظلام الثلاثة من سجونه كما قال ، وترهب فلم يتخذ حليلة ، ورغب عن شهى المطاعم وحرم على نفسه لحم الحيوان ، وكان على اعتداده بقدره شأن كل عظيم متواضعا بعيداً عن الادعاء ، يعلم أنه هو وغيره من طالبى العلم والدرس جهال لا يقاس ما علموه من شئون الكون بما جهلوه ، هذا على حين كان هم الكثيرين من شعراء العربية وكتابها التفاخر والتطاول على معاصريهم

فابو العلاء المعرى فى اعتزاله حياة البلاطات ، وتوفره على العلم والادب وادمانه النظر فى شئون الكون ، ودراسته للحياة دراسة تتجلى فيها النزعة العلمية ، وارساله عنان الخيال فى رسالة غفرانه ، واحتفائه فى نظراته الاجتماعية بشئون الرعية دون الحاكمين ، هو فى كل ذلك مخالف لغيره من فحول العربية ممتاز عليهم ، وهو لكل ذلك أقرب الى أدباء الغرب الذين عاشوا فى ظل الديمقراطية أحرار الفكر والنزعة ، معنيين بشئون الحياة والمجتمع لا بأمور الملوك والحكام

وابو العلاء لكل ذلك يمثل أنضج ثمرات الادب العربى ، ولا غرو فقد عاش بين القرنين الرابع والخامس الهجريين فى العصر الذى بلغت فيه الحضارة والثقافة العربيتان أوجهما وأشرفتا على الاضمحلال . ولولا فساد الاحوال السياسية والاجتماعية الذى أسرع بالحضارة والادب الى التدهور ، لكانت هذه السنن الجيدة التى سنها ابو العلاء للادباء ، مبدأ عصر جديد فى الادب العربى يكون فيه أقرب الى الفن الرفيع ، ويكون الادباء فيه أكثر توفراً على أدبهم ومغالاة بقدره ، وأشد كلفا بالتبصر فى بعيد آفاق الحياة . ولكن عوامل الانحلال كانت تتعاور المجتمع الاسلامى من داخله ومن خارجه ، فلم يقدر للادب العربى طور إحياء جديد ، بل سرعان ما دخل فى طور تدهوره الطويل ، الذى لم يفق منه إلا فى العصر الحديث ، وكان ابو العلاء المعرى آخر نجم لمع قبل هبوط ذلك الليل الحالك

فخرى أبو السعود
المدرس بمدرسة الرمل الثانوية

المعرى :

هل كان سابقاً لعصره

بقلم الاستاذ عبد الرحمن شكرى

مما لا شك فيه أن كل قارىء يرى فى الكتاب الذى يطالعه بعض ماهو فى نفسه وعقله سواء أكان الكاتب قديما أم حديثا . ومما لا شك فيه أن اثنين يقرءان كتابا يختلفان بعض الشىء فى طريقة إدراكه مهما عظمت أوجه التشابه بين فهم كل منهما للكتاب ، فان كل قارىء يجد فهمه لما يقرأ محدوداً بعض الشىء بنوع تربيته وتعليمه وبمزاجه وطبائعه وبذكرياته وبما تعلم وبما قرأ . فلا غرابة اذا كان القارىء العصرى يرى فى شعر أبى العلاء المعرى مالم يقصده ابو العلاء ، فهذا أمر غير مقصور على المعرى ولا على غيره من الكتاب والشعراء ، بل هو غير مقصور على مايقرأ فان سامع الحديث أيضا يفهم فى الحديث بعض مالم يعنه المتحدث ، وقد يختلف اثنان فى فهم حديث واحد يستمعان له بعض الاختلاف ، وليس الأمر مقصوراً على السمع والمطالعة والفهم لما يسمع أو يقرأ بل ان ادراك المرئيات قد يختلف باختلاف المخلوقات اما قليلا واما كثيرا

> تأثر المعرى بعصره ولكنه ارتفع عن مستوى التفكير الذى كان شائعا بين جمهور ذلك العصر وهكذا تقدم زمنه وتلك ميزة العبقرى

فاذا انقصنا من شعر المعرى بعض جدة معانيه بسبب ما نكون قد قرأنا فى معانيه من آرائنا ، بقيت له بعد ذلك جدة كثيرة فى المعانى وبقيت له الميزة التى جعلتنا نكثر من نسبة آرائنا اليه لا الى غيره ، فانه لا بد أن يكون قد ألم ببعض جوانب هذه الآراء ان لم يكن قد الم بجوانب أخرى منها . ثم ان جدته فى اتجاه التفكير ونوع الشعور ينبغى أن يحسب أيضا ولو كانت الفكرة مطروقة . والجدة اذا أريد بها جدة معانى التفكير فى النفس والخلق والحياة ، انما هى أمر نسبى وهى فى الحقيقة يراد بها الشيوع والاذاعة أكثر من الجدة ، فان كثيرا من المعانى التى يأتى بها التفكير فى النفس والخلق والحياة قد كان معروفا عند بعض القدماء حتى فى أقدم العصور وانما كان غير شائع ، فاذا عثرنا فى قولهم بشىء من ذلك سميناه جديداً ، والحقيقة هى أن العقول البشرية يكون نضجها فى التفكير فى النفس والخلق والحياة أسرع من نضجها فى التفكير فى حقائق الكيميا أو ما شابهها

من العلوم ، ولكننا كثيرا ماتقيس تفكير العقول فى النفس والخلق والحياة على تفكيرها فى العلوم فنخطىء بعض الخطأ . على اننا نقرأ فى بعض الأحايين لبعض القدماء آراء فى العلوم الكونية وغيرها تدل على انهم قد فكروا فى جوانب بعض الآراء الحديثة وانهم قد رأوا لها منها ، فاذا كان هذا أمرهم فى الأمور العلمية البطيئة النضج فلا غرو اذا كان تفكيرهم أسرع نضجا فى أمور الحياة والنفس والخلق

ومهما قرأنا فى شعر الشاعر المتقدم من آرائنا فلا بد أن نتساءل لماذا يختلف شاعر عن شاعر من الشعراء المتقدمين في هذه الميزة ، ولا بد ان نتساءل أيضا لماذا يختلف الشاعر الواحد فى قول عن قول فنرى فى قول ما نسميه جدة ونرى فى قول آخر ما نسميه قدما والقائل واحد فى الحالتين . وأكبر ظنى ان اختلاف الناس فى العصور المختلفة في اللباس والعادات والمعتقدات والآراء الشائعة قد جعل أهل العصور الحديثة يبالغون بعض المبالغة فى تمييز آرائهم عن آراء القدماء . ولعل أحسن دواء لذلك ان نقرأ كتب السير جيمس فريزر فان من يفعل ذلك يدهش لأنه يرى ان كثيراً من العادات والمعتقدات الشائعة يرجع أمرها الى العصر الحجرى وما قبل العصر الحجرى

واذا قرأ قارىء لوكرتيوس الشاعر الرومانى القديم أحس كأنما يقرأ بعض آراء الفلسفة المادية التى كانت شائعة فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فى أوربا ، وشعر لوكرتيوس أوضح مثل لتشابه الافكار وترددها عصراً بعد عصر . وقد نقل ماتيو ارنولد قطعة لمؤلف قديم لا اذكر اسمه الآن يصف حواراً واحتفالا حدث فى الاسكندرية فى العهد الاغريق البطليموسى ، وانما نقلها ماتيو ارنولد كى يدل على أن الناس هم الناس فى كل عصر

واذا قرأنا قول ابى تمام :

وقديما ما استنبطت طاعة الخا   لق إلا من طاعة المخلوق

حكمنا أنه لا بد ان يكون قد ألم فى تفكيره بما ألم به الفلاسفة العصريين فى تتبعهم نمو فكرة الخالق فى الأذهان البشرية من قديم الزمن وإلا لم يكن للبيت معنى . وفى بعض الأحايين يكون إلمام الشاعر بمذاهب التفكير الحديثة إلماما أبعد وعلى وجه التعميم دون التفصيل ومثل ذلك أن الذى يقرأ قول الشريف الرضى :

ولولا نفوس فى الأقل عزيزة   لغطى جميع العالمين خمول

يقول انه لا بد قد فكر فى بعض ما فكر فيه كارليل وغيره من المؤرخين الذين يجعلون تاريخ الرقي الانسانى والحضارة تاريخ الآحاد الممتازين من الناس

فاذا تذكرنا وحدة العقل البشرى وتشابهه فى الأزمنة المختلفة ، وأنه أسرع نضوجا فى المعقول الذى يأتي به التفكير فى الحياة والنفس والخلق منه فى الأفكار العلمية التى تحتاج الى تجارب عملية

عديدة ، وإذا تذكرنا أيضا ان الالمام بالمعنى لا يستدعى الالمام بكل صغيرة وكبيرة منه ، وأن الجدة ليست جدة مطلقة بل جدة نسبية هى اشبه الأشياء بالاذاعة ، وأن الشاعر يكون أكثر نصيبا من هذه الجدة إذا لم يقيد ذهنه بقيود تمنعه من التأمل فى الحياة والخليقة والنفس وأخلاقها وآرائها — أقول إذا تذكرنا كل هذه الأمور حكمنا ان أبا العلاء المعرى أحق بأن يسمى حديثا من بعض المعاصرين . وأما قوله (غدوت ابن وقتى) ، فانما يعنى انه متأثر لما يقع حوله من الحوادث وكثيرا ما يكون هذا التأثر عكسيا أى انه يتأثر هنا كى يظهر السخط والانكار

وإذا نظرنا الى قول المعرى :

فلتفعل النفس الجميل لأنه خير وأحسن لا لأجل ثوابها

وجدنا معنى كان معروفا لدى المفكرين الاغريق قبله بقرون وعصور ، وكان هؤلاء المفكرون لا يميزون بين الفضيلة والجمال ولا بين الحق والحسن ، ولكنه مع ذلك لم يكن معنى ذائعا ولا سيما فى عصره وبعد عصره ، بل المعنى الذائع هو أن امتناع المرء عن المعاصى لامعنى له إذا لم يكافأ عليه فى الآخرة . وقد يعظم هذا المعنى الاخير ويدخله الخطأ الكثير حتى يتصور الرجل العامى أنه سيكافأ بأن يباح له ما امتنع عن عمله فى هذه الحياة الدنيا ، فجدد المعرى الصلة بين الفضيلة والجمال وبين الحق والحسن . وكان الناس فى عصره يرون ان الانسان علة المخلوقات والكون ومرئياته ، فأبان المعرى عن ضآلة الانسان فى الكون كما تفعل نواحى التفكير الحديثة ، وقال المعرى بسنة تطور الامم واضمحلالها وفنائها حتى أهل الحجاز فقال

سيسأل قوم ما الحجاز وأهله كما قال قوم ماجديس وما طسم

وقال بتحكيم العقل كما قال فلاسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر ومن أتى بعدهم

كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيراً فى صبحه والمساء

وان كان يعترف بقصور العقل عن أمور كثيرة فى قوله

سألتمونى فأعيتنى إجابتكم من ادعى أنه دار فقد كذبا

ورأى ان السلاطين والأمراء أجراء فقال

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقال :

انما هذه المذاهب أسباب لجلب الدنيا الى الرؤساء

وكل هذه الأقوال وأمثالها لم تكن من الآراء الشائعة المعتقدة كما هى شائعة الآن،فلا غرابة إذا رأى القارىء فى شعر المعرى جدة فى المعانى ، ولا غرابة إذا قيل انه كان سابقا لعصره والحقيقة أن كل مفكر يرتفع عن مستوى جمهور عصره يكون من أجل ذلك سابقا لعصره

على أننا إذا نظرنا إلى حالة الدولة العربية فى عهده من حيث السياسة والنزعات الدينية وما

وصلت اليه نهضة الدولة العباسية الفكرية ، أمكننا أن نفهم الأسباب الظاهرة التى اشتركت مع اسباب من نفس المعرى ومزاجه فهيأته للخروج عن اتجاه التفكير المعهود لدى الجماهير فى عصره ، فان الفوضى السياسية فى أواخر الدولة العباسية كانت مصحوبة بفوضى فكرية ، فظهر القرامطة وغير القرامطة من الطوائف الهادمة المستحدثة ، وتلك الفوضى السياسية وما صحبها من الطغيان والشر تفسر لنا أبياته التى ينزع فيها منزعا يشبه الآراء الديموقراطية الحديثة والتى تدل على ضياع الثقة بالنظام الحكومى الذى كان يعد السلطان فيه ظل الله فى أرضه عند ما كانت الرعية تستظل بظل الأمن والاطمئنان بسبب قوة الخليفة . وكذلك لم يكن من عفو الأمور ان ظهر مفكر مطلق التفكير من القيود كالمعرى فى عهد ظهرت فيه الطوائف الدينية والفكرية الهادمة المستحدثة ، إلا أن أكثر هذه الطوائف كانت تلجأ الى وسائل التعمية والتمويه والتأويل والأسرار أو ادعاء الأسرار لاجتذات الجماهير لأغراض سياسية ، وعملها هذا يفسر لنا الأبيات التى ينعى فيها المعرى على أصحاب المذاهب مسلكهم

فالمعرى قد ارتفع عن مستوى التفكير والشعور السائد فى جماهير عصره ، ولو أنه كان متأثراً بعصره صادقا فى قوله (غدوت ابن وقتى)

عبد الرحمن شكرى

اشتراكية أبى العلاء

ويا بلادا مشى عليها أولو افتقار وأغنياء
إذا قضى الله بالمخازى فكل من فيك أشقياء

***

كيف لا يشرك المضيقين فى النعـــمة قوم عليهم النعماء

***

لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة من البسيطة خلت الامر مشتركا

وفاة أبي العلاء

ورأيه في الموت وما بعده

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

انفق ابو العلاء عمره الطويل منذ مولده حتى وفاته في داره بمعرة النعمان ولم يغادرها فيما روت التراجم الوثيقة سوى مرتين ، الأولى وهو حدث في العشرين من عمره الى اللاذقية وطرابلس ليستكمل في مكاتبهما دراسته الاولى ، والثانية وهو شاب في الخامسة والثلاثين الى بغداد حاضرة الخلافة ومثوى العلوم والآداب الاسلامية يومئذ ، وهنالك مكث عاما وسبعة اشهر اتصل خلالها بمجتمعات بغداد العلمية والأدبية ، ودرس فيها بعض كتبه ورسائله ، ووقف فيها على كثير من الآراء الفلسفية التي تجلت بعد في تفكيره وشعره ، ثم عاد الى بلده سنة اربعمائة ليستقر بها حتى وفاته زهاء نصف قرن آخر

ستة وثمانون عاما هي عمر أبي العلاء منذ مولده حتى وفاته ، انفقها الحكيم الضرير والشاعر الفيلسوف في هذا البلد الصغير معرة النعمان ، ثم ثوى بها الثواء الأخير على مقربة من داره المتواضعة التي عاش فيها فاسبغ عليها إبان حياته شهرة طبقت انحاء العالم الاسلامي ، وأسبغ عليها بعد وفاته ثوبا من الخلود لم يعف حتى اليوم رغم تعاقب العصور والقرون

لبثت المعرة أيام أبي العلاء زهاء نصف قرن كعبة يحج اليها العلماء والطلاب من كل صوب ، يأخذون على حكيمها أدبه وتفكيره ، وتترى اليه رسائل العظماء والوزراء واعلام الفكر يلتمسون مكاتبته أو مناظرته ، وهو فيما بين ذلك يحيا حياة هي غاية في النسك والتقشف والزهد . فهو يلازم داره ولا يكاد يغادرها ويسمي نفسه « رهين المحبسين » . وهو يصوم معظم الوقت ولا يتناول من الطعام سوى العدس والبقول وشيئا من الفاكهة ، وهو لا يأكل اللحم مطلقا ويدعو الى الكف عن ذبح الحيوان وتعذيبه ، ثم هو يلبس الثياب الحقيرة الخشنة وينام على لبد وحصير . وعلى الجملة فهو يخمد في نفسه كل شهوة مادية ويقاطع كل ميل الى الدعة والرفاهة والنعماء

وقد اقترنت هذه المظاهر الفلسفية المؤثرة بشخصية أبي العلاء وغدت أبرز صورة في حياته وعلى ضوئها نستطيع أن نستعرض كثيراً من فلسفة أبي العلاء وآرائه في الحياة ، ومع اننا نعنى في

هذا الفصل بموت أبي العلاء وفلسفته في الموت والعدم فقط ، فان هذه الفلسفة تغدو أكثر فهما ووضوحا متى عرفنا لمحة من آرائه في الحياة ذاتها . كان ابو العلاء يرى الحياة جحيا . ويرى هذه الدنيا معتركا من الشقاء والشر والاثم ، وان العدم خير من البقاء ، ومن ثم فانه خير للانسان ألا يولد والا تكتحل عيناه برؤية هذه الدنيا ـ أليس هو القائل ؟ :

فليت وليداً مات ساعة وضعه ... ولم يرتضع من أمه النفساء

وهو القائل :

قضى الله أن الآدمى معـذب ... حتى يقول العالمون به قضى

فهنىء ولاة الموت يوم رحيله ... أصابوا تراثا واستراح الذى مضى

وهذه المعانى والآراء فى شعر أبى العلاء وفى نثره كثيرة يطول بنا المقام اذا حاولنا الاقتباس منها فى هذا الفصل الموجز . بيد أنه يكفى أن نذكر قصة البيت الشهير الذى أوصى أبو العلاء أن يكتب على قبره عند ما حضرته الوفاة وهو :

هـذا جناه أبى علىّ ... وما جنيت على أحـد

فالحياة فى نظره هبة أثيمة وهى جناية الآباء على الابناء . ولهذا فقد رفض ابوالعلاء أن يتزوج طول حياته ، وأن يرتكب نفس الجناية التى ارتكبها أبوه فى حقه فيأتى بنسل يعانى جحيم الحياة كما عانى

والانسان ـ وهو أبرز مظاهر الوجود فى نظر أبى العلاء ـ مخلوق أثيم لئيم الطبع يغلب فى هذه الحياة خبثه وشره ، وقد خصه ابو العلاء بكثير من ذمه المقذع فهو يقول مثلا :

ان مازت الناس أخلاق يقاس بها ... فانهم عند سوء الطبع اسوا

أو كان كل بنى حواء يشبهنى ... فبئس ما ولدت للناس حواء

ويقول :

فآل حواء راعوا الاسد مخدرة ... ولم يغادوا بسلم ربة الوجر

ومن أتاهم بظلم فهو عندهم ... كجالب التمر مغتراً الى هجر

هم المعاشر ضاموا كل من صحبوا ... من جنسهم وأباحوا كل محتجر

والخلاصة ان أبا العلاء لم يجد فى هذه الحياة من الخير ما يستحق أن يغرى الانسان بالاقبال عليها ، فهو يقاطعها ويذمها من أعماق نفسه وهو يهجو بنيها ويرام مثلها عناصر شر واثم وفساد

وليس من موضوعنا أن نتقصى مصادر هذه الفلسفة التشاؤمية عند أبى العلاء وهى فلسفة تطبع شعره ونثره كما تطبعهما نزعته الالحادية الشهيرة . بيد أننا نذكر فقط أن الحياة المظلمة الكدرة التى عاناها ابو العلاء كانت أول مصادر فلسفته ، وانه عاش فى عصر غلبت فيه عوامل

الانتقاض والثورة والحروب الأهلية فى الشام ، وذاعت فيه النظريات المادية والالحادية فى مصر فى عصر الحاكم بأمر الله ، وسرت منها الى الشام كما سرت اليها نظريات القرامطة ومبادؤهم الاباحية قبل عصر أبى العلاء بقليل ، وكان المجتمع من حول أبى العلاء يفيض بعوامل البغض والحقد والتطاحن وعدم الاستقرار

— ٢ —

توفى أبو العلاء بداره بالمعرة فى يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ (٢٢ مايو سنة سنة ١٠٥٧ م) بعد ان عمر زهاء ستة وثمانين عاما

وقد نقل الينا ياقوت رواية عن وفاة أبى العلاء خلاصتها أنه حينما احتدم الجدل بينه وبين داعى الدعاة الفاطمى أبى نصر ابن أبى عمران فى رسائلهما المعروفة التى كانت تدور حول رأى أبى العلاء فى وجوب تحريم ذبح الحيوان ورد داعى الدعاة عليه ، رأى الداعى ابو نصر أن يستدعى أبا العلاء الى حلب ليرغمه على التنازل عن آرائه الالحادية ويحسن اسلامه أو يقضى بقتله ، فلما وقف ابو العلاء على ذلك شرب السم ومات . وهذه رواية ضعيفة لا يقبلها ياقوت نفسه بل ينقلها الينا على علاتها

وفصل ابن خلكان منظر وفاة الشاعر الفيلسوف ، فذكر لنا أنه مرض قبل وفاته بثلاثة أيام فقط ، ومات فى اليوم الرابع . وكان لديه فى مرض موته بنو عمه فطلب اليهم فى اليوم الثالث أن يكتبوا عنه فصدعوا برغبته ، ولكنه أملى عليهم أقوالا مضطربة فقال القاضى ابو محمد عبد الله التنوخى أحسن الله عزاءكم فى الشيخ فانه ميت ، ثم توفى فى اليوم التالى ، وأوصى ابو العلاء حين حضرته الوفاة أن يكتب على قبره البيت الآتى :

هـذا جناه أبى علىّ وما جنيت على احـد

وكانت وفاة أبى العلاء حادثا جللا تردد صداه فى ارجاء الشام وارجاء العالم الاسلامى كله ، وحفلت المعرة على أثر موته بجمهرة عظيمة من الشعراء والادباء جاءوا ليزوروا قبر الشاعر الفيلسوف وليشيدوا بذكره . ونقل ياقوت عن أبى زكرياء أنه لما توفى ابو العلاء انشد على قبره بعد موته اربعة وثمانون شاعراً مراثيهم ، وكان من أشهرها وأوقعها مرثية تلميذه أبى الحسن على ابن همام وهى التى يقول فيها :

ان كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من جفنى دما
سيرت ذكرك فى البلاد كأنه مسك فسامعه تضمخ أو فما
وترى الحجيج اذا أرادوا ليلة ذكراك أوجب فدية من أحرما

ولبث قبر المعرى بعد وفاته عصوراً مزاراً يحج اليه الناس من سائر الاقطار . واشتهرت المعرة باحتوائها على قبر الشاعر الفيلسوف حتى يومنا . وكان القبر كصاحبه غاية فى التقشف والبساطة

وقد وصفه لنا الوزير جمال الدين يوسف القفطى حينما زاره فى سنة خمس وستمائة فذكر أنه يقع فى ساحة بين دور أهله وعليه باب قال : فدخلت فاذا القبر لا احتفال به ورأيت على القبر خبازى يابسه والموضع على غاية ما يكون من الشعث والاهمال . وذكر الذهبى أنه رأى القبر بعد رؤية القفطى له بمائة سنة أعنى فى سنة خمس وسبعمائة فرآه على نحو ما وصف القفطى . هذا وقد لبث قبر أبى العلاء الى عصرنا على حاله من الاهمال والشعث والتهدم . ولا زلنا نذكر المساعى الكريمة التى بذلت منذ اعوام قلائل فى الشام ومصر لاصلاح قبره ، وهى أمنية نرجو أن تكون قد حققت بما يثلج صدور المعجبين بالشاعر الفيلسوف وروائع تراثه وتفكيره .

— ٣ —

لأبى العلاء فى الموت فلسفة خاصة ، فالموت فى رأيه حقيقة أزلية والفناء ضرورة للوجود حسبما يقول لنا :

ويجوز أن تبطىء المنايا والخلد فى الدهر لايجوز

والعدم فى نظر أبى العلاء خير من البقاء حسبما قدمنا ، بيد أنه لا يؤمن بالحياة الاخرى فيما يبدو من شعره ، فهو لا يعتقد بخلود الروح بعد الموت بل يرى انها شعاع نورانى يخبو مع الموت ، وهو صريح فى ذلك إذ يقول :

والنفس تفنى بانفاس مكررة وساطع النارتخبى نوره اللمع

ويزيد ابو العلاء على ذلك قوله بأن الموت يشمل الجسم والروح معا بالعدم المطبق فلا حس من بعده للجسم أو الروح :

لا حس للجسم بعد الموت نعلمه فهل تحس اذا بانت عن الجسد

ويستتبع ذلك ان أبا العلاء لايؤمن بالبعث وهو صريح فى ذلك كل الصراحة حين يقول مخاطبا المولى عز وجل :

ونهيت عن قتل النفوس تعمداً وبعثت أنت لقتلها ملكين
وزعمت ان لنا معاداً ثانيا ماكان أغناها عن الحالين

ثم ان أبا العلاء يرى أن الجسم بعد ان تفارقه الروح يغدو عرضا زائلا لا يستحق التكريم ويقول لنا :

تكرم أوصال الفتى بعد موته وهن اذا طال الزمان هباء

ومن رأيه ان يكتفى فى جثمان الميت بأن يوارى فى التراب بكل بساطة ، وهو لذلك ينعى على النصارى انهم يضعون موتاهم فى توابيت من الخشب ضيقة لا رحاب فيها :

قد يسروا الدفين حان مصرعه بيتا من الخشب لم يرفع ولا رحبا
يا هؤلاء اتركوه والثرى فله انس به وهو أولى صاحب صحبا

ومن الغريب ان ابا العلاء يمتدح فى شعره تقاليد الهندوس فى حرق موتاهم ويرى أن هذه الطريقة فى اعدام الجسم أفضل وأكفل بصونه من شنائع التحلل وما قد يتعرض اليه من نهش الضوارى

فاعجب لتحريق أهل الهند ميتهم وذاك أروح من طول التباريح
ان حرقوه فما يخشون من ضبع تسرى اليه ولا خفق وتطريح
والنار أطيب من كافور ميتنا غبا واذهب للنكراء والريح

والخلاصة ان لأبى العلاء فلسفة فى الموت وما بعد الموت كما أن له فلسفة فى الحياة . واذا كان فى نظرته الى الحياة يميل الى التبرم والتشاؤم فهو فى نظرته الى الموت وما بعده يميل الى الشك والانكار . وهو فى الحالتين متأثر بالفلسفة القديمة . ويبدو لنا بنوع خاص ميله الى المذهب المادى ومذهب المتشككين . والى هذا الميل نستطيع أن نرجع كثيراً من آرائه الالحادية التى أخذت عليه وأثارت عليه فى عصره ، وفيما بعد عصره ، حملات شديدة لايزال يتردد صداها الى اليوم فى أقوال الباحثين والنقدة . بيد أنه يجب ان نلاحظ من جهة أخرى ان هذه النواحى الفلسفية هى أهم عناصر القوة والطرافة فى شعر أبى العلاء وفى تفكيره [1]

محمد عبد الله عنان

رهين المحابس الثلاثة

سمى ابو العلاء نفسه رهين المحبسين : المنزل الذى اعتقل فيه نفسه عن الناس ، والعمى الذى حجب عنه جميع مشاهد الحياة ، ولكنه أضاف اليهما محبسا ثالثا ، هو هذا الجسم المادى الذى احتجز روحه فمنعه من الانطلاق الى حيث يتطهر ويسمو ، فقال :

أرانى فى الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ولزوم بيتى وكون النفس فى الجسم الخبيث

---

(١) رجعنا فى هذا البحث الى معجم الادباء لياقوت ، وتاريخ الذهبى ، وابن خلكان ، ورسائل المعرى (نشر مرجليوث) ، وذكرى أبى العلاء للدكتور طه حسين ، والى اللزوميات الخ

المعرّى يُبعث حيا

بقلم المرحوم الاستاذ مصطفى لطفى المنفلوطى

تخيل المغفور له الاستاذ المنفلوطى أن أبا العلاء المعرى قد عاد إلى الدار الاولى ، فأخذ ينقد مساوئها ويعيب نقائصها ، ويبدى آراءه فى أوضاعها . وقيل إنه وضع فى ذلك كتاباً فقد اثر وفاته ، ولم يبق منه سوى ثلاث مقالات نشرت فى كتاب « النظرات » . فان صح هذا فقد خسر الادب العربى ذخرا ثمينا ، فقد أحسن المنفلوطى وأبدع فى هذه المقالات ، كما يتبين فيما نقتطفه من احداها

ما كنت أجهل قبل اليوم رأى الشيخ فى الطعام وما يحب منه وما يكره ، ولكننى ظننت أنه بعث بطبيعة غير طبيعته ورأى غير رأيه ، فقدمت اليه فى طعام العشاء دجاجات ربلات كنت أعددتهن للضيفان من قبل ، فلما أخذ بصره المائدة صار ينظر اليها مرة وإلى أخرى ثم قال : « ما اسم هذا الطعام الذى تقدمه الى » ، قلت : « انهن دجاجات لم يكن للخادم الصغرى عندى شأن غير رعايتهن والقيام عليهن والحدب بهن،فكانت تؤثرهن بأفضل ما تؤثرها به من طعام وشراب ، وتنزلهن من نفسها منزلة الواحد من أمه ، حتى امتلأن وا كتنزن واستدرن للذبح ، وقد كنت أبقى عليهن كلما طرقنى طارق إبقاء على الفتاة أن ينفجر صدرها حزنا على أترابها الصغيرات ، أما اليوم فلم أر من ذلك بداً فذبحتهن اكراما لك فسال من دموع الفتاة عليهن أكثر مما سال من دمائهن »

فوجم الشيخ ثم أطرق إطراقا طويلا سمعته يهينم فيه بهذه الكلمات :

« وارحمتاه ! ألا تزال هذه المدى موكلة بهذه الأعناق ، ألا يزال الحيوان الناطق ينكر على الحيوان الصامت حتى حسه ووجدانه ويأبى إلا أن ينظمه فى سلك الجمادات الصم لأنه صامت لا ينطق وأخرس لا يبين . ربما كان زقاء الديك ، وقوقأة الدجاجة ، وصرصرة البازى ، وهديل الحمام ، وزقزقة العصفور ، وثغاء الشاة ، ومؤاء الهرة ، وخوار الثور ، وحنين النيب بكاء بغير دموع ، وشكوى بغير لسان ، وربما كان يكتم ذلك الذبيح فى نفسه من الوجد والبرحاء ما لو استطاع أن يبين عنه لأبكى العيون دماء وفجر الصخر عيونا »

ثم رفع رأسه الى وقال : « أما سمعت الدجاجات يقلن لك شيئا عند ما أردت ذبحهن » قلت : « لا يامولاى ومتى قلن للناس شيئا فيقلن لى » . فنظر الى نظرة شزراء لا أنسى سهمها الواقع فى قلبى ما حييت ثم قال : « أما لو أن الله منح ذابح الدجاجة من نور البصيرة ما منحه من نور البصر لسمعها تقول له :

«مهلا رويداً أيها القاتل السفاك ! لاتدن منى ولا تمد يدك الى ، فلا شأن لك معى ولا ترة لك عندى . أنا صاحبة الحق المطلق فى حياتي وأنا لا أريد ان أموت ولا رغبة لى فى فراق الحياة لأن ورائى أفراخا صغاراً هن الى حياتى أحوج منك الى مماتى . وليس من الرأى أن أكل أمرهن اليك من بعدى لأنك شره طماع لا يشبع بطنك ولا تهدأ مديتك

« أنت لا تملك أن تعطينى الحياة فلا تملك أن تسلبنى اياها

« كل ما تستطيع أن تمن به على أنك كنت تطعمنى وتسقينى . فهل تعلم انك ما كنت تطعمنى الا فتات مائدتك ولا تسقينى الا غسالة يديك ، وأنك ما كنت تصنع ذلك رحمة بى ولا احسانا الى ، بل لتهيء لنفسك ما يسد شهوتك ويطفىء لوعتها . وهل تعلم أنك أنت الذى سجنتنى فى أقفاصك وحلت بينى وبين رزق الله أطعمه أنى ذهبت وأين حللت من حيث لا يساومنى فيه مساوم ولا يحاسبنى عليه محاسب . أمن أجل تلك الحثارة القذرة والجرعة الكدرة تسلبنى حياتى وتفجع بى أفراخى ، ولا ذنب لى ولا لهن عندك الا أنا كنا زينة بيتك ولعبة أطفالك وحماة آلك من بنات الأرض وهوامها ورسل الفجر المنير اليك

« لا تظلم السبع بعد اليوم ولا تنقم منه وحشيته وافتراسه فكلاكما وحش وكلاكما مفترس لا فرق بينك وبينه إلا أنه لا يحسن الذبح والطبخ كما تحسن ، فهو يبقر البطون بأظفاره وأنت تفرى الأوداج بمداك ، لا بل ان جريمتك أكبر من جريمته وعذرك أضعف من عذره ، لأنه يفترس ليشبع بطنه وأنت تفترس لترفه نفسك ، ولأنه يعجز عن الاحتيال لقوته وانت على ذلك من القادرين . استضعفتنى فبرزت الى فهلا برزت لشبل الأسد . . »

هيه يا صاحب الدجاجات حدثنى عنك ، ألم يكن لك فى جميع ما تنبت الأرض من بقلها ، وقثائها ، وفومها ، وعدسها ، وبصلها ، مندوحة لاكرامى والقيام بحق . وأنت تعلم أنى رجل سلخت فى دنياكم هذه من حياتى الأولى نيفا وأربعين سنة لم أذق فيها لحم الحيوان ولا ثماره ولا نتاجه فحميت نفسى حتى عسل النحل وبيض الدجاج وألبان ذوات الأثداء وأقنعتها بالبلسن طعاما والبلس حلوى ، لأنى كنت أعلم ان النبات طعامى الذى لا يلائمنى غيره ولا يشبهنى سواه وأن لحم الحيوان انما خلق للشفاه الغليظة ، والأنياب العريضة ، والأظفار الحادة ، والجلود المزأبرة ، والأعضاء المتوثبة ، والهامات الضخمة ، وكنت أرى أن أكلة اللحوم انما يخادعون أنفسهم فيها ويجترونها الى طبائعهم اجتراراً لأنهم لا يأكلونها إلا إذا عالجوها بالطبخ والصف والتقديد والشى والقلى ومزجوها بالخضر والتوابل والأبازير والافزاح مزجا يكاد يخرج بها عن جوهرها الى جوهر النبات ، حتى إذا نزل بهم عارض مرض نزعوا عنها وبرئوا الى الله منها وفزعوا الى النبات فى طعامهم وشرابهم وعقاقيرهم كأنما يطلبون شفاءهم فى الرجوع الى غذائهم الطبيعى الذي خلقوا له وأعجب ما كنت أعجب له من أمرهم انهم كانوا ينكرون علىّ رأيى فى ترك ذلك الطعام

ويعنون فى مسائلى عنه وحجاجى فيه وحملى عليه، ويلحون فى ذلك الحاحا شديداً، حتى ظننت أنهم قائلى من دونه. كأنما يزعمون فى ضوضائهم هذه أنهم انما يأكلون لحم الحيوان باسم الشريعة الدينية لا باسم القرم والجشم، أو ان الله تعالى أنزل عليهم قرآنا ألا يقيم لهم يوم القيامة وزنا ولا يقبل منهم صرفا ولا عدلا الا إذا قدموا عليه يبطون بجر مكتظة بلحوم الحيوان تتقدم بين أيديهم فى منصرفهم من الحساب لتفتح لهم أبواب الجنان، وكأنهم فرغوا من أداء ما افترض الله عليهم أن يؤدوه وترك ما أمرهم أن يتركوه، فلم يبق بين أيديهم من أبواب العبادة الا باب التورع عن أكل اللحم مخافة أن ينقلب المباح باعراضهم عنه حراما، كما ترك النبى صلى الله عليه وسلم صلاة التراويح بعد أدائها مخافة أن تنقلب سنتها باستمراره عليها فريضة. وقد كنت امرأً فقيراً لا املك فى كل عام من الرزق الا نيفا وعشرين دينارا لا يتسع مثلها لمثل ما يتسع له عيش الناعمين المترفين، وما كنت اجد السبيل الى غيرها الا من طريق الكدية والتكفف اى بقبول صلات الأمراء وصدقات المحسنين. وقد علم الله من شأنى أننى رجل لو علمت انى إن أذلت ما صان الله من ماء وجهى على عتبة أمير او قدم وزير، امطرت السماء على ذهبا، واستحالت الحصباء تحت قدمى دراً، ما فعلت ضنا بنفسى على هذا الموقف المستوبل وإيثاراً للرضاء بقضاء الله وقدره فى قسمة أرزاقه بين عباده. فلم أر خيراً من ترك طعام لو اشتهيته لما قدرت عليه، ولو قدرت عليه لما اشتهيته، من حيث لا يكون للتحريم والتحليل، ولا للايمان والزندقة فى ذلك مدخل

وما زال المتورعون من السلف الصالح يتركون ما هو لهم حلال مطلق من لذائذ هذه الحياة وشهواتها ويجزعون من ملامسته والدنو منه جزعهم من اجتراح السيئات، وانتهاك الحرمات، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يجيع نفسه من غير عوز، وكانت عائشة رضى الله عنها تقول إن رسول الله لم يمتلىء قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدى واقول: نفسى لك الفداء، لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك، فيقول: ياعائشة إخوانى من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم. وكان يقول شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة. وعلا عمر رضى الله عنه ولده عبد الله ابن عمر بالدرة إذ دخل عليه فرآه يجمع فى طعامه بين الثريد والشواء، وكان بعض الصالحين يعد الجمع بين الخبز والملح شهوة فيتجنبها، وكان بعضهم يعجن دقيقه ويجففه فى الشمس ثم يأكله قائلا: كسرة وملح حتى يتهيأ فى الآخرة الشواء، ومنهم من لم يأتدم قط فى حياته لا بالجواذب والكباب ولا بالخل والزيت. فويل لى من هؤلاء الناس شركتهم فى دنياهم فقالوا شره طماع، وصدفت لهم عنها فقالوا زنديق ملحد، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

مصطفى لطفى المنفلوطى

المرأة
في رأى أبي العلاء

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

ليت المرأة لم تخلق – عالمها عالم الحس – وجوب الحجاب – لا عفة للمرأة – وأد البنات – الأصح انتساب الولد الى أمهاتهم – تعليم المرأة – العروس الموافقة جنة الرجل الاولى – انكار تعدد الزوجات – النسل قبل كل شيء – وفاؤها للحياة لا للرجل – لماذا لم يتزوج أبو العلاء

لا أحسب المرأة إلا مزهوة بما يقال فيها حمداً كان ذلك أو ذما . فليس أحب الى نفسها وأرضى لغرورها من أن تكون هم الرجال وشغلهم الشاغل . فسيان عندها عابد لها وناقم عليها مادام شديد الشعور بوجودها . ولعلها في قرارة سرها – وان تصنعت الغضب – أشد استمتاعا بلعنة اللاعنين لما فيها من اعتراف صارخ بخطر سلطانها وروعة فتنتها وعظم غوايتها

وابو العلاء في طليعة الناقمين على المرأة ، وهو القائل في لزومياته :

بدء السعادة ان لم تخلق امرأة

وليس معنى هذا أن أبا العلاء جامد الطبع ناضب العاطفة من ناحية المرأة ، وانه مسلوب الشعور بما فيها من جواذب وفتنة . وانما على الضد هي شدة حسه – كما قدمنا – بما لها من دولة آمرة وسلطان قاهر ، وان الصورة التي يتمثلها لبنات حواء لأشبه ما تكون بصورهن في أخيلة أصبى الرجال اليهن وأشدهم تعلقا بهن واشتهاء لهن . فهذي بنات حواء – في تائيته المطولتين في اللزوميات – يطلعن كالظبيات في اللحظ واللفتات ، ويغدين ويرحن خواطر كالغصون متأودات ، في وشي ثياب مورسات ، وبالجوهر الفريد مقلدات ، وفي سنا الحلى متوقدات ، معاصمهن بالأساور معلمات ، وسوقهن بالحجول طوافر مقيدات . خدودهن بالشباب موردات ، وأكفهن بالخضاب موسمات ، وبناتهن معنمات . مرهفات القدود مهندات ، في ضيق من الأزر مغمدات لحاظهن كالسيوف مجردات ، ثغورهن عذاب بخمرة الريق مفدمات ، تفض خواتمها عن الصهب

غنجات . صواحب منطق متزيدات ، مطربات بالمقال مهودات ، يشنفن السامع قائلات ، ويكلمن القلوب مكلمات . يترقبهن الفتيان فى الصعدات ، وانفاسهم من الشوق متصعدات . وأى زناد شوق لم يقدحنه ، وأى رشيد عقل لم يحيرنه ، وأى راجح حلم تركنه غير مفند ! !

هذه بلا نزاع صورة المرأة فى مجلى فتنتها وحفل زينتها . ولو لم نقل انها لابى العلاء لظنها القارىء الكريم لأحد الشعراء الغزليين ، بله الخليعين . ولكن ، أيرى القارىء لو كان ابو العلاء لا يعرف للمرأة هذه الفتنة كلها ، ولا يدرك منها هـذا التجهز للغواية بكل سلاحها ، أكان يحذرها هذا الحذر ويتجرد هذا التجرد كله لتحذير العالمين منها ؟ ثم ألا يرى بعد ذاك الصورة التى رسمها ابو العلاء للمرأة كيف انها على كل ما فيها من فتنة لا تعدو توصيف محاسن الجسد ومشتهيات الحس ، وأنه لم يعرض فيها الى مزايا خلقية وشمائل نفسية ، وأنه حين ذكر ما يصيبه الرجل عند المرأة من متع العشق لم يجر على طرف لسانه مرة اشارة الى التعاطف ومساجلة القلب للقلب وامتزاج الشعور

وما الغوانى الغوادى فى ملاعبها إلا خيالات وقت اشبهت لعبا

ولقد ذهب نيتشه فيلسوف المانيا الشاعر الى أن الرجل حق الرجل ، ينزع الى شيئين: المخاطرة واللعب ، وأنه من ثمة كان نزوع الرجل الى المرأة فهى أخطر لعبة

لا تتبعن الغانيات تماشيا ان الغوانى جمة تبعاتها

والمرأة كثيرة المراغب قلما ينهض بها رجل . فهى تريده شابا قويا ، وتريده وجيها غنيا ، وتريد لو يفرغ لها نهاره وليله . واذا عزها اجتماع هـذا جميعه فى زوج ، وكان لها أن تختار لنفسها من تؤثر ، فانها فى اختيارها لن تصغى لصوت غير صوت الغريزة

اذا خطب الزهراء شيخ له غنى وناشىء عدم ، آثرت من تعانق

فهى لا تعرف الحياة إلا من طريق المشاعر الحسية ، وهى لا تحيا الا بها ، ولا تهتدى فى الواقع بغير هديها . واذا سمعتها ناقمة على جارة فرطت اعاشق فى نفسها ، فاعلم انها لا تسلم من حسد لها وخشية منها أن تسلب يوما قرينها . والمرأة انما تظهر التدين والفضيلة مجاراة للعرف ولكنها أقرب تلبية لدواعى الطبيعة . ومن أظهر غرائزها طلبها الحظوة فى أعين الرجال وحرصها على أن تشوقهم ، ولن يقنعها أن يعجب الرجال منها برأى ناصع وعلم واسع وفن بارع بل لا بد لها من افتنانهم بحسنها وعبادتهم لجسدها . فلا غرو أن كان المعرى مشدداً فى وجوب احتجاب النسوة فى الخدور ، لاينى يردد النصيحة ويلح فى النذير

وأرى العروس تحجبت فى دارها كعرس الآساد فى الاخدار

وهو يخشى عليها من الجوار مهما حسن ، ويوصى بأن يكون التجاور « كتجاور العينين

لن يتلاقيا » ، ويأبى عليها طلوع السطح حيث لا يأمنها ان : « تكلم يوما فى التستر جارها » ، ولا ينسى أن يهيب بالجار نفسه متلطفا :

اذا شئت أن ترقى جدارك مرة   لأمر ، فآذن جار بيتك من قبل
ولا تفجأنه بالطلوع فربما   أصاب الفتى من هتك جارته خبل

ولا تسل عما يأخذ أبا العلاء من اشفاق وما يملؤه من طيرة وتوجس لخروج النسوة من دورهن بعذر من الأعذار : تارة لشهود عرس ، وقد تبرجن وأبدين زينتهن ، متحليات بالأساور والحجول ، متضمخات بالعبير ، رافلات فى وشى الدمقس وسرق الحرير ، فهو يبادر الى الام ينبهها ويصدقها المشورة

نصحتك يا ام البنات فحاذرى   وساوس ولاج الأساود خناس
ولا تلبسى الحجلين بنتك والبرى   لتشهد عرسا ، واشغليها بعرناس

وهو آونة أخرى ينبه رجل البيت

وان طاوعن أمرك ، فانه غيداً   يزرن عرائسا متيمات
أخذن كريش طاووس لباسا   ومسكا بالضحى متلفعات

ثم ايثارهن للحمامات العامة ، وما بهن اليها شديد حاجة ، وفى مثيلاتها فى عقر بيوتهن غنى عنها لوشئن ومندوحة ، ولكنها احدى معاذيرهن للخروج الى زحمة الطرق ومطارح الانظار ، فكأنما لا يصح فى غيرها الطهر ولا تتحقق بدونها نظافة البدن وجلوة الحسن ، فهن لا يصبرن عنها ولا يفتأن مختلفات اليها كل حين فى مواقيتها المعروفة ، متلفعات متكمات وهن من بعد طوامح الطرف متطلعات ، وعليهن من صنوف الابراد ومصوغ الحلى ما يخلب البصر ويبهر اللب ، وقد رصد لهن فى غدوهن ورواحهن أصحاب الغزل من الرجال فهو يقول ناصحا للفريقين كعادته

ولا ترمق بعينك رائحات   الى حمامهن مكمات
فكم حلت عقود النظم وهنا   عقوداً للرشاد منظمات
وكم جنت المعاصم من معاص   تعود بها المعاضد معصمات

وما بالك بما تتعرض له أولئك الغانيات فى عصر كعصر أبى العلاء صيره فجور المماليك الاتراك جندهم وقوادهم الى حال من الأباحية الخلقية وفساد الحياة الاجتماعية لم يسبق به عهد لعدوانه كل طور ، وتجاوزه كل حد ، مما يجعل تحريم ذهابهن الى الحمامات أوجب من ذى قبل وأشد لزوما

ولا تلجى الحمام ، قد جاء ناصح   بتحريمه من قبل أن يفسد الناس
فكيف به لما اغتدى فى طريقه   رجيب ، وحواش ، وتنج ، وأشناس
تمازج بالعرب الأعاجم ، والتقى   على الغدر أنواع تذم وأجناس

كذلك كان لا يسكت عن ترددهن على الساحرات الماكرات فى طلب عطف الهاجر وتهييج الغائب من الخلان

وأبعدهن من ربات مكر سواحر يغتدين معزمات
يقلن نهيج الغياب حتى يجيئوا بالركاب مزممات
ونعطف هاجر الخلان كيما يزول عن السجايا المشمئات

وكان أخوف ما يخافه أن يغلب عليهن ايمانهن بالخرافات فلا يتورعن من غائلة السعى الى العرافين والمنجمين ، فلا يقف خطب هذا المخرق او ذاك عند الكسب الحرام وامتراء المال منهن بل قد يعدو الى طمعه فيهن أن يواتينه على القبيح

إذا ابتكرت الى العراف فاعرف مكان عصا تصك به قراها
وحذرها المنجم فهو ذئب تشوقه الضوائن أن يراها
فان هى لم تجبه الى قبيح نحليها النافع وامتراها

وجملة القول أن أبا العلاء يحض على حجاب المرأة ولا يرى لها خروجا من الخدر إلا الى القبر

لزومها البيت مع اهتمامها حتى يجيها الوفد من حمامها

وهو فى حجابها متشدد مبالغ فى التشدد بلا مهاودة ولا استثناء ، لا يقبل فى خروجها عذراً سواء أكان للحمام أم للمسجد

شر على المرأة من حمامها ارسالك الفاضل من زمامها
ومشيها تضرب فى أكمامها يفوح ريا الطيب من أمامها
زائرة للمسجد فى لمامها تأثم ، والحيبة فى التمامها
بأحدل ما عف عن كمامها أعاذها الخالق من إمامها

وقد ذهب فى مذهبه الى حد النهى عن خروجها للحج

أتت خنساء مكة كالثريا وخلت فى المواطن فرقديها
ولو صلت بمنزلها وصامت لألفت ما تحاوله لديها
ولكن جاءت الجمرات ترمى وأبصار الغواة الى يديها
وليس محمد فيا أتته ولا الله القدير بحمديها

فأبو العلاء يرى المرأة شيطانة غى ، تجرر وراءها الفتنة حيث سارت ، وتهيج اليها الحواس حيثما حلت ولو كان المكان قدس الاقداس ، سيان فى مساجد المسلمين كما قدمنا أوفى بيعات النصارى

هل قبلت من ناسع أمة تغدو الى الفصح بصلبانها
كنائس يجمعها وصلة بين غوانيها وشبانها
ما بالها عذراء أو ثيبا كوردة الجانى بأبانها

راحت الى القس بتقريبها وبينها أولى بقربانها
قد جربت من فعله سيئا والطيب جار بجربانها
وزوجها تسخط، بل زوجها البائس ، فى طاعة ربانها
قد زارت الدير ، وأثوابها ضامنة فتنة رهبانها

فشاعرنا لا يأمن للغرائز . وكيف يأمنها وهى المحرك لعجلة هذا العالم وما فيه من سعى وجهد وهو أنى تلفت يرى الناس إنما يعملون فى الحياة بدافعين من إشباع بطنهم وارضاء شهواتهم كائنة ماكانت ظواهرهم وبالغة ما بلغت أقدارهم

وأشرف من ترى فى الأرض قدراً يعيش الدهر عبد فم وفرج

فلا أمان ولا اطمئنان ، بل ان الحذر كله لا يغنى لولا أن يلطف القدر ويشاء الله

قد حاطت الزوج حرة سألت مليكها العون فى حياطتها

وليس بعد هذا قبح رأى فى المرأة وسوء ظن فى عفتها . على ان التظنن كله عففة ، لأن أبا العلاء لا يرى لها عفة على الاطلاق

وما تمنع الخود الحصان حصونها ولو أن أبراج السماء حصونها

فدفنها هو الأمان الوحيد من عارها

ودفن الغانيات لهن أوقى من الكلل المنيعة والخدور

ولولا ما طبع عليه من الرحمة لذهب مذهب الجاهلية فى وأد البنات ، ولكان الدفن « لاحداهن احدى المكرمات » ولما طاوعه لسانه أن يقول « لاتئدوا ! » وان يكن عز عليه بعد الا ان يشفعها بكلمة الحق عنده فتمتم كالمحدث لنفسه يراجعها « وا كرم بالتراب مصاهرا »

لا تولدوا . فاذا أبى طبع فلا تئدوا ! ــ وا كرم بالتراب مصاهرا

فالمرأة مجلبة العار لأبيها وذويها ثم من بعد لزوجها ، ولا يصح ائتمانها على نفسها ولا الثقة فى حصانتها . ولذا كانت نسبة الأبناء الى الآباء موضع الشك عنده ، فكان يرى الصواب كل الصواب فى انتساب الولد الى امهاتهم على نحو ما جرت عليه الروم (وهم الليشيون فيما ذكره المؤرخ الاغريقى هيرودوتس)

ولحب الصحيح آثرت الروم انتساب الفتى الى أمهاته

ومن كان هذا رأيه فى المرأة ، وكانت نصيحته للامان عليها الدفن أو على الأقل لزومها دارها حتى توافيها المنية فيؤمن عارها . فانه لا شك معارض فى تعليمها منكر له ، لأن التعليم حاجة اجتماعية ، وقد حكم عليها فيلسوف المعرة بالبعد عن المجتمع

علموهن النسج والغزل والرد ن وخلوا كتابة وقراءه

وإذا كان لا بد من تعلمهن القرآن ، فان بعض السور القصار فيها الكفاية للصلاة

فصلاة الفتاة « بالحمد » و « الاخلاص » تجزى عن « يونس » و « براءة »

ولما كان البعض لا يقنعهم أن تكون بناتهم عارفات بدينهن ، حافظات الكتاب الكريم ، فهو يوصى ألا يدخل عليهن من المعلمين إلا عجوزاً متهدمة تحد فيها التفكير فيما تفكر المرأة فيه ، أو شيخا ضريراً فانيا لا يبصر لهن فتنة ، ولا تسعفه عليهن قوة

ليأخذن التلاوة عن عجوز　　من اللائى فغرن مهتمات

يسبحن المليك بكل جنح　　ويركعن الضحى متأثمات

فما عيب على الفتيات لحن　　إذا قلن المراد مترجمات

ولا يدنين من رجل ضرير　　يلقنهن آيا محكمات

سوى من كان مرتعشا يداه　　ولمته من المتثغمات

على ان أبا العلاء لا يرى للمرأة كاشتغالها بالمغزل والردن ، ومما تجدر ملاحظته أنه لا يقصد بالغزل والردن الى مجرد التدبير المنزلى بل الى شغل بال المرأة واستغراق وقتها وحواسها لعلها تنسى ما تحفزها اليه طبيعتها من طلب الرجال وتلهيتها بغزل الخيط عن غزلهم

أو لا ، فأله العرس عن غزل لها　　بالغزل ، فهى شقيقة العرناس

الا ان أبا العلاء من عرفنا مبلغ بره بأمه وحبه لها فى مرثيته فى سقط الزند وفى الكثير من رسائله . فهو يكف فى لزومياته عن ذم المرأة وينسى عداوته لها حين يذكر المرأة الام

العيش ماض ، فأكرم والديك به　　والأم أولى باكرام واحسان

وحسبها الحمل والارضاع تدمنه　　أمران بالفضل نالا كل انسان

كما أنه ألطف حسا وأسجح طبعا من ان يفوته تصور السعادة الزوجية لو تحقق بين الزوجين وفاق وأظلهما الصفاء . فالعروس الموافقة « جنة الرجل الاولى »

وجنتك الأولى عروسك وافقت　　رضاك ، فان أجنتك فاجن ثمارها

وهو منكر لتعدد الزوجات منذر بسوء مغبته ، شاعر بما فى الضرار من ظلم للمرأة وجرح لعزتها وأذاة لشعورها . فيقول فى الحث على الاكتفاء بالواحدة

وواحدة كفتك ، فلا تجاوز　　الى أخرى تجىء بمؤلمات

ويحذر من البناء بأكثر من زوجة فى مناسبات عدة منها

اذا كنت ذا ثنتين فاغد محاربا　　عدوين ، واحذر من ثلاث ضرائر

وإن هن ابدين المودة والرضى　　فكم من حقود غيبت فى السرائر

قرانك ما بين النساء أذية　　لهن ، فلا تحمل أذاة الحرائر

ويشير إلى ماق تعدد الزوجات من الغبن فى القسمة ومجافاة شريعة العدل فى المعاملة وهو يروى بلهجة الساخر المنتقد

تزوج بعد واحدة ثلاثا وقال لعرسه : يكفيك ربعي
فيرضيها إذا قنعت بقوت ويرجمها إذا مالت لتبع !
ومن جمع اثنتين فما توخى سبيل الحق فى خمس وربع

فابو العلاء الحدب الرحيم على كل ذى نسمة لا يعوزه الحدب على المرأة . وهو حين يلعنها لا يعنى الاساءة اليها . وانما هو يعرف أن هذه المخلوقة الجميلة الفاتنة هى حبالة الطبيعة لاستدامة النسل وبقاء الحياة . وهو دائم التعديد لأفانين زينتها وألوان وشيها وضروب حليها ، وما كان شاعرنا ليكره منها ذلك ، الا أنه يعرفها تتزين وتتحلى لا حبا فى الجمال ، فما هو من همها لذاته ، بل اجتذابا للرجل وتنبيها لحبه واستيلاء عليه ليقوم كالعبد على خدمة النسل . فالرجل عندها وسيلة — كما يقول نيتشة — والولد هو الغاية . ومن ثمة كان لا يعنيها الوفاء لزوجها إذا تعارض مع الوفاء للحياة ، فلا تملك أن تصون نفسها عن رجل يبذ بعلها فيما تطلب الحياة من مزايا . وليكن الولد بعد ذلك من فراش شرعى او غير شرعى ، فانه فى حكم الحياة نسل على كل حال

وسيان من أمه حرة حصان ، ومن أمه زانية

وليس يبين للعين فرق فى كيان الخلقة بين هؤلاء وهؤلاء

وما ميز الاطفال فى أشباحها للعين ، حل ولادة وعهار

فالمرأة لا شاغل لها غير وظيفتها الجنسية . وهى عندها السعادة الكبرى تطلبها بكل السبل لنفسها ما استطاعت ، ثم لمن تحب من بناتها وجاراتها . وما من امرأة إلا تلك الوساطة فى تدبير الزواجات كما تهوى الفاجرة الجمع بين الرجال والغانيات . والمرأة بوجه عام أحرص ما تكون على شهود الأعراس وتسقط أخبار العلاقات الزوجية والمغامرات الغرامية . وقد يحسن الرجل منا الظن بما بين رجل وصاحبته ، ولكن النساء أسوأ منا ظنا بأنفسهن فلا يصدقن اجتماع رجل وامرأة على غير ريبة . فليس لشىء لديهن تفسير غير تفسيره الجنسى . فالجنس معنى الحياة عندهن وواسطة العقد فى تفكيرهن ومحور أفعالهن ، وذاك — ولا اختيار لأحد فى ذاك — حكم الطبيعة وسبيلها الى النسل وبقاء النوع . فلا غرو اذن وأبو العلاء إمام للتشاءمين ومن أشد الكارهين للحياة ان يكون موقفه من المرأة موقفه من الحياة نفسها . فالمرأة هى الحياة مصغرة على حد قول الأستاذ العقاد ، وهى الأمينة عليها والكاهنة القائمة على محرابها تنفخ نارها وتأبى أن يخبو أوارها ، وهى هى مصدر هذا البقاء بما انطبع عليه من شر وما يجره من شقاء . وطبيعى من أبى العلاء وهو يرى دنياه شرا أن يرى التناسل تفاقما لهذا الشر : « تناسلوا فنما شر بنسلهم » ثم يراه جناية يجنيها الناجل على ولده لانهم كما تشقى الدنيا بهم يشقون بها

على الولد يجنى والد ولو أنهم ولاة على أمصارهم خطباء
وزادك بعداً من بنيك وزادهم عليك حقوداً أنهم نجباء

يرون أبا القاسم فى مؤرب من العقد ضلت حله الارباء

وهو يرى جناية الوالد على أبنائه مضاعفة لأنه إذ يعطيهم الحياة على مافيها من عنت وبلاء ، يجر عليهم مصير كل حى من غشية الموت وصرعته : « دع النسل ، ان النسل عقباه ميتة »

ومثله : وهـذا الدهر بشر بالمنايا فـلم فرحت بيشر ام بشر

لهذا ينصح أبو العلاء بعدم الزواج ، فاذا ألحت على الرجل الغريزة وخاف الاثم ، فله أن يتزوج ولـكن اياه والنسل

نصحتك لا تنكح ، فان خفت مأثما فأعرس ولا تنسل ، فذلك أحزم

وأسلم وجه للزواج دون نسل زواج العقيم

أرى النسل ذنبا للفتى لا يقاله فلا تنكحن الدهر غير عقيم

وهو يعجب لمن يعتدون عقم امرأة عذراً يبرر طلاقها وهو أولى بامساكها وايثارها

إن اليهودى خلى جهله امرأة كانت عقيا . وخير النسوة العقم

وأبو العلاء حريص على تقرير هذا الحكم وتكرير الدعوة الى العقم ، لأنه كاره للحياة معتبر اياها شرا ، ويدهى أن العقم انتحار للمجتمع وانقراض للنوع وابطال للحياة على اهون وجه بعد جيل واحد

وعطلوا هذه الدنيا ، فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

وانه ليدهش من اقامة الأفراح فى الاعراس مع ما فى ازواج من وخامة العقبى

بدا فرح من معرس ، أفما درى بما اختار من سوء الفعال وما جرا

ثم يمضى يؤرخ شر تأريخ للزواج من بدء أن عرف الرجل الأول المرأة الأولى

سعى آدم جد البرية فى أذي لذرية فى ظهره تشبه الذرا

تلا الناس فى النكراء نهج أبيهم وغر بنوه فى الحياة كما غرا

ولعله بعد شاك فى أن تصويره الفاجع لما يلقاه الأحياء عامة من محن وشدائد من جراء خروجهم للحياة بالغ فى نفوسنا مايريده من أثر . فهو يعمد الى تذكيرنا ما نحن فيه من عنت وبلاء علما منه أن كل انسان أحس بعصابه ، وأملأ به روعا ، وأشد له التياعا ، فعسى ذلك يكون أشفع منا عند أنفسنا الا نخلف بعدنا خلفا ، فيلقون ما لقينا ، ويكتوون بما اكتوينا

والقاك فيها والداك ، فلا تضع بها ولداً يلق الشدائد والنكرا

ثم ماذا يرجو الوالدان من الولد ؟ ان كانا يرجوانهما لكبرهما فقد ساء الفأل وطاش السهم ، فما نصيبهما منهم إلا العقوق

فكم ولد للوالدين مضيع يجازيهما بخلا بما نحلاه

طوى عنهما القوت الزهيد نفاسة وجراه سارا الحزن وارتحلاه

يعيرها طرفاً من الغيظ شأفنا كأنهما فيما مضى تبلاه
ينام اذا ما ادنفا ، واذا سرى له الشكو بات الغمض ما اكتحلاه
يذم لفرط الغي ما فعلا به وأحسن وأجمل بالذي فعلاه

فكل شيء كما قدمنا فيه مقنع على ان المرأة حبالة غي ، وأن الزواج شر ، والنسل جناية . فما بال الخلق يتزوجون وينسلون ؟ ليست القضية هنا قضية عقل ، ولا المجال هنا مجال منطق . انها الطبيعة تسوم بني آدم في خدمة أغراضها سوم البهائم

كبار أناس مثل جلة سائم يربون أطفالا كما ارتضع البهم

إذن ، فما بال أبي العلاء لم يتزوج ، مثله في ذلك مثل سائر الناس ؟ أتراه معتداً نفسه من طينة أكرم من طينتهم وجبلة أزكى من جبلتهم ؟ لو اعتد فلعله ما كان يكون مبطلا ولا مغيلا في نظر الأكثرين . ولكن الرجل ما برح إذ يذكر الناس ، يذكر أنه منهم ، حاشراً نفسه في زمرة من يذمهم ويزري عليهم

بني الدهر ، مهلا ! ان ذممت فعالكم فاني بنفسي لا محالة ابدأ

انما الأمر كله أنه مفكر لا كالمفكرين . فقد قضى حكم الحياة أن يعيش هؤلاء ما عاشوا بشخصية مزدوجة ، يعلون على الناس برؤوسهم فرؤوسهم في عليين ، وما سواها فتفارق مع سائر الناس في المادة والحمأ المسنون . وهم يدركون من الحياة أكاذيبها ، ولكنها بعد أكاذيب حيوية ضرورية للحياة التي هم أسراها، فتراهم يرفضونها فكريا ويحيونها واقعيا . أما ابو العلاء فقد قارب جهد الطاقة ما بينه في الواقع الموجود وبين مثاله المعنوي المنشود ، ورفض فعلا ما رفضه قولا ، واستطاع أن يعيش أفكاره . وذاك مطلب جد عسير ، لعله لم يكن بالغه لولا أن عاونت عليه ظروف وملابسات منها كفاف بصره وفقره ، وما ورثه من خصائص خلقيه كوقاره وكرامته على نفسه ولطف حسه بمواضع السخرية ، وما انقطع له طوال عمره من ادمان التحصيل والدرس واطالة التفكير والبحث، واصطناعه كل ما من شأنه اماتة الجسد من تحريم لأكل اللحوم من حيوان وطير واقتصاره على الشعير والعدس والتين ولبسه غليظ الثياب واغتساله بالماء البارد في الشتاء ، وغير ذلك من عوامل ارادية وخارجة عن ارادته يعرفها من قرأ سيرته

وبعد ، فلا نحب ان نختم هذا العرض لرأي أبي العلاء في المرأة دون الاعتذار لفيلسوفنا عند سيداتنا . فالرجل — ياسيدتي — حين ذمك لم يمدح غيرك . بل برم — شأن السادة المتشائمين — بالدنيا : بكل ماطلع به نهار وخيم عليه ليل ، بالحياة كافة وبالاحياء اجمعين

فأف لعصريهم نهار وحندس وجنسي رجال منهم ونساء

عبد الرحمن صدقي

مقارنة بين علمى الشعر العربى

المعرى والمتنبى

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

المتنبي رجل قوى متمرد طامع فى الملك والمال أى رجل حياة وكفاح ، أما المعرى فيمثل أعلى مراتب الفكر ، يمثل ذلك العقل الهادىء الذي تحدث عنه كونفشيوس وقال أنه لا يتاح إلا للقلائل فيملكهم ويحكمهم

المتنبي أول شاعر قرأته وأحببته وصحبت ديوانه حتى حفظته عن ظهر قلب ، وظل طويلا تحت وسادتي ، وقد خلت مكتبتي الآن من دواوين الشعر العربي ، أخذها أصحابي ولم يعيدوها ، ولكن بقي لى المتنبي يحيط به شاكيير من ناحية وشوقي من الناحية الاخرى . أحببت فى المتنبي قوته ورجولته ، والألم المنبعث من نفس حساسة معذبة . ومما حببه الى أيضا أنى كنت أفهمه تماما بلا حاجة الى « الشروح » و « التعليقات » ، ان لم أفهم ألفاظه فهمت معانيه ، وان لم أفهم معانيه فهمت أنه كبير الآمال بعيد المرامي وهذا يكفيني منه

وكنت أكره المعرى لسببين :

الأول انى كنت صغيراً حين قرأته فلم افهم مايريد أن يقول ، ولا احفظ له غير قصيدته المشهورة فى الرثاء « غير مجد فى ملتى واعتقادى » .

والسبب الثانى أن لنا جاراً شغوفا به . وكان هذا الجار كلما لقينى امتحنني فى بيت من أبي العلاء ، وبرهن لى أنى لا أفهم شيئا ما دمت لا أفهم أبا العلاء

وسبب آخر : لقد كنت أومن أن الشعر عاطفة ، عاطفة محضة ، وكنت أعتقد أن حكمة المتنبي ليست « فلسفة » بمعنى الكلمة ، بل هى حكمة صادرة عن قلبه وألمه وتجاريبه . وطالما دافعت عن نظريتي فى الشعر وهى أن الشعر عاطفة فقط ، واتهمت الذين يدسون الفلسفة فى الشعر بأنهم يفسدون الشعر علينا

ولكن الانسان كلما تقدم فى العمر طرأ عليه ما ليس فى الحسبان . فان مقالا واحداً قد يغير مجرى التفكير تغيراً تاما . وهذا ما حدث لى . جرى تطوري فى المعرفة على السنة المعروفة ـ قصص وشعر (عاطفة) ـ فحكمة ـ ففلسفة ـ فتصوف . وبينا انتقل من كاتب لكاتب ، اشغف بهذا ثم أتركه لآخر . تعلقت حينا بالعلامة المشهور جون ستيوارت ميل ، فقرأت له يوما مقالا عن « الشعر » علمت به ما لم أكن أعلم

ومنه أصبحت أنكر ما كنت أومن به سابقا ، وهو أن الشعر عاطفة محضة . وهذا المقال الفريد يعثر عليه فى كتاب « مقالات نقدية للقرن التاسع عشر » طبعة أوكسفورد ، وملخصه أن الشعر عاطفة حقا ولكن يجب ان يكون له «لجام» من الفلسفة . ولم ألبث بعد ستيوارت ميل أن تعلقت بالحكيم « رسكن » فقرأت له مقالا عن « نشاز » العاطفة فى الشعر وهو لايخرج فى معناه عن مقال ميل . .

فأخذت اقرأ الفلسفة فبدأت بالسهل ، وصرت اتدرج ، حتى وقع لى كتاب من أصعب الكتب وأغلاها قيمة كان هو السبب فى قراءتى لابى العلاء من جديد ، هذا الكتاب هو كتاب « السخرية » للفيلسوف ينكلفتش الروسى . بعد قراءة هذا الكتاب أخذت أعجب من امالى « الساخر » أبى العلاء ، الفيلسوف الشاعر المعتزل الزاهد مبتدع « الرمزية » فى الأدب أجيالا قبل أن ينتبه الشعراء اليها . . أخذت التفت الى أبى العلاء فوجدت نظرتي اليه قد تغيرت تماما ، وأعتقد ان ذلك ناشىء من نضج الفهم الادبى على السنين ، فالمعرى لايصح ان يقرأه الناشىء ، ولا المثقف ثقافة سطحية . وقد شكا الى صديق من كبار المتأدبين ، ان أشعار أبى العلاء فى اللزوميات متشابهة وانها كلها تدور حول نقطة واحدة ، فنبهته الى خطأ هذا الزعم وبينت له انه أعمق بكثير مما يظن الناس . وملتن الشاعر الانكليزى من هذا الطراز ، لا يحسن تذوقه الا المتمكن فى الدرس والثقافة ، ووردسورث كذلك ، لقح شعره بآثار الاطلاع الواسع والثقافة العميقة ، ولكن النقاد اليوم ينكرون عليه شاعريته ، ويقولون أن عاطفته « ضحلة » ولولا علمه الغزير ما قرأه الناس ، وأن الشاعرية الكاملة يمثلها شلى وحده

كنت أعتقد خطأ ان فلسفة أبي العلاء هى مجرد تأملات رجل «يدمن» التفكير ، حتى أحطت بما كتب عنه ، فصار ابو العلاء فى نظرى «سقراطا» ثانيا ، يسخر ويعلم ، ويعلم ويسخر ، فصار على رأى ينكلفتش « ضمير الانسانية » يستيقظ ويوقظ . . . يقظة صارمة تثير الشك المفيد ، وتدعو الناس الى اعادة النظر فى أمور الدنيا !

* * *

بعد هذه المقدمة نقارن بين المتنبي وأبي العلاء . والموازنة بين هذين الشاعرين تحتاج الى مجلد ضخم ، ويمنعنى ضيق المقام عن الاسترسال فى الكلام عن شاعرين أحببت احدهما صغيراً وشب حبه معى لم يتغير ، وأحببت الثانى على « فهم » وكبر

لا يمكن أن نفهم شيئا عن المتنبي أو أبى العلاء بغير أن نلم المامة بسيطة بعصريهما . العصران متقاربان ، المتنبي يسبق المعرى بستين عاما ، وكان ابو العلاء من أشد أنصار المتنبى ، وقد قلد شعره فى طور من أطوار حياته الادبية ، ودافع عنه ، وتعرض بسبب ذلك الى الأذى ، والقصة التى بينه وبين الشريف المرتضى مشهورة . غير أن الفترة التى قضاها المتنبي فى بلاط « سيف الدولة »

كانت عصر أمن نسبي ، فسيف الدولة كان رجلا عظيما ، وطالما حارب وانتصر دفاعا عن الاسلام ، وطالما رد الروم فى غزوات مجدها وخلدها المتنبي ، ولم يكد سيف الدولة يموت حتى أخذ ذلك الحصن المتين ينهار ، وكثر الطامعون والمغيرون ، والابطال والمدعون للبطولة ، والفاتحون بالسيف والفاتحون بالحيلة . فعصر أبي العلاء كان عصراً بغيضا مملوءاً بالانقسامات والدسائس ، ولا اعنى بذلك ان عصر المتنبي خلا من ذلك وقد كانت الفتن مشتعلة والاحزاب قائمة ، ولكن سيف الدولة كان «الرجل» الذى جرى فى خيال المتنبي

والمتنبي كان جباراً تام الرجولة ، وابو العلاء كان كفيف البصر ، فأقعدته هذه العلة عن السير فى السبيل الذى طرقه المتنبي لبلوغ أمانيه ، وان كانت المرامى البعيدة والاوطار الكبيرة هى هى عند كليهما . وليس ذلك بغريب فى عصر كان الناس فيه فى حاجة الى «رجل» ، بل الأصح الى «رجل عربى» صحيح العروبة يدرأ عن الاسلام الفرس والروم والديلم والفاطميين وغيرهم وغيرهم. أقول «صحيح العروبة» ، فقد كثر المتعربون والمستعربون وصار العرب الحقيقيون يكونون جزءاً صغيراً متعزلا عن البادية ، ومن يقرأ تاريخ تلك الأيام بإمعان ، يقرأ أسماء غريبة ، يقرأ اسم توشكين وابن سبكتكين ، وغير ذلك . . .

فانظر الى أى حد اختلط الحابل بالنابل

ومن العجيب ان الانحطاط السياسي قام فى ظله ارتفاع ادبى ، ولكنه أدب فى «المعانى» أى ثقافة وفلسفة من هنا وهناك ، أما الألفاظ العربية الصحيحة فيظهر أنها أخذت تختنق ، ولعل القوم كانوا فى حاجة الى «مجمع لغوى» اكثر من حاجتنا اليه اليوم

وقد أحس المتنبي بذلك ، وابو العلاء شعر به ، ويذكر الكاتب «هنرى برلاين» فى كتابه «ابو العلاء السورى» ان المتنبي كان يترك الحواضر الى البوادى أياما بحالها ، لكى «يتصيد» اللفظ العربى الصحيح ، ولكن المتنبي كان فنانا قبل كل شيء ، فاذا طاوعته اللفظة فى شعره وضعها ، وان لم تطعه وضع غيرها سواء أجرت على القياس أم لم تجر . . .

أما ابو العلاء فقد كان من علماء النحو والصرف والعروض ، وكانت احاطته باللغة احاطة منقطعة النظير ، واعتقد انه «التزم ما لا يلزم» متعمدا ان يحفظ للغة العربية «كلاسيكيتها» فى عصر كثرت فيه الفوضى وضربت أطنابها . وابو العلاء كان يستطيع أن يكون أى شيء ، كان يستطيع ان يقول كما قال المتنبي ، قولا ثائراً جزلا ، ويرق رقة ابى العتاهية ، فعنده من الخيال ومن «الطاقة» ، الشعرية ما يدركه لأول وهلة من قرأ «رسالة الغفران» ، وان تكن نثراً لا شعراً

وانما تعمد ابو العلاء ان يحفظ للغة القرآن جلالها وروعتها وأصولها

يذكر الذين قرأوا تاريخ عصر ابى العلاء ان صالح ابن مرداس كان من ابطال ذلك العهد ،

كان شجاعا فتاكا قوى المراس ، فمشى الى «المعرة» فى بعض جنوده فحاصرها ، ويظهر ان المعرى كان سيد اهل بلدته بالفكر أو بالنسب ـ فخرج اليه يشفع لقومه ، وقدم له استرحاما آية فى الرقة ، جعل ابن مرداس على غلظته يفك الحصار ويعفو . . .

ويصف ذلك ابو العلاء بقوله :

فيسمع مني سجع الحمام   واسمع منه زئير الاسد

ولماذا نذهب بعيداً . من يقرأ رسائل أبى العلاء لأصدقائه واخواله يرى النثر الصافي الرقيق العذب الذى يكتبه ابو العلاء على سجيته لا تعثر فيه ولا تفلسف وان كانت تغلب عليه « الصنعة » والمحسنات البيانية

***

للمقارنة بين ابى العلاء والمتنبي تقتضى النظر فى :

(١) أثر الوراثة

ولد المتنبى فى الكوفة وقد زعموا ان والده كان يسقى الماء على ظهر جمل ، فعلى حسب هذا القول كان وضيع الأصل ، وهذا قول لا دليل على صحته مطلقا . ويبقى ان حول ولادة المتنبى سراً أخذه معه المتنبى الى قبره ، وكانت تعرفه جدته التى تولت تربيته . وقد اخبرته به ، وأوصته ان يكتمه ، فولد كتمانه فى نفس المتنبي مضضا وتمرداً كان لا شك سبب الثورة الدفينة فى أعماق نفسه ، فهو يوقن بنبل أصله ولسبب ما لا يستطيع أن يقول . ولو لم يكن نبيلا ما خرج فى شبابه الى القبائل يجمعها حوله ، والعشائر يدعوها الى التضافر حوله لغرض كبير ، ولو كان ابن سوقة ما جلس احد ممدوحيه العظام بين يديه ، وقد اجلس أبا الطيب مكانه ، ولو كان ابن سوقة ماجرت الالفة والمودة بينه وبين سيف الدولة ، ولما تطلع الى « خولة » أخت سيف الدولة محبا وطامعا فى الزواج كما تدل قصيدته الهائلة :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر   فزعت فيه بآمالى الى الكذب

فهذه قصيدة غير عادية . . .

كلا ان جمال سمته على ما ذكر الرواة ، وتلك « الوفرة الجميلة التى تصل الى اذنيه » لا تدل على ضعة الاصل . وشعره ليس فيه بيت واحد ينم على اصل خسيس ، ولعمرى لو كان وضيع الاصل لنم عليه ولو بيت واحد من شعره ، فالشعر مرآة لا تكذب ابداً . . . وقد يكذب المرء ما شاء ولكنه لا يستطيع ان يكذب فى شعره . . .

فانا أومن بنبل أصل المتنبى ايمانا تاما ، وأوقن ان أعداءه وحساده هم الذين خلقوا هذا « السقاء الكوفانى » خلقا وجعلوه أبا للمتنبى

فسر القوة فى شعر المتنبى ، هو ذلك الكتمان الذى عاناه منذ صباه ، والذى جعل فى باطن عقله « عقدة » كما يقول علماء النفس

أما المعرى فقد ولد بمعرة النعمان ، ونسبه لا خفاء فيه ، فهو من أسرة عريقة فى الفضل والعلم - على الأقل من ناحية أمه - ولا شك مطلقا فى أثر ذلك فى بناء شخصيته . أما « العقدة » عند المعرى فهى بلا شك فقدان بصره وهو صغير

فنحن نرى اذن أن المتنبى يعرف من أين انحدر ولا يستطيع أن يذيع ذلك لسبب لا نعرفه أو يحاول ان يذيعه فيحارب ويصدم ، والمعرى يعرف باليقين من أين انحدر . ويشعر من صباه بالقوة الموروثة الجارية فى دمه . ولكنه يفقد بصره . فيحول ذلك دون ما يبتغى من المطامع الواسعة

(٢) أثر البيئة والحوادث

كلا الرجلين يضيق ذرعاً بمكانه الصغير حيث ولد وشا فيخرج الى الدنيا الواسعة ليجرب حظه ، المتنبى يترك الكوفة ويثير ضجة حوله . فيقبض عليه ، ويسجن ثم يفك سراحه ، فيعود اليها ، ثم يملها فيهجرها من جديد ، وينتقل من هنا لهناك ، يبحث عن « رجل » فلا يجد ، فيعود الى الكوفة ليرى جدته ، فيمنع لسبب مجهول ، فينقلب الى الشام ، فى طلب ذلك « الرجل » الذى يتمناه فى خياله . فيلقى التنوخيين فى اللاذقية ، ثم يتصل بغيرهم وغيرهم ، وكلما شام برقا اتضح له خداعه ، حتى اتصل ببدر ابن عمار ، ولكن الوشاة أفسدوا عليه أحلامه ، وها هو ذا ما زال يبحث عن « رجل » يعينه على مآربه البعيدة ، ويشرح اليه دخيلة نفسه ، حتى اتصل بسيف الدولة فى حلب ووجد الضالة التى ينشدها من قديم . أما أبو العلاء ، فخرج من معرة النعمان يطلب العلم والجاه فى بغداد ، ولكن بغداد وأهلها خيبوا ظنه ، فانقلب راجعا الى المعرة وقد استن لنفسه قانونا صارما ، أخذ نفسه به الى يوم وفاته . لم يجد « رهين المحبسين » ضالته عند أحد ، فترك البحث وانقلب الى عزلته يدرس ويفكر ويتأمل . فكلا الرجلين شعر بضيق المكان الذى ولد فيه ، فخرج الى الدنيا العريضة يبحث عن مثله الأعلى ، أما المتنبي فقد أدى به تجواله الى سيف الدولة ، أما المعرى فلم يجد أحداً فلجأ الى العزلة واستن لنفسه سنة صارمة « والتزم ما لا يلزم » . أما المتنبى فقد اندفع فى غمار السياسة وطمع فى السيطرة والملك ليحقق ما يعرفه عن نبل أصله ، اما المعرى فعرف عبث الاشتباك فى تلك الفوضى التى لا حد لها ، وهو من أجل عاهته المحتومة ، بالطبع لا يستطيع ان يشترك فى امور تحتاج للبصر وما هو أبعد من البصر نفاذاً ، فانصرف الى ما يصلح له حقا ، وهو الدرس والتأمل ...

(٣) الانكباب على الدرس والاطلاع والتحقيق

أما المتنبي فدراسته بدأت بالكوفة ، وتمت ونضجت فى بلاط سيف الدولة ، حيث توافرت لديه المؤلفات والمراجع . وكان يجد نفسه مضطراً للاتقان والتجويد لكثرة الحساد والاعداء الذين كانوا ينتظرون فرصة للتشهير به . ولكنه لم يجعل شعره سجلا لثقافته الواسعة . ولكن كان شعره سجلا لعواطفه وحوادث أيامه . ويمكننا ان ندرس حياة المتنبى من شعره دراسة تامة . اما الموارد التى استقى منها المتنبى فهى الشائعة فى تلك الايام ، وأغلبها مترجمات عن اليونانية والفارسية والهندية بين أدب وفلسفة . وأعتقد ان المتنبي كان مضطراً الى الدرس والتحقيق ليكون كفؤاً بشعره للملوك الذين جعل نفسه نداً لهم لا مادحا . ومن الواضح ان اشتباكه فى غمار السياسة والخصومات الحزبية ، لم يترك له وقتا كافيا للاستزادة من القراءة والتحصيل ، وهذا سر الفرق بينه وبين المعرى الذى انقطع للعلم زهاء أربعين سنة . أما المعرى ، فقد ساعده انقطاعه التام لتحصيل العلم ،على بلوغ الغاية التىضمنت له الخلود. وقد اشتغلبالشعر والنثر والفلسفة، واللغة بكلفروعها ، وألف كتبا كثيرة جداً ضاع أكثرها مع الاسف . فالمتنبي خلد بشعره القوى الثائر الذى هو سجل كامل لنفسه وازمنه ، شعر تدعمه الثقافة والاطلاع الواسع ، صادر من القلب تواً ، مبنى على أساس متين من التفكير السليم والعقل الراجح ، أما المعرى فرجل دارس Scholar جعل شعره فى أيامه الأخيرة اى فى اللزوميات ــ سجلا لمعرفته وقاموسا لمعلوماته . وهو مع كل ذلك لم يخل من قصائد ــ خاصة فى الرثاء ــ تتجلى فيها العاطفة القوية الرائعة

(٤) نفسيتيهما

المتنبي رجل قوى متمرد يطلب « حقا » ويجرى وراء ثأر ، طامع فى الملك والمال ، يبحث عن « مثل أعلى » فيخيب امله ، وعندما يعثر على سيف الدولة ، يجرى من الحوادث ما يخرجه من بلاطه حزينا كئيبا ، وقد ظفر المتنبي بالمال والشهرة ولم يظفر بمطامعه السياسية . وقد عاش وهو ثائر ، ومات وهو ثائر ، ما أظن الحياة ولا الموت وجدا حيلة فى ذلك القلب القوى العنيف الذى ظل ينبض خلف التراب كما نبض فوق ظهره

أما أبو العلاء فيمثل أعلى مراتب العقل ، ذلك «العقل الهادىء» الذى تكلم عنه كونفوشيوس الصينى فقال أنه لا يتاح الا للقليلين جداً . . . ذلك العقل الذى ملك وحكم وصارت له السيطرة على صاحبه ، وعلى الحوادث حوله ، لاتزعزعه العواصف ، ولا تؤثر فى تفكيره الأعاصير . عقل ابى العلاء أمره أن يعتزل فاعتزل ، وأن يزهد فزهد ، وأن يلزم محبسيه فلزم ، كل ذلك فى هدوء وقوة وصبر هى من مواهب المختارين الذين أنعم الله عليهم ووهبهم من سره العظيم

ابراهيم ناجى

نواحي التجديد والتقليد

في نثر أبي العلاء

بقلم الاستاذ سليم الجندي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

ظهر ابو العلاء الى هذا الوجود في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة ، وهو العصر الذي نضج فيه العقل العربي ، وزخرت فيه بحور العلم وأثرى فيه الأدب ، ونزع الكتاب والشعراء فيه الى الترف الادبي وأولعوا بالتأنق والزخرفة ، وكانت جمهرة الكتاب تترسم خطى ابن العميد في الطريقة التي شرعها في الانشاء ، لما بينها وبين الشعر من الصلات الموثقة والأواصر المحكمة ، حتى قيل : انها شعر لا ينقصه إلا الوزن

ولا شك أن الانشاء في كل عصر مظهر من مظاهر العقل ، ومعرض يعرض فيه الكتاب ثمرات قرائحهم ونتاج أخيلتهم ، وميدان يظهر فيه كل واحد منهم ما أوتيه من حول وطول

وقد نهز ابو العلاء مع الكتاب بدلوه ، وأسام سرحه حيث أساموا . ولكن غزارة علمه وسعة مواهبه الفطرية قضتا عليه أن يخرج عنهم في بعض طرقهم ، وأن يشق لنفسه طريقا يكون أبا عذرتها ففعل ، وجشم نفسه مالم يجشموا أنفسهم

غموض لغته

هل كان في لغته غموض متعمد ؟

كان ابو العلاء واسع الاطلاع على أساليب البلغاء ، بصيراً بالدقيق من أسرار البلاغة ، عالما جد العلم باللغة ، محيطا بالغريب والنادر منها ، ولا أغالي اذا قلت : انه كان يعي في صدره من أبنيتها ومفرداتها مالم يحط بمثله عربي قح . وقد قال تلميذه ابو زكريا التبريزي — وهو أعرف الناس به وأصدقهم شهادة فيه — ما أعرف ان العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها ابو العلاء . وذكر أن جماعة ممن كانوا يقرأون عليه أرادوا أن يختبروا علمه ويمتحنوا ثقته ، فوضعوا حروفا والفوها كلمات ، ثم اضافوا اليها كلمات أخرى من غريب اللغة ، وسألوه عن جميع ذلك ، فكان اذا مرت به كلمة مما وضعوه أنكرها واستعادها مراراً ثم قال : دعوا هذه ، واذا مرت به كلمة لغوية شرحها واستشهد عليها ، حتى اذا انتهوا أطرق مليا ثم رفع رأسه وقال : كأني بكم وقد وضعتم هذه الكلمات لتمتحنوا بها معرفتي وثقة روايتي ، والله

لئن لم تكشفوا لي الحال لأفارقنكم ، فقالوا : والله ان الأمر كما قلت وما عدوت ما قصدناه ، فقال : سبحان الله ، والله ما أقول إلا ما قالت العرب ، والرائد لا يكذب أهله . وقصته حين قال في مجلس الشريف المرتضى : الكلب من لايعرف للكلب سبعين اسما مشهورة

ولعل قائلا يقول ان في هذا غلواً شديداً ، فنقول له : دع كل ما قيل وأجل طرفك فيما انتهى الينا من آثاره فان فيه على ما قلناه أصدق شاهد على غزارة مادته وشدة استيعابه ، منه ما في رسالة الغفران حين ذكر بيتين للنمر بن تولب وهما :

ألم بصحبتي وهم هجوع   خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى   اذا شاءت وحواري بسمن

ثم ذكر حكاية خلف الاحمر مع أصحابه ، وخلاصتها أنه قال لهم لو كان موضع أم حصن أم حفص ما كان يقول في هذا البيت ؟ فسكتوا . فقال : حواري بلمص يعني الفالوذج

وأراد ابو العلاء أن يبين أنه أطول باعا في اللغة من أصحاب خلف ومن خلف نفسه فقال : ويفرع على هذه الحكاية ، فيقال : لو كان مكان أم حصن أم جزء لاحتمل أن يقال وحواري بكشء ، أو وحواري بوزء ، أو وحواري بنسء ، ثم انتقل الى حرف الباء فأتى بثلاث كلمات صالحة لذلك هي : بضرب ، بارب ، بكشب ، ثم انتقل الى حرف التاء فالثاء فالجيم فالحاء حتى انتهى الى آخر الحروف الهجائية ، وكان يذكر في بعض الحروف كلمات متعددة ويفسر كل واحدة منها ويبين أصلها واشتقاقها وقد يستشهد على ذلك بشيء من الشعر أو الرجز ، ثم اعتذر عن اقتصاره على هذا القدر ، فقال : وهذا فصل يتسع ، ويفهم من قوله هذا أن في استطاعته أن يزيد على ما ذكر ، وهذا القدر الذي اقتصر عليه لا يستطيع أحد غيره أن يأتي بمثله

وفي كتبه لزوم ما لا يلزم ، والفصول والغايات ، وملقي السبيل ، وسقط الزند ، غنية للباحث ومقنع للمرتاب ، ولا نجد في نثره ونظمه على كثرة ما فيهما من الالفاظ كلمة فاحشة يأباها الأدب ويمجها الذوق ، وقلما نجد ناثراً أو ناظما نزه الفاظه مما تتقزز النفوس منه بقدرما نزهها شيخ المعرة

وكان ابو العلاء كثير الدراسة والتأليف والنظم ، شديد الممارسة للالفاظ ، فلم يجد فيها من الوحشة والغرابة ما يجده من كان أقل منه مدارسة وأنزر ممارسة ، وهذا يدل على أنه لم يتعمد ايراد الغريب ليستر تحته ما يريد من غمز أو تهكم أو سخرية أو نحوها ، ويقوى هذا ان أبا العلاء صرح في نظمه ونثره بما هو أولى بالكتمان والاخفاء من غيره ، فقد جاهر بما يعتقده ويأباه في باب العقائد ، واعترض على الشرائع والمذاهب والنحل ، وانتقد الحكومات والعادات والاخلاق ، وواجه كل فريق بأشد مالديه من النقد اللاذع الصريح ،ولم يعمد الى تقية ولا موارية ولم يتعمد اخفاء شيء من ذلك تحت كلمة حوشية أو لفظة غريبة

فيكون ما في كلامه من الغريب في رأي أناس غير غريب بالنسبة اليه ، وغير متعمد لاخفاء

شيء في مطاويه ، وانما هو أثر الثروة اللغوية . ويكون غير غريب بالنسبة الى زمانه والى من كتب اليه ، لأن التاريخ لم يحدثنا ان احداً طلب من أبي العلاء أن يفسر له شيئا من كلامه ، على أنه كان يفسر في نظمه ونثره كثيراً من الكلمات ويبين اشتقاقها والمراد منها حذراً من أن تعبث بها أيدي الجهالة

خصائص نثره

واذا تبينا لغة المعري وبراءتها من تعمد الغموض وجب أن نبين خصائص نثره وهي كثيرة منها :

السجع والبديع كلف كتاب هـذا العصر بالسجع حتى استفاض في الطبقات عامة ، وقد ساهم أبو العلاء فيه فكان له حظ عظيم في رسائله وقلما تخلى عنه . ولعله كان يعجبه ويطربه ، وكثيرا ما الجأه الحرص عليه الى تأخير ما حقه التقديم ، وتقديم ما حقه التأخير ، والاطناب في مواطن الايجاز ، واثبات كلمات في المأنوس ما يغني عنها ، وإن الناظر في نثره يجده مغموراً بالكلفة غاصا بالتمحل

ويرافق السجع في انشائه كثير من أنواع البديع المتعمدة كلزوم مالا يلزم ، مثل قوله في رسالة المنيح « للمعنى الحصير ، في الوزن القصير . أن تغزل كحنين العود ، أو تجزل فهدير الرعود » والترصيع كقوله فيها : « ضبب الآفن لعب الصافن . اهواء الرادس لارواء القادس » الى غير ذلك من الجناس والطباق والمقابلة ونحوها مما هو مستفيض في كتابه

الامثال والحكم ومن استقرى رسائل المعري وجد فيها طائفة كبيرة من الأمثال وما جرى مجراها من الكلم الطيب ، وسبيله في استعمالها غير مطرد ، فتارة يأتي بالمثل على وجهه الذي قيل فيه ، وأخرى يتصرف فيه زيادة ونقصا بقدر ما يقتضيه السجع أو المقام ، كقوله في رسالة المنيح : « يحول الجريض دون القريض » وفي رسالة أخرى : « فاذا أعطيت القوس باريها ، والخيل فارسها ، والقناة مصرفها ، اعيتني بأشر فكيف بدردر »

وكثيراً ما يأتي بالمثل أو الحكمة من نتاج قريحته ، ولا شك ان أبا العلاء أكثر الكتاب ضربا للامثال ، ولولا أن بعض لفظه غير مأنوس عند فريق من الكتاب لكان من أمثاله وحكمه أفضل عدة للكاتب وخير ذخيرة للاديب

التاريخ اتفق لكثير من الكتاب أن يلمحوا في رسائلهم الى شيء من الحوادث التاريخية ، ويشيروا الى بعض رجال اشتهروا في التاريخ بحوادث معينة . أما أبو العلاء فكان طويل الباع في معرفة الرجال وما لها من مثالب ومناقب ، وواسع الاطلاع على مامر في الايام الخالية من الحوادث كما قال :

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرف

ولذلك كان للتاريخ حظ وافر في نثره ، قد لا يجد الباحث معشاره في كلام غيره من أعلام البيان

وأئمة الكتاب . ولقد ألم فى رسالة المنيح الى موسى الكليم وعصاه وآياته التسع ، والى ابراهيم ومقامه ، وآدم وما يزعمه الناس فى أصل الطيب ، والى شداد بن عاد ، وسليمان والهدهد . . .

وتصدى فى رسالة الاغريض الى ذكر دريد وقصير وفرسه وعنتره وامرىء القيس واخوة يوسف والامام أبى يوسف وبنى سدوس وعبد المدان وسبأ بن يعرب وبنى المنذر وغيرهم

وفى كتابه الذى عزى فيه خاله ابى على ذكر الانبياء من آدم الى محمد ، ثم عقب ذلك بمصارع الملوك من سبأ وحمير ، وملوك العرب فى الشام والحيرة ، وجماعة من الأجواد والأنجاد ، ثم استطرد الى مصارع الحيوان فلم يفلت منه أسد فما دونه ، ولا ذرة فما فوقها ، ثم حلق فى الجو فتتبع العقبان والغربان الى الجرادة فالنحلة ، ثم غاص فى البحر فتقصى الحيتان والضفادع . . . ولا يعرف مثل هذا الاستقصاء والتوسع فى مثل هذه الكثرة عند غير المعرى

المصطلحات والمسائل العلمية ذكر بعض الرواة أن ابن المقفع كان يتوقف اذا كتب ، فقيل له فى ذلك فقال : « ان الكلام ليزدحم فى صدرى فأقف لأتخيره »

وابو العلاء اذا كتب ازدحمت فى صدره مسائل العلم فيغترف من بحر لا ينكش ، ويمتح من معين لا ينضب ، ولا يتوقف ، ولا يتجمجم ، فتراه ينثر فى تضاعيف سطوره كثيراً من المصطلحات والمسائل العلمية من فنون مختلفة . فاذا نظرت فى رسالة الاغريض رأيت فيها الفاعل والمبتدا والخفض والنداء وهاء العدد والف الوصل ونحوها من مصطلح النحاة ، والى جانب ذلك الضرب الاول من الطويل والمنسرح والوافر والقبض والخبل والعصب والدائرة الرابعة . . واشباه ذلك من مصطلح العروضيين ، ثم لا تلبث ان تمر بالحروف الذلقة والمطبقة والرخوة والجهر والهمس من المتعارف عند القراء فى التجويد ، وهكذا تنتقل من مصطلحات الفقهاء الى المتعارف عند الطبعيين واللغويين ، كأنك فى معرض تعرض فيه أصناف من مسائل العلم

ورسالته الى ابى الحسين البصرى أشبه بكتاب فى العروض والنحو منها برسالة أخوية ، لكثرة ما فيها من البحث فى الزحافات والعلل وعيوب القافية وغيرها من مسائل علم العروض ، ولكثرة ما فيها من أحكام الاسماء والأفعال والاعلام وحروف المعانى وغيرها من مسائل النحو

النجوم أما النجوم فلا يعرف فى أدباء العرب من استوعب فى كلامه من اسماء النجوم ما استوعبه المعرى ، وكأنه أحاط بكل مايعرفه العرب من اسمائها وما يعتقده المنجمون وغيرهم فيها . وانك لتجد فى رسالة المنيح مثلا ذكر الشمس والقمر والسهى والغفر والجوزاء والجبهة والقطب والنسر والمشترى والزهرة والسرطان وزحل والسماك والعيون وسهيل والنعائم وغيرها . وفى رسالة الاغريض كثير من غير ما تقدم كالثريا والشرطين والبطين والرشاء والنثرة والفرقد وسعد الاخبية . . . والغريب انه يمهد السبيل لذكر كل نجم ويحكم المناسبة لذكره وكثيرا ما يحسن ذكر خصائصه وربطها بالسابق واللاحق من الكلام

الاستقصاء وقد تقدم مايدل على أن المعري واسع الاطلاع غزير المادة وكان مولعا بالبحث والتقصي ، وقد تمر به الكلمة فلا يتعداها حتى يوفيها حقها من البحث ويحيط بكل ما له صلة بها ويقيم الادلة على رأيه فيها

وكان ابو الحسين النكتي قد كتب اليه كتابا أخطأ فيه في اسمه وكنيته فسماه محمداً بدلا من احمد ، وكناه بأبي العلى بالقصر بدلا من أبي العلاء بالمد . فكتب اليه أبو العلاء جوابا ما ترك فيه شيئا من الاحكام التي تتعلق بتغيير الاسماء ، وتعددها والتصرف بها وما يعتريها من الضرورات الا أتى على ذكره وايده بالشواهد المتعددة ، وكذلك فعل بالكنية

ولا شك ان هذا أثر من آثار الثروة العلمية . وحسبك ما تراه في رسالة الغفران من الادلة على سعة علمه وحبه الاستقصاء . فانه ذكر في فاتحتها لفظ الحماطة ، ثم لم يتجاوز هذا اللفظ قليلا حتى عاد اليه ففسره وبين مايريد منه واورد شواهد عليه ، وفعل مثل هذا بلفظ الحضب والاسود والايضين . واذا مرت به مسألة لغوية أو أدبية ألح عليها بالبحث وأضاف اليها الاشباه والنظائر ، وناقش فيها العلماء والشعراء والرواة ، وبين مواطن الضعف والخطأ في أقوالهم . وقلما عرف مثل ذلك لغيره من العلماء أو الادباء

خصب الخيال وقد لا يكون من المغالاة في شيء أن يقال إن أبا العلاء أخصب الشعراء والكتاب خيالا وأوسعهم تصورا وأبرعهم في احكام الصور المتخيلة والتفنن بها . وهذا كتابه سقط الزند يعرض المتأمل صوراً متنوعة من أخيلته البديعة ، وهي وان كانت قصيرة اللفظ واسعة المدى : تدل على تفكير عميق في تخيلها ، وتنسيق مستجاد في ترتيبها ، وبراعة فائقة في تخير القوالب اللفظية لها

فاذا تأملت وصفه الغبار رأيته كالجبل الشامخ باضت فيه النسور وترعرعت أفراخها فيه ، ثم لا تلبث أن تراه يسمو الى السحاب فيخالط ماءه فيمطر مطراً كدراً منه

فاذا غادرته الى وصف منهل بين ريف الشام والكرخ . رأيت الصبا فيه كأنها تراقب كامنا ، ورأد الضحى يمر به متنكراً مخافة أن يغتاله بقتامه . والنجم لا يهتدى لسبيله فيه ، والموت قد عشى بظلامه فلا يبصر من يقصد الا اذا انقشع عنه . والطيف يرتد خشية منه . والليل قد شاب قبل احتلامه من هوله

فاذا عرجت ببصرك نحو السماء رأيت الهلال يعتنق الثريا . وسهيلا يسرع اللمع في احمراره ، مستبداً كالفارس المعلم ووراءه قدماه . . .

وإذا رجعت ببصرك الى السيف رأيت المنايا مسخت نمالا ودبت فوقه ، وماؤه يتردد على صفحتيه يهم بالزوال فلا يتمكن ، الى غير ذلك من الصور الرائعة البارعة في نظمه

أما نثره ففيه على قلة ما وصل الينا منه ألوان متعددة ، وصور مختلفة من الاخيلة . ولعل

أظهر أثر تتجلى فيه سعة خياله رسالة الغفران ، فان فيها من الروعة والافتتان ما يقصر التطاول عنه. مثل فيها القيامة ، وألمع الى ما يعتقده المسلمون وغيرهم من أصحاب الديانات في الجنة والنار والبعث والحساب والحور والولدان والانهار والآنية والطيور والشفاعات و . . . . ووسع الرحمة فادخل في الجنة من تضيق الشرائع عن ادخاله فيها وتجاوز عمن لم يتجاوز عنهم . وزاد على ذلك ما أحدثه من اللجاجة والخصومة بين ابن القارح وسادن الجنة ، وبين العلماء والرواة والشعراء من الملاحاة من اجل رواية بيت أو تحريف كلمة عن وجهها أو تأويلها على غير ما يريد قائلها

واخترع جنة للعفاريت اجتمع فيها ابن القارح بشيخ منهم يقال له الخيتعور ابو هدرش وسأله عن شعر الجن فأخبره أن لهم آلافا من الأوزان ما سمع بها الانس ، وأن لشاعر واحد منهم الف كلمة على روى معلقة امرىء القيس ومنزل فحومل . والفا على منزلُ . والفا على منزلا . والفا على منزلَه . والفا على منزلِه . والفا على منزلُه . ثم أسمعه شعرا أشبه بكلام الجن منه بكلام الانس

ولا شك أن هذه القصة وليدة خيال المعرى وربيبة فكر لم يطبع فيها على غرار غيره ، ولا ترسم خطى سواه . وان ذهب بعض الادباء الى أن المعرى اقتبسها من أقاصيص الوعاظ وليس له فيها غير التنسيق والسخرية لأننا لا نعلم فى أقاصيص الوعاظ ذكراً لابن القارح وحديثه مع خازن الجنة ، ولا لعبد المنعم قاضى حلب ، ولا للجحجاول الكفرطابى ، ولا لأبى هدرش وشعره ، ولا لجنة العفاريت ، ولا حديثا يدور بين شاعر أو راوية أو عالم مع غيره ممن ذكروا فى رسالة الغفران. وانما تخيل ابو العلاء هذه القصة واستعان ببعض العناصر المعتقدة ليجعلها كأنها حقيقة كما يفعل ذلك أصحاب القصص الخيالية حيث يذكرون كثيراً من أسماء الرجال والأماكن ليجعلوها شبيهة بالحقيقة. وأبو العلاء ابتكر هذا الطراز ليبين ما يريده من النقد والغمز والتهكم والاستخفاف ، ولذلك جعل ابن القارح فى رحلته فى الجنة ينثر على حافتي طريقه طرفا من التحقيق والنقد والسخرية

أغراض رسائله

لم يقتصر أبو العلاء فى نثره على غرض واحد وانما ألم بأغراض متعددة كالمدح والتهنئة والتعزية والشفاعة والوصف والنقد . وسنخص الغرضين الاخيرين بشيء من الحديث المفصل

الوصف للوصف نصيب وافر فى نثر أبي العلاء يستمد بعض معانيه المحسوسة مما حفظ وسمع ، وقد يتصرف فيه توليداً ونقصا وزيادة فيحسن ويجيد ، ويستمد بعضا آخر منها من طبعه ، وهو فى وصفه الأشياء المعنوية ليس أقل اجادة منه فى الأشياء المحسوسة وكذلك كان سبيله فى وصفه الشعرى . وقد يروعك منه براعته فى التشبيه بما يستهوى الأفئدة ويملك المشاعر وكثيراً ما أورد صوراً محسوسة يعجز عن مثلها البصراء

وصف كتابا ارسله اليه الوزير المغربي فجعله أعذب من سلاف العنقود وأحسن من الدينار

النقود ، مشرقا كلوائح البروق ، أو يوح عند الشروق ، وشبه كاتبه بالنحلة تطعم الغرب ، وتجود بالضرب ، وتجنى من الأنوار فيعود شهداً ، وخادمه بموسى الكليم ، وكتابه بالألواح ، وقصيدته بعصا موسى ، وما فيه من المعنى الجليل فى اللفظ القليل بصورة كسرى فى الطاس وقيصر فى الدينار

وشبه كتاب مختصر اصلاح المنطق فى رسالة الاغريض بدلالته على جوامع اللغة على صغر حجمه بالضمير الدال على الاسماء الكثيرة ، ومرآة المنجم تستوعب على صغرها القمرين والنجوم . . .

وقلما خلا كتاب له من وصف رائع وتشبيه بديع لا يقصر فيهما عن ابن الرومى وابن المعتز

النقد يتضح مما تقدم ان المعرى كان مرهف الحس دقيق الفطنة مفرط الذكاء سليم الحافظة ، مولعا بالبحث والتمحيص والاستقراء عميق التفكير ، فلا يكاد يمر به شىء الا قلبه على وجوهه وسبر أغواره . وقد درس الحياة وما فيها من أخلاق وعادات وعقائد درسا عليا فكونت هذه العوامل فى نفسه ملكة قوية فى النقد أساسها العلم ونبراسها العقل واستطاع ان يكون المجلى فى هذا المضمار وأن يأتى بضروب مختلفة من أشكاله فى نظمه ونثره

ومن أمعن النظر فى نثره تبين ان له طريقتين فى النقد ترجع احداهما الى مسائل العلم وتتعلق الثانية بالاخلاق والعادات والنزاعم ونحوها . وفى كلتا الطريقتين لا يخلو كلامه على عفة الفاظه من تهكم لاذع واستخفاف ممض وسخرية موجعة . ولعله كان يذهب الى ان هذا السبيل أشد ايلاما للخصم وأبلغ أثراً فى نفسه مع ما فيه من الطرافة . واليك مثالا من جوابه الى أبى الحسين النكتى الذى بدل اسمه وقصر كنيته :

« دلنى كتابه على أنه يحسبنى قد أضعت وده وتناسيت عهده ، انى إذا لمن الظالمين . عرفنى بنفسه انه من اهل البصرة وقد صح معى انه من اهل البصيرة الساكنة فى خلده ، وتلك أجل من البصرة بلده ، وهل البصرة الا حجارة بيض ، يطؤها انسان وربيض . وأهل البصرة سلمهم الله ينسبون الى قلة الحنين ، اليس قد مرت به الحكاية وهى أنه وجد على حجر مكتوب

ما من غريب وان أبدى تجلده   الا سيذكر عند الغربة الوطنا

« وقد كتب تحته : الا اهل البصرة ، فاذا كانت تلك سجيتهم مع اهلهم واوطانهم ، فكيف بالذين عرفوهم من اخوانهم ... ولعل سيدى الشيخ ظن انى مكنى بعلى التى هى من حروف الخفض ولو كان كذلك لوجب ان يقال ابو على ... وان كان تأول انى مكنى بعلا الذى هو فعل ماض فهو فى التعرية من الالف واللام مثل الأول . . . »

فهذه الرسالة تدلنا كيف كان المعرى يحمل كلام صاحبه على عامل لا وجه لها ويتأول كلامه ، ويبين له مذاهب العلماء فيا يجوز من ذلك وما لا يجوز ، وكيف كان يدس التهكم والسخرية فى تضاعيف كلامه دس السم فى الدسم . وإذا تصفحنا رسالة الغفران وشايعنا الرأى القائل ان كل ما فيها من هذا النوع رأينا المعرى يحلق فى جو لا يباريه فيه مبار ويجلى فى مضمار لم يتقدمه فيه سابق

ولا شق غباره لاحق . وليست براعتــه فى النقد والتهكم فى نثره بأعظم منها فى شعره فى لزوم ما لا يلزم من هذا النوع شىء كثير لا سيما حين يتكلم فى الشرائع والنبوات والعقائد

يتحصل مما تقدم ان ابا العلاء فى نثره متبع مقلد من ناحية ومبتدع مجدد من ناحية أخرى

أما تقليده فانه طبع على غرار الجاحظ فى الاستطراد من غرض الى آخر ، ثم الرجوع الى الاول. وفى الأغراض بجمل الدعاء وحل المسائل والاستقصاء وترادف بعض الجمل على معنى واحد

واحتذى على مثال ابن العميد فى التقيد بالسجع وتعمد المحسنات البديعية والاقتباس وتضمين الامثال والايات والتلميح الى الحوادث

نواحي التجديد

وأما تجديده فله نواح متعددة منها احداثه النثر العلمى ، فقد كان بعض الكتاب قبل أبى العلاء يتصدى فى بعض رسائله الأخوية لذكر مسألة أو مسألتين من علم اللغة أو غيره اما ان تكون الرسالة الأخوية جامعة لمباحث متعددة من علم او علوم مختلفة مشتملة على تحقيق علمى فلا عهد للكتاب به من قبل ، فيكون المعري أول من أحدث النثر العلمى فى النثر كما كان أول من أحدث الشعر الفلسفى فى الشعر . ومنها الأسلوب القصصى الخيالى فى الرسائل الأخوية فان هذا لم يقع منه للمتقدمين الا النزر ، وهو على قلته موجز ، ولم تعرف العرب قصة خيالية تشبه رسالة الغفران فى أسلوبها وسعة خيالها وكثرة ما فيها من التحقيق والمسائل العلمية

وكذلك شأن النقد فقد كان مختصا بكتب العلم والأدب ولا تعرف رسالة قبل رسالة الغفران ورسالة الملكى البصرى اشتملت على مثل ما اشتملت عليه هاتان الرسالتان

ويجوز ان يقال ان ابا العلاء لم يقلد الجاحظ ولا ابن العميد لأنه لم يلتزم طريقة معينة من طريقتيهما وانما اتخذ لنفسه طريقة جديدة جمع فيها بين طريقتيهما وزاد عليهما ما زاد مما ذكرناه

وعلى هذا يسوغ ان يقال ان أبا العلاء مجدد فى كل ناحية من نواحى نثره . وهذا يحتاج الى اطالة وبسط فى ذكر الامثلة واقامة الادلة وذلك مالم تسمح به الأيام ويسعف به المقام

ولو أتيح لهذه الأمة أن تظفر بكل ما تركه المعرى من الآثار العلمية لوجدت فيه علما جما وأدبا غزيراً وشعراً وافراً . واذا سلك الانسان سبيل الحق لا يجد فى نثر المعرى شيئا مما يعاب به الا السجع المتكلف الذى كان مرغوبا فيه فى عصره مرغوبا عنه فى هذا العصر ، وما عدا ذلك فكله آية فى الروعة غاية فى الاجادة والافادة ، ولا بد للحسناء من ذام ، وقلما سلم جواد من كبوة ، وسيف من نبوة ، وانما الكمال لله وحده !

سليم الجندى

فلسفة التشاؤم

بين المعري وشوبنهور

بقلم الاستاذ علي أدهم

حاول شوبنهور وابو العلاء القضاء على الاوهام وتبديد الأكاذيب ورفع الستار عن خدعة الحياة . وهما من هذه الناحية يمثلان جرأة الفكر في أروع مظاهرها

بين أبي العلاء شاعر المعرة الفذ وحكيمها الأوحد وارثر شوبنهور فيلسوف فرانكفورت الكبير ، الكثير من وجوه الشبه وأواصر القربى ، على تباعد الزمن واختلاف المكان وتباين الأصول . وهما يتقاربان في اتجاه التفكير ولون المزاج واسلوب الحياة ، وان كان بينهما تفاوت بعيد في منهج البحث والقدرة على ضبط النفس وكبح اهوائها ، وكلاهما يلمح الكون بناظر المتسخط المتبرم ويرى الأشياء في ظلال قاتمة من التشاؤم والاكتئاب ، وينتهي به الأمر الى رفض الحياة رفضا باتا لاقترانها بالألم وامتزاجها بالشر واقفارها من المسرات ، ويرى ايثار العدم المطلق والفناء التام على الوجود والكينونة . وشوبنهور لا يرى في الانتحار كبير بأس ، ويحاول تفنيد آراء من يعيبونه ، ويبشر بالزهد ويدعو الى مقاومة الرغبة في الحياة والتعلق بها والحرص عليها ، وابو العلاء يدعو الى هذا المذهب ويقول في ايثار العدم على الوجود

وأرحت أولادي فهم في نعمة العـــدم التي فضلت نعيم العاجل
ولو انهم ظهروا لعانوا شدة ترميهم في متلفات هواجل

ويقول :

خير لآدم والخلق الذي خرجوا من ظهره أن يكونوا قبل ماخلقوا

والعدم عند المعري ــ وكذلك عند شوبنهور ــ طريق الخلاص

وما لنفسي خلاص من نوائبها ولا لغيري إلا الكون في العدم

وما دام العدم خيراً من الوجود وأرجح وزنا فالنسل إذن جناية . وقد أغراه ايثاره العدم واعتباره النسل جناية بأن يوصي بأن يكتب على قبره

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

وقد عاش شوبنهور كما عاش المعري أعزب من غير نسل ولا زواج ولم يكن ينتظر من

شوبنهور الذى يقول عن الحياة « انها جحيم يفوق جحيم دانق » أن يقذف الى هذا الجحيم المتسعر بأولاده وذراريه ليعانوا آلام الحياة التى يعرفها بأنها لحظة قصيرة بين ابديتين

ويقرر ابو العلاء أنه يجهل حكمة الوجود ويقول :

خلقنا لشيء غير باد وانما تعيش قليلا ثم يدركنا الهلك

أما شوبنهور فانه يقول : « اذا لم يكن الشقاء هو غرض الحياة وغايتها فانى أستطيع ان أؤكد ان وجودنا فى الحياة انأى الاشياء عن الغرض والقصد ، لأنه من السخف أن نظن أن الحزن غير المحدود الذى يغشى الدنيا ويغمر الحياة والذى ينشأ من شجون ورزايا متصلة أشد اتصال بجوهر الحياة « هو بلا غرض ومجرد حادث عرضى » وواضح من ذلك ان الشقاء عند شوبنهور هو « غاية الحياة » و « حكمة الوجود » ، وابو العلاء يرى الشقاء من واجبات الحياة

قالت لى النفس انى فى أذى وقذى فقلت صبراً وتسليما « كذا يجب »

ويقول شوبنهور « الدنيا لا تسر انسانا وكل منا ينفق جهده ويمضى حياته فى طلب السعادة التى لاينالها واذا ظفر بها وجدها وهما من الاوهام وانما القاعدة أن الانسان لايصل المرفأ إلا بعد أن يتحطم زورقه ويسقط شراعه» وابو العلاء يجاريه فى هذا المضمار ويقول :

ودنياك ليست للسرور معدة فمن ناله من أهلها فهو سارق

وبؤس الانسان عند أبى العلاء لا يبدأ بمولده وانما يسبق ذلك لأنه يلحقه عند انبعاث الروح فى النطفة

وما برح ألانسان في البؤس مذجرت به الروح لامذ زال عن رأسه الفرس

ولعل الموت أهون مصائب الحياة وقعا

مصائب هذه الدنيا كثير وأيسرها على الفطن الحمام

وكلا الرجلين سيء الظن بالطبيعة الانسانية شديد الازدراء لها بارع فى الكشف عن عيوبها ومساوئها واحصاء نقائصها ومثالبها . ومن أقوال شوبنهور فى ذلك « سلوك الانسان نحو الانسان يتميز على الدوام بالقسوة البالغة والغلظة الصماء والافراط فى الجفوة والامعان فى الاجحاف ومجاوزة الحد فى التنطع وخلاف ذلك هو المستثنى » وابو العلاء يطيل الضرب على هذه النغمة ويفتن فيها كل الافتتان فيقول :

وكلنا قوم سوء لا أخص به بعض الانام ولكن اجمع الفرقا

ويقول فى تنقص الناس وتهوين قدرهم

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطا لما تحصل شيء فى الغرابيل

وهو يعلل لؤم الانسان وخسته وحقارته بفساد الأصل والتواء الغريزة

تفرع الناس عن أصل به درن فالعالمون اذا ميزتهم شرع

ويرى شوبنهور أن المجتمع قائم على الخديعة والزيف ، ويبن جنبي كل انسان تقيم أنانية ضخمة غلابة تجتاح حدود الحق وتكتسح أسوار العدل فى حرية تامة وفى غير تردد . ونشاهد ذلك فى صورة مصغرة فى حياتنا اليومية ونراه فى صورة مكبرة فى كل صفحة من صفحات التاريخ ، ويشد من أزر هذه الأنانية فى كل صدر نبع من الكراهة والحقد والضغينة والخبث ، فياض الموارد متوثب العباب ، كالسم الناقع فى أنياب الرقطاء تنتظر الفرصة السانحة لتنفثه ، وفى قلب كل انسان يرقد حيوان مستوحش شديد الضراوة ينتظر فريسته ليزلزل زلزاله ويثير زوابعه

وابو العلاء يقدم لنا صورة للانسانية لا تقل سواداً عن هذه الصورة فيقول :

بنى حواء كيف الامن منكم   ولم يؤهل بغير الحقد روع

وابو العلاء وشوبنهور كلاهما يائس من الاصلاح منكر للتقدم ، ويرى ابو العلاء أن عمل الانبياء والحكماء والواعظين لم يأت بالثمرة المرجوة ولم يصرف الناس عن الشر

وقد فارق الحكماء الدنيا وفى نفوسهم حسرة من فشل مساعيهم وذهاب جهودهم أدراج الرياح

وكان شوبنهور يخالف معاصريه من الفلاسفة فى النظر الى التاريخ . ولا يرى للدراسة التاريخية شأناً يذكر ، والتاريخ عنده هو حلم الانسانية الثقيل ، ومن العبث أن نبحث فيه عن خطة أبدية مرسومة أو تدبير حكيم أو غاية معقولة متوخاة

وفى تعليلهما لليأس من الاصلاح وتهذيب النفوس والسمو بالطبائع نلمس صميم فلسفتيهما ، فالمعرى يعلل ذلك بغلبة الاهواء والمطامع والشهوات وعجز العقل عن كبحها فيقول :

وقد غلب الاحياء فى كل وجهة   هواهم وان كانوا غطارفة غلبا

ويذهب شوبنهور الى أن ظواهر المعرفة جميعها وضروب المشاهدة بأسرها انما هى فكرة متمثلة لنا ، أو بلفظ آخر ان كل ما نشاهده ونعرفه كله من نتاج أذهاننا وثمرة عقولنا ، فليس فى خارج ذواتنا دنيا بمختلف مرائيها ومتباين مظاهرها ملائمة لتصوراتنا ومطابقة لما ارتسم فى أذهاننا ، والدنيا المعروفة من صوغ عقولنا وتلفيق أذهاننا وليس لها كيان إلا فى تلك العقول ، فهى مجرد صورة ومظهر من مظاهر الوعى . وهى بهذه المثابة من معدن الاحلام وصميم الأوهام، ولكن وراء هذه الدنيا المتوهمة البادية للعيان دنياحقيقيه خافية هى ما يسميه شوبنهور « الارادة »

وهذه الارادة تحقق نفسها وتؤكد وجودها فى قوى الطبيعة المختلفة فهى تطلع فى النبات ، وجهد وكفاح فى الحيوان ، والدنيا جميعها بأجواز فضائها وأطباق ثراها وما فيها من مظاهر التغير والنماء والتحول هى مظهر الارادة ، وهذه الارادة لا يصحبها العقل ليكف جماحها ويسدد خطواتها ، وانما هى سابقة له ومتقدمة عليه ، بل هى التى توجده إيجاداً وتخلقه خلقاً ، فالارادة العمياء هى التى انشأت الدنيا بشتى مظاهرها ، وهى الأصل والجوهر والحقيقة التى تعكس عنها

(٨)

ظلال للظاهر وتنبث منها صور المرئيات ، وليس فى مقدورنا اكتشاف كنه هذه الارادة والخلوص الى سرها ، لان الاشياء التى تدخل فى نطاق معرفتنا ليست من صميم الحقيقة وانما هى مظهر خادع وصورة زائفة ، فالوجود حلم والشخصية وهم ، والحياة تضرب وشائجها فى اعماق « ارادة الحياة » ، وارادة الحياة هذه رغبة ملحة فى الوجود وجرى لا ينقطع وراء اللبانات والاهواء وحرص شديد على الاستمتاع ، ولكن الاستجابة لمطالب هذه الشهوات التى لا ترتوى غلتها ولا تشبع غرتها تنشأ من الحاجة ، والحاجة مصدرها الالم ، ومنشأ كل ذلك الوهم والخداع ولولا هذا الوهم ما وجدت الحياة ، والحياة شقاء لان الحياة معناها الرغبة والارادة ، والرغبة صنو الألم ، فالحياة إذن هى الألم ، وليس الانسان وحده هو الغارق فى الشقاء وانما تشاركه فى ذلك الكائنات جميعها ، وليست الدنيا وحدها وادى الدموع ومستراد الاحزان ، وانما جميع الدنى مقضى عليها بالشقاء ، والشقاء من نصيب كل حشرة تدب وكل سائمة ترعى ولا يتقى وقعه السمك الذى يسبح فى البحر والطير الذى يحلق فى الجو ، وهو يتابع الانسان فى مراحل العمر جميعها وادوار الحياة من المهد الى اللحد ، وعلى اختلاف الطبقات من الصعلوك المتسول الى رب التاج وحامل الصولجان ، والاجيال الغابرة والاجيال اللاحقة ، فلا سعادة ولا راحة ولا امن ولا سلام

وما يسميه شوبنهور « ارادة الحياة » يسميه ابو العلاء « حب الحياة » وقد أدرك ابو العلاء سوء اثره فى خداع النفس وترغيبها فى الحياة على ما بها من فادح الآلام وكثير الرزايا :

وحب العيش أعبد كل حر وعلم ساغبا أكل المرار

ويسمى الدنيا « ام دفر » وهى كنية العرب عن المصائب والآلام ويقول عنها :

أبى القلب إلا ام دفر كما أبى سوى ام عمرو موجع القلب هائم

ولو لم يكن حب الحياة هـذا غريزة فينا آخذة باكظامنا لبدت لنا عيوب الحياة وأدركنا خداعها وشعرنا بتفاهتها :

ولو لم يكن فيناهواها غريزة لكان اذا جر المهالك يترك

وهو يصاحب الانسان فى مراحل العمر جميعها :

تعلق دنياه قبل الفطام وما زال يدأب حتى خرف

وهذا الحب الشديد للحياة والتعلق باسبابها هو الذى يجعلنا نخاف الموت :

والنفس آلفة الحياة فدمعها يجرى لذكر فراقها منهله

ولا يخدع ابو العلاء فى التظاهرين بالزهد فى الحياة وهم يضمرون حبا :

ولا تظهرن الزهد فيها فكلنا شهيد بأن القلب يضمر عشقها

وقد يذمها الانسان جهراً وهو يضمر خلاف ما يبدى مع ماينااله من خطوبها واهوالها :

فتخرجه غما وتوسعه أذى وانذمها جهراً اسر لهاعشقا

والعطف على الغير عند شوبنهور هو قوام الفضائل ومساك الآداب ، وذلك لأنه لما كانت الارادة هي أصل كل شيء وجوهره فان هناك إذن وحدة وراء تلك المظاهر المتباينة ، ويستطيع الانسان أن يتعرف نفسه ويستشف جوهر ذاتيته في مرآة الدنيا ، ويدرك الوحدة الحقيقية والصلة الخفية بينه وبين الغير ، وهذا هو أساس الاخلاق وقواعد السلوك لأن الانسان عند ما يستشعر هذه العلاقة ينشأ في نفسه العطف وهو مصدر السلوك الاخلاق ، وهذا العطف يجعلنا نحسن معاملة الغير ونعرض عن الاساءة اليه لاننا اذا اسأنا الى أحد فكأننا في الواقع نسيء الى أنفسنا ، والفضيلة هي أن نعتبر ألم الغير ألمنا ونعمل على دفعه اذا استطعنا ذلك أو نلطف حدته ونهون وقعه اذا عجزنا عن رد غائلته

والرثية لآلام الغير والعطف على البشرية يلعبان دوراً كبيراً في فلسفة أبي العلاء ، وكان يرى أن من أسباب شقائه عجزه عن الأخذ بناصر الغير :

أنا الشقي بأني لا أطيق لكم معونة وصروف الدهر تحتبس

وكان شديد الرفق بالحيوان كثير الرحمة له ، والحيوان عنده كالانسان في تعلقه بالحياة وخشيته الموت

أرى حيوان الارض يرهب حتفه ويفزعه رعد ويطمعه برق
فيا طائر أغنى ويا ظبي لا تخف شذاي فما بيني وبينكما فرق

ويوصى بالتصدق على الطير :

تصدق على الطير الغوادي بشربة من الماء واعددها أحق من الأنس

والطريقة المثلى عند شوبنهور للخلاص من آلام الحياة وهمومها هي مقاومة الارادة وقهرها واستئصال المطامع والشهوات والتزام العفة التامة وممارسة الزهد والانتهاء الى حالة من الهدوء والاستقرار تشبه مايسميه البوذيون «النرفانة» . واسمى الواجبات الاخلاقية عند شوبنهور هو أن يلقي الانسان سلاحه ويطلق آماله وينسحب من ميدان العمل ومعترك الحياة ، وليس الابطال عند شوبنهور هم الرجال من طراز نابليون والاسكندر وقيصر ، وانما الابطال عنده هم القديسون والنساك الذين قمعوا اهواءهم وقهروا نفوسهم وقد هزم نابليون الجيوش وثل العروش ولكنه لم يستطع أن يتغلب على نفسه ويهزم شهواته

وابو العلاء مثل شوبنهور يرى في الزهد طريق الخلاص من متاعب الحياة واهوالها ويقرن السعادة بالزهد :

واسعد الناس بالدنيا أخو زهد نافى بنيها ونادوا إذ مضى درجا

ولما كانت المرأة هي التي تفتن ألباب الرجال وتأسر قلوبهم وتوحي الى نفوسهم الحب وتغمرها بالأمل والاستبشار ، وهي الامينة على النسل والوسيلة الاكيدة التي تتخذها الحياة لتأييد النوع

لذلك عرف المتشائمون شدة خطرها على قضيتهم وناصبوها العداء وغالوا فى ذمها ، والمرأة فى رأى شوبنهور بسبب ضعف عقلها تساهم بنصيب قليل فى المزايا والمساوىء التى يجلبها التفكير ، وهى قصيرة النظر محدودة الأفق ، وتحاول على الدوام الوصول الى غرضها من أقرب السبل وبأهون الوسائل ، وهى تعيش فى الحاضر ولا تلتفت الى الماضي ولا تتطلع الى المستقبل ، ومن ثم ميلها الى التبذير والاسراف الذى يكاد يبلغ الجنون فى بعض الأحيان ، والمرأة أكثر عطفا من الرجل ولكنها تتخلف عنه فى تحرى العدالة والاستمساك بالامانة ويقظة الضمير ، وذلك لأن الواقع المحسوس هو الذى يؤثر فيها وليس للافكار المجردة سلطان عليها ، وهى مضطرة بسبب ضعفها أن تلجأ الى المكر والحيانة وتركن الى الكذب والرياء وقد زودتها الطبيعة بسلاح الخداع كما زودت الاسود بالمخالب والأنياب ، والمرأة تعيش للنوع أكثر مما تعيش للفرد ومصلحة النوع عندها أعظم شأنا وأجل خطراً من مصلحة الفرد ، وهذا هو سبب الخلافات الزوجية ، ويتطرف شوبنهور وينكر على المرأة الجمال ويعزو تصورنا لجمالها الى الغريزة الجنسية التى تخدعنا وتغطى على بصرنا حتى نرى حسنا ماليس بالحسن ، والمرأة بطبيعتها عامية ولا علاج لعاميتها ومن ثم قلة نبوغها فى الفنون والعلوم ، وقد كان اوتوفينجر مؤلف كتاب « الجنس والأخلاق » الذى يتضمن أشد حملة وجهت الى النساء من تلامذة شوبنهور ، ورأى ابى العلاء فى المرأة لا يقل قبحا وسوءاً عن رأى شوبنهور وأشد ما يوصى به أبو العلاء فى مسألة المرأة هو تنحيتها عن الحياة العامة وسوء رأيه هذا من الاسباب التى جعلته يعرض عن الزواج لأن الرجل مضطر فيه الى المشاركة :

ترجي عندها وصلا   رويدا انها عارك
تخون الاول العهد   لخل العرس أو شارك

وشوبنهور أحد فلاسفة ما وراء الطبيعة القلائل الذين يستطيع الانسان أن يفهم الكثير من دخائل فلسفتهم دون الرجوع الى مستفيض الشروح أو الاستعانة بضافى المقدمات ، وفلسفته أشبه بقطر من الاقطار واضح المسالك بادى المعالم بحيث تستطيع ان تجوس خلاله وتطوف ارجاءه وأنت فى غير حاجة الى الرواد والأدلاء ودون ان تضل الطريق وتبعد عن الغاية ، ولعل السبب فى ذلك ان نظرياته مستمدة مباشرة من حقائق الحياة الواقعة وقائمة فى الكثير على التجارب والمشاهدات وهو فى كتاباته دائم النصح لقرائه بالعودة الى التجربة والاتصال بالحياة ، وقد أفاضت هذه الصفة على أسلوبه مسحة أدبية واكسبته مناعة وقوة وحيوية قل ان تراها فى كتابات الفلاسفة وبخاصة اضرابه فى الفلسفة الالمانية ، وقد كان للتجارب أثر كبير فى تكوين عاداته الفكرية وصقل ملكاته الى جانب العوامل الوراثية ، فقد عرف شوبنهور الدنيا قبل ان يعرف الكتب وسافر اسفاراً كثيرة مع والديه ، ولما اقبل بعد ذلك على الدراسة وأكب على الكتب كان يقصد الفلسفة للاهتداء الى الحق ، لا ليعيش منها ويتكسب بها . ولما حاول النقادة الألماني « ويلاند » أن يثنى

حزمه عن متابعة دراسة الفلسفة قال له كلمته المشهورة وهي : « ان الحياة معضلة وقد انتويت ان أقضي حياتي في معالجة حلها » ، والمامه بالحقائق الواقعة قبل تكوينه الافكار جعله محبا للوضوح كارها للغموض والالتواء حتى قال عنه أحد الكتاب الفرنسيين : « ليس هو فيلسوفا كالآخرين وانما هو فيلسوف قد رأى الدنيا » وشوبنهور بأسلوبه الرائع وتفكيره الجلي أقرب الفلاسفة الى الادباء والكتاب والشعراء ، وأبو العلاء شاعر كبير ولكنه رجل تفكير يسخر أسلوبه لأفكاره ويستعمل خياله لتوضيح ارائه في شتى الأمور ، وله في مختلف المسائل أفكار محددة ونظرات معروفة لا يني يعيدها في صور مختلفة وقوالب جديدة ويكر عليها بالشرح والافاضة ويدعمها بناهض الأدلة وصادق الشواهد وهو يتخير الفاظه ويفصلها على قدود معانيه بلا تزيد ولا تجميل ويصطنع في حواره المنطق والاثبات ، وقد حاول ان يحيط بأطراف العلوم ونواحي المعرفة وأن يعلل ظواهر الطبيعة ويحلل عناصر المجتمع ويكشف عن اصول الاخلاق ويفسر حقائق التاريخ ويتناول المذاهب والعقائد ، وان يتحدث في شعره عن قدم المادة وعن الجسد والروح وعن المكان والزمان وان يبدي أراءه في السياسة ، وقد وصف هذه المحاولات جميعها في قوله :

لعمرك ما غادرت مطلع هضبة من الفكر الا وارتقيت هضابها

وهو بنظرته الشاملة وتناوله لاطراف المعرفة الانسانية أقرب الشعراء الى الفلاسفة كما كان شوبنهور أقرب الفلاسفة الى الشعراء ، وقد كانت اخلاقهما على النقيض وكلاهما استرعى النظر بشخصيته وكتاباته . وكلاهما كانت أخلاقه لا تلائم الوسط الذى يعيش فيه . فشوبنهور كان صعب المعاشرة ولذا لم يكن له صديق طول حياته ، وكان ابو العلاء أسوأ ظنا بالناس من ان يتخذ له صديقا او يثق بأحد ، على أن شوبنهور كان جم الكبرياء بعيد الادعاء ، وكان أقل انتقاص لادعائه الواسع وغروره الفياض وبخاصة في أعوامه الأخيرة يستثير سخطه ويشعل غضبه ، وكان كلاهما يحب الحق ويخلص له ، ولكن شوبنهوركان متحرقا على الشهرة ، أما ابو العلاء فلعله ظفر من الاعجاب والشهرة بما أبشمه ، وكان أبو العلاء فطنا لمواطن السخرية ومواقع الفكاهة في الحياة وكذلك كان شوبنهور . ولكني أرجح ان حاسة الفكاهة والسخرية في أبي العلاء كانت أقوى وأكثر تأصلا . ونقص الفكاهة في شوبنهور هو الذى كان يغريه بالتورط في تلك الشتائم المضحكة التي يكيلها في كتبه لأضرابه من كبار الفلاسفة الالمان المعاصرين له ، وفطنة الانسان للجانب المضحك في الحياة هي التي تحميه من مثل هذا التورط وتمنعه من امتداح نفسه والمغالاة بقدرته . وكان شوبنهور شديد العناية بنفسه يفر من الامراض المعدية ويخشى الحريق فلا يقيم الا في أول طابق ، ونوادره في الحرص على نفسه وما يملك كثيرة معروفة ، أما ابو العلاء فقد ألقى سلاحه والتزم الزهد وقهر الشهوة ، وكان يلبس غليظ الثياب ويتخفف من الزاد فلا يتناول الا ما يقيم أوده ويمسك عليه رمقه ، وآثر ضيق اليد على ابتذال الكرامة وإراقة ماء الوجه في طلب

الرزق وتحصيل المال وانف ان يسلك سلوك الشعراء في الشرق واستكبر على الاتجار بالشعر والتكسب به وعاش نافضا غبار الدنيا عن قدميه وضرب بذلك للعالم مثلا قليل النظير من المطابقة بين مرامى التفكير وأساليب الحياة قصر عنه كبار المصلحين وعظماء الدعاة

وقد يبدو لنا ان نعيب على أبي العلاء وشوبنهور امعانهما في التشاؤم ومبالغتهما في ذم الحياة ولكن علينا ان نعرف قبل الاقدام على ذلك أنه لا يوجد في الحياة اشد ظمأ وأعظم نهما من الروح الانسانية فهل هي تلقى في هذه الدنيا ما يبل غليلها ويهدىء قرمها ؟ أليس هناك تناقض مستمر بين مطالب القلب وحقائق الحياة والتجارب ؟ ان الدنيا قد تقنع القلوب الضئيلة والنفوس الصغيرة ، أما القلوب الطموحة والنفوس الراغبة المتطلعة فهي في تعب مستمر واهتياج دائم . ومن الصعب على القلب ان يحمل على الدوام هذا التناقض الذى لا ينتهي بين نفسه وبين الحياة وان يظل طالبا دون ان يحظى بسؤله وحالما دون أن يتحقق حلمه

وقد حاول شوبنهاور وأبو العلاء ان يعرفا سر الخليقة ومغيبات الحياة وعجائب المصير وهى محاولة عظيمة ونزعة جبارة ، وربما كانت قوانا العقلية أقصر خطوا من أن تسلك هذا المدى الواسع وتقبس هذه الابعاد غير المتناهية لتنظر الى الحياة نظرة كلية شاملة ، وربما كان ما لدينا من الحقائق غير كاف لتكوين الاراء النهائية عن الكون والحياة . والاراء التى نصل اليها هى بالضرورة وبحكم موقفنا اراء جزئية ومجرد توهمات وظنون عن غير المكشوف ، قد تأثرنا فى تكوينها وبنائها بمؤثرات بيئتنا المحدودة وعالمنا الصغير . ولئن كان ابو العلاء وشوبنهور لا يشاركان الانسانية فى نوازعها السامية وطموحها العظيم ويصدران أحكاما من نظرة محدودة وزاوية ضيقة فانهما مع ذلك مفكران مخلصان يوحيان الفكر ويمتعان الادب ، الاول بشعره الحافل والثانى بفلسفته المحكمة البناء ، وإذا أهملنا حكمة أبى العلاء وفلسفة شوبنهور فاننا لا نفهم جزءاً كبيراً من قصة الحياة ولا نعى درسا نافعا من دروسها . ويرى بعض المفكرين ان فن الحياة يستلزم شيئا من المساومة وان يعير الانسان عقله مؤقتا للاوهام ويغالط فى الحقائق نفسه ، ولكن ابا العلاء وشوبنهور لا يتصوران الحياة على تلك الصورة بل يريان ضرورة القضاء على الاوهام وتبديد الاكاذيب ورفع الستار عن خدعة العيش ، وهما على ما فى نظرتهما الى الدنيا من تجهم واكتئاب ليسا من الضعفاء فاقدى الرجولة فقد عاش شوبنهور كالمجاهد الذى يحمل السيف والرمح ، وتلقى ابو العلاء الحياة بصبر الحكيم وقناعة الزاهد وشجاعة اليائس

على أدهم

المعرى : أشاعر أم فيلسوف

(بقية المنشور على صفحة ٨٥٠)

يعربوا به عن فلسفتهم من الالفاظ . وقد انتهى بول فاليرى الى اثبات أن الفلاسفة آخر الأمر ليسوا إلا جماعة من أصحاب الفن هم كالشعراء والمثالين والمصورين يرون الطبيعة والحياة والكون على نحو ما ، ثم يظهرون ما رأوا فى هذا البناء الفلسفى الجميل الذى يهدى الينا اللذة والمتاع

ومن الأدلة القاطعة عنده على صحة هذا الرأى أننا ما زلنا وسنظل نقرأ افلاطون وليبنتز وسبينوزا فنجد فى قراءتهم لذة ومتاعا لا يرتقى اليهما الشك ، ومع ذلك فما أكثر ما بطل من فلسفة هؤلاء الفلاسفة وما أقل ما بقى منها . فما مصدر هذه اللذة التى نجدها فى أشياء نعلم أن الفلسفة الحديثة والعلم الحديث قد قضيا عليها قضاء أخيراً . أليس هناك شبه بين هذه اللذة وبين اللذة التى نجدها عند ما نقرأ هوميروس أو فرجيل أو دانت ، أى أليس هنالك شبه بين اللذة التى نجدها حين نقرأ الفلاسفة ، واللذة التى نجدها حين نقرأ الشعراء ، بل لا شك فى أن هاتين اللذتين متقاربتان أشد التقارب ، وهما متقاربتان لأن فى الفلاسفة حظا من الشعر ، أو لأن فى الشعراء حظا من الفلسفة ، أو لأن فى أولئك وهؤلاء حظا مشتركا من الفن هو الذى يمنحنا هذه اللذة

وقد فكرت فى أبى العلاء حين كنت اقرأ هذا الفصل كما فكرت فى لوكريس وكما فكرت فى أفلاطون . كلهم شاعر وان كان ثالثهم لم يتخذ النظم وسيلة إلى اعلان شعره . كلهم شاعر وكلهم فيلسوف وكلهم يستطيع أن يعجبنا ويمتعنا بهذا المزاج الرائع الذى يلذ قلوبنا وعقولنا

فمن قال أن أبا العلاء شاعر فهو لم يخطىء الحق ، فشاعرية أبى العلاء لا شك فيها ، ولعلها قد قصرت من بعض النواحى عن شاعرية أبى تمام وأصحابه من المبصرين ، ولكنها قد تفوقت من بعض النواحى على شاعرية هؤلاء المبصرين لانها تعمقت من الحقائق ما لم يتعمقوا ، وسمت من الحكمة إلى ما لم يسموا اليه . ومن قال أن أبا العلاء فيلسوف لم يخطىء الحق أيضا فقد رأيت أن الرجل قد شارك الفلاسفة فى فلسفتهم ، ولعله قد قصر عما وصل اليه ابن سينا أو الفارابى من تعمق بعض النظريات ومن اقامته المذاهب المنسقة المنظمة المضطردة التى لا يفسدها الاضطراب والاختلاف ، ولكنه قد تفوق على هؤلاء الفلاسفة لأنه استنزل الفلسفة من معقلها وأحياها فى البيئة التى يعيش فيها الناس ، وجعلها انسانية لا تبلغ العقول وحدها ولكنها تبلغ القلوب فتشيع فيها الحب والرحمة والحنان ، كما تشيع فيها السخط والثورة والغضب ، ولكنه سخط لا ينتهى إلى البغض ، وثورة لاتنتهى الى الحقد ، وغضب لا ينتهى الى افساد ما بين الناس من الصلات

أبو العلاء شاعر فى فلسفته وفيلسوف فى شعره قد جمل الفلسفة بما اسبغ عليها من الفن ،

ومنح الشعر وقارا ورزانة بما أشاع فيه من الفلسفة ، وهو من هذه الناحية فذ فى أدبنا العربى كما قلت الف مرة وكما سأقول الف مرة أيضا

على أن هناك ناحية أشرت اليها منذ حين لم تدرس كما ينبغى من فلسفة أبى العلاء وفنه معا ، وهى خليقة بالدرس وخليقة بالاعجاب ولها خطرها فى تصوير نفسية هذا الشاعر الفيلسوف ، فلم يملك أحد امر اللغة العربية كما ملكه أبو العلاء ، ولم يفرغ أحد للغة العربية كما فرغ لها أبو العلاء ، ولم يتحكم أحد فى الفاظ اللغة العربية كما تحكم فيها أبو العلاء . أنفق صباه وشبابه فى الدرس والتحصيل والمشاركة فى الحياة الادبية على نحو ما كان يفعل المثقفون الممتازون فى عصره ، ثم كانت المحنة واضطر الى العزلة ولزم داره وأصبح رهين المحبسين أو رهين المحابس الثلاثة ، رهين داره ورهين جسمه ورهين هذه الآفة التى حالت بينه وبين النظر الى الطبيعة وما يضطرب فيها من الكائنات . فعكف على نفسه ونظر فيها ، فماذا وجد ؟ وجد معانى لا تكاد تحصى قد حصلها أثناء الدرس وما زال يحصلها بعد العزلة ، ووجد الفاظا قد اجتمعت له من درسه اللغوى وكان حظه من هذه الثروة اللفظية عظيما ، ثم نظر فاذا هو مضطر الى ان ينفق حياته بين هذه المعانى وهذه الالفاظ لايستطيع أن يفلت منها ولا ان يخلص من الحاحها عليه . إذا نظر فى المعانى اضطربت اراؤه وثارت فى نفسه العواطف المتناقضة والاهواء المتضاربة وإذا نظر فى الألفاظ أخذه الاعجاب بكثرة ما وعى منها . فهو إذن مضطر إلى أن يقاوم هذه المعانى وإلى أن يقاوم هذه الألفاظ وإلى أن يحول بينها وبين أن تتحكم فيه . وسبيله إلى ذلك أن يتحكم فيها هو وان ينفق حياته مزاوجا بين تلك المعانى وهذه الألفاظ ، وكذلك فعل . فأنت لا تراه إلا عابثا بالمعانى وعابثا بالألفاظ ، يلائم بين المعنى والمعنى ، ويخالف بين المعنى والمعنى ، كما يلائم ويخالف بين الالفاظ ، وكما يلائم ويخالف بين الالفاظ والمعانى . وانك لتقرأ ما بقى لنا من آثاره فلا تكاد تدفع عن نفسك الشعور بأن هذا الرجل قد خلى بينه وبين المعانى والألفاظ فهو يلعب بها ويتلهى بهذا اللعب لأنه لا يجد شيئا آخر ينفق فيه وقته وجهده

وعلى هذا النحو تستطيع أن تفهم هذه الخطة العنيفة التى فرضها على نفسه فى « اللزوميات » فأخذ نفسه بالتزام مالا يلزم فى القافية ، كما أخذ نفسه بالتزام مالا يلزم من النظم على جميع حروف المعجم . وعلى هذا النحو أيضا تستطيع أن تفهم « الفصول والغايات » . فقد فرض على نفسه فى النثر شيئا قريبا جداً مما فرض على نفسه فى الشعر ، فهو يضع فصوله هذه الكثيرة يلتزم السجع فى كثير منها ولكنه يجعل لكل فصل منها غاية ، ويلتزم فى هذه الغاية هذا السجع ، ويأبى الا أن يقيم هذه الغايات على حروف المعجم كلها كما أقام اللزوميات على حروف المعجم كلها

وعلى هذا النحو تستطيع أن تفهم هذه القصة اليسيرة الظريفة التى عرض لها فى رسالة الغفران حين ذكر قصة خلف الاحمر مع أصحابه وقد سألهم عن بيتى النمر بن تولب :

ألم بصحبتي وهم هجوع   خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى   اذا شاءت وحواري بسمن

فسألهم ما عسى أن تكون قافية البيت الثانى لو أن الشاعر قال فى البيت الأول « أم حفص » فلما سكتوا قال خلف الأحمر « حوارى بلمص » . فينتهز أبو العلاء هذه الفرصة ويفرع عليها كما يقول ، ويفترض قافية البيت الأول على الهمزة ثم على الباء ثم على التاء ويمضى فى ذلك حتى يبلغ آخر المعجم وقد أتى بالألاعيب والاعاجيب وأشعرك بأنه رجل قد فرغ لهذا النحو من اللعب

لعبه بالألفاظ لا شك فيه ولعبه بالمعانى لا شك فيه أيضا . وهل رسالة الغفران إلا نحو من هذا اللعب وهل كان يستطيع أن يلعب بالالفاظ دون أن يلعب بالمعانى ؟ فلكل لفظ معناه ولا يستطيع الانسان أن يتصور المعانى المجردة التى لا ألفاظ لها ، فالمعانى ألفاظ ان شئت ، والألفاظ معانى ان أحببت ، واللاعب بهذه لاعب بتلك . وقد لعب أبو العلاء بهذه وتلك ما يقرب من نصف قرن ، وكانت نتيجة هذا اللعب ما ترك لنا من آثاره الخالدة التى جمعت بين وقار الفلسفة وجمال الفن

وخصلة أخرى لا بد من أن ألم بها قبل أن أريح القراء من هذه الثرثرة ، وهى ان أبا العلاء بحكم هذا اللعب الفنى الفلسفى أكثر الشعراء العرب حضور ارادة فى آثاره الفنية ، فهو لا يصور عن طبعه ولا يرسل نفسه ارسالا على سجيتها فيما ينظم من الشعر أو يؤلف من النثر . هو لا يستسلم للعاطفة ، ولا يمضى مع الهوى ، ولا يلقى قياده الى الطبع ، وانما هو مفكر دائما متخير دائما ، مريد ما يقول متعمد ما ينظم وما يكتب . هو كما يقول بول فاليرى : لا يقول الشعر والنثر وانما يعملهما ، يدعوه الى ذلك هذا اللعب الفنى الذى أشرت اليه وحرصه على التحكم فى الألفاظ والمعاني وتعمده للصناعة الفنية وتجمله بها ، وملاحظته لنفسه ونقده لفنه كما تدفعه الى ذلك حاجته الى الاحتياط والتحفظ واتقاء ما عسى ان يورده موارد التهم أو يعرضه للسخط والنكير . والغريب أن هذا الرجل كان يرى أنه مجبر وأنه لا حظ له من الاختيار فى شىء فيما يأتى أو يدع حتى فى اللزوميات . وهو مع ذلك اعظم شعرائنا حظا من الاختيار وأعظمهم حظا من الارادة واعظمهم تعمداً لما يصدر عنه من المعانى والألفاظ وليس هذا هو المظهر الوحيد من مظاهر التناقض فى حياة أبى العلاء ، فقد كانت حياته العقلية كلها تناقضا كما رأيت ، ولكن هناك مظهراً آخر من مظاهر التناقض فى امر أبى العلاء كنت أحب أن اعرف رأى أبى العلاء فيه . فقد كان الرجل معتزلا زاهداً اشد الزهد فى أن يحفل الناس به أو يتحدثوا عنه ، فكيف كان يرى أبو العلاء كثرة ما يقول الناس فيه الآن وكيف يتلقى عنايتهم به واكبارهم له وهذه الجهود التى أخذوا يبذلونها فى درسه وفهمه وتفسيره وتخليد ذكره ، وكم كنت احب انأعرف رأى أبى العلاء فى نظر الاجيال اليه بعد ان مات ، ولكن كيف السبيل الى ذلك ، وهل لأبى العلاء علم ببعض ما يكتب عنه او يقال فيه ؟

طه حسين

بيئة المعرى

(بقية المنشور على صفحة ٨٦٥)

وكان شاعرنا على جانب عظيم من الثقافة العلمية . فقد أتيح له ان يحصل فى المعرة وحلب على أهم العلوم اللغوية والادبية والدينية . ولما بلغ العشرين تحول عن الدرس على الاساتذة الى الرحلات العلمية . فزار المكاتب المشهورة فى اللاذقية وحلب وانطاكية وطرابلس وسواها . وأقام في كل منها مدة تقرأ له كتب العلم والفلسفة . وقد ظل على ذلك نحو عشر سنوات ثم استقر فى المعرة ولم يتركها الا فى رحلته البغدادية بين ٣٩٨ ـ ٤٠٠ . فتكون مراحله الثقافية ثلاثا ـ (١) المرحلة التحضيرية فى المعرة وحلب حتى بلغ العشرين (٢) زياراته للمكاتب الكبرى فى البلاد الشامية وذلك بين العشرين والثلاثين من عمره (٣) زيارته لدور العلم فى بغداد بين الخامسة والثلاثين والسابعة والثلاثين

بيئته السياسية والاجتماعية

كانت المعرة على مايؤخذ من أقوال المؤرخين بلدة عامرة تشخص اليها أنظار الطامعين . وكجارتها الكبرى حلب كانت أيام المعرى هدفا لغارات وملعبا لفتن أرهقت سكانها أيما ارهاق

وكانت الامارة الحمدانية يومئذ بين قوتين عظيمتين ـ الروم من الشمال والفاطميين من الجنوب . ولم يكن للحمدانيين بعد سيف الدولة تلك السطوة التى كانت له فاضطربت أحوالهم الداخلية . ولم يستطيعوا القضاء على مناوئيهم من الزعماء . فأنى لهم أن يقفوا فى وجه الروم والفاطميين وكل من الفريقين يقرم الى تلك الأمارة الغنية . وبين ضغط الروم وغاراتهم ، ودسائس الفاطميين واطماعهم كانت امارة حلب تذوق الامرين تشاركها فى ذلك المعرة وأكثر المدن الشمالية . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الحوادث السياسية التى تقلبت على حلب والمعرة منذ نشأة المعرى الى أيام شيخوخته كانت سلسلة من الأهوال والفتن تركت أثراً عميقا فى نفسه وبالتالى فى شعره

عاصر أبو العلاء الحمدانيين وعمالهم ورأى تطاحن هؤلاء الحكام على السعادة والمال حتى كان بعضهم لا يتورعون عن استنجاد الروم وهم فى هم على منافسيهم فى الحكم او على الطامعين فيهم من الفاطميين ، فطما سيل الفتن وتواصلت الحروب والغارات وساد الجشع والحنق نفوس الزعماء

فى جو كهذا الجو لا ننتظر أن نرى في البلاد أمنا واطمئنانا . فالناس يتملكهم الذعر ، والمصالح العامة يضحى بها لأجل المطامع الخاصة . وبديهى ان تواصل الحروب والقلاقل يؤول الى ضيق العيش وانتشار الأوبئة فضلا عن ضغط الحكام طلبا للضرائب

وأرى ملوكا لا تحوط رعية فعلام تؤخذ جزية ومكوس
فشأن ملوكهم عزف ونزف وأصحاب الامور ولاة خرج

ذلك ما كان يشعر به المعرى . وفى مثل هذا الجو المضطرب يشتد حرص الغنى على ماله وتشتد فى الناس الغرائز الهدامة من ظلم وغدر وبخل وتخاذل والى ذلك يشير شاعرنا فى كثير من قصائده ويقترن ذلك عادة بتراخى المبادىء الروحية واضطراب المعتقدات الدينية :

تبـدّم الأديان من خلفكم وليس فى الحكمة أن تنبذا
لا قاضى المصر اطعتم ولا الـ حبر ولا القس ولا الموبذا

فيؤول الأمر الى الانغماس فى الشهوات والاقبال على المحرمات . ولذا يكثر فى شعر المعرى مهاجمة الفساد الاجتماعى وخصوصا التهتك الجنسى ومعاقرة الخمر واليك بعض وصفه لأهل عصره

قد علموا أن سيخطف الشبح فاغتبقوا بالمدام واصطبحوا
ما حفظوا جارة ولا فعلوا خيرا ولا فى مكارم رجحوا

ويلقى التبعة فى هذا الفساد العام على بعض رجال الدين لانصرافهم عن الروح الى المادة وعن خدمة الناس الى مآربهم فهو ينعتهم بالرياء والجشع والشهوة وما الى ذلك من النعوت الذميمة

ولعلنا نستطيع ان نختصر وصفه لبيئته السياسية الاجتماعية بقوله :

حديث فواجر وشراب خمر وقتلى يطرحون لام عمرو
ومهلك دولة وقيام أخرى كذاك الدهر أمر بعد أمر

بيئته الفكرية

قضى شاعرنا نحو النصف من عمره فى القرن الرابع الهجرى والنصف الآخر فى القرن الخامس فيكون قد عاصر الثقافة الاسلامية فى عنفوان نشاطها

فى ذلك العهد كان فى العالم الاسلامى ثلاث حواضر كبرى ــ بغداد عاصمة العباسيين ، والقاهرة عاصمة الفاطميين ، وقرطبة عاصمة الاندلسيين . على ان الحركة الفكرية لم تنحصر فى هذه الحواضر الثلاث . فقد نشأ ــ كما يخبرنا التاريخ ــ دول صغرى نافست هذه الدول الكبرى فى العطف على اهل الادب والعلم . وكانت حواضرها مراكز علمية كبيرة تبذل فيها الأموال الطائلة فى سبيل العلم والعلماء . وقد حدا ذلك كثيرين الى التنقل من مدينة الى مدينة طلبا للدرس على بعض الاساتذة المشهورين او انتجاعا للعلم فى بعض المكاتب الكبرى

وفى القرن الرابع ــ وهو القرن الذى نشأ فيه شاعرنا وأتم تحصيله العلمى ــ نضجت العلوم اللغوية . فنظمت المعاجم ووضع كثير من كتب اللغة واستقرت الطريقة البيانية فى الانشاء التى يمثلها ابن العميد والصاحب والصابى والخوارزمى وبديع الزمان والثعالبى والعسكرى وسواهم . وفيه بلغت العلوم الدخيلة من طبية وفلسفية ورياضية وطبيعية ، أوجها ويكفى أن نذكر من رجالها السابقين واللاحقين الفارابى والرازى ، وابن سينا واخوان الصفا ، عدا من نبغ منهم فى بلاد الاندلس . ومثل ذلك يقال فى التاريخ فقد بلغ فى عهد المعرى شوطا بعيداً من التقدم . ويكفى للتمثيل ان نذكر المسعودى والاصفهانى ومسكويه وابن النديم ، عدا من سبقهم من اهل القرن الثالث كالطبرى واليعقوبى واضرابهما . وكذلك علم الكلام الذى بلغ أوجه فى الغزالى (ولد بعد

سنة من موت المعرى) ونشير اشارة خاصة الى المذاهب المتنازعة من خزرج وشيعة ، ومعتزلة ، واشعرية وصوفية . فقد كانت على أشدها فى عهد المعرى وما قبله

تلك هى التربة الفكرية التى انبتت لنا المعرى . تكاثر دور العلم فى شتى الحواضر الاسلامية ـ تنظيم المعاجم والقواعد اللغوية ـ سيادة التأنق البديعى فى الانشاء ـ التوسع فى المباحث الفلسفية والطبيعية ـ واشتداد التنازع بين المذاهب الكلامية

وكيف التفت الى حياة شاعرنا وأدبه تجد أثر هذه البيئة ظاهراً فيها للعيان فهو من حيث اللغة لغوى واسع الاطلاع ولوع باستعمال الغرائب اللفظية . وهو فى مضمار الاناقة البيانية منشىء قدير يتكلف السجع والبديع أحيانا ولو أداه ذلك الى الغموض كقوله فى أحدهم :

كبرت فاصبحت للراشدين   كبرت بعد لهدى دليلا
كبرت فما زال هذا الزمان   كبرت يجذ قليلا قليلا

ومثل هذا التكلف كثير جداً فى نثره وشعره ، فلا جرم إذا جاء قسم كبير منه مبهما يعسر فهمه حتى على أهل الأدب ولو دققنا فى أسباب عسره وملل النفس أحيانا منه لوجدناها فى تكلفه ما كان يتكلفه أهل زمانه من محسنات بديعية ، واشارات تاريخية أو لغوية ، وأوابد لفظية

وتظهر فى أدب المعرى ثقافة عصره العلمية بما يعكسه لنا من معرفة الافلاك وطبائع الاشياء والاحياء وأدوات العلوم المختلفة ومصطلحاتها مما يشف عن أدب شامل واطلاع واسع

على أن اهم ما ينعكس من بيئته الفكرية نظره القلق فى الوجود ونقده الشديد للانسان والمجتمع ، ولا نشك ان المعرى ولد وفيه ميل الى التفكير وان أحواله الجسدية قد أرهفت هذا الميل فيه على ان ذلك لم ينضج فيه إلا مع الزمان فقد كان فى صباه وأيام شبابه لا يختلف كثيراً عن معاصريه ـ كان مع تفكيره راغبا فى الحياة مجاريا سواه فى موكبها العام ، وكان متمسكا بالدين يناضل عنه ويهاجم الملحدين . ولكنه لم يكد يبلغ الخامسة والثلاثين حتى نرى فى شعره مرارة غير عادية ـ ثم نراه فى السابعة والثلاثين قد اتخذ لنفسه طريقا جديداً فى الحياة ، فأصبح متقشفا ـ ظاهر النقمة ، لا ثقة له بالانسان ولا بما سنه من شرائع ولم يبق من آثار شبابه الفكرية الا تسليم عام بوجود اله قادر وقضاء قاهر

نشأ شاعرنا مثاليا على أن بيئته حولت تلك المثالية فيه الى تشاؤم عميق صبغ شعره بلون اسود قاتم . فما المذاهب المختلفة من معتزلة وجبرية وصوفية وغيرها إلا أبواب للرزق والكسب

مذاهب جعلوها من معائشهم   من يعمل الفكر يعطه الارقا
وكانا قوم سوء لا أخص به   بعض الانام ولكن اجمع الفرقا

ذلك هو رأيه فى الفرق الدينية وزعمائها وله فى ذم هؤلاء من الأهوال ما يملأ صفحات عديدة فنكتفى بالاشارة اليه . ولم يقف المعرى عند حد التهجم على الفرق وزعمائها بل تجاوز ذلك

الى نقد الأساطير الدينية عموما ومن أقواله الكثيرة فى ذلك :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان أهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

فالعقل والتعليم الدينى الذى عرفه فى زمانه لايتفقان . وانما الدين الحقيق ـ الدين الذى يقبله العقل ـ فهو المجرد عن الخرافات المتصل رأسا بتصرف الانسان من انصاف وضبط نفس ، وترفع عن الدنايا ، ورغبة فى الخير

الدين انصافك الاقوام كلهم وليس دين لابى الحق ان وجبا

سبح وصل وطف مكة زائرا سبعين لا سبعا فلست بناسك
جهل الديانة من اذا عرضت له اطماعه لم يلف بالمتماسك

والحق يقال أن شاعرنا مثالى سابق لأوانه . وقد عاش فى جو مضطرب مظلم فحاول أن يستهدى بنور العقل

تستروا بامور فى دياناتهم وانما دينهم دين الزنادیق
نكذب العقل فى تصديق كاذبهم والعقل أولى باكرام وتصديق

اذا رجع الحصيف الى حجاه تهاون بالشرائع وازدراها

لكن العقل الذى يحرره من خرافات جيله واضاليلهم لم يهده إلا الى أمرين ـ اللاأدرية والقنوط . فهو برغم تقواه وبرغم اعتقاده بقوة حكيمة مدبرة يقر بأن العقل لا يستطيع أن يعبر الهوة التى بين الجسد والروح

دفناهم فى الارض دفن تيقن ولا علم بالارواح غير ظنون
ورومك الفتى ما قدطوى الله علمه يعد جنونا أو شبيه جنون

وهو برغم رغبته فى الخير لا أمل له باصلاح الفساد البشرى

واللب حاول أن يهذب أهله فاذا البرية ما لها تهذيب
وجبلة الناس الفساد فضل من يسمو بحكمته الى تهذيبها

فاذا عرفنا الجو الذى نشأ فيه عرفنا أن شاعرنا لم يكن فوضويا ولم يقصد فى أول أمره الهدم المطلق بل كان جل قصده الاصلاح الاجتماعى . لكن ذلك الجو أثر فى نفسيته الحساسة تأثيراً دفعه الى اليأس . وقد يؤخذ عليه بعض شذوذه الفكرى وتنطعه اللغوى ، على أن شخصيته تجمع بين الاخلاص للحقيقة والعنف فى مهاجمة الباطل . فقد كان الشعراء قبله لايرون فى الأدب إلا مايوصل الى اغراضهم فجاء المعرى مترفعا عن الاغراض الذاتية راغبا فى اصلاح الحياة البشرية على أن اليأس تغلب عليه فجاء شعره قاتم اللون كأنما هو مصباح تنفذ أشعته الينا من وراء زجاجة سوداء

انيس المقدسى

المصرى الناقد

(بقية المنشور على صفحة ٨٧٢)

فاستعدى عمر رضى الله عنه على الحطيئة ، فدعاه حسان بن ثابت فقال له : أتراه قد هجاه بهذا ؟ فقال : ما هجاه يا امير المؤمنين ولكن سلح عليه ! ولم يكن عمر بن الخطاب ممن يخفى عليه موضع الاقذاع فى مثل هذا ، ولكنه أراد بتجاهله اطفاء الفتنة والتفريج عن الزبرقان

وكانت سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما من أبصر الناس بنقد الكلام ، حدثوا أنه اجتمع بالمدينة بعض رواة الشعراء ، فاختلفوا فيا بينهم ، وقال كل منهم صاحبي أشعر . ثم تراضوا على أن يحكموا سكينة . فقالت لصاحب جرير : أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فاذهبي بسلام ؟

وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق ؟

ثم قالت لصاحب جميل : اليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها   ولكن طلابيها لما فات من عقلى

ما أرى بصاحبك من هوى ، انما يطلب عقله !

ثم قالت لصاحب نصيب : اليس صاحبك الذى يقول :

اهيم بدعد ما حييت فان امت   فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدى ؟

فما أرى له همة إلا فيمن يتعشقها بعده !

وما نسب الى سكينة وغيرها فى هذا الباب كثير ، نكتفى منه بهذا القدر الذى قدمناه

وقد رأيت أن النقد ، فى ذلك العهد ، لم يتجاوز ، فى الجملة ، وقوع الخاطر السريع على موضع النكتة ، وتجليتها فى أبشع صور التعييب والتهجين ، وقد يجليها فى أحلى صور التبهيج والتزيين . أما النقد اللغوى ، على اختلاف صوره ، والنقد العروضى فلم يكن لهما حظ فى وزن الكلام لأن اللغة كانت لم تزل فصيحة ، والفطر ما برحت سليمة صحيحة

فلما كان جعفر بن يحيي وكان ابو عثمان الجاحظ ، جعل كل منهما يحقق النظر فى مأثور الكلام ويجهد فى تقليبه وامتحانه ، ليقف على أسرار بلاغته وعلى علل القبح فيه ، حتى استظهرا من هذا صدراً ، اذا لم يضبط بقواعد عامة ، فقد لوح بهذه القواعد تلويحا

ثم جاء من بعدهما قدامة بن جعفر ، ثم عبد القاهر الجرجانى ، فأمعنا فى البحث والفحص ، وجدا فى الامتحان والتقليب . وبذلك اتسقت للبلاغة العربية قواعد ضبطها السكاكى بعد ذلك ضبطا ، وضغطها ضغطا بما أقام لها من الحدود والرسوم

وهنا يجمل بنا أن ننبه الى أن علوم البلاغة ليس من شأنها طبع الناس على البلاغة ، وقد

بسطنا هذا فى كلام طويل ، ولكنها فى الواقع علوم نقدية ، تنتهى آثارها الى التنبيه الى مواطن الحسن والقبح فى مطاوى الكلام

ولا يفوتنا أن نشير كذلك الى أنه لما تراخت الايام بالعربية الصريحة ، ونفذت العجمة الى الملكات ، جد النقد اللغوى ، وجعل النقدة يتعقبون الشعراء ، ويحصون عليهم الخلاف لغة العرب سواء في دلالة الالفاظ على المعانى ، أو فى اعرابها وفنون صرفها ، أو فى كيفية تأليفها ، وغير ذلك من أساليب البيان

كذلك عمد الخليل بن احمد الى تحرى اشعار العرب من جهة أوزانها وتقاسيمها ، ورويها وقافيتها ، وما قد يدخل على الشعر من الزحافات والعلل ، وأبان مايجوز من ذلك وما لا يجوز ، واستخلص من هذا فنا له صبغة نقدية أيضا ، أعنى فن العروض

وبعد ، فلا شك فى أن من أشد ما دفع العلماء للاحتفال بالنقد والتشمير فيه حتى اتسعت آفاقه ، وترامت أقطاره ، أمرين : الأول الاجتهاد فى التعريف بوجوه البلاغات فى القرآن والكشف عن أسرارها ، والدلالة على اعجازه فى حقيقته ومجازه

أما الثانى ، ففى سبيل المفاضلة بين الشعراء ، واجتماع كل ناقد لتجلية بلاغات صاحبه ، والتنبيه الى مواضع الحسن فى شعره ، ومواطن البراعة فى نظمه ، والاشادة بسبقه كلما استحدث جديداً . وكذلك التحسس من معايب قرنه ، وتسقط مزاله ، والابانة عن مواضع الاسفاف فى معانيه ، والفسولة فى لفظه ، والاسترخاء فى نظمه ، وهكذا . ولا أرى بدأ من ان أعود الى القول بأن علوم البلاغة كما فشلت فى تعليم البلاغة وطبع الناس عليها ، فقد فشلت كذلك فى إذكاء ملكة النقد ، وتوسم أسرار الحسن والقبح في المنظوم والمنثور جميعا

وان من يتقرى آثار كبار النقدة من القدماء والمحدثين ، لا يراها متهدية إلا بالطبع ولطف الحس ورهافة الذوق ، وبالعلم باللغة ، أعنى متنها ونحوها وصرفها ، وبالعروض كذلك

نقد المعرى

لم أقع للمعرى على نقد متسق مطرد مجتمع الشمل إلا في كتابه (عبث الوليد) فى نقد ديوان البحترى . وانى أسوق اليك صدراً يسيراً منه لتتعرف مذهبه فى النقد وتتذوق فنه ، قال :

قال البحترى : أشلى على منويل أطراف القنا ونجا عتيق عتيقة جرداء

ينكر عليه أنه قال : أشلى ، فى معنى : اغرى . والمعروف ان « الاشلاء » فى معنى : الدعاء ، لامعنى : الاغراء . وقد حكى أن « الكميت » استعمل « الاشلاء » فى معنى « الايساد » ويروى هذا البيت فى شعره :

خرجت خروج القدح ـ قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوابح والشلى

وإنما ينكر ذلك من يرده الى السماع . فأما من يحمله على القياس ، فهو عنده جائز . لأنه يجعل « الاشلاء » : دعاء المشلى الى أذاة المشلى عليه

قال البحترى : كدن ينهبنه العيون سراعا فيه لو أمكن العيون انتهابه

فى النسخة : « كدن » وهو جائز . على أنه ردىء ، لأن الصواب ان يقال : رأته النساء ، فيؤنث الفعل بالتاء . أو : رآه النساء . فأما المجىء بالنون فى الفعل المتقدم ، فهو قليل . وذلك على مذهب من قال : أكلونى البراغيث . ومنه قول الفرزدق :

ولكن ديافىّ : أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه

ولو قال : كاد ، لجاز ، وخلص من هذا الوجه . ويكون فى كاد ضمير المذكور ، فان جعله للعيون فهو جائز أيضا . الا أن الضمير يجىء فى ينهبن ، فتنفر الغريزة من ذلك ، لخلو « كاد » منه

وانما حمل أبا عبادة على مجيئه بالنون فى « كدن » كون « ينهبن » بعدها فى بناء البيت

قال البحترى :

فغدوت ذا بر لديك ونائل ورويت من اهل لديك ومرحب

هذا يحتمل ثلاثة معان :

أحدها : أن يكون يريد به كثرة الترحيب . من قوله : مرحبا وأهلا . وليس هذا بفائدة للممدوح ، الا أنه يدل على البشر والكرامة

والثانى : ان يكون أراد أنى من قولك لى : « اهلا ومرحبا » رويت ، وهذا كما يقال للرجل : إذا رأيتك فقد استغنيت

والثالث : أن يعنى كونه فى اهل ـ أى : من ينوب منابهم ـ وفى مرحب ـ أى : محل واسع. انتهى

وبعد ، فنقد المعرى يريك مبلغ غنى الرجل ووفرة محصوله من اللغة ، وكيف أحاط بها من جميع اقطارها ، ما يكاد يجل على علمه فيها جليل ، او يدق عن فهمه منها دقيق . وتراه فى نقده يصرف الى اللغة أجل همه ، على أنه لافت صدراً منه الى النقد العروضى ما أصاب موضعا للانتقاد . أما نقد المعانى ، وتفقد وجوه الحسن والقبح ، والاشارة الى ما فى نظم الكلام وما يتهيأ له من القوة والسلاسة ، او الترهل والفسولة ، فذلك ما لا يكاد يعنى المعرى كثيراً ولا قليلا !

على أن مما يلحظه مطالع المعرى الناقد ، أنه كثيراً ما ينكر الأمر على الشاعر . ويكشف عن جهة الخطأ فيه . ولكنه سرعان ما يدور من هنا ومن هنا فى طلب المخرج والتماس الوجه . وكذلك ترفق أشد الترفق بالبحترى فى نقد ديوانه ، وان سماه « عبث الوليد »

عبد العزيز البشرى

وكلاء الهلال

فى الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York. N.Y (U.S.A.)
فى اللاذقية	سوريا	الخواجه نخله سكاف
فى انطاكية	سوريا	انيس افندى انطونيوس لاذقانى
فى اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قرى
فى طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندى حصنى ـ غرفة القراءة الامريكية
فى حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
فى الناصرة	فلسطين	موسى افندى خميس
فى بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندى طباره ٩ شارع اياس بيروت
فى دمياط		زكريا افندى الحزاوى، ناظر مدرسة الحزاوى
فى حلب	سوريا	عبد الودود افندى الكيالى صاحب المكتبة العصرية
فى مكة وجدة والحجاز		هاشم افندى على النحاس ص . ب ٩٧ مكة
فى الارجنتين	Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)	Snr. Nicolas Younes
فى جاوه		Mr. Abdullah Bin Afif—Cheribon Java
فى القاهرة وضواحيها		عوض افندى فهمى

الأدبُ والدَّوْلةُ

للحكومة أن تشجع الأدب على أن تبقيه حرا

بقلم الاستاذ احمد امين

أستاذ الأدب العربي بالجامعة المصرية

« . . لابد مع الأسف أن تتدخل الدولة فتحمى الأدب حتى يحبه الشعب وتشجعه حتى يشجعه الشعب . . . على ألا تضمه تحت جناحها كما كان يفعل الخلفاء والأمراء من قبل ، فان ذلك يقتل الأدب والشعر . . . اذ الأدب لا يرقى فى العصر الحاضر الا إذا كان حراً طليقاً . . . »

من قديم كان الأدب عامة والادب العربى خاصة متصلا بالدولة . كان أكبر مظهر للدولة هم الخلفاء والأمراء فكان الادب يزهر فى قصورهم وعلى أبوابهم ، وكان الخلفاء والأمراء ينفقون عن سعة على الأدباء والشعراء ، فيحيون آمالهم ، وينطقون ألسنتهم . ومن أجل هذا كانت عاصمة الخلافة هى أيضا عاصمة مملكة الأدب ، فى الدولة الأموية عاصمة الأدب دمشق ، وفى الدولة العباسية عاصمة الادب بغداد ، فلما تعددت الممالك تعددت كذلك عواصم الادب ، فحلب عاصمة أدب سيف الدولة ، والقاهرة عاصمة الادب الفاطمى ، وهكذا

ومن الانصاف أن نقول إنه كان هناك نوعان من الادب ، أدب لا يعتمد على الدولة كأدب الغزل وتهاجي الأدباء ، وأدب يعتمد على الدولة كأدب المديح وما اليه ، فأدب عمر بن أبى ربيعة وجميل بثينة والعباس بن الاحنف أدب مستقل ، ليس كعبة الشاعر فيه هو الخليفة ولا الامير وانما كعبته ليلى وبثينة وفوز وأضرابهن ، وأدب أبى تمام والبحترى والمتنبى أدب دولة كعبتهم فيه المعتصم والمتوكل وسيف الدولة وكافور وأمثالهم

وقد غلب الادب الدولى — ان صح هذا التعبير — على الادب الشخصى فأصبح أكثر نتاج الادب العربى للملوك والامراء ومن أجلهم وعلى أبوابهم وبتشجيعهم

وكان لهذا نتائج فى الادب العربى بعضها حسن وبعضها سيء ، فمن نتائجه الحسنة كثرة الثروة الادبية وإعمال الشعراء ذهنهم وخواطرهم فى الانشاء الادبى وتوليد المعانى الى حد يدعو إلى العجب والاعجاب ، حتى لم يبقوا فى المديح قولا لقائل ولا معنى لم يصوغوه على أشكال متعددة ،

يوليو ١٩٣٨

الهلال

وأنماط مختلفة ، ومن نتائجه السيئة أن حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة هى الدائرة التى ترضى الممدوح وتغدق عليهم المال ، وان أصبح الادب العربى الذى نشأ حول القصور ومن أجل القصور أدبا شخصيا لا أدبا عاليا ولا أدبا انسانيا ، يفقد قيمته إذا ترجم ، ويفقد كثيراً من قيمته إذا بعد زمنه ، ولم يكن كالادب اليونانى أو الرومانى فى سعته وشموله وعالميته . ولم يحظ الادب العربى بالاستقلال عن الدولة الا قليلا كما حظى العلم العربى بالاستقلال الى حد كبير

وسبب هذا ـ على ما يظهر لى ـ أن العلم الصحيح يعلم صاحبه الزهد الى حد ما ، ولكن الأدب وخاصة إذا كان على هذا النمط لا يعلم صاحبه الزهد وانما يعلمه طلب الاستمتاع بالحياة الى أقصى حد ممكن . ودليل ذلك ما حدث فعلا فى تاريخ الأدب العربى والعلم العربى ، فبشار وأبو نواس ومسلم بن الوليد وأبو تمام والبحترى الى شوقى وحافظ كان مذهبهم فى الحياة التمتع بها الى أقصى حدود التمتع ، وأبو العتاهية كان زاهداً مزيفا ، وأبو العلاء المعرى كان فيلسوفا أكثر منه شاعراً . أما العلماء فالامثلة لا تحصى على كثرة من رضى منهم بفقره ، وفضل استقلاله على تبعيته للقصور . وقد كان رزق الدولة وغناها فى يد الخلفاء والامراء فلم يكن هناك سبيل لاستمتاع الشعراء والادباء الا أن يقصدوا مركز الثروة وينشدوهم الاناشيد يستدرون بها عطفهم ويستقطرون منها أرزاقهم

نعم كان بعض أفراد الشعب أغنياء كالتجار وأرباب الصناعات ولكن هؤلاء لا يتذوقون هذا الادب العالى فى لغته وأساليبه ، أنما يتذوقون أدبا شعبيا ، والشعراء والادباء يترفعون عن الادب الشعبى وفنونه

* * *

ثم دار الزمان ، وانقلبت الاوضاع ، وتوزعت الثروة وتوزع العلم ، فأصبح الاديب والشاعر يجد رزقه من غير طريق الدولة ، فتحور الادب والشعر تبعا لذلك وأمكن الاديب أن يغتنى من الشعب ، يؤلف الرواية تدر عليه الالوف ، ويكتب فى الصحف والمجلات فتكفيه العيش ، وتمثل روايته على المسرح فاذا نجحت درت عليه ثروة لا تقدر ، ويؤلف الكتاب القيم فى نظر الشعب فتطبع منه الآلاف ، ويجنى منه الآلاف . وهكذا استطاع الادب ان يسابق العلم فى هذا الميدان فيسبقه أحيانا ، وتحولت موضوعات الادب من موضوعات « ملوكية » الى موضوعات شعبية ، فالحب يشغل أكثر فراغه ، والحياة الواقعية تصور أجمل تصوير ، سواء فى ذلك حياة أفقر الناس أو أغنى الناس وهكذا

قد وصل الغرب الى هذا الحد ولكن لما يصل اليه الشرق بعد ، فلم نعرف أديبا فيه اغتنى بأدبه ، ولا شاعراً أثرى بشعره ، بل لم نعرف أديبا استطاع أن يعيش عيشة هنيئة بأدبه ، ذلك لأن الثقافة لم تتقطر الى جمهور الناس بمقدار وافر ، ولا تزال الامية غالبة عليهم ، فكيف ينجح

بينهم أديب كما ينجح برنارد شو وويلز وأمثالهما ؟ وأى كاتب طبع من كتابه الالوف كما يطبعون ، وأى روائى نال من روايته الالوف كما ينالون ؟ فان ذكرت أن ليس فى أدبائنا من يضارع أدباءهم قلت إن النجاح يحث النجاح ، ونسبة ادبائنا الى شعوبنا كنسبة أدبائهم الى شعوبهم ، فلو وجدوا الاقبال ولمسوا النجاح لحولهم ذلك تحويلا سحريا الى نابغين متفوقين

وناحية أخرى شجعت الادب فى الغرب وهى تبرعات الاغنياء للادباء ، فهذا الغنى يخصص جزءاً من ماله لمن يؤلف خير كتاب فى موضوع ، وهذا يقف ماله ويخصص ريعه لجماعة من الادباء ينظمون حركة الأدب ويضعون الخطط لتشجيعه ، وهكذا

فاستطاع الأدب بهذا وذاك أن ينهض على أكتاف الشعب وبمال الشعب وتبرعات الشعب

ومع هذا فقد انشأت الحكومات الأكاديميات المختلفة الفروع ، فمنها للغة ومنها للادب ومنها للعلوم ومنها للطب ، توجت بها الحركات العلمية والأدبية والفنية وكللت بها من نبغ فى علمه وأدبه . وهذه كلها عناصر مفقودة في الشرق فلا الشعب يقرأ كما يقرأ غيره ، ولا الأغنياء يعجبهم الأدب فيتبرعون بشىء من مالهم له ،ولست أعلم وقفا خصص لناحية من النواحى الأدبية

أزاء هذا كله كان لابد — مع الأسف — أن تتدخل الدولة فتحمى الأدب حتى يحميه الشعب وتشجعه حتى يشجعه الشعب

ولست أريد بذلك أن تضعه تحت جناحها كما كان يفعل الخلفاء والأمراء من قبل ، فان ذلك يقتل الأدب والشعر . لا أريد أن يتبادل الادباء والحكومة الغزل فيتغزلون فيها ، ويشيدون بأعمالها ، وهى تتغزل فيهم فتنفحهم بمالها ، فهذا أيسر سبيل للحكم على الأدب بالاعدام ، إذ لا يرقي الأدب فى العصر الحاضر إلا اذا كان حراً طليقا ، ينقد الحكومة كما يحلو له ، وينقد الشعب كما يشاء ، ويغني لنفسه وللناس حسب مزاجه ، طوراً غناء حزينا وطوراً غناء مرحا — انما أريد أن تشجعهم الدولة كما تشجع نوادى الألعاب الرياضية والفرقة القومية ونادى الطيران وما الى ذلك ، فترصد فى ميزانيتها ما تشاء أن ترصده عونا للادباء ، ثم جماعة الأدباء بعد يستعينون بهذا المال على أن يهيئوا لهم ناديا يجمع شتيتهم ، فاذا اجتمعوا تبادلوا الفكر كيف يشجعون الانتاج بالمسابقات وبتوجيه بعضهم بعضا نحو نواحى النقص فى الأدب ، ونحو روابطهم بادباء العالم الشرق والعالم الغربى ، وبانشاء مجلة تعبر عما فى نفوسهم يضمنونها بعض انتاجهم ومقترحاتهم ونقدهم — وعلى الجملة يكونون نقابة كسائر النقابات ، هم أحرار فى ادارتها وتصريف شئونها ، لا يحكمهم إلا غرضهم السامى فى تحرير الأدب وترقيته والنهوض به ، وسد ما يجول فى نفوسهم من وجوه النقص ورسم ما يطمحون اليه من وجوه الكمال ، حقق الله الآمال

احمد امين

أخلاق السياسي

٢ – كيف تطورت وفق المبادىء الجديدة

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر
وزير خارجية سوريا في عهد الملك فيصل

تحدث المقال السابق عن أخلاق السياسي كما رآها مكيافيللي ، وكيف سادت هذه التعاليم الى عهد غير بعيد الى أن ظهرت مبادىء جديدة تطورت معها أخلاق السياسيين وهذا ما يبينه الجزء الثاني من البحث

ذكرنا في مقالنا السابق أن مكيافيللي نصح « الامير » في جملة ما نصحه به أنه اذا افتتح بلاداً كانت تتمتع بحريتها وتعيش على شريعتها فأراد أن يحكمها ويحتفظ بها ، فعليه أن يعريها من أسباب الدفاع فيحطمها ويدك حصونها . وقد ذهبنا في ترجمة هذه التعرية الى أقصى حد ممكن لعلمنا أن أسباب الدفاع اليوم لا تقتصر على القلاع والحصون بل تشمل كذلك سائر مباعث القوة من ثروة طائلة وبحبوحة في العيش ، حتى ان القمح والبيض والزبدة صارت في هذا العصر في مصاف العتاد الحربية التي لايتأخر العدو عن مصادرتها من فم عدوه . ولو كان مكيافيللي حيا ورأى بعينيه ما رأت بعض الأقطار في ابان الحرب العالمية من البؤس والشقاء من جراء الحصار وانقطاع سبل المواصلات ، ما تأخر عن اسداء النصح للامير باتباع ما تتبعه بعض الدول المستعمرة في مستعمراتها في القرن العشرين من انهاك هذه المستعمرات وافقارها وسحب الذهب الوهاج منها ، ثم القضاء على سائر مقومات حياتها كأنها في نظرها جزء من بلاد الأعداء

ويلوح للباحث أن المثل الأعلى الذي وضعه مكيافيللي في السياسة الاميرية لم يحذ حذوه أحد مثل جوزف فوشه وزير نابليون بونابارت ومدير شرطته ورئيس جواسيسه . فقد حدث في سنة ١٧٩٤ مثلا أن انيط بفوشه مرسوم يتعلق بتأديب مدينة ليون على نزعتها الملكية – وفوشه في قلبه لايؤمن لا بالملكية ولا بالجمهورية بل لايؤمن بغير الفرصة الموصلة كما سيتبينه القارىء – فصال وجال واظهر من القسوة والبطش ما بقي الناس يتحدثون به عشرات السنين ويستعيذون من شره . وقد بلغ به الاستهتار بأرواح الناس ان ابدى مزيد أسفه لأن « القصلة » كانت في حز الرؤوس أبطأ من أن تفرج عن الجمهورية كربها أو ان تحقق للجمهور قوته وبأسه ، ومع أنه كان عديم الاكتراث للشئون الادبية المعنوية والموضوعات الدينية فقد حمل على الدين حملة شعواء وأيد

الزندقة تأييداً تاما وحارب رجال الاكليروس محاربة قاسية وكتب على أبواب المقابر جملته المشهورة: « الموت نوم دائم » ، وزاده نجاحا فى سلوكه الشيطانى أنه كان قادراً على كبح جماح نفسه من غير أقل اضطراب يبدو عليه ، وكان يحيط خططه بالتعمية التى تتيه فيها البصائر ، وله قابلية نادرة على عمل الحيلة وتدبير المكيدة ، وهذا كله مكنه من السيطرة على نابليون سيطرة ثقيلة ،ونابليون كما هو معلوم رجل طليق لا يستطيع التقيد . ومما يستوقف الأنظار أن الازمات فى فرنسا لما اشتدت وأخذ بعضها برقاب بعض انتهزفوشه فرصةغياب سيده فأصدرمنشوراً دعا فيهالدولة أن تقيم البرهان الجلي على أن وجود نابليون ليس ضروريا لبعثرة أعدائه وإقصائهم ، وكان لهذا المنشور أثره فى الدولة ،الا أن نابليون لما عاد إلى باريز أقصى هذا المحتال العاق عن وزارة الداخلية . وحدث عقيب ذلك أن أرسل فوشه رسولا الى انكلترا لمفاوضتها على غير علم منه بالرسول الذى أرسله نابليون لهذه الغاية ، إلا أن الوزير الانكليزى خشى أن تكون هناك مؤامرة بسبب هذا العمل المشبوه فامتنع عن كل مفاوضة ، وكانت هذه الحادثة سببا فى اقالة فوشه من مديرية الشرطة

ومن أظهر مزاياه أنه كان يستولى على عقول الرجال السياسيين ممن يقابلونه أو يتصلون به بقوته الغريزية على استكشاف نقط الضعف فيهم وبإحاطته التامة بالموقف السياسى العام وفهمه وقائعه ، وكان حديثه جذابا تتخلله النكات البديعة فى التهكم والاستهزاء ، وكان مزاجه بارداً لا يتأثر بالانفعالات ، لا جرم أنه لم يكن بالخطيب الذى يثير قلوب المستمعين . ولا تعلل حياته السياسية الفذة بمزاياه العقلية الخاصة بقدر ما تعلل بموقفه الحيادى التام نحو الخير والشر كأنه خلق من غير قلب أو كان قلبه من حيث الشعور قد قد من الصخر الجامد ، فلم يكن ليتأثر لا بالاندفاعات الناشئة عن الغضب أو الشهوة ولا بالاوامر التى يوحيها الوجدان ، وسيبقى ذكره ـ كما تقول المجلة البريطانية التى انتقينا منها هذه الملاحظات ـ مقرونا فى التاريخ بالميراث الوحيد المهم الذى تركه للخلف من بعده وهو الطريقة التجسسية الكبرى التى نظمها حتى أوصلها الى درجة الكمال تقريبا ، فلم يبلغ شأوها لانقولا الثانى قيصر روسيا وراسبوتينه ، ولا السلطان عبد الحميد ووما بينه الهمايونى» .

ويأتي فى المرتبة الثانية بعد دسه وتجسسه طمعه الاشعبي الذى لا حد له ، بيد أن الظواهر تدل على أن حرصه على المال كان من باب اعتقاده أن المال هو الصخرة الثابتة فى هذه الأمواج المضطربة التى تموج فى بحار السياسة . ومع أنه لم يتقيد بشيء من المبادىء ولم يقف فى سبيله مانع من الموانع الاخلاقية الا أن سلطته التامة على كبح جماح نفسه وتقديره جميع الاحتمالات الواردة تقديراً رياضيا دقيقا هادئا حالا دون دخوله فى مؤامرة لم يكتب لها النجاح فى النهاية . وكان للفظائع التى ارتكبها فى فاتحة عصره السياسى فى تأديب الملكيين والبطش بهم من غير شفقة ولا رحمة ، ثم لقبوله المنصب الحكومى على العهد الملكى فى أيام لويس الثامن عشر فى ختام هذا العصر ـ وهما ظاهرتان متنافرتان على ما بينهما من بعد المسافة ـ الاثر الفعال فى ضياعه وسقوط قيمته فى نظر

جميع الاحزاب فى الدولة ، ورأى الناس سيرته السياسية ومسلكه الوطنى على ضوء جعل حياته شؤما فى أعين الناظرين ، وقلما وجد فى عصر من العصور رجل مثله استباح فى سبيل نجاحه المؤقت كل اعتبار أخلاق أو سياسى بل كل حرمة شخصية

يقرأ السياسى الناشىء فى أوربا ترجمة فوشه وأضرابه ممن أساءوا إلى أممهم بما كادوه لها ، فيحفظها فى نفسه من باب الذكرى التاريخية فقط وهو مغتبط لنجاة بلاده من هذا النوع من التدنى الخلق والاجرام الوطنى الذى لا وجه له ، فما عسانا أن نقول نحن وبعض بلادنا لا يزال مسرحاً يمثل عليه بعض الذين لا يختلفون عن فوشه هذا فى شىء إلا فى بزهم له فى النقائص من كذب مشهود وتجسس مبتذل ومصلحة مادية حقيرة وتقلب فى المبدأ ينقلب فيه صاحبه بين عشية وضحاها من احتلالى علنى الى استقلالى ناجز ، والا فى قصورهم عنه فى التؤدة والحساب الدقيق وكبح جماح النفس ؟

هذا مثال من الروح المكيافيلية إذا ما طغت فى الشئون الداخلية ، ولدينا مثال آخر عليها فى الشئون الخارجية يبدو فى سيرة البرنس كليمنس مترنيخ (١٧٧٣ — ١٨٥٩) فقد كان هذا الأمير بطبيعته مثل معظم الأمراء عظاميا لا يسمح للمزايا أن تزدهر الا على الأغصان التى تنمو من الأرومة الارستوقراطية . وكان للحوادث التى أعقبت الثورة الفرنسية الأثر البارز فى تثبيت ما فى طبيعته من الميل الى المحافظة والتمسك بالقديم ومحاربة الجديد على أنواعه وفى المقدمة الحرية طبعا . والواقع أن الثورة الفرنسية وما تخللها من جرائم منكرة خولته انتحال الأعذار فى محاربة ماكان يدعوه « بدعة » ومنحته أساسا تاريخيا لمقاومة سيل التجدد . ومن أقوى الادلة على ما امتاز به من دهاء تلك العقبات الكأداء التي وضعها فى طريق الوحدة الجرمانية اذ كان يراها « بدعة » سياسية من الطراز الأول وخطراً شديداً على بلاد النمسا . ولما رأى أن الملوك الجرمانيين أمثال ملك بافاريا كانوا قد استسلموا لنابليون ورضوا لأنفسهم مقاما ذنبيا ملحقا به بحيث أصبحوا عمالا من عماله — لما رأى مترنيخ ذلك منهم ورأى من ناحية أخرى أن بروسيا تحاول لم شعثهم وتأليف وحدة جرمانية منهم قام ينتصر لاستقلالهم ، انتصار السياسة الفرنسوية لاستقلال الدروز والعلويين والجزيرة العليا فى سورية ، فعقد محالفات خاصة بهم تضمن لهم استقلالهم دفعا للوحدة الجرمانية التى كان يخشاها كما يخشى الاستعمار الوحدة السورية ومن ورائها الجامعة العربية ، وما زال يسير فى هذه الخطة التمزيقية حتى تلاشى الحلم الذى ظهر سنة ١٨١٣ بتأليف الوحدة الجرمانية الكبرى

هذا هو العمل الشرير الذى أضمره مترنيخ لجرمانيا كما يضمر الاستعمار الشر للعرب ، ولكن لما حانت الفرصة لأدولف هتلر منقذ الجرمانيين استولى على بلاد مترنيخ فى ثمانى ساعات من غير أن يطلق بندقية واحدة ، وسيفوز بالخيبة كما فاز مترنيخ أولئك الذين يحاولون تقسيم العرب

وتجزئتهم ، وذلك عند ما ترن ساعة العروبة فيذكر الناس حينئذ اعداء العلم العربي بالامتعاض كما يذكرون أعوانهم وزبانيتهم ممن رضوا بكل مذلة فى سبيل الكراسى التى يجلسون عليها باللعنات

ومثل مترنيخ دوراً خطيراً مشابها لهذا الدور فى سياسة الوحدة الايطالية ، فقد عمل جهده لمنع هذه الوحدة بربطه المقاطعات الايطالية الصغيرة بالتاج النمسوى بعد اعترافه لها باستقلالها المحلى ليحول هذا الاستقلال دون جمع كلمتها ، كما يراد من نظام المحافظات اللامركزى فى سورية ومن ورائه حماية الاستعمار الفرنسى للاقليات الدينية والجنسية

ويبتدىء الجزء الثانى من حياته من سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٤٨ إذ كان الزعيم المتفوق للسياسة الاوربية التى اتخذت فى عهده شكلا محافظا متطرفا يليق بالعميان والحمقى ، فأيد الملكية المطلقة تأييداً تاما وحمى الفوضى الاخلاقية بكل قوته ، وما حملاته المنكرة على الاحرار والمصلحين فى كل عصر ومصر الا حملات الجنون والصبينة . وكان له أثر بارز فى مقاومة الدول الديموقراطية الدستورية واطالة عمر الديكتاتورية القاهرة واثارة الضغائن بين الشعب وامرائه مما أدى الى ثورة سنة ١٨٤٨ . ولم يكن هذا الرجل من ذوى العقائد الراسخة إلا فى إيمانه بأنه رسول جاء لتأييد السلطة الحاكمة . وتجلى كرهه للحرية خاصة فى مقاومته الروح الجرمانية الجديدة فأقام رقابة على الصحف الجرمانية أخفتت صوتها وجعل التعليم فى الجامعات الجرمانية خاضعا لضباط يقومون عليه من جانب الدولة ، وأخضع كل مظهر من المظاهر النيابية التمثيلية لسلطة التاج مباشرة وحل الجمعيات كلها . وقد طال عمره حتى رأى بعينيه مشاريعه تخفق الواحد منها تلو الآخر

قال الأستاذ أوسكار بروتنج فى تاريخه « العصر الحديث » صفحة ٣١٩ : « بقى مترنيخ زهاء ثلاثين سنة متسلطا على مجالس أوربا من غير منازع ، وليس من حسن الشهادة فى شىء بحق الذين جاروه ومشوا وراءه أن يكون فارغ صغير منحط الاخلاق مثله قابضا بيد من حديد على زمام النفوذ الذى تمتع به . وقد ذكر لنا (أوكز نستيرن) كيف أن الشىء النزر القليل من الحكمة يدير الشئون الحكومية فى العالم . ويدلنا التاريخ على أن الاشخاص من ذوى الطبائع المتقلبة الخفيفة الادراك التى تعوم كالفلين على سطح القضايا والشئون كثيراً ما كانت لها اليد الطولى فى احداث الشر ، فى حين نرى الرجال من أهل الطبائع الاعمق والاقوى عاجزة عن استخدام قوى العصر الذى تعيش فيه وتسخيرها لارادتها . وما استطاع مترنيخ قط أن يدرك القوى التى أحاطت به والتى آلت فى النهاية الى سقوطه . ويدلنا درس سيرته على أن الشر الذى أحدثه لا يكاد يخفف وقعه عمل من الاعمال الصالحة قام به ، فقد اندس فى نابليون لا كتساب ثقته وأغراه بطلاق جوزفين وزواج مارى لويز ، ومع أنه كان عليه أن يؤيد الامبراطورية الفرنسية بما ارتبط به من قيود الشرف ، بل من قيود المصلحة ، فقد خان عهد نابليون أحط خيانة وأنكره فى ساعة الحاجة الملحة ، وبينما صار فى مقدوره أن يحطم هذه الشخصية القوية فقد حطم كذلك نفس

البلاد التى انبتته ، فان الثمسا بسببه غالبا لم تحصل فى الوحدة الجرمانية على المكانة التى تتمتع بها بروسيا فى الوقت الحاضر . ولا نكاد نجد فى مذكراته الضخمة صفحة واحدة تدل على ما يزدان به السياسى من دقة وبعد نظر . وكان يقابل الحماسة الوطنية التى تغلى فى الصدور بحقارة تهكمية ، ولم يحل هزؤه بالارتقاء دون محاربته له بقسوة حيوانية شرسة . ويعد اغواؤه المحكم لمارى لويز ابنة سيده أفظع جرم ارتكبه ، بيد أن هذا الجرم هو نموذج منطبق كل الانطباق على جرائمه الاخرى التى تلطخ سيرته بالعار والشنار . وقد أيد الخلف ما كان يحمله السلف البر من الحقد عليه والكراهية له ، وليس من المحتمل ان ينعكس هذا الحكم القاسى الذى حكمه التاريخ عليه بعد الدرس الدقيق فيصبح له ما كان عليه » انتهى

وبالنظر الى التسامح فى السياسة الخارجية وإغضاء الطرف عن المجرمين فى ميادينها لم يعدم مترنيخ من يدافع عنه حتى فى المجلة البريطانية اذ تقول فى الرد على حملات الكتاب البروسيين عليه وعدهم اياه خائنا للقضية الجرمانية المشتركة أنه من حيث المصلحة النمسوية وخدمة آل هابسبرج يعد فى السياسة من الطراز الاول

وفى هذا الصدد نقول إن تجاوز المجتمع عن سيئات رجال السياسة الخارجية وما يقدمون عليه من منكرات جنائية أقلقت راحة الأمم وهددت الحضارة بالانقراض ، هو نتيجة ميراثنا من السياسة الحديثة التى اعتبرت الدول وحدات محاربة أشبه بالعصابات التى ترود البقاع للغزو وشن الغارة . فعمل وزير الخارجية فى مثل هذه الاحوال هو تتميم عمل وزارة الحربية والتآمر معها على وضع الخطط السرية للهجوم والدفاع ،وهو يقوم بعمله هذا بواسطة ما يدعى الدهاء السياسى ، فهذا الدهاء كثيراً ما يرتكز على سلسلة من المؤامرات وأنواع من « البلف » والتدجيل بحيث يأبى الرجل الكريم التنزل الى هذا المقام على رغم تلك الأسماء الضخمة والطنطنات الفارغة التى تحوم حول كثير من قصور وزراء الخارجية

ويخيل الينا أن هذه النفرة نشأت من شعور جديد أوحته الآلام المبرحة فى الدهاء السياسى بالمعنى المكيافيلى ، ويرجى لهذا الشعور التفوق فى المستقبل ليكون فيصل التفرقة بين الدهاء السياسى بمعنى التجسس والتآمر والخديعة ، والدهاء السياسى بمعنى التعاون لمصلحة الدول نفسها . وهذا لا يعني أننا نعامل هذا الموضوع من الوجهة الانسانية وما تحتمل من جدل وقيل وقال ، بل نعامله من وجهة شعور جديد أخذ ينتشر كثيراً بعد الحرب العالمية وما جرته من ويل يهدد المجتمع بالانقراض ، وهذا الشعور هو الذى أملى على الكتاب كلمة « العقل الدولى » ، بمعنى أن الرجل الذى يتحلى بهذا العقل فى الشئون الخارجية يكون شبيها بالرجل السياسى الذى يتحلى بالعقل الوطنى في الشئون الداخلية ، كلاهما هدفه المصلحة العامة ــ ذاك الاسرة الدولية وهذا الوطن الذى أنبته

اننا نشكو اليوم اضطرابا عاما يقض المضاجع ويهددنا فى الصميم من حضارتنا وثقافتنا وأوضاعنا والتراث الغالى الذى ورثناه عن الماضى ، فمن هم المسئولون عن هذا الاضطراب يا ترى ؟ هم الذين اصطفوا حول مائدة فرساى عقب الحرب العظمى واعتبروا الدنيا فريسة لهم تقاسموها كما شاءوا وشاءت أهواؤهم فانقسم العالم من بعدهم إلى معسكرين : معسكر المظلومين ومعسكر الظالمين. وكانت عصبة الأمم التى أريد بها تمثيل «العقل الدولى» بأصح معانيه أداة - ويا للأسف - لتنفيذ مآرب الظالمين فانتهت الى ما انتهت اليه من المآسى والمهازل ، وهى مشغولة اليوم بإيجاد صيغة قانونية تفى بابتلاع الحبشة كما كانت منذ سنتين مشغولة بجمع الدول من أعضائها على مقاطعة ايطاليا وانزال العقوبات بها . وهذا التحول السريع الداعى إلى الهزء والسخرية والرافع الثقة ليس من عصبة الأمم فقط بل كذلك من تلك المجالس النيابية الضخمة التى تقوم وتقعد بمجرد اشارة من وزير مكيافيللى ، لا يجوز أن يدعو إلى القنوط أو أن يدل على أن السياسة الدولية محكوم عليها بأن تبقى كذلك إلى الابد ، فالوقف الحاضر هو فى الواقع تنازع شديد بين المصلحتين الدولية والوطنية ، فما لم توجد قاعدة للتوفيق بينهما سريعا فيحل التعاون بدل التطاحن وقعت الواقعة التى ستعلّم الدول رغم أنوفها كيف تتعاون ، كما علمت الاضطهادات المتقابلة أرباب الديانات كيف يتساهلون ويتسامحون ، لان التاريخ دل على أن الضرورة الخطيرة هى أقوى فى تأديب الناس من الوجدان والكتب المنزلة . إذن فالمسألة كلها هى ألا يمكن أن تسير السياسة الدولية مع السياسة الوطنية كتفا الى كتف من غير أن يكون تطاحن بينهما ، فلا يؤدى التعاون الدولى العام الى غضاضة على النشء الوطنى الخاص ، ولا يحدث التقدم الوطنى الخاص رد فعل على التعاون الدولى العام ؟ اننا إذا استطعنا ان نؤلف بين القلبين ونوحد بين الصفين ونجمع بين الكلمتين سارت الامور فى الداخل وفى الخارج سيراً تعاونيا منتظما . ويلوح أن الشرط الجوهرى لمثل هذا التعاون هو تحقيق العدل بين الدول كما تعمل السياسة الوطنية لتحقيق العدل بين الافراد ، فيكون الهدف فى السياسة الدولية مصلحة الدول مجتمعة وفى السياسة الوطنية مصلحة الافراد مجتمعين . والقائلون بالسياسة الدولية بهذا المعنى يتخذون استثمار الارض لا احتكارها ، وتوزيع موادها لا الاستغلال بها ، ورفع المستوى العام لا تخفيضه ، ونشر الحرية بين الناس لا تحريمها عليهم ، ورفع كابوس الجهالة عن رءوسهم لا تغشية أبصارهم وبصائرهم - يتخذون هذا كله وما يتصل به من الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى الشامل أساسا للتعاون الدولى ، لانه اتضح لاهل النظر أن الفقر والاستئثار والجهل والعبودية والمرض وتدنى الاخلاق وما الى ذلك من الادواء الوبيلة فى الدولة الواحدة يعجز الحجر المادى والمعنوى بالغا ما بلغ من الدقة والاحكام عن منع عدواها الى الدول المجاورة ، فاذا كان جارك بخير كنت كذلك بخير والا فالرذيلة تعدى كما « تعدى » الفضيلة

ومن سوء الحظ أن هذه العظة البالغة التى تمليها المصالح المحسوسة كل يوم لم تلق الا اعراضا

وكشحا مطويا وأذنا صماء . ولم يكن تاريخ الدول الحديث بالتاريخ اللألاء ، بل لا يزال على مسرح السياسة الدولية أفراد خيرلهم وللمجتمع لو عاشوا فى الأدغال ودافعوا عن العصابات المسلحة التى تروود الأنحاء لشن الغارة ، لا عن مصالح الدول المتحضرة فى القرن العشرين

هذا بشأن السياسة الدولية العامة أما السياسة الوطنية الخاصة فمن حسن الحظ أنها بفضل ارتقاء الادراك العام وما يصحبه من ضمور الشعوذة وانحلال التدجيل قد تخلصت من الشىء الكثير من هنات القرون الماضية ، فالكذب و « البلف » وخيانة المبدأ والعبث بالعقول والحرص على الكرسى وبيع الذمم فى سبيل المصالح المادية الحقيرة كل ذلك لم يعد له أثر فعال فى السياسة الوطنية . وأن رجلا مثل فوشه مهما لم حوله من المطبلين والمزمرين والمصفقين والرقاصين والمهرجين والناعقين ومن لف لفهم من المبطلين المأجورين بالدريهمات النجسة ، لا يجد له فى عصرنا كرسيا محترما يجلس عليه حتى فى البلاد الآخذة فى التملص من نير الاستعمار ، فوضع الخطة البعيدة المحكمة والاخلاص لها والتحلى بالمزايا الموصلة الى تحقيقها من استقامة فى الخلق وارتكاز فى الفكر واستجابة للقوة وجرأة فى العمل مع تاريخ منسجم ثابت يدعو الى الثقة ـ هذه كلها شروط جوهرية لا بد منها لمن يطمع أن يكون فى بلاده رجل الساعة ومؤسس الدولة

عبد الرحمن شهبندر

أبو العلاء المعرى

ننشر فى العدد القادم من الهلال دراستين جديدتين عن أبى العلاء ، هما :

(١) الرثاء فى شعر أبى العلاء ، للاستاذ احمد الشايب

(٢) تحليل نفسية المعرى فى ضوء السيكولوجيا الحديثة ، للاستاذ احمد خيرى سعيد

انقضى الآن ثلاثون عاما على وفاة محرر المرأة المصرية قاسم أمين . وقد لاقت دعوته من النجاح بعد وفاته ، قدر ما لاقت من الاستنكار فى أثناء حياته . ولكن ما نجم عنها من نتائج يحملنا على أن نتساءل :

هل أخطأ قاسم أمين

فى دعوته الى تحرير المرأة ؟

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

قال العلامة الكبير (اجوست كومت) مؤسس علم الاجتماع والفلسفة الوضعية فى كتابه (النظام السياسى) :

« كل أدوار الانتقالات الاجتماعية قد ولدت كما فى زماننا هذا ضلالات خيالية على حالة النساء الاجتماعية ، ولكن القانون الطبيعى الذى يخصص الجنس النسوى للحياة البيتية لم يتغير ابداً تغيراً خطراً »

وهذه الضلالات فى نظر واضع علم الاجتماع هى ما كان يكتبه بعض الكتاب فى أوربا تحت عنوان : (تحرير المرأة)

التسمية فى نفسها تؤثر فى كل نفس كريمة ، فمن الذى لا يود أن تحرر اخواته فى الانسانية من الأسر وقد حررت الاماء السود فى جميع بقاع الأرض ، ويغفل الاكثرون عن أن هذه التسمية مبنية على اخطاء علمية ، سوغت لعمدة الفلسفة الوضعية أن يسميها ضلالات خيالية . فلم تنص شريعة فى الارض مهما انحطت على أن النساء أسيرات فى أيدى الرجال ، ولا أنهن مجردات من جميع الحقوق ، ولكن الأمر الواقع هو أن للمرأة فى الجماعات المتخلفة كانت تعامل على نسبة مكان تلك الجماعات من سلم المدنية ، ولا سبيل الى تغيير هذه المعاملة ، فان فلسفة محررى المرأة لاتصل الى هذه الجماعات ، ولو وصلت لرموا بها عرض الحائط ، فان لكل دور من أدوار الاجتماع مميزات لا يمكن أن تتخلف على الاطلاق

والذى يتبين من تاريخ الانسان أنه ما فتىء يزيد من حقوق المرأة عليه كلما ارتقت حالته الأدبية وازداد شعوراً بواجباته الاجتماعية ، فنزل عن كثير من مزاحمه حيالها دون أن تطالبه هى بذلك ، محفوزاً بمحض العوامل الطبيعية ، مما يشعر بأن العلاقة بين الجنسين لابد منتهية الى درجة من

الكمال لا يكون معها محل لشكوى . نعم لم تصل أمة من أمم المعمور بعد الى هذه الدرجة ولكنها منتهية اليها لا محالة ، اذا خلا الجو من المزاعم الطائشة التى يرمى مثيروها من ورائها الى الحصول على ما يطلبونه باسم المرأة من طريق الثورة لا من طريق العوامل الطبيعية

ولقد اتفق فى إبان نعرة تحرير المرأة فى أوربا فى القرن التاسع عشر أن نعرات أخرى فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والخلقية والسياسية كانت قائمة ، أثارتها مزاعم اشتراكية وفوضوية واباحية واصلاحية ، فكان تأثير مجموع هذه النعرات الصاخبة فى ذلك القرن أشد فى زعزعة أركان المبادىء المستقرة فى نفوس الناس من تأثير أكبر الحوادث الانقلابية ، وأفضى ذلك التأثير الى نتيجة لا مفر منها فى مستهل القرن العشرين ، وهى الحرب العامة التى ظلت الانسانية تتناحر فيها خمس سنين متوالية وكادت تقضى على المدنية وتجعلها أثراً بعد عين ، لولا ما كتب لها من بقية حياة الى حين . فكان أثر كل نعرة من هذه النعرات المتطرفة أن ارتكست الأحوال بسببها الى عكس ما كان يراد منها . فاستحالت فى الناحية الاقتصادية الى انتشار البطالة ، وتوالى الأزمات، وتتابع الاضرابات ، واختلال اتزان الاعمال فى جميع البلدان . وكان أثرها فى الناحية الاجتماعية زعزعة الأصول الديموقراطية ، وقيام حكم الفرد مقام حكم الجماعة ، وضياع أكثر المبادىء العليا التى حصلها الانسان فى خلال العصور باراقة دمه ، وأصبحت الجماعات مضطرة الى اللجأ لحكم القوة ، ففزعت الى التسلح باذلة فى سبيله كل ما تملك من حول وحيلة

وكانت ثمرتها من الناحية السياسية سريان سوء الظن بين جميع الامم ، وتنبه الأحقاد الجنسية وهضم حقوق الأقليات لدرجة حرمانهم من العمل لكسب قوتهم ، حملا لهم على الجلاء من بلاد استوطنوها مئات من السنين ، وعدم المبالاة بالعقود المبرمة ، والعهود المقطوعة ، حتى صرحوا بأنها وقصاصات الأوراق سواء . وابتنى على ذلك كله الجرى على قاعدة الأمر الواقع ، فأصبحت كل أمة قوية تبيت لجارتها مايدا لها من الحوادث ، حتى اذا أصبح الناس وجدوا أنفسهم حيال انقلاب كان لا يمكن حدوثه لو كانت النفسية السياسية للقادة فى حالتها التقليدية

أما من ناحية الآداب العامة فقد كان من نتائجها أن تفككت جميع ربط الاخلاق ، وانحلت عرى حوافظها المعنوية ، فلم يبق لسنتها التقليدية اعتبار فى نظر الخاصة والعامة ، فسمح كل فريق لنفسه أن يعمل ما يبدو له كأنه مستقل برأسه ، وضعف سلطان الرأى العام فلم يعد أحد يعتد به متى تراءت له مصلحة شخصية فى احتقاره

هذه الكارثة الخلقية حلت بالبيوت فلم يبق لرب الاسرة المنزلة التى كانت له من قبل ، وآنس نفسه بين حليلته وبنيه مجرداً من السلطان ، حتى فيما يمس شرفه الشخصى وكرامة البيت . ورأى انه لو قام مذكراً بأدب موروث ، أو بقاعدة مأثورة ، أو بمأساة متوقعة ، قوبل بعاصفة من الاحتجاج ، وضربت له الأمثال بفلانة وفلان ، واحيط به من كل مكان ، فالفى نفسه بين شرين

لاوسط لها ، فاما ان يعتزل أسرته ويعيش آبدا كأنه بعض الضوارى ، واما ان يجدع انف غيرته فيتغابى ليعيش ، متأسيا بمصائب الكافة بين يديه ومن خلفه

ألمت هذه الاباحة الجائحة بصناعة القلم ، فاندس فيها من لا حريجة له من كرامة أو ضمير ، فأطلق ليراعته العنان ليرضى هذه النفوس الهائمة فى متاهات الشهوات ، وبل أوام تلك الفطر النزاعة الى الاباحة والاطلاق . وأى شىء يخشى وقد سلب الرأى العام سلطانه فلا يبالى وازعا من ناحيته ، ووسم داعى الاعتدال بالرجعية فلا يتوقع كريهة من جهته ، واضطر كثير من حملة اليراع الى الأسفاف ، وما هم بأهله ، ولكن المضطر قد يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه !

فاذا عنى باحث بأن يستطلع آراء زعماء المذاهب المختلفة فيما انتهت اليه الحال فى هذا العهد كثمرة لجهادهم ، لما صادف واحداً منهم راضيا بما آلت اليه الامور ، بل لصرحوا له بأن نتيجة جهودهم جاءت مباينة لما كانوا يدعون اليه . فلا الاقتصاديون كانوا يرومون من وراء بحوثهم المستفيضة أن تنتهى الحال الى أزمات عمليه ومالية منكرة ، ولا الى اختلال توازن المبادلات والمعاوضات الى حد أن أصبحت كل أمة تعمل على ان تقطع صلاتها بجميع العالم ، وتكفى نفسها الحاجة الى سواها فيما جل أو حقر ، مما ستكون نتيجته لا محالة قطع أواصر الامم ، وفصم عرى الألفة العالمية التى لاموجب لوجودها إلا ضرورة تبادل المنافع ، وتداول المرافق

ولا الاجتماعيون كانوا يرجون باكثارهم من بيان علل الجماعات ، والسعى لزيادة حظها من الحرية ، ونقداسراف الحكومات فى تجاهل حقوق الافراد ، أن ينتهوا الى هدم سيادة الامة ، واحلال الدكتاتورية محلها ، ولاالى اثارة الدهماء الى حد اقامة حكومات شعبية تنعدم فيها الطبقات وتستحيل الى شيوعية باحتة . ولا شيعة الشيوعية أنفسهم كانوا يتطلبون من وراء سيادة مبادىء كارل ماركس أن تفضى الحالة الى ضرب من الحكومة الاستبدادية لا يستطيع القائم بها أن يحفظ وجودها الا باحداث مجازر بشرية دورية

ولا اشياع الاصلاحات الخلقية كانوا يتوخون من تشنيعهم على استبداد الأوضاع العامة ، والتشهير بالعبودية لوثنية العادات والتقاليد الضارة ، أن تؤول الحال بالناس الى نكران جميع الأوضاع والعادات ، والخروج الى باحة الفوضى الخلقية ، كما هو حاصل اليوم

ولا زعماء النقد الادبى كانوا يرجون بما نعوا عليه من تحدى الأساليب العتيقة ، والورع البالغ فيه عن ذكر المساوىء البشرية فى عبارات صريحة ، أن تنتشر الدعارة الكتابية الى حد أن توقف البراعات الفنية على نشر ما يثير الشهوات البهيمية ، ويقضى على عاطفة الصلاح فى النفس البشرية

ولا الذين كانوا يدعون لتحرير المرأة والمطالبة باستقلالها كانوا يرمون أن يقضوا عليها بأن تعيش على هامش الجماعة كما هى اليوم ، خارج دائرة الزوجية ، وأن تقصر على أن تكون أداة

شهوانية ، فاذا لم تعد تصلح لذلك نبذت الى عالم الحرمان مع أولادها الطبيعيين ، وأن تستتبع هذه الاباحة انتشار العزوبة ، واقفار البيوت ، وذيوع الامراض السرية ، وقيام نوادي العري التي يجتمع فيها الرجال والنساء عرايا على حالة تأباها الكرامة الانسانية

فلو أراد الباحث المنصف أن يعرف الطائفة التي فازت بما دعت اليه بحظ مرض ، أو اعتبرت ما آلت اليه الأحوال تمشيا نحو تحقيق غرضها ، لما وجدها في واحدة مما ذكرت وما لم أذكر . بل لرأى رأى العين أنها خسرت جميعا خسارات فادحة في مبادئها وتعاليمها ، وأصبحت لا تستطيع أن تتابع جهودها ، اللهم إلا في ناحية واحدة وهي الدعوة الى التعقل ، واعادة النظر فيما العالم ماض فيه راكبا رأسه لايلوي على شيء

***

الدعوة الى تحرير المرأة في مصر كانت فرعا من تلك الدعوة نفسها في أوربا ، وقد أصابها هنا ما أصابها هناك ، أي انها تأدت الى شر محض ، واندفعت في تيار لا يرجى الخير ممن يندفع فيه . ولو كان المرحوم قاسم بك أمين حيا ورأى ما نحن رائوه اليوم ، لبرىء الى الله منه ، ولأهاب بالناس الى الرعوى عما هم ماضون فيه

لقد سلخنا في تحقيق برنامج تحرير المرأة أكثر من ثلاثين سنة فلم يتم منه غير شيء واحد ، وهو سفور القلة المحجبة من ساكنات المدن ، وكانت النتيجة وصولنا الى عكس ما كان ينتظر من ذلك البرنامج . فقد كان ينتظر واضعه منه ارتفاع مستوى الآداب ، ورواج سوق الزواج ، وتوافر أسباب السعادة في البيوتات ، ولكن الذي حدث هو تدهور مروع في الآداب العامة ، وانتشار مفزع لمبدأ العزوبة . وكنا لا نسمع بحدوث طلاق في الاسر الكبيرة إلا في أحوال شاذة ، فأصبحنا نراه شائعا في تلك الأسر كأنه امر عادي . واضحت جلسات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض ، وتهديد بعض النساء للازواج . وصار من الأمور المألوفة هروب الشابات من دور أهليهن ، وقضاء الايام والأسابيع مع بعض الشبان ، واختتام هذه الفصول بعقد قرانهن في مكاتب البوليس ، ولا تسل عما تؤول حالتهن اليه بعد تلك المأساة المنكرة من السيرة المعوجة ، والحياة الدنسة

لقد طمت هذه الأحوال وتفاقمت شرورها وهي آخذة في الازدياد ، وقد أصبحت جزءاً من التدهور الأدبي العام الذي أصاب الانسانية في هذا العهد الأخير . فاذا اعتبرها الاجتماعيون من العلامات المنذرة بقرب انهيار صرح المدنية الراهنة ، فلم يعدم الصواب ، لأنه لا يعقل أن تنقلب الحياة الانسانية الكريمة ، وهي مستقر الصفات الملكية ، وعوامل السمو الذي لا حد له ، الى مثل هذا الحضيض من الدنس والاسفاف والبهيمية

محمد فريد وجدي

نهضة الجيش في عهد محمد علي

بقلم الجنرال فيجان

عضو الاكاديمية الفرنسية

« بمناسبة نهضة الجيش المصرى فى عهد جلالة الملك فاروق الاول ، نقدم صورة مصغرة لمختلف الجهود الرائعة التى قام بها جده العظيم محمد على الكبير لتكوين جيش مصرى ، والمقال خلاصة لعدة بحوث خاصة بهذا الموضوع اشتمل عليها كتاب الجنرال فيجان عن التاريخ العسكرى لمحمد على وابنائه ، وقد وضع هذا السفر اجابة لرغبة المغفور له الملك فؤاد راعى الثقافة الحديثة بمصر

كان جيش محمد على مؤلفا فى مبدأ الامر من جنود مرتزقة من الاتراك والألبان والسوريين والمغاربة . وكان الفضل لعبقرية محمد على فى تنظيم هذا الجيش وفى مختلف الانتصارات التى أحرزها على الانجليز والماليك والوهابيين وكذلك فى فتح بلاد النوبة وكردفان ودارفور . ولم يكن هناك جيش مصرى بالمعنى الصحيح . فاولئك الجنود كانت تنقصهم الروابط الأدبية ووحدة الروح وعامل التجانس والشعور بالطاعة ، ففكر محمد على فى انشاء جيش جديد من عناصر مصرية . وكان فى حاجة الى عدد من المصلحين والمدربين يستعين بهم على تنفيذ نظامه الجديد . وكان السلطان قد بدأ يوجس خيفة منه ، والدول الكبرى تنظر اليه كتابع لتركيا ، فلم يلجأ لا الى السلطان ولا الى تلك الدول ، وساعده الحظ فعرف كيف ينتهز الفرصة ويحسن استخدامها

وكان سقوط نابليون قد ترك فى أوربا الغربية عدداً كبيرا من الضباط المجربين بلا عمل . وكان محمد على قد قرب اليه الضابط الفرنسى فيسيير — مستشار ابراهيم باشا الفنى فى أثناء الحملة ضد الوهابيين — واعجب به وقدر اخلاصه وكفايته ، فرأى بعد اعمال الفكر أن يستعين بأشباهه ، فاختار طائفة من الضباط الفرنسيين والايطاليين الذين خدموا فى جيش نابليون ، ثم الحق بهم من الاسبانيين والبرتغاليين من توسم فيهم ذكاء ومقدرة

ولم يكن جميع أولئك الضباط ، أمثال دومرج وشانيس وكيسون وماري المعروف باسم بكيراغا ، على جانب عظيم من النبوغ ، ولكن واحدا منهم وهو المدعو جوزيف سيف أو سليمان باشا ، تفوق عليهم وبرز من مجموعهم ، فميزه محمد على وقدمه على رفاقه وعهد اليه فى تطبيق النظام العسكرى الجديد

وهكذا أنشئت المدرسة العسكرية للبيادة برئاسة جوزيف سيف عام ١٨٢٠ وانخرط فى سلكها نحو اربعمائة طالب من أقارب محمد على ومن أبناء الموظفين فجمعت خير طبقة من الشباب المتعلم المستنير الذى عرف ضباط نابليون القدماء كيف يدربونه على احتمال مشاق الجندية وكيف يروضونه على فنون الحرب

وكان الضباط يمرنون الطلبة أول الامر فى ميدان فسيح تجاه قلعة القاهرة تحت اشراف محمد على نفسه . ولكن تجمهر بعض الاهالى الساخطين على كل جديد ، واعتبارهم هذا الاصلاح بدعة ، وسخريتهم اللاذعة بالضباط الاجانب ، كل ذلك حمل محمد على على نقل المدرسة آخر الامر الى اسوان تجاه حدود النوبة وعلى مقربة من مركز التجنيد كى يسهل على طلبة المدرسة الاتصال بعساكر الجيش المصرى والقيام على تدريبهم

وحدث أن تمرد بعض طلبة المدرسة العسكرية الذين انحدروا من طبقة راقية والذين لم يألفوا حياة الخشونة والتقشف ، وبدت على نفر منهم مظاهر العصيان ، فكان ابراهيم باشا قائد الجيش الأعلى يردهم الى صوابهم ويضرب لهم أحسن الأمثال فى طاعة الأساتذة الأجانب ولا يستنكف العمل معهم فى مؤخرة الصفوف كجندى بسيط

هذه القدوة الحسنة أحدثت فى نفوس الطلبة أعمق تأثير فسادت بينهم روح النظام والطاعة

ووجد جوزيف سيف أنصاراً له فى القاهرة آمنوا بتعاليمه وروجوا لها أمثال محمد بك لاظوغلو وعثمان نور الدين افندى ، فاتبع فى تنظيم الجيش المصرى نفس الطرائق التى كانت متبعة فى فرنسا ، فدرب جنوده على استخدام السلاح واسلوب الانتظام فى الطوابير وطاعة الرؤساء ثم علمهم كيف يتطورون من ثلة الى فصيلة ومن فصيلة الى كتيبة ، والتزم فى التعليم الدقة المقرونة بسرعة التهيؤ لحمل السلاح اسوة بما كان يقوم به جيش نابليون لاعداد جنود مجربين فى أقصر وقت ممكن

وأسرع محمد على فجلب من النوبة الى معسكر أسوان رجالا يعدون بالالوف تولى تنظيمهم وتدريبهم ثلثمائة ضابط ممتاز . الفوا منهم بعد جهاد شاق ذلك الجيش الذى دان بالولاء والطاعة لمحمد على

ويجب أن يلاحظ أن فتح السودان كان لا يقصد به الحصول على الذهب فقط بل الحصول على رجال يمكن تجنيدهم فى الجيش الجديد ، وقد جند بالفعل عدد كبير منهم ، واهتم جوزيف سيف بانشاء ثكنات له فى اسوان ، زودها بمكتب صحى أشرف عليه الدكتور دوساب

وكان كل من يجند يباشر رجال المكتب تطعيمه ، ويتولون اسعافه فى شبه مستشفى اذا ما فاجأه المرض

ولكن محمد على لم يكتف بتجنيد السود بل يمم وجهه شطر المصريين وألهب فيهم احساسهم

الوطنى ودعا الفلاحين لحمل السلاح ، فاستنكر ذلك أبناء الطبقة العالية واستنكفوا رفع الفلاحين الى مرتبة الجندية فى حين انهم هم انفسهم لم يتقدموا فى حماسة ظاهرة للحلول محلهم ، ولكن محمد على لم يحفل بابناء تلك الطبقة ومضى فى طريقه ، وسرعان ما دبت النخوة فى نفوس الفلاحين وأصبحوا جنوداً بواسل أشداء لا تتخلع قلوبهم ولا يرتعدون أمام الاتراك كما كانوا بالأمس

وتوافدت جموع المجندين من نوبيين ومصريين الى أسوان واستطاع الجنرال سيف أن ينشىء منهم عام ١٨٢٣ ، ست فرق من البيادة نظمت وفق أحدث اسلوب فرنسى

ولم يكن فى وسع الفرق المكوث طويلا فى اسوان نظراً لاشتداد الحر فى فصل الصيف ، فأمر محمد على بجليهم شيئا فشيئا الى المناطق المعتدلة فى اسنا وأبى تيج . ثم أوفد لتفتيشهم وزير حربيته فأعجب الوزير بحسن نظامهم ، وعندئذ سار اليهم محمد على بنفسه واستعرضهم فى بنى عادى وكان مصحوبا بالمسيو دروفيتى قنصل فرنسا والمستر سالت قنصل بريطانيا ، وكان ذلك فى شهر دسمبر عام ١٨٢٣

فى ذلك اليوم التاريخى المشهود ، دللت الجنود المصرية على روعة نظامها لاسيما وقد كان ابراهيم باشا هو الذى يتولى قيادتها ، فسر قنصل فرنسا واغتبط واعترف فى مذكراته بأن مناورات الجنود المصرية بلغت فى ذلك اليوم حداً من الدقة يشرفها ويشرف الضباط الفرنسيين الذين قاموا بتدريبها

وأبلى هذا الجيش بلاء حسنا فى مواقع مشهورة عام ١٨٢٨ انتهت يبسط نفوذ المصريين على كثير من الآفاق

ومما يجب لفت النظر اليه أن بعض المدافع الاولى التى كانت تستخدم فى الجيش المصرى صنع فى مصانع مصرية انشأها محمد علي على ضفاف النيل وجلب اليها من مختلف الأقطار الأورية طائفة من مهرة العمال الفنيين

ويلاحظ أن ترسانة القاهرة التى نظمت منذ عام ١٨٢٤ فى داخل القلعة ، كانت قد اشتملت على مصنع للمدافع أوجده الفرنسى جونون ، وأما انتاج البارود فقد عهد فيه الى المهندس الفرنسى كوست الذى جدد فى جزيرة الروضه تجاه مصر القديمة معمل البارود الذى كان قد انشأه الكيماويون فى عهد بونابرت

وأما مصنع السلاح فقد أنشىء عام ١٨٢٣ على يد فرنسى آخر يدعى جيلمان استعيض عنه فيما بعد بايطالى يدعى فرنجيني خيب الآمال التى عقدت عليه وكلف خزينة الدولة اموالا طائلة على غير جدوى

وأسندت الى جوزيف سيف قيادة الفرقة السادسة ، ولكن جيوش محمد على كانت موزعة فى افريقيا وآسيا وأوربا ، ففكر فى انشاء ثلاث فرق جديدة استقدم لتنظيمها القائد الفرنسى

بوابيه الذى مكث فى مصر من شهر نوفمبر عام ١٨٢٤ الى أغسطس عام ١٨٢٦

وشرع بوابيه فى تأليف وتنسيق الفرق الجديدة وتنظيم القيادة العليا وايجاد قواد محنكين ، فأنشأ مدرسة لهيئة أركان الحرب ثم نظم المدفعية وقام بواجبه على أتم وجه وأكمله ، ولكنه كان جنديا صارما جاف العبارة حاد الخلق لا يعرف المجاملة فى الواجب ، فكثر أعداؤه وتألب عليه الضباط الأجانب من اسبان وايطاليين وانتهى به الأمر الى تقديم استقالته بعد نزاع عنيف وقع بينه وبين ضابط فرنسى من حساده يدعى جودان

ولقد استطاع بوابيه فى مدة خدمته اقناع محمد على باستخدام الكولونل راى الفرنسى لاصلاح المدفعية والترسانة ، وتمكن من انشاء فرق جديدة مؤلفة من ٢٥ الف رجل وتكوين أخرى من « البلطجية » لبناء الكبارى واقامة الاستحكامات

وقد أبدع بفضل مهارته ومهارة معاونيه فى تدريب الكتائب على أحدث المناورات والحركات العسكرية وأساليب التفرق والتقهقر والهجوم والتجمع والالتحام والمشى الطويل فى طوابير متراصة رائعة

ومما عنى به أيضا توفير أسباب الراحة للجنود وتحسين زيهم ورفع مستوى غذائهم فأحرز مجداً يضارع مجد جوزيف سيف ، وكل ذلك بفضل ثقة محمد على وبعد نظره ومعرفته بالرجال وسخائه العظيم فى تقديرهم

ولقد وردت فى احدى رسائل القائد بوابيه هذه العبارات : « ان محمد على هو الرجل الوحيد الذى يريد حقا تمدين مصر . وان عبقريته لتجاوز حدود بيئته ، وذهنه ليسبق أذهان مواطنيه ، وكل ما شيد فى مصر انما شيد على عاتقه ! »

لمن يكتب الكاتب فى مصر

الجمهور لا يكترث للحركة الفكرية

بقلم الأستاذ ابراهيم المصرى

فى مصر اليوم موجة مروعة من عدم الاكتراث للثقافة والفكر ، فالكاتب ينتج وجمهور القراء منصرف عن انتاجه ، والكاتب يتثقف وجمهور القراء معرض عن ثقافته ، والكاتب يصرخ ولكن صوته الممزق الأبح يضيع فى صحراء . فالكتب تتكدس فى المكاتب ، والمجلات الراقية تعانى أشد الأزمات ، والصحف الأدبية لا تكاد تظهر حتى تموت ، ونفس المقالات الاجتماعية أو العلمية أو الأدبية التى تنشرها الجرائد اليومية لا تكاد تظفر من القارىء بأكثر من نظرة عارضة مصحوبة بابتسامة سخرية واستخفاف . فجمهورنا لا يريد أن يتثقف ، ولا أن يكلف نفسه عناء التفكير ، وخير فكر عنده ما كان واسطة لتسليته وقتل أوقات فراغه أو ما كان متعلقا بمصالحه المادية أو بحياته السياسية ذات الأثر الملحوظ فى تلك المصالح . فالاقبال على التفكير ، والتزود من المعارف ، والرغبة فى توسيع أفق الحياة ، والتطلع الى اللذات المعنوية ، واعتبار المطالعة الجدية من الضرورات لا من الكماليات ، وحب الفكر من أجل الفكر ، حرصا على الكرامة البشرية وسموا بالعقل والخلق ، كل هذه الظواهر لا وجود لها إلا بين طبقة الكتاب أنفسهم ، وبين عدد محدود من المستنيرين هواة الثقافة والفكر ، وأما سواد الجمهور فأبعد ما يكون عن هؤلاء بل هو منسلخ عنهم مقطوع الصلة بهم ، يعب فى ثقافة وضيعة رخيصة فتن بها وبات يعتقد أن ما عداها خيالات وأوهام تنهك الأبدان وتبلبل العقول ولا تعود على الناس بأية فائدة

وهكذا أصبحت لسواد الجمهور فى مصر ثقافته . وأصبحت الثقافة الرفيعة الحية وقفا على طبقة معينة لا تستطيع أن تصل الى الشعب ، وإن هى وصلت اليه اصطدمت بسخريته وتبرمه واعراضه وعجزه المطلق لا عن فهمها بل عن تصور الجهد الذى لا بد من احتماله لدراستها والانتفاع بها

واذن فالجمهور بعدم اكتراثه للمفكرين يؤخر تقدم الفكر ، ومعظم رجال الفكر رغبة منهم فى اقتحام الجمهور وتنبيه ذهنه اليهم واصابة النجاح والشهرة عنده ، يتملقون غرائزه الدنيا ، ويمالئونه على نزعاته الرجعية ، فينحدرون بالثقافة ويؤخرون هم أيضا تقدم الفكر

وما دام الجمهور فى رأيهم لا يقدر بحثا جديا أو دراسة عميقة أو فكرا خالصا حرا ، فالذكى ، الذكى من انخرط فى الزمرة وحمل الدف وساير الضاربين

هذه هي الظاهرة الخطرة الملحوظة في مصر اليوم . فما السر فى وجودها ، وما هي الاسباب والعوامل التى تحمل الجمهور على أن يتبرم بالمطالعة الجدية ويقاطع الانتاج الفكرى الرصين وينصرف الى الغث الرخيص مما تصدره المطابع وتغمر به السوق ؟

فى اعتقادنا أن أهم تلك الأسباب هى :

البيت المصرى

من منا يحب بيته ، ومن منا يجد فى بيته دار أمن وراحة وهدوء واستجمام ؟

المرأة تعيش فى عالم والرجل يعيش فى عالم آخر . ولقد اقترن الرجل بالمرأة مدفوعا بعامل المصلحة ، أو خاضعا لنداء الجنس ، فهو لم يعرفها ، وهى لم تعرفه ، وكلاهما قد أقام صرح الاسرة على قاعدة المصالح المادية فهما متقاربان فى المادة متباعدان على الدوام فى الفكر والروح . وحيث لا وجود للتفاهم الروحى ، لا مجال للحياة الفكرية ولا اهتمام بها ولا وجود لها

وليس شك فى أنك لن تطالع فى بيتك ولن تفكر ولن تتأمل ، الا إذا قدرت المرأة فيك هذا الجانب من جهادك وفهمت شخصيتك وعنيت بمطالب ذهنك عنايتها بمطالب جسدك ، وهيأت لك فى دارك ذلك الجو الساكن الفاتر الوديع الذى لا بد منه لحياة عقلك ثم شاركتك فى المطالعة والتفكير وأشركت فيهما أبناءك أيضا . هذا هو جو البيت كما تفهمه الشعوب المتحضرة : ملجأ للقلب وملاذ للجسد وموئل للعقل . ولكن مثل هذا الجو نادر فى مصر ندرة الزواج الموفق ، ولذلك يهجر الشبان والرجال بيوتهم ونساءهم ويفرون الى المقاهى حيث الحياة رخوة ناعمة ، والسمر متثاقلا بليداً ، والكسل أخاذاً مغريا ، والمجون الشائن يروح عن النفس وينسى العمل والبيت والمرأة والأولاد

ومتى استحال على المرء المكوث فى بيته ، فقد قتلت حياته الفكرية وأخذ من المطالعة واسطة للذة والتسلية

المدرسة

وكما ينشأ الفرد المصرى فى بيت لا يحبب اليه المطالعة كذلك ينشأ فى مدارس لا تحبب اليه الفكر ولا تغرس فى نفسه ملكة الفضول العقلي

البرامج محشودة بمعلومات تحملها الذاكرة لتلقى بها فى جوف الزمن ، والتربية الاستقلالية معدومة ، وقراءة الأدب العربى لا تمت الى روح العصر بصلة ، ومكاتب المدارس اما خاوية واما حافلة بالكتب القديمة ، واما خيالات ومشروعات لن تخرج الى النور أبداً

وبينما نجد الطالب فى المدارس الثانوية الأجنبية وقد الف المطالعة وراض نفسه عليها يغترف من مكتبة المدرسة ماشاء ويقرأ وهو فى السادسة عشرة من عمره مؤلفات شكسبير وجيته وبلزاك

وموليير وأحدث ما كتب أدباء عصره ، نجد الطالب المصرى لا يقرأ غير كتب المراسة المثقلة بمختلف مواد البرنامج والتى لا تترك له أى متسع من الوقت للتثقف العام والمطالعة الحرة . والحق أن مستوى المدرسين الثقافى هو الذى لايغرى الطالب بالتثقيف ولا يهىء له جو الاطلاع والتفكير

شركات النشر

ومع ذلك ففى وسعنا حمل الجمهور على المطالعة ، والكتاب على مواصلة الانتاج ، لو كانت لنا شركات نشر كبيرة تقدر الجهود الفكرية وتشجع عليها وتسخو فى مكافأة أصحابها وتعرف كيف تروج لها وتعلن عنها لا فى مصر فقط بل فى الشرق العربى كله

ان السوق عظيمة أمامنا ولكننا لانعرف كيف ننتفع بها . ولقد فتح لنا الشرق العربى أبوابه وتقبل فى مطلع النهضة آثار كتابنا وأعجب بها وسارع لاقتنائها ، ولكننا على وشك أن نفقد الشرق العربى لأن انتاجنا الفكرى قد انحط منذ التهمت الصحافة السياسية الحزبية أدباءنا ووضح عجز البلاد عن انشاء شركات نشر تحمى عقولهم وتسهر على انتاجهم وتسخو فى تقديرهم وتمكنهم من الانقطاع لخدمة الثقافة والفكر . وما دام الكاتب فى مصر لا يستطيع أن يعيش من قلمه بمعزل عن الصحافة السياسية وعن الصحافة أيا كانت ، فلن يرجى للفكر أى تقدم ولن تنتعش بالتالى رغبة المطالعة فى نفس الجمهور . فالشركة التى تنفق عن سعة وتخلق وسائل الأعلان الحديثة هى التى توجد على مر الزمن جمهور القراء كما توجد جمهور المؤلفين والكتاب

انصراف الجمهور الى السياسة

يأخذ البعض على جمهورنا تعلقه الشديد بالسياسة ، ويعتقد أن هذه الظاهرة مظهر ضعف ونقص ، وأنها هى التى تحول بين الجمهور وبين الاهتمام بشئون الفكر ، وأن من واجبنا صرف أنظاره عنها وتحريره من مؤثراتها

وقد يبدو أصحاب هذا الرأى أول وهلة على صواب . ولكن الحقائق تنقض رأيهم من أساسه . فنحن أمة لم تجاوز بعد مرحلة التكوين . أمة تترجح بين حضارتين وما تنفك تنشد الثبات والاستقرار . أمة ذات موقع جغرافى دقيق ، حديثة العهد بالنظم الديموقراطية الاوربية ، لم تطمئن بعد على استقلالها وما يزال يطمع فيها الغريب . فكيف لا نهتم بالسياسة وهذه حالنا ، وكيف نستطيع الاعراض عنها وهى تتحكم فينا وتقرر مصيرنا ؟

يلوح لى أن ما يجب أن نأخذه على جمهورنا ليس هو اهتمامه بالسياسة ، بل اهتمامه بها على اعتبار أنها سلسلة معارك حزبية يرجى النصر فيها لأشخاص معينين لا لمبادىء أو آراء أو نظم ، كأنما السياسة مباريات أشبه بمباريات الملاكمة أو كرة القدم

فالاهتمام بالشئون السياسية واجب ولكن على شرط أن يتحول الى ثقافة . على شرط أن

يكون اهتماما بمختلف نظم الحكم فى العالم الحديث ، واستخلاصا لما يصلح لنا منها ، ودراسة لما يمكن أن نطبقه من أساليبها واصلاحاتها علينا ، ومراقبة لمجرى الحوادث الخارجية بغية الافادة منها

والواقع أن البرامج الاصلاحية لا وجود لها عندنا بل نحن فى معاركنا الانتخابية لا نطالب الاحزاب بها . لماذا ؟ لأن الثقافة السياسية تنقصنا . لأننا نجهل أمثال تلك البرامج فى الخارج . نجهل البرامج والنظم التى تقدم بها الاشتراكيون فى فرنسا مثلا وروزفلت وأعوانه فى أمريكا والفاشست فى ايطاليا والنازى فى المانيا . بل نجهل حقيقة المذاهب الاشتراكية والفاشية والنازية وكيف تحكم وكيف تدير شئون الدولة وماتحقق على أيدى أصحابها وما يمكن أن نستغله منها لمصلحتنا

ولو كنا قد درسنا هذه المذاهب والنظم وفهمناها ووقفنا على ما فيها من مواطن القوة والضعف بالنسبة للآخذين بها ، وجوانب الخير والشر بالنسبة لنا ، لانتفعنا بتطورات عصرنا وأنضجنا مؤهلاتنا السياسية وطالبنا أحزابنا ببرامج واضحة واصلاحات معينة وخطط مرسومة منظمة ، ولاستحالت السياسة فى مصر الى صراع نبيل فى سبيل آراء ومبادىء ومثل عليا

ولكننا نعيش بمعزل عن العالم ، نعيش فى ظلمات جهلنا ونخبط شهواتنا ، لا نفكر فى السياسة بعقولنا ولا بقلوبنا بل بغرائزنا ، ولا نطمح الى تجديد شعب بل نسعى الى خنق أمه ، ولا نشتغل بالسياسة لمجد الوطن بل لمرضاة أنانيتنا الجنائية ، ولا نعجب من رجال السياسة إلا بمن كان عبقرى السطو والافتراس شعاره النفعية والوصولية !

فالسياسة كما يفهمها الشعب الاوربى المتمدين هى الاحاطة بشتى النظم التى تسير حياة الآخرين وبحثها وتحليلها فى ضوء نظامه الخاص ، ومحاولة استبعاد الفاسد منها وتطبيق الصالح متى اتفق مع نفسية الشعب واستعداده العميق . السياسة فى نظرهم محاورات ومداورات وشد وارخاء ومفاوضات ومناورات عند الساسة فقط . وأما عند الشعب فلون من ألوان الثقافة ودراسة ومقارنة ، اجتماعية واقتصادية تتركز آثارها فى برامج الاحزاب وتفرض نتائجها على الساسة وتنتهى الى خير أمة

ولقد كان فى وسع كبار كتابنا تكوين هذه الثقافة السياسية فى نفس الشعب لو كانوا قد عالجوا السياسة على اعتبارها جزءاً من الثقافة العامة ، ولكن تسخير البعض أقلامهم للدعايات الحزبية ، جعل اهتمام الجمهور بالسياسة محض مهاترات ومجرد رغبة فى التفرج على مشاهد مسرحية وعلى معارك دورية بين عدد معين من الابطال تنقسم الأمة فى التعصب لهم أو عليهم

وإذن فجمهورنا مرغم على الاهتمام بالسياسة ، ولكن كتابنا هم المسئولون عن انحراف عقليته السياسية واتجاهها نحو الحزبية ، هذا الاتجاه الذى صرف الجمهور عن اعتبار السياسة جزءاً من الثقافة كما صرفه اطلاقا عن شئون الثقافة والفكر ، ومال به آخر الأمر الى مطالعة الصحف والمجلات السياسية الحزبية مكتفيا بها متفانيا فيها معرضا عما سواها كأنما هى قد وسعت فى نظره أجل المشاكل وأخطرها

جاذبية الانتاج الأجنبي

للانتاج الاجنبي جاذبية قوية على عقول طائفة كبيرة من المتعلمين فى مصر . فهم لا يطالعون إلا مايرد من اوربا ، ولا يعيشون إلا من فكر أوربا ، ولا يتصلون ببلادهم إلا من طريق الصحيفة اليومية تقرأ لمجرد الاطلاع على الحوادث والأخبار . ومن خصائصهم عدم الثقة بالعقل المصرى والاستهانة بالانتاج المصرى والنظر الى الحركة الفكرية فى مصر نظرة أجنبية يشوبها الترفع الممزوج بالازدراء . وعندى أن هؤلاء المتعلمين على حق ، إذ كيف يمكنهم احترام انتاجنا الفكرى والاقبال عليه والتفريق بين غثه وسمينه ومطالعة الجيد الصالح منه ، وحركة النقد فى مصر معدومة ، والقيم الأدبية فوضى ، والمجاملات تحجب الحقائق ، وكبار الأدباء يتقارضون الثناء ، والصحف تعتبر الفكر لغواً وتقرظ جميع الكتاب وجميع الكتب على السواء ؟

لاصدق فى النقد ولا صرامة ولا نزاهة ولا خلق ولاضمير . فكيف تتحقق المفاضلة والموازنة وكيف تبرز الاعمال العظيمة وكيف ندلل على ما فيها من عظمة وكيف نقنع أولئك الخوارج بقيمتها ونلفت أنظارهم اليها ونغريهم بمطالعتها والعناية بها ؟

لا شك انهم على حق . وما دامت الصحف تجامل وتسترضى وتمدح بلا ضابط ، وما دام أدباؤنا يقدرون أشخاصهم أكثر مما يقدرون الفكر ، وما داموا يتخذون الفكر مطية للشهرة أو الكسب ، وما داموا يرضون بخديعة أنفسهم والناس على حساب الفكر ، فلن يفوزوا بقارىء واحد من تلك الطائفة ، ولن يكون منهم إلا أن يضاعفوا عددها ويحملوا بقية المتعلمين ممن يجيدوا لغات أجنبية على الاعراض عن انتاجهم والاقتداء بها . فنزاهة النقد هى التى توحى الى المتعلم الثقة بقيمة الانتاج . وحيث تنعدم الثقة يتعذر بالطبع تصريف الانتاج

***

لهذه الأسباب مجتمعة يتلفت الكاتب فلا يعرف لمن يكتب ولا يدرى لمن يفكر ولايعلم — ان كان قد غامر فطبع كتابه على نفقته أو أتاحت له الظروف من يتولى نشره — هل سيجد له بين سواد الجمهور قراء يعنون به ويستجيبون له ، أم سيكون حظه كحظ رفاقه : عدم اكتراث مطلق من الجمهور وبضعة أسطر فى الصحف سرعان ما يخيم عليها الصمت والنسيان

هذا ما انتهينا اليه بعد أن كنا قد شرعنا فى بناء نهضة لاحت منها فى الافق بعض اضواء

ولقد أردنا بهذا المقال تقرير الواقع ولفت النظر اليه عسى أن يتدارك المخلصون هذه الحال التى يخشى لو استمرت أن تعود بالبلاد نصف قرن الى الوراء !

ابراهيم المصرى

زحام السكان فى دائرة العمران

لم تضق الدنيا بمن فيها

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

لماذا يا قوم تتحاربون ؟

تستنفدون عقول حكمائكم وعضلات عمالكم فى تسليح عزرائيل الحرب لتقتيل زهرة شبابكم ، فى حين أن السواد الأعظم من ناسكم يسهرون على شظف العيش ثم ينامون على الطوى . فهل استوزرتكم دولة الرجماء الأبالسة لكي تحولوا ملكوت الانسان الى امبراطورية بعلزبول ؟

أتنازعاً على الرزق تقتتلون ؟ وهل شح معين الرزق الذى أغدقه الله عليكم غزيراً حتى تتنازعوا شحيحه ؟ أم هل ضاق سطح الارض بكم فجعلتم تفنون بعضكم بعضا عسى أن يفسح ضعيفكم المجال لقويكم ؟ أم هل تتنازعون ملك الله على الارض لكي يستأثر به الجشمون منكم دون القانعين فيكم ؟ وهل يبتغى النهمون منكم سوى ملء بطونهم من أطايب الطعام ولذائذ الشراب ؟ وهل يطمع الطامعون منكم بأكثر من كساء من الصوف والحرير ، ومن الاضطجاع على الفراش الوثير ، ومن المرح فى القصر المنيف على الاثاث الطريف ، ومن ركوب السيارات الأنيقة والطيارات الرشيقة ، ومن التسرية عن النفوس فى مغانى اللهو والطرب ؟

ويحكم ! كل هذا ميسور لكم مهما وفر عديدكم وتكاثر نسلكم وطمحت شهواتكم اذا كنتم تتوافقون . كل هـذا ميسور لكم بلا عناء ولا شقاء ولا نزاع ولا خصام ولا عداء اذا كنتم تتعاونون على استدرار خيرات الارض التى لا تنفد . فلماذا يا قوم تقتتلون ؟

ان فى صدر الطبيعة من ينابيع الرزق ما لا ينضب ولا يشح . وللعقل الذى منحكم البارى قدرة على استنباط هذه الينابيع بلا عناء ولا كثير جهاد

وفى الطبيعة من القوى ما يقدركم على استخراج خيراتها ، وما يغنيكم عن بذل أى مجهود فى استنباتها . فلماذا ياهؤلاء تقتتلون ؟

هل جننتم ؟ أم أسكرتكم حميا الاهواء ؟ أم استهواكم ابليس لكى تتجندوا فى جيش شروره ؟

ترى هل هذا الطيش من طبع العقل الانسانى البديع الذى بزت به « الحياة » جميع مظاهر الكون المادى العجيبة ؟

سمعاً يا قوم !

ان الألفى مليون نسمة بشرية التى أنتجتها عناصر الكرة الأرضية ليست إلا حفنة أخذتها يد الطبيعة من اهراء الخيرات المخزونة فى صدر هذه الكرة . وفى مقدرة الطبيعة أن تنتج الوف للالايين من النسمات البشرية من غير أن تتنهد قائلة : « لقد نفد معين الرزق من عندى . فاذا شئتم مزيداً منه فاصعدوا الى المريخ أو اهبطوا الى الزهرة » . ان فى سطح الارض وجوها من الكربون والهيدروجن والاوكسيجن والنيتروجن والاملاح اللازمة للحياة ما يكفى لبنيان بليون بدن بشرى . وفى طوق العقل البشرى أن يقوم بمهمة هذا البناء من غير عناء

ففيم تتنازعون ؟ وعلام تقتتلون ؟ هلموا نحاسب الطبيعة !

كم هى سعة سطح الارض ؟ وكم يحتوى سطحها من المواد اللازمة لبناء هذه البلايين من الأجساد ؟

كثافة السكان فى المكان

مساحة اليابسة من الارض ما عدا القطبين نحو خمسين مليون ميل مربع موزعة هكذا :

آسيا	٣١	٪	منها	أوربا	٨	٪	«
أمريكا	٣١½	«	«	أوسيانيكا	٦½	«	«
أفريقيا	٢٣	«	«	المجموع	١٠٠	«	

وكان عدد سكان اليابسة سنة ١٩٣٦ كما يأتى :

	المساحة بالالف ميل	عدد السكان سنة ١٩٣٦	معدل السكان بالميل المربع
أوربا	٣ر٧٠٠	٤٦٧ر٠٩٢ر٠٠٠	١٢٦ر٢
أمريكا	١٦ر٦٦٣	٢٠٩ر٤٠٩ر٠٠٠	١٣
افريقيا	١١ر٠٥٣	١٣٢ر١٣٩ر٠٠٠	١٢ر٤
آسيا	١٧ر٠٠٨	١ر٠٣٢ر١٢٢ر٠٠٠	٦٠ر٦
أوسيانيكا	٣ر٢٩٩	٧ر٦١٥ر٠٠٠	٢ر٦
المجموع	٥٦ر٦١٣	١ر٨١١ر٠١٢ر٠٠٠	٣٣ر٢
	[منها مساحة القطبين وسكانهما]		المعدل الاوسط لكل ميل مربع

أى أن معدل الكثافة المتوسط ٣٣ر٢ بكل ميل مربع . وهو نحو ربع الكثافة فى أوربا التى هى أكثف القارات سكانا

وأما الكثافة في أهم الممالك فهى كما يأتى :

مصر	١٤٠٧	عدد	السكان	لكل ميل	مربع	ايطاليا	٣٣٨	عدد	السكان	لكل	ميل	مربع
انكلترا	٦٦٨	«	«	«	«	المانيا	٣٥٠	«	«	«	«	«
اليابان	٤٠٣	«	«	«	«	فرنسا	١٩٢	«	«	«	«	«

الهند	١٧٧	عدد السكان لكل ميل مربع				الولايات المتحدة	٣٨	عدد السكان لكل ميل مربع		
الصين	١٠١	»	»	»	»	كندا	٤	»	»	»
روسيا	٦٣	»	»	»	»	أوستراليا	٢	»	»	»

ترى أن مصر أكثف البلاد سكانا . فهى أكثف من المعدل الأوسط للكثافة العامة على سطح الارض كلها نحو ١٠٤٧ ÷ ٣٣٫٢ = ٣٢ تقريبا . أى أن مصر أكثف سكانا من جميع اليابسة نحو ٣٢ مرة

أى أنه لو زاد عدد السكان على سطح الارض الى أن تصبح الكثافة متعادلة فى كل مكان ومعادلة لها فى مصر لكانت اليابسة تسع ٣٢ مرة عدد سكانها الحالى وتمنحهم الرزق اللازم لهم جميعا هكذا : ٣٢ × ١٫٨١١٫٠١٢٫٠٠٠ = ٥٧٫٩٥٢٫٣٨٤٫٠٠٠ . أى نحو ٥٨ الف مليون نسمة بدل الألفى مليون الموجودة الآن . هذا على افتراض أن عملية استخراج الرزق من الارض تبقى كما هى الآن . ولكن أليست الوسائل لاستخراج الرزق متيسرة بحيث يمكن أن يستخرج من العمل في الارض أضعاف أضعاف ما ينتج الآن ؟

قد تقول ان أرض مصر عظيمة الخصب بحيث يمكن أن تعول هذا العدد الكثيف من السكان ، وليس لكل بلد مثل هذا الخصب لكى يصح تعميم القياس ؟ أجل ان أرض مصر ممتازة بالخصب فتستطيع أن تعول هذا العدد الوافر . ولكن ليس خصب الارض وحده مصدراً للرزق بل هناك مصادر له قد تكون أغنى من الخصب

انظر الى كثافة السكان فى انكلترا (٦٦٨ بالميل المربع) فهى أكثر قليلا من نصف الكثافة فى مصر (١٠٤٧)

ولكن اذا راعيت درجة معيشة الانكليزى باعتبار أنها أعلى ٣ مرات على الأقل من درجة معيشة المصرى أو الشرقى على العموم ، وجدت أن انتاج الرزق فى انكلترا ضعف انتاجه فى مصر مرة ونصف على الأقل فى حين ان أرض انكلترا أقل خصبا من أرض مصر

إذن ليست مصادر الرزق ما تدره الارض من الخير فقط بل ما يستصدره العقل الانسانى باستخدام قوى الطبيعة فى استنباط معين الرزق . على أن هذه القضية دقيقة ، والاشارة اليها مبهمة . فلا بد من التبسط فيها لتبيان موارد الرزق من الارض بفعل القوى الطبيعية التى اعتقلها الانسان الى الآن ولا يزال يسعى لاعتقال غيرها

لو بقى انسان اليوم كالانسان القديم يجمع مواد غذائه من حاصلات الارض التى تجود بها الطبيعة من تلقاء نفسها من غير أن تعمل فيها يده لما كفت حاصلاتها مؤونة جزء صغير من سكانها الحاليين . ولكن الانسان استخدم قوى الطبيعة نفسها لكى يستخرج من خيرات الارض اضعاف ما تدره هى من تلقاء نفسها . فهو لا يتوكل على الطبيعة فى أن تنبت له ما تشاء بل هو

يستنبت الأرض ما يشاء وقدر مايشاء بنسبة براعته فى فن استغلال الزرع والضرع . ولا يزال يبرع فى هذا الفن حتى يكاد يستنبط من الصخرة ماء ويستنبت من الصحراء غذاء

ان حاجات الانسان من الغذاء والرخاء انما هى نتيجة فعل ضروب من القوة فى صنوف من عناصر المادة . وفى طبيعة الارض من هذين الفريقين مالا ينفد مهما توافر عدد السكان المستهلكين المستنفدين . والانسان أصبح مالكا عنان القوى ومسيطراً على عناصر المادة . ففى وسعه أن يستخرج من خيرات الارض مقادير لاحد لها . واليك البيان

فلنبحث أولا فى امتلاك الانسان أعنة القوى

اعتقال الانسان القوة

بقى الانسان احقابا طويلة يعتمد فى استغلال الارض على عضله وعلى عضل بهيمته . ومافطن الى قوة الريح وقوة المياه المنحدرة وشرع يستخدمهما إلا حين استتب تحضره . ومع ذلك كان انتفاعه من استخدامهما قليلا جدا . وما ظفر بالقسط العظيم من قوى الطبيعة إلا حين اكتشف قوى البخار والكهرباء فى العصر الأخير

ومعلوم أن مصدر القوى الاقصى على سطح الارض هو أشعة الشمس وحرارتها . وكان المعتمد عليه حتى القرن الماضى فى استصدار الحرارة واستخدامها للحصول على قوتى البخار والكهرباء الوقود من فحم وبترول وما اشتق منهما . ولهذا قلق أهل العلم ورجال السياسة الاقتصادية لاعتقادهم أن الامم ستستنفد هذين النوعين من الوقود عاجلا . وقد قدروا لاستنفادهما نحو ۳۰۰ سنة على الاكثر . وبعد ذلك لايبقى فى جوف الارض فحم ولا فى آبارها بترول . فباذا يستعيض الناس من هذين الوقيدين ؟ أو بالاحرى من هذين المصدرين المباشرين للقوة . ولكن عالم الطبيعة والكيمياء يقول لنا إن مصدر القوة حرارة الشمس . وما دامت الشمس تبث حرارتها فى الفضاء والارض مغمورة بها ، فالقوة لا تنفد ، ولايحتاج الامر إلا الى مهارة الانسان فى اعتقال هذه القوة والتحكم فيها

قلنا أن الانسان يستخرج من الارض فحمها وبترولها ويستهلكهما باسراف . ولكن أين تذهب مادة هذين الوقيدين ؟ تذهب غازات وبخاراً فى الهواء وبقيته رماد فى التراب . فيتغذى بها النبات بفعل حرارة الشمس . وهشيم النبات وحطبه يصلحان وقوداً . فاذا كانت فى الأصل وقوداً عادت صالحة للوقيد إذا لم يستعملها الانسان غذاء له ولبهائمه . ولكن الانسان فى غنى عن تكرار هذه العملية وحتى عن استعمال هذا الوقيد الوسخ . فى امكانه أن يستعين بقوة حرارة الشمس مباشرة أو بطريقة أقرب تناولا وأغزر فائدة

حرارة الشمس تستصعد الماء من البحار والارض الرطبة الى الجلد بخارا . ثم يهبط البخار الى

سطح الارض مطراً وثلجا . ثم تجرى المياه أنهاراً منحدرة . والماء المنحدر بفعل جاذبية الأرض قوة . ومادامت الشمس تشرق والمياه تتبخر والامطار تنهمل والينابيع تنفجر والجداول والانهار تنحدر فهذه قوة لا تنفد . فاذا استخدم الناس كل مياه منحدرة على سطح الارض لاستصدار القوى بالاساليب الميكانيكية التى اخترعوها أمكنهم أن يظفروا بمقادير من القوة أضعاف أضعاف ما يحصلون عليه بواسطة الفحم والبترول وما اليهما . وليس عسيراً على الانسان المخترع أن يستصدر القوة أيضا من الريح ومن المد والجزر وأمواج البحر ومن أشعة الشمس المحرقة مباشرة أيضا . ولسوف يستخدم الانسان جميع هذه لاعتقال القوة ويكون تحت سلطانه منها أضعاف أضعاف ما يحتاج اليه منها

وحاصل القول إن فى الطبيعة من القوة ما لا يقدر بمقدار . وفى امكان الانسان أن يسيطر على كل مقادير القوة الموجودة على سطح الأرض بأسهل ما يمكن

تصرف الانسان بالمادة الحيوية

اذن القوة فى يد الانسان . بقى أن نعلم كم من ملايين الأبدان البشرية يمكن أن تبنى من العناصر العضوية Organic Elements الموجودة على سطح الارض . وهل يمكن العقل الانسانى أن يستعملها كلها فى بنيان اجساد بشرية ؟

نوضح السؤال بعبارة أخرى : هل فى امكان الانسان أن يحول جميع النسب اللازمة للحياة من الكربون والهيدروجن والاوكسجن والنيتروجن التى فى الجلد وفى قشرة الارض الى أجساد بشرية مستوفية جميع لوازمها من الترف وهناءة الحياة ؟

يمكن الاستغناء عن جانب عظيم من الخشب لاقامة الأبنية من صروح ومساكن ومعاهد الخ بالمعادن والاسمنت (ويمكن اصطناع الاسمنت بمقادير لا حد لها) وحينئذ تتحول جميع الغابات والاحراج الى مزروعات حبوب وبقول وفاكهة وعلف للبهائم الدارة اللبن والانعام الطيبة اللحم . وجميع هذه بنوبتها تتحول الى أبدان بشرية

وأخيراً ينقرض عن سطح الأرض الهشيم والادغال والغابات وكل نبات لا فائدة منه للانسان ولبهائمه الداجنة . وينقرض أيضا كل حيوان لا نفع منه للانسان . ولا يبقى على سطح الارض إلا كل نبات جيد مغذ للانسان والحيوانات الداجنة . وكل نبات لازم لبناء السفن (ان بقيت تبنى من الخشب) الخ ، وكل حيوان مغذ للانسان ، وبالاجمال كل ماينفع الانسان غذاء وكساء وزينة وبناء وما الى ذلك . وقد يتمادى الانسان فى تحويل العضويات الى كل ما فيه فائدة له الى أن يحول أخيراً حيتان البحر ونباته الى مافيه نفعه . وفى البحار من مواد عضوية أضعاف ما فى البر

وبالاجمال يقال إن الانسان يستطيع أن يتصرف بكل مادة عضوية فى البر والبحر والهواء

وتحولها الى مواد نافعة له من كل وجه ـ وأخيراً تصبح كلها أجساداً بشرية واغذية لأجساد بشرية فقط

قد تقول ان هذا الحاصل من عملية التحويل هذه ليس بالقدر العظيم . وليس فى طوق الانسان ان يتمادى بهذه العملية الى حدود بعيدة . أى ان دائرة هذا التحويل محدودة بما على اليابسة وفى البحر الآن من نبات وحيوان . وهو قدر لا يزيد مهما تفنن الانسان فى تحويله . وجل ما يستطيعه هو أن يستنبت بدل الشجرة البرية غير المثمرة شجرة مثمرة وبدل الشوك برسيما للحيوان الخ فالكربون والنيتروجين الموجودان فى نبات الارض وحيوانها لا يزدادان مهما تفنن الانسان فى التلاعب الكيماوى فيهما . فاذن مقدار عناصر الحياة على الأرض محدود بما فيها الآن من احياء

أقول رداً على هذا : بل يستطيع الانسان أن يضيف الى مقدار هذه العناصر الحيوية الموجودة اضعافه . ففى قشرة الأرض من كربونات الكلس (الجير) وفى الهواء من غاز النيتروجين ، ناهيك عما فى مياه البحار من اوكسيجين وهيدروجين ما يكفى لبنيان أضعاف اضعاف الاحياء الموجودة الآن . وفى وسع الانسان أن يستخرج من تراب الارض كربونه ويطلقه فى الفضاء غازاً مؤكسدا غذاء للنبات الذى يغذيه ويغذى أنعامه ، وفى امكانه أن يستنزل نيتروجين الهواء كله حامضا نيتروجينيا ويصنع منه سماد نترات لتغذية نبات تعجز عن تغذيته نترات الشيلى فى ألوف الاجيال (وقد نجح العلم أخيراً فى تحويل نيتروجين الهواء الى الحامض النيتريك بقوة الكهرباء)

فما دام الانسان مسيطراً على قوى الطبيعة وهى لا تحد ولا تقاس ، ففى وسعه أن يلعب بكل سهولة العابه الكيماوية فى تغذية الحياة بحيث يصبح سطح الأرض : جبالها وأوديتها ومستنقعاتها حتى صحاريها حدائق غناء ومروجا خضراء ترعى فيها السائمة ، وفى أواسط هذه المروج والحدائق مدن عظيمة يتمتع فيها بلايين البشر من غير جهد ولا عناء

الطبيعة يا قوم كريمة بالقوة ، والأرض سخية بالمادة . والعقل الانسانى اكتشف أسرار القوة والمادة وسيطر عليها وفى وسعه أن يجعل ملكوت الانسان على الارض جنة

فلماذا يقتتل الناس ؟ هذا سر يحير العقول !

ان شهوات الجسد طغت على حكمة العقل وعلى قداسة الضمير فضلّ الانسان عن النعمة التى أسبغها الله عليه . ولا يهدّىء ثورة هذا الجنون الدولى الا تعقل الحكماء ذوى الضمائر الطاهرة ، فمن لنا بأن يرد شياطين الساسة الى الوراء ويدفع بملائكة الحكماء الى الامام ؟

نقولا الحداد

العفريت الأسير

بقلم الاستاذ حسن الشريف

كان الكونت دى تروملان سيداً من سادات الريف فى فرنسا هجر وطنه فيمن هجروه من الأشراف والنبلاء لما عصفت بالبلاد ريح الثورة وبدت بوادر عهد الطغيان والارهاب . ولقد ساهم بقسط وافر فى الدفاع عن قضية الملوكية وانضم الى جيش الأمراء المنفيين فى الحملة الفاشلة التى أرادوا بها القضاء على الحكم الجمهورى واعادة العرش الى آل بوربون ، ثم قدر له أن ينجو بأعجوبة من أيدى جيوش الثورة بعد هزيمة الملكيين فى معركة كيرون ، ففر الى انجلترا تاركا فى فرنسا زوجته الشابة الجميلة التى لم ينعم بقربها غير أيام ، واستقر به النوى فى مدينة لوندره التى لم يكن له فيها مورد للرزق سوى ما كانت الحكومة الانجليزية تتفضل به من الاعانات على الأمراء والمهاجرين

وكانت قوانين الثورة تعتبر الهجرة خيانة كبرى للوطن يعاقب مرتكبها بالاعدام ، وكان الكونت دى تروملان يعرف ذلك ويعلم أنه اذا وضع قدميه على أرض فرنسا وقبضت عليه السلطات كان مصيره الموت بلا رجاء فى العفو ولا أمل فى النجاة

ولكن الاغتراب قاس والفراغ مسئم للنفوس الوثابة التى لم تألف الدعة والسكون . ولقد طال اغتراب الشاب واشتد به الحنين الى الوطن حتى بات ولا شىء أحب الى نفسه من أن يعيش يوما على أرض فرنسا أو أن يرى على الأقل شواطئها من بعيد . ولقد لبث يتحين الفرصة التى تسعده بتحقيق رغبته على ما يكتنفها من مخاطر وأهوال حتى تهيأت له هذه الفرصة فى دعوة وجهها اليه صديقه القبطان سدنى سميث إذ دعاه الى مصاحبته فى رحلة على ظهر البارجة « دياموند » التى كانت مع قطع أخرى من الاسطول الانجليزى تحاصر شواطىء فرنسا سنة ١٧٩٦

أما القبطان سير سدنى سميث هذا فكان يعد بعد الاميرال نلسن أشهر قباطنة البحرية الانجليزية فى ذلك الحين . وكان الجمهوريون الفرنسيون يعتبرونه بحق ألد أعداء حكومتهم وأكثرهم نشاطا فى عرقلة مساعيها وأغراضها . فقد كان لا يفتأ يمد الملكيين الثائرين فى شمال فرنسا بالذخيرة والسلاح ، ويساعد الراغبين منهم فى الهجرة على الافلات من يد السلطات بنقلهم على سفائنه الى الموانىء البريطانية ، ويتطوع لحمل زعماء العصابات الملكية وكبار المتآمرين الى السواحل الفرنسية ويعاونهم على التسلل الى المقاطعات الشمالية التى كانت ميدان حرب بينهم وبين جيوش الجمهورية ،

وينقل الرسائل السرية الخطيرة من الأمراء المنفيين الى أعوانهم فى فرنسا ومن هؤلاء الى أمرائهم فى هولاندة وبلجيكا وانجلترا

وأما مهارة هذا القبطان وشجاعته وكثرة مغامراته فكانت مضرب الأمثال حتى لقد كان البحارة الفرنسيون يسمونه «عفريت البحر» لسرعة حركاته وتنقلاته سرعة جاوزت كل متصور وكل معقول . ولقد لازمه الحظ فى جميع هجماته على الفرنسيين بقدر ما لازم النحس هؤلاء فى مدافعتهم إياه حتى رسخ فى أذهانهم أنه شيطان حقيقة وان يكن متشكلا فى شكل انسان

ولقد طابت للكونت ده تروملان صحبة هذا القائد فكان يعيش على ظهر البارجة «دياموند» عيشة المتفرج الذى تسليه هذه النزهة البحرية الشاذة وتلهيه مشاهدة تلك المطاردات السريعة والمغامرات الجريئة وتقر عينيه رؤية السواحل الفرنسية العزيزة الممتدة على طول بحر المانش من ميناء دييب الى أقاصى نورمانديا ، ولا شك فى أنه كان يؤثر هذه الحياة القلقة المضطربة على حياة العطلة والفراغ التى كان يقاسيها فى لوندرة ويود لو تطول الى ما يشاء الله أن تطول لولا أن لكل سعادة نهاية ولولا أنه « عند صفو الليالى يحدث الكدر » ولقد حدث الكدر فعلا فى ليلة صفو كانت بدايتها تبشر بفوز عظيم ، ولكن القدر المعاكس أبى إلا أن يختمها بكارثة يا لهولها من كارثة !

أراد سير سدنى سميث أن يفرج عن صاحبه بنوع جديد من مغامراته المدهشة فرق ذات ليلة بسفينته نحو ميناء الهافر تحرسها خمس مدفعيات صغيرة وهاجم مدمرة فرنسية كانت تسير فى طريقها الى بوغاز الميناء فاعترض سيرها واستوقفها وأمر رجاله بالاستيلاء عليها . فلما تم له ذلك وشرع فى الخروج الى عرض البحر بالمدمرة الأسيرة هبت على البحر هبة ريح قوية دفعت به الى الجنوب فى قوة لم يستطع مقاومتها وعاونها المد المرتفع فقذفت بالبارجة الى مصب نهر السين . وعندئذ هرعت السفن الفرنسية الرابطة فى الميناء وأحاطت بدياموند من كل صوب ولم يمض بعض الساعة حتى كانت البارجة وقبطانها عفريت البحر وضباطها وبحارتها وضيفها الكونت دى تروملان أسرى بين أيدى الفرنسيين

وما من شك فى أنه كان لهذه الخيبة أثرها السيء فى نفس سير سدنى سميث ورجاله ، ولكن الرجل تقبلها برباطة الجأش التى اشتهر بها الانجليز فلم يطش صوابه ولم يضيع وقته فى شتم القدر ولعن الظروف ، بل عرض للحالة الطارئة من كل نواحيها ليخرج منها على أحسن وجه ممكن ولقد هداه تفكيره الى أن موقفه مهما يبلغ من السوء موقف مأمون العاقبة مضمون النهاية . فان أشد ما يتوقعه هو أن يظل ورجاله أسرى حرب فى أحد السجون الفرنسيه تحميهم القوانين الدولية حتى اذا ما وضعت هذه الحرب أوزارها وعقد الصلح بين البلدين عادوا الى وطنهم آمنين سالمين . أما موقف الكونت دى تروملان فكان من نوع آخر يحمل على القلق ويدعو الى التفكير

ذلك بأن كونه نبيلا فرنسيا مهاجراً ومحاربا لجيوش الجمهورية ومقبوضا عليه فوق ظهر سفينة معادية ، كل ذلك من شأنه أن يجعل مصيره واضحا كل الوضوح وهو الاعدام بالرصاص أو بسكين المقصلة قبل انقضاء أربع وعشرين ساعة ما فى ذلك شك ولا ريب . وإذ أدرك القبطان ذلك وأيقن أن لا سبيل الى انقاذ نفسه أو أحد من رجاله لم يبق أمامه إلا أن يحاول انقاذ صديقه الذى قادته النزهة البحرية المشئومة الى هذا الموقف العسير فانتهز فرصة الفترة التى كان الفرنسيون يجانبون فيها سفينته - ويتهيأون لتسلق سلمها - وجمع رجاله وألقى عليهم فى لهجة الأوامر العسكرية هذا الأمر السريع : « من هذه اللحظة يعتبر مسيو دى تروملان خادمي الخاص ويكون اسمه جون بروملى »

ولفت أحد الضباط نظر رئيسه الى أن الكونت يكاد لا يعرف كلمة من اللغة الانجليزية فأجابه القبطان : « إذن فلنقل أنه من أهل كندا وأنى استقدمته من هناك »

وفى هذه الاثناء كان الفرنسيون قد تسلقوا البارجة دياموند واستولوا على ما فيها ومن فيها فسلم القبطان سدنى سميث سيفه الى القبطان الفرنسى وقدم اليه ضباطه كلا منهم باسمه . وصدرت أوامر القبطان الفرنسى باعتبار البارجة غنيمة حربية وباعتبار رجالها أسرى حرب . وأنزل فى الحال العلم الانجليزى من فوق السارية وحل محله العلم المثلث الألوان . أما الكونت دى تروملان الذى صار الخادم جون بروملى ، والذى سنعرفه منذ الآن بهذا الاسم ، فكان قد أسرع واستبدل بثيابه الأنيقة ثياب أحد الخدم وعاد فوقف فى صفوفهم وراء الضباط والبحارة ، ولما آنس أن العدو لا يعيره ولا يعير اخوانه أى اهتمام عمد الى مقصورة سيده يحزم أمتعته ويرتب فى الحقائب ملابسه كأنه لا يعبأ بما هو واقع أو كأن الأمر يعنى الكبار ولا يعنى أمثاله من الصغار

حدث ذلك فى فجر اليوم التاسع عشر من شهر ابريل سنة ١٧٩٦ وقد تجمع أهل المدينة منذ الصباح الباكر ليشاهدوا السفينة الأسيرة ووقفوا على الافريز يهللون ويصفقون ويمنون أنظارهم برؤية ذلك الذى ظنوه عفريتا فاذا هو انسان كسائر الناس بل أقل من كثير من الناس لأنه يؤسر ويحبس ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً . ونزل العفريت الأسير من السفينة وسار فى طليعة رجاله بين سورين من الجند المدججين بالسلاح ، فما أن شاهده المتفرجون حتى دوت صيحات التهكم والسخرية فى الفضاء . فمن « مرحى مرحى » الى « اهلا وسهلا » وكان الرجل يستقبل هذه الصيحات الساخرة بذلك الاستخفاف المتوقر الذى يجيده الانجليز فيرد عليها برفع القبعة تحية وباحناء الرأس تسليما . ولما بلغ الفندق الذى أعده القوم لينزل فيه لم يشأ أن يضن على مضيفيه ببعض مجاملات لم يدروا أيحملونها محمل الجد الصادق أم محمل التهكم اللاذع فقال انه يحمد لمصيته ان أتاحت اليه فرصة زيارة فرنسا الجميلة وتعرف شعبها الظريف

وكان سير سدنى سميث يتقن تمثيل دور السيد الشديد الذى لا يتسامح حيال الزلل أو التقصير

فيعامل خادمه بغلظة اذا فرطت منه فارطة ويركله بقدمه ركلا يثير شفقة الناس عليه . ومع ان جميع الأسرى الانجليز ضباطا وبحارة وخدما كانوا يعرفون حقيقة هذا الخادم المزعوم فان أحداً منهم لم تحدثه نفسه بافشاء سره تزلفا الى العدو أو رجاء فى مكافأة أو استزادة من حسن المعاملة ، وهكذا احترمت ارادة القبطان ونفذت أوامره أدق تنفيذ

وفى اليوم الرابع لاقامتهم بالفندق صدرت الأوامر من الجهات العليا بترحيل سدنى سميث وسكرتيره الضابط رايت الى باريس وباستبقاء باقى الأسرى حيث هم حتى تصدر بشأنهم أوامر جديدة ، فأركب القبطان وسكرتيره مركبة من مركبات البريد ، وقبل أن تهم الخيل بالمسير قفز الخادم جون بروملى الى المقعد المجاور للحوذى كأن سفره فى صحبة سيده شىء طبيعى لا سبيل الى الاختلاف فيه . وتشاور رجال السلطة فى شأنه برهة فمنهم من رأى فى ذلك مخالفة للاوامر ، ومنهم من رأى غير هذا ، ثم استقر الرأى على أن يترك الخادم الأمين فى رفقة سيده حتى تتسلمه ادارة الأمن العام فى باريس فتقضى فى أمره بما تشاء

***

وبلغ الركب باريس فى أوائل شهر مايو وأدخل الأسرى سجن « التامبل »

وكان سجن التامبل مشهوراً فى أوربا كلها بأنه معتقل العظماء وكبار المجرمين السياسيين وقد اعتقل فيه الملك لويس السادس عشر وأفراد أسرته قبل ذلك بسنوات . ولقد كان هذا السجن أشبه الأبنية بالقلاع : ذا أبراج شاهقة وأسوار عالية وأفنية واسعة وأقبية تحت الارض تصلها بعضها سراديب طويلة متعرجة . وكان أمره موكولا الى حراسة شديدة أو مفروض انها شديدة لكثرة عدد الحراس ولصرامة الأنظمة التى فرضت الحكومة تطبيقها فيه

ولكن انتهاء عهد الارهاب ،والضعف الذى كان مجلس ادارة الدولة (الديركتوار) يسوس به البلاد، والفساد الذى اعترى دولاب الحكم ، والرشوة التى فشت فى مصالح الحكومة ، كل ذلك كان له أثره فى سائر النواحى فلم تسلم ادارة سجون الدولة مما اعترى جسم الدولة كله ، ومن ثم كان التراخى فى الحراسة والاهمال فى الرقابة والتهاون فى كل شىء . ويكاد يكون من الحقائق المسلم بها فى عالم السجون انه بقدر ما تشتد الحراسة ويشتد التضييق تتفتق أذهان المسجونين وتكثر حيلهم للاتصال بأصدقائهم فى الخارج كما تكثر حيل هؤلاء الأصدقاء للاتصال بأولئك المسجونين . فاذا كانت الشوارع المحيطة بقلعة التامبل مسرحاً للشرطة والخفية والجواسيس والرقباء فقد كانت أيضا المنازل المحيطة بها ملجأ للملكيين المتكرين والمتآمرين المستخفين ، ومسرحا للتدابير الشيطانية التى تدبر لتهريب المعتقلين وللتفاهم معهم على وسائل الهرب والافلات

ولقد كان سير سدنى سميث يعلم بعض الشىء عن أحوال سجن التامبل وعن حوادث الفرار التى وقعت فيه . لذلك لم يدهش كثيراً عندما وقف أول ليلة يستنشق الهواء الطلق من وراء

قضبان النافذة الحديدية وأبصر حجرة فى الطبقة الثالثة من منزل مطل على البرج الذى هو مسجون فيه ، وقد غطى حائطها المقابل لنافذة السجن بقماش ابيض كشاشة السينما وسلطت عليه أشعة فانوس سحرى كانت ترسم على القماش أحرفا هجائية متتابعة تتركب منها كلمات وجمل مفهومة

وقف سير سدنى هنيهة يرقب هذه الحالة ولم يلبث طويلا حتى أدرك انها طريقة يخاطب بها المتآمرون أصدقاءهم فى السجن ويقفونهم بها على أخبارهم ومشروعاتهم . ولقد عجب الرجل من جرأة هؤلاء الناس ولكن عجبه زال إذ أدرك ان سكان الأبراج العليا من السجن وحدهم هم الذين يستطيعون رؤية ما يكتبه الفانوس السحرى على الحائط . أما الحراس وكلهم مقيمون فى الطبقة السفلى فلا يرون منه شيئا واذا ارتفعت أبصارهم الى ما فوق رءوسهم فلن يروا سوى نافذة بيت مضاءة وهذا أمر طبيعى لا يثير الريبة ولا يدعو الى الاهتمام . والواقع ان هذه الطريقة للتفاهم بين المعتقلين وأصدقائهم فى الخارج كانت من ابتداع سيدة نبيلة تنتمى الى الحزب الملكى اسمها مدام دى لونواه تسكن مع بناتها الثلاث فى المنزل الواجهة لبرج التامبل وتتولى نقل الرسائل الى الساجين بطريقتها المبتكرة العجيبة

وبهذه الوسيلة علم القبطان سميث ان الكونتس دى تروملان لما بلغها من أصدقائها بانجلترا نبأ القبض على ركاب البارجة دياموند وزوجها من بينهم قدمت الى باريس وآوت الى منزل صديقتها مدام دى لونواه ، وأنها جادة فى تدبير تهريبه من السجن وان عليه أن يصبر ويتأهب للفرار عندما يحين الوقت المناسب

وكان طبيعيا أن يشغل تفكير السيدتين انقاذ الكونت تروملان لأن حياته كانت رهن أتفه الحوادث والمصادفات،فلو تعرف وجهه أحد الناس أو صادفه صديق وناداه باسمه أو بدرت منه أو من غيره بادرة تنم عليه لافتضح أمره ولم يبق أمامه الا الموت . ولو كان الكونت حريصاً حذراً مباليا بما يحيط به من الأخطار لاطمأن ذووه بعض الاطمئنان ولتريثوا فى تدبير خلاصه حتى تكتمل لديهم وسائل احكام الخطة وتوقى شر المفاجآت . ولكن صاحبنا كان مستهترا لا يعبأ بشىء ولا يحسب حساب شىء فكان من الواجب الاسراع فى انقاذه قبل أن يقع ما ليس فى الحسبان

ولقد كان ضباط السجن وحراسه يستخفون دم هذا الخادم المخلص الوفى الذى لم يكن له رأى ولا شأن فى الحرب الناشبة بين انجلترا وفرنسا ، والذى آثر أن يسجن فى هذه القلعة الرهيبة على أن يفارق سيده وولى نعمته . ولقد كانوا يعلمون أنه أجنبى غريب عن باريس لا صلة له بأحد من أهلها ولا مال فى يده يستطيع أن يقدم به على أمر ذى بال ، فكانوا يولونه من عطفهم وتسامحهم الشىء الكثير ويبيحونه ما لا يبيحون غيره من المحظورات ويتركونه يتنقل فى أنحاء السجن كما يشاء . ثم ذهبوا فى التهاون الى أن كانوا يسمحون له بمبارحة السجن فى بعض الاوقات فيذهب الى المدينة يجول فيها جولة ويبتاع لهم منها بعض الحاجات لقاء نفحات مالية ينفحونه بها .

وكان ما يبديه من النشاط فى الغدو والرواح والمحافظة على المواعيد والأمانة فى الشراء والدقة فى اختيار الأشياء ، مشجعا للحراس على الثقة به والمضى معه فى التسامح الى حدود التفريط فى الواجب والانحراف عن مقتضيات القانون والنظام . وكان بروملى يعرف حب أولئك الجنود النبيذ وشدة اقبالهم عليه فكان يشترى بكل نقوده نبيذا يشربه معهم أو يؤثرهم به على نفسه وكانوا يرون فى ذلك ظرفا وكرما يستحق صاحبهما كل عطف وتسامح واكرام

أما رجال الخفية الذين كانوا يحيطون بالسجن فقد أقلقهم أول الأمر كثرة تنقلات هذا الخادم فأخذوا يتعقبون خطواته ويراقبون الاماكن التى يختلف اليها حتى تحققوا أنه لا يدبر أمراً ولا ينتوى شراً . لقد كان يغادر التامبل فى ساعات معينة من كل يوم ويسير فى الشوارع والطرقات لا يكلم أحداً ويكاد لا ينظر الى شىء ، ثم يتردد على بعض الحوانيت فيشترى منها ما يريد وبعزمه ثم يذهب الى منزل مجاور للسجن يمضى فيه بعض الوقت ويعود الى السجن لاتبدو على وجهه أمارات رجل يحاول الهرب أو يدبر شيئا خطيراً . فعلام يهتمون بشأنه أو يلفتون أمره الى السلطات العليا فيسيئوا الى أصدقائهم الحراس بلا موجب ولا داع ؟ أما السيدة الانجليزية التى يختلف الى منزلها فلا تعدو أن تكون رفيقة لطيفة يقضى معها لحظات تهون عليه مرارة الحبس وشدة الأيام ، فهل من المروءة والسماحة أن يحرموه هذه السلوة البريئة التى لا يمكن أن يترتب عليها شىء ؟

بيد أن هذه الرفيقة اللطيفة لم تكن سوى الكونتيس دى تروملان ولم يكن اجتماعها بزوجها إلا لتفقه كل يوم على مدى ما وصلت اليه تدابيرها مع صديقتها مدام دى لونواه فى سبيل انقاذه وانقاذ صديقه القبطان . ولقد علم تروملان أن الرأتين الذكيتين تستعينان باصدقائه المخلصين لتنفيذ الخطة المرسومة وفى مقدمتهم فيليو زعيم الملكيين فى مقاطعة الفانديه ، وهيد دى نوفيل المتآمر الخطير الذى عينت الحكومة جعلا لمن يأتيها برأسه ، وبورج الملكى الثائر الجرىء الذى لم يكن فى الدنيا شىء أهون عليه من حياته ، وبواجيرار الذى اشتهر بحوادث افلاته من أيدى الشرطة كلما هموا بالقبض عليه حتى لم يجد فى النهاية وسيلة لتضليلهم وصرف أنظارهم عنه غير أن يشتغل رقاصا بدار الاوبرا يتقاضى مرتبه الشهرى من مال الحكومة التى أعياها البحث عنه والاهتداء اليه ، وغير هؤلاء من النبلاء الذين كانوا يستعذبون الجهاد فى سبيل الملك ويسترخصون الحياة فى الدفاع عن قضيته

ولم يعد الآن سراً من الأسرار أن معظم المبانى التى كانت تحيط بقلعة التامبل أو تلاصقه كانت أيدى المتآمرين من قديم الزمان قد لعبت بأرضها وأوجدت بها سراديب وممرات سرية حفرت تحت أسوار السجن ومدت حتى وصلت الى ما تحت المتنزه والفناء الكبير . ولقد اهتدى أصدقاء تروملان الى أحد هذه المنازل فاستأجرته زوجته وظلوا ينقبون عن آثار السرداب الذى به حتى عثروا عليه ولم يبق أمامهم الا أن يكشفوا عنه التراب ويوسعوه ويطيلوه بمقدار اثنى عشر قدما

ليبلغ المكان الذى عينوه لالتقاط السجينين منه . ولقد فعلوا حتى لم يتبق لبلوغ البلاط الا قشرة رقيقة من الارض تكفى لازالتها ضربة معول واحدة وعندها تنفتح في المكان ثغرة يرمى القبطان وخادمه بنفسيهما فيها ثم يسيران فى السرداب المحفور فيبلغان المنزل ومن هناك يستطيعان التسلل خفية الى إحدى الموانىء ويبحرون الى انجلترا

ولقد دبر هذا التدبير باحكام تحت جنح الظلام حتى إذا حل الموعد المضروب جاء الاعوان ليحدثوا الثغرة ولكن جهلهم بأصول عمليات الحفر جعلهم يوسعون نهاية السرداب فى غير موجب ، فلما ضربوا ضربتهم حدث شيء لم يكن أحد منهم ليتوقعه . فلقد انفتحت الثغرة واسعة وانهارت منها كمية كبيرة من الطين والآجر والبلاط أحدث انهيارها دويا عظيما سمعه الحراس والمسجونون

وهرع الجنود الى مصدر الدوى ووقفوا مشدوهين أمام هذه الفتحة العجيبة لا يعرفون بماذا يعللون حدوثها . أما الكونتيس ده تروملان وأصدقاؤها فلم يسعهم حيال تلك الخيبة التى انتهت اليها جهودهم سوى أن يولوا الادبار ناجين بأرواحهم . فلما عاين ضباط السجن الثغرة وعرفوا اتصالها بالسرداب واتصال السرداب بالمنزل وداروا حول السجن ليبلغوا هذا المنزل كان أصحابه قد هجروه تاركين به آثارا لا تنم عليهم ولا يستعان بها على معرفة الشخص المقصود بذلك التدبير الغريب . واهتمت السلطات العليا بالأمر وقامت فيه بتحقيق لم يسفر عن نتيجة حاسمة ولكنه أثار فى نفوس أولى الأمر بعض الريب فى القبطان وخادمه فصدرت الأوامر الحازمة الى حاكم سجن التامبل بالتشديد فى مراقبة الاسير الانجليزى وبفصل خادمه عنه وبترحيل هذا الخادم الى بلاده إذ لا مسوغ لاستبقائه بجانب سيده ...

شمل الحزن سكان التامبل جميعا يوم علموا قرب ارتحال جون بروملى ، فلقد كاد هذا الخادم الانيس يبلغ فى قلوبهم مرتبة الصديق بل لقد اتخذوه سلوة لهم تسرى عنهم هموم الحياة فى ذلك السجن الموحش

ولعل كبير الحراس كان أشدهم حزنا وأكثرهم أسى ، فلقد كان جون بروملى يتقرب من ابنته ويتودد اليها ويسر الى الجنود حبه لها وأنه لا محالة متزوجها عند ما تصفو الاحوال ويجد له وظيفة فى بيت من بيوت كبراء باريس

وكان يوم الوداع عسيراً عندما قدم الى السجن مندوب إدارة الأمن العام مصحوبا بشرذمة من الجند لتسفير الخادم الى بلاده . فلقد تبارى القوم فى اظهار أسفهم على فراقه وابداء تعلقهم به وأقبلوا عليه يعانقونه عناقا حاراً ويتمنون له الراحة فى السفر والتوفيق فى الاقامة والسعادة في الحياة . واندفع بروملي على سيده القبطان وجعل يقبل راحتيه وهو يكفكف الدمع المنهمر من عينيه ويقطع على نفسه عهداً أن لن ينساه ولن ينقطع عن خدمة أسرته ما دام حيا ، ثم غلبه التأثر فتحمس وأقسم على مسمع من الحراس والجنود أنه لن يدخر وسعا فى سبيل انقاذه من

السجن مهما كلفه ذلك من المشاق . وتأثر الحاضرون بهذا المنظر فجعلوا يمسحون بأطراف أصابعهم دمعات تترقرق بين أجفانهم ولم يروا فى هذا القسم أكثر من حماسة وقتية لا تستغرب ممن كان فى موقف هذا الخادم الوفى الأمين . وتأثر القبطان أيضا من هذا الولاء الفياض فتناول كيس نقوده وأفرغه فى يدى خادمه الباكى المحزون وأوصاه بتبليغ تحياته إلى أفراد الأسرة وبعض الاصدقاء . ثم كتب له شهادة إعفاء من الخدمة امتدح فيها نشاطه وذكاءه وأمانته وسلمها اليه قائلا أنه يرجو له التوفيق فى مستقبله وأنه سيوصى به أسرة انجليزية كريمة تقدر صفاته ومواهبه ومزاياه . ثم صرفه وهو يربت بكفه على كتفه ويقول : إلى التلاق يا صاح

وكانت رحلة جون بروملى من باريس إلى ميناء دنكرك رحلة غريبة فى نوعها : فتلك أول مرة منذ بدء الثورة يستطيع فيها الكونت دى تروملان عدو الحكومة الثورية والملكى المتآمر الذائع الصيت أن يتنقل فى ربوع فرنسا جهرة وفى وضح النهار آمنا على نفسه وحياته بين حراس من رجال الجمهورية مسئولين عن سلامته ومآله ، وها هو ذلك المهاجر المضطهد الذى تطلب الحكومة رأسه والذى كان حتى الأمس القريب لا يدخل وطنه إلا خفية تحت ستار الليل ولا يسير فوق الأرض إلا زحفا على بطنه بين الغابات والأحراج ، ها هو ذا يسافر فى مركبة من مركبات الحكومة يحف به حراس جمهوريون يفيضون عطفا عليه ويوفرون له وسائل الراحة والهناء . فيالسخرية الأقدار !

وودع الخادم جون بروملى حراسه على افريز الميناء شاكراً ما لقيه من احسانهم وصعد الى السفينة المتهيئة للاقلاع إلى انجلترا ملوحا لهم بمنديله مبتسما ابتسامة لا يعرف أحد سواه سببها ومغزاها ، فلما استقر فى مقصورته أرسل من بين فكيه ضحكة عالية جعلته يستلقى على قفاه :لقد أصبح الكونت دى تروملان حراً طليقا لا تستطيع يد الحكومة الثورية أن تناله ولا أن تمتد اليه ، فهل يرضى من الحظ بهذا النصيب وهل يحمد للاقدار حسن صنيعها فيقبع فى عقر داره قانعا من مغامرته بسلامة الاياب ؟ لا . بل لقد أمضى بانجلترا ثلاثة أسابيع ثم عاد بعدها إلى فرنسا . أى والله عاد إلى فرنسا كما كان المهاجرون والمتآمرون وزعماء العصابات الملكية يعودون اليها : متسللا من البحر الى الساحل بين الصخور والرمال ، ومن الشاطىء الى غابات نورمانديا ساريا بالليل مستخفيا بالنهار ، حاملا روحه على كفه مستهدفا للموت ينقض عليه فى كل ساعة من حيث لا يحتسب. عاد لينقذ صديقه القبطان ! ! يا حيرة القلم فى وصف هذه النفوس المخاطرة التى لا تستطيب الحياة إلا فى ظلال المحن والخطوب ولا تستعذب العيش إلا فى مواطن الاهوال والمكاره ! هذا رجل أفلت من أحضان الموت وهو لا يدرى كيف أفلت ، ثم ها هو ذا يعود الى أحضان الموت رابط الجأش باسم الثغر يتحدى الزمان والمكان ويتحدى الاحداث والناس ، كأنما وقع مع الحظ حلفا أو عقد مع الاقدار صلحا فهو لا يبالى أحداً ولا يهاب شيئا . لقد أقسم أن ينقذ صديقه من السجن

فلا بد من أن يبر بقسمه أو أن يموت فى سبيل البر به والا فأين النبل وأين المروءة والوفاء !

ولعل أكبر ما يدعو الى الضحك فى هذه المأساة أنه بينما كان الكونت دى تروملان يعيش فى فرنسا مع زوجته فى بيت استأجراه باسم مستعار فى مدينة كايان ، كانت أخبار الخادم جون بروملى ترد من انجلترا الى حكومة باريس ولا تنقطع عن السلطات الفرنسية الذكية المفتحة الأعين والآذان ، ولكنها كانت أخباراً ملفقة مصطنعة يراد منها التضليل ولا تتفق والحقيقة فى شىء . فلقد كان القبطان سميث يعرف ان ادارة الأمن العام فى باريس تفض الرسائل الصادرة عنه والواردة اليه ثم تعيد ختمها باحكام بعد أن تطلع على ما فيها . فلم يكن عليه الا أن يودع هذه الرسائل ما يريد أن يدخله فى روع الحكومة ليضللها عن الواقع وليصرف نظرها الى ما يشاء . لذلك كان يتعمد أن يذكر فى كتبه الى أهله وأصدقائه فى انجلترا اسم خادمه القديم جون بروملى ويطلب منهم أن يوافوه بأخباره وأن يعملوا على أن يوجدوا له وظيفة تكفل عيشه . وكان أقاربه وأصدقاؤه يجيبون على كتبه بما يتفق والخطة المرسومة فيكتب اليه أخوه : « ان بروملى سافر الى بورتسماوث منذ أيام ليعود أهله فيها وانه يعتزم الطواف ببعض الأقاليم ليزور أصدقاءه وليقضى بعض حاجات له هناك »

وهكذا كانت حكومة باريس تقف حينا بعد حين على أخبار جون بروملى فتنام ملء عينيها مطمئنة الى أنه ليس فى سلوك هذا المسكين البرىء ما يقلق ولا ما يريب . وهكذا أيضا كان الكونت دى تروملان ينعم بطيب الاقامة فى فرنسا الى جانب زوجته العزيزة ويدبر معها ومع أصدقائهما الوسيلة لانقاذ القبطان

لم يكد الكونت ده تروملان يستقر فى مدينة كايان حتى جمع حوله بعض زعماء الحزب الملكى وكبار مدبرى المؤامرات أمثال هيد دى نوفيل وفيليبو والرقاص بواجيرار وأخذ يتوفر معهم على درس الطريقة التى يأخذون بها سير سدنى من سجنه وظلوا يعرضون الاقتراحات ويفاضلون بينها الى أن استقر رأيهم على خطة لا تدرى أإلى الجرأة كانت أحوج أم الى البراعة . وهذه الخطة تتلخص فى الحصول على ورقة من أوراق مكتب وزير البوليس تحمل فى زاويتها العليا اسم ذلك المكتب والختم الرسمى الذى تختم به تلك الاوراق . فاذا ما حصلوا عليها كان من السهل ملؤها بأمر نقل مسجون من سجن الى سجن آخر وتزييف امضاء الوزير تحت هذا الامر . ثم لا يبقى بعد ذلك الا تدبير أمر الموكب الرسمى الذى يذهب الى التامبل ليتسلم القبطان تمهيداً لنقله الى سجنه الجديد تنفيذاً لأمر الوزير

وشاءت المصادفات الطيبة أن توفر عليهم صعوبة تزوير امضاءة وزير البوليس فهدتهم الى التعرف بجاسوس أجنبى اسمه ويكوفتش كان يعمل لحساب حكومته موظفا بادارة الأمن العام فى فرنسا . وقد رضى هذا الجاسوس لقاء منحة مالية سخية أن يسرق لهم ورقة من الاوراق

التي يسمونها في الادارات البوليسية « ختما على بياض » والتي يمهرها الوزير بامضاءته ليملأها مساعدوه عند الحاجة بالاوامر المستعجلة التي تقتضيها الطوارىء في أي ساعة من الليل والنهار

وفي مساء اليوم الرابع عشر من شهر ابريل سنة ١٧٩٧ وقفت مركبة فخمة عند باب سجن التامبل يقودها حوذي جلس الى جانبه شرطي بزي رجال الامن العلم وقد انزل حافة قبعته الى حاجبيه حتى غطت عينيه ، ونزل من المركبة ضابطان من ضباط البوليس العظام اتجها الى مدخل السجن بخطوات ثابتة متوافقة ، وبقي في ركن المركبة رجل مزركش الثياب تنم هيئته على أنه من كبار رجال الحفظ ، ولم يكن هؤلاء السادة غير صاحبنا الكونت دي تروملان وأصدقائه

واقتحم ضابطا البوليس باب السجن وأبرزا الى كبير الحراس أمراً من الوزير يقضي بتسليمهما السجين الانجليزي المدعو سدني سميث لينقلاه ليلا الى سجن فونتنبلو . وتناول كبير الحراس الأمر المكتوب وقرأه وتحقق امضاءة الوزير وتفرس هنيهة في وجه الضابطين وأخرج حافظة يوميات السجن وضم اليها الأمر الجديد وأصدر الى أحد مرءوسيه أمراً بانزال السجين المطلوب . وأقبل سير سدني سميث بين جنديين مدججين بالسلاح وحيا الحاضرين بإماءة من رأسه وابتسامة خفيفة على شفتيه وسأل الضابطين ماذا يريدان به فأخبراه بما جاءا من أجله فأظهر شيئا من الامتعاض لهذا الاقلاق الذي لا تقتضيه ضرورة ، وتحدث طويلا عن أمتعته وطريقة نقلها ووجوب موافاته بها صباح الغد . وتحدث الضابطان فيما بينهما عن حراسة المركبة التي تقل السجين

فاقترح أحدهما أن تصحب المركبة شرذمة من الجند لتحرسها وتظاهر الثاني بالموافقة على هذا الاقتراح ولكنه استدرك وقال : « ان الأوامر تقضي بنقل السجين سراً فكيف نسير به في موكب يلفت اليه الأنظار ؟ » ثم سلط عينيه على القبطان وقال : « انت ضابط » قال : « نعم » قال : « وكلمة الشرف بين العسكريين عهد لا ينقض » قال : « هذا حق لا مراء فيه » قال : « هل تقسم لي بشرفك العسكري أن لا تحاول الافلات منا فتغنينا عن الحراس ؟ » فرفع القبطان يده في أكثر ما يمكن من الجد ورباطة الجأش وقال في رزانة ووقار : « أقسم بشرفي ياسيدي أن انقاد لك طائعا وأن اذهب معك الى حيث تشاء ان أذهب » فنظر اليه الضابط نظرة فاحصة وقال : « هذا يكفيني »

وانفتح باب السجن الكبير وخرج القبطان بين الضابطين وركبوا المركبة جميعا وأشار الشرطي الراكب بجانب الحوذي فألهب الحوذي خيله بسوطه فانطلقت تعدو كأنها تريد أن تطوي الارض بسنابكها . حتى اذا بلغت نهاية الشارع حدث ما لم يكن لاحد في حساب ، فلقد أراد الحوذي أن يوجهها الى اليمين ولكنها جمحت منه فلم يستطع كبح جماحها فاندفعت بالمركبة الى مدخل حانوت فاكهاني فحطمت السلل والأقفاص وأصابت صاحب الحانوت اصابة جعلته يولول ويستغيث . .

وكان هرج ومرج وصياح من هنا وتصايح من هناك فتجمعت السابلة واحتشد الفضوليون

والرعاع وامتدت الاذرع تهدد الحوذى بقبضات الأيدى ودوت النداءات تنادى رجل الشرطة ليقتاد الحوذى الى مقر البوليس ، وتحرج الموقف وأحدق الخطر بالراكبين فلم يكن ثم متسع التفكير والتدبير بل لم يكن أمام الصحاب إلا أن يلوذوا بالفرار السريع قبل أن تنفضح الحيلة وتكشف المكيدة فيساقوا الى الموت أجمعين

عندئذ رأى الناس شيئا عجبا : رأوا الشرطى الفخم يقفز من كرسيه العالى الى الارض ويفتح باب المركبة ويشير الى الذين فيها اشارة لم يفهمها سواهم ، ورأوا ضابطى البوليس ورجل الامن العام وواحداً من الناس يهبطون من المركبة فى سرعة غريبة ويتلفتون يمنة ويسرة ثم يطلقون سيقانهم للريح غير مبالين بالتوقر الذى تقتضيه صفاتهم الرسمية ومراكزهم الكبيرة وبذلاتهم المزركشة ويتفرقون فى الازقة والطرقات لكل منهم وجهة هو موليها على ذلك الشكل المضحك العجيب . وسواء أكانت دهشة المفاجأة هى التى أذهلت الناس عن النظر فى أمر هؤلاء السادة والجرى وراءهم لمعرفة من يكونون ، أم اهتمامهم بأمر الحوذى الذى حطم الحانوت وصاحبه هو الذى صرفهم عن ذلك ، فانه لم تمض لحظات حتى كان ركاب المركبة قد اختفوا وغابوا عن الانظار

وبعد ساعة كان القبطان سدنى سميث قد لجأ إلى بيت أحد الزعماء الملكيين المتنكرين قاده اليه الكونت دى تروملان فاختبأ فيه وبات به ليلته ، حتى إذا كان صباح اليوم التالى تسلل من احدى غابات باريس قاصداً مدينة روان سالكا اليها سبلا غير مطروقة متخفيا فى زى قروى متجول ثم أبحر الى بلاده مع صاحبه فيليبو الذى سبقه إلى الميناء من طريق آخر . وعاد الكونت دى تروملان إلى منزله بمدينة كايان حيث كانت زوجه تنتظره مشتتة اللب قلقة الفؤاد .

أما بورج وبواجيرار فبقيا في باريس لمباشرة مؤامرات أخرى وقد لبثا ينتظران أن يقرأا فى الصحف نبأ فرار القبطان من سجنه أو نبأ القبض عليه ، ولكن صحف اليوم التالى صدرت خلوا من كلا النبأين . فلما مضت ثلاثة أيام والصحف لا تشير إلى ذلك الحادث بكلمة استولت عليهما الدهشة حتى أخرجتهما من مكمنهما فذهبا يجوسان خلال الشوارع المحيطة بسجن التامبل ويتنسمان الأخبار ، وهناك وجدا كل شىء يسير فى طريقه العادى ، فلا حركة غير مألوفة ولا تحقيق ولا عنقنين كأن أمراً ذا خطر لم يقع فى هذا الحى وكأن أسيراً عظيم الشأن لم يفر من ذلك السجن الرهيب . ولقد استعلما عن حادث المركبة وحوذيها فعلما أن الجمهور اقتاد الحوذي الى مقر الشرطة فقرر أن الخيل جمحت منه فلم يقو عليها وتراضى مع صاحب الحانوت المصاب على مبلغ من المال . ولما سئل الرجل عن الأشخاص الذين كانت مركبته تقلهم صرح بأنه لا يعرفهم لأنهم استأجروا المركبة من عرض الطريق وعلل فرارهم بأنهم لم يريدوا أن يشاطروه حمل المسئولية وقد وافقته الشرطة على هذا التعليل وحفظت القضية لتفاهة موضوعها

وأعجب من ذلك كله أن السلطات جميعا بقيت تجهل نبأ فرار القبطان الانجليزى الى ما بعد

هذا الفرار ببضعة أيام .. ولكن أى عجب فى ذلك وقد غادر الرجل السجن أو نقل منه بطريقة قانونية لا شبهة فيها ولا غبار عليها ، فلا رجال التامبل ارتابوا فى شىء حتى يرفعوا أمره الى السلطات العليا ، ولاهذه السلطات العليا علمت شيئا من مصدر آخرحتى تتحرك أو تقوم بتحقيق .
وما من شك فى أن الموضوع كان يظل مجهولا إلى ما بعد ذلك بكثير لو لم تكشف عنه المصادفات .
فلقد كان طبيب سجن التامبل يتغدى يوما على مائدة وزير البوليس وقد ساقهما الحديث إلى ذكر القبطان فسأل الوزيرضيفه عن حالة السجين ، ولشد ما كانت دهشته عندما أجابه الطبيب بأن أخبار القبطان انقطعت عنه منذ نقلوه من التامبل إلى فونتنبلو . . عندئذ فقط تحركت الشبه فى عقل الوزير فأرسل يستعلم من إدارة سجن التامبل ومن إدارة الأمن العام . وسرعان ما انتشر الخبر المزعج فقامت له الحكومة وقعدت وأرسلت خيرة شرطتها إلى السواحل والموانىء للقبض على القبطان وأعوانه ، ولكن ماذا تفعل الشرطة حيال رجل كان قد استقر فى بلاده منذ ثمانية أيام ؟

أما الكونت دى تروملان فكان قد أمن بتنكره للتفنن شر رجال الخفية والجواسيس وظل مع زوجه يتنقلان فى ريف فرنسا طوال تسع سنين . فلما ارتقى الجنرال بونابرت العرش باسم الامبراطور نابليون وأصدر قانون العفو الشامل عن جميع المهاجرين والمجرمين السياسيين لم يعد الكونت يحفل بشىء فأقام بباريس وجعل يغشى بيوتها ويختلف على منتدياتها فى غير ما حذر ولا استخفاء . ولقد قبضت عليه الشرطة يوما ظانة أنها صادت صيداً خطير الشأن ، ولكن الكونت الذى كان يعلم أن قانون العفو الشامل يحميه لم يتردد أمام وزير البوليس فى اظهار حقيقة شخصه ولا فى الافضاء بالدور الذى مثله فى حادث القبطان الاسير . وعندئذ فقط علمت الحكومة الفرنسية أن الخادم الساذج الطيب القلب جون بروملى لم يكن سوى الكونت دى تروملان

وبلغت المسألة مسامع الامبراطور نابليون فعجب لها أشد العجب واستقدم اليه ذلك الملكي المخاطر الجرىء وأصغى الى قصته فى شوق واهتمام . فلما وقف على أطوارها وتفاصيلها أثنى على صاحبها جميل الثناء وعرض عليه أن يستخدمه فى جيشه قائلا ان فرنسا فى حاجة الى أمثاله من الأذكياء المغامرين الشجعان . ولقد تردد الكونت دى تروملان ـ وهو الملكى الأمين ـ فى قبول الخدمة تحت قيادة غاصب عرش الملك ولكنه كان قد أدرك عظم الخدمات التى قدمها نابليون لفرنسا ومدى ما وصلت اليه فى عهده من القوة والعظمة ، فقبل أن يلتحق ضابطا باحدى الفرق. ولقد أخلص فى خدمة نابليون حتى نال منه رتبة القائد . ولما وقعت معركة واترلو كانت فرقة الجنرال تروملان آخر فرقة صمدت للعدو فى الميدان

عيسى الشريف

سجل الأيام

عرض عام للشئون الداخلية والمسائل السياسية العامة

بقلم الأستاذ سامى الجريدينى

(١) الشئون الداخلية

الروح الدستورية ان اظهر مظاهر شئوننا الداخلية هو هذا الهياج السياسى وذاك الركود فى إدارة أمور الأهلين

وقد قلنا مراراً إن شر ما أصيب به النظام البرلمانى فى العالم من الانتقاد هو قولهم أنه متلف للوقت مضيع للجهد مسرف فى النفقات ، وهذا عندما يكون يتولى بحث أمور حيوية من أمور الدولة . فماذا يقول هؤلاء النقاد اذا رأوا ممثلينا البرلمانيين يعقدون الجلسات للمناقشات الحزبية ويفضونها والغليان السياسى على أشده والعوامل الشخصية تحرك وتهدى ، وأمور الدولة وشئون المسكين رجل الشارع مؤدى الجزية لا يقام لها وزن

ان أخوف ما نخاف على النظام البرلمانى أن لا تكون الروح الدستورية حقيقة أولية فى شعورنا وفى أعمالنا

فان التحدث بالغاء النظام أو بتعديل الدستور تلوكه الألسن وتتحدث به الشفاه بعد القلوب، كأنه أمر عادى كخلعك هذا الرداء اليوم وارتدائك غيره غداً ، ليس مما يشجع على تدعيم النظام البرلمانى

اذا غضب وزير فلنعدل الدستور واذا استاءت الوزارة فلنقف أثر الدستور ، واذا تطاحنت الاحزاب وعلا العامل الشخصى على العامل القومى فلنأمر بالغاء الدستور

ذلك أننا لا نزال حديثى العهد بالحرية فاننا اذا فهمنا الحرية على أتم معانيها — حرية الفكر وحرية القول فى السياسة وفى غير السياسة لتغاضينا عن الكلام وأخذنا نعمل ، ولتسامحنا وابتسمنا اذا نقد الناقدون أو صاح المتطرفون

رحابة الصدر أصل فى قيام نظام الدولة والتسامح وارادة الشىء للغير ارادته لانفسنا ركن فى كل مؤسسة تبغى الدوام

لذلك عجبنا لهذه الزوبعة يثيرونها من أجل خطب القيت فى مجلس الشيوخ قيل أنها تعريض

بمجلس النواب . عجبنا والله لنواب يمت عدد كبير منهم الى المحاماة بنسب متين كيف لاينظرون الى الأمر النظر الحق ، وعجبنا لتلامذة التاريخ الحديث ينسون ما كان يقوله مجلس النواب البريطانى فى مجلس الأعيان وقتا طويلا بالسنة حداد . فلم تقم القيامة ولم ينس القوم أن نظاما يقوم على الخطب والانتقاد يجب أن يفسح له فى ميدان الخطب والانتقاد . على أن رئيس الحكومة وضع الأمور فى نصابها إذ نفى كل ما أشيع من الأفكار الخاطئة والآراء المضطربة

فانه ان لم يؤخذ بروح التسامح وان لم تحل رحابة الصدر وطول الاناة محل التهيج الحزبى والنعرة الشخصية فلا أمل يرجى فى تسيير دست الدولة سيراً يؤول الى منفعة الشعب

***

الجهد الاقتصادى

وكم يكون اغتباطنا عظيما لو توجه جهد البرلمان الى الناحية الاقتصادية . فالاصل فى وجود البرلمان هو لمراقبة الحكومة فى انفاقها الأموال ولمنعها من الاسراف

فالذين يؤدون الضريبة يجب أن تكون لهم الكلمة الاولى والأخيرة فى السبيل التى تنفق فيها أموالهم . هذه قاعدة القواعد خلقها أبو البرلمانات وصارت أولية يعبرون عنها فى لسانهم بقولهم : No taxation without representation

فاذا كان النظام نفسه قائما على هذه القاعدة فاخلق بالذين انتخبوا على هذا المذهب أن يعملوا به ويأخذوا حقهم بحلوقهم واصواتهم . ولم نر حتى الساعة فيما رأينا من أعمال رجال النيابة فى كل ما تقدم بنا من برلمانات قراراً يمنع مالا عن الحكومة أو ينقص فى فىء ضريبته على الناس

ولم نشاهد إلا أمنيات واكتفاء بوعود . ولو انصف البرلمانيون أنفسهم لفرضوا على الوزارات أمرهم وانزلوها على مشيئتهم يمنعون عنها الاعتماد المالى اذا رأوا فيه اسرافا أو تجنيا على ابن البلد الزارع المسكين . فقد اجمع المصريون أمرهم أن ميزانية الدولة فى حاجة ماسة الى ضغط من النفقات المبينة فيها . لاينازع منازع فى هذا الأمر

فلماذا لا يجرؤ البرلمان ويقدم على تخفيف العبء ونقله من كتف الى أخرى ؟ وماذا ينقص النواب والشيوخ من علم وايثار قومى وادراك للغاية الوطنيـة حتى يظلوا دهرهم مترددين لا يجسرون على الوقوف وقفة لا شك فيها فى وجه هذه النفقات الحكومية لا تنقص ولا تقف عند حد ؟

وكيف يطلب من رجل الشارع أن يؤدى ضريبة جديدة أو يبسط يده فى الدفاع عن مرافق البلاد اذا كان لا ينظر نظرة اعجاب وتأمين الى الكيفية التى تنفق فيها أمواله ؟

على أننا نعيذ الحكومة من قصد سىء أو نية اهمال ، فان الميراث المثقل بالتبعات الذى تلقته عن الادارة الانجليزية من جهة والروح الديوانية التى لا تزال عاملا عظيما فى كل اعمال الحكومات

عندنا دون سواهما ايهظا عاتق الميزانية ، وزاد الأمر ضغثا على ابالة مبدأ الحق المكتسب جيء به لأغراض سياسية ولا حق في الدنيا لامرىء أو لجمية اذا تنافر مع حق المجموع ، وما تكون قيمة هذا الحق المالية اذا أدى الأمر الى عجز المدين عن القيام بعهده ؟

اننا نعيذ البرلمان من أمر لا ينطوى على نية خالصة لوجه الوطن فعقيدتنا الراسخة ان أعضاءه المحترمين نخبة تملأ صدورهم أماني الخدمة العامة وآمال عظمة البلد

وقد ضرب لنا رئيس الحكومة في هذين اليومين مثلا أعلى لما يجب أن تكون عليه الديموقراطية من اتصال دائم بين الهيئة الحاكمة وممثلي الهيئة المحكومة من الصحافيين

فقد جلس يبين لهم ما فعل وما اعتزم أن يفعل يتلقى الأسئلة ويجيب عنها وهذا فتح للحكم الشعبي مبين

واننا والحق يقال لا نقصد اطراء ولم نعتد تمليقا ولكننا رأينا في عمل رئيس الحكومة روحا راقية نود أن تشيعها كل الحكومات

ومما زاد في اعجابنا بالمبادىء التي يأخذ بها الرئيس أنه جاهر على رءوس الاشهاد أن غرضه كل غرضه وضع نظام ثابت لكيان اقتصادي يضمن الملكيات الصغيرة ويرمي الى اتساع ملكيات صغيرة أخرى حتى تعم ويضمن البلد لنفسه قيام ركن من أبنائه يكونون الدعامة التي تقوم عليها النعمة الاقتصادية

فاذا نجح محمد باشا محمود في ابلاغ هذا الأمر نهايته يكون — فضلا عن خدمة البلد — قد اثبت انه رجل دولة بالحق يعمل للآتي ويضحك من التصفيق والتهليل ، وليس هذا بعزيز على رجل ماضيه حافل بالنبل وبالنزاهة

***

الخطبة المصرية الايرانية

لا يزال المبدأ الذي ندين به يقنعنا بصحة ايماننا . فقدقلنا منذ عشر سنين ونيف وما زلنا نقول إن عرش مصر هو الخادم الأمين الذي ترجوه هذه الأمة لامورها في جميع مرافق الحياة الدولية والوطنية

وقد جاءت الخطبة الملكية شاهداً ودليلا يؤيد القاعدة

فان هذه الخطبة الميمونة الطالع ستكون خير مقدمة لربط مصر دوليا مع ايران الآن ومع سواها من الممالك فيما بعد

وسيتلو هذه المقدمة موضوع بعيد الغور قد يكون فيه الخير كل الخير لمصر أولا وللشعوب المجاورة ثانيا. حتى اذا شبعنا من التفاخر بالماضي وحفزنا سؤدد الفرس ومجد العرب وبطش الفراعنة الى الأخذ بأسباب الحضارة الحقة نضمن لانفسنا مكانا تحت قبة الانسانية المتمدينة السمحاء

(٢) الشئون الخارجية

أوربا المضطربة ولن تكون هذه القارة جديرة باسم أوربا ان لم يتناولها الاضطراب ابدا دائما

فما هي أوربا ان لم تكن مأوى شعوب وعناصر ما انفكت تتقاتل وتتناحر منذ أن عرفها التاريخ الحديث حتى الآن

ابدأ باخبار الدولة الرومانية من أيام جمهوريتها الاولى حتى تقف اليوم أمام اخبار اسبانيا وتشكوسلوفاكيا ، تجد الروح واحدة والمبدأ الاوربي واحد

فهذه القارة تمتاز بشيء واحد لم نعرفه لغيرها فيما سلف من الأيام ــ هو هذه الحيوية ــ هذه النفس الطامح لاتستقر . وذلك سر عظمتها وسر امتلاكها ناصية العالم . أبقى شبرا من الارض الاوربية لم تتداوله الأيدي مرارا وتكرارا ولم تسفك له وفيه الدماء بحارا

فتارة قبائل تجوع فتجتاح البلاد المجاورة وتهبط السهول الخصبة فتتحارب وتتوالد وتستقر ردحا من الزمن في المواطن الجديدة ثم تغلب السليقة فتعود سيرتها الاولى . وأخرى تنفخ فيهم الفروسية روح اليأس وتمزجه المسيحية بروح الايثار فيخرجون للناس أمثلة عليا لم تصل البشرية الى أسمى منها إذ تجمع بين الرفق الالهي والتوحش الانساني

وبينا هؤلاء الاوربيون يحاربون تعصبا للدين فيذبحون أولاد المخالفين ويستحيون نساءهم ويخربون ديارهم ــ اذا بهم يحاربون رجال هذا الدين فينهبونهم أموالهم ويقتحمون عصمة معاقل دينهم

وبينا الامر للملك يتلقى حقه بنعمة الله من السماء يرفع من عبيده من يشاء ويضع من يشاء ، اذا بهم يسوقونه الى الذبح يكفر عن طغيانه واذا بالمساواة والاخاء والحرية تحل محل الأمر المطلق . وهكذا بلا هوادة ــ حرب على المبدأ الحكومي ، واقتتال على المبدأ الاقتصادي ، وفتح في مملكة العلم لايضاهيه فتح. وشتان بين ميدان العلم الهادي وميدان السياسة المضطرب، ولكنهم رغم اختلاف الميدانين برزوا فيهما كليهما وأناروا السبيل للعالم

وكأن هذه الروح التي لا تستقر على حال من القلق ضاقت عليها القارة الصغيرة كثيرة المنحنيات والخلجان والانهار والجبال فخرج ابناؤها يفتحون امريكا وآسيا وافريقيا بالسيف وبالتجارة وبالعلم . فاستعبدوا شعوبها وسخروها في مآربهم فمن آنس منهم في نفسه استعدادا للتكيف بحضارتهم سار سيرتهم وأخذ أخذهم والف مع المهاجرين منهم شعوبا لا تزال حية ومن استكبر وانزوى واتخذ من دونهم حجابا انقرض أو استعبد وفل سلاحه السياسي والاقتصادي

هذه اوربا ــ حركة دائمة ــ وحيوية لا تخبو نارها . فلو لم تكن كذلك لما حملت مشعال

الحضارة الحالية كل هذا الزمن وهي ان وقفت وهمدت حرارة روحها ماتت وزال عنها سلطانها واكتسحها الآخرون . فالذين يخافون على المدنية الأوربية أن تنقرض لا ينظرون النظر الحق الى الروح التى ولدت هذه المدنية . وغاب عنهم أن الذين يظن انهم منقرضون لا يزالون قادرين على الانشاء ، قدرتهم على الهدم ، ما زالت حيويتهم على ما هى عليه

وانما أخوف ما يخاف منه على أوربا هو أن تزول منها هـذه الروح المضطربة القلقة ـ هذه الروح التى تخترع أدوات الدمار والهلاك وآلات السلام والانسانية والايثار ـ وتستبدل بها روحا هادئة ناعمة تأمر بالمعروف وتصلى إذا غزاها الظالم وتقنع بما قدمت يداها فى الماضى مفتخرة بالعظام متكلة متواكلة . ان أصيبت أوربا بهذا الداء وكفت روحها عن الوثوب والسعى المتواصل فقل عندئذ عليها وعلى حضارتها السلام

أما والأمر ليس على ما قدمنا من الصورة السوداء فلا يزال الخير معقودا بنواصى الشعوب الأوربية . وقد لا تكون بريطانية أو افرنسية ـ فالعبرة بالروح الأوربية فى مجموع آثارها المدنية لا بتفضيل شكل من هذه الحضارة على آخر . فنحن الذين ننتمى الى شعوب لا مطمع لها الآن فى حلبة الزعامة تستوى لدينا الألوان إذا كان القماش جيداً . وسيان عندنا أقاد هذه الحضارة المسيطرة الالمان أو انجليز ، يابانيون أو امريكيون فالنتيجة الأساسية العالمية واحدة

ويلوح للباحث التاريخى أن مجرى البشرية يجرى فى حوض النهر الذى حفرته الطبيعة . فهى دائمة الحركة لا يعتور نشاطها سكون أو استقرار تارة الى الامام وأخرى الى الوراء . واوربا القلقة كيفت نفسها على أمها الطبيعة أيما تكييف . لذلك حق علينا أن لا نقلق من هذا الاضطراب الاوربى ولا نجزع فقد يودى قلقها بكيان اقتصادى أو بنظام سياسى أو يرفع شعبا ويذل آخر ولكنه فى جملة وجهته لا يعدو أن يكون مظهراً من مظاهر الحيوية تنفخه الطبيعة فى احشاء من تريد له السيادة من القارات أو الشعوب الفتية

لذلك كان ما نشاهده الآن من هذا النزاع لا يستقر يتناول كل ما غمرته الحضارة الغربية من أقصى اليابان الى أبعد شقة فى أوربا ـ صورة متحركة لانفجار نفسانى فى مدنية تأبى أن ينتابها الركود وتستعصى قيادها على شعب غير آخذ بأسباب القوة والبأس والحركة الدائمة

ولسنا من الضاربين بالحصى حتى نصل الى أسرار الغيب ، ولكنها العبرة التاريخية التى سلفت تنذرنا بالفوز يعقد لواؤه لصاحب العزم والحزم والقوة وبعد ذلك يظهر هذا الفائز جدارته بالزعامة بما انطوت عليه جوارحه من عقيدة بمدنية يفرض على العالم مبادئها ، فهذا النشاط الجرمانى الذى حطم قيود عهدة فرساى وتناول حقه بيده ، وهذا الفتح الذى مد رواقه على معظم أوربا الوسطى هل يقف وهل يستطيع الى الوقوف سبيلا ان أراد ؟

وهذا الحق الذى تدعيه الشعوب الصغيرة التى تجاور القوى ما هو دليلها عليه ؟

هل تجدي مطالعة التاريخ

بقلم الاستاذ علي أدهم

« .. لئن كان التاريخ معرضاً مزدحماً بالشخصيات الخالقة والابطال الساعير ففيه كذلك الكثير من الامات والأوشاب ، والكثير من صفحاته موقوف على سير الجبابرة والسفاحين والسلاطين ، حاشد بمخازى الامراء والحكام ، وحماقات الملوك وطغيانهم .. »

من خصائص العصر الحاضر البارزة شدة الاقبال على التاريخ والامعان فى تقليب صفحاته وتقلية أخباره ، ومن الملحوظ أن أكثر المؤلفات رواجا وأوسعها انتشاراً هى التى تتناول بحوث التاريخ ، وتحاول أن تجلو ناحية من نواحيه المجهولة أو التى تعرض لعصر معهود وتبرزه فى حلة قشيبة وصورة أخاذة ، أو تستحضر من نواحى الماضى القريب أو البعيد شخصية ممتازة أو بطلا معروفا وتروى قصة حياته وتكشف عن خوالج نفسه ومطارح أفكاره وبواعث أعماله . وقد اجتذبت هذه النزعة السائدة الى صفوف المؤرخين وكتاب السير والتراجم طائفة كبيرة من أقطاب المفكرين ، فانتظموا فى سلكهم وخصوا التاريخ بعنايتهم وأرصدوا له مواهبهم ، وقد جرف تيار هذه النزعة مفكراً من الطراز الأول مثل برتراند رسل فوضع كتابه عن الحرية والتنظيم ، وفيلسوفا فى طليعة الفلاسفة العصريين مثل كروتشه فألف كتابه عن تاريخ أوربا فى القرن التاسع عشر ، بل يذهب كروتشه فى اكبار التاريخ الى أبعد من ذلك ، فالتفكير التاريخى عنده قرين التفكير الفلسفى ، والتاريخ فى رأيه ضرب من الفلسفة ، والفلسفة لون من التاريخ

وليست النزعة العلمية هى أوضح صفات العصر وأظهر خصائصه كما يقع فى وهم الناظر فى شئونه أول وهلة ، وانما ميزته هذا التلفت الدائم الى الماضى ومحاولة الوقوف على أصول كل فكرة من الافكار ومعرفة مناشىء كل مذهب من المذاهب . ولعل السبب فى ذلك أن الدعايات السياسية والنزعات المذهبية قد اشتد بينها الصراع ، فى العصر الحاضر ، ومن دأب كل نظام جديد أو انقلاب طارىء أن يتجه الى الماضى ليستظهر به ويلتمس عنده المسوغات ويتسقط المعاذير ، وكل تجربة سياسية تحاول أن تستدل من الماضى وتجاربه على صحتها واصالتها وقربها من طبيعة الحياة وتمشيها مع منطق الحوادث . والحقيقة أن تفكيرنا فى الماضى أو نظرنا الى المستقبل رهن بمشكلاتنا الحاضرة ، فنحن نتجه الى الماضى لنستمد العون على الحاضر ولتبرير أعمالنا وتزكية خطتنا ، وقد نتجه الى الماضى أو المستقبل لنستعيض بهما عن الحاضر أو لنبين كيف يجب أن

يكون الحاضر ، وكل عصر من العصور من شأنه أن يعيد خلق الماضي ويصوره تصويراً جديداً يلائم نزعاته ويساوق اهواءه ، فالماضي في نظرنا غيره في نظر أسلافنا ، وقد قال في ذلك كروتشه كلمته المأثورة وهي : « ان كل تاريخ انما هو تاريخ معاصر »

والشيوعيون الآن يحاولون أن يفسروا التاريخ تفسيراً اقتصاديا ماديا قائما على توزيع الانتاج وأثره في ايجاد مختلف الطبقات ، والفاشيون كذلك يحاولون أن يفسروا التاريخ تفسيراً قائما على تمجيد فكرة الدولة وتجريد الفرد من القيمة ، والامم الديمقراطية تعمد الى تفسير التاريخ تفسيراً يوضح أثر روح الجماعات في خلق التاريخ وتسلسل أدواره

وقد انداحت دائرة التاريخ في العصور الحديثة وترامت حدوده ، فمنذ مائة سنة كان التاريخ يبدأ على وجه التقريب بسنة سبعمائة قبل الميلاد وكان ما قبل ذلك أساطير ملفقة وخرافات متناثرة لا تمكن المؤرخ من أن يحوك أفواف التاريخ وينتهي الى حقيقته ، وقد أخذت تتسع تخوم التاريخ بعد توفيق شامبليون في حل الهيروغليف المصري ، وبعد وقوف رولنسون على طريقة قراءة الخط المسماري

وهناك فريق من المفكرين لاتروقهم هذه النزعة التاريخيه ولا يرحبون بهذا الاتجاه الى الماضي ، وهم يرون ان أكثر ما نسميه تاريخا هو طائفة من توافه الاخبار وفارغ الحوادث لاتستحق أن نوليها عنايتنا ونشغل بها أفكارنا ، وهم يرون أن سبب الاقبال على التاريخ والحرص على دراسته رغبة ملحة في الانسان تصرفه عن البحث الصارم المنتج وتدفعه الى كل شيء عاطل من الأهمية مجرد من الجدية . والتاريخ ان هو إلا ملهاة وقتل للوقت وان كان لا يخلو من جاذبية وطرافة ، وما الذي يغرينا بالتاريخ وحولنا الحاضر بحوادثه الحافلة وحروبه الطاحنة وانقلاباته الهادمة ، وفيه كل ما يذهل العقل ويتطلع اليه القلب من روائع الخاطرات ورهيب الحوادث ؟ وهل نرى في التاريخ غير صور منعكسة من هذا الحاضر المجهود القلق ؟ فلماذا لا نعرض عن التاريخ ونتوفر للبحث عن حق مستقر نلوذ به ونعتصم خلال هذه الفوضى الضاربة والاضطراب المستحكم ؟

وما فائدة التاريخ ؟ وما جدوى غربلة هذه الاخبار الكثيرة المتراكمة المختلط فيها الحق بالباطل والتي قد تنفد جهودنا وتنقضي أعمارنا قبل أن نميز ما بها من غث وسمين وصادق وزائف ؟ وهل معرفة بواطن الرجال الذين لعبوا دوراً هاما في الماضي وادراك طبيعة الحوادث السالفة واسرار الانقلابات التاريخية ينفعنا في هذه الأيام ؟ بعض الناس لايرى فائدة في ذلك ، وفريق منهم يرى أن عصرنا هو أكمل العصور وأوفرها خبرة وأوسعها علما وأنه مشرف على القمة واليه تناهى كل مجد ، فبين أيدينا عصارة حكمة العصور الخالية وخلاصة علوم الأجيال السابقة فالرجوع الى الماضي الدائر وتأمل صور مجتمعات قد عفاها البلى وطواها الدهر ، واستحضار شخصيات قد رزخت تحت أطباق الثرى لانها اشتهرت في الماضي السحيق بسبب انتشار الجهالة

واستفاضة السخف ، هو نكسة طارئة وانحراف عن سبيل التقدم وارتداد الى الوراء وتوهين الفكر واضاعة للجهد . ولقد كان شوبنهور يستخف بدراسة التاريخ وينعى على مفكرى عصره استمساكهم بالمنهج التاريخى . وكان يذهب الى أننا نفيد من الشعر معرفة أصدق وأوفر مما نفيد من التاريخ ، وكان ينكر على التاريخ الصفة العلمية والقيمة الفلسفية ، لاننا لا نستطيع فى التاريخ أن نصل الى الخاص عن طريق العام والمؤرخ مضطر الى مواجهة الخاص مباشرة ، فى حين أن العلوم المختلفة قد حصلت على تصورات شاملة كلية تستطيع أن تسيطر بها على الخاص ، أو – على أقل تقدير – أن تحدد مداه وتحيط باطرافه وتتمكن من التنبؤ بحدوث أشياء فى داخل تلك الحدود ، وبذلك يظفر العقل الباحث المتقصى بشىء من الراحة والطمأنينة . والعلوم تتحدث الينا عن الانواع فى حين أن التاريخ لا يعرف إلا الأفراد ، والعلوم تخبرنا بما سيكون ولكن التاريخ لايذكر لنا إلا ما كان ولن يتكرر حدوثه بعد ذلك ، واقتصاره على الفردى والمعين لا يمكنه من استيفاء بحث الاشياء والالمام بجميع نواحيها . ولم يكن ديكارت أقل زهداً من شوبنهور فى دراسة التاريخ : فالتاريخ عنده مزيج من الحقائق الخاصة ، والحقائق التى هى ثمرة المصادفة ، والمعول فى معرفته على الذاكرة والادراك الحسى لا على العقل ، فهو من ثم أدنى منزلة من العلم والفلسفة . والتاريخ عند أناتول فرانس هو تصوير حوادث الماضى ، ولكن ما هى الحادثة ؟ الحادثة هى حقيقة بارزة ملحوظة ولكن من الذى يحكم أن تلك الحقيقة بارزة أو انها ليست كذلك ؟ ان المؤرخ هو الذى يصدر هذا الحكم من املاء ارادته ومن تأثير تذوقه ، ولا يقف فرانس عند هذا الحد فهو يقول بأن الحقيقة شىء متراكب ، فهل يستطيع المؤرخ أن يجلوها كاملة غير منقوصة ؟ هذا من المستحيلات ولا مفر للمؤرخ من أن يصف الحقيقة مشذبة مهذبة ، وهو يضيف الى ذلك أن الحقيقة التاريخية هى النتيجة النهائية لحقائق مجهولة أو غير تاريخية ، فكيف يتمكن المؤرخ من أن يظهر توشجها واشتباكها ؟

والذين يقولون أن التاريخ يزيدنا علما بالأمور وبصراً باعقاب الحوادث لما بينها من صلات ووجوه شبه هم فى خطأ وضلال مبين ، لأن التاريخ لا يتكرر وحوادثه لا تعيد نفسها وتاريخ الانسان حلقة متصلة من التغيرات الدائبة المستمرة لا يستعاد فيها موقف ولا يتكرر حادث ، والحكم السياسية المستخلصة من التاريخ قد يكون ضررها أكثر من نفعها ، ويمكنك أن تلتمس فى التاريخ الذرائع لكل شىء : ففيه انتصار الاستبداد وفوز التعصب وغلبة الشر ، وماصلح فيه لأمة من الأمم أو جيل من الأجيال قد لا يصلح لغيره ، وما أدى الى نتيجة معينة فى عصر من العصور قد يؤدى الى نقيضها فى عصر آخر

وإذا كانت فائدة التاريخ مقصورة على مطالعة الاخلاق والخلوص الى أسرار القلب البشرى فان قراءة أعلام الروائيين وكبار الشعراء أقرب سبيلا وأحلى سوغا ، ولئن كان التاريخ معرضا

مزدحما بالشخصيات الخافتة والابطال المساعير ، ففيه كذلك الكثير من الامعات والاوشاب ، والكثير من صفحاته موقوف على سير الدجالين والسفاحين واللابين ، حاشد بسخافات الأمراء والحكام وحماقات الملوك وطغيانهم وأهوائهم السفة وشذوذهم المستكره ودسائس البلاط ومكائد القصور ، ولم يجد فى ستر ذلك ، محاولة المؤرخين تمويه حقيقتها ، ترصيع الكلام وزخرفة الحديث ، وأى نفع يرجى من وراء اجهاد النفس فى ابهاء المكاتب وسراديب المحفوظات لتعرف أسرار دسيسة حقيرة ومؤامرة وضيعة ؟

ولكن مهما حاول خصوم التاريخ أن يغمطوه حقه وينكروا عليه مكانته فلا سبيل الى انكار ان التاريخ هو مجموعة تجارب العصور السالفة وسجل كل ما ظفر به الانسان وجاهد فى سبيله ، ومعرض أحلامه الخائبة وآماله العاثرة وأمجاده الباهرة ومفاخره الخالدة . ومهما أوتى الانسان من سعة العلم ورزق من دقة الفهم فانه لا يستطيع أن يكتسب من حوادث عصره وملابسات حياته سوى تجربة محدودة وستتسع آفاق نفسه وتستقيم تجاربه اذا أضاف اليها تجارب التاريخ ، وحقيقة أن الفكرة القائلة بأن التاريخ يقدم لنا قواعد لنسير عليها فى حياتنا ونأخذ بها فى مباشرة أعمالنا ليست من الرجاحة بمكان ، وانما علينا أن نستثمر تجارب التاريخ كما نستثمر تجاربنا الشخصية . وحوادث التاريخ فى الواقع لا تعيد نفسها ولكن هذا لا يقدح فى فائدة التاريخ ، فان التجربة قد تفيدنا فى ادراك الفروق بين الحوادث أكثر مما تفيدنا فى معرفة وجوه الشبه بينها . والحياة الانسانية كثيرة التنوع والاختلاف وليست على حال واحدة فى مختلف العصور وقد تفرد كل عصر باظهار جانب من جوانب النفس وناحية من نواحى العقل ، والحضارة فى حركة مستمرة وتطور دائب ، ولمعرفة ما هو طبيعى للانسان لا مفر لنا من الالمام بأحواله فى عصور مختلفة وأزمنة متفاوتة وقد لا تكون حالة الانسان فى العصر الحاضر اتم أنموذج وأصدق مثال لانسانيته ، وقد تكون هناك نوازع مكظومة وغرائز مكبوحة وأفكار معقولة تحول بيننا وبين ادراك حقيقة الانسان فى ألوانها العديدة وظلالها التى لا يأخذها الحصر ، والحكم على كفاية الانسان يقتضى مراجعة ما تم على يده فى مختلف العصور ، وقد جلى كل عصر صفة خاصة من صفات الانسانية على أتم وجوهها ، والماضى يحفنا فى كل مسالك العيش ومظاهر الحياة ، فى القوانين أو العادات والمعتقدات وفى حاستنا الأدبية وادراكنا الأخلاق ، وفكرتنا عن الخير والشر ، وجهلنا للماضى من دواعى الضعف ، كما ان علمنا به من أسباب القوة ، والوسيلة الوحيدة لفهم المجتمع هى دراسة تاريخه والالمام بالادوار التى مر بها تكوينه ، وشوبنهور على تنقصه للتاريخ كان يرى أن التاريخ للنوع كالعقل للفرد ، وأن الشعب الذى يجهل تاريخه لايفهم نفسه ولايحس وجوده ،ويكثر الاقبال على التاريخ فى عصور الشك كأن الانسان يدرك إذ ذاك عظيم مسئوليته أمام التاريخ وحيال الانسانية

على أدهم

مأساة قروية

قصة للكاتب الفرنسي بيير فونتان

اشتهر بيير فونتان بطائفة من القصص الرائعة تصف حياة الفلاحين في مختلف القرى الفرنسية . وحوادث هذه القصة تقع في قرية من قرى كورسيكا وفيها يصور الكاتب لونا طريفا من ألوان النبل القروى المقترن بروح البطولة والتضحية

كانت أميليا قد أحبت الفلاح المديد القامة المفتول العضل روبرتو . وكانت تلتقى به فى الحقول كل صباح فتحصد الغلال معه وتقضى سحابة النهار بقربه وتعود الى البيت فى المساء برفقته وهو متأبط ذراعها يرمق الفلاحين بالنظر الشزر ويباهى بالفتاة الرائعة الجمال التى أصبحت فى قبضته

وكان روبرتو شابا وحشى الخلق غليظ الطبع سريع الانفعال معتداً بنفسه فخوراً بقوته ، يتحدى القرويين ويعبث ببناتهم وتتهالك عليه العذارى معجبات به ، وكل واحدة منهن تود لو استطاعت كبح جماحه والتغلب عليه والاستئثار به

وتوهمت اميليا ان فى وسعها اخضاع ذلك الفتى للتغلب لسلطان حبها ، فأقبلت عليه أول الأمر ثم أعرضت ، فالتهبت كبرياء الشاب وسرعان ما أهمل عشيقاته واتصل بها

وكانت أميليا فتاة بديعة المظهر ذات قد ممشوق وشعر أسود مجعد وعينين واسعتين متقدتين ونظرات حادة يشع منها الاباء والشمم وتتألق فيها تلك الجرأة النفسية الشائعة فى معظم نساء كورسيكا ، فأولع بها روبرتو وآثرها على أترابها وزاده حبا لها واستمساكا بها ان شعر ذات يوم بأن فلاحا من الاجراء يدعى جويدو يحوم حولها ويتطلع الى منافسته فيها

وكان روبرتو من أولئك القرويين الذين يطالبون الناس باحترامهم ولو بالقوة ، والذين لا يترددون في استخدام القوة لفرض الأتاوات على الفلاحين والحياة فى القرى عالة على أهلها ، فلما أحس رغبة جويدو فى التقرب الى اميليا تعلق بها وضرب نطاقا من الغيرة حولها وحرم عليها الخروج من البيت وكان يعمل أو يسطو على عمل الغير وينفق عليها ، فاغتبطت الفتاة ورأت فى هذه المظاهر أبلغ دليل على شدة حب روبرتو لها

ولم يحفل الشاب بغريمه ولم يكترث له ، بل ترفع عن مخاطبته ، وأغضى عن تصرفه ، واصطنع البهجة والاشراق والمرح ليدلل على ثقته بنفسه وبحب اميليا له

وكان جويدو يرقب مراحل هذا الغرام ولا ينبس بكلمة

لم يبح للفتاة بحبه . لم يعترضها يوما فى الطريق . لم يفكر فى مزاحمة روبرتو ولم يخطر على باله لحظة واحدة أن ينبه اميليا للخطر الذى يتهددها ولما انطوت عليه أخلاق حبيبها من جبن وغدر ونفاق

كان يحبها حبا صامتا عميقا مبرحا . كان يرتجف إذ يراها ويهلع قلبه لقدمها ويود لو استطاع التضحية بحياته فى سبيلها . ولكنه كان خجولا حييا لا يحسن الكلام ولا يجيد التعبير عما يشعر ، وتجيش العواطف فى صدره فلا ينطلق بها لسانه بل ترسلها عيناه دموعا حارة تثير الضحك والسخرية فى نفس اميليا

على أن جويدو لم يكن دميا ولا ضعيفا ، فقامته كانت معتدلة ، وجبهته عريضة ، وشعره أشقر ذهبيا ، وساعده النحيل عصبيا مليئا ، وقبضته الصغيرة قبضة رجل ذكى يعرف عند الاقتضاء كيف يسدد الضربة وكيف يصيب وينتصر

وكانت اميليا تعلم حق العلم ان حب روبرتو لا يقاس بحب جويدو . ولكنها كانت امرأة ، تولع بالقوة ، وتعبد مظاهر القوة ، وتنشد فى الزواج حماية نفسها والزهو على أترابها ، وسحق بنات القرية جميعا

وهكذا رأت فى الطيبة دليل الضعف وفى الشر عنوان القوة . فأهملت جويدو وتشبثت بروبرتو ولم تعد تفكر إلا فى الطريقة التى تحمل بها الشاب على الاذعان لها والتزوج منها

وخيل لأميليا أن خير طريقة هى الاقبال على جويدو والاهتمام به والتلطف معه ، فانصرفت بعض الشىء عن روبرتو ولوحت لغريمه بالأمل ، فثارت ثائرة حبيبها وتقدم اليها من تلقاء نفسه وعرض أن يقترن بها . وحينئذ أسرعت اميليا والفرح يكاد يخنقها ونادت أمها الأرملة ثم جمعت شيوخ القرية ثم طالبت روبرتو بأن يعاهدها على الزواج أمامهم ، فنهض الشاب وتناول الانجيل من يد أكبرهم ، وأقسم أن يعقد على الفتاة فى الموسم القادم وأن يدعو جميع أهل القرية الى حفلة العرس

* * *

واطمأنت اميليا الى المستقبل وعللت النفس بالآمال الكبار واعرضت فجأة عن جويدو واستسلمت لغرامها السعيد

وزهاها النصر فلم تستطع رؤية الحقيقة ، وختم الهوى على أبصارها فلم تستطع الهبوط الى قرارة نفس من تحب

والحق أن روبرتو كان قد خضع لكبريائه لا لحبه ، وكان قد لوح بالزواج لا ليرضى حبيبته بل ليتحدى خصمه ، وكان وهو الرجل العابث المستهتر الحر قد قيد حياته بامرأة لا ليسعدها ولا ليبر باليمين التى أقسمها لها بل ليثأر من غريمه ويذل نفسه ويرى الى أى حد يمكن أن يذهب به القنوط والفشل

ولكن جويدو كان أنبل من أن يعترض ارادة اميليا . كان يحبها ويود أن تحبه من تلقاء نفسها ، فلما آثرت روبرتو عليه ، تعفف عنها ، وتجنب رؤيتها ، واحترم نفسه ، ولاذ بكرامته ، واختفى عن الأبصار

عندئذ خيل الى روبرتو ان الجو قد خلا له ، وان خصمه قد ألقى بسلاحه ، فطوحت برأسه نشوة الظفر ، وركبه الغرور ، وعصفت به غرائزه الدنيا ، وتكشف حبه لاميليا عن رغبة وضيعة فى امتلاكها والعبث بها واتخاذها عشيقة فقط

والواقع انه على الرغم من شعوره العميق بقوته كان يخشى جويدو ويتهيبه ويحسب له أكبر حساب ، فلما أمن شره ، تحول الى الفتاة وطفق يموه عليها صدق العاطفة ، وحرارة الحب ، وخالص الولاء ، ويطالبها باثبات حبها وتوكيده فى هبة رائعة توثق بينهما وتؤلف بين قلبيهما وتسمو بغرامهما فوق التقاليد الشائعة وفوق ما اصطلح عليه الناس من شرائع وقوانين

وكان عذب الصوت ، بليغ العبارة ، مشبوب العاطفة ، ظاهر العذاب ، فاشفقت عليه اميليا ووثقت به وعز عليها ان تكون سبب شقائه فاستسلمت له وأصبحت خليلته

ولم يعد فى وسع روبرتو كتمان فرحه ، واخفاء زهوه وخيلائه ، فتبدل فجأة وزايله تجهمه ، وشاعت فى أخلاقه وقاحة مرذولة ، فكان يتحدى الفلاحين ، ويسخر منهم ، ويعتدى عليهم ، ويعيث فى القرية فساداً ، غير آبه لشيء ولا مكترث بأحد

وأعجب ما لوحظ عليه حينئذ أنه اطلق اميليا من عقالها ولم يعد يغار عليها ، فكانت تخرج كلما شاءت وتظهر فى الحقول مع بنات القرية ، وتزرع وتحصد وتحزم الغلال ، وقد أومض فى عينيها بريق غريب ، وازدهر بدنها ، وتطلق محياها ، وانسكب عليها فيض من الانوثة الساحرة يستهوى الالباب ويأخذ بمجامع القلوب

وكانت تقفز وتضحك وتغنى كطائر برى أفلت من قفص ، أو كطفل يستكشف الحياة فى كل خطوة ، أو كمخلوق دانت له السعادة بعد أن أعياه طول البحث عنها

وإذ ذاك أبصرها جويدو فاستشعر الحقيقة ونفذت الحسرة الى قلبه كطعنة سكين

أدرك بغريزته ان اميليا أصبحت لروبرتو وان الشاب خدعها وغرر بها ، وأنه من المحال بعد أن فاز بمأربه منها أن يبر بقسمه ويقترن بها ، فثارت ثائرة جويدو وخطر له أن يذهب الى الفتاة ويكاشفها بمخاوفه وينبهها الى الخطر المحدق بها ، ولكن السعادة التى كانت متمثلة فى وجهها وابتساماتها ، وخفة روحها ، وتوثب حركاتها ، زادت فى حسرته عليها ، وفى احساسه بالضعة والهوان ، فخجل من نفسه وكبر عليه أن تذله امرأة فيسعى لخلاصها ، فما كان منه إلا أن غض الطرف عنها ، وانتظر ما عسى أن يحدث فى الموسم القادم عندما تأزف الساعة ويطالب شبوخ

القرية روبرتو بان يبر بقسمه ويقترن بعروس القرية اميليا ! . . .

* * *

وانقضت الايام تتبعها الأيام ، وجويدو يخنق همه فى صدره ، ويروح عن نفسه تارة بالعمل وأخرى بالصيد ، وروبرتو يعيره ويهزأ به ، واميليا تتعطف عليه فى بعض الأحيان وترمقه بنظرات ملؤها الشفقة فتثير أعصابه وتستفز حنقه وغلا' قلبه لوعة وأسى

وظل صابراً محتملا يكظم غيظه ويتجاوز ويغفر ، حتى دنا الموعد المنتظر وتهامس الكل به ، وأرسل الشيوخ فى طلب روبرتو ، وتأهبوا لعقد اجتماعهم فى السهل الكبير تحت شجرة السرو الباسقة التى أقسم روبرتو فى ظلها الوارف يمينه المغلظة .

* * *

وكان جويدو قبيل موعد الاجتماع بنحو أسبوع جالسا في داره الصغيرة . يجدل حبلا من القنب ويغني أنشودة رقيقة حزينة يسرى بها عن نفسه ويجد فى لحنها المتشابه الأليم راحة وسلوى ، وكانت السماء مكفهرة والنجوم محتجبة والظلمة حالكة وطنين الريح يهز الأستار وينبعث من خصائص النوافذ كأنين قلب ممزق محروم

وجاشت عواطف جويدو وتمثلت له فجأة حياته الخاوية الضائعة وأحس أنه يعيش فى القرية ضالا شريداً لا أسرة له ولا أبناء . لا أهل ولا أصدقاء . بل عزلة رهيبة تكتنفه منذ أن توفى والداه . وأسى عميقا يخيم عليه ويبتليه بضرب من السوداء الحالمة يكاد يغمر وجدانه وفكره ويصيبه بشبه مس من جنون

وأطرق لحظة واختنقت الانغام بين شفتيه واختلج بدنه وانهمرت من عينيه الدموع

وإذ ذاك طرق مسمعه وقع خطى خفيفة تدب فى حذر على الدهليز الطويل . فاجفل ونهض وماكاد يتقدم الى الباب حتى أبصره يفتح فى رفق وتدخل منه اميليا ! . .

وكانت الفتاة شاحبة اللون متقرحة الجفنين مرسلة الشعر . تلفها غلالة سوداء . تبدو من خلالها أعضاؤها الرقيقة وقد تولتها رعدة عنيفة كرعدة المحموم

جمد الشاب وانعقد لسانه وظل واقفا يحدق الى الفتاة ذاهلا مبهوتا

فتقدمت اميليا ونضت عنها غلالتها وتهاوت بغتة على الوسادة الملقاة فوق الحصيرة الصفراء

وقبل أن يوجه اليها كلمة . أشارت اليه بالجلوس فجلس بجوارها . فابتسمت له ابتسامة كليلة ثم أرسلت نفسا مستطيلا ثم لمعت عيناها فجأة وقالت :

— روبرتو خدعني ! . . . الحق بي العار ثم انفصل عنى ! . . .

وصمتت برهة وهى تلهث ثم اردفت :

ـــ لن يقترن بي ! . . لن يبر بقسمه ! . . . لقد صارحني اليوم بعزمه على التخلي عني ، فالى أين أذهب ، وماذا أفعل ، وابنه يتحرك فى احشائي ؟ . .

فقطب الشاب حاجبيه واتقدت عيناه وقال :

ـــ كنت أقدر هذا ! . .

فصاحت اميليا :

ـــ ولم لم تنبهني ؟

فابتسم ابتسامة ممزقة وأجاب :

ـــ كان حبك أقوى من اخلاصى !

فأشاحت بوجهها ، ثم تحولت الى جويدو ، وأمسكت بذراعه وجعلت تهزها هزاً متداركا وتقول :

ـــ ليس لى سواك ! انت اليوم كل أملى ! انقذنى ، انقذنى ياجويدو !

فأحس الشاب كأن موجة من الفرح تتدفق الى صدره ، ولكنه تمالك نفسه ، ورفع عينيه وتأمل الفتاة طويلا ثم قال والحسرة تدوى فى صوته :

ـــ ماذا تطلبين ؟

فاطرقت برأسها وأحجمت عن الجواب فضحك جويدو ضحكة قصيرة مرة وقال :

ـــ أدركت مرادك فلا تجزعى ! .. سأذهب اليه واخاطبه وابذله قصارای لحمله على البر بقسمه والاقتران بك ! . .

فرفت أهداب اميليا وانحدرت الدموع من مآقيها وانحنت وهمت بتقبيل يد الشاب ، ولكن جويدو أسرع بالنهوض ، ثم التقط الغلالة السوداء ، ثم القى بها على كتفى الفتاة ، وقال وهو يحدق الى الارض :

ـــ عودى الى البيت واعتمدى علي ! .. واذا ألح عليك الألم وخشيت سوء العقبى فى وسعى أن أرسل بك الى مدينة (ليون) حيث تعيش عمتى العجوز وهناك تضعين طفلك فى أمن وسلام

فانتفضت الفتاة ذعراً وقالت :

ـــ وهل تظن ان روبرتو ..

فقاطعها بلهجة حادة خشنة :

ـــ من يدرى ؟ فقد أعجز عن حمله على تبديل رأيه ...

فصرخت :

ـــ وإذن يفلت الوغد بلا عقاب ؟

فحدق اليها لحظة ثم قال فى شبه غمغمة :

— وماذا يكون من أمرك لو عاقبته بما يستحق ؟ . .

فتعاقبت شهقات اميليا وقالت متلعثمة :

— يجب . . يجب أن يعاقب اذا اصر على الحنث بيمينه . . . يجب أن يعاقب ولكن بدون اسراف . . بشيء من الشفقة ! . .

فارسل جويدو أنة مستطيلة وعض على شفته وقال بصوت هادىء وقد أيقن أنها ما تزال تحب روبرتو :

— اعتمدى علي . سأبذل جهدى ! . .

وبسط لها يده فصافحته ، ثم فتح الباب واومأ اليها بالخروج ، فاستدارت ثم اضطربت ثم تحولت اليه بغتة وفتحت ذراعيها وهمت باعتناقه ، ولكن جويدو تقهقر ودفعها عنه فى رفق ، فتراجعت خجلة واتجهت نحو الباب ، وقبل أن تنصرف اختلجت واجهشت بالبكاء ثم تطلعت الى الشاب كمتوهة ثم ارسلت اليه على أطراف أناملها بقبلة ثم عدت الى الخارج لاتلوى على شيء

***

وكمن جويدو لروبرتو خلف صخرة كبيرة فى مؤخرة السهل الكبير ، وكان الوغد قد اعتاد المرور بتلك الناحية كل ليلة . فلما أبصره جويدو عن بعد ورآه مقبلا عليه يصعر خده ويختال فى مشيته برز اليه وقطع عليه الطريق وقال محاولا جهده كظم غيظه :

— بلغنى انك قد عدلت عن الزواج باميليا

فرمقه روبرتو بنظرة شزراء وقال :

— وما شأنك أنت ؟

فتفرس فيه الشاب مليا ثم دنا منه وقال بصوت قاطع ولهجة حاسمة :

— امض بنا الى شيخ القرية . وسنرسل فى طلب اميليا ، وهناك يعقد عليكما اليوم !

فقهقه روبرتو طويلا ثم قال متهكما :

— ما كنت أظن الاخلاص يبلغ بك الى حد التضحية برجولتك ! . .

فاحتمل جويدو الاهانة وكبح جماح أعصابه وقال :

— كلانا يحبها وسعادتها فى يدك ، وأنا امنحك اياها على شرط أن تسعدها ! . .

فضحك روبرتو وهز كتفيه وقال :

— ليس هذا فى أخلاقنا . أنا لا أقبل منك منحة . ان ما تفعله لصغار . وخير لك أن تسعدها بنفسك ان استطعت من أن تستجدى الآخرين سعادتها !

فغشى الدم وجه جويدو وتملكه الحنق ولم يعد يبصر حوله إلا سواداً فتقدم من روبرتو وصاح : « امض بنا الى شيخ القرية ! »

فدفعه روبرتو وقال : « اذهب بمفردك يا غر ! »

وعندئذ ثارت ثورة جويدو وجمحت به أعصابه وفقد سلطانه على نفسه ، فتراجع واستل خنجره وصرخ : « احذر ! »

فانتضى روبرتو خنجره أيضا وانقض على خصمه ، فانحرف جويدو وطعن روبرتو فى ذراعه فخار هذا من فرط الألم ، ثم راوغ جويدو وتمكن منه وأصابه فى جنبه الأيمن ، ولكن جويدو لم ييأس وتراجع مرة أخرى وتظاهر بالسقوط على الارض ثم نهض فجأة وبسرعة ومهارة وخفة طعن خصمه فى ساقه اليمنى ، فاضطرب روبرتو وبدا عليه العجز وعندئذ تذكر جويدو ما قالته اميليا فكف عن الطعن وتقهقر وقال : « الق بسلاحك . ولنذهب الى شيخ القرية »

فاحنى روبرتو هامته وتظاهر بالخضوع وارخى ذراعه كمن يهم بالقاء شىء ، فاطمأن جويدو ودنا منه ليلتقط السلاح ولكن روبرتو غافله وانقض عليه رافعا ذراعه ملوحا بخنجره ، فاستشاط جويدو غضبا واستهول الخيانة وفى أسرع من لمح الطرف قبض بيسراه على ذراع خصمه واغمد الخنجر فى ظهره حتى مقبضه !

واستفاق جويدو من نشوته وتلفت حوله واذا به يبصر روبرتو جثة منطرحة على الصخر شوهاء اللامح دميمة التقاطيع ممزقة الأوصال يتفجر منها الدم ، فارتعد وملأ الذعر قلبه ، وعلى الرغم منه تقدم الى الجثة وجذبها الى الارض ومددها على التراب وجعل يتحسس أعضاءها فى ذهول وحيرة ، ولما تسربت اليه برودتها وأيقن بأن قد فارقتها الحياة ، جحظت عيناه وعلا الزبد شدقيه فاختطف قبعته والتقط خنجره وانطلق يعدو ميمما وجهه شطر اميليا !

وكان قد دب نزاع هائل بين اميليا وبين روبرتو قبيل مصرعه . وكان روبرتو قد أغلظ لها القول وقطع كل صلة له بها فى نفس اليوم الذى لقى فيه حتفه ، وكانت اميليا قد غادرت بيتها عقب القطيعة وهامت على وجهها فى القرية تبحث عن جويدو وملء صدرها الرغبة فى اقرار العدل والأخذ بالثأر . فلما اقتحم جويدو دارها بهت إذ لم يجدها واضطرب وحار فى أمره ولم يجد بدا من مصارحة والدتها العجوز بما فعل راجيا منها ابلاغ اميليا النبأ المروع وملتمسا اليها طلب العفو عنه من ابنتها التى أحبها أعظم الحب وارتكب على الرغم منه جريمة القتل من أجلها

وذعرت العجوز وطاش صوابها وخشيت من وجود الشاب فى المنزل ، ولكن جويدو أسرع بتوديعها بعد أن ابلغها انه لن يظل فى القرية وانه راحل من فوره الى ليون حيث تقيم عمته

وانصرف تحت جنح الظلام يوسع الخطى الى داره ليعد حقيبته ويتزود بما اقتصد من مال ، ولكنه لم يكد يشرف على بيته حتى سمع شبه لغط وابصر الشجيرات المحيطة بالباب تتمايل ولمح فى ضوء القمر أشباح رجال الشرطة يتربصون به ، فادرك أنه افتضح ، فاستدار وكر راجعا واطلق ساقيه للريح وظل يعدو حتى بلغ منزل اميليا .

وكانت قد علمت بكل شيء فلما وقعت عليه أبصارها وأدركت أنه مطارد تهلل وجهها واستضاءت قسماتها ولم تستطع اخفاء فرح غريب تألقت به عيناها ، فعانقته وأوسعته ضما وتقبيلا ثم أسرعت وقادته الى مخزن الغلال الكائن فى سطح البيت وهناك أرقدته على الارض وغطته بأكوام القش وراكت فوقه الحبوب ثم أوصدت عليه الباب بعد أن قبلته فى فمه قبلة طويلة محمومة

وعاش جويدو فى مخزن الغلال بضعة أسابيع سعيداً بجوار اميليا شاكراً لها فضلها عليه مدينا لها بحياته متفانيا فى حبها موقنا بأنها قد أصبحت تحبه وأنها قد دلت على هذا الحب بكل ما وسعته نفسها من مغامرة وتضحية واخلاص . واطمأنت اميليا على الشاب بعد انقضاء شهر على وجوده فى دارها ، واستوثقت من يأس رجال الشرطة وانصرافهم عن البحث عن قاتل روبرتو، وفى ذات صباح صعدت الى مخزن الغلال وفتحت الباب فى هدوء ودخلت على جويدو وجلست على كومة من القش وقالت فى سكون :

— الآن يجب ان ترحل !

ففغر جويدو فمه كأبله ولكنها لم تحفل به واستطردت :

— زال عنك الخطر وفى وسعك أن تصبح حراً ! لقد توفى بالأمس عمى القسيس العجوز فاخفينا عن الجميع نبأ موته . ففى استطاعتك أن تتزيا بزيه وتستخدم جواز سفره وترحل هذا المساء الى ليون . وهاك ما يلزمك من نقود !

فبهت الشاب ولم يصدق سمعه وقال وهو يرتجف : « وانت . ؟ . انت ؟ . . كيف اتركك هنا ؟ .. كيف اعيش بعيداً عنك ؟ . . ألا تحبيننى ؟ . ألم يكن اخلاصك هذا دليل حب إذن ؟..»

فاطرقت اميليا لحظة ثم رفعت رأسها وقالت :

— كلا ياجويدو ! . . لقد كنت مثال النبل فى تصرفك حيالى . فاردت ان ابادلك مكرمة بمكرمة ونبلا بنبل ! .. لقد انتقمت لى فانقذت انا حياتك . فنحن متساويان . أما حبى فقد وهبته من زمن لروبرتو وليس فى مقدورى أن استرد ما وهبت ! فارحل وثق أن اميليا لن تنساك !

فشحب وجه الشاب وتقلصت تقاطيعه وزفر زفرة ممزقة ثم تطاول بعنقه واغرورقت عيناه بالدموع وحاول أن يتكلم ، ولكن اميليا ابتسمت له ابتسامة كلها اشفاق وعطف ثم نهضت وفتحت الباب وخرجت دون ان تنبس بكلمة

ولما عادت حاملة جواز السفر وثوب القسيس ، اقشعر بدنها وجحظت عيناها وجمدت على عتبة الباب رعبا ، إذ أبصرت أكوام القش والحبوب ملقاة فى احدى الزوايا ، وجويدو معلقا من عنقه بحبل شد الى قضبان الطاقة الصغيرة ، ووجهه شديد الاصفرار ، وعيناه مندلعتان ، وجسمه يتأرجح فى فضاء الغرفة وقد هزل وابترد وفارقته الحياة !

المعرّى
مثله الأعلى للأخلاق

بقلم الأستاذ محمد أحمد جاد المولى بك
مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف

« . . . فاذا كان من غايات المثل العليا للاخلاق عند الفلاسفة أن تحكم الحياة بسلطان العقل ، ويؤخذ النـاس بحكم الفضيلة ، فان مثل أبي العلاء الأعلى في الأخلاق هو تجنيد العقل والفضيلة لتجريد النـاس من الحياة . . . »

المثل الأعلى للأخلاق عند المعرى

المثل الأعلى للأخلاق عند فيلسوف أو كاتب أو شاعر ، هو البرنامج الذى يقترحه ذلك الشاعر أو الكاتب أو الفيلسوف للمجتمع الانسانى ، حتى إذا اصطنع المجتمع هذا البرنامج ، دنت له قطوف السعادة والرفاهة وطيب الحياة . وقد تركت القرائح العربية من هذه المثل ألوانا شتى : فنها ما أثبت الزمن صلاحيته كله أو بعضه ، ومنها ما أثبت الزمن انه على العكس من ذلك لا يصلح كلا ولا بعضا ، ومنها مالا يزال مجال اختلاف فى الرأى ، وتفاوت فى التقدير . فهل كان لأبى العلاء مثل أعلى للأخلاق ؟ وهل كان مثله الأعلى برنامجا لسعادة المجتمع الانسانى ، وأين يقع هـذا المثل مما أثبته الزمن له أو عليه ؟

وصاحب المثل الأعلى للأخلاق ، لا بد أن يكون قوى الايمان بالمجتمع فى ذاته ، واسع الأمل فى الحياة لذاتها . فهو لذلك يرسم من الخطط ، ويتخذ من التدابير ما يضمن للمجتمع الرقى ، وما يخطو بالحياة فى طريق السعادة فساح الخطوات . وبديه أنه لا يفكر فى تنمية وإعداد إلا من طوى جنبيه على رغبة وتأميل فيا ينمى ويعد . فهل كان أبو العلاء عامر القلب إيمانا بالمجتمع الانسانى ؟ وهل كان ذلك المجتمع نازلا من رغبته منزلا يكون من ورائه الاكتراث به والتفكير له ؟

كلا ! لم يكن لأبى العلاء مثل أعلى للاخلاق ، فانه لم يضع برنامجا للمجتمع الانسانى يكفل له السعادة والرقى ، وانما منعه من ذلك أنه كان غير مؤمن بهذا المجتمع ، منكراً على الناس ان

يؤمنوا به . وكان غير راغب فى الوجود ، زاريا على الراغبين فيه ، وكان غير آمل من الحياة ، ساخراً من الآملين منها . انظر قوله :

رغبنا فى الحياة لفرط جهل   وفقد حياتنا حظ رغيب

وقوله : لا تفرق النفس من موت يحل بها   فالنفس أنثى لها بالموت إعراس

وهيهات لمن اجتمع له ذلك النكران للمجتمع ، والكراهة للوجود ، واليأس من الحياة ، أن تختلج خواطره بالتفكير فى وسائل ترقيته وإسعاده ، فيهديه الفكر الى وضع برنامج بين السعادة والرق ، يسير فى الناس مثلا أعلى

على ان ابا العلاء يلتقى برجال الاخلاق ، وراسمى مثلها العليا فى مفتتح الطريق . فان من مهم رجال الأخلاق فى طريقهم الى رسم المثل العليا ، ان يتعرفوا أحوال الناس ، وما يدور بينهم فى مختلف الشئون ، وأن يتدسسوا الى منازع النفوس ما يعرض منها وما يلزم ، وان يتفطنوا الى تقلب الخوالج فى درجات أو دركات ، وأن يتدارسوا الطبائع على ضروبها ظاهرة وباطنة

ولعمرى لقد كان لأبى العلاء من هذا كله أوفر قسط وأوفى نصيب ، فهو - فيما أثر عنه من نثير ونظيم - يغوص على دقاق من النزعات قلما تتكشف ، ويجلو خوافى من السجايا قلما تتجلى . ولكن حس أبى العلاء لا يعيا بدقيق ، وبصيرته لا تقف دونها غشاوة

ويلتقى أبو العلاء مرة أخرى برجال الأخلاق فى مرحلة مديدة من مراحل الطريق : فقدما وضع رجال الاخلاق قواعد عامة للكمالات الخلقية والفضائل النفسية ليتحلى بها الأفراد والجماعات ، والفوا من شتات هذه القواعد ما يقترحون للحياة الفاضلة من عليا المثل ، ومضوا يرغبون فى اتباعها بما يتيسر لهم من تحضيض وتزيين ، وما وسعهم من احتجاج وتدليل . والحق ان صوت أبى العلاء كان اندى الأصوات فى الحض عليها ، والدعوة اليها . مطوعا لها بيانه وافتنانه ، محاميا عنها بعقله الكبير ، ورأيه الخبير . وهذا هو الكثير من منظومه ومنثوره حافلا من ذلك ببينات من الآيات ، وبالغات من الحجج

بيد ان أبا العلاء يتجه فى ترغيبه وترهيبه متجها غير الذى تلاقى عليه رجال الأخلاق . فهو إذا انتصر لفضيلة كان دليله لها أنها تعين البصيرة على الوقوف بباب الغيب مما وراء الكون الماثل وإذا أنحى على رذيلة كان دليله عليها أن الحياة أهون فى قصرها وتفاهتها من ان تنال النفوس منها بنقيصة من النقائص . اقرأ قوله :

ان المنايا أرتنا حجة شرحت   فضل العطايا لبخال وأجواد

فالمقياس الذى يقايس به أبو العلاء بين الفضائل والرذائل هو الحقيقة الكبرى . التى ملأت منه أقطار نفسه ، وملكت عليه طباق تفكيره ، ألا وهى : منقطع الحياة ، هى غاية الحى ، هى المنية التى تحجب عن الموتى ما كان لهم من قبل ، وتغلق دون الاحياء ما يكون لهم من بعد

فمظهر الخلاف بين رجال الأخلاق وأبي العلاء : أن أولئك يتوصلون بما يعلمون من أحوال البشر ، وما يرسمون من قواعد الأخلاق ، إلى علاج ما يكون من فساد النفوس واعتلالها ، واعداد وسائل التهذيب والاصلاح لها ، حتى تصفو الطبائع من الشوائب ، وتخلص الفطر الى السلامة ، فيسلك الناس سبيل الهدى ، ويألفوا صبغة الفضيلة . فأما أبو العلاء فانه يتخذ مما يملأ منه يديه برهانات على ان الوجود حقيق بالازدراء والتحقير . وأن الدنيا جديرة بأن ينفض الناس منها أيديهم فلا يضربوا فى مضطربها ، ولا يسعوا فيها فساداً أو إصلاحاً . بل يكون نصيب الحياة منهم الزهادة والعفافة والانف ، ويكون نصيبهم من الحياة مجرد التفكير فيا وراء الحياة . تأمل قوله :

رجوت الموت ينتظم البرايا   بسحب منه فى أعقاب سحب
فأوصيكم بدنيانا هوانا   فانى تابع آثار صحبى

أجل ، لقد كان ما وراء الحياة شغل أبي العلاء الشاغل ، وهمه الناصب ، فاتجهت نحوه فكرته وتواثبت اليه فلسفته ، فهو دائما يخطرقلبه العقبى ، وتتمثل لبصيرته الأخرى ، ومكانه من الحياة أبدا حافتها ، يرقب منها ما بعد ، ويتأمل ما يكون ، لا يطمئن الى رأى ولا يقر له قرار ، شأن الحائر المشدوه ، تتنازعه الهواجس ،وتتوزعه الوساوس . فاما سنحت له خاطرة عدته عنها أخرى ، واما استنام الى نتيجة أيقظته عنها نزغة . فاذا هو ملتقى أخلاط من الآراء صريحة أو مؤولة ، وإذا هو فى الأولى والآخرة الحائر المشدوه

حير أبا العلاء أن يرى حياة الناس تختلف فى مطالعها كل الاختلاف : فهذا سعيد وذلك شقى وهذا فطن وذلك غبي ، وهذا لسن وذلك عيي ، وهذا وليد يختصر ، وذلك شيخ يرد الى أرذل العمر ، وهذا صحيح ينقض بغتة كما انقض الجدار هوى به الخسف ، وذلك مريض يموت على السنين شاواً شاواً ولا يفتأ يتنفس . اقرأ قوله :

وأجسامنا مثل الديار لأنفس   حوائر منها جاهل وحليم
فاما انهدام قبل رحلة ظاعن   واما رحيل والمحل سليم

فهذه الحياة المختلفة الأوائل المتناقضة المقدمات ، لا تلبث أن تلد النتيجة الدائرة ، وهى الموت الحتم ، لا فرار منه ، ولا خلاف عليه ، ولا استثناء فيه

ها هو ذا أبو العلاء يشبه حياة الناس المختلفة أوائلها بقصيدة تجرى مصارع أبياتها على ما يكون من الحروف ، لكل بيت فى مساره حروف شتى تتألف منها كلمات شتى ، ولكن هذه الأبيات كلها تلتقى عند ختامها ، وتنتهى بحرف واحد يدور فى عقب كل بيت منها . فاما حرف قصيدة الحياة فهو التاء من كلمة الموت ، أو الهمزة من كلمة الفناء ، أو الميم من كلمة العدم ، الى غير ذلك من الكلمات التى تؤدى هذا المعنى . واليك قوله :

وأعمارنا أبيات شعر كأنما أواخرها للمنشدين قوافي

فالقوافي لهذه الحياة محور فلسفة أبي العلاء ، ومحور آرائه جمعاء . وقد أخذت عليه هذه القوافي جنبات نفسه ، ومسارب حسه ، فأصابته عدواها فيما صبغ به يديه من شأن . فهو يلتزم القوافي إذ يكتب الرسائل ، ولا يترك فيها السجع إلا في النذرى ، وهو يلتزم القوافي في «الفصول والغايات» إذ يتكلف أن يصوغ فقرا في معنى وعظى ، فيسجع في فقرة ، ثم يختم ذلك بفقرة على حرف يكون هو الغاية ، ثم يجرى على هذا الحرف ما شاء بمستأنف من الفصول . وهو يلتزم من القوافي ما لا يلزم في ديوانه المسمى بهذه الصفة ، في عمد الى ذلك وتعمد . وهو الى ذلك يلتزم حين ينقد شعراً أو شاعراً أن يمس قوافيه وعروضه ، وأن يطيل القول ويتشبث . فانت اذا اعتبرت أبا العلاء في العلم والنقد ، أو اعتبرته في النظم والنثر ، أو اعتبرته في الفلسفة والتفكير ، فانك واجده في كل ذلك — دون شك — من علماء القوافي

وهذا التفكير في المصير ، والعجز عن اكتناهه ، وحرمان اليقين فيه ، هو — فيما نعتقد — سر ما نجد من شذوذ أبي العلاء في آرائه في الحياة والناس ، فان أعمّه غده المغيب ، لم يطب له يومه الراهن . وهو كذلك سر ما نشعر به من حيران أفكاره ، وتناقض نتائجه ، فان من فقد الطمأنينة في مستقبله البعيد ، دار به القلق في حاضره القريب . وان ذلك — فيما نعتقد — لهو مدعاة ما اجتهد أبو العلاء فيه من الحملة على التناسل ، والتنفير من استبقاء العيش ، والترغيب عن الضرب في الارض ، وشق عصا الطاعة لقيود الحياة الاجتماعية وروابطها ، كيفما افترقت شعابها ، وتباينت غاياتها . تدبر قوله :

لو ان كل نفوس الناس رائية كرأى نفسى تناءت عن خزاياها
لعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولااقتنوا واستراحوا من رزاياها

والحق أن ما قاله ابو العلاء في صفة الحياة والناس ، وفي تصوير الطبائع والنزعات ، وفي الدعوة الى الفضائل والتنفير من الرذائل ، انما كان ترشيحا للفكرة الكبرى ، فكرة الموت ، والتماس الغيب المسدول ، والحيرة في شأن الاخرى . فاذا كان من غايات المثل العليا للاخلاق عند الفلاسفة أن تحكم الحياة بسلطان العقل ، ويؤخذ الناس بحكم الفضيلة ، فان مثل أبي العلاء الأعلى في الاخلاق هو تجنيد العقل والفضيلة ، لتجريد الناس من الحياة

محمد احمد جاد المولى

أبو العلاء السياسى

بقلم الاستاذ عبد الحميد العبادى

الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

ولد أبو العلاء المعرى سنة ٣٦٣ هـ وتوفى فى سنة ٤٤٩ هـ ، فقد ولد ونشأ وشب واكتهل وشاب ومات فى زمن كان فيه العالم الاسلامى كله حافلا بأنواع الاضطراب السياسى ، مليئا بالآفات الاجتماعية والاخلاقية . ففى أقصى الغرب كانت الاندلس قد زال عنها ظل الدولة الأموية ووقعت فى الفوضى التى سببت تكالب الاسبان عليها وعملهم على انتقاص أطرافها . وشمال افريقية أصبح بعد زوال أمويى الاندلس وانتقال الفواطم الى مصر نهبا مقسما بين دويلات عربية وأخرى بربرية كانت لا تبرح متداحرة متناحرة . ومصر والشام كانتا خاضعتين للدولة الفاطمية وهى دولة على عظم شأنها ، كانت تستند الى دعاية باطنية عنيفة ، ظهرت آثارها فى أيام الحاكم والمستنصر. على أن الدولة المذكورة أخذت بعد المائة الرابعة يضعف شأنها وبخاصة فى الشام مما جعل ذلك القطر نهبا لاعراب البوادى القريبة منها ولغارات الروم من جهة الشمال . وجزيرة العرب كانت قد عملت فيها تعاليم الزنج والقرامطة فغلب على أهلها التلصص وقطع الطريق والسطو على قوافل الحجاج . وفى العراق وفارس كان سلطان الخليفة العباسى قد استحال اسما لا معنى له وكان الأمر كله بأيدى بنى بويه المتغلبين على الخليفة وعلى البلاد . وكان حكم هؤلاء ملؤه التعسف والاستبداد والطغيان ، هذا الى انقسام بعضهم على بعض ووقوع الفتن فى بغداد بين عصبيتهم من الديلم وبين الجند الاتراك . الا أن الحال فى أقصى الشرق كانت خيراً منها فى سائر الاقطار الاسلامية فقد قامت به دولة فتية قوية عملت على الفتح والتوسع ونشر الاسلام فى الهند ، تلك هى الدولة الغزنوية المشهورة . على أنها كانت دولة قامت واتسعت بحد السيف فكان لألاؤها مستمداً فى أغلب الامر من قعقعة السلاح وبريق السيوف . والخلاصة ان العالم الاسلامى فى العصر المذكور كان قد أختل نظامه وانعدم منه الوازع السياسى والدينى فانتشر الفقر والبؤس ، وعم الظلم والفساد ، وأكل القوى الضعيف

* * *

عاش أبو العلاء فى ذلك العصر وتأثرت نفسه الحساسة بما آلت اليه أحوال الناس وخاصة منذ قدم من بغداد سنة ٤٠٠ ولزم داره بالمعرة يصنف ويدرس لتلاميذ يفدون عليه من مختلف الاقطار للاخذ عنه . وقد صور فى نثره ولزومياته تلك الحال تصويراً وجيزاً ولكنه بليغ . انظر

كيف يصف تطاول أعراب الجزيرة والشام الى اقتسام البلاد بعد ان ضعف أمر العبيديين وما شمل الشام أيامئذ من الاحن بسبب عدوانهم ، فهو يقول :

أرى حلباً حازها صالح   وجال سنان على جلقا
وحسان فى سالف طىء   يصرف من عزه أبلقا
فلما رأت خيلهم بالغبار   تغاما على جيشهم علقا
رمت جامع الرملة المستغـ   ـام فأصبح بالدم قد خلقا
وما هم الكاعب المستبـ   ـاة هام على عضب فلقا
وطل قتيل فلم يدكر   وغل أسير فما أطلقا
وكم تركت آهلا وحده   وكم غادرت مثريا مملقا
يسائل فى الحى عن ماله   وما القول فى طائر حلقا ؟

ويقول أيضا فى هذا المعنى :

ألفنا بلاد الشام إلف ولادة   نلاقى بها سود الخطوب وحمرها
فطوراً نداري من سبيعة ليثها   وحينا نصادي من ربيعة نمرها
وددت بأنى فى عماية فارد   تعاشرنى الاروى فأكره قرها
فانى أرى الآفاق دانت لظالم   يغر بغاياها ويشرب خمرها

وكان الشيخ أبو الحسين بن سنان أحد رؤساء حلب قد عزم على الحج فكتب اليه أبو العلاء رسالة ينهاه فيها عن الخروج للحج في عامه ويريه ان الروم لحلب بالمرصاد ، وأن الجهاد فى تلك الحال خير من الحج . فمما كتب به اليه : « وسفر مولاى الى الحج في هذا العام حرام بسل ، كما حرم صوم عيد الفطر ، وحظر على المحرم تضمخ بعطر . . . وهو — أدام الله تمكينه — أمين من أمناء المسلمين ، يرهف الشوكة ، ويستجيد اللامة ، ويحصن ما وهى من سور أو شرفات . . . ومن لحياطة الرعية بمماسيك الذر . . وإجراء السعد لحفظها والغدر ؟ . . وحلب حرسها الله قد صار فيها رباط يغتنم ، وجهاز يرغب فيه ويتنافس ، ولا يلبث ان يزول بانعقاد الهدنة ، وعودة الجامع كلمة الروم الى كرسيه من بزنطية »

ويقول فى فساد الأمر بالحجاز والشام والعراق :

أما الحجاز فما يرجى المقام به   لأنه بالمرار الحمس محتجز
والشام فيه وقود الحرب مشتعل   يشبه القوم شدت منهم الحجز
وبالعراق وميض يستهل دما   وعارض بفناء الغمر يرتجز

ويشير الى حقيقة أمر صاحب الزنج بالبصرة والقرامطة بالبحرين فيقول :

انما هذه المذاهب أسبا   ب لجذب الدنيا الى الرؤساء
غرض القوم متعة لا يرقو   ن لدمع الشماء والخنساء
كالذى قام يجمع الزنج بالبصـ   ـرة والقرمطى بالأحساء

وهو لا يبهره بريق الدولة الغزنوية ولألاؤها ويقول فى ملكيها الشهيرين محمود ومسعود :

محمود الله والسعود خائفه   فمد عن ذكر محمود ومسعود

ملكان لو أني خيرت ملكهما وعود صلب، أشار العقل بالعود

وكما تشير هذه النصوص الى علم أبي العلاء بأحوال الشرق الاسلامي فان رسالته الى ابن حزم الاندلسي وداعي الدعاة الفاطمي وكلامه عن ابن هانىء الاندلسي في رسالة الغفران ، كل ذلك يشير الى اتصال أبي العلاء بالمغرب الاسلامي اتصاله بمشرقه . وأبو العلاء يجمل حكمه على الشرق والغرب بالفوضى السياسية والفساد والبعد عن الاصلاح في قوله :

وجدت الناس في هرج ومرج غواة بين معتزل ومرج
فشأن ملوكهم عزف ونزف وأصحاب الامور جباة خرج
وهم زعيمهم انتهاب مال حرام النهب أو احلال فرج

وأبو العلاء يصرح بأن العلة القريبة في هذه الفوضى وذلك الفساد انما هي نظام الملك المستبد الغشوم القائم على القهر والتغلب والوقيعة والدهاء :

رئس الناس بالدهاء فما ينـ فك جيل يقاد طوع دهاته

قالوا فلان جيد لصديقه لا يكذبوا ما في البرية جيد
فأميرهم نال الأمارة بالخنا وتقيهم بصلاته متصيد

وهو يربأ ان يكون حاكما من هذا القبيل :

لا كانت الدنيا فليس يسرني أني خليفتها ولا محمودها

ما سرني أني إمام زمانه تلقى الي من الامور مقالد

أسر إن كنت محموداً على خلق ولا أسر بأني الملك محمود
مايصنع الرأس بالتيجان يعقدها وانما هو بعد الموت جلمود

وما اختار أني الملك يجبي الي المال من مكس وخرج

وهو يسلك الى اصلاح الطغاة المستبدين طرقا شتى من الترغيب والترهيب . فتارة يحبب اليهم التقوى والصلاح :

والتاج تقوى الله لا ما رصعوا ليكون زينا للامير الفارع

يا مشرع الرمح في تثبيت مملكة خير من المارن المخطى مسباح

وتارة يخوفهم عواقب الظلم وبوائقه :

خف دعوة المظلوم فهي سريعة طلعت فجاءت بالعذاب النازل
عزل الامير عن البلاد ومالـه الا دعاء ضعيفها من عازل

والظلم يمهل بعض من يسعى له ويحل نقمته بنفس الظالم

وتارة يحذرهم تصرف الأقدار وتقلبها بالناس رفعا وخفضا :

أيا والي المصر لا تظلمن فكم جاء مثلك ثم انصرف

لا يمنع الملك الجبار من قدر يغير الحال ما أجدى وما جاسا

ولو غدا الكوكب المريخ في يده كالسهم واتخذ البرجيس برجاسا

وتارة يسلك طريقته العدمية فيذكرهم الموت الذى يأتى على جميع الناس فلا يبقى منهم إلا سيرهم وذكريات أعمالهم :

حوادث الدهر ما تنفك غادية على الأنام بإبلاس وتلبيس
ألوت بكسرى ولم تترك مرازبه وبالمناذر أودت والقوابيس
أردت حسينا وحست بالردى حسنا وواجهت آل عباس بتعبيس

على ان أبا العلاء يذهب الى أبعد مما ذهب فى تعليل الفوضى والفساد فيبين أن العلة البعيدة والسبب الجوهرى فى ذلك أن الملوك والمتغلبين لم يدركوا أنهم فى حقيقة الأمر عمال الرعية وأجراؤها وخدامها وأن الشعوب مستقر السلطان ومستمده :

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

اذا ما تبينا الامور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادم

وهو لذلك يحذر الطغاة غضب الأمم وثورة الشعوب :

أعاذل ان ظلمتنا الملوك فنحن على ضعفنا أظلم
تسامت قريش الى ما علمـ ت واستأثر الترك والديلم
وهل ينكر العقل ان تسـ تبد بالملك غانية غيلم ؟
وما ظفر الملك فى جيشه سوى ظفر بالردى يقلم

لو بعث المنصور نادى أيا مدينة التسليم لا تسلمى
قد سكن القفر بنو هاشم وانتقل الملك الى الديلم
لو كنت أدرى أن عقباهم لذاك لم أقتل أبا مسلم
قد خدم الدولة منتصحا فألبسته شية المعظم
ما دام غير الله من دائم فاغضب على الاقدار او سلم

فأبو العلاء يقرر المبدأين السياسيين الأساسيين سلطة الامة ، وانتخاب ولاة الامور ، وهو من أجل ذلك ينعى على الشيعة مذهبهم السياسى فى القول بأن الخلافة نص وتوقيف وليست بشورى ، ويندد برأيهم فى الامام المنتظر :

قالوا سيملكنا امام عادل يرمى أعادينا بسهم صارد
والارض موطن شرة وضغائن ما اصبحت بسرور يوم فارد

على أن ديمقراطية أبى العلاء تتصل اتصالا وثيقا باعتقاده فى الاشتراكية الاسلامية سواء أكانت دينية ــ وذلك من حيث الزكاة ــ أم اسلامية تاريخية ــ وذلك من حيث حبس الارض وتوزيع غلتها على المستحقين فيها ــ فهو يقول فى أمر الزكاة :

وأحسب الناس لو أعطوا زكاتهم لما رأيت بنى الاعدام شاكينا
بالقوت مالت بالقوت ولا ذهب فكيف تعجز أقواما مساكينا
فان تعش تبصر الباكين قد ضحكوا والضاحكين لفرط الجهل باكينا

لا يتركن قليل الخير يفعله من نال في الارض تأييداً وتمكينا

ويقول في أمر الارض :

الملك لله من يظفر بنيل منى يردده قسرا وتضمن نفسه الدركا
لو كان لى او لغيرى قيد أنملة فوق التراب لكان الامر مشتركا

الارض لله ما استحيا الحلول بها ان يدعوها وهم في الدار أضياف
تنازعوا في عوارى تبتهم نبل حطام وارماح واسياف
ان خالفوك ولم يجروا خلافهم شراً فلا بأس ان الناس أخياف

والبيت الأخير يشير الى أن أبا العلاء لايرى فى هذا الأمر بأسا ببقاء القديم على قدمه اذا جر تغييره الى شر

ولأبى العلاء رأى فى كيف تتحقق (اليوتوبيا) أو الجماعة السياسية المثالية . وهو يضمن رأيه هذا قوله :

ان أكثم فضلا وأتقتم فقد لا فلا يدخلن وال عليكم
لا تولوا أموركم أيدى النا س اذا ردت الامور اليكم

وهذان البيتان ينظران الى ما قال به النجدات من الخوارج قبل أبى العلاء ، فقد أجمعوا على أنه لاحاجة للناس الى إمام قط ، وانما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم ، فان رأوا أن ذلك لا يتم إلا بامام يحملهم عليه فأقاموه جاز

***

أما بعد ، فكم ود الحكماء من قديم لو ولى الفلاسفة شئون الناس ، ومن حسن الحظ أن فى سيرة أبى العلاء أخباراً ترجح أنه ولى شئون المعرة فعلا . فيروى أنه عند ما عصت المعرة على صالح بن مرداس أمير حلب ، سار اليها صالح وحاصرها وأرهق أهلها بالحصار ، فسأل الناس أبا العلاء أن يخرج الى صالح ويكلمه فى رفع الحصار ، فخرج أبو العلاء الى ظاهر المعرة ولقى صالحا وكلمه بكلام رقيق أثر فى نفس صالح فأمر بالكف عن القتال وقال لأبى العلاء : وقد وهبتها لك ، وظاهر هذه العبارة يحتمل أن صالحا قد عفا عن المعرة من أجل شفاعة أبى العلاء ، كما يحتمل أنه قد وهبها لابى العلاء فعلا وأنه أقطعه إياها على نحو ما كان مألوفا فى الدولة الاسلامية فى ذلك الزمان . على أن الذى يرجح الاحتمال الثاني نص صريح وارد فى رحلة الرحالة الفارسى ناصر خسرو فقد زار المعرة فى عام ٤٣٨ ووصف فى رحلته ما شاهده فيها فقال ما تعريبه (وكان بها رجل ضرير يدعى أبا العلاء ، وكان أمير البلدة ، وله من النعمة والعبيد والخدم ما يستكثر . وكان جل أهلها كالعبيد له . إلا أنه سلك طريق النسك وتردى ببرجد فى بيته ، وكان يأكل كل يوم نصف منّ من خبز الشعير لاغير . وبلغنى أنه فتح بابه ، ويتولى عنه نوابه وعماله أمور البلدة إلا فيما يهم

فيرجون اليه . وهو لا يمنع أحداً مما آتاه الله ، ويصوم الدهر ، ويقوم الليل ، ولا يشغل نفسه بشيء من أمور الدنيا . . . وقيل له : ان الله خولك ما ترى من المال والنعمة ، فلماذا تعطي الناس وتبذلهم ولاتتمتع أنت بنفسك ؟ فقال : ليس لي منه إلا ما أتبلغ به من القوت فحسب . ولما وصلتها كان حيا يرزق) (١) ولقد ضمن أبو العلاء بعض لزومياته الاعتراض الوارد في النص المذكور وجوابه عنه فقال :

سولت لي نفسي اموراً وهيها ت لقد خاب ذلك التسويل
واتهاني بالمال كلف ان يطلب مني ما يقتضي التمويل
ويقول الغواة خولك الله كذبتم لغيرى التخويل
ان حباك القدير كالنيل تبرا فليفضه العطاء والتنويل
لا تعول على اختزان فما لب در الصفر إثر ميت عويل

فاذا صحت هذه الاخبار ولا أخالها إلا صحيحة يكون ابو العلاء قد ظفر بتحقيق آرائه السياسية التي صورناها آنفا ، ويكون الحظ قد اصطفاه من بين الفلاسفة جميعا ، فحقق على يديه خيالا من أروع أخيلتهم ، وحلما من ألذ أحلامهم

عبد الحميد العبادي

مذهب التناسخ

كان المعري يؤمن بالعقل وحده ، ويرفض كل ما ينكره الفكر الحر ، فلم يقبل مذهب التناسخ الذى كانت تدين به بعض المذاهب القديمة كالشيعة ، ويعتقد بصحته عامة الناس في عصره فقال يذمه وينقده :

يقولون إن الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهذبه النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

---

(١) أنظر كتاب « أبو العلاء وما اليه » للاستاذ الميمني ص ٧٨

حرق الموتى
في رأي أبي العلاء

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد

وكيل القومسيون الطبي العام

لم تقتصر آراء المعرى فى الطب على تحريم لحم الحيوان واكتفائه بالنبات ، بل تحدث كذلك عن حرق جثث الموتى وآثرها على دفنها فى التراب ، وهو موضوع شائق عرض الدكتور محمد بك عبد الحميد رأى العلم فيه ، وما ذكره عنه أبو العلاء

لحرق الموتى فضل على لا أنساه ، فقد قرأت منذ أكثر من خمس وعشرين سنة مقالا فى احدى المجلات الطبية الانكليزية ذكر فيه كاتبه أن حرق الموتى وسيلة قديمة للتصرف فى الموتى ومواراة سوءاتهم ، وأنها كانت منتشرة فى الهند وبلاد اليونان والرومان ، وأنها لم تنتشر فى أوربا إلا منذ عهد قريب . وذكر لها مزايا لا يستهان بها من الناحية الصحية ، ذلك لأن الخطر على صحة الأحياء من دفن الموتى فى الجبانات والمقابر والمدافن بالطريقة الشائعة أمر لا ريب فيه ، لما يتصاعد عنها من الابخرة الغازية ولما عسى أن يحدث عنها من تلوث مياه الشرب فى أثناء تعفنها وانحلالها . وكذلك ذكر الكاتب أن الدعوة لحرق الموتى كان من شأنها تنظيم طرق الدفن فقلت المدافن الخصوصية ، واتخذت الجبانات أو المدافن العمومية بعيدة عن المساكن بعداً يضمن اتقاء خطرها ، وأحكمت مبانى المقابر منعا لتسرب الروائح الكريهة

ولكن بعد الجبانات العمومية عن المساكن لم يكن ليمنع أصحاب الأملاك المجاورة لها من البناء فيها اذا شاءوا . وما أكبر الخطر على صحة الاحياء لو كان الموت بسبب مرض من الامراض المعدية شديدة العدوى كالكوليرا والحمى التيفودية والجدرى والدفتيريا وغيرها . فالطب فى هذه الأحوال يحتم علينا تطهير المسكن الذى كان فيه المريض المتوفى ، وتطهير الأثاث والملابس التى تلوثت ، وحرق الرخيص منها ومراقبة معاشريه ومخالطيه . فقانون الصحة يحتم علينا بذل أقصى ما فى وسعنا فى عملية « التطهير » ولكننا نترك أصل العدوى وهو جسد الميت أو جثته . وستظل منبعا للعدوى متى وجدت العدوى سبيلا ، مما يكون باتساع رقعة العمران وازدياد السكان فى كثير من البلدان . وكثيراً ما يدفع اتساع العمران الى الغاء الدفن فى كثير من المقابر مدة معينة ثم تنقل الرمم البالية منها الى جبانات أو مقابر جديدة تتخذ بعيدة عن المساكن ، وتحول الجبانات القديمة الى متنزهات

لامتداد العمران اليها . وفى ذلك يقول المعرى فى لزومياته :

لو هب سكان التراب من الكرى أعيى المحل على القيم الساكن
لغدوا وقد ملأ البسيطة بعضهم ورأيت اكثرهم بغير أماكن

بل لقد شرح المعرى ذلك بالتفصيل فى ما جاء فى القصيدة التى قالها يرثى بها فقيها حنفيا ، إذ قال على ما جاء فى سقط الزند :

غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعى اذا قيـ ـس بصوت البشير فى كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنـ ـت على فرع غصنها المياد
صاح هذى قبورنا تملأ الرحـ ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطأ ما أظن اديم الارض الا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وان قدم العهـ ـد هوان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت فى الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الاضداد
ودفين على بقايا دفين فى طويل الازمان والآباد
فاسأل الفرقدين عمن أحسا من قبيل وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهار وأنارا لمدلج فى سواد
تعب كلها الحياة فما أعـ ـجب الا من راغب فى ازدياد
ان حزنا فى ساعة الموت أضعا ف سرور فى ساعة الميلاد

وقد يكون لنا بعض العذر فى تنغيص راحة الموتى بنقل الرمم الى جبانات جديدة بسبب اتساع العمران ، ولكن ما عذرنا فى حرمانهم من تلك الراحة بنبش قبورهم لأغراض أثرية ، كما فعلنا فى أجدادنا من قدماء المصريين كتوت عنخ آمون وغيره ، وكما يفعل بعض اللصوص لسرقة ما عسى أن يكون فى قبورهم من الاشياء الثمينة . ألم نحرمهم من الراحة التى طالما ذكرها الشعراء فى أشعارهم فقال المعرى عنها مثلا :

ضجعة الموت رقدة يستريح الـ ـجسم فيها والعيش مثل السهاد

لعل موتاً يريح الجسم من نصب ان العناء بهذا العيش مقترن

ويخيل لى — اذا لم تخنى الذاكرة — أن الدعوة لحرق الموتى قامت فى انجلترا على أثر تعدد حوادث نبش القبور للسرقة

ولقد تساءلت بعد ان قرأت المزايا التى ذكرها الكاتب : ترى ماذا يكون الحكم الشرعى لو استحب الطب وسيلة حرق الموتى على وسيلة دفنهم بالطريقة المعروفة ؟ فأخذت أبحث فى القرآن الحكيم وكتب الأحاديث المختلفة عما يصح أن أستند اليه لتسويغ هذه الطريقة لو قررها الطب فى المستقبل ، فعثرت فى مطالعاتى على كثير من الآيات الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة مما تلتئم والاصول الصحية ، ومما جعلت منها سلسلة طويلة من المقالات نشرت أكثرها فى «المقطم» منذ حين .

وأخيراً اهتديت الى حديث عن خولة جاء فى « الفتح الكبير فى ضم الزيادة الى الجامع الصغير » يتلخص فى : « أن رجلا حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله : اذا أنا مت فاجمعوا لى حطبا كثيراً جزلا ثم أوقدوا فيه ناراً حتى اذا أكلت لحمى وخلصت الى عظمى فامتحست فخذوها فاطحنوها ، ثم انظروا يوما راحا فاذروها فى اليم ، ففعلوا ما أمرهم ، فجمعه الله وقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك ، فتغفر له »

وكذلك جاء فى الكتاب نفسه عن أبى سعيد : « أن رجلا كان قبلكم رغسه الله مالا فقال لبنيه لما حضر : أى أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب . قال : انى لم اعمل خيراً قط فاذا مت فاحرقونى ثم اسحقونى ثم ذرونى فى يوم عاصف، ففعلوا، فجمعه الله فقال : ما حملك ؟ قال : مخافتك. فتلقاه برحمته »

وكذلك جاء فى مسند الامام احمد بن حنبل عن أبى سعيد الخدرى : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد دخل رجل الجنة ما عمل خيرا قط ، قال لاهله حين حضره الموت اذا أنا مت فاحرقونى ثم اسحقونى ثم اذروا نصفى فى البحر ونصفى فى البر ، فأمر الله البر والبحر فجمعاه ، ثم قال ما حملك على ما صنعت ؟ قال مخافتك ، قال فغفر له بذلك »

وعندى — ان صح أن يكون لى رأى — أن الطب لو حتم فى المستقبل أن نستبدل بدفن الموتى حرقهم وفعلنا ذلك طوعا لمقتضيات قانون الصحة ورغبة منا ألا تكون أجسادنا بعد مماتنا سببا فى أذى غيرنا من الاحياء مخافة وخشية من الله ، أقول لو فعلنا ذلك على هذا الاعتقاد لما كان فى ذلك شىء من الكراهة الدينية التى قامت فى أوربا فى وجه الدعوة لحرق الموتى والتى ستقوم فى مصر مثلا لو انتشرت هذه الدعوة . فلا فضيلة للجسد بعد خروج الروح منه ومصيره الى الانحلال الى عناصره الأولية على رأي المعرى فى لزومياته :

لا تكرموا جسدى اذا ما حل بي ... ريب المنون فلا فضيلة للجسد
كالبرد كان على اللوابس نافقا ... حتى اذا فنيت بشاشته كسد
أرواحنا مثلت فذلك بيوتها ... درس خرين من الضغائن والحسد
واروه من قبل الفساد فانه ... جسم اذا فقدت حراراته فسد
لا تغبطوا رجلا على ما ناله ... ان بات قد ساد الرجال ولم يسد
فحوادث الايام غير تواركٍ ... نسر النجوم ولا السماك ولا الاسد

فمصير الجسم بعد دفنه فناؤه فناء بطيئا بالتعفن تعفنا رميا قذراً كريها ، وزواله بالدود والحشرات وما الى ذلك زوالا تشمئز منه النفوس . وما مواراته بالدفن إلا لستر عوامل الفساد وحجبها عن بصرنا . أما اذا حرقنا الجسم بعد الموت فقد عجلنا الظواهر الطبيعية وساعدنا الطبيعة فى انجاز عملها كما يساعد الجراح الطبيعة بفتح الخراجة اذا استقرت وحان انفجارها ولم يتركها حتى تنفجر من نفسها . وأى غضاضة على الجسم بعد خروج الروح منه اذا حرق أو القى فى البحر أو دفن فى القبر ؟ ألم يقل المعرى فى لزومياته :

لا تسدين قبيحاً ان هممت به ... وافعل جميلا فان الخير يغتنم
ان فارقتني حياتي خلتني صنما ... ولا يراع لكسر الهامة الصنم
فاجعل عظامي قرى غبراء مظلمة ... أو قوت حمراء نار ضوءها سنم
سوى على الجسم خضر حوتها جشع ... بعد الممات وخضر زرقها تئم
قطع البنان الذى شبهته عنما ... ان مات كالقطع فى قضب من العنم
والغانيات وفى آذانها درر ... كالضأن ترعى وفى آذانها زنم

بل لقد قال فى موضع آخر :

واذا يد قطعت فان عشيرها ... لو حرقت بالنار لا يتألم

لو شك بالطعن ميت لم يجد ألماً ... فالرمح فيه كأشفى الخرز فى الادم
سيان الباسه ما لان من كفن ... وحرقه فى لظى النار محتدم

ولننظر الآن فيما ورد فى أشعار أبى العلاء المعرى بشأن حرق الموتى . ولقد أشار لحرق الموتى فى أشعاره فى مواضع كثيرة نجتزىء منها بالآتى :

يحرق نفسه الهندى خوفا ... ويقصر دون ما صنع الجهاد
وما فعلته عباد النصارى ... ولا شرعية صبئوا وهادوا
يقرب جسمه للنار محمداً ... وذلك منه دين واجتهاد
وموت المرء نوم طال جداً ... عليه وكل عيشته سهاد
نودع بالصلاة وداع يأس ... ونترك فى التراب فلا نهاد
أمال من الثرى والارض أم ... وامك حجرها نعم المهاد
اذا الروح اللطيفة زايلتنى ... فلا هطلت على الرمم العهاد

وكذلك قال فى موضع آخر :

فكروا فى الامور يكشف لكم ... بعض الذى تجهلون بالتفكير
لو درى الطائر الوكر بالعقبى ... ابى أن يهم بالتوكير
صرف الهند من يموت فما زا ... روه فى روحة ولا تبكير
واستراحوا من قبضة القبر ميتا ... وسؤال لمنكر ونكير
لا ذكور ولا أناث من العا ... لم يهدى بالرشد بالتذكير

وكذلك قال أبو العلاء المعرى فى لزومياته :

اذا حرق الهندى بالنار نفسه ... فلم يبق لحض للتراب ولا عظم
فهل هو خاش من نكير ومنكر ... وضغطة قبر لا يقوم لها نظم

ولست أرى فيما رواه أبو العلاء المعرى عن حرق الموتى ما يصح أن يتهم به بشيء من الزندقة أو الالحاد ، فما دفن الموتى الذى جرى عليه أغلبية الناس منذ ما قتل أحد ابنى آدم أخاه فلم يدر كيف يوارى سوءة أخيه ، فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه على ما جاء فى القرآن الحكيم فى سورة المائدة من قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا

قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين . انى أريد ان تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين » . أقول فما دفن الموتى على نحو ما جرينا عليه منذ بدء الخلق إلا مواراة لسوءتهم وهو ما يتم أيضا بحرقهم بطريقة أسهل وأسرع وأطهر وأرخص وأفضل من الناحية الصحية . ولو صح أن المعرى كان يستحب الحرق على الدفن لما كان عليه فى ذلك من بأس وهو الذى يقول فى لزومياته :

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تحشر الاجساد قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر ... أو صح قولى فالخسار عليكما
طهرت ثوبى للصلاة وقبله ... طهر فاين الطهر من جسديكما
وذكرت ربى فى الضمائر مؤنسا ... خلدى بذلك فأوحشا خلديكما
وبكرت فى البردين أبغى رحمة ... منه ولا ترعان فى برديكما
ان لم تعد بيدى منافع بالذى ... آتى فهل من عائد بيديكما
برد التقى وان تهلل نسجه ... خير بعلم الله من برديكما

وكيف يكون عليه من بأس وهو الذي يقول أيضا :

وقدرة الله حق ليس يعجزها ... حشر لخلق ولا بعث لاموات

ويطول بى الكلام لو أردت أن اشرح بالتفصيل « عملية حرق الميت » فى الافران الخاصة التى تعد لهذا الغرض فى البلدان المختلفة وأبين كيف يتقى القوم فى اثنائها كل ضرر ذاكرا لهم شيئا مما يدور بين أنصار « الحرق » وخصومه من الجدل فى منافعه ومضاره . وما من شىء عند الخصوم أوجه من ادعائهم ان فى حرق الميت اهانة له وايلاما لذويه ، وتضييعا لمعالم الجناية ان كان الموت جنائيا بسم أو بفعل فاعل . وقد يسرفون فى القول بأن فى حرق الميت قتلا له إن كان موته ظاهريا غير حقيقى . فيرد عليهم الأنصار بما يقيم عليهم الحجة مما ليس هذا مكانه

وكان بودى لولا خوفى من ملل القراء أن ألخص لهم بهذه المناسبة رواية قصيرة اسمها « سنمة الجناز ــ Funeral Pile » للكاتب الروائى ذائع الصيت جى دى موباسان ، شرح فيها بشىء من التفصيل كيف حرق بعض الهنود أميرا هنديا مات فى احدى مدن فرنسا شرحا وافيا . وقد أوفق لترجمتها فى فرصة أخرى باذن الله تعالى

الدكتور محمد عبد الحميد

القصة في أدب أبي العلاء

أو قصة القوافي وقصص أخرى

بقلم الأستاذ كامل كيلاني

حدث على بن الجهم ، قال :

كان الشعراء يجتمعون فى كل جمعة فى القبة المعروفة بهم فى جامع بغداد ، ينشدون الشعر ، ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم فى الجمعة التى قبلها . فبينا أنا فى جمعة من تلك الجمع ، ودعبل ، وابن أبي الشيص ، وابن أبى فنن ، والناس مجتمعون يسمعون انشاد بعضهم ، أبصرت شابا فى أخريات الناس جالسا فى زى الأعرابى . فلما فرغ كل منهم وقطع إنشاده ، التفت الشاب الينا وقال : « قد سمعت إنشادكم — منذ اليوم — فاسمعوا إنشادى »

فقلنا : « هات » . فأنشد : « فحواك عين — على نجواك — يا مذل »(1)

ثم مر فيها منشداً حتى أتى قوله :

تنافر الشعر فيه ، اذ سهرت له حتى حسبت قوافيه ستقتتل

فعقد ابن أبى الشيص — عند هذا البيت خنصره . ثم مر فيها الشاب الى أن أتى على آخرها ، ثم أنشد أخرى . فقلنا له : « لمن هذا الشعر » ؟ . فقال : « لمن انشدكموه ! » . قلنا له : « ناشدناك الله ، من تكون ؟ » . قال : « أنا أبو تمام الطائى » . قال ابن أبى الشيص : « فرفعنا مجلسه — حينئذ — وعظمناه تعظيما كبيراً »

فهل عرف القارىء ماذا كان من أثر هذا البيت الرائع الذى عقد ابن أبى الشيص خنصره عندسماعه ؟ وبماذا أوحت الى ذهن المعرى قصة هذه القوافى المتوثبة الى القتال ؟ لقد وعى ابو العلاء هذا المعنى ، كما وعاه ابن أبى الشيص وأصحابه ، وعقد خنصره عند سماعه ، وأ كبر من أبى تمام هذا الخيال البارع الذى مثل قوافيه كائنات حية توشك أن تقتتل لتظفر بشرف الخلود فى شعر أبى تمام ، واختزن المعرى هذه اللفتة البارعة كما يختزن القاص الموهوب كل مشهد رائع من مشاهد الحياة ، وكل معنى مجود مبتكر ، ليعرضه فى مكانه الجدير به من قصصه المتخير المبدع

فلما أتيحت للمعرى فرصة الكلام عن أبى تمام تمثل قوافيه كائنات حية ، توشك — لو علمت

---

(1) المذل : هو الذى يفشى السر

بأ مصابه ـ أن تولول عليه نادبات ، قال : « فان قذف فى النار حبيب (ابو تمام) فما تغنى المدح ولا التشبيب ، ولو أن القصائد لها علم ، لأقامت عليه المدودتان اللتان فى أول ديوانه مأتما ، فناحتا عليه كابنتى لبيد ، وقالتا مازعمه الكلابى فى قوله :

وقولا : هو الميت الذى لا حريمه أضاع ، و لا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ، ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا ، فقد اعتذر

وكأنى بهما ـ لو قضى ذلك ـ لاجتمعت اليهما المدودات ، كما تجتمع نساء من كل أوب ، ولو فعلن ذلك ، لبارتهن البائيات بمأتم أعظم رنينا . واذا كان مأتم المدودات فى مائة ممن يسعدهن ويظاهر ، وجب أن يكون مأتم البائيات فى آلاف ، لأن الباء طريق ركوب ، والد فى القصائد سبيل منكوب . وما نظمه على التاء ، فانه لا يعجز عن الابناء . وتجيء الثائيتان فى حالك اللون ـ وان الثاء قليلة فى شعر العرب ـ إلا أنهما تستعينان كلة كثير :

حيال السلامة أضحت رثاثا فسقيا لها جددا ، أو رماثا

وبأراجيز رؤبة وما كان نحوها من القوافى المتكلفة ، والاشعار المصنعة ، ولها فيا نظم ابن دريد أعوان . فاما الداليات والرائيات وما بنى على الحروف الذلل ـ كالميم والعين واللام وما جرى مجراهن ـ فلو اجتمع كل حيز منهن لضاق عنهن الصدر والايراد ، ورزدن على ما ذكر أنه اجتمع فى جنازة « احمد بن حنبل » من النساء والرجال (١)

ولم يقف خيال المعرى عند تخيل هذه القوافى كائنة حية تأسف وتحزن وتسير فى الجنائز ، تخيل أبيات لبيد قد تمثلت ـ فى الدار الآخرة ـ قصوراً فخمة ، فقال فى رسالة الغفران(٢) :

« ويعرض لهم لبيد بن ربيعة ، فيدعوهم الى منزله ، ويقسم عليهم ليذهبن معهم ، فيمشون قليلا ، فاذا هم بأبيات ثلاثة ليس فى الجنة نظيرها بهاء وحسنا ، فيقول لبيد : أتعرف أيها الأديب الحلبى (٣) هذه الأبيات ؟ انها قولى :

ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثى وعجل
أحمد الله ، فلا ند له ، بيديه الخير ، ماشاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ، ومن شاء أضل

صيرها ربى أبياتا فى الجنة ، أسكنها أخرى الأبد . فيعجب هو وأولئك القوم ، ويقولون : « ان الله على كل شيء قدير »

ومتى أعجب المعرى بأبيات لبيد ، فتمثلها قصوراً فاخرة ، فلا عجب اذا دفعه تحقيره الرجز الى تمثل أبيات الرجاز قد تحولت بيوتا حقيرة فقال :

« ويمر بأبيات ليس لها سموق أبيات الجنة ، فيسأل عنها ، فيقال له : « هذه جنة الرجز »

(١) انظر الطبعة الثالثة من رسالة الغفران (جـ ٣ ص ٢٨٦) (٢) انظر ص ٨٦
(٣) يعنى ابن القارح الذى بعث اليه المعرى برسالة الغفران

فيقول : تبارك الله العزيز الوهاب ! لقد صدق الحديث المروى : « ان الله يحب معالى الأمور ، ويكره سفسافها » ، وان الرجز لمن سفساف القريض . قصرتم أيها النفر فقصر بكم »

والمعرى ـ كما يعرف قارئه ـ يحقر الرجز ، ويصغر من شأن الرجاز ، وهو القائل :

ومن لم ينل فى القول رتبة شاعر تقنع ـ فى نظم ـ برتبة راجز
قصرت أن تدرك العلياء فى شرف ان القصائد لم يلحق بها الرجز

ثم يتمثل بيت الخنساء فى أخيها صخر ، وقد أصبح فى الدار الآخرة حقيقة راهنة ، وبدا أخوها ـ فى الجحيم ـ كالجبل الشامخ ، والنار تضطرم فى رأسه وهو يقول لأخته : « لقد صح مزعمك فى » . وانما يعنى قولها :

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

كما يتمثل معلقة امرىء القيس كلها عجوزا فاجرة ، فيقول فى رسالة الاغريض التى بعث بها الى الوزير أبى القاسم المغربى (١) :

« وان قفانبك » ـ على حسنها وقدم سنها ـ لتقر بما يبطل شهادة العدل الرضى ، فكيف بالبغى الانثى ، قاتلها الله عجوزا ، لو كانت بشرية ، كانت من أغوى البرية »

ثم يتخيل أعمارنا ومنايانا ، كأنهن الآيات فى النثر ، والمنايا فواصلهن ، وكأنهن الأبيات فى الشعر ، والمنايا قوافيهن ، فيقول :

ان أعمارنا كآى أبينت والمنايا لهن مثل الفواصل
وأعمارنا أبيات شعر ، كأنما أواخرها للمنشدين قواف

ولا يفوته حين يعرض لذكر أعلام النحو والصرف أن يقول :

أنت علل المتون ، فما بكلام من اللفظ الصحيح ، ولا العليل
ولو أن الكلام يحس شيئا لكان له ـ وراءهم ـ أليل

ولو شئنا أن نتقصى هذا اللون ـ وحده ـ من خيال المعرى ـ وهو ضروب وأفانين لاتحصى لضاق بنا المقام الرحيب ، فكيف بهذه اللمحة العاجلة

وانما عنانا ـ فى هذه الومضة الخاطفة ـ أن نعرض للقارىء مثلا من سعة خيال المعرى ، ولونا من ألوان تفننه وابتداعه ، وانفساح أفقه ، وأصالة الروح القصصي فى نفسه . وقد اخترنا هذا المثل من بين مئات من اشباهه ونظائره المبثوثة فى نظمه ونثره ، لترى القارىء ، كيف أصبح الخيال القصصى فى نفس المعرى متين الأواصر ، عميق الاغوار ، تكاد كل ملاحظة تعن له تتحول قصة ، أو مشهدا من قصة ، أو منظرا من مشهد قصصى ، أو ايحاء بقصة ، أو خلاصة لها ، أوموجزا لأقصوصة ، أو اشارة ـ بعيدة أو قريبة ـ اليها

وسيان ـ فى عالم الفن الصادق ـ أن تطول القصة أو تقصر الاقصوصة ، فان فى البذرة ـ على

(١) انظر (ص ٥٩٨ ج ٤) من رسالة الغفران فى طبعتها الثالثة

منآلتها ـ كل عناصر الدوحة السامقة ، ولن يضير المعرى أن يوجز بعد ان أصاب الهدف ولم يخطىء الصميم ، كما لا ينفع غيره أن يسهب ويطيل مادام قد تنكب السبيل ، ولم يصب الأهداف

ولم يقف خيال أبى العلاء القصصى عند تمثيل القوافى كائنات حية ، فلقد طالما تمثل المعرى أشباه ذلك ، فتخيل الزمن كله وليداً لاهيا ، فقال :

أظن زمانى كونه وفساده وليداً يبطن الارض يلهو ويلعب

كما تمثل الليل والنهار خيطى باطل ، فقال :

نهار وليل ، موقبا أنا فيهما كأنى بخيطى باطل أتشبث

وتخيل النجوم ـ كما تخيل القوافى ـ كائنات حية ، ثم أبعد فى خياله فتخيلها كالأناسى متنافرة ، متخالفة فى أديانها ، بعد أن تمثلها مفعمة بالاحساس موفورة العواطف ، فقال :

فهل الكواكب مثلنا ـ فى ديننا ـ لا يتفقن ، فهائد ، أو مسلم
ولعل مكة فى السماء كمكة وبها نضار ، ويذبل ، ويلملم

ثم تعمق فى صوره ، وأوغل فى تخيله ، فقال من قصيدة :

وان صح ان النيرات محسة فماذا تكرتم من وداد ، ومن صبر ؟
لعل سهيلا ، وهو فحل كواكب تزوج بنتا للسماك ، على مهر
يقولون : تأتى فوقنا مثل ما أتى بنو الارض ، فى حال السرار ، أو الجهر
فياليت شعرى ! هل تراع من الردى وترکم نسكا ، بالعشاء وبالظهر
وتكذب ؟ ان المين فى آل آدم غرائز جاءت بالنفاق وبالعهر

ثم قال من قصيدة أخرى :

سبحان خالقهن لست اقول : الشهب كابية مع الدهر
لا ، بل أفكر : هل رزقن حجى يحنا يعزن به من الطهر ؟
أم هل لأنثاها الحصان بذى الذكر ، من قربى ومن صهر ؟
أم يخطب العوى السماك وهل طيها الذي ترضاه من مهر ؟

ألا يرى القارىء المنصف أن هذا التفكير الجبار قد اجتاز آفاقا من الخيال قل أن يرتادها أحدث القصاصين ؟ . وثم لون من الاقاصيص تفيض به رسائل المعرى وأشعاره ، وقد نبهنا اليه فى مواطنه من رسالة الغفران وما ألحقناه بها من رسائل الملائكة والاغريض والمنيح والشياطين والأخرسين وما اليها مما أظهرناه فى مجموعة الغفران الحديثة ، نجتزىء منه بالقصة التالية :

وابك على طائر ، رماه فتى لاه ، فأوهى بجهره الكتفا
او صادفته حبالة نصبت فظل فيها كأنما كتفا
بكر ، يبغى المعاش مجتهدا فقص ـ عند الشروق ـ أو نتفا
كأنه فى الحياة ، ما فرع الغصن ، فغنى عليه ، او هتفا

وثم أبيات لخص فيها المعرى قصصا عالية ـ قبل أن يولد مؤلفوها ـ أبرع تلخيص ، كتلك الأبيات الثلاثة التى قدمنا بها ترجمة « جلفر » ، وقد لخص فى البيتين الأولين قصة (جلفر فى بلاد

الأقزام والعمالقة) ، ثم لخص فى البيت الثالث مغزى القصة وروحها ومرمى مؤلفها البعيد ، حتى خيل الينا ان سويفت ــ مؤلف هذه القصة ــ قد استوحى خيال المعرى حين كتبها ، واستلهم قوله :

زعموا رجالا كالنخيل جسومهم ومعاشرا ، قاماتهم اشبار
انيصغروا ، او يعظموا ، فبقدرة ولربنا الاعظام ، والاكبار
يستصغر الحى الحقير ، وتحته امم تومّ : انه جبار

ومن العجائب أننا حين ترجمنا قصة « القول يبقى »(١) لبول ارفييه ، لم نجد مقدمة أجدر بتلخيصها من قول أبى العلاء :

ان شئت ابليس ان تلقاه منصلتا بالسيف يضرب ، فاعمد للجماعات
تجدهم فى اقاويل مخالفة وجه الصواب ، واسرار مذاعات
يا كرون بألباب ، وان خلصت معصية ، وبأهواء مطاعات
قالوا ، وقلنا : دعاو ما تفيد لنا إلا الاذى ، واختصاما فى المداعاة

ولو شاء برنارد شو أن يمهد لقصته : « الزنجية باحثة عن الله » ، لما رأى فى تلخيصها أبرع من الأبيات المنسوبة الى المعرى :

عجبت لكسرى واشياعه وغسل الوجوه ببول البقر الخ

أما بعد ، فان فى أبى العلاء من المزايا القصصية ما يكاد يفرده من بين شعراء العربية وكتابها

وقد كدنا نقول : من بين شعراء الدنيا وكتابها قاطبة ولا غرو فى ذلك فان أكبر ميزات القاص الموهوب موفورة عنده ، تزخر بها نفسه الحاشدة ، ويتم بها باعه الرحيب . فهو ــ فيما يعرف قراؤه وناقدوه ــ مستوفز الحس ، واسع الخيال ، رحب الأفق ، شديد التنبه ، وقد عاش فى عصر ازدهرت فيه القصة وبلغت شأوا عظيما . وهو ــ الى ذلك ــ دائم التقليب لوجوه الرأى المتباينة ، كثير المقابلة والموازنة بين فروضها المتباينة ، وخصائصها المنسجمة والمتفاوتة ــ ساحر الأداء بارع السخرية ، خلاق معان ، ومستحدث أخيلة . وقل أن تجتمع هذه المزايا كلها فى علم من أعلام القصة إلا سمت به الى أرفع ذروة فنية

وقد رأى القارىء ــ فى هذه اللمحة العابرة ــ أمثلة من براعته القصصية ، وتطلعه الدائم الى الرحلات الفكرية ، وعرف كيف سرى بفكره فى مفازات معنوية شاسعة يتيه فيها جبابرة العقول ولم يكن بين المعرى وبين أن يملأ الدنيا قصصا مطولة خالدة الا ان تهيأ له الفرص ، وتخلق لأدبه المناسبات الحافزة ، كمناسبتى رسالة الغفران ورسالة الملائكة ، اللتين أظفرتا الأدب العربى منه بهذين الكنزين الحافلين بأروع الذخائر الفنية العالية ، الباقية ــ على الدهر ــ ما بقى الفن وأهله

كامل كيلانى

---

(١) Les Paroles Restent. وهى من كتابنا « روائع من قصص الغرب »

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

نحن فى عصر العنف

بقلم الكاتب الانجليزى الدوس هكسلى

يمتاز هذا العصر بتراخى نزعة المحبة وسيادة روح القسوة والعنف . ولقد أجمع مفكرو القرن الماضى على وجوب تجريد الدولة من سلطة الارهاب والتنكيل . ولكن معظم القادة الذين يتحكمون الآن فى مصير أوربا يتوسعون فى استخدام هذه السلطة ، تؤيدهم طائفة من المفكرين تبرر العنف وتحث عليه وتغرى الدولة به وترى فيه وسيلة فعالة من وسائل السيطرة والتفوق

فأولئك القادة ومن ينحو نحوهم من رجال الفكر ينسون أو يتناسون أن العنف لايفضى الى أى تقدم وان كل تقدم حققته البشرية نبع من عاطفة المحبة واستقر وتوطن بفضل هذه العاطفة

والواقع أن العنف يولد العنف وأن مختلف الاصلاحات التى يقوم بها الديكتاتوريون مثلا متذرعين بوسائل العنف ، لابد أن تنهار فى يوم من الايام ولا بد أن يقوضها خصوم الديكتاتور متذرعين بنفس الوسائل

فأنصار العنف يعتقدون أن القوة يجب أن تبطش لتبقى ، ونفس هذه العقيدة هى التى يأخذ بها الضعفاء فى الكفاح والمقاومة ، فتكون النتيجة انهيار الصروح التى شادها الأقوياء والضعفاء معا . ولا ريب أن التاريخ أصدق شاهد على صحة هذا الرأى

فالديكتاتورية التى أعلنها (اليعاقبة) فى فرنسا كانت مثال الشدة والعنف ، فانحدر منها استبداد عسكرى مروع وسلسلة حروب دامت عشرين سنة وانتهت بتقرير الخدمة العسكرية فى أوربا كلها وبالهاب النزعة الوطنية الى حد التعصب الجنونى

ولقد ولد العنف الذى اتبعته روسيا القيصرية والعنف الذى تجلى فى الحرب العالمية ، رغبة فى تحقيق الاصلاح بواسطة العنف وعلى يد الديكتاتورية الشيوعية

ولما قامت الديكتاتورية الشيوعية ولجأت بدورها الى وسائل العنف وهددت العالم بنشر مبادئها من طريق العنف ، ظهر الفاشزم ولوح هو الآخر بروح العنف للقضاء عليها

وهذه الروح دفعت بالفاشزم الى مضاعفة التسلح فاقتدت به الدول الديموقراطية وأصبحت أوربا بأسرها فريسة نزعة العنف وما يصحبها من قلق وخوف وتأهب دائم للتعدى

ولقد قال موسولينى إن الحرب تنهض بنشاط الفرد وتجدد حيويته ، فبات كل فاشستى مؤمنا بأن القاء القنابل على المدن المفتوحة هو عمل مجيد صالح وإن خير حياة هى تلك التى تنقضى فى غليان دائم وتطاحن مستمر

ولكى يرسخ فى صدور الجماهير مبدأ العنف وحب الاغارة والبطش ، يلجأ أولئك القادة الى الكذب . فيقطعون الصلة بين تلك الجماهير وبين العالم ويقيدون حريتها الفكرية ويفرضون عليها منذ المدراسة مبادىء وتعاليم كاذبة تشوه حوادث التاريخ وحقيقة الحال عند الشعوب الاخرى

ولكن هذا الكذب قد يخلق معارضة خفية وهذه المعارضة الخفية قد تستطيع أن تمزق شيئا فشيئا ستار الكذب ، ولذا يلجأ الديكتاتوريون الى البوليس السرى يندس فى الحياة العامة ويسرى كالوباء فى جسم الدولة ويفسد روح الافراد والجماعات

وحيث لا يسمح للمعارضة بالحياة الحرة الصريحة ، تطل الدسائس برؤوسها من الأجحار ، فيجفل القادة ويدب الذعر فى قلوبهم ويعمدون الى المحاكمات التعسفية والى مختلف وسائل العنف للاجهاز على خصومهم كما حدث فى ألمانيا وروسيا

ويجب أن نلاحظ أن القضاء على المعارضة لا يفقد الدولة بعض أركانها فحسب بل يزعزع الأنظمة القائمة فيها وينتهى بفرض أنظمة جديدة قد لا تتفق وروح الشعب ومستواه الثقافي ودرجة استعداده لتقبلها . وعندئذ تتجمع ظواهر الاشياء وتنمو فكرة الحرية وتتجه آخر الأمر نحو الثورة ، أى نحو مبدأ العنف

وإذن فالعنف يغرى بالعنف ، وكل اصلاح ينهض على العنف لا بد أن يذهب به العنف

[ملخصة عن صحيفة مريان

ألمانيا تنظم الزواج

عشر وصايا لوزارة الدعاية

لا يمكن أن يعقد زواج فى ألمانيا النازية إذا كان أحد الخطيبين مصابا بمرض معد يخشى أن تصاب به امرأته أو بداء وراثى يخشى أن يصاب به أبناؤه . واذا خولف هذا القانون يعتبر الزواج باطلا حتى ولو عقد خارج ألمانيا ، ويستهدف الزوجان لعقوبة أقلها السجن ثلاثة أشهر

والغريب أن وزارة الدعاية رغبة منها فى التأثير على الشعب وإشرابه مبادىء وتعاليم ألمانيا

النازية فيما يتعلق بمشكلة الزواج ، وضعت عشرة مبادىء أو وصايا لهداية الراغبين في الزواج . واليك هي :

أولا — اذكر قبل كل شيء أنك ألماني . وأنك مدين بكل ما تتمتع به لشعبك وأمتك لا لقيمتك الشخصية . فاحرص على أن يكون زواجك نافعا للشعب الذي تنتمي اليه

ثانيا — حرر ذهنك من المطامع المادية ولا تقرنها بفكرة الزواج وكن صادقا مع نفسك ومع المرأة التي اخترتها شريكة لحياتك

ثالثا — إذا كنت غير مصاب بمرض معد أو وراثي فالواجب يقضي عليك بأن تتزوج . واعلم أن من واجبك أيضا أن تنشد في الزواج النسل يحمل اسمك ويحتفظ بميراثك الروحي وميراث أسلافك ويخلد ذكرك . ولتذكر على الدوام أن من يؤثر العزوبة على الزواج ويعيش أعزب بدون سبب يؤخر تقدم الجنس الالماني ويقطع سلسلة الأجيال الألمانية ، إذ العبرة بتعاقب الاجيال لا بحياة الفرد الزائلة

رابعا — لا تتزوج إلا عن حب . وثق أن الزواج الصالح هو الذي ترعاه شعلة الحب الالهية ، وأن ثروة القلب هي دعامة الحياة البيتية السعيدة . ولكن احذر طغيان العاطفة على العقل ولا تستسلم للحب الاعمى وحكم عقلك ما استطعت في اختيار زوجك

خامسا — يجب على الألماني أو الالمانية أن يختار زوجا من جنسه ودمه لأن اختلاط الاجناس مجلبة للشقاء . وليفهم كل الماني ان المحافظة على وحدة الدم واجب وطني مقدس

سادسا — قبل أن تتخذ لك زوجا ينبغي أن تستفسر عن السلالة التي انحدر منها . لأنك في الواقع لا تقترن بفرد معين بل بمجموع الأخلاق والعادات التي تخلفت فيه من مؤثرات سلالته

سابعا — اعلم ان فضائل الروح وراثية كلون الشعر أو لون العيون . وأن الدم النبيل هو أثمن الاشياء في هذه الحياة

ثامنا — افرض على زوجك الكشف الطبي الدقيق . إذ لا جمال ولا سعادة بدون صحة

تاسعا — لا تبحث في الزواج عن رفيق تستمتع به بل عن رفيق يقدر مسؤولية الحياة ويعرف كيف يشاركك فيها . ولا تنس أن غاية الزواج المثلى هي انتاج أبناء أصحاء

عاشراً — يجب أن تطلب النسل في الزواج ما استطعت . يجب أن تحب الأبوة وتشتهيها واعلم ان كل أسرة لا بد أن تنتج أربعة أطفال كي يعيش الشعب ويزهو ويحتفظ بخاصة البقاء والتقدم ، فشخصك العرضي الى زوال ولكن أمتك هي الباقية وهي التي يجب أن تحيا حياة أبدية مطردة القوة والنماء

هذه هي الوصايا العشر التي تروج لها وزارة الدعاية والتي استحالت عند أغلبية الألمان الى عقائد راسخة [ملخصة عن مجلة ليوا]

المجرم أم القانون

ولأيهما النصر في هذا العصر ؟

لم يعد المجرم البارع فى هذه الايام آثما شريراً فحسب ، بل عالما خبيراً كذلك . فقد أصبح « ارتكاب الجرائم » علما له قواعده وأصوله ، وله معاهده وأساتذته . ولو سألت كبار المجرمين المعاصرين كيف يمضون أوقات فراغهم ، لأجابوك : فى دراسة الكيمياء والطبيعة والميكانيكا دراسة مفصلة ، ذلك أن هذه العلوم هى عدتنا فى أداء « مهنتنا » الدقيقة

فالجريمة فى هذا العصر ــ شأنها شأن أى أمر آخر ــ تقوم على أساس من العلوم الحديثة ، التى لا بد للمجرم من دراسة قواعدها ومتابعة تطورها ، اذا ما أراد النجاح فى اقتراف جناياته . ولهذا انشئت فى أوربا مدارس خاصة يقصدها من يريد أن يبرع فى « علم ارتكاب الجريمة » ، ليتلقى من كبار الأساتذة والاخصائيين أدق الوسائل العلمية فى نهب المتاجر وفتح الخزائن ، وفى ادارة تجارة المخدرات والرقيق الأبيض ، وغير ذلك من أساليب الاجرام

وقد تقدم العلم فى معاونة المجرم على سلب المصارف وحطم الخزائن ، بفضل ما يقدم اليه من مواد كيماوية وأساليب ميكانيكية تلين المعادن وتذيبها ، حتى لم تعد تجدى نفعا هذه الحواجز الكهربائية التى اعتاد أصحاب الاموال أن يحيطوا بها خزائنهم ، ولا هذه الأجراس التى تدق من تلقاء نفسها إذا مست احراز الاموال ، وصار فى وسع المجرم الذى درس الهندسة الكهربائية أن ينفذ الى حيث يريد آمنا شر هذه الوسائل والأساليب

ولكن للعلم سلاحين : أحدهما فى يد المجرم ، والآخر فى يد العدالة . فقد تقدمت كذلك وسائل الكشف عن الجرائم وايقاع الجناة ، وبقدر ما صار يسيراً على الآثم أن ينهب ويقتل ، بقدر ماصار عسيراً عليه أن يهرب وينجو

فلم يعد المجرم يخشى رجال الشرطة السرية وما برعوا فيه من أساليب الخديعة والدهاء ، وإنما يخاف أولئك العلماء الذين يفحصون آثار جريمته مهما كانت خافية دقيقة . وهكذا صار الميكرسكوب والكاميرا وغيرهما من أدوات البحث العلمى هى عدة القانون الجديدة ، وهى عدو المجرم اللدود . وصار « المعمل » هو سبيل حل ألغاز الجنايات ، وطريق البحث عن المجرمين

خذ مثلا بصمات الأصابع التى لا يتشابه فيها اثنان ، فان المجرمين يحاولون تفادى خطرها بازالة خطوطها وتشويه أشكالها ، بالمواد الكيماوية المختلفة . ولكن فى وسع العلماء مع هذا أن يستدلوا مما يتبقى من آثارها على صورها الحقيقية . وقد شوه المجرم الامريكى المشهور « ديلنجر » بصمات

أصابعه تشويها كاملا ، ولكن لما قبضت عليه الشرطة وقدمت البصمات المشوهة الى « معامل » التحقيق استطاعت هذه أن تخرج منها صوراً تطابق تماما صور بصماته الطبيعية

وكذلك « ظرف » الرصاص صار فى وسع العلم أن يبين على وجه الدقة كل شيء عن الفوهة التى انطلق منها ، وعن الأثر الذى أحدثه فيها . فالفوهتان المتشابهتان فى السعة والطول والسمك وكل شيء آخر ، تترك كل منهما فى «الظرف» الذى تلقيه اثراً معينا لا يختلط بسواه

وأتفه الأشياء التى تعثر عليها الشرطة تمكن العلماء من أن يهتدوا الى الكشف عن الجريمة ، فقد عثر ذات مرة على عود ثقاب فى جيب أحدهم ، وعثر فى مكان احدى الجرائم على ذرات تطايرت من رأس عود ثقاب ، فامكن للمحقق بواسطة الميكرسكوب والكاميرا معا أن يقبض على ذلك الرجل ، لأن هذه الذرات لم تكن إلا جزءاً من العود الذى عثر عليه فى جيبه . وقد اعترف الرجل بجريمته التى لولا دقة العلم لظلت خافية

ولا ننسى آلة الكشف عن الكذب . فقد أتى هذا الجهاز بنتائج وافية دقيقة أتاحت للمحاكم اخيراً ان تعتمد عليها وتأخذ بها . فيلف ذراع المتهم بسوار خاص له ابرة دقيقة تهتز وفق حركات النبض ، وكذلك صدره يلف بسلك ينتهى بابرة تبين ما يطرأ على حركات النفس . ثم تلقى على المتهم أسئلة ان صدق فى جوابه عنها ظلت حالة نبضه وتنفسه طبيعية ، وان كذب اضطرب نبض العروق وحركة الصدر ، فاظهرت ابرتا الجهاز هذا التغير الواضح . والاسئلة التى تلقى على المتهم تكون خليطا مما يتعلق بالجريمة ومما لا صلة له بها ، فيسأل عن عمره ، وعن عمر زوجته ، وعن السيارة التى يمتلكها ، ثم يسأل مباشرة ، وبنفس اللهجة والصوت ، عن الجريمة وعلاقته بها .. فمهما يكن رزينا جريئا ومهما حاول أن يمتلك رشده ومعرفته فلا بد أن يضطرب نفسه ونبضه

وقد بلغ من دقة العلم أن ذرات قليلة من الغبار قد تدله على حرفة الجانى ، وهل هو فلاح يضرب فى الارض ، أم نجار ينشر الأخشاب ، أم حلاق يقص الشعر والاظفار . . الخ . ولم يعد العلم فى حاجة الى تتبع آثار الاقدام ، بل يكتفى بأثر واحد يبحث ما تخلف عنه من تراب ووحل ، ويصل بذلك الى صاحب هذه القدم : وهل كان قبل وصوله مكان الجريمة يركب سيارة أم قطاراً أم يترجل ..

وعلى الجملة فالعلم يخدم المجرم والقانون معا . ولكن حظ العدالة أوفى من حظ الجريمة ، وكلما خطا العلماء فى طريقهم كلما ثبت بنيان القانون وتزعزعت أقدام الجناة ، فمهما يكن للعلم من مساوىء فان مزاياه غالبة راجحة

[خلاصة مقال بقلم ويلى هوبتلى فى مجلة باريد]

حفلات الانتحار

فى بلاد الشمس المشرقة

أخذت اليابان بالحضارة الغربية الحديثة وتجددت وتقدمت وأصبحت دولة عظيمة مرهوبة الجانب ولكن بعض العادات والتقاليد الكامنة فى صميم العنصر اليابانى ما تزال شائعة بين أفراده حتى اليوم

ومن أمثال تلك التقاليد عادة الانتحار المعروفة باسم (هارا كيرى)

والهارا كيرى عند اليابانيين يرمز الى فلسفة معينة أشبه بالفلسفة الرواقية عند قدماء اليونان وهذه الفلسفة تدعو الى ضبط النفس وكبح جماح الأعصاب واحتقار الالم واحتمال كوارث الحياة والدفاع عن شرف الأسرة وشرف الفرد وصيانة هذا الشرف وافتداؤه بالموت عند الاقتضاء

ولقد انحدرت عادة الهارا كيرى التى لا يسيغها عقل الاوربيين من الأوساط اليابانية العسكرية ومن طبقات (الساموراى) النبيلة وفشت بين الشعب وأصبحت من التقاليد القومية الثابتة

ولقد حرم الامبراطور (مايجى) منذ أكثر من نصف قرن عادة الهارا كيرى أو بقر البطن باعتبارها وسيلة شرعية من وسائل الموت، وذلك عقب وقوع حادث خطير كاد يفضى الى توتر العلاقات السياسية بين اليابان والولايات المتحدة . ومع ذلك فقد ظلت هذه العادة مسيطرة على مشاعر اليابانيين يلقنها الآباء للابناء ويتوارثها جيل بعد جيل

ويلاحظ أن الانتحار على طريقة الهارا كيرى ينظم فى شبه حفلة مروعة نستطيع أن نصفها للقراء بسرد تفاصيل الحادث الخطير الذى وقع فى عهد الامبراطور مايجى

اتفق لأحد ضباط البحرية اليابانية فى ميناء كوبيه عام ١٨٦٨ أن أصدر أوامره الى جنوده باطلاق الرصاص على جمع من المواطنين الامريكيين المسالمين، فاضطرب الرأى العام فى الولايات المتحدة وطالب حكومة اليابان بتوقيع عقوبة الموت على الضابط المدعو (تاكى زنزابورو)

وكانت العلاقات السياسية بين الدولتين على أحسن ما تكون من الصفاء والود ولم يكن من مصلحة اليابان أن تثير المشاكل بينها وبين الولايات المتحدة بسبب حادث عرضى كهذا . فلم تأمر باعدام الضابط نظراً لماضيه العسكرى المجيد وسمحت له بالانتحار على طريقة الهارا كيرى

وارتضى الامريكيون هذا الحل . وفى مساء يوم من الايام اضىء أحد الهياكل اليابانية وجلس تحت قبة الهيكل عدد من وجوه اليابان وطائفة من الممثلين السياسيين الاجانب

وكانت الشموع ترسل ضوءها المضطرب على الحاضرين وكان الصمت العميق الشائع فى الهيكل يملأ المكان جلالا ورهبة

وعلى حين فجأة فتح الباب الكبير ودخل منه شاب مديد القامة عريض الكتفين ثابت القدم عليه ثوب النداء الأبيض التقليدى وتقدم فى خطى متزنة وحيا الشهود فردوا له التحية واجمين

وبعد لحظة اتجه الضابط نحو الهيكل وجثا أمامه ، ثم نهض واستدار وجثا مرة أخرى تجاه الشهود

وعندئذ تقدم ضابط من زملائه وقدم اليه شبه وسادة عليها خنجر يابانى حاد النصل مستطيل ، فتناول (تاكى) الخنجر وتريث قليلا ثم اعترف بجريمته وختم اعترافه بقوله : « الآن أود بعدأ الهارا كيرى تكفيراً عن جريمتى وأطلب اليكم أن تشهدوا على موتى ! »

ونضا عنه ثوبه الابيض حتى الخصر وأدخل ركبتيه فى أكمام الثوب كى تسقط جثته الى الامام لا الى الخلف فيموت شجاعا نبيلا

ثم عاد فتناول الخنجر بيد ثابتة وتأمله لحظة وأبصاره المتقدة تفيض عطفا وحبا ثم أغمده فى جنبه الأيسر ثم حركه وأداره الى جنبه الأيمن ثم ظل يبقر بطنه دون أن يرتجف عضل واحد من عضلات وجهه

واخيراً انتزع الخنجر ، وحينئذ تصلبت تقاطيعه وتشوهت واغبرت اغبراراً فظيعا فاسرع اليه مساعده وفى أقل من لمح البرق انتضى سيفه وقطع به رأس الضابط فهوى الرأس متدحرجا غارقا فى بحر من الدم . وهكذا انتهت الحفلة

ولاشك أن مثل هذا الانتحار يتطلب شجاعة كبيرة وبطولة خارقه . ولذلك يدرب الساموراى أطفالهم على أساليبه بأن يبقروا أمام أنظارهم بطون عرائسهم الخشبية على طريقة هارا كيرى . فينشأ الاطفال على كرم النفس وعلو الهمة وازدراء الموت وتقدير الشرف والتأهب لأقصى التضحية عند الحاجة

ومما يدل على شيوع عادة بقر البطن تخلصا من العار فى الأوساط العسكرية اليابانية ، ان الجنرال نوجى الذى انهزم أمام الجيش الروسى فى الحرب التى وقعت بين الدولتين آثر هو وامرأته الوفية الانتحار وفق تعاليم هارا كيرى على التمتع بحياة ذليلة لايقرها الشرف اليابانى

ويلاحظ ان استخفاف اليابانيين بالحياة لا يرجع الى عبادة الشرف فقط بل الى تقديس الصحة والقوة ، بدليل أن أسلافهم فى العصور البدائية كانوا لا يفكرون فى رعاية الشيوخ المرضى وفى توفير أسباب العلاج لهم بل كانوا يفضلون الاجهاز على الشيخ المريض بضربة سيف يتولاها أحد أصدقائه المقربين

وقد تقلص ظل هذه العادة وزالت بفعل التقدم ولكن الهارا كيرى ما تزال باقية . ومهما قال الاوربيون فيها فليس فى وسعهم الانتقاص من روعتها وانكار ما ترمز اليه من فضائل الشمم والاباء والبطولة والتضحية [ملخصة عن مجلة من أوتلى]

الموت لا يخيف

ماذا يحدث فى ساعة الاحتضار

أكثرنا يرهب هذه اللحظة التى لا نجاة منها ـ اللحظة التى نرسل فيها أنفاسنا الأخيرة ، زعما منا أن حشرجة الروح أليمة وفراق الحياة عسير . ولكن الواقع أن هذه الساعة التى نخشاها هى اهدأ ـ وربما أمتع ـ الساعات التى تمر فى حياة الانسان . فالموت لا يفترق كثيراً ولا قليلا عن هذه الاغفاءة التى تلم بالانسان قبل أن يستغرق فى النوم ، فهل فى هذه السنة الحادثة ما يضنى ويخيف ؟ ؟

فمن الخطأ اذاً أن يقال عن المحتضر إنه « يقاسى سكرات الموت »

وهذا ما يقرره الاطباء الذين حضروا اللحظات الأخيرة من حياة مرضاهم . وكذلك ما يؤخذ من الكلمات الأخيرة التى ينطق بها المحتضرون حين يفارقون الحياة ويستقبلون الممات . بل هذا ما ذكره أولئك الذين ماتوا ثم عادوا الى الحياة .. وقد عاد بعضهم فعلا !

على أن لحظة الموت قد تسبقها ساعات ألم وعذاب ، ولكن هذه الفترة تعتبر جزءاً من الحياة لا من الموت ، فما بقى الجسم يناضل فى سبيل البقاء ، فهو عرضة لآلام وأوجاع شتى ، حتى اذا أيس من الحياة واستقبل الموت ، بدأت ساعة الأمن والهدوء والراحة ، التى يتمنى المرء لو كانت حياته كلها على نسقها . .

دعنا نسمع شهادة الطبيب الانجليزى الكبير « سير جيمس جودهارت » الذى جلس الى جانب كل من حضرته الوفاة فى مستشفاه ، فقد انتهى الى هذه النتيجة : « ليس فى الموت أى شىء يزعج ويخيف ، فليس بين العالمين سوى حجاب رقيق يخترقه المرء دون أن يحس جهداً ، بل دون أن يدرى شيئا »

وقد أيد هذه الشهادة لفيف من كبار الاطباء الممتازين ، فأجمعوا على أن « الموت هين يسير ، بل ممتع مريح » ! ويقول أحد أطباء السرطان : « ان هذا الداء الذى يذيق من ينتابه ألوان النكال والعذاب ، لا يحس منه المريض ألما ولا وخزاً حين تبدأ ساعة الموت »

وقد يخيل الى المرء أن المحتضر يغمى عليه فلا يدرى مما يجرى شيئا ، والواقع أنه يشعر بالموت شعوراً واضحا ، فهناك أناس غشيهم الموت ثم أفاقوا ، فذكروا أنهم كانوا يحسون فراقهم الحياة واستقبالهم الموت ، كما يحس المبصر حين يدع نوراً ويدخل الى ظلام . ونذكر هنا ما قاله أحدهم بعد أن أفاق من غاشية الموت :

« بدأت فى بطء ويسر وهدوء « أغرق » فى « بحر » من الظلام ، كانت تنفتح فجاجه لتستقبلنى ، وكنت أشعر أن شيئا يجبنى فى هذه الظلمة ويغرينى بها ، ويخيل الى أنى سأجد فيها الراحة التى أنشدها وأتمناها . . وأقبل على الظلام ولفنى فى أطوائه ، فشعرت أن هاتفا فى نفسى يصيح : لو فارقت الحياة الآن ، لتركت أعمالا لم يتم اداؤها ؟ فوددت حينذاك لو أظل حيا ، واردت لو استطيع أن اتشبث بالحياة وأغالب الموت

« ان بعض الناس قد ترتجف أوصاله حين يتخيل اللحظة التى سيرسل فيها نفسه الأخير . ولكنى أقول لهؤلاء : هونوا على أنفسكم ، فقد سبقتكم الى « وادى الظلام » فعرفت أن المرء حين يواجهه لا يشعر بشىء من الوجل والرهبه ، ولا من الحقد والضغينة ، ولا من الأسى والحسرة ، إذ أنه لا يحس أى ألم جسدى ولا معنوى ، بل يجد الأمر ليس إلا نقلة هينة يسيرة ، ليس إلا « انقلابا » هادئا يرجى من ورائه الراحة والسلوى »

وهذا رجل آخر وقف نبضه وانقطع تنفسه ، واعلن الطبيب أنه أخذ يقاسى سكرة الموت ، ولكن اغاءة الموت مرت وأفاق الرجل ، فسأله الطبيب : ماذا كنت تحس فى تلك اللحظة ؟ فقال : « لا شىء ، كنت أعرف أنى أموت ، فلم أود أن أظل حيا . وكنت اشعر أنى قد تعبت كثيراً وأنه قد أتيح لى الآن أن انام هادئا »

أما أولئك الذين لم يفيقوا من غاشية الموت ، فحسبنا أن نرجع الى آخر ما نطق به لسانهم .

وقد جمع أحدهم عدة مئات من كلمات المحتضرين فوجد أن المرء لايشعر بشىء من الألم والحسرة إلا فى حالة واحدة من كل ستين حالة . وفيما عدا ذلك فشعور المحتضر يتراوح بين عدم الاكتراث لفراق الحياة ، وبين ابتهاجه باستقبال الموت

وقد أصدر أحد الاطباء الامريكيين كتابا ذكر فيه حالة أراد أن يتعرف منها شعور الميت . فقد اتفق مع أحد المرضى على أن يذكر له كل ما يحس به طول ساعته الاخيرة ، بالكلام مادام لسانه يتحرك ، ثم بالاشارة حين يعيا عن النطق . وقد ظل هذا الطبيب الى جانبه حتى لفظ أنفاسه وهو يسأله عما قد يحسه من ألم أو أسى ، فيشير اليه المحتضر بأصبعه ما يدله على أنه مستريح مغتبط . . .

والموت درجتان كما يقول العالم الكبير « اليكسس كاريل » فى كتابه الفذ « الانسان ، هذا المجهول » . فهناك الموت العام أى موت الانسان ، والموت الخاص أى موت الاعضاء . وذلك لا يأتى إلا عندما تنقضى آخر خفقة من خفقات القلب ، أما هذا فيبدأ حين تتعطل أعضاء الجسم واحداً بعد واحد ، على قدر حيويتها ومقاومتها . فالدماغ يموت فى دقائق وجيزة ، أما بعض الغدد فتعيش ساعة أو أكثر . ولا تتلاشى « شخصية » المرء إلا بعد أن يسكن قلبه سكونا تاماً ، أما قبل ذلك

فيظل فى دور « الموت الخاص » الذى قد يرتد منه الى الحياة ، اذا ما أسعف بوسائل تحرك أعضاءه التى خمدت . ومن الخطأ ان يعلن الطبيب موت المحتضر اذا ماوقف نبضه وانقطع نفسه ، فما دام القلب يخفق فالحياة باقية

وقد وصف الكاتب الانجليزى « جرانت ألين » اللحظة الأخيرة من حياة الانسان ، فقد اختبرها بنفسه حين غرق ذات مرة وأعلن الطبيب وفاته ، ثم لم يلبث أن استرد حياته وعاش ليكتب للناس ما أحس :

« للموت كالنوم : ليس فيه ما يؤلم ، بل ما يريح : أما هذا الذى يخيف حقا فهو صراع المرء فى سبيل الحياة حين يقبل عليه الموت ، وشعوره فى هذه اللحظة بأنه يتهدم ويتقوض ويزول . على ن هذا أهون كثيراً مما يتعرض له الانسان فى حياته من خلع ضرس أو كسر ذراع . هذا ، ، الانسان يبيب عن رشده حين تقبل اللحظة الأخيرة ، فلا يدرى ولا يحس شيئا »

[خلاصة مقال بقلم ليستر هوارد بيرى فى مجلة ريدرز ديجست]

الموسيقى تشفى المرضى

وكذلك المجرمين والمجانين

فى أمريكا طبيب مشهور يدعى «وليم فان دى فال» يشفى المجرمين والمجانين بواسطة الموسيقى . وقد حدث أخيراً ان تمرد فى السجون فى نيويورك عدد كبير من النساء وأفضى التمرد الى وقوع حوادث دامية فلجأت ادارة السجن الى ذلك الطبيب فما كان منه إلا أن جمع النسوة المتمردات حوله وطفق يعزف ويغنى (نشيد الجمهورية) ثم تطرق من ذلك الى دور غرامى ثم انتهى بقطعة رقيقة تدور حول عاطفة الامومة وسرعان ما هدأت ثائرة النساء واستقر النظام فى السجن

والواقع أن فكرة الدكتور وليم ليست جديدة فقد كانت شائعة فى بلاد الاغارقة وكان أبولون يمثل اله الموسيقى واله الطب فى الوقت نفسه . ومما يحكى عن أبقراط أنه كان يقود مرضاه الى معبد الآلهة ليسمعهم الاغانى الدينية التى كان يعتقد أنها تحدث فى عقولهم وأجسامهم أحسن تأثير

ويلاحظ أيضا أن العرب كانوا يقيمون فى القرن الثالث عشر مختلف الحفلات الموسيقية فى

شق المستشفيات . وأن الفيلسوف الامريكي وليم جمس كان يستخدم الموسيقى فى معالجة بعض الامراض العقلية فى إحدى المصحات بمدينة بوسطن

وأما الدكتور ويليم فقد استطاع شفاء بعض المجانين بواسطة الغناء أو العزف على الارغن أو ادارة اسطوانات معينة على فونوغراف لا يفارقه . وقد اسند اليه كرسى فى جامعة كولومبيا لعرض نظرياته ثم استدعى الى براغ عام ١٩٣٠ للاشتراك في المؤتمر الدولى الذى انعقد هناك لاصلاح السجون وتهذيب شخصية المجرم . وقد طبقت نظرياته فى معاهد الاصلاح الهولندية وشاعت آخر الامر فى مختلف السجون ومستشفيات الامراض العقلية

ومن غرائب حوادث الشفاء بواسطة الموسيقى أن امرأة من نساء شيكاغو جنت عقب وفاة طفلها الوحيد ونفرت من رؤية الاطفال وكانت كلما أبصرت طفلا تصيح وتهذى وتنتابها أزمة نفسية عنيفة . فخطر لادارة المستشفى أن تعهد لأحد مهرة الموسيقيين بأن يعزف للمرأة المجنونة (أنشودة الأمومة) للملحن الكبير برامس . وقد نجح العلاج وتبددت أحزان المرأة وزايلتها الفكرة الثابتة وتولد فى نفسها بفضل تلك الانشودة عطف على الاطفال استحال الى حنان وحب

وحدث فى ميلانو ان فقدت امرأة ذاكرتها فجأة ، وكانت متزوجة فاستعان أحد الاطباء بالزوج وطلب اليه أن يعزف لامرأته اجمل لحن كانت تحبه أيام صباها . وهكذا استعادت الزوجة ذاكرتها واستيقظت فى عقلها الباطن حوادث الماضى

وقد اتفق لفتاة ايطالية ان فقدت النطق وظلت بكماء أكثر من ثلاثة أشهر ، ولم تنفرج شفتاها الا عندما خطر للطبيب أن يشير على والدتها بأن تغنيها اللحن الذى كانت الفتاة وهى طفلة تهدهد به عروستها

فالموسيقى اليوم أصبحت وسيلة فعالة من وسائل معالجة الفكرة الثابتة والاضطراب العصبى والهستيريا والارق والشرود العقلى المصحوب بالسوداء والاسى

ولكن المهم فى العلاج هو اختيار القطعة الموسيقية التى يتناسب موضوعها مع الحالة المرضية المراد التخلص منها وهذا بالطبع موكل الى مقدرة الطبيب وحسن تشخيص المرض

[ملخصة عن مجلة ذى روتيريان

الآباء عقبة

فى سبيل الابناء

يتوهم بعض الآباء أن أبناءهم ملكا حلالا لهم وأن من حقهم التصرف المطلق فيهم وتوجيه مواهبهم وملكاتهم الوجهة التى يريدون . بل من الآباء من يعمل على خنق مواهب أبنائه وارغامهم على احتراف مهنة لا تتفق ونزعاتهم ولا يمكن أن تجر عليهم غير الكوارث

وكم من عظماء فقدتهم الانسانية لأن آباءهم كانوا جهلة متعصبين قصار النظر يرجون لهم حياة ضيقة الحدود مظلمة الأفق لا تعود عليهم بأكثر من الرخاء المادى الوضيع الذى ينشده ويتهالك عليه سواد الناس

واليك بعض أمثلة على ذلك من حياة اشهر عظماء العصر الحديث :

كان والد الشاعر الانجليزى المشهور رديارد كبلنج يكره فى ابنه ميله الى الأدب والشعر ويعارض فى ارساله الى الجامعات ليتلقى العلوم العالية ويحتقره ويعيره ويبذل قصاراه لصرفه عن فنه ويلوح له بوظيفة ناظر محطة كمثل أعلى

وكان والد الموسيقى الذائع الصيت بادرفسكى مزارعا وكان لايفقه شيئاً عن الموسيقى فحاول اجبار ولده على ان يشتغل مزارعا مثله ، ولكن بادرفسكى ثبت فى موقفه وتشبث بفكرته فنشب صراع هائل بينه وبين والده ، ولولا تدخل أمه الذكية التى أحست بعبقرية ابنها وناصرته وأخذت بيده ، مااستطاع بادرفسكى أن يطلق العنان لميوله ويصبح أعظم ضارب على العزف فى عصره

وكان والد الممثل الانجليزى الكبير تشارلز لوتون يعده للخدمة فى البحرية البريطانية ، ولكن الشاب ثار وتمرد فعدل الوالد عن عزمه وخير ابنه بين مغادرة البيت وبين العمل فى الفندق الذى كانت تديره الأسرة

فآثر تشارلز لوتون الخدمة فى الفندق على الحياة على ظهر البوارج ، ثم نمت فى ذهنه فكرة الاشتغال بالتمثيل ، ولما انتهت الحرب العظمى أسرع والتحق بأكاديمية التمثيل الملكية حيث ظهرت مواهبه الفنية الرائعة . وعندئذ أعجب به والده واغتبط بنجاحه وندم على تصرفاته السابقة ولا سيما فى اليوم الذى أبصر فيه ولده يربح المبالغ الطائلة ويفوز بالمجد والثروة

وكان والد الطيارة النابغه امى جونسون ينتفض غيظا ويرتجف رعبا كلما ذكرت أمامه فن الطيران وكان حبه الشديد لابنته يضاعف خوفه عليها واستمساكه بها وحرصه على حياتها . ولقد طالما ضيق عليها الخناق وحاول اجبارها على أن تكون معلمة أطفال ، ولكن امى جونسون

المعروفة بارادتها الحديدية التي لا تقهر ، دافعت عن مستقبلها وعن مواهبها وما زالت بوالدها تقنعه تارة باللين وأخرى بالعنف حتى نزل على رأيها وسمح لها بما تريد

أما الروائي الامريكي الكبير ابتون سانكلير صاحب القصص الاجتماعية الشائقة ، فكانت والدته أعدى أعدائه . ومما يحكى عن هذه المرأة العنيدة الجبارة أنها كانت تقتحم فجأة حجرة عمله وتنقض على كتبه فتختطفها وتلقى بها من النافذة . ولقد حدث ذات مرة ان اجترأت في غيبته على سرقة احدى مسودات قصصه ثم حرقتها ، فثارت ثورة الشاب وهجر البيت وظل يتنقل في منازل أصدقائه أشهراً طويلة حتى جزعت والدته وبكتها ضميرها ولم تجد بداً من التراجع والاغضاء والصمت

وهكذا يجلب استبداد بعض الآباء شر الكوارث على أبنائهم وعلى الانسانية . فهم بجهلهم وعنادهم وأحلامهم التافهة وآمالهم المتواضعة وتصميمهم المرذول ، يعاملون أبناءهم باعتبارهم أدوات يجب أن تسخر لخدمة غرض مقصود . وهذا العارض النفساني يمثل الأنانية في أجلى مظاهرها وان تكن أنانية مشوبة بالحب والعطف والرغبة في اسعاد البنين

على أن هذا الحب الاعمى لا يمكن أن يفضى الى خير . إذ ليست العبرة بالعواطف بل العبرة كل العبرة بتحكيم العقل والاعتماد عليه في تفهم أخلاق ونزعات الأبناء توطئة لقيادتها وتدريبها وابلاغها حد الكمال المنشود

ومن رأفة القدر بالانسانية أن استبداد الآباء بالغة ما بلغت شدته ، لايؤدى في معظم الأحيان إلا الى الهاب النزعة الكامنة في صدور الابناء . وهذا بدهي . فالاضطهاد يولد الثورة ، والثورة دليل العناد والرغبة في تحقيق مثل أعلى

وكل عبقري أصيل لا يزيده الضغط إلا اصراراً وحزما وتأهبا لاحتمال شتى صنوف الألم . ولكن العبقرية نادرة والنبوغ هو الشائع ، والعالم يحيا بفضل النوابغ أكثر مما يحيا بفضل العباقرة الأفذاذ . فيجب أن نفهم أن الاستبداد قد يخنق النبوغ ان هو لم يستطع خنق العبقرية ولذلك ينبغي أن نشفق على أبنائنا ونحاول أن نجعل من حبنا لهم وسيلة لفهم جوهر شخصيتهم وحقيقة مواهبهم وملكاتهم

[ملخصة عن مجلة ويلدون ليدز جورنال]

هل فيك مركب نقص

اعرف نفسك بنفسك

« مركب النقص » تعبير ابتكره الفرد أدلر ــ العالم النفسي الذى توفى منذ بضعة أشهر ــ ليدل به على شعور المرء بقصوره عن مجاراة من يعيشون فى بيئته ، وعجزه عن التوفيق بين نفسه وما حوله من ظروف

وكل منا يحس أثر هذه العقدة فى نفسه ، ولكن تختلف قوة أثرها باختلاف الافراد . وهذه طائفة من الاسئلة أجب عنها بالايجاب أو النفى ، تتبين مقدار ما فيك من مركب النقص :

(١) هل أنت عنيد لجوج : تصمد لمن يضادك ، وتلحف على من يخالفك ؟

(٢) هل أنت لين العريكة : فتقبل أن تعمل ما يقترح عليك ، ولو ناقض ما كنت تريده ؟

(٣) أم هل أنت شديد المراس : فتأبى الا ان تعمل نقيض ما يطلب اليك ، لمجرد الرغبة فى المخالفة

(٤) هل تخجل أو تضطرب اذا قابلت رئيسك ، أو لقيت من هو أعلى منك ؟

(٥) هل تشعر أنك تحب أن تعرض نفسك أمام الناس ، وتلفت اليك أنظارهم ؟

(٦) هل تفاخر بنجاحك وتباهى بمقدرتك ؟ . . . وهل تذكر كثيراً ما تستطيع عمله لو أتيحت لك الفرصة أو أفسح لك المجال ؟

(٧) هل تتحدث عن نفسك كثيرا : عما ينتابك من أمراض ، عما تصادفه من عقبات ، عما يشيعه الناس عنك من أقاويل ؟

(٨) هل تظن أن الناس لا يفهمونك فهما صحيحا ، فهم لا يقدرونك حق قدرك ؟

(٩) هل تشعر أن بعض الناس يسيء معاملتك ، فتجلس منقبضا مكتئبا ؟

(١٠) هل تخجل حينما تلتقى بفتاة جميلة فاتنة ؟ . . واذا كنت سيدة فهل تخجلين حين تقابلين فتى وسيما أنيقا ؟

(١١) هل تحاول أن تسيطر على صديقتك أو زوجتك وتشعرها بتفوقك عليها وتملكك اياها ؟ (. . وهل تشعرين هذا قبل صديقك أو زوجك ؟)

(١٢) هل تحلم فى يقظتك أن تكون رياضيا قوياً جبارا كشميلنج أو كارنيرا ؟ . . وهل تحلمين أن تكونى ممثلة جذابة فتانة كجريتا جاربو أو نورما شيرر ؟

(١٣) هل كنت تتمنى أن تظل طفلا يدلل ويداعب ، لا أن تشب رجلا مكافحا مسؤولا ؟

(١٤) هل تشعر بالغيرة اذا ارتقى أحد زملائك فى العمل وتخلفت أنت عنه ؟

(١٥) هل كنت تود أن تولد شخصا آخر : أكثر مالا أو ذكاء أو وسامة ؟

***

قارن إجاباتك بما يلى :

(١) لا يعاند ولا يلحف غالبا الا من يريد أن يلفت النظر اليه، مما يدل على شعوره بنقصه وقصوره

(٢) و (٣) الرجل الذى تلين عريكته جداً ، كالرجل الذى يشتد مراسه جداً ، مصاب بمركب نقص قوى

(باقى الأسئلة) الاجابة عنها بالايجاب يدل على سيطرة هذه « العقدة » على نفسك ، والاجابة عنها بالنفى ينبىء عن خلوص نفسك من شعور النقص والقصور

واذا تحقق لك عشر إجابات من نوع واحد دل هذا على اتجاهك اتجاها واضحا ، وان قلت الاجابات المتشابهة عن ذلك فأنت « عادى » ، أى مبرأ من مركب النقص الذى يفتر العزيمة ، ويضعف الأمل ، وينغص الحياة ، مبرأ من أسباب الغرور التى تبث الخيلاء ، وتعمى البصيرة ، وتدفع الى المغامرة الخطرة [خلاصة مقال بقلم جون مولوتد فى مجلة باريد]

دولة البابا

طرائف الحياة فى الفاتيكان

ليست دولة الفاتيكان التى بلغت فى بعض أدوار التاريخ ذروة القوة والسطوة ، والتى ما برحت مطمح الأنظار فى شتى أنحاء العالم المسيحى ، إلا قطعة صغيرة من الارض لا تتجاوز مساحتها ١٠٨ فدان ، ولا يزيد عدد سكانها عن ٧١٦ نسمة . ولكن الى جانبهم مئات من المهندسين والعمال يقصدونها كل صباح ليعملوا فى ترميم أبنيتها الخالدة ، ومئات أخرى من الموظفين ليقوموا بادارة أعمالها الواسعة التى تتناول مختلف الشئون الروحية فى العالم المسيحى

ويتولى الاشراف على شئون الفاتيكان « المحافظ » الذى منحه « البابا » سلطة روحية مطلقة تجعل من كلماته قانونا لا تعصى أوامره ولا تمس نصوصه . وهو المسئول عن اقرار الامن والنظام فى الدولة ، والمحافظة على أهليها وأملاكها ، وتعميم « الأخلاق الفاضلة » التى لا يجوز اغفالها فى دولة البابا

وهو الذى يأمر بالقبض على الجناة ، وباسمه تفرض عليهم العقوبات

على أن دولة الفاتيكان تكاد تخلو من الجرائم والمخالفات ، فلا يقع كل عام أكثر من سرقة أو سرقتين يعاقب مرتكبها بحرمانه من دخول المدينة المقدسة . أما اذا كان من أهل الدولة فانه يجرد من جنسيته ويحرم من العمل فى أرض الفاتيكان . وقد توقع عليه عقوبة الحبس على ألا تتجاوز مدتها ثلاثة شهور ، ولكن ليس فى الفاتيكان سجن ، ولهذا يوضع المسجون فى حراسة الجنود السويسريين المعسكرين على الحدود بين ايطاليا وسويسرا ! ! ويسمح للمسجون أن يتنزه مرتين كل يوم فى احدى الحدائق ! !

ولا تنقد الفاتيكان عمالها أجوراً كبيرة ، وهى لهذا تكتفى باستخدامهم ساعات قليلة . وتؤثر كذلك أن تستأجر عدداً جما من العمال ، فترات قصيرة وبأجور زهيدة ، على أن تستخدم قليلا منهم ، مدداً طويلة وبأجور كبيرة

ومحافظ الفاتيكان هو الذى يسجل أسماء المواليد والوفيات والمتزوجين ، ويشرف على أعمال سكان الدولة واحداً واحداً ، وهو الذى يمنح « الجنسية » ويجرد منها ، ويعطى « تصريح » قيادة السيارات والعربات ، وإجازة البقاء فى المدينة أو اجتياز حدودها ، وهو الذى يحدد أسعار السلع والأطعمة ، ويشرف على أعمال البناء والترميم ، ويتولى تدبير مرافق الايرادات والاشراف على نواحى النفقات ، وغير ذلك من الاعمال التى تجرى فى كل دولة مهما صغرت

ولايعيش «المحافظ» داخل الدولة ، ولكن له فيها مسكن فاخر . ولا يجوز له أن يغادر الدولة حينما يكون فى زيارتها ملك أوأمير . وضيوف البابا ينزلون فى قصر المحافظ حيث أعد جناح للملك أو الأمير ، وآخر للملكة أو الاميرة . إذ لا تسمح تقاليد الفاتيكان بأن ينزل أحد ضيوفها وزوجه معا طول مدة زيارتهما . وفى جناح الملك مائدة حولها أربعة وعشرون مقعداً ، وكلها مصنوعة من الذهب ، ولا يسمح لغير الملوك والأمراء الكاثوليكيين أن يجلسوا اليها

[خلاصة مقال لايدا لونواي فى مجلة بيستر لويد بيودابست]

تقدم العلم والعالم

الأمراض المتوطنة فى مصر
وأثرها فى كفاءة الجندى المصرى

ألقى الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك الاستاذ بكلية الطب ، فى مؤتمر المجمع المصرى للثقافة العلمية ، محاضرة موضوعها ماتعانيه مصر من الامراض الطفيلية المتوطنة فيها ، وما يعترض نهضة جيشها وكفاءته من جرائها ، مستنداً الى احصاءات دقيقة تبين خطورة البلهارسيا والانكلستوما والملاريا . وتلخص هنا بعض ما ورد فى هذه المحاضرة النفيسة :

هل لا تتملكنا الدهشة المؤلمة إذا عرفنا أنه فى كل عام يعلن أن زهاء ٩٠٫٠٠٠ مقترع فى سن التاسعة عشرة غير صالحين للجندية دون أن يفحصوا طبيا ، لأن عدم كفاءتهم البدنية بادية للعيان اما لقصر قامتهم قصراً بينا ، واما لاصابتهم بعاهات ظاهرة كالعرج أو العور أو العمى ؟ ! أى ان نحواً من ٩٠٪ من المقترعين فى السن التى تبلغ فيها الكفاءة الجسمية أعلى درجاتها تبدو عدم صلاحيتهم للعيان بلا حاجة الى فحص الاطباء وتقديرهم !

ومن الـ ١٠٫٠٠٠ الباقين يعفى ٦٠٠٠ كذلك اما لأنهم لا يصلحون طبيا أو لأسباب أخرى كحفظ القرآن أو دفع البدل العسكرى الخ . أما الباقون وعددهم ٤٠٠٠ فحسب فقد وجد أن ٩١ ٪ مصابون بالأمراض الطفيلية ، التى وان كانت لا تؤثر فى مظهرهم الخارجى إلا أنها تقلل من كفاءتهم للجندية . فقل ألا يغمى على عدد منهم فى أثناء تدريبهم ، والفرقة الوحيدة التى لم يغم على أحد من جنودها كانت قد عولجت كلها من الأمراض الطفيلية قبل أن تدرب . ويترتب على هذا أنه لا يلبث أن يقصى عن الجيش زهاء ٣٠٪ من جنوده لانهم مرضى بالبلهارسيا والانكلستوما . ومعنى هذا أنه بين سن التاسعة عشرة والواحدة والعشرين ، لا نجد من يصلحون للجندية سوى ٤٪ . وأغلبهم مع هذا مصابون بالطفيليات

ولو قارنا هذا بنتائج التجنيد فى الجيش البريطانى لوجدنا أن ٢١٫٥٪ يرفضون بمجرد الفحص غير الطبى يقابلهم ٩٠٪ من المقترعين المصريين ، وأن ٢١٫٥٪ يرفضون بعد الفحص يقابلهم ٦٠٪ فى مصر . فيكون الصالحون للخدمة العسكرية هناك ٧٥٪ مقابل ٤٪ فى مصر !

ولا يقتصر أثر الطفيليات على كفاءة الجندى البدنية بل يتعداها الى قواه العقلية لانها تضعف الذكاء وتبطىء التفكير . ولهذا يكابد الضباط عناء كبيراً فى تدريب الجنود المصريين على الحركات العسكرية البسيطة مما يستنفد صبرهم فيعمدون الى عقاب الجنود بالصفع والسب مما لا يحدث مثله فى الجيوش الاوربية . والضباط والجنود معذورون ، فأولئك لا يعلمون أن ما بالجندى من أمراض جعلت مداركه لا تتعدى مدارك صبي صغير ، وهؤلاء يبذلون ما فى وسعهم ولكن

مداركهم رغم ارادتهم لا تسمو الى الدرجة التي يتطلبها الضباط

ولا يمكن علاج هذه الحال الخطرة إلا إذا: (١) وفرنا لسكان القرى المياه الخالية من الجراثيم (٢) وأقمنا مراحيض فى منازل الريف حتى لا يلجأ السكان الى فناء الدار أو ما حولها أو شواطىء ومجارى المياه. وقد دلت الاحصاءات على أن ٢½٪ فقط من منازل الريف المصرى بها مراحيض وأكثرها لا قيمة له من الوجهة الصحية (٣) وعنينا بنظافة القرى فأزلنا القمامات والقاذورات يوميا بالكنس والرش والتخلص منها بالحريق أو دفنها فى الارض (٤) وأهم من ذلك أن يعالج تلاميذ المدارس الالزامية جميعا، فأن علاجهم أجدى من تعليمهم بل إن أكثرهم لا يمكن أن يستفيد من التعليم شيئا ما دام مريضا بهذه الطفيليات المرهقة

أسطول الملك سليمان

يذكر «العهد القديم» أن ملكة سبأ زارت سليمان فى عاصمته أورشليم، لترى ما بلغه من ملك وثراء، وتسمع ما يلقيه من حكم وأمثال. ولكن علماء التاريخ بدأوا يرون انها قصدت اليه فى زيارة رسمية لمفاوضته فيما بين المملكتين من صلات اقتصادية، بعد أن أنشأ سليمان أسطوله العظيم الذى كشفت آثاره أخيراً

فقد كانت التجارة بين الشام واليمن تخترق فجاج الصحراء، مارة بسبأ حيث تجبي عليها المكوس التي كانت أهم موارد المملكة. فلما أنشأ سليمان أسطوله تحولت التجارة عن طرق البادية الى البحر الاحمر، حيث كانت السفن تغدو وتروح حاملة محصولات الشام واليمن والهند، فنضبت خزانة سبأ، وسافرت ملكتها الى سليمان، لتفاوضه فى عقد معاهدة تحفظ لها بعض مواردها

وقد بنى سليمان أسطوله هذا فى ميناء على ساحل البحر الاحمر تقوم مكانه اليوم قرية «تل الخليفة». وظل هذا الميناء حافلا بالمتاجر والمصانع من القرن العاشر الى القرن الثامن قبل الميلاد، فكانت فيه مصانع واسعة لبناء السفن، وأخرى لصناعة المعادن، كما كان مصيدا كبيرا للاسماك. وقد كشفت آثاره فى هذه الايام «المدرسة الامريكية للبحوث الشرقية فى أورشليم» التى يديرها الأستاذ ميلار بورروز من أساتذة جامعة «ييل»، فوجدت فيه أفرانا كبيرة من النحاس أعدت لاذابة المعادن وتنقيتها من الشوائب

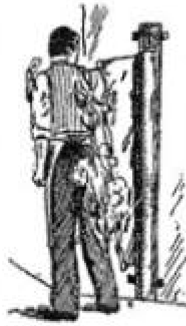
وكذلك وجدت ان الميناء بنى فى مواجهة الرياح الشمالية، وذلك لأنها كانت حين تهب على هذه الافران تزيد فى أوار نيرانها فتظل تتأجج الايام المتوالية

ويبعد الميناء الآن عن ساحل البحر مسيرة نصف ميل، وكان فى عهده مشرفا على الماء مباشرة، ثم باعدت الرياح وما تحمل من رمال طول هذه القرون بين الميناء والماء

انقاذ العمال من النار

يفرض القانون على أصحاب المصانع أن يهيئوا فيها كل ما يتيسر من الوسائل التى يمكن بها انقاذ العمال من الأخطار التى يتعرضون لها فى أعمالهم. ولهذا يعنى المخترعون بايجاد هذه الوسائل التى تحفظ صحة العمال وتنقذ أرواحهم كما تكفى أصحاب الاعمال مؤونة تعويضهم عما قد ينتابهم

وقد ظهر فى أمريكا أخيراً هذا الجهاز البسيط لانقاذ عمال المصانع من خطر الحريق



الذي يتعرضون له دائما . وهو يتألف من ملاءة سميكة لفت حول عمود من الخشب . فاذا ماتناولت النار طرفا من ملابس احد العمال هرع الى هذه الملاءة ، التي يجب ألا تكون بعيدة منه ، وأمسك بطرفها ولفها حول نفسه سريعا ، فلا تلبث أن تنطفىء النار وينجو من الخطر ، دون ان يكون فى حاجة الى معاونة آخر قد لا يجده ، ولا الى البحث عن ملاءة قد لا يعثر عليها

التعقيم لا يجدى

فى ترقية الانسانية

فى طليعة الاغراض التى يرمى العلم الى تحقيقها اسكان هذه الارض بناس أوفر ذكاء وأكثر نشاطا وأجدى نفعا على المجتمع من هؤلاء الذين يسكنونها الان . ويلجأ العلم الى وسائل شتى لبلوغ هذه الغاية ، منها التعقيم — تعقيم المرضى والضعفاء لئلا يتناسلوا — كما يجرى الان فى المانيا ودنمارك والولايات المتحدة

والذين يقولون بفائدة التعقيم فى ترقية الانسان ، يستمدون حججهم مما أدى اليه التعقيم من تحسين كثير من الفصائل الحيوانية ، فان له الأثر الكبير فى انتاج أصناف ممتازة من الخيول والابقار والكلاب والخنازير وغيرها من الحيوانات الاليفة

ولكن من العلماء من ينكر أن التعقيم ينفع فى ترقية الانسان كما نفع فى تحسين الحيوان ، وفى مقدمتهم العالم الانجليزى الكبير «هالدين» الذي أخرج أخيراً كتابا موضوعه « الوراثة والسياسة » عارض فيه معارضة علمية قوية الدعوة الى تعقيم المرضى والضعفاء . فقال : «ان التعقيم الاجبارى ليس إلا لعبة من الألاعيب الأمريكية، مثلها مثل لعبة تحريم الخمور فيما مضى»

وهو يستند فى معارضته إلى أن عملية التعقيم وان تكن يسيرة عندما تجرى على الرجل فلا يزيد خطرها على خطر خلع الضرس ، إلا أنها تعرض المرأة لأخطار جسيمة قد تودى بها الى الوفاة . وتبلغ نسبة الوفيات فى عمليات تعقيم النساء زهاء ١ ٪ . وهو يؤكد أن تعقيم أولئك الذين يعجزون عن اعالة أنفسهم ماديا لن يرفع شيئا من مستوانا الاقتصادى ، وكذلك تعقيم من تنقصهم الكفاءة العقلية اللازمة لن يجدى نفعا فى تحسين شؤوننا الاجتماعية

والبروفسور «هالدين» من أعظم علماء التاريخ الطبيعى فى هذا العصر ، وله مؤلفات جمة فى علاج المشاكل الاجتماعية علاجا علميا ، ويجدر بكل رجل مثقف أن يقرأ كتابه «عدم التساوى بين البشر» The Inequality of Man فهو يضم مجموعة من أحسن مقالاته الدقيقة الشائقة

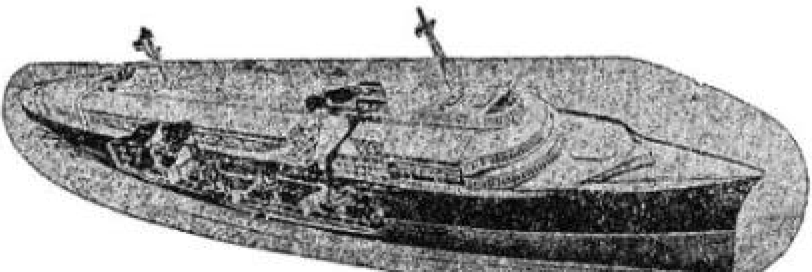
خسائر المرض فى بريطانيا

يقدر ما تخسره بريطانيا كل عام نتيجة ما يحدث فيها من مختلف الامراض بمبلغ ٢٨٥ مليونا من الجنيهات ، منها ١٠٠ مليون جنيه تدفعها الحكومة وأصحاب الاعمال لمن يصاب من العمال بمرض ما . والباقى يدخل فى جيوب الاطباء والصيادلة ، وينفق على المستشفيات والمصحات وغيرها . ويقدر الدخل السنوى للاطباء فى بريطانيا بخمسين مليون جنيه ، أى ان متوسط ربح كل طبيب ١٠٠ جنيه شهريا

بواخر المستقبل

تعبر المحيط الاطلسي في ثلاثة أيام !

ستلقى شركات البواخر فى المحيط الاطلسى عما قريب منافسة شديدة من جانب شركات الطيارات التى تزمع إخراج سفن جوية تسع كل منها مائة نسمة تنقلهم فى ساعات قليلة بين أوربا وأمريكا . ولهذا بدأت شركات البواخر تفكر فى إخراج سفن قوية تعبر المحيط الاطلسى فى مدة لا تجاوز ثلاثة أيام ونصف يوم



وترى هنا تصميم وضعه مهندسان أمريكيان لباخرة من هذا الطراز . فهى معدة بستة « محركات » قوة كل منها ٦٦٫٠٠٠ حصان ، تعاونها ستة « دافعات » كبيرة ، تجعل قوة السفينة كلها زهاء ٤٠٠٫٠٠٠ حصان (أما الباخرة « كوين مارى » وهى من أضخم بوارج المحيط فلا تجاوز قوتها ٢٠٠٫٠٠٠ حصان) ويبلغ طولها ١٫٣٥٠ قدما (وطول « كوين مارى » ١٫١٠٨ قدما) ويقدر ما تستهلكه هذه السفينة من الوقود ٢١٥٠ طنا كل يوم

وتتراوح نفقات بناء هذه السفينة بين ٤٠ و ٥٠ مليونا من الدولارات ويستغرق بناؤها ثلاث سنوات على الاقل وتحتاج الى آلاف من العمال والمهندسين . وسيكون من وسائل توفير الوقت على المسافر ألا يركب أو ينزل فى ميناء نيويورك المزدحم بالسفن ، بل فى خليج « مونتوك » الذى يبعد ١٧٠ ميلا عن نيويورك يقطعها المسافر فى زورق بخارى سريع ، فيقتصد من الوقت زهاء عشر ساعات

شذرات علمية

* أول من اتخذ غلف « مظاريف » للرسائل هم البابليون ، فكانوا يغلفون رسائلهم المحفورة على قوالب من الطين بألواح من الآجر ثم انقرضت غلف الرسائل ولم يعد الناس الى اتخاذها إلا فى القرن السابع عشر

* تجاوزت نسبة الوفيات من مرض السكر في الولايات المتحدة الأمريكية نسبتها فى غيرها من الاقاليم . وذلك راجع فى رأى العلماء الى ثلاثة عوامل : وفرة الغذاء الدسم الخصيب ، قلة العناية برياضة الجسم ، إرهاق الأعصاب من فرط العمل وشدة الصخب فى المدن الآهلة

* فى ألمانيا ٥٦٠ متحفا مهمتها المحافظة على « الثقافة الألمانية » ونشرها وتنميتها بين جميع العناصر التى تتكلم الألمانية

كتب جديدة

مفرق الطريق

مسرحية ذات فصل واحد

بقلم الدكتور بشر فارس

مطبعة المقتطف فى ٣٧ صفحة

الدكتور بشر فارس يجمع فى شخصيته بين عقل الباحث المؤرخ الولوع بالتحقيق والمنطق وبين خيال الشاعر الموهوب المتطلع ببصيرته واشراق روحه الى اكتناه أسرار الحياة النفسية وما يكمن خلف الظواهر والمرئيات من قوى لاتنبية تتحكم فى مصير الجماعات والافراد

وقد نضا عنه فى هذه المسرحية ثوب المنطق وارتدى حلة التصور الشعرى فجاءت مسرحيته مثلا رائعا من أمثلة ذلك الأدب الشائق الذى ابتدعه فى أوربا أقطاب المدرسة الرمزية

فمسرحية (مفرق الطريق) أشبه بقصيدة من الشعر الصافى ، قصيدة وجدانية تصور التجاذب النفسى بين العقل والشعور وترسم ذلك الشعور الذى ينطوى تحت لواء الادراك الحسى والمنطق العقلى الظاهرى

وأبطال هذه المسرحية ثلاثة الرجل والمرأة والأبله . وهم من نتاج الخيال ومع ذلك فالمرأة نشعر بها مخلوقا من لحم ودم ، نحس انها انثى مفعمة بالعواطف وأنها تحيا حياة أعمق من حياتنا وأوثق اتصالا بالقوانين الطبيعية الكبرى . فهى فى ظاهرها خيال وفى لبها حقيقة أبدية

وأما الأبله فهو يرمز الى الانسان العادى الذى يستغل المواقف لمصلحته وينتهز الفرص لتحقيق مطامعه

ولقد حشد الدكتور بشر فارس فى مسرحيته طائفة من التأملات النفسية والنظريات الفلسفية التى تشهد بوفرة اطلاعه وغزارة خياله وقدرته على التحدث الينا عن صميم الحياة من خلال الرموز الشعرية الرائعة

وليس شك أن هذه المسرحية تعد فتحا فى الأدب المصرى الحديث . وقد قدم لها المؤلف بمقدمة شائقة تبسط للقارىء فكرة الأدب الرمزى والفارق بينه وبين الادب الواقعى واسلوب المذهبين فى تصوير الحياة ، مما يدل أبلغ الدلالة على أن الكاتب ليس روائيا نابغا فقط بل ناقداً كبيراً أيضا

سندباد عصرى

بقلم الدكتور حسين فوزى

مطبعة الاعتماد بالقاهرة فى ٢٣٠ صفحة

الأستاذ الدكتور حسين فوزى من خيرة شباب مصر المثقف وهو أديب وفنان ، تستهويه الدراسات الاجتماعية والبحوث الاخلاقية وكل مايتصل بالفنون ولا سيما الموسيقى . وقد تفرغ لدراسة الاحياء المائية فنبغ فيها وأضاف الثقافة العلمية الى ثقافته الأدبية الفنية الواسعة

ويمتاز الدكتور حسين فوزى بافكاره الحرة الجريئة وانتصاره للحضارة الغربية وتبدو هذه النزعة واضحة فى كتابه الشائق (سندباد عصرى)

وهو فى هذا الكتاب الجديد فى نوعه يعرض للقارىء طائفة مختارة من المشاهد العجيبة التى استرعت اهتمامه أثناء رحلته الى الأقطار الهندية

وموطن الطرافة فى كتابه انه يرسم أخلاق وعادات الشعوب الاسيوية التى مر بها ، محاولا جهده اظهار الصلة الوثيقة التى تجمع بينها وبين أخلاق وعادات شعوب الشرق ولا سيما مصر والشرق العربى

فهو من خلال الهند ينظر الى العالم الاوربى ويفاضل ويوازن بين ما كان قد شاهده فى أوربا وبين ما أبصره فى بلاده وفى الشرق لاسيوى . ولذا تراه يحمل على العادات والتقاليد الشرقية البالية ويرسمها رسما دقيقا وينقدها نقداً لاذعا ويتهكم بها ويشير فى صراحة وجرأة الى أن هذه التقاليد فى الشرق واحدة متشابهة وانها هى التى تقف عثرة فى سبيل تقدم الشرقيين ورقيهم

وليس شك فى أن كتاب الدكتور حسين فوزى هو عمل فنى يدل أبلغ الدلالة على مقدرة فائقة في الملاحظة والتصوير كما انه فى نفس الوقت عمل أدبى يرمى الى انهاض المجتمع المصرى وتحرير البيئة المصرية من شوائب القديم

عصفور من الشرق

للاستاذ توفيق الحكيم

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر فى ٢٣٠ صفحة

توجه هذه القصة حملة عنيفة الى الحضارة الغربية الصناعية ، التى يزعم بعض المفكرين الاوربيين أنها وطدت للمادة سطوتها ونفوذها ، فحرمت الانسانية صفاء الروح وشاعرية الطبيعة.

وفى طليعة هؤلاء الثائرين على الحضارة الغربية الكاتب الفرنسى جورج دوهاميل الذى استوحاه الاستاذ توفيق الحكيم فى وضع قصته ، بعد أن تأثر طرفا من آرائه ، واستعار بعض عباراته

والقصة تمثل شابا شرقيا هبط باريس حيث أحب احدى فتياتها حبا « شرقيا » ، يناقض ذلك الحب « الغربى » الذى كانت تبادله فتى من فتيان باريس ، ثم تدور وقائع القصة حول ما يجرى بين هؤلاء الثلاثة من صلات . ولكن الشاب الذى اختاره المؤلف رمزاً للشرق ليس إلا شخصا مريض العاطفة مضطرب الشعور منهوك الأعصاب نجد مثله فى الغرب كما نجده فى الشرق ، وذلك الذى اختاره رمزاً للغرب ليس إلا شابا غريراً متبذلا مستهتراً نجد أمثاله فى كل نحو من أنحاء العالم . وكثير من أبطال القصص الغربية الأصيلة مرضى مثل « محسن » المصرى ، وكثيرمن الشباب العريقين فى شرقيتهم متبذلون تبذل « هنرى » الفرنسى

وما من شك فى أن للحضارة الغربية مساوىء ونقائص ، وأن فى الحضارة الشرقية فضائل وحسنات . ولكن ميزة الحضارة الغربية أنها تحمل فى نفسها وسائل تصحيح ما ترتكب من الأخطاء ، أما حضارتنا فتترك سيئاتها تضعف من قوتها وتقوض من بنائها دون أن تمكنها عقائدها المتحكمة وتقاليدها المتأصلة من أن تغير وتبدل وتصلح كما تفعل أوربا يوما بعد يوم

هذا ، ومن الخطأ ان نهاجم أوربا فيما يجب أن نتأثرها فيه خطوة خطوة . وإلا فكيف يمكن أن ينهض هذا الشرق الفقير الجاهل الذى استذلته أوربا بمالها وعلمها اذا قلنا له تمشيا مع

الاستاذ الحكيم : حذار أن تعلموه القراءة والكتابة فانها تفسد ذوقه وتبتذل روحه ؟ ! كيف يمكن بمثل هذه الرجعة في التفكير أن تصلح هذا الشرق الذى يجأر أهله من الجوع والعرى اذا قلنا لهم : مهلا مهلا ، فغداً تأكلون هنيئا وتشربون مريئا فى الجنة ؟ !

ان الكاتب الشرقى المخلص هو الذى يضع (Synthèse) فيؤلف بين جوهرى الحضارة الشرقية والغربية ، ويهيىء لبلاد الشرق جميعا أن تسلك هذا النهج الواضح الذى سلكته تركيا واليابان فلم تفقد احداهما روح الشرق وطابعه ، ومع هذا نضت عنها ثوب الجهل والفقر والخمول

ومهما يكن من رأى فان اسلوب القصة جزل وحوادثها متماسكة وقد أبدع الكاتب فى تصوير شخصياتها وتهيئة مواقفها وأضاف الى قصصه الشائقة قصة أخرى يحب المرء أن يطالعها من حين الى حين

أسرار الموت

للعلامة فلاماريون

تعريب الأستاذ ادوار مرقص

المطبعة التجارية باللاذقية فى ٢٢٨ صفحة

يبحث هذا الكتاب فى النفس البشرية وقيمتها الذاتية وهل هى مكتسبة من المادة أى الجسد أم هى مستقلة فى جوهرها ؟ وهل هى بعد الموت الى فناء أم الى بقاء ؟

والواقع ان نتائج هذا البحث الرائع تثبت روحانية النفس واستقلالها اثباتا تعززه البراهين العلمية ومختلف المعجزات والخوارق التى يعرضها المؤلف ويستشهد بها على صواب رأيه

فالعلم هنا يؤيد الايمان بدل أن يهدمه ويدعمه بدل أن يقوضه ويمنح الانسان عزاء العقل مضافا الى عزاء الدين

وأم فصول الكتاب الدالة أبلغ الدلالة على صدق ايمان المؤلف باستقلال الروح هي (ضلال المبدأ المادى فى الفلسفة) و (القوى الذاتية فى النفس) و (انتقال الافكار) و (النظر بلا عين) و (معرفة المستقبل) وكلها بحوث تنهض على الملاحظة والاستقراء وقوانين العلم التجريبي الحديث . وقد نقلها الاستاذ الكبير ادوار مرقص الى العربية بأسلوب واضح جزل بليغ يبسط الفكرة دون ان يشوهها ، ويتحرى الامانة فى النقل مع ابراز ما تكنه الألفاظ من معان دقيقة مستورة

حقوق الانسان

بقلم الاستاذ رئيف الخورى

مطبعة ابن زيدون بدمشق فى ١٤٠ صفحة

فى سوريا ولبنان اليوم نهضة أدبية ملحوظة تضطلع باعبائها فئة من الشباب المثقف الموهوب . ومن رسل هذه النهضة الاستاذ رئيف الخورى الاديب والباحث الاجتماعى النابغ

وقد حاول الاستاذ الخورى فى هذا الكتاب تحليل مختلف الأدوار التى مرت بشعوب أوربا وأمريكا وانتهت بتقرير حقوق الانسان . فتناول بالبحث عصر الاقطاع ونهضة الطبقة الوسطى المتمولة ثم الثورة الانجليزية فالثورة الامريكية فالثورة الفرنسية الكبرى

وبعد ان استوفى دراسة هذه الموضوعات تطرق منها الى الاشتراكية ثم انتهى بنقد المذاهب النازية والفاشية منتصراً للروح الديموقراطى

فالكتاب فى مجموعه صرخة فى سبيل الحرية صادرة من قلب عامر بالايمان بها مخلص

فى الدفاع عنها موقن بأن لا فكر ولا فن ولا حضارة بدون حرية

ومما لا يقبل الريب أن تحقيق هذه الحرية كما تفهمها أوربا الديموقراطية مستحيل على شعوب الشرق ان هى لم تتوفر على دراسة المراحل الاجتماعية التى انتهت بتقرير حقوق الانسان

وللوصول الى هذا الغرض وضع الاستاذ الخورى كتابه الشائق الذى لا غنى عن مطالعته لكل عربى مستنير

على المنبر

بقلم الدكتور نقولا الفياض

عضو المجمع العلمى العربى

مطبعة دار المكشوف بيروت فى ٣٠٠ صفحة

الدكتور نقولا الفياض طبيب وشاعر وكاتب وخطيب . وهو فى خطبه حاضر البديهة قوى الحجة بليغ التعبير يعرف كيف يملك على الجمهور مشاعره ويستأثر بلبه ويوجهه أى الوجهات يريد

وهذا الكتاب مجموعة من الخطب الشائقة تدور حول موضوعات شتى أهمها (المرأة والشعر) و (القلب البشرى) و (بين العجز والمقدرة) و (التجديد فى الشعر العربى) وغير ذلك مما قيل فى مناسبات اجتماعية مختلفة

ومما تنفرد به هذه الخطب أنها دراسات مستفيضة الجوانب حافلة بالمعلومات تنبع من ذهن وافر الثقافة غزير الاطلاع أبعد ما يكون عن السطحية فى التفكير وأولع ما يكون بالدقة والتعمق

والحق أن خطب الدكتور فياض لا تنحدر الى مستوى الجمهور بل ترفع الجمهور الى مستواها وتجبره على التفكير لا بعقله بل بعقل الخطيب

وهذه أرفع مراتب الخطابة

سهير

قصة مسرحية بقلم الاستاذ حسين عفيف

مطبعة حجازي بالقاهرة في ١٨٥ صفحة

للاستاذ حسين عفيف المحامى ولع خاص باسلوب الشعر المنثور . وقد تفوق فيه تفوقا ملحوظا ولا سيما فى دائرة الفن الروائى

ومن الانصاف أن نقول أن الاستاذ عفيف كان فى طليعة الكتاب المصريين الذين أدخلوا عنصر الشعر المنثور على الأدب المسرحى وتمكنوا من وضع مسرحيات مصرية تغلب فيها نزعة الخيال والشعر على نزعة التحليل وتصوير مشاهد الحياة كما هى

والواقع ان أبطال هذه المسرحيات أدنى الى الخيال منهم الى الحقيقة ، ولكن هذا الخيال نفسه يضفى على أخلاقهم وعواطفهم حلة شعرية رائعة تأخذ بالالباب

وقد عالج الاستاذ عفيف هذا النوع من الادب فى مسرحيته الاولى (وحيد) فاحرز نجاحا كبيرا وها هو يصدر مسرحيته الثانية (سهير) التى تعتبر أحسن ما كتب

وتدور هذه المسرحية حول غرام الفنانين والادباء ولذلك يتفق اسلوبها الشعرى المنثور وأساليب أبطالها فى الاحساس والتفكير وتصور الحياة .

ولا ريب فى ان المؤلف قد جدد بهذا النوع الطريف مسرحنا المصرى ، وراض اللغة العربية على التعبير عن عواطف جديدة فى قالب جديد

رئيس التحرير

وقصص أخرى

بقلم الأستاذ صلاح الدين ذهنى

طبع فى مصر فى ١٩٠ صفحة

القصة الصغيرة أو الاقصوصة فن ينهض على سرد حادثة ذات أهمية معينة يحصرها الكاتب فى اطار ضيق ليزداد تأثيرها فى نفس القارىء

وهذا الفن يحذقه الاستاذ صلاح الدين ذهنى ويمثله فى طائفة من الأقاصيص تدور حول رسم بعض الأخلاق والعادات الشائعة فى البيئة المصرية وبعض العواطف الانسانية المشتركة ولا سيما عاطفة الحب

وأجمل قصص هذه المجموعة (الزواج الثانى) و (رئيس التحرير) و (يعاودنى الحنين) وقد وضعها المؤلف باسلوب محكم العبارة غزير الأخيلة واضح المعانى تفيض منه روح شعرية ساحرة

ولا ريب أن فى وسع الاستاذ صلاح الدين ذهنى معالجة القصة الكبيرة بعد أن نجح فى الاقصوصة هذا النجاح الباهر

حاضر طرابلس الغرب

بقلم الاستاذ محمد على الحداد

مطبعة الجزيرة ببغداد فى ١٣٠ صفحة

يبحث هـذا الكتاب فى ماضى طرابلس الغرب وحاضرها وأثر الاحتلال الايطالى فيها وللساعى التى قام بها الحزب الاستعمارى الايطالى للتفريق بين أبناء البلاد والقضاء على الاصلاحات التى تطالب بها الأمة العربية فى طرابلس

ويبين المؤلف الفاضل أن على العرب أن يحذروا مكائد هذا الحزب وأن أبلغ دليل يمكن أن تقدمه حكومة روما على حسن نيتها هو استبدال الموظفين الاستعماريين فى طرابلس بموظفين من أبناء البلاد وعقد معاهدة ايطالية طرابلسية تشبه المعاهدات التى عقدت بين مصر وانجلترا أو بين سوريا وفرنسا

ولا شك ان المعلومات الخطيرة التى اشتمل عليها هذا الكتاب يهم الاطلاع عليها كل عربى ولا سيا فى مصر حيث الروابط وثيقة بيننا وبين سكان طرابلس الغرب

عشائر العراق

بقلم الاستاذ عباس العزاوى

مطبعة بغداد فى ٤٠٠ صفحة

كل أمة تنشد الرقى والحياة ، تتجه على الرغم منها الى بحث اصولها التاريخية واحكام الصلة بين حاضرها وماضيها وتوكيد ذلك الجهاد للطرد الذى يصل بين الأمس الغابر والغد الزاهر . وقد وضع الاستاذ عباس العزاوى هذا الكتاب مهتديا بهذه النظرية ساعيا للكشف عن أصول القبائل التى تكون منها عرب العراق منذ الفتح الاسلامى الى اليوم . فعشائر العراق الحاضرة واخلاقها وعاداتها وما درجت عليه فى الافراح والأعياد ومسارح الصيد والقنص وما انطبع فيها من عقائد وعبادات وما تعرف به من قوة الشكيمة وصلابة العزم وروح الاباء كل ذلك نجده مصوراً أتم وأروع تصوير فى هذا الكتاب الجامع الذى يعتبر مرجعا لاغنى عنه لمن شاء التوفر على دراسة تاريخ العراق

الأدب في شهر

معجزات الغرام العذري

من أبدع الدراسات السيكولوجية التى ظهرت أخيراً فى بلاد الدانمرك ، دراسة مستفيضة للاديب ريجنالد سودكي عن المعجزات الفنية التى قامت بها طائفة من كبار رجال الفن والادب تحت تأثير الغرام العذرى

فالغرام العذرى فى نظر المسيو سودكى هو الذى يلهب حاسة الخيال فى ذهن رجل الفن وهو الذى يدفعه الى مواصلة العمل والانتاج . وذلك لأن امتلاك المرأة المحبوبة يجردها من اطارها الشعرى أولا ، ويحول بين الاديب أو الفنان وبين اتخاذها مادة للوحى الفنى ثانيا

فالوحى الفنى لن يكون خصبا فى عرف المسيو سودكي إلا متى انحدر من امرأة لم تلوثها العلاقات الجنسية . وفى تلك الحال تظل المرأة مخلوقا من جمال ونور ويظل الاديب أو الفنان مولعا بها ساعيا جهده لتحقيق علاقته الحميمة بها عن طريق الفن أو الادب فقط

وكلما اجتهد الأديب أو الفنان فى تطهير حبه من العلاقات الجنسية ، عوض هذا النقص بالانكباب على الانتاج الادبى أو الفنى ، ثم رفع انتاجه وقدمه الى المرأة المحبوبة كهدية أو قربان

وكلما انحطت علاقات الاديب أو الفنان بالمرأة ، قل انتاجه ووجد فى اللذة البدنية كفايته ولم يعد يشعر بالحاجة الى الادب أو الفن باعتبارهما غاية حياته

ويضرب المسيو سودكي أمثلة كثيرة لتعزيز هذه النظرية يقتبسها من الغرام العذرى الذى أحس به الشاعر بترارك من نحو لورا دى نوف وميكل انجلو من نحو فيتوريا كولونا وبوشكين من نحو جراسيا بافلوفنا وتورجنيف من نحو مدام فياردو

والغريب فى هذه الدراسة الطريفة أن المسيو سودكى حاول أن يثبت بأدلة قاطعة ان انتاج أولئك الفنانين كان خصبا قويا فى خلال الفترة التى كانوا فيها عذريين وأن ذلك الانتاج قل وضعف فى الفترات التى استسلموا فيها لمطالب البدن وأحكام الغريزة

احصوا موتاكم

هذا هو الاسم الذى أطلقه الكاتب الانجليزى وندام لويس على كتاب جديد أصدره أخيراً وحمل فيه حملة شعواء على عقلية الفرد الاوربى المعاصر ونظرته الى السياسة والمجتمع ومختلف شئون الحياة

ويرى المستر وندام لويس أن الفرد الاوربى المعاصر أصبح ولا عقل له ، فهو اليوم عبد حزبه السياسى ، وعبد جريدته الحزبية ، وعبد الآراء والافكار الشائعة بين أفراد طبقته ، والتى تعتقد هذه الطبقة أنها خير آراء وأفكار

وهو إما ديموقراطى أو فاشستى أو اشتراكى معتدل أو شيوعى متطرف

والعجيب فيه انه يقحم نظرياته السياسية

فى كل شىء . فان كان فاشستيا مثلا أراد أن تكون الاخلاق فاشستية ، وساق الفنون والآداب والعلوم وكل مظهر من مظاهر الفكر فى تيار رجعى فاشستى . وان كان ديموقراطيا تعصب لديموقراطيته واغمض العين عن محاسن الانظمة الأخرى . وهكذا تراه يعيش فى عزلته الحزبية مفقود الاستقلال عاجزاً كل العجز عن تكوين رأى شخصى يخالف الرأى الذى تمليه عليه كل يوم جريدته

فأمثال هؤلاء الأفراد هم موتى فى عرف الستر وندام لويس ، ولو أحصينا عددهم لتملكنا الذعر ويئسنا من مستقبل الحضارة بل من صلاحية الانسان لأية حضارة تنهض على فكرة الحرية

وعلاج هـذه الظاهرة الخطرة هو فى الدعوة الى انشاء الأندية والجمعيات والهيئات الثقافية المحضة ، يندمج فيها أفراد من مختلف طبقات الأمة ، ويهتم أعضاؤها بدراسة شتى الآراء والمذاهب ، من سياسية واجتماعية واقتصادية بمعزل عن الصحف الحزبية وبمعزل عن الاحزاب ومؤثراتها وفى جو من الحرية والاستقلال يشبه الجو الجامعى كما يجب أن يكون

ويعتقد الستر وندام لويس ان هذه الأندية والجمعيات الحرة لو استطاعت تنظيم محاضرات شعبية واضحة الأسلوب مبسطة الافكار وتمكنت من طبع ونشر رسائل قصيرة كتلك التى تنشرها الأحزاب السياسية وتروج بهـا الدعوة لمبادئها ، فمما لا شك فيه ان مستوى تفكير العامة يرتفع ، وكذا تفكير الخاصة فيصبح فى الامكان عندئذ تكوين رأى عام مستقل يهيمن على الاحزاب ويوفق بين وجهات النظر الحزبية المختلفة ويستخلص منها آخر الأمر مجموعة اتجاهات سياسية واجتماعية تؤدى الى ما فيه مصلحة الأمة

الخلاص بواسطة الفن

أصدر الأديب البولونى لاديسلاس ماروكسكى كتابا عالج فيه مشكلة الحضارة الصناعية الحديثة وطغيان النزعات المادية على الفرد وحاجة الفرد الى قوة روحية تهذب طباعه وتلطف من حدة غرائزه . ويرى ماروكسكي أن لا خلاص للحضارة إلا بواسطة الفن . وأن معظم الشعوب الاوربية ولا سيما تلك التى تخضع للنظم الديكتاتورية تربى الافراد تربية رياضية عضلية تشوبها الروح العسكرية ولا يلطفها أى احساس بالجمال الفنى المعنوى . وهـذا عكس ما كان يحدث فى بلاد الاغريق مثلا . فالحضارة الاغريقية كانت تعنى بالروح الرياضـية مقترنة بالروح الفنية فكان الفرد يشعر بقوته العضلية ويحس فى نفس الوقت أنه انسان نبيل العاطفه سامى الوجدان

ويعتقد ماروكسكي أن الفن فى عصرنا هذا أصبح ملكا لطبقة مثقفة معينة وأنه لم يتغلغل فى عقول ونفوس سواد الشعب وأن افتقار الشعوب العصرية الى النزعة الانسـانية يرجع الى عدم تشبعها بالروح الانسانى الكائن فى جوهر التعاليم الفنية

فالفن لا وطن له وهو الذى يمكن أن يؤلف بين مختلف الشعوب والأجناس وعند ما يفهم رجل الشارع حق الفهم أن شكسبير لا يغنى عن جيته وجيته لا يغنى عن موليير وموليير لا يغنى عن فاجنر وفردى فحينئذ يستطيع ان يفهم أن الحضارة جهد مشترك وان لا فضل لوطن على وطن إلا بالقدرة على تعزيز هذا الاشتراك المعنوى فى سبيل توطيد صرح السلام وخدمة الانسانية

ماذا نطلب فى الحب ؟

أجاب الاديب المجرى فرانك رالف على هـذا السؤال فى رسالة شائقة أخرجها حديثا بعنوان (الحب ملك الحياة) . ويرى فرانك رالف أن الحب ينشأ فى النفس من رغبة الانسان فى الحركة المطردة وتبرمه بالركود الذهنى والعاطفى . فنحن فى زعمه نطلب الحب لرغبتنا فى تجديد حياتنا ، فى الاحساس بعواطف ودوافع نفسية واتجاهات عقلية غير تلك التى نشعر بها كل يوم والتى تضيق افق العالم تجاه أبصارنا

فالرجل الدائم النشاط الدائم الحركة المتوثب الفكر والعاطفة هو الذى ينزع الى الحب لانه ينزع الى التجدد . ولـكن هذا التوق الى التجدد قد يكون خيراً وقد يكون شراً بحسب ما فى شخصية ذلك الرجل وما فى عقله من قوة أو من ضعف ، فان كان قوى الذهن جدد بالحب حياته وأنعشها ونفع نفسه والناس بها ، وان كان ضعيف الذهن عصف الحب بلبه وهدم صرح حياته وأخضعه لحكم عواطفه ودفع به آخر الأمر الى التنقل من حب الى حب ينشد السعادة المثلى على غير جدوى

فوز المغلوبين

هذا عنوان كتاب أصدره العالم الفرنسى أندريه فريبورج فأحدث به ضجة كبيرة فى دوائر السياسة والفكر فى فرنسا

وتدور بحوث هذا الكتاب حول سرعة الالمان فى استعادة مجدهم وقوتهم بعد الهزيمة التى أصابتهم فى الحرب الكبرى

فالالمان استطاعوا فى وقت وجيز جداً تحطيم معاهدة فرساى واحتلال النمسا وانشاء جيش كبير والتطلع الى تحقيق حلم الوحدة الجرمانية الكاملة

والمهم فى كتاب أندريه فريبورج أن صاحبه يؤكد فى حرارة نفسية مدعمة بشتى الأسانيد التاريخية أن المانيا لم تتغير وأن شعار الريخ الجديد هو نفس شعار بسمارك الذى أعلنه يوم أن تولى السلطة والذى لخصه فى عبارته المشهورة « ان الخطب الرائعة والاساليب الدبلوماسية لن تحل المشاكل القائمة . ومن الواجب أن نلتمس الحل النهائى فى السيف والنار »

فالالمان تطوروا ونفضوا عن كواهلهم عبء الهزيمة وانقلبوا من مغلوبين الى غالبين تحدوهم روح بسمارك القديمة وتملأهم زهواً وكبراً وتدفع بهم الى تحقيق مطامعهم بقوة السلاح

هذا هو رأى العالم الفرنسى وهو يدل على اتساع شقة الخلف بين المانيا وفرنسا كما يدل أبلغ الدلالة على السر فى اضطراب الدولة الفرنسية وتضعضع ماليتها وتوالى هبوط نقدها . إذ الواقع أن جميع هذه الأعراض ترجع الى سبب واحد هو إيمان عدد كبير من الفرنسيين بالآراء التى عبر عنها أندريه فريبورج ، ذلك الايمان الذى يشعرهم بالخوف من المانيا ويدفعهم الى ارهاق الشعب بالضرائب لزيادة موارد التسلح

الدين والألم

أخرج الـكاتب الروسى سرج ليبايف وهو من المهاجرين الذين يعيشون فى باريس بحثا طريفا عن علاقة الاحساس الدينى بالألم ، وهو يقول فى أحد فصول كتابه الرئيسية أن العقل قد يشك ويجحد ويكفر بنعمة الله ولـكن البدن

يقود الى الايمان من طريق الالم

فالطبيب كائنا ما كان علمه لا يستطيع أن ينقذ الانسان من آلام مرض من الامراض الخطيرة الا بعد وقت وجهاد شاق . ولكن فى هذه الفترة التى يبرح بها الالم بالانسان لا يجد الانسان لنفسه ملاذا غير ربه

ونحن نلاحظ أن أقوياء الجسوم لفرط اغترارهم بقوتهم واعتدادهم بها ونشوتهم بالسعادة المتحدرة منها ، لا يفكرون فى الدين ولا تنزع نفوسهم نزعة دينية . فاذا ما فاجأهم المرض وأصابهم الألم استيقظوا واتجهوا بابصارهم نحو قوة علوية تفوق قوتهم شدة وبأسا

فما دام الألم يقترن بالحياة فمن العبث انكار الدين وعدم الاكتراث لما فيه من عزاء وسلوى

تجدد الأدب الفرنسى

يتجدد الادب الفرنسى هذه الايام تجدداً واضحا ويتجه فى مجموعه نحو الاشادة بعواطف القوة والمغامرة والبطولة وتحدى الموت فى سبيل مبدأ أو فكرة

وتتمثل هذه النزعة فى ثلاثة من اشهر الأدباء الفرنسيين المعاصرين هم : اندريه مالرو وبلينيه واراجون

وقد أصدر الاول قصة سماها (الامل) رسم فيها بطولة جيش الحكومة الاسبانية واستبساله فى الدفاع عن وحدة الوطن تجاه المغيرين الاجانب من ايطاليين وألمان

وأصدر الثانى قصة بعنوان (جوازات سفر مزيفة) رسم فيها بطولة الاشتراكيين الاحرار وانتفاضهم على ديكتاتورية ستالين واستهدافهم للموت فى سبيل نصرة مبدأهم خالصا من شوائب الديكتاتورية الفردية

وأصدر الثالث قصة سماها (أجراس بال) رسم فيها أيضا بطولة الفرنسيين أيام الثورة الشعبية المعروفة باسم ثورة الكومون والتى قمعها الوزير تيرس وكانت فى صميمها نواة الحركة الاشتراكية الحديثة

فروح البطولة والمغامرة أصبح اليوم طابع الأدب الفرنسى العصرى بعد أن كان أدبا عاطفيا مجرداً ينهض على وصف وتحليل عواطف الفرد مستقلة عن المشاكل الاجتماعية وما تحدثه من أثر بالغ فى عقله وقلبه

القصصى العبقرى وكيف يخلق

يدهش المطلعون على أعمال كبار القصاصين أمثال بلزاك ودستويفسكى وتلستوى من وفرة الشخصيات الواردة فى قصصهم وغزارة الملاحظات وفيض التحاليل والأوصاف . ويذهب البعض الى أن أولئك العباقرة كانوا يدونون ملاحظاتهم عن الاشخاص والاشياء فى كراسات لا تفارقهم ويستعينون بها ساعة الكتابة والخلق

ولكن الأديب الاسوجى (يالات) انكر هذا الزعم فى كتابه الأخير عن (سر العبقرية) وقال ما معناه : ان القصصى العبقرى لا يدون ملاحظاته على الورق بل يختزنها فى عقله الباطن وهو لا يدرى . تمر به الأشياء والاشخاص فيلتقطها خياله ويحتفظ بها ويدخرها دون ما كلفة أو إعنات حتى اذا ما دنت ساعة الكتابة وتوترت الأعصاب وهبط الوحى وتراجع العقل الظاهر ، نثر العقل الباطن كنوزه التى يقف أمامها العبقرى نفسه حائراً مذهولا

فركز القوة عند أولئك العظماء هو اتساع آفاق عقلهم الباطن اتساعا شاذاً خارقا

بين الهلال وقرائه

بعثات التنقيب الاجنبية

(كورو ـ برازيل) خير الله نقولا رزق

هل تستولى البعثات الاجنبية للتنقيب عن الآثار المصرية على ما تعثر عليه ؟

(الهلال) تقوم بعثات التنقيب الاجنبية بالحفر عن الآثار فى مصر بمقتضى عقد امتياز يمنح لها من الحكومة المصرية . وتتولى هذه البعثات الانفاق على جميع أعمال الحفر بدون أية مكافأة مالية تتقاضاها من الحكومة . أما مايعثر عليه من الآثار فيجمع فى نهاية موسم الحفر ، ويعرض على رجال المتحف المصري ومصلحة الآثار ، فيختارون من هذه الآثار بعض القطع الاثرية التى لا مثيل لها بالمتحف . أما الباقى فيعطى لبعثة الحفر التى كشفت عنه

نقود العرب قبل الاسلام

(بغداد ـ العراق) ا . الايوبى

هل كان العرب قبل الاسلام يتعاملون بالنقود ، أم يقتصرون على تبادل السلع بعضها ببعض ؟

(الهلال) كانت «المقايضة» أهم أساليب التجارة فى العصر الجاهلى . ومع هذا فقد عرف العرب النقود قبل الاسلام بعهد طويل فجاء فى كتاب «تاريخ التمدن الاسلامى » للمغفور له منشىء « الهلال » أن العرب فى الجاهلية كانوا يتعاملون بنقود كسرى وقيصر ، وهى الدراهم والدنانير . وكانت الدنانير من الذهب والدراهم من الفضة . وكانت عندهم كذلك نقود نحاسية منها الحبة والدانق . ويقدر الدينار اليوم بعشرة فرنكات ، وكان الدينار عشرة دراهم ، وربما زادت قيمته الى ١٥ درهما ، فكان الدرهم يساوى أربعة قروش مصرية تقريباً

وقد ظل العرب يتعاملون بالنقود الرومية والفارسية حتى ظهر الاسلام وأسست الدولة الاسلامية ، فانشأوا « السكة » وقد جاء فى المقريزى :

« أول من ضرب المعاملة فى الاسلام عمر بن الخطاب فى سنة ثمانى عشرة من الهجرة على نقش الكسروية وزاد فيها الحمد لله محمد رسول الله . وفى بعضها لا اله الا الله وعلى جزء منها اسم عمر . وعبد الله بن الزبير ضرب بمكة دراهم مستديرة . وهو أول من ضرب هذه الدراهم ونقش بدورها عبد الله وبأحد الوجهين محمد رسول الله وبالآخر أمر الله بالوفاء والعدل » . وهناك نقود منسوبة لخالد بن الوليد على رسم الدنانير الرومية، فعليها الصليب والتاج والصولجان، واسم خالد بالحروف اليونانية

تاريخ اليهود

(القدس ـ فلسطين) عربى

ارجو أن تذكروا اسم كتاب بالعربية أو بالانجليزية عن تاريخ اليهود ؟

(الهلال) لا نعرف كتابا مفصلا باللغة العربية عن تاريخ اليهود . أما بالانجليزية فستجدون فى الكتابين التاليين عرضا شاملا شائقا لتاريخ اليهود كله . وهما :

1) Stranger Than Fiction : A short History of the Jews, by Lewis Browne.
2) History of the Hebrew Commonwealth, by Bailey & Kent.

مؤلفات طلعت حرب

(الخرطوم ـ السودان) احمد بدوى

هل وضع طلعت باشا حرب كتبا ما ؟

(الهلال) نشأ طلعت باشا حرب كاتباً يدافع عن الشرق والاسلام ، ويدعو الى الاصلاح فى نطاق العرف والتقاليد . فجرى قلمه فى الصحف بكثير من البحوث التاريخية والمقالات الاجتماعية ، كما أخرج عدة رسائل فى موضوعات شتى

فأول كتاب له ، الرسالة التى ترجمها عن الفرنسية

وهى « كلمة حق عن الاسلام والدولة العثمانية » . وقد وضعها عثمان بك كامل سكرتير السلطان حينذاك ، وقدمها الى مؤتمر المستشرقين فى باريس سنة ١٨٩٤

ولما أخرج قاسم أمين كتابه « تحرير المرأة » رد عليه طلعت حرب بكتابه « تربية المرأة والحجاب »

واتجه بعد ذلك الى بحث الشئون الاقتصادية فأخرج سنة ١٩١٠ كتابه النفيس عن « قناة السويس » وفيه تحقيقات سياسية واقتصادية قيمة عن هذا المشروع نبهت أذهان المصريين الى ما كانت تريد السياسة الاجنبية حينذاك تحقيقه من مآربها

على أن أهم كتبه على الاطلاق هو « علاج مصر الاقتصادى وانشاء بنك المصريين » الذى دعا فيه قبل الحرب الكبرى الى انشاء بنك مصر . والكتاب صورة وافية لجميع المساوىء الاقتصادية التى نشكو منها حتى اليوم ، و « دستور » دقيق لاقامة بنائنا الاقتصادى على أسس وطيدة

ولما يتح لطلعت حرب ان يخرج كتبا بعد ذلك ولكن ما ألقاه من الخطب وما نشره من المقالات وما أذاعه من الاحاديث يؤلف سفرا قيما هو خير ما يهتدى به فى بحث مشاكلنا الاقتصادية . فحبذا لو نهض أحد الناشرين الى اخراج هذه المجموعة فى كتاب لسترشد به

الاشتراكية فى الاسلام

(بيروت — لبنان) مشترك

يقول المغفور له شوقى بك فى قصيدة يناجى بها محمداً صلى الله عليه وسلم :

الاشتراكيون انت امامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء

فما معنى هذا ، هل كان الرسول يدعو الى الاشتراكية ؟

(الهلال) لم يعرف الاسلام الاشتراكية بمعناها الحديث ، أى وضع جميع مرافق الانتاج فى يد الدولة . بل من المؤكد أن الاسلام ينكر هذا المبدأ اذ هو يعترف بحق الملكية للافراد

أما اذا نظرنا الى الاشتراكية على أنها وسيلة الى تضييق الشقة بين الغنى والفقير ، وعطف قلوب الموسرين على المعوزين ، فانا نجد فى مبادىء الاسلام وأحكامه نوعا من الاشتراكية المنظمة التى تطمئن اليها القلوب ، إذ لا يتبرم بها إلا الغنى الجشع ، ولا تدعو الفقير الى الكسل والعطل . فى زكاة المال ، وزكاة الفطر ، وقواعد المواريث ، مبادىء اشتراكية واضحة. ولهذا حق لأمير الشعراء أن يقول فى قصيدته هذه :

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل فى حق الحياة سواء
فلو أن انسانا تخير ملة
ما اختار الا دينك الفقراء

ما هو الأدب ؟

(الحصن — شرق الاردن) سامى الخورى جويفى

ما أصح تعريف للادب ؟

(الهلال) كان أدباء العرب يرون أن « الادب هو الاخذ من كل شىء بطرف » ولكن هذا تعريف (للثقافة) التى هى عدة الاديب وليست (للادب) الذى هو انتاجه

واكثر الادباء يرون أن الادب هو مأثور الكلام نثرا ونظما . ولكن يرد على هذا أن من آثار الفلسفة الخالصة كمؤلفات أفلاطون ، ومن آثار العلم الخالص ككتب دارون ، ما بلغ الذروة فى جمال العبارة وروعة البيان ، ومع هذا لا يعدها النقاد القدماء من الآثار الادبية

وقد اتسع نطاق الادب فى العصر الحديث كثيراً ، فصرنا نجد الادباء يكتبون فى نواحى العلم ومسائل الاقتصاد والفلسفة وغير ذلك من الموضوعات ، ولكنهم يختلفون عن العلماء والفلاسفة فى أسلوب بحثها والتعبير عن رأيهم فيها

على أن من أحسن ما قيل فى تعريف الادب إنه « دراسة الحياة ووصفها وصفا يقصد منه الى ترقيتها » وبذلك يتناول الادب كل نحو من انحاء الحياة ، وتكون مهمة الاديب تجميل وترقية كل ما يقع عليه نظره

وتجدون فى صدر كتاب « الادب الجاهلى » للدكتور طه حسين فصلا طويلا عن تعريف « الادب » وتطور معناه فى نظر القدماء والمحدثين

ضرب النقود

(طنطا — مصر) على على الروبى

(١) أين تضرب النقود المصرية ؟

(٢) أصحيح أن للافراد فى أوربا حق سك النقود ؟

(٣) لماذا لا نسك جنيهاً مصرياً ذهبياً نتعامل به كما يتعامل الانجليز بالجنيه الذهبى ؟

(الهلال) (١) فى القاهرة دار لضرب النقود ، ولكنها لم تسك منها شيئاً منذ عهد بعيد ، فقد اعتادت الحكومة أن تعهد فى عملية ضرب نقودها الى دور الضرب فى لندن وباريس وبرلين ، لأنها أدق عملا وأقل نفقة . ومهمة دار الضرب الآن مقصورة على دمغ السبائك الذهبية والفضية التى يطلب منها اثبات عيارها

(٢) نعم للافراد فى معظم البلاد المتمدينة حق ضرب النقود ، وهو ما يعرف عند الاقتصاديين باسم « حرية الضرب » . فلكل فرد أن يحمل سبيكة من الذهب والفضة ويطلب الى دار الضرب أن تحولها نقودا له

ولكن هناك نوعاً من النقود لا يسمح بضربه لغير الحكومة وهى « النقود المساعدة » أى التى تقل قيمتها المعدنية عن قيمتها الاسمية مثل الريال المصرى فان ما فيه من الفضة لا يزيد ثمنه عن ٨ قروش فقط . وبعض دور الضرب تتقاضى رسماً على سك النقود كما فى فرنسا ، وبعضها تسك النقود بلا أجر كما فى انجلترا

(٣) سكت جنيهات ذهبية منذ عهد محمد على (١٨٣٦) . ولكنها كانت قليلة الكمية فلم تتداول كثيراً . فاتخذت الحكومة ترسل كل ما يدخل منها فى خزائنها الى انجلترا والمانيا لتحويله سبائك ذهبية فاستنفدت بذلك اكثر ما ضرب منها . وأما ما بقى فقد استعمل فى الصناعة ، أو اكتنز على سبيل الزينة ، وبهذا زال من السوق

ثم جاءت الحرب الكبرى فجعلت الحكومة لأوراق « البنكنوت » التى يصدرها البنك الأهلى « سعراً إلزامياً » ، أى يلزم الأهالى بالتعامل بها دون أن يكون لهم الحق فى استبدالها بنقود ذهبية أو فضية فلم تعد هناك حاجة الى الجنيهات الذهبية ولم تفكر الحكومة فى ضربها لأن مصر تسير من الوجهة الفعلية على نظام النقود الورقية الالزامية

تحسين الأسلوب الانشائى

(النجف الاشرف — العراق) أحد القراء

ما هى خير الطرق لتحسين الاسلوب الانشائى ؟

(الهلال) مطالعة الاساليب الصحيحة البليغة تهذب الملكة الانشائية وتنميها ، وتضفى على الاسلوب شيئاً من روحها وطابعها . وأساليب القدماء أصح وأرصن من أساليب المحدثين ، فان صبرت على دراستها ومطالعتها طويلا ، جزلت عبارتك وقوى بيانك . وأروع الاساليب كلها اسلوب القرآن الكريم ، ولا يصح لمن لم يطالعه مراراً أن يطمع الى كتابة العربية صحيحة بليغة . وكذلك تنبغى مطالعة كتب على بن أبى طالب ، وعبد الحميد الكاتب ، والجاحظ ، وابن المقفع وغيرهم من أساطين البلاغة العربية

ومع هذا فان دراسة أساليب كبار الكتاب المعاصرين لا غنى عنها . فأساليبهم فى الغالب أبسط وأرق من الاساليب القديمة ، كما أنه أوفق لروح الحياة الراهنة وظروف العهد الذى نعيش فيه

والى جانب هذا أمران آخران :

أولا — أن ممارسة الكتابة هى خير الوسائل لتحسين أسلوبها . ولا تجدى القراءة شيئاً اذا لم يحاول المرء التعبير عن آرائه قدر ما يستطيع

ثانيا — أن اتقان لغة أجنبية يرقى بالاسلوب العربى بلا جدال ، وخير كتابنا أسلوباً هم الذين درسوا أساليب الكتابة الاجنبية واقتبسوا منها وتأثروها . وقلما نجد ممن يجهلون اللغات الاجنبية أديباً بارع الاسلوب رقيق العبارة ، الا أن يكون مقلداً لأديب من معاصريه

اعتذار : لم يتسع نطاق الباب للاجابة عن كل ما ورد الينا من الاسئلة ، فنعتذر الى حضرات من أرسلوها ، ونعدهم بالاجابة عنها فى العدد القادم

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه نخله سكاف
في انطاكية	سوريا	انيس افندى انطونيوس لاذقانى
في اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قرى
في طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندى حصنى ـ غرفة القراءة الامريكية
في حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
في الناصرة	فلسطين	موسى افندى خميس
في بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندى طباره ٩ شارع اياس بيروت
في دمياط		زكريا افندى الجزاوى، ناظر مدرسة الجزاوى
في حلب	سوريا	عبد الودود افندى الكيالى صاحب المكتبة المصرية
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندى على النحاس ص . ب ٩٧ مكة
في الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
في جاوه		Mr. Abdullah Bin Affif—Cheribon Java
في القاهرة وضواحيها		عوض افندى فهمى

اتجاهات السياسة الحاضرة

الصراع بين جبهتين : الديموقراطية والفاشية

يمتاز الجو السياسي الأوربي في هذه الأيام بظاهرة خطيرة تتمثل في الجهود الجبارة التي يبذلها محور (روما ـ برلين) لعزل فرنسا واجبارها على التخلي عن الاتفاق الدفاعي المعقود بينها وبين اتحاد جمهوريات السوفييت

ولقد سعى الانجليز لتصديع محور (روما ـ برلين) فشجعوا الالمان من طرف خفي على احتلال النمسا ووضعوا تجاه الحدود الايطالية أمة حربية قوية مؤلفة من ثمانين مليون نفس

ولكن هذا الخطر لم يفت في عضد السنيور موسوليني ولم يفض الى نزاع ايطالي ألماني ، بل أحدث في الواقع عكس ماكان ينتظر منه وضاعف ثبات الايطاليين في اسبانيا وأغرى المانيا بالتطلع الى الجمهورية التشيكوسلوفاكية ومحاولة اقتحامها وتمثيل نفس الدور الذي مثلته في النمسا

وكان الانجليز عقب سكوتهم على احتلال الألمان للنمسا وعقب الاتفاق الاخير الذي عقدوه مع الايطاليين يمللون النفس بجذب ايطاليا الى صفهم وسلخها عن المانيا والتلويح لها بالقروض المالية العظيمة وبقمح كندا ، على شرط أن تسحب متطوعيها من أسبانيا وان تعقد ـ ان أمكن ـ اتفاقا آخر مع فرنسا يشبه الاتفاق الانجليزي الايطالي ويرمي الى استقرار الحالة في البحر المتوسط وضمان استقلال اسبانيا وصيانتها من المطامع الايطالية العسكرية

وأدرك السنيور موسوليني أن الغاية من هذه المناورات الانجليزية هي تصديع محور (روما ـ برلين) وفصل الايطاليين عن الألمان والقاء ايطاليا في حضن التحالف الانجليزي الفرنسي بعد ارغامها على التخلي عن ثمرة جهودها في اسبانيا ، وكل ذلك مقابل الفوز ببعض القروض المالية والفوز بصداقة الانجليز وضمان انصرافهم عن معاكسة ايطاليا في مستعمراتها الواقعة في طريق بريطانيا الاستعماري ، وعدولهم عن التفكير في استخدام تسلحهم الهائل في حرب انجليزية ايطالية

أدرك السنيور موسوليني الغرض من هذه المناورات فلم ينخدع بها واتبع سياسة ما تزال تحمل في اطوائها اخطاراً تهدد مركز المستر تشمبرلن وتهدد في الوقت نفسه سلام أوربا بأشد الاخطار

تبرم موسوليني بالفرنسيين وتجهم لهم واتهمهم بمساعدة حكومة الجمهورية الاسبانية ، وأعرض عن فكرة عقد اتفاق معهم ، ثم انطلق يماشي الانجليز في مسألة سحب المتطوعين من اسبانيا ، بعد ان استوثق من أن الجهود التي يقوم بها عميله الجنرال فرانكو ستسفر آخر الأمر عن النصر المنشود

الهلال

اغسطس ١٩٣٨

والغريب فى الموقف أن الانجليز سلموا لموسولينى بوجوب انتصار الجنرال فرانكو ، ولكنهم اشترطوا لتنفيذ الاتفاق الايطالى الانجليزى ، ان ينسحب المتطوعون من اسبانيا كما أشرنا ، وأن يعقد اتفاق ايطالى فرنسى على نسق الاتفاق الانجليزى الايطالى

ولقد شرع موسولينى فى تحقيق الشرط الأول ولكنه يتباطأ ويتلكأ فى تحقيق الشرط الثانى

ويذكر القراء أن ديكتاتور ايطاليا كان قد القى فى مدينة جنوا خطابا وقع كالصاعقة على رؤوس الساسة الانجليز وأوشك ان يعصف بوزارة تشمبرلن

جاهر موسولينى فى هذا الخطاب بعدائه الشديد لفرنسا فخيب آمال الانجليز فى امكان سلخ الايطاليين عن الالمان وضمهم الى الجبهة الانجليزية الفرنسية وحملهم على عقد اتفاق ايطالى فرنسى

فما الاغراض التى ترمى اليها هذه السياسة الايطالية الالمانية ؟ الاغراض الرئيسية هى :

أولا — استغلال انتصار الجنرال فرانكو فى اسبانيا لاقامة حكومة فاشستية تأتمر بأوامر روما وبرلين ، ثم توطيد قدم ايطاليا ان أمكن في جزيرة ميورقة ، ثم تهديد فرنسا من ناحية جبال البيرينيه ، ثم التعاون مع الألمان لتهديد طريق فرنسا الى امبراطوريتها الافريقية

ثانيا — تقوية محور (روما — برلين) ومحاولة ضم انجلترا إلى هذا المحور بالرغم منها ، بعد اضعاف فرنسا وعزلها ، أى بعد اجبارها على نقض الاتفاق الدفاعى المعقود بينها وبين السوفييت لاتقاء غارة الالمان عليها

ثالثا — محاولة دفع تشيكوسلوفاكيا أيضا إلى نقض اتفاقها مع السوفييت تمكينا للالمان من بسط نفوذهم عليها

رابعا — ظهور الايطاليين والالمان آخر الأمر بمظهر أنصار السلام ودعوتهم انجلترا وفرنسا لعقد ميثاق رباعى ينظم شئون أوربا بمعزل عن اتحاد جمهوريات السوفييت

وليس شك فى أن نجاح سياسة كهذه لايضعف فرنسا فقط ، بل يضعف انجلترا أيضا ، ويطمع فيها ايطاليا ، ويهدم نظرية توازن القوى ، وينشر الاضطراب على شواطىء البحر المتوسط ، ويثبت اقدام الألمان والايطاليين فى أوربا الوسطى

* * *

كل هذا أدركته انجلترا فماذا فعلت لصده واتقائه ؟ ...

أخذت بأربع خطط هى :

أولا — الثبات فى وجه ايطاليا والامتناع عن تنفيذ الاتفاق الانجليزى الايطالى — الذى ينص على الاعتراف بالحبشة اعترافا عمليا وعلى تبادل الآراء بين الدولتين فيما يتعلق بتسليح قواعدهما الحربية فى البحرين المتوسط والاحمر — إلا بعد سحب جزء كبير من المتطوعين فى اسبانيا واعادة الرقابة على الحدود الاسبانية



سفر سعيد وعود حميد

حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلي عند إبحارها الى أوربا في منتصف الشهر الماضي رافقتها حضرات صاحبات السمو الملكي الأميرات

(تصوير رياض شحاته)

ثانيا – تعزيز محور (لندن – باريس) وتدعيمه بعقد اتفاق عسكرى دفاعى بين انجلترا وفرنسا ترمز اليه زيارة ملك انجلترا وملكتها لباريس

ثالثا – ارضاء الفرنسيين بالثبات فى وجه المانيا وعدم السماح لها باقتحام الاراضى التشيكوسلوفاكية ، كما دلت على ذلك مساعى سفير انجلترا فى برلين ، والأوامر التى صدرت إلى الانجليز المقيمين فى عاصمة المانيا بالتأهب لمغادرتها فى أثناء الازمة الاخيرة التى قامت بين الحكومة الالمانية وحكومة تشيكوسلوفاكيا حول مشكلة السوديت التى كان يخشى الفرنسيون أن تنتهى بهجوم الالمان الفجائى على الجمهورية التشيكوسلوفاكية

رابعا – توثيق الصلات بين انجلترا وأمريكا وترويج الدعوة فى الولايات المتحدة لنبذ سياسة الحياد عند الاقتضاء ، واشعار الشعب الأمريكى بأن محور (روما – برلين – توكيو) يهدد مصالح الولايات المتحدة فى آسيا ويفرض عليها التعاون مع الانجليز والفرنسيين

***

هذا ما فعلته انجلترا واليك ما قامت به فرنسا :

أولا – ألفت حكومة قوية أسرعت بتسوية حوادث الاضراب وردت الى البلاد رؤوس الأموال التى كانت قد تسربت إلى الخارج وضمنت استقرار النقد وعززت الدفاع الوطنى

ثانيا – رفضت فكرة الميثاق الرباعى وجعلت من الاتفاق الفرنسى الروسى قاعدة لسياسة فرنسا الخارجية واستمسكت بالمبدأ التقليدى المشهور وهو أن كل اتفاق جديد يتعلق بتسوية الشئون الأوربية يجب أن يحسب فيه حساب روسيا

ثالثا – أحكمت الروابط بين فرنسا وتشيكوسلوفاكيا وجاهرت باستعدادها لتنفيذ الاتفاق الفرنسى التشيكوسلوفاكى فى حالة اعتداء الألمان على تشيكوسلوفاكيا

رابعا – اقنعت الحكومة الانجليزية بوجوب عقد الاتفاق العسكرى الدفاعى بين باريس ولندن ، وبضرورة وقوف انجلترا فى وجه التوسع الألمانى فى تشيكوسلوفاكيا

خامسا – استغلت مشكلة الأسكندرونة لعقد محالفة مع تركيا تضمن قيام دولة قوية صديقة فى الحوض الشرقى من البحر المتوسط

هذه هى الجهود التى بذلتها انجلترا لانقاذ مصالحها فى البحر المتوسط ، وفرنسا لانقاذ نفسها من خطر العزلة والتطويق . ولكن هل أسفرت هذه الجهود حتى الآن عن نتائج عملية محسوسة ؟

لا شك أنها كللت ببعض النجاح فيما يختص بوقف التوسع الالمانى فى تشيكوسلوفاكيا

وأما فيما يختص بالمشكلة الاسبانية فالحال لم تتغير والجنود الايطالية والالمانية ما تزال تحارب تحت لواء الجنرال فرانكو ، وسحب المتطوعين ما يزال خيالا ، والجيش الاسبانى الجمهورى ما يزال يقاوم وسيظل يقاوم عدة أشهر أخرى كما اعترف بذلك الانجليز أنفسهم ، مما يؤخر تنفيذ

الاتفاق الانجليزى الايطالى الذى ترجو إيطاليا من ورائه الاعتراف بفتحها الحبشة والفوز بقروض كبيرة والحصول على امتيازات عظيمة القيمة تتعلق بأمنها وسلامتها فى البحر المتوسط

***

فالخطر الآن ينبعث من حالات ثلاث :

الاولى ــ أن تطول حرب اسبانيا إلى الشتاء القادم فيضطر موسولينى لارسال نجدات أخرى ضمانا لانتصار الجنرال فرانكو فتتوتر العلاقات الايطالية الانجليزية من جديد

الثانية ــ أن يتم النصر للجنرال فرانكو ولو بعد سحب المتطوعين فتحاول ايطاليا المساومة على أساسه والمطالبة بحقوق وامتيازات في اسبانيا قد تتعارض ومصالح انجلترا وفرنسا فى البحر المتوسط

الثالثة ــ أن يسلك موسولينى مسلكا آخر فيمضى فى خطته المعادية لفرنسا حاولا ، بعد انتصار الجنرال فرانكو ، التقرب من بريطانيا فقط والتفاهم معها على احترام مصالحها كى يستطيع فصلها عن فرنسا وإرغام الفرنسيين المعزولين على التسليم له ولاصدقائه الألمان ببعض الحقوق والامتيازات التى لا تضر مصالح انجلترا

هذا هو فى اعتقادنا مجمل الحالة السياسية الدولية . فالصراع بين الجبهة الديموقراطية والجبهة الفاشية على أشده ، وأسبانيا هى محور هذا الصراع ، وأما غايته الأخيرة فالتمكن من انجلترا من طريق السعى المطرد لعزل فرنسا

ولقد أدركت الديموقراطيتان الكبيرتان ما يراد بهما ، فهل فى وسعهما دفع الخطر بالمناورات الدبلوماسية ، أم ان أساليب الفاشية المعروفة بالجرأة والمغامرة والانقضاض المفاجىء ، ستسوقهما مرغمتين آخر الأمر إلى الدخول فى حرب هائلة ؟

ان الجواب على هذا السؤال ما يزال سراً فى ضمير المستقبل المجهول

البيت المصري

كيف ننهض به ونرقيه

بقلم الدكتور أمير بقطر

«.. لاسبيل الى النهوض بالبيت المصرى ما لم نضع تشريعاً جديداً للزواج والطلاق لصالح المرأة صيانة لحقوقها وتفادياً للعبث بها اذ نسبة الطلاق فى مصر أعلى منها فى أى بلد آخر متمدين ..»

البيت كالأسرة ، أقدم عهداً من الزواج ، وأشد نفعاً للمجتمع . فقد عرف البيت منذ أن دب فى الارض حيوان ، ومشى على قدميه انسان . ولا تزال دولة البيت قائمة عند أحط القبائل والسلالات البشرية ، وأدنأ الهوام والحشرات فى المملكة الحيوانية ، فى حين أن الزواج مؤسسة صغيرة ، حديثة العهد نسبيا ، وتكاد تنحصر فى بنى الانسان دون الحيوان . ولا تزال مؤسسة الزواج مجهولة عند طائفة من قبائل البشر التى تعيش على الفطرة ، كما أنها لا تزال مضطربة ، مهددة بالطلاق والفرقة وغيرهما من عوامل الهدم والتخريب حتى فى أشد الامم ثقافة ورقيا وحضارة . ولا يزال بعض سكان الجزر الأسيوية يأوون البنين والبنات فى بيوت تتجلى فيها شتى للظاهر المعروفه فى البيوت والاسر المتمدينة ، فى حين أن هؤلاء القوم يجهلون جهلا تاما أن الاطفال ثمرة الزواج ، أو على الاقل نتيجة مباشرة لاتصال جنسى بين رجل وامرأة . وقد حاول الآباء الجزويت من أعضاء الارساليات فى تلك الجزر ، أن يشرحوا للاهلين هذه المسألة البيولوجيه فأبوا تصديقها . وما زالوا يعتقدون أن ولادة الطفل حادث طبيعى ، كسقوط المطر ، وأن المرأة تلد وان لم يمسسها بشر ، ولم يعرفها رجل ، ومع ذلك فان دولة البيت هى التى تعنى عندهم بالاطفال

* * *

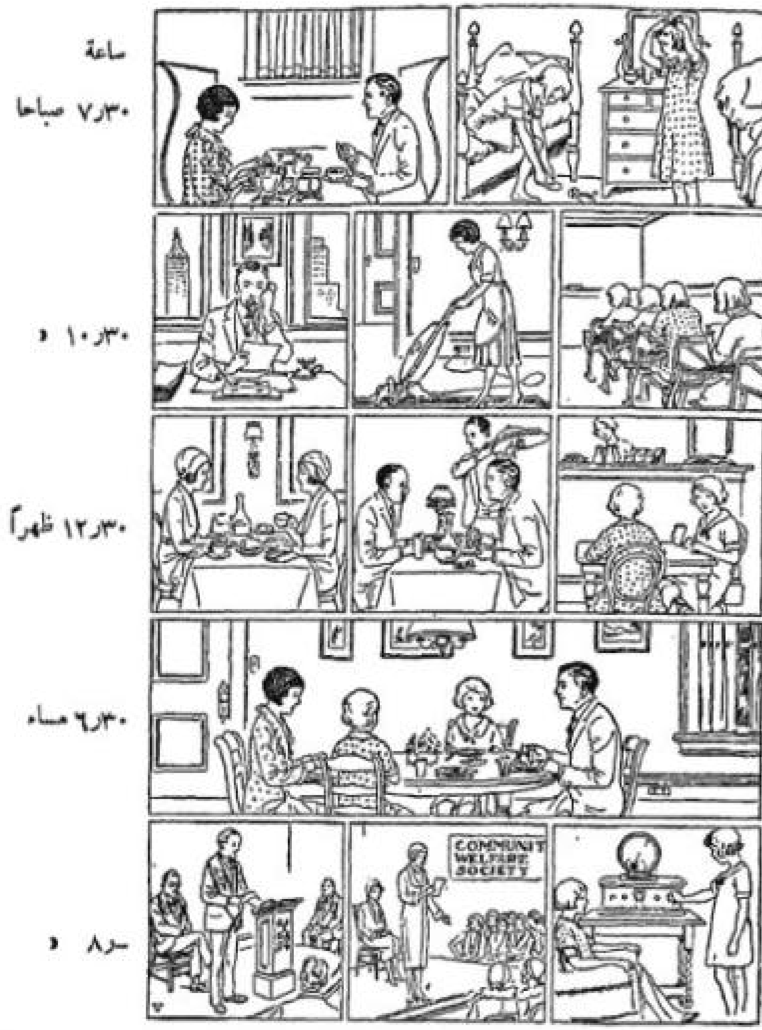
واذا تحدثنا عن البيت ، فانما نتحدث عن العناصر المعنوية فيه ، وعما تحمله هذه العناصر فى ثناياها ، من مدلولات سامية ، وعواطف دفينة نبيلة . أما العناصر المادية الحسية فيه ، فما هى إلا وسيلة لغاية : لجمال الأثاث ، وحسن الرياش ، وتنسيق الزهور فى أصصها ، وتزيين الجدار بالصور ، وتوفير الوسائل الحديثة من ماء حار ، وحمامات ساخنة ، وأنوار كهربائية ساطعة . . هذه ومثيلاتها لا تنهض بالبيت ما لم تكن خادمة للصفات المعنوية ، وأداة لتقوية العواطف السامية النبيلة ، التى يلزم أن يتشبع بها جو البيت . وعلى هذا الاساس نستطيع أن نقول إن منزل الفلاح

الساذج فى الريف ، رغم خلوه من جميع العناصر المادية تقريبا ، فيا عدا الحوائط الأربعة وآنية الشرب الخزفية ، وقدر الطعام . . . رغم هذا ، قد يكون أقرب الى البيت فى معناه الصحيح من منزل « الافندى » فى القاهرة أو طنطا أو اسيوط . وكيف يتسنى لنا أن نسمى المنزل بيتا ، وسيد البيت لا يتخذه إلا فندقا للنوم ، ومطعما للاكل ؟

يقضى الموظف العادى بعد تناول طعام الغذاء طيلة أوقات فراغه فى القهوة ، فلا يعود الى منزله حتى يكون الاطفال نياما ، وتكون الزوجة بين النوم واليقظة ، ولا يكاد يأتى على اللقمة الأخيرة حتى يأوى الى فراشه . أما الموظف الكبير فينتقل من ناد الى ناد ، ومن حفلة الى حفلة ، ومن سهرة الى سهرة ، حتى تمر عليه الايام تليها الايام بغير أن يرى من أفراد البيت أحداً .
ويمكن أن يقال بالاجمال ان الحالة فى البلدان الواقعة على شواطىء البحر الأبيض المتوسط والبلدان الحارة عامة تكاد تكون متشابهة من حيث التنافس الشديد بين القهوة والبيت . والبيت فى مصر والبلدان الشرقية عامة ، أشد تأثراً بهذا التنافس من البلدان الأوربية التى تكثر فيها المقاهى ، وذلك لأن الرجل الاوربى ، اذا ما اختلف الى القهوة للتسلية ، أو للترويح من شدة القيظ ، أو لتناول طعامه فى الهواء الطلق ، صحبه أفراد أسرته فى كثير من الأحوال ، واذا ما قصد الى القهوة وحده ، فانه لا يتخذها محلا مختاراً ، كما يفعل الناس هنا

بيد أن البلدان الأوربية الراقية ، لم ينج البيت فيها من مثل هذا التنافس فى نواح أخرى عدة ، لان الحضارة بكل ما فيها من رفاهية ووسائل راحة ، طغت على البيت ، وساعدت على الانقاص من قدره . مثال ذلك السيارة ، فانها جاءت كالتيار الجارف كسحت أمامها البيوت كسحا ، يدفع سيد البيت بضعة جنيهات وأحيانا بضعة قروش شهريا لتاجر السيارات فيعطيه عربة فخمة بديعة ، فيضحى صاحب البيت كل شىء فى سبيلها . يقتصد فى شراء الاثاث والطعام فى سبيل السيارة ، ويقتصد فى أجرة المنزل فى سبيل السيارة ، ويقتصد فى حاجات البيت وأفراد الاسرة فى سبيل السيارة . أليست السيارة عنوان الوجاهة ، وميزان الثروة ، ودليل الجاه ؟ ألا يستطيع بها الرجل أن يتنزه فى الجبال والحدائق والارياف ؟ لقد قضت السيارة على « البيانو » ، وفرقت أفراد الأسرة ، واستحال بها المنزل فندقا للنوم ، ولكن ليس كل أيام السنة

كان الرجل وزوجه وأولاده فى أوربا الى عهد قريب يجلسون حول الموقد للحديث والسمر بيد أن طرق التدفئة الحديثة (Chauffage central) ، جعلت لكل غرفة جهازاً منفرداً قائما بذاته لتدفئتها ، يأوى اليه الابن أو البنت بغير حاجة الى مشاركة غيره من أفراد الأسرة . وكانت المائدة وسيلة للتربية البيتية ، والحديث الطلى المشبع بالحنو الأبوى والأمومة ، بيد أن التحول الاجتماعى الاخير قتل هذه الظاهرة ، فأصبح أفراد الأسرة يتناولون طعام الافطار متفرقين فى غير أيام البطالة ، لان ساعات العمل تختلف بينهم . وأصبحت الزوجة وحدها هى التى تتناول



تمثل هذه الصورة الحياة الامريكية الحديثة . ففى الساعة السابعة والنصف يتناول الزوجان طعام الافطار معاً ويتأهب الاطفال للذهاب الى المدرسة وفى منتصف الساعة ١١ يكون رب البيت منهمكا فى عمله فى مكتبه ، وربة البيت فى عملها فى بيتها ، والاطفال فى المدرسة . وفى منتصف الساعة ١ تتناول الزوجة طعام الغداء فى مطعم أو ناد مع صديقة لها والزوج فى مطعم بقرب محل عمله مع صديق له والاطفال على مائدة المدرسة وفى منتصف الساعة السابعة يتناول أهل البيت جميعهم طعام العشاء معاً . وفى الساعة الثامنة يكون الزوج فى ناد أو جمعية يستمع لمحاضرة وكذا الزوجة فى ناد أو جمعية نسائية والاطفال وحدهم فى البيت ينصتون للراديو

طعام الغداء في المنزل ، لأن الزوج يتناوله في أقرب مطعم لمحل عمله ، ولأن الأطفال يتناولونه في المدرسة

ونظراً لتفاوت الميول والأمزجة ، أصبحت السينما أداة أخرى من أدوات التفريق . فللزوج الرواية التي تتفق ومزاجه ، وللبنت دار السينما التي تلائم ميلها ، وللابن المأساة أو الكوميديا التي تطيب لها نفسه . وكان من المأمول أن يجمع اللاسلكي أفراد البيت في قاعة الاستقبال للاستماع ، غير أن آمالنا فيه قد خابت من هذه الناحية ، لان اللاسلكي أصبح من الكثرة والذيوع الى حد انه مكن أكثر من فرد واحد من أفراد الاسرة أن يشترى جهازاً خصيصا له يضعه في غرفته بمعزل من الآخرين (وكذلك الحال في السيارة ، ولاسيما في امريكا). وللفرد - اذا كان اللاسلكي متاعا مشاعا - أن يفرض على المستمعين من أفراد الاسرة أن يكفوا عن الحديث ، فتضيع الفائدة المطلوبة من اجتماع هؤلاء . وكان أفراد الاسرة الى عهد قريب مولعين بالاستماع الى فتاة من فتياتهم أو بنات جيرانهم تغني أو تعزف على آلة من آلات الموسيقى ، بيد أنهم اليوم يؤثرون الموسيقى «المحفوظة» أو موسيقى «العلبة» كما يعبر عنها الانجليز والاميركان . فما عليهم إلا أن يديروا مفتاحا صغيراً حتى تتدفق الموسيقى كالماء

***

ومن الغريب أن تحرير المرأة ، وما نالته من قسط التربية الحديثة في العهد الأخير ، لم يساعدا على النهوض بالبيت النهوض الذي يتفق وهذه التربية ، وانما كانا أحيانا من البواعث التي تعمل على هدمه . فبينما نجد المرأة تشكو من أنها لا تكاد ترى زوجها ، وأن أولادها يكادون يجهلون وجه أبيهم ، فان الرجل يشكو من أن زوجته تقضي معظم النهار في مكان عملها ، وأوقات فراغها في الأندية النسائية ، أو في حفلات الشاي ، ونواحي النشاط الاجتماعي ، وأندية الرياضة (اذا كانت غنية أومن ذوات المراكز الاجتماعية العالية) ويشكومن أنها لاتعنى العناية الكافية بأولادها . ويشكو المجتمع الاوربي والاميركي عامة من أن الحياة الحديثة في الاوساط الراقية ، قد أوهنت قوى البيت ، إذ أن للرجل دائرة يتحرك فيها غير دائرة الزوجة ، وان كثرة هذه الدوائر وتشعبها تحول دون الجمع بينهما إلا في نادر الاحايين . واذا افترضنا وجودهما في مأدبة أو وليمة أو حفلة واحدة ، فان مبادىء « الاتيكيت » تدفع الرجل الى أقصى حدود المائدة ، فتضعه بجانب سيدة أجنبية عنه ، وتدفع المرأة الى أقصى حدود المائدة ، فتضعها بجانب رجل أجنبي عنها . وقد تدوم الحفلة الواحدة أياما على ظهر يخت بحرى ، اذا كان المدعوون من كبار الاغنياء وعلية القوم ، وقد تشغل هذه المآدب والحفلات معظم أيام السنة ، فلا يمضي طويلا حتى يأنس الرجل فتوراً في نفسه من جهة زوجته ، وتأنس هي من جهتها ميلا لآخر . وقد يكون هذا الفتور وهذا الميل في العقل الباطن ، وهنا يشب الخلاف والطلاق أو الفرقة أو على الاقل الشقاء الزوجي

وهناك ظاهرة أخرى فى تحرير المرأة وانتشار التربية ، وعلى الأخص فى البلدان الصناعية ، وهى انفراط عقد البنين والبنات من الأسرة فى سن مبكرة . فالبنت تنزع الى الاستقلال الاقتصادى فى نهاية مرحلة التعليم الالزامى فى معظم الأحوال ، وفى نهاية التعليم الثانوى أو الجامعى فى قليل من الأحوال ، فتبحث عن عمل وتعيش بعيداً عن ذويها وعن بيت والديها ، وان كان عملها فى المدينة التى بها أهلها ، وكذلك يفعل الابن

منذ أسابيع قليلة مضت شاهدت فرنسا تطوراً عظيما فى قانون الزواج المدنى . فقد ألغيت فيه عبارة « وعلى الزوجة طاعة زوجها » ، واستبدلت بعبارة «الزوج رئيس الاسرة » ، وقد منح القانون الجديد المرأة حقوقا وحريات مدنية كثيرة كانت محرومة منها . ومن هذه أن يكون لها حق التعامل مع البنوك والهيئات والأفراد بغير إذن زوجها (ماعدا الوصية) وأن تلتحق بجامعة لنيل درجة علمية ، وأن يكون لها جواز سفر مستقل ، وأن تمارس أية مهنة أو تزاول أى عمل تريد ــ مالم يثبت الزوج أن هذا العمل لا يتفق ومصلحة البيت . بيد أن البيت الفرنسى ، بغض النظر عن هذه الحريات الجديدة ، كان على الدوام مثال البيت الصحيح ، والزوجة الفرنسية كانت على الدوام نموذج الزوجة العاقلة المدبرة الحكيمة . واذا تحدثنا عن فرنسا هنا ، فانما نتحدث عن فرنسا الحقيقية الأصيلة ، لا فرنسا كما يعرفها السياح فى ميدان الاوبرا ومونبرناس ومونمارتر والحى اللاتيني . الزوجة الفرنسية الأصيلة ، رغم هذه الحريات ، قد أورثتها الأيام مدى العصور صفات قلما توجد فى غيرها . فهى بطبيعتها عالمة من علماء النفس ، تفهم الطبيعة الانسانية بحذافيرها ، تفهم نقط الضعف ، ووجوه الشذوذ ، ونواحى القوة في زوجها ، وتكيف أمورها تبعا لذلك . والزوجة الفرنسية مدبرة مقتصدة اقتصاداً يكاد يكون شحا ، صبورة كثيرة الاحتمال فى زمن السلم ، قديرة على التعاون وادارة البيت فى زمن الحرب ، لان البيت أعز ما لديها بعد الوطن . والزوج الفرنسى بطبيعته فظ الطباع ، أحمق ، مستهتر ، ورغم ذلك فالمرأة الفرنسية حفظا لكرامة البيت ، وصيانة له ، متسامحة ، متساهلة ، تقوى على الضجيج ، وتدفع سيئة الزوج بالمكرمة

ولم يكن للمرأة الفرنسية الى يومنا هذا حقوق سياسية ، بيد أنها طالما هزت كتفيها لأن هذا فى نظرها لايعنيها ، لأن ماتقوله فى البيت ، وهو فى نظرها أهم ما يشغل بالها ، هو ما يقوله النائب عادة فى مجلس النواب

***

من هذا التفصيل المسهب يستطيع القارىء أن يستنتج شيئا عن البيت المصرى وعن السبيل الى انهاضه . غير أنه يحسن بنا أن نذكر فى ضوء الكلام السابق نقطا معينة تعيننا على الخروج بنتيجة واضحة :

أولا :

(١) ليست التربية وحدها كفيلة بإنهاض البيت المصرى

(٢) ليست وسائل الحضارة الحديثة وحدها ضامنة لتقدم البيت المصرى

(٣) الزواج أقوى الأسس التى يشاد عليها البيت ، ولكنه لا يكفل وحده تقدم البيت . فى كثير من البلدان الاسيوية كالصين يكثر التسرى (اتخاذ المحظيات) ، ومع ذلك تجد البيت فى كثير من الأحوال قوى الدعامة . وقد سمعت « كاجوا » أكبر كتاب اليابان وزعيم الاجتماع هناك يخطب فى أمريكا وهو يقول إن أمه كانت محظية concubine لأبيه

(٤) وليست العفة الجنسية عند الزوجين فى حد ذاتها كفيلة بإنهاض البيت المصرى ، لأن الاباحية لم تكن يوما من الايام امراً مرغوبا فيه ، أو مسموحا به

(٥) مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق السياسية والمدنية لا تعمل كثيراً على تقدم البيت

ثانيا :

(١) رغم كل ما ذكر فان البيت المصرى فى أشد الحاجة الى تربية المرأة التربية الصحيحة التى تدرك بها المسئوليات الجسيمة الملقاة على عاتقها كزوجة وأم وعضو عامل فى المجتمع ، وذلك لا يتأتى إلا بتلقى المبادىء العلمية العامة التى تعينها على فهم البيئة التى تعيش فيها ، والالمام بأصول التدبير المنزلى ، والوقوف على تاريخ الفنون الجميلة ومعرفة بعض النماذج الشهيرة منها حتى تتربى فيها ملكة الذوق السليم التى تنقص البيت المصرى . وبجانب ما ينبغى أن تقف عليه من المبادىء الاخلاقية السامية التى تتفق والعصر الذى نحن فيه ، يجب أن تعنى جيداً بدراسة سيكولوجيا الاطفال ، حتى تكون فى تربيتهم مطلعة على أحدث الآراء العلمية فى نفسية البشر عامة والطفل خاصة

(٢) لا سبيل الى النهوض بالبيت المصرى ما لم نوطد العزم ، كأمة ناهضة ، على احترام المرأة احتراما صحيحا ، واشراكها اشراكا جديا فى الشئون الاجتماعية العامة ، وإذا دعت الحال ، فى المسائل الاقتصادية والتشريعية والسياسية . ويشترط أن تكون هذه الخطة التى نسلكها نحو المرأة صادرة عن رغبة أكيدة صادقة ، وإيمان وثيق العرى ، وألا نعتبرها منحة نجود بها عليها . فالمرأة الفرنسية ، كما سبق القول ضمنا ، لم تسكت عن المطالبة بحقوقها السياسية مطالبة جدية ، إلا لشعورها بما يكنه لهـا الرجل من الاحترام فى جميع مرافق الحياة ، وما يبديه لها من التجلة والتقدير مما تصبح بجانبه الحقوق السياسية كأنها لا شىء . والمرأة المصرية رغم نهضتها الأخيرة ، لا تزال مضغة فى أفواه الرجال والعوبة يلهون بها فى اوقات الفراغ أحيانا

(٣) لا سبيل الى النهوض بالبيت المصرى ما لم نضع تشريعا جديداً للزواج والطلاق لصالح المرأة ، صيانة لحقوقها ، وتفاديا للعبث بها . فنسبة الطلاق فى مصر أعلى منها فى اى بلد آخر متمدين ، إذ أنه يوجد طلاق واحد فى كل ٢ر٤ زواج (أى ٤٠ ٪) فى حين أننا نجد طلاقا فى كل ٦ زيجات فى اميركا ، وكل ١٦ فى سويسرا ، وكل ١٨ فى فرنسا ، وكل ١٠٨ فى انجلترا . ومن الجهة الأخرى يجب تسهيل اجراءات الطلاق فى الحالات النادرة التى تكون فيها الحياة الزوجية شقاء لأحد الزوجين . أما الزواج بأكثر من واحدة فى سبيل الانقراض لأن نسبته لا تكاد تبلغ ٥ ٪ ، فهو اذاً فى حكم العدم . غير أن القضاء عليه بتشريع (لايسرى على الماضى) وثيقة قوية لاحترام المرأة

(٤) « يترك الرجل اباه وأمه ... » هذه هى آية التوراة الخالدة تبقى حكمتها العلمية صادقة الى الأبد . أكثر الشقاء الزوجى فى مصر يعود الى بقاء الزوجين فى منزل الوالدين أو الأقارب . والخصام والشحناء والغيرة والتحدى كلها صفات انسانية طبيعية ، ومن العبث ان نحاول التخفيف من وطأتها ، مالم يخل الجو للزوجين فى بيت مستقل . وليست التربية أو الاخلاق لوالدين أو أى قوة فى الارض او السماء بقادرة على بسط راية السلام فى أسرة يشارك فيها الزوجين الوالدان او الاصهار او الاقارب ، والمثل الانجليزى يقول اياك والاقارب (by-laws)

(٥) الأسرة المصرية كسائر الاسر التى لا تزال فيها بقية من عيشة الفطرة ، تنوء تحت عبء الطفيليات (parasites) من الأقارب ، الاقربين منهم والاباعد . أعنى بذلك الذين يعيشون عالة على الزوج والزوجة فيقاسمونها الطعام والكساء والاقامة . ومن الصعب التخلص من هذه العادة بجرة قلم لأنها نتيجة تقاليد عقيمة ترجع للماضى البعيد ، ولا يتسع المجال لذكرها الآن . بيد أنه ينبغى لنا ان نفكر فى القضاء على هذه العادة الذميمة التى تجعل البيت المصرى عشا يأوى اليه كل طائر مهيض الجناح

(٦) يئن البيت المصرى من كثرة الاطفال ، ولا سبيل الى علاج هذا الداء إلا بأحد أمرين ، اما ان يتعلم الزوجان في المدارس الثانوية والعالية والعيادات المجانية والخصوصية ضبط النسل أو تحديده ، بطريقة علمية منظمة ، أو ان تمنح الحكومة اعانة سنوية لمن يزيد عدد اطفاله عن أربعة ، بنسبة هذه الزيادة ، اذا ما توافر لديها المال وهو ما نشك فيه . ومن رأيى الخاص ان الشاب الذى يملأ البيت بالبنين والبنات وهو يعلم ان دخله محدود وان زوجه لا يتسع وقتها وجهدها للقيام بواجبها نحو أبناء المستقبل ـ انما يجنى على نفسه وأولاده ووطنه والانسانية اجمع

(٧) يستحب كثيراً أن نعجل اعادة النظر فيما يتعلق بأثاث البيت المصرى وتنظيمه وادارته . ليكن الأثاث قليلا ، خفيفا ، بسيطا . وليبدأ العروسان بما خف حمله وقل عدده وغلا ثمنه ، لان البيت على حالته الراهنة أقرب فى الغالب الى مخزن « للوبيليا » منه الى المنزل ، ولا عجب اذا أحجم

الشبان عن الزواج . هناك البيت اليابانى مثلا ، مثال الذوق السليم والبساطة : غرفة واسعة انتشر فيها كرسى هنا ، وديوان هناك ، وتوسطتها مائدة صغيرة عليها آنية الزهور ، تزينها زهرة واحدة ولكن كل شيء يبدو فيه الجمال !

وهذه الاطعمة الدسمة الثقيلة بكثرة اللحم والشحم والسمن ؟ لنغير رأينا في هذا الطهى المؤذى لقوم تقع بلادهم على مقربة من خط الاستواء ، ولا يحب أبناؤهم الالعاب الرياضية ، وتكثر بينهم أمراض الكبد والسكر وداء الملوك

ولتكن قاعة الاستقبال ملتقى أفراد الاسرة ، لأنها ليست للضيوف وحدهم ، فان اسمها فى البلاد التى تنطق بالانجليزية living room ، ولتكن كراسيها مريحة قبل أن تكون مطلية بماء الذهب وأن تكون قوية تتحمل الجلوس عليها بكل حرية ، قبل ان تكون من طراز لويس الرابع عشر ، ولتكن ألوانها رائقة ، عتشمة ، منسجمة ، لا براقة ، زاهية ، متنافرة ، تبهر العيون ، وتصدع الرءوس . وليكن فى اناء الزهور سنبلة من القمح أو عوداً من البرسيم ، إذا لم تقو الجيوب على شراء زر الورد ، أو كأس النرجس . وليكن شعار البيت : النظافة من الايمان

وهناك غرف النوم . هى فى حاجة الى مهندس بارع ، يضع حداً لاختلاط الحابل بالنابل فيها . اذا اتسع البيت ، فلكل فرد حجرة ، ولا استثنى حتى الزوجين . ويمتنع بتاتا أن ينام طفل فوق الثانية من عمره في غرفة يبيت فيها الزوجان . وإذا اشتدت الفاقة واستحكمت حلقاتها فلكل فرد سرير يفصله حائل كثيف عن سرير الآخر . فحرمة الفرد وسريته عنوان الشخصية وتمييز له من الحيوان . والفوضى فى النوم تجعل الاطفال يبلغون سن الحلم فى غير الاوان ، ويضطرون الى العادات الذميمة اضطراراً ، وان كان جيرانهم فى النوم آباء او أمهات ، اخوة او أخوات

(٨) ليشعر الزوجان ان العقد الذى بينهما رباط روحى وجدانى باق ما بقيا على قيد الحياة ، لا متعة وقتية او عروة تنفصم عند اللزوم . وليكن البيت ببنيه وبناته وصفاته المعنوية السامية مهبط المشاركة الوجدانية ، التى لا يشعر فيها أحد برئيس ومرءوس ، وسيد وعبد . وليكن الحب الصادق فى البيت أساس التعاون والتسامح وخدمة الغير . وليكن لكل فرد من أفراد البيت نصيب فى تهيئة اسباب البهجة والراحة والسعادة

أمير بقطر

ضحايا الحرب فى زمن السلم

ماذا يجنى السلام على الناس

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

هل جن الناس ؟ أو هل دنت الساعة ؟

أو هل تتهيأ الأمم لانقلاب عظيم فى أنظمتها الاجتماعية ؟ وكيف يمكن هذا الانقلاب اذا كان تدميراً للانظمة العتيقة يبيد بعضها بعضا قبل أن تبنى أنظمتها الجديدة ؟

حقا لقد جن الناس

لقد انعكست آية نبى السلام القائل : « سيصنعون رماحهم محاريث وسيوفهم مناجل » إذ جعلوا يصنعون محاريثهم رماحا ومناجلهم سيوفا

تركوا الحقول وهرعوا الى معامل التسليح وانصرفوا من مصانع لوازم الحياة الى تقلد السلاح انصياعا لأوامر ساستهم الذين ينادون بالدعوة الى السلام . ومنطق هؤلاء الساسة الاعوج هو أن الوسيلة لتدارك الحرب هى الاستعداد للحرب

وأى استعداد ؟

استعداد تتبخر فيه الثروات وتطير دخانا ، وتحشد فيه الرجال جميعا تحت السلاح لكى تحترق أشلاء وتبقى رماداً

فماذا بقى لتمتع الاسرات بنعم السموات . ومن بقى منها لكى يتمتع بالبركات ؟ !

وماذا بقى فى غربال « تنازع البقاء » من عناصر الحياة . وما معنى الحياة اذا كانت غايتها القصوى الهلاك والبوار ودمار الديار ؟ !

حقا ان الفناء أصلح لهذا الانسان من البقاء . طالت حياة نوع الانسان على الارض ولم يعد صالحا لتعميرها وحان أن ينقرض كما انقرض قبله كثير من الاحياء وأصناف الانسان . فليبد عن سطحها عسى أن يجعل الله مخلوقا الىق منه باستيطانها وأعرف منه لنعمة ربه

تستخرج هذه النتيجة الرائعة من المقدمات التالية الناصعة

أنعم النظر فى الجدول المنشور فى الصفحة التالية وتمت تعال نتفاهم :

* * *

جدول استعدادات الدول الحربية

الدول الكبرى المتأهبة للحرب	عدد سكان كل دولة	ما تستطيع تجنيده بالملايين	ميزانية الحربية بالمليون لكل دولة س ١٩٣١	ميزانية الدفاع بالمليون جنيه س ١٩٣٨	عدد الجيش البرى التام		حمولة بحرية كل دولة بالطن		عدد طائرات كل دولة	
					سنة ١٩٣١	سنة ١٩٣٨	سنة ١٩٣١	سنة ١٩٣٨	سنة ١٩٣١	سنة ١٩٣٨
بريطانيا	٤٧٠٩٨٠٠٠	٩	٧٣	٣٢٧	١١٤٠٠٠	١١٥٠٠٠	١٠٩٠٦٣٥	١٢٩٦٣٥٣	١٧٠٠	٢٠٠٠
ألمانيا	٦٧١٠٥٠٠٠ ما عدا النمسا التى ضمت اليها حديثا	١٣	٢٧	٤٦٠	١٠٥٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١٣٩٩٠٠	١٤٧٢٧١		٣٦٠٠
الولايات المتحدة	١٢٨٤٣٠٠٠٠	٢٠	١١٢	١٨٩	١٤٠٠٠٠	١٧٠٠٠	١٠٢١٩٠٠	١١٦٣٢٤٠	١٧٣٢	٢٨٨٥
فرنسا	٤١٩٠٦٠٠٠	٨	٧٣	١٣٢	٣٧١٠٠٠	٤١٥٠٠٠	٥٥٤١٩٢	٥١١٧١٨	١٢١٠	١٥٠٠
ايطاليا	٤٢٨٠١٠٠٠	٨	٣٩	١٦٤	٣٨٥٠٠٠	٥٥٠٠٠٠	٣٠٣٠٠٠	٤٢٩٢٤٣	١٥٠٧	٢١٠٠
اليابان	٧١٠٠٠٠٠٠	١٣	٣٧	٢١٥	٢٥٩٠٠٠	٤٤٠٠٠٠	٧٢٥١٢٣	٨٠٢٢٦٢	١٥٠٠	١٦٧٠
روسيا السوفياتية	١٧٠٠٠٠٠٠٠	٣٥	٩١	٥٠٧	٥٣٢٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٧٥٠	٤٥٠٠
بلجيكا	٨٣٠٠٠٠٠	١٫٣٥	٢¼	٧	٨٧١٠٠	٦٥٠٠٠			١٩٥	٢٥٠
المجموع	٤٢٣٦٤٠٠٠٠	١٠٧٫٣٥	٤٥٤¼	٢٠٠١	١٩٩٣٠٠٠	٢٨٨٥٠٠٠	٣١٠١٧٥٠	٤٦٠١٠٨٧	٨٥٩٤	١٥٨٠٥

لما شبت الحرب الأخيرة (الملقبة الآن بالعظمى وستلقب بالصغرى بعد شبوب خليفتها المقبلة) لم تستطع دولة من الدول فى الاشهر الاولى أن تعبيء حينذاك جيشا كالجيش الذى عندها تحت السلاح الآن فى زمن السلم . بقيت فرنسا تستغيث بانكلترا عسى أن تمدها بجيشها عاجلا . فلم تستطع هذه أن تقدم لها فى الاشهر الستة الاولى أكثر من ١٥٠ الفا . والآن عند انكلترا فى زمن السلم ١١٥ ألفا تحت السلاح يتريضون ويلهون (سبورت) . فكم تعبيء فى زمن الحرب ؟ — ثمانية ملايين

والمانيا لم تفاجيء الدول بالحرب بأكثر من نصف مليون . والآن فى زمن السلم عندها مليون تحت السلاح يتريضون . فكيف بها فى زمن الحرب ؟ — تعبيء ١٣ مليونا

وقس على هاتين الدولتين الكبيرتين غيرهما من الدول التى نزلت الى الميادين وستنزل اليها فى الحرب المقبلة

فأى سلم هذا ؟ وكيف تتناجى الدول بالدعوة الى السلام العالمى ؟

لاحظ الوثوب فى التسليح من سنة ١٩٣١ الى السنة الحالية تجد أن ميزانيات التسليح عند الدول جميعا قد تضاعفت خمسة أضعاف تقريبا

المانيا	ضاعفت	ميزانيتها	١٧ ضعفا	
اليابان	»	»	٦ اضعاف	
روسيا	»	»	٥½ ضعف	تقريبا
ايطاليا	»	»	٤½ »	»
بريطانيا	»	»	٤½ »	»
فرنسا	»	»	ضعفين	تقريبا
الولايات المتحدة	»	»	أقل من ضعفين	»
بلجيكا	»	»	٣ اضعاف	»

وبالاجمال يقال إن ميزانيات التسليح تربو كثيراً على ميزانيات الادارات الحكومية . وهذا يعنى ان جانبا كبيراً من ثروات الامم يحال الى خزائن التسليح والمعسكرات

كل هذا ونحن الآن فى حالة سلم مزعزع الأوتاد أو على نار تحت الرماد . فماذا تكون نفقات الحرب يوم ينفخ فى الصور وتجيش الصدور لاستقبال الفناء المنظور ؟ !

واذا كانت انكلترا قد رصدت فى السنة الماضية ألفا وخمسمائة مليون جنيه للتسلح فى مدة خمس سنين وأنفقت منها ٤٥٠ ألفا فى العام الاول فماذا تفعل الدول الاخرى ؟ — تحذو حذوها بغير تصريح

هذا من حيث المال . وأما من حيث الرجال فالامر أغرب وأهول

لاحظ استعداد هذه الدول للتجنيد فى حالة الحرب ـ قارن فى الحقلين الاولين بين عدد السكان واستطاعة كل دولة للتجنيد تجد أن خمس السكان معدون للقتال ، كما تعد خراف العيد للذبح . فحكمهم كحكم الهشيم الملتهب ، يطير بخاراً ولا يبقى منه إلا الرماد

واذا أخذت من كل خمسة انفس رجلا واحداً وهو أقوامهم وأعزمهم وعائلهم فمن هم الاربعة الباقون ؟ ـ هم الشيوخ الضعفاء والنساء والاطفال الابرياء . وعلى هؤلاء أن يبذلوا كل قوامهم لتغذية ذلك الخمس وتمونه وتجهيزه بأنواع السلاح براً وبحراً وجواً وتحت سطح البحر ـ وهذا يعنى انه يوم تقوم قيامة الحرب تبذل المهج والاجساد فى العمل للتنكيل والتقتيل والتدمير الى أن يفنى الرجال فى ساحات القتال ، ويهلك غير المجندين فى ساحات العمل ولا يبقى من جنس الانسان إلا حطامه

أليس هذا الانسان العاقل قد جن ؟

أتريد زيادة تفصيل عن حمى التسليح المتصاعدة الحرارة الآن ؟ ـ خذ :

***

فى سنة ١٩٣٠ هبت عاصفة أزمة اقتصادية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الانسان . واجتاحت سطح هذا السيار الارضى كله ، وتهدمت بها جميع أبراج الثروة الوهمية المتشامخة القائمة على أسس «الرأسمالية» الرملية وانهارت الى حضيضها الأسفل فتبعثرت انقاضاً لا قيمة لها . وكان من كواشف رهبتها أن بعضا من ملوك المال انتحروا فزعا من ويل ذلك الانهيار

حدث ذلك التدهور لان تلك الثروات العظيمة كانت قائمة على كواهل العمال . ولكن العمال كانوا بحكم وهمية ذلك الثراء عطل من العمل . يعنى انهم اخرجوا مكرهين من تحت تلك الابراج الرأسمالية ، فسقطت

فماذا كان من حنكة رجال السياسة لتجديد بناء الابراج الرأسمالية ؟

كان انهم عزموا على التنازع الاستعمارى بنشاط جديد شديد لكى يعنوا العمال بالفرج العاجل ويستردوهم الى حظائر العمل

هذه كانت حكمتهم السياسية فى درء كارثة الأزمة الاقتصادية : تجديد التنازع الاستعمارى الصناعى التجارى . والتنازع لفظ مرادف للحرب . والحرب تستوجب التسليح . فالتنازع الاقتصادى اذن يستلزم التنافس فى التسليح . لذلك شرعت الدول منذ سنة ١٩٣١ تتنافس فيه . فكان ما كان مما عرفت طرفا منه فى مضاعفة الاستعداد للحرب ، كان هذا على الرغم من أن الدول كانت تدعو بعضها بعضا للتعاهد على وقف التسليح ، وعلى الرغم من انعقاد مؤتمر نزع السلاح فى أوائل عام ١٩٣٢ . فكأنها كانت بهذه الدعوة تستفز بعضها بعضا لعكس ما كانت تدعو اليه

بريطانيا : زادت حمولة بحريتها نحو ٣٠٠ الف طن . وهى الآن تبنى خمس مدرعات وخمس حاملات للطيارات و ١٧ بارجة ضخمة و ٣٣ طرادة مقاومة للطوربيد و ١٧ غواصة . وفى بلاغ آخر أن مجموع ما بنتـه فى العام الماضى وما تبنيه فى هذا العام يبلغ نحو ١٢٠ قطعة حربية

وكانت بحرية بريطانيا قبل الحرب الكبرى ضعف بحرية أعظم دولة أوربية أو كانت مساوية لبحريق المانيا وفرنسا جميعا . ولم تزل فى مقامها البحرى هذا فى أوربا حتى اليوم ، بل تساوى قوتها البحرية الآن قوة الدول الكبرى الثلاث : فرنسا وايطاليا والمانيا جميعا (راجع الجدول) وفى عزمها أن تزيد قوتها البحرية على ما تقدم حتى لا تخسر هذا التفوق

وقد أكد المستر تشامبرلن فى ٢٤ مارس الماضى ان الاسراع فى التسليح وخصوصا فى تدابير الدفاع الجوى يجب أن يحصل على الدرجة الاولى من جهود الامة . وعلى الرغم من ذلك يحاول أن يهدىء من فزع الامم بقوله :

« اننا لا نزال نؤمل أن نصل الى توازن معقول فى التسليح بالاتفاق الودى بدلا من التسابق الحر الذى لا يقف عند حد » . ولكن أى روع يهدأ والحالة كما تقدم وصفها ؟

وفى نبأ اخير ان بريطانيا سيكون عندها فى هذا العام ٣ آلاف طائرة

والذى يلوح لنا أن بريطانيا بعد أن دعت الدول الى وقف التسليح وبعد أن توقفت هى عنه لتثبت حسن نيتها يئست من تلبيتهن لدعوتها ولم تر بدأ من أن تنشط لتسليح نفسها بكل نوع من أنواع التسليح بتفوق لم يسبق له نظير ، عسى أن تكون هذه النخوة الهائلة أدعى لتوقف الحرب أو لتسويفها الى حين بعيد . ولكن تهالك الامم فى التنافس على التسليح يضعف الأمل فى الوصول الى تلك الأمنية

المانيا : تعتمد كثيراً على التجنيد البرى لأنها يائسة من التفوق البحرى بعد أن أغرقت انكلترا أسطولها على أثر أسرها له فى نهاية الحرب العظمى . وغريمتاها فرنسا من ناحية وروسيا من الناحية الاخرى ، ومقاتلتها لهما برية وجوية . ولذلك تستعيض عن بعض الاستعداد البحرى بالاستعداد الجوى . ويقال انها تصنع كل شهر ٢٥٠ طائرة (مايتين وخمسين)

مع ذلك لم تهمل بحريتها بل هى تبنى الآن ٤ مدرعات ضخمة وحاملتين للطائرات و ٧ بوارج و ٢٧ طراداً مقاومة للطوربيد و ٢٥ غواصة . وهى بالغواصات أغنى دولة ، وعلى الغواصات كانت تعتمد فى الحرب الماضية

فرنسا : يقال انها على أثر الحرب الماضية حصنت حدودها الشمالية بالخنادق تحصينا مدهشا لا مثيل له . فهى سلاسل من سراديب مبنية بالاسمنت المسلح . وهى تعتمد على نظام جيشها الممتاز . ولكن برلمانها لايلبى مالية حربيتها كالواجب

تبني الآن ٣ مدرعات وحاملتين للطائرات وبارجتين و ٣٠ نسافة و ١١ غواصة . وفى هذا العام يكون عندها ٢٤٠٠ طائرة وفى آخر السنة القادمة يكون عندها ٣٠٠٠

ايطاليا : كألمانيا تهتم بتقوية جيشها البرى وقوتها الجوية وربما كانت ممتازة فيها . وقد صرح موسوليني فى خطبة له فى ٣٠ مارس الماضى بأن الطيران الايطالى نال فوزاً باهراً فى رحلاته فوق البحر الابيض المتوسط وفوق الاقيانوس الاتلنتيكى وتقررت له ميزانية ١٢٠٠ مليون ليرا ــ الى أن قال : « إن مجموع قواتنا الجوية مؤلفة من بضعة آلاف من الطائرات تكاد تكون كلها جديدة . وفى معامل الطيران الآن ٥٨ الف عامل يشتغلون للسلاح الجوى فقط »

ثم يقول أيضا : « ويجتهد مهندسونا أن ينشئوا طائرات للاستكشاف ولالقاء القذائف وللدفاع ليلا ونهاراً ، وطائرات خفيفة ذات سرعة قصوى سهلة الاستعمال ، وطائرات من المعدن ذات محركين أو ثلاثة »

وفى تنويهه عن المهمات اللازمة للتعبئة قال : « ان فى ٨٧٦ معملا يشتغل ستمائة الف عامل بنظام حربى من غير انقطاع كأنهم جنود تحت السلاح »

ــ تالله ! اما كان أفضل لرفاهية الامة أن يشتغل هؤلاء الستمائة الف عامل بأعمال منتجة يتمتع بها الشعب !

أما عن البحرية فأشار الى تجديد الوحدات أى الأساطيل القديمة . ومنها المدرعتان كافور وسيزارى ، وانشاء أربع بوارج كبرى حمولة كل منها ٣٥ الف طن تم بعضها الآن والبعض الآخر تحت البناء

ثم يقول : « وانى لأقول منذ الآن لكل من يمكنهم أن ينظموا عملهم فى المدن الصغرى والريف ان خير ما يفعلون هو أن ينزحوا اليها فى أقرب وقت لأن نزوحهم اليها فى وقت نشوب الحرب قد يعرقل أمر التعبئة العامة » . ولايخفى ما فى هذه النصيحة من الاشارة الى ان الحرب على الابواب . وفى عبارة أخرى يفهم منها أن الحرب العتيدة ستكون حرب فظائع لا هوادة فيها ولا ضمائر ولا انسانية ــ ونحن نفهم أنها ستكون حرب أمم تقهقرت أخلاقيا ــ الى الهمجية والحيوانية

اليابان : تحذو حذو المانيا فى جعل نظامها الحربى نظاما اشتراكيا . وقد سنت حديثا قانونا للتعبئة العامة جعلت فيه كل عمل وكل مرفق وكل مصنع ، وكل مورد رزق ، تحت سلطة القوة الحربية بحيث أنها تستطيع أن تحشد جميع الرعايا اليابانيين لأغراض التعبئة العامة ، وان تشرف على الانتاج والتوزيع ، وان تمنع ما تشاء من الصادرات أو الواردات ، وان تفرض ماتشاء من الضرائب . ولها ان تنشىء شركات أو أن تزيد رأس مال الشركات ، وان تتولى ادارتها وتوزع أرباحها ، وان ترقب الاسعار ــ وبالاختصار تكون الحكومة مسيطرة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية سيطرة مطلقة ــ أعني تصبح الأمة كلها محاربة

روسيا السوفياتية: لأنها اشتراكية النظام سيطرت بطبيعة الحال على كل قوة عاملة فى البلاد أكثر من سيطرة ألمانيا واليابان . ولذلك يعد نظام سلاحها البرى أعظم نظام ، لأن فى وسعها أن تعبىء عشرات الملايين أوجيشا عرمرماً فى الحال . وأعمال التسليح فيها قائمة على ساق وقدم ولا سيما فى الطيران وبناء الغواصات . وكل ذلك من أسرارها التى لا تبوح بها ، ولكنها لا تخفى كل الخفاء على المراقبين والجواسيس

الولايات المتحدة الامريكية: باذلة كل جهد فى كل نوع من التسليح . وفى وسعها أن تعبىء فى الحال نصف مليون جندى، وفى كل شهر نصف مليون أيضا . وسلاحها الجوى من الطراز الاول . فعندها تسعمائة طائرة برية وتسعمائة طائرة بحرية مجهزة باحدث الوسائل العصرية . وهى تزيد عليها كل يوم

وقد اصطنعت نوعا من الطائرات يمتاز على كل أنواع الطائرات التى تتسلح بها دول أوروبا . ومزيتها أن محركاتها ومراوحها وراء الأجنحة لا أمامها ، وأنها ذات مدى أبعد جداً من غيرها فى اطلاق النار وأدق فى اصابة الأهداف ، وأجنحتها منخفضة . وكلها مصنوعة من المعدن الخفيف ، وتحمل خمسة جنود ثلاثة منهم لاطلاق المدافع

ويقول الماجور جنرال أوسكات سنوفر قائد فرق الطيران : إن التجارب التى أجريت بهذا النوع حلت مسألة طائرات المطاردة وأنها ذات شأن خطير فى الأعمال الحربية القادمة

وهناك نوع آخر من الطائرات ذات شأن عظيم فى الخطط الحديثة الجوية لأنهـا تستطيع أن تحصل على المعلومات الحربية وهى على ارتفاع عظيم فى الجو

وفى عزم الولايات المتحدة أن تبنى من السفن الحربية زيادة على ما ذكر فى الجدول ٤ مدرعات وحمالتين للطائرات و ١٠ بوارج ضخمة و٣٦ نسافة لمقاومة الطوربيد و٣٢ غواصة

***

ذلك استعداد الدول الحربى حتى هذا العام . وليس فى جو السياسة الدولية ما يدل على أن الدول ستقف عند هذا الحد ما دام التنافس فى التسليح ناشطا

استعداد هائل مخيف يمتقع له وجه السلم فرقا . يستهلك كل قوة عقلية وعضلية أوتيها الانسان ، وكل انتاج علمى وفنى وعملى ، وكل ثروة . يعنى أن أفراد الامم لم يبقوا يعملون لأجل هنائهم وسعادتهم بل لأجل التنكيل بعضهم ببعض ـ لأجل فنائهم العاجل . كأن المدنية الحالية ستصبح اتونا يندلع لهيبه الى السماء ويحترق فيه كل شىء من معالمها ويتطاير دخانا وغباراً فى الفضاء

ترى هل تجمع بعلزبول سيد جهنم فى فتح ملكوت الانسان على الارض فنقل عرشه الى هذا السيار الأرضى وأتى بجنوده وقومه لاحتلاله ؟

لله من هذا الحيوان العاقل ـ ما أجنه !!! نقولا الحداد

بحث في النحو والصرف مهدى الى صاحب المعالي
وزير المعارف ورئيس مجمع اللغة العربية

تبسيط قواعد اللغة العربية

بقلم الاستاذ حسن الشريف

نشطت هيئاتنا اللغوية أخيراً الى بحث الوسائل التى تيسر لتلاميذ المدارس دراسة قواعد العربية وبلاغتها . ولكن الاستاذ حسن الشريف يرى أن يوسع نطاق البحث فيشمل قواعد اللغة نفسها وما يراه فيها من تعقيد وتناقض . و«الهلال» ــ وهو مجمع شتى الآراء العلمية والادبية ــ لا يسعه الا أن ينشر هذه الآراء الجديدة معداً صفحاته لنشر ما يراه فيها من يعنيهم هذا الامر

إذا سافرت إلى أوربا أو أمريكا وارتدت جميع بلادها فأنت سائح أو مسافر لا يهتم أحد بسفرك ولا بسياحتك . أما اذا ارتدت قطبا من القطبين أو مجهلا من مجاهل أفريقا ، فأنت رحالة أو مستكشف يتحدث الناس عنك وتهتم الدنيا بأخبارك . ذلك لان السفر الى البلاد المتحضرة والتجول فى أرجائها أمر سهل بل جد ميسور لا يستحق صاحبه نعتا ولا لقبا ، أما ارتياد المجاهل والمحيطات المتجمدة فهو شاق وجد عسير لا يضن الناس على مرتادها بلقب يميزه من عامة المسافرين

واذا سألتنى ما فائدة تقديم المقال بهذا الكلام السخيف ، قلت لك انى أسوقه وأنا عالم بسخفه لأن المثل المضروب فيه ينطبق على الذين يتعلمون اللغات

فأنا وأنت نجيد التكلم والكتابة بثلاث أو أربع لغات أوربية ومع ذلك فالأوربيون لا يسمعون بنا ولا يعلمون عنا شيئا . أما الفرنسى الذى يلم باللغة العربية الى جانب لغته فهو « مستشرق » تحفل الدنيا به وتعطره المجامع العلمية والصحف آيات الاكبار والاطراء

لماذا ؟ ــ لان اللغات الاوربية سهلة التناول ميسورة الدرس لا عسر فى تعلمها ولا عناء ، فلا فضل لمن يلم بالكثير منها الا فضل الرجل المتعلم . أما اللغة العربية فمثلها كمثل القطبين أو مجاهل القارة السوداء لا يقدم عليها الا الجرىء المغامر والشجاع المخاطر ، فلا جرم أن يسمى الذى يتعلمها من غير أبنائها « مستشرقا » أو « مستعربا » تمييزاً له من سائر المتفقهين فى اللغات

وهذا لعمرى حق لا مرية فيه . فاللغة العربية عسيرة على من يتعلمها وحسبنا دليلا على عسرها أن أحداً من أبنائها لم يحط بها احاطة كاملة منذ خلقها الناس الى اليوم ، وأن

أحداً من كتابها وقرائها لم يسلم من اللحن والخطأ فيها منذ بدأ الناس يقرأونها ويكتبونها حتى هذه الساعة

والسبب ؟ — السبب أنها لغة عسيرة بنحوها ، عسيرة بصرفها ، عسيرة برسمها ، عسيرة بترادفاتها

وسأقصر كلامي في هذا المقال على عسرها من الناحية النحوية ، تاركا نواحي عسرها الاخرى الى مقالات تالية أرجو أن يشاء الله ان أكتبها أو أن يكتبها من هو خير مني وأكفأ

الأجرومية العربية عسيرة غاية في العسر ، معقدة غاية في التعقيد ، يدلك على ذلك ما يلاقيه الطلاب من الصعوبة في فهمها واستظهارها وما يجده المعلمون من الصعوبة في تعليمها وتلقينها ، ويدلك على ذلك أيضا أن من الناس من يمضون نصف العمر في دراستها ثم يخرجون منها بمحصول لا يساعدهم على تحرير مقالة سليمة من اللحن والخطأ

ولقد أحست وزارة المعارف ذلك فعهدت الى لجنة من خيرة أدباء مصر أمر النظر في تيسير وسائل تعليم قواعد النحو على المدرسين وتسهيل فهمها وحفظها على التلاميذ . ولست هنا في مقام تقدير عمل هذه اللجنة ولا فحص النتائج التي وصلت اليها . وانما ألاحظ أن الوزارة أخطأت اذ توخت تيسير تدريس القواعد النحوية بدلا من أن تتوخى تيسير هذه القواعد نفسها . وهي لو فعلت لأسدت للغة العربية وأهلها خدمة لاتقدر ، ولوصلت الى اليسر الصحيح من طريقه الطبيعي المأمون ، لا من هذا الطريق الذي لا يمكن ان يؤدي الى يسر يحسن الاكتفاء به أو السكوت عليه

ووزارة المعارف اذ تكتفي بتيسير طرائق تعليم القواعد النحوية وتغفل تيسير القواعد ذاتها انما هي كطبيب يريد ان يشفي مصابا بتخمة فلا يعالج التخمة وانما يعلم المصاب طريقة يتناول بها الاطعمة التي تتخمه من دون أن يخفف هذه الاطعمة أو يغيرها ، ليس العيب عيب المعلمين ولا عيب المتعلمين ولا عيب طرق التعليم ، وانما هو عيب الاجرومية العربية المعقدة العسيرة التي تحدث التخمة في عقل الاستاذ والتلميذ ، فعالجوا هذه الاجرومية نفسها وهذبوها وبسطوها وهونوا عقدها وألغازها ينتظم الامر للمعلم والمتعلم ويسهل على كليهما حفظ النحو والافادة منه خير افادة . أما الوقوف عند حد الاستغناء عن الاعراب التقديري بالاعراب المحلي ، أو الاستغناء بألقاب البناء عن ألقاب الاعراب ، فليس بالدواء الشافي الذي ييسر الأجرومية على طالبها واللغة العربية على الراغبين في تعلمها

هذه الاجرومية العربية ملأى بقواعد يمكن حذفها برمتها من دون أن يترتب على هذا الحذف تغيير جوهري في ضبط الكتابة ولا تعسير في فهم الكلام . وهي أيضا ملأى بقواعد يمكن تهذيبها واقتضابها من دون المساس بجوهر اللغة وأساسها . والمصيبة أن هذه القواعد ليست أيسر

ولا أهون ولا أفيد ما في كتب النحو وانما هي أكثرها طولا وأشدها تعقيداً وأقلها فائدة

ليطمئن أصدقائي الذين يخشون ان أتورط في هذا البحث الشائك فلا يسهل علي الخلاص منه ، ليطمئنوا فلست أريد باللغة شراً ولا بالنحو سوءاً وانما أريد بالمتعلمين اليسر الذي يحبب اليهم هذه اللغة الجميلة الكريمة ويزيد من اقبالهم عليها . أريد ان أجعل لغتنا سهلة التناول سهلة الهضم يتلقنها الناس في غير مشقة ولا عناء فتدخل بقدم ثابتة في عداد اللغات الحية بدلا من أن تموت أو تظل كما هي الآن لا بالحية ولا بالميتة

نعم ان لمن العار أن أهدم بيدي بيت آبائي وأجدادي ، ولكن ليس من العار بل ان من دواعي الفخر والشرف ان أجدد في هذا البيت العتيق فأدخل عليه الماء الجاري في الانابيب ، والنور الكهربائي السارى في الاسلاك ، والادوات الصحية التي تحبب الى الاقامة فيه وان أفتح في حيطانه النوافذ التي أحظى منها بالشمس المنعشة والهواء المتجدد

واللغة قبل كل شيء وسيلة لا غاية فبمقدار ما تكون الوسيلة سهلة ميسورة يكون بلوغ الغاية سهلا ميسوراً . والغاية من اللغة هي التفاهم ، فلنتفاهم بأبسط الوسائل وأقربها الى التناول وأهونها على العقل والذاكرة . أما الذين يقولون إن اللغة غاية فلا كلام لي معهم والزمن وحده كفيل بان يهديهم سواء السبيل

خذوا مثلا موانع الصرف وقولوا لي كم يقضي الطالب من أيامه في مذاكرتها واستظهار أوزانها وقواعدها ومستثنياتها ، ثم قولوا لي مافائدة وجود هذه الموانع وماذا يضير اللغة اذاحذفت كلها بجرة قلم ؟

لقد تحلل الشعراء من موانع الصرف فلم يفسد الشعر ولم تفسد اللغة بل انقاد للشعراء عصيهما وسلس قيادهما وفازوا من وراء هذا التحلل بيسر عظيم . ولقد أقرهم النحاة على ما فعلوا فقالوا : « يصرف الشاعر مالا ينصرف » ، فماذا عليهم اذا خرجوا من تزمتهم مرة أخرى وقالوا : « والناثر أيضا يصرف ما لا ينصرف » فنتخلص من عناء حفظ أوزان كثيرة وقواعد متعددة كأوزان صيغة منتهى الجموع وأوزان فعلان وأفعل وفعل وقواعد التركيب المزجي والأعلام الاعجمية والاعلام المؤنثة المنتهية بتاء التأنيث أو الالف الممدودة أو الاعلام المؤنثة غير المنتهية بتاء التأنيث والألف الممدودة والاعلام المؤنثة الثلاثية الساكنة العين والاعلام المنتهية بالالف والنون والفرق بين وزن أفعال وأفعلاء كأنباء وأشياء ؟

بالله ما الفرق بين عائشة وزينب واسماء وهند حتى يكون لكل علم من هذه الأعلام الأربعة حكم خاص في الأجرومية يجب أن نحفظه عن ظهر قلب ، فنعرف أن الأول ممنوع من الصرف للعلمية وانتهائه بتاء التأنيث ، والثاني ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ولو أنه غير منته بالتاء ، والثالث ممنوع من الصرف للعلمية وانتهائه بألف ممدودة ، والرابع منصرف رغم علميته وتأنيثه

لأنه ثلاثى ساكن الوسط أو ساكن العين كما يقول النحاة !!

وما الفرق بين محمد واحمد وكثيراً ما يجتمعان اسما لشخص واحد فيكون نصف هذا الاسم منصرفا ونصفه الثانى ممنوعا من الصرف لا لشىء إلا أن محمدا على وزن مُفَعَّل واحمد على وزن أفعل ؟

وما الفرق بين ابراهيم وطلحة ومعديكرب وعثمان وعمر حتى يكون لكل واحد من هؤلاء السادة حكم فى النحو قائم بذاته ؟ فالأول ممنوع من الصرف لأنه أعجمى والثانى لأنه فى صيغة التأنيث والثالث لأنه مركب تركيبا مزجيا والرابع لأنه منته بالألف والنون والخامس لأنه على وزن فُعَل.

وماذا يضير اللغة وكتبها وأساليبها وطابعها اذا قلنا مساجداً بدلا من مساجدَ ، ومصابيحا بدلا من مصابيح فنستغنى عن حفظ أوزان مفاعل ومفاعيل وصيغة منتهى الجموع ؟

احذفوا موانع الصرف بجرة قلم أو اقتطعوا الصفحات الخاصة بها من كتب النحو فلن تتغير معانى الكلام ولن تنحط أساليب الكتابة وأنما ستوفرون على المعلمين والمتعلمين عناء لا طائل من ورائه وجهداً لا فائدة فيه

***

اقرأ بيتا من الشعر لشوقى يقول فيه :

ان رأتنى تميلُ عنى كأن لم تكُ بينى وبينها أشياء

وأراجع كتاب النحو فأجد أن «إن» حرف شرط جازم يجزم فعلين يسمى أولهما فعل الشرط والثانى جوابه وجزاءه . فما بال شوقى يحيد عن هذه القاعدة المعروفة فيرفع « يميل » حين يجب جزمها بحكم وقوعها جزاء للشرط ؟

هنا يطل محمد بن مالك من بين دفتى الألفية المشهورة باسمه ويقول :

« ورفعك الجزا بعد ماض حسن ورفعه بعد مضارع وهن »

ومعنى هذا أنه يحسن رفع جزاء الشرط اذا كان فعله ماضيا ولا يصح رفعه اذا كان فعله مضارعا . وهذا استثناء من حكم القاعدة العامة لا يعرفه سوى المتعمقين فى علم النحو ، وهو فى الوقت نفسه حشو لا لزوم له وفى حذفه تخفيف عن الطالب لا يترتب عليه ضرر ولا ضرار

***

ويقرر النحاة ان «أن» المخففة من «أنّ» الثقيلة تنصب الفعل المضارع . ولكنهم لا يلبثون حتى يلحقوا بهذا القرار استثناء كنا نتقبله مستسلمين لولا أنه يترتب عليه استثناء آخر يربك الذهن ويرهق الذاكرة

ذلك بأنهم يقولون ان السين اذا حالت بين « أن » الناصبة والفعل المضارع أبطلت عملها وعندئذ يجب أن نرفع الفعل وأن نقرأ :

« زعم الفرزدق أن سيقتلُ مربعا » لا أن سيقتلَ

والى هنا نرى أن الخطب يسير . ولكن هذا اليسر ينقلب عسراً عند ما نجد النحاة يفرقون بين الأفعال التى تفصل السين بينها وبين « أن » الناصبة ويقسمونها قسمين يسمون أحدهما « أفعال اليقين » ويسمون القسم الثانى «أفعال الظن والترجيح» ثم يقررون أن السين إذا وقعت بين « أنْ » وفعل من أفعال اليقين فقد وجب رفع الفعل وابطال عمل « أن » ، أما اذا وقعت بين « أن » وفعل من أفعال الظن والترجيح فلك أن تنصب الفعل أو ترفعه كما تشاء . وهنا يجب أن نحفظ عن ظهر قلب قائمة طويلة هى قائمة أفعال اليقين وقائمة أخرى هى قائمة أفعال الظن والترجيح فيختلط علينا الأمر وتتعقد المسائل وتتخبط فى ظلام كثيف

ولقد يحق لنا أن نتساءل ما الضرر الذى يصيب اللغة واللغويين اذا ألغينا هذا الاستثناء من أساسه وقررنا أن السين لا تبطل عمل «أن» الناصبة ، أو اذا ألغينا على الأقل ذلك التفريق بين أفعال اليقين وأفعال الظن والترجيح ؟ اللهم لا ضرر أيضا ولا ضرار وانما فى ذلك تيسير وتبسيط وتسهيل

***

وترى ١٢ امرأة فتقول هؤلاء اثنتى عشرة امرأة وتجد العدد متفقا مع المعدود فترتاح الى ذلك وتقول لنفسك : ما أسهل قاعدة العدد . ولكن يسوق الله امرأة تنضم الى النسوة اللاتى رأيتهن فيصرن ١٣ فتنقلب تلك القاعدة اللطيفة رأسا على عقب وتجد نفسك تسير فى دهاليز من النحو وسراديب ومغاور وكهوف يطيش فيها اللب ويطير الصواب

لما كان النسوة ١٢ كان العدد مطابقا فى التأنيث للمعدود ، فلما زدن واحدة وجب أن نذكر صدر العدد وأن نؤنث عجزه . وبعد أن كنا نقول : اثنتى عشرة امرأة ، صرنا نقول ثلاث عشرة امرأة . واذا كان المعدود رجالا فقد وجب أن نقول ثلاثة عشر رجلا بعد أن كنا نقول اثنى عشر . أما اذا كان المعدود من ثلاثة الى عشرة فيجب أن نجعل العدد على عكس نوع هذا المعدود فنقول ثلاث فتيات وثلاثة فتية وعشر مسائل وعشرة رجال . . . أما العشرات الصحيحة والألوف فالاعداد فيها لا تتغير بتغير جنس المعدود ، فنقول عشرون رجلا وعشرون امرأة وألف مسألة وألف محارب . ولعدد المائة حكم مضطرب لا يخلو من غرابة : فانت تعلم أن جمع مئة «مئات» كما أن جمع ضربة « ضربات » ولكنك اذا قلت « ٥٠٠ » فأنت تقولها خمسمائة لا خمسمئات كما تقتضيه قاعدة جمع المؤنث السالم ولا نعرف السر فى إفراد مائة حين يجب جمعها . فاذا أردت بعد ذلك أن تستطرد فى تطبيق هذا الشذوذ وتقول بضع مئة كان كلامك خطأ وكان الصحيح

أن تقول بضع مئات . فأى فرق بين خمسمئات وبضع مئات حتى تختلف الاولى عن الثانية ؟ !

أليس السهل والمعقول أن نوفق بين العدد والمعدود فى التذكير والتأنيث بلا استثناء فنقول ثلاثة فتيات وأربع كتب وخمسة عشرة امرأة وثلاث وعشرون رجلا وبضع أيام وبضعة سنين ، وبذلك نريح أدمغة للعلمين والطلاب من تذكير الصدر وتأنيث العجز عند ما يكون المعدود مؤنثا ، وتأنيث الصدر وتذكير العجز عند ما يكون المعدود مذكراً ومن جعل العدد عكس المعدود اذا كان هذا المعدود من ثلاثة الى عشرة ؟

ما أظن ان احداً ينكر ما يترتب على تعديل قواعد العدد على هذا المنوال من اليسر الكبير ، ولكنها القاعدة الملعونة ، قاعدة القديم على قدمه هى التى تريد بنا العسر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

وان أعجب فعجبي لقضية نائب الفاعل فى الأجرومية العربية . يقولون ان نائب الفاعل هو الاسم المرفوع الذى يحل محل الفاعل بعد حذفه . وهذا تعريف غير صحيح . والصحيح أن تقول أن نائب الفاعل هو المفعول المنصوب الذى يرفع ويحل محل الفاعل بعد حذفه . وهذا تعقيد غريب لا مبرر له . تقول ضرب محمد عليا فمحمد هنا هو الضارب أى الفاعل وعليا هو المضروب أى المفعول ، فاذا حذفنا الفاعل أى الضارب أو جهلناه جئنا بالمفعول ورفعناه وأحللناه محل الفاعل أى محل الضارب مع أنه هو المضروب . فهل هذا منطق مستقيم ؟ ولعمرى لو أن المقام مقام محاكمة لكانت مصيبة على مزدوجة : فهو مضروب ويقدم للمحاكمة بدلا من ضاربه اذا لم تهتد اليه النيابة

أليس المعقول فى حالة بناء الفعل للمجهول أن يظل المفعول منصوبا ويكتفى بقلب الفعل فنكتب: قُـتِـلَ عليًا فنعلم أن عليا مفعول وقع عليه فعل فاعل مجهول ونقتصد بذلك قاعدة رفع المنصوب واحلاله محل الفاعل ؟

* * *

ومشكلة جموع التكسير التى جعلت اللغة العربية فى حجم أربع أو خمس لغات ، اليست جديرة بالنظر ؟ يجمعون « بائس » على بائسون وبؤس وبأسى وبوس وبؤساء . ويجمعون « زهر » على زهر وأزهار وأزاهر وازاهير وزهور . وهكذا اضطر الى حفظ أربعة أو خمسة جموع للكلمة الواحدة أحشو بها عقلى حين يغنينى جمع واحد يفيد المعنى الذى أقصده . فاذا كان فى ذاكرتى متسع لخمس كلمات أخرى فلتكن من لغات أجنبية وبذلك أتعلم خمس لغات أجنبية بدلا من خمس لغات عربية ....

ولعمرى هل تعدد صيغ الجمع للمفرد الواحد فى اللغة العربية إلا نتيجة استباحة شعراء العرب صياغة الجموع كلما اقتضى وزن البيت صيغة جديدة ؟ كان الشاعر منهم يعرف أن جمع صديق أصدقاء ، فاذا استعمل أصدقاء وانكسر البيت عمد الى صيغة جمع يبتدعها لتناسب الوزن والبحر

فيقول «صدقان» ، وهكذا تدخل صدقان فى اللغة لا لأنها صيغة جمع صحيحة لصديق ولكن لأن هذا الشاعر أو ذاك ابتدعها تسهيلا لنظم البيت ، وهكذا الحال فى كل جموع التكسير التى تضخمت بها اللغة العربية حتى صارت عبثا على الذاكرة لا يطاق

واقتراحى لعلاج هذه الفوضى التى يسميها بعضهم غنى وسعة هو أن جميع الاسماء التى يجوز جمعها جمعا مذكراً سالما وجمع تكسير يكتفى فيها بصيغة جمع المذكر السالم وتلغى صيغ جموع التكسير الاخرى فنجمع « كافر » على « كافرون » ونلغى « كفار » و « كفرة » و « كوافر » ونجمع « كاتب» على كاتبون ونلغى « كتاب » و « كتبة » . وهكذا . أما الاسماء التى لا تجمع جمعا سالما فتبقى لها صيغة واحدة من صيغ جموع التكسير ، فنجمع « زهر » على أزهار ونلغى أزاهر وأزاهير وزهور . ولا بأس من استبقاء هذه الصيغ المتعددة فى المعاجم الكبرى ليتيسر للمتخصصين فهم الكتب القديمة والأدب القديم

***

كذلك يجب تحديد أوزان المجرد الثلاثى تحديداً يجنبنا اللحن فى القراءة ، لأن المحدد من هذه الأوزان غير كاف ولأنه ليست هناك قواعد واضحة أو غير واضحة لضبط قراءة الأفعال الثلاثية المجردة

خذ مثلا هذه الحروف الثلاثة : ع . س . ف . ومنها تتكون كلمة « عسف » . فهل تستطيع بعد أن تكون قد قرأت النحو من أول الكفراوى إلى آخر الأشمونى ماراً بابن مالك وابن عقيل أن تجد قاعدة تعينك على قراءة هذه الكلمة قراءة صحيحة ؟ لا . بل إنك لتحار فى قراءتها فلا تدرى أهى « عَسَفَ » أم « عَسِفَ » أم « عَسُفَ » والمصيبة أن الأجرومية التى وضعت لضبط القراءة لا تسعفك فى حيرتك ولا تأخذ بيدك لتهديك الى القراءة السليمة بل تحيلك الى السماع

وعجيب أن تكون الأفعال : نصر وضرب وفتح على وزن واحد فى الماضي وأن يختلف مضارع كل منها عن الآخرين فتقول : ضرب يضرِب ، ونصر ينصُر ، وفتح يفتَح . فهل لا يحسن أن نضع ضوابط لتلك الاختلافات بدلا من أن نعتمد فيها على السماع ؟

***

وأبواب المنادى والمستثنى ، أليست وحدها كفيلة بأن تخلق الاضطراب فى الذهن لتراكم قواعدها وتعقد أصولها وفروعها ؟ فالمنادى المفرد يبنى على ما يرفع به اذا كان معربا ، وعلى ما كان مبنيا عليه قبل النداء اذا كان مبنيا . وهو يرفع اذا كان علما مقصوداً أو نكرة مقصودة وينصب اذا أضيف وينصب اذا كان نكرة غير مقصودة ثم يعود فيرفع لأسباب أخرى ثم يعود فينصب لأسباب غيرها . والمستثنى فى الأصل منصوب ولكنه يرفع فى حالات خاصة ويجر فى حالات

غيرها وهكذا مما لا نهاية له من الأصول والشذوذ . فلم لا نتفق على أن يلزم النادى والمستثنى حالة واحدة من الحالات فيكون منصوبا دائما أو مرفوعا دائما فنوفر على أنفسنا عناء حفظ كل هذه الشواذ والاستثناءات ؟

***

و « ما » الحجازية التى تعمل عمل ليس فى مثل قولهم « ماهذا رجلا » لماذا يبطل عملها اذا تلتها « الا » فتقول « ما هذا الا رجل » مع أن « الا » هذه لا تبطل عمل ليس فتقول « ليس هذا الا رجلا » ؟ أليس الخير أن يكون حكم « ما » الحجازية كحكم ليس ما دامت تعمل عملها وعندئذ يحسن الغاء حكم « الا » الذى يبطل هذا العمل ؟

***

والمعطوف الذى يجب أن يتبع المعطوف عليه فى الرفع والنصب والجر ، لماذا يأتى ابن مالك فى ألفيته فيقول :

وجائز رفعك معطوفا على   معمول إن بعد أن تستكملا
وألحقت بإن لكن وأن   من دون ليت ولعل وكأن

ومعنى ذلك أنه يجوز رفع المعطوف على المنصوب بإن ولكن وأن ولا يجوز ذلك فى المعطوف على المنصوب بليت ولعل وكأن

لماذا هذا الشذوذ والتعقيد ، ولم لا يظل المعطوف متفقا والمعطوف عليه فى جميع الحالات ؟ ثم لماذا التفريق بين النواصب فى الحكم فتستثنى ليت ولعل وكأن مما تمتع به إن ولكن وأن ؟

***

وبعد فأرانى قد أطلت حيث كنت أتوخى الايجاز وأجدنى قد دخلت فى التفاصيل حين لم أشأ الا الاجمال . ولكنها أمثلة لم يكن لى بد من أن أضربها لأقول إن فى الأجرومية العربية أبوابا من ذلك النوع يمكن الغاؤها أو تعديلها أو اختصارها أو وقف أحكامها على حالات دون حالات أخرى تيسيراً للطلاب وتخفيفا عن المعلمين حتى يسهل النحو فتسهل اللغة فيقبل عليها المتعلمون من أبنائها ومن الأجانب عنها غير هيابين عسرها ولا وجلين من مشاكلها وعقدها

نعم تلك أمثلة يتبين منها أصحاب العقول السليمة أن اصلاح الأجرومية ممكن أن يتم من دون أن تزعزع أساس اللغة أو نغير فى جوهرها ، فما على الراغبين فى الاصلاح الا أن يحذوا هذا الحذو وينهجوا هذا النهج مع ما يرون وجوبه من تعديل وتحوير فانهم إن شاء الله لواصلون

على أننى لا أرى لى مندوحة من أن أحتاط لاعتراضات سوف يواجهنى بها بعض المتزمتين ولا بد لى من الرد عليها سلفا عسى أن أوفر عليهم وعلى نفسى مشقة الجدل العنيف

سيقولون : هب أصحاب العربية أخذوا برأيك وعدلوا النحو ذلك التعديل الذى تقترحه ،

فكيف يقرأون القرآن بعد ذلك وهو كما تعلم أساس اللغة وأساس الدين ؟ فأقول :

أولا : إن التعديلات التى اقترحتها لا تمس أحكام النحو الأساسية التى تتعذر بغيرها قراءة القرآن الكريم . فالغاء موانع الصرف وقولنا « مساجداً » بدلا من « مساجد » لا يغير معنى الكلمة ولا يبعد بالقارىء عن مرماها . وجعل العدد من جنس المعدود وقولنا « أربعة مسائل » بدلا من « أربع » لا يزيد هذا العدد ولا ينقصه ولا يحدث فى ذهن القارىء أى لبس أو اضطراب . والزام المنادى بالنصب فى جميع حالاته لا يخرجه عن كونه منادى ، فاذا ناديت « يا محمداً » بدلا من « يا محمد » فسيسمع محمد وسيجيب . وإذا نصبت نائب الفاعل وقلت : قتل عليا ، فسيفهم القارىء أن عليا قتل ولن يفهم غير ذلك فلا لبس ولا اضطراب . والاكتفاء بجمع واحد من جموع التكسير لن يلغى الجموع الأخرى وإنما سيهملها فى الاستعمال فتندثر كما اندثر كثير من الكلمات وإذا صادفناها فى القرآن الكريم فلن نظن أنها خطأ وإنما سنذكر أنها جمع مهجور . وهكذا الحال فى جميع القواعد التى ذكرتها

ثانيا : إن دراسة القرآن ونحوه وصرفه وأسلوبه إنما هى دراسة عالية لا تتلقاها إلا طبقة خاصة من المتعلمين لا يمكن لغيرها من طلاب المدارس الثانوية مثلا أن يشاركوها فيها مشاركة تؤدى إلى فهم كتاب الله فهما صحيحا

وكما أن للقرآن أسلوبا خاصا انفرد به بين أساليب الكتابة العربية فان له نحواً خاصا يسمو فى كثير من المواضع عن القواعد التى نقرأها فى كتب النحو المتداولة بين أيدى الطلاب حتى اننا لا نتجاوز الحق إذا قلنا إن هذه الكتب وحدها لا تكفى لاعراب بعض آيات القرآن بل لا بد من الاستعانة بالتفاسير للتمكن من الاعراب . وإلا فكيف نعرب كلمة « الصابرين » فى قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء » . كيف نعرب كلمة الصابرين المنصوبة هنا مع كونها معطوفة على جميع المرفوعات التى سبقتها إلا إذا عاونتا المفسرون ؟

ولا شك أن الذين يتلقون الدراسة العالية فى الأدب والنحو وفقه اللغة يتعمقون فى ما يتعلمونه أصول القواعد وتطوراتها ويقفون على الأدوار التى مرت بها ويعرفون ما هجر منها وما بقى فاذا قرأ أحدهم قول الله تعالى : « إنّ هذان لساحران » — وهى قراءة معترف بها الى جانب القراءة الثانية : « إن هذان لساحران » — فهو لا يقف حائراً عند « هذان » كما يقف طالب شهادة الدراسة الثانوية ولا يتساءل لماذا لم ينصبها القرآن وهى واقعة فى اسم إنّ . نعم إن صاحب الدراسة العالية لا يقف عند هذا الرفع الذى يبدو شذوذاً وما هو بالشذوذ بل سيعلم من أول

نظرة أن الكتاب الكريم نزل بمختلف لغات العرب وأن من تلك اللغات لغة قبيلة بلحرث التى كانت تلزم المثنى بالألف فى جميع حالاته وأن فى قوله تعالى « إن هذان لساحران » استعمالا لقاعدة كانت موجودة ولكنها هجرت الآن فلا تحتويها كتب النحو المتداولة

ومتى قررنا أن القرآن الكريم ليس فى متناول رجل الشارع بل ولا فى متناول المتعلم العادى وأن دراسته ودراسة أسرار نحوه وقف على خاصة الخاصة من المتعلمين ، وجب أن نعترف بأن لا محل للخوف على كتاب الله من ذلك التعديل الطفيف الذى نقترحه ، لأن خاصة المتعلمين ستتعلم النحو المعدل والنحو القديم معا ، وستعرب القرآن طبقا لقواعد النحو القديم رغم أخذها بالنحو الجديد كما نعرف اليوم قواعد بلحرث ولا نعمل بها ، ولأن عامة المتعلمين يستوى لديها هذا التعديل وعدمه ما دامت تجهل أسرار نحو القرآن ولا تطمع فى تعلمها

ألسنا نحن عامة المتعلمين نقرأ اليوم القرآن الكريم ونفهمه رغم سمو نحوه عن النحو الذى ندرسه فى المدارس سموا يكاد يصل الى حد الاختلاف ؟

ألسنا نقرأ قوله تعالى : «جنتان ـ ذواتا أفنان » ونراه يثنى « ذات » بذواتا مع أن نحونا يقول أن مثنى ذات « ذاتا » ؟

وقوله تعالى : « رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » فنفهم المعنى وان فات بعضنا سر جزم « أكن » مع مجيئها معطوفة على فعل « أصدق » المنصوب بفاء السببية ؟

وقوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » فنفهم معنى الآية وان كنا لا نفهم لماذا قال « كن فيكون » بدلا من « كن فكان » ما دام سياق الرواية كله فى صيغة الماضى ؟

وقوله تعالى : « يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما » فلا ندرك سر نصب « الظالمين » الا عند ما يقول لنا المفسرون انها منصوبة على التخصيص ؟

وقوله تعالى : « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » فنسأل كتب النحو لماذا لم يقل « طائعتين » بدلا من « طائعين » وهو يخاطب مثنى والمجيب مثنى أيضاً ، فلا تسعفنا كتب النحو بجواب وانما يسعفنا المفسر بقوله ان المجيب هنا هم سكان السماء والارض فنفهم المعنى وان اختلفت القاعدة ؟

وقوله تعالى : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا » فنفهم المراد وان عجبنا لتأنيث العدد مع أن المعدود مذكر . واذا قيل لنا ان السبط يذكر ويؤنث فسنظل نعجب من جمعه المعدود ونتساءل لماذا لم يقل « اثنتى عشرة سبطا » ؟

وقوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون من آمن بالله . . الخ »

فنفهم معنى الآية ويدهشنا في الوقت نفسه رفع « الصابئون » رغم كونها معطوفة على المنصوبات التي قبلها وكلها واقعة في اسم ان ؟

وقوله تعالى : « لكنِ الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله وباليوم الآخر » فنفهم أيضا معنى الآية ونحن لا ندرى من سر نصب « المقيمين الصلاة » مع كونها معطوفة على المرفوعات التي سبقتها وأعقبتها الا ما يقوله المفسرون من أنها وحدها منصوبة على التخصيص ؟

فهل حال نحو نحو القرآن على نحونا المألوف وعجزنا عن اعرابه وفقا لما درسنا من القواعد دون فهم القرآن على وجهه الصحيح ؟ واذا كان ذلك فأى خوف عليه اذا زدنا هذا التباين زيادات طفيفة تجعل النحو العربي أقرب الى المنطق وأيسر على الفهم وأسهل على المعلمين والمتعلمين ؟

اللهم اذا كان المراد بالمحافظة على النحو الحالي المحافظة على كتاب الله كما نزل ، فكتاب الله بأسرار أساليبه وأسرار نحوه وأسرار بلاغته محفوظ عند المتخصصين والمتوسعين في اللغة والنحو ، ولدينا من هؤلاء بين خريجي الازهر ودار العلوم وكلية اللغة العربية وكلية الآداب فوق الكفاية . أما اذا كان المراد بالمحافظة على النحو الحالي جعل القرآن الشريف في متناول رجل الشارع والمتعلم العادى وطالب المدارس الثانوية فذلك خطأ في تصور الأشياء ومطلب مستحيل

ثالثا — الدين الاسلامي ليس وقفا على المتكلمين بالعربية بل هو شائع بين مسلمى الصين والهند وروسيا وتركيا وبولونيا وغيرها ، وهؤلاء المسلمون المقيمون في مختلف بقاع الارض والذين يبلغ عددهم عشرات أضعاف عدد المسلمين المتكلمين بالعربية لا يعرفون اللغة العربية ولا نحوها وهم رغم ذلك مسلمون لا شك في اسلامهم يتلقون أحكام القرآن من أساتذتهم وفقهائهم ، فهل ضاع الاسلام في تلك الأمم التي تدين بالقرآن وهي لا تعرف له نحواً ولا صرفا ؟

وهنالك اعتراض ثان يتعلق بالأدب العربي القديم ذلك التراث الغالي الثمين الذي يجب أن نعض عليه بالنواجذ في سبيل المحافظة عليه . فسيقول بعضهم : كيف نقرأ هذا الادب وكيف نفهمه إذا عدلنا عن نحوه إلى نحو آخر ؟ وجوابنا على هذا الاعتراض هو نفس جوابنا على الاعتراض بالقرآن الكريم : فالأدب العربي القديم من شأن خاصة المتأدبين لا عامتهم ، وهذه الخاصة تدرسه كما يدرس طلاب الأدب في الجامعات الراقية أدبي اليونان واللاتين بنحوهما وصرفهما فلا يضيع كما لم يضع هذان الأدبان . وإلا فمتى كان أدب الجاهليين والامويين والعباسيين في متناول العامة حتى نخشى عليه أن يضيع منها ؟

ولسائل أن يسألنا : « أليس في أجروميات أرقى اللغات الاوربية وأوسعها انتشاراً عقد ومشاكل وشواذ كالتي نجدها في النحو العربي ، فما بال تلك الامم ترضى بأجرومياتها ولا تتبرم بها ولا تتناولها بالتغيير والتبديل ؟

والجواب على ذلك أن الاجرومية الفرنسية مثلا لا تخلو من التعقيد والشذوذ ولكن عقدها وشواذها لا تبلغ عشر معشار تلك التى نصادفها فى النحو العربى . ومع ذلك فالفرنسيون لا يترددون عند الحاجة فى تعديل أجروميتهم بل ومفردات لغتهم بغية التيسير والتسهيل كما لاح لهم وجه للتعديل . ومما فعلوه فى هذا الباب أخيراً عدول نحاتهم عن القاعدة التى كانت حتى عهد قريب تقول بأن الكلمات : Amour, Délice, Orgue تكون مذكرة فى المفرد ومؤنثة فى الجمع ، وتقريرهم أن تبقى هذه الكلمات مذكرة فى الحالتين . ولقد رأى الاديب الفرنسى المعروف مارسيل بريفو فى كلمة Fémininité مقطعا لا موجب له فغير هجاء الكلمة بحذف المقطع الزائد وصيرها Féminité وجعلها عنوانا لأحد مؤلفاته وقد وافقه المجمع اللغوى على ذلك وأدخل الكلمة برسمها الجديد فى معجمه

ولقد أصدر وزير معارف فرنسا منذ سنوات قراراً وزاريا إلى المعلمين والممتحنين يقضي بأن لا يعتبروا خطأ نحويا جمع الكلمات السبع المعروفة : Caillou — Hibou — Chou الخ بحرف S بدلا من حرف X الذى تحتمه كتب الاجرومية . وبأن لا يعتبروا خطأ جمع كلمة vingt, cent بحرف S فى قولهم : trois cent-deux, quatre-vingt-deux وجمع الاعلام بحرف S بعد أن كانت لا تجمع إلا بأداة التعريف التى تسبقها

وبعد فمتى كان نقص الغير مبرراً لنقص القادرين على التمام ؟

***

تلك آراء عنت لى فدونتها وما أبغى من ورائها إلا الاصلاح والتيسير فليتناولها الباحثون والنقاد على أنها محاولة بريئة ترمى إلى تحقيق غرض شريف . وليعلموا أن العدل يقضى بمناقشة الرأى وتقليبه على وجوهه المختلفة قبل الحكم فيه ، وأنه لا شىء يفسد المناقشة ويسممها إلا سبق إصرار أحد الطرفين على تفنيد رأى الطرف الآخر قبل استيعابه والالمام بكل نواحيه

حسن الشريف

غرام مكسيم جوركى :

بين عقل المفكر وقلب الشاعر

للأستاذ ابراهيم المصرى

كان مكسيم جوركي فى مستهل شبابه واقعا تحت تأثير كاتبين كبيرين ، احدهما تولستوى والآخر فريدريك نيتشه . وكان ميالا بطبيعته الى الأول : يحب الشعب ، ويعطف على الفقراء والبائسين ، ويدين بمذهب تولستوى فى وجوب اقرار العدل والمساواة بين الناس ، واحلال المحبة والرحمة على العنف . ولكن عقله النامى وذكاءه المتوقد وشعوره العميق بتفوقه ونبوغه ، ورغبته الشديدة فى توكيد شخصيته وابداع أعمال أدبية عظيمة تخلد اسمه على مر الأجيال ، كل هذه العوامل كانت تشيع فى نفسه الناضرة الساذجة ضربا من الكبرياء يقربه من نيتشه ويحبب اليه تعاليم هذا الفيلسوف القائمة على الاشادة بفضائل القوة واحتقار الضعف والضعفاء

وكان جوركي الشاب يؤمن ايمانا عقليا متأصلا بأن من حق العظيم أن يعبث بالقوانين الموضوعة ويستخف بالعرف الاجتماعى ويسعى لخلق قانونه الخاص الذى يمهد له سبيل العمل والتفوق ، ويرغم الآخرين على احترامه ويشعرهم بأن العبقرى انسان ممتاز لا يمكن أن يسرى عليه ما يسرى على السواد من آراء وأفكار وعادات ونظم

هذه الفكرة تملكت جوركي ردحا من الزمن وملأته زهواً وخيلاء وقطعت الصلة الوثيقة بينه وبين جوهر طبيعته واحالته مخلوقا عصبي المزاج سريع التأثر معتداً بنفسه فخوراً بذكائه انانيا متغطرسا مستبداً

وفى غضون هذه الأزمة العقلية النفسية تعرف جوركى الى الفتاة التى كانت أول غرامه والتى ذهبت ضحية استبداده ، والتى حررته آخر الأمر من نزعات التسلط والقسوة وردته فى النهاية الى ينبوع طبيعته الاولى

كانت تدعى ليزا سوكولوف ،وكانت ابنة أحد المزارعين الأتقياء . وقد وصفها الناقد (جورج عيلوار) فى كتابه عن جوركي بقوله : «عينان زرقاوان صافيتان وشعر كستنى مجعد ووجه بيضاوى كوجوه القديسات ، وصوت ناعم رخيم ، وفيض من الأسى ينسكب من هيكل نحيل رائع الفتنة شعري التأثير ارستقراطى المظهر . »

أحبها جوركي وكلف بها واتخذ من جمالها وحيا له ، وأراد فى نفس الوقت أن يجرب عليها قوى شخصيته ويمتحن صرامة خلقه ويطبق تعاليم استاذه نيتشه

وكانت الفتاة بريئة القلب والعقل ، ناضرة الذهن والروح ، فتفتح فؤادها للحب تفتح الزهرة للندى ، واستفاقت عواطفها ، واستسلمت بجمعها لذلك الشاب الساحر الوجه والحديث

ولم يكن جوركى جميلا ولكنه كان خلابا

كان يتحدث اليها فيخيل لها أنه يضع العالم بأسره تحت قدميها . وكان يخرج بها الى النزهة فى الحقول ، فتحس لفرط ما يخلع حديثه على الأشخاص والأشياء من خيال وشعر ، ان الكون قد ازداد جمالا وان فى السماء وعلى الارض آيات من الحسن كانت تجهلها فكشف عنها الشاب فجأة وصب عليها ضوءاً ساطعا يأخذ بمجامع القلوب ويخطف بريقه الأبصار

وكان جوركى يحب الفتاة ولكنه لم يفكر فى اغوائها . لم يخطر على باله لحظة واحدة أن يغرر بها ويعبث بعفافها . بل كان يتطلع الى امتلاك قلبها فقط . الى احتلال هذا القلب والتصرف فيه كيف شاء . الى الاستبداد به والشعور بلذة القوة فى السيطرة والتنكيل والاستبداد

وخضعت له ليزا واطمأنت اليه ووثقت به وجعلت تعلل النفس بزواجها منه يوما ، ولكنه لم يتقيد أمامها بوعد صريح وظل يحاور ويداور ويفتن في ابتكار وسائل الجذب والاغراء ، حتى أولعت به الفتاة أشد الولع وأسلمته قيادها وفنيت فى حبه بكل ما أودعه الصبا فى نفسها البريئة من خيالات وأحلام

وعندئذ لاح لجوركى أن فى وسعه الاقدام على تحقيق الغاية الكبرى التى كان يرمى اليها من وراء هذا الحب

والواقع أنه كان شاذ النزعة والتخيل . كان تأثير نيتشه قد استحوذ عليه وأفسد خلاله الطيبة . كان يود فى قرارة ذاته أن يستبد بليزا ليعلمها كيف تستبد بالآخرين . .

كان يود أن يشعر ليزا بقوته لتدرك هى أيضا قيمة القوة فتطهر نفسها من غرائز الشفقة والحنان والرحمة والضعف وتصبح مخلوقا جديداً قويا يفخر جوركى بأنه هو الذى أوجده ومثل فيه خلاصة تعاليم نيتشه ! . .

تلك كانت غايته البعيدة : تحويل الحب عن مجراه واستخدامه فى سبيل تطبيق مذهب عقلى وشرع يستبد بالفتاة غير حافل

كان يفرض عليها المشى الطويل حتى توهن قواها وتوشك أن تسقط على الارض اعياء ، كان يفرض عليها البساطة المطلقة فى ملبسها والتجرد من كل أناقة ، كان يحتم عليها القسوة فى معاملة الفلاحين ، كان يروضها على التحفظ فى حركاتها واشاراتها وحديثها مع من هم دونها فى المركز الاجتماعى ، كان يدربها على غطرسة الارستقراطيين وترفعهم ، كان ينصح لها بتجويع نفسها وتعود حياة الخشونة والتقشف

وبالاجمال كان يود أن يتمثل حبه لها فى قدرته على جعلها تلميذة من تلميذات نيتشه

وكانت ليزا تعتقد أن هذه هى أخلاق جوركى فكانت تطيعه حبا ومرضاة له وتدليلا على وفائها التام واخلاصها العميق

ولم يكن جوركى ليدرك مبلغ ماق هذا الحب من حرارة وصدق . ولم يكن ليفهم أن الحب الشديد يغرى بالمحاكاة ويوحي بالتقليد ، فظل يلقن الفتاة مبادئه سعيداً بهذه العاطفة التى استل منها نداء الشهوة ورقاها وطهرها وسما بها الى عالم الجهاد الفكرى

والأعجب من كل ما تقدم أن هذا الجهاد الفكرى الذى كان يسميه جوركى حبا ، لم يتخذ فى صميم نفسه طابع الجد ، ولم يعتقد الشاب أنه قد يتطور تطوراً خطيراً ويمكن أن يفضى الى كارثة

كان جهاداً فيه شيء من اللهو ، وكان فى الحقيقة غروراً بالنفس ، وزهواً بالتحكم فى فتاة جميلة ، ورغبة خفية فى التمتع بلذة غريبة نادرة

ولذلك غفل جوركي عن مواجهة الواقع وعراه ذات يوم شبه ذهول !

تبدلت شخصية ليزا شيئا فشيئا . زايلتها عذوبة صوتها ورقة حديثها وفتنة أساها وجاذبية وداعتها . نشطت أعصابها واحتدمت قواها وغلظ قلبها وتحجرت عواطفها وغادرتها تلك الرحمة الساحرة التى كانت سر جمالها

أصبحت وكلها تفكير ومنطق وعقل . منطق صارم جاف ، وفكر مستبد عنيد ، وعقل ضيق متغطرس . فكانت تسرف فى زجر خدم البيت ، وتبالغ فى رقابتهم ، وتعد عليهم أبسط الهفوات وتقسو على الفلاحين ولا تتسامح معهم وتحاسبهم على أقل هفوة حسابا عسيراً . وكانت تحمل نفسها فوق طاقتها ، فتصوم عن الأكل الساعات الطويلة ، وترتدى الاثواب العاطلة الخشنة ، ولا تلزم الفراش اذا مرضت ، ولا تستقدم طبيبا ، ولا تعتمد على أحد فى دفع الأذى عنها أو فى تأدية واجب عليها أو فى معاونتها فى أى شأن من شئون البيت

وليس شك فى انها اكتسبت من تعاليم جوركى بعض فضائل ذات قيمة ملحوظة فى الحياة ولكنها لفرط ما أرادت أن تروق فى عين حبيبها ، بالغت فيها وشوهتها وأضافت اليها ما قد يكون ليس منها ، وهكذا بدت أفكار جوركى فى صورة دميمة روعته ، وبدت له شخصية ليزا فى صورة لم يكن ليحلم بها

والحق ان افتعال الفتاة مظهراً يخالف طبيعتها ويتعارض وجوهر اخلاقها هو السبب الرئيسى فى المأساة التى انتهت بتقويض صرح غرامها

استهول جوركى ذلك التبدل الذى طرأ على الفتاة ، وكان ما يزال يحفظ فى ذاكرته طيفها الجميل الاول ، ففاضل برغمه ووازن بين ما كانت عليه حبيبته وما آلت اليه ، فبهت واندهش ولم يستطع أن يعجب بخصائص الانسان الجديد الذى ابتدعه هو

لم يستطع أن يعجب بقسوتها وغلظتها بل خيل اليه أن فضائلها المجلوبة قد مسخت جمالها ، .

وحدث فى نفسه على مر الايام تطور غريب . فكان ينفر منها إذ يبصرها تنتهر خادما نشطا أمينا ، ويحقد عليها إذ يشاهدها تلطم وجه فلاح مسكين ، ويكاد يكرهها إذ يلمح على محياها ابتسامة راضية عن نفسها مطمئنة الى سعادتها وحبها

وكان أن تبينت الأشياء بعدها ، وأحس جوركى أن شخصيته الحقيقية تستفيق وتتحرك وتنمو فى ضوء الشخصية الجديدة التى اصطنعها ليزا ! . .

وبينا كانت الفتاة تقسو على الضعفاء كان يشعر هو بالشفقة عليهم ، وبينا كانت تنهرهم كان يود هو لو يستغفرهم لها ، وبينا كانت تلطم فلاحهم كان يتمنى هو لو يستطيع تقبيل قدميه !

ارتد جوركى الى أصله وبقيت الفتاة حيث أرادها أن تكون . وعبثا حاول التحول بها عن تيارها مرة أخرى ، فقد كانت تلومه بدورها على ضعفه وتسخر بطبيعة قلبه وتحمله على الاقتداء بها وتحذره عقبى العواطف وتمجد أمامه فضائل القوة باعتبارها مثلا أعلى

وانطلقت ليزا تسرف فى استخدام تلك الفضائل اسرافا أثار السخط فى نفس جوركى وصرف قلبه عنها

استحال حبه الى بغض مقرون بالجزع والرعب . بدأ يلمس فى الفتاة كل ما يكره . بدأ يدرك انها أصبحت على نقيضه فى كل شىء ، بدأ يفهم انه لم يحب فيها إلا الصورة القديمة التى تطابق منزعه الأصيل والتى شوه معالمها ثم مزقها تمزيقا

وأحس الألم يطغى عليه ووخز الضمير يكتنفه ، ولكن عاطفة السخط كانت أقوى منه فصد عن الفتاة برغمه وأقصاها عنه جهد المستطاع

وذهلت ليزا واستغربت هذا الانقلاب الباغت واستحوذ عليها شبه يأس جنونى

فكانت لا تدرى ماذا فعلت ولا أى الذنوب ارتكبت ولا كيف تتصل بحبيبها ولا أين تراه وتتحدث اليه ولو لحظة

احتجب عنها . سافر فجأة إلى موسكو . لم يرد اليها رسائلها ولم يبعث اليها بخطاب فتشجعت وذهبت إلى داره ولكن أهله أوصدوا بابهم دونها . ابتذلت نفسها وأراقت ماء وجهها وفضحت حبها واستفسرت عن مكمنه من أصدقائه ولكنهم أعرضوا عنها وتبرموا بها

عندئذ تملكها القنوط وخيمت على حياتها ظلمة حالكة فانطوت على نفسها وتبدلت أخلاقها واستوحشت ونفرت من الناس وأصيبت بشبه نورستانيا

وتطورت شخصيتها شيئا فشيئا ، واتجهت أفكارها وعواطفها وخيالاتها وجهة دينية محضة ، فكانت تصوم وتصلى وتقضى فى الكنائس نصف نهارها وتشترك فى أعمال الجمعيات الخيرية وتتصل بالقساوسة وتعيش فى عالم روحانى علوى وجدت فيه العزاء والسلوى

واستولى عليها الشعور الديني وتمكن منها فعافت الدنيا وبرمت بالأهل والأصحاب وتجهمت لكل لذة ومتعة وتاقت نفسها إلى الفرار من نفسها ومن حياة ملؤها الألم والخيبة

وفي مساء يوم من الايام خرجت ليزا من بيتها وقد اتشحت بثوب أسود وأرخت على وجهها الشاحب نقابا كثيفا ، واتجهت بخطى ثابتة صوب دير للراهبات كائن في أقصى القرية

ودخلت الدير واختفت عن العالم وفي أقل من لمح الطرف أسدل على حبها وشبابها الستار

وشاء القدر أن يعود جوركي إلى القرية بعد دخول ليزا الدير بنحو أسبوع . فما إن بلغه النبأ حتى أجفل وانتفض ورزح تحت عبء مسئوليته ، وأسرع من فوره فاتصل برئيسة الدير والتمس منها أن تسمح له بمقابلة ليزا . ولكن ليزا كانت قد ودعت الدنيا ونذرت العفة طول الحياة ، فرفضت مقابلته وأبت أن تراه . وكان جوركي واقفا إذ ذاك بباب الدير يستجدي الرحمة والمغفرة ، فلما صارحته الراهبة الرئيسة بارادة ليزا انقبض قلبه وامتقع لونه وأحس كأن يداً قوية خنقته ، فأذعن لمشيئة الله وانحنى في احترام ، ثم استدار وانصرف وقد فاضت من عينيه الدموع

وكان لهذه الحادثة أكبر الأثر في حياة جوركي فقد ردته الى طبيعته الاصلية وأيقظت فيه نزعة المحبة وعلمته معنى الرحمة ، وجعلت منه ذلك العبقري الانساني النبيل الذي عاش ومات مجاهداً في سبيل البؤساء والمحرومين !

ابراهيم المصري

كليوبطره

قصيدة للاستاذ عبد الرحمن صدقي

سليلة أقيال البطالسة الغر ... أغاروا على عرش الفراعنة الحرّ
لها من بنات الجن روحٌ مؤجج ... وحسنٌ حوى كل الغواية والطهر
جننا بذكراها فكيف بمن عشا ... لطلعة من تسبي الأواخر بالذكر

فيا ليت رجعى للقديم من الدهر

***

اذا ازدحمت بالساحرين المعابد ... وقد عطرتها بالبخور المواقدُ
وقاموا يزجون الظلام ترنماً ... لتسعف في السحر المبين النشائد

فان فنون الساحرين جميعها طواهن لحظ من لحاظك واحد
فيا ليت رجعى للقديم من الدهر

***

اذا أضرموا النيران فوق المذابح فمن أجل قربان الى الرب صالح
كذلك شبّت فى خدودك حمرة تليح بموت العاشقيك الطوامح
وهل كنت للارضين الا الهة يضحى اليها كل أروع واضح
فيا ليت رجعى للقديم من الدهر

***

اذا سجعت فوق السفين السوامر وقد صخبت فى كفهن المزاهر
وجاوبها بالشدو نيلٌ مباركٌ روت غلّها منه العصور الغوابر
فضحكك عند السامعين ألذها ولو أنه بالسامعين لساخر
فيا ليت رجعى للقديم من الدهر

***

اذا أرهق الركبانَ قطعُ المخارم وأرمضهم فى القفر لفح السمائم
وحُمّ الردى لولا عيونٌ رويّة ترقرق من بين الصخور الصلادم
فأنقع منها رشفة كوثرية ترفّ على هذى الشفاه البواسم
فيا ليت رجعى للقديم من الدهر

***

فيا ليت رجعي للقديم من الدهر فنلمحها ما بين أروقة القصر
جَلَتْها لنا الاعيادُ فى حفلة النصر تميس ولكن فى وقار وفى كبر
وقار النخيل المشرفات على النهر يرنحها نفح النسيم مع الفجر
فيا ليت رجعى للقديم من الدهر

عبد الرحمن صدقى

الاقيال : الملوك ـ عشا الى النار : نظر اليها مستضيئاً ـ يزجى : يدفع ـ النشائد : جمع نشيد ـ الاروع : هو الرائع بحسنه وشهامته ـ السوامر : الجوارى يحيين مجالس الليل ـ المزاهر : العيدان ـ المخارم : الطرق الوعرة ـ العيون الروية : هى الينابيع التى تروى الظمآن

الى مصر المسلحة :

ازياء الحياة

قصة تاريخية رمزية من وضع هبيرة بن المشمرج
مثلتها فى بلاط ابن السماء فرقة عربية سنة ٩٦ هـ

بقلم الاستاذ أمين الخولى
الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

— ١ —

قوة الفن

بالأمس رجت الفن الخائر ، وسخطت أولئك الذين لا يدركون من وحى الجمال الا اكتناز اللحم ، وجهارة اللون ، وخائنة العين ، فى نشوة معربدة ، يذكيها أريج عندر عنبل ، وتثيرها حيوانية جامحة ، مهبط فنهم وقبلة معبدهم تلك المبتذلات ، يعبث الرجل منهن بالباقات والأضابير ، ويعبث فى القطيع منهن ، عيث التيس والوعل ، فان اقتصد فواحدة عن يمينه ، وأخرى عن شماله . ثم يزعمون ـ لاصدق لهم ظن ـ أن هـذا هو الفن : مجلى الحياة الوجدانية ، ومسرح الشعور الانسانى ، وحاجة الجماعة المتحضرة والأمة الناهضة ، حسبها أن تظفر منه بالمشبع المتخم ، فتنال من أسباب الحياة أوثقها وأقواها ، وحسبهم أن يعدوها من ذلك بمثير الغريزة ، وباعث الشبق ، فيكونوا القادة الابطال . ولا على الامة قبل ذلك أو بعـده أن تدبر للحياة ، أو تشغل بما وراء هذا الفن ، فقد حلقت فى السماء ، وسامت الجوزاء ، ثم لا عليهم بعد ذلك أن يكونوا شيئا غير الذى كانوه ، فهم الأبطال الشهداء

وعلى غرار هذا قد يتحدث متحدثون فى مصر عن رسالة الفن والأدب والصحافة وغير هذا مما اصطنع المحدثون وجددت الحضارة ، فيندى جبين مصر خجلا ، وتثور فيها بقية من حمية ، وأثارة من شهامة ، بل تراث من رجولة وإباء ، فيرفض شبابها ذلك كله ، ويدرك الخطأ والخطر، فيحتج عليه فى سره وجهره ، وقوله وفعله

وحين كنت ألتمس من نواميس الاجتماع ، وقوانين الحياة ، ما يفرى الشباب الرشيد ، بالخطة الصالحة ، والمسلك السديد ، حانت التفاتة الى الماضى فاذا فيه من فهم الاقدمين لهذه النواميس ، وادراكهم لتلك القوانين ، مالا يزال جديداً غضا ، صادقا صائبا ، يهدى اليوم للتى هى أقوم ، كما هدى منذ بضعة عشر قرنا ، فآثرت أن أذكر منه مصر المسلحة ، طليعة الشرق الناضل ، بهذه الحادثة التى ألفت فى مراجع التاريخ (١) قصة رمزية دقيقة مؤثرة صادقة

— ٢ —

جو القصة

فى العام السادس والتسعين للهجرة ، عصر بنى أمية ، والأمر مستوسق والفتح يمتد ، وقد حازت الدولة الاسلامية الصين ، وفتحت كاشغر ، وتساءل من بأقصى للشرق عن النبأ العظيم ، الذى سرى من أدناه . فكتب ملك الصين إلى قتيبة بن مسلم الباهلى قائد الجيش الاسلامى فى تلك الأنحاء ، أن ابعث الينا رجلا من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ونسائله عن دينكم . فانتخب قتيبة من عسكره رجالا — اثنى عشر أو عشرة — لهم جمال ، وأجسام ، وألسن ، وشعور ، وبأس ، كلهم وفاطنهم ، فرأى عقولا وجمالا . فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح ، والمتاع الجيد ، من الخزوز والوشى ، واللين من البياض ، والرقيق والنعال ، والعطر ، وحملهم على خيول مطهمة ، تقاد معهم ، ودواب يركبونها

وكان هبيرة بن المشمرج الكلابى مفوها بسيط اللسان ، فجعله رأسهم ، وسأله : كيف أنت صانع ؟ فقال هبيرة : أصلح الله الأمير ، قد كفيت الادب ، وقل ما شئت أقله ، وآخذ به . فألقى اليه قتيبة مقالته السياسية ، وترك له ما عداها . فكان هبيرة واضع القصة التى مثلتها تلك الفرقة الاسلامية العسكرية فى بلاط الصين ، بحضرة ملكها « ابن السماء » ووجوه دولته على ما ترى من مناظر وحوار (٢)

— ٣ —

المنظر الاول

(رجال الفرقة ، أثر نظافة واناقة قد لبسوا ثيابا بيضاء تحتها الغلائل الرقيقة ، ثم مسوا الغالية — الطيب — وتبخروا ، وعليهم الاردية ، وفى أرجلهم نعال خفاف

(١) راجع تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى ٨ : ١٠٠—١٠١ ط الحسينية بمصر — والكامل لابن الاثير ج ٥ : ٢ — ٣ ط مصر

(٢) الوصف والحوار تاريخى منصوص فى المصادر السابقة الا ما كان منه بين قوسين صغيرين : « »

« يفدون على هذه الحال الى مجلس ملك الصين فى أبهته العتيدة ، وحضارته الاصيلة فى بهو فخم مزين بأفخر الرياش ، وأطرف الفن الصينى ، وحوله عظماء مملكته »

يجلس رجال الفرقة فلا يكلمهم أحد ، لا الملك ، ولا أحد جلسائه ، حتى يخرجون)

الملك لحاشيته ـ كيف رأيتم هؤلاء

وجوه الحاشية ـ رأينا قوما ما هم الا نساء ، ما بقى منا أحد حين رآهم ، ووجد رائحتهم إلا « هفت نفسه »

— ٤ —

المنظر الثانى

(رجال الفرقة الاسلامية فى لباس الوشى ، على رءوسهم عمائم الخز ، قد أسبلوا مطارفهم . يدخلون فيسلمون على الملك فى بهوه السابق ، فيسلم عليهم ، ويؤذن لهم بالانصراف)

الملك لحاشية ـ كيف رأيتم هذه الهيئة

الحاشية ـ هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى ، أوهم أولئك !!

الجميع : « فى حيرة من الأمر »

— ٥ —

المنظر الثالث

(رجال الفرقة الاسلامية ، قد شدوا عليهم سلاحهم ، لبسوا البيض والمغافر ، وتقلدوا السيوف وأخذوا الرماح ، وتنكبوا القسى ، وركبوا خيولهم ،« وعلى الخيول التجافيف ـ دروع الخيل ـ فتلمع الفارس والفرس » . يقبلون على ملك الصين فيلمحهم عن بعد)

الملك لنفسه ـ أمثال الجبال مقبلة

(رجال الفرقة يدنون فيركزون رماحهم ، ويقبلون مشمرين . الملك وحاشيته قد بدت عليهم علائم الخوف . الملك يشير بارجاعهم ، فيختلج رجال الفرقة الرماح ويدفعون خيولهم يتطاردون فى حركات فروسية رهيبة)

الملك لحاشية ـ كيف ترونهم

الحاشية ـ ما رأينا مثل هؤلاء قط

(يأذن الملك لزعيمهم هبيرة بن المشمرج « فيدخل مسلما سلاما عسكريا ، فيدنيه الملك من مجلسه »)

الملك لهبيرة ـ قد رأيتم عظمة ملكي وأنه ليس أحد يمنعكم منى وأنتم فى بلادى ، وانما أنتم بمنزلة البيضة فى كفى

(هبيرة فى غير اكتراث يبتسم ابتساما يسيراً)

الملك ـ أنا سائلك عن أمر فان لم تصدقنى قتلتكم

هبيرة ـ فى هدوء ـ سل

الملك ـ لم صنعتم ما صنعتم من الزى فى اليوم الأول ، والثانى ، والثالث ؟

هبيرة ـ أما زينا الأول فلباسنا فى أهلنا وريحنا عندهم . وأما اليوم الثانى فزينا اذا أتينا أمراءنا ، وأما اليوم الثالث ، فزينا لعدونا فاذا هاجنا هيج وفزع ، كنا هكذا كما ترى

الملك ـ ما أحسن ما دبرتم دهركم

هبيرة ـ « هذا ما دبر الاسلام من أمرنا »

الملك ـ والآن فانصرفوا الى صاحبكم فقولوا له ينصرف ، فانى قد عرفت حرصه ، وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه

هبيرة ـ كيف يكون قليل الاصحاب من أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ؟

الملك ـ « ألا تخافون الموت والقتل »

هبيرة ـ نخاف الموت والقتل ! ! ان لنا لآجالا اذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه

الملك ـ فما الذى يرضى صاحبك ؟

هبيرة ـ أنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ، ويأخذ الجزية

الملك ـ « أو هكذا ! لا غير ؟ »

هبيرة ـ « إلا القتل والقتال »

الملك ـ فانا لمخلوه من يمينه ، « ولله ماقضى » . سأحملك اليه صحافاً من ذهب فيها تراب أرضنا يطؤه ، وسأبعث اليه بالحرير والذهب وجزية يرضاها ثم باربعة غلمان من أبناء ملوكنا يختمهم ، ولكم منى جوائز حسان

هبيرة ـ « سنحمل اليه ماذكر الملك ، ليفعل ما يرى »

فكرة الاسلام

ذلك مايروى التاريخ من صنيع الجيش الاسلامى ، حين أراد أن يعرف ملك الصين وقومه بالاسلام ،وانها لقصة فيها دقة الرمز ونبله ، وان تكن قصة لم ينسجها خيال صناع ، يزجى حوادثها

فى أغراب وادهاش ، الى عقدة يفتن فى حلها . لـكنها فى كل حال تجسيم لفكرة متوثبة الحياة ، دقيقة المغزى ، مست من فلسفة الكون مشكلة دائمة عميقة ، فظفرت القصة ـ فى سذاجتها ـ بحظ من الخلود ، والجدة الدائمة

قصة لم ينسجها خيال يستقطر الوحى من الشفاه ، ويستلهم الفن من سرف اللذة ، وجموح الشهوة ، وسلطان الغريزة . بل نسجها خيال يؤمن بحق الحياة فى الفن ، ونصيبها من العاطفة ، وقسطها من الترف الروحى ، إلا أنه يرفع الفن الى قدس طهرته كرامة الانسان ، ويسمو بالعاطفة الى ملء القلب لا ملء العين واليد . ويحن الى الترف الروحى ، بعد أن يشوقه اليه المركب الخشن ، والجد العنيف ، فى سبيل الحياة الكريمة

قصة جسم بها البدوى «هبيرة» فكرته ، بل فكرة الاسلام التى علمه اياها ، وهى أن للحياة أزياء والوانا ، ولها وجوه وجوانب ، فجانب للجمال والفن ، والنعمة والايناس ، والاخلاد الى الأحباء والاخلاء ، وهو ما أبرزه لملك الصين ، فى الغلائل الرقيقة ، والطيب ، وقال له : هذا لباسنا فى أهلنا ، وريحنا عندهم

وجانب للعمل الجاد ، والتدبير المتسق ، فى حكم خيِّر ، ونظام عامل ، وهو ما مثله فى تلك المطارف والعمائم الوقورة وقال : هذا زينا اذا جئنا أمراءنا

ثم جانب للرجولة والشهامة ، والنجدة والبأس ، والحفاظ والذود ، وهو ما مثله هبيرة فى الشكة السابغة ، والحديد الفاش ، والسيوف اللوامع ، والخيل المطهمة ، وقال : ذاك زينا لعدونا ، اذا هاجنا هيج وفزع ، كنا هكذا

لقد كانت ـ ولا تزال ـ تلك جوانب الحياة فهمها هبيرة من تدبير الاسلام ، وجسمها لمن سأله عنه ، فأدرك فى جلاء : أن هذا الاسلام نظام عملى يسوس الحياة ، ومذهب اجتماعى يدبر الدنيا ، فى جوانبها المختلفة ، ويلبس لها أزياءها المنوعة ، لا يخل بجانب ، ولا يفسد زيا ، فهل تتخذ نحن للحياة اليوم أزياءها ، على مثل ما فهم هذا البدوى ، فكان ركنا فى دولة ، أول خيلها فى الصين وآخرها فى منابت الزيتون ، هل تملك مصر اليوم هذه الأزياء على نحو تستطيع به تمثيل الحياة ؟ ما أحسبها إلا قد استكثرت من الغلائل والطيب ، حين أعوزها غير ذلك من مطارف ، ودروع ، وخوذ ، وسيوف ، وعدة ، وسلاح ، وليس يكفيها حاجة العيش أن يكمل لها زى الفن وحده ـ ان كان قد كمل ـ بل ليس الفن حق من لا يملك موطىء قدمه ، ولا يهيىء لطمأنينته . .

أيها الشباب : تلك أزياء الحياة لمن شاء أن يمثل فيها دوره ، والويل ثم الويل للعراة ، من لظى الصراع وقر الهزيمة . . فاعدى يا مصر أزياء الحياة ، وهيا فالبسها يا شباب بما لك فى الحياة من حق وأمل

امين الخولى

الطبيعة لا ترحم

فلماذا لا نجاريها فى شدتها ؟

بقلم الاستاذ محمود تيمور

تنازع البقاء وبقاء الأصلح قانون طبيعي يمكن تطبيقه على كل ما فى الكون من نبات وجماد وحيوان فى العالم المادى ، كما يمكن تطبيقه على كل ما فى الأجيال والعصور من مدنيات وحضارات فى العالم المعنوى . فالتنازع فى الحياة قضية بدهية وأمر مسلم به . فمن خرج من هذا التنازع أو « التنافس » منتصراً ، أثبت أنه صالح للحياة ، وضمن البقاء ما بقيت له عناصر الغلبة

تسير الطبيعة منذ الأزل وفق هذا القانون لا تحيد عنه ، فالانسان المعاصر أفضل على هذا القياس من الانسان القديم المنقرض

ويقصد بالأفضلية أنه أصلح للحياة من أخيه السالف الذى لم يصمد فى معترك التنافس الطبيعى فانهزم وباد

واذا بحثنا عن العوامل التى يعتمد عليها « المنافس » فى التغلب على خصمه ، كان من الصعب أن نعين هذه العوامل ، إذ أنها مختلفة باختلاف البيئات والأوقات والملابسات ، وباستقراء هذه العوامل نرى أنها تؤدى دائما الى الغلبة ، والغلبة رمز القوة . إذن فالقوة هى السلاح الناصر فى ميدان تنازع البقاء ، فكل قوى منتصر صالح لأن يبقى

والقوة هنا كلمة جامعة المعانى ينطوى تحتها فى كثير من الأحيان كثير من التناقضات ، فدقة الجسم وضآلته قوة فى عالم الجراثيم ، فالجرثومة تستطيع أن تجد فى حجمها الصغير المتناهى فى الصغر حماية لها ، فتغزو أجسامنا وتفتك بها ، ومن ثم تبرهن الجراثيم على صلاحيتها للبقاء . فنحن اذا تكلمنا عن القوة فانما نعنى مختلف العوامل التى تكفل لصاحبها الغلبة والبقاء فى معترك التنازع الطبيعى ، فهذا المعترك كالغربال يعمل على تطهير النظم اجتماعية كانت أو اقتصادية من عناصر الفساد والانحلال ، فلا يبقى فى النهاية إلا النافع المفيد

وهذا النضال المستمر بين شتى العناصر الطبيعية قوامه الأثرة وحب الذات ، فغاية المناضل أن يحمى نفسه ويحصل على المنفعة لشخصه ، وهو يعتمد فى إدراك غاياته على وسائل ، أقل وصف لها ، أنها بعيدة من الرحمة كل البعد ، فالرحمة والنضال نقيضان لا يتفقان طبعا ، كنقطتين أحدهما

سالب والآخر موجب . فقانون تنازع البقاء وبقاء الأصلح لا يلتفت فى عمله الى الرحمة ، إذ أن الطبيعة قاسية دائما فى تصرفاتها ، وما دام الانسان يسير وفق الطبيعة فى حياته ، ويتأثر هواها فى نظمه ، فهو لا يعترف بعاطفة الرحمة ولا يأبه لها ، وان تظاهر بتمجيدها مغالطا نفسه أو خادعا الناس من حوله

ان تجارب آلاف وآلاف من السنين قد أثبتت فى واعيته الخفية أن الرحمة اذا دخلت فى أمر أفسدته وقضت عليه ، فأبعدها من حسابه ولم يحفل بها ، إلا انه على الرغم من هذا لا يمكننا أن نتجاهل وجود عاطفة الرحمة فى العالم ، فان ذلك عبث ، إذ هى موجودة ولكن بقدر ، ووجودها كوجود الأقلية المستضعفة فى المجلس النيابى ، فهى لا تستطيع أن تبطل عمل الأغلبية ، وان كانت قادرة على التخفيف من حدتها ، وقد رأينا الديانات جميعها تدعو الى الرحمة ، على أنها قد تضطر الى اغفال هذه الرحمة فى بعض الشئون ، دفاعا عن كيانها ، ونشراً لتعاليمها

ولا شك فى أن الأنظمة التى تقوم على أساس الرحمة ومبادئها الخالصة أنظمة فاشلة من شأنها حماية الضعيف على حساب القوى ، فمهما ندافع عنها ، ومهما نحطها بسياج قوى فلن نضمن لها فى النهاية الحياة ، لأنها تجافت عن الطبيعة ففقدت عطفها ، وان كل نظام يظل بمعزل عن قانون تنازع البقاء ، فلا يدخل معترك النضال ، ولا يثبت صلاحيته للحياة وفائدته للمجتمع ، هو نظام خيالى نصيبه الاهمال ، أو وقتى يسرع اليه الفناء . والطبيعة رحبة الصدر كثيرة الحلم ، لا تهتم بالوقت ، فقد تنقضى عشرات السنين بل مئاتها حتى تستقر الأمور ويبقى المذهب الصالح للمجتمع خاليا من الشوائب

وانه لمن الخير للانسانية أن نساعد الطبيعة فى عملها فنفسح المجال لقانون تنازع البقاء ، إذ أننا مهما نغالبه ونعترض طريقه ، فلن نستطيع وقفه أو استبدال غاية أخرى بغايته التى رسمها ، وان كنا نستطيع فى بعض الأحيان أن نؤخر سيره ردحا من الزمن يطول أو يقصر . ولقد أخذت دول كثيرة تنفذ خطتها فى تعقيم ذوى العاهات منعا لهم من التناسل ، وهى بذلك قد ساعدت الطبيعة فى عملها لاختيار الأصلح

والقسوة التى يصطبغ بها قانون تنازع البقاء هى لخير الانسانية ، لأنها تبيد الضعيف ، والضعيف لا خير فيه للعالم البتة : فاذا هالتنا من جهة قسوة المجاعات والحروب ، وجب علينا أن نقرر من جهة أخرى أن هذه المجاعات والحروب تخلص العالم مما هو زائد عن حاجته . والحرب وان كرهناها وبذلنا المساعى فى اطفاء شررها ألزم لنا من ظلنا ، فهى أداة صالحة لهدم المدنيات الفاشلة ومحوها وابتلاع الدول الضعيفة . وقد رأينا الناس يتحدثون طويلا عن حرب المستقبل وويلاتها ، وخوفهم أن تكون قاضية على حضارتنا الراهنة ، ولكن الأمر على حقيقته هين ميسور ، فهب أن حرب المستقبل ستقضى على حضارة اليوم ، أليس هذا أقوم دليل على أن هذه الحضارة قد

انتحرت من تلقاء نفسها ، لانطوائها على عناصر الفساد والانحلال ؟ ؟ أو ليس هذا بشيراً بقيام حضارة أخرى فتية قوية على انقاض حضارتنا البالية يكون منها أكبر نفع للهيئة الاجتماعية ؟ ؟ والحقيقة التي يجب أن نقررها في صراحة أن ما شب اليوم من النزعات الانسانية ـ كحماية الضعيف والمتعطل وإفساح المجال للتناسل أمام ذوي العاهات ـ قد نما في مدنيتنا نمواً ينذر بسوء المصير ، فاذا تمادينا في تشجيع هذه النزعات فانما نتعجل ساعة القضاء

فلنتخذ الرحمة كما نتخذ أقراص الاسبيرين لتخفيف الألم الوقتي ، أما ان نتخذها دواء موصوفا يحسم المرض ويقتلع جذوره فأمر ينافي الطبيعة ، ومن ثم ينافي خير المجتمع ، إذ أن الطبيعة لا تعمل الا ليشمل المجتمع الخير

حقا ان الطبيعة لا تعمل الا للصالح العام ، ولكن يجب ان نقرر أن عملها لا يسلم من مظاهر المحاباة ، فهي كثيراً ما تتجاهل حكم العدل ، وانا لنراها توزع المواهب على الناس توزيعا يدعو الى العجب والدهشة : هذا عاقل وذلك مجنون ، هنا ذكي وهنالك أبله ، بينا نرى عبقريا اذا نحن أمام رجل لا مواهب له ، وبينا نجد شخصا قوي الجسم اذا نحن بهزيل ضعيف . هذا الى أن الطبيعة هي التي تهيء لصديقها أسباب النجاح وتسلس له قياد الفرص ، على حين أنها تمر بآخر مشيحة بوجهها عنه ، لغير سبب ظاهر ، فيعيش طول حياته مغموراً بالألم محجوبا في الظلام

. . . ذلك هو نظام الطبيعة يجب أن نقبله صاغرين ، ويجب أن ننق عن عقولنا ، في الوقت نفسه ، تلك المذاهب الغريبة التي لا تعتمد في أسسها على قانون تنازع البقاء وهي التي يبشر بها بعض المفكرين المخدوعين . تلك هي مذاهب المساواة بين الأفراد وتعميم النعيم الارضي حتى لا يكون ظالم ولا مظلوم ، فينضوي العالم كله تحت راية الاخاء والمحبة والتصافي . هذه المذاهب يجب أن تكون مقصورة على ساعات النوم وحدها ، فننعم بها أحلاما بهيجة حتى اذا ما استيقظنا طرحناها جانبا . وما دام الحديث قد تطرق بنا الى هذه النقطة من الموضوع ، فلا مناص من أن نقول كلمة في المساواة بين الرجل والمرأة ، هامسين بها في آذان جنسنا اللطيف همسا خفيفا : ان من الصعب يا سيدتي ان تظلي متشبثة بمطالبك الشاذة حول المساواة بالرجل في الحقوق كافة ، ومعذرة اذا نعت مطالبك بالشذوذ ، فهي الكلمة التي تناسبها في لغة الطبيعة ، أما اذا استعرنا النعت من لغة الانسانية جاز لنا ان نصف مطالبك بأنها غاية في العدل !

ان الطبيعة ـ ولا شأن لنا في ذلك ـ قد ميزت الرجل عنك ، فتفوق عليك منذ الأزل ولن يتخلى عن هذا التفوق الا اذا غدرت به الطبيعة ، وجردته مما منحته من مميزات ، فاذا أردت الشكوى فتقدمي الى الطبيعة بما تريدين ، وأريحي أدمغتنا من هذا العنت واستريحي . . المساواة بنا لامعنى لها الا أن تكوني مثلنا خلقا وتكوينا ، أي قلبا وقالبا ، فهل تستطيعين مثلا أن تستبدلي بعدوك غدودنا ، وهل في الامكان أن تبطلي عمل الأمومة فيك ؟

. . . فاذا كان فى المستطاع ذلك كله فهل هناك قوة فى العالم تستطيع أن تغير فيك سياسة الدموع ؟ !

والآن نود أن نختم حديثنا بكلمة نحلل فيها معنى الرحمة ، فالذى يتبادر الى الأذهان أول الأمر عندما تذكر كلمة الرحمة أنها بعيدة كل البعد من الاثرة وحب الذات ، ولكن يظهر أن الطبيعة الساخرة الخبيثة لم تترك لنا من العواطف الانسانية الشريفة عاطفة واحدة نعتز بها الا لونتها بلونها ، فالرحمة والشفقة والحب ـ وكلها في الواقع ذات معان تستمد من نبع واحد ـ قوامها الاثرة وحب الذات . هاك عطف الأم وحنوها على وليدها وحبها اياه ، أليس ذلك كله فى الحقيقة مظهراً من مظاهر غريزة حب البقاء والمحافظة على النوع ؟ فهى تحب نفسها فى شخص وليدها ، وتبغى الاحتفاظ به لأنها تعرف بواعيتها الخفية أنها ستحيا فيه بعد موتها ، اذ أنه جزء منها أودعته دمها وروحها وصفاتها ، فهى باقية ما بقيت ذريتها ، وهى خالدة خلودها

والحب ـ فى الواقع ـ معناه الرغبة فى الاستئثار ، فالمحب يريد امتلاك من يحبه لنفسه ، دون أن يدع لغيره فرصة الاشتراك فى الحب ، وتراه يدافع عن حبيبه ما استطاع الى ذلك السبيل ، فهو يبسط عليه حمايته ولا يتورع ان يحد من حريته ، كل هذا ليستأثر به لنفسه : فالاحتضان معناه الامتلاك المطلق للمحبوب ، والاستيلاء عليه ، والتقبيل اذا تدبرت معناه استبان لك أنه يدخل فى باب النهم والشره ، أى الرغبة فى احتواء المحبوب واحلاله نفس محبه !

وبعد هذا فهل نستطيع أن ننكر أن «الحب» ما هو الا الأثرة وحب الذات فى أظهر معانيهما

ولنعد الآن الى الرحمة ، فهاك مثلا آخر فى شأنها : فالمرء يعتقد ، حين يمنح السائل الفقير شيئا ، أنه يفعل ذلك رحمة بهذا الضعيف المحتاج ، ولكنه ـ فى الواقع ـ انما يقدم هذه الصدقة ليشبع فى نفسه شهوة القدرة والسلطان ، وليثبت غلبته وفوزه فى ميدان تنازع البقاء ، فهو يمنح « السائل » ولسان حاله يقول : أنا أرفع منك شأنا وأعز سلطانا !

هذه بعض خواطر عنت لى ، ربما كان فيها شىء من المبالغة ولكنها لا تخلو من حقائق ثابتة ، وقد أردت ان أعرضها على القراء ليفكروا فيها فلعل فيها عبرة وتذكرة !

محمود تيمور

علم النفس ينهض بالصناعة

بقلم الدكتور ليون ولتر

الأستاذ المساعد لعلم النفس التجريبي بالجامعة المصرية

استعادت مصر استقلالها السياسي ، وأخذ سلطانها يمتد شيئاً فشيئاً الى مختلف ميادين النشاط الحيوي . ولا شك أن الجهود التي تقوم بها لايجاد صناعة وطنية ، جديرة منذ الآن بكل تقدير . فهل هناك وسائل اضافية تمكنها من السير بهذا المجهود نحو نجاح أفضل وأكمل ؟

في رأينا أن الاستعانة بعلم النفس التطبيقي هي وسيلة من تلك الوسائل . فهذا العلم وان يكن في طوره الابتدائي فقد أسدى من الخدمات ما هو خليق بالاهتمام وانعام النظر

وتتلخص الغاية منه في تطبيق علم النفس على شروط العمل بحيث يصبح في المستطاع زيادة الانتاج بأقل مجهود يبذله الانسان

وعلم النفس التطبيقي يحقق هـذه الغاية بواسطة التوفيق بين العمل والعامل من جهة ، والتوفيق بين العامل ونوع العمل من جهة أخرى ، على أن يسترشد في ذلك بشخصية العامل وخصائصه النفسية ، اذ العناية بانسانية هذا العامل هي نقطة الارتكاز وهي الغرض النهائي لكل تنظيم صناعي للعمل

وأما المصادر التي يلجأ اليها علم النفس التطبيقي لتحقيق غاياته فهي : علم النفس العام وعلم النفس الخاص

فعلم النفس العام يدور حول دراسة حالة الفرد العقلية في علاقاتها بالحالات العقلية المشتركة عند سواد الناس . وعلم النفس الخاص يدور على النقيض حول دراسة المميزات التي تجعل كل فرد مستقلا بخصائصه العقلية عن سواه

فاذا كان العمل ينهض مثلا على جماعة من العمال أخضع في تنظيمه لعلم النفس العام ، واذا كان ينهض على أفراد أخضع لعلم النفس الخاص . وبفضل هذا التطبيق نستطيع تبين الميادين التي يمكن فيها التوفيق بين نوع العمل وشخصية العامل أو التوفيق بين شخصية العامل ونوع العمل . ثم نتطرق من ذلك الى تبين ميادين العمل الأخرى التي يستطاع فيها الجمع بين هذين النوعين من التوفيق والتي يلجأ في حل مشاكلها الى علم النفس العام وعلم النفس الخاص

ففيما يتعلق بالتوفيق بين العامل ونوع عمله ـ وهو ما يتصل بعلم النفس الخاص ـ لا بد لنا من مراعاة صلاحية ذلك العامل لمهنته واقتداره عليها . وهكذا نستطيع أن نتخير له نوعاً من العمل

يتفق واستعداداته العقلية ومؤهلاته النفسية والخصائص التى لا بد من توافرها فيه لاتقان هذا العمل

والواقع أن الناس يختلفون بقدر ما تختلف استعداداتهم . وليس بينهم من فى وسعه أن يقوم بعمل الآخر على نفس الوجه وبنفس الطريقة . فينبغى والحالة هذه انتخاب الأصلح والاكفأ بحسب الطرائق التى يوصى بها علم النفس الخاص

ومتى تم اختيار الفرد الصالح لعمل معين وجب تدريبه على القيام بهذا العمل بحيث يؤديه بأقل كلفة وأيسر مجهود وأقصر زمن . وهذا يتطلب معرفة دقيقة بمواهب كل عامل وكفاياته على حدة ، بل يتطلب فوق ذلك القدرة على التوفيق واحكام الصلة بين مواهب العامل وبين نوع العمل الذى يعهد اليه به

وأما فيما يتعلق بالتوفيق بين نوع العمل وشخصية العامل فينبغى لتحقيقه أن يقسم العمل داخل المصنع تقسيما فنيا لا تراعى فيه مواهب العامل واستعداداته العقلية فقط بل قدرته البدنية واستعداده العضلى أيضا

والمهم هو تقسيم العمل الى أجزاء تتناسب ومؤهلات العمال القائمين بها بحيث يستخدمون فى أدائها أقصى ما تسمح به كفاياتهم . وكلما نظم العمل وفق هذه الطريقة تحرر الانتاج من الطابع الميكانيكي وتضاعف وارتقى

ولا شك فى أن كل عمل صناعى يطابق استعداداً عقليا ونفسيا معينا . فمتى وفقنا بين العمل والاستعداد أوجدنا التنظيم الصناعى العلمى المنشود

ومن المهم أن نوفق أيضا بين الآلة وبين شخصية العامل . إذ الآلة لم تصنع إلا لغرض فنى اقتصادى محض . وهى كتلة صماء لا علاقة لها بالرجل الذى عليه أن يسيرها أو يراقبها . فينبغى إذن ملاحظة مؤهلات هذا الرجل العقلية وكفايته البدنية واستعداده العصبي حرصا على صحته وعلى وفرة انتاجه وعلى سلامة عمال المصنع من الكوارث التى تحدثها اساءة استخدام الآلات

على ان الغرض الأسمى لكل عمل هو جودة الانتاج وسرعته مع تجنب ارهاق العامل ومحاولة انقاذه من وطأة الاجهاد العصبي

وفى رأينا ان هذا الغرض لن يتحقق إلا بتحقيق الغرضين المتقدمين وهما التوفيق بين شخصية العامل ونوع العمل والتوفيق بين نوع العمل وشخصية العامل مع مراعاة قدرته الفزيولوجية على احتمال التعب

كشف أثري خطير :

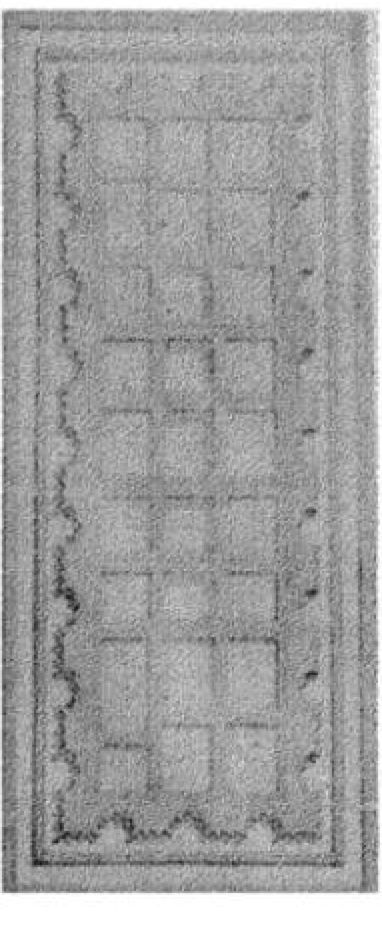
أَوَّلُ فِرْعَوْنٍ

«حور أحا» يوحد مصر قبل «مينا»

بقلم الاستاذ زكي يوسف سعد

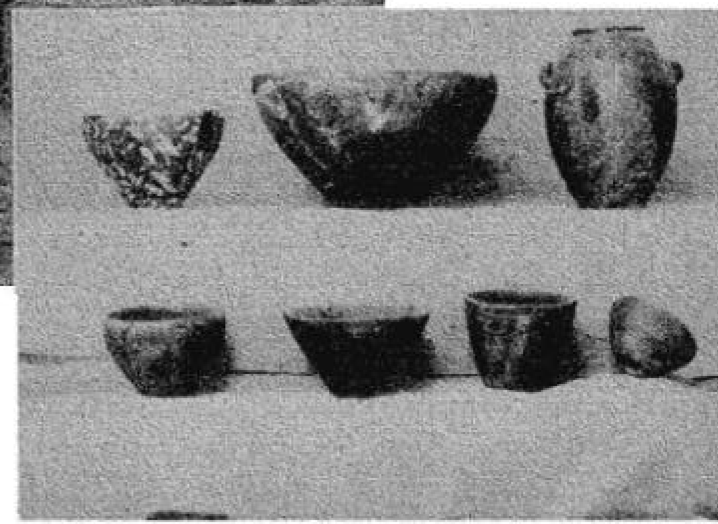
وفق علم الآثار والتاريخ المصري القديم في الشهرين الماضيين توفيقاً عظيماً ، إذ كشف في جبانة الاسرة الاولى شمال سقارة عن مقبرة الملك المصري الاول الذي تم على يديه توحيد الوجهين البحري والقبلي . وكان العثور على مقبرة أحد ملوك الاسرة الاولى بجبانة سقارة امراً يتعذر تحقيقه ، فكان أقصى مايصبو اليه علماء الآثار هو اماطة اللثام عن حضارة ذلك العصر الغابر الذي يعد فاتحة الملكية المصرية القديمة . إذ ربما استطاعوا بذلك كتابة الصفحات الاولى في تاريخ مدنيتها ومجدها اللذين ما زال ينقب عنهما علماء التاريخ والآثار عبثاً . فكيف إذن بقبر الملك الاول نفسه ، موحد الوجهين ومؤسس الملكية المصرية الذي يبدأ بعهده التاريخ المصري القديم ؟

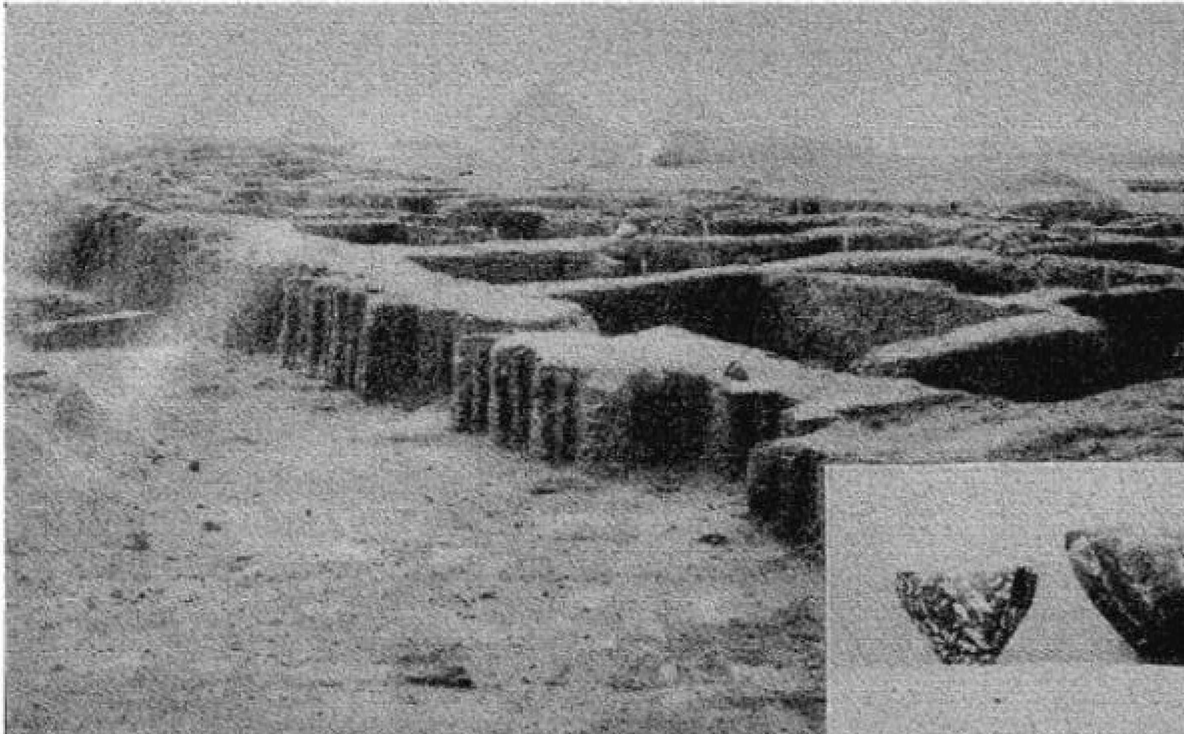
كان في زعم علماء الآثار انهم وفقوا لمعرفة الملك الأول الذي تم على يديه توحيد مصر بقسميها . وقالوا انه الملك « نعرمر » المعروف باسم « مينا » أو « منيس » . كما زعموا وجود مقبرة زوجه الملكة « نيتحتب » في نقادة



مسقط أفقي يمثل مقبرة «حور احا» في حالتها الاولى

أوان جيلة من الديوريت
والجرانيت وجدت فى المقبرة ↓





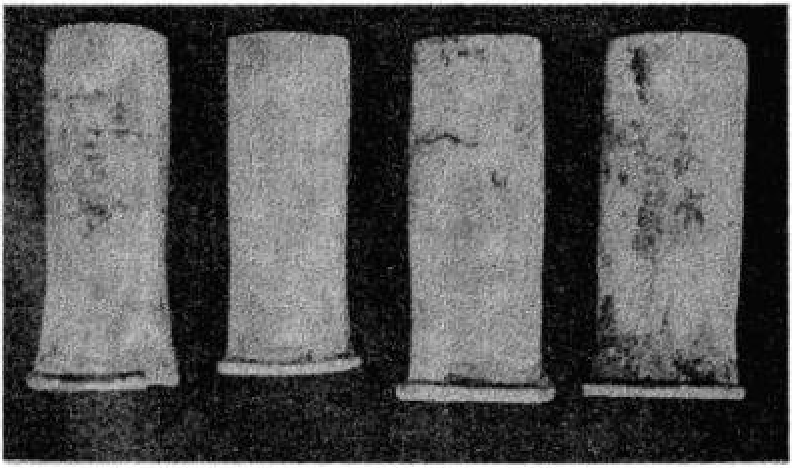
مقبرة للملك « حوراحا » تطل عليها أهرام سقارة
وتبدو فيها الحجرات الملوية وتظهر فى جوارها
الأبواب الوهمية التى كانت تتخذ لتضليل اللصوص والناهبين

بمديرية قنا ، ومقبرته هو في « ايدوس » — العرابة المدفونة — بمديرية جرجا . واشتهر « مينا » بانه أول الملوك للمصريين القدماء . ورسخ ذلك في أذهان الجميع الى ان قلبت الحفريات الحديثة بسقارة هذه الفكرة من أساسها ، وظهر ان « نعر مر » المشهور بمينا قد سبقه غيره من الملوك في الأسرة الاولى . وأنه لم يكن هو بالذات الذي وحد الوجهين ، بل وحدهما ملك غيره

والذي ثبت الآن ان نسبة توحيد الوجهين للملك « نعر مر » وأسبقيته الى الحكم زعم لا يرتكن على براهين وطيدة كالتي رجحت كفة الملك « حوراحا » في هذا الصدد ، وجعلته بحق أول من حكم مصر وأول من وحد الوجهين

***

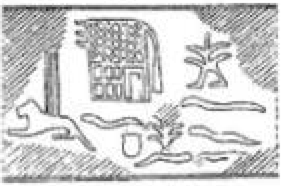
ولكيفية العثور على مقبرة موحد الوجهين الحقيق ، أو الفرعون الاول مؤسس الملكية في الأسرة الاولى ، قصة طريفة تلذ لجمهور القراء ، فوق ما فيها من تصوير لما يصادفه الباحثون عن الآثار في اثناء التنقيب من مفاجآت وغرائب . فبينما كانت حفائر مصلحة الآثار قائمة بالجهة البحرية من سقارة تحت اشراف المستر امرى واشرافي كمساعد له إذ عثرنا جنوب احدى مقابر الأسرة الثانية على مركب كبير من الطوب النيء . وكانت تجاربنا في الحفر في هذه المنطقة زهاء ثلاث سنين متوالية قد دلتنا على ان كل المصاطب ، أى المقابر الكبيرة ، التي يرجع تاريخها الى الاسرة الاولى كانت توضع في الجهة البحرية منها مراكب مبنية بالطوب اللبن أو بالخشب . فلما عثرنا على المركب ايقنا اننا على مقربة من مقبرة كبيرة من مقابر الأسرة الاولى . ولذلك واصلنا العمل إلى الجنوب من موقع المركب للبحث عن هذه المقبرة . وما هي الا ايام قلائل حتى عثرنا عليها .



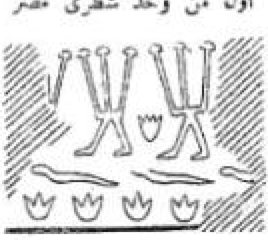
أوان من الفخار سجل عليها اسم الملك وماتشتمل عليه من غذاء وأدوات

ولم يكن يجول في خلدنا اننا سنكتشف فيها عن قبر أول ملك عمل على توحيد الوجهين البحري والقبلي

وتمكنا بعد ذلك من إزالة الأتربة من فوق سطح المقبرة ، فظهرت لنا جدرانها الخارجية وقد زينت من جميع جهاتها الاربع على نمط الابواب الوهمية المألوفة في المقابر المصرية القديمة . وقد بدأنا في تنظيف المخازن العلوية بالمقبرة ، التي كانت تبنى خصيصاً لتوضع فيها مؤونة صاحبها التي يدخرها للدار الآخرة . ولكن مما يؤسف له أن جميع هذه المخازن ويبلغ عددها سبعة وعشرين وجدت منهوبة نهباً تاماً . ولم نعثر فيها إلا على بعض ما لم يهتم به اللصوص لقلة قيمته المادية لديهم ، وان كانت قيمتها الفنية والعلمية عظيمة لنا . فان قطع الفخار التي كانت لا تروق في نظر اللصوص تلفت أنظار رجال الآثار ، إذ يقفون بواسطتها على فوائد كثيرة . منها علاقة مصر بالبلاد الأخرى وتاريخ المقبرة ذاتها ودرجة رقي الصناعة في ذلك العصر الى غير ذلك . وبعد أن انتهينا من المخازن العلوية ابتدأنا في تنظيف المخازن السفلية ، التي أمدتنا بكثير من الآنية الفخارية ، وجدنا على معظمها اسم الملك « حوراحا » الذي لم نجد غير اسمه فوق جميع القطع . كما وجدناه أيضاً فوق سدادات الطين التي كانت تغطى بها الأواني الكبيرة المخصصة لحفظ الخمور . وكانت قد ختمت بخاتم الملك في صور متعددة . وقد وجدنا كثيراً من هذه الاختام يمثل أشياء مختلفة لم تعلم لرجال الآثار قبل اليوم . وهي جد طريفة وعلى جانب عظيم من الأهمية . وأغرب ما فيها مناظر لرمز الوجه القبلي يدب على رجلين ويسعى نحو الملك ، وأخرى لرمز الوجه البحري في نفس الصورة . وفي ذلك الدليل البارز على علاقة هذا الملك المباشرة بتوحيد الوجهين حتى جاءا يسعيان اليه ، وعلى أن صاحب هذه المقبرة هو أول ملك ضم الوجهين معاً ، مكوناً بذلك المملكة المصرية المتحدة ، التي أصبحت فيما بعد أقوى امبراطورية في العالم القديم ، دانت الملوك لفراعينها وخضع لسلطانهم جيرانهم أجمعون . وقد وجدنا في الحجرات السفلية بعض أوان صغيرة من الفخار ، كتب على سطحها جميعاً بالمداد الأسود اسم الملك والى جانبه اسم ما تحويه الآنية من المواد التي ادخرها لآخرته ، أو التي وضعها له ذووه



رسم يمثل الوجه البحري يسعى على رجلين الى عرش الملك « حوراحا » مما يدل على أنه أول من وحد شطري مصر



وهذا يرمز الى الوجه القبلي ساعياً على رجلين الى عرش الملك، والى يساره معبد يربض تحته أسد وتزحف بعض الافاعي

ولعل القارىء يدهش اذا علم أن عدد ما وجد مكتوباً عليه من تلك الاواني يربو على الثمانمائة . وكانت عقيدة القوم حينذاك تحملهم على تجهيز مقابرهم بالزاد الذي يكفيهم مدى ما يقيمون



غطاء احدى الاوانى الكبيرة التى كانت تملأ بالخمور وتوضع فى مقبرة الملك ، منقوشا عليه خاتم الملك « حور احا »

فى الدار الآخرة . التى كانت فى حسبانهم أطول وأبقى من الحياة فى الدار الأولى

وفوق ذلك عثرنا على أوان من مختلف الاحجار كالمرمر والاردواز والبازلت . وغير الأوانى أشياء كثيرة من البرونز وسن الفيل (العاج) مصنوعة بمهارة فائقة تشهد بتقدم الفن والصناعة فى ذلك العهد السحيق . وتعد فى أيامنا هذه من التحف النادرة

ولعل أعجب ما فى المقبرة بعد ذلك أن جميع جدران الحجرات السفلية التى عددها خمس كانت مغطاة بالحصير الذى طبع على الجدران أثراً . ووجدت منه قطع ما زالت باقية على حالها برغم مضى آلاف السنين . وقد ثبت أن هذه الحصر مصنوعة من البردى ، وأنها كانت ملونة باللونين الاخضر والاحمر مما يجعل لها منظراً بهجاً جميلا . ومن الجائز أن تكون هذه الوسيلة فى نقش الجدران وتغطيتها أول منشأ عادة تزويق الحوائط المألوفة فى منازل العصر الحاضر

زكى يوسف سعد

أثرى بسقارة



شيخ من طلبة مدرسة « مقاومة الغارات الجوية » يتدرب على لبس القناع الواقي



وهذه احدى طالبات المدرسة تهم بوضع الكمامة الواقية من الغازات السامة على وجهها

وقاية الشعب من الغازات السامة

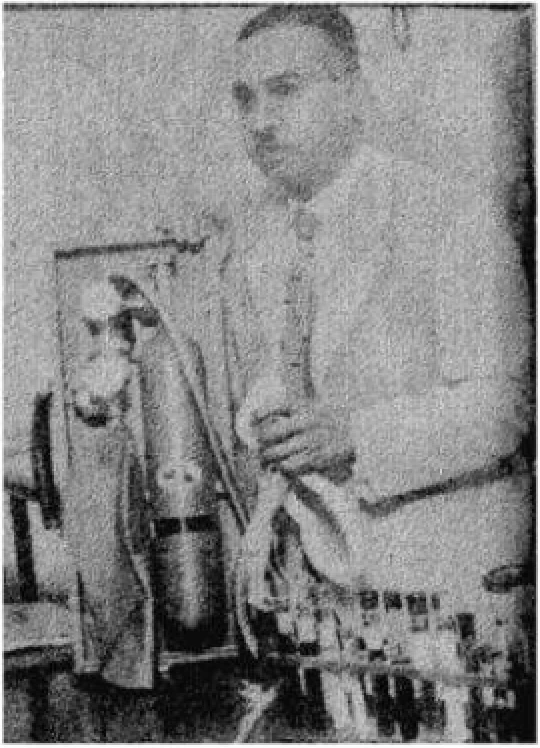
كانت الحرب القديمة معركة بين جيش وجيش . أما الحرب الحديثة فموقعة بين شعب وشعب ، فلم تعد أخطارها مقصورة على الجندى المحارب ، بل تعدته الى زوجه وأطفاله الآمنين في بيتهم . لهذا أخذت الحكومات تعنى بتأمين شعوبها من هذه الاخطار التى تودى من المسالمين بأكثر مما تودى من المحاربين ، فأنشأت مدارس خاصة تعلم « المدنيين » طرق الوقاية من الغارات الجوية وما تنفثه من الغازات السامة

وقد أنشأت مصر مدرسة من هذا القبيل يتولى أمرها جماعة من الاطباء الذين درسوا طرق الوقاية من الغازات السامة . وفتحت أبوابها لأفواج الشعب فأقبلوا عليها يلتمسون أسباب النجاة من هذه الاخطار الرهيبة . وقد قسمت المدرسة طلبتها فرقاً عدد أفراد كل منها ٤٥ طالبا من مختلف الطبقات . وهم يدرسون طرق الوقاية دراسة نظرية وعملية . فيحاضرهم الاساتذة عن أنواع الغازات السامة وأخطارها ، وطرق الغارات الجوية وأساليبها ، ووسائل المقاومة والنجاة التى اهتدى اليها العلماء . كما يدربون الطلبة على اتخاذ الاقنعة الواقية من الغازات السامة ، والملابس للمقاومة للغازات المحرقة ، وكذلك طرق تحصين بيوتهم ضد مختلف أنواع الغازات . ويدربونهم أيضا على

عمليات الاسعاف والتطهير اذا ما أصابهم شر هذه الغازات

وتعنى وزارة الصحة الى جانب هذا بنشر تعليمات شتى عن مقاومة الغازات السامة ، فيضع أطباؤها بحوثاً شتى ، ويصدرون مذكرات كثيرة ، ويلقون محاضرات مختلفة ، ليعلموا الشعب كيف يتقى هذه الاخطار التى قد تجتاحه بها الحرب القادمة

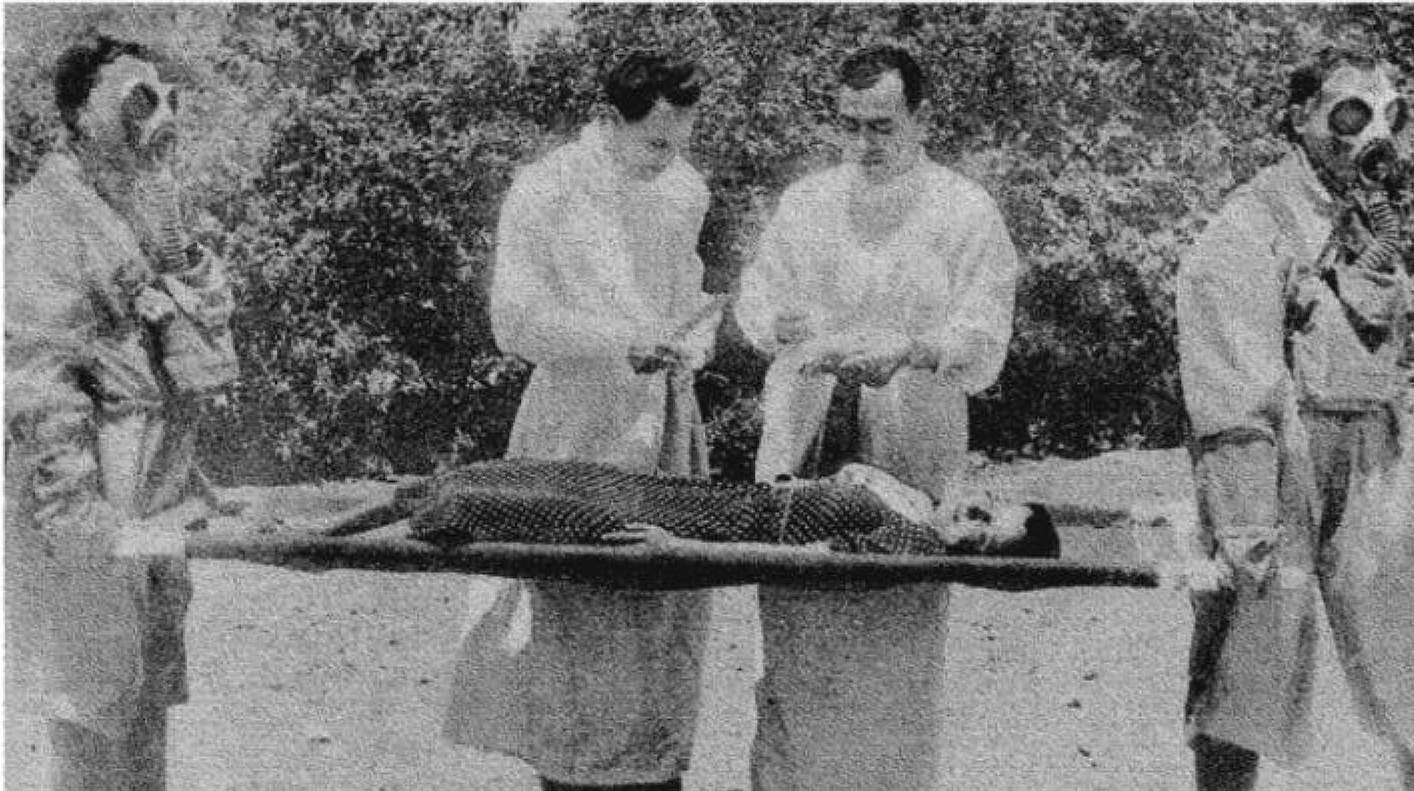
ونرى هنا صوراً شتى لطرق الدراسة فى مدرسة « الوقاية من الغارات الجوية »



مدير المدرسة يلقى على الطلبة محاضرة عن الغازات السامة مستعيناً بكثير من الأجهزة والأدوات الطبيـة



جمع من الطلبة والطالبات يصغون بانتباه الى محاضرة فى طرق الوقاية من الغازات ، قد يكون فيها نجاة أرواح كثيرين منهم



تمثل هـذه الصورة عملية اسعاف فتاة أصيبت فى احدى الغارات الجوية ، فترى اثنين من
زملائها مقنعين بكمامتين واقيتين يحملانها على محفة بينما أخذ زميلان آخران فى اسعافها وعلاجها

عرض وتحليل :

كيف نصبح أحرارًا

Devenir Libre, par Albert Moret

خلاصة كتاب وضعه البير موريه

> مؤلف هـذا الـكتاب شاعر نابغ وباحث أخلاق قدير . وكتابه مجموعة محاضرات ألقيت في باريس وأحرزت نجاحا عظيما . وفي الـكتاب طائفة من الخواطر والملاحظات تهم نراء العربية ، وبجدر بكل شرق مستنير تأملها وامام النظر فيها

كيف نصبح أحراراً وكيف نشيع ملكة الحرية في عقولنا ونشربها عواطفنا وأخلاقنا ونجعل منها قاعدة لتفكيرنا ونبراسا لحياتنا ، هذه هي الاغراض التي يرمي اليها مؤلف هذا الـكتاب

وقبل أن نتبسط في شرح العناصر التي تتألف منها شخصية الرجل الحر ، يتحتم علينا أن نعرف معنى الحرية ومداها وقيمتها

ما هي الحرية ؟

الحرية هي أن تشعر بكرامتك وتدرك ما لك من حقوق ، على أن تحس في الوقت نفسه بما عليك من واجبات نحو المجتمع . فلك أن تطلق العنان لرغباتك وتسعى لتوكيد حقوقك وتجاهر بأي الآراء شئت ، على شرط أن تحترم حرية الآخرين وأن تقوم بالواجبات التي يطالبك المجتمع بها مقابل الحرية التي منحك اياها

فاذا كانت الدولة مثلا قد منحتك حق الانتخاب والنيابة ، ووهبتك حرية الاجتماع والخطابة، وأشركتك في ادارة شئون وطنك ، فمن واجبك مقابل هذه الحريات التي تتمتع بها أن تخضع لرأي الأغلبية وان لم يصادف من نفسك هوى ، ثم لك بعد ذلك أن تستخدم حريتك في معارضة آراء تلك الأغلبية ، على أن تكون النزاهة شعارك وأن تنتهي معارضتك لا الى الدفاع فقط عن آرائك وحقوقك التي تعتقد أن الأغلبية قد هضمتها ، بل الى المجاهرة أيضا بصادق استعدادك لتأدية الواجبات التي تفرضها عليك هذه الحقوق التي تطالب بها

هذا هو معنى الحرية ولب الديموقراطية

فقيمة الرجل الحر تنحصر فيما يحسه من عواطف الشمم والاباء التي تحول بينه وبين الخضوع لرأي يملى عليه ، أو عقيدة لا يقرها عقله ، أو نظام لا يمحصه فكره ولا يرضى عنه ضميره . فهو

يسلم بقوة الأغلبية وينزل على حكمها مختاراً ، ولكنه لا يسلم بافناء عقله وخنق فكره وتضحية حريته فى سبيل هذه الأغلبية متى كان يؤمن أنها على خطأ وأنه على صواب

والواقع أن من يعترض رأى الأغلبية ويؤكد حريته فى نقدها يستهدف لشتى الكوارث ويضطر لاحتمال مختلف التضحيات

ولكن التضحيات التى بذلها وما زال يبذلها أحرار الفكر هى أصل الانقلابات ومبعث الاصلاحات وقوام الحضارة

شخصية الرجل الحر

العناصر التى تتكون منها شخصية الرجل الحر والتى لا بد من توافرها فى نفوسنا كى نصبح احراراً هى :

تربية الخلق

لن يكون رجلا حراً ذلك الذى لا يحترم شخصه ولا يعرف قدر نفسه ولا يتشبث بفكره ولا يثبت فى الدفاع عنه متى هداه العقل المجرد الى صوابه

غير أن الثبات على الرأى والمجاهرة به والتأهب لاحتمال نتائجه ، فضائل تنبع من المزاج ولا يمكن أن ترسخ فى كيان الفرد إلا متى استطاع التغلب قبل كل شىء على نفسه

فلكى تتغلب على المجموع وتقنعه بصواب رأيك ، وجب أن تعرف قبل ذلك كيف تتغلب على ميولك ، وتصرع شهواتك ، وتتحرر من الاغراض ، وتؤمن بما تقول وتفعل

فتربية الخلق ، أى رياضة النفس على الصراحة والشجاعة والصبر والجلد والقوة ، هى العنصر الرئيسى فى تكوين شخصية الرجل الحر

تربية العقل

الثقافة هى التى تحقق الحرية ، لانها تنهض على التشكك فى جميع الآراء والمذاهب حتى يثبتها العقل . فلن تكون رجلا حراً إلا متى هزأت بالعرف والمصطلح ونفضت عن كاهلك عبء الخرافات الموروثة والنظريات السائدة والتقاليد الشائعة ، وارتبت فى كل شىء وناقشت كل شىء وحكمت العقل فى كل شىء

فالمفاضلة والموازنة والتأمل والبحث والتمحيص ، فى ضوء التشكك المطلق وبعد التحلل التام من كل مؤثر خارجى ، هذه هى العوامل التى لا غنى عنها لتربية العقل وتكوين الشخصية الحرة

وليس شك فى أن الفكر نفسه يتجه اتجاهات مختلفة وينزع نزعات متباينة قد لا تتفق وعواطف الفرد وميوله وما يتوهم أنه قد اهتدى اليه بعد تفكير طويل ، ولكن هذا التباين بين منزعنا

ومنزع الآخرين لا يجب أن يصرفنا عن تعرف آرائهم بل يجب على النقيض أن يضاعف رغبتنا فى احترام هذه الآراء، وبحثها وتقليبها على مختلف الوجوه إذ من يدرى فقد تكون الحقيقة كامنة فيها وقد يفضى احتقارنا لها واستخفافنا بها الى عكس ما ننشده فى الثقافة من حرية، أى الى العناد والاصرار ورذيلة التعصب

التسامح

ليست العبرة فى أن تحسن الدفاع عن رأيك أو فى أن تذهب فى الدفاع عنه الى حد التضحية، بل العبرة فى أن تعترف بحق الآخرين فى المجاهرة بآرائهم وان خالفت منزعك وأصابت معتقداتك فى الصميم

فالرجل الحر لا يخشى الحرية . وهو من فرط ايمانه بالعقل يتساهل ويتسامح يقيناً منه أن الانسانية لايمكن أن تصب فى قالب واحد، وأن وسيلة الاقناع هى التفاهم العقلى لا العنف والاضطهاد . .

ولقد كانت الكنيسة فيا مضى تضطهد الناس لانها كانت تكره العقل، وتحارب الفكر الحر، وتفرض على الجماهير عقائد تنبع من العاطفة الطائشة والايمان الوراثى الاعمى

وحيث تسود العاطفة، وتطغى على العقل، وتستحيل الى عقيدة، يفشو التعصب وتنتشر نزعة الاضطهاد والعنف

ولكن ما قيمة المبادىء والآراء التى يغرسها التعصب فى النفس وتفرض بالقوة على الناس ؟

انها تولد ولا شك روح تمرد وثورة وانتقاض سرعان ما ينشد الحرية بالالتجاء الى وسائل القوة والعنف . وإذن فالتعصب يغرى بالثورة والثورة تغرى بسفك الدماء . أما التسامح فيقر السلام بين أبناء الوطن الواحد، ويحيل المعارك العاطفية الدموية الى معارك فكرية لا بد أن تخرج منها الحقيقة فائزة لمصلحة الافراد ومجموع الامة . ولو قدست الحرية ما كان التعصب، وما استبدت الكنيسة بالاحرار، وما وقعت الحروب الصليبية، وما حدثت مذبحة القديس بارتلمى، وما اضطهدت الاقليات الدينية، وما جنت الشعوب التى يحكمها الدكتاتوريون اليوم وشردت احرار الفكر وأخرت تقدمها وتقدم الذهن البشرى

فالتسامح والحالة هذه دليل الحرية لانه دليل النضوج العقلى . وكلما نضج عقل الفرد ازداد ميلا الى الحرية والتسامح وكلما نضج عقل الأمة ازدادت تبرما بالنظم الاوتوقراطية وميلا الى حكم الشعب . فمتى ارتقت تربية الخلق وارتقت تربية العقل، اتجه الفرد من تلقاء نفسه نحو الحريه وأدرك فضيلة التسامح

التجرد من الحزبية السياسية

تعددت المذاهب السياسية فى هذا العصر وكثرت الاحزاب وبات الفرد يعتقد أن من واجبه الانخراط فى حزب معين والدفاع عن مبادىء هذا الحزب ، حتى لقد أصبحت النظريات الحزبية شبه عقائد عاطفية يسممها التعصب وترتكب باسمها أفظع الجرائم

والواقع الذى لا يقبل الشك أن كل من ينخرط فى حزب من الاحزاب ، يقيد نفسه ، ويضحى باستقلاله ، ويفقد جزءاً كبيراً من حريته ، وقد يخضع كارها لاعمال وتصرفات لا يقرها عقله . ولكن الفرد المثقف الطامع فى الدعوة لفكرة يحبها ويؤمن بها ويعتقد نفعها ، قد يصعب عليه نشر فكرته معتمداً على نفسه ، فيستعين بالحزب الذى يمثلها أو الذى يلمح فى مبادئه شيئا من أصولها

وليس فى وسعنا أن نقول لمثل هذا الفرد : « تجنب الحزبية » ما دام ان اخلاصه لمبدئه هو الذى ساقه اليها ، ولكن فى مقدورنا أن نقول له :

« احرص ما استطعت على حريتك ، ولا تستعبد لحزبك ، واستمسك بجوهر فكرتك ، وتشبث بمثلك الاعلى ، وكن دائم التأهب لمقاطعة الحزب لو حاد عن مبدئه أو لو حاول اتخاذ حلول متوسطة تنم عن عجز فى روح الجهاد وضعف فى ارادة السعى والمقاومة ورغبة نفعية فى حيازة السلطة من أقرب السبل »

فاخلص لحزبك ما دمت تعتقد أنه مخلص لفكرتك . وليتمثل اخلاصك للحزب فى صرامة نقدك له وشدة حملاتك عليه متى تبين لك أنه انحرف عن الجادة وأوشك أن يعبث بالفكرة ويخون المبدأ . ولا ينبغى أن يجاوز نقدك أول الأمر دائرة الحزب ، فان خاب ظنك فى رجاله ، وأدركك اليأس من تطور قادته ، فلك عندئذ حق الانسلاخ عنه وقطع كل صلة لك به ومهاجمته فى وضح النهار واشهاد الشعب على مساوىء سياسته . وهكذا تحتفظ بجزء ثمين من حريتك . وأما إذا شئت الاحتفاظ بها كاملة فخير لك أن تستقل بنفسك ولا تنخرط فى أى حزب اطلاقا وتجتهد فى الدعوة لفكرتك من طريق النشر فى الصحف أو وضع الرسائل والكتب أو الخطابة فى المحافل والأندية العامة

وثق أنك كلما حرصت على استقلالك ، ازددت تقديسا لفكرتك ، وازداد غيرك تمجيداً لها وحبا فيها وايمانا بها

التحرر من سلطان المال

لن يعرف نعمة الحرية كل من خضع لسلطان المال ، إذ كيف يمكن أن نصبح أحراراً فى الاعراب عن آرائنا ، وفى الاستمساك بمبادئنا ، وفى الدفاع عن وجهات نظرنا ، ونحن نطمع فى

للمال أو الجاه أو المنصب أو أى نعيم دنيوى زائل ؟ للمال قوة هائلة من قوى الاغراء ، فبالمال تشترى الضمائر وتخنق العقول وتكم الأفواه ويهدر دم الحرية

وكم من عظيم طاهر الذمة حر الفكر ضعيف الخلق متوسط الحال ، لوح له الوصوليون بالجاه والثروة وأغروه بهما وزينوهما له ، فتراخت ارادته ، وتبلدت ذمته ، وتسمم ضميره ، فخان فكره ، وأنكر رسالته ، وباع الاهل والوطن غير مكترث لشيء

ومن الظواهر الملحوظة أن ترفع صاحب الفكر الحر عن مغريات المادة ، يضاعف رغبة الوصوليين فى اغوائه وتلويث شخصيته وزعزعة معتقده وضمه الى صفوفهم ، إذ هو فى الواقع خطر عليهم وصورة معكوسة لهم ومثل نبيل يفضحهم ويصب ضوءاً ساطعا على حقيقة حالهم وقرارة نفوسهم

ولذا كان التحرر من سلطان المال أشق ضروب التفوق . وفى هذا يقول فولتير :

« لا بد لمن شاء الاحتفاظ بحريته من رياضة نفسه على حياة الخشونة والتقشف والزهد فى مباهج الدنيا عند الاقتضاء . ولقد قال المسيح ليس فى وسع الانسان أن يعبد ربين : الله والمال . وأنا أفسر كلمة الله هنا بكلمة الحرية وأردد أن ليس فى مقدور الانسان أن يعبد الحرية وعينه الخبيثة ترمق المال ! »

ولا ريب أن فولتير على حق ، إذ السعى وراء المال كثيراً ما يقترن بالتأهب لتوديع الفضائل النبيلة والأقبال على رذائل المداجاة والكذب والنفاق والملق والزلفى . وحيث تنتشر هذه الرذائل تولى الحرية الأدبار وتحل الغريزة محل العقل وينحط مستوى الفكر ومستوى الانسان ، ومع ذلك فقد يحدث أن يعطل الفقر حرية الفكر ، وأن يحول الفقر بين صاحب الفكر الحر وبين المجاهرة بفكره خشية أن يصطدم بأصحاب السلطة فيفقد الكفاف وينحدر الى مهواة الذل ويضطر أن يبسط يده الكريمة للاستجداء . وهنا ينصح فولتير الرجل الحر لا بالاقتصاد فقط بل بالبخل ان استطاع . ينصحه بان يقتر على نفسه ويحرمها ملذات الحياة ليجمع المال بالطريق المشروع بغية التوصل الى ضمان الاستقلال الشخصى وضمان القدرة على التعبير عن الرأى الحر دون ما استهداف لذل الفقر

فالمال الذى يستخدم لخنق حرية الفكر ، فى وسعنا استخدامه لتوكيد هذه الحرية . وهكذا نتغلب على سلطانه ونستعبده بدل أن يستعبدنا

التحرر من سلطان المرأة

كل من تفتنه المرأة وتذهب بلبه ويتهالك عليها ويسعى وراءها ويتمثل المتع الكاملة فيها لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يعد نفسه رجلا حراً

والمرأة بطبيعتها مخلوق أنانى ، ينشد حيازة الرجل ، وصرفه عن مهام حياته ، واستغراق عقله وقلبه ، والانتفاع المطلق بثمرة جهاده

والمرأة لا تقدر الفكر النزيه بل تقدر الفكر العملى النفعى . فهى تزن جهادك بما يعود به من مال ، وتقيس فكرك بمقياس المصلحة ، وتستخف بك وتحتقرك ان انت آمنت بآراء مجردة ودعوت لمبادىء وافكار حرة ، وسعيت كما هو الواجب لنشر هذه المبادىء والافكار بعيداً عن دائرة المصلحة

واذن فاتصالك بها اتصال شهوة عميقة متأصلة غامرة ، لابد أن يطبعك بطابعها ويكسب عقلك لون تفكيرها ويخضع حريتك المطلب المادى المباشر توطئة للقضاء عليها

هذا من جهة الخلق . وأما من جهة الفكر فالشهوة الجنسية المتطرفة تنهكه وتستنزف حيويته وتشوش اتجاهاته وتشيع فيه رذائل العبث بكل ما هو روحى معنوى . ولا غرابة فى ذلك فالمرأة فتنة مادية وان اتخذ جمالها فى خيالنا طابع الشعر . وما دمنا قد أولعنا بها فريع المادة المنبعثة منها كفيلة باطفاء جذوة الفكر والحرية فى عقولنا وقلوبنا

فسحر المرأة أشبه بسحر المال ، والى كليهما يلجأ الوصوليون عند ما يريدون قهر الرجل الحر والسيطرة عليه وتشويه سمعته وحمله على انكار فكره ومعتقده

ولقد كان القصصى الكبير جوستاف فلوبير يرتجف كلما شاهد امرأة جميلة ويقول :

« جمال المرأة ألد أعداء حرية الرجل . فالويل لمن يتبعه . انه ليفقد اذن أغلى جوهرة فى تاج رجولته ! »

***

هذه أهم العناصر التى لا بد من توافرها فى نفوسنا كى نصبح أحراراً . فلنتعم النظر فيها ولنتأملها طويلا ولنحاسب أنفسنا فى ضوئها ، فنحن اليوم أحوج ما نكون الى من يذكرنا بها . .

ا . م .

أمراض غيرت التاريخ

من احداث التاريخ الكبرى ما يمكن تفسيره بما وقع فيه من أوبئة خطيرة ، فاجأت شعوب العالم على غرة ، وعمت آفاق الارض على عجل ، فأزهقت من الجماعات وأقفرت من البلاد ، ما لا يذكر الى جانبه ما أهلكت الحروب الكبرى وفتكت المجاعات العاتية

يذكر التاريخ القديم أوبئة شتى اجتاحت مصر وايران والهند والصين ، ولكنا لا نعرف منها سوى ما ورد ذكره فى التوراة مثل التدرن والجذام . وأقدم وباء نعرفه هذا الذى ذكره « ثيوسيدس » فى حديثه عن الحرب التى أغارت فيها جيوش أسبرطة على اقليم أثينا ، ففزع أهله الى عاصمتهم يطلبون النجاة ، فضاقت أرجاؤها بمن ازدحم فيها من أفواج اللاجئين ، وأصابها وباء لم يكن للناس عهد به ، فعجزوا عن علاجه وتركوه يحصدهم حصداً

كان هذا المرض أليماً فاتكا : يحس من ينتابه حرارة تتقد فى رأسه ، يعقبها التهاب يدمى عينيه ، ثم تهيج أعصاب أنفه فيعطس عطساً عنيفاً مؤلماً ، وتضطرب أوتار حنجرته فيقلب صوته خشناً أجش ، ثم يهبط الألم الى صدره فيثج أحاً يؤلمه ويضنيه ، ثم يصل الى المعدة فتغثى نفسه ويقىء كثيراً . وهو فى أثناء هذا يحس ناراً تتأجج فى حنايا جسمه فلا يطيق غلالة تستره ، ويود أن يلقى بنفسه فى الماء ليبترد لولا أن الاطباء يمنعونه من ذلك خوف أن يضاعف البرد وطأة الحمى . وكذلك كان المرض يقض مضجعه ويؤرق ليله ، فلا تنقضى أيام حتى ينهضم جسمه وتذوى قواه . فان صمدت بنيته حتى يزول عنها المرض ، لم تنج أصابعه ويداه وقدماه وعيناه من عاهات تلازمها مدى الحياة . وقد يحدث أدهى من ذلك فتختل أعصابه ويفقد ذاكرته . أما ان فتك به المرض وأماته ، عافت الطيور الجارحة ان تقترب من جثته !

ولا يعرف الاطباء حتى اليوم اسم هذا المرض . ومنهم من يرى أنه وباء بادت جراثيمه منذ عهد بعيد ، ومنهم من يحسبه « التيفوس » مصحوبا بوباء آخر كالجدرى أو الكوليرا عاونه على الفتك والهلاك ، ومنهم من يظنه حمى الدنج مصحوبة بمرض الحمرة

***

وتاريخ العصور الوسطى ليس إلا تاريخ المجاعات القاتلة والأوبئة الفاتكة . فقد وقعت فيها سلسلة من الاوبئة الدورية – كالحصبة والجدرى – اجتاحت الشعوب فى فترات منتظمة . وتحول فيها البرص من مرض الى وباء عذب وشوه آلافا من الناس . وكان الاوربيون يسمونه « المرض العربى » زعما ان العرب هم الذين نقلوا جراثيمه من الشرق الى الغرب ، وعدوا به الفرنسيين حين التحموا بهم فى عدة وقائع

ومن أوبئة العصور الوسطى وباء سماه بعضهم « النار المقدسة » وسماه آخرون « نار جهنم » .
وقد أطبق على أوربا كلها بين القرنين العاشر والثانى عشر ، ففتك بأهلها فتكا ذريعا حتى أخلى آفاقا فسيحة من ساكنيها . وكان هذا الوباء يصبغ أطراف الجسم أحيانا بسواد قاتم ، وقد يؤدى الى انفصالها وتساقطها منه . وكان السعيد من يموت عقب مرضه بساعات أو أيام ، والشقى من يعيش أسابيع أو شهوراً يقاسى فيها أشد النكال . وقد قدر أحد المؤرخين أن اربع مقاطعات فرنسية مات فيها بهذا الوباء فى بضعة أيام ٤٠٫٠٠٠ نسمة !

وقد فتحت الحروب الصليبية أبواب أوربا للفأر ! فمن المؤكد أن أقاليم أوربا لم تعرف هذا الحيوان المؤذى قبل العهد الوسيط ، فلم يرد ذكره قط فى الادب الاغريقى أو الادب الرومانى .
وموطن الفأر على الارجح صحارى مصر وجزيرة العرب بعيداً عن المدن والشواطىء ، فلم تنقله السفن الجارية بين الشرق والغرب . وكان أول فأر غزا أوربا هو « الفأر الاسود » الذى ينقل جراثيم اشد الامراض خطراً ، وظهر أول مرة فى القرن الثانى عشر ، فلم تمض بضعة عقود من السنين حتى صارت أسرابه خطراً يهدد حقول الغلال ومخازنها . فقامت الحكومات تدعو الناس الى إبادة هذا الحيوان ، ونشأت حينذاك وظيفتان : وظيفة المنادين الى قتل الفئران ، ووظيفة صائدى الفئران . ولكن لم يستطع الناس أن يتغلبوا على الفأر ، فظل يكثر ويعيث حتى بداية القرن الثامن عشر حين وفد الى أوربا من أواسط آسيا « الفأر الاصفر » ، وهو أقوى وأكبر من الفأر الاسود ، فسرعان ما قهره وفتك به ، وزواه فى بقاع قليلة من الارض ، بينما انتشر هو فى جميع آفاق الدنيا ، قديمها وحديثها ، ما عدا الأقاليم القطبية

وفراء الفأر خير مأوى لجراثيم كثير من الامراض الفتاكة ، ولا سيما الطاعون والتيفوس .
فلما انتشر فى أوربا جر عليها « الموت الأسود » ، وهو أخطر وباء شهده التاريخ

ظهر وباء هذا الطاعون سنة ١٣٤٦ فى شمال الصين ، حيث فتك فى أقل من عام واحد بثلاثة عشر مليون نسمة . ثم نقلته قوافل التجارة وسفنها الى أوربا ، ماراً بدمشق وبيت المقدس فكاد يفنيهما . وقد بلغ عدد ضحاياه فى آسيا وحدها ٢٤ مليون نسمة ، أما فى أوربا فأجمع المؤرخون على أن ضحاياه لا يقلون عن ثلاثين مليونا وقد يبلغون الاربعين . وحسبك من بشاعته أنه قتل فى أيام معدودة أربعين الفا من سكان جنوة ، ومائة الف فى البندقية ، وفتك بثلثى سكان بادوا ، وقد بلغ عدد الموتى به فى بولونيا وفيرارا ألفين كل يوم . ولم يكن حظ المانيا خيراً من حظ ايطاليا ، فقد هلك فيها ١٫٢٥٠٫٠٠٠ شخص . وفقدت بولندا أكثر من نصف سكانها .
واكتسح الوباء فرنسا ففتك فى مقاطعة أفينيون وحدها بمائة وخمسين الفا فى بحر سبعة شهور .
وفقدت آرليس نصف سكانها ، ومارسيليا ثلثيهم . ثم انتقل الوباء الى انجلترا حيث بلغ أقصى خطورته ، حتى ليقال انه لم ينج منه سوى عشر السكان فحسب . ولم يدع الطاعون بقعة من أرض

أوربا ، فوصل الى أقصى الشمال حيث أهلك ثلثى سكان النرويج ، وكاد يفنى سكان أيسلند جميعا ، كما وصل الى أقصى الجنوب فلم يبق أكثر من ثلث سكان جزائر البحر الابيض . وهكذا قتل هذا الطاعون زهاء سبعين أو ثمانين مليون نسمة . ولم ينج منه الفقراء ولا الاغنياء ، فكان من ضحاياه ملكة نافارا ، وأخت امبراطور المانيا ، ودوق برجندى ، وملكة فرنسا ، وملكة أراجون ، وملك كاستيل

ومما زاد فى خطورة الوباء أن العامة اعتقدوا أن الاطباء هم الذين ينقلون الداء من المريض الى السليم ، فكانوا يتربصون بهم عند أبواب المرضى حيث يرجمونهم بالاحجار ويمنعونهم من دخول بيوت المصابين

وقد أدى ذلك الطاعون الى نتائج تاريخية خطيرة : فقد ظل الامن مضطربا فى انجلترا بضع سنوات ، ونقصت الايدى العاملة فارتفعت الاجور وخسر الزراع وكسدت الأسواق ، وكان من نتيجة هذا حروب شتى نشبت بعد ذلك

***

وجاء عصر الكشف الجغرافى فظهرت فى أوربا أوبئة جديدة ، منها الحمى الصفراء التى نقلها كولومبس فى رحلته الثالثة . وكما حمل الاوربيون من أمريكا أمراضا خطرة ، فقد نقلوا اليها أدواء أشد فتكا ، أهمها مرض السل وحمى التيفوس اللذان أحالا جزائر الشاطىء الامريكى الى مقبرة فسيحة حزينة . ومن الغريب ان الامراض كانت تتعقب الاسبانيين أينما حلوا ، فلم يقروا فى جزيرة « هايتى » طويلا حتى أفنى منها الجدرى ٣٠٠,٠٠٠ نسمة . وقد انتقل هذا الوباء الى المكسيك حين غزاها « كورتز » ، وأهلك آلافا من أهلها فجعل الباقين منهم عاجزين عن استغلال الاراضى ، فمات آخرون جوعا ...

وقد أعقب ذلك أوبئة أخرى : منها وباء البرص الذى حمله الغزاة الى أمريكا فى بداية القرن السادس عشر ، ومنها وباء سماه الأمريكيون « ماتلاساهوات » والرجح أنه الجدرى ، وقد بلغ عدد قتلاه ٨٠٠,٠٠٠ شخص ، ومنها وباء ظهر فى النصف الثانى من ذلك القرن وقدرت ضحاياه بمليونين من الانفس

ولكن الدنيا الجديدة ثأرت من الدنيا القديمة أبلغ ثأر ، حين ارسلت اليها جراثيم الوباء الحديث : الزهرى ، الذى أصيب به بحارة كولمبوس فى أثناء إقامتهم بجزيرة هايتى ، ونقلوه الى أوربا حيث ظهرت أعراضه أول مرة فى جيش شارل الثامن عند غزوته ايطاليا ، ثم لم يلبث ان اكتسح فرنسا والمانيا وانجلترا ، ووقف الأطباء حياله عاجزين ، بينما أخذت الشعوب المذعورة يتهم بعضها بعضا بهذا المرض ، فالفرنسيون ينسبونه الى الاسبانيين ، وهؤلاء يسمونه : « المرض الفرنسى ! »

وقد عم المرض أوربا كلها فى فترة وجيزة ، حتى اعتقد الناس أن عدواه تأتى من طريق التنفس والماء ، فأغلقت الحمامات العامة التى كانت منتشرة فى أوربا حينذاك . وكان الناس يعتقدون أن الزهرى يؤدى الى الصلع ، فأسرع الناس الى اسبال شعور رءوسهم ولحاهم وشواربهم ، ومن هنا نشأت عادة اطلاق الشعور التى عمت أوربا الى عهد قريب . وكان الرجل الاصلع أو الحليق يتوارى من الناس خجلا ، لأن تجرده من الشعر دليل اصابته بهذا المرض المزرى

***

ومن أخطر أوبئة العصر الحديث وباء الكوليرا الذى أصاب أوربا سنة ١٨٣٢ ، واستمر خمس سنوات أفنى فيها ٤٠٠ر٠٠٠ فى روسيا، و٣٤٠ر٠٠٠ فى أوستراليا، و١٠٠ر٠٠٠ فى اسبانيا، و٩٥ر٠٠٠ فى فرنسا . وقد سمى القرن الماضى « قرن الكوليرا » لأنها تكررت فيه ثلاث مرات وذكرت الناس بما وقع فى العهد الوسيط من « الموت الأسود » . ولكن هذا الوباء خدم أوربا إذ اضطرها الى أن تعنى بوسائل الوقاية والتمريض ، واليه الفضل فى اقامة نظام المصحات الحديثة . وقد غير كذلك كثيراً من أساليب الحياة اليومية ، وطرائق بناء المساكن ، كما أوجد صناعات جديدة

أما القرن العشرون فقد أصيب بوباءين :

أولا ـ التيفوس الذى ظهر فى الحرب البلقانية بين جيوش أوستريا ، فلما تغلب جنود الصرب عليها وأسروا منها ٦٠ر٠٠٠ جندى ، نقلوا جراثيم الوباء الى بلادهم ، حيث ظهر فى سجون الاسرى أولا ، ثم انتشر منها فى سائر آفاق البلقان فبلغت ضحاياها منه عشرات الالوف . وقد بلغت خطورته أقصاها فى روسيا اذ صحبته أوبئة أخرى منها التيفود والملاريا . وقد اعقب هذا مجاعات خطيرة واصابات شتى ، ولم تكن وسائل الوقاية والتمريض ميسورة ، فخسرت روسيا من جراء هذه الأوبئة سبعة ملايين نسمة

ثانيا ـ الانفلونزا التى انتشرت فى الاشهر الاخيرة من الحرب الكبرى . ويلاحظ ان كل حرب خطيرة تنتهى عادة بوباء فتاك . وقد نشأت هذه الحمى فى معسكرات الجنود ، ثم انتقلت منها الى المدن والقرى فى جميع أرجاء العالم . فأودى الوباء فى شهور قلائل بأكثر مما أودت الحرب الكبرى فى عدة سنوات . فقد بلغت ضحاياه فى الهند وحدها خمسة ملايين نسمة ، ومات منه فى أمريكا عشرة أمثال من مات من جنودها فى الحرب الكبرى . وبلغ من خطورته ان ارتفعت أثمان الاكفان وصناديق الموتى ، ولو استمر بضع سنين لاخلى الارض من البشر جميعا !

ع . غ

خلاصة كتاب "Les Epidemies et l'Histoire"
للعالم الفرنسي Albert Colnat عن مجلة Science Digest

الأم الآثمة

قصة للكاتب الفرنسي ادوار كلاريون

> تمتاز هذه القصة بوفرة وقائعها العنيفة التي جمعها المؤلف وركزها في موقف رئيسي يستغرق بضع ساعات ويقوض في خلاله صرح أسرة . والقصة مأساة يجية فيها عبرة أخلاقية رائعة

أطرق هنري كريستيان لحظة واسترسل في التفكير ، ثم رفع رأسه وحدق الى الافق البعيد المترائي من خلال أستار النافذة المفتوحة ، ثم تقدم واطل من النافذة وطوى ذراعيه على صدره وانهمرت من عينيه الدموع . واطلق لخياله العنان فتصور الجريمة الشائنة التي ارتكبها أحب الناس اليه ، وتمثل والده ضعيفا مضطربا حائراً متردداً خاضعا ، فانقبض فؤاده وجاشت عواطفه المحتجزة ، فود لو استطاع أن يقر العدل في نصابه وأن يثأر بنفسه لشرف الاسرة الملوث

ولكن ماذا يفعل وكيف يتصرف وأى الطرق يسلك ؟

لقد شعر منذ بضعة أسابيع أن جو البيت قد تبدل وان روحا خبيثة سرت فيه وأن الرذيلة المروعة تكمن في جنباته وتأخذ بالمخنق وتبعث على التمرد والثورة

أفي الامكان هذا ؟ . . . أيحتمل أن تكون أمه حقا مذنبة ؟ . . . أنها ولا شك امرأة أنيقة رشيقة جميلة ، فكهة الحديث حلوة المعشر ، مولعة بالتجمل والتبرج ، في أخلاقها بعض الخلاعة وبعض الدلال . ولكن هذه الظواهر الشائعة لا تكفي لاتهامها ولا يمكن أن تلقي عليها ظلا من الريبة . . .

ومع ذلك ففي حركاتها واشاراتها ونظراتها ما يدل أبلغ الدلالة على أن جوهر نفسها قد تغير ، وعلى أن قوة وقحة غريبة استقرت هذه الايام فيها واحالتها في نظره الى امرأة أخرى . أجل ! انها الآن أشد جرأة وأكثر خلاعة وأوفر عبثا واستهتاراً . ثم هي تسرف اسرافاً منكراً في اذلال زوجها واضطهاده ومحاسبته على أقل هفوة تبدر منه وتعييره أمام الناس والتنكيل به ما استطاعت الى ذلك سبيلا

كل هذه الرؤى طافت بخيال هنري ثم تباعدت وتفرقت وانبثقت منها صورة واحدة استحوذت على عقل الشاب واحتلت ذهنه ومزقت فؤاده تمزيقا : تمثل والده التاعس المسكين رجلا متجهم الوجه منقبض التقاطيع محنى الظهر يخضع لأمرأته خضوعا أعمى وينزل على ارادتها مختاراً

ويحبها أعظم الحب وهى تستبد به وتتعالى عليه وتسخر منه وتبتز ماله لتنفق على زينتها غير حافلة بحبه ولا بعذابه ولا بمستقبل ابنها وشرف الاسرة

تجسمت الصورة فى خيال هنرى وبدت واضحة دقيقة تختلج حرارة وحياة ، فانتفض الشاب وانعم فى التفكير فلاحت له مرة ثانية صورة أمه ، فارتعد وخامرته الشكوك ولم يستطع أن يقاومها فأجهش بالبكاء

وانه لمستغرق فى تأملاته واذا به يلمح أشجار الحديقة تهتز اهتزازاً غريباً ويبصر شبحا يتنقل بينها بخطى وئيدة ويدفع أغصانها دفعا ضعيفا ويتجه صوب السلم الخشبى المؤدى الى مخدع والدته . وكانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل والهواء عليل والسماء مرصعة بالنجوم والقمر يصب ضوءه الساطع على الحديقة فتزدهر وتتألق كأن حياة فرحة مبتهجة أنعشتها وضاعفتها نضارة وجمالا وفتنة

وهلع قلب الشاب وخيل اليه أن الحظ قد خدمه وانه على وشك أن يكتنه ذلك السر الذى أقض مضجعه وعذبه الايام الطوال وسهده هذه الليلة ، فأوصد النافذة فى رفق ثم سار على أطراف قدميه ، ثم فتح باب حجرته وانسل فى الدهليز الطويل ، حابسا أنفاسه متجنبا الاصطدام باثاث البيت ، حتى أدرك مخدع والده فأنصت قليلا فسمع الرجل المسكين يغط فى نومه . فتنهد ثم استطرد السير فى سكون وحذر حتى بلغ مخدع والدته وعندئذ طرق مسمعه صوت الباب الداخلى المؤدى الى الحديقة يغلق على شخص دخل المخدع وصاح صيحة تأفف قصيرة ثم جلس على مقعد وجعل يغمغم عبارات مبهمة وهو يضحك

ولو أن الصمت كان قد ساد فى المخدع لحطم هنرى الباب واقتحم الغرفة وأخذ المجرمين متلبسين بجريمتهما . ولكن الحركة اشتدت قليلا وعلا فجأة صوت مدام كريستيان وهى تردد

— اخرج . . . اذهب . . . ارجوك . . . عد من حيث أتيت . . . انك لمجنون . ما كنت أحسبك نزقا الى هذا الحد ! . . لا . . لا استطيع قبولك هنا وفى مثل هذه الساعة . . . اخرج اخرج . . .

فتهدج صوت الرجل وقال :

— اسبوعا بأكمله لم أرك فيه . . . انتظرت صباح الاحد الماضى . . . هناك . . . فى بيتنا . فى وكرنا . . . انتظرتك طويلا ولكن على غير جدوى فخشيت ان تكونى مريضة فجئت اليك بنفسى . فاصفحى عنى . انى من أجلك أغامر بحياتى

فارتجف صوت مدام كريستيان وقالت وهى توشك أن تبكى :

— استحلفك بالله أن تخرج . . سأكون هناك فى بيتنا . . . غداً . . فى نفس الساعة . . . ولكن اخرج . . . اخرج . . . اخرج بالله . . .

وعندئذ صرخ الرجل صرخة فرح وقال :

— كم أنا أحبك !

وفى تلك اللحظة فقط عرف هنرى صاحب الصوت فاقشعر بدنه واصطكت أسنانه وتصبب العرق البارد على جبهته ولكنه تمالك نفسه وانتظر قليلا وهو يلهث . وبعد أن أغلق الباب الداخلى وعادت مدام كريستيان الى فراشها وخيم الصمت العميق على البيت . استجمع هنرى قواه ورفع ذراعه المرتعشة ونقر باصبعه على الباب نقراً خفيفا ، فسمع من الداخل صوت ثائر أجش يقول :

— من هنا ؟

فأجاب الشاب :

— افتحى . . افتحى . . أنا هنرى

— ماذا تريد ؟ . .

وفتح الباب فجأة ودخل منه الشاب . ولم يلق هنرى أية نظرة على والدته بل اتجه من فوره صوب المقعد المستطيل وارتمى عليه وطمر وجهه بين راحتيه ولم يتكلم . وانقضت بضع ثوان ومدام كريستيان تحدق الى ابنها وتعض شفتيها ولا تجسر هى الاخرى على الكلام . وأخيراً نهض الشاب ودنا منها وأمسك بذراعيها وطفق يهزها هزاً عنيفا ويقول بصوت شاع فيه السخط ممتزجا بالحسرة والأسى :

— لم . . لم فعلت ذلك يا أماه ؟ ! . .

وهمت بالكلام ولكنه قاطعها وهو يهدر :

لا تنكرى . . لا فائدة . . رأيته بعينى ينسل فى الحديقة ويصعد الى هنا ! . .

ثم صمت فترة وأردف وقد غشى الدم عينيه وأفقده الغضب رشده :

— تخدعين أبى . . ومع من ؟ . .

وانقبضت عضلات وجهه وتشوهت تقاطيعه واستطرد :

— مع المسيو روبير ؟ . . مع والد خطيبتى ؟ . .

واستهول الخيال كأنه لم يخطر على ذهنه إلا فى هذه اللحظة ، فانقض على والدته وجذبها من ذراعيها وأرغمها على أن تجثو أمامه على الارض وقال :

— واذا قتلتك الآن . . اذا انتقمت لذلك الرجل الطيب المسكين ، أفلا أكون قد أديت له واجب البنوة ؟ . . ولكنه يحبك وا أسفاه ! . . ولو قتلتك لمات هو أيضا على الاثر ! . .

وسكن هنرى لحظة ولما لم تطرق مسمعه كلمة واحدة من أمه ، ثارت أعصابه وغلى دمه وقال بصوت حاسم قاطع :

— سنسافر غداً ! الى لندن !

فخزعت المرأة وتولتها رعدة ، وبعد أن كانت هادئة قطبت حاجبيها وتقدمت الى ولدها وقالت بلهجة ملؤها التحدى :

— تريد أن أسافر لتقطع صلتى بروبير ؟ . . لك ذلك ولكن بأى مال نسافر ؟ . .

فتطلع اليها مبهوتا وقال : — كيف ؟

فضحكت ضحكة متشنجة ساخرة وقالت :

— آخر عمارة كانت لوالدك ، بيعت منذ أربعة أيام . بيعت بقيمة الرهن ، أتفهم . . أفهمت الآن . . . لم نعد نملك شيئا ، ولولا روبير ... لولا نقود روبير ما استطعت أن تعيش فى هذا البيت الجميل وتأكل وتشرب وتعقد خطبتك على فتاة رائعة الحسن ، أيها العاطل المغفل المغرور !..

فتمايل هنرى على نفسه وخيل اليه ان يداً قوية هوت بضربة مطرقة على عنقه ، فقال وهو يجيل أبصاره فى أنحاء الغرفة كمعتوه :

— واذاً فروبير ينقذنا من الخراب مقابل الفوز بك ويزوجنى أيضا بابنته ؟ . .

فأجابت الأم وهى تبتسم :

— وانها لصفقة عظيمة لو كنت تعقل

فاختلج الشاب واستنكر هذه الوقاحة الصارخة تصدر من والدته ، فاقترب منها وقال فى هدوء وبصره يلمع :

— ولقد رضيت بهذا ؟ . . أنت ؟ . . أنت ؟ . . فأجابت :

— أنا أحب روبير كما تحب أنت ابنته سونيا ! ثم . . ثم أنا أنقذكم ومن واجبك أن تشكرنى بدل أن . .

فاستشاط غضبا وقال :

— الى أية هوة انحدرت بك خلاعتك وحبك التبرج وولعك الجنونى بالترف . لقد غررت بذلك الرجل التعس وخدعتنى أنا وأضرمت فى قلبى بمختلف الاساليب حبا قويا عنيفا لابنة المخلوق الوضيع الذى اتخذته عشيقا لك ! . . نعم أردت أن أحب سونيا لأغض الطرف عن سلوكك وأتجاوز . . ولكنى لست الرجل ! .. أنا عاطل . . أنا لم آلف العمل . . ولكنى متعلم وسأشتغل ومهما ربحت فيجب أن تعيشى كما أريد وفى الجو الذى أريد وبمقدار المال الذى أستطيع أن أربح . وما دام والدى لا يستطيع أن يردك الى السبيل السوى فأنا الذى سأتولى هذه المهمة عنه !

وصمت برهة ثم أردف :

— سأقترض المال اللازم وسنسافر غداً وسأبحث لى عن عمل فى لندن !

فضحكت مدام كريستيان ضحكة قصيرة حادة وقالت متهكمة : ومتى نعود الى باريس ؟

فاجاب : لن نعود ! سأعمل هناك حيث يعمل ابن عمى فى شركات التأمين

فرمقته والدته بنظرة ساخرة وقالت : وسونيا ؟ . .

فاجاب وهو يتفرس فيها : سونيا تحبنى وستلحق بنا وهناك أتزوجها !

فقهقهت المرأة قهقهة وحشية طويلة ثم قالت : أواثق انت ؟

فحدق اليها والقلق يملأ قلبه وأجاب بلهجة يشوبها بعض الخوف : كل الثقة !

فدنت منه وربتت على كتفه ثم مالت اليه وقالت وكأنها تهمس : واذا رفض والدها ؟

— ليرفض . أنا واثق من حبها !

فتراجعت الام قليلا ثم سددت الطعنة وأرسلتها فى عبارة أصابت بها المقتل :

— وهل أنت واثق من أن سونيا . . سونيا العظيمة المجيدة . . . تحب الحياة التى يمكن أن تعدها لها فى لندن ؟ . .

وصمتت بغتة وظلت تنظر اليه ثم استطردت :

— أواثق انت من أن سونيا تحبك أكثر مما تحب المال والترف وحياة النعمة التى الفتها منذ نعومة أظفارها ؟ . . ان سونيا تشبهنى ونحن أبناء طبقة واحدة . وكما انى أكره الفقر كذلك تكرهه هى أيضا . حكم عقلك ودع المبادىء الخيالية جانبا وإلا قضيت على أسرتك وفقدت المرأة الوحيدة التى تعبدها !

فصاح هنرى : اذا كان الخيال فى ان أكون شريفا فانا رجل خيالى واذا كان العقل فى ان أكون مجرما فانا رجل معتوه . سنسافر غداً . فأعدى حقائبك ولا تضيعى الوقت !

وعندئذ تبدل وجه مدام كريستيان فجأة وانبسطت تقاطيعه وشاعت فيه رقة عذبة مقترنة بشفقة عجيبة . فالتفت اليها هنرى مبهوتا وتراجع ، فأقبلت عليه وطوقت عنقه بذراعها وقالت بصوت منغم رخيم :

— يالك من مسكين ياولدى العزيز ! . . تريد أن تضحى بنفسك ، أن تصارع الحياة ، أن تقتحم ذل العمل والفقر ، ولكن المخلوق الذى تعتقد أن فى وسعك الاعتماد عليه والاستناد الى اخلاصه واستلهامه روح القوة ووحى الجهاد ، لا يحبك كما تهوى ولا يؤمن بنظرياتك ولا يمكن أن يقبل التضحية معك . فهل فى مقدورك أن تنهض بعبء التضحية وحدك وهل فى استطاعتك أن تبذل حياتك فى سبيل الآخرين وأنت مجرد من ذلك الحب الذى ترى فيه كل سعادتك ؟

فارتعش هنرى وجاشت عواطفه واستفاق غرامه العنيف الكامن فى اطواء نفسه ، فأحنى رأسه الكليل وبكى . وإذ ذاك خيل للأم الآثمة انها نجحت فى تمثيل دورها فابتسمت ابتسامة خفيفة واحتضنت ولدها وقالت فى هدوء : عد الى رشدك وافهم ان الحياة أقوى منك !

ولكنها لم تكد تنطق بهذه العبارة حتى أجفل الشاب وأفاق من غمرته وارتد اليه تفكيره الصارم فصاح : لا تلوثى خطيبتى ! . . انها أنبل منك !

فرمقته بنظرة هائلة ثم ضمت شفتيها الدقيقتين ثم فتحتهما فى رفق وقالت وهى شاخصة اليه :

— اعلم الآن أن سونيا تعرف كل شىء ! . .

ففغر فمه كأبله وتطلع اليها جاحظ العينين وتمتم : تعرف . . ماذا ؟ . . ان والدها ؟ . .

فاجابت الام فى سكون : نعم !

فأحس هنرى كأن الارض تميد به وكأن دواراً يطوح برأسه ، ولكنه استنكر واستهول ولم يصدق ، فدفع أمه عنه وقال : سونيا تعرف هذا وتقبل ؟ . . لأى غرض ؟ . .

— تملقا لوالدها ومرضاة له وطمعا فى ماله وخشية أن يقبض يده عنها أو أن يتزوج فتفقد جزءاً كبيراً من ثروته !

فاسودت الدنيا فى عين هنرى وانقبض قلبه وتعاقبت أنفاسه وأوشك أن يختنق

ولاح له فى تلك اللحظة طيف سونيا وتمثل بعض ابتساماتها ونظراتها فخامره فجأة شك هائل ونفذت الريبة الى قلبه كنصل حاد ، فزفر زفرة طويلة ثم قال :

— إذن فانا أداة للاستغلال وسونيا تخدعنى ؟ . .

ثم هب واقفا وأردف : لا . . . محال . . . لن أعتقد هذا . . . وإلا فان السماء نفسها تكون قد أقفرت من كل فضيلة ! . .

وشرد بصره وشحب محياه واحدودب ظهره وغمغم : ساخاطبها !

فقالت الأم فى سكون وعدم اكتراث : لك ذلك ! . .

***

وكان قد انقضى وقت طويل وبدت في الأفق طلائع الفجر وانبثقت فى السماء أضواء بنفسجية ساحرة . وكان للسيو كريستيان ما يزال يغط فى نومه فى مخدعه البعيد عن مخدع زوجته

وأحس هنرى أن الباب الوحيد الذى اعتاد أن يطل منه على الحياة والسعادة والفضيلة والنور يوشك أن يوصد فى وجهه ، وأن المخلوق الوحيد الذى آمن به ووثق باخلاصه وأقامه فوق صرح رائع من العبادة والتقديس يوشك أن يهبط من عليائه ويرتد الى الارض ويختلط بالتراب . فخامره أسى عميق واستولت عليه حسرة مرة . ولكن إيمانه بسونيا كان أقوى من الشك الذى نفثته أمه فى صدره . فأراد ان يفهم . . أن يطمئن . . أن يكتنه السر . . أن يستعجل الحقيقة ويواجه نفسه بها كائنة ما كانت

ونهض وفتح النافذة وألقى على السماء نظرة فأبصر أشعة الشمس تلوح من بعيد وتجاهد لتقهر الفجر وتنشر أجنحتها الذهبية الفاتنة . ثم عاد وطفق يذرع الغرفة وهو يحدق الى ساعة صغيرة قائمة على منضدة بجوار السرير . ثم شعر بتعب شديد يسرى فى أعضائه وينهك بدنه فجلس على مقعد وأسند رأسه الى كتفه وأرسل نفسا مستطيلا وأغمض عينيه طلبا للراحة والاستجمام .

وظل فى مكانه هامد الحركة ، وأمه تخالسه النظر وقد اتكأت الى حافة النافذة تشهد فى هدوء مطلع النهار . وانقضت ساعة أخرى فى صمت كصمت القبور ثم ازدهت السماء فجأة واحتدم الضوء وطلعت الشمس ودبت الحياة فى الغرفة وامتلأت جنباتها الفسيحة بالنور . وعندئذ تحرك هنرى كأنما هو يستفيق من حلم وفتح عينيه وحدق الى والدته واختلج ، ثم نهض واتجه نحو الباب بخطى ثابتة عازمة ، فالتفتت اليه مدام كريستيان وقالت وهى ترتجف : الى أين ؟

فأجابها بصوت أجش غائر : الى البهو الكبير حيث التليفون

وقطب حاجبيه وأردف بلهجة مروعة :

— سأوقظ سونيا ! . . سأخاطبها ! . . لا بد ان أستجلى الحقيقة اليوم بل الساعة ! . .

وفتح الباب فى رفق واختفى فى الدهليز الطويل ومدام كريستيان تشيعه بنظرات ملؤها الشفقة والسخرية

***

وساد الصمت فى أنحاء البيت وتعالت من الحديقة زقزقة العصافير وتألقت الغرفة وسبحت فى بحر من النور ، فشاع الطرب فى نفس مدام كريستيان وازدادت الحياة فى عينيها جمالا وسحراً ، فقوى عزمها ونشطت آمالها ومنت النفس بسعادة الحب والمال مع عشيقها روبير ، وأيقنت لفرط تفاؤلها بحظها واستخفافها بعواطف ابنها ، ان هنرى سيعود الى رشده الآن ويدرك أن الحياة أقوى منه فيخضع لها وينزل مختاراً على حكم القدر

وبعث هذه الآمال فى نفسها فأشرق محياها وتهلل جبينها وخيل اليها أن الحظ قد دان لها ، فأرادت أن تطمئن وتستوثق ، فمشت الى الباب واجتازت الدهليز وهى ترتعش . وانها لتستدير وتهم بدخول حجرة الطعام المؤدية الى البهو الكبير واذا بها تقف وتختلج وتسمع دوى طلق نارى وصوت جسم ثقيل يسقط على الأرض

جحظت عيناها رعبا ولم تستطع أن تصدق فأرسلت صرخة مزعجة أشبه بالعواء وانطلقت كمعتوهة تعدو نحو البهو الكبير . ولم تكد تدفع الباب وتتوسط البهو وتلقى عليه نظرة حتى أبصرت جثة ابنها المنكود منطرحة على الأرض بجوار آلة التليفون والدم ينزف منها ، فتراجعت مذعورة ثم أرسلت صرخة ثانية ، ثم أغمى عليها فسقطت فاقدة الرشد بالقرب من جثة ولدها الوحيد !

***

وبعد انقضاء ثلاثة شهور على هذه المأساة توفى والد هنرى وشوهدت مدام كريستيان فى لندن شاحبة الوجه ضامرة التقاطيع مشتعلة الرأس شيبا تكفر عن ذنبها وتشتغل عاملة فى أحد مصانع القبعات ! . . .

الرثاء في شعر أبي العلاء

بقلم الأستاذ أحمد الشايب
الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

حين قال أبو الفرج قدامة بن جعفر فى كتابه « نقد الشعر » : « ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر فى اللفظ ما يدل على أنه لهالك ، مثل كان ، وتولى ، وقضى نحبه . وما أشبه ذلك . وهذا ليس يزيد فى المعنى ولا ينقص منه ، لأن تأبين الميت انما هو بمثل ما كان يمدح به فى حياته[1] » ـ أقول إنه حين قال هذا ، كان ينظر الى هذين الفنين ـ المديح والرثاء ـ نظرة سطحية من جهة ، ولفظية جزئية من ناحية أخرى : فليس الفنان من طبيعة واحدة ، ولا الأصل فى المديح هو الأصل فى الرثاء ، سواء من ناحية مبعثهما ، وما يثيران من انفعال ، وما يقصدان من غاية ، وما يستدعيان من صور وأخيلة ، حتى لقد تختلف الكلمات والعبارات اختلافا أوسع مما ذكر قدامة ، وقد تتفق فيخاطب الميت كما يخاطب الحى مما يجعل هذا التفريق الزمنى الذى أشار اليه لاغيا لا خطر فيه ولا غناء . وقد يقول قائل : « أليس كل من المديح والرثاء نتيجة لانفعال الشاعر ، وتأثره بما يصله بصاحبه حياً أو ميتاً ، فيضفى عليه صفات يعرفها فيه ، فمرة يقول : أنت شجاع كريم ، وأخرى يقول : كنت شجاعا كريما ؟ » ومثل هذا الاعتراض لا يقدم المسألة بل يؤخرها ويزيدها غموضا واجمالا ، فانا نعترف أن فنون الشعر الغنائى كله انما تصدر عن انفعال الشعراء بما يحسون ، فتصدر عنهم وصفا ، ومديحا ، وهجاء ، ورثاء ، ونسيبا ، وحماسة ، ولكنا نتجاوز هذا الاجمال دائما حينما نريد أن نتعرف نوع الانفعال الذى يخلق فنا بعينه أولا ، ثم مظاهره فى أسلوب هذا الفن ومعانيه ثانيا

وهنا نلاحظ سراعا أن المديح فن الحياة ، والرثاء فن الممات ، والمديح يبعثه الاعجاب والأمل ، والرثاء يبعثه اليأس والوفاء ، والمديح يلابسه بهجة وسرور ، والرثاء تتصل به الفاجعات والأكدار ، والمديح يثير فى النفوس غبطة وغروراً ، والرثاء ينبه فيها الحسرة والاعتبار . ومع ذلك فقد ينتهى كل من المديح والرثاء الى غاية عملية واحدة ، وذلك حينما يدعوان الى اجلال الممدوح والمرثى ، ويشيران الى أسباب المجد التى يجب أن يتشبث بها أفاضل الناس ليذكروا أحياء وأمواتا ، فكلا الموت والحياة نافع فى ترقية الحياة وفى الدعوة الى مثلها العالية

---

(١) قدامة : نقد الشعر ، ص ٣٣ طبعة الجوائب

هذا الفرق بين الفنين من حيث طبيعتهما ، يجعل لكل منهما جواً خاصا به ، ويشيع في عباراته صنوفا من الكلمات ، والصور ، والتراكيب لا تصلح للآخر . وهل من يرى القصور كمن يقف بين القبور ، أو من يرسم الحياة بهجة وأملا وجمالا كمن يصورها غروراً ويأسا وزوالا ، أو من يفتح عينيه على حي قادر كمن يغمضها عن فان غابر ، أو من يستوحى الكون العامر والروض الزاهر كمن يتعظ بالخراب الشامل والرفات الرميم ؟

على أن هناك ناحية من هذه النواحى ألم بها النقاد الأقدمون نشير اليها ما دامت متصلة بأهم العناصر التى تبنى كلا من المديح والرثاء ، هذا العنصر هو صدق الشعور وقوته ، ففى العمدة : « قال احمد بن يوسف الكاتب لأبى يعقوب الخزيمى : أنت فى مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك فى مراثيك له . فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على الوفاء (١) » فأول ما يتراءى لسامع هذه الاجابة هو الفرق بين مبعث هذين الفنين في نفس هذا الشاعر ، إذ قد لوحظ ان عاطفة الرجاء التى تنتج المديح أقوى وأصدق من عاطفة الوفاء التى تخلق الرثاء ، كما لوحظ أن هذا الشاعر قد حكم على نفسه بالنفعية واتخاذ الشعر صناعة من الصناعات العملية ، لافنا من الفنون الجيلة ، فكان الرجاء فى الأولى يحمله على التجويد الذى لم يبلغه الوفاء فى الاخرى ، وإلا فلو أن الشعر فى كلتا الحالين كان وحى الشعور الصادق لتكافأ الفنان أو كان الرثاء أقوى ، لما يصحبه من رهبة الموت الصادقة ، ولأن الهلاك حظ مشترك بين النفوس جميعا يصل الى كل منها بأقوى الأسباب وأوثق الصلات

***

الرثاء فن الموت تبعثه الفجيعة النازلة ، والعزيز الهالك ، والعظيم الذاهب ، والدنيا الفانية . لهذا كان معرض اللوعة الباكية ، والحزن العميق ، والمطابقة بين العمران الزاهر والخراب الشامل ، وبين القوة الصاخبة والسكون المطلق ، وبين الموت والحياة . وغايته تخفيف الأسى ، والتنفيس عن النفوس لعلها تشفى من ألم المصاب . والرثاء يعرف للميت أثره المحمود ، وفضله المشكور ، وماكان لذهابه من عبوس غشى الوجوه ، ووجوم ملك النفوس ، وشقاء نال من الناس كثيراً . والرثاء يرسم مع ذلك السبيل الصالحة لنيل المجد والفوز بأسباب الخلود . وأخيراً يعرض للموعظة الحسنة ، والاعتبار بصروف الاقدار ، ويوصى بترك الغرور والجبروت

هذا الفن ، على الرغم من وحدة باعثه ، خضع لمذاهب شتى ، ونظرات متباينة ، تكاد تبلغ عداد الشعراء . فهذا ابن الرومى لما رثى ابنه محمدا حبس حزنه عليه ، وضاق أفقه فلم يعده الى سواه . فكان حادا لاذعا ، وان لم يكن عاما شاملا :

توخى حمام الموت أوسط صبيتى فلله ! كيف اختار واسطة العقد

(١) ابن رشيق : العمدة ، ج ١ ، ص ٧٩ ، مطبعة السعادة

عجبت لقلبي ، كيف لم ينفطر له ولو أنه أقسى من الحجر الصلد
وما سرني أن بعته بثوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلد

فكأنه وحده هو المحزون ، وكأن الموت لم يقع الا على ولده . وهذا أبو تمام حين رثى محمد ابن حميد الطوسي استطاع في بعض شعره ان يوسع أفقه قليلا وأن يتجاوز الميت الى قبيله ، فأخذ يرثى قومه وهو يرثى شخصه :

كأن بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر
لئن ألبست فيه المصيبة طيء فما عريت منها تميم ولا بكر
كذاك ، ما تنفك تفقد هالكا يشاركنا في فقده البدو والحضر

وكأن الموت ألم بالقبيل ، وكأن الحزن يشمل أفراده جميعا . وقد تجد الشاعر يتخذ من فقد ملك عظيم ، أو بطل خطير ، أو خليفة جليل مناسبة ، لا ليرثيه وحده ، ولكن ليرثى الملك كله والأمة بأسرها ، كما فعل البحتري في رثاء المتوكل حين بكى مع الخليفة الخلافة ، ومع المتوكل جميع المسلمين :

ولم أنس وحش القصر إذ ريع سربه وإذ ذعرت أطلاؤه وجآذره
وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكت على عجل أستاره وستائره
كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة بشاشتها ، والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها وبهجتها ، والعيش غض مكاسره

وقد تسمو عاطفة الشاعر ، ويتسع أفقه الى أبعد غاية ، فيتخذ من موت انسان مناسبة لا ليرثيه ، ولا ليرثى قومه أو شعبه ، بل ليرثى الناس جميعا ، أو الكون كله ، أو الحياة أمام الموت والدنيا أمام الآخرة . ولا أرى أحداً من شعراء العربية بلغ في هذه الدرجة مبلغ المعرى في بعض شعره ، أو في قصيدتين من مراثي (سقط الزند) :

(١) غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ، ولا ترنم شاد
(٢) أحسن بالواجد من وجده صبر يعيد النار في زنده

هذا من ناحية الشعور ومقدار ما يتسع مجاله . وأما من ناحية المعاني فانك تجد الشاعر يقف عند مذهب قدامة فيعرض عليك الاوصاف والحقائق كأنها لحى ممدوح ، قد سلبت جو الحزن ، وروح الموت ، فلا تفرقها عن الاطراء الا برموز تدل على أن الموصوف هالك ، مثل كان ، ومضى ، وقضى نحبه . وتجد الثاني لا يقول شيئا الا مغموسا في الاسى ، مشتقا من الفناء ، مبعوثا من القبور ، يعرف القارىء أنه من عصير المآقى ، وسوق الرزايا ، وطوابع الآخرة . وكذلك الشأن في الخيال ، فمن الراثين من يتخذ صوره من الهم المطاول ، والاشلاء المتناثرة ، والقبور النهمة ، والمنايا الغادرة ، ويرسم معها البوم والغربان وسمات المذلة والهوان ، حتى إذا عرضت له

مباهج الحياة ، ومجالى القوة والجمال ، ألقى عليها من نفسه الحزينة وفنه الباكى ، ما يردها كاسفة بالية ، تنزى آلاما . ومن الرائين من ينسى نفسه ، وفنه ، فيحتفظ بمجموعة من الصور ذات نسق واحد يعرضها بوضع واحد أو بأوضاع متشاكلة ، فلا فرق عنده بين الوصف ، والمديح ، والرثاء

وإذا أردنا أن نرسم لهذا الفن منهجه العام ، فيجب أن نذكر هنا صفة من صفات العاطفة ، هى الاستمرار لتضمن بها ظهور الحزن فى كل أقسام المرثية ، وأبياتها ، وعباراتها ، وصورها ، وبذلك تحفظ وحدتها ، وتحمى من الشذوذ فى التفكير ، والتصوير ، والتعبير ، وشأن هذا المنهج هو شأن خطة المقالة أو الرواية التى تجد لغايتها ظلها الممدود على جميع الخطا والفصول

وإنما مهدت بهذه الكلمات ، التى قد تبدو ، لأول نظرة ، طويلة أو عامة ، لأننا سنجد فى رثاء المعرى أمثلة لكل هذه القضايا والآراء التى أوردناها

***

المعرى منوع الرثاء غير متسق فيه ، يجمع من كل شىء شيئا ، ويعرض نماذجه الموزعة بين الشعراء ، كما يتدرج من خطوة التقليد الساذجة المتكلفة الى ذروة الفن حيث وقف على هذا البرزخ الذى يصل أو يفصل بين الحياة والممات ، حاكما فيلسوفا ، وصديقا حزينا يرى ضعف الحياة أمام الموت ، وهو ان الدنيا بجانب الاخرى . واذا حاولنا أن نفهم الرثاء فى شعر أبى العلاء ، وجب علينا أن نلتفت الى عنصرين أساسيين هما عندى كل شىء كشف أدب المعرى ، وهما كل شىء لفهم أدبه ، ونقده وتاريخه ، هما فلسفته وعلمه . فهما العاملان فى تكوين آثاره الأدبية ، وان شئت فهما اللذان أضاعا أدبه ، وذهبا بطبيعته الفنية الجميلة ، التى لم يسمحا لها بالظهور إلا فى بعض قصائد من (سقط الزند) كان للرثاء — من حسن الحظ — فيهما نصيب خطير

وحينما نذكر فلسفة المعرى نلاحظ هذه العناصر التى تعاونت فيها فجعلتها ساخطة ، حزينة ، متبرمة بالحياة والأحياء ، فمزاجه السوداوى ، وهذه الصروف التى تكالبت عليه منذ الطفولة ، ثم ما أضيف اليها من فساد الحياة السياسية والاجتماعية ، والخلقية والدينية — كل تلك صرفت أبا العلاء عن الحياة ، ووجهته الى رسم مثلها العليا التى لا تحقق وان كانت تخيل أو تخال . هذه الفلسفة جعلت لرثاء المعرى طوابع خاصة يعد خروجه عنها أحيانا نوعا من الشذوذ أو التقليد

(١) من ذلك اطمئنانه الى الموت والنظر اليه على أنه أمر طبعى تنتهى به الحياة ، واذا فلا فزع ولا جزع ، ولا تهويل ولا صخب ، وخير للانسان أن يتقبله راضيا مادام حتما نافذاً

(٢) وقد تجاوز الرضا الى السرور بالموت وتمنيه لتخلص نفسه من هذا الحبس الجسدى ، والشقاء الاجتماعى ، وذلك حين رأى الدنيا لا تستحق جهد الحياة فيها ، ولا تفصح عن سر وجودها ، فكره المقام فيها ، كما كرهه لنسله فحال بينها وبينه . وقد يبلغ به الأمر الى الوقوف على القبور ضاحكا ساخراً بالاضداد تصطحب فى الحفر ، وبالاحياء يأكلون الاموات

(٣) ومن ذلك هذه النظرة العامة وسعة الأفق ، فأخذ ينظر الى الحياة والأحياء على أساس الوحدة الواحدة غالبا ، فيذكر الدنيا والآخرة ، ويتخذ من الموت للواعظ والعبر ، ويتجاوز المرثى الى فلسفة الموت والحياة ، ناقدا ، مثاليا حينا وواقعيا حينا آخر

(٤) وهذا جعله يتطلع الى ما وراء الموت ملحا ، مغتاظا ، وشا كا أحيانا ، وقد بكر ظهور هذا المعنى فى رثائه وفى غيره حتى صار سمة من سماته :

طلبت يقينا من جهينة عنهم ولن تخبرينى ياجهين سوى الظن
فان تعهدينى لا أزال مسائلا فانى لم أعط الصحيح فاستغنى

(٥) ونتيجة هذا أن يضعف حزنه على الأشخاص ، أو يستحيل حزنا عاما على الناس جميعا ، وعلى الكون كله . ويتصل بذلك ، شكاياته الأيام وصروفها ، والخلائق وأذاهم ،حتى كان رثاؤه مزيجا من التفجع ، والشكاة ، والسخط والاعتبار

(٦) وبجانب ما سبق نذكر – اتماما لهذه المظاهر الرثائية – ما وقع فيه المعرى من الانصراف عن موضوعه أحيانا حتى يستحيل الرثاء مديحا أو وصفا ، وذلك يجره الى كثير من الأخيلة والعبارات التى تعد شذوذاً فى فن الرثاء ، وكم رأينا للمجاملات أثرها فى هذه الظاهرة ، فترك المعرى طبعه الحكيم الساخط الى الوقوف مع الشعراء يمدح الموتى ، ويطرى بنيهم مجاراة أو تصنعا ، فكان فنه متخلفا تعوزه الروح الحارة التى تلائم ما صنع من أساوب لفظى عاد فارغا كذلك

وأما علم أبى العلاء – وأكثره لغوى وطبعى – فقد أفسد أساويه الادبى إلا فى الأقل النادر وحشاه بهذه المصطلحات العروضية ، والفلكية ، والنحوية ، والفلسفية أولا . ثم جعل أبا العلاء يغلو فى هذه الصور التقليدية من البيان والبديع ، ويقصد اليها كثيراً ناسيا حزنه يذوب أو يتوارى فى هذه العبارات والأخيلة غير الملائمة ثانيا . وقد أثر ذلك أحيانا فى وحدة المرثية ، وعرضها للاستطراد على هـذا النحو الجاهلى حين يشبه الشاعر الشىء بآخر ويأخذ فى ترشيح التشبيه باستقصاء مايتصل بالمشبه به ناسيا المشبه حتى يعود اليه بعد عهد طويل .. ثالثا . ذلك كله جعل لرثاء المعرى طابعه العام ، وان لم يخلص تماما من هذا المذهب الذى سلكه سائر الشعراء من حيث كراهية الممات ، والتعلق بالدنيا ، والتهويل فى أثر المصاب ، والاعتصام بالصبر وحسن العزاء

والآن نرجو أن نفسر هذا الاجمال بعرض إجمالى لنصوص هذا الفن العلائى ، ما دامت هذه الصفحات المعدودة لا تسمح بشىء من التفصيل والاسهاب

يرجح أن باكورة الرثاء فى شعر المعرى كانت مرثيته فى أبيه عبد الله بن سليمان ، وكانت سن أبى العلاء قد بلغت الرابعة عشرة ، فهى من شعر الصبا ظهرت فيها الصناعة التقليدية التى أخفت حزنه إلا ملامح ، كما بدت فيها طلائع الحيرة والتطلع الى مابعد الموت ، وبيان تعلق الناس بالحياة ، فهى ابتداء فن الرثاء ، ولكنه مع ذلك فن المعرى دون سواه : –

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن فلا جادنى إلا عبوس من الدجن

فليت فمى ان شام سنى تبسمى فم الطعنة النجلاء تدمى بلا سن

وهذا مطلع يشبه نوح النساء اللائى يدعون على أنفسهن بالويل والثبور عند الملمات ، ويذكر أباه بالعفة ، والوقار ، والحزم ، ثم يدعو على الدنيا بغضب الله لغدرها بأبنائها منذ وجدوا ، وهنا يطيل فى تفصيل هذا المعنى نوعا ، وينتقل منه الى تعلق الخلائق بالحياة على الرغم من شقائها ، ثم يعود الى أبيه فيذكر فصاحته ، ويهنئه بهذا المنزل الجديد ، ويهول معانيه الدنيوية ويصور حزنه عليه بهذه الصورة القلقة الساذجة : ــ

لقد مسخت قلبى وفاتك طائرا فاقسم ألا يستقر على وكن

حتى اذا ذكر مرضه غلبه علم النحو فمسخ هذه الذكرى التى كانت خليقة بالقوة ، وحسن التصوير : ــ

ثنن ونصبى فى أنينك واجب كما وجب النصب اعترافا على إنّ

ويستمر فى قصيدته حتى يوشك على آخرها فقد تستجيد له هذين البيتين : ــ

فيا قبر واه من ترابك لينا عليه ، وآه من جنادلك الخشن

لأطبقت إطباق المحارة فاحتفظ بدرة المجد الحقيقة بالخزن

وبعد ذلك تأتى قصيدته الميمية فى رثاء أبى ابراهيم محمد بن اسحق العلوى الحلبى :

بنى الحسب الوضاح والشرف الجم لسانى إن لم أرث والدكم خصمى

وهى من شعر الشباب ، لم تسلم من هذه الصنعة الشعرية ، والنزعة العامة ، والعكوف على البديع ، وتوارى الحزن ، وضعف الوحدة الفنية :

شكوت من الايام تبديل غادر بواف ، ونقلا من سرور الى هم

وحالا كريش النسر بينا رأيته جناحا لشهم آض ريشا على سهم

والميت بعد ذلك رفيع المكانة ، مساوى الحرمة :

فويق الثنايا ، لم يقتّين غاية طلعن الثنايا ، واطلعن على النجم

وهو شجاع ، بكاه السيف اذا لم يحمله أحد مثله ، ولم تعرف الحروب له أخا فى الاقدام ، كريم ، حليم ، عف :

فتى عشقته البابلية حقبة فلم يشفها منه برشف ولا لثم

وبعد لأى ينصرف الى بنيه فيضفى عليهم ثناء عريضا وقد نسى الميت أو كاد ، حتى يعود اليه بهذا الاسلوب العلمى السقيم :

فهذا ، وقد كان الشريف أبوهم أمير المعانى ، فارس النثر والنظم

ذاكرا صفاته ، وآثار موته فى الكائنات ، فيقول :

وما كلفة البدر المنير قديمة ولكنها فى وجهه أثر اللدم

وينهى القصيدة راجيا من الميت الشفاعة له يوم القيامة :

لعلك فى يوم القيامة ذاكرى فتسأل ربى أن يخفف من إثمى

***

فاذا أشرف المعرى على غاية الشباب ، رأيناه يبلغ مع ذلك غاية الرثاء ، ويتسنم هذه الذروة التى لم يتجاوزها فى هذا الفن الكريم ، ولم يسمح لغيره من شعراء العربية أن يتطلع اليها . أجل فان داليّته فى رثاء صديق صباه ــ أبى حمزة الفقيه الحنفى ، الحسن بن عبد الله بن المطهر ــ امتازت من المراثى العربية جميعا بمزايا جعلتها مثال الفن الرثائى ، وجعلت أبا العلاء سيد هــذا الباب . وبعثتها فى عصور التاريخ خالدة تتحدى الرائين (١) فوسيقاها الرنيمة (٢) وقافيتها المطلقة (٣) وعباراتها الحرة الكريمة (٤) وصورها المتألقة (٥) ووحدتها السائدة (٦) ونزعتها الفلسفية الناضجة (٧) واختصارها الحياة ، وعدالتها فى الأحكام ، والوقوف بالدنيا أمام الآخرة ... كل أولئك جعل هذه القصيدة مضرب الأمثال ، ومتجه المعارضين فى سائر العصور

غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد

هذا المطلع وحده يكفى ليدل على ان أبا العلاء يشرف على الحياة ليرثيها ، ويسخر بمظاهرها الخادعة ، ويؤمن بحقيقتها الخالدة ، وهى الفناء :

صاح ، هذى قبورنا تملأ الرحـ ب ، فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض إلا من هــذه الاجساد

فاذا اشتفى من ذلك ، عرج على تعلق الناس بالحياة منكراً متعجبا :

تعب كلها الحياة فما أعـ جب إلا من راغب فى ازدياد

ان حزنا فى ساعة الموت أضعا ف سرور فى ساعة الميلاد

ولما أنهى من قصيدته فصلها العام ، مهد لفصلها الخاص بقصة الحمائم النائحات من عهد نوح الى ما شاء الله ، فطلب اليهن اسعاده بالبكاء :

أبنات الهديل ، أسعدن أوعد ن قليل العزاء بالاسعاد

إيه ، لله دركن ، فأنتن اللواتى تحسن حفظ الوداد

وبعد قليل ، وصل إلى أبى حمزة ، فاذا به عاقل ، سديد الرأى ، فقيه ، خطيب ، راوية ، ناسك

ودعا أيهـا الحفيان ذاك الشـ خص ، ان الوداع أيسر زاد

واغسلاه بالدمع ان كان طهرا وادفناه بين الحشا والفؤاد

ولم ينس مع ذلك نظرته العامة ، ورأيه فى التسليم :

أسف غير نافع ، واجتهاد لا يؤدى الى غناء اجتهاد

ويستمر متردداً بين صديقه وبين الحياة حكيا موقفا . حتى إذا قارب الانتهاء استوى فى موقفه وعاد الى الكون يرثيه لا يترك منه شيئا :

زحل أشرف الكواكب دارا　من لقاء الردى على ميعاد
والثريا رهينة بافتراق الشمـ　ـل حتى تعد فى الأفراد
كل بيت للهدم ما تبتنى الور　قاء والسيد الرفيع العماد

وهذه خلاصة تجاربه ، وثمرة آرائه أودعها البيت الأخير :

واللبيب اللبيب من ليس يغتـ　ـر بكون مصيره للنفاد

بعد ذلك نرى مرثية أخرى ، رثى بها جعفر بن على بن المهذب لا تقل كثيرا عن الدالية السالفة . فهى مثلها فى سمو العاطفة ، وسعة النظرة ، وفى الايمان بالموت والسخرية بالحياة ، والعجز أمام القدر . وربما لا تلحقها فى موسيقاها ، وفى ترتيب فصولها ، لذلك تخلفت عنها فى السيرورة وان لم تتخلف عن خير المراثى العربية الأخرى :

أحسن بالواجد من وجده　صبر يعيد النار فى زنده
ومن أبى فى الرزء غير الأسى　كان بكاه منتهى جهده

ويقف عند المرثى الممتاز السعيد ، ثم يعود الى فلسفته العامة شاكيا واعظا :

يا دهر يا منجز إيعاده　ومخلف المأمول من وعده
أى جديد لك لم تبله　وأى أقرانك لم ترده

ويطيل فى ذلك مستقصيا ، ملحا بما قد يربو على ما فى الدالية الاولى حتى يقول :

كم صائن عن قبلة خده　سلطت الأرض على خده

مما يحسن الرجوع اليه فى سقط الزند . ويختم القصيدة بتعزية أخى الفقيد

وهناك قطعة أخرى يرثى بها صديقا لم يسمه الديوان ، مطلعها :

يا راعى الود الذى أفعاله　تغنى بظاهر أمرها عن نعتها

وأهم ما يستوقفنا فى هذه المرثية دلالتها على تقدم المعرى فى السن ، وشعوره بالضعف ، وسوء ظنه بالناس وبالدنيا ، ثم اعتذاره عن التقصير فى العزاء الباكر ، ودعاؤه للميت بالرحمة ، ولوليه بطول الحياة

وقد كان أبو العلاء وهو فى بغداد قد عرف الشريفين الرضى والمرتضى ، فلما مات أبوهما ابواحمد الموسوى الملقب بالطاهر رأى أن يرثيه بهذه القصيدة الفائية ، ويعزى ولديه الشريفين فيه

أودى ، فليت الحادثات كفاف　مال المسيف وعنبر المستاف
الطاهر الآباء والأبناء والـ　أثواب والآراب والألاف

وهذه القصيدة ، تمتاز بفخامتها اللفظية ، وصنعتها البيانية أكثر مما تمتاز بصدق الشعور ، فهى

نوع من المجاملة ، والمديح ، والوصف ، والمبالغة ، العقيمة ، فالدنيا ارعدت ، والغمام بكي ، والبحر غاض ، والدهر تغير ، والسلاح اضطرب ، وهذه الغربان نعته آسفة حزينة :

عقرت ركائبك ابن دابة غاديا اى امرىء نطق وأى قواف

ويطيل فى الثناء على المرثى بالكرم ، والشجاعة ، والتقى ، والشرف . ثم يخلع من نفسه هذا السخط فيبدله على الموسوى :

فارقت دهرك ساخطا أفعاله وهو الجدير بقلة الانصاف

ويفرغ لأبنيه الشريفين فيحول القصيدة لهما مديحا خالصا لا تحس فيها أثراً للرثاء . وقد عارض شوقى هذه المرثية حين رثى اسماعيل صبرى ، ولعله لمح فيه من خلال الفضل ، وسمات النبل ، ما وصله فى رأيه بالشريف الموسوى ، فقرنه به فى القافية :

أجل وان طال الزمان موافى أخلى يديك من الخليل الوافى

وأخيراً نرى المعرى يرثى أمه . وقد كان قادما من العراق الى المعرة فبلغه نعيها قبل أن يدركها ، وقد رثاها نثراً وشعراً ، ولسنا نشك فى ان الحزن قد مس قلبه ، وبلغ من نفسه عليها ما لم يبلغه على شخص غيرها ولو كان أباه ، حتى نسى فلسفته العامة نوعا ما ، وأخذ يرثيها هى ساخطا ، ويذكرها فى غير موضع متفجعا ، ثائراً مضطربا يقول فى رسالته الى خاله أبى القاسم يذكر أمه « فانا لله وانا اليه راجعون وله الحمد ممزوجا به المسمع . مشتكا له من الوجد السمع . . رحمك الله من ساكنة رمس ، أصبحت حياتك كأمس :

فان ينقطع منك الرجاء فانه سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

ولا آمل بعدها خيراً ، ولا أزيد فى المحن إلا إيضاعا وسيراً ... يا سلوة الايام موعدك الحشر موعد والله بعيد ، لا سلوة حتى يؤوب عنزى القرظة . . . »

قال فيها قصيدتين . الاولى مطلعها :

صمت نعيها ، صمى صمام وإن قال العواذل لا همام
وأمتنى الى الأجداث أم يعز على أن سارت أمامى

وعلى الرغم من سلطان هذا الحزن ، لم يخلص أبو العلاء من صنعته الأسلوبية ، ومصطلحاته العلمية ، وانصرافه الى فنه البيانى الخالص فى طول غير مقبول . حتى وصف الاسد مختدراً ، والحية الرقطاء ، والدروع السابغات ، والابل الساريات المهجرات . ثم يذكر أمه عارفا أنعمها الجسام ، وآباءها الكرام :

سقتك الغاديات فما جهام أطلّ على محلك بالجهام
وقطر كالبحار ، فلست أرضى بقطر صاب من خلل الغمام

والثانية قصيرة وحدتها متوافرة لذلك ، عليها طابع الحزن ، ولعلها ذكرى مرت بخاطره بعد عهد ما :

خلو فؤادى بالمودة إخلال   وإبلاء جسمى فى طلابك إبلال
ولى حاجة عند المنية : فكها   بروحى ، والأهواء مذ كن أهوال
اذا مت لم أحفل أبالشام حفرة   حوتنى أم ريم بريمات منهال

ويلم بآلامه فى بعض أبياتها حتى يختمها برؤيا كان تفسيرها موت هذه الوالدة

لم نر للمعرى رثاء بعد ما رثى أمه ، وقد كان ذلك إبان اعتزاله الناس بالمعرة ، ولزومه محبسه ، فهل كانت أمه آخر من رثى ؟ هذا جائز وان يكن غير محتوم . على ان طابع حياته الاخيرة يبرر انصرافه عن هذا الفن لأسباب شتى ، ويجعلنا نفرض – أولا نفرض – وقوفه عند هذا الحد لاتعداه . فقد انصرف عن الحياة الاجتماعية التى تصله بالناس ، وتحمله على رثاء موتاهم ، ومعنى ذلك ان أعز الناس عليه قد ماتوا ، وهو بعد ذلك سيء الظن بالباقين لا يثق بأحد ولا يطمئن اليه ، فما وجه الرثاء اذاً ؟

والمعرى قد استحال فيلسوفا يكره الحياة ويرى الموت طبعيا أو محبوبا مرجواً ، فلا وجه للتجهم له والتفجع به . ولا سيما ان أبا العلاء قد شغله العلم والدرس والاملاء ، ورأى فى ذلك أنسا يغنيه عن مضطربات الحياة ، ومشاغل الشعراء . على أنى أرى أن المعرى لم يهجر الرثاء مطلقا بل زاد فيه ولكن فى صورة أخرى هى هذه الفلسفة الحزينة التى سجلها فى آثاره الشعرية والنثرية أيام عزلته فليس من شك انه كان يبكى على هذه الدنيا العاجزة . ويود لو استطاع صلاحها ليسعد بها هو والناس جميعا فاستحالت عاطفة الرثاء الى حزن عام ، وشكوى حارة ، وحدب على الخلائق ورغبة فى انقاذ العالم من هذه المهازل التى يتردى فيها فتهلكه عاجزاً خاسراً

وجملة القول ان المعرى ذهب فى فن الرثاء مذهبا كان نتيجة طبعية لفلسفته الساخرة الساخطة ، ومعارفه الغزيرة المتنوعة ، واستطاع على الرغم من هذه الهنات الأسلوبية التقليدية أن يبلغ فى فن الرثاء درجة تجعله أستاذ هذا الفن الذى فرضته على مجلة « الهلال »

أحمد الشايب

أبو العلاء يقهر الحياة

تحليل نفسيته في ضوء السيكلوجيا الحديثة

بقلم الأستاذ احمد صبرى سعيد

رزق قاضى المعرة وحمص غلاما اسمه احمد ، فهنأت قبائل «تنوخ» عظيمها بمولده واستبشرت بمقدمه خيراً. وورث هذا الطفل عن أبيه الفضل والسؤدد وزعامة تنوخ التى سادها بالعلم والنزاهة، وتنوخ ما برحت تباهى وتفخر بأسرة القاضى التى أنجبت جمهرة من العلماء والقضاة والشعراء . وورث عن أمه السخاء والبر بالأقربين وذوى الأرحام ، والولوع بذرع الأرض من مشرقها الى مغربها ، وحب العلم والبراعة فيه . فكان أبوه عربيا قحا ، وكانت أمه متحضرة من سيدات حلب ، فاجتمعت فيه خصال البداوة والحضارة

ولم تك سنة مولده خاملة فى سجل الايام : ففيها قضى المعز لدين الله الفاطمى على القرامطة وضربهم فى « عين شمس » ضربة كانت القاضية . وفيها شغب الاتراك على الديلم فى بغداد بقيادة كبيرهم سبكتكين ، ورحلوا عنها يحملون الخليفة فى متاعهم ، فكان ذلك اول العهد بزوال دولة آل بويه على يد محمود بن سبكتكين ، كما كان اول العهد بتوطد الدولة الفاطمية وبعث دولة الحمدانيين . هذا والعيش رخاء فى حمص والمعرة ، والحنطة توزع من هناك على دمشق وغيرها من البلاد المجاورة التى أضرت بها الحروب الداخلية المتتابعة . والعالم العربى فى الشرق الادنى والأوسط وأفريقية والاندلس خصب فى انتاجه الفكرى والثقافى ، وفى الحق لقد بلغ هذا الانتاج أوجه فى نهاية القرن الرابع الهجرى وما بعده بقليل

هذا الغلام صار بهجة الاسرة ، لا سيا امه وأخواله الذين قويت فيهم عاطفة انسانية عليها عمار الكون ، هى المحافظة على النوع باطراد النسل ووقايته من كل سوء . ومثل هذا الغلام الوحيد ينشأ مدللا مرموقا من كل عين بالعطف والرجاء . فما كان أشد جزع الأم والأب والاقربين عند ما نكب الغلام بالجدرى فى مستهل الرابعة من عمره . ويا لهول ما شقى به الغلام وشقوا به من عذاب : فجأة ارتفعت حرارته ، وأرعدت أعضاؤه وغشيه تشنج أليم ، مع صداع وأوجاع فى الظهر وقىء شديد متواصل وسرعة فى النبض والتنفس ، ولم يغمض له جفن ثلاثة أيام ، وركبه القلق الممض . ثم هبطت الحرارة فجأة وزالت آلامه وزايلته أوصابه ، لكن طفحا طفى على وجهه ، فالتهب جلده وتورم وامتد الطفح الى عينيه . وبعد عشرة أيام من ظهور الطفح ، تحول

الى بثور صديدية سببت أكلانا لا يطاق وعطشا ذريعا من جفاف الفم والحلق واللسان . وسال الصديد من البثور ، وسالت يسرى عينيه وجف الصديد وتناثر قشراً ، وانفجرت بثرة على العين اليمنى فأحدثت قرحة أعيى الطبيب علاجها فاستفحل شرها واستعصت على الشفاء أشهراً . وما زال الداء يستشري ويتوغل فى عينه اليمنى حتى اصيبت « بالاستافيلوما » ، فجحظت وفقدت الابصار ، وأصبح الطفل اعمى فى الخامسة من عمره تقريبا

وتولى علاجه الاطباء والدجالون فى وقت معا . فمنعوه من الطعام الا اليسير من السوائل ، وحرموا عليه اكل اللحم واللبن والبيض والجبن والسمك لأنها حارة لا تتفق والحمى . وأعملوا البضع فى جبهته واذنيه فنزف دمه وسقوه منقوع الكزبرة والعدس والعناب . وجعلوه يأكل التين المغسول مع العدس . وفصدوا عرق الانف والباسلق حفظا للعين ، فما نفع . وخضبوا قدميه وكفيه بالحناء والزعفران . وعلقوا على جبهته عين الهر المعدنى وأطلقوا فى حجرته بخور الصندل وفرشوها بالآس وطلوا جسمه بالكافور محلولا بماء الورد . وعزلوه عن الناس أجمعين ، ولو لم يعزلوه لفروا منه فرار السليم من الاجرب . ولم ير النور الا من خلال رداء معصفر يحجب عنه جميع الألوان إلا اللون الاحمر ـ لون الدم . فشب على كره هذا اللون لاتصاله بذكريات هذا العذاب الرهيب

ووقر سمعه لحن مختلط النغمات : سمع بكاء أمه ورأى دموعها تنسكب . وسمع نواح الثكالى على أولاد أو أشقاء أودى بهم وباء الجدرى . وأنصت لتطمينات الطبيب وتوكيدات المشعوذين انه سيبرأ باذن الله سليما معافى كما كان ، وسمع من العراف والمنجم مثل ذلك ثم تبين له أنهم كذابون دجالون

نجا الطفل من الموت ، لكنه لم ينج من التشويه . فكف بصره وتراءى للناظرين بشعا : يسرى عينيه غائرة كحفرة ، واليمنى ناتئة قد اختلط سوادها ببياضها وتلونت بالدم فى بعض نواحيها ، وترك الجدرى نقراً متقاربة فى جلد وجهه . منظر كريه ، لا بد قد أثار سخرية الصبية من لداته . ولا بد ان بعضهم اتخذها مادة للعبث والمجانة . ولا بد أن البعض أولاه من اجلها عطفا خالصا أو زائفا . دع عنك هزاله وضعفه ، فهذا قدر مشترك بين الناجين من الأوبئة العنيفة

ودرج منبوذاً أو كالمنبوذ . وأرهف شعور الاسى فيه انه عالة على الغير فى كل شىء . يلذعه الناس سراً أو جهراً ، صراحة أو تعريضا . وإذا اشفقوا عليه تبرعوا بالحنان او تظاهروا به . فانطوى على نفسه وآثر الوحدة مكرها . واقبل على حفظ دروسه التى حرص أبوه على تلقينه اياها : القرآن والنحو وعلوم اللغة . وادمن النظر فيها فأجال فكره الغض فيما احتواه الكتاب العزيز من قصص وقضايا تتعلق بالكون والانسان والموت والبعث

فى بيئة كالمعرة وأسرة كأسرة قاضيها يتزعم قبائل عربية بدوية مسلمة لا يسمحون باختلاط

الجنسين . وليس من وسيلة للاختلاط خارج الدار . أمه هي الوحيدة من بنات حواء التي أنس بها وتعلق قلبه بحبها - هي التي حدبت عليه مريضا وتعذبت من اجله . والآن وقد كف بصره أصبح غير مستطيع أن يملأ منها عينيه كدأبه قبل عماه . وانما مثلها له صوتها الحنون . ومن هنا قوي فيه الميل الى كل صوت جميل ، حزينا كان او طروبا . فلا جرم ان استأثرت بكل ما يختلج فى نفسه من ميل طبيعي نحو الجنس الآخر . وانصرف الفتى الى تحصيل العلم بكلياته فرارا مما يكابده . وقعد من أبيه بمكان التلميذ من الاستاذ . ووهنت علاقة الاب بابنه وحل مكانها ما يشيع بين المتعطش الى المعرفة وبين الذى يجود بها سحا مدراراً بغير حساب

الفنون الجميلة هى الوسيلة الكبرى للتعبير عما تجيش به النفس من آلام وآمال ، هى احدى الوسائل التى نصور بها مثلنا العليا وأحلامنا ، وهى الوقاية من عنت الحقيقة العريانة واستبداد الرغبات والشهوات . وقد رزق هذا الصبي احساسا قويا ، وورث قدرة على قرض الشعر ، فقد كان أبوه شاعراً ذهب بحظ غير قليل من الاجادة . ولو لم يكن قد ورث هذه القدرة على القريض وتذوق البارع من الشعر لترجح أن ينصرف اليه . فما من وسيلة تخفف عنه بعض ما به غير الشعر . فليس بدعا أن يقرض الشعر فى الحادية عشرة من عمره ، وليس بدعا أن يستوعب القريض حياته الفكرية والعاطفية . لكنه قد ورث كذلك نهما الى المعرفة ، وما عند أبيه منها إلا القليل . ثم هو قد ورث عن أمه شغفا بالاسفار والتنقل

فلماذا لايرحل فى طلب العلم ما دام موفور النعمة ميسوراً . لهذا وجدناه يشد الرحال الى حلب يدرس النحو واللغة على تلميذ « خالويه » أحد ندماء سيف الدولة ، ويدرس الحديث على « يحيي ابن مصير » ، وغيرهما

بضاعة هؤلاء الحلبيين مأخوذة من الكتب ، والتلمذ فيه شيء من الذلة ، وهو قد أصبح لا يطيق اذلال نفسه لأيما انسان . الى الكتب إذن ، الى استاذ الجميع الذى لا يمن ولا يتفضل . فرحل الى انطاكية ، ثم الى اللاذقية ، ثم الى طرابلس ، يمتار من مكاتبها ما انتجته الحضارة العربية الاسلامية وما نقلته عن الاغارقة والفرس والهنود . وفى هذه البلاد التقى برجال الدين من النصارى واليهود وبعض المتفلسفة منهم ، فأخذ عنهم علوم النصرانية واليهودية وثقافة الاغريق على وجه التخصيص ، ذلك بأن كان النفوذ البيزنطى قويا غلابا فى هذه البلاد

بحافظته القوية وعقله الرحب التهم الفتى كل ما انتجته الحضارة العربية الاسلامية من فكر وعلم ، وما نقلته وشرحته وزادت عليه من تراث أثينا والهند وفارس . وهنا نستثنى العلوم التجريبية والتى لاغنى فيها عن النظر

ومات أبوه أثناء تحصيله ، فلم يزد حزنه عليه أكثر من حزن التلميذ على أستاذه ، فبكاه بدموع الشعراء ورثاه بعبارات التوقير :

فيا ليت شعرى هل يخف وقاره اذا صار احد فى القيامة كالعهن
وهل يراد الحوض الروى مبادراً مع الناس أم يخشى الزحام فيستأنى
حجا زاده من جرأة وسماحة وبعض الحجا يدعو الى البخل والجبن

أمه ما زالت حية ، غنية ، وقد خلف له أبوه وقفا يدر عليه ثلاثين ديناراً فى العام ، فهو مطمئن على مصيره فى هذه الحياة . لكن الموت الذى وقف على بابه خلال مرضه بالجدرى نبه فيه غريزة الاستطلاع فذهب يتساءل عن مصير الاحياء بعد الحياة

الروح . ! ? ما هى وما كنهها وأين تذهب حين تفارق الجسد ، هل تحل فى جسد سواه ، هل تبعث معه يوم القيامة ، وهل يبعث الجسد ؟ ! وهذا الوجود أخالد هو ، والزمان والمكان والعناصر ، أقديمة هى أم حادثة وهل لها بداية ونهاية ؟ ! والعقل ماخطره وهل يوثق به ؟ ! وتلك الخلائق المتناحرة ، وأساطيرها ودولها ، وما تحب وما تكره ، ما وجه الحق عنها ؟ !

الخلاف مستحكم حول هذه المسائل فيما قرأه هذا الفتى من كتب الدين ومذاهب الفلاسفة وآراء المتكلمين والمعتزلة والشيعة وأهل السنة ، فبأيهم يأتم ؟ لقد صرفه العمى والتشويه وحب الاستطلاع الى تحصيل المعرفة ، فأفاد منها متاعا عوض عليه ما تمتع به أقرانه من لذاذات هيأتها لهم العافية والبيئة وظروف الحياة ، فخفف عن نفسه بعض ما اندس فيها من رعب ورهبة وقنوط . رياضة نفسية أشبعت نهمه الى تحصيل المعرفة ولم تشبع نهمه الى معرفة الحقيقة ، وخففت عنه بعض ما يكابد ولم تبرئه من كل ما يعانى

فانقلب الى المعرة وارتمى فى أحضان البطالة والفراغ إلا من الروية والتفكر علّه يبرأ من هذا العذاب المقيم ، فانقضت خمس عشرة سنة وهو بعد كما كان يوم مقدمه ـ يجهل الحقيقة فيما أشكل عليه ، ولا تبارحه ذكريات الطفولة المعذبة . . . هو ، هو . . . أعمى مشوه ، اختزن فى قرارة نفسه الرعب والرهبة والقنوط ، وضل فى التيه باحثا عن الحقيقة التى أعيت الناس اجمعين

هل من سلوى لنفسه القلقة وعقله الحائر المعذب ؟ ! هل من لذة غير محرمة يعاقرها تمنيه من بعض هذا البلاء ؟ ! هل من منتجع يرتاده عساه أن يظفر بتفسير تلك المعميات ؟ ! لعله فى بغداد واجد عند علمائها وفى مكاتبها ما يتعزى به عما فاته من متع حماها عنه العمى والتشوه ، ويطمئن اليه عقله الطموح المتشرئب الى عرفان الحقيقة ؟ ! فرحل الى بغداد ، وبعد عنت بلغها ، ولقى بأعلامها ، واطلع على مكاتبها ، وحضر مجالس المناظرة والجدل فيها وتعرف الى عظمائها وأقطابها وقضى هناك قرابة العامين باحثا عن ضالته . فاذا هو حيث كان ، عطشان الى الحقيقة ، لهفان الى كشفها ، كدأبه أول عهده بالتساؤل عن تلك القضايا التى استأثرت بلبه وصرفته عن ذات نفسه

واطلع فى بغداد على الدنيا مصغرة ، فراعه صراع المطامع واطراد الآثام ، وانكر نفاق السوقة والصفوة من ناسها واسفاف مقاصدهم وتعاكس الاغراض

فلم يطب له المقام ببغداد ، على كثرة ما حباه به أهلها من تعظيم واجلال وعرضوه عليه من مال والطارف ، وألح عليه الحنين ففكر في العودة الى مسقط رأسه ، وعرض عزلته بها على أصدقاء لا يتهم ولاؤهم ، فأقروه . واجتمع الى هـذا الحنين القهرى الى المعرة ، حنين خالص الى أمه - أمه التى بلغه انها مريضة . انه ليفر من الفردوس اليها ، فكيف وبغداد جحيم لا يطاق ، فالنجاء النجاء من عذابها ، الى المعرة كرة أخرى . فربما وجد فى القرب من أمه تعلة وبين أحضانها عزاء من هذه البرحاء . . . لكن أمه ماتت وهو في طريقه الى المعرة ، ووقعت الكارثة الكبرى وختمت المأساة بغتة . فذهل وألح عليه الرعب والرهبة والقنوط ، لقد فقد المخلوقة التى أحبته ملء السمع والبصر والفؤاد ، وبادلها حبا بحب ، حبا صادقا لا يشوبه هوى أو منفعة . لقـد أنبتت الصلة الوحيدة التى تربطه بأبناء هذه الحياة فعاد وحيداً

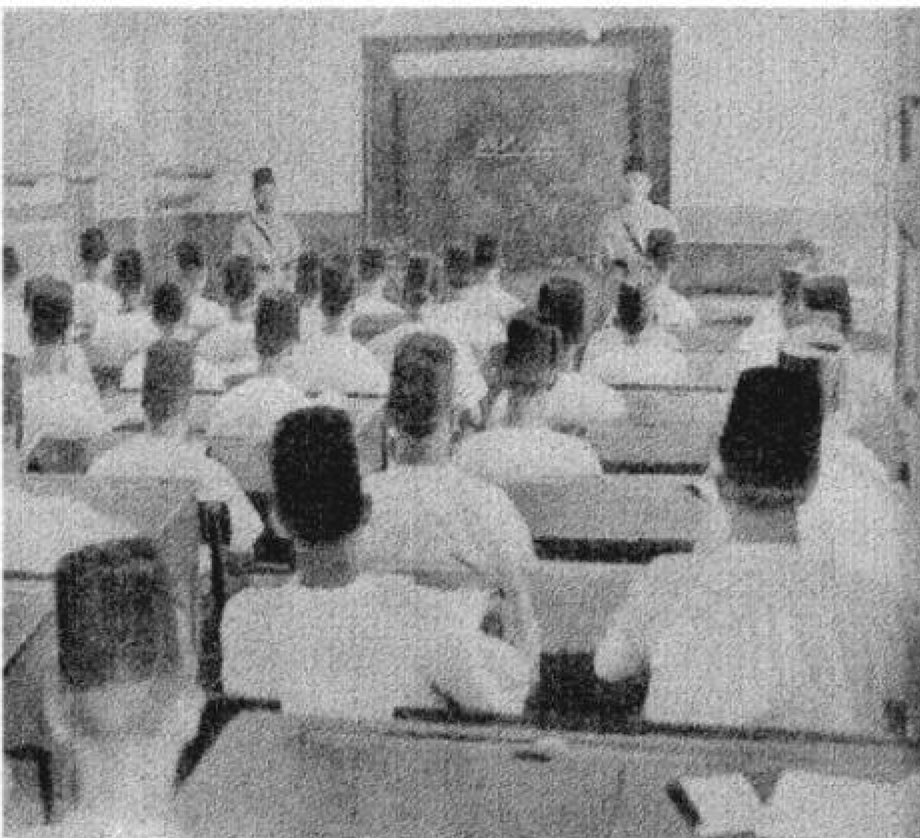
من الناس أفذاذ تغنيهم عن لقاء الأحباء وايناسهم وردة جافة يحتفظون بها ، أو خصلة من الشعر يقدسونها ، أو كلمات عذبة يتبلغون بها طوال الحياة . وقد كان المعرى من هذا الطراز ، فارتد الى الذكريات التى حببت اليه أمه وحببته اليها . ارتد الى ذكريات مرضه بالجدرى فأحياها - عاش بقية عمره نفس الحياة التى كابدها فى مرضه ، فى الدار التى أنس فيها بأمه ، نباتيا يفرق من الدم ، ويأكل العدس والتين ، ويذم ذبح الحيوان والانسان جميعا ، زاهداً فى متع الحياة عيوفا عن عبثها منعزلا فى بيته اسوان ، برم بالخليقة يقترح العدم علاجا لها . .

ويخفف لوعة حزنه على أمه وعلى حياته وعلى الناس بقرض الشعر من طراز لم يسبقه اليه أحد ، الشعر الذى أتى فيه « بما لم تستطعه الأوائل » . ووجد هذا الرجل المنكوب سلوى فى الشعر يصوغه من دمه وتجاربه وأفكاره ، ويبدعه من آلامه وأشجانه ، وجعله مجالا لما يجيش به قلبه الموجع وعقله القلق ، وضمنه أسمى ما يرتفع اليه الذهن وتحسه النفس النبيلة ، وأودعه جماع ما حصل وجرب وأفاد . ومات هذا الشاعر العبقرى قرير العين بانتصار فنه على الحياة والعدم

أحمد خيرى سعيد

طلبة الجامعة

فى ميدان الجندية



طلبة الجامعة يتلقون فى الكلية الحربية درساً عن « التنظيم والادارة »

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

كيف يفهمون الحرية

فى الولايات المتحدة

هناك طائفة كبيرة من أعداء الفاشية فى الولايات المتحدة تناشد الحكومة باسم الحرية ان تقضى على هذا المذهب وتلومها أشد اللوم على بعض تصرفات منها :

اولا — التسامح مع فرق النازى الأمريكية والابقاء على معسكراتها والتجاوز عن جهودها ، في حين ان الاغلبية الساحقة من الامريكيين تكره النازية وتعدها نظاما رجعيا يهدم حرية الفكر ويقوض صرح الحضارة

ثانيا — التسامح مع انصار الفاشية الايطالية والاغضاء عن دعايتهم الخطرة فى حين أن النظام الفاشى مكروه فى أمريكا كالنظام النازى وفى حين أن الاعتداء على الحبشة ما يزال ماثلا فى أذهان الامريكيين يستفز سخطهم على ايطاليا

ثالثا — التسامح مع الشعبة الشيوعية الأمريكية والتجاوز عن الدعاية المروعة التى تقوم بها فى أوساط العمال مع العلم أن تلك الشعبة تخضع لوحى موسكو وتسهل لدولة اجنبية سبيل التدخل فى الشئون الامريكية المحضة

ويزعم المعارضون للحكومة ان هذا التسامح قد يؤدى الى انهيار دعائم الديموقراطية الامريكية لأن الحكومات الالمانية والايطالية والروسية تبذل قصاراها لانشاء أحزاب وكتل قوية فى أمريكا غرضها السعى لانتهاز الفرص وقلب أنظمة الحكم وخدمة مصالح أجنبية معينة على حساب الشعب الامريكى

وأبلغ دليل على ذلك تغلغل المبادىء الفاشية في كندا وأمريكا الجنوبية ، والنازية فى شيلي والشيوعية فى الصين

هذا ما تأخذه المعارضة على الحكومة وتطلب اليها منعه باسم الحرية ودفاعا عن الحرية

روح جديد جرىء بدأ يسرى فى شباب مصر : فتراهم اليوم يدرسون بجدهم الحربى التليد ، وكلهم أمل فى مستقبل يضاهى الماضى سطوة وبطولة . وتجدهم الآن يقبلون على شتى المعاهد العسكرية ، معدين أنفسهم فداء إذا دعاهم حق الوطن . فقد أقبل هذا العام مائتان من طلبة الجامعة المصرية على التدريب العسكرى ، فالتحقوا بالكلية الحربية حيث يتدربون تحت إشراف ضباطها وطلابها ، ويحيون حياة عسكرية خالصة تبث فيهم روح العزم والنظام ، وتروضهم على البأس والرجولة

وهم يدرسون النظم العسكرية دراسة نظرية وعملية . فيتلقون محاضرات فى فن الحرب والتعبئة ، والتنظيم والادارة ، وقراءة الخرائط العسكرية ، وطرق هندسة الميدان ، وكذلك التاريخ الحربى وما فيه من وقائع حاسمة . وفى أثناء ذلك يتدربون على مختلف التمرينات العسكرية ، وعلى كثير من الألعاب الرياضية ، ويشاهدون كتائب الجيش ومناوراته ، فيطبقون عملياً ما يدرسونه نظرياً



يتدرب الطلبة المتطوعون للخدمة العسكرية على شتى الألعاب الرياضية وتراهم هنا فى رياضة العدو التى يؤدونها كل صباح



فريق من الطلبة يحملون ملابسهم العسكرية مزهوين بها وبما تسبغه عليهم من أمارات الجد والفتوة

ولكن أنصار الحكومة يردون على المعارضة بقولهم :

— ان اضطهاد الافكار والنزعات المخالفة لآراء ونزعات الاغلبية ليس من الديموقراطية الصحيحة فى شىء . فاذا ما اتخذت الحكومة تدابير تعسفية ضد الحركة الهتلارية مثلا فقد تنقلب هذه التدابير فى الغد وبالا على حركة معاكسة لها . فالضغط يولد الضغط كما ان الحرية تولد الحرية

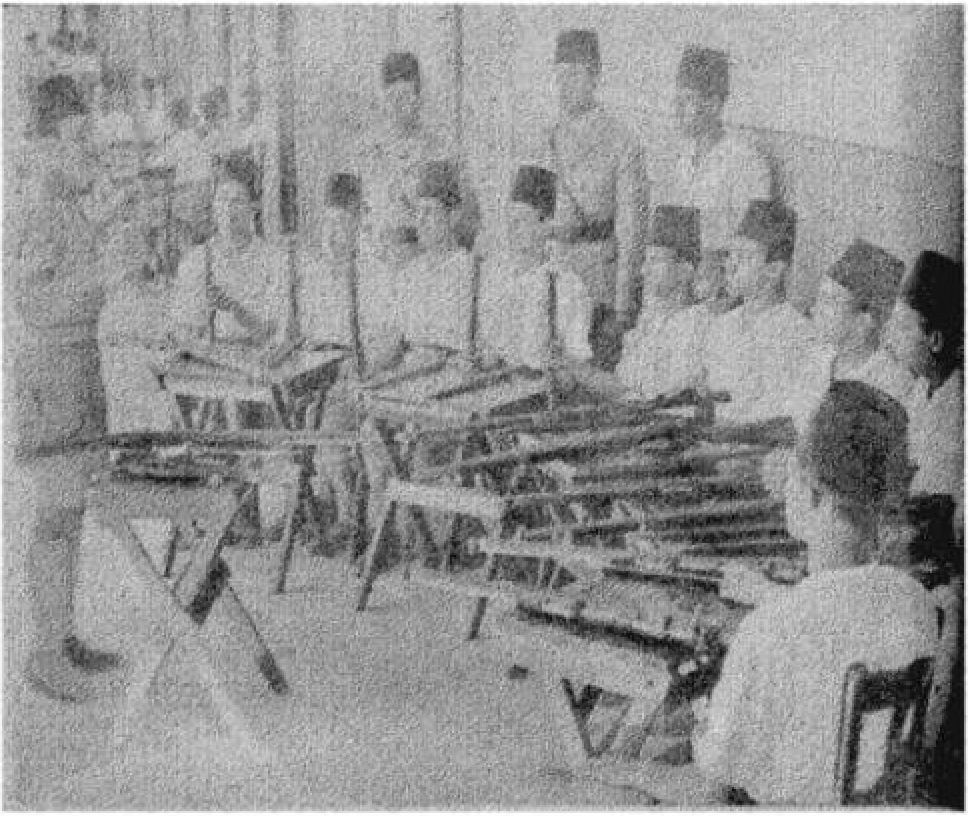
وانه لمن المستحيل تقييد حرية بعض الاحزاب أو الفرق دون تقييد حرية الاحزاب والفرق الأخرى . فاذا حرمت حرية الاجتماع على الفاشست وجب ان تحرم على انصار العمال أيضا ، وإذا حرمت المظاهرات على جماعة النازى وجب ان تحرم على جيش الخلاص أيضا . واذا حرم على الاحزاب ارتداء الشكات الرسمية فقد تتخذ من بعض الملابس العادية شكات رسمية ، وهكذا تتحايل على القانون وتستطيع ان تنتهكه

واذن فالحرية لا يمكن ان تتوطد وترسخ وتحترم إلا اذا تمتع بها الجميع وكانت ملكا خالصا للجميع . كما انه ليس فى مقدور الحكومة ان تظل حكومة شعبية ديموقراطية صحيحة الا اذا عممت استخدام الحرية وأقرتها واعترفت بها للجميع فى ظل القانون الذى عليه ان ينظمها فقط كى لا تنقلب الى اضطراب وفوضى . ثم ان هناك جماعات كبيرة من الشيوعيين أو الفاشيين الامريكيين يؤمنون بمبادئهم ايمانا عميقا ويعتقدون اعتقادا صادقا نزيها أن تلك المبادىء وحدها هى التى يمكن أن تنقذ امريكا وتنقذ العالم . فاذا كان أنصار الحكومة لا يشاطرونهم هذا الرأى ، فهذا الخلاف لا يعد سببا موجبا لتقييد حرية الفريق المعارض واضطهاده وعدم التسامح مع أفراده فى التعبير عن آرائهم بالطرق والوسائل المشروعة

وابلغ مثل قدم لنا فى احترام الحريات فى بلد ديموقراطى هو ذلك المثل الذى ضربه المستر لاجوارديا محافظ نيويورك فقد نصح له البعض بأن يحرم جماعة النازى من حق التظاهر فرفض رفضا باتا وقال :

« أنا لست نازيا ولا شيوعيا بل أنا أمقت هذين المذهبين السياسيين من صميم قلبى . ولكنى لو اتخذت تدابير تعسفية للقضاء عليهما ، أكون قد استخدمت أساليب البلاد الديكتاتورية فى بلد ديموقراطى . وهذا ما لا أقبله أبدا ! ... »

[ملخصة عن مجلة أوكوران]



لفيف من الشباب المثقفين يتلقون دروساً عسكرية من جندى أمى

ويمضون فى التدريب العسكري ستة أسابيع يستبدلون بعدها بغيرهم حتى يتم تدريب كل من يصلح من أبناء الجامعة

وبعد أن تنتهى مدة التمرين يمتحن المتطوعون إمتحاناً عسكرياً ، فمن جازه عين وقائد صف ، أى رئيس ثمانية جنود . واذا أمضى فى الصيف القادم مدة تمرين أخرى عين قائداً لثلاثين جنديا ، واختير بعد ذلك ضابطا في الجيش الاحتياطى . وسيتولى هؤلاء الطلبة تدريب اخوانهم فى كليات الجامعة تدريباً عسكريا ، يمكن شباب مصر المثقف من حمل ما تلقيه على عاتقه الوطنيـة والرجولة من أعباء ، ولا شك أن هذه الحياة الجريئة القوية التى يحياها أولئك الطلاب فترة من كل عام ، هي خير الوسائل لتنشئة الجيل الجريء الذى ما برحت مصر تفتقر اليه ، منذ أراد من استبد بأمرها أن يضعف روحها العسكرى القوى ، وأن ينسيها انها شادت فيما مضى ملكا عظيما رفيعاً ، يجب بها أن تستعيد اليوم أمجاده ومفاخره ، التى تنشدها من أمثال هؤلاء الشبان الطامحين الى العزة ، المتأهبين للتضحية ، الواثقين من المستقبل الزاهر

وترى على هذه الصفحات صوراً لهؤلاء الطلاب المتطوعين للجندية

مزايا اللغة الانجليزية

جعلتها اكثر لغات العالم انتشاراً

« لا يتجاوز أفق اللغة الانجليزية شواطىء جزيرتنا ولا ينتظر أن تتعداها الى ما وراءها » هذا ما كتبه أحد اللغويين الانجليز الثقات سنة ١٥٨٢ ، أى حين كانت الانجليزية خامسة اللغات الاوربية ، تتقدمها على التوالى الفرنسية فالألمانية فالايطالية فالاسبانية

ولكنها سرعان ما شقت طريقها الى الصف الأول قبل أن ينتصف القرن التاسع عشر ، وصارت اليوم اكثر لغات العالم ذيوعا إذ تتكلمها أقوى وأغنى دولتين فى العالم : بريطانيا والولايات المتحدة ، وهى فضلا عن هذا « اللغة الثانية » لكثير من شعوب العالم ، إذ يعرفها الى جانب لغاتهم زهاء عشرين مليون نسمة

فبالانجليزية تكتب ثلاثة أرباع رسائل البريد فى العالم ، ويصدر اكثر من نصف جرائده ، وتذيع ثلاثة أخماس دور اللاسلكى . وما من ربان سفينة تجارية يستطيع أن يجوب بحار العالم وهو جاهل بالانجليزية

بل ان اللغات التى تنافس الانجليزية فى الانتشار خارج بلادها ، كالاسبانية فى أمريكا اللاتينية واليابانية فى الشرق الاقصى ، انما استطاعت ذلك بما أدخلته فى صلبها من المفردات والعبارات الانجليزية الصميمة ، وقد بلغ من اقتباس اليابانية من الانجليزية ان بدأت تصدر فى اليابان معاجم خاصة بما تحفل به لغتها من الالفاظ الانجليزية الدخيلة

وقد ظلت الفرنسية عهداً طويلا اللغة الثانية المعتمدة فى العالم المسيحى ، تسبقها اللاتينية إذ هى اللغة الرسمية للكنيسة . وكان عدد من يتعلمونها ويباهون بالحديث بها اكثر من عدد الفرنسيين . وبقيت الى عهد قريب اللغة السائدة فى قصور الطبقات الارستوقراطية فى أنحاء أوربا . وهي كذلك لغة السياسة الدولية منذ كان عرش لويس الرابع عشر مطمح انظار البيوت المالكة كلها . ولكن التطورات السياسية والاجتماعية الحديثة رجحت على كفتها كفة الانجليزية التى يتكلمها عدد من الشعوب اكثر مما يتكلم أية لغة أخرى . وبدأت الشعوب تنظر الى اللغات نظرة « عملية » فتجعل الانجليزية لغة جامعاتها ، بينما أخذ ظل الفرنسية يتقلص عن القصور ، ولذلك كادت لغة الامبراطورية البريطانية تسلب لغة فرنسا سيادتها فى ميادين السياسة

فهذا أحد السياسيين الاوربيين يقرر أنه فى اليابان يمكن للاوربيين أن يجروا أمورهم دون أن يتعلموا حرفا من اليابانية ، ولكنهم لا يستطيعون شيئا اذا كانوا يجهلون الانجليزية . وهى تبسط نفوذها شيئا فشيئا فوق الطبقات المتعلمة فى الصين والهند . وهى مادة أساسية فى مدارس



مفتش الجيش المصرى يشرف على الطلبة المتطوعين
للجندية وهم يمارسون بعض تمريناتهم

لالمانيا وسويد وترويج وجامعاتها . . بل ان الفرنسيين أنفسهم بدأوا يتعلمونها على رغم ماهو معروف عنهم من كرههم اللغات الاجنبيه وعجزهم عن اتقانها

ويرجع الفضل فى ذيوع الانجليزية الى انتشار أهلها فى جميع آفاق الارض . فهم أكثر الشعوب ولعا بالسياحة والرحلات ، وهم أشد الناس اقبالا على المغامرات التجارية من أقاصى الارض ، وهم أقدر دول العالم على الاستعمار والتوطن . اضف الى هذا عاملا آخر هو ضعف الانجليز فى تعلم اللغات الاجنبية ، فاضطروا الى المحافظة على لغتهم ونشرها فى البلاد التى يهاجرون اليها

ولكن أهم أسباب ذيوعها ما تمتاز به على اللغات الاخرى من أسباب اليسر والبساطة . فمنذ قرن مضى قال العالم اللغوى « جاكوب جريم » : « ما من لغة من اللغات الحية تستطيع أن تنافس الانجليزية في غناها ، ودقتها ، واقتصادها » . وأضاف الى هذا « أوتو جيسبرسن » من كبار فقهاء اللغة : « انها تبدو لى لغة جد ورجولة : تلائم الرجل القوى الناضج ، وليس فيها ما يناسب عبث الطفولة أو ليونة الانوثة . . . »

والواقع أنها لغة سهلة فى تركيبها ، واضحة فى نطقها ، ترتب مفرداتها جنبا الى جنب فى نظام منطق دقيق ، وتخلو من كل تعسف وتكلف وحذلقة . وخير ميزاتها على الاطلاق أنها لا تميز بين المذكر والمؤنث والجماد فى أداة التعريف ، ولا يستطيع أن يقدر هذه الميزة الا من قاسى تعلم الالمانية مثلا . ومن بساطتها أنها تضع ضميرا واحدا للمخاطب سواء أكان رجلا أم سيدة ، مفرداً أم جمعا

ورجال التربية يتحدثون دائما عن غناها بالمفردات ، التى تبلغ على الاقل ضعف مفردات اللغات الاوربية الاخرى . ولا شك ان هذه الحسنة التى يشيد بها المربون من شأنها أن تشق على الاجنبى فى تعلمها واجادتها ، ولكن احدى ميزاتها الاخرى تيسرها له كثيراً ، وهى أنها أغنى اللغات بالكلمات القصيرة المؤلفة من ثلاثة حروف أو أربعة ، تضيف الى أولها أو آخرها مقطعا من المقاطع اللاتينية فيتغير معناها تغيراً تاما . أى أن كثيراً من كلماتها تتألف من « أصل » يتيسر حفظه لقصره وبساطته ، ومن « مقطع » من المقاطع اللاتينية المعدودة

والانجليزية من أشد اللغات اقتصادا فى ألفاظها ، فقد حسب الدكتور والتر كير كونل من فقهاء اللغة ما يلزم من المقاطع لترجمة « انجيل مرقص » الى أربعين لغة مختلفة ، فوجد انه يكفى فى الانجليزية ٢٩٠٠٠ مقطع ، أما متوسط اللغات التيوتونية فيلزمها ٣٢٦٥٠ مقطع ، واللغات السلافية ٣٦٥٠٠ مقطع ، واللغات اللاتينية ٤٠٢٠٠ مقطع . أما الى اللغات الهندية الايرانية ، مثل البنغالى والايرانى والسنسكريتى ، فيحتاج الى ٤٣١٠٠ مقطع . وهكذا تمتاز الانجليزية على سائر اللغات ، فى بساطة ألفاظها ، ودقة تعبيرها ، ومنطقية نظامها ، مما هيأ لها أسباب التفوق والانتشار

[خلاصة مقال بقلم هـ . ل . مينكين من مجلة يتر انجليش]

صراع بين عقليتين

الفوارق الفكرية بين الصين واليابان

ان وراء الحرب الصينية اليابانية القائمة الآن صراعا بين عقليتين مختلفتين كل الاختلاف

فالصينيون يعتقدون — وهم فى ذلك على حق — أن حضارتهم أقدم من الحضارة اليابانية وأن اليابان أمة من الوصوليين وأن سر عظمتها المعنوية يرجع الى اقتباسها روح الثقافة الصينية ومبادئها . ويرى الصينيون أن اليابان لم تساهم فى خدمة الحضارة الانسانية المشتركة وأن كل ما يمكن أن تفخر به هو تنظيمها الصناعى والعسكرى الذى جلبت قواعده وأصوله من أوربا

ويعتقد اليابانيون أن الصين كانت فيما مضى على رأس ثقافة حية . ولكنها اليوم أقل تقدما من اليونان الحديثة ، فهى أمة قد انحطت وفشت فيها طبقة من المتعلمين النفعيين يتطلعون بأبصارهم الى الفوز بالسلطة وينازع بعضهم البعض الآخر وليس فيهم من فى وسعه الاضطلاع بأعباء الجهود الصناعية والتجارية الحديثة أو التقدم لخدمة الامة فى اخلاص ونزاهة وبمعزل عن النفع الشخصى

ويرى الصينيون أن التربية اليابانية لا تؤدى الى نشر تعاليم الديموقراطية وروحها بل الى القضاء على الفرد وافنائه فى شخصية الدولة وجعله مواطنا عسكريا خاضعا كل الخضوع لسلطة كبار رجال الجيش . فالدراسات الاجتماعية الحرة لا وجود لها فى اليابان كما يزعم الصينيون وحرية الفكر مخنوقة وسواد الشعب يرسف فى اغلال الجهل والعبودية ويعيش ويكد ويكدح فى سبيل رفاهة الطبقات المتمولة

ويرى اليابانيون أن وفرة عدد الثورات الداخلية فى الصين تدل أبلغ الدلالة على أن هذه الامة لا تحسن تنظيم بيتها وأن فضيلة الطاعة تنقصها وانها لفرط شعورها بتفوق اليابان عليها توطىء أكنافها للانجليز والامريكيين والروس فتفتح للمستعمرين طريق آسيا

ويقول الصينيون إن فضيلة الطاعة التى تتشدق بها اليابان ما هى إلا ضرب من العبودية مقترنة بنزعة تعصب وطنى استعمارى خبيثة ، تتجلى فى استبداد عدد من القواد بشئون الحكم وفى فرض آرائهم على الشعب من وراء شخصية الامبراطور

والواقع أن كلا من الصينى والياباني يعيش بمعزل عن الآخر ويجهل مدى تطوره الحقيق ويتشبث بتلك الآراء التى استحالت فى نفوس الافراد الى عقائد راسخة

وأما من الوجهة الاقتصادية فما لا شك فيه أن اليابان ترمق البلاد الصينية بعين الحسد والشهوة

وتطمع للاستيلاء على ما فيها من مواد أولى وتزعم أنها لو وضعت اليد عليها فستمكن سواد الشعب الصينى من الحياة وترفع مستواه الاقتصادى وتجلب اليه الحضارة الصناعية وتنقذه من حكامه المشهورين برذائل الأثرة والتنابذ والعبث والمحسوبية

ولكن الفقر الشائع بين الأغلبيات الساحقة من الشعب اليابانى يزيد فى اقناع الصينيين بأن الطبقات اليابانية المتمولة هى التى تسعى لاستعمار الصين لا لخدمة الشعب الصينى بل لخدمة مصالحها . .

ومن جهة أخرى فاليابان تكره من الصين أشد الكره سياستها المتجهة صوب روسيا، وتستنكر وجود الروس فى منغوليا الغربية وفى منطقة سين كيانج وتزعم أن البلاد مهددة بالخطر الشيوعى الذى قد يطغى على اليابان أيضا . ولكن الطبقة المستنيرة فى الصين ترد على هذا الزعم بأن ضرورة محاربة الاستعمار اليابانى هى التى حدت بالصين للتقرب من اتحاد الجمهوريات السوفيتيه

وهكذا تختلف آراء الشعبين وتتعارض فى جميع المسائل سواء منها الخاصة بالحضارة أو الثقافة وأنظمة الدولة أو شئون المال والاقتصاد

والحق أن اليابان تنزع نزعة عسكرية شبه فاشستية ، والصين تتجه بابصارها نحو مثل أعلى من الحكم الديموقراطى الشعبى

[ملخصة عن مجلة باسفيك افيرز]

حفلات العرس المروعة

فى بعض بلاد العالم

متى تزوج أحد الفرنسيين سافر الى نيس أو ايطاليا أو التيرول لقضاء شهر العسل بعد أن يكون قد تم زواجه فى حفلة بسيطة يشهدها الاهل والاصدقاء

أما فى بلاد الشمال فحفلة العرس تتخذ طابعا فريدا يظل راسخا فى مخيلة الزوجين طوال الحياة

ففى فنلندا مثلا ولاسيما فى منطقة كارلى الحافلة بالغابات ، يضع أهل العروسين فى المخدع الزوجى ثلاثة أسرة صغيرة ، يرقد العروس فى السرير الأول وعروسه فى السرير الثانى ، ويفرض عليهما النوم فى ذلك المخدع بملابسهما العادية سبع ليال متوالية

وأما السرير الثالث فترقد فيه الحماة والدة العريس كى تألفها الزوجة وتشعر بقيمتها وتعتاد

احترامها . وهكذا لا يتم الزواج الا بعد انقضاء تلك الليالى السبع وانسحاب الحماة من مخدع الزوجين

وفى لتوانيا تتقدم حفلة العرس مأدبة كبيرة ثم يخرج المدعوون وهم ينشدون مختلف الاناشيد ثم يبرز الزوجان فترتفع الاصوات بالهتاف ، ثم تسير الجموع خلف الزوجين الى بيت العريس . وهناك يقف الشاب بباب الدار ويلتفت الى عروسه ويحييها ثم يقول :

— أتعرفين ما يفرضه الزواج عليك من واجبات نحو زوجك ؟

فتحنى العروس رأسها مبتسمة وتدخل مخدع الزوجية . وهناك أمام الجمع المحتشد تنزع « بياضات » السرير ثم تبسطها ثلاث مرات للدلالة على أنها ربة بيت صالحة ، ثم تدنو من زوجها وتتفرس فيه وتنتظر ، وعندئذ يجلس الشاب على مقعد ويخلع حذاءه وجوربه ، فتسرع الزوجة وتجيء باناء فيه ماء وتغسل على مرأى من الجميع قدمى زوجها ، وبعد أن تفرغ من هذا العمل ، يعصب أحد المدعوين عينيها بمنديل أبيض ويتركها لنفسها فتتسلل بين الحاضرين وتظل تتخبط بين أثاث الغرفة وهى تتمتم صلوات لتستنزل بها نعمة الله على البيت وأصحابه

وأما قبائل الهنود التى تحيا على ضفاف نهر الأمازون فلها فى الزواج وحفلات العرس تقاليد مروعة فاجعة

ومن ذلك أن الشاب متى فكر فى الزواج واختار عروسه يعرض الامر على رئيس القبيلة ويسترضيه بمختلف السبل ليحصل على موافقته ، فاذا أذن الرئيس أسرعت أسرة الشاب فى إعداد حفلة العرس

وتتلخص مراسيم هذه الحفلة فى أن يذهب العريس ويأتى بعروسه الى الغابة قبل غروب الشمس . وهناك يتقدم صحبة شاهدين ويشد الفتاة الى جذع شجرة ويباشر ما يعرف عند أهل القبيلة بعملية التطهير ، فيتناول سوطا ويلهب به بدن الفتاة ، فتصرخ وتئن من فرط الألم ، واذ ذاك يقبل جمع من السحرة ويحدقون بالفتاة ويرقصون رقصاً وحشيا يتخلله هتاف مزعج يصم الآذان . وفى خلال ذلك يسرع أحد الشهود ويشعل النار عند قدمى الفتاة فى كومة من الحشائش والحطب فتتلوى المسكينة وتصيح وتضرب الهواء بقبضتيها ولكن الشاهد الآخر لا يحل وثاقها إلا بعد أن تكون قد فقدت رشدها وأصيبت بشبه اغماء . وعندئذ يهلل السحرة معتقدين أن الأرواح الشريرة قد خرجت منها وان الضرب والنار والرقص والغناء قد انتصرت على هذه الارواح وسحقتها وبددتها فى فضاء الغابة

وفى النهاية تحمل الفتاة الى كوخ عريسها خالصة البدن والروح من كل رجس

[ملخصة عن جورنال دي لافام]

أعظم كلية للبنات

أمريكا تجدد فى تربية الفتيات

زرت أعظم كلية للبنات فى أمريكا . وهذه الكلية معروفة باسم (سميث كوليج) وفى وسعى ان أتحدث عنها بعد أن اتصلت بأساتذتها وطالباتها عن كثب والقيت فى مدرجها الكبير عدة محاضرات

انشئت هذه الكلية بفضل سيدة محسنة تدعى مسز صوفى سميث وقفت عليها جزءاً كبيراً من ثروتها . وكانت هذه السيدة جاهلة وكان شقيقها المتعلم يعيرها بجهلها فارادت أن تثأر لكرامتها وكرامة جنسها فتبرعت بمالها لتأسيس تلك الكلية

وانخرط فى سلك هذه الكلية أول الأمر عدد صغير من الطالبات لا يربو على العشرين ثم اتسعت دارها وشيدت فيها الأبنية العلمية المتعددة

واحتضنتها الأسر الكبيرة وتبرعت لها بالمال فنمت وازدهرت ، وبعد أن كانت عام ١٨٧٥ مدرسة عادية أصبحت الآن كلية عظيمة تشرف على تربية وتعليم الفى فتاة

ومساحة هذه الكلية تبلغ نحو مئتى هكتار وهى تعنى بتخريج طبقة من النساء يمتزن بارستقراطية ثقافية رائعة ويعتبر مستواهن العقلى فى مستوى أغزر الرجال علما وأوفرهم ثقافة

وتنفرد (سميث كوليج) بنزعاتها الحرة فى التربية . فلطالباتها حق الحرية المطلق فى قضاء أوقات فراغهن حيث شئن ، وفى اختيار صديقاتهن ، وفى التصرف بحياتهن الخاصة ، وفى عقد روابط الصداقة بينهن وبين الطلبة الشبان فى الكليات المجاورة

وقد لاحظت أن لاساتذة الكلية ثقة تامة بسلوك الطالبات ، وان هؤلاء يحترمن انفسهن ويقدرن كرامتهن ، ويشعرن بقيمة العمل ويقبلن عليه فى جد ورصانة ودأب

وتستغرق مدة التدريس أربع سنوات يحيا فيها معظم الطالبات بعيداً عن أهلهن ، فى محيط على مستقل لايمت الى محيط الاسرة وتقاليدها بأية صلة

والواقع أن الأسر الامريكية تعترف لابنائها بحرية التعليم والتفكير ، ولا تفرض عليهم ثقافة معينة . ولا تحاول صب عقولهم فى قالب تقليدى ، ولا تسرف فى حبهم والعطف عليهم اسرافا يطغى على استقلالهم ، بل تطلقهم من عقال البيت وترسل بهم الى الكليات البعيدة وتنفصل عنهم السنوات الطوال ، تاركة لهم ملء الحرية فى تثقيف انفسهم وتكوين آرائهم الخاصة فى الحياة والناس

وقد لاحظت أيضا أن نفقات الدراسة فى هذه الكلية عالية وأن معظم الطالبات من بنات الاسر المتمولة . ولكنى لاحظت فى نفس الوقت ظاهرة غريبة . وهى أن فى الكلية عدداً من الفتيات عجز آباؤهن عن تسديد بقية ما عليهم للادارة من أقساط مالية معينة ، فلم تتبرم الادارة ببناتهم ولم تفصلهن بل عهدت اليهن مقابل هذا التجاوز فى القيام ببعض أعمال يدوية كترتيب المائدة وتنسيق أصص الزرع وما الى ذلك

وهذه الاعمال اليدوية التى تقوم بها الفتيات متوسطات الحال ، لا تغرى الطالبات الموسرات باحتقارهن أو تعييرهن أو محاولة ايجاد أى فارق نفسى بين أعضاء هيئة واحدة

ولقد حدث أن طالبة تلقت ذات يوم خطابا من شقيق لها أعلنها فيه أن والدها قد أفلس ، فلم تنزعج الفتاة وتلت الخطاب على زميلاتها ثم أسرعت فى نفس اليوم وهيأت لهن الشاى ونسقت حجراتهن ورتبت « ياضاتها » وقامت بالعمل اليدوى المفروض عليها فى هذه الحال على أكمل وجه

ومن مدهشات هذه الكلية أن طالباتها يتمتعن بنوع من الحكم الذاتى يحسدهن عليه بعض الأمم . فقد أنشأن محكمة خاصة بهن وانتخبن قاضياتها من بينهن ، وجميع المنازعات والشكاوى تعرض على هذه المحكمة فتفصل فيها وتصدر احكاما عادلة ينفذها الكل فى استقامة ونزاهة

وانى لأصارح انى لمست روح الديموقراطية الصحيحة فى هذه الكلية التى تعد معقلا من معاقل الثقافة النسوية الرفيعة فى امريكا [لجوليان بندا ملخصة عن مجلة ماريان]

أكلة اللحم البشرى

رحالة فرنسى يصف مأدبهم المروعة

ما زالت بعض القبائل الضاربة فى آجام أمريكا الجنوبية تأكل اللحم البشرى . فاذا وقعت على رجل من عدوها التهمت لحمه وقضمت عظمه ، وسط مأدبة دينية كبيرة ، تضرب فيها الدفوف ويجرى الرقص والغناء

وقد وصف أحد الفرنسيين المقيمين على مقربة من تلك الغابات التى يذهب اليها البيض لاستغلالها ، مأدبة مروعة أقامتها احدى هذه القبائل الهندية ، حين وقع فى قبضتها رجل فرنسى كان يجوب تلك المجاهل مع زوجته ، بحثاً عن أرض تصلح لاستنبات أشجار المطاط

قرر زعماء القبيلة أن يقتلوا الرجل أولا ، فطرحوه على ظهره أرضا ، وأوثقوه وثاقا محكما . ثم جاءوا بجذع شجرة ضخمة أثقلوا به صدره ، وأخذوا يقفون عليه جماعات جماعات ، حتى

حطموا أضلاعه وهشموا عظامه وأزهقوا روحه . . هذا بينما وقفت نساء القبيلة فى حلقة حول فريستهن يرقصن الرقص الهمجى ، ويغنين غناءهن المنكر

فلما فاضت روح الرجل انهالوا على جسمه يقطعون أوصاله وأشلاءه ، ويلقون بها فى النيران المندلعة ... وكل هذا على مرأى من زوجته !

ومن عادات هذه القبائل ان يحتفظوا بذراع قتيلهم اليمنى ، فيربطوا أصابعها معا ليتخذوا منها ملعقة للمأدبة التالية ، حين يقتلون الزوجة وينهشونها . . !

وكان أدهى وأقسى ما وقع ، ان أرغمت هذه الزوجة الشقية على أن تأكل من لحم زوجها . . !

فأخلت هذه الفاجعة بأعصابها ، وردتها مريضة مشدوهة ، تترقب الموت الذى أجلوه الى يوم غير مسمى

وقد سجنوها فى كوخ تحت حراسة عجوز أخذتها بها الرحمة . فكانت ترفق بها وتسعى الى خلاصها . فلما زايلها المرض وتماسكت قوتها ، انسلت بها العجوز بعيداً عن الغابة ، حيث أخذتا تسيران على ضفة نهر هناك ، مختبئتين بين أعشابه الكثيفة وأشجاره الملتفة ، وقضيتا يومين هكذا تفتاتان من ثمار الغابة ، الى ان خرجتا من ظلام الهمجية الى نور المدنية

ومن الحقائق الغريبة أن هذه القبائل الهمجية لا تتخذ اللحم البشرى طعاما ، وانما تأكله أداء لطقوسها الدينية . ولهذا لا يأكل أفراد القبيلة الواحدة بعضهم بعضا ، بل يقتصرون على أكل من يقع فى أيديهم من الاعداء

وقد قابلت ذات مرة عجوزاً هندية كانت آخر من بقى من أفراد قبيلتها ، التي أغارت عليها قبيلة أخرى ، أسرت رجالها ونساءها وأطفالها والتهمتهم جميعا . فسألت هذه العجوز : أتحبين اللحم البشرى ؟

— نعم ! أشتهيه أكثر مما أشتهى أى لحم آخر

— وهل تفضلين بعضه على بعض ؟

— نعم ، الأذرع والظهر والافخاذ ، وللاصابع واللسان والمخ لذتها كذلك ، أما بطن القدم فلا نذوقها

وكان معى دليل من أهل تلك القبائل ، فكانت تشير الى أعضاء جسمه وتذكر ما تستطيبه منها ، فسألها ضاحكا : « أحسب انك تودين أكلى »

— لا .. لا أرضى ان آكلك

— لماذا ؟ أرانى شابا ممتلئا يعجبك لحمى الغض

— نعم ! لحمك لذيذ ، ولكنك من أصدقائنا ، ونحن لا نأكل الا أعداءنا

[خلاصة مقال لروبرت دى واترين فى مجلة فو]

متى يكثر الانتحار

وما العلاقة بين الانتحار والنشاط ؟

أخطأ مونتسكيو حين قال ذات مرة إن هناك علاقة بين حوادث الانتحار فى انجلترا وسحب الضباب التى تخيم عليها شتاء . فان الاحصاءات تبين أن شهر نوفمبر الذى تشتد فيه الرطوبة ويطبق الضباب ، هو أخلى شهور السنة من حوادث الانتحار . ولعل مونتسكيو أراد بذلك أن ما ينشره الضباب من الظلام والقتام ، يبث فى النفس شعور الكآبة والانقباض ، مما يؤدى الى النفور من الحياة وإيثار الموت عليها . ومع أن هذا التعليل معقول الى حدما ، الا ان أحفل فصول السنة بفواجع الانتحار هو فصل المرح والبهجة ، أى فصل الربيع ، فان نسبة هذه الحوادث تزداد ابتداء من شهر يناير حتى تصل إلى أقصاها فى شهر يونيو ، ثم تنخفض حتى تبلغ حدها الأدنى فى شهر ديسمبر ، وهذا يدل كذلك على خطأ ما يزعم بعض الناس من أن اشتداد الحرارة ، وما يتبعها من اجهاد الاجسام وارهاق الاعصاب ، هو ما يؤدى الى كثرة حوادث الانتحار

أما ما أثبتته الاحصاءات المختلفة فهو أن نسبة حوادث الانتحار تطرد زيادة ونقصا مع طول ساعات النهار ، كما تتبين من الاحصاء التالى الذى وضعه أحد الباحثين الاجتماعيين عن فرنسا :

الشهر	متوسط طول النهار ساعة	دقيقة	عدد حوادث الانتحار	الشهر	متوسط طول النهار ساعة	دقيقة	عدد حوادث الانتحار
يناير	٩	١٩	٦٨	يوليو	١٥	٤	١٠٠
فبراير	١٠	٥٦	٨٠	أغسطس	١٣	٣٥	٨٢
مارس	١٢	٤٧	٨٦	سبتمبر	١١	٣٩	٧٤
ابريل	١٤	٢٩	١٠٢	أكتوبر	٩	٥١	٧٠
مايو	١٥	٤٨	١٠٥	نوفمبر	٨	٣١	٦٦
يونيو	١٦	٣	١٠٨	ديسمبر	٨	١١	٦١

فكلما طال النهار وقصر الليل ، أى كلما زادت ساعات العمل وقلت ساعات الراحة ، ارتفعت نسبة حوادث الانتحار . فهل من علاقة بين العمل والنشاط ، وبغض الحياة وإيثار الموت ؟ قد تجد جوابا عن هذا فيما يلى :

أربعة أخماس حوادث الانتحار تقع فى أثناء النهار وبدء المساء . أما إذا أقبل الليل وانصرف الناس عن أعمالهم وآووا الى منازلهم ، قلت حوادث الانتحار كثيراً . ومعنى هذا ان اعمال

النهار ، وما تستتبع من اجهاد وارهاق ، وما يلازمها من منازعات ومشاجرات ــ هى التى تؤدى الى الانتحار

على ان شئون الحياة الحديثة قد عدلت هذا النظام شيئا ما ، فزادت حوادث الانتحار فى شهر ديسمبر زيادة ملموسة . وذلك ان هذا الشهر هو وقت اقتضاء الديون ، ووضع الميزانيات ، وتقدير الارباح والخسائر ، أى الوقت الذى يبدأ فيه كثير من الناس يتطلعون الى المستقبل ويحسبون حسابه ، مما يدفع بعضهم الى التخلص من الحياة ومسئولياتها الثقيلة . ولا ننسى أن الازمات الاقتصادية فى العصر الحديث ، تؤدى الى زيادة عدد المنتحرين زيادة دورية تقع فى فترات منتظمة ، شأنها فى ذلك شأن نكبات الطبيعة فى العهد القديم

وإذا صح أن هناك علاقة مطردة بين نشاط المجتمع وانتحار الأفراد ، فلا بد أن تكون بعض ساعات النهار أحفل من سواها بحوادث الانتحار ، أى ينبغى أن تكثر هذه الفواجع فى فترات الضحى والعصر ، وتقل من بدء الليل الى بزوغ النهار . وهذا مايحدث فعلا كما أثبتت الاحصاءات المختلفة :

فمنذ منتصف الليل حتى مشرق الشمس تبلغ حوادث الانتحار حدها الأدنى ، لأن نشاط المجتمع يكون حينذاك فى اضعف حالاته . ثم يبدأ عدد هذه الحوادث فى الازدياد حتى يبلغ أقصاه ساعة الضحى حين تكون الحياة فى فورة العمل والنشاط ، ثم يهبط هذا العدد رويداً حتى ينصرف الناس من أعمالهم وقت الظهيرة . أما ساعات القيلولة فهى شبيهة بساعات الليل ، فتقل فيها حوادث الانتحار كثيراً . فاذا ما انتهت وعاد الناس الى أعمالهم بدأ الناس يقبلون على الانتحار شيئا فشيئا حتى وقت العصر ، وبعد ذلك يقل اقبالهم هذا الى أن ينصرفوا من أعمالهم . والنصف الأول من الليل يزيد عن النصف الثانى في حوادث الانتحار ، بقدر زيادته عنه فى كمية العمل ونشاط المجتمع

على أن هذا النظام لا يطرد دائما فى جميع الشعوب وكافة الطبقات ، نظراً لاختلافها فى ساعات النوم واليقظة ، وفترات العمل والراحة ، وأوقات الوجبات المختلفة

وتوزيع حوادث الانتحار على أيام الأسبوع يؤيد كذلك ــ الى حدما ــ هذه النظرية : وكلما زاد النشاط كثر الانتحار ، على أنه قد يحدث أحيانا شىء من التناقض ، وذلك لأن الاسبوع وحدة صناعية ابتكرها الانسان لتنظيم شئونه ، وليس كاليوم أو الفصل فهما وحدتان طبيعيتان يعين احداهما تعاقب الليل والنهار ، ويحدد الاخرى اختلاف الطقس من الحرارة الى البرودة

نجد يوم الاثنين ــ فى البلاد الغربية ــ هو أحفل أيام الأسبوع بالانتحار ، لأنه أكثرها عملا وحركة ونشاطا ، ففيه يبدأ الناس أعمال الأسبوع بعد أن استراحوا واستجموا يوم الأحد . ويليه فى كثرة حوادث الانتحار يوم الثلاثاء فيوم الاربعاء ، على قدر نصيب كل منهما من العمل

والنشاط . ومنذ يوم الخميس حتى نهاية الاسبوع تفتر همم الناس عن العمل ، وبالتالى يقل اقبالهم على الانتحار ، وعلى هذا ينبغى أن يكون يوم الأحد أقل ايام الاسبوع فى حوادث الانتحار ، ففيه ينصرف أكثر الناس عن أعمالهم الى الراحة والنزهة ، ولكن ما يحدث فيه عادة من اقبال على احتساء الخمر ، وما يعقبها من مشاجرات ومنازعات ، يؤدى الى زيادة حوادث الانتحار فيه زيادة طفيفة

أما عن السيدات ففى الأيام الستة التى يمضينها فى بيوتهن ، منصرفات عن جلبة الحياة وحركة المجتمع ، يقل اقبالهن على الانتحار قلة ملموسة ، حتى إذا جاء يوم الاحد وخرجن صحبة أزواجهن وأصدقائهن الى الملاهى والحانات والمراقص ، طفر عدد حوادث الانتحار بينهن طفرة كبيرة ، تثبت صحة تلك العلاقة الوثيقة بين زيادة النشاط وكثرة الانتحار

[ملخصة عن كتاب « الانتحار » لهنرى روميلى فيدين عن مجلة ذى ورلد سايز]

هل الحب جنون ؟

بحث نفسى فى هذه العاطفة المعقدة

طالما ردد الكتاب والشعراء أن نشوة الحب كنشوة الخمر وأن ذهول الحب يشبه ذهول المجنون . ولقد جرت العادة ان يقول العاشق للولع بامرأة : « أنا مجنون بها ! »

وليس شك فى ان كل عاشق متى برح به الهوى يعيش ويفكر ويتصرف كانسان غير عادى ، فهو يحيا فى عالم مقصور عليه وحده ويشعر كما يشعر المجانين تماما بأن كل من يحاول اقتحام عالمه الخيالى هو شخص دخيل بغيض يثير النفور والحنق والسخط

فالفكرة الثابتة التى هي اصل الجنون هى أيضا مثار الحب . ونحن متى عشقنا انصرفنا الى فكرة واحدة وصورة واحدة وخيال واحد . وبدأت حياتنا تنشط وتعيش وتتغذى من هذه الفكرة الثابتة كما يحدث عند المجانين . وهكذا تضيق فسحات الكون امام ابصارنا وتتركز فى نقطة واحدة ، فننفرمن الناس وننطوى على أنفسنا ونتأمل ونحلم ونفكر فى دائرة محدودة معينة . وكل هذه الاعراض تشبه تمام الشبه أعراض الجنون

ومن أبلغ الادلة على ذلك ان الحب ليس فى حاجة الى الكلام ، فالنظرة تكفيه والاشارة تقنعه والايماءة العابرة افصح لديه من كل خطاب ، فكأن هناك رابطة سحرية وثقت الاواصر بينه وبين محبوبه ، وكأنما هو فى اتصال دائم به وتفاهم سرى معه ، وكأنه فى علاقته النفسية العميقة بمن يهوى ، يحقق تلك العلاقة الملحوظة بين المجنون وفكرته الثابتة

فالمجنون يخاطب فكرته كما يخاطب العاشق معشوقته وكلاهما يعيش فى عزلة مطلقة ويتغذى من فكرة واحدة

واذن فى وسعنا ان نستخلص مما تقدم ان الرجل الذى يحب انما يخضع لتأثير فكرة ثابتة ، أو بمعنى اوضح يخضع لسحر شخص معين يسلط عليه قوى خياله وتصوره فلا يراه على حقيقته أول الأمر ، بل يرى منه تلك الصورة التى خلقها هو والتى اشتركت فى تكوينها طائفة من الالوان والصور أحبها العاشق فيما مضى واختزنها فى عقله الباطن وخيل اليه ان فى معشوقه شيئا منها

فهو والحالة هذه يخلع الماضى على الحاضر والوهم على الحقيقة ، والشعر على الحياة ، ويؤلف من هذه العناصر المختلفة فكرة معينة ، او صورة علوية رائعة لا تمت الى الواقع بسبب

وهو كلما كان حافل الذهن بالذكريات العاطفية الشائقة ، كان أدنى الى الحب . وذلك لأن الانسان الذى اعجب وتأثر فيما مضى وفى ظرف معين ، بنظرة ساحرة ، او بعيون فاتنة ، أو بلون شعر ، أو برنين صوت ، أو بطابع جمال ، لا بد ان تتخلف هذه الألوان فى عقله الباطن ، فاذا ما صادف امرأة جمعت بعضها ، أحياها وأخرج من عقله الباطن وأضفى عليها ، فتستحيل فى نظره الى مخلوق شعرى نادر اخاذ

هذا هو سر الحب وهو أيضا سر الجنون . ولكن الجنون يطمس على العقل اما الحب فقد نستفيق من نشوته . قد نستفيق بعد الزواج مثلا فنجد ــ والحسرة تملأ قلوبنا ــ ان العادة قد جردت من نحب من كل فتنة خيالية ، وعندئذ تتداعى احلامنا ونصطدم بالواقع ونتألم ونندم ولكن بعد فوات الوقت

وقد لاحظ علماء النفس أن المحب الذى يصحو ويندم ، لا يتبدل بسرعة ولا يطلق بسهولة فكرته الثابتة ، بل يبالغ فى اظهار حزنه ويسرف فى الاعراب عن خيبته . كأنما هو يحاول ان ينتقم من محبوبه الذى غدر به وحطم الخيال الرائع الذى صاغه له

وهذا ما يفسر لنا خوف الناس من زواج الحب ، ومع ذلك فليس فى مقدورنا صرفهم عن الحب وان كان في جوهره جنونا ، اذ الحياة نفسها بما فيها من متاعب وآلام تغرى بهذا الجنون الذى ينقذنا منها ويتيح لنا التحليق ردحا من الزمن فى عالم السعادة والخيال

ومهما قال علماء النفس فى الحب فهو تفوق على الحياة ومهما قالوا فى زواج الحب ، فهو أنبل وأقدس وأبقى من زواج المصلحة

[ملخصة عن مجلة سيكولوجست للدكتور بيران ولف]

زواج الأقارب

ينفع أحيانا ويضر غالبا

كثيراً ما يواجه الاطباء بهذا السؤال الذى طالما حير الآباء : « ان ابنى يحب ابنة عمه أو خاله - حبا جما ، فماذا يرى الطب فى زواجهما : « أيقلل حقا من نسلهما ، أيضعف من بنية أبنائهما ، أيكون أطفالهما اقل من أمثالهم عقلا وخلقا ؟ .. »

والواقع أن هذا الأمر قد أهم الناس كثيراً ، حتى عنى به بعض رجال الدين وأبدوا آراءهم فيه . فالكنيسة الكاثوليكية ، التى يعنيها أن يرتقى أتباعها ويزيد عددهم من جيل الى جيل ، حاولت أن تقلل من زواج الأقارب قدر ما تستطيع ، ففرضت على من يريد أن يتزوج من احدى فتيات أسرته أن يستصدر إذنا خاصا من الكنيسة يكلفه كثيراً من الجهد والمال ، وذلك أن هذه الكنيسة تعتقد أن زواج الأقارب يضعف من شوكة أتباعها ، ويؤدى الى تقليل عددهم شيئا فشيئا

أما رأى الطب فى هذا الأمر فهو : اذا كانت الأسرة « جيدة » جاء النسل سليما عاديا . ونعنى بالجودة هنا خلوها من الامراض الجسمية الوراثية ، ومن النقائص العقلية والخلقية المعروفة

أما اذا كانت الاسرة مصابة باحدى النقائص الخطيرة ، سواء فى ابدان أفرادها أو عقولهم أو أخلاقهم ، فان زواج اثنين منها يؤدى الى نسل تنمو وتكبر فيه هذه النقائص

فهذا رجل لم تكتمل قواه العقلية ، فاذا تزوج حفيده من حفيدته جاء ابنهما حتما ناقص القوى العقلية ، واضح البله والشذوذ ، معرضا للخبل والجنون

وهذه سيدة ذات ملكة قوية فى الموسيقى مثلا ، فاذا اقترن حفيدها من حفيدتها جاء ابنهما نابغا ، وربما عبقريا ، فى مواهبه الفنية . وأوضح مثال لذلك أسرة الموسيقى العظيم « باخ » ، فقد أنجبت ٤٤ موسيقيا من ذوى المواهب الخصبة الممتازة ، وذلك أن تقاليد هذه الاسرة كانت تقضى بألا يتزوج ابناؤها إلا من بناتها

واذا فزواج الأقارب يعزز صفات الاسرة ويؤكدها ، فان كانت ضعيفة زادتها ضعفا ، وان كانت قوية أضافت اليها قوة . . ولكن كيف يعرف المرء مزايا الاسرة ونقائصها ؟

من سوء الحظ أنه فى حالات الزواج لا يرى المرء إلا الفضائل والمزايا ، وقلما يتنبه الى الرذائل والنقائص ، فليس من عادة الأحبة أن يتعمقوا فى النقد والفحص والتمحيص ، وأعينهم - غالبا -

عن كل عيب كلبلة ! ولو خلا الزواج من حكم العاطفة وخضع لرأى العقل ، لجرى زواج الأقارب وفق القواعد التى يجرى عليها « تأصيل الحيوان »

فالذين يعنون بترقية فصائل الحيوان يلجأون الى المزاوجة بين أفراد السلالة الواحدة ، إذا تبينوا فيها ما يرون تنميته من الصفات الحسنة . فهذا الجواد يجيد القفز عاليا ، فاذا أراد صاحبه أن يعزز هذه الميزة ، زاوج بينه وبين فرس تمت اليه بصلة الدم ، وغالبا ما تكون أمه أو أخته . وقد أدت هذه الطريقة الى ترقية كثير من أنواع الحيوان والطير ، فصرنا نجد خيولا ودجاجا تمتاز على آبائها امتيازا واضحا ، قلما نجد مثيلا له بين الابناء والآباء من البشر

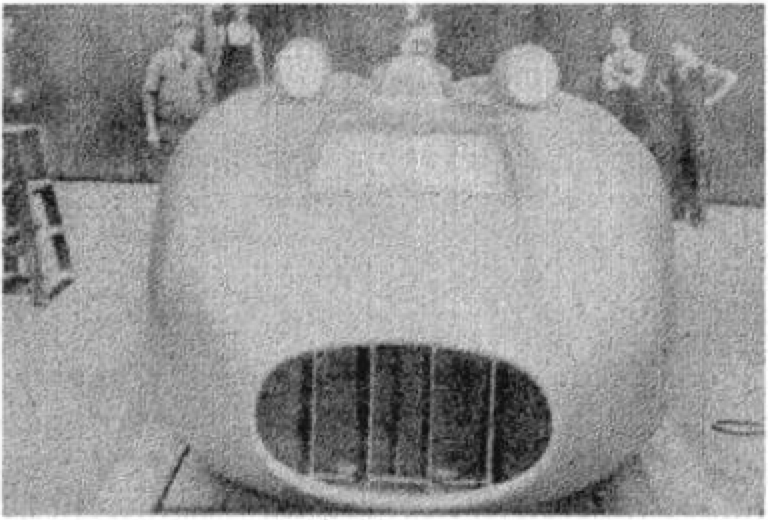
ويلاحظ أن قليلا منا من يعرف خمسة من أجداده معرفة دقيقة ، أى يفهم على وجه الدقة طرق تفكيرهم ومنحى أخلاقهم وأوصاف أبدانهم . ولكن كثيراً من الخيول يعرف أصحابها كل شيء عن عشرة أو أكثر من أجدادها ، ويستطيعون أن يبينوا مزايا ونقائص كل منها على وجه التحديد . وهذا هو الذى يساعدهم على المزاوجة بين أبناء السلالات الأصيلة ، والباعدة بين أبناء السلالات الزائفة . بينما نحن نترك أمر الزواج بيننا الى الظروف التى ان وفقت بين اثنين ممتازين أحيانا ، فغالبا ما تجمع بين ذوى النقائص التى تزداد نمواً وقوة فى ذرياتها المتعاقبة

وكلنا يعرف أن فى بعض أطراف العالم النائية قرى أكثر سكانها من البله او الشواذ أو الاقزام. فلماذا ؟ لأن أهل هذه القرى — وهم عادة أبناء أسرة واحدة — مصابون ببعض النقائص ، فلما تزاوجوا زادت مساوئهم نمواً ووضوحا فى نسلهم ، حتى اذا تعاقبت الاجيال صارت القرية كلها موبوءة بتلك المساوىء الموروثة . والى جانب هذه القرى بلاد أخرى يمتاز أهلها بتفوق ملحوظ فى قوامهم البدنية أو العقلية أو الخلقية . ويرجع هذا الى بذرة أصيلة نمت وزكت بتزوج أفرادها بعضهم بعضاً

أما التزاوج بين الاسرات المختلفة فكثير من العلماء والاطباء يراه أسلم عاقبة وافضل نتاجا من التزاوج داخل نطاق أسرة واحدة ، اذ كثيرا ما تؤدى الفضائل الموروثة عن أحد الابوين الى التغلب على المساوىء المنحدرة من ثانيهما

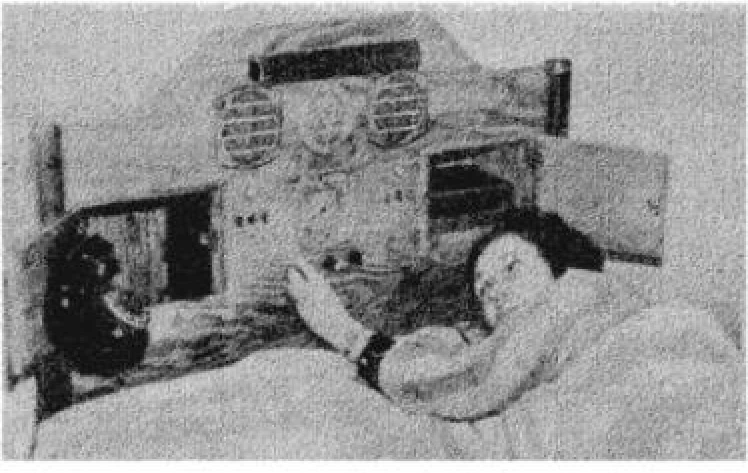
والخلاصة أن زواج الاقارب ينفع اذا كان فى أسرة خالية من المساوىء غنية بالمزايا . ويضر ضررا بليغاً اذا وقع فى أسرة مصابة بنقائص جسمية أو عقلية أو خلقية . وهذا ما يجعل عبء الآباء فى زواج ابنائهم ثقيلا . فان الشاب اذا أحب غض نظره ، وهو لايدرى ، عن جميع النقائص التى يستطيع أبوه أن يتبينها جليا ، كما يستطيع أن يدله على ماق أسرته من فضائل ورذائل برزت فى كثير من أفرادها ، مما يدل على انها أصيلة فى دمائهم ، فيهيء له بذلك طريق الزواج الموفق

[خلاصة مقال للدكتور هنري ليوزن فى مجلة لاريفو بيلج]



سيارة مبتكرة

هذا طراز غريب لسيارة جديدة تفوق سرعتها سرعة أية سيارة أخرى ، إذ تبلغ ٣١٢ ميلا في الساعة الواحدة ، ولا شك فى أن شكلها البيضاوى هو الذى يمكنها من أن تنال قصب السبق دون جميع السيارات



فراش أم معمل ؟

هـذا الفراش الذى ابتكره مهندس أمريكي يشتمل على عدد من الاجهزة يجعله أشبه بمعمل على حافل . ففيه « راديو » يدور ١٢ دقيقة فحسب ينقطع بعدها عن الاذاعة من تلقاء نفسه . وفيه جهاز يغلق نوافذ الغرفة اذا برد الطقس بطريقة آلية لا تكلف النائم أية حركة . كما أن به مروحة تتحرك من تلقاء نفسها اذا اشتدت حرارة الجو . والى جانبه تليفون يتحدث منه النائم الى من فى خارج الغرفة دون حاجة الى نداء وضجيج . وهذا دليل على ما تهيئه المخترعات الحديثة للانسان من أسباب الترف والراحة

تقدم العلم والعالم

الجرائد الناطقة

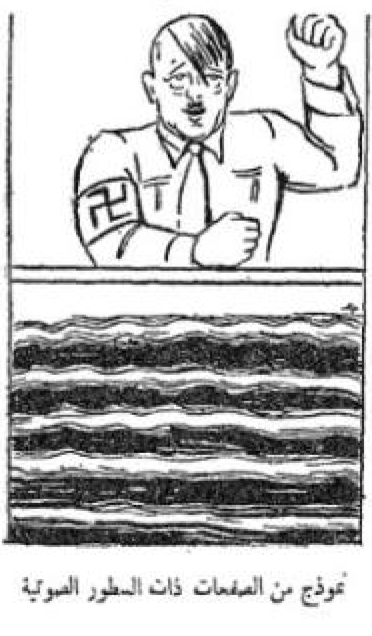
غداً نسمع الصحف كما نسمع « الراديو »

« هيا احمل صندوق الصوت الى دار الشرطة ، وسجل اعتراف القاتل كلمة كلمة ، ليسمعه قراء الجريدة غداً وهم يطالعون أنباء جريدته ، ويرون صورها المختلفة »

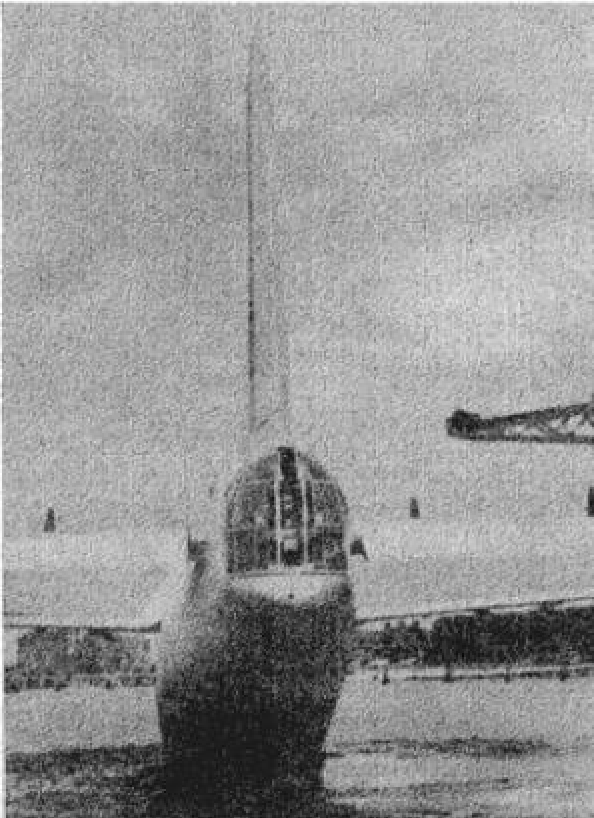
مثل هذا سوف يذكر دائما فى دور الصحف المستقبلة ، التى ستجمع صفحاتها ثلاثة عناصر : سطوراً تقرأ ، وصوراً ترى ، وأصواتا تسمع . فلن يكتفى محرروها بأقلامهم فحسب، ولا بآلات التصوير أيضا ، بل يحملون كذلك أجهزة لتسجيل الأصوات المقترنة بما يروونه من الأنباء ويذكرونه من الموضوعات . ثم تطبع هذه الأصوات على صفحات الجريدة ، فيتم بها اخراج النبأ أو المقال الذى لم يعد يكفى ايراده مكتوبا مصوراً فحسب

هذه هى الفكرة التى ارتآها المخترع الامريكى « و . ج . ه . فينيش » واستطاع أن ينفذها بجهاز بسيط قد يؤدى الى تغيير خطير فى عالم الصحافة . فهو يسجل الأصوات التى تريد الصحيفة « نشرها » ، ثم تنقل هذه الأصوات الى ألواح من المعدن كهذه التى تنقل عليها الصور ، ثم تطبع هذه الالواح على صفحات الجريدة بطريقة كيماوية خاصة . فتخرج الجريدة مشتملة على سطور « صوتية » ، ينزعها القارىء ويديرها على جهاز يشبه الفونغراف فيسمع تلك الاصوات مقترنة بما فى الجريدة من أنباء ومقالات

ونستطيع أن نتبين ما يدركه العالم من فائدة ومتعة اذا وفق الى تحقيق هذه الفكرة الطريفة . عندئذ يجلس الرجل فى بيته الى جانب المدفأة ويفتح جريدة فيقرأ : « خطبة خطيرة للهر هتلر » ، فينتزع السطور الصوتية ويديرها على « الفونغراف » الخاص بها ، فيسمع هتلر نفسه يتحدث عن سياسة العالم ومشاكله ، وتتناول زوجته صفحة أخرى فتقرأ : « رحلة



نموذج من الصفحات ذات السطور الصوتية



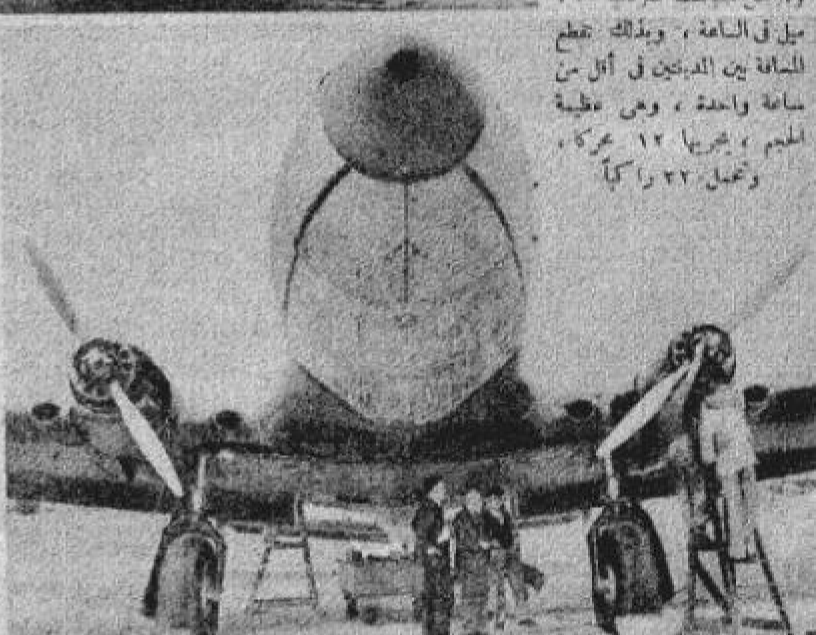
البارجة الطائرة

هذه هي البارجة الأولى من بوارج « الأسطول الطائر » الذى تزمع بريطانيا العظمى قريباً على طراز مبتكر يجعله أسرع الأساطيل الجوية وأقواها . تستطيع هذه الطائرة أن تقطع ثلاثة آلاف ميل محلقة بأحمال كاملة من المدافع والذخائر . وترى الطائرة طافية على سطح الماء تتأهب للطيران للمرة الأولى

بين لندن وباريس

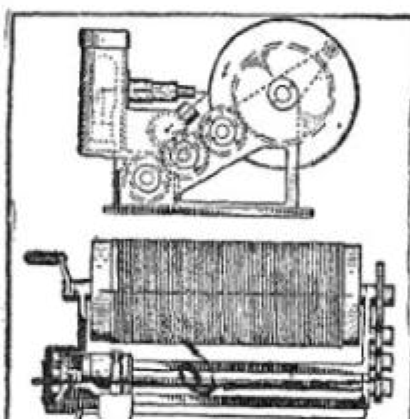
في دقائق

نموذج من طائرات جديدة أنشئت للخط الجوى بين لندن وباريس متوسط سرعتها ٢١٠ ميل في الساعة ، وبذلك تقطع المسافة بين المدينتين في أقل من ساعة واحدة ، وهي عظيمة الحجم ، يجريها ١٢ محركاً ، وتحمل ٢٢ راكباً



طريقة فى ريف انجلترا » ، فتقرأ ما كتبه المحرر وترى ما زين به من الصور ، ثم تضع السطور الصوتية المرفقة فى « الفونغراف » فتسمع أهل تلك القرى يتحدثون ويغنون ويمرحون ، بينما يقلب طفلهما صفحة الصور المضحكة وهو يستمع لاهيا طروبا الى أصوات الشخصيات الهازلة التى يرى صورها أمامه . . . ! !

ويقول هذا المخترع إن الاجهزة التى تلزم لتسجيل الصور وطبعها على الورق لا يزيد ثمنها على ٣٠٠ جنيه فحسب . أما «الفونغراف» الذى يحتاج اليه القارىء فزهيد الثمن جداً ، لأنه اما اسطوانة واما عجلة تدار عليهما الأسطر الصوتية تحت ابرة تهتز . ويمكن ادارة هذه السطور عشر مرات أو أكثر تلقى بعدها كما تلقى الجريدة كلها



نموذجان لجهاز الفونغراف
تدار عليهما السطور الصوتية

ويمكن أن تنقل هذه الاصوات من اقليم الى اقليم باللاسلكى أو التليفون . فاذا حدث مساء هذا اليوم زلزال فى امريكا ، أمكن للقارىء ان يقرأ صباح الغد وصفا لهذا الحادث ، وأن يرى صورا لما أدى اليه ، وأن يسمع كذلك أصوات البيوت وهى تتهدم والناس وهم يستنجدون !

مرض البلاجرا

هل وفق الطب الى علاجه ؟

للطبقات الفقيرة أمراض خاصة من أهمها مرض البلاجرا الذى نعرف ما يقاسيه منه الفلاح المصرى . وسببه قلة المادة الغذائية فى طعام الفقراء ، مما يؤدى الى اضعاف قواهم البدنية ، ثم الاخلال بقواهم العقلية ، حتى ان ١٠ ٪ من نزلاء البيمارستانات فى انحاء العالم هم من مرضى البلاجرا . وتزداد هذه النسبة فى مصر كثيرا لأن الغذاء الأساسى للطبقات العاملة فيها هو الأذرة التى لا تكفى غذاء وافيا للفلاح المكدود

وقد انتشر هذا المرض فى جميع الأقاليم سواء أكانت غنية أم فقيرة . ففى اغنى دول العالم ــ الولايات المتحدة الأمريكية ــ أكثر من ٤٠٠٠٠٠ نسمة مصابين بالبلاجرا ، التى تبلغ نسبة الوفاة منها اذا لم تبادر بالعلاج الناجع ٦٩ ٪

ومريض البلاجرا يقضى أكثر يومه طريح الفراش ، اذ يضعف المرض جسمه ويوهن قوته فلا يستطيع النهوض . ومع أن سبب مرضه هو افتقاره الى الغذاء الا أنه يفقد كل شهية الى الطعام فيتناوله كما يتناول المريض الدواء المرير . ومن علاماته بقع حمراء تنتشر على الجلد وحول الفم ، ويجف لسان المريض وتشتد حمرته . وينتاب معدته وأمعاءه مغص دائم يؤلمه ويوجعه . وكلمة بيلاجرا مشتقة من الكلمتين الايطاليتين

pelle agra أى « الجلد الخشن » وذلك لمايسببه من جفاف الجلد وتصلبه

وأكثر الاطباء يرون علاجه بمادة «حامض النيكوتين » التى يمكن استخراجها من سم النيكوتين المعروف . وقد ثبتت جدواها فى كثير من الأحيان ، وان كان تدخين الطباق ومضغه لا يجدى أى نفع فى علاج البلاجرا . وقد عنى كثيرمن الاطباء بالبحث فى هذا المرض، فنهم من رأى تقوية المرضى بطعام مؤلف من خبز القمح ودقيق الارز وعصير القصب ودهن الخنزير وغيرها من المواد الغنية بالغذاء . ولا شك ان لهذا الغذاء أثره الناجع ، ولكن آخر ما انتهى اليه الطب تغذية المريض ست مرات أو اكثر كل يوم بكمية من « خميرة » الخبز تتراوح بين ثلاث وتسع اوقيات ، وباكبر كمية ممكنة من « صفار » البيض فقد جرب هذا العلاج فى ١٢٥ مريضا فهبطت نسبة الوفاة بالمرض من ٥٤ ٪ الى ٦ ٪ ، وفى حالة اخرى هبطت من ٣٣ ٪ الى ٧ ٪ مما يدل على فائدته المحققة

مبادىء روزفلت

تطبقها الصين منذ ٢٠٠٠ سنة

التاريخ يعيد نفسه حقا . فهذه المبادىء الاقتصادية الجريئة التى يريد روزفلت ان يطبقها فى أمريكا ليوزع ثروتها توزيعا عادلا الى حد ما ، قد سبقت الصين الى اتخاذها منذ ٢٠٠٠ سنة كما أثبت ذلك « مارتن ويلبر » من علماء الآثار فى أمريكا

ومبتكر هذه المبادىء « وانج مانج » الذى كان رئيسا لحكومة الصين ثم امبراطوراً لها فى السنة السابعة بعد الميلاد . فرأى هذا الامبراطور ان توزع أرض الدولة على أهلها جميعا بالتساوى ، وأن تحتكر الحكومة معامل الملح والحديد والخمر ، وأن تدير بنفسها مناجم الحديد وغيرها من مرافق الثروة . وتقوم الحكومة بمعاونة الزراع فتحدد أثمان المحصولات وذلك بأن تشترى ما يزيد على ما يتطلبه المستهلكون فى السنوات الطيبة ، اما فى السنين السيئة فتخزن ما يزيد على حاجة الاستهلاك . وتقرض الحكومة كذلك أصحاب الاعمال الحرة « قروضاً انتاجية » بفوائد بسيطة

وكان هذا الامبراطور من أنصار الحرية ، فأصدر أمراً بالغاء الرق فى الوقت الذى كان فيه الرق نظاما مقرراً فى جميع شعوب العالم . وقد اغتيل سنة ٢٣ بعد ان احدثت آراءه ضجة فكرية فى الصين حينذاك التى كانت تموج بآراء حرة نيرة لم يسمع العالم بمثلها الا منذ عهد الثورة الفرنسية ، فكان الناس يهاجمون الحكومة مهاجمات عنيفة ، وكان خطباء الشعب يلقون أقسى الخطب فى مقاومة النظم الاجتماعية السائدة حينذاك

متحف فورد

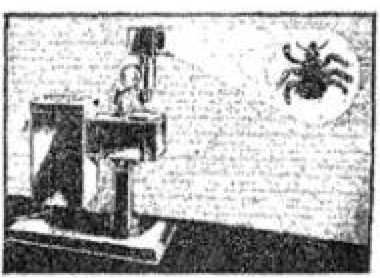
والقرية الامريكية القديمة

أنشأ هنرى فورد قريبا من مصانعه الكبرى متحفا تاريخيا يضم نماذج من مختلف الآلات والأجهزة التى ظهرت فى العصر الحديث ، ليعطى زائره فكرة واضحة عن تطور العالم علميا وصناعيا خلال القرن الأخير . فيشتمل على ١٠٠ قاطرة مختلفة ، تمثل كيف تطورت من آلة بسيطة سنة ١٧٦٠ الى هذه الآلة المعقدة

السريعة . وكل هذه القاطرات سليمة ويمكن تسييرها . ويضم المتحف نماذج مختلفة لأجهزة التليفون والتلغراف والجرس الكهربائى وغير ذلك من منتجات العلم الحديث ، حتى ان جولة واحدة فيه تغنى المرء عن قراءة كتب جمة عن تطور العلم والاختراع

والى جانب هذا المتحف أقام فورد نموذجا يمثل القرية الامريكية القديمة ونقل اليها أكواخا ودكاكين ترجع الى عهد بعيد . وكانت هذه الابنية تجزأ أحجاراً وأخشابا ، وتنقل فى الصناديق الى حيث تقام فى القرية وفق وضعها الأول . فاذا جلت فيها الآن تبينت كيف كانت تعيش أمريكا منذ قرن مضى ، فهذا بيت ريفى متواضع ، الى جانبه دكان الحداد ودكان النجار وبيت ساعى البريد . الخ . ومن خير مافى هذه القرية الدكان الذى كان يعمل فيه الاخوان « رايت » سنة ١٩٠٣ حين وفقا الى اختراع أول طيارة . وقد نقل هذا الدكان من قرية « ديتون » وأقيم فى قرية فورد كما كان تماما

مكرسكوب سينمائى



هذا الجهاز الجديد يجمع بين عدسة الميكرسكوب وآلة السينما ، فتوضع تحت الأولى قطرة من الماء مثلا ، فتبدو لك عالما بأسره من الأحياء الطفيلية التافهة ، معروضا على الشاشة البيضاء كأنه جمع من الممثلين والممثلات . ولا شك ان مثل هذا الجهاز سيمكن الناس من ان يزيدوا ثقافتهم العلمية عن طريق طريف ميسور ، فبدلا من ان يقرأ المرء كتابا علميا جافا ثقيلا عن ميكروب البلهارسيا مثلا ، يضع قطرة من بول مصاب بهذا المرض تحت عدسة الميكرسكوب ، فيرى أمامه هذا الميكروب ضخم الحجم واضح الاجزاء ، يشاهده ويدرسه فى لذة دونها لذة مشاهده روايات سينمائية أكثرها تافه سخيف.
وسوف تستفيد المدارس من هذا الجهاز فائدة كبرى ، اذ تصير دراسة كثير من العلوم سببا من اسباب الترفيه والمتعة ، لا عملا ثقيلا مكروها

طرائف متفرقة

* أسرع حيوان فى العالم هو حشرة تعرف فى أمريكا « بالظبى الطائر » — وتعرف عند العلماء باسم « سيفينوميا » — فانها تقطع فى الساعة الواحدة ٨١٨ ميلا . وقد استطاع أن يقدر سرعتها عالم امريكى معروف هو الدكتور شارل تونسند بآلة تصوير خاطفة ابتكرها حديثا

* ينفق الشعب البريطانى فى العاب الميسر المختلفة أكثر مما ينفق فى طعامه وشرابه وتبغه معا ، وأكثر مما تنفق الحكومة على الجيش والاسطول والصحة والتعليم معا . . إذ يتراوح ما يخسره كل سنة على موائد الميسر ، وفى ميادين سباق الخيل والكلاب والسيارات ، بين ٥٣٠ ، ٥٠٠ مليون من الجنيهات

* تقوم فى اليابان دعاية شبه رسمية لحض الاهالى على تناول الأرز غير مقشور ، فان قشره يحتوى على كمية وافرة من فيتامين ب الذى يقاوم بعض الامراض المتوطنة فى اليابان

كتب جديدة

أول الشوط

بقلم الأستاذ محمود سيف الدين الايرانى

مطبعة الفجر يافا فى ١٩٠ صفحة

الأديب الفلسطينى النابغ الأستاذ محمود سيف الدين الايرانى من خيرة الشباب العربى المثقف ومن أقدر كتاب فلسطين اسلوبا وأعمقهم فكراً وأغزرهم مادة وأوثقهم صلة بمختلف تيارات الثقافة الاوربية الحديثة

وهو قصصى بارع وناقد أدبى ممتاز ومفكر حر جرىء ، وهذه الخصائص تبدو واضحة فى كتابه الرائع (أول الشوط)

فى هذا الكتاب نجد صورة شائقة دقيقة لآخر المراحل التى انتهى اليها الأدب الاوربى ، ونجد فوق ذلك طائفة من الأقاصيص التحليلية الزاخرة بالملاحظات الخلقية الطريفة والتأملات الفلسفية العميقة والأخيلة الشعرية الفاتنة

ولقد مثل المؤلف الفكر الاوربى الحديث فى أربعة كتاب أحرار هم أندريه جيد، وأندريه مالرو ، وجان جيونو ، و د . ه . لورنس، فتناول أعمالهم ومذاهبهم واتجاهات تفكيرهم فى بحوث نقدية مستفيضة تصب ضوءاً ساطعا على جوهر شخصياتهم وتقرب أفكارهم ومبادئهم الى ذهن القارىء العربى

وللاستاذ المؤلف طريقة خاصة فى النقد والعرض . فهو يعرض الشخصية شاديا بها ممجداً بطولتها متحمسا لها كأنما هو يخلقها خلقا ، وكأنما هى شخصية روائية ابتدعها خياله وأوحى بها تصوره . ولكن هذه القدرة على التصور الشعرى لا تطغى على ملكة النقد بل تماشيها وتقترن بها وتضيف الى حقيقة الشخصية حرارة الحياة واختلاجها. فانت إذ تطالع الدراسة الخاصة باندريه جيد أو لورنس مثلا ، تحيط علما بآراء الكاتب ونزعاته ثم تشعر به يعيش أمامك ويتحرك

وهكذا يرتوى عقلك وتبتهج مخيلتك على السواء . وهذا هو النقد التصويرى ، وهو أرفع مراتب النقد

وأما أقاصيص الأستاذ محمود سيف الدين الايرانى ، وأهمها (نداء البدن) و (صراع) و(رغيف خبز) ، فتمتاز بأنها سلسلة صور لبعض الاحساسات والعواطف التى تنبع من غرائزنا وتكمن فى عقلنا الباطن وتظهر فجأة فى وضح النور فتعكر صفو حياتنا وتغمر هذه الحياة بآلام وأفراح لم نكن لنتصورها أو نحلم بها

وأبدع تلك الاقاصيص (نداء البدن) ، ففيها لا يتكلم المؤلف بل تتكلم الانفعالات النفسية من خلال الحواس . أى تتكلم اهواء الغريزة الجنسية من خلال حركات وأوضاع البدن وتتكلم الميول العاطفية من خلال نظرات العيون فينسكب على القصة فيض من الشعر الممتزج بالحقيقة كذلك الفيض المنسكب على دراسة شخصيات الأدباء

وجملة القول أن كتاب أول الشوط) يجدد نظرة أدباء العربية الى فن القصة وفن النقد ، ويعد من أروع الآثار الأدبية التى ابتدعها كتاب الشباب فى الشرق العربى

الفصول والغايات

لابى العلاء المعرى

ضبطه وفسر غريبه

الاستاذ محمود حسن زناتى

مطبعة حجازى بالقاهرة فى نحو ٦٠٠ صفحة

لم يكن المعرى ملحدا كما يزعم البعض وابلغ دليل على ايمانه هذا الكتاب الرائع الذى وضعه لتمجيد الله . ولقد كان كتاب (الفصول والغايات) مفقودا حتى ان اكثر من ترجم لأبى العلاء لم يذكره . اما من ذكره منهم فادعى انه عارض به القرآن الكريم . ولكن من ذكر ذلك لم ير الكتاب . على ان بعض من نقل منه جملا نقلها مشوهة ولم ينقل نصها منه . واما القول بأن المعرى قصد به مجاراة القرآن الكريم أو معارضته فذلك من قول حساده ، اذ لب الكتاب هو تمجيد الله والاقرار له بالعبودية

وليس شك فى ان الكتاب متعة للاديب فقد حشد فيه المعرى طائفة من علوم اللغة والادب والعروض والنحو والصرف والتاريخ والحديث والفقه والفلك مما لم يسبق لغيره جمعه بالطريقة التى سلكها . ولقد كان المعرى يملى الفقرة على تلاميذه ثم يختمها بالغاية وهى عنده بمنزلة القافية من بيت الشعر ، ثم يملى التفسير على طلبته رغبة فى توضيح الفقرة

والحق ان الاستاذ العلامة محمود حسن زناتى قد اسدى الى الادب العربي أجل الخدمات ببعث هذا الكتاب الخالد وضبطه وتفسير غريبه فوصل الماضى بالمستقبل وعانى في ذلك ما عانى . فكان يقضى الايام الطويلة فى دار الكتب يقابل النسخة بأصلها ويشرح منها ما لم يشرحه المعرى حتى أخرجها فى حلة قشيبة تستهوى القارىء، وتبعث الاعجاب فى نفس كل أديب

ولا ريب فى أن الأستاذ المؤلف ساهم على طريقته فى احياء ذكرى ابى العلاء فجدد شبابه وصب ضوءا ساطعا على جوهر شخصيته . فاستحق من قراء العربية خالص الشكر والثناء والتقدير

جحيم دانتى

تعريب الأستاذ أمين ابو شعر المحامى

مطبعة الارض المقدسة بالقدس فى ١٨٠ صفحة

قصة الكوميديا الالهية ، قصة رحلة خيالية قام بها الشاعر الايطالى الكبير دانتى فى الممالك الالهية الثلاث ، الجحيم والمطهر والفردوس . ففى الخامسة والثلاثين من عمره يجد دانتى نفسه فى غابة مظلمة تعج بالوحوش ، فاذا ما أوغل فيها وبلغ طوداً رفيع الذرى وحاول ان يرقاه ، صدته عن ذلك الضوارى الكاسرة ، وإذا بالشاعر فرجيل يلاقيه فينقذه من الخطر الداهم ويعده أن يخوض به دركات الجحيم وينفذ الى الاعراف (المطهر) ثم الى أبواب الفردوس حيث تنتظره حبيبته بياتريس ، وهناك يودعه فرجيل وتمضى به بياتريس الى جنات النعيم

ويبلغ دانتى فى وصف رحلته العظيمة ارفع ضروب البلاغة الشعرية ، بيد أنه فى وصف الجحيم يتفوق تفوقا ملحوظا ويطاول حد الاعجاز الأدبى

وجحيم دانتى قاعدته سطح الأرض وذروته مركزها، فعلى سطح الأرض توجد الغابة المظلمة التى يضل فيها الشاعر السبيل ، ومن طريق الانحدار يصل الى دركات الجحيم التسعة وكل درك أشد عذابا من الذى قبله ، الى ان يبلغ

الدرك التاسع وهو القاع وفيه يقيم رئيس الشياطين

وهذا الجزء الخاص بالجحيم ، أبدع أجزاء الكوميديا الالهية ، وأبقاها على الدهر ، هو الذي نقله الأستاذ أمين أبو شعر الى اللغة العربية نقلا صادقا أمينا دقيقا فى عبارة محكمة وأسلوب قوي طريف،يجمع الى البلاغة العربية الاصيلة سحر الخيالات والاستعارات الرائعة التي تمخض عنها خيال دانتي

والواقع ان من أشق الجهود الادبية ترجمة هذا الاثر الخالد ، ولكن الاستاذ أمين أبو شعر تمكن من تذليل ما اعترضه من عقبات وأبرز جحيم دانتي فى ثوب عربي قشيب

وهكذا أضاف ثروة أدبية جديدة الى كنز الادب العربي

الشرق فى الأدب الفرنسى

بقلم الاستاذ يوسف داغر

الأمين المساعد لمكتبة بيروت الوطنية

طبع فى بيروت فى ٣٠٠ صفحة

لا غنى لمن يحذق اللغة الفرنسية من ابناء الشرق العربى عن مطالعة هذا الكتاب . فهو مرجع ثمين يرشدنا الى مختلف المقالات والدراسات والبحوث التى نشرت فى فرنسا عن الشرق بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٣٣

والمؤلفات والبحوث الفرنسية الخاصة بمصر ولبنان وسوريا والعراق نجدها منسقة مبوبة مع الاشارة الى أصحابها والى دور الطباعة التى تولت نشرها أو الى المجلات والصحف التى ظهرت فيها . وهكذا يستطيع كل من يحرص على هذا الكتاب ان يحيط علما بما كتب باللغة الفرنسية فى أى موضوع يتعلق بأى جانب من جوانب الحياة الادبية أو الاقتصادية أو السياسية فى الشرق

والواقع ان الاستاذ يوسف داغر بذل جهداً جباراً فى وضع هذا الكتاب الطريف الذى لا يصح ان تخلو منه مكتبة قارىء عربى مستنير

علم النفس فى الحياة

تأليف ماندر ـ ترجمة الأستاذ نظمى خليل

مطبعة لجنة التأليف والنشر فى ١٤٠ صفحة

منذ عهد قريب كان الناس ينظرون الى علم النفس كفرع من فروع الفلسفة لا كعلم قائم بذاته له شخصيته المستقلة وطابعه الخاص . ولكنه منذ أن انفصل عن الفلسفة وتغيرت نظرة الناس اليه من علم الروح أو علم الشعور الى علم السلوك ، تغيرت طرق البحث فيه فلم يعد قاصرا على البحث عن خواص العقل ومواطن الروح ، بل أصبح يدور حول سلوك الانسان فى الحياة وما يدفع هذا السلوك من رغبات وما يصحبه من مظاهر

ثم كان لعلم النفس الاجتماعى نصيب موفور من عناية الباحثين لما يعالجه من مشاكل الناس وما يفسره من مظاهر سلوكهم فى الحياة . فصنفوا فيه الكتب الكثيرة التى من أهمها هذا الكتاب « علم النفس فى الحياة » للكاتب الامريكى « ماندر » الذى عنيت بنشره لجنة التأليف والترجمة والنشر والذى نقله الى العربية الاستاذ نظمى خليل فى أسلوب يجمع بين الدقة فى التعبير والجودة فى اختيار الألفاظ

ويمتاز هذا الكتاب بانه يعالج مشاكل الانسان النفسية والاجتماعية ، كنقط الضعف فيه وانواع الصراع المختلفة التى تعمل فى داخله ،

وكيفية تكوين العادات الطيبة ، وتنمية الشخصية المستقلة ، كما يعرض للناحية الجنسية عند الرجل والمرأة في أسلوب يجمع بين الطريقة العملية المبسطة والعرض الادبي الأخاذ

فهذا الكتاب على صغره يفيد كل قارىء — رجلا كان أو امرأة — إذ يجد فيه : نفسه ورغائبه ، وميوله وغرائزه ، مشروحة ومرسومة

من مشكلات العصر الحديث

بقلم الاستاذ جورج عزيز

دار المطبوعات الراقية بمصر فى ١٣٠ صفحة

الحضارة اليوم فى مفترق الطرق والفكر البشرى يتخبط حائراً في مجاهل ومفاوز قد تقوده الى واحة خضراء أو الى الموت والفناء فى صحراء قاحلة . فالنظم المختلفة من ديموقراطية وفاشية واشتراكية وشيوعية تعصف به وتذهب براحته وتخلفه محيراً قلقا لا يعرف أى السبل يسلك وأى الطرق هو طريق الهدوء والاستقرار

وفى هذه الفوضى الفكرية يتداعى صرح السلام وتوشك الحضارة أن تستحيل الى انقاض

فالمشاكل الاجتماعية والسياسية التى تمثل هذه الظاهرة وتنحدر منها هى التى تناول بعضها الاستاذ جورج عزيز بالبحث فى كتابه الاخير فى (الديموقراطية والاتوقراطية) و (تعارض مصالح الدول) و (الجهاد فى سبيل تحقيق السلام) و (أثر التاريخ فى الحضارة) و (مصير الحضارة الاوربية) ، هذه هى البحوث التى يحفل بها الكتاب والتى تعطينا صوراً مروعة لذلك القلق الفكرى الذى نشكو منه اليوم

وقد عرض الاستاذ جورج عزيز تلك المشاكل الخطيرة عرضا واضحا فى اسلوب جزل بليغ يدل على اطلاع غزير وثقافة عصرية واسعة. وأما الرأى الذى نستخلصه من الكتاب والذى ينم عن اتجاه مؤلفه فهو دعوة صادقة حارة الى نبذ التعصب الجنسى والوطنى والاقتصادى والسعى لتحقيق تلك الحضارة « العالمية » التى طالما نادى بها المفكر الانجليزى هـ . ج . ولز

قاموس مفردات القرآن

المحتاجة للبيان

تأليف ادارة الطباعة المنيرة بمصر فى ٢٥٠ صفحة

هذا القاموس جامع لكثير من مفردات القرآن الكريم مما يحتاج الى فهمه كل انسان

ولقد انتخبها المؤلف من صحيح اللغة والتفسير مقتصراً على شرح معناها ، ثم رتبها على حروف الهجاء . وقد أورد الجملة بتمامها ثم الآية بأجمعها ليظهر معنى الكلمة الواحدة أو الكلمات التى تتألف الآية منها

والقاموس فى مجموعه تحفة لغوية شائقة ، وقد اسدى به المؤلف أجل خدمة لابناء العربية ويسر لهم سبل فهم الكتاب العربى المبين

مقدمة ابن الصلاح

الطبعة القيمة بيمباى فى ٢٠٠ صفحه

تولى الاستاذ الكتبي شرف الدين وأولاده طبع هذا الكتاب للامام الحافظ ابن عمرو عثمان الشرزورى المعروف بابن الصلاح . والكتاب من أهم المصنفات فى علوم الحديث . وقد صحح الناشر اغلاطه ورتب مواده وقسم جمله وعباراته ووضع له من علامات الفصل والوصل والوقف والابتداء ما يسهل على القارىء فهمه ويوضح له ما استغلق من عباراته

ولا شك أن فى العناية بطبع مثل هذه الكتب وتبسيطها وتقريب موضوعها الى أذهان الطلبة ، احياء للشعور الديني وانعاشا لروح الاسلام

ضحايا المجتمع

بقلم الاستاذ البير محناوى

مطبعة حريصة بلبنان فى ١٢٠ صفحة

من شروط الفن المسرحى تركيز الحوادث والقدرة على حبك أطراف الموضوع وتجنب الاسهاب فى التحليل النفسى واستطاعة التأثير فى القارىء أو المشاهد تأثيراً قوياً مباشراً . ومعظم هذه الشروط متوافر فى مسرحية (ضحايا المجتمع) للاستاذ البير محناوى

وهذه المأساة المروعة ترسم لنا طائفة من ضحايا مجتمع فاسد معتل يسخر الدين والعقيده وأحكام الشرع لخدمة المصالح الشخصية ،ويعبث أهله بالعواطف النبيلة والأخلاق الكريمة وفضائل الصدق والاخلاص والتضحية

فحرية الضمير وتقدير المسئولية واعتبار الكرامة البشرية والتطلع نحو اعمال وجهود قوامها النزاهة وغايتها التضحية بالصالح الخاص فى سبيل الخير العام ، هذه هى المبادىء السامية التى جعلها المؤلف شعاره والتى أودعها فى شخصيات بعض أبطال مسرحيته

ولكن ما نلاحظه على هذه القصة هو أن مؤلفها اختار أبطالها من الاجانب الاوربيين . ولا شك أن هذا الاختيار لا يفقد المسرحية قيمتها الفنية ومغزاها الاجتماعى ،غير أنه يضعف تأثيرها على القارىء العربى الذى يهمه أن يطالع فى أدب بلاده صورة صادقة مما يجول فى أعماق نفسه وما يسرى فى محيطه الشرق

والذى يستطيع كتابة مسرحية رائعة أجنبية الطابع مثل (ضحايا المجتمع) لا يعجز عن وضع أخرى شرقية الابطال شرقية الوحى والروح

كتاب الأجيال

بقلم الاستاذ عبد الله غانم

مطبعة العرائس بيكفيا فى ١٠٠ صفحة

كيف نشأت الأديان القديمة بخرافاتها وأساطيرها وما خلفته من عادات وأخلاق ونظم هذا هو الموضوع الشائق الذى عالجه الاستاذ عبد الله غانم فى كتاب الأجيال ، فقد تحدث عن زرا دشت وبرهما وبوذا وايزيس وأوزريس وآمون وآلهة الاغريق حديث مؤرخ وحديث شاعر يتطلع بابصاره الى أصل العقائد ومنشأ النزعة الروحانية فى الانسان

والكتاب فى مجموعه شبه قصيدة وضعت لتمجيد الخيال الدينى باعتباره أصل الحضارة البشرية . وقد زاد فى روعة هذه القصيدة ما توافر فيها من عناصر البحث العلمى الدقيق

الأدب في شهر

الثقافة الحرة والثقافة الرسمية في فرنسا

من يلاحظ الحركة الفكرية فى فرنسا اليوم يجد ان هناك ثقافتين مختلفتين كل الاختلاف احداهما حرة والأخرى رسمية شبه حكومية . وتتمثل الاولى فى الكتاب المجددين ذوى النزعات الديموقراطية أو الاشتراكية أمثال أندريه جيد وأندريه مالرو وجان جهينو وهؤلاء لا ينتخبون أعضاء فى الاكاديميات . وتتمثل الثانية فى الكتاب المحافظين أنصار الفكر الكلاسيكى التقليدى ودعاة النظم السياسية المشوبة بروح فاشستى أو كاثوليكى أمثال فرانسوا مورياك وكلود فارير وشارل موراس وربنيه بنجامان ، وهؤلاء تفتح لهم أبواب الاكاديميات ويستقبلون فيها على الرحب والسعة

وقد انتخب اخيراً شارل موراس عضواً فى الاكاديمية الفرنسية وربنيه بنجامان عضواً فى أكاديمية جونكور

والأول هو رئيس تحرير جريدة (الاكسيون فرانسيز) ومؤلف (طريق الجنة) و (رحلة أثينا) و (ثلاثة أفكار سياسية) و (كيال وطنجه) وغيرها

وينزع هذا الكاتب فى تفكيره الثقافى والسياسى نزعة رجعية واضحة . فهو كلاسيكى تقليدى فيما يختص بالثقافة وفاشستى فيما يتعلق بنظام الحكم

ويعتبر شارل موراس فى طليعة المفكرين الذين حاربوا مبادىء الثورة الفرنسية وهزأوا بحقوق الانسان وبالديموقراطية ودعوا لتوكيد سيادة الدولة على انقاض حرية الفرد . وهذا هو لباب المذهب الفاشى

وقد تتلمذ موسولينى فى وقت من الأوقات على شارل موراس وأخذ عنه بعض تعاليمه

وأما ربنيه بنجامان فكاتب هجاء لاذع الاسلوب صارخ العبارة يؤمن بتعاليم شارل موراس وينضوى تحت لواء مدرسته . وهو أديب متوسط النبوغ اشتهر بقصة عن الحرب تدعى (جاسبار)

فهذان الكاتبان اللذان يمثلان الروح الرجعية قد انتخبا عضوين فى أشهر أكاديميات فرنسا

ويظهر أن الأكاديمية الفرنسية شعرت بتهورها فى انتخاب كاتب رجعى كشارل موراس فاحبت أن تستر موقفها وترضى أصحاب النزعات الحرة فانتخبت أندريه موروا عضواً فيها أيضا

وأندريه موروا هو الأديب المشهور بوضع التراجم الأدبية والبحوث الشائقة عن العقلية الانجليزية . وهو ديموقراطى المذهب وأهم مؤلفاته (ديزرائيلى) و (بيرون) و (تورجنيف) و (فولتير) و (الانجليز) وسلسلة قصص عصرية أهمها (اجواء) و (دائرة الاسرة)

ومما يجب أن يفهمه القارىء العربى هو أن الاكاديميات لا تمثل ثقافة فرنسا الحقيقية وأن أعظم كتاب فرنسا نبوغا وتفوقا هم الذين

لا تقبلهم الاكاديميات أعضاء فيها وهم الذين يعيشون بمعزل عن كل مظهر فارغ وكل مجد رسمى

مأساة الصين الحديثة

وضع هذا الكتاب بطل الصين المارشال شانج كاى شك بالاشتراك مع زوجته مايلنج سونج

وفى هذا الكتاب الرائع صورة مجيدة من أعمال المارشال وجهاده المطرد فى سبيل تحقيق الوحدة الصينية

وأبدع ما فيه دراسة عن شخصية المارشال وعن عقلية الامة الصينية ومستقبلها ، كتبتها مدام شانج كاى شك بأسلوب بسيط شائق يدل أبلغ الدلالة على مدى الكفاح الذى قامت به هذه المرأة الممتازة لنصرة مبادىء زوجها وتوكيد مساعيه الرامية الى ضمان استقلال الصين وتحريرها من ربقة الأجنبى

وكل من يطالع هذا السفر الممتع يشعر اتم شعور وأعمقه ان المارشال وزوجه يؤلفان وحدة روحية فى التفكير والجهاد تشبه تلك الوحدة التى جمعت بين المغفور له سعد زغلول وأم المصريين .

وداع الحداثة والاحلام

تبدو لنا الحياة فى سن الحداثة مجموعة أحلام جميلة تنبع من براءة قلوبنا وسذاجة تفكيرنا وسلطان أحكام الفطرة علينا ، وكثيراً ما تتخلف فى نفوسنا مؤثرات الحداثة فتقوض جهادنا فى سن الرجولة

وقد عالج هذا الموضوع الشائق الكاتبان الانجليزيان (و . اروين وايفان جوف) فى كتاب صدر حديثا واحدث ضجة كبيرة فى عالم الادب فى لندن

ويمتاز هذا الكتاب بوصف الصراع الذى قام به شابان استراليان للتحرر من مؤثرات الحداثة ومن أحلامها الشعرية بغية الاتصال بالواقع وفهمه ومعالجته والافادة منه

فلقد فكر الشابان فى مغادرة وطنهما والضرب فى مناكب الارض . ولم يكن معهما الا القليل من المال . فلما نفد المال تبددت أحلام الحداثة وشرع كل من الشابين فى رياضة عقله على معالجة الواقع بدل الفرار منه

وخير ما فى الكتاب هو أن الشابين كافحا اليأس وتغلبا عليه وتمكنا بفضل الصبر والثبات والمقاومة وأنعام الفكر من طرد خيالات الحداثة . وهكذا أصبحا رجلين صالحين للحياة العملية يدينان بقانونها الصارم ويرحبان بجهادها الشاق

جبهة ضد جبهة

يقوم هذه الأيام عدد من الكتاب الفرنسيين بزعامة رومان رولان وبول لانجفان بدعوة فى مجلة (كلارتيه) الباريسية لتأليف جبهة ديموقراطية ضد جبهة الفاشزم

ويرى هؤلاء ان لا خلاص لأوربا وللديموقراطية الا بأن تتألف هذه الجبهة السياسية من انجلترا وفرنسا وتشيكوسلوفكيا وروسيا . على أن تعقد بين هذه الدول شبه محالفة عسكرية تمكن من وقف تيار الدول الديكتاتورية

ويظهر أن حزب العمال البريطانى قد بدأ يميل الى الأخذ بهذه الفكرة ولكن تجار مدينة لندن الذين يؤيدون سياسة المستر تشمبرلن وينصحون بالتقرب من ايطاليا ، يعارضون هذه الفكرة ويخشون ان تستغلها روسيا فى سبيل نشر الدعوة لأنظمتها ومبادئها

ويعتقد أولئك الكتاب الفرنسيون أن انجلترا قد تعدل موقفها وقد ترضى بتلك المحالفة فى حالة فشل سياسة المستر تشمبرلن وتمادى الديكتاتوريات فى طغيانها

مساكن العمال

أصدرت الكاتبة الانجليزية اليزابث دانى كتابا بهذا العنوان تناولت فيه بحث وتحليل شتى الجهود التى قامت بها الحكومات الاوربية فى سبيل هدم الاحياء القذرة التى يعيش فيها العمال وتشييد احياء جديدة مزودة بمساكن صحية

وقد امتدحت جهود الحكومة الانجليزية وبرهنت بالارقام على أنها كانت أسخى الحكومات فى الانفاق على هذا المشروع ولكنها انتقدت عدم التجانس فى تشييد تلك المساكن وخلوها من الطابع الفنى المنسجم الاوضاع . وأما فرنسا فقد عابت عليها تركها فيما مضى ربع سكان باريس يعيشون فى أحياء غير صحية ثم اعترفت بالجهود الجديدة التى بذلت لانشاء الأحياء المعروفة باسم فيلوربان ومالابرى وسورين ودرانسى

وترى المس دانى أن بلاد اسوج وهولاندا قطعت شوطا كبيرا فى هذا الميدان . ولكن اجمل وأروع مساكن واحياء للعمال هى فى عرف المس دانى تلك التى أنشأها العمال الاشتراكيون فى فينا عقب الحرب والتى ما تزال حتى اليوم مثلا يحتذى لا من حيث توافر الاسباب الصحية فقط بل من حيث تناسق الجمال الفنى ايضا

المرشحون لجائزة نوبل

ترشح الصحافة الاوربية منذ الآن عدداً من كبار الكتاب لجائزة نوبل الأدبية . وقد فاز بها اخيراً القصصى الفرنسى روجيه مارتن دوجار صاحب قصة (أسرة تيبو)

وأما جائزة العام المقبل فيرشح لها الانجليز الدوس هكسلى وشارلز مورجان ويرشح لها الفرنسيون أندريه جيد وجول رومان وبول فاليرى ويرشح لها الايطاليون جيوفانى بابينى

وأما أكاديمية ستوكهولم التى تمنح الجائزة فتقول مجلة «العصر الجديد» الباريسية أنها ترشح الكاتب الامريكى المشهور جون دوس باسوس صاحب قصة (عام ١٩١٩)

والواقع أن أكاديمية ستوكهولم لم تعد تقدر المؤلفات التى تمنحها الجائزة بحسب قيمتها الأدبية الفنية المطلقة ، بل هى تطلب اقتران القيمة الأدبية الفنية بقيمة روحية انسانية مشتركة

وعلى هذا الاعتبار منحت الجائزة الماضية لقصة (أسرة تيبو) التى جمعت بين روعة الفن وبين الدعوة النبيلة لفكرة السلام

والمعروف أن جون دوس باسوس ينزع مثل هذه النزعة فى قصته ويظهر أن هذا هو السبب فى ايثار الاكاديمية له

كيف تساق الشعوب الى الحرب

اعتقدت الشعوب فى الحرب الماضية أنها تحارب من أجل الخير والعدل والقضاء على الروح الاستعمارية ونصرة الضعيف والمظلوم واحلال مبدأ الحق محل نزعة القوة

فهذه المبادىء هى التى حفزتها للقتال وهى التى زينها لها القادة والسياسيون . وسوف يردد التاريخ نفسه وتتكرر هذه المأساة فى الحرب المقبلة كما يقول الأديب الفرنسى (هنرى مورتان) فى كتابه الأخير (الحرب والعقائد) فتساق الشعوب الى التطاحن والتقاتل تدفعها

عقائد جديدة ومبادىء لا تعرف منها غير أسمائها

سيقولون لها أو هم يقولون منذ اليوم أن الفاشية أو النازية كلها أخطاء واضرار وعيوب وأن لا بد لها من الاصطدام بالديموقراطية عاجلا أو آجلا وأن الأولى تمثل القوة المطلقة والثانية تمثل الحق المطلق . وهكذا تندفع الشعوب مرة أخرى نحو الحرب لخدمة القادة ورجال المال ومحترفى السياسة

وخير سبيل لمعالجة هذه الظاهرة واتقاء الخطر المرهوب فى عرف هنرى مورتان هو انصاف الفاشية والنازية وانصاف الديموقراطية أيضا . أى التدليل فى صراحة تامة على ما فى الانظمة الفاشية والنازية من ضعف وقوة وخير وشر ، والتدليل فى صراحة أيضا على ما فى الديموقراطية من منافع واضرار . إذ ليس من المعقول أن يكون الخير كله فى نظام واحد والشر كله فى نظام آخر . ومتى اتضحت جوانب القوة فى هذه الأنظمة ومواطن الضعف خفت وطأة التعصب لكل منها وساد حكم العقل على حكم الأهواء والعواطف

ولكى يصل هنرى مورتان الى هذه النتيجة أنشأ جمعية سماها (أصدقاء الحقيقة) وشرع أعضاؤها يؤلفون الرسائل فى النقد المقارن بين الانظمة الفاشية والنازية والديموقراطية تأييداً لوجهة النظر السالفة وابتغاء تحرير العامة من أفكار استحالت الى عقائد بتأثير الجهل والتعصب

كوارث الطلاق

صدر فى نيويورك فى غضون الشهر الماضى كتاب بهذا العنوان حمل فيه مؤلفه المستر مالك مرى على عادة الطلاق التى فشت فى الولايات المتحدة وقوضت عدداً كبيراً من الأسر

ويرى الكاتب أن سهولة الطلاق تهدد الحضارة الامريكية باخطار ذريعة وتوشك أن تعصف بنظام الاسرة التى هى صورة مصغرة للامة

وقد استشهد المستر مالك مرى بحوادث عديدة تشرد فيها أبناء الفراش الاول وفسدت أخلاقهم واستحالوا الى مجرمين . وذكر حوادث واقعية أخرى عن صبيان مساكين آثروا الانتحار على الحياة مع زوجة أبيهم ، وعن غيرهم ممن اعتدوا على أخوتهم من الفراش الثانى وفقدوا حياتهم ومستقبلهم بسبب هذا الاعتداء

ويؤكد الكاتب أن الانانية الجنائية استحوذت على عقول ونفوس طائفة كبيرة من الأزواج فى بعض الولايات الامريكية . فأصبحوا لا يفكرون إلا فى أنفسهم ولا ينشدون غير متعتهم ولا يحفلون بما يجره الطلاق على ابنائهم من كوارث ونكبات

وقد عزز المستر مالك مرى نظرياته بالارقام المستمدة من الاحصائيات الرسمية وأثبت أن معظم مهربى الخمور الذين ضجت منهم البلاد الامريكية فيما مضى كانوا من ضحايا الطلاق ومن أولئك الذين سممت نفوسهم مختلف المنازعات البيتية بين أمهاتهم وآبائهم

ويقترح الكاتب لمعالجة هذا الداء أن تقيد أحكام الطلاق وتعزز سلطة الوالد وتفرض رقابة شديدة على بعض الافلام السينمائية الخليعة ويشدد القضاء فى مطالبة الأزواج الراغبين فى الطلاق بدفع نفقة كبيرة لزوجاتهم وأبنائهم

ويختم المستر مالك مرى كتابه بالاشارة الى أن سهولة الطلاق وانتشار الاباحية وفساد النزعات ، كل هذه الأعراض كانت من الأسباب الرئيسية التى زعزعت أصول الحضارات القديمة ومكنت الغزاة من القضاء عليها

بين الهلال وقرائه

قيمة الصحافة

(القاهرة ــ مصر) حسن حامد

ألم يكن خيراً للرأى العام ألا توجد الصحافة التى كثيراً ما تضلله ؟

(الهلال) الصحافة هى أقوى العوامل فى توجيه الرأى العام ، فنى وسعها أن تضلله اذا انفقت كلها على نهج سياسة كاذبة ، خدمة لمبدأ سياسى معين أو خضوعاً لسلطان طبقة معينة . وهذا ما قد يقع أحياناً فى البلاد التى تخضع لنظم الديكتاتورية أو التى تعظم فيها سطوة أصحاب الأموال . ولكن من المحقق أنها لا تنجح فى سياستها هذه طويلا فقد تستطيع ــ كما يقول ابراهام لنكلن ــ ان تخدع بعض أفراد الشعب طول الزمن ، أو أن تخدع الشعب كله ردحا من الزمن ، ولكن لا تستطيع أن تخدع الشعب كله طول الزمن

والصحافة بوجه عام هى أعظم داعية الى النهوض والاصلاح ، ما دامت لا تعتمد على هيئات خاصة وتتقيد برغباتها ، فحينئذ قد تلجأ الى الكذب والتغرير . والامة هى مع هذا المسئولة عن منهاج الصحافة ، فان ضيقت عليها اضطرتها الى أسلوب الخداع والمراوغة ، وان ضمنت لها حريتها هيأت لها أسباب خدمة المجتمع وهداية الرأى العام

الهياتيت

(الشحر ــ حضرموت) مشترك

قرأنا فى الصحف ان العلماء وجدوا أرض حضرموت غنية بالبترول والهياتيت . فما هو الهياتيت ؟

(الهلال) يقسم رجال الصناعة الحديد النفل قسمين : حديد فوسفاتى ، وحديد غير فوسفاتى . والثانى هو الذى تقل كمية الفوسفور فيه عن ٣ ٪.

والهياتيت هو أشهر أنواع الحديد غير الفوسفاتى الذى تعتمد عليه الصناعة الحديثة . وأغنى الجهات به هى انجلترا حيث يوجد فى كمبرلند وشمال لنكشير . واسبانيا من أغنى البلاد به ولكنها تصدره الى انجلترا والمانيا ، إذ لا يوجد فيها الفحم أو البترول اللازم لصناعته . وتوجد مناجم غنية بالهياتيت حول البحيرات العليا فى الولايات المتحدة كذلك

واذا صحت أقوال العلماء عن توافر الهياتيت والبترول معاً فى حضرموت ، فمن الممكن أن تقوم صناعات كبيرة فى تلك البلاد اذا وجدت رؤوس الأموال وعقول العلماء اللازمة لاقامة مثل هذه المشاريع الكبرى

الحاسة السادسة

(البادية الجنوبية ــ العراق) صبحى نصيف

يتحدث أهل البادية الجنوبية بالعراق عن شيخ أعمى كان يشارك قبيلته فى الحرب ، حيث كان يطعن ويصيب ، ويتقى السهام والسيوف ، شأنه شأن المبصرين تماما . ويقولون إنه يسير فى البادية منفرداً فلا يخطىء الطريق . فهل تصدقون هذا وكيف تعللونه ؟

(الهلال) فى هلال ديسمبر سنة ١٩٣٥ مقال عن « الحاسة السادسة » أثبت فيه كاتبه ــ وهو عالم باحث ــ أن للاعمى والاصم حاسة زائدة يستعيض بها عن الحاسة المفقودة فى ادراك الاشياء . وقد أورد أمثلة غريبة تبين هذا ، من ذلك أن رجلا أعمى من خريجى معهد بركنس الامريكى للعميان سار ذات مرة ستة أميال وسط حقول وغيطان لم يطأها من قبل حتى وصل الى بيته دون أن يستدل عليه من أحد . ومن ذلك أن صياداً أعمى كان يخرج منفرداً فى قاربه ويبتعد عدة أميال عن الشاطىء ثم يعود الى المكان الذى أقلع منه دون أن ينحرف عنه كثيراً ولا قليلا . . .

بل ان أحد عميان أمريكا كان يعرف وقع حوافر كل حصان فى قريته فكان اذا أقدم الفلاحون راكبين خيلهم خاطب كل فلاح باسمه قبل أن يفاتحه

هذا بكلمة اذ كان يعرفه من وقع حوافر حصانه

ومرجع هذا على الارجح الى قوة خفية يعترف بها الآن فريق كبير من ثقات العلماء وان كانوا لا يستطيعون تعليلها ، ولكن منهم من يرى ان ليس فى الامر شيء من القوى الخفية ، بل فى وسع كل انسان ان يكتسب هذه القوة بطول الممارسة والاختبار

بعد سقوط غرناطة

(نيويورك — الولايات المتحدة) أحد المشتركين

هل هاجر جميع مسلمى الاندلس بعد أن دالت دولتهم هناك ، أم اعتنق بعضهم المسيحية ؟

(الهلال) هاجر اكثر المسلمين من الاندلس عقب سقوط غرناطة فى أيدى المسيحيين ، ولكن بقيت طائفة قليلة منهم اضطرت الى اعتناق المسيحية ، وهى التى تعرف « بالموريسكيين » وقد ذكر مترجم كتاب تراث الاسلام عنهم ما يلى : « الموريسكيون اسم يطلق على المسلمين الذين ظلوا فى اسبانيا بعد سقوط غرناطة فى ٢ يناير سنة ١٤٩٢ ، ولم يحدثنا عنهم من المؤرخين المسلمين الا المقرى فى « نفح الطيب » وقد لبثت أغلبية المسلمين الذين وقعوا تحت حكم الاسبان محتفظة بدينها ، ثم بدأ اضطهادهم بعد سقوط غرناطة بسبع سنوات ، فلما اشتد بهم الامر انفجرت ثورتهم فى جبال البشارات ، وكانت نتيجة الثورة ان خيرت بين اعتناق المسيحية وترك اسبانيا . ثم ثارت مرة أخرى سنة ١٥٦٨ ، ولم تخمد ثورتها الا بعد سنين عدة وأخيراً فى سنة ١٥٨٥ صرح فيليب الثالث باخراجهم من اسبانيا ، فعبر البحر منهم نحو نصف مليون »

لون التربة

(بغداد — العراق) الراوى

أيها أخصب : التربة السوداء أوالتربة الصفراء ؟ وأى أنواع النبات تصلح لكل منها ؟ ومن أى النوعين تربة مصر ؟

(الهلال) انواع التربات الرئيسية أربعة :

(١) التربة الغرينية أو السوداء ، وهي تنشأ مما تحمله الانهار من طمى الجبال ، ومثلها أرض دالات الانهار الكبرى كدلتا النيل ودلتا دجلة والفرات . وهى لا تحتاج الى رى كثير لقلة ما فيها من المسام . وهى أخصب التربات فيزرع فيها القطن والارز والقصب والغلال والاشجار

(٢) التربة الرملية أو الصفراء وهى ذات مسام كثيرة فتحتاج الى رى دائم ، وأشهر الاراضى الصفراء مناطق شمال الصين الخصبة ، وخير ما يصلح لهذه التربة القمح والشعير والفول السودانى والبطيخ

(٣) التربة النباتية حيث تنمو الغابات فتختلط أوراق أشجارها بالارض فتكسبها خصوبة كثيرة ، ومثلها أرض اوربا الغربية

(٤) التربة البركانية وتقع عادة فى جوار البراكين الثائرة أو الخامدة ومثلها مزارع نابلى بايطاليا المشهورة بكرومها

وأرض دلتا النيل ووادي غرينية سوداء ، أما الاراضى الواقعة على حفة الصحراء مثل مديريتى الشرقية والبحيرة ، فخليط من التربتين الصفراء والسوداء

تكرار الحمل

(الاسكندرية — مصر) ى . ع

هل تكرار الحمل يضر المرأة ؟ وهل من وسيلة مضمونة لمنع الحمل ؟

(الهلال) كثير من السيدات ولدن مرات عدة بين الواحدة والاخرى فترة قصيرة ، ولم يصبهن مع هذا أى ضعف أو إعياء ، ولكن اكثر السيدات — ولاسيا فى هذا العصر الذى صارت النحافة فيه طراز الجمال — يتعرضن فيه لأخطار جمة من جراء تكرر الحمل ، فتضعف أبدانهن وتهن قواهن ، وقد يصبن بأمراض خطرة من أشدها سرطان الرحم

أما وسائل منع الحمل فقد اختلف رأى الاطباء فيها ، فمنهم من أكد أن ليست هناك وسيلة مانعة كل المنع وخالية من الضرر خلواً تاماً . وزاد على هذا أنه كلما كانت الوسيلة مجدية فى المنع كانت أشد ضرراً بالأم . ومنهم من رأى ان هناك وسيلة مضمونة ١٠٠ ٪ من ناحية المنع وعدم الضرر ، على ان تمارس تحت رعاية الطبيب وبكل دقة وحذر

مجلة المجمع اللغوى

(النجف الاشرف – العراق) قارىء

هل للمجمع العلمي الادبي في مصر صحيفة خاصة به ؟

(الهلال) ليس في مصر مجمع علمي أدبي ولعلكم تقصدون المجمع الملكي للغة العربية . وهو يصدر مجلة حافلة بما يقره المجمع من الالفاظ اللغوية ، وبما يقترحه أعضاؤه وعلماء اللغة من الالفاظ والعبارات ، وكذلك بحوث لغوية وأدبية شتى . وقد صدر من المجلة ثلاثة أعداد جدير بكل مثقف عربي أن يطالعها ويدرسها ، وعنوان المجلة « ١٠١٥ شارع القصر العيني بالقاهرة »

ثورة الاعصاب

(دمشق – سورية) عبد الله الملحم

أيهما أقدر على العمل والنجاح : ذو الاعصاب الهادئة الوديعة ، أم ذو الأعصاب الحادة الثائرة ؟

(الهلال) لخص الهلال في عدد مارس سنة ١٩٣٥ كتابا للدكتور لويس بيش . اسمه « العصبيون أقرب للنجاح » أثبت فيه أن المزاج العصبي كثيراً ما يكون مصدر توفيق وسعادة ، وبرهن فيه على صحة نظرية العالم الكبير يونغ الذى يعتقد أن في كل رجل ذى مزاج عصبي نواة للصفات التى تجعله من النوابغ ، وأنه اذا أمكن اقناع هذا العصبي بان مزاجه ليس نقيصة بل يمكن استغلاله وتحويله الى فضيلة أمكن جعله من أسعد الناس ، وابراز ما فيه من الصفات التى ترفعه فوق مستوى الرجل المتوسط . والواقع أن كثيراً ممن بلغوا ذروة المجد كانوا من ذوى الاعصاب الحادة الثائرة ، امثال الاسكندر وقيصر ونابليون وانجلو وواط

ولكن يلاحظ ان ذوى الاعصاب الثائرة يقاسون كثيراً من الآلام – اذ يعتقدون عادة أن العالم لا يفهمهم وان مستواهم أعلى من مستوى الرجل العادى مما يباعد بينهم وبين أسباب النجاح في الحياة اليومية ، وفى الغالب ينجح الرجل العصبي في الاعمال الذهنية التى تحتاج الى خلق وابتكار ، ويخفق في الاعمال الادارية التى يقدر عليها ذوو الاعصاب الهادئة الثابتة

قراءة الكف

(القاهرة – مصر) أحد القراء

أبانى من يعرف قراءة الكف أنى سأمرض بعد خمس عشرة سنة مرضاً خطيراً . فلم أعر كلامه التفاتاً أول الامر ، ولكن ما لبث أن نمت هذه الفكرة في ذهنى حتى صارت الآن شبحاً رهيباً يعذبنى نهاراً ويسهرنى ليلا . فهل خطوط الكف تنبىء حقاً عن المستقبل ، وهل قراءتها تستند الى أساس علمى ؟ وكيف أستطيع أن أتخلص من هذه الفكرة ؟

(الهلال) من المؤسف أن خرافة قراءة الكف التى نشأت في الصين منذ خمسة آلاف سنة ما زالت منتشرة الى اليوم في كثير من الشعوب المتأخرة والراقية على السواء . والواقع أنها لا تخدع – كما تقول دائرة المعارف البريطانية – « سوى طراز معين من الناس أعصابهم مريضة مضطربة ، يبدو لهم هذا الوهم الغريب حقيقة واقعة ، مع أنه ليس هناك أى أساس علمى ترتكن اليه هذه الخرافة التى لا موضع لها من دائرة العقل » . ويمكنك الخلاص من هذا الوهم عن طريق الايحاء فتوحى الى نفسك كل صباح وكل مساء : « ان قراءة الكف خرافة سخيفة لا يمكن ان يقبلها أى عقل سليم »

قوة الذاكرة

(الحصن – شرق الاردن) سامى الخوري جوينى

في أى سن تبلغ الذاكرة أقصى قوتها ؟

(الهلال) من أقسام الذاكرة : « الذاكرة المباشرة » . وهى التى يحفظ ويعى بها الانسان كل ما يلقى عليه بسرعة دون أن تستطيع الاحتفاظ به مدة طويلة ، « والذاكرة المؤجلة » وهذه قد لا تعى الشىء سريعاً ولكنها تحتفظ به مدة طويلة

والاولى تبلغ أقصى قوتها بين الثانية والعشرين والخامسة والعشرين . والثانية تكون في أوجها بين الثامنة والثانية عشرة ، أى في مرحلة التعليم الابتدائى . ولهذا يعنى المربون في هذه المرحلة بتلقين التلميذ ما يريدون أن يرسخ في ذهنه ويرسب أطول مدة ممكنة ، مثل المبادىء الدينية والأخلاقية والوطنية

الهلال

نوفمبر ١٩٣٧



عدد خاص

الفاروق

تقدمة

حرص « الهلال » على اصدار أعداد خاصة كلما سنحت فرصة ذات شأن . فأحر به اليوم - إثر أرفع الفرص ، فرصة تولية فاروق الأول الملك - أن يصدر هذا العدد عن عمر « الفاروق »

إن من دلائل التوفيق السماوى أن يسمى أول ملك لمصر المستقلة باسم الفاروق عمر بن الخطاب ، فقد امتاز بجرأته فى الحق ، وأضاء عهده بالعدل . واذا استقر العدل - على تنوع صوره - فى أمة من الأمم فقد بلغت أسمى الغايات

لقد انقضت أجيال بين الفاروقين - ولكن البشر هم هم فى كنههم ، والطبيعة الانسانية هى هى فى عناصرها . وهذا ما حثنا على دراسة عهد الفاروق عمر بن الخطاب ، فجمعنا هذه المباحث القيمة لنفر من خيار مؤرخينا ومفكرينا ، لعلنا نستخرج من بين السطور عبراً نستنير بها فيما نحن مقبلون عليه من مهام جسام - فانما الماضى مرآة الحاضر

والهلال يتقدم بخشوع الى فاروق اليوم بهذه الصور المنوعة لفاروق الامس - متيمناً سائلا المولى أن يكون فيها للمليك الشاب ولرعيته الوفية تذكرة وإيحاء وحافز للرقى والفلاح

أدام الله ملك فاروق وأعز به مصر والمصريين

اميل زيدان

توفيق

لحضرة صاحب المعالى عبد السلام جمعة باشا

وزير المعارف المصرية

تفضل معالى وزير المعارف بهذه الكلمة البليغة ، تمجيداً لذكرى الفاروق العظيم وتحية لهذا السفر الحافل ، ونحن ننشرها شاكرين لمعاليه تحيته للهلال ، وتشجيعه الكريم

من دواعى اغتباطى ظهور هذه الفكرة النيرة التى أوحت باصدار عدد خاص من الهلال بحثا فى سيرة سيد العادلين ، وفخر الخلفاء الراشدين ، المثل الباهر للحاكم التقى الحازم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وإنه ليضاعف اغتباطى أن يقترن وحى هذه الفكرة بعهدنا الزاهر الذى طلع على الناس يحمل بواكير الخير ، ولوامع الاسعاد ، ومجالى اليمن وسواطع الاقبال ، فى ظل الملك المحبوب الموفق ، فاروق الاول حفظه الله

لقد رافق التوفيق عهد الخليفة عمر ، فغدت سيرته عطر التاريخ ، ومسك الصحائف المخلدة ، بما رزق رضى الله عنه من نجح المسعى ، وطاعة الرعية ، وتوطد الحكم ، وقوة الدين ، وصدق الفراسة ، ويقظة القلب ، وأصالة الرأى ، ووفرة الحزم ، الى ديموقراطية وحب انصاف ، والى محامد لا تحصى ومحاسن لا تستقصى ، صاحبت سيد العادلين منذ نشأته فى الجاهلية الى أدواره فى الاسلام ، وستظل تلك الشمائل والشيم ، ما بقى الدهر ، أسوة المقتدين ، وهدى المهتدين

من مميزات الخليفة الفاروق أنه كان منذ عهد الجاهلية صداعا بالحق ، صحيح النجدة ، كثير التفكير ، مهيب المقتيل ، صادق المقولة . وكان أول من نذر فى الجاهلية ليلة يعتكف فيها ، وكانت اليه سفارة قومه ان وقعت بينهم حرب ، فما إن يطالعهم بفتواه حتى يطمئنوا الى تفكيره ، ويستريحوا الى تدبيره ، فلما آمن بما جاء به الرسول الأعظم ، بعد أن استمع الى آى الكتاب وتدبر معانيه وأحكامه ، كان رضى الله عنه أول من جهر بايمانه وأعلنه ،

ودعا الى الصدع بأمر الله فى غير خفاء . وهو الذى خاطب رسول الله بقوله : « والذى بعثك بالحق رسولا ، لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالايمان ، وأظهرت الاسلام فيه غير هائب ولا خائف . والله لن يعبد الله بعد اليوم سراً » . لهذا سماه رسول الله بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل . ولقد أجمع صحابة رسول الله على أن اسلام عمر كان فتحا ، وهجرته كانت نصراً ، وامارته كانت رحمة للناس

حسب الخليفة عمر الفاروق شرفا مميزاً أن القرآن قد وافق رأيه فى مواطن عدة ، ذلك لأن الكتب الالهية تنزل بما ينفع الناس فى معادهم ومعاشهم ، فى دينهم ودنياهم ، ومن أعلم من عمر بحاجات قومه ، وهو الحكيم المفكر ، الذى يحفل بما دق وجل من أمر رعيته ، ويعرف من شئون دنياهم مايعرفه خاصتهم وعامتهم ، وهو خبير بها محيط

كان عمر يخشى الله في كل نبسة وهجسة ، وفى كل حركة وسكون . كان عظيم البر برعيته ، يبكى اذا أصاب ظلم أحد الناس ، وهو القوى الشكيمة ، الشديد الهيب ، الثابت الطائر ، وكان رضى الله عنه أحفل الناس بالشورى ، يشتور مع أصحابه فى كل جلل ، يحاورهم ويكتنه لباب آرائهم وأدلتهم ، ثم يرجع الى رأى نفسه ، فاذا اقتنع نفذ عزمه مستخيراً الله ، شأن الحاكم العادل الذى لايبتغى غير مصلحة الرعية ، وبالشورى مكن الله له السطوة والهيبة ، وخضوع الناس لأحكامه عقيدة أنه يعمل لما فيه نجاتهم . ومن بعد عمر بقيت الخلافة شورى بين المسلمين على نهج من الحق مبين

من مأثوراته رضى الله عنه قوله لعمرو بن العاص إذ ضرب ابنه رجلا من اهل مصر : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احراراً ؟ »

تلك الملمة صغرى من سيرة ابن الخطاب ، بل هي اضواء لامعة تشع من اقباس صفاته . فمن الأمانى التى تختلج فى صدور المصريين كافة ان يجدوا فى عهد سميه مولانا الفاروق المعظم ما وجد العرب فى عهد امير المؤمنين من عزة ومنعة ورفاهية ، وطمأنينة واستقرار ومشورة ، الى قيام العدل مصونا ، والملك وطيداً ، والرفعة شامخة

وان البشريات التى نفحت بها البلاد على قرب عهدها بطلعة المليك المحبوب لتشجع على الأمل فى ان يتحقق ما يرجوه المصريون من جلالة الجالس على عرش مصر من امان غوال ، وسعادة حال ، وكريم آمال

« . . عمر فيما نعتقد أعظم شخصية يمكن أن تعرض على الشباب لأنهم يجدون فيها خير ما تحب أن يجدوا من المثل التي تتمنى أن يطيلوا النظر اليها والتفكير فيها والتأثر بها لعلهم يرقون اليها شيئا »

الفاروق .. الشديد اللين

بقلم الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

من أيسر الأمور على المثال البارع أن يصنع لعمر بن الخطاب رضى الله عنه تمثالا يجمع بين الصدق والروعة، وبين الدقة التي ترضى الحق والجمال الذي يرضى الخيال . فقد حفظ التاريخ لعمر صورة دقيقة صادقة لا تعرض للشك ولا للخلاف ، بحيث يراها الناس جميعا اذا قرأوا تاريخه فلا يختلفون فيها ولا يفترقون فى الاعجاب بها والاعظام لها مهما تختلف أمزجتهم وطبائعهم ، ومهما تختلف آراؤهم ومذاهبهم ، ومهما تختلف طرائقهم فى التفكير والحكم والشعور

وهذه الصورة الدقيقة الصادقة الرائعة التى حفظها التاريخ لعمر لا تمثل شخصه المادى وحده ، وانما تمثل شخصه المادى والمعنوى أيضا . وتمثل شخصه المعنوى من جميع نواحيه : تمثل قلبه وتمثل عقله وتمثل ارادته وتمثل حسه أيضا . وهى صادقة فى هذا كله لا يتطرق اليها الشك لأنها أوضح وأظهر من أن يتطرق اليها الشك أو تختلف فيها الآراء . وما أعرف أن تاريخ الخلفاء والملوك المسلمين قد صدق فى تصوير شخصية من شخصيات الخلفاء والملوك كما صدق فى تصوير شخصية عمر بن الخطاب . والغريب ان هذه الشخصية لم تكن سهلة ولا يسيرة فى نفسها ، وانما كانت عسيرة معقدة كما سترى بعد قليل ، ولكنها كانت قوية جدا ، قوية الى الحد الذى يعجز معه التاريخ عن مقاومتها فيضطر الى أن يقبلها كما هى لا يستطيع أن يزيد فيها أو ينقص منها ، وانما يتلقاها كاملة وينقلها الى الاجيال كاملة وتمضى القرون فى أثر القرون وهى كما هى لا يستطيع الزمان أن يمسها بزيادة أو نقص . ولو أن مثالا بارعا قرأ ما حفظ التاريخ من صورة عمر ، ثم أراد أن يظهر ذلك بوسائله الفنية وأن يصنع هذا التمثال لعمر ، لجمع بين خصلتين غريبتين ، فكان ناقلا لا مبتكراً ، وكان فى الوقت نفسه رائعا معجبا يبهر العقول ويخلب الألباب ويملأ الأبصار والقلوب

ولكن عمر كان ثانى خلفاء المسلمين ، فمكانته الدينية ومنزلته من النبى ومقامه من الاسلام نفسه كل ذلك يرفعه عن أن يكون موضوعا لصناعة المصور أو المثال . فلنجتهد فى أن نستعين بصناعة الكلام على تصويره للشباب المحدثين ، فعمر فيما نعتقد أعظم شخصية يمكن أن تعرض على

الشباب لأنهم يجدون فيه خير ما تحب أن يجدوا من المثل التي تتمنى أن يطيلوا النظر اليها والتفكير فيها والتأثر لها لعلهم يرقون اليها شيئا

وأول ما يهمنا من أمر عمر أنه كان ملتقى لطائفة من الخصال المتناقضة التي ينكر بعضها بعضا أشد الانكار، ويدفع بعضها بعضا أشد الدفع . ولكن الله قد لاءم بينها وألف بين مقاديرها تأليفا غريبا حتى التقت فلم تتنافر ولم تتدابر ولم يفسد بعضها أثر بعض . وانما ائتلفت أحسن ائتلاف وانسجمت أروع انسجام كما تأتلف الاصوات المتنافرة وكما تنسجم الانغام المتباعدة في القطعة الموسيقية الرائعة ، حتى أصبح شخص عمر آية خالدة من آيات الموسيقى يتغنى بها تاريخ المسلمين وسيتغنى بها ما بقى الاسلام وما بقى للاسلام تاريخ

وأغرب من هذا كله أن بعض هذه الخصال لم يستأنف في شخص عمر ، وانما وجدت في أسرته ورهطه الأدنين مفرقا قبل أن يوجد عمر . وقد نشأ هذا الفتى القرشي فأدرك شيئا من هذه الخصال . فقد كان أبوه الخطاب بن نفيل رجلا غليظا فظا إن امتاز بشيء من قومه فانما يمتاز بالشدة والعنف والمحافظة على القديم الموروث والنشاط الغريب في حماية هذا القديم الموروث والذود عنه . وكان ابن عمه زيد بن عمرو بن نفيل رجلا رقيقا لينا مرهف الحس ذكى القلب نقى الطبع مستعداً للايمان الصادق مبغضا للقديم شديد النشاط للتجديد . شك في وثنية قومه ثم جحدها والتمس دينا صفواً وملة نقية ، وجعل ينكر على قريش ما كانت فيه ، فكانت قريش تسمع منه وتعرض عنه ولا تحفل بما كان يقول ، ولكن الخطاب بن نفيل ثبت له ثم قاومه ، ثم جد في فتنته حتى أشقاه ثم حبسه في مكة ، ثم أغرى به الشباب حتى اضطره الى ان يستخفى وأن يحتال في الفرار من مكة ليلتمس ما كان يحب من دين عند اليهود والنصارى . وقد فر زيد بدينه الجديد أو باستعداده للدين الجديد ، وجعل يلتمس ما يحب عند اليهود مرة ، وعند النصارى مرة ، حتى استيأس من أولئك وهؤلاء فعاد الى مكة ولكنه قتل غيلة في بعض الطريق

وقد ورث عمر هاتين الخصلتين عن أسرته ، فكان شديداً ورقيقا في وقت واحد ، وكان غاليا في الشدة ، غاليا في الرقة ايضا ، وكان اسلامه مظهراً لهاتين الخصلتين المتناقضتين . خرج ذات يوم وكان فتى قد نيف على العشرين ملتزما أن يشتد في غيظ المسلمين والكيد لهم والايقاع بهم ، يبحث عن أول فرصة تتيح له البطش بهؤلاء المجددين ، فلقى رجلا من المسلمين وأخذ معه في حديث حول الاسلام يريد أن ينتهى من هذا الحديث الى الشدة والبطش ، فينبه هذا الرجل ان الاسلام قد غزا أسرته واستقر فيها ، وان أخته قد أسلمت كما أسلم زوجها . فينقض عمر على أخته وقد أزمع البطش بها وبزوجها، فاذا بلغ الدار سمع قراءة، فاذا طرق الباب فزع من في الدار واستخفى مقرىء الأسرة ، ودخل عمر على أخته فسألها فلم تخف عليه شيئا ، فيبطش بها وبزوجها ويثبتان له ويظهرانه على الصحيفة التي كانا يقرآن فيها ، فلا يكاد يتلو آيات من القرآن حتى تذهب شدته

وبأسه ويستحيل الى لين وعطف ورحمة واشفاق ، ويسأل عن مكان النبي فاذا دل على هذا المكان ذهب الى حيث كان النبي وأصحابه يجتمعون ، فاذا أحس أصحاب النبي مقدمه أنكروه وأشفقوا منه ، إلا رجلا واحداً هو حمزة بن عبد المطلب لم يكن أقل منه شدة وبأسا فقد انتظره ثابتا له ، وتلقاه بمثل ما كان قد أقبل به فيما ظن المسلمون من الشدة والبأس . ولكن النبي يلقاه لقاء شديداً رفيقا ، فما هي إلا أن يسلم عمر ويكبر المسلمون ويعلموا أن الله قد أعز دينه بأحب الرجلين اليه عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام أبي جهل ، كما كان النبي يسأله في كل يوم

ومنذ ذلك اليوم استطاع المسلمون أن يجهروا بصلاتهم وكانوا يخفونها ، وان يتخذوا ناديهم في المسجد وكانوا لا يظهرون فيه إلا فرادى

هذه الشدة البالغة والرقة الرائعة تصوران عمر طول حياته . تصورانه صاحبا للنبي ومشيراً لأبي بكر وإماما للمسلمين . تصورانه حين أراد النبي أن يمضي صلح الحديبية فأنكر عمر هذا الصلح وقال للنبي كيف نرضى الدنية في ديننا . وتصورانه حين رأى الجد من الله ورسوله في هذا الصلح فأذعن له راضيا مؤمنا أصدق الرضى وأخلص الايمان . تصورانه حين أعلن أن رسول الله قد مات فأنكر ذلك أشد الانكار وأنذر المعلنين له بالسيف . فلما سمع قول الله عز وجل : « وما محمد إلا رسول قد خلت قبله الرسل ؟ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » . أذعن لقضاء الله راضيا به مؤمنا له أصدق الرضى وأخلص الايمان . تصورانه حين جد في حزم أمر المسلمين وأخذ البيعة لأبي بكر باسطا يده للبيعة قبل ان تتم الشورى ، حتى اذا استقرت الامور واطمأنت القلوب واجتمعت الكلمة عرف من نفسه هذه الشدة وقال في بيعة أبي بكر كانت فتنة وقى الله المسلمين شرها . تصورانه في كل ما تقرأ من مواقفه حينما كان يجد الجد ويحتاج الأمر الى الحزم والعزم ، ثم بعد ان تستقر الأمور وتهدأ العاصفة . وقد اختصر التاريخ هذه الصور الغريبة الرائعة فيما تحدث به من أن عمر كان أشد الناس غضبا اذا غضب ، وكان اذا ثار لم يثبت له أحد ولم يثبت له شيء ، فاذا ذكر الله أو تلي القرآن رق حتى أصبح الرقة نفسها

واختصر التاريخ هذه الصورة الرائعة ايضا حين روى ما كان من أمره لما اجتمع الناس اليه في الموسم فسأل عن سيرة العمال في الأمصار ، فقام اليه أحد المسلمين وزعم له ان عامله قد ضربه ، فأبى عمر إلا ان يقتص هذا الرجل من الوالي بمحضر من المسلمين. وجعل الولاة يصورون له أثر ذلك في اضعاف السلطان واطماع الرعية في الولاة فلا يحفل بشيء من ذلك ، لان رسول الله قد اقتص من نفسه حتى اضطر العمال الى ان يرضوا هذا الرجل ويشتروا منه حقه بالدنانير ، ولولا ذلك لرأت جماعة المسلمين رجلا من الرعية يعمل سوطه في جسم وال من ولاة الامصار

كان عمر شديداً حتى خشى الله في الشدة ، وكان لينا حتى خشى الله في اللين . وكان يصطنع

فى الناس شدته ولينه جميعا ، فأما مع نفسه وأهله فلم يصطنع قط إلا الشدة ولم يعرف اللين قط الى قلبه سبيلا . وكان عمر حريصا على مال المسلمين أشد الحرص ، يحاسب العمال والولاة حسابا أيسر ما يقال فيه أنه كان عسيراً . لايختار واليا لعمل من الأعمال حتى يحصى ماله قبل الولاية ، ثم يتتبعه بعد ذلك ليرى كيف زاد ماله وما مصدر هذه الزيادة وما الصلة بينها وبين ماكان له من عطاء . ثم لا يتحرج أن يقاسم الوالى ماله بعد عزله ، فيترك له النصف ويرد النصف الى المسلمين . وكان كريما فى مال المسلمين الى أقصى حدود الكرم ، لاتكاد تجتمع اليه الأموال التى كانت تأتيه من الأمصار والأقاليم حتى يشيعها فى المسلمين على طريقة رائعة حقا ، لايترك رجلا ولا امرأة ولا صبيا ولا صبية فى أسرة تليه أو تبعد عنه إلا قسم له من هذا المال حظه وأدى اليه حقه وأدى اليه الفضل بعد الحق . ثم كان لا يأمن على ذلك احداً وانما يليه بنفسه ، ويتتبع أمور الناس لا ليعرفها ولكن ليعرف أيشكو الناس منه شيئا ، أينكر الناس منه شيئا ، فقد كان لا يأمن نفسه على تحقيق العدل كما كان لا يأمن الناس على تحقيق هذا العدل

وقد أجدب المسلمون فى بلاد العرب سنة ، فاقرأ اخبار عمر فى هذه السنة فستقرأ اروع ما حفظ الادب والتاريخ فى أى أمة من الأمم وفى أى جيل من الأجيال وفى أى عصر من العصور ، من تصوير الرفق بالرعية والنصح لها والاشفاق عليها والشدة على الأقوياء والرحمة للضعفاء . أخذ عماله فى الأقاليم بأن يرسلوا اليه الطعام والكسوة للناس ، ووجه رسله فى أطراف الجزيرة وانحائها يقسمون الطعام وينحرون الجزر ويكسون الناس ، وقام هو على ذلك فى المدينة وما حولها . وأبى أن يطعم فى بيته اذا اجتمع المسلمون للطعام العام . قل السمن وقل اللحم ، فحرم على نفسه السمن واللحم وفرض على نفسه الخبز والزيت حتى يخصب المسلمون . وكانت حرارة الزيت تؤذيه فتقدم الى مولاه أن يطبخه له ليكسر من حرارته ، فلم يغن ذلك شيئا وجعل بطنه يقرقر . فيقول له : « قرقر ما شئت فلن تطعم إلا الزيت حتى يخصب المسلمون »

وكان عمر اجرأ الناس على الناس ، حتى خافه الأقوياء واشفقوا من لقائه ووسط اليه كبار الصحابة من يسأله الرقة للناس ، لأنهم يهابونه ويشفقون أن يعرضوا عليه حاجاتهم . ثم كان فى الوقت نفسه أشد الناس خوفا من الضعفاء والعاجزين والمحرومين . يستطيع أهون الناس شأنا وأيسرهم امراً أن يجترىء عليه ويلقاه بما يكره من الحديث . فيسمع ثم يعتذر ثم يستعبر ثم يستغفر

وأروع ماتلقاه فى شخصية عمر من الخصال هذه الفكرة التى كونها لنفسه عن الخلافة منذ ولى الخلافة الى أن مات . وقد صورها هو تصويراً رائعا بايجازه ودقته وصراحته العنيفة حين خطب الناس لأول مرة بعد البيعة فقال : « ايها الناس انكم قد ابتليتم بى وابتليت بكم »

فالخلافة عند عمر امتحان للخليفة والرعية معاً . كلاهما ممتحن بصاحبه وكلاهما خليق أن يحتمل

(البقية على صفحة ١٠٣)

على هامش عدالة عمر ونصفته

عمر بن الخطاب كما أتصوره

بقلم الدكتور احمد فريد رفاعى بك
مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة

أود ان أشكر أصدقائى السادة العاملين أصحاب هذه المجلة الزاهرة واخواتها النافعة من مؤسسات « دار الهلال » العامرة . أشكرهم من كل قلبى لانهم - وهذا من أبرز صفاتهم - يذكروننى ، وفاء منهم واخلاصاً ، حينما تتاح فرصة للمساهمة الأدبية والتاريخية . ولأنهم يرون من حق القراء علىّ ، بل ومن حق إزاء القراء وازاء نفسى ، ان أنسى بعض الشىء ما أنا مرتطم فيه الى الذروة من عمل مصلحى أواصل فيه مغداتى بمراحتى وليلى بنهارى . ثم اشكرهم من كل قلبى لاتاحة تفكيرى مع سادتى المؤرخين والعلماء والكتاب والأدباء لحظات سعيدة بعبرها وعظاتها فى شخصية عالية . هى شخصية عمر بن الخطاب . لا سيما وهى حبيبة الىّ ، ومقدسة عندى ، وطالما درستها فى مقالاتى عام ١٩٢٨ بمجلة « الهلال » . ثم بمحاضراتى عنها فى مذياع المحطة الحكومية فى فترات المعاش . ومن قبل درست عصرها وما قبله ومايليه حينما كتبت « عصر المأمون » . ثم حينما راجعت ما كتبت إعداداً « للشخصيات البارزة » . ثم اشكرهم من كل قلبى انهم حتى بعد فوات الوقت ، والى ما بعد اللحظة الأخيرة ، خصصوا قسما من مؤلفهم الخاص لما قد أود الادلاء به عن هذه الشخصية العالية الفذة ، ولاسيما من ناحية عدالتها ونزعتها الى النصفة والحق ، والى أخذ الرعية بسنة المساواة

وقد يكون من المعاد المكرر ، ان أقتبس هنا قصصا عن عمر ، وحوادث معينة بالذات مما رواه الطبرى وابن الأثير والمسعودى والجوزى وغيرهم ممن أفرد لعمر صفحات طوالا مما كتب . بل لا أخفى على القراء انى أصبحت أنظر للتاريخ وتسلسل حوادثه ومواقفه وسنن حكامه نظرة أخرى ربما كانت أقرب الى نظرات ج.ه. ولز . وربما كانت متأثرة جداً بما هضمه ذلك الفيلسوف الاجتماعى التاريخى من قراءاته العديدة لكتب التاريخ القديمة منها والحديث . وبما أصاب فيه الهدف بعض الشىء الاستاذ « اميل لدويج » فيما أخرجه لنا من تراجم قيمة ومؤلفات قيمة

أريد ان أخرج بعض الشىء عن حرفية ما قرأناه ، فلا أتقيد بنصوص حوادث عمر مع الصبية الصغار ، ولا أتقيد بتشديده مع عماله . ولا ألازم عمر وهو يحمل هراوته ليؤدب من يستحق

التأديب ، ويأخذ الحد ممن خرج عن الحدود ، ويحاسب فى الدرهم والدينار والمأكل والمشرب ، والمظهر والمخبر ، وأود ان أطالع القراء بالصورة النفسية التى استطاع تاريخ عمر ، ومؤرخو عمر ، وتراجم الرواة والنقلة ان ينقلوها مرتسمة من الاعماق ، فاعتذر الى سادتى علماء النصوص ، وناظورة حرفية التاريخ فى هذا المنهج المتعمد المقصود

تترك حياة عمر بن الخطاب فى نفس القارىء العادى ، أثر الرجل المتناقض بعض الشىء . فهو صارم جداً ، ورحيم جداً ، ولكنه صارم مع الأقوياء فى حكم التقاليد ، وحكم الجماهير والعامة وصارم مع الولاة ، وصارم مع الأغنياء ، وصارم مع من يخرج على القانون العام من شريعة أو نظم أو تقاليد . ثم هو رحيم جداً مع غير هؤلاء على خط مستقيم من الصغار والاطفال والضعفاء والمساكين والمظلومين والمهضومين - فتراه يبكى ويستعبر ويحمل غرارة الدقيق ويبادر الى اداء مهمات انسانية شاذة . وفى مظهرها ضعة وصغار لمن فى مكانة الحاكم العام ولا أقول أمير المؤمنين ولا خليفة المسلمين

وتترك حياة عمر بن الخطاب صورة الشدة والعنف فى الزام الجميع الخضوع التام لحكم القانون وحكم الشرع وجادة الزهادة والقناعة من ناحية ، كما تترك صورة العاطفة الأبوية الرقيقة جدا ، العاطفة الرءوم ، واسعة البر والحنان ، والرحمة والاحسان ، ازاء جميع أفراد الرعية عامة ، فينصح ولاته فى جد والزام ، بل فى شدة وصرامة ، قائلا ما معناه : انه حينما ولاهم أمور الرعية لم يسلطهم على أبشارهم ولا على أشعارهم ، ولم يرم الى جلدهم فيذلوها ، ولا الى جرمهم فيفتنوها ، أو عسفهم فيظلموها ، أو ارهاقهم فيخنعوها ، أو الغفلة عن حقوقهم فيحرموها ، أوتدليلهم فيبطروها ، بل ليفصلوا بينها بالحق ، ويأخذوها بالعدل ، ويحكموها بالقسطاس ، ويسوسوها بالاحسان ، ويقوموا معوجها بما يصلح وينفع ، ويسعد ويرفع ، وأن يقسموا بين الجميع الفىء على حسب استحقاقه وجهاده ، لا على حسب نسبه وآبائه . وكان يقول لهم فى صراحته وقوة شكيمته ورسوخ عقيدته فيما هو حق ، وايمانه الراسخ بما هو صدق ، وبما هو واقع وأولى بالاتباع : « والله لئن جاءت الاعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة . فلا ينظر رجل الى قرابة . وليعمل لما عند الله . فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » والرجل « وبلاؤه فى الاسلام ، والرجل وقدمه فى الاسلام ، والرجل وغناؤه فى الاسلام ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو فى مكانه » . . . . . الى جانب هذه السياسة الصارمة الشديدة الوطأة فى اتباع منهج العدل مع الجميع ، والانصاف مع الجميع ، والتزام حدود الحق فى غير لين ولا هوادة ، أو رجوع أو تعليل ، أو شفاعة أو تدليل - الى جانب ما وصف به كل الرواة من أنه اذا تكلم أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع ، والى جانب مقته التحزب وقوله صراحة لجماعة من قريش : « بلغنى أنكم تتخذون مجالس ! ، لايجلس اثنان معاً حتى يقال : من صحابة فلان ! من جلساء فلان ! حتى تحوميت المجالس ، وايم الله ان هذا

لسريع فى دينكم ، سريع في شرفكم . سريع فى ذات بينكم ، ولكأنى بمن يأتى بعدكم يقول هذا رأى فلان ، قد قسموا الاسلام أقساما . أفيضوا المجالس بينكم ، وتجالسوا معا ، فانه أروم لألفتكم ، وأهيب لكم فى الناس . . . . » الى جانب عشرات الأمثال من هذا فانك ترى عمر الشديد فى الحق ، الصارم فى تنفيذ أوامر الشرع ، وتدعيم صرح العدل ، الرجل البر كل البر فى الأزمات القومية العامة . ففى عام « الرمادة » كان عمر بمثابة الخادم العام لكل محتاج أو معدم أو فقير . بل كان العون الوحيد له فى رقة جناب وحساسية قلب ورقة عاطفة وحيوية ضمير وانسانية وازع . وكان الى جانب هذا فى موقف آخر ومظهر آخر مع الأقوياء . ولعل حادثته مع بنى عدى فيما رواه الطبرى عن أسامة بن زيد بن أسلم حينما روجع فى وضعهم فى درجة تلى درجات بنى هاشم وبنى تيم أن قال لهم : « بخ بخ بنى عدى ! أردتم الأكل على ظهرى ، وأن اذهب حسناتى لكم ، لا والله حتى تأتيكم الدعوة ، وأن اطبق عليكم الدفتر ، ولو أن تكتبوا آخر الناس ! . . » نقول لعل هذه الحادثة ، ونهيه لأهله وأسرته دائما عما ينهى عنه الناس كافة ، واضعافه عليهم العقوبة عند الخروج عما أخذ الناس به . . . لعل هذا وأمثاله يصور لك عمر بن الخطاب بصورته الجامعة لمختلف صفات الرجولة الكاملة ، الرجولة المصلحة لكل اعوجاج ، المقومة لمن يستحق التقويم ، المرجعة لجادة الحق كل من تحدثه نفسه بالخروج على حدوده ورسومه ، والرحيمة البارة المعينة الحدبة على كل ضعيف ومحتاج ومظلوم ، فى ارتفاع سام نبيل فوق الاعتبارات الخاصة والاهواء الخاصة والميول الفردية الخاصة

***

قد تكون هذه الصورة المقدسة كثيراً عند المؤرخ المنصف ، من الأجانب والعرب والمسلمين وغيرهم ، محل تساؤل من بعض شبابنا المتعلم لعدم استساغته لبعض مناهجها فى موقف من مواقف تشديده مع عماله ، فى التقشف والزهادة ، وعدم اتخاذ باب أو حجاب لهم أو مركوب خاص أو ملبس خاص اوبناء خاص أو مظهر حكومى خاص ، لعدم انسجامها فى شكلية من شكلياتها الحكومية أو الاعتبارية لما تقضى به تقاليد الملك الخاص أو العام ، ولحقوق الولاة أو غيرهم من الشخصيات البارزة . فيجب فى غير رغبة منا فى محاولة وقف أحكام المدنيات العامة ومقتضياتها الالزامية ومن حيث أوضاعها الغربية ، الناتجة من سلسلة مطردة الاتساق فى التمدين والرقى — يجب أن نفهم العصر الذى عاش فيه عمر بعض الفهم ، وحكمة الشدة حينذاك من ناحية ، وحكمة التزام سياسة الاندماج بين أفراد الشعب من ناحية . وضرورة أخذ الصغير والكبير ازاء الاسلام مأخذاً عادلا واحداً . وضرورة تواضع الولاة لا فى المسلك السياسى العملى بل فى المسلك الشخصى الفردى تواضعا حقيقيا شعاره الزهادة والتقشف . وعدم الاغترار والاستكبار أو التنطع والجفوة والاعتزال

(البقية على صفحة ١٠٩)

عمر بن الخطاب في سنة ١٩٣٧ !..

بقلم الاستاذ فكرى أباظه

الفرض الذى فرضته على مجلة « الهلال » هو ما يأتى : « تصور أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث ، وتولى الحكم فى مصر سنة ١٩٣٧ ، أى فى هذه الأيام ، فماذا يفعل ؟؟»

والفرض كما يرى القراء فرض «جامد» ، وعويص ، ومحرج . ولكنه فى حد ذاته نوع من الأدب طريف . فلنحاول أن ننقل الى القراء اليوم برنامج « عمر بن الخطاب » فى سنة ١٩٣٧ . وليعلم القراء سلفا ـ ولا بد أنهم يعلمون ـ أن عمر بن الخطاب كان شاذاً فى حياده ، وفى نزاهته ، وفى عدله ، وفى شدته

دكتاتورية !

لا شك فى أن عمر بن الخطاب سيختار « الدكتاتورية » طابعا لحكومته وخطة لسياسته . وهو حتما سيفتك فتكا ذريعا بالدستور ، وبمجلس الشيوخ ، وبمجلس النواب . لا تحديا للديمقراطية ، وانما لانه اشتهر بالعدل ، وبالعفة ، وبالصلاح . وقد اتفق أساطين الفقه الدولى على أن أصلح الحكومات هى حكومة « الدكتاتور الصالح » ومن أصلح من عمر ؟ ! ومن أنزه من عمر ؟ ! ومن أعف من عمر ؟ !

هذه الحكومة الفذة ـ حكومة عمر ـ ستكون حتما حكومة المعجزات . فهى دكتاتورية حاكمة بأمرها ، ولكنها الديمقراطية مجسمة فى أسلوبها . . . وبذلك يسدل الستار على مغالطة كبيرة من مغالطات الحياة ، وهى أن « الحكم البرلمانى » هو ـ وحده ـ رمز الحرية ، والعدالة ، والديمقراطية . . .

مذبحة ! . . .

ولاشك فى انه لو بعث عمر وعاد عمر وحكم عمر ، لاضطر اضطراراً أن يذبح ! كان رحمه الله قاسيا وجباراً وبطاشا فى الحق وفى المصلحة ، ولن يطيق الرجل العظيم أن يشهد الأجسام العارية فى «ستانلى» و« جليمونوبلو » ، فلا بد أن يجرى حكم السكين فى الاجسام البضة الناعمة العارية ذات المانيكور والبديكور . . . ولا بد أن يجرى حكم السكين فى رقاب الآباء «المسهلين» ، والأزواج

«المقطرشين» . ولا بد أن يعيد عهد البرقع والحجاب والشبابيك ذوات الشيش ، ولابد أن يعدم الصحف والمجلات التى تنشر صور الجيلات والمدللات . ثم لابد أن يجرى حكم السكين فى شاربى الخمر ولاعبى الميسر ومديرى بيوت الدعارة السرية والعلنية . ثم لابد أن يجرى حكم السكين فى أعناق « المنافقين » وما أكثرهم فى هذه البلاد ، وستكون مذبحة المنافقين مذبحة الآلاف والملايين من المذبذبين بين اليسار واليمين ...

ثم لا بد ان يغلق عمر بنوك الرهون وحانات التسليف بالفايظ ، ثم لابد ان يجرى حكم السكين فى بطون البخلاء والكانزين والمحتكرين الشرهين . . .

الغلابة المنسيون ! . . .

فى عهد عمر - لو بعث وحكم - سيفرفش «الغلابة المنسيون» الذين لا عم لهم ولا خال ، ولا «أبلة ولا تيزة ولا أنشته» ، ولا نسيب ولا قريب . هؤلاء الذين يشتغلون فى الحكومة « كحصان الجباز » للنط والقفز . والذين طالت لحاهم ، وتقوست ظهورهم ، «وتفرفطت» أسنانهم ، فى خدمة الحكومة فلم ينالوا علاوة ولا ترقية ، قربانا للآخرين من المحظوظين والمحسوبين . هؤلاء الذين انسدت نفوسهم فلم تلحظهم عين الحظوة ولا المحسوبية ولا القرابة ولا النسب سيكونون «محاسيب» عمر ، ومحاسيب الحق والعدل والله !...

سيطهر عمر الأداة الحكومية تطهيراً ويغسلها غسلا « بالليزول » الربانى الصحيح القويم . وسينثر دواء الصراصير والفيران القتال فى غرف وردهات المصالح والدواوين للاشى بآفات المحسوبية وحشرات الرجوات ، فيعدم هذه الطوائف اعداما ويقصيها من مراكز الصدارة ويحل محلها الغلابة المنسيين . .

المرتبات

الرجل الذي كان يلتحف السماء ويفترش الحصى والرمل ويتزود بكسرة الخبز ، لن يسمح ببقاء للدللين المنعمين لابسى الحرير ومفترشى الحرير من كبار الموظفين .. سيحذف من سجلات الوظائف الدرجات الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، وسيشطب من ميزانية الدولة ما زاد عن الصفر فى الجنيهات الشهرية التى بسعر الذهب لا بسعر الورق . .

لن يسمح عمر بهذه الفوضى المالية التى تبتلع نصف الميزانية . ولن يسمح بشل حركة العمران وشل حركة الجيش والسلاح والدفاع عن الوطن وعن الاسلام ، من أجل هؤلاء المدللين المنعمين من كبار الموظفين . .

سيسحق « عمر » هذه « الرقاعة » سحقا ويمحقها محقا . و « الدكتاتور الصالح » لن يحتاج لتملق الموظفين وباقي الطوائف ، لأنه يحكم بأمره ، وبعدله ، وبذمته ، لا بمساعدة الناخبين وذوى المصالح ، وانصار المادة لا أنصار الوطن ! . .

الزكاة

سوف يجرى « عمر » حكم الزكاة وينفذه بحد السيف ، فلا يسمن عشرات من دماء ولحوم الملايين . ومتى جرى حكم الزكاة أكل الفلاح والعامل ، واكتسى العارى ، وصح العليل ، فخلق أمة « شبعانة » صحيحة قوية لا أمة « جوعانة » عليلة صفراء . .

***

وبعد فماذا تنتظرون أيها الناس أقل من هذا اذا بعث عمر ، وحكم عمر ، وكلكم تشعرون بالعلل وبالسقام ، وتحسون بالآلام . .

ولكن هل يبعث عمر حقا وهل يحكم عمر . . ؟ أبداً . . انه خيال . .

فلئن لم يبعث عمر ولن يبعث ، ولئن لم يحكم عمر ولن يحكم ، فمن السهل جدا أن يحذو « غير عمر » الحذو ، وأن ينفذ « غير عمر » المبدأ لو أراد الله ، وشاء حظ هذا البلد المنكود . .

فكرى أباظه

من كلمات العادل العظيم

* ان الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم

* أيما عامل لى ظلم أحداً فبلغتنى مظلمته فلم أغيرها ، فأنا ظلمته

* لو مات جمل ضياعا على شط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه

* أيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا فى خلق ، فليؤذنى ، فانما أنا رجل منكم

* ليس من حلم أحب الى الله ولا أعم نفعا من حلم امام ورفقه ، وليس من جهل أبغض الى الله ولا أعم شراً من جهل امام وخرقه

الجانب الفلسفي في حياة عمر

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدي

> « ان نبوغ رجل كعمر فى بيئة بعيدة عن العلم والفلسفة، وادراكه المثل الاسلامية العليا مطلقة . كما أرادها الشارع ، وفوق ما كان يدركه منها فلاسفة النفس وعلماء الاجتماع على عهده وبعد عهده باجيال ، أمر يستوقف النظر ويدعو الى الحيرة ولا مخرج منه إلا بتعليل ذلك بالعبقرية . . . »

ان لحياة عمر بن الخطاب جوانب شتى دينية واجتماعية وسياسية ، ولعل من أحفلها بالطرافة جانبها الفلسفى ، وللفلسفة معاييرها فى تقدير المواهب النفسية ، والملكات العقلية ، وطرقها فى التنقيب عما ينطوى فى اعمال العاملين من البواعث الدالة على مميزاتهم الأدبية ، ومراتبهم الروحية

ونحن ان تأملنا فى حياة عمر وما رمى اليه من غايات ، وما بدت عليه من صفات ، فى مزدحم الحوادث ، ومضطرب الانقلابات التى طرأت على جماعة المسلمين على عهده ، تبين لنا انه لم يكن رجلا عاديا ، ولكنه كان عبقريا

نقول عبقريا ونريد منه معناه العلمى لا معناه العامى ، فان العبقرية فى الاطلاق الأخير تعنى بلوغ صاحبها درجة ممتازة فى الذكاء ، ومكانة عالية من العقل . ولكنها فى الاصطلاح العلمى تعنى موهبة لا يمكن اكتسابها من طريق العلم ولا التجربة ، تؤهل صاحبها لأن يكون ملهما فيما هو بصدده حتى يبلغ درجة الابداع فيه ، بدون أن يعمل فيه فكراً ، أو يبذل جهداً

هذه حالة استثنائية يمنحها بعض الناس منحا ، ولا يستطيع أحد الوصول اليها بالاستكثار من العلم ، ولا بالتبحر فى المعرفة . جاء فى دائرة معارف (بريتانيكا) لسنة ١٩٢٩

« العبقرية شيء خارق للعادة على وجه الاطلاق ، وأرقى حتى من القوة العلميــة . وانها لتختلف فى النوع اختلافا بينا عن الألمعية الممتازة ، فان هذه تعتبر مقدرة علمية سامية ، ولكن ينقصها تلك الموهبة الفذة التى لا تقبل التفسير وهى العبقرية »

هذه هى العبقرية التى نحكم بها لعمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين . ومن عجب أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى له بها فى حديث كريم هو : « ان من أمتى ملهمين ومحدثين (بفتح الدال فيها مشددة) وان عمر منهم » . فالملهمون هم الذين يلهمهم الله الاعمال الجليلة ، والابداعات الفائقة بدون اجالة روية فى سبيل الحصول عليها . والمحدثون هم الذين تحدثهم الروحانيات العلوية وتهديهم الى سبيل التفوق فيما هم بصدده . فعمر بنص هذا الحديث عبقرى بالمعنى العلمى

فى هذا التطبيق فائدة علمية طريفة وهى أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف العبقرية بحدها العلمي قبل أن يعرف أحد مدلولها العرفى

نشأ عمر وكبر فى الجاهلية ، ولم يظهر عليه شىء من مخايل السمو الذى ظهر به فى الاسلام غير شدته وقوة ارادته . فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وبدأ يدعو العقلاء سراً الى الاسلام ، بلغ عمر أن أخته دخلت فيه ، فغضب لذلك أشد الغضب وزارها فى دارها ليلومها على ما جنت بترك دين آبائها . فلما جلس اليها وأخذ فى تأنيبها أسرعت فناولته صحيفة فيها شىء من القرآن ، فلما قرأها ـ وكان من الافراد القليلين الذين تعلموا القراءة إذ ذاك ـ وقع فى قلبه من سمو الاسلام ما حمله على أن يجتمع برسوله . فلما لقيه عرض عليه الرسول الاسلام ، وتلا عليه آيات من القرآن ، فآمن به لساعته

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الله وهو فى شدة المحنة من اضطهاد قريش اياه وأصحابه ، أن يعز الاسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام الملقب بأبى جهل ، فاختار الله لهذه المكانة عمر بن الخطاب فأسلم . فكان أول ما عمله تحقيقاً لهذه الدعوة النبوية أن أعلن اسلامه ، وكان لا يجرؤ أحد قبله على ذلك . فقد قال للنبي : « يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ » . فاجابه رسول الله : « انا قليل وقد رأيت ما لقينا »

فقال عمر : « والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالايمان » فلقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاروق من ذلك اليوم ، ومعناه الذى يفرق بين الحق والباطل . فلم يزل عمر يجهر بالاسلام ولايتعرض له أحد ، حتى أمر الرسول بالهجرة ، فهاجر جميع الصحابة مستخفين ، إلا هو فلم يتصد له أحد

كان عمر أحد عباقرة الحكم

قرر علماء النفس أن العبقرية لاتقتصر على العلوم والفنون والحروب ، ولكنها قد تكون فى الحكم أيضا . ولسنا نشك فى أن عمر كان عبقريا فيه ، لما اظهر فى خلافته من الحكمة الفذة ، والاتزان المعجز فى ملتطم حوادث تدع الحليم حائراً

لم تكن الأداة الحكومية فى القرن السابع للميلاد على شيء من التركب الآلى بحيث لا تتأثر ماجريات الشؤون الاجتماعية بوفاة عاهل وقيام آخر مقامه ، إذ كانت الحكومات كلها من الضرب الاستبدادى الذى ترجع فيه الأمور الى نفسية القائم بالأمر

والحكم فى الاسلام وان كان حاصلا على جميع الاصول التى تسمح باقامة أداة محكمة للحكم يكون من عملها تمثيل الامة فى مجلس نيابى أو مجلسين ، وتقسيم السلطات على هيئات خاصة بها ، وضمان استقلال كل منها ، فان الحوادث لا يمكن أن تسبق أزمنتها ، فكان الحكم فى الاسلام موكولا لمن

تراه الأمة أهلا لاقامة تلك الأصول اجتهاداً من تلقاء نفسه ، وقد دلت الحوادث على أن عمر قد حقق الظن فيه ، وبلغ من اقامة الأصول الاسلامية مبلغا رفعه الى درجة العبقرية

ليس من السهل فى دور الشكل الاستبدادى للحكومات أن يقيم القائم بالأمر جميع المثل العليا للتعاليم التى يصدر عنها تمثيلا صحيحاً مهما حرص على ذلك إلا اذا كان من الملهمين، لانه كيف يتسنى لعقل عادى يعيش صاحبه فى أوائل عهد القرون الوسطى المظلمة أن يفهم مغزى أصول مثالية لم نفهمها نحن الا تحت ضوء العلوم الحديثة ، ولم ندرك مراميها البعيدة الا بعد ظهورها للعيان عقب انقلابات عالمية خطيرة ؟

نعم ان كلمات حق وعدل ومساواة وأمثالها كانت تعرف مدلولاتها منذ القدم ، ولكنها كانت مدلولات تنقص أهم مؤدياتها المطلقة . حتى ان واضع الديموقراطية ارسطو أمير الفلسفة لم يدرك مؤداها المطلق ، فقرر فى بحوثه السياسية حرمان الأرقاء والعمال من حقوقهم المدنية ، الأولين باعتبار أن نفوسهم منحطة عن نفوس الأحرار ، والآخرين لاشتغالهم بالمهن اليدوية . فشتان كما ترى بين ديموقراطية أمس وديموقراطية اليوم ! وقس على ذلك سائر الكلمات الضخمة التى كان يلوكها الأقدمون بألسنتهم ولا يدركونها الا مقيدة لا مطلقة

كيف فهم عمر الأصول الاسلامية مطلقة ؟

ان نبوغ رجل كعمر فى بيئة بعيدة عن العلم والفلسفة ، وادراكه المثل الاسلامية العليا مطلقة كما أرادها الشارع، وفوق ما كان يدركه منها فلاسفة النفس وعلماء الاجتماع على عهده وبعد عهده بأجيال ، أمر يستوقف النظر ويدعو الى الحيرة ، ولا نخرج منه الا بتعليل ذلك بالعبقرية

كل ما فى الاسلام من التعاليم الاجتماعية ترجع الى أمور كلية معدودة : كاقامة الحق ، ومراعاة المساواة بين الخلق، والحكم بالعدل ، واحترام حرية الناس فى القول والعمل ، والالجأ الى الشورى فى الأمور الجامعة ، فكان عمر مثلا أعلى فى تطبيق هذه الأصول الكلية ، وله فى كل منها مواقف وكلمات نابغة ، بقيت أعلاما منصوبة لها الى اليوم

فمن أمثلة اعترافه بسلطان الأمة عليه وخضوعه لرقابتها قوله من خطبة : « اذا رأيتم فى اعوجاجا فقوموه » . فقام اليه رجل وقال : « والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فلو كان عمر اكتفى بسماع هذه الكلمة ، وأغضى عن مؤاخذة قائلها ، لعد ذلك له منقبة يتناقلها الناس ويتخذونها دليلا على وفور عقله وسعة حلمه ، ولكنه أجابه بقوله : « الحمدلله الذى جعل فى هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه »

هذه الاجابة لها مغزى اجتماعى خطير الشأن ، وهو تبريره الثورة لتقويم العوج، وهذا التبرير من ملك عظيم يعد غاية فى احترام الأوضاع المقررة والسنن المعتبرة ، لو فاز بمثلها شعب من الشعوب

التسمية فى اقامة سلطان الأمة على لسان ملك عظيم من جنسها لأقامت له نصبا فى أكبر ميادينها ، ولبنت له صرحا من الثناء الخالد على الدهر

التسليم برقابة الأمة يقتضى الديموقراطية ، فهل كان عمر ديموقراطيا بالمعنى المطلق الذى كان يفهمه خطباء الثورة الفرنسية ؟ . نعم ، واليك الأدلة :

قال كعب الأحبار : « نزلت على رجل يقال له مالك ، وكان جاراً لعمر بن الخطاب ، فقلت له كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟ فقال ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلم الناس » وعن الحسن البصرى قال : « كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام فى شيء ، فقال له الرجل اتق الله . فقال رجل من القوم أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال عمر : « دعه فليقلها لى . نعم ما قال ! لا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نقبلها »

تأمل فى قوله : « لا خير فيكم اذا لم تقولوها » ، انها والله لكلمة من أنبغ الكلمات الاجتماعية ، وهى كما تدل على مبلغ احترامه للمعارضة ، وقبوله للتقويم ، وهما ركنا الحياة السياسية ، تدل أيضا على تجريده الأمة التى تهيبها من الخير . وقوله : « لا خير فينا اذا لم نقبلها » ، تقرير بأن الحكومة التى لا تسمح بوجود المعارضة تتجرد من الخير أيضا

مثل عليا فى الديموقراطية

أبلغ من كل ما مر فى الدلالة على فهم عمر للديموقراطية الصحيحة ، ماروى أنه لما سافر الى الشام ليتفق مع أهل بيت المقدس على تسلمه المدينة ، كما شرطوا ذلك ، قصدها على بعير كان يتعاقب عليه هو وسائسه فى الطريق ، فلما شارفوا المدينة كان الدور فى الركوب للسائس وأمير المؤمنين آخذ بمقود البعير . فقال له خادمه : لو نزلت أنا وركبت أنت حتى لا تقابل الناس على هذه الحال ، فلم يجبه الى طلبه ، وقدم على مستقبليه يقود البعير لخادمه ، فكانت مفاجأة عبرة ، ولكنهم لم ينبسوا بكلام لعلمهم من هو عمر وما هى ديموقراطيته . ولما أقبل سفراء بيت المقدس لمقابلته سألوا : اين هو ؟ فأشاروا لهم اليه وكان نائما على الأرض فى ظل شجرة . فهالهم ما رأوا وأبوا ان يتفقوا مع من هذه حالته ، استنكاراً لها ، حتى يستشيروا كبراءهم . فعادوا وقصوا عليهم ما رأوا ، فقال لهم بطريقهم: ارجعوا ادراجكم ، انه طلبتنا ، وهذه حليته فى كتبنا

ولما كان فى بعض انتقالاته هنالك عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره وخلع نعليه وأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة كبير قواده : قد صنعت يا أمير المؤمنين صنعا عظيما عند أهل الأرض . فصك عمر فى صدره وقال : « أواه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ! انكم كنتم أذل الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله »

وأعظم مما مر وأحفله بالمعانى التى لا يدركها الا الآحاد ، ما رواه الفضل بن عميرة ، أن الأحنف ابن قيس قدم على عمر بن الخطاب فى وفد من العراق ، قدموا عليه فى يوم صائف شديد الحر ،

وهو محتجز بعباءة (أى ملتف بها) يهنأ بعيرا من أبل الصدقة (أى يدهنه بالهناء وهو القطران) فقال يا أحنف دع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فانه من ابل الصدقة فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين . (الأحنف هذا سيد بنى حنيفة وهو الذى قيل فيه اذا غضب غضب معه مائة الف سيف لا يسألونه فيم غضب)

فقال رجل : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا أمرت عبداً من عبيد الصدقة يكفيك هذا ؟

فالتفت اليه عمر وقال : « وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف هذا ؟ انه من ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين ، يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده من النصيحة واداء الأمانة »

نقول ليس هذا من سقوط الهمة ولكنها الديموقراطية يضع عمر بيديه أركانها ، ويقيم بقدوته بنيانها . واذا كان للعظمة معنى يرى بالعين ، فهو ما رآه الناس من أمثال هذه فى سيرة عمر . عظمة عبر عنها الاستاذان (أمن وكوتان) الفرنسيان فى تاريخهما العام بقولهما : « ان هذا العاهل الذى كانت ثيابه مرقعة كانت ترتعد فرائص الملوك عند ذكر اسمه »

الديموقراطية تساوى بين السادة والعبيد

من أمثلة المساواة التى كان عمر يقيم حكمه عليها ما رواه الحسن البصرى قال : « حضر باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب فى نفر من قريش من تلك الرءوس ، وصهيب وبلال من تلك الموالى (أى الذين كانوا عبيدا) ممن شهدوا بدرا . فخرج اذن عمر لهم وترك أولئك . فقال أبو سفيان وكان من سادات قريش : لم أر كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت الينا ؟ فقال سهيل بن عمر — وكان رجلا عاقلا — : أيها القوم انى والله أرى الذى فى وجوهكم . ان كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم ودعيتم (يريد دعوا الى الاسلام) ، فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامة وتركتم ؟ »

ولما طلب الناس الى عمر ، وهو يجود بنفسه ، أن يستخلف عليهم . أجابهم : « والله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً ما جعلتها شورى » أى لاستخلفته عليكم . وسالم هذا كان رقيقا مملوكا

وخطب الفاروق يوما فقال : « أيها الناس انى والله ما أرسل عمالا اليكم (أى ولاة) ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شىء سوى ذلك فليرفعه إلىّ ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه »

فوقف عمرو بن العاص وقال : « يا أمير المؤمنين أرأيت ان كان رجل من أمراء المسلمين أدب بعض رعيته أإنك لتقصنه منه ؟ » . فقال عمر : « إى والذى نفس عمر بيده انى لأقصنه منه ، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟ »

اذا تبجحت أمة بأنها تقيم مبدأ المساواة بين الناس ، فلتكن من هذا الطراز المطلق ، وإلا فهى صورة ناقصة لها كأكثر ما نسمعه عنها ، وما نراه منها

العدل المطلق لا ينافى النظام

من أمثلة حرص عمر على حفظ النظام ما رواه أبو ساعدة الهذلى قال : « رأيت عمر بن الخطاب يضرب التجار بدرة اذا اجتمعوا على الطعام بالسوق (أى يضرب باعة الأطعمة اذا تكدسوا بالسوق) حتى يدخلوا سكك أسلم (هو حى بالمدينة) ، ويقول لا تقطعوا علينا سابلتنا »

أليس هذا بعينه ما تكلف به الشرطة من تنظيم حركة المرور فى الشوارع الكبرى ؟ فلو كنت « كونستابلا » لباهيت بعملى الذى وضع أساسه أكبر ملوك الأرض بنفسه

وقال السيب بن دارم : « رأيت عمر بن الخطاب يضرب جمالا وهو يقول : حملت جملك ما لا يطيق »

فمن لى بمن يبلغ جماعات الرفق بالحيوانات أن عمر بن الخطاب سبقهم الى سن هـذا النظام أكثر من ثلاثة عشر قرنا وباشره بنفسه ؟

وقال الأحنف بن قيس : « وفدنا على عمر بفتح عظيم . فقال أين نزلتم ؟ فقلت فى مكان كذا . فقام معنا حتى انتهينا الى مناخ رواحلنا ، فجعل يتخللها يبصره ويقول : ألا اتقيتم الله فى ركابكم هذه ؟ أما علمتم أن لها عليكم حقا ؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض ؟ »

وبعد فان هذه السيرة التى تتجلى فيها المثل العليا للحكم فى غاية أبهتها ، وتطبق الى أقصى حدودها ، لا تتأتى الا اذا كان القائم بها عبقريا

نعم ان عمر لم يفعل غير أن نفذ الأصول التى دونت فى الكتاب والسنة ، ولكن تنفيذها على النحو الباهر لا يتأتى الا من طريق العبقرية ، فهى وحدها التى تلهم صاحبها التوفيق في كل مايعرض له من الشئون ، والشئون الاجتماعية مآزم ومآزق لا يغنى فيها مجرد التشدد فى تطبيق حرفية المثل العليا ، ولكن لا بد فيها من تصرف وجدانى يضع الأمور مواضعها ، وهنا مجال فسيح للعبقرية . والا فلم قرر علماء النفس وجود عبقرية للحكم ؟ أليست أصول الأحكام القويمة مقررة مرسومة ؟ نعم . ولكن تطبيقهـا على الحوادث ، وتحويل الماجريات الى سبيلها القيم ، واستغلال الظروف لمصلحة الجماعة دون الاخلال بسلطان تلك الاصول ، والاستفادة من مرونتها فى حدودها المقررة ، وتعيين مواضع هذه الرخصة وأوقاتها ، كل هذه مجالات تتفاضل فيها النفوس

وان مما يوجب لنا التفاؤل أن يكون أول ملك مصرى مستقل صنياً لعمر بن الخطاب فى أخص ألقابه ، وانا لنرجو ان يكون جلالته أشبه الناس به فى اخص صفاته . وقد تجلت مخايل ذلك على جلالته على قرب عهده بالعرش ، اعز الله به مصر والمصريين

محمد فريد وجدى

بطولة الفاروق

تتمثل فى أخلاقه وعقليته

بقلم الاستاذ احمد أمين

لعمر بن الخطاب نوعان من البطولة كان كل واحد منهما يكفى ليكون بطلا عظيما ، وفى التاريخ أمثلة كثيرة من الابطال كانت بطولتهم من ناحيـة واحدة ، أما بقية نواحيهم فعادية أو أقل من العادية

فى الناس من بطولته من ناحية عقله ، فهو يرى أبعد مما يرى الناس ، ثم هو فى غير هـذه الناحية كسائر الناس . وفيهم من بطولته من ناحيـة شجاعته ، فاذا جاوزت الشجاعة وجدته كأوساط الناس أو أقل من أوساطهم . وفيهم من بطولته من ناحية مهارته السياسية ثم هو لا شىء بعد ذلك

ولـكن عمر كان فرداً من أفراد قلائل تعددت نواحى بطولتهم ، سمح بهم الزمان فى فترات طويلة وبعد شح مفرط وبخل نادر

كان عمر بطلا فى أخلاقه وليس فى خلق واحد منها ، وكان بطلا فى عقليته وليس فى ناحية واحدة منها أيضا

أما ناحية الأخلاق فكان رجلا بكل ما تحتمله كلمة الرجل من المعانى ، كان رجلا فى كفره ورجلا فى اسلامه ، لا يميل الى الدنية ولا ينظر الى الصغائر . كان كافراً فكان الكفر يعتز به ، ثم كان مسلما فكان الاسلام يعتز به ، وكان رسول الله فى أول دعوته يقول : « اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام » فاستجيب دعاؤه فى عمر ، فلما أسلم رن اسلامه فى الأوساط الوثنية وأحدث حسرة وأسفا وانخذالا ، ورن فى الأوساط الاسلامية فأحدث فرحا وسروراً واغتباطا ، لأن كفر عمر واسلامه ليس كسائر الناس ، فى الناس من اذا وضع فى كفة أو فى أخرى لم تتأثر الأولى ولا الثانية ، وفيهم من اذا وضع فى كفة رجحت ورجحت حتى النهاية ، ومنهم عمر . ومن أجل ذلك قال ابن عباس : « لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا » وأنزل الله : « يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »

أسلم عمر فغير حياة المسلمين الاجتماعية ، كانوا لا يجرءون على الجهر بشعائر دينهم فجهروا بها

منذ أسلم عمر ، وكانوا يستترون فى الدعوة فأعلنوها ، وخرج المسلمون على أعين المشركين فى صفين ، فى أحدهما حمزة وفى الآخر عمر حتى دخلوا المسجد . فلو أن آلافا من عامة الناس أسلموا ما عدلوا عمر . وصدق ابن مسعود إذ يقول : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر »

كان الحق متقنعاً فأبى عمر لما أسلم الا أن ينبلج ، وكانت الدعوة الى الاسلام من وراء حجاب فأبى عمر الا أن تكون علانية وعلى سمع الناس وبصرهم ، فكان ما أراد

وهكذا كان بطلا فى صراحته ، بطلا فى شجاعته ، حمل نفسه على كفه دفاعا عن عقيدته فلم يخش بأسا ولم يخش قتلا ، وصمم أن يموت أو تعلو كلمة الاسلام ، فكانت الثانية

هاجر الصحابة مستخفين من أذى قريش واضطهادهم ، أما عمر فلما أراد أن يهاجر الى المدينة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما ومضى نحو الكعبة والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أتى المقام فصلى متمكنا ، ثم طاف على جماعات قريش واحدة واحدة يعلنهم بهجرته ، ثم قال : من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده ويرمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى ، فما تبعه أحد منهم

لم تكن المسألة مسألة قوة فى بدنه واستكمال لآلات قتاله ، فقد كان فى قريش من هو أعلم منه بالقتال ، وأشد منه فى النضال ، ولكن نفس عمر كانت دونها كل نفس من هؤلاء المحيطين بفناء الكعبة ، وكانت هذه النفس القوية الكبيرة تشع رهبة ، وتبعث اجلالا ، حتى تستخذى أمامها النفوس . كذلك كانت نفسه فى جاهليته ثم زادت قوة فى اسلامه « والناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام »

***

ثم تتجلى بطولة عمر الاخلاقية فى العدل التام أيام خلافته

لقد كان يتصور العدل تصوراً دقيقا بديعا ، ثم منح من الارادة القوية ما استطاع أن ينفذ هذا العدل الذى يتصوره فى دقة وقوة وحزم قل أن يكون لها نظير

طبق العدل فى كل شيء ، ومع كل أحد ، إلا مع نفسه وأهله ، فقد تحامل عليهم ، وحرمهم حتى مما أحله الله ، وضحى بنفسه وبهم ليرد طمع العمال والولاة ، ويقيم سيرته مثلا لمحاربة الأنانية وتضحية الشهوات والملذات فى سبيل الله وللمصلحة العامة

يعدل مع العمال فى كل صغيرة وكبيرة ، ولا يرحم من تبدر منه بادرة أو يزل زلة ، وينصف الرعية من العمال ويبعث المفتشين يستقصون أخبار الرعية واخبار العمال

ويعدل فى أهل الذمة من يهود ونصارى فيوصى العمال والرعية بهم خيراً

ويعدل مع الجنود فيوفر عليهم رزقهم ولا يطيل مدة غربتهم

وهكذا يقدر المسئولية تقديراً فى منتهى الدقة ، ويخشى ان يقع ظلم ما على امرأة نائية فى اقصى

الأرض فيحاسبه الله عليها ، يضاف الى ذلك ما منح من فراسة صادقة فى اختيار الولاة والعمال ، ينظر النظرة فى وجه الرجل فاذا هو كأنه صحيفة مكتوبة يقرأ فيها كل ما يخفيه الرجل فى نفسه — يعرف مواضع القوة فى رجاله ومواضع الضعف فيهم ، ثم يعرف كيف يستغل ضعف هـذا وقوة ذاك فى خير الناس

صراحة فى القول والعمل الى أقصى حد ، وشجاعة تستهين بالموت فى سبيل العقيدة ، وعدل دقيق فى كل امر ، ومهابة تملأ صدر كل من رآه او سمع به ، وفراسة صادقة تخترق الحجب لترى ما وراءها ، وسهر على مصالح الرعية ، وعظم تقدير ما عليه من مسئولية — كل هذه بعض خصال عمر التى تكونت منها بطولته وجعلته موضع الاعجاب على اختلاف الاجيال ، ممن كان من اهل دينه وممن خالفه في دينه

* * *

وليست تقل بطولته العقلية عن بطولته الخلقية ، فما نشأة عمرهذا ؟ لقد كان فى صباه يرعى غنم ابيه احيانا ويحتطب احيانا، فلما شب كان يتاجر فى ماله القليل ، ولكنه مع هذا منح عقلية فى منتهى الغرابة فى الصفاء وبعد النظر وادراك الحقائق : تجلى هـذا فى أول اسلامه فكان رأيه موفقا ، وكثيراً ما يرى الرأى فينزل فيه القرآن موافقا له ، حتى بلغ هذا اكثر من عشرين موقفا . من ذلك رأيه فى الخمر وتحريمها ، وقد روى فى هذا الباب ان رسول الله قال : « لقد كان فيما قبلكم من لأمم محدثون (أى ملهمون) فان يك فى أمتى أحد فانه عمر »

أغرب من هذا كله أن هذا الراعى الصغير والتاجر الصغير ومن لم يجلس فى حياته فى مدرسة ولم يتعلم درساً فى الجغرافيا والاقتصاد والسياسة والحرب ينظم الجيوش لفتح أعظم مملكتين فى العالم ، وهما فارس والروم ، ويعرف مواقع البلاد ومن أين تؤتى ، ويبعث بالأوامر تلو الأوامر للقواد كيف يقاتلون وأين يتوجهون ، ويرسم لهم الخطط كيف ينتصرون ، حتى يتم له القضاء على هاتين المملكتين العظيمتين

وكان يكون الأمر سهلا لو كانت المسألة مسألة فتح وغزو كما تفعل الأمم المتبربرة فى غزو الأمم المتحضرة ، ولكن ليس الأمر كذلك فهو فتح منظم ، وادارة للامم المفتوحة ، وحكم لهم بأساليب خير مما كانوا يحكمون . هذه العقلية الجبارة العجيبة هى التى نظمت الدواوين فى بلاد فارس والروم ، ووضعت نظم زرع الأراضى وريها وخراجها ، ووضعت التعاليم التى تنظم علاقة الفاتح بالمفتوح ، حتى كانت تعاليم عمر فى الجهاد وفى الفتح وفى الخراج وفى نظام الكنائس والأديرة وفى معاملة أهل الذمة هى المصدر الذى يعتمد عليه الخلفاء والفقهاء والقضاة فى شؤون الدولة على مر العصور

هذا العقل الذى يعلم فارس والروم نظام الحياة الاجتماعية وهم هم أبناء المدارس النظامية ،

والنظريات القانونية ، والتعاليم الحربية ، والمبادىء الاقتصادية ، هو ولا شك عقل جبار خارق للعادة ، خارج عن مألوف ما نرى ونسمع فى تاريخ الأمم

تدفقت الأموال على جزيرة العرب فعرف كيف يضبطها وينظمها ويوزعها فى مصالح المسلمين وأنشأ لذلك الدواوين

وفتحت الفتوح الواسعة فعرف كيف يقسمها الى امارات حربية وامارات سياسية وكيف يوزع الاختصاص حتى لاتتعارض المصالح

ويسافر الى الشام فيرتب الجند التى تغزو فى الصيف والتى تغزو فى الشتاء ، وينظم المسالح ويأمر باقامة الحصون وترتيب المقاتلة

ويرتب الأمراء لكل امارة وما يلزمها من قضاة وكتاب

ويرتب البريد حتى تصل اليه الأخبار عن البلاد النائية فى أسرع ما يمكن ، ويمصر البلدان كما فعل فى البصرة والكوفة ، ويستفتى فى كل مايعرض من مشاكل الفتح الحربية والاقتصادية والجغرافية والاجتماعية فيأمر فيها بالرأى الصادق والنظر البعيد

يضاف الى ذلك معرفة دقيقة بطبيعة الأمة الفاتحة وأخلاقها ، وما يصلح لها وما لا يصلح ، والأمم المفتوحة وكيف تساس على اختلاف نزعاتها وعقلياتها

* * *

ان أخلاقاً كالتي وصفنا ، وعقلية تتسع لكل ما عددنا ، تبتكر فى النظم وتعدل ـ مع نشأتها البدوية ـ مناهج السياسة الفارسية والرومية وترقيها الى مستوى أعلى كثيراً مما كانت عليه ، لهى جديرة حقا بكل اعجاب ، وخليقة أن تذكر فى أوائل سجل الأبطال ، على مر الأجيال ! !

احمد امين

رقة عمر

* استعمل عمر بن الخطاب رجلا من بنى أسد على عمل ، فجاء يأخذ عهده . فأتى عمر بعض ولده فقبله ، فقال الأسدى : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين ؟ والله ما قبلت ولداً قط ! . فقال عمر : فأنت والله بالناس أقل رحمة . . . هات عهدنا ، لا تعمل لى عملا . . .

الفاروق: الأديب الناقد

بقلم الاستاذ على الجارم بك

المفتش الاول للغة العربية بوزارة المعارف

«.. امتزج تقدير عمر للشعر واحساسه بروعته وجماله، بقوة نزعته الدينية وبما رسخ فى نفسه من الايمان المكين، وكان يميل الى الصدق فى المديح والى الحكمة العالية والى الجد فى القول. وكان يستنكر الهجاء، ويحاول تأويله نزوعا الى درء الحدود بالشبهات..»

يستطيع الباحثون أن يجدوا مجالا فسيحا للقول اذا حاولوا الحديث عن عدل الفاروق وحكمته ودينه وسياسته. ويستطيع المؤرخون أن يظفروا فى حياة الخليفة العظيم بنبع فياض ينقع الغلة ويشفى العلة. ويستطيع المؤرخون أيضا أن يهتدوا عند النظر فى سيرته الشريفة ببارق يؤسسون فى ضوئه ما شاءوا من نظريات لنظام الحكم العادل وصفات الحاكم الحكيم

ولكن الأديب اذا نظر فى حياة عمر رضى الله عنه ـ وقد كانت حياة جد وصرامة وجهاد وعزم ـ لا يجد الا لمحات هنا وهناك انتثرت فى كتب الأدب يعثر عليها بين الحين والحين

وقلة ما بين أيدينا من لفتات الفاروق في الادب ونقده للشعر انما كانت لأن الكاتبين الأولين حينما كتبوا تاريخه العظيم توجهوا الى أبرز صفاته وأظهر مميزاته فبهرهم لألاؤها، وملك عليهم زمام القول جلالها، ورأوا أن الوقت أضيق من أن يتسع لاستقصائها، فأسرعوا يدونون منها ما يستطيعون ويتلقفون من كريم أخبارها ما يتلقفون

أرأيت البحر الخضم المائج وقد وقفت على طرف من سيفه، أكنت مستطيعا أن تحيط بمداه، أو تقف طرفك عند منتهاه؟

أرأيت السماء الصافية فى الليلة الصاحية وقد طرزت النجوم رقعتها ولمعت الزهر على شطآن مجرتها؟ أترى وقد أرسلت طرفك الى هذا الفضاء الفسيح انك قادر على عد هذه الكواكب المشتبكة المتناثرة؟

كان الفاروق أديبا، وكان له ذوق عربى صميم فى نقد الشعر، ونظرة البصير فى الحكم على جيده ورديئه. ولو أن المؤرخين عنوا بهذه الناحية من حياة عمر لوصل الينا منها الجم الكثير

كانت النزعة الادبية فيه شديدة الاحساس. وهذه النزعة هي التى دفعته الى الدخول فى الاسلام

فهو لم يسلم خوفا من أحد ، ولم يسلم رغبة فى جاه أو عتاد ، ولكنه أسلم لانه قرأ القرآن الكريم وتأثر به فملك شعوره وأخذ عليه نواحى نفسه

وقد امتزج تقدير عمر للشعر وإحساسه بروعته وجماله ، بقوة نزعته الدينية وبما رسخ فى نفسه من الايمان المكين ، فكان يميل الى الصدق فى المديح وإلى الحكمة العالية والى الجد فى القول ، وكان يستنكر الهجاء ويحاول تأويله نزوعا الى درء الحدود بالشبهات . وكان شديد الميل الى شعر زهير بن أبى سلمى ، لمزيد عنايته بصقل شعره وتهذيبه ، ولكثرة ما كان يأتى فى تضاعيف كلامه من الحكم ، ولانه كان لا يمدح الا مستحقا ، ولانه كان شاعر سلم لا شاعر حرب ، وقف مواهبه الشعرية على الاصلاح بين القبائل وحقن دمائها . فقد كان عمر يقول : أشعر الشعراء من يقول من ومن ومن ، يقصد زهيرا ويشير الى ما جاء من صنوف الحكمة فى آخر معلقته

دخل مرة على عمر بن الخطاب ، ابن هرم بن سنان (ممدوح زهير) فقال له : من أنت ؟ قال : انا ابن هرم بن سنان . قال : صاحب زهير ؟ قال : نعم . قال : اما انه كان يقول فيكم فيحسن . قال : كذلك كنا نعطيه فنجزل . قال : ذهب ما اعطيتموه وبقى ما اعطاكم

قال ابن عباس : قال لى عمر بن الخطاب : انشدنى من قول زهير ، فأنشدته قوله فى هرم بن سنان ابن حارثة حيث يقول :

قوم ابوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأفلاذ من ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا إنس اذا امنوا ... مرزّؤون بهاليل اذا احتشدوا
محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر : ما كان أحب الى لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله !

فعمر هنا بعربيته الذواقة يدرك جلال الشعر وجماله وقوته ، وباسلامه الراسخ لايريد إلا أن يكون الشعر صورة للحق الأبلج لا ختل فيه ولا خداع ، فهو لذلك يود لو كانت أبيات زهير مديحا فى بيت النبوة ليتم له المثل الأعلى الذى يريده للشعر وهو أن يصل الى قمة البلاغة مع الصدق الذى لايعبث به رياء

وقال عمر مرة ــ فيما روى الرواة ــ لابن عباس : أنشدنى لأشعر الناس الذى لايعاظل بين القوافى ولا يتبع حوشىّ الكلام . قال : من ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير بن أبى سلمى . فلم يزل ينشده حتى أصبح

وكان عمر يطرب لقول زهير :

فان الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفاذ أو جلاء

ويلى زهيرا فى المنزلة عنده نابغة بنى ذبيان للسبب الذى ذكرناه آنفا ، وهو جزالة شعر النابغة ،

وميله الى الحكمة وضرب المثل، ولأنه في كثير من اعتذاراته للنعمان كان يصور الحقائق كما هي من غير مواربة أو مغالاة

دخل على الفاروق مرة وفد من غطفان فقال لهم من الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : نابغة بنى ذبيان . قال لهم : من الذى يقول :

أتيتك عاريا خلقا ثيابى   على وجل تظن بى الظنون

فألفيت الأمانة لم تخنها   كذلك كان نوح لا يخون

قالوا هو النابغة ، قال : هو أشعر شعرائكم . والبيت الثانى من بيتى النابغة يشبه لغة الاسلام ولعل ذلك كان سببا فى اعجاب عمر بهذا الشعر، فقد رسخ الدين الكريم فى نفسه رسوخا حبب اليه كل شىء من الشعر فيه أخلاق الاسلام وآدابه

حج مرة فلما كان بضجنان قال : لا إله إلا الله العلى العظيم المعطى من يشاء ما شاء ، كنت بهذا الوادى فى مدرعة صوف أرعى ابل الخطاب ، وكان فظاً يتعبنى اذا عملت ويضربنى اذا قصرت ، وقد أمسيت الليلة وليس بينى وبين الله أحد ثم تمثل :

لا شىء مما ترى تبقى بشاشته   يبقى الاله ويودى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه   والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجرى الرياح له   والجن والانس فيما بينها ترد

أين الملوك التى كانت نوافلها   من كل أوب اليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب   لا بد من ورده يوما كما وردوا

وأشهد أن هذا الشعر لم يعظم عند عمر إلا لأنه يفيض بآداب الدين وينطق بلغة الاسلام

وكثيراً ما كانت القبائل أو عظماء العرب تفزع الى عمر رضى الله عنه يستعدونه على الشعراء الذين هجوهم ، فكان عمر رفقا بالشعراء وابعاداً للشر عنهم يتكلف التأويل لهذه الاهاجى ، ويبالغ فى تهوين أمرها ، وهو اعلم بما انطوت عليه من سم زعاف . وحكايته مع الزبرقان بن بدر والحطيئة مشهورة

ولما هجا النجاشى رهط تميم بن مقبل استعدوا عليه عمر وقالوا يا امير المؤمنين انه هجانا ، قال : وما قال فيكم ؟ قالوا قال :

اذا الله عادى أهل لؤم ودقة   فعادى بنى عجلان رهط ابن مقبل

قال عمر : هذا رجل دعا فان كان مظلوما استجيب له وان لم يكن مظلوما لم يستجب له . قالوا فانه قد قال :

قبيلته لا يغفرون بذمة   ولايظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشية   اذا صدر الوراد عن كل منهل

قال عمر : ليت آل الخطاب مثل هؤلاء فان ذلك أجمّ وأمكن ، قالوا فانه يقول :

وما سمى العجلان إلا لقوله   خذ القعب واحلب ايها العبد واعجل

قال : سيد القوم خادمهم فما أرى بهذا بأسا

والخلاف فيما أعتقد بين رهط تميم وعمر أنهم يفهمون الشعر بروح الجاهلية،وعمر رضى الله عنه يفهمه بروح الاسلام

كان عمر مع هذا يبغض صريح الهجاء ويستنكره ، وقد حبس فيه الحطيئة لما لم يجد مناصا من عقوبته ،ولكنه كان يتأثر بالشعر اذا استعطف به.وقد كان الحطيئة حين استعطفه ليطلق سراحه أعلم الناس بأخلاق الفاروق،فجاءه أولا من ناحية بنيه الصغار وما يلاقون من جوع وشظف بعد حبس أبيهم ، ثم لما هم بمدحه لم يجاوز الحد ولم يقل إلا حقا :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ   زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة   فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه   ألقت اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها إذ قدموك لها   لكن لأنفسهم قد كانت الأثر

لذلك أمر عمر باطلاقه وأخذ عليه ألا يهجو مسلما

وكان عمر رضى الله عنه شاعرا مقلا . قال سعيد بن المسيب كان أبوبكر شاعرا وعمر شاعراً وعلى أشعر الثلاثة

وقد كان شعره صورة من نفسه المؤمنة ، حتى انه حينما أراد أن يرتجز لحداء ناقته كان يقول :

اليك يغدو قلقا وضينها   مخالفا دين النصارى دينها

أى دين صاحبها . ومن قوله يوم فتح مكة :

ألم تر أن الله اظهر دينه   على كل دين قبل ذلك حائد
غداة أجال الخيل فى عرصاتها   مسومة بين الزبير وخالد
فأمسى رسول الله قد عز نصره   وامسى عداه من قتيل وشارد

هذا موجز فى الناحية الأدبية الشعرية من حياة الفاروق ارجو ان يكون فيه غنية للمتأدبين

على الجارم

عمر عدو الاسلام
عمر ناصر الاسلام

بقلم الاستاذ محمود أبو العيون
شيخ المعهد الدينى بالزقازيق

« .. عمر بن الخطاب عدو الاسلام، هو هو عمر بن الخطاب ناصر الاسلام، لا هوادة لأحد من الناس عنده فى حق، عزيز الجانب، قوى العزيمة، منيع لا ينال، صلب فى جاهليته واسلامه .. »

ينحدر عمر بن الخطاب من أصلين فارعين فى الشرف من بيوتات العرب المؤثلة ، ويضرب فى أكرم أصلابها وأشرف أرومتها من قريش ، فهو من جهة ابيه ينتسب الى الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب ، يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى نسبه الشريف . ومن جهة أمه الى حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم . فهو من قريش أبا وأما فى الذرة والسنام . وكانت لقريش فى الجاهلية مفاخر معروفة ، ومكارم معدودة ، تنتقل فى بيوتها من جيل الى جيل ومن بطن الى بطن ،وقد اتصل الشرف من تلك البيوت الى عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهؤلاء الرهط هم الذين انتهت اليهم مكارم قريش فى الجاهلية ، واتصلت بالاسلام

وعمر بن الخطاب كان من أولئك الرهط ، وكانت اليه السفارة فى الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيراً ، وان نافرهم حى لمفاخرة جعلوه منافراً ورضوا به . كما كانت الأشناق ، وهى الديات ، والمغرم لأبى بكر الصديق ، فكان اذا احتمل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه ، وان احتملها غيره خذلوه . ولعباس بن عبد المطلب سقاية الحاج فى الجاهلية وبقى له ذلك فى الاسلام . ولعباس بن طلحة اللواء ، والسدانة مع الحجابة. ولخالد بن الوليد القبة والأعنة ، فأما القبــة فانهم كانوا يضربونها ، ثم يجمعون اليها ما يجهز به الجيش ، وأما الأعنة فانه كان على خيل قريش فى الحرب . كما كان لأبى سفيان بن حرب العقاب وهى راية قريش . وكما كانت الرفادة ، والمشورة ، والندوة والايسار ، والاموال المحجرة لآلهتهم والحكومة لآخرين . فهذه مكارم قريش فى الجاهلية يتوارثونها كابراً عن كابر ، وكان كل شرف

من شرف الجاهلية أدركه الاسلام وصله لهم ، وقد عرفت مكانة عمر من الشرف فى قريش منزلة ونسبا

ولم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام عمر ، وكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حفص ، وكان ذلك يوم بدر ، كما لقبه بالفاروق

وكان عمر فى قومه مشهوراً بالشدة ، قوى الشكيمة ، لايرام ما وراء ظهره ، وكانت قريش معادية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمر وأبو جهل كانا من أشد رجالات قريش عداوة له واضطهاداً ، حتى كان المسلمون قبيل اسلام عمر بن الخطاب يجتمعون فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى فى أصل الصفا ، مستخفين لقلتهم ولشدة قريش عليهم ، وكانوا لقلتهم فى حاجة الى الاستكثار من ذوى العصبية والجرأة والاقدام من رجالات قريش ليستطيعوا اعلان دينهم ، والذود عن نبيهم

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتوقع خيراً للمسلمين باسلام أحد الرجلين ، عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام ، فكان يقول : «اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك ـ عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام » يعنى أبا جهل

مما تقدم تعلم كيف كانت عداوة عمر للاسلام وخصومته للمسلمين ، وشدته عليهم ، ومنزلته عند الرسول ، حتى دعا الله أن يعز الاسلام به ، أو بعمرو بن هشام . فاستجاب الله دعاءه ، وأعز الاسلام بأحب الرجلين اليه ، وهو السعيد الموفق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأسلم فى ذى الحجة لست سنين من البعثة ، قيل وباسلامه أتم عدة أربعين رجلا مسلما ، ومعهم ثلاث وعشرون امرأة ، وكانت سنه ستة وعشرين عاما

ولاسلامه قصة عجيبة يحسن إيرادها هنا ، وقد وردت فيها روايات كثيرة نورد منها ما أخرجه الحافظ عزالدين الجزرى فى «أسد الغابة» عن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده ، قال : قال لنا عمر بن الخطاب : «أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء اسلامى ؟» قلنا : نعم . قال : «كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا أنا يوما فى يوم حار شديد الحر بالهاجرة فى بعض طرق مكة ، إذ لقينى رجل من قريش فقال : أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ انك تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر فى بيتك ! قلت : وما ذاك ؟ قال : اختك قد صبأت . فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ، ويصيبان من طعامه ، وقد كان ضم الى زوج أختى رجلين . فجئت حتى قرعت الباب ، فقيل:من هذا ؟ قلت ابن الخطاب ، وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن فى صحيفة معهم، فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا . وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لى ، فقلت : يا عدوة نفسها قد بلغنى أنك صبوت . فأرفع شيئا فى يدى فأضربها به فسال الدم ، فلما رأت المرأة الدم بكت ، ثم قالت : يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت ، فدخلت

وأنا مغضب فجلست على السرير ، فنظرت فاذا بكتاب فى ناحية البيت ، فقلت : ما هذا الكتاب ؟ اعطينيه ، فقالت : لا اعطيك ، لست من أهله ، أنت لاتغتسل من الجنابة ، ولا تطهر ، وهذا لا يمسه إلا المطهرون . فلم أزل بها حتى أعطتنيه فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى ، ثم رجعت الىّ نفسى فاذا فيها « سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم » . فكلما مررت باسم من اسماء الله عز وجل ذعرت ، ثم ترجع الىّ نفسى حتى بلغت « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » حتى بلغت الى قوله : « ان كنتم مؤمنين » . فقلت أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه منى ، وحمدوا الله عز وجل ، ثم قالوا : يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال : « اللهم أعز الاسلام بأحد الرجلين » ـ اما عمرو بن هشام ، واما عمر بن الخطاب . وانا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك فابشر ، فلما عرفوا منى الصدق ، قلت لهم : اخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هو فى بيت فى أسفل الصفا وصفوه فخرجت حتى قرعت الباب ، قيل : من هذا ؟ قلت ابن الخطاب وقد عرفوا شدتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامى ، فما اجترأ احد منهم أن يفتح الباب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افتحوا له ، فانه ان يرد الله به خيرا يهده » ، ففتحوا لى ، وأخذ رجلان بعضدى حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أرسلوه ، فأرسلونى . فجلست بين يديه ، فأخذ بمجمع قميصى فجذبنى اليه ، قلت : أشهد أن لا اله إلا الله وانك رسول الله . فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة وكانوا قبل ذلك مستخفين ، ثم خرجت فكنت لا أشاء أن أرى رجلا أسلم يضرب إلا رأيته ، فلما رأيت ذلك ، قلت : لاأحب إلا أن يصيبنى ما يصيب المسلمين فذهبت الى خالى (يعنى أبا جهل ابن هشام) وكان شريفا فيهم ، فقرعت الباب عليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : ابن الخطاب ، فخرج الى ، فقلت له : اشعرت بأنى صبوت ؟ قال : فعلت ؟ فقلت : نعم ، قال: لا تفعل ، قلت : بلى قد فعلت ، قال : لا تفعل ، فأجاف الباب دونى وتركنى . فلما رأيت ذلك انصرفت ، فقال لى رجل : تحب أن يعلم اسلامك ؟ قلت : نعم ، قل : فاذا جلس الناس فى الحجر واجتمعوا أتيت رجلا لم يكن يكتم السر ، فاصغ اليه ، وقل له فيما بينك وبينه انى قد صبوت ، فانه سوف يظهر عليه ويصيح ويعلنه . فاجتمع الناس فى الحجر ، فجئت الرجل فدنوت منه فأصغيت اليه فيما بينى وبينه ، فقلت : أعلمت أنى صبوت ؟ فقال : ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا . فما زال الناس يضربوننى وأضربهم ، فقال خالى : ما هذا ؟ فقام على الحجر فأشار بكمه فقال : ألا انى قد أجرت ابن أختى ، فانكشف الناس عنى وكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يضرب إلا رأيته وأنا لا أضرب ، فقلت : ما هذا بشىء حتى يصيبنى مثل مايصيب المسلمين ، فأمهلت حتى اذا جلس الناس فى الحجر وصلت الى خالى

فقلت : اسمع ، فقال : ما أسمع ؟ قلت : جوارك عليك رد ، فقال : لاتفعل يا ابن اختي، قلت : هو ذاك ، فقال : ما شئت . قال : فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام »

وروى عن عائشة أن عمر لما أسلم قال : يا رسول الله ، علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فقال : يا عمر إنا قليل ، فقال عمر : والذي بعثك بالحق نبياً لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالايمان . ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهم ينظرونه ، فقال أبو جهل بن هشام : زعم فلان انك صبوت ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فوثب المشركون، فوثب عمر على عتبة بن ربيعة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل أصبعه في عينيه ، فجعل عتبة يصيح ، فتنحى عنه الناس ، فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا منه حتى أحجم الناس عنه ، واتبع المجالس التي كان يجلس فيها ، فأظهر الايمان ، ثم انصرف الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر عليهم ، فقال : ما يحبسك بأبي أنت وأمي ؟ فوالله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا ظهرت فيه بالايمان غير هائب ولا خائف . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت ، وصلى الظهر معلنا . قالوا : فنظرت قريش الى حمزة وعمر ، فأصابتهم كآبة شديدة . ومن يومئذ سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق ، لانه أظهر الاسلام ، وفرق بين الحق والباطل

فقد روى عن ابن عباس قال : سألت عمر : لأي شيء سميت الفاروق ؟ فقال : « اسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ، ثم شرح الله صدري للاسلام ، فقلت : الله لااله إلا هو له الاسماء الحسنى ، فما في الارض نسمة هي أحب الي من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت أختي : هو في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا ، فأتيت الدار ، وحمزة في أصحابه جلوس في الدار ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت ، فضربت الباب ، فاستجمع القوم ، فقال لهم حمزة : مالكم ؟ قالوا : عمر بن الخطاب ، قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بمجامع ثيابه ، ثم نثره نثرة ، فما تمالك أن وقع على ركبتيه ، فقال : فما أنت بمنته يا عمر ؟ قال : قلت : اشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، واشهد انك محمد عبده ورسوله ، قال : فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. فقلت: يا رسول الله ، ألسنا على الحق إن متنا وان حيينا ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم ، قلت : ففيم الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن ، فأخرجناه صلى الله عليه وسلم في صفين ، حمزة في أحدهما ، وأنا في الآخر ولي كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد ، قال : فنظرت قريش إلي والى حمزة ، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها ، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق ، فرق الله بي بين الحق والباطل » خرجه صاحب الصفوة والرازي

وعن ابن مسعود قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ، وعنه قال : كان اسلام عمر فتحا ،

وهجرته نصراً ، وامارته رحمة ، لقد رأيتنا ولم نستطع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا

ذلك ما أردنا أن ننقله من مصادره فى نصرة عمر للاسلام والرسول ، وذلك قل من كثر ، وهو فى جملته يدل على منزلة عمر فى قومه ، وسمو شرفه فى قبيلته ، وعلى ما أصاب المشركين من الضعف والوهن باسلامه ، فقد روى عن ابن عباس أنه قال : لما أسلم عمر قال المشركون : قد انتصف القوم منا، وأنزل الله « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » والواقع أنه باسلامه رجحت كفة المؤمنين على كفة المشركين ، ولهذا رأيناهم بعد ان كانوا يعبدون الله مستخفين فى دار ابن الأرقم خرجوا من مكمنهم ، وأعلنوا اسلامهم ، ودعوا الناس اليه معلنين ظاهرين . ذلك لان عمر بارز خصوم الاسلام من قريش ونافح عنه بصدره وسلاحه ، وقال للمسلمين : لا نعبد الله سراً بعد اليوم . وكان عمر عند ذلك ينصب رايته للحرب بمكة ، ويحاربهم على الحق ، ويقول لأهل مكة : والله لو بلغت عدتنا ثلثمائة رجل لتركتموها لنا ، أو لتركناها لكم ، ولقد ظل عمر بعد اسلامه ، قوى الجرأة ، شديد الوطأة على المشركين ، حتى أذن الله بالهجرة لرسول الله ولأصحابه ، فجعلوا يهاجرون مستخفين إلا عمر بن الخطاب ، فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى فى يده أسهما ، واختصر عنزته ، ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أتى المقام فصلى متمكنا ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ، وقال لهم : شاهت الوجوه ، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ، من أراد أن تثكله أمه ، أو ييتم ولده ، أو ترمل زوجه ، فليتبعنى وراء هذا الوادى ، فلم يتبعه أحد إلا قوم من المستضعفين ، علمهم ما أرشدهم ، ثم مضى لوجهه

وجعل عمر بعد الهجرة يذود عن الحق ، ويصول على الباطل ، وينافح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد وقعت له حوادث مع المنافقين الذين يتندرون على رسول الله ، ويكيدون له ، كانت مضرب المثل فى الشجاعة والبأس ، وحسن الصحبة والوفاء للمعصوم صلى الله عليه وسلم

هذا هو عمر بن الخطاب عدو الاسلام ، وهو هو عمر بن الخطاب ناصر الاسلام ، لا هوادة لأحد من الناس عنده فى حق ، عزيز الجانب ، قوى العزمة ، منيع لا ينال ، صلب فى جاهليته واسلامه

محمود أبو العيون



الفاروق عمر بن الخطاب

في خيال الرسام

عمر بن الخطاب

المثل الأعلى للحاكم السياسي والإداري

بقلم الأستاذ حسن الشريف

« . . وإنا لنتتبع سيرته منذ ولي الخلافة الى أن أسلم روحه لخالقها ، فلا نراه انحرف يوما عن الاحتداء في أحكامه بهدي القرآن وسنة الرسول ، ولا حاد مرة عما يوجبه الخلق الفاضل القويم ، ولا تصرف في أمر تصرفا غاشماً ينم على طيش أو جهل أو غباء . . »

كان ملك المسلمين في خلافة أبي بكر الصديق ملكا ضيقاً لا يتجاوز جزيرة العرب ، وقد قسم الى ولايات صغيرة وعمالات متقاربة لم تكن بأبي بكر حاجة الى استحداث أساليب لحكمها ، فسار على النهج الذي حكمها به النبي صلى الله عليه وسلم ، وسهل عليه مهمة حكمها أن العرب في سائر أرجاء الجزيرة كانوا متوافقين في نوع المعيشة متشابهين في الأخلاق والعادات ، مما يجعل تطبيق نظام حكم واحد عليهم أمراً من أيسر الأمور

فلما ولي عمر بن الخطاب الخلافة وبسط بفتوحاته السريعة سلطان المسلمين على مصر وفلسطين والشام والعراق ، واجه العرب حالات جديدة ومشاكل لا عهد لهم بمثلها ــ فهذه موارد للايراد تدر على المدينة أموالا غزيرة لا بد من تنظيم الوسائل لجبايتها وحفظها وانفاقها ، وهذه جيوش متباعدة تعددت أمامها ميادين القتال وتغيرت أساليب الحرب ولا مندوحة عن تموينها وايجاد المراكز وتوفير الميرة لها ، وتلك مشكلات الفتح وما تستتبعه من وجوب تقرير العلاقات بين الغالبين والمغلوبين وفرض الضرائب على المسلمين وغير المسلمين ، وأحوال في الزواج وطرائق في التقاضي وأنواع من الجرائم لم يألفها العرب من قبل ولم ينص عليها في القرآن ، وتلك فتن في الداخل ينبغي قمعها ومؤامرات في الخارج يحسن اتقاؤها وصلات بالدول المجاورة تجب رعايتها والمحافظة عليها ، وتلك شعوب نافرة متذمرة أكرهت على ترك دينها أو افتداء عقائدها فلا أمن ولا طمأنينة الا بتألفها وضم شتاتها حول راية الاسلام ، وذلك دين يريد صاحبه أن يفرض على تلك الشعوب ولكن بالتي هي أحسن فلا غصب ولا إكراه ولا اعنات

واجه المسلمون تلك الحالات والمشكلات في خلافة عمر فلم يكن ثم بد من تغيير مناهج الحكم



الفاروق يدخل بيت المقدس

لما وقف المسلمون تحت امرة أبي عبيدة بيت المقدس ، طلب بطرق المدينة اليهم أن يبعثوا الى عمر بن الخطاب ليتسلم المدينة ، فوفد عمر على راحلته في ثوب خلق ، فحاول أبو عبيدة أن يركبه جواداً ويلبسه ثياباً بيضاء، فأبى عمر ودخل بيت المقدس على بعيره وفي مرقعته . وترى أهل المدينة وقد جاءوا يركعون أمامه مظهرين الذلة والخشوع ، وقائد العرب ينهاهم ألا يفعلوا ، فان السجود لله وحده ، لا لانسان مهما علا . .

واستنباط أساليب فى الادارة أوفق لسياسة الظروف الجديدة وأليق برعاية شؤون تلك الأقطار الواسعة الأرجاء المتباينة العادات والأخلاق والمدنيات واللغات والأديان . وما من شك فى أن هذه المهمة السامية كانت تتطلب ممن يتولاها مواهب ومؤهلات أقلها الالمام بجغرافية الأقاليم المفتوحة وبطبائع أهلها ، والدراية بأصول السياسة والتشريع ، والخبرة بشؤون الحكم والادارة ، والاحاطة بالأحوال المحلية فى كل قطر لاختيار الوالى الصالح له وسن التشريعات الملائمة لسكانه . وانه لما يثير اعجاب التاريخ بل لما يبهر عقول المؤرخين أن رجلا كعمر بن الخطاب نشأ على الفطرة ومات على الفطرة ، فلم يتربَّ أى تربية سياسية تؤهله للحكم والادارة ، ولم يتلق أى علم من علوم الدنيا يستنير به فى سياسة الدولة ، ولم يخبر بالمران ولا بالاحتراف قيادة الرجال والشعوب وتسيير الشئون العامة، قد استطاع أن ينهض بتلك المهمة المبهظة ، وأن يحمل أعباء الحكم فى امبراطورية ناشئة مختلفة العناصر مترامية الأطراف ، وأن ينجح الى أقصى حدود النجاح فى توطيد دعائم الدين الجديد وفى ترسيخ قواعد الأمن والنظام وفى التمكين للفتح بين أقوام مختلق الأجناس والأديان غلبوا على أمرهم ولكنهم لم ينفكوا يحنون الى التحرر من ربقة الاسلام والمسلمين

ولو كان العرب دونوا سير عظمائهم فى حياة أولئك العظماء أو بعد وفاتهم أو تركوا لنا فيما تركوا شيئا عن نشأة عمر وشبابه ، لاستطعنا على ضوء هذه المعلومات أن نحلل شخصية الرجل لنستبين سر عظمته ولنعلل ذلك النجاح الذى أحرزه وصار به المثل الأعلى للحاكم السياسى والادارى على مدى العصور . ولكن العرب لم يدونوا شيئا والمتأخرين من مؤرخيهم أغفلوا هذه الناحية الهامة فى تاريخ عظماء المسلمين ، فلم يحدثونا عن عمر حديثاً مستفيضا إلا بعد دخوله فى الاسلام . ولذلك قد تظل عظمة هذا الرجل البديع لغزاً مستعصيا على الفهم والتحليل اذا لم نرجع أسبابها الى ثلاثة عوامل أساسية أثرت فى حياته وقادت خطاه وأنارت بصيرته ووجهته ذلك التوجيه وهى : حسن الاسلام وحسن الخلق وحسن الفطرة

فأما الاسلام الحسن فقد هذب طبعه وصقل روحه وزهده فى الدنيا وبث فيه الوفاء لله والشعور بالواجب ونسيان الذات وافناء النفس فى سبيل الدولة والرعية . وأما الخلق الحسن فقد صيره القدوة العليا للناس فى الفضائل الانسانية ،حتى لقد رضى عماله بشدته اعتمادا على عدالته وتحملوا بطشه ايمانا بنزاهته واحتذوا حذوه فى الصبر والزهد والعدل والقناعة ، فكانوا خير عمال عرفهم المسلمون . وأما الفطرة الحسنة فقد عوضته ما فاته من علوم الدنيا وسهلت عليه فهم الأمور وسبر أغوار الرجال والشعوب واستنباط الأحكام من الشرع والسنة وتطبيقها مع مراعاة أحوال الزمان والمكان ، حتى قال فيه عبد الله بن مسعود : « لو وضع علم عمر فى كفة ووضع علم أحياء العرب فى كفة لرجح بهم علم عمر »

وانا لنتتبع سيرته منذ ولى الخلافة الى ان أسلم روحه لخالقها فلا نراه انحرف يوما عن الاهتداء

فى أحكامه بهدى القرآن وسنة الرسول ، ولا حاد مرة عما يوجبه الخلق الفاضل القويم ، ولا تصرف فى أمر تصرفا غاشما ينم على طيش أو جهل أو غباء ، حتى لقد استحق قول على بن أبى طالب فيه يوم رآه مسجى على فراش الموت : « ما على وجه الارض رجل أريد أن ألق الله بصحيفته إلا هذا المسجى » وقول سعيد بن زيد وهو يبكيه : « ان موت عمر قد ثلم الاسلام ثلمة لا ترتق الى يوم القيامة »

حدث الأحنف قال : « كنا جلوسا بباب عمر وقد سألناه : ماذا يحل لأمير المؤمنين من مال الله ؟ فقال : « أنا أخبركم بما أستحله منه . بردة فى القيظ وبردة فى الشتاء ، وما أحج به وما أحج عليه ، وقوتى وقوت عيالى كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد ذلك رجل من المسلمين يصيبنى ما يصيبهم »

ذلك رأيه رضى الله عنه فيما ينبغى أن يتخلق به الحاكم ليكون قدوة فى الزهد والقناعة للولاة والمحكومين . ولقد كانت حياته طوال سنى خلافته العشر مصداقا عمليا لذلك المبدأ القويم كان العطاء الذى فرضه لنفسه لا يكفيه فأراد يوما أن يقترض مالا من أحد أصحابه فقال لصاحبه : وما الذى يمنعك أن تقترض من بيت المال يا امير المؤمنين ؟ فأجاب : « أخشى اذا مت أن يغفلوا عن تقاضى ما اقترضت ، اما انت فلن تغفل عنه »

وكان لا يخص نفسه دون سائر الناس بميزة فى ملبسه ومركبه ومسكنه ، بل كان يعتبر نفسه خادم القوم وراعى مصالحهم ، يلتف فى كسائه ويحمل القربة وينام فى ظل جدار المسجد . ولله ما أعظمه وهو يطوف ببيوت فقراء المسلمين فى المدينة ويقرع أبوابها سائلا النساء : ألكن حاجة ؟ أتريد احداكن أن تشترى شيئاً ؟ فيرسله فى حوائجهن يقضيها لهن من الأسواق ومن لم تجد عندها مالا تشترى به اشترى لها من ماله الخاص . بل لله ما أعظمه وهو يسير خلف البريد اذا أتى من أحد الثغور أو من ميدان القتال ويقف بالابواب قائلا : « أزواجكن فى سبيل الله وانتن فى بلد رسول الله . اذا كان عندكن من يقرأ فيها ، وإلا فاقربن من الابواب حتى اقرأ لكن » ثم يقول : « ان الرسول (البريد) يخرج يوم كذا فاكتبن حتى نبعث بكتبكن » ثم يدور عليهن بالدواة والقراطيس والقلم ويقول : « ادنين من الابواب لأكتب لكن ماتشأن أن تقلنه لأزواجكن » ويجمع الرسائل بعد ذلك ويسلمها الى البريد

وكان اذا ولى عاملا على احدى العمالات خرج يشيعه ويوصيه فيقول له : « انى لم استعملك على المسلمين إلا لتقيم بهم الصلاة وتقضى بينهم بالعدل وتقسم بالحق ، فان فعلت فأنت أخى وأنا أخوك ، وان لم تفعل فبينى وبينك حدود الله » . وكان يستدعى الولاة ليوافوه فى الحج حيث يجتمع المسلمون فاذا اجتمعوا ناداهم قائلا : « ايها الناس انه والله ما فيكم أحد اقوى عندى من الضعيف حتى آخذ له الحق ، ولا أضعف من القوى حتى آخذ الحق منه . وانى لم أبعث عمالى عليكم

ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ، فمن فعل به شيء من ذلك أو ظلم فليقم »

وكانت طريقته في الادارة اطلاق الحرية للعامل في الشؤون المحلية وتقييده في المسائل العامة ومراقبته في سلوكه وتصرفاته . ويقول الجاحظ في كتاب التاج : « ان علم عمر بمن نأى عنه من عماله كعلمه بمن بات معه في مهاد واحد وعلى وساد واحد ، فلم يكن في قطر من الاقطار ولا في ناحية من النواحي عامل أو امير جيش إلا وعليه عين لايفارقه ، فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده في كل ممسى ومصبح ، وانت ترى ذلك في كتبه الى عماله حتى كان العامل منهم يتهم أقرب الخلق اليه وأخصهم به » . وكان يبعث في طلب بعض عماله من وقت لآخر ليستجلي حقيقة أحوالهم وخبيئة أمورهم ، فاذا علم أن احدهم قارب المدينة خرج لملاقاته في الطريق ليعرف من ملبسه ومركوبه أظل على ما كان عليه قبل اسناد المنصب اليه أم أثرى وظهرت عليه علامات النعيم ، فان كانت الاولى أبقى عليه وظيفته وان كانت الاخرى عزله منها . وكان يحصي عليهم أموالهم قبل توليتهم فاذا زاد لأحدهم مال بعد ولايته صادره عليه . ومن أمثلة ذلك أنه استعمل عتبة بن أبي سفيان على كنانة ، فلما قدم عتبة المدينة بمال سأله عمر : من أين لك هذا ياعتبة ؟ فقال : « مال خرجت به وتاجرت فيه » فقال عمر : « بعثتك والياً ولم ابعثك تاجراً وان التجارة والولاية لا تتفقان . اجعل هذا المال في بيت مال المسلمين »

وانتهى اليه أن أبا عبيدة عامله على الشام يسبغ على عياله النعم ويتولاهم بالخير الكثير فانقص العطاء الذي كان يجريه عليه . وبلغه أن عمرو بن العاص عامله على مصر قد بدت عليه وعلى أهله أمارات الغنى واجتمع لديه متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن له عند ما ولي مصر . فاستقدمه وسأله في ذلك فقال : « انها ياامير المؤمنين أثمان خيل تناتجت وسهام اجتمعت وثمرة اقتصاد طويل » فقال عمر : « انظر رأس مالك ورزقك فخذهما ورد الباقي الى بيت المال » . ومر يوما في طريق فوجد بناء يبنى بالحجارة والجص فسأل : لمن هذا ؟ فقيل له : « انه لعاملك على البحرين » فصاح : « الله أكبر . أبت الدنانير إلا أن تخرج أعناقها . ضموا كل هذا الى بيت المال »

وكتب الى أبي موسى الأشعري كتابا اتخذه الخلفاء من بعده دستوراً للحكم قال فيه :

« أما بعد فان للناس نفرة أعوذ بالله أن تدركني ، واياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة . أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، واذا عرض لك أمران احدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى . وأخف الفساق واجعلهم يداً يداً ورجلا رجلا . وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك ، فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا . وقد بلغني أنه فشت لك ولأهل بيتك هيئة في ملبسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فاياك ياعبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصب فلم يكن لها هم إلا السمن ، فانما حتفها في السمن . واعلم أن العامل اذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقي به الناس والسلام »

وكان يحب أن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون فلا يكثروا من التقاضى والرجوع الى الوالي فى خصوماتهم فخطبهم يوما ، وقال : « اعطوا الحق من انفسكم ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا الىّ ، فانه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة . وانى لحبيب الىّ صلاحكم عزيز علىّ عتبكم ، وانتم أهل بلد لازرع فيه ولا ضرع إلا ماجاء به الله اليه »

وكان يرد الشفاعة والوساطة حتى إن مولى عمر توسط لديه يوما فى أن يكتب الى عامله فى العراق ليكرم صديقا له رحل اليها فانتهره عمر وقال : « أتريد عاملى على أن يظلم الناس ، وهل صاحبك الا رجل من المسلمين يسعه ما يسعهم ؟ » وكان يوزع الأعمال على المتخصصين فيها فيقول : « أيها الناس من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى فان الله جعلنى له خازنا وقاسماً »

أما سياسته حيال النصارى واليهود فتتلخص فى هذه القواعد الحكيمة : « انما أعطيناهم العهد على أن نخلى بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم ، وأن لا نحملهم ما لا يطيقون ، وان أرادهم عدو بسوء قاتلنا دونهم ، وعلى أن نخلى بينهم وبين أحكامهم الا أن يأتونا راضين بأحكامنا فنحكم بينهم وان غيبوا عنا لم نتعرض لهم »

ومما انصرفت اليه عنايته رضوان الله عليه ما اقتضته حالة التوسع فى الفتوح ووجوب استحداث الأوضاع الجديدة في الادارة . فهو أول من دون الدواوين على مثال دواوين الفرس والروم . وكان الديوان أول الأمر هو الدفتر يكتب فيه رجال الجيش وأهل الأعطية ، ثم صار المكان الذى يحفظ فيه كل ما تعلق بحقوق الدولة من الأعمال والأموال ، ثم أطلق بعد ذلك على جميع السجلات وعلى المكان الذى يجلس فيه القائمون عليها . ويقول اليعقوبي إن عمر استحدث نظام السجون وسجن الحطيئة على الهجو وسجن ضبيعاً لتشككه في بعض آيات القرآن

ووضع عمر أول ديوان فى الاسلام للخراج والأموال بدمشق والكوفة والبصرة ، وأمر أن تكتب دواوين الشام بالرومية ودواوين العراق بالفارسية ودواوين مصر بالقبطية . وأجاز أن يتولاها النصارى والمجوس لعلمهم بأصولها . وهو أول من أحصى المسلمين وأول من جعل الأرزاق مشاهرة وفرق الجيوش على الولايات وجعل لكل جيش مركزاً وقيادة . وهو أيضا أول من أرخ بالتاريخ الهجرى وصك وختم أسفل الصكاك

وكان يحب الشورى ولا يستبد برأيه فاذا جاءته قضية معضلة قال لعبد الله بن العباس : « انها قد طرأت علينا أقضية وعضل وأنت لأمثالها » وكان يستشير فضلاء المسلمين بالمساجد فى المسائل العامة ثم يعرض رأيه وآراءهم على مجلس شوراه المؤلف من أعيان الصحابة ، فما استقر عليه رأيهم أمضاه . وهو مبتكر نظام التفتيش فى الاسلام فقد كان يبعث أناساً لتقدير الخراج وآخرين لاحصاء الناس وغيرهم لمساحة الأرض ولمراقبة جباية الأموال . وكان شعاره فى كل ذلك العدل والرحمة

والرفق بالناس حتى لقد قال لعامل أرسله لمساحة أرض العراق وتقدير الخراج عليها : « أخاف أن تكون قد حملت الأرض مالا تطيقه . لئن سلمنى الله لأدعن أرامل العراق لا يحتجن الى رجل بعدى أبداً » وقال : « اللهم اشهد على أمراء الأمصار فانى انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويعدلوا عليهم ويقسموا فيئهم بينهم ويرفعوا الىّ ما أشكل عليهم من أمرهم »

وعمر أول من استقضى القضاة ووضع أساس القضاء النظامى ، فلقد كانت المدينة فى أيامه أشبه بمدرسة يتخرج فيها القضاة والمتشرعون والمجتهدون فيوزعهم على الأمصار يقضون فيها بالشرع والسنة والقياس متخذين عدل عمر وحبه للمساواة وخضوعه لأحكام الحق نبراسا يهتدون بنوره وقدوة يقتدون بها عند الفصل في أمور الناس . وفى الكتاب المشهور الذى كتبه عمر الى أبى موسى الأشعرى فيا ينبغى أن يكون عليه القاضى والقضاء ما يدل القارىء على سمو ادراك الرجل لمعنى العدالة وطرائق تطبيقها فلقد جاء فى ذلك الكتاب :

« . . . أما بعد فان القضاء فريضة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى اليك ، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . ساو بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك

« البينة على من ادعى واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل

« الفهم الفهم فيا تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ، ثم اعرف الأشباه والأمثال وقس الامور عند ذلك ، واعمد الى أقربها الى الله وأشبها ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهى اليه ، فاذا أحضر بينته فيها والا استحللت عليه القضية فذلك أنفى للشك وأجلى للعمى

« المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا فى ولاء أو نسب ، فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان

« اياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فان الحق فى مواطن الحق يعظم به الله الاجر ويحسن الذكر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله . فما ظنك بثواب غير الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ؟ وبعد فانه لم يزل فى الناس وجوه (وجهاء) يرفعون حوائج الناس فأكرمهم فبحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف فى الحكم والقسمة »

ذلك هو الدستور الذى وضعه عمر للقضاء وان فيه لمجالا واسعا للتأمل والتدبر والتفكير .

أما حبه للمساواة فيتبين من ابتدائه بمساواة نفسه بسائر الناس . ابتاع فرسا وركض به ليختبره فأصاب رجل الفرس عطب ظنه عيبا كان فيه قبل أن يبتاعه فقال لبائعه : « خذ فرسك واردد

الىّ ثمن عودى . فقال الرجل : انما بعتك فرسا سليما فلا أرد اليك ثمنه أو تجعل حكما بيني وبينك » فاحتكما الى شريح ، فقال شريح : « يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعت أو رد كما أخذت » فأطرق عمر برهة ثم قال : « وهل القضاء الا هكذا ؟ اذهب يا شريح الى الكوفة فقد وليتك قضاءها »

ويروى أبو الفداء فى تاريخه أن رجلا من بنى فزارة وطىء فى الحج على رداء جبلة بن الأيهم من ملوك غسان فلطمه جبلة لطمة هشمت أنفه . ورفع الفزارى شكواه الى عمر فجاء عمر بجبلة وخيره بين أن يفتدى نفسه وأن يلطمه الرجل كما لطمه . ولقد غضب جبلة وقال : « كيف ذلك يا امير المؤمنين وانا ملك وهو من السوقة ؟ » فأجاب عمر : « ان الاسلام جمعكما وسوى بين الملوك والسوقة فى الحدود » . وكان اذا نهى الناس عن أمر جمع أهله وقال لهم : « انى نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا ضاعفت له العقوبة »

ولقد جعل عمر الجامعة الاسلامية اساساً لسياسته وجعل الجامعة العربية اساسا للجامعة الاسلامية ، فأوصى بأهل البادية لأنهم أصل العرب وأراد أن يعمل على اعزازهم فقال : « قبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضا وقد وسع الله عليهم » وفدى سبايا العرب من الجاهلية والاسلام الى أيامه عملا بالحديث المأثور : « لاسباء فى الاسلام » وكتب الى عماله : « لا تجلدوا العرب فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تغفلوا عنهم فتحرموهم » وحرض عرب الحجاز على الهجرة الى الشام والعراق ليختلطوا بعربهما فتزول ما بين أولئك وهؤلاء من الفروق فى الطباع واللهجات . ولم يسمح للعجم بالهجرة الى المدينة لعلمه انهم أدرى من العرب بالتجارة والصناعة والزراعة فاذا سكنوا المدينة انتزعوا هذه الموارد من أيدى أهلها . وحرم على المسلمين اقتناء الضياع والزراعة كما حرم عليهم اقتناء المال لأن أرزاقهم وأرزاق عيالهم وعبيدهم ومواليهم تدفع لهم من بيت المال . وكانت حجته فى ذلك أن يظلوا جنداً للدولة لايقعدهم الزرع والحصد واستثمار الأموال عن الحرب والجهاد فى سبيل الله . ولعمرى ما أحق الاشتراكيين والشيوعيين اليوم بأن يبحثوا عن أصل مذهبهم فى تلك السياسة التى اختطها عمر بن الخطاب

رحم الله عمر فقد كان اميراً لم ينس الله ولا واجبه ولا صالح رعيته حتى وهو طعين خنجر وقد انسابت احشاؤه من بطنه وخر على أرض المسجد صريعا . فلقد اختلت ساعة مقتله صفوف المصلين والتفوا حوله ليسعفوه فردهم عنه باشارة من يده وقال : « أفيكم عبد الرحمن بن عوف ؟ » فصاح عبد الرحمن : « نعم يا امير المؤمنين » فقال الفاروق : « تقدم يا ابن عوف وصل بالناس » ثم اعتمد على الارض بمرفقه وجمع احشاءه بيده وصلى مع المسلمين صلاة خافتة لم يستطع فيها ركوعا ولا سجوداً

حسن الشريف

عُمر الفاتح

الروح الذى وجه المسلمين الى النصر الباهر

بقلم الاستاذ عبد الحميد العبادى
استاذ التاريخ الاسلامى بالجامعة المصرية

مهما بعد العهد فليس ينقضى عجب المؤرخين وعشاق البطولة من فعال قواد العرب القدماء أمثال المثنى بن حارثة ، وخالد بن الوليد ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، وحذيفة بن اليمان . فهم الذين قوضوا ملك كسرى وزلزلوا عرش قيصر ، وهم الذين شادوا فى مدى من الزمن لا يتجاوز عشر سنوات ملكا ضخما انتظم الجزيرة والعراق وفارس والشام ومصر ، ولكن ينبغى ألا ينسينا لألاء هذه الفتوح ، وما انعقد على مفارق هؤلاء الابطال الغاوير من أكاليل المجد ، أنهم ما كانوا يفعلون ما فعلوا ويبلون ما أبلوا لولا روح فياض غمرهم ، وعقل جبار سيطر عليهم ، وعزيمة ماضية صرفتهم ، هى روح عمر بن الخطاب وعقله وعزيمته

ولعلنا لا نكون مسرفين اذا قلنا انهم جميعا لم يزيدوا على أن يكونوا أعوانا وجنوداً لعب بهم عمر لعبة الحرب الرهيبة مع كسرى وقيصر ، وأنه فى حقيقة الأمر هو الفاتح الذى فتح الممالك ودوخ الأمصار ، وأقام الدولة العربية عالية الذرى ثابتة الأساس متينة البنيان . ورعى الله أبا الطيب حيث يقول :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأى قبل تطاعن الاقران

لم يكن عمر قبل الخلافة بالجندى البارز بروز من ذكرنا من القواد . وتعليل ذلك الحول الظاهرى غير عسير ، لقد كانت سنه فى الجاهلية أصغر من أن تأذن له بغشيان الحرب . أما زمن النبوة والخلافة الأولى فكان سداد رأيه وشجاعته الأدبية آثر عند الرسول وعند أبى بكر من شجاعته الحربية ، فكان عندهما أظهر فى مقام الرأى والمشورة منه فى مشاهد الجلاد والطعان . على أن عمر كان من غير شك ذا كفاية حربية ممتازة اكتسبها من حضوره المشاهد مع رسول الله ومن تدبيره قتال الردة مع أبى بكر . وقد أدرك أبو بكر تلك الكفاية وود لو أنه انتفع بها انتفاعا مباشراً . فيروى أنه قال وهو على فراش الموت : «وودت أنى كنت إذ وجهت خالد بن الوليد الى

الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب الى العراق فكنت قد بسطت يدى كلتيهما فى سبيل الله » .
فقد عده أبو بكر عدل « سيف الله » وضريبه ، وكنى بذلك دليلا على رسوخ قدمه فى فن الحرب وكفايته فى شئون القتال ، فلما ولى عمر الخلافة ظهرت تلك الكفاية أيما ظهور وأثمرت أيما ثمر

كانت كفاية عمر الحربية من ذلك الطراز العالى الذى يقوم على قوة التصور ، وسلامة الادراك ، والاحاطة بطبائع البشر أفراداً كانوا أو جماعات ، وعلى معرفة الفرص عند سنوحها والعلم بطرق اقتراصها ، ومواجهة الأزمات والطب لها ، هذا الى نشاط جم ، وعزيمة صارمة ، وذهن نفاذ . وهى صفات لم تجتمع بعد رسول الله لواحد من المسلمين غير عمر بن الخطاب

وكان لعمر مظهر ومخبر ، ويا بعد ما كان بين مظهره ومخبره ! فهو بادى الرأى رجل من أهل المدينة ، ساذج العيش ، يأ كل أجشب الطعام ، ويلبس أخشن الثياب ، وينام حيث يدركه النوم ، سلاحه درته ، ومطيته قدمه ، يروح ويغدو كأحد الناس ، لايفضلهم إلا بأنه أول خدامهم، وأشبه سادتهم بعبدانهم . بيد أنه اذا تأمله المتأمل وقد نصب نفسه لحرب الفرس والروم لرأى دون ذلك المظهر أحوذيا مشمراً ، قد استحضر فى ذهنه ميادين القتال فى الشرق والغرب ، فهو ينتخب الرجال ويعبىء الجنود ، ويرسم المواقع ، ويختط الخطط ، ويبعث رجلا بعينه الى العراق وآخر الى الشام وثالثا الى مصر ، ويأمر بالاقدام تارة وبالاحجام أخرى ، وينقل الأمداد من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق ، لا يكاد يستأخر حسابه فى ذلك أو يستقدم يوما واحداً . فاذا ما أحكم الخطة وأعد العدة قال لأصحابه فى هدوء الواثق بنجح مسعاه : « قد رمينا ملوك العجم بملوك العرب ، فانظروا عم تنجلى ! » فاذا ما أفلح سعيه ، وأثمر غرسه وجاءه نبأ الفتح والظفر تلقاه فى خشوع وإخبات وتواضع تزيده روعة وعظمة وجلالا

ويطول بنا القول لو ذهبنا نقيم البينة على صحة تلك الدعاوى فى جميع ميادين القتال التى نشب فى أيام عمر بين العرب وبين الفرس والروم ، فنكتفى بالتدليل على صحتها فى مقام واحد هو وقعة القادسية (١٤هـ) المعدودة أعظم وقائع العرب مع الفرس

لما اشتد الأمر على العرب بالعراق بعد وقعة الجسر (١٣ هـ) التى أودت بقائدين عربيين هما أبو عبيد ثم المثنى بن حارثة ، وصمم الفرس على طرد العرب من بلادهم ، قام عمر للامر وقعد واهتم له غاية الاهتمام ، فكتب (١) الى عماله على قبائل العرب وكورهم : « ... ولا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه ثم وجهتموه الى ، والعجل العجل ! » فلما توافت اليه النجدات حار فيمن يؤمره عليها ، وهم أول الأمر أن يسير فيها بنفسه الى العراق ولكن ذوى مشورته ثنوه عن ذلك ، ثم وفق الى رجل لحظ فيه اصالة الرأى وتمام الشجاعة ويمن النقيبة فأمره

---

(١) الطبرى ج ٤ ص ٨٧

عليها . روى الطبرى (١) قال : « وكان سعد على صدقات هوازن فبعث الى عمر بألف فارس وكتب اليه كتابا بذلك ... فوافق كتابه مشورتهم ، فقالوا قد وجدته ! قال : من ؟ قالوا : الأسد عاديا ! قال : من ؟ قالوا ؟ سعد ! فانتهى الى قولهم . فأرسل اليه فأمره على حرب العراق ، وعقد له على أربعة آلاف معهم ذراريهم ونساؤهم . وأتاهم عمر فى عسكرهم فأرادهم جميعا الى العراق ، فأبوا إلا الشام ، وأبى إلا العراق ، فسمح نصفهم فأمضاهم نحو العراق ، وأمضى النصف الآخر نحو الشام »

« فلما نزل سعد بشراف كتب الى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غضى الى الجبانة . فكتب اليه عمر : اذا جاءك كتابى هـذا فعشر الناس ، وعرف عليهم ، وأمر على أجنادهم ، وعبهم ، وواعدهم القادسية ، واضمم اليك المغيرة بن شعبة فى خيله ، وا كتب الىّ بالذى يستقر عليه رأيهم » (٢)

ثم يكتب عمر الى سعد بالمنازل التى ينزلها وبخطة الحرب وبميعاد تحركه ، قال الطبرى (٣) « وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر .. أما بعد فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين . . فاذا انتهيت الى القادسية . . وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة فتكون مسالحك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحجر والمدر ، على حافات الحجر وحافات المدر والجراع بينهما . ثم الزم مكانك فلا تبرحه ، فانهم اذا أحسوك أنغضتهم ورموك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم فان أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً ، الا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم . وإن تكن الأخرى ، كان الحجر فى أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليهم أجرأ وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتى الله بالفتح . . فاذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس ، وشرق بالناس وغرب بهم »

ثم كتب عمر الى سعد يستوصفه المنازل والبقاع ويستخبره عن أحوال العدو (٤) : « .. وا كتب الى أين بلغك جمعهم ومن رأسهم الذى يلى مصادمتكم فانه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمى بما هجمتم عليه والذى استقر عليه أمر عدوكم . فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كأنى أنظر اليها واجعلنى من أمركم على الجلية »

فكتب اليه سعد : « القادسية بين الخندق والعتيق ، وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر فى جوف لاح الى الحيرة بين طريقين ، فأما أحدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطىء نهر يدعى

---

(١) الطبرى ج ٤ ص ٨٥
(٢) الطبرى ج ٤ ص ٨٧
(٣) الطبرى ج ٤ ص ٨٩
(٤) الطبرى ج ٤ ص ٨٩ ــ ٩٠

الخصوص يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة . وإن ما عن يمين القادسية الى الولجة فيض من فيوض مياههم ، وان جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلى إلب لأهل فارس قد خفوا لهم واستعدوا لنا ، وإن الذى أعدوا لمصادمتنا رستم في أمثاله منهم ، فهم يحاولون انغاضنا واقحامنا ونحن نحاول انغاضهم وابرازهم وأمر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم الى ما قدر لنا، فكتب اليه عمر : « قد جاءنى كتابك وفهمته ، فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك واعلم أن لها ما بعدها فان منحك الله ادبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن »

« ووضع سعد بالعذيب خيلا تحوط الحريم . . ونزل سعد القادسية فنزل بقديس ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق فى موضع القادسية اليوم . . وبعث سعد الى عمر بنزوله قديسا وأقام بها شهراً . . ثم كتب الى عمر : « لم يوجه القوم الينا أحداً ، ولم يسندوا حربا الى أحد علمناه ، ومتى ما يلغنا ذلك نكتب به واستنصر الله فانا بمنحاة دنيا عريضة دونها بأس شديد » (١)

« وبعث سعد عيوناً الى أهل الحيرة والى صلوبا ليعلموا له خبر أهل فارس فرجعوا اليه بالخبر بأن الملك قد ولى رستم بن الفرخذاذ الأرمنى حربه وأمره بالعسكرة فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه عمر : « لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به . . وابعث اليه رجالا من أهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفلجاً عليهم ، واكتب الى فى كل يوم »

« . . ولما عسكر رستم بساباط كتبوا بذلك الى عمر » (٢)

« ثم ان سعد بن أبى وقاص حين جاءه أمر عمر جمع نفراً عليهم نجار ولهم آراء ، ونفراً لهم منظر وعليهم مهابة ولهم آراء . . فبعثهم الى الملك » وكان من أمر هذا الوفد العربى ما رواه الطبرى من مفاوضتهم لرستم أولا ويزدجرد أخيراً وهى مفاوضة صورية بطبيعة الحال وقد انتهت بأن زحف رستم من ساباط الى القادسية لقاء سعد (٣) (المحرم عام ١٤ هـ)

كانت كفة الفرس هى الراجحة فى اليومين الأولين من أيام القادسية ثم كان من صنع الله للعرب ولطف تدبير عمر أن قدم المدد من الشام فى اليوم الثانى وقد زلزل العرب زلزالا شديداً ، فقويت عزائمهم وانتصفوا من الفرس في اليوم الثالث وهو المعروف بيوم عماس . قال الطبرى (٤) « وكان يوم عماس من أوله الى آخره شديداً العرب والعجم فيه على السواء ، لا يكون بينهم نقطة الا تعاورها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجرد فيبعث اليهم أهل النجدات ممن بقى عنده فيقوون بهم . . . فلولا صنع الله للمسلمين بالذى ألهم القعقاع فى اليومين وأتاح لهم بهاشم كسر ذلك المسلمين »

واتصل القتال ليلة اليوم الرابع وهى المعروفة عندهم بليلة الهرير فلم يتنفس صبح ذلك اليوم الا وقد انتصر العرب على عدوهم انتصاراً عظيما

---

(١) الطبرى ج ٤ ص ٩١ — (٢) الطبرى ج ٤ ص ٩٢
(٣) الطبرى ج ٤ ص ١٠٠ — (٤) الطبرى ج ٤ ص ١٢٦

قال الطبرى (١) : « وكتب سعد بالفتح . . وكان كتابه : أما بعد فان الله نصرنا على فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله منهم الى المسلمين واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفى الفجاج ، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارىء وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا نعلمهم الله بهم عالم كانوا يدوون بالقرآن اذا جن عليهم الليل دوى النحل ، وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود ولم يفضل من مضى منهم من بقي الا بفضل الشهادة اذ لم تكتب لهم »

« ولما أتى عمر بن الخطاب نزول رستم القادسية كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يصبح الى انتصاف النهار ثم يرجع الى أهله ومنزله . قال فلما أتى البشير سأله : من أين ؟ فأخبره . قال : يا عبد الله حدثنى ! قال : هزم الله العدو ! وعمر يخب معه ويستخبره والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه حتى وصل المدينة فاذا الناس يسلمون عليه بأمرة المؤمنين . فقال الرجل : فهلا أخبرتنى رحمك الله أنك أمير المؤمنين ؟ وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخى ! » (٢)

ويمكن القارىء أن يدرك الدور الذى قام به عمر فى تلك الوقعة الفاصلة ، فهو مدير رحاها وبطلها على الحقيقة . وقد أدرك الفرس ذلك من فورهم ، فيروى أن رستم لما ضرسته الحرب بنابها ووطئته بمنسمها ، نادى فقال بالفارسية ما تعريبه : « أتانى صوت عند الغداة وانه هو عمر الذى يكلم الكلاب فيعلمهم العقل . أكل عمر كبدى ، أحرق الله كبده ! » (٣) ولما هم الأعاجم المقيمون بالمدينة أن ينتقموا ممن فتح بلادهم لم يعمدوا الى خالد ولا الى سعد ، وانما عمدوا الى عمر بن الخطاب فاغتالوه . ولعمرى لقد كان رستم وأبو لؤلؤة ومن آمروه على قتل عمر أصرح وأشجع ممن جاء بعد من روافض الشيعة وغلاتهم الذين أسسوا رفضهم عمر على استئثاره بالخلافة ، كأن لم يكن هناك سبب آخر أدعى الى الرفض وأجل خطرا

عبد الحميد العبادى



(١) الطبري ج ٤ ص ١٤٤ (٢) الطبري ج ٤ ص ١٤٤ (٣) الطبري ج ٤ ص ١١٤ ــ ١١٥

الشعب القبطى يعانى اضطهاد الرومان ــ إرهاق الأمة بالضرائب والمغارم ــ بقية الحضارات الذاهبة ــ الاسكندرية مركز الحضارة والثقافة ــ انحطاط مستوى الشعب أدبياً ومادياً ــ عمر ينظم مصر وينشر فيها الرخاء ــ الحكم الديموقراطى فى مصر أيام عمر

مصر فى عهد عمر بن الخطاب

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مصر حينما افتتحها العرب ولاية رومانية تخضع لحكم الدول الشرقية ، ولم يكن الفتح الاسلامى لمصر سوى حلقة فى سلسلة الفتوحات الباهرة التى قام بها العرب فى أراضى الدولة الشرقية فترة قصيرة ، وكان فتح مصر فى سنة عشرين من الهجرة (٦٤٠ م) فى خلافة أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ، وفى عهد هرقل قيصر الدولة الشرقية ، وكان هرقل مذ تبوأ عرش قسطنطينية فى سنة ٦١٠ م قد شهد ظهور النبي العربى ، وتلق سفارته ودعوته الى الاسلام ، ثم شهد بعد ذلك قوى الاسلام تنساب من الصحراء إلى الغزو ، وتقتحم أراضيه وتحرز النصر الباهر على جيوشه فى موقعة اليرموك ثم فى موقعة اجنادين ، وعلى أثر اجنادين تم فتح الشام ، وقدم عمر إلى بيت المقدس ليتسلمها بنفسه إجابة لملتمس بطريقها ، وبينما هو فى طريق العودة ، عرض عليه عمرو بن العاص افتتاح مصر وألح فى عرضه فقبله عمر دون حماسة ، وكان عمرو قد زار مصر قبل ذلك بأعوام ورأى الاسكندرية حاضرتها العظيمة فبهره عمرانها ورخاؤها ، وكان عمر يخشى أن تنحدر جيوش الاسلام فى مصر إلى مغامرة لا تؤمن عواقبها ، ولكن جرأة عمرو غلبت على تحفظ عمر ، وكان أن غزا مصر جيش عربى صغير بقيادة عمرو نفسه ، وافتتحها فى أشهر قلائل وذلك فى سنة عشرين من الهجرة (٦٤٠ م) ، وبذلك خرجت مصر من حكم الدولة الرومانية وانضوت تحت لواء الاسلام

ولقى الغزاة فى مصر ظفراً سريعاً لم تتخلله مواقع طاحنة كالتى اقترنت بفتوح الشام ، وكانت الجيوش العربية قد ظهرت فى اليرموك واجنادين على الجيوش الرومانية بصورة حاسمة ، ولم يخالج عمال الامبراطور بمصر شك فى المصير الذي قدر لها ، وكان الحاكم والبطريق الرومانى كيروس ، الذى تعرفه الرواية العربية بالمقوقس وتصفه خطأ بزعيم القبط ، حكيما بعيد النظر حينما آثر مهادنة العرب وعقد الصلح معهم منذ مقدمهم إلى مصر وحصارهم لقلعة بابليون ، ولم يلق العرب مقاومة

ذات شأن إلا فى الاسكندرية حيث اعتصمت الحامية الرومانية بضعة أشهر ، ونشبت بين الفريقين وقائع شديدة انتهت بسقوط العاصمة فى أيدى الفاتحين

على أن ظفر العرب فى مصر بتلك السرعة لا يرجع إلى العوامل العسكرية وحدها بل يرجع بالأخص إلى ظروف مصر وظروف الشعب المصرى يومئذ ، وهي ظروف لها أكبر الأثر فى التمهيد لهذا الفتح الكبير ، ذلك أن مصر كانت فى أواخر العهد الرومانى تجيش بروح شديد من السخط على سادتها ، وبلغ هذا الروح أشده وقت الفتح العربى ، وكان الشعب القبطى وهو يومئذ كتلة الأمة المصرية يعانى كثيرا من الاضطهاد الديني الذى فرضته عليه الكنيسة الشرقية منذ مجمع خلقيدونة الذى اتخذته قسطنطينية وسيلة للضغط على الكنيسة القبطية ، وذلك بانشاء كنيسة جديدة خصيمة هي الكنيسة الملكية يستأثر الامبراطور بتعيين بطارقتها ، وكانت هذه الثغرة التى أحدثتها قسطنطينية فى صرح الكنيسة الارثوذكسية تذكي عوامل السخط فى نفوس المخلصين من أبنائها ، وفى الوقت الذى اعتزم العرب فيه فتح مصر ، كان كيروس عامل الامبراطور يجمع فى شخصه صفة الحاكم وصفة البطريق معاً ، وكان يستعمل سلطان الأولى لتدعيم نفوذ الثانية وذلك بالانتقاص من نفوذ الكنيسة القبطية وحقوقها ، ومن جهة أخرى فان الادارة الرومانية انحطت فى أواخر هذا العهد الى ادارة عاجزة مضطربة تعيث فساداً فى البلاد وتمعن فى إرهاق الشعب بالضرائب والمغارم الفادحة وكان الامن مضطربا ، والمنازعات الداخلية تسود كل مكان . وكان الشعب المصرى يتوق إلى التخلص من هذا النير الجائر بأى الوسائل . فلما لاح مقدم العرب ، يسبقهم ما ذاع عن تسامحهم وعدالتهم فى البلاد المفتوحة كان القبط على أهبة لمؤازرتهم ومحالفتهم . وكانوا لهم خير عون على الفتح

***

وهكذا لقى العرب حين مقدمهم الى مصر مجتمعا مهيضا قد عصف به الطغيان، ومزقه الخلاف الديني ، وأضناه العسف والهوى. وقد انتهت الينا من الروايات العربية المعاصرة ومن أوراق البردى لمحات عن أحوال مصر والشعب المصرى لعهد الفتح الاسلامي أو لعهد الفاروق عمر ، ومنها يبدو ان مصر كانت لا تزال تحتفظ ببقية مدنيتها الذاهبة ، وان المجتمع المصرى لم يكن قد فقد كل خواصه القديمة ، وكانت المدنيتان اليونانية والرومانية قد تركت كلتاهما أثرها فى مصر ، وكان هذا الطابع اليونانى الرومانى لا يزال ماثلا حين الفتح الاسلامى ، وكانت الاسكندرية لا تزال مركزاً من مراكز الحضارة اليونانية الرومانية ومصدراً للثقافة الرفيعة التى تمتزج فيها التعاليم الفلسفية بالصبغة الوثنية ، وكانت وقت الفتح الاسلامى قد فقدت كثيراً من بهائها وعظمتها السالفين، بيد انها كانت لا تزال أعظم مدائن الشرق ، وكانت أيضا مركزاً للملاهى الرومانية ، يجذب ملعبها الشهير ومباراته الرياضية الشائقة من المصارعة وغيرها الزوار من سائر الاقطار ، وقد وصفت لنا

الروايات العربية مدينة الاسكندرية وصروحها العظيمة وملعبها الشهير وقت الفتح ، وذكرت لنا كيف شهده عمرو بن العاص قبل الفتح بأعوام ، وسحره ما رآه من المناظر الرائعة . بيد ان الاسكندرية كانت قد فقدت مكاتبها العامة الشهيرة منذ القرن الرابع ، ولم يكن بها وقت مقدم العرب أية مكتبة عامة ، ومن ثم كان بطلان الزعم بأن العرب هم الذين أحرقوا مكتبة الاسكندرية الشهيرة

أما الطبقات الدنيا من الشعب فقد كان يسودها الجهل ولم تتأثر كثيراً بمزايا الثقافتين اليونانية والرومانية . بيد انه كانت توجد ثمة طبقة من خاصة المصريين تحتفظ ببقية يسيرة من علوم المصريين القدماء ، وكانت اللغة الفرعونية (الهروغليفية) قد غاضت تقريبا وحلت محلها الديموطيقية ثم القبطية التي اشتقت منها ، والتي أخذت بدورها في الانحلال والضعف أمام العربية لغة الفاتحين الجدد

وكانت مصر وقت الفتح العربي كما كانت على مر الاحقاب بلداً زراعيا يعتمد في رزقه وثروانه على الزراعة ، وكانت الزراعة لا تزال أبداً على ازدهارها رغم توالى الاحداث والمحن ، وقد بهر العرب عند مقدمهم ما رأوه من خصب الريف المصرى ونضارته ووفرة محاصيله ، وكانت مصر فى الواقع أخصب البسائط التى تغلبوا عليها منذ خروجهم من القفر ، وكان نيلها أروع ما شهدوا من الغيث والفيض العميم

***

لم يعش أمير المؤمنين «عمر» طويلا بعد فتح مصر ، فقد توفى صريعا بخنجر أبى لؤلؤة فى ذي الحجة سنة ٢٣ هـ (٦٤٤) أى لثلاثة أعوام فقط من الفتح . بيد انه اختص مصر بعنايته فى تلك الفترة القصيرة من حكمه ، وكان دائم الاهتمام بشئونها وتنظيم ادارتها الجديدة ، وعهد بولايتها الى فاتحها عمرو بن العاص فكان أول ولاتها المسلمين ، وقامت الفسطاط أول عاصمة اسلامية فى مصر عقب الفتح مباشرة . وأبدى عمرو فى تنظيم الادارة الجديدة براعة فائقة ، واتبع نحو الرعايا الجدد سياسة الرفق المقرون بالحزم ، وأحصيت موارد مصر وثرواتها بدقة ، وفرضت على شعبها الجزية ، وكان فرضها عقب الفتح بطريق الصلح . وفي الروايات العربية المعاصرة مايدل على أن مصر كانت تتمتع يومئذ بموارد وثروات عظيمة وانها كانت تزخر بالسكان والقرى العامرة بالرغم مما أصابها من عنف الادارة الرومانية ، مثال ذلك أن قرى مصر أحصيت من أجل الجزية فوجدت أكثر من عشرة آلاف قرية أعني ضعف ماتحتوي اليوم ، وانه لما صالح عمرو القبط على أن يدفع كل رجل منهم جزية قدرها ديناران بلغ من وجبت عليهم الجزية السنوية ستة آلاف الف نفس وعلى رواية أخرى ثمانية آلاف الف ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبى ، فكان دخل الخلافة من ذلك اثنى عشر مليونا أو ستة عشر مليون دينار فى العام . وتلك روايات تحمل طابع المبالغة بلا ريب ، بيد انها تقدم على أى حال فكرة عن فداحة المغنم الذى استطاعت الخلافة أن تحققه بفتح مصر

ووقعت بين امير المؤمنين عمر وعمرو بن العاص فى تلك الفترة القصيرة عدة مساجلات ومكاتبات فى شئون مصر تدل على ما كانت تتمتع به الخلافة فى عهد عمر من طابع ديموقراطى عميق تدعمه مع ذلك سلطة حازمة ، فعندما طال حصار الاسكندرية مثلا كتب عمر الى عمرو ما يأتى : « أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر . انكم تقاتلونهم منذ سنتين وما ذاك إلا لما أحدثتم واحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وان الله تبارك وتعالى لاينصر قوما إلا بصدق نياتهم » ولما ابطأ عمرو فى تقديم خراج مصر فى الموعد المحدد كتب اليه عمر يعزره ، ويؤنبه ويقول : « أما بعد فقد عجبت من كثرة كتبى اليك فى ابطائك بالخراج ، وكتابك الىّ ببنيات الطرق . وقد علمت انى لست ارضى منك إلا بالحق البين ، ولم اقدمك الى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك ، فاذا اتاك كتابى هذا فاحمل الخراج فانما هو فىء المسلمين » فكتب اليه عمرو : « أما بعد ، فقد اتانى كتاب اميرالمؤمنين يستبطئنى فى الخراج ويزعم انى احيد عن الحق وانكب عن الطريق ، وانى والله ما أرغب عن صالح ماتعلم ولكن أهل الارض استنظرونى الى أن تدرك غلتهم ، فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيراً من ان يخرق بهم فيصيروا الى بيع مالا غنى عنه والسلام »

هذه الوثائق وأمثالها مما نقلت الينا الروايات المعاصرة توضح لنا روح الخلافة فى عهد عمر ـ روح ديموقراطى حازم ، وروح لامركزية مستنيرة ، وقد كان عمرو والياً وعاملا من عمال الخلافة ، ولكنه كان يتمتع فى مصر بسلطة شبه مطلقة ، بيد أن عبقرية الخليفة الشاملة كانت ساهرة توجه باشرافها الفطن سلطة الولاة الى مافيه خير الشعوب المحكومة وخير الخلافة الاسلامية . وقد استفادت مصر فيما بعد من هذه القاعدة المستنيرة فى توزيع السلطات ، واستطاعت أن تتمتع فى ظل الخلافة بنوع من الحكم الذاتى ، وأن تحافظ على هذا الامتياز حتى قامت بها الدول الاسلامية المستقلة

محمد عبد الله عنان



جامع عمرو بن العاص

كان عهد عمر بن الخطاب عهد فتح وجهاد ، فلم يخلف سوى آثار قليلة من أهمها جامع الفسطاط الذى أنشأه عمرو بن العاص بعد أن استقر فى مصر سنة ٦٤١ م . وهذا المسجد أحد المنشآت التى أقامها عمرو فى أثناء ولايته ، وأهمها مدينة الفسطاط التى اتخذها عاصمة للبلاد ، وخليج أمير المؤمنين الذى كانت تحمل فيه غلال مصر الى بلاد العرب ، وترع الرى التى انتشرت فى أنحاء البلاد . وقد تعهدت الدول الاسلامية المتعاقبة هذا المسجد بالزيادة والتعمير ، فبقى الى اليوم أثراً باذخاً من آثار صدر الاسلام .

الفصاحة تنقل عمر من دين الى دين ــ عمر والنقد الأدبي ــ
خطب وأقوال تضاف اليه لشهرته بالفصاحة والبيان ــ أهم
ميزة في بلاغته هي أدب القضاء ــ أدب النفس كما عثله الفاروق

بلاغة الفاروق

بقلم الدكتور زكي مبارك

المفتش بوزارة المعارف

ان بين القلب واللسان أواصر روحية وعقلية لا ينكرها الا من يجهل أن اللسان ترجمان القلب وأن القلم رسول العقل ، فبلاغة الفاروق هي الصورة الصادقة لما انطوت عليه جوانحه من أصول الصدق والشرف والنبل ، فان قال واصفوه انه كان من أصدق الخلفاء وأشرف الحاكمين ، فاعلم أنه كان كذلك من أصدق الخطباء وأشرف الكاتبين

وكان من حظ عمر في بلاغته أنه نشأ في عصر عرف أهله بالتشوف الى شرف القول ، فقد نشأ في عصر تفرد بين العصور باعزاز البيان ، ألم تكن فصاحة القرآن هي المعجزة ، بعد أن كانت المعجزات ألواناً من الخوارق تبهر الأبصار والحواس ؟

ولئن كانت فصاحة القرآن هي المعجزة لقد كانت كذلك هي السبب الأصيل في انقياد عمر الى الاسلام ، وانتقال الرجل من دين الى دين بسبب الفصاحة هو أصدق شاهد على أنه خلق مفطوراً على تذوق الفصاحة وأسرار البيان

وبلاغة القرآن التي فتنت عمر لم تصادفه وهو بكر القلب ، فقد يظهر أنه كان في جاهليته رجلا بصيراً بما خلف قومه من كرائم المعاني ، وقد يظهر أنه كان مفتوناً بالشعر وخبيرا بأغراض الشعراء ، والا فكيف اتفق له أن يتعصب لزهير ، وكيف صح لابن رشيق أن يحكم بأنه كان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة ، وكيف كان من سياسته وهو خليفة أن يوصي المسلمين بأن يرووا أبناءهم الأشعار كما يعلمونهم السباحة والرماية ؟

وأريد أن أقول : إن بلاغة الفاروق كانت تعتمد على أصل ثابت هو فهم الأدب ، أو هو بالفعل أديب ، فلو فاتته ظروف الخلافة التي فرضت أن يجيد الخطابة والانشاء لكان من أقطاب النقد الأدبي ، فقد كان هذا الرجل يملك أهم عنصر من عناصر النقد وهو السخرية ، والسخرية فن لا يحسنه غير الفحول . هل سمعتم بقصة بني العجلان ؟



الراعي العظيم

الفاروق يعس ليلا بين منازل العرب وخيامهم ، ليتفقد شؤون رعاياه ويتعهد أمورهم ، حاملا درته المعهودة التي قيل فيها : لدرة عمر أهيب من السيوف ، فيحقق المثل الأعلى للعادل العظيم

انهم قوم كانوا يفتخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه في تعجيل قرى الأضياف ، وظلوا كذلك حتى هجاهم به النجاشي الشاعر ، فضجروا منه وسبوا به ، واستعدوا عمر بن الخطاب على الشاعر فقالوا : هجانا يا أمير المؤمنين . فقال عمر : وما قال ؟ فأنشدوه :

اذا الله عادى أهـل لؤم ورقة ... فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : انه دعا عليكم ، ولعله لا يجاب ! فقالوا : انه قال :

قُبَيِّلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك ! فقالوا : انه قال :

ولا يردون الماء الا عشية ... اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أقل للسكاك ــ يعنى الزحام ! قالوا فانه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ... وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ! قالوا فانه قال :

وما سمى العجلان الا لقولهم ... خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم ! فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ! فقال : ما أسمع ذلك ! فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله فقال : ماهجاهم ولكنه سلح عليهم !

أرأيتم كيف جرى هذا الحديث ؟

أرأيتم كيف يتغابى عمر بن الخطاب وكيف يتعامى عن أغراض الشعراء ؟

ان السخرية فى هذا الحديث بلغت الغاية فى الدقة ، واستطاع عمر أن يستجهل بنى العجلان ، وبلغ من أمره أن أوهمهم أنه لا يفهم ، وتلك أعجوبة الأعاجيب أن يقتنع قوم من العرب بأن عمر لا يفهم دقائق الهجاء

والظريف فى هذه القصة أن يقول أولئك القوم لعمر : فاسأل حسان بن ثابت ، والأظرف أن يتمادى عمر فى التغابى فيسأل حسان !

***

قلنا إن عمر كان معروفا بقوة العارضة ومتانة القول ، وقد سار اسمه بين الخطباء والحكماء . وآية ذلك أن آثاره الأدبية صارت مجالا للتزيد يضيف اليها من شاء ما شاء ، والناس لا يضيفون الأقوال الى رجل الا بعد أن يعرف بالفصاحة والبيان ، وقد شاع بين رجال الأدب أن على بن أبى طالب أضيفت اليه خطب وأقوال ، فلنسجل أن عمر أضيفت اليه خطب وأقوال ، ولم يتزيد الناس على علىّ إلا لشهرته بالفصاحة وإجادة القول ، وكذلك تزيدوا على عمر لشهرته بالفصاحة وإجادة القول . هل تذكرون حديث السقيفة ؟ إن كنتم نسيتم فأنا أذكركم بالحادث الذى وضع من أجله ذلك الحديث

وخلاصته أن أبا بكر لما استقامت له الخلافة بين المهاجرين والانصار بلغه عن على تلكؤ وشماس، فكره أن تتمادى الحال فتبدو العورة وتتفرق ذات البين ، فدعا اليه أبا عبيدة فى خلوة ، وكان عنده عمر بن الخطاب ، وأوصاه بأن يتلطف فى دعوة على الى مبايعة أبى بكر وإعلان الرضا عن خلافته ، فلما هم ابو عبيدة بالانصراف لمعالجة الأمر الذى ندب له تبعه عمر فزوده بآيات من التلطف يلقى بها ابن أبى طالب ، فلما وصل اليه بثه ما تلقاه من أبى بكر وعمر ، فرق قلب على واعتذر عن تخلفه بحزنه البليغ على فقد الرسول ، الى آخر الحديث

والمهم أن نسجل أن الذى صنع حديث السقيفة أنطق عمر بهذه الكلمات :

« قل لعلى : الرقاد محلمة ، والهوى مقحمة ، وما منا الا له مقام معلوم ، وحق مشاع أو مقسوم ، ونبأ ظاهر أو مكتوم ، وأن أكيس الكيس من منح الشارد تألفاً ، وقارب البعيد تلطفاً ، ووزن كل شىء بميزانه ، ولم يخلط خبره بعيانه ، ولم يجعل فتره مكان شبره ، دينا كان أو دنيا ، ضلالا كان أو هدى ، ولا خير فى علم مستعمل فى جهل ، ولا خير فى معرفة مشوبة بنكر ، ولسنا كجلدة رفغ البعير بين العجان والذنب ، وكل صال فبناره ، وكل سيل فالى قراره ، وما كان سكوت هذه العصابة الى هذه الغاية لعى وشى ، ولا كلامها اليوم لفرق أو رفق ، وقد جدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنف كل ذى كبر ، وقصم ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل كذوب ، فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ ما هذه الخنزوانة التى فى فراش رأسك ؟ ما هذا الشجا المعترض فى مدارج أنفاسك ؟ ما هذه القذاة التى تغشت ناظرك ؟ وما هذه الوحرة التى أكلت شراسيفك ؟ وما هذا الذى لبست بسببه جلد النمر ، واشتملت عليه بالشحناء والنكر ، ولسنا فى كسروية كسرى ، ولا فى قيصرية قيصر ! تأمل لاخوان فارس وأبناء الأصفر ، قد جعلهم الله جزراً لسيوفنا ، ودريئة لرماحنا ، ومرمى لطعاننا ، وتبعا لسلطاننا . بل نحن في نور نبوة ، وضياء رسالة ، وثمرة حكمة وأثرة رحمة ، وعنوان نعمة ، وظل عصمة ، بل أمة مهدية بالحق والصدق ، مأمونة على الرتق والفتق ، لها من الله قلب أبىّ ، وساعد قوى ، ويد ناصرة ، وعين باصرة . أتظن ظنا يا على ان أبا بكر وثب على هذا الأمر مفتاتا على الأمة خادعا لها أو متسلطا عليها ؟ أتراه حل عقودها وأحال عقولها ؟ أتراه جعل نهارها ليلا ، ووزنها كيلا ، ويقظتها رقاداً ، وصلاحها فساداً ؟ لا والله ، سلا عنها فولهت به ، وتطامن لها فلصقت به ، ومال عنها فمالت اليه ، واشمأز دونها فاشتملت عليه » . الخ . الخ

ثم مضى واضع القصة فحدثنا أن عمر نهر علياً بهذه الكلمات :

« كفكف غربك ، واستوقف سربك ، ودع العصى بلحائها ، والدلاء على رشائها ، فانا من خلفها وورائها ، ان قدحنا أورينا ، وان متحنا أروينا ، وان قرحنا أدمينا . ولقد سمعت أماثيلك التى لغزت بها عن صدر أكل بالجوى ، ولو شئت لقلت على مقالتك ما إن سمعته ندمت على ما قلت

. . . ومن أعجب شأنك قولك : ولولا سالف عهد وسابق عقد لشفيت غيظي . وهل ترك الدين لأهله أن يشفوا غيظهم بيد أو لسان ؟ تلك جاهلية وقد استأصل الله شأفتها ، واقتلع جرثومتها ، وهوّر ليلها ، وغوّر سيلها ، وأبدل منها الروح والريحان ، والهدى والبرهان »

فكل ما جاء فى حديث السقيفة على لسان عمر انما صنعه التوحيدى أبو حيان ، وكذلك ما جاء على لسان أبي بكر ، وان خدع به رجال في وزارة المعارف فأثبتوا منه قطعة فى كتاب المحفوظات للمدارس الثانوية

ولم نبتكر نحن هذا التحقيق ، وانما سبقنا اليه ابن أبى الحديد الذى قرر أن حديث السقيفة شبيه بمذهب التوحيدى فى الخطابة والبلاغة ، وأن خطب عمر وأبى بكر ورسائلهما خالية من البديع ومن صناعة المحدثين الظاهرة فى ذلك الحديث ، وان الذى يتأمل كلام التوحيدى يعرف أن ذلك الحديث خرج من معدنه ، ويدل عليه أنه أسنده الى القاضى أبى حامد ، وهذه حاله فى كتابه (البصائر) يسند الى أبى حامد كل ما يريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه ، اذا كان كارها لان ينسب اليه . ومما يؤيد أنه مصنوع أن المتكلمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة والشيعة والاشعرية وأصحاب الحديث وكل من صنف فى علم الكلام والامامة لم يذكر أحد منهم كلمة واحدة من هذه الحكاية . ولقد كان الرضى يلتقط من كلام على اللفظة الشاردة والكلمة المفردة الصادرة عنه فى معرض التألم والتظلم فيحتج بها ويعتمد عليها ، وكأنما يظفر بملك الدنيا ويودعها كتبه وتصانيفه ، فأين كان الرضى من هذا الحديث ؟ وكان الباقلانى شديداً على الشيعة عظيم العصبية على علىّ ، فلو ظفر بكلمة من كلام أبى بكر وعمر فى هذا الحديث لملأ الكتب والتصانيف بها وجعلها هجيراه ودأبه ، ثم قال : « والأمر فيما ذكرناه من وضع هذه القصة ظاهر لمن عنده أدنى ذوق فى علم البيان ومعرفة كلام الرجال ، ولمن عنده أدنى معرفة بعلم السير وأقل أنس بالتواريخ »

وقد قرأت ما أثر عن عمر من الخطب والرسائل ، ثم نظرت فى حديث السقيفة فرأيت الاسلوب يختلف كل الاختلاف . وصدق ابن أبى الحديد حين جعل ذلك الحديث من صنع أبى حيان

وقد بينت من قبل ان اختراع الأحاديث على لسان عمر لم يكن يصح إلا لشهرة عمر بالفصاحة وجزالة القول . ولعلى بلغت من ذلك بعض ما أريد

* * *

ندع الكلام عن الشخصية الأدبية لعمر بن الخطاب ، وما وضع على لسان عمر بن الخطاب ، وننتقل الى أدبه الصريح فنقول :

أهم ميزة فى بلاغة الفاروق هى أدب القضاء ، وقد شاء الله أن يلقب بالفاروق لمعنى من معانى العدل فى القضاء ، فهذا الرجل لم تستقم له الأمور مصادفة واتفاقا ، وانما قام ملكه على العدل ، واستطاع أن يملأ الدنيا بالحقائق والأساطير بفضل العدل ، وقد شاع فى الشرقين والغربين أن

أحد الوافدين عليه رآه نائما على قارعة الطريق فقال : « عدلت فأمنت فنمت » ومن الرجح أن هذه العبارة نقلت الى أكثر من خمسين لغة ، ورددتها ملايين الألسنة فى مختلف الاجيال

ولا ينتظر القارىء من الفاروق كتباً فى القضاء تشبه مؤلفات رجال القانون ، فلم يكن العصر عصر درس واستقصاء ، على نحو ماعرف المسلمون فى أيام الدولة العباسية ، ولكن الرسائل القليلة الباقية من أدب ابن الخطاب تشهد بأنه كان من أعرف الرجال بأدب القضاء

هل تعرفون كتابه الى معاوية بن أبى سفيان ؟ انه يقول بعد التمهيد :

« إلزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ فيه بأفضل حظك : اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه . وتعهد الغريب فانك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به . وآس بين الناس فى لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء »

والحكمة البالغة فى هذا الخطاب ليست فى البينة ولا فى اليمين ، وانما هى فى الكلام عن الضعيف والغريب ، فقد كان عمر يعرف أن ناسا تضيع حقوقهم بسبب الغربة والضعف ، وكان يدرك أن القضاة ينخدعون بزخرف القول ، وأن الضعيف قد يتلجلج لسانه فيضيع حقه ، وأن الغريب قد يتهيب الموقف فلا يبين

وهذه الكلمة العالية : « آس بين الناس فى لحظك وطرفك » انها تشهد بما كان يعرف عمر من أسرار النفوس

وقد أكد هذا المعنى فى رسالته الى أبى موسى الأشعرى إذ قال :

« آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لايطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك »

وكذلك كان الاقوياء فى جميع العصور مثاراً للخوف من ازدلاف القضاء ، وكانت الضعفاء مثاراً للخوف من انحراف القضاء

وقد دعا الفاروق الى الصلح فى الظروف التى لايبين فيها وجه الفصل ، ثم أوضح ذلك فى رسالته الى أبى موسى فقال :

« والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا »

وهو بذلك يجعل الصلح مشروطا بالانصاف

وقد وضع الفاروق أساس «الاستئناف» ولكنه أسرع فجعل ذلك من واجب القاضى قبل أن يجعله من حق المتقاضين ، أليس هو الذى يقول :

« ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل »

وهو بهذا يذكر القضاة بأنهم ناس يخطئون ويصيبون ، وتعمى عليهم مسالك الحق فى بعض الأحيان

وقد خشى ابن الخطاب أن يكون فى القضاة من يضجر ويتأذى فقال :

« واياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فان الحق فى مواطن الحق يعظم به الله الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله مابينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله »

* * *

وهذه الفقرة الأخيرة تذكرنا بعنصر مهم من عناصر البلاغة الفاروقية ، وهو الدعوة الى أدب النفس ، وأ كثرمايكون ذلك فى وصايا الحرب ، فقد كان هذا الرجل يقيم وزنا كبيراً للقوة المعنوية وكان يفهم أن الجندى لايشجع إلا حين يثق بأنه أفضل من خصمه من الوجهة الخلقية . وانظروا كيف يقول فى خطابه الى سعد بن أبى وقاص :

« أما بعد فانى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ماتفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وانتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بنى اسرائيل — لما عملوا بمساخط الله — كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم »

فهذه الرسالة تبين كيف كان عمر يحرص على أدب النفس ، وترينا كيف كان يدرك أن القوة تكون أولا فى النفس ، النفس البريئة من الظلم والجور والعسف . وهل رأيتم أقوى من هذه الكلمة : « ان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم » ؟

وعمر لايرى الايمان كل شىء ، وعنده أن المؤمن المذنب أهل لأن يكون فريسة للكافرين ، وهو يحدثنا أن المجوس وهم كفار انتصروا على بنى اسرائيل وهم مؤمنون

وبقليل من التأمل ندرك أن عمر يرى أن العمل أصل النجاة ، وأن العقيدة المجردة لا تنفع ، وانما النفع فى العمل الصالح ، فهو الذى يرفع ويخفض ، وبالعمل وحده يكون بعض الناس أفضل من بعض وأقدر على الظفر بالمنافع والخيرات

والبلاغة فى أمثال هذه الرسائل ليست بلاغة سطحية تعتمد على الزخرف والبريق ، وانما هى

بلاغة تقوم على أصول من الشرف ومن العدل ، فان سمعتم أنه بلغ بها من أنفس جنوده ماأراد ، فتذكروا أن جنوده كانوا يعلمون انها تصدر عن قلب عامر بأشرف ماتعمر به القلوب

* * *

أما بعد فقد كان فى النية أن نبين كيف تصور بلاغة الفاروق أحوال عصره ، ولكنا خشينا عواقب الاسهاب ، فهل يسمح القارىء بذكر شاهد واحد يبين خوفه من ارتفاع المبانى فى مصر ؟

لقد سمع عمر أن خارجة بن حذافة بنى غرفة بمصر — والغرفة لاتكون فى الدور الاول — فكتب الى عمرو بن العاص :

« سلام عليك ، أما بعد فانه بلغنى أن خارجة بن حذافة بنى غرفة أراد بها أن يطلع على عورات جيرانه ، فاذا أتاك كتابى هذا فاهدمها ، ان شاء الله ، والسلام »

والمدنية الحديثة تنكر ما اشار به ابن الخطاب ، ولكن مهلا ، فكم كانت نوافذ الغرفات بابا من الشر ومثاراً للفتون !

وليس يضير عمر أن لا تنسجم آراؤه مع المدنية الحديثة ، وانما يشرفه أن يحفظ التاريخ أنه كان يتطلع الى كل شىء من أخبار رعاياه فيعرف وهو بأرض الحجاز أخبار المنازل فى وادى النيل

وقد كان القارىء ينتظر أن نحدثه عن اسلوب الفاروق ، ولكنه لاحظ ولا ريب كيف قضى ابن أبى الحديد بأن اسلوبه كان خاليا من الزخارف التى أولع بها المحدثون

فبلاغة الفاروق هى وحى الفطرة ، هى صورة من صراحته الناصعة فى الحكم على الناس وعلى الأشياء ، وما كان هذا الرجل معروفا باكثار ولا اقلال ، وانما كان كلامه يصاغ وفقاً للظروف ، فلم يؤخذ عليه تفريط ولا إفراط

هذا ، وأعترف بأنى لم ابلغ من هذا البحث كل ما أريد ، ولكن جهد المقل غير قليل

زكى مبارك

رجال عمر

بقلم الاستاذ عبد الوهاب النجار

يرجع كثير من توفيق عمر فى اقامته العدل وتأييده الحق ، الى أنه احسن اختيار رجاله واعوانه ممن اشتهروا بالامانة والنزاهة ، والى انه وضع لهم قواعد رشيدة دقيقة يسيرون عليها فى سياسة الامة ، والى أنه كان يحاسب المسيء والعادى منهم حساباً عسيرا ، كما ترى فى هذا المقال الذى يعرض ويبين سيرة عمر فى عماله

يقوم الخليفة فى الأمة بين الله وعباده فى إجراء العدل وتأييد الحق ، وإقامة الدين وسياسة الدنيا به ، والزام كل انسان حد ما له وما عليه دون بغى عليه أو استطالة منه على سواه . ولكن يتعذر على الخليفة وحده أن يباشر كل شيء من ذلك فى ملك مترامى الاطراف ، فكان لابد من تفويض منه الى عمال يقومون عنه بتلك الأمر فى نواحيهم، ويكونون بينه وبين الرعية يطالعونه بأمورهم ويسوسونهم بسياسته

وكان حريصا على اتباع الكتاب الكريم فيما جاء به والاستناد بسنة رسول الله عليه السلام . وحريصا على أن يأخذ عماله بسيرته ويؤدبهم بآدابه رعاية للرعية وتحقيقا لحسن ملكة الاسلام وسماحة الدين وعدله . فكان يعد نفسه شريكا للعامل فى كل هفوة يهفوها ، قسيما له فى كل جريمة يقترفها ، لأنه انما يأتى ذلك بما له من السلطان الذى يستمده منه ويرى نفسه مسئولا أمام الله عن ذلك

قال الاستاذ الخضرى : « كان عمر ممن يشترون رضا العامة بمصلحة الأمراء فكان الوالى فى نظره فرداً من الأفراد يجرى حكم العدل عليه كما يجرى على غيره من سائر الناس . فكان حب المساواة لا يعدله شيء من أخلاقه ، اذا اشتكى العامل أصغر الرعية جره الى المحاكمة حيث يقف الشاكى والمشكو منه ، يسوى بينهما فى الموقف حتى يظهر الحق ، فان توجه قبل العامل اقتص منه ان كان هناك داع الى القصاص أو عامله بما تقضى به الشريعة أو عزله » . وان هذا الرأى الذى كان يراه عمر واستغرق وجدانه ومشاعره هو الرأى الذى ينص عليه فى قوانين أكثر الأمم عدالة وحرية وأحرصهم على المساواة بين أفرادها . ولم يأت عمر بدعا فيما كان يصنع ، فقد كان مظهراً لا مبتدئا ، إذ تقرر ذلك بمقتضى قوله تعالى : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وبمقتضى قول رسول الله عليه السلام فى حجة الوداع : « لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » . وانما جعل هذا الخلق ظاهراً

فى عمر ان الفتوحات قد كثرت والملك قد اتسع فكثرت العمال وطال زمن عمر وحدثت الاحداث وظهرت خطته فى ذلك واضحة

وسواس الأمم يختلفون فى شأن مؤاخذة العامل ذى السلطان بما يصدر منه من الهفوات، ومجازاته بما يجترم من السيئات، لأن فريقا يرون التجاوز عن سيئاته وغض الطرف عن زلاته أهيب لمقامه فى نظر الرعية، ولئلا يكون ذلك مدرجة لكثرة مطالب الرعية وكيدها للعمال وتجنيها عليهم. وقد كان ابو بكر على هذا الضرب من السياسة مع قواده وعماله فى أيام أهل الردة وقيام الاضطراب فى كل ناحية، وهى حال خاصة يغتفر فيها ما لا يغتفر فى غيرها، وكان عمر يخالفه فى هذا النحو من السياسة ويشير عليه بالاقتصاص من كل مخالف. وقد نهج عمر هذه الخطة فيما بعد حين استدعى سعد بن أبى وقاص من الكوفة لشكوى رفعها بعض من ألبوا عليه فى وقت كان المسلمون فى أشد الحاجة اليه، إذ كانت البعوث تضرب على الناس وهم فى التهيؤ لمناهضة العجم الذين جمعوا الجموع لحرب المسلمين واخراجهم من فارس، فلم يكرثه ذلك ولم يشغله عن النظر فى شكوى الشاكين، وسعد من نفس عمر بالمنزلة التى دفعت به الى جعله من أصحاب الشورى الذين ينتخب الخليفة منهم من بعده — وقد قال للمؤلبين: «ان الدليل على ماعندكم من الشر نهوضكم فى هذا الأمر وقد استعد لكم من استعد — يعنى الفرس — وايم الله لا يمنعنى ذلك من النظر فيما لديكم وان نزلوا بكم»

ذلك أن مصلحة العامة عنده فوق كل شىء.

* * *

كان عمر شديد المراقبة لعماله كثير السؤال عن سيرتهم وأخبارهم يقيم عليهم العيون يوافونه باخبارهم ولا يترك خبر سوء يبلغه عن احدهم دون تحقيقه والتثبت فى شأنه تثبتاً لايدع للشك مجالا ولا يغفل أن يرسل اليهم الأوامر تباعا أن يعدلوا ولا يظلموا ولا يأخذوا بالظنة ولا يبغوا ولا يغدروا

ولما غدر الهرمزان بعد العهد خشى أن يكون ذلك من ظلم أصابه من المسلمين فاستقدم وفداً من البصرة فيهم الأحنف بن قيس وسأله عن غدره أعن ظلم؟ قال: لا. فكتب الى عتبة بن غزوان زيادة فى الوصية ومبالغة فى التوكيد: «أعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغى، فانكم انما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه، وقد تقدم اليكم فيما أخذ عليكم، فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عونا وناصراً» وبلغه أن حرقوصا عامله على الأهواز نزل جبلا كؤوداً يشق على من رامه والناس يختلفون اليه فكتب اليه:

«أما بعد، بلغني أنك نزلت منزلا كؤودا لا تؤتى فيه الا على مشقة. فأسهل ولا تشق على

مسلم ولا معاهد ، وقم فى أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا ، ولا تدركنك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك »

وخطب عمر فقال : « يا أيها الناس : انى والله ما أرسل عمالى اليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلى ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه » فوثب عمرو بن العاص فقال :

« يا أمير المؤمنين : أرأيت ان كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته أئنك لتقصه منه ؟ قال : أى والذى نفس عمر بيده اذن لأقصنه منه ـ وكيف لا أقصنه منه وقد رأيت رسول الله (ص) يقص من نفسه ، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم »

وعن أبى رواحة قال : كتب عمر بن الخطاب الى العمال « اجعلوا الناس عندكم فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم وبعيدهم كقريبهم ، اياكم والرشا ، والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب فقوموا بالحق ولو ساعة من النهار »

وكان عمر يأمر عماله فى كل سنة ان يوافوه فى موسم الحج ، ومن كانت له شكوى أو مظلمة وافاه الى هذا الموسم كذلك ، ورفعها على العامل بحضرته . وهناك ترد الى المظلوم ظلامته ويشكيه من خصمه . فكان العمال يخافون الافتضاح فى موقف الحج على رؤوس الاشهاد ويحدوهم هذا الخوف على الابتعاد عن الظلم ، ولقد أحضر عمر كثيراً من عماله الذين لهم فضل عظيم فى الفتوح وأثر كبير فى نصرة الدين ، فهذا سعد بن أبى وقاص من أخوال رسول الله (ص) وهو فاتح القادسية والمدائن والعراق ومدوخ الفرس وممصر الكوفة ، اشتكى عليه بعض رعيته فأرسل محمد ابن مسلمة يحقق الشكاية علنا ، وجاء بسعد وخصومه الى عمر فوجده بريئاً من كل ما قرف به ولكنه عزله احتياطا . وأوصى عند وفاته أن يولى لأنه لم يعزله لجناية أو خيانة

والمغيرة بن شعبة ـ كان أميراً على البصرة ، وهو ذو بلاء وغناء فى نصرة الدين وفتوح فارس وغيرها ، اتهمه بعض من كان معه بتهمة شنيعة فلم يلبث أن أرسل اليه كتابا عاتبه فيه وعزله وأمر غيره . وهذا هو الكتاب : « أما بعد فقد بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم ما فى يدك والعجل العجل » . فقدم على عمر ومعه الشهود الذين شكوه فلم تثبت التهمة عليه وأقام عمر الحد عليهم بما فرضه الله لمثلهم

وهذا عمار بن ياسر كان أميراً على الكوفة ، وهو من السابقين الأولين ، أنهى الى عمر قوم من الكوفة أنه لا يحتمل ما هو فيه من الولاية عليهم ، وأنه ليس بأمير يقدر على هذا العمل ، فأمره عمر بأن يقدم عليه فى وفد من أهل الكوفة فسألهم عمر عما يشكون من عمار ، فقال قائلهم إنه

غير كاف ولا عالم بالسياسة ، وقال قائل منهم إنه لا يدرى علام استعمل ، فاختبره عمر اختباراً يدل على سعة علمه بفارس ونواحى الكوفة وتصوره موقع كل بلد ، فلم يحسن عمار الاجابة فى بعض ما سئل عنه فعزله ، ثم دعاه بعد ذلك فقال له أساءك حين عزلتك ؟ فقال : والله ما فرحت حين بعثتنى ولقد ساءنى حين عزلتنى . فقال لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكن تأولت قوله تعالى : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين »

جاء فى كنز العمال عن عاصم بن أبى النجود : « أن عمر بن الخطاب كان اذا بعث عماله شرط عليهم : أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقياً ولا تلبسوا رقيقاً ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس ، ان فعلتم شيئا من ذلك حلت بكم العقوبة »

***

أما انتخابه للأمراء وتحريه لأن يكونوا ذوى عفة وقناعة فكان على أتمه وقد تيسر له من هذه الطائفة مالم يتيسر لغيره . وكان كثير من عماله ينهجون منهجه ويترسمون خطواته . فمن عماله سلمان الفارسى على المدائن ، كان يلبس الصوف ويركب الحمار ببردعته بغير اكاف ويأكل خبز الشعير . ولما حضرته الوفاة بكى فقال له سعد بن أبى وقاص : يا أبا عبد الله مايبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان فى الآخرة عقبة لايقطعها إلا المخفون ، وأرى هذه الأساودة حولى. فنظروا فلم يجدوا فى البيت إلا إداوة وركوة ومطهرة . وكان أبو عبيدة بن الجراح عامله على الشام يظهر للناس وعليه الصوف الجافى ، فعزل فى ذلك ، فقال ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان عامله على حمص سعيد بن حذيم . فشكاه أهل حمص الى عمر وسألوه عزله . وكان عمر يعتقد انهم ظالمون له ، فقال اللهم لا تفل فراستى فيهم ، وجمع بينهم وبينه فقال : ما تنقمون منه ؟ قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار . قال ما تقول يا سعيد ؟ قال يا أمير المؤمنين انه ليس لأهلى خادم ، فأعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج اليهم . قال : وماذا تنقمون منه ؟ قالوا لا يجيب بليل . قال قد كنت أكره ان أذكر هذا ، انى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم . قال : ماذا تنقمون منه ؟ قالوا فى الشهر يوم لا يخرج الينا ؟ قال : نعم ليس لى خادم فاغسل ثوبى ثم أجففه فأمسى . فقال عمر : الحمد لله لم يفل فراستى فيكم يا أهل حمص ، فاستوصوا بواليكم خيراً . وبعث اليه بألف دينار يستعين بها فأبقى منها يسيراً وفرق سائرها فى اليتامى والفقراء والمساكين ولم يغير من عادته

وكان عمر اذا بلغه عن عامل من عماله ريبة فى معصية لم يمهله أن يعزله لأن استصلاح الرعية خير من الابقاء عليه . من ذلك أنه استعمل النعمان بن فضلة على ميسان من بلاد فارس وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها بميسان يسقى فى زجاج وحنتم
اذا شئت غنتنى دهاقين قرية وصناجة تشدو على كل ميسم
فان كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى ولا تسقنى بالأصغر المتثلم
لعل امير المؤمنين يسوؤه تنادمنا بالجوسق المتهدم

فقال عمر أى والله انه يسوءنى ذلك ، وعزله . فقدم على عمر وقال : والله ما أحب شيئاً مما قلت ولكنى كنت امرأ شاعراً وجدت فضلا من القول فقلت فيه الشعر . فقال عمر : والله لاتعمل لى عملا ما بقيت . وقد أشار المعرى الى هذه الحادثة بقوله :

أنعمان ما سر ابن حنتمة الذى سررت به من شرب ماق الحناتم

قال الاستاذ الخضرى : « ولم يمض عامل زمن عمر موثوقا به فى كل أيامه إلا القليلين ، وفى مقدمتهم أبو عبيدة عامر بن الجراح »

كان عمر قد أقام محمد بن مسلمة مفتشا عاما يرسله الى كل بلد اشتكى على أميره ، وكان عمر يثق به ثقة تامة ، وكان أهلا لذلك منه . وقد كان من رأيه أن يحقق الأمر تحقيقا علنياً على ملأ من الاشهاد إذ لاعمل للتأثير فى الشهود والخصوم ، لأن يد عمر كانت قوية جداً وقد زاد فى حرية الناس كثيراً ، فما كان أحد يخشى اميراً ولا عمر بن الخطاب ، اللهم إلا المريب فان عتابه عليه كان صارما

***

ومما ساس عمر به عماله أنه كان يحصى عليهم أموالهم قبل توليتهم ، فاذا زاد مال بعض ولاته صادرهم عليه كله أو بعضه ــ ذلك أنه كان يرى أن لا يتناول العامل من مال الأمة فوق كفايته ، فاذا تأثل مالا كان بذلك إما مربياً أخذه من غير حله فبيت مال المسلمين أولى به وفيهم اليتيم والمسكين والضعيف وذو الحاجة ، واما أن يكون راتبه والمسلمون أولى بما فضل عن كفاية العامل الذى يعمل بالأجر . قد يجد هذا العمل مجالا للانتقاد من الوجهة النظرية الدينية ، ولكن عمر ــ كما قال الاستاذ الخضري ــ كان يعرف من عماله من يستحق هذه العقوبة أن تقع عليه ، إذ ماذا يعمل برجل ولاه ، وهو يعرف مقدار عطائه ورزقه ، ثم يراه بعد ذلك قد أثرى ثروة لو جمعت أعطياته ما بلغتها ؟ لم ير عمر أمام ذلك إلا هذه المصادرة وقد اكتفى بأن يشاطر العامل ما يملك ، ولست أريد أن أحبذ هذه الطريقة

عبد الوهاب النجار

الزاهد المتقشف

عمر الفاروق

بقلم الاستاذ محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

قال رجل لابن المبارك : « يازاهد » فقال : « الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغبة فتركها ، واما انا ففيماذا زهدت ؟ »

وهذا كلام حق ، فان الزهد يقتضي شيئاً مقدوراً عليه يزهد فيه ، أما من لايقدر على الدنيا والتمتع بلذائذها ، ثم اظهر الزهد فيها فربما يكون صادقا فى زهده ، وكثيراً مايكون أحرى أن تكون زهدت فيه الدنيا من أن يكون زهد فيها

مثل هذا ـ وان خال نفسه زاهدا ـ لم يجربها ولم يمتحنها ، فهو يقدر أنه لو عرضت عليه الدنيا بمفاتنها ومباهجها وما فيها من لذائذ ومتع زوى وجهه عنها ، واستصغر من أمرها مايستكبره الناس ، وربما اذا عرضت عليه الدنيا انغمس فيها الى ناصيته . فليس المحك الذى يبين فضل المرء أن يتصور أنه فى حالة ثم يتصور ماذا يكون شأنه معها ، بل المحك الذى لا يخل أن يكون في هذه الحالة ، متلبسا بخيرها وشرها ، ثم ينظر ماذا يكون شأنه معها

وانما كان الأمر كذلك لأنه فرق كبير بين أن يتصور المرء أنه فى حالة وبين أن يلتبس بهذه الحالة :

وإذا ماخلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

وأصدق من جاز هذا الامتحان عمر بن الخطاب ـ الفاروق ـ فلقد ساد المسلمين ، وورث ملك الأكاسرة والقياصرة ، وقد كانوا فى ترف ونعمة ، ورث ذلك كله ، ولم يلف مأكل ولا مشرب ولا لذة يتلذذ بها المرء إلاكان قادراً عليها ، متمكنا منها ، فزوى وجهه عن هذا النعيم احتقاراً لشأنه ، ورغبة فى أن يجمع لنفسه مايكون عليه الملك العادل الكريم

روى أنه وجد على مائدته وهو خليفة للمسلمين خلا وملحا ، فقال :

ـ لا اجمع بين ادامين

رحمك الله يا ابن الخطاب ، أترى الملح والخل ادامين تتحرج من الجمع بينهما ، وان أفقر رعيتك لايراهما من أنواع الادام ، وانما يراهما من الأفاويه المشهية ، التى تحرك الشهية لما يكون قد أعد من طعام وادام ؟ !

وأخبار عمر فى الزهد والتقشف مستفيضة ، فمن ذلك أن بعض أعاظم الفرس وفد على المدينة ، فسأل عنه فدل عليه فوجده نائما فى المسجد على التراب ، فقال : «عدلت ،فأمنت ، فنمت» . ومنها أنه لما فتح الله عليه الشام سافر من المدينة اليها وكان معه خادم وناقة واحدة ، فكانا يعتقبانها ، يركب عمر والخادم يمشى ، ويركب الخادم وعمر يمشى ، فلما دخلا الشام كانت النوبة فى المشى على عمر فدخلا المدينة والخادم راكب وعمر يمشى !

ومنها أن عثمان بن عفان أتى على حظيرة الصدقة فى يوم شديد الحر ، شديد السموم ، فاذا رجل عليه ازار ورداء ، قد لف رأسه برداء ، يطرد الابل ، يدخلها حظيرة الصدقة ، فلما انتهى اليه اذا هو عمر بن الخطاب ، فتلا قوله تعالى : « ان خير من استأجرت القوى الأمين » وأشار الى عمر وقال : هذا والله القوى الأمين

ولسنا نريد ان نستقصى هذه الأخبار فى زهد عمر وتقشفه ، وانما نريد أن نلم ببعض الاسباب التى خلقت في عمر حالة الزهد هذه

ان عمر كان قوي الجسم ، صحيح البنية لا ممعوداً ولا ضعيفا ، مرهف الحس ، كسائر الناس ، يعرف مايلائم حواسه ومشتهياته ، وينكر غير الملائم ، فما الذى جعله يهرب من الملائم الى غير الملائم ؟

ان عمر لم يؤثر ذلك إلا وقد نشأت له حالة نفسية باين بها الناس الذين لايسلكون مسلكه ولا ينهجون نهجه ، هذه الحالة هى اعتقاده خساسة مازهد فيه من حظوظ الدنيا ، وشرف مارغب فيه مما اختار لنفسه ، وعلمه أنه اذا باع هذه بتلك كان رابح الصفقة ، غانم التجارة ، فباع نعيم الدنيا وملذاتها ، قادراً عليها بما عند الله من رضوان

تدبر القرآن الكريم

والذى غرس فى عمر هذه العقيدة طول استماعه وتدبره لما ورد فى القرآن من حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا »

« من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب »

« فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه

لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ، ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها إلا الصابرون »

وأخرى وهى حب عمر لرسول الله وتأسيه به وتأثره طريقه ، يدل لذلك ما ورد أنه حين فتح عليه الفتوحات ، قالت له حفصة البس ألين الثياب اذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر ، فقال عمر : ياحفصة الست تعلمين أن اعلم الناس بحال الرجل أهل بيته . فقالت بلى !

قال : « ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذاوكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة ؟

« وناشدتك الله هل تعلمين أن النبى لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر ؟

« وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على الارض ؟

« وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عباءة مثنية ، فثنيت له ليلة أربع طاقات ، فنام عليها ، فلما استيقظ قال منعتمونى قيام الليلة بهذه العباءة ، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ؟

« وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله كان يضع ثيابه لتغسل ، فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة ، فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة ؟

« وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صنعت له امرأة من بنى زفر كساءين ازارا ورداء ، وبعثت اليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر ، فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ، ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه ، فصلى كذلك ؟

« ياحفصة : قد كان لى صاحبان سلكا طريقا ، فإن سلكت غير طريقهما سلك بى طريق غير طريقهما ، وانى والله سأصبر على عيشهما الشديد ، لعلى أدرك معهما عيشهما الرغيد »

الراعى أولى من رعيته بالتقشف

وأخرى وهى أن عمر أصبح والى أمر المسلمين ، وقد رأى انه يسع الرعية مالا يسع الراعى من التمتع بحظوظ الدنيا ، لأن الراعى ان أشبع شهواته ضريت وقويت ، ولا تصل الى غاية من الحظوظ حتى تطمع الى غيرها ، فاستكثر من الاموال وربما كان ذلك ذريعة الى تطلعه الى ما بأيدى الرعية ، ليشبع شهواته الجائعة ، ويسكت نوازعه القوية ، لذلك كان يحب من ولاته للتقشف المعتاد شظف العيش

يروى انه كان يجمع ولاته فى كل عام من أمصارهم ويولم لهم وليمة يقدم فيها من خشن الطعام وغليظه ، ثم يرقبهم وهم يأكلون ، فمن رآه قد عافه علم انه مترف ، فكرهه لولايته ، ومن رآه قد ملأ بطنه منه ، علم انه متقشف فأحبه لولايته . ولم يكن عمر بدعا فى هذا الرأى فقد رآه بعض فلاسفة اليونان من قبله ، ومن يقرأ الجمهورية لأفلاطون ير ما يشترطه على الحكام من عزوف عن حظوظ الدنيا ومتعها ، والفرق بين أفلاطون وعمر ان أفلاطون رآه وفرضه على الحكام ، أما عمر فقد رآه وفرضه على نفسه ونفذه بالدقة والاحكام

ورابع الأسباب انه كان يرى ان الخليفة يجب ان يكون حظه من الدنيا كحظ أدنى رعيته يشهد لذلك قوله : اذا كنت فى منزلة تسعنى وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لى بمنزلة حتى أكون أسوة للناس

التقشف يحفظ القوة والنجدة

وآخر هذه الأسباب التى جعلت عمر يؤثر التقشف على الرفاهية والترف انه كان يرى ان الترف مذهب للبأس من الأمة ، وان الخشونة تحفظ عليها قوتها ونجدتها ، لذلك كان يكره الترف فى كل شىء لما يورث من النعومة والطراوة واللين، فمن ذلك انه ما كان يركب الفرس مستعينا بالركاب بل يقفز من الأرض فاذا هو على ظهر الفرس فكأنما خلق عليه

يكره فى كل أمره عادة العجز ، واننا نرى الأمة الانكليزية فى هذا العصر تأخذ بهذا المبدأ ، فرجال الطبقة العالية منهم يزاولون الاعمال الشاقة كتسلق الجبال والتجديف فى الانهار ، والألعاب الرياضية الشديدة ، ليبقوا على رجولتهم التى تمكن لهم فى الحياة ، فانهم يعلمون أن الأمم اذا تساوت فى المواهب العقلية فأقدرها على التغلب أقواها رجولة

رحم الله عمر بن الخطاب فقد كان صادق الفراسة ، قوى الظن ، فاذا لخصت تاريخ الأمة الاسلامية تراه يتلخص فى هذا البيت :

ما أفسد الدين والدنيا سوى ترف   هذى بواقيه تسرى فى بواقينا

محمد عرفة

الإسعاف الطبي والوقاية الصحية

وضع أساسهما عمر بن الخطاب

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد

مدير مستشفى الملك

قد يبدو هـذا البحث غريباً عن موضوع الفاروق ، ولكن هذا الرجل العبقري طالما سبق بتفكيره عصره ويشـه بآماد طويلة ، فابتكر نظما وأوضاعاً لم ينتبه اليها الناس الا فى هـذا العصر الحديث ، كما ترى فى هذا المقال الذى يبين الأسس التى وضعها عمر للصحة العامة والاسعاف الطبي

لو سألت أى طبيب من الأطباء المعاصرين عمن وضع أساس التمريض على عواتق الآنسات والسيدات لما فيهن من الصفات التى تؤهلن لهذا العمل الشريف ، كالشفقة والرحمة والرأفة والحنان وخفة الحركة وعذوبة اللسان وحسن المعاملة والصبر ، لكان الجواب على الفور : هى المس نايتنجيل منذ قامت بأعمالها المجيدة فى حرب القرم

ولو راجعنا كتب التمريض والموسوعات المختلفة لما ظفرنا بغير هذا الجواب. وما أدرى كيف نسى مؤرخو الافرنج وهم يكتبون تاريخ التمريض ما لنساء العرب فى صدر الاسلام من النصيب ، مع انهم أسهبوا فيما بدا من الجمهور الانكليزى من المعارضة والمقاومة يوم فكرت المس نايتنجيل فى التمريض كأنها قامت بذلك على غيرمثال سابق ، أو كأن نساء العرب لم يسبقنها فى صدر الاسلام فى مداواة المرضى والقيام على الجرحى

ويكاد يكون قريباً من ذلك نسيان المؤرخين من الافرنج ذكر روح الاسعاف وروح الهلال الأحمر مما كان منتشراً فى صدر الاسلام وظاهراً جداً فى عهد الفاروق رضى الله عنه . فقد قيل على ما ورد في البخاري : « ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قسم مروطا بين نساء من نساء أهل المدينة ، فبقى منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين اعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التى عندك ، يريدون أم كلثوم بنت على ، فقال عمر : « أم سليط أحق به منها» (وأم سليط من سائر الانصار ممن بايع رسول الله) قال عمر : « فانها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد » والمروط جمع مرط وهو كساء من صوف أو خز يؤتزر به وربما تلقيه المرأة على رأسها

فتلفع به ، والزفر الحمل على الظهر . ولم يقتصر عمل النساء فى أثناء المغازى فى صدر الاسلام على حمل القرب بل كن يداوين المرضى ويقمن على الجرحى

وسنقص فيما يلى ما يدل على انتشار روح الاسعاف الطبى فى عهد الفاروق وكذلك على انتشار روح الهلال الأحمر فى الوقت نفسه ، لان الاسعاف الطبى جزء من برنامج الهلال الاحمر فى زمن السلم يتلخص فى تحسين الصحة العامة واتقاء الامراض وتخفيف الآلام والاسعاف فى الكوارث المختلفة وتنشئة الصغار على حب السلام حتى اذا شبوا كانوا قوة فى كفة السلم ، ومما يدخل فى هذه الاغراض تقديم الطعام فى أوقات المجاعات وتقديم الثياب والنفقة عند اللزوم . واليك ما فعله عمر بن الخطاب قياما بهذه الاغراض :

فقد روى عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : « خرجت مع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه الى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين هلك زوجى وترك صبية صغاراً ليس لهم زرع ولا ضرع وخشيت عليهم الضبع ، وأنا ابنة خفاف بن أيمن الغفارى وقد شهد أبى الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوقف معها عمر ولم يمض وقال : مرحبا بنسب قريب ثم انصرف الى بعير كان مربوطا فى الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطامه وقال : اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير . فقال رجل يا أمير المؤمنين اكثرت لها . فقال عمر : ثكلتك أمك والله انى رأيت أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا فافتتحناه ثم أصبحنا نستفىء سهامهما فيه »

وكذلك روى التاريخ فيما روى عن أنس بن مالك قال : « بينما عمر رضوان الله عليه يعس بالمدينة إذ مر برحبة من رحابها فاذا هو بيت من شعر لم يكن بالأمس ، فدنا منه فسمع أنين امرأة ورأى رجلا قاعداً فدنا منه فسلم عليه ثم قال : من الرجل ؟ فقال : رجل من أهل البادية جئت الى أمير المؤمنين أصيب من فضله ، فقال وما هذا الصوت الذى أسمعه فى البيت ؟ فقال انطلق رحمك الله لحاجتك ، قال على ذاك ما هو ؟ قال : امرأة تمخض قال : هل عندها أحد ؟ قال : لا . فانطلق عمر لامرأته أم كلثوم بنت على رضوان الله عليها وقال لها : هل لك فى أجر ساقه الله اليك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : امرأة تمخض ليس عندها أحد قالت : نعم إن شئت . قال : فخذى معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن وجيئينى ببرمة وشحم وحبوب ، قال فجاءت به فقال لها انطلقى . وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى الى البيت فقال لها : ادخلى الى المرأة . وجاء حتى قعد الى الرجل فقال له : أوقد لى ناراً ففعل ، فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام . فلما سمع بأمير المؤمنين كأنه هابه فجعل يتنحى عنه فقال له : مكانك كما أنت فحمل البرمة فوضعها على الباب ثم قال : أشبعيها . ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب فقام عمر رضوان الله عليه فأخذها فوضعها بين يدى الرجل فقال : كل ويحك ! فانك قد

سهرت من الليل ففعل . ثم قال لامرأته اخرجي وقال للرجل اذا كان غداً فآتنا تأمر بما يصلحك ففعل الرجل فجازاه وأعطاه »

وانظر الى عمر هذا الذي قام بهذا العمل الجليل كيف يخشى الله مع تفانيه في خدمة رعيته ، فقد روى عن جعفر بن زيد العبدي قال : «خرج عمر رضوان الله عليه يعس بالمدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من الانصار فوافقه قائما يصلي فوقف يسمع قرآنه فقرأ «والطور» حتى بلغ : «ان عذاب ربك لواقع ، ما له من دافع » فقال : قسم ورب الكعبة حق فنزل عن حماره فاستند الى حائط فمكث مليا ثم رجع الى منزله فمرض شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه »

وقل لي أيها القارىء الكريم ألا تنم هذه الحكاية عن روح الاشفاق بأكرم معانيه وأدقها وأرقها ؟

واذا قرأت في هذه الأيام في احدى الجرائد أن ذلك الملك قد تفضل فزار مع تلك الملكة أحد المستشفيات فواسيا المرضى والجرحى ، وطيبا خاطرهم وبعثا لهم بشيء من الحلوى كالشوكولاتة وشيء من الورد والأزهار ، أفلا تعد صنيعهما هذا عملا مأجوراً وسعيا مشكورا تطنطن به الجرائد والمجلات ، وتنشر لهما الصور المختلفة وهما يدخلان المستشفى ويقابلان فيه أولى الشأن ، ثم وهما يطوفان بعنابر المرضى والجرحى ويواسيانهم الى أن يخرجا بمثل ما قوبلا به من آيات التبجيل والاحترام ؟ أما عمل عمر بن الخطاب وامرأته في جوف الليل ، البالغ حد المروءة والكرم ، فلعلك لأول مرة تسمع به مذكورا ، ولعلك لأول مرة تراه على الصفحات منشورا ، وهلا ترى أيها القارىء الكريم أن عملهما هذا في هذا العصر البعيد هو أساس ما وصل اليه الرقي في هذا العصر مما يسمى (رعاية الطفل) ؟ ففي مراكز رعاية الطفل يقوم الأطباء والطبيبات بتوليد الوالدات في بيوتهن . وقد تقدم هذه المراكز في الوقت نفسه للوالدات الفقيرات شيئا من المساعدة المالية أو المادية كثياب الطفل الى غير ذلك مما يصلح للمرأة في أثناء الولادة

***

وان تعجب من انتشار روح الاسعاف الطبي بل روح الهلال الأحمر فاعجب من أن روح الوقاية الصحية لم تكن أقل انتشارا في عهد الفاروق رضوان الله عليه ، فقد روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر رضوان الله عليه خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ - أول الحجاز وآخر الشام - لقيه أمير الأجناد أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال بعضهم خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء . فقال ارتفعوا ثم قال : أدع لي الأنصار ، فدعوتهم ، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم . فقال ارتفعوا

عنى ثم قال ادع من كان من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلف منهم رجلان فقالوا إنا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء.فنادى عمر فى الناس : انى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه . فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قدر الله تعالى ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نفر من قدر الله الى قدر الله . أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان احداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال ان عندى فى هذا علما ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » فحمد الله عمر ثم انصرف

ودعنا من أن عمر لم يرد أن يقطع بشيء مستبداً برأيه بل فضل أن يستشير اخوانه وأصحابه رضوان الله عليهم ، قل لى ألا ترى فى هذه الحكاية مبدأ (العزل) الذى يعتبره رجال الصحة فى جميع العالم أساساً لاتقاء الأمراض المعدية ؟

وكذلك جاء فى كتاب الفاروق عمر بن الخطاب طبعة المكتبة الاهلية بيروت ما يأتى :

« وعمر أول من فرض للمجذومين شيئا من بيت المال ومنعهم بذلك عن الاختلاط بالناس فكفاهم أمر حياتهم وكفى الناس أمر العدوى والضرر »

وهلا يدل ذلك الأساس على أحدث نظام وهو نظام المستعمرات للمجذومين مما هو متبع فى أرقى البلاد التى لا زال فيها هذا المرض منتشرا ؟ وكذلك جاء فيه ما يأتى :

« وقال عمر : لا تزالون أصحاء ما نزوتم على ظهور الخيل ونزعتم عن القسى » أفلا يدعو الفاروق رضوان الله عليه بهذه العبارة البليغة الى ركوب الخيل والتدريب على الرماية وهما من أحسن أنواع الرياضة البدنية وأفيدها للشبان للدفاع الوطنى . وتراه رضوان الله عليه يدعو بعبارة أخرى الى نظافة الجسم ونظافة الثياب وهما من أهم أركان الوقاية الصحية . فهو يقول : « يعجبنى الشاب الناسك نظيف الثوب طيب الرائحة »

وانظر الى قوله رضى الله عنه : « اياكم والبطنة ــ وهى كثرة الاكل ــ فانها مكسلة عن الخير مفسدة للجسد مورثة للسقم ، ولن يهلك العبد حتى يؤثر شهوته على دينه » أقول انظر الى عبارته هذه ألا ترى فيها جماع ما يلزم الانسان للوقاية من آفات جهاز الهضم وما يعقبها من المضاعفات ؟

ومن أهم وسائل الوقاية الصحية التى كان يدعو اليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه عدم غش اللبن بمذقه بالماء ، وهو ما تحاربه وزارة الصحة فى هذا العهد بأقصى مجهودها

فقد روى أن عمر كان يعس بالمدينة إذ عيى فاتكأ على جدار فى جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها : يا بنتاه قومى الى ذلك اللبن فامذقيه بالماء . قالت : يا أماه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟ فقد أمر مناديه فنادى لا يشاب اللبن بالماء . فقالت : يا بنيتى قومى الى اللبن فامذقيه بالماء

فانك بموضع لا يراه عمر ولا منادى عمر . فقالت الابنة : والله ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء ، وعمر يسمع ذلك كله فقال لمولاه أسلم : علم الباب واعرف الموضع ، ثم مضى فى عسه . فلما أصبح قال : يا أسلم امض الى الموضع فانظر من القائلة ومن القول لها وهل لها من بعل ؟ فذهب ورجع فأخبر عمر فدعا عمر ولده وقال : هل فيكم من يحتاج الى امرأة فأزوجه . ولو كان بأبيكم حركة الى النساء ماسبقه منكم أحد . فقال عاصم : أنا يا أبتاه لازوجة لى فزوجنى ، فزوجها من عاصم ، فولدت له بنتا وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله

ولم يكن منعه رضى الله عنه غش اللبن بالوسيلة الوقائية الوحيدة فى موضوع اللبن ، بل كان القوم فى عهده اذا أرادوا أن يحلبوا الناقة أراحوها وتركوها حتى تستقر ثم غسلوا أخلافها قبل الحلب . واراحة البقر والجاموس وتركها حتى تستقر ثم غسل الضروع قبل الحلب من الوسائل الوقائية الحديثة

فقد روى أن كلاب الكنانى سأل عمر بن الخطاب أن يغزيه فأغزاه وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبة كلاب عن أبيه قال أبوه فى ذلك شعراً ، فلم يرد عمر ابنه . ثم أتى عمر وهو فى المسجد فوقف عليه وأنشد أبياتا رق لها قلب عمر فبكى وكتب الى سعد يأمره باقفال كلاب ابن أمية الى المدينة

فلما دخل عليه قال له : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أكفيه أمره وكنت أعتمد اذا أردت أن أحلب لبنا أغزر ناقة فى ابله وأسمنها فأريحها فأتركها حتى تستقر ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحلب له فأسقيه . فبعث عمر الى أبيه فجاء يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما ترى يا أمير المؤمنين . قال : هل من حاجة ؟ قال : نعم أشتهى ان أرى كلابا فاشمه شمة وأضمه ضمة قبل ان أموت . فبكى عمر ثم قال : ستبلغ فى هذا ما تحب

ثم أمر كلابا أن يحلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث اليه بلبنها ففعل فناوله عمر الأناء وقال: دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه الى فمه قال لعمر : الله يا أمير المؤمنين انى لأشم رائحة يدى كلاب من هذا الأناء ، فبكى عمر وقال له : هذا كلاب عندك حاضر قد جئناك به ، فوثب اليه ابنه وضمه وقبله وجعل عمر ومن حضر يبكون وقال عمر لكلاب : إلزم أبويك ما بقيا ثم شأنك بنفسك بعدهما . وأمر له بعطائه وصرفه

وبمناسبة اللبن أبدى أن عمر بن الخطاب كان يأمر بتوزيع اللبن على الفقراء من الأولاد لتغذيتهم ، وهو من الأنظمة الحديثة المتبعة فى بعض البلاد فى مراكز رعاية الطفل ، واليك ما يدل على هذا النظام فى عهده رضى الله عنه :

فقد روى أن رفقة من التجار قدمت الى المدينة فنزلوا المصلى فقال عمر لعبدالرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق ؟ فباتا يحرسانهم ويصليان . فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحو

أمه فقال لها : اتق الله وأحسني الى صبيك . ثم سمع بكاءه آخر الليل فأتى أمه فقال : ويحك انى لأراك امرأة سوء ، مالى أرى صبيك لا يقر منذ الليلة ؟ قالت : يا عبد الله قد أضجرتنى منذ الليلة انى أريبه على الفطام قال : ولم ؟ قالت : لان عمر لا يفرض لرضيع انما يفرض لفطيم . قال عمر : وكم له ؟ قالت : اثنا عشر شهرا . قال : لاتعجليه . وذهب فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه ، فلما سلم قال : يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين . ثم أمر فنادى ألا تعجلوا أولادكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام وكتب بذلك الى الآفاق كافة

ومن وسائل الوقاية الصحية حرصه على اقامة الحد على شاربى الخمر حرصا على تحريمها ، اتقاء لضررها كما يتضح مما يأتى :

فقد كتب اليه أبو عبيدة أن ضرارا وأبا جندل وعمرو بن معدى كرب وغيرهم شربوا الخمر وانهم أجابوا حين سألهم : « خيرنا فاخترنا » قال : « فهل أنتم منتهون » ولم يعزم . فكتب اليه عمر : معناه فانتهوا وقال له : أدعهم على رؤوس الناس وسلهم هذا السؤال لا تزد عليه ولا تنقص منه : أحلال الخمر أم حرام ؟ فان قالوا حرام فاجلدهم وان قالوا حلال فاضرب أعناقهم . فسألهم أبو عبيدة وكانوا أحسوا بالشر فقالوا بل حرام فجلدهم وندموا على لجاجتهم ثم تابوا

ولولا خوفى من ملل القارىء الكريم لتماديت فى سرد ما يدل على أن عمر رضى الله عنه وضع أساس الاسعاف الطبى والوقاية الصحية

الدكتور محمد عبد الحميد

كلمات مأثورة عن الفاروق

* ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع
* من كتم سره كان الخيار بيده
* رب نظرة زرعت شهوة ، ورب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا
* أعقل الناس أعذرهم للناس

ان حلم العلماء بالانسان الأعلى

قد تحقق فى عمر بن الخطـاب

عُمَر والمثل الأعلى

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

الانسان الأعلى هو حلم الانسانية من قديم . وهو يتمثل لنا قوى الجسم قوى النفس معا . وقد عملت للدنيات القديمة على تنشئته ، ولا سيما الاغريق الاقدمون ، فكان كل اغريق يأخذ بنصيب من الثقافة الفنية والرياضة البدنية . وكان الفلاسفة يمجدون الاجسام القوية الجميلة ، وكان أصحابها الفتيان يتتلمذون للفلاسفة ويستمعون لبحوثهم العميقة من إلهية وطبيعية . . . . وأخيراً هذه هى المدنيات الحديثة ـ وحسبنا الاشارة الى نظم التربية فى البلاد الانجليزية والى الحركة القائمة فى ألمانيا النازية ـ تسعى سعيها مطرداً كان أو عنيفاً بما أقامته من النظم والأوضاع وما أحدثته من المذاهب والانقلابات ، كل دولة على طريقتها بين القصد والشطط ، الى تحقيق هذا المثل للانسان الأعلى

وبعد فلننظر الى عمر بن الخطاب كما وصفه واصفوه ، لنتبين بالمقابلة كيف تحقق عند العرب هذا المثل الأعلى كما ينشده ناشدوه

كان عمر قويا ، شديد الأسر ، طوالا مشرفا على الناس يفرعهم ، وكان اطوله كأنه راكب ، جسيما ، أصلع ، آدم شديد الحمرة ـ وانما تغير لونه عام الرمادة لعكوفه على أكل الزيت وتحريمه على نفسه السمن واللبن حتى يخصب الناس ويزول عنهم ما نزل من قحط . وكان مسبل اللحية فى أطرافها صهوبة من الحناء ، وفى عارضيه خفة . وكان أعسر أيسر يعمل بكلتا يديه . وكان إذا تكلم أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع . ويروى عن فروسيته أنه يأخذ أذنه اليسرى بيده اليمنى ويجمع باليسرى جراميزه (ما ينتشر من ثيابه) ويثب على فرسه فكأنه خلق على ظهره

ونحن نسمع اليوم الى القيامة القائمة فى أوربا الوسطى ، ونقرأ الدعوات الملحة المتجاوبة فى أنحاء العالم المتحضر ، بوجوب الأخذ بالقواعد اليوجينية والعمل على اصلاح النسل ، وما يقترحونه فى هذه البلاد أو تلك من شتى الوسائل كاعادة النظر فى قوانين الزواج والاشراف عليه اجتماعيا وطبيا ، والذهاب الى حد تعقيم غير الأصحاء وحرمانهم من النسل ، ومنع الاقتران بين الآريين

وغيرهم من الاجناس البشرية الى غير ذلك ، ثم تعهد النشء بالرياضة البدنية وتدريبهم على الحياة العسكرية حتى تكفل الدولة إنجاب جيل من الجبابرة يقوم عليه بناء الدولة العظيمة . وما نظن إلا أن عمر بن الخطاب كما قدمنا مثال لانمط المطلوب ويجيء على رأسهم

وينبت الانسان الأعلى عادة في المنبت الكريم حيث تغذوه الطينة الحرة والأعراق الأثيلة ، فيجتمع له ذخر أسلافه من كريم الصفات وحر الخلال . وهيهات تكون الصفة المكتسبة كالصفة الموروثة ، لان التطبع بالفضائل لا يكون إلا بالمعاناة وحمل النفس على مكروهها ، وليس يتحول التطبع بها طبعا متأصلا إلا بعد مخالطتها النفوس أجيالا بعد أجيال . فما من طبع كريم في نفس انسان إلا وهو موروث ، وأما ما ليس موروثا فهو ناقص لانه مجرد بداية فلا غرو أن يلين للغمز ولا يثبت على العجم . فأبناء الكرام نشأوا من صغرهم على الأنفة وعزة النفس ، وتعودوا السيادة ، ولم يعرفوا الخنوع ، وحماهم جاه أهليهم الامتهان فلم تستذلهم الحاجة وطلب القوت ، ولم يبلد شعورهم دوام الكد في خدمة الغير كالدواب المسخرة من غير ارادة ولا اختيار ، فاذا أفاد هؤلاء لأجسامهم قوة عضلية فانها قوة بغير فتوّة ، واذا أفادوا لمعاشهم الغنى فانهم من الحرص عليه أدنى الى المسألة وارتضاء المساومة في الحق والشرف . أما الكرام أبناء الكرام فانهم في طلبهم للعلم والثروة والقوة يطلبون السيادة

ولقد كان عمر من أشراف العرب ، فقومه من عدى ولهم في قريش منزلة رفيعة ، وكانت السفارة فيهم والاحتكام اليهم اذا نشب في قريش خلاف أو وقعت حرب بينهم وبين غيرهم . وكان في حال صغره يرعى غنم أبيه ، ثم اشتغل بالتجارة بحر ماله وقدم الشام متجراً غير مرة في الجاهلية، وما زالت هذه صناعته في الجاهلية والاسلام حتى ولى الخلافة فتركها اشتغالا عنها بمصالح المسلمين ، وكان يشترك في حلقات المصارعة بسوق عكاظ كما أنه من الأقلين الذين كانوا عند مجيء الاسلام يعرفون القراءة والكتابة . وبالجملة كان عمر فارسا صنديداً ، ومصارعا جليداً ، وخطيبا مفوها

وكان العرب في الجاهلية يسلمون سراً ويجتمعون في دار الارقم في أصل جبل الصفا مستخفين ، لقلتهم وشدة قريش عليهم ، فلما أسلم عمر حتى راح يطوف بمجالس المشركين معلنا اسلامه هنا وهناك متعرضا للخصومة والمضاربة . وقد أقبل على الرسول مطالبا باظهار الدين فخرج رسول الله في صفين من المسلمين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا الكعبة ، ومن يومئذ سمى الفاروق . ولم يؤثر ان أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفيا ، إلا عمر فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده اسهما واختصر عنزته (عكازة لها زج في أسفلها) ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعا متمكنا ثم أتى المقام فصلى متمكنا ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ، وقال لهم : « شاهت الوجوه ! لا يرغم الله إلا هذه المعاطس . من أراد أن تثكله أمه ، ويؤتم ولده ، ويرمل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادى » . وكان عمر يؤثر القتال مع

قلة الاعوان على صلح يراه غير شريف كصلح الحديبية . وكان مع حبه للشورى لا يستوحش من الوقوف وحده والاضطلاع بمسئولية الرأى يراه بمفرده ، وقد اختلف مع الرسول وخليفته أبي بكر في مصير أسرى بدر إذ كانت مشورته فيهم القتل ، وفى نظام توزيع الاعطيات من بيت المال إذ كان حكمه عدم التسوية والتفضيل بالسابقة فى الدين ، وفى عزل خالد بن الوليد سيف الاسلام فى أوج انتصاره ، وكذلك فى تطبيق بعض الاحكام الشرعية مما قضت به السنة كتحريم المتعة ووقوع الطلاق الثلاث ، وغير ذلك من الأمثلة على أنفته وعزة نفسه واستقلال شخصيته كثير يضيق المقام عن سردها لانها تنتظم سيرته كلها

والى هذا فلابد للانسان الاعلى من الألم ليصهر معدنه ويصفيه ويجعله كالنصل المذكر المسقى . ولا نعنى بالألم ما يرزح تحته المساكين ولا يملكون معه غير الضراعة والأنين ، بل نعنى مايكتوى به الحر العاق بين حين وحين فيطبعه على الاحتمال والجلد ويحدوه الى المقاومة والعناد ، ويحفزه الى التمرد والاستعلاء . وعلى هذا الوجه يكون الألم مصدر العظمة . فلا ينزل نزول الحتم الذى لامرد له كالصخر الساحق الأصم ، بل هو كالقوة الشاعرة ، تغالبك وتغالبها وتصاولك وتصاولها وتعنف بك وتطمع فى قهرها . وأ كثر ما يكون هذا الألم معنويا ، ينشأ عن عدم موافقة الوسط ، وهى حال تقتضى المجاهدة والمدافعة ، وتفيد قوة العزيمة وشدة الشكيمة وتزيد فيهما ، وهما عتاد الانسان الأعلى وعدته . وقد عرف عمر بن الخطاب هذا الألم وأفاد منه شدة على شدته حتى ليس وراءها مزيد . ثم ان الألم وان أصاب الانسان الأعلى في شخصه فانه يفقد عنده معناه الشخصى ، ويختلط بكل ما يشكو منه الأحياء ، فاذا هو تألم للحالة العامة يدعوه للجهاد لا كالمظلوم المهين يدفع عن نفسه بل جهاد المصلحين بكل ما فى هذا الجهاد من سمو وشرف

والانسان الاعلى محفوز بطبعه الى الاهتمام بما فيه صلاح الاجيال المقبلة واسعادها ، شديد الشعور بحقوقها عليه والتزاماته نحوها ، فهو لا يعيش لنفسه ولا لتوفير الراحة والهناءة لانصاره وأهل زمانه . بل هو لا يبرح متطلعا الى المستقبل كأهل الكشف وأصحاب الرؤى ، ويزيد أنه يسعى لتحقيق أحلامه ويعمل على جعلها حقيقة واقعة عن قريب . فهو خيالى وعملى الى أقصى الحدود . وليس يخلو عظيم من هذا العنصر الدينى ولو زعم أنه بغير دين . فهو أبدا عامر القلب بالايمان بمستقبل الانسان ، معنى بالغاية البعيدة العالية ، مقبل فى سبيلها على البذل والتضحية ، وكما يقسو رجل الدين على بعضهم فيلحق الاذى بأجسامهم ، وقد يقضى على حياتهم ، وهو ـ فى هذا ـ أشد ما يكون رحمة بهم لانه ناظر الى خلاص نفوسهم ، فكذلك يفعل الانسان الأعلى فيعنت أبناء جيله ويحملهم على المكاره ويحبب اليهم الاستشهاد لتخلص نفوسهم وينعموا بالحياة الباقية فى الاجيال الآتية . ولا معدى لمن يعنيه مستقبل الانسانية أن يجعل حياة الجنس فوق الافراد ، ويقدم خير الجنس ومصالحه على قدر ما يعانونه من مشاق وآلام

وقد كان عمر أمير المؤمنين أول من حمل الدرة مصطحبا لها فى غدوه ورواحه ، يضرب بها فى كل مناسبة من يرى تأديبه لسوء رأى أوتقصير ، فتارة ينخس بها وتارة يخفق ، ولا يحجم أن يعلو بعذبتها رأس الكبير قبل الصغير . فهى كثيراً ما كانت تتكلم عنه ، وكثيراً ما كان يعتمد عليها فى توكيد زجره وانتهاره . وكان لا يدعها حتى فى المسجد حيث يقوم بين الصفوف فيقول : « استووا ! » ثم لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان رأى رجلا متقدماً فى الصف أو متأخراً ضربه بالدرة . وبحسب درته هذه أن قيل فيها « لدرة عمر أهيب من سيوفكم » . وذهب بعضهم الى أنه وقعت زلزلة فى المدينة ، فضرب عمر الدرة على الارض وقال : « اسكنى باذن الله » فسكنت ! وكانوا اذا ذكروا غضبه قالوا انه أمر عظيم ! ولا عجب فان كل عظماء التاريخ ينطوون على هذه المادة المتفجرة . والعظيم حرص شديد على التزام حد الشرع لا تأخذه فى ذلك هوادة

ولم يكن عمر يأخذ بهذه الشدة الأبعدين دون الأقربين . بل كان اذا أراد أن يأمر المسلمين بشىء أو ينهاهم عن شىء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله فجمعهم فقال : « انى نهيت الناس عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم ، وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله الا أضعفت عليه العقوبة » . وكان هو نفسه أشرب الناس للخمر فى الجاهلية فما زال فى الاسلام يهيب بالنبى ويبتهل الى السماء: « اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافيا » حتى نزلت الآية بتحريمها ، وقد بلغ من مقته لها أن جعل الحد فيها ثمانين جلدة . وقد حد عمر ابنه عبد الرحمن واسمه أبو شحمة فى الخمر فمات . وكان لا يفرق فى المعاملة بين المسلمين سواء فى ذلك الملك والسوقة . وحكايته مع ملك غسان جبلة بن الأيهم مشهورة ، فانه لما أسلم وفد على عمر بن الخطاب بأبهة الملك وحشمه فتلقاه عمر بالترحيب ، وبينما هو يطوف يوما وطىء على إزاره اعرابى من بنى فزارة فضربه على وجهه فشكاه الاعرابى الى أمير المؤمنين فاستدعى عمر جبلة وقال له : « اما أن ترضيه واما أن يضربك كما ضربته » وكذلك كان موقفه من القضاة وعماله على الولايات فقد كان شديد المراقبة لهم والتعقب لاخبارهم ، يستشير أحيانا فى تعيينهم أهل الأقاليم أنفسهم ، ويستعلم دائما من الوفود عن سيرتهم ، ويبعث من يحقق الشكاية فى حقهم

وقد أنتجت هذه الروح الجادة أثرها فى الناس فأخذوا الحياة مأخذ الجد . وبهذه الروح أقبلوا على الفتوح فى الشام وفلسطين ومصر وفارس ، وغلبوا الروم فى أدنى الأرض واستولوا على ملك الأكاسرة . كما أنهم أقبلوا فى الوقت نفسه على تمصير الأمصار ونشر العمران ، فشقت الطرق ، وأقيمت الجسور ، وحفرت الترع ، وكتب التاريخ الهجرى ، ورصدت الدواوين لاحصاء المسلمين وضبط موارد الدولة وتوزيع الأعطيات ، ومسحت أراضى السواد ، وأنشئت دور الضيافات والمؤونة ، وضربت النقود ، ووضعت ولاية الحسبة للاشراف على الأسواق ومراقبة الاسعار ، وعززت الحصون ، وجعلت المرابطة من الجند فى الثغور ، وعنى بالمناظر المرفوعة على رءوس

الجبال ، ونظم الحرس والشرطة ، وبنيت السجون للمفسدين ، واستعمل البريد فى نقل الرسائل

وقد كان عمر يخشى على المسلمين من ليونة العيش والترف حتى كان يشرط على عماله ألا يركبوا برذونا ، ولا يأكلوا نقيا ، ولا يلبسوا رقيقا . وقد غضب على سعد بن أبي وقاص وهو فاتح دولة فارس حين سمع أنه بنى له فى الكوفة قصراً ليكون داراً للامارة وأنه يمتنع عن الناس بالأبواب والحجاب . ويروى أنه دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل ولبس ثيابا حسانا فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه ، فقالت له ابنته حفصة : « لم ضربته ؟ » قال : « رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها اليه » . وكان لباس عمر أمير المؤمنين نفسه ثوبا جافيا مرقوعا . وكان تقشفه يشق أحيانا على صحابته وقد قالت له ابنته مرة فى حنو ومرارة : « لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاما هو ألين وأطيب من طعامك ! » . وقد قنع من بيت المال بالكفاف له ولعياله ، وحلة للشتاء وحلة للصيف ، وراحلة عمر للحج والعمرة ، ودابة لحوائجه وجهاده . وكان عمر يقوم أحيانا في اليوم الصائف الشديد الحر الشديد السموم متزراً ببرد أسود وقد لف رأسه آخر، يدهن ابل الصدقة بالقطران ويعدها ويكتب ألوانها وأسنانها ويدخلها الحظيرة !

على أن هـذا الذى عرف فى خلق عمر من الشدة والعنف لا يناقض الرحمة ولا ينفيها . وان فى نفس العظيم دائما شدة ، لان اهتمامه بالعظائم والمساعى الجسام يشغله عن الالتفات الى سفاسف الآلام . كما أن شدته تأتى لا محالة مع الأقوياء تحديا لقوتهم . فان عرض له موضع كريم للرحمة كان أحق الناس وأسرعهم الى الاغاثة . وقد اشتهرت عنه حكايتان فى أثناء عسه بالليل وفيهما الكفاية . تروى احداهما خبر وقوعه على امرأة ومعها صبيان لها يتضاغون جوعا ، وكيف انطلق عمر متأثراً من فوره الى دار الصدقة وعاد يحمل غرارة فيها لهم مؤونة . والأخرى عن انطلاقه بزوجته أم كلثوم لتقوم فى خدمة اعرابية من أهل البادية تمخض فى خيمتها وليس عندها أحد . والرحمة لا تأخذ ابن الخطاب فى دنية ، فان مثل هذه الرحمة تدل على ضعف فى الحاسة الاخلاقية . وكان عمر فى ورعه وتقواه يكره النفاق والتنطع فى الدين ولا يجهل الطبيعة البشرية ومداخل الشر اليها ، وقد ذكر قوم عنده رجلا فقالوا : « يا أمير المؤمنين ! فاضل لا يعرف من الشر شيئا » . فقال : « ذاك أوقع له فيه » . وقد كانت الرحمة عند عمر مرادفة للاغاثة وهى من طباع الرجل القوى ، أما الترفق فهو نقص فى الرجولة لا يعرفه الانسان الأعلى

ونحن ـ بعدما تقدم ـ فى غنى عن القول بأن حلم الانسانية بالانسان الأعلى قد تحقق فى عمر بن الخطاب . وما برح الأفراد العظام فى متطاول الاحقاب يردون ثقتنا بالنفس البشرية ويحققون بين حقبة وأخرى حلم الانسان الأعلى، فيطلع العظيم منهم كأنه الصادفة الموفقة ساقها للدنيا طالع سعود. ولكن هـذا الحلم ـ وا أسفاه ـ بعد تحققه في عالم الوجود ، لا يلبث أن يعود الى عالم الأطياف شأن كل موجود

عبد الرحمن صدقى

عمر بن الخطاب

أثره في التقدم الانساني

بقلم الاستاذ علي أدهم

« . . وسيطر عمر على ميول العرب يصرفها كيف شاء ، واستطاع كبحها وقت نشوة الانتصار وزهو الفتح ، ولم تستطع الطاعة التامة ولا النفوذ المترامي ولا المال المتدفق أن يستهوي لبه ويصده عن طريق الزهد وسبيل التقوى . . وعمر بهذه المثابة أحد من ساهموا في حركة التقدم الانساني الواسعة ومهدوا سبيله واستحثوا سيره . . »

يتفق أصدقاء الاسلام وخصومه على أنه قد لعب دوراً خطير الشأن في التاريخ العالمي وأثر تأثيراً بليغاً في سير الحضارة ، فقد قدم للعالم ديناً ممتازاً واضح الحدود سامي التعاليم بريئاً من الغوامض التي تنبو على العقل ، وشريعة سمحة لا تفرض على الانسان ما يبهظه ويخرج عن طاقته ولا تحاول أن تخرجه من أفق انسانيته ، وبث أفكاراً جليلة طريفة عن الأخاء الانساني والمساواة بين الناس تثير رواقد الضمير وتحرك في النفس حب الخير والعدل . وأكبر فضل في نجاح قضية الاسلام وانتصار مبادئه يرجع الى ثلاثة رجال : أولهم وأعظمهم شأناً وأضخمهم أمراً وأروعهم شخصية هو النبي محمد صاحب الرسالة ، ثم أبوبكر الصديق صديقه وصفيه ، ثم عمر الفاروق خليفته الثاني . ولست أنكر فضل غيرهم من أفذاذ الرجال الذين قدموا للاسلام خدمات كبيرة وتضحيات هامة ، ولكن هؤلاء الثلاثة هم واضعو الأساس ومدبرو الحركة . فالنبي محمد هو الذي أخرج العرب من فوضى الجاهلية الى نور الاسلام وأطلقهم من أسر الاوهام والتقاليد التي كانت تستمد أهميتها من عصور عريقة في القدم ، ونهض باعباء الرسالة وما تتطلبه من مجهود شاق واقدام وتضحية ، وقد كانت المعركة التي دارت بينه وبين الوثنية تعرض حياته للخطر ، ولكنه كان ممتلىء النفس بالحب الالهي متقد الجوانح بالحماسة المقدسة ، فاندفع فيها بكل ما أوتي من قوة حتى انتصر دينه وتوطد أساسه

ولقد كانت حياة العرب في الجاهلية حياة مرحة مطلقة العنان نافرة من القيود ، حياة لذة وغرور وطيش . كان الحرب والسلب والنساء والخمر والميسر هي مناط أهوائهم ومدار حركتهم ، وكانت هذه الحياة الطروبة لا تمر بها أفكار جدية ولا يشوب صفاءها تأمل ديني ولا يزعجها التطلع

الى معرفة الحق ولا يقلقها الشعور بالنقص والحاجة الى الاصلاح . وكان الاهتمام بالحاضر الراهن والاستمتاع به واجتناء ثمرة النصر فى الميدان هى اكبر غاية فى حياة العربى الجاهلى المترددة بين الأبيقورية الكاملة والمادية الكثيفة ، والكارهة للنسك والزهادة والشعور بالواجب

وقد سما الاسلام بالعرب وأوسع آفاقهم الفكرية وعمق نفوسهم ، وجعلهم يشعرون بوجود هذه القوة الرهيبة المستورة المجهولة المسماة « الله » ، وغرس فيهم الفضيلة والنبل وجعلهم مضرب المثل فى الاقدام والبطولة ، وأرسلهم الى العالم رسل حضارة جديدة ودعاة دين خالد

وقد كانت رابطة القبيلة وآصرة القرابة هى الصلة الوحيدة التى تربط الجماعات فى هذا المجتمع العربى المفكك ، ولم يكن فى وسع العربى أن يدرك أي واجب اجتماعى أو أن يفهم أى وحدة سياسية غير قائمة على العصبية والقرابة

وكان نجاح مبادىء الاسلام والعمل على تطبيقها يقتضى توهين عصبية القبيلة ، وازالة هذا الضيق فى الشعور والعطف ، وتحطيم حواجزه وتوسيع نطاقه ومحاولة استبداله بشعور عام شامل بالاخاء فى الدين والمساواة فى الحقوق . وقد وفق النبى فى تحقيق ذلك الى مدى بعيد ولم يكن فى وسع انسان ان يعمل أكثر مما عمله فى هذا الصدد . وبخلق هذه الروح الجديدة وايجاد هذا الشعور الأخوى والاحساس بالوحدة فى المآرب والغايات ، جهز النبى العرب للدور العظيم الذى لعبوه بعد ذلك فى التاريخ

وكان بقاء هذه الوحدة قائمة متماسكة يتطلب اليقظة المستمرة والجهد المتواصل ، لانها كانت فى جوهرها شديدة المخالفة للغرائز القومية الموروثة والميول القديمة المتغلغلة . وقد أدركت النبى الوفاة وهو يقوم بعملية المزج ويتعهدها بسياسته الرشيدة وروحيته الفياضة ويحاول ان يسمو بالعرب فوق منازع العصبيات وثوائر النعرات

ولشدة استيلاء النبى على عقول أصحابه وسمو مكانته فى نفوسهم لم يستطيعوا أول الأمر أن يصدقوا بوفاته ، وكان من العسير أن يتصوروا أن هذا الرجل الذى جلا شكوكهم بنور العقيدة وهذب نفوسهم باشراق الالهام وأحدث بينهم هذا الانتقال الثورى يمضى به الموت كسائر البشر ، وقد أذهل نعيه عمر الركين المجرب فجعل يقول : « ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله توفى ، وانه والله ما مات ولكن ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه مات » ، ولكنه لم يلبث ان ثاب اليه رشده وأدرك حقيقة الموقف عند سماع كلمة أبى بكر الحكيمة ، وظهرت حينذاك رجولة أبى بكر فى أروع صورها ، وقد كادت تتصدع الألفة بين المسلمين وتنحل الروابط التى قضى النبى زهرة حياته فى تقويتها وأطل من جديد الخلاف القديم بين الانصار والمهاجرين ، وكاد ينذر بهبوب العواصف الهوجاء لولا ان أشرقت شخصية أبى بكر وظهرت براعة عمر العملية فى تناول الموقف . فقد استطاع عمر أن يحل

الأزمة وحسم العلة بمبادرته الى بيعة أبى بكر ، تلك البيعة التى استمرت رمزاً للانتخاب المشروع وآية التسليم والخضوع للخليفة المختار ، وأثر هذا العمل تأثيراً كبيراً حمل الآخرين على مبايعة أبى بكر ، وفى اليوم التالى كانت البيعة العامة ، وبذلك قضى عمر على هذا الخلاف الخطر الذى كاد يودى بالاسلام فى إبان ترعرعه

ولما انتشرت أخبار وفاة النبى بدأت الثورات فى بعض الاطراف ، وظهر ادعياء النبوة ، وحاولت بعض القبائل أن ترتد عن الاسلام ، وتاقت قبائل أخرى الى الخلاص من ضريبة الزكاة ، وهمت الوثنية المنهزمة ان ترفع رأسها المائل فى مكة . ولكن كل هذه العقبات الشائكة والأخطار الماحقة ذابت وتلاشت ازاء نصاعة ايمان ابى بكر وفائق شجاعته وعزمه المصمم وثباته العجيب !

وقد اختار ابو بكر عند وفاته عمر ليخلفه . وقد دل هذا الاختيار على بعد نظر أبى بكر فقد كان اسناد الخلافة الى عمر غنما عظيما للاسلام ، لأن عمر كان رجلا قوى الاخلاق شديد الشعور بالمسئولية صارما فى حدود العدالة جم النشاط دائم الحركة ، فأدار حركة الفتوح باقتدار ، وكان يعس بنفسه ويرتاد المجتمعات ويتفقد أحوال الشعب

ولتقدير موقف عمر وبيان اثره اقول ان الاسلام برغم سمو تعاليمه وتشبعه بالروح الديموقراطية لم يستطع ان ينسخ نظام القبيلة ولم يمحه كل المحو ، وبذلك لم يتيسر له تطبيق فكرة المساواة القائمة على فكرة الحكومة الدينية كل التطبيق ، بحيث تزيل الخلافات الحزبية وتقطع دابر التنافس بين مختلف القبائل ، وظل الفرد يتصل بالأمة عن طريق القبيلة وظلت القبائل محتفظة بكيانها دون ان تفنى وحدتها او تنحل ذاتيتها وتندمج فى أمة ، وانما اضطرت القبائل أن تنزل مكرهة للحكومة عن حق اعلان الحروب الداخلية لأن اول غرض وجدت من اجله الامة هو القضاء على المنازعات الداخلية ، ولعمر نصيب كبير من الفضل في استنهاض القبائل وضم مختلف صفوفها لغزو العدو الاجنبي ونشر مبادىء الاسلام ، وهو القائل عندما استنفر قبائل العرب لمنازلة الفرس : «سأضرب ملوك الفرس بملوك العرب » ولقد كان النظام والطاعة والخضوع شيئا غير مألوف عند العرب ، ولكن قوة الاسلام وشدة تعلقهم به هى التى خفضت من كبريائهم وحببت اليهم الطاعة والنظام . ولقد ضرب لهم عمر فى هذه الفترة الدقيقة مثلا منقطع النظير من التشبع بالروح الاسلامية والاستمساك بالعدالة المطلقة ، ووضع تنفيذ تعاليم الاسلام فوق كل اعتبار

ولما انتصر العرب وخضدوا شوكة الفرس والروم ، أخذت أفواج الناس تعتنق الاسلام عن اخلاص وعقيدة ، والبعض عن غير اخلاص وعقيدة وانما بدافع المصلحة . وأوقف اليونان والفرس والاقباط مواهبهم على خدمة الدين الجديد ، وأخذت قيود العصبيات وروابط التقاليد تنحل تحت تأثير الاسلام ، وبدأت أمة جديدة فى الظهور تربطها روابط الدين وتجمعها جامعة اللغة ، وتدعمها الكفايات المختلفة الموروثة الكامنة فى الاقوام الذين تكونت منهم . وكان مجهود عمر فى

سياسته الأخيرة متجها الى مزج هذه المواد المتنافرة التى ألقاها القدر بين يديه القويتين ، فدون الدواوين ورتب المالية ووضع أساس الايرادات والمصروفات ، وفرض الرواتب للعمال والقضاة ، وحرم على المسلمين اقتناء الضياع والزراعة على أن يدفع بيت المال أرزاقهم استبقاء لروح الجهاد فى نفوسهم وخشية ان يقعد بهم الترف أو تشغلهم المصلحة عن التفرغ لامر الدين . وكان عمر يرمى من وراء ذلك الى ان يبق أهل الذمة وأرضهم مصدراً للمال الذى يستلزمه اتمام الجهاد واعلاء كلمة الدين الاسلامى

ولقد ملأ النبي نفوس العرب حماسة ويقينا ، واستطاع ان يرفعهم الى المستوى الروحى الرفيع الذى تزول فيه الاحقاد وتفنى الصغائر والمصالح الخاصة ، واستطاع أبو بكر أن يصون الاسلام ويدرأ عنه الاخطار بعد غياب شخصية النبي وانقطاع الوحي ، وأن يحول جهود المسلمين الى المجرى المناسب ويوجههم التوجيه المثمر ، وسيطر عمر بن الخطاب على ميول العرب يصرفها كيف شاء واستطاع كبحها فى وقت نشوة الانتصار وزهو الفتح ، ولم تستطع الطاعة التامة ولا النفوذ المترامى ولا المال المتدفق أن يستهوي لبه ويصده عن طريق الزهد وسبيل التقوى . فالاسلام مدين بانتصاراته وفتوحه لروحية النبي وسمو مبادىء الاسلام ، ولحزم أبى بكر وصفاء عقيدته ، ولصلابة عمر ونشاطه الجم وهمته القعساء . وعمر بهذه المثابة أحد من ساهموا فى حركة التقدم الانسانى الواسعة ومهدوا سبيله واستحثوا سيره

على أدهم

من أوليات الفاروق

من النظم الطريفة التي وضعها الفاروق ودلت على نصاعة تفكيره ورجاحة عقله أنه فرض للمولود حين يفطم ١٠٠ درهم ، فاذا ترعرع بلغ به ٢٠٠ درهم .
وكان لا يفرض لمولود شيئا حتى يفطم الى أن سمع امرأة ذات ليلة وهى تكره وليدها على الفطام وهو يبكي ، فسألها عنه ، فقالت : « ان عمر لا يفرض لمولود حتى يفطم ، فانا اكرهه على الفطام كى يفرض له » فقال : « يا ويل عمر ! كم احتقب من وزر وهو لا يعلم ! . . . » ثم أمر مناديه فنادى : ألا تعجلوا أولادكم بالفطام ، فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام . وكتب بذلك الى الآفاق .
وكذلك كان يفرض للقيط ١٠٠ درهم ، ورزقا يأخذه وليه كل شهر ، ويزيده من سنة الى سنة ، وكان يوصى باللقطاء خيرا ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال

من عمرية حافظ

عمر والشورى

يا رافعا راية الشورى وحارسها | جزاك ربك خيراً عن محبيها
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها | وللمنية آلام تعانيها
لم أنس أمرك للمقداد يحمله | الى الجماعة إنذارا وتنبيها
ان ظل بعد ثلاث رأيها شعبا | فجرد السيف واضرب في هواديها
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها | طعم المنية مرا عن مراميها
درى عميد بني الشورى بموضعها | فعاش ما عاش يبنيها ويعليها
وما استبد برأى في حكومته | ان الحكومة تغرى مستبديها
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به | رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

مثال من زهده

يا من صدفت عن الدنيا وزينتها | فلم يغرك من دنياك مغريها
ماذا رأيت بباب الشام حين رأوا | أن يلبسوك من الاثواب زاهيها
ويركبوك على البرذون تقدمه | خيل مطهمة تحلو مرائيها
مشى فهملج مختالا براكبه | وفي البراذين ما تزهى بعاليها
فصحت: ياقوم، كاد الزهو يقتلني | وداخلتني حال لست أدريها
وكاد يصبو الى دنياكم (عمر) | ويرتضى بيع باقيه بفانيها
ردوا ركابي فلا أبغي به بدلا | ردوا ثيابي فحسبي اليوم باليها

مثال من رحمته

ومن رآه أمام القدر منبطحا | والنار تأخذ منه وهو يذكيها
وقد تخلل في أثناء لحيته | منها الدخان وفوه غاب في فيها
رأى هناك أمير المؤمنين على | حال تروع ـ لعمر الله ـ رائيها
يستقبل النار خوف النار في غده | والعين من خشية سالت مآقيها



الفاروق وأم الاطفال

من القصص المشهورة التي تدل على عظمة عمر الخلقية ، أنه كان يعس ليلا فسمع أطفالا يبكون من الجوع ، فبكى ندماً وأسفا ، وذهب الى دار الصدقة حيث أخذ غرارة جعل فيها طعاما ، وحملها على ظهره وعاد بها الى الاطفال ، حيث جلس يطهى لهم ويطعمهم ، ثم يداعبهم ويضحكهم حتى ناموا راضين . وقد صور المثال هذه القصة الرائعة بهذه التماثيل الشمعية الجميلة «من متحف الشمع»

لقد نهضت الموسيقى فى عهد عمر

عُمَرُ والموسيقى

للدكتور محمود احمد الحفنى

مدير ادارة التفتيش الموسيقى بوزارة المعارف

قد يدهش لهذا العنوان قراء السير عامة والملمين بحياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه خاصة . ووجه الدهش فى هذا أن تلتصق الموسيقى بعمر بن الخطاب ، فيكاد يخيل للقراء من هذا العنوان أنه موسيقى أو أنه على الأقل شغل نفسه بالموسيقى ، وهو ذلك المتقشف الزاهد ، البالغ فى التقشف والزهد غاية ما تصل اليه القسوة من حرمان النفس وكبح شهواتها ، وهو كذلك المجاهد القائم الذى لازم الغزو والفتح الاسلامى أيام حياته ، وعلى الأخص أيام خلافته

وطبيعة التقشف والجهاد تقتضى ، ولا ريب ، الانقطاع عن ملذات الحياة ومسرات النفس والتفرغ الى وسائل النجح والغلبة فيها . ولكن هذه الطبيعة التى تقتضى الانقطاع والتفرغ لشئونها ووسائلها ، تستلزم أيضا الترفيه عن النفوس كلما حزب الأمر واشتد نصب النضال ، وفاض بالمجاهدين كرب الحرب والسجال . ومنها استنبطت أغانى الحروب بل وحداء الابل تخفيفا من ويلات الأولى وترويحا لمتاعب الثانية

كان عمر شديداً فى جاهليته ، شديداً فى إسلامه ، حتى لقد كان يخافه كل مبطل ، ويخشاه كل منافق . بل لقد ملأت خشيته قلوب المسلمين جميعا فهابوه لفرط استقامته ، وشدة جرأته فى الحق ، ومضاء عزيمته فى الايمان ، وغلوه فى الأخذ بناصية المستهترين

ولقد تجلى أثر هذه الخشية والخوف يوم نذرت جارية من قريش لئن رد الله الرسول من غزوه لتضربن فى بيت عائشة بدف ، فلما رجع الرسول الكريم جاءت الجارية تريد أن تفى بوعدها ، فذهبت عائشة رضى الله عنها لرسول الله تخبره ، قالت فلانة ابنة فلان نذرت لئن ردك الله تعالى أن تضرب فى بيتى بدف ، فقال لها فلتضرب

وانى لأترك فى هذا المجال لبيان شاعر النيل الأكبر المرحوم حافظ ابراهيم بك وصف هذا الموقف فاقل من قصيدته العمرية :

أريت تلك التى لله قد نذرت   أنشودة لرسول الله تهديها

هرقل – قيصر الروم – وسط حاشيته



بروز – كسرى الفرس – على جواده



هرقل وكسرى

قامت الدولة الاسلامية الفتية التي انشأها عمر بن الخطاب على انقاض دولتي الفرس والروم، اللتين سيطرتا دهراً طويلا على الاقاليم الغنية المتحضرة التي تجاور بادية العرب، والتي تتألف من فارس والعراق والشام ومصر. إذ لم تستطع جيوشهما العتيدة أن تصمد لجنود المسلمين التي ملأها الاسلام حماسا وإيمانا، ورسم لها الفاروق خططاً سديدة فرعة، فانتصرت انتصاراً مؤزرا على جيوش الفرس والروم التي هزمت هزائم منكرة في وقائع متتالية، ولاذ عاهلاها الكبيران بالفرار

قالت نذرت لئن عاد النبي لنا ... من غزوه لعلى دفى أغنيها
وبمت حضرة الهادى وقد ملأت ... أنوار طلعته ارجاء ناديها
واستأذنت ومشت بالدف واندفعت ... تشجى بالحانها ماشاء مشجيها
والمصطفى وأبو بكر بجانبه ... لا ينكران عليها من أغانيها
حتى اذا لاح من بعد لها عمر ... خارت قواها وكاد الخوف يرديها
وخبأت دفها فى ثوبها فرقا ... منه وودت لو ان الارض تطويها
قد كان حلم رسول الله يؤنسها ... فجاء بطش أبى حفص يخشيها
فقال مهبط وحى الله مبتسما ... وفى ابتسامته معنى يواسيها
قد فر شيطانها لما رأى عمرا ... ان الشياطين تخشى بأس مخزيها

وقد يقع الى بعض الأذهان أن هذا الخوف الذى كاد يردى هذه الجارية لرؤيتها عمر أثناء تغنيها أمام الرسول ، وأبو بكر بجانبه ، منشؤه كراهية عمر للموسيقى أو تحريمه لها ، أو أنه يرى فيها ما يمس العقيدة والايمان ، لأن العقل والمنطق والاعتدال فى الحكم ، كل أولئك يقضى بأن عمر يستحيل عليه أن يكره شيئاً لم ينكره رسول الله ، ولا يحرم شيئا اباحه رسول الله . انما الخوف كما قدمنا ناشىء مما وهب الله به عمر من الهيبة والجلالة ، ومما اشتهر به من الشدة فى جاهليته واسلامه . .

ويعزز هذا الرأى بل يؤكده ما روى أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، دخل ذات يوم على زوجه أم المؤمنين عائشة ، رضى الله عنها ، وهى تزف جارية لها من الانصار فقال لها : « ياعائشة ألا تبعثين معها من يغنى ؟ فان أهل هذا الحى من الانصار يحبون الغناء »

وما روى عنه (ص) من أنه امتدح أبا موسى الأشعرى حيث قال : « لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود »

وما تناقله الرواة والثقات من أنه (ص) تغنى بالقرآن ، وأذن لبلال بن رباح الحبشى فى الأذان بصوته الجميل

كان أصحاب الرسول عليه السلام يعرفون هذا حق المعرفة . فهل من المعقول أن يجهله أخص أخصائه ، وأحب المقربين اليه ، كأبى بكر وعمر ؟

الحق الذى لامرية فيه أن عمر رضي الله عنه كان يعرف ذلك ، مدركا له كل الادراك ، ملما به كل الالمام ، مقدرا له كل التقدير ، محبا للغناء بالصوت الجميل . فقد مر بدار قوم فسمع ضجة فقال : ما هو ؟ فقيل عرس ، فقال : وما يمنعهم أن يخرجوا غرابيلهم فانها من أمارة العرس ؟

واذا علم أن الغربال ضرب من الدفوف كان يستعمل فى موسيقى الجاهلية وفجر الاسلام ،

فقد ندرك على التحقيق رضاء عمر عن الوسيقى والغناء ، وعدم التحرج من سماعهما

ولقد أذن ، رضى الله عنه ، لرباح بن المعترف أن يغنى أصحابه الذين كانوا معه فى طريقه الى الحج ليقصر عنهم الطريق والسير ويسهل صعوبة سبيل الصحراء المقفرة . وقد غنى رباح باذن عمر للحجيج وهم محرمون ، وكان من بينهم كثير من الصحابة والتابعين والانصار

ماكان عمر ، رضى الله عنه ، راضيا عن الموسيقى والغناء فحسب ، بل كان أيضا من ذوى الرأى والتمييز فيهما . وأحسبنى غير مسرف فى هذا ، فقد حدث عبد الله بن مبارك عن أسامة بن زيد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال : « مر بنا عمر بن الخطاب وأنا وعاصم ابن عمر ـ وكان مشغوفا بالغناء ـ نغنى غناء النصب فقال : « أعيدا على » ، فأعدنا عليه ، فقال : « انتما كحمارى العبادى ، قيل له : أى حماريك شر ؟ قال : ذا ثم ذا »

وهذا وحده ينطق بالذوق الوسيقى . وأحسبنى أيضا غير مسرف ان قلت ان هذا الذوق الوسيقى لازم نشأة عمر وساير حياته ، فقد روى صاحب العقد الفريد أن عمر بن الخطاب قال للنابغة الجعدى : أسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك ، فاسمعه كلمة له ، قال : وانك لقائلها ؟ قال : نعم ، قال : لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب !

وهنا يجدر بنا الوقوف قليلا ، فقد نفهم من هذه الرواية ان الغناء لدى عمر كان صنفين : صنفا « يعفو الله عنه » ، وصنفا « لا يعفو الله عنه » . وهو تعبير دقيق يدل بأجلى بيان على أدب عمر ، وجمال ذوقه ، ورهافة حسه . وما من ريب فى أن كثيراً من الأغانى التى تداولتها العصور المختلفة تدخل فيما « لا يعفو الله عنه » ، لأنها أبعد ما يكون عن الحمية ، والفضيلة ، والنجدة ، وتشجيع الخلق الكامل ، وتزويد الشعوب بأرقى صفات الرجولة والعفاف ، وحسبنا ما نشكو منه الآن !

إذن لم يكن عمر ليكره للوسيقى اطلاقا ، انما كان يكره منها المخنث الذى يبعد الشعب عن الجهاد والتخشن ، ويسلمه الى الرفاهية والتواكل ، وما كان ذلك من طبيعة الاسلام ولا من خلق عمر

وهنا يحدثنا ابن الفقيه الهمذانى أن عمر سمع مرة قيانا يضربن بالدفوف ويتغنين بما « لا يعفو الله عنه » فكان نصيبهن منه قسوة التأنيب والقرع بالعصا

ولقد غالى بعض ذوى الآراء فنسب الى عمر أنه لحن أغنية ، ولكنا نرى المغالاة فى هذا الرأى بينة ، بل ويترجح الشك فيها . واكبر الظن أن يكون الأمر قد اختلط على أصحاب هذه القولة بين عمر الأول وهو ابن الخطاب ، وعمر الثانى ، وهو ابن عبد العزيز ، نظراً لما عرف عن هذا من ميله للغناء والشعر ، وإن كنا نستبعد عليه أيضا صفة التلحين

ومن الذين يستشهدون على اباحة ترتيل القرآن وتلاوته بصوت حسن من يستند فيما يدلى به

من الحجج الى ما تحدث به ابن أبي ذئب عن مسلم بن جندب عن نوفل بن إياس الهذلى قال : كنا قوم فى عهد عمر بن الخطاب فرقا فى المسجد فى رمضان ، ها هنا وها هنا ، فكان الناس يميلون الى أحسنهم صوتا فقال عمر : « أما والله لئن استطعت لأغيرن هذا » قال فلم يمكث إلا ثلاث ليال حتى أمر أبى بن كعب فصلى بهم ثم قام فى آخر الصفوف فقال : « لئن كانت هذه بدعة لنعمت البدعة »

وقد يسأل سائل : ان كان هذا ميل عمر وحبه للغناء حتى لقد تغنى بنفسه خلف بعران الخطاب ، وحتى لقد اتهم بالتلحين . فلماذا لم تزدهر أيامه بالموسيقى والغناء ، ولماذا لم يشجع المغنين والموسيقيين ؟

وهذا سؤال يرده أن عصر عمر كان عصر جهاد اشتغل المسلمون جميعا فيه بالفتح والغزو وبث الدعوة الدينية ، وما يتصل بها من العلوم ، فى البلاد المغزوة والمدائن المفتوحة . فما كان لعمر أن يغفل الجهاد فى سبيل الله ، ويؤثر عليه الاشتغال بمرافه الحياة ، وهو نفسه يكره هذه المرافه ، ويقتنع بالنزر اليسير من القوت الجاف

ويرده أيضا أن الموسيقى شبت وترعرعت فى أيام عمر ، وقحمت منازل الأمراء والأشراف ، وسايرت مجالس الشعر والأدب ، فما كاد يهل عصر عثمان رضى الله عنه ، حتى سجلت أخبار المدينة أن رائقة المغنية المشهورة وتلميذتها الفتية عزة الميلاء وغيرهما ، كن يحيين فيها حفلات موسيقية رائعة يحضرها أشراف القوم وفنانوهم ، وعلى رأسهم حسان بن ثابت رضى الله عنه

وطبيعى بعد تلك الفتوحات التى هيأها الله على يد عمر ، والممالك العريقة فى الموسيقى التى دخلت فى الاسلام ، أن تتأثر الموسيقى العربية بموسيقى تلك البلاد ، وأن يتفنن العرب بمواهبهم السامية فيرتقوا بموسيقاهم أرق مدارج الفن ويطبعوها بطابع خاص يلازمها طوال أيام مدنياتهم

وأكبر ظنى ألا يتهمنى القارىء بالتحيز للموسيقى حتى ولو جعلت عمر موسيقياً ، فانى – فى هذا الموضوع – لم أتوخ غير سرد الحقائق التاريخية الثابتة والروايات المحققة ، انصافا للعلم والتاريخ

دكتور محمود احمد الحفنى



ان عمر هو الذى دعم الخلافة

الاسلامية على أساس الشورى العادلة

مبدأ الشورى

كيف نفذه الفاروق

بقلم الاستاذ احمد خيرى سعيد

توفى النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد الكرب على أصحابه وذهل المؤمنون وفرح المنافقون وزلزلت عقيدة السواد الأعظم من العرب، فقام عمر رضى الله عنه، وقال: « ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى، وأنه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه مات »

وتدارك أبو بكر رضى الله عنه الموقف وعاجل الفتنة التى أطلت بقرونها فخطب الناس فقال: « من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت. وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزي الله الشاكرين » . . . فألقى الماء على النار، وأيقن عمر أن النبى الكريم قد مات حقا، واعتصم الصحابة بالصبر، وراح المهاجرون والانصار يفكرون فيمن يخلفه . . وارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون، وهرب عاملها، فقام سهيل بن عمرو بباب الكعبة فقال: « يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد. والله ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله » فامتنع الناس عن الردة

هدأت المدينة وسكنت مكة، وفيهما صحابة النبى وجيشه ومركز الحكومة الاسلامية الناشئة ومحور الحياة العربية فى الجزيرة والحجاز وبقية الأقطار التى دانت للحنيفية. فلا خوف على الاسلام فى عنفوانه اذا اتفقت الآراء على اختيار خليفته. ولم يكن اختيار خليفة الرسول بالأمر الهين، لتشعب

للمطامع وتماكس الأهواء واشتباك المصالح، وطموح العصبيات الى الاستئثار بالامامة ــ وناهيك بها من أرب، فقد كانت تجمع السلطتين الزمنية والروحية!

هنا تجلت عبقرية عمر، وبرزت صفة من أبرز الصفات التي يمتاز بها أفذاذ الرجال ممن يصنعون التاريخ.. سمع عمر أن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وأجمعوا على تولية سعد بن عبادة، وقالوا ان أبي المهاجرون قلنا لهم: منا أمير ومنكم أمير.. فقال سعد: « هذا أول الوهن »

سمع عمر الخبر، وهدته فطنته العملية الى القضاء على بوادر الشقاق، فأتى منزل رسول الله، وأبو بكر فيه، فأرسل اليه أن اخرج إلى. فرد عليه يقول: « انى مشتغل ». فقال عمر: « قد حدث أمر لا بد لك ». فخرج اليه، فأعلمه الخبر. فمضيا مسرعين نحوهم، ومعهم أبو عبيدة بن الجراح. وهناك خطبهم أبو بكر واختتم الخطبة بقوله: « نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفاوتون بمشورة، ولا تقضى دونكم الأمور » فعارضه حباب بن المنذر الانصارى بخطبة حض فيها قومه على الاستمساك بالسلطان وختمها بقوله: « ان أبى هؤلاء، فمنا أمير ومنهم أمير »... فقال عمر: « لا يجتمع اثنان، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم، ونبيها من غيركم. ولا تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم. ولنا بذلك الحجة الظاهرة... من ينازعنا سلطان محمد، ونحن أولياؤه وعشيرته ؟! »... فعاد المنذر يحرض قومه، وبدرت منه عبارة تنذر بالشر وتوقد نار حرب أهلية، قال: « فان أبوا عليكم هذا الأمر (السلطان) فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم الأمور » فقال عمر: « اذن ليقتلك الله »، فقال المنذر: « بل إياك يقتل »

فتدخل أبو عبيدة قائلا: « يا معشر الانصار، انكم أول من نصر، فلا تكونوا أول من بدل وغير »... فنهض بشير بن سعد، فنصح قومه الانصار قائلا: « ألا إن محمداً من قريش وقومه أولى به. وايم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر، فاتقوا الله ولا تخالفوهم »

فقال أبو بكر: « هذا عمر وأبو عبيدة، فان شئتم فبايعوا أحدهما ». فقال عمر: « أنت أفضل المهاجرين، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وهى دين المسلمين... أبسط يدك أبايعك » وبايعه وتهافت القوم على مبايعته

***

رشح النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر للخلافة، عن طريق اختياره للصلاة بالمسلمين فى مرض موته، وزكى هذا الترشيح عمر، وكان يقظا في المبادرة الى جمع الانصار والمهاجرين حول راية الخليفة، قويا جريئاً فى مواجهة الفتنة، ذكيا أريبا فى افساد التدابير المعاكسة وادحاض حجة المخالفين، زاهداً فى السلطان بتقديم أبى بكر، فبايعه أول من بايع فتتابع المسلمون وراءه يبايعون بقوة الايحاء وفعل المحاكاة وسحر القدوة... ولم يشذ في كل ذلك عن مبدأ الشورى، واتسع صدره للرأى المعارض ولم يضق ذرعا بالتهديد والوعيد والتلويح بشق عصا الطاعة ومخالفة الجماعة

ورشح ابو بكر عمر للخلافة من بعده حين حضرته الوفاة فبرزت شخصية عمر منيفة ، واجتمع الرأى على مبايعته . وفى الحق لقد ربع عمر فى خلافة أبى بكر نباهة ، ولم يكن مستشار الخليفة فحسب بل كان له كما كان هارون لموسى . . اختاره الصديق رضى الله عنه لهذه الوظيفة الرفيعة من البداية ، فقد مشى ابو بكر فى ركاب أسامة بن زيد قائد الجيش الذى كان جهزه النبى (ص) لغزو الشام وأبى الخليفة إلا أن يزحف غير مكترث لانتقاض العرب عليه ، فلما سار غير بعيد خطبهم ناصحاً ووصياً ، ثم التفت الى أسامة فقال : « ان رأيت أن تعيننى بعمر فافعل » ، فأذن له اسامة ، وبقى عمر الى جانبه يدير معه شئون الدولة الاسلامية التى شرعت تغزو الفرس والروم بعد حروب الردة

ولما نزل الموت بأبى بكر دعا عبد الرحمن بن عوف فقال :

— أخبرنى عن عمر

— انه أفضل من رأيت ، إلا أن فيه غلظة

— ذلك لانه يرانى رقيقا ، ولو افضى اليه الأمر لترك كثيراً مما هو عليه

ودعا عثمان بن عفان ، فقال :

— أخبرنى عن عمر

— سريرته خير من علانيته ، وليس فينا مثله

وأملى ابو بكر على عثمان عهده الى المسلمين بمبايعة عمر ، وأمره ان يقرأ على الناس وأشرف ابو بكر على الناس ، وقال : « أترضون بمن استخلفت عليكم ، فانى ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وانى قد استخلفت عليكم عمر ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فانى والله ما ألوت من جهد الرأى »

فقالوا : سمعنا وأطعنا

ولعل لشخصية عمر أكبر الأثر فى تأمين القوم على اختيار الصديق له أميراً على المؤمنين

رشح النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، وزكاه عمر . ورشح ابو بكر عمر ، وزكته شخصيته وسيرته قبل أن يزكيه عثمان وعبد الرحمن بن عوف .. ولم يفرض ابو بكر ، ولا فرض عمر ، على جمهور المسلمين ، بل فوض أمر اختيارهما الى زعمائهم . فأدلى كل زعيم برأيه ، فاتزن البعض وركب البعض رؤوسهم ، ثم انجابت السحب عن صفاء غشى الجو وغمر القلوب

فمن ذا الذى رشحه عمر وهو جريح على باب الآخرة ؟ !

لقد تغيرت الحال عما كانت عليه فى عهد النبى (ص) وعهد أبى بكر — اتسعت رقعة الارض التى يليها الخليفة وتعقدت الادارة ، وتعددت الشعوب الخاضعة للسلطان وتشعبت مصالحهم ، وتضاعفت مرافق الدولة ، وانفتح أمام زعماء العرب وأهل العصبية فيهم ميدان التنافس على الامارة والجاه والمصلحة الذاتية . وأمام هذا الانقلاب ، لم يجد عمر رجلا يذعن الجميع لطاعته اذا رشحه

قيل لعمر لما طعن : « لو استخلفت ؟! » . فقال : « لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ، وقلت لربى ان سألنى : سمعت نبيك يقول انه أمين هـذه الامة . ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لاستخلفته ، وقلت لربى ان سألنى : سمعت نبيك يقول إن سالما شديد الحب لله تعالى

فقال له رجـل : أدلك على عبد الله بن عمر . فقال : قاتلك الله . والله ما أردت الله بهذا . ويحك ! كيف أستخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته ؟ لا أرب لنا فى أموركم ، فما حمدتها فأرغب فيها لاحد من أهل بيتى . ان كان خيراً فقد أصبنا منه . وان شراً فقد صرف عنا . بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ، ويسأل عن امر أمة محمد . أما لقد جهدت نفسي ، وحرمت أهلى ، وان نجوت كفافا ، لاوزر ولا أجر ، انى لسعيد

ولقد روى عمر فى الأمر ، ولم يندفع وراء الفكرة الاولى . فقد رشح على بن أبى طالب ، لـكنه عاد فنقض ما أبرمه بشأنه ، وانتهى الى رأى حصيف ، ألقى التبعة عن كاهله ، وصان الأمة من الخلاف وبوائقه . ذاك أنه أصبح فدعا عليا وعثمان وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ، فقال لهم : « انى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ، ولا أجد هذا الامر إلا فيكم . وقد قبض رسول الله صلى الله عليـه وسلم وهو عنكم راض . وانى لا اخاف الناس عليكم ان استقمتم ، ولـكنى أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس . فانهضوا الى حجرة عائشة ــ باذنها ــ فتشاوروا فيها » . . فدخلوا فتناجوا ، حتى ارتفعت اصواتهم ، فانتبه عمر ، فقال : اعرضوا عن هذا ، فاذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصل بالناس شهيب ولا يأتين اليوم الرابع عليكم ، إلا وعليكم أمير منكم . وما أظن يلى هذا الأمر إلا أحد رجلين : على أو عثمان ، فان ولى عثمان فرجل فيه لين ، وإن ولى على ففيه دعابة وأحرى به أن يحملهم على طريق الحق

وأمر أبا طلحة الانصارى بتنفيذ خطة أوصاه بها ، مؤداها ان يقتـل الأقلية اذا خالفت . . . فأسفرت الشورة عن اختيار عثمان ، واستقرت الامور ، من غير ان يسفك دم

ولم يرشح عثمان أحداً ، لأنه اغتيل ولم يترك له الوقت الـكافى للتفكير والترشيح . وبموته انهارت تلك الطريقة الانتخابية العادلة التى كان لعمر فى توطيدها واحترامها ورعايتها الفضل الاول والاخير. فقد اختلف على ومعاوية على الخلافة وتقاتلا ، وانشطر المسلمون شطرين ، تناحرا حتى خلا الميدان من على باغتياله ، وصفا الجو لخصمه . . والواقع أن الخلافة بعد على كانت ملكا موروثا يفرض على المسلمين فرضا ، ومن أبى قتل باسم الخروج على الجماعة وشق عصا الطاعة والمروق من أمر الله ، وفقدت الخلافة مميزاتها وتجردت من معناها الاصلى ــ فبعد أن كان يتولاها أى مسلم يجمع على اختياره الجمهور ، أصبح يتولاها صاحب الشوكة بحد الحسام . فلا مبالغة فى القول بان الخلافة بالمعنى الذى فهمه عمر وصحابته ماتت بموت عثمان ! !

احمد خيرى سعيد

حديث صحافي

مع عمر بن الخطاب

بقلم الاستاذ احمد قاسم جودة

لماذا يقصر الصحفي همه على الاحياء من الزعماء والساسة والمفكرين يحدثهم ويستفتيهم، وأمامه سجل التاريخ حافلا بالأبطال الافذاذ من شتى الاحقاب والاجناس، يستطيع أن يلقاهم ويسألهم ويستمع اليهم كيف شاء، مستعيناً على هذا بنصيب من الخيال الخصب وبالصحائف الناطقة التي تحفل بجلائلهم وعظائمهم ؟ ؟

فلاتوجه اذاً للتشرف بلقاء ابن الخطاب، ولا حدثه مندوباً عن « الهلال » ولأعرض عليه بعض مشاكل اليوم ليدلي إلى فيها بقوله الفصل وحكمه العادل

لم أكن قد حظيت بلقائه من قبل، فمضيت اليه وفي ذهني شتى الصور عما لابد أن يحيطه من مظاهر البذخ والترف، فلما رأيته لم أستطع الا أن أكذب عيني.. أيمكن أن يكون هذا الخليفة الذي يستولي على امبراطورية غنية واسعة، في مثل هذه الثياب التي قلما يخلو جزء منها من رقعة أو رقعات ؟

الحق اني حين فجأني هذا المشهد الغريب، آثرت ألا أتحدث وألا أستفتي، فقد كان فيه أبلغ حديث وأصدق فتوى..

ولكني تقدمت اليه وحييته فرد التحية بأحسن منها. ثم سألني عن وجهتي فذكرتها له، وبدأت أسأله عن المسائل الاجتماعية فقلت:

— ان مصر، يا أمير المؤمنين، تعاني أزمة اجتماعية خطيرة تكاد تجل عن العلاج، وهي أزمة الزواج. وما أحسب إلا أن غلاء المهور من أهم أسباب هذه الأزمة. فما قول أمير المؤمنين في ذلك ؟

فقال رضي الله عنه:

— لا تغالوا بصداق النساء، فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية

وكدت أطمئن الى هذا الجواب لولا صوت امرأة من نسائه يرتفع من وراء الحجاب فيقول:

— يا أمير المؤمنين، لم تمنعنا حقاً جعله الله لنا والله يقول: « وآتيتم إحداهن قنطاراً » ؟

فابتسم عمر ثم قال :

— كل أحد أعلم من عمر ، ثم التفت الى أصحابه قائلا : تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه على حتى ترد على امرأة ليست من أعلم النساء !

فانتقلت بالحديث الى سؤال آخر ، وقلت :

— ندع حديث النساء يا أمير المؤمنين ، ونتحدث عن الرجال . فماذا ترى فى شبان اليوم الذين لا يكادون يلقفون من العلم القشور حتى تستولى عليهم الكبرياء ويأخذهم الغرور والصلف حتى على معلميهم ؟

فقال :

— تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم . وتواضعوا لمن تتعلمون منه ليتواضع لكم من تعلمونه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم

وكأنما أنس منى أمير المؤمنين ميلا الى الاستزادة فى الجواب فقال :

— لا تتعلم العلم لثلاث ، ولا تتركه لثلاث : لا تتعلمه لتمارى به ، ولتباهى به ، ولترائى به . ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل به

فقلت :

— وقد انتشر بين المتعلمين داء البطالة العضال ، وأصبح الشاب يخرج من الجامعة أو من الازهر أو دار العلوم فلا يجد سبيلا الى العمل الحكومى

فقال عمر :

— تعلموا المهنة ، فانه يوشك أحدكم أن يحتاج الى مهنته

فقلت :

— ان من الشبان من يأبى إلا التمسك بالوظيفة الحكومية اعتماداً على الشهادة التى ينالها ويجد من العيب أن يحترف بعض الحرف لانها لاتتفق مع الرفاهية التى يحلم بها

فأجاب امير المؤمنين فى لهجة الرجل العملى الحازم :

— مكسبة فيها بعض الدناءة ، خير من مسألة الناس

فقلت :

— وقد كثر فى مصر وسائر بلاد الشرق اليوم ، قوم يحترفون الدين ، ولا عمل لهم سوى التظاهر بالتقوى والايمان ، وتلاوة القرآن ، والظهور بمظهر الخشوع ، ومطالبة الناس باعتبارهم أولياء الله فى الارض

فاعتدل فى جلسته وهز سيفه وهو يقول :

— ان الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته . فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ،

الله ربهم وهم عباده . يتفاضلون بالعافية ، ويدركون عفوه بالطاعة

وسكت رضى الله عنه لحظة ثم قال :

— لاتنظروا إلى صيام امرىء ولا الى صلاته ، ولكن انظروا الى صدق حديثه ، والى ورعه والى أمانته

ولما استزدته الجواب استطرد قائلا :

— ان الخشوع لايزيد على ما فى القلب ، فمن أظهر خشوعا فوق ما فى القلب ، فانما أظهر للناس نفاقا على نفاق !

ومضى ينكر القعود عن الرزق بدعوى الاشتغال بالتقوى والعبادة فقال :

— لايقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة

وأردت ان انقل الحديث الى ميدان الحياة السياسية الصاخب ، فقلت :

— لقد كثر بيننا الخصام السياسى يا امير المؤمنين ، وأخذنا نشهد الرجل وهو يعلن عقيدة ويعمل فى الخفاء بما لايتفق مع العلن

فقال :

— ما أخاف عليكم أحد رجلين : مؤمن قد تبين ايمانه ، وكافر قد تبين كفره . وانما أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالايمان ويعمل بغيره

قلت :

— وليس الامر فى السياسة الخارجية بمختلف عنه فى السياسة الداخلية : فهذه القوات تحشد على حدود مصر الغربية ثم يؤكد لنا رجال السياسة انهم لايضمرون لنا أى سوء وانهم يخطبون ودنا !

فقال :

— الله اعلم بالسرائر ، فانه من أظهر لنا شيئا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا

* * *

والى هنا كنت قد أخذت من وقت امير المؤمنين غير قليل ، فاستأذنت شاكرا وانصرفت

احمد قاسم جوده

كل ماجاء فى هذا الحديث على لسان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيح ، أخذ من خطبه وخطاباته ومأثور نوادره

عُمر الرجل

للمستشرق الانجليزي الاستاذ رينولد نيكلسون

كل مفكر منصف تأسره وتبهره من عمر بن الخطاب أخلاق سامية قوية ، وعقلية راجحة ناصعة ، فلا يمنعه اختلاف الدين أو الجنس من أن يقر للفاروق بعظمته وعبقريته كما أقر بها لفيف من أعلام المستشرقين المنصفين في مقدمتهم الاستاذ رينولد نيكلسون في هذا المقال

تنيف مدة الخلافة الإسلامية على ستة قرون وربع قرن (أعنى منذ ٦٣٢–١٢٥٨م) وتنقسم الى ثلاثة عصور يتميز بعضها عن بعض ، فلا تتساوى فى آمادها ولا تتحد فى خصائصها . وأولها هى التى بدأت بانتخاب أبى بكر أول خليفة للمسلمين سنة ٦٣٢ م وانتهت باغتيال على الخليفة الرابع وصهر النبى عام ٦٦١ م . وهؤلاء الخلفاء الأربعة هم المعروفون بالخلفاء الراشدين لأنهم اقتفوا تماما سنة النبى ، واتخذوا المدينة المنورة قاعدة حكمهم ، وجروا على منواله مستعينين بصحابته العظام الذين كانوا يؤلفون من بينهم شبه مجلس تشريعى

ربما كان رفض محمد أو اغفاله تعيين خليفة له من بعده أعظم خطرا من تعقيبه ولداً من صلبه . ولم يكن نظام الملكية الوراثية مألوفا لدى العرب ، ولم يكن اختصاص أسرة النبى بحق مقدس قد أصبح من الافكار السائدة ، فتحتم إذ ذاك على المجتمع الاسلامى اختيار رئيسه – جريا على السنة التى شب عليها العرب فى جاهليتهم عند اختيارهم شيخ القبيلة . وكان أولى الناس بهذا الأمر ثلاثة قرشيون هم أبو بكر والد عائشة أحب زوجات الرسول إلى نفسه ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ابن عم النبى وزوج ابنته فاطمة ، فكانت تربطه بالنبى رابطة النسب والقرابة . أما أبو بكر فكان أسنهم ، وقد زكاه عمر ووقعت البيعة العامة ، وان لم يخل الامر من ظهور بوادر فئة مناهضة

وخلفه عمر بن الخطاب ، وهنا ينبغى علينا ان نقف قليلا مستعرضين شخصية هذا الرجل الجليلة ، الذى عده اكابر المسلمين فيما تلا من الزمان صورة جامعة لكل الفضائل التى ينبغى ان يتحلى بها الخليفة . ومن المحتمل انه قد بولغ فى مدحه وتقديره ، ولكن ماورد بشأنه من الآثار ينم على أية حال عن شخصية فذة ، وصورة رائعة للرجل وعصره ، فقد قال احدهم : « رأيت عمر يأتى يوم العيد ماشياً حافياً ، اعسر ايسر ، متلببا برداً قطريا ، مشرفا على الناس كأنه على دابة » .

وقص احد موالى الخليفة عثمان بن عفان : انه ركب خلف عثمان حتى أتى على حظيرة الصدقة فى يوم شديد الحر شديد السموم ، فاذا رجل عليه إزار ورداء وقد لف رأسه برداء ، يطرد الابل ويدخلها الحظيرة ــ حظيرة إبل الصدقة ــ فقال عثمان : « هذا والله القوى الأمين » . وكان من عادة عمر ان يجول فى الأسواق ويقرأ القرآن ويحكم بين المتخاصمين أنى وجدهم . وقد سأل كعب الاحبار احد جيران عمر بن الخطاب: « كيف الدخول على امير المؤمنين[1] » فقال : « ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء »

وقد خطب عمر الناس مرة فقال : « والذى بعث محمداً بالحق ، لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل الله آل الخطاب » واعتلى المنبر ذات مرة خطيباً فقال : « لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولا ، فانى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى ، أما عمالهم فلا يرفعونها إلى ، واما هم فلا يصلون إلى ، فأسير الى الشام فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى الكوفة فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البصرة فاقيم بها شهرين ، والله لنعم الحول هذا ! »

ومما يروى عنه أنه جاء الى باب عبد الرحمن بن عوف فقرعه ، فجاءته امرأته ففتحته ثم قالت له : « لا تدخل حتى أدخل البيت فأجلس مجلسى » فلم يدخل حتى جلست ثم قالت : «ادخل» فدخل ثم قال : «هل من شىء» فأتته بطعام فاكل وعبد الرحمن قائم يصلى فقال له : «تجوز أيها الرجل» فسلم عبد الرحمن حينئذ ثم أقبل عليه فقال : « ما جاء بك فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين » قال : « رفقة نزلت فى ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق معى لنحرسهم . » فانطلقا فأتيا السوق فقعدا على نشز من الارض يتحدثان ، فرفع لهما مصباح فقال عمر : « ألم أنه عن المصابيح بعد النوم ؟ » فانطلقا فاذا قوم على شراب لهم ، فقال : « انطلق فقدعرفته » . فلما أصبح أرسل اليه فقال عمر : « يا فلان ، كنت وأصحابك البارحة على شراب » فقال : « ومن أعلمك يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « شىء شهدته » قال : « أو لم ينهك الله عن التجسس ؟ » فتجاوز عنه

وكان عمر اذا استعمل واليا كتب له عهداً ، وأشهد عليه رهطا من المهاجرين والأنصار واشترط عليه ألا يركب برذونا ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقا ، ولا يتخذ بابا دون حاجات الناس . وكان من مألوف عادات عمر أن يخرج مشيعا الولاة الذين استخدمهم فيقول لهم: « انى لم أستعملكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على اشعارهم ولا أبشارهم وانما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق . وتقسموا بينهم بالعدل . وإنى لم أسلطكم على أبشارهم ولا على

---

(١) كان عمر أول من تلقب بأمير المؤمنين وقد ورد فى (التاج ص ٨٨) أن المغيرة قال لعمر: « يا خليفة الله » فقال عمر : « ذاك نبي الله داود » قال : « يا خليفة رسول الله » قال : « ذاك صاحبكم المفقود » قال : « يا خليفة خليفة رسول الله » قال : « ذلك أمر يطول » قال : « ياعمر » قال : « لاتبخس مقامى شرفه . أنتم المؤمنون وأنا أميركم » ــ المترجم

أعشارهم ، ولا تجلدوا العرب فتذلوها ، ولا تجمروها فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتكفروها ، جودوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنا شريككم » واذا شكا اليه عامل اقتص منه وجمع بينه وبين من شكاه فان صح عليه أمر يجب أخذه به ، أخذه به

وكان عمر أول من أدخل الديوان فى الاسلام ، دون فيه أسماء العرب حسب قبائلهم ، وعين لهم أعطياتهم ، وقد ذكر « الفخرى » أنه لما كانت سنة خمس عشرة من الهجرة (٦٣٦ م) وهي خلافة عمر رأى أن الفتوح قد توالت وأن كنوز الأكاسرة قد ملكت وأن الحمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت ، فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الاموال فيهم ، ولم يكن يعرف كيف يصنع وكيف يضبط ذلك ، وكان بالمدينة بعض مرازبة الفرس فلما رأى حيرة عمر قال له : « يا امير المؤمنين ان للاكاسرة شيئا يسمونه ديوانا ، جميع دخلهم وخرجهم مضبوط فيه لايشذ منه شيء ، وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق اليها خلل » . فتنبه عمر وقال : « صفه لى » فوصف المرزبان ، وفطن عمر لذلك ودون الدواوين ، وفرض لزوجات الرسول صلوات الله عليه وسلامه ولسراريه وأقاربه حتى استنفد الحاصل ، ولم يدخر فى بيت المال شيئا ، قالوا فقام اليه رجل وقال : « يا امير المؤمنين ، لو تركت فى بيت المال شيئا يكون عدة لحادث ان حدث » فزجره عمر قائلا : « كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها ، وهى فتنة لمن بعدى ، انى لا اعتمد للحادث الذى يحدث سوى طاعة الله ورسوله ، فهى عدتنا التى بلغنا بها ما بلغنا » . ثم رأى عمر أن يجعل العطاء على حسب السبق الى الاسلام والى نصرة الرسول

وقال عمر للناس : « والله ما أدركنا الفضل فى الدنيا ، ولا نرجو مانرجو من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلا بمحمد فهو شرفنا ، وقومه أشرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب . ان العرب شرفت برسول الله ولعل بعضها يلقاه الى آباء كثيرة ، وما بيننا وبين أن نلقاه إلا نسبه ، ثم لا نفارقه الى آدم إلا آباء يسيرة مع ذلك ، والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة . فلا ينظر رجل الى قرابة وانما يعمل لما عند الله ، فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه »

وجدير بعمر أن يقال فيه ماقيل فى كرمويل من أنه « أفرغ الممالك القديمة فى قالب جديد » وكأنه المقصود تماما بقول أحد شعراء الانكليز : « ان النشآت التى تثمر القوة لجدير التوفر على رعايتها » . وفى ظل النظام الذى سنه عمر انتظمت الأمور في بلاد العرب بعد أن طهرت من أدران الشرك وأصبحت مورداً خصبا ، وقاعدة ثابتة لتموين الجيوش الاسلامية الدائمة ، وصار العرب المقيمون فى المقاطعات المفتوحة أساسا لتموين القوات الحربية على الاقامة فى معسكرات كبيرة ، والانفاق عليهم مما يجبى من غير المسلمين ، وكان من نتائج هذه المعسكرات أن قامت مدينتان

ذواتا أثر بارز فى التاريخ الأدبى هما « البصرة » عند ملتقى دجلة بالفرات ، و « الكوفة » التى ظهرت إبان ذلك الحين أيضا على الفرع الغربى للفرات وعلى مقربة من الحيرة

ولقد كان مصرع عمر على يد مولى فارسى يدعى فيروز ، اغتاله وهو قائم يصلى بالناس فى المسجد الجامع ، وبموته ذوت العزة الحربية ، وأخذت فى التقلص أيام الخلافة العادلة السعيدة ، وبجانب مزاياه البارزة التى تشرف وتشرئب فى ثنايا ما أوردناه سالفا من الأخبار عنه ، وان كان من المحتمل أيضا أن تكون قد أضيفت اليها صور لابلاغها حد الكمال ــ كان عمر جامعا بين البساطة والقصد ، مؤديا عمله لا عن رهبة ، ولا جريا وراء رغبة ، شديداً الى أقصى غايات الشدة رغم شفقته على الضعفاء ، وحكما عادلا شديداً على نفسه أكثرمن شدته على غيره . وقد ولد ليكون حاكما ، وكان مثال الرجولة فى كل سيرته ، واذا أنعمنا النظر فيا حدث اثر مقتله من شغب ، فان المرء لا يسعه إلا الاعتراف بصحة القول الذي قاله أحد الحكماء بعد خمسة قرون من هذا الحادث : وهو « أن سعادة الاسلام أدرجت فى أكفان عمر بن الخطاب »

(ترجمة) **حسن حبشى**

عن كتاب « تاريخ العرب الادبى »

A Literary History of The Arabs

من نظرات الفاروق

الرجال ثلاثة ، والنساء ثلاث :

فرجل عاقل إذا أقبلت الأمور واشتبهت ، تأمل فيها أمره ونزل عند رأيه . وآخر ينزل به الأمر فلا يعرفه ، فيأتى ذوى الرأى فينزل عند رأيهم . وآخر حائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً

وامرأة عفيفة سلمة ، هينة لينة ، ودود ولود ، تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها ، وهذه قلما تجدها . وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك شيئا . وأخرى غل يجعلها الله فى عنق من يشاء

وصايا الفاروق

وصيته للناس

أوصيكم بكتاب الله فانكم لن تضلوا ما اتبعتموه . وأوصيكم بالمهاجرين فان الناس يكثرون ويقلون . وأوصيكم بالانصار فانهم شعب الاسلام الذى لجأ اليه . وأوصيكم بالاعراب فانهم أصلكم ومادتكم ، واخوانكم وعدو عدوكم . وأوصيكم بأهل الذمة فانهم ذمة نبيكم وأرزاق عيالكم

وصيته لخليفته

أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله ، والمهاجرين الأولين ، ان يحفظ لهم حقهم وان يعرف لهم حرمتهم . وأوصيه بأهل الامصار خيراً، فانهم رداء الاسلام وغيظ العدو وجباة المال ، ألا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم . واوصيه بالانصار الذين تبوءوا الدار والايمان ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم . واوصيه بالاعراب خيراً فانهم اصل العرب ومادة الاسلام. وان يؤخذ من حواشى اموالهم فيرد على فقرائهم. واوصيه بذمة الله وذمة رسوله ، ان يوفى لهم بعهده وألا يكلفوا إلا طاقتهم وان يقاتل من ورائهم

وصيته لابنه

أوصى ابنه عبد الله قائلا : يابنى عليك بخصال الايمان . قال : وما هن يا ابت ؟ قال : الصوم فى شدة ايام الصيف ، وقتل الاعداء بالسيف ، والصبر على المصيبة ، واسباغ الوضوء فى اليوم الشاتى ، وتعجيل الصلاة فى يوم الغيم ، وترك ردغة الخبال . قال : وما ردغة الخبال ؟ قال : شرب الخمر

بين الفاروق - وخالد بن الوليد

بقلم الاستاذ سيد ابراهيم

إذا قرأت فى التاريخ أن اثنين تحاربا ، ثم قتل أحدهما الآخر ، فقلما تستطيع أن تقف بين كليهما محايداً ، ولا مفر لك من أن تجد نفسك راضيا عن أحدهما ، ناقماً من صاحبه

ويصدر الحاكم أمراً بعزل رجل ما ، فاما كنت أمام هذا العزل مبتهجا به ، وإما كنت مكتئبا له.

ويدور الحديث بين اثنين فى شأن ، ويختلفان فى الرأى ، فلا تتمالك أن تخلد الى أحدهما بالثقة وتوليه الرضا

أما فى هذا الحادث التاريخى الجلل ـ حادث عزل خالد بن الوليد ـ فانك لتجد نفسك راضية عن كل بطل من أبطال هذه المأساة جميعا ، ترضى عن عمر الفاروق رمز العدل ، وترضى عن خالد سيف الله المسلول ، ذلك الرجل الذى عقد الله الخير بناصيته أينما رحل ، وكتب له النصر والغلبة حيثما حارب ، وترضى عن الشاعر الفارس السرى مالك بن نويرة ، ذلك الذى يضرب به المثل ، فيقال : فتى ولا كمالك !

ليت التخاصم إذ يكون يكون بين الظالمين !
لا أن يدب دبيبه بين الخيار الماجدين
فيصير مدعاة الأسى ومثار أسباب الشجون

ولقد كان عزل عمر بن الخطاب خالداً فى أحرج الأوقات ، فالمسلمون صفوف تحت لوائه ، وخالد يتأهب بهم ليجوز الوقعة الفاصلة ، وذلك يتطلب منه أن يحشد له من يقظته وانتباهه واجتماع رأيه وطمأنينة نفسه ما يكفل له الفوز ، وإنه لكذلك إذ قدم البريد بموت أبى بكر ، وتولية عمر وعزل خالد ، وتأمير أبى عبيدة مكانه

وثم يقف الفكر حائراً متسائلا : ترى ما الذى أثار عمر بن الخطاب ـ وهو من هو حزما وعدالة ، وبعداً عن الهوى ، وإيثاراً للمصلحة العامة ، وتحكيما للعقل على العاطفة ـ حتى أقدم على عزل القائد الفاتح ، الذى مكن للاسلام بانتصاره فى حروب الردة ، وأفسح فى رقعته بما تهيأ له من فتوحات يتبع بعضها بعضا ؟

ترى ما الذى حفز الفاروق العادل الأكبر الى عزل خالد الفاتح الأكبر ؟

ليس لهذه الاسئلة وما اليها من جواب ، الا ما تراه مسطورا فى حادث مالك بن نويرة :

***

بعد وفاة رسول الله صلوات الله عليه ، ارتد كثير من العرب . فقطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية فكانت أحد عشر لواء . فعقد لخالد بن الوليد على أن يحارب طليحة بن خويلد ، فاذا فرغ منه سار الى مالك بن نويرة ، وكان عاملا لرسول الله على صدقات بنى يربوع ، فلما مات النبى اضطرب فيها فلم يُحمد أمره ، وفرق ما فى يديه من إبل الصدقة ، فكلمه فى ذلك صديقان له ، وقالا : ان لهذا الأمر مطالبا ، فلا تعجل بتفرقة ما فى يديك . فقال قصيدته التى منها :

وقلت : خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجيء من الغد

فان قام بالأمر المخوف قائم منعنا . وقلنا : الدين دين محمد !

فلما سار خالد استبرأ أسداً وغطفان وطيئا وهوازن ، ثم خرج يريد البطاح دون الحزن ، وعليه مالك بن نويرة . وقد ترددت الأنصار على خالد ، وتخلفت عنه ، وقالوا : « ما هذا بعهد الخليفة الينا ، فقد عهد الينا إن نحن استبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب بمسيرنا » فقال لهم خالد : « إن يكن قد عهد اليكم هذا ، فقد عهد الى أن أمضى ، وأنا الأمير ، والىّ تنتهى الأخبار ، ولو أنه لم يأتنى منه كتاب ولا أمر ، ثم رأيت فرصة ، فكنت إن أعلمته بها فاتتنى ، لم أعلمه بها ، حتى انتهزها . وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد الينا فيه ، لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ، ثم نعمل به . وهذا مالك بن نويرة بحيالنا ، وأنا قاصد اليه ومن معى من المهاجرين والتابعين باحسان . ولست أكرهكم » ومضى خالد ، وندمت الأنصار ، وتذمروا ، وقالوا : « إن أصاب القوم خيراً إنه لخير حرمتموه ، وإن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس » فأجمعوا اللحاق بخالد ، وجردوا اليه رسولا ، فأقام عليهم حتى لحقوا به . ثم سار خالد ، حتى قدم البطاح ، فلم يجد به أحداً ووجد مالكا قد فرقهم فى أموالهم ونهاهم عن الاجتماع

وخرج مالك راجعا الى منزله ، ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الاسلام ، فمن أجاب سالموه . ومن لم يجب وامتنع ، قتلوه . وكان فيما أوصاهم أبو بكر : « إذا نزلتم فأذّنوا وأقيموا ، فان أذّن القوم وأقاموا ، فكفوا عنهم ، وان لم يفعلوا ، فلا شيء إلا الغارة ، فاقتلوا وحرّقوا ، فان أجابوكم الى داعية الاسلام فسائلوهم ، فان هم أقروا بالزكاة قبلتم منهم ، وإلا فلا شيء إلا الغارة ، ولا كلمة . . . »

***

كيف قتل مالك بن نويرة ؟

هنا روايتان ، تقول الأولى : ان خالدا لما بعث السرايا ، جاءته الخيل بمالك بن نويرة فى نفر معه من بنى ثعلبة بن يربوع ومن بنى عاصم وعبيد وجعفر ، واختلفت السرية فيهم ، فكان أبو قتادة فيمن شهد بأنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلوا ، فلما اختلفوا فيهم ، أمر خالد بحبسهم فى ليلة باردة ، لا يقوم لها شيء ، وجعلت تزداد برداً ، فأمر خالد مناديا ، فنادى : « دافئوا أسراكم » وكان فى لغة

كنانة إذا قالوا : دافأنا الرجل ، وأدفئوه ، فذلك معنى : اقتلوه ، وفى لغة غيرهم : أدفئوهم ، من الدفء ، فظن القوم أنه يريد القتل ، فقتل ضرار بن الأزور مالكا ، وقتل الجند من بقى من أصحابه

ولقد أشار المعرى الى الخلاف فى الادفاء ، إذ قال :

أدفئوا بالطعـان بين التراقى والحوايا أسـنة مقرورة

فسمع خالد القائل : ادفئوا أسراكم ، وخشى أن يحدث ما كان قد حدث ، فخرج ، ولكن كانوا قد فرغوا من قتلهم ، فقال : إذا أراد الله امرأ أصابه . فقال له أبو قتادة : هذا عملك ! فزبره خالد ، ومضى حتى أتى أبا بكر ، فغضب عليه أبو بكر ، حتى كلمه عمر فيه ، فلم يرض إلا بأن يرجع الى خالد ، فرجع ولم يزل معه

تلك إحدى الروايتين فى مقتل مالك ، فأما الاخرى ، فيقصها علينا أبو قتادة نفسه ، فيقول : « إنهم لما غشوا القوم ، راعوهم تحت الليل ، فأخذ القوم السلاح ، فقلنا : إنا المسلمون ! فقالوا : ونحن المسلمون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ؟ قالوا : فما بال السلاح معكم ؟ قلنا : ان كنتم كما تقولون فضعوا السلاح . قال : فوضعوها ، ثم صلينا وصلوا . وكانت بعد مناقشة بين مالك بن نويرة ، وخالد بن الوليد :

قال مالك لخالد وهو يراجعه : انى آتى الصلاة دون الزكاة

فقال له خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معا لا تقبل واحدة دون الأخرى ؟

فقال مالك : قد كان صاحبك يقول ذلك ؟ !

قال خالد : أو ما تراه لك صاحباً ؟ ولقد هممت أن أضرب عنقك !

ثم تجاولا بالكلام طويلا

فقال خالد : انى قاتلك !

قال مالك : أو بذلك أمرك صاحبك ؟

قال : وهذه بعد تلك ؟

ثم قدمه وضرب عنقه ، وأعناق أصحابه

* * *

وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك بن نويرة ، وتركها لينقضى طهرها ، وكانت العرب تكره النساء فى الحرب ، وتعيره ، فقال عمر لأبى بكر : إن فى سيف خالد رهقاً ! وحق عليه أن يقيده ، وأكثر عليه فى ذلك ، وقال : عدو الله ، عدا على امرىء مسلم ، فقتله ، ثم نزا على امرأته . وكان أبو بكر لا يقيد من عماله ولا وزعته ، فقال : هيه يا عمر ! تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد . وودى مالكا ، وكتب الى خالد أن يقدم عليه

وأقبل خالد بن الوليد قافلا ، حتى دخل المسجد ، وعليه قباء له ، عليه صدأ الحديد ، معتجراً

بعمامة له قد غرز فيها أسهماً ، فلما أن دخل المسجد ، قام اليه عمر ، فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ، ثم قال : « أرئاء ! ؟ قتلت مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجار » ولا يكلمه خالد ابن الوليد ، ولا يظن خالد إلا أن رأى أبي بكر على مثل رأى عمر فيه ، حتى دخل على أبي بكر ، فأخبره الخبر ، واعتذر اليه ، فعذره ، وتجاوز له عما كان فى حربه تلك ، فخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر ، وعمر جالس فى المسجد ، فقال : هلم الى يا بن أم سلمة ! فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عن خالد ، فلم يكلمه ، ودخل بيته

* * *

وقدم أخو مالك ، متمم بن نويرة ، ينشد أبا بكر دمه ، ويطلب اليه فى سبيهم ، فكتب له برد السبي ، وقد بكى أخاه بكاء لم يبك به فقيد قبله . ولم يدخر وسعا فى الاشادة بذكر أخيه ، وإشاعة مناقبه ، والتغنى بفروسيته وأريحيته ، والتذكير بمصرعه ، متخذاً فى ذلك كل الوسائل . فبينا عمر يصلى الصبح ، فلما انفتل من صلاته ، اذا هو برجل قصير أعور ، متنكبا قوسه ، وبيده هراوة ، فقال : من هذا ؟ فقال : متمم بن نويرة ، فاستنشده قوله فى أخيه ، فأنشده :

لعمرى وما دهرى بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ثيابه فتى غير مبطان العشيات أروعا

حتى بلغ قوله :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر : هذا والله التأبين ! ولوددت أنى أنشد الشعر ، فأرثى أخى زيداً بمثل ما رثيت به أخاك ! فقال متمم : لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته

وكان أخو عمر قتل باليمامة شهيداً ، وأمير الجيش خالد بن الوليد أيضا !

وبينا متمم يصلى الصبح مع أبى بكر ، إذ ينشد :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت تحت الازار قتلت يا بن الأزور
أدعوته بالله ، ثم قتلته ؟ لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال ابو بكر : والله ما دعوته ، ولا قتلته !

لا يضمر الفحشاء تحت ردائه حلو شمائله عفيف المئزر
ولنعم حشو الدرع أنت وحاسر ولنعم مأوى الطارق المتنور

ثم بكى ، حتى سالت عينه ، ثم انحرط على سية قوسه (يعنى : مغشيا عليه)

وقد ذاعت قصائد متمم فى أخيه مالك ، وصارت مضرب الأمثال فى الرثاء ، كما صارت مراثى الخنساء . فلا يرى أحد من المسلمين متمما إلا سأله أن ينشده بكاءه على أخيه . وبلغ من ذيوع

شعر متمم فى أخيه أنه لما مات عبد الرحمن بن أبى بكر وقفت عائشة على قبره ، وقالت متمثلة :

وكنا كندمانى جذيمة ... الخ

فلا غرو إن تركت هذه القصائد أكبر الأثر فى نفس عمر ، ولا سيما أنه يشارك متمما شعوره بموت أخيه زيد ، فكان يعطف عليه ، ويدنيه منه ، وينصح له

ولا تنس فى هذا المقام قول أبى العلاء :

فمهلا يا متمم إن فهراً حوت من مالك دية الفرار

عتابك خالداً لم يجـــد شيئا ولا نص الملام الى ضرار

***

لم يزل عمر ساخطا على خالد ، كارها لأمره ، فى زمان أبى بكر كله ، لوقعته بمالك ، وما كان يعمل به فى حربه . وخالد يعرف ذلك من عمر ، حتى إن خالداً لما فرغ من حرب مسيلمة ، قال لمجاعة : زوجنى ابنتك . فزوجه إياها . فبلغ ذلك أبا بكر ، فكتب اليه يقول له : « يقطر الدم لعمرى يا بن أم خالد ، إنك لفارغ ، تنكح النساء ، وبفناء بيتك دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجف بعد ؟ »

فلما نظر خالد الى الكتاب ، جعل يقول : هذا عمل الأعيسر ! (يعنى عمر)

***

ولما نزل المسلمون باليرموك ، واستمدوا أبا بكر ، قال : خالد لها !

فبعث اليه وهو بالعراق ، واستحثه فى السير ، فوصل اليهم ذلك القائد المنتصر الذى جمع الله له الخير فى فتوحه ، مجتازاً طرقا معجزة ، وسبلا وعرة ، لا طاقة لأحد باجتيازها . ووصل الى المسلمين ، وهم فى أحرج مواقفهم ، فقد كان أمام كل جندى منهم ألف وخمسمائة جندى كاملة العدد ، فما عبأ بذلك ولا أوهن من عضده ، وقد استكثر أحد الناس جنود الروم ، وهاله جمعهم على قلة المسلمين ، فأجاب خالد بقوله الباقى على الزمن : انما تكثر الجيوش بالنصر ، وتقل بالخذلان !

ثم نشب القتال ، والتحم الفريقان ، وتطارد الفرسان . وانهم لكذلك إذ قدم البريد من المدينة ، وأسر الى خالد بموت أبى بكر ، وأمر عمر الخليفة بتأمير أبى عبيدة ، فقال خالد : « الحمد لله الذى قضى على أبى بكر الموت وكان أحب الى من عمر ، والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض إلى من أبى بكر ، ثم ألزمنى حبه » ، وأخذ الكتاب ، وجعله فى كنانته ، وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ، ثم خاض بالجيش المعركة ، حتى انتصر نصراً مؤزراً على عادته . . .

ولما اطمأن الى النتيجة الباهرة ، وتم الفتح ، تنحى لصاحبه أبى عبيدة عن إمارة الجيش ، وانضوى تحت لوائه فى عداد الجنود . .

سيد ابراهيم

أوليات الفاروق

هو أول من اتخذ بيت المال . وأول من كتب التاريخ من الهجرة . وأول من سن قيام شهر رمضان . وأول من عس بالليل . وأول من عاقب على الهجاء . وأول من ضرب فى الخمر ثمانين

وأول من حرم المتعة . وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد . وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز

وأول من فتح الفتوح ومسح السواد . وأول من حمل الطعام من مصر فى بحر أيلة (البحر الاحمر) الى المدينة . وأول من احتبس صدقة فى الاسلام . وأول من أعال الفرائض . وأول من أخذ زكاة الخيل

وأول من قال أطال الله بقاءك (قاله لعلى) . وأول من قال أيدك الله (وقاله له أيضا) . وأول من اتخذ الدرة . وأول من استقضى القضاة فى الأمصار . وأول من مصر الأمصار

وأول من سمى أمير المؤمنين

وأول من اتخذ دار الدقيق يعين به المنقطع . وأول من وسع المسجد النبوى وفرشه بالحصباء

وأول من ضرب النقود فى الاسلام . وأول من استعمل البريد لنقل الرسائل .
وأول من أقام والياً للحسبة . وأول من شق الترع وأقام الجسور
وأول من وضع المرابطة من الجند فى الثغور وسمي الأجناد . وأول من أمر بالعناية بالمناظير

وأول من عين شخصاً مخصوصاً لاقتصاص أخبار العمال وتحقيق الشكايات التى تصل الى الخليفة من عماله ، وهو محمد بن مسلمة

الفاروق ... الشديد اللين

(بقية المنشور على صفحة ٧)

المحنة ثابتا لها صابراً عليها ، وأن يخلص منها وينفذ من مشكلاتها صحيحا بريئا ، لم يكلم فى نفسه ولا فى خلقه ولا فى دينه ولا فى شىء من هذه الملكات الكثيرة المعقدة التى تكون ضمير الرجل الكريم . واذا كان الخليفة ممتحنا دائما مبتلى برعيته فمن الحق عليه لنفسه وللناس ، ومن الحق عليه لله الذى يلى أمره وأمر الناس ، أن يحاسب نفسه دائما عن عظيم الأمر وهينه ، والا يأتى امراً صغيراً أو كبيراً إلا وهو عالم بما يأتى وبما يحمله على أن يأتى هذا الأمر أو ذاك ، إلا وهو مقدر انه سيسأل عما أتى ومهيء الجواب على هذا السؤال حين يلقى اليه . سيسأل عما أتى فى اليوم الآخر حين يسأله الله عن الجليل والضئيل من اعماله . وقد يسأل عما أتى فى كل لحظة ومن كل انسان . فانه حين نهض بالأمر قد عرض نفسه لهذا السؤال ، لأنه احتمل أمانة يشترك فى حسابه عنها الناس جميعا، وينفرد بحسابه عنها آخر الأمر ربه الذى جعل اليه أمور الناس على ان يؤدى اليه حساب مافعل وماترك

وما أعرف أن خليفة من خلفاء المسلمين أو ملكا من ملوكهم ، منح ما منحه عمر من هذا الضمير الحساس الى أقصى ما يستطيع الضمير أن يحس . ظهر ذلك من أمره للناس جميعا ظهوراً قويا مقنعا حتى شبهوه بالميزان الدقيق الذى لا يمكن أن ينحرف أو يجور . وما أعرف خليفة من خلفاء المسلمين أوملكا من ملوكهم ، تمثل حساب الله له فى جميع لحظاته يقظان ونائما عاملا ومستريحا ، مقبلا على عظائم الأمور أو على الهين منها كما فعل عمر

يدخل على بنته حفصة ام المؤمنين فتقدم اليه خبزاً ومرقا قد جعلت فيه الزيت فينصرف عنه ويقول : ادمان فى إناء واحد لا والله لا أذوقهما . ويدخل على رجل من المسلمين فيستقيه ، فيقدم اليه الرجل شرابا ، فيسأل ما هو فاذا عرف انه عسل انصرف عنه وقال : لا والله ليحاسبني الله عليه . ويدفع الى أحد الفرس قميصا له ويتعجله فى ذلك فيقدم اليه الفارسى قميصين قد صنعهما فيسأله أليس فيهما من مال الذمة شىء فيجيب الفارسى : لا إلا الخيط ، فينهره عمر ويقول : أغرب واردد إلى قميصى ، ويرد عليه الفارسى قميصه لم يجف بعد . فهو يرى الله اذا أصبح ويراه اذا أمسى ، ويتمثل نفسه قائما بين يديه يؤدى اليه الحساب عما فعل وما قال

وله فى ذلك أعاجيب كلها رائعة وكثير منها يدفع الى البكاء دفعا. جهز عيراً الى الشام فقد كان يتجر ليعيش، واحتاج الى ثلاثة آلاف درهم فأرسل الى عبد الرحمن بن عوف ليقرضه هذا المقدار، فقال عبد الرحمن للرسول : ليقترضها من بيت المال ، فلما لقى عمر عبد الرحمن بعد ذلك سأله : أأنت قلت هذا ؟ قال : نعم . قال عمر: فانى ان اقترضت هذه الدراهم من بيت المال ثم أدركنى الموت قال المسلمون ضعوها عن أمير المؤمنين واتركوها لأهل أمير المؤمنين ، وسألنى الله عنها يوم القيامة ، ولكنى ان

اقترضتها من شحيح مثلك ثم أدركنى الموت لم يضعها عنى ولم يتركها لأهلى حتى تؤدى اليه . ولما طعن وأفاق من غشيته الأولى كان أول شيء عناه وأهمه ان يعرف أكان طاعنه رجلا من المسلمين، فلما عرف أن طاعنه كان غلام المغيرة بن شعبة رضى واطمأنت نفسه لانه علم أن قاتله لا يستطيع أن يحاسبه أمام الله عن سيئة قدمها اليه أو شر جناه عليه

ومن هنا لم يكن عمر شديداً على الناس بما كان يلقاهم به من الحزم فحسب ، وانما كان شديداً عليهم بما كان يتشدد على نفسه .وكان كثير من المسلمين يرون من امامهم هذا العيش الخشن الغليظ ، فيستحون ان يلينوا لأنفسهم من العيش أو يظهروا ذلك،وربما وسطوا اليه ابنته حفصة أم المؤمنين لتسأله أن يرفق بنفسه وأن يبيح لها شيئا ولو قليلا من طيبات الحياة ، فأجابها لقد نصحت لقومك وغششت أباك . وكذلك كان ضميره مرهف الحس شديد المراقبة يسأله عن كل شيء قبل ان يسأله الناس وقبل ان يسأله الله ، وكذلك أدى امتحانه مدة خلافته . ولكن الشيء الذى ليس فيه شك هو أن رعيته لم تؤد الامتحان كما أداه ، ولم تثبت للمحنة كما ثبت . ومراقبة الضمير لا تتاح للناس جميعا وانما تتاح لأخيارهم والممتازين منهم وهى على النحو الذى عرفه عمر لا تكاد تتاح إلا للرجل الفذ بين حين وحين أو قل بين القرون الطويلة والقرون الطويلة

ولما امتحن المسلمون من أهل جزيرة العرب بالجدب واشتدت عليهم السنة ظهرت مراقبة الضمير فى حياة عمر وفى أقواله وأفعاله جميعا ، فكان يقول للناس . ان الله قد ابتلاكم بى وابتلانى بكم فما أدرى أهى خطيئة منى أم خطيئة منكم أم هى خطيئة عمتنا فعمنا من أجلها العذاب

وقد صلى بالناس صلاة الاستسقاء فكانت صلاته استغفاراً كلها حتى ظن الناس انه لن يسأل الله شيئا إلا المغفرة ولكنه فى آخر الصلاة سأل الله أن يسقى الناس

وعمر اول الخلفاء تشدداً فى تعرف احوال الناس كما قدمت ليتعرف ما يمكن ان يكون قد قدم اليهم من شر او جنى عليهم من مكروه . كان اذا اقبل الليل صلى فأطال الصلاة ثم خرج مستخفيا يتحسس اخبار الناس ويستمع احاديثهم ، وقد نفعه ذلك فأصلح من امور الناس شيئا كثيراً . كان قد فرض العطاء للرجال والنساء والفتيان والفتيات وللصبيان بعد أن يفطموا ، فلما كان فى بعض لياليه سمع صبياً يبكى بكاء شديداً ، فسأل امه عن مصدر هذا البكاء فأجابته وهى لاتعرفه جوابا لم يقنعه. وعاد الصبى الى البكاء فعاد عمر الى السؤال وتكرر ذلك من الصبي ومن عمر حتى ضاقت المرأة بهذا السائل الملح فقالت له : « لقد أثقلت على منذ الليلة ، أما تعلم ان ابن الخطاب لا يعطى الصبية إلا بعد الفطام . فأنا أتعجل فطام هذا الصبى لتنال عطاءه من بيت المال » فانصرف عمر عن المرأة محزونا كئيبا وهو يقول : « ويل عمر ! كم قتل من أبناء المسلمين» ثم أمر المنادين فنادوا فى الناس أتموا رضاع ابنائكم فان لهم عطاءهم منذ يولدون

ولم يعرف عمر نظم الحكم الديمقراطى كما ألفه اليونان والرومان فى بعض عهودهم . ولكن

ضميره الحساس وغريزته المستقيمة وقلبه الذكى وحرصه على العدل وخوفه من الجور ـ كل ذلك دعاه الى شىء ليس بعيداً عن النظام الديمقراطى . ولعل عمر لو عاش لأحدث للمسلمين نظاما ديمقراطيا عربيا . كان يستشير من حوله من أصحاب النبى وسادة الناس فى كل ما يعرض له من المشكلات ، ولكنه كان شديد الحرص على ان يحج بالناس فى كل عام ويشهد الموسم الذى يجتمع فيه أهل الأمصار ، ويأمر العمال ان يوافوه على رأس من يليهم ، فاذا كان الموسم وحضرت هذه الوفود سمع من العمال فى الرعية وسمع من الرعية فى العمال وأقر العدل والنصفة بين اولئك وهؤلاء . فكان موسم الحج عند عمر موسما سياسيا يستعرض فيه امور الأقاليم بمشهد من الحاكمين والمحكومين . ومن يدرى لو ان الله مد له فى الحياة إلام كان يصير امر هذا الاجتماع السياسى المنظم

وخصلة اخرى من خصال عمر هى بغضه للتكلف وازدراؤه للمتكلفين . يتأخر شيئا عن الصلاة فاذا خرج جلس على المنبر واعتذر الى الناس قائلا : لقد اخرنى قميصى ، غسل له قميصه فانتظر ان يجف ثم خرج للناس بعد ان تم له ما اراد . وقرىء امامه قول الله عز وجل «وفاكهة وأبا» فقال قائل : وما الأب ؟ قال عمر : هذا هو التكلف وما يضرك ألا تعرف الأب ؟

ولو انى ذهبت أعد خصال عمر الرائعة وخلاله الممتازة لخشيت ان استغرق هذا السفر من اسفار « الهلال » دون ان ارضى من ذلك حاجتى وحاجة القراء . ولكنك توافقنى فيما اظن على ان ما عرضت عليك من صورته كاف كل الكفاية لاثبات ما زعمته فى اول هذا الفصل من ان من ايسر الاشياء أن يصنع لعمر تمثال دقيق رائع دون ان يحتاج المثال الى ان يستعين الخيال

وقد حفظ التاريخ الصورة المادية لعمر كما حفظ الصورة المعنوية . فقد كان عمر طويلا يفوق الناس كلهم طولا ، وكان ضخما بدينا ، وكان اذا مشى أسرع فى مشيته ، وكان أبيض اللون إلا فى عام الجدب فقد اقتصر على أكل الزيت حتى أفسد عليه معدته فاسود شيئا ، وأكبر الظن ان الذين وصفوه بالسواد لم يروه إلا فى ذلك العام

وخصلة أخرى أختم بها هذا الفصل لان عمر قد ختم بها حياته وهى الرقة والأدب والحياء والاكبار لحرمات البيوت . كان عمر شديد الحرص على أن يدفن مع صاحبيه اذا مات ، فلما طعن وأحس الموت دعا ابنه عبد الله وقال له : « اذهب الى عائشة أم المؤمنين وقل لها ان عمر بن الخطاب يقرأ عليك السلام ـ ولا تقل أمير المؤمنين فانى لست للمؤمنين أميراً ـ ويستأذنك فى أن يدفن مع صاحبيه » فذهب عبد الله فقال ذلك لعائشة وعاد الى أبيه باذنها فقال لابنه : « اذا مت احملونى على سرير فاذا وصلتم الى بيت عائشة فلا تدخلوا حتى تستأذنوا » ، وقد حمل سرير عمر حتى اذا بلغوا بيت عائشة قالوا : ان عمر بن الخطاب يستأذن عائشة أم المؤمنين . ولم يدخلوا السرير حتى أذنت عائشة . وهنالك دفن عمر بن الخطاب مع صاحبيه محمد رسول الله وأبي بكر اول خلفاء المسلمين

طه حسين

التسامى فى عصر عمر

التفسير النفسى لقصة نصر بن حجاج

الجماعة كالفرد ، من حيث أمراض النفس وسيطرة الغرائز على الاعمال والاتجاهات . فقد تبتلى أمة بالنسيان أو الخوف ، كما نسى شعب مصر ماضيه المجيد أجيالا طويلة وكما حل الجبن فى قلوب الرومان مكان الشجاعة فاستخذوا للغزاة الفاتحين ، الى أن شفاهم « مازينى » من الذلة للغاصب . وفى التاريخ أن أمماً مرضت بأمراض الكذب والنفاق والاستهتار ، فأطلقت لشهواتها العنان ، واطرحت النواهى جانبا وركبها فجور أتى عليها

وكذلك اشتهر عن أمم أنها برئت مما ألم بها ، وشفيت تماما واختفت أعراض العلل . وآية ذلك تركيا الحديثة وروسيا البلشفية والمانيا النازية . ولكن شفاء الجماعة من أمراضها النفسية والخلقية المتأصلة يقتضى « فكرة كبيرة » تعمر قلوبها وأذهانها ، ويؤمن بها الناس جميعا ، ويعتقدون نفعها لهم ، ووفاءها بتحقيق رغباتهم . كما لا بد من قدوة صالحة تتمثل فيها هذه الفكرة الكبيرة . .

وقد هبطت على العرب « الفكرة الكبيرة » وحيا تلقاه النبى الامى محمد ، وكان هو نعم القدوة ونعم المثال

كان العرب يعبدون الأوثان ، فجاءهم محمد بعقيدة التوحيد . وكانت نظرتهم الى الحياة تنتهى بالموت ، فمدها الاسلام الى ما بعد الحياة . وكانوا يؤمنون بالجزاء فى الدنيا ، فجعله الاسلام فى الدنيا والآخرة . وعاشوا أبد الدهر فى عزلة عن العالم فضؤل حظهم من الثقافة ولم يصل اليهم غير ثمالة من الحضارة ، فتطاحنوا على موائد صحرائهم النذرة ، فأورثهم التطاحن رذائل الحقد والحسد وحب الانتقام والتفاخر بانتصارات تافهة . فأخرجهم الاسلام من البيد الى الارض بما رحبت ، وبوأهم ملك كسرى وقيصر . وهكذا جاهدوا من أجل الفكرة فغرقت الأحن فى خضم الرغبات الرفيعة والمقاصد الفسيحة ، وجمعهم الغرض الضخم فانقلب التباغض الى تنافس مشروع ، وأصبح الاعداء أوداء فى دين الله . وبدل أن يتفاخروا بامجاد القبيلة وسؤدد الآباء ، صاروا يتباهون بثل العروش والاستحواذ على الممالك وحكم الشعوب . وتحولت الخصومة الفردية الى خصومة على مبدأ انسانى عظيم

وفى الجملة طرأ على كل انحراف فى العرب ما صححه ، وعلى كل التواء ما أقام معوجه . وتوجهت البواعث وجهة أرفع ، وتعالت الأغراض من لارض الى السماء . وبعبارة سيكولوجية : تمت فى

جزيرة العرب تجربة « التسامى » بنجاح عجيب منقطع النظير . وفى جملة الغرائز التى تسامت هناك غريزة الحب ، والقصة التالية خير شاهد على هذا التسامى العاطفى

* * *

قيل : بينما كان عمر بن الخطاب يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة ، إذ سمع امرأة تنشد شعراً أوله :

هل من سبيل الى خمر فأشربها أو من سبيل الى نصر بن حجاج

فلما سمع عمر هذه الأشعار تتشبب بها امرأة غضب وقال :

— لا أرى معى رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن . على بنصر بن حجاج

فلما أصبح أوتى بنصر بن حجاج ، فاذا هو من أحسن الناس وجها . فقال عمر :

— عزمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك ، (أى تقصه) . فأخذ نصر من شعره فى حضرة عمر ، وخرج من عنده ، وله وجنتان كأنهما شقتا قمر ، فاستدعاه عمر وقال له :

— اعتم (أى البس العمامة)

فاعتم نصر ، فافتتن الناس بعينيه ، فقال عمر :

— والله لا تساكننى فى بلدة انا فيها

فقال نصر :

— يا امير المؤمنين ، وما ذنبى ؟

فقال عمر :

— هو ما أقول لك

ثم سيره عمر الى البصرة منفيا

فخشيت المرأة أن يبدر من عمر اليها شىء تكرهه ، فدست اليه أبياتا ، هى :

قل للامام الذى تخشى بوادره مالى وللخمر أو نصر بن حجاج

لا تجعل الظن حقا ان تبينه ان السبيل سبيل الخائف الراجى

ان الهوى زم بالتقوى ، فتحبسه حتى يقر بالجام واسراج

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته وقال :

— الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى

بكى عمر لأنه أساء الظن بامرأة عفيفة تهجس بالمنى فى أحلام اليقظة ، وتنفس عن فؤادها لواعج الشوق . بكى عمر لأنه سها عن حقيقة مشهورة فى عصره ، هى أن حب المخلوق يتسامى الى حب الخالق . بكى عمر وهو المشهور بالغلظة والفظاظة ، حيال النساء بوجه خاص ، بدليل قول احدى نسائه : « يخرج عابسا ويدخل عابسا » ، وقد أحسنت المرأة فى وصف ما أحسته من

التسامى ، بقولها : « ان الهوى زم بالتقوى » فمعنى « الزم » لغة هو الشد ، ومنه الزملم ، وزم المرء بأنفه ، شمخ ، وزم رأسه ، رفعه . فيكون المعنى : ان هواها بنصر بن حجاج قد رفعته التقوى من الارض الى السماء ، وتسامت به من المخلوق الى الخالق

وأراد عمر استصلاح نصر بن حجاج وعلاجه ، فقد كان جميلا محبوبا من النساء والرجال جميعا ، فخاف عليه داء « النارسيسزم » ، وهو مرض نفسانى يتوهم المرء فيه بل يعتقد ، أنه محور الدنيا ، وأنه ينبغى على الناس أن يخصوه هو وحده بالحب ، والتدليل

ولا شك فى أن نفيه الى البصرة يشغل باله عن الاهتمام بنفسه الى الحنين لوطنه ، ويغرس فى فؤاده الشوق الى الاهل وينسيه ابتغاء الشوق اليه هو . وهكذا اشتملت القصة على أمثلة ثلاثة من التسامى ، تدور كلها حول الارتفاع بعواطف الحب والمودة من الاغراض الذاتية الى المقاصد العالية ، وتسامت بالغرائز الحيوانية الى المدارج الروحانية

« خ »

دعاء عمر

* لما ولى الخلافة قال :

اللهم انى شديد فلينى ، وانى ضعيف فقونى ، وانى بخيل فسخنى

* ولما وقعت المجاعة فى عام الرمادة كان يدعو :

اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدى

* ولما وجه الجيوش لتنتشر الاسلام قال :

اللهم ارزقنى قتلا فى سبيلك أو وفاة فى بلد نبيك

* ولما تقدمت به السن كان يقول :

اللهم كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط

عمر بن الخطاب كما أتصوره

(بقية المنشور على صفحة ١٠)

والتسامى ، ولا أزعم ان هذا الطلب سهل ميسور فى إلمامة كهذه ، وقصارى ما نطمع فيه أن نكتب على هامش الهامش خطوطا هيكلية فحسب

كان عصر عمر قريب الصلة جداً بالعصر الجاهلى . وكانت الدعوة للاسلام ـ أو أثر الدعوة الاسلامية على وجه الدقة ـ فى ابانها . ولعلكم تذكرون « الردة » وخروج الكثير ممن أسلم على أحكام الاسلام فى الصميم ، متخذاً مسألة الزكاة تكأة للتخلص من أحكامه الالزامية . وكانت الطاعة لحكم الجماعة فى ابانها أيضا . وكانت التقاليد الوثنية ، بل مراكز بعض القبائل ، وبعض زعماء العرب ، وبعض الأسر ، بل بعض العادات البدوية من حيث سطو القوى على الضعيف ، واعتداء الكبير على الصغير ، واعتزاز صاحب السلطان الوراثى أو العائلى أو الشخصى بما له من جاه وقوة ، وسلطان ونفوذ ، وحول وطول ـ كان لهذا كله شبه ترقب ورجعة وعودة ، وترقب كر وفر ، وحدس برفع رأس ، أو حلم بعلالة انتصار ، أو أمل فى امتطاء مكانة ، كما هو منتظر ومعترف فى مختلجات الطبيعة الانسانية عامة ، أو طبيعة الاحزاب السياسية خاصة ، أو طبيعة الاجتماع بصفة أعم

فالسؤال المنطقى المعقول والواجب التساؤل به هو : ماذا يجب على الملك أو الزعيم أو الخليفة أو الحاكم الذى يبعث فى ظروف كهذه ؟

أظن أنه من المنطق والمعقول والواجب أن يلابس كل هذه الملابسات ويعمل هو وولاته والايدى العاملة معه على دره خطر سيطرة الأقوياء ، ويجعل السابقية فى المكانة والجاه لمن يحسن اسلاما وعقيدة وجهاداً وصنعا ، متخذاً من القاعدة الاسلامية الحكيمة : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » تكأة ومبدأ أو كما يقول عمر : « من قصر به عمله لم يسرع به نسبه . والرجل وبلاؤه فى الاسلام ، والرجل وقدمه فى الاسلام ، والرجل وغناؤه فى الاسلام ، والرجل وحاجته . . »

وأظن أنه من المنطق والمعقول والواجب أن يتخذ من أحكام هذه القوانين ، وأحكام تلك الشريعة نصوصا لا هوادة فى تنفيذها على الجميع ، نصوصا الزامية كأنها الاحكام العرفية لا حيدة عنها ولا حول ، ولا مفر منها ولا مندوحة . وأن تكون هذه الاحكام العرفية ملزمة للجميع وضرورة الاتباع من الجميع على حد سواء ، سيما فى أدوار الانتقال كالتى كان فيها عمر لأنها أدوار انتقال من عصر جاهلى الى عصر اسلامى ، أو حكم قبائل تمقت بعضها بعضا وتقاتل بعضها بعضا الى حكم اسلامى شعاره المساواة والاخاء والعدل والمحبة . وليس من ريب بتاتا أنه اذا تساهل عمر

بالطريقة التى يتساهل بها معاوية مثلا أو بعض خلفائه ازاء هؤلاء الولاة أو الزعماء أو الكبراء ، أو أخذ من سياسة ميكيافلى أو حكام القرون الوسطى أو من بعدهم فى انجلترا وفرنسا من حيث ارضاء نهمة الأقوياء بالاقطاعيات التى يطمحون اليها ، والهبات التى يؤملونها ويطمعون فيها ـ نقول انه اذا تساهل عمر فى شىء من هذا أو شبيه به ، والاسلام فى أولى أيامه ، وإبان نشأته ، وبعض العرب فى شبه اتصال بذكريات مراكزهم فى قبائلهم وفيئهم ومغانمهم وجولاتهم ومواقعهم وما كان لهم من سلطان ونفوذ ، لتغير اذن وجه التاريخ الاسلامى ، ولكن الاسلام قد استفاد حقا من سياسة عمر التى صدق رسول الله حينما طلب الى الله مبتهلا صادقا أن يعز الاسلام بعمر ، وقد أعز الله الاسلام باسلام عمر . إذ قد جمع فيه من الصفات الحيوية اللازمة للزمان والمكان ، المتفقة مع الموقف والساعة ، الفاهمة لنفسيات من يحكم ، ونزعات من يحكم ، واتجاهات من يحكم

إذن لم يكن ثمة من مفر مما تقدم لعمر السياسى . ولا أتكلم هنا عن عمر المسلم الورع ، ولا عن عمر الزاهد المتقشف ، ولا عن عمر الفيلسوف ذى العقيدة والمنهج الخلق السامى . بل أتكلم عن عمر السياسى أو المصلح الاجتماعى أو الحاكم الاسلامى

أقول لم يكن ثمة من مفر لعمر أن يكون كما كان ، من حيث التزامه الشديد المتزمت ، غير مترخص ، ولا متهادن ، ولا متهاون ، ولا مقصر ، لجادة الحق الجاف ، الحق الصراح البحت . من تنفيذ العدالة الصارمة التى لا التواء فيها ، ولا لطف ولا ليان . ومن تنفيذها قوية الشكيمة ، كاملة الأداء ، مصلصلة الوقع ، بينة الأثر ، ذات جلجلة وصوت وضوضاء ، مع الجميع على حد سواء

ولكنه من ناحية أخرى يجب أن يرفع الصنف العام من الرعية ، وهم أكثرية خلق الله ، وهم عامة المسلمين ، وهم العمود الفقرى لأمته وشعبه . يجب ان يرفعهم بروحه الديمقراطى المتواضع النبيل الى مستوى انسانى لائق . يجب الى جانب تفقيههم فى الدين وما فيه من كنوز ثقافية مهذبة ، مصلحة ، منورة ، ومكملة ، والى جانب تربيتهم تربية خلقية متينة بعيدة عن التنطع فى الدينيات ، تنطع السخفاء الذين يقولون قال النبى كذا ويكثرون عنه بالروايات المتعددة المتلاحقة فى غير ما مناسبة ، والذين لا يعملون ولا يجاهدون بل يريدون أن يكونوا عالة على المجتمع الانسانى ، والذين همهم من تعبدهم أو تهجدهم أو صومهم أو صلاتهم أو تقشفهم ، أو تزمتهم ، أو تظاهرهم بالامعان فى الأخرويات والدينيات ان يطعمهم الغير ، ويكدح فى سبيلهم الغير ، وعن هذا كله وأشباهه ونظائره قد نهى عمر وله فيه مذهب جد عظيم ، وجد ممتع . ولو أخذ بمذهبه فى هذا الباب لكان الفهم الصحيح الوضع للعبادات ولقيم الصلاح وقيم الرجال ، وللفلسفة الاسلامية معنى يتفق تمام الاتفاق مع جهاد الحياة وجلاد الحياة ومأموريتنا فى الحياة فى كل زمان ومكان ، وفى كل صقع ودولة ، وفى كل ناحية ومنهج ـ نقول ان عمر فى ناحية أخرى عمل كل ما فى المقدور الاصلاحى التقويمى الانسانى على رفع مستوى أكثرية الرعية من حيث البر بهم ، ومن حيث الافادة لهم ، ومن

حيث امدادهم بما يستحقون من عون مادى ، أو تهذيبى ، أو دينى ، أو انسانى . كما انه أحسن الاحسان كله الى الصغار وأحسن الاحسان كله الى النساء ، وأحسن الاحسان كله الى من بالاطراف، واحسن الى الجند . وعمل فى تدعيم الديمقراطية الاسلامية ، وفى سبيل النظم الحكومية شيئا كثيراً ، كنظام المفتش القضائى الادارى العام ونظام المراجعين الماليين ، ونظام التفتيش القضائى والادارى وما الى ذلك مما يتطلب بحوثا تاريخية مطولة ليس هذا مكانها

ومن هذه الصورة المتواضعة نظننا قد أتينا فى موضوعنا بقبس لا بأس به ، ونظننا لم نقصر كثيراً دون الاحاطة بهوامش متواضعة لدستور عدالتـه ، وشريعة نصفته ، وناموس حكمه ، بل نظننا قد أتينا بطرف من صورته الحقيقية التى نرجو أن تتجدد فى البيئات الدستورية والأوساط الديموقراطية الراهنة وفى ظروف المدنية العالمية الحاضرة ، وفى هذه الملابسات الانسانية المتقدمة ، التي استفاد منها الانسان علما وابتكارا ، وثروة ومالا ، وفهما ورقيا ، وعمرانا واصلاحا . ونؤمل أن يكون لنا فى مليكنا الورع المحبوب فاروق الأول خير مجدد للاحسان والاصلاح والتجديد وحامل للواء العدل والانصاف ، وبشير بالحق والصواب ، لا لمصلحة مصر وحدها بل للعالم الاسلامي قاطبة ، سيما وعصرنا عصر حرية واستقلال وديمقراطية ودستورية ، وتعمير وبناء ، وتشييد وانشاء . وسيما وجلالته مد الله فى حياته اليافعة الفتية ، خير رجال وولاة ، وزعماء وفقهاء ، ووزراء وعلماء ، وخلصاء أوفياء ، وسواعد أمناء ، وفى طليعتهم الزعيم الكبير والمسلم الورع مصطفى النحاس باشا الذى حباه الله بالدين القويم والخلق العظيم والولاء الكريم

احمد فريد رفاعى

استدراك

ذكرنا سهواً فى صفحة ٦١ أن الاستاذ محمد عرفة عضو فى جماعة كبار العلماء ، والصحيح أنه عضو فى جماعة كبار العلماء للدعوة الى دين الله

تأبين عمر بن الخطاب

* قال علي بن أبي طالب حين رأى عمر بن الخطاب مسجى على فراش الموت : « ما على الأرض أحد أحب أن ألقى الله بصحيفته الا هذا المسجى بينكم »

* قال عبد الله بن سلام : « نعم أخو الاسلام كنت يا عمر ، جواداً بالحق ، بخيلا بالباطل ، ترضى حين الرضى ، وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف ، طيب الظرف ، لم تكن مداحا ولا مغتابا »

* أنشد حسان بن ثابت في رثائه :

ثلاثة برزوا بفضلهم ... نصرهم ربهم اذ نشروا
فليس من مؤمن له بصر ... ينكر تفضيلهم اذا ذكروا
عاشوا بلا فرقة ثلاثتهم ... واجتمعوا في الممات اذ قبروا

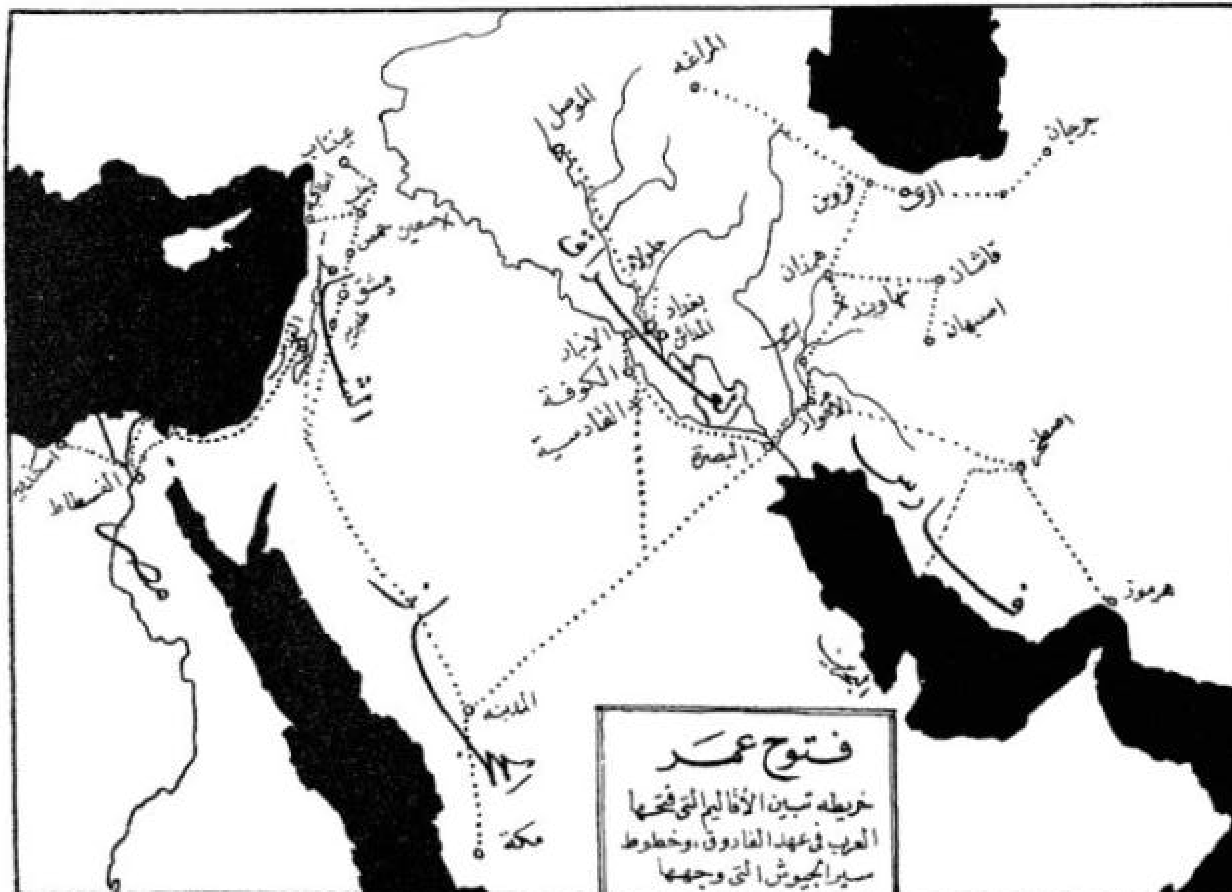
* رثته ابنة أبي حثمة قائلة : « وا عمراه ! أقام الأود ، وأبرأ العمد . أمات الفتن ، وأحيا السنن . خرج نقي الثوب . بريئا من العيب »

* أنشدت زوجته عاتكة ابنة زيد بن عمرو :

عين جودي بعبرة ونحيب ... لا تملي على الامام النجيب
فجعتني المنون بالفارس المـ ... ـعلم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الناس والمعين على الد ... هر وغيث المنتاب والمحروب
قل لأهل السراء والبؤس موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب

* وقال حافظ ابراهيم في عمريته المشهورة :

مولى المغيرة ، لا جادتك غادية ... من رحمة الله ما جادت غواديها
مزقت منه أديما حشوه همم ... في ذمة الله عاليها وماضيها
طعنت خاصرة الفاروق منتقما ... من الحنيفة في أعلى مجاليها
فأصبحت دولة الاسلام حائرة ... تشكو الوجيعة لما مات آسيها
مضى وخلفها كالطود راسخة ... وزان بالعدل والتقوى مغانيها
تنبو المعاول عنها وهي قائمة ... والهادمون كثير في نواحيها
حتى اذا ما تولاها مهدمها ... صاح الزوال بها فاندك عاليها



فتوح عمر
خريطة تبين الأقاليم التي فتحها العرب في عهد الفاروق، وخطوط سير الجيوش التي وجهها
مكة
المدينة
الحجاز
الشام
دمشق
حمص
أنطاكية
عينتاب
الإسكندرية
الفسطاط
مصر
العراق
الموصل
جلولاء
بغداد
المدائن
الأنبار
الكوفة
القادسية
البصرة
الأهواز
همذان
نهاوند
قزوين
الري
جرجان
قاشان
أصبهان
اصطخر
هرموز
فارس

مصرع عمر بن الخطاب

مؤامرة دبرها اعداء الاسلام

بقلم الاستاذ محسن الشريف

مشهد الاغتيال ــ أبو لؤلؤة الجانى ــ هل هى مؤامرة دبرها الأعاجم ؟
أصحاب المؤامرة خليط من أعداء الاسلام الموتورين ــ الشهيد الاعظم
يلقى أبلغ العبر على فراش الموت ــ ويضع مبدأ قويما لاختيار خليفته

كانت الأضواء الأولى من الفجر تنبعث من الشرق وترسل على الكون أشعتها الفضية فتبدد شيئا فشيئا من كثافة الظلام المخيم على المدينة ، وكان المسلمون قد بدأوا يتوافدون على المسجد زرافات ووحدانا ليقيموا صلاة صبح اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، وقد جلس السابقون منهم فى غلس السحر يذكرون الله ويتلون ما تيسر من الذكر الحكيم منتظرين أن يوافيهم أمير المؤمنين ليؤمهم فى الصلاة

أما أمير المؤمنين فكان فى تلك الساعة يتجول فى الأزقة ــ جريا على العادة التى ألفها منذ ولى الخلافة ــ ويطرق براحته الغليظة أبواب الناس ليوقظ النائمين منهم مناديا أمام كل باب : « الصلاة الصلاة ، يا عباد الله بادروا الى طاعة الله » . فلما انتهى من تجواله واطمأن الى أنه أدى هذا الواجب الأولى الذى كان يستفتح به يومه ، اتجه شطر المسجد ملتفا ببردته حاملا فى يسراه الدرة التى لا تفارقه ، وهى قضيب من خيزران رفيع كان يؤدب به الصبية ويلوح به فى وجوه من تحدثهم انفسهم بالخروج على أوامر الله . ولعل هذه الدرة كانت هى الصولجان الذى قنع به ذلك الملك الزاهد فى مظاهر الملك وأبهة الملوك

وأقبل عمر وهو يتمتم بآيات من القرآن ويتلو بعض عبارات الاستغفار ويمشط لحيته بأصابعه واقتحم عتبة المسجد بخطواته الواسعة وسار بين الناس يحييهم فيردون تحيته بأحسن منها ، ونهض المسلمون يتأهبون للصلاة ووقفوا صفوفا متراصة ، وسار عمر بين هذه الصفوف يقوّمها بدرته ويسويها مشيراً الى هذا ليتقدم خطوة والى ذاك ليتأخر خطوة ، ثم قصد الى الصدر واستقبل القبلة وألقى الدرة من يده وكبر وتشهد وبدأ الصلاة

وبينما المصلون سجود يردد كل منهم قول الامام « سبحان ربى الأعلى » وينتظر ان ينهض عمر من سجدته لينهض الناس وراءه . اذا برجل كان يصلى الى جانب المنبر قد انقض على الخليفة وبرك عليه واستل خنجراً ذا شعبتين وجعل يطعنه به طعنات سريعة متوالية . واذا الخليفة يصيح: « آه . . . لقد عقرنى الكلب »

رفع المصلون رؤوسهم دهشة وذعراً فرأى المتقدمون منهم فيروز أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ينهض من فوق ظهر عمر وفى يمينه خنجر يقطر دما ، ورأوا عمر يميل على جانبه ويتمدد فوق الارض وهو يئن انينا مصحوبا بحشرجة طويلة ويبسط راحتيه ويقبضها ويردد الشهادتين ويقول: « هذا قضاء الله فلا حول ولا قوة إلا بالله »

استولى على الناس ذهول شديد شل أيديهم وعقل ألسنتهم فلم يستطيعوا اول الأمر الا أن يصيحوا صيحة الهول والفزع ، والا ان تضطرب صفوفهم ويختل نظامهم . ولكنهم إذ رأوا أمير المؤمنين يتخبط فى دمه الذى بلل ما تحته والقاتل واقفاً جاحظ العينين فاغراً فاه كالمجنون متحفزاً للوثوب على من يدنو منه ، هرع بعضهم الى الجريح يحتضنونه ويكشفون عن جراحه ، وانقض الآخرون على العبد يحاولون الأخذ بتلابيبه والقبض عليه

بيد أن اليائس لا يخاف . ولقد أدرك أبو لؤلؤة ان لا نجاة له من ايدى القوم المتكاثرين عليه الا اذا أرهبهم وصدهم عن نفسه ليشق بين صفوفهم طريقا الى الباب ، فأعمل الخنجر فيمن حوله وجعل يضرب يمينا وشمالا والصيحات تتصعد من كل جانب والناس يفرون من بين يديه ، حتى ألهم الله احدهم فألقى على رأسه عباءة غطت عينيه وعاقت حركته . وأحس العبد انه لا محالة مأخوذ فطعن قلبه بخنجره طعنة أودت بحياته ، فلما طرحوه ارضا وكشفوا العباءة عن جسمه ألفوه جثة هامدة

***

اختلف اصحاب السير والرواة فى تعليل مقتل عمر فقال بعضهم ان هذه المأساة الفاجعة جاءت نتيجة حقد احد الموالى عليه ، وذكروا ان ابا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة صادف عمر فى السوق يوما وشكا اليه فداحة الخراج الذى فرضه سيده المغيرة عليه وتوسل به فى تخفيف هذا الخراج ، فسأله عمر عن مقدار خراجه فقال : درهمان كل يوم ، فسأله ما صناعته فقال : حداد ونحاس ونقاش. فانتهره عمر وصاح فى وجهه : « ليس هذا الخراج بكثير على رجل يملك كل هذه الصناعات » فذهب العبد يقول : « ما لعدل عمر شمل جميع الناس إلاى ؟ » واسرها ضغينة ظلت تأكل قلبه حتى شفاها بجنايته الشنعاء . ويؤيد الرواة هذا التعليل بذكرهم ان عمر قال لأبى لؤلؤة يوما : « لقد بلغنى انك تقول لو اردت ان اصنع رحى تدور بالريح لفعلت فهل قلت ذلك حقا ؟ » فنظر اليه العبد نظرة غيظ وأجاب : « نعم قلت ذلك ولو مد الله فى اجلى لاصنعن لك رحى يتحدث بها أهل

الخافقين . فلما انصرف أطرق عمر مفكراً وشيعه بنظرة قلقة وقال : « لقد توعدنى العبد »

وذهب غير أولئك من المؤرخين الى ان مقتل عمر انما وقع نتيجة لمؤامرة رهيبة دبرها الاعاجم المقيمون فى المدينة انتقاما من الخليفة الذى فتح بلادهم واباد عرشهم واذل ملوكهم ، ولو امتد به الاجل لمد سلطان المسلمين الى اقصى المشرق واقصى المغرب وجعل من العالم كله مستعمرة اسلامية عزيزة الجانب رفيعة المقام

وما دام العرب لم يكتبوا تاريخهم ولم يدونوا حوادثهم وقت وقوعها أو بعد وقوعها بقليل . فليس يسع المؤرخ اليوم أن يؤكد أى التعليلين أصح وأصدق ، بل ليس يسعه حيال تلك الروايات المختلفة الا أن يوازن بينها ليأخذ بأقربها الى العقل وأدناها الى المنطق ، مؤيداً استنتاجه بما اتفق عليه أكثر الرواة وبما تناهى اليه من شهادة المعاصرين

ولقد ينبو عن تصور الذين درسوا سيرة عمر وعرفوا ما اتصف به من شدة البأس والمراس وما كان له من المكانة بين الناس والهيبة فى نظرهم ، أن يجترىء عبد كأبى لؤلؤة على توعده أو أن يقدم على قتله بين جمهرة المسلمين لسبب تافه كذلك الذى يعلل به الرواة مقتل ابن الخطاب

أما مؤامرة الأعاجم على حياة عمر انتقاما لعزتهم القومية فقد يبدو أمرها عجيباً بعد أن انقضى على فتح بلادهم سبع سنوات . فلقائل أن يقول : ما لهؤلاء الأعاجم قد صبروا واستكانوا هذه الحقبة من الزمان ؟ وما الذى أثار العزة القومية فى نفوسهم بعد تلك السنين الطوال ؟ ولم لم يفتكوا بعمر أثر قدومهم للمدينة وقد كان عمر يتجول كل يوم فى أزقتها وأسواقها وحيداً أعزل وينام على قارعة الطريق فى ظل جدار المسجد بلا حراس ولا أجناد ويخرج الى الصحراء منفرداً ليستقبل رسل القواد وأمراء الجيوش ؟

ولقد تكون لهذا الاعتراض وجاهته اذا صح أن أصحاب المؤامرة كانوا كلهم من الفرس ، أو لو وقف سبب تآمرهم عند حد الثأر لكرامتهم الوطنية التى أهدرتها جيوش المسلمين . أما وقد كان قوام هذه المؤامرة خليطا من الفرس يمثلهم الهرمزان الأعجمى ، ومن المسيحيين يمثلهم جفينة النصرانى ، ومن اليهود المتمسلمين يمثلهم كعب الأحبار ، ومن المجوس يمثلهم فيروز أبو لؤلؤة مولى المغيرة ، وأما وقد كان سبب المؤامرة خوف أولئك جميعا من أن تمتد فتوحات المسلمين بزعامة عمر وحسن تدبيره واحكام خططه حتى تغمر كل البلاد وكل الأديان فلا يصبح للعالم حاكم سواه ولا دين سوى الاسلام ــ فان الأمر يبدو عندئذ معقولا لا غرابة فيه

ومن المعلوم أن الهرمزان كان من قواد الجيش الفارسى وقد هزمه سعد بن أبى وقاص وأسره . وأنه لم يعتنق الاسلام الا لينجو من القتل ، وقد عاهد المسلمين على الولاء لدينهم وخليفتهم ثم نكث عهده غير مرة وانطلق يحرض مواطنيه ويثير دهاقينهم على المسلمين ، فلما أخفقت جهوده وفشلت مساعيه عاد الى الاسلام وهو يضمر له الحقد الدفين

ومعلوم أيضا أن جفينة نصرانى أتى به سعد بن أبى وقاص من نجران ليعلم أهل المدينة القراءة والكتابة ، وقد ظل على نصرانيته ينظر الى نجاح الاسلام وتقدم فتوحاته بعين الحقد والحسد ، حتى اذا بدد المسلمون شمل جيوش الامبراطور هرقليوس حامى النصرانية ثارت حفيظته وبيت للمنتصرين هذا الكيد العظيم

وأن كعب الأحبار يهودى عالم داهية رأى راية الاسلام تخفق فوق ربوع اليهود وجيوشه تكتسح الأديان والبلدان ، وأيقن أنه لا قوة على الارض تثبت فى وجه ذلك السيل الجارف ، فأسلم وعلى الأصح تظاهر بالاسلام واندس بين المسلمين يفسد عقولهم وعقائدهم بما يلفقه من الاخبار والروايات التى ينسبها كذبا الى التوراة . وما من شك فى أن هذا الرجل هو مختلق كل الخزعبلات والأساطير والاحاديث التى شابت صفاء الدين الاسلامى وشوشت عقائد المسلمين بعد ان أخذوها منه قضية مقبولة لما كانوا يعرفونه من علمه ويتوهمونه من صدقه وقوة ايمانه

فهل يستغرب بعد ذلك أن يجد الهرمزان فى صاحبيه جفينة وكعب الاحبار حليفين قويين يحركهما نفس الدافع الذى يحركه الى التخلص من عمر ، وأن يجد الثلاثة فى المجوسى الموتور أبى لؤلؤة أداة صالحة لانقاذ اليهودية والنصرانية والمجوسية من ذلك الخليفة الذى يتهدد أديانهم بالمحو من الوجود ؟

وبعد فان المؤرخين يسوقون من الروايات ما ينهض دليلا على أن عمر راح ضحية مؤامرة أعداء الاسلام . فلقد ذكر الطبرى أن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق شهد يوم مصرع عمر بأنه بينما كان فى طريقه الى داره عشية الفاجعة ، رأى الهرمزان وجفينة وأبا لؤلؤة يتهامسون ويتناجون ، فلما اقترب منهم اضطربوا وسقط من يد احدهم خنجر ذو شعبتين ونصابه فى وسطه ، وهو نفس الخنجر الذى طعن به أبو لؤلؤة أمير المؤمنين . ولقد تحقق عبد الله بن عمر صحة هذه الرواية واقتنع بصدقها فحمل سيفه وانتقم لأبيه بقتل جفينة والهرمزان وابنة أبى لؤلؤة ، وأقسم ليقتلن كل من اشترك فى الجريمة بالايعاز أو بالتدبير ، فلما بلغ ذلك عمرو بن العاص ذهب اليه ليهدىء من ثورته وأخذ السيف من يده واقتاده الى دار سعد بن أبى وقاص وحبسه فيها الى أن سكنت غضبته

وجاء فى كتاب « أسد الغابة » ان كعب الاحبار أنبأ عمر بما سيقع له قبل وقوعه بثلاثة ايام إذ ذهب اليه وقال : « يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت فى ثلاثة ايام » فسأله عمر : « وما يدريك ؟ » قال : « اجد ذلك فى التوراة » فلما كان اليوم الثانى ذهب اليه وقال : « يا امير المؤمنين انقضى يوم وبقى يومان فاعهد » ولما كان اليوم الثالث ذهب اليه ايضا وقال : « لم يبق من حياتك يا امير المؤمنين سوى يوم واحد وهولك بليلته حتى مطلع الفجر » ولكن عمر لم يشأ ان يصدق ذلك ، او لم يرد ان يحتاط له استخفافا به وايمانا منه أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له

وأغلب ظنى أن هذه الرواية موضوعة لفقها اليهود بعد مقتل عمر ليعظموا من شأن كعب الاحبار فى نظر المسلمين ، وإلا فلو ان كعب الاحبار أخطر الخليفة بما يقال انه أخطره به لشدد عليه عمر فى السؤال ولأثار عجبه أن يرد ذكره فى التوراة

على أن رواية « أسد الغابة » اذا صحت فهى تشعرنا بأن كعب الاحبار كان على علم بما يبيت لعمر وانما أراد ان يمهد طريق براءته من المؤامرة اذا فشلت بأن يقول : لقد حذرت عمر ولو كنت شريكا فيها ما حذرته

***

الآن وقد أوردنا ماقيل فى تعليل مقتل عمر وما يحسن التعويل عليه من تلك الاقوال ، نعود الى الشهيد الأعظم لنرى كيف وفيم أمضى ساعاته الأخيرة ، ولنتلقى أبلغ درس فى نسيان النفس والايمان بالله والاستهانة بالدنيا ألقاه على العالم أعظم أمير حكم المسلمين من فوق ذلك المنبر الرهيب الذى يسمونه فراش الموت

سقط عمر تحت ضربات أبى لؤلؤة فكان أول ما فعله أن قال : « أخرونى عن القبلة » فلما أرقدوه الى جانب المنبر وأقبلوا عليه يواسونه ويحاولون تضميد جروحه اشار اليهم بيده ان يكفوا عن ذلك وسأل : «أفيكم عبد الرحمن بن عوف ؟ » فصاح عبد الرحمن : « ها انا يا امير المؤمنين » فقال عمر : « تقدم وصل بالناس يا ابن عوف ؟ » ثم اعتمد بكوعه على الارض وحبس بيده احشاءه فى بطنه المبقور وصلى مع الناس صلاة خافتة لم يستطع فيها قياما ولا ركوعا ولا سجوداً .

ولعمرى لو حاول أبلغ الكتاب ان يوفى هذا النسيان للنفس فى ذلك الموقف العصيب حقه من الاعظام والاكبار لانتقص من جلاله وأزرى بروعته فلندعه اذن لتقدير النفوس صونا له من عجز الاقلام

ويستعلم الفاروق عن ضاربه فيقال له انه أبو لؤلؤة فيفرح ويسر ويقول : « الحمد لله الذى لم يجعل قتلى بيد مسلم يشاركنى فى قولة لا إله إلا الله » ويسأل من حوله المسلمين ضلع فيما وقع له فيقولون كلهم : « والله لقد وددنا ان نفديك بأرواحنا يا امير المؤمنين » فيتنفس الصعداء ويقول : « الحمد لله »

ويأمر فينقل الى داره هادىء النفس رابط الجأش ويجتمع الناس حول فراشه يبكون اسفاً وجزعاً كأن لم تصبهم مصيبة قبل ذلك فينتهرهم قائلا : « ألم تسمعوا قول رسول الله ان اللعنة تصيب الميت بقدر بكاء اهله عليه ؟ » ويستشار فى استدعاء الطبيب فيقول : « ويحكم ايها الناس أأنظر فى امر نفسى قبل ان انظر فى أمور المسلمين ؟ »

ويقول له كبار الصحابة : « استخلف علينا خليفة يا أمير المؤمنين » فيجيب : « ان أتركم فقد تركم من هو خير منى (يعنى رسول الله) وإن استخلف فقد استخلف عليكم من هو خير

منى . ولو كان أبو عبيدة عامر بن الجراح حيا لاستخلفته فان سألنى ربى قلت سمعت نبيك يقول إنه أمين هذه الامة » ويقترحون عليه أن يستخلف ابنه عبد الله فيقول : « بحسب آل الخطاب أن يحاسب واحد منهم عن أمة محمد . ولقد وددت لو أنى نجوت بنفسى من هـذا الامر كفافا لا علىّ ولا لى » ويراجعونه فى وجوب اختيار من يخلفه فيقول : « كنت اعتزمت بعد مقالتى لكم أن أولى عليكم رجلا أرجو ان يحملكم على الحق (ويشير الى على بن أبى طالب) ولكنى رأيت ان لا أتحملها (اى المسئولية) حيا وميتا . فعليكم بهؤلاء الرهط الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم انهم من أهل الجنة » ويذكر ستة أسماء ويوصى ان يجتمعوا ويتشاوروا ويقول : « فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوكم واليا فأحسنوا مؤازرته »

وجاء فى كتاب « العقد الفريد » عن ابن عباس انه قال :

« دخلت على عمر فى أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم وعنده جماعة من اصحاب رسول الله فقال له رجل : لا بأس عليك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : لئن لم يكن على اليوم بأس ليكونن علىّ بعد اليوم . وان للحياة لنصيبا من القلب وان للموت لكربة . . وما كنت منكم ومن أمركم الا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشى ان يموت دونها فهو يركض اليها بيديه ورجليه . . ولقد تركت زهرتكم كما هى ما لبستها فاخلقتها ، وثمرتكم يانعة فى اكمامها ما اكلتها ، وما جنيت الذى جنيت الا لكم ، وما تركت ورائى مالا عدا ثلاثين او اربعين درهما . . ثم بكى وبكى الناس معه فقلت له : طب نفسا وابشر يا امير المؤمنين فوالله لقد مات رسول الله وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وان المسلمين عنك لراضون . فقال : المغرور والله من غررتموه وانى لأعرف ما لنفسى وما عليها وما حسابى الا عند الله »

ويشفق على المسلمين من نزوات نفوس الذين قد يخلفونه فيستدعى عليا وعثمان والزبير وسعداً وطلحة ويقول لهم : « اقضوا فى امركم واختاروا واحداً منكم » ثم يقول : « اناشدك الله يا على ان وليت من امور الناس ان لا تحمل بنى هاشم على رؤوس المسلمين . واناشدك الله يا عثمان ان لا تجعل بنى معيط على رقاب الناس . وأناشدك الله يا سعد ان لا تقدم اهلك على سائر العرب . قوموا وتشاوروا واقضوا امركم وليصل بالناس صهيب »

وعلى وصيته فيقول : « أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله وأوصيه بالمهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أن يعرف حقهم ويحفظ كرامتهم ، وأوصيه بالانصار خيراً فيقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ويشركهم فى الامر . وأوصيه بذمة الله وذمة محمد (أى اهل الذمة) ان يفى بعهدهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم وأن يقاتل من ورائهم »

ويدعو ابنه ويقول له : « يا عبد الله انظر ما على من الديون » فيحصونها ويجدون أنها ستة

وثمانون الف درهم ، فيقول : « ان كان فى مال آل عمر ما يكفي فأدوه من مالهم والا فسل في بني عدى فان لم تف أموالهم فسل فى قريش ولا تعد عنهم الى غيرهم » ويطرق برهة ثم يقول : « اذهب الى عائشة ام المؤمنين يا عبد الله وقل لها ان عمر يقرئك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فلست اليوم للمؤمنين اميرا . وانه يستأذنك فى ان يدفن مع صاحبيه (اى مع رسول الله وأبى بكر) »

ولقد ذهب عبد الله الى عائشة وأبلغها رسالة أبيه فقالت : « كنت أريد هذا المكان لنفسى وانى لأوثر به عمر » وعاد عبد الله فأخبر عمر بما قالت فتهلل وجهه وقال : « الحمد لله فما كان شىء أهم لنفسى من ذلك . والآن اذا قبضت فاحملونى ميتا واذهبوا بى الى عائشة وقولوا لها ان عمر يستأذن فى ان يدفن الى جانب رسول الله وأبى بكر فان اذنت فادخلونى والا فردونى الى مقابر المسلمين بالبقيع » فلما قيل له انها اذنت قال : « اخشى ان تكون قد ندمت على ما أذنت او ان تكون قد أشفقت من ان تخيب رجاء امير المؤمنين فاعيدوا عليها الكرة وأنا لست اميراً للمؤمنين »

ويستدعى الطبيب بعد ذلك فينظر في جراحه ويسقيه دواء فيخرج الدواء من شق فى بطنه ، ويسقيه لبنا فيخرج بلونه من ذات الشق فيصارح الجريح بالحقيقة ويقول : « اعهد يا امير المؤمنين فليست لى فيك حيلة » فيجيبه عمر : « صدقت ولو قلت لى غير ذلك لكذبتك »

وإذ يحس قرب النهاية ويخشى ان يختلف الزعماء على الخلافة بعد موته يستقدم اليه ابا طلحة الانصارى والمقداد بن الاسود ويقول للاول : « لقد اعز الله الاسلام بك يا ابا طلحة فاختر خمسين رجلا من الانصار وكونوا مع هؤلاء الرهط (يريد عليا وعثمان وسعدا وغيرهم) حتى يختاروا واحداً منهم » ويقول للمقداد : « كن مع أبى طلحة فان اجتمع خمسة على رأى واحد وأبى السادس أن ينزل عليه فاشدخ رأسه بالسيف ، وان اجتمع أربعة على رأى وخالفهم الاثنان فاضرب رأسيهما ، وان انقسما فريقين متعادلين فحكموا بينهما عبد الله بن عمر ، فان لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس »

ويدخل فى دور النزع فلا يقوى على التفكير فى المسائل العامة فينصرف الى اعتبارات أقل خطراً ويذكر ان الذى قتله علج فيقول : « ألم أقل لكم لا تجلبوا علينا أحداً من العلوج فلم تطيعوني ؟ » ثم تثقل عليه الحال وتخور قواه فيقول : « انزعوا الفراش من تحتى واجعلونى على الارض ووسدوا خدى التراب » ويلفظ النفس الأخير وهو يهينم : « ويلى وويل أمى ان لم يغفر لى ربى »

إيه يا عمر ما أعرفك بأقدار الناس وما أجهلك بقدر نفسك ! فيم تطلب الغفران وانت ارفع عند الله مقاما من ان يسألك عن شىء وأعز لديه قدراً من ان يدخلك الجنة بعد حساب ؟!

حسن الشريف

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
في البرازيل		Snr. M.N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo (Brazil)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه نخله سكاف
في انطاكية	سوريا	انيس افندى انطونيوس لاذقانى
في اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قرى
في طرابلس الشام	سوريا	عبدالله افندى حصنى - غرفة القراءة الامريكية
في حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
في دوما	لبنان	الخواجه ميشال خليل خير
في الناصرة	فلسطين	موسى افندى خميس
في بيروت	لبنان	وجيه افندى طباره ٩ شارع اياس
في دمياط		زكريا افندى الحزاوى، ناظر مدرسة الحزاوى
في حلب	سوريا	عبد الودود افندى الكيالى صاحب المكتبة العصرية
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندى على النحاس
في الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
في جاوه		Mr. Abdullah Bin Affif—Cheribon Java
في اكوادور		Mr. William Garzozi Casila No. 797 — Guyaquil (Ecuador)
في القاهرة وضواحيها		عوض افندى فهمى

العالم الثائر

ماهى اسباب الثورة ومن المسئول عنها

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

منذ عامين كانت حرب ايطاليا والحبشة . والآن تدور رحى الحرب بين الصين واليابان . والحرب الاهلية فى اسبانيا مشتعلة النيران منذ زمان طويل . والمشاكل الدولية لا تنتهى . فمشكلة البلشفية ما تزال قائمة منذ سنة ١٩١٨ . ومشكلة البحر الأبيض المتوسط ، ومشكلة المستعمرات الالمانية ، هذه وغيرها مشكلات الثورة المسلحة الظاهرة أو الخفية . وتقوم الى جانب هذه المشكلات ثورة ليست دونها عنفا . فالأزمة الاقتصادية تجتاح العالم منذ بدأ العالم يتظلم تبعات الحرب العالمية فى التعويضات وما يتصل بها . والأزمة الاقتصادية تقوم حينا بسبب زيادة الانتاج ، وحينا آخر بسبب تضخم العملة ، وحينا ثالثا بسبب المنافسة الدولية فى التجارة . ومشاكل العالم الاجتماعية ليست دون مشاكله السياسية والاقتصادية استحقاقا ان توصف بأنها الثورة . لقد خرجت البلشفية فى تصويرها النظام الاجتماعى على مألوف العالم قبل الحرب خروجا جعل العالم كله يقف فى وجهها . لكن العالم قد تطور تصوره للقيم الاجتماعية تطوراً أصاب أشد الأمم محافظة بمقدار ما أصاب الأمم التى كانت تسير من قبل مسرعة التطور بما يكاد يشبه الثورة . وانجلترا اليوم ليست دون فرنسا تطوراً فى الناحية الاجتماعية . وهناك الثورة فى نظم الحكم . وهى ليست دون غيرها من صور الثورة شدة وعنفا . فالديمقراطية التى سادت العالم قبل الحرب قد أصبح مصيرها فى كفة القدر ، وقد هب حكم الفرد فى وجهها يناوئها . ومؤازرة الدول للثورة الاسبانية ليست الا مظهراً لهذا النضال بين المذهبين . وأنت اذا ذهبت تستقصى مظاهر الثورة فيما وراء هذه الشؤون العامة ألفيتها متغلغلة فى أطواء النفوس وفى تقدير الناس للقيم المعنوية فى الحياة الى حد يغيب عن كثيرين . عواطف أبناء اليوم ليست كعواطف آبائهم وتفكيرهم ليس كتفكيرهم . هم لا يحبون كحب الآباء ولا يزنون الصداقة بمقياسهم ، وهم دون السابقين حلما واكثر منهم عنفا وأشد لآرائهم تعصبا

هذه ثورة عمت العالم كله . لم تقف عند الغرب بل أخذ الشرق فيها بنصيب كبير ، وثورات الاستقلال والحرية التى قامت فيه بعد الحرب ، والتى لفتت العالم فى دهشة الى ناحية منه كانت مضرب المثل فى الاذعان والاستسلام لا تزال حتى اليوم باقية يندلع لهيبها بين حين وحين . هى تواجه

الهلال

ديسمبر ١٩٣٧

بالبطش فى أحيان كثيرة فلا يقضى عليها البطش ولا يحمل أصحابها على الاذعان . فاذا قمعها البطش كان قمعا مؤقتا فلا تلبث أن تثور من جديد . هذا مع ما كان من احتياط الغرب بعد الحرب لهذه الثورات إذ قسم أمم الشرق على نحو لم يعهده التاريخ فجعل من المملكة العثمانية سبع دول

هل لهذا العالم الثائر ما يسوغ ثورته ؟ وهل فى أفق الحياة العالمية ما يشهد بأن هذه الثورة سيهدأ ضرامها عما قريب ؟ ومن المسئول عن هذه الحال التى تطور العالم اليها وعن بقائها كل هذا الزمن الطويل ؟ أما ان لثورة العالم مسوغا فأمر لاريب فيه . ولا أدل على ذلك من قيام هذه الثورة فى أنحائه المختلفة واستمرارها هذه السنين الطويلة المتعاقبة . وأما ان تهدأ هذه الثورة فى زمن قريب فغيب علمه عند الله ، لان العوامل التى أدت اليها كثيرة متغلغلة فى نفوس الأمم والافراد الى حيث يتعذر البت برأى فى تشخيصها . وأما المسئولون عن هذه الثورة وبقائها فأولئك فى رأيى هم العلماء والمفكرون فى أنحاء العالم المختلفة . ولا أحسبهم ينكرون هذه التبعة . لكنى أحسبهم يجيبونك اذا سألتهم عنها أنهم شركاء فيها لمن سبقهم من العلماء والمفكرين الى أجيال عدة ؟ وان عجزهم عن تسكين الحال يشبه عجز الطبيب عن تسكين الحمى حتى تأخذ كل أدوارها

وإذا قلت إن العلماء مسئولون عن هذه الحال ، فلست أحملهم بذلك وزراً . فلم يكن أحدهم يقصد إلا الى الخير حين قام بحوثه العلمية أو بتفكيره الفلسفى . لكن جهودهم المشتركة أدت الى هذه النتيجة المحتومة كما تؤدى فورة الشباب الى مايصحبها فى الجسم من مظاهر الثورة. وهل قصد العلماء يوم عملوا جاهدين لتوثيق المواصلات بين أجزاء العالم وتقريب بعضها من بعض الى التقاء تفكير الشرق وتفكير الغرب واحتكاكهما ، والى مانشأ عن ذلك من آثار لم يكن منها مفر ؟! وهل قصدوا من زيادة الارض قوة على الانتاج باستنباط المخصبات الصناعية الى هذا التنافس الاقتصادى الذى ترك من الأثر ما لا ريبة فى انه كان أقوى العوامل التى أدت الى ثورة العالم ؟ فالنتائج التى ترتبت على هذه المجهودات العلمية من انقلاب يعاني العالم أثره اليوم لم يقصد اليها عالم ولا طائفة من العلماء . لكنها كانت أثراً محتوما لعملهم . ونحن اليوم نقرر هذا بعد ان رأينا هذه الآثار . ولقد كنا وما نزال نشيد بعمل هؤلاء العلماء ونرجو أن يطرد به خير الانسانية وتقدمها

لسنا نريد بالحديث عن المسئولية ان نرتب إذاً تبعة على أحد . انما هو استقصاء للاسباب ونتائجها . والاسباب التى أدت الى ثورة العالم اليوم هى لا ريب تغير القيم العقلية للاشياء والنظم فى نظر العالم كله ، وبقاء العالم غير مطمئن الى قيم جديدة تحل محل القيم القديمة وتعتبر المقاييس المقبولة من الناس جميعا ليقيموا على أساسها صلاتهم فى الحياة . وحسبك دليلا على ذلك أن تحاول الاجابة على أى سؤال يتعلق بهذه القيم ، فهل فشلت الديمقراطية حقا ؟ وهل يمكن للشيوعية ان تبقى أو تترك فى العالم أثرا كالذى تركته الثورة الفرنسية ؟ وهل يمكن أن يقوم السلام على أساس من تفاهم الشعوب أم يجب ان يكون سلاما مسلحا قاعدته ان الاستعداد للحرب يمنع الحرب ؟ وما مدى التطور المتوقع فى

الهلال

الجزء الثانى ـ السنة ٤٦

اول ديسمبر ١٩٣٧ ـ ٢٨ رمضان ١٣٥٦

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt

(December 1937)

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Sudan P.T. 65. — Syria, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100. — Other countries P.T. 130 or £ 1-7-0 or $ 6.50.

هدايا الهلال

خمسة كتب قيمة طريفة انتقاها الهلال لاهدائها لمشتركيه في هذا العام . وقد أرسل منها مع العدد الماضي الى من دفع قيمة الاشتراك هديتين هما :

(١) تاريخ الحب ـ للاديبة الفرنسية مارسيل تينير وترجمة الاستاذ ابراهيم المصرى ـ تصوير رائع شائق للعاطفة الانسانية الخالدة

(٢) الماضي الحي ـ للقصصي الفرنسي الكبير جي دى موباسان ـ قصة تحليلية دقيقة عن حادث نفسي فاجع ، مترجمة في أسلوب حي قوى

ويرسل اليهم مع هذا العدد هديتين كذلك هما :

(٣) تاريخ الفن المصرى القديم ـ للاستاذ محرم كمال الامين المساعد بالمتحف المصرى ـ أول كتاب في هذا الموضوع الذى تلذ قراءته للمصرى كما تشوق كل مثقف . مزدان بصور ورسوم كثيرة

(٤) تقويم الهلال ـ سفر شامل عن أحداث السنة السياسية والاجتماعية معروضة في صورة جذابة . دراسات قيمة في شتى مواضيع الثقافة . تقاويم الهلال تكون دائرة معارف طريفة الموضوع والأسلوب

ويرسل قريبا الهدية الخامسة

(٥) نوابغ الشباب ـ بقلم الأستاذ احمد قاسم جودة . مصدر بمقدمة لمعالى احمد نجيب الهلالى بك وزير المعارف . دراسات شائقة عن أفذاذ التاريخ في الشرق والغرب ، الذين نبغوا في صدر حياتهم

النظم الاجتماعية ؟ وهل يؤمن الشرق بحضارة الغرب المادية أم يعود الغرب الى حمى الحياة الروحية ينتظمها العلم والالهام الذاتى متضامنين فى سبيل الكمال الانسانى ؟ وعلى أى أساس تستقر القيم الاخلاقية المستقبل ؟ هذه وغيرها أمور يتعذر الجواب الصريح عليها . وكل مايحاول العلماء الآن ان يحللوها وان يقدروا صلاتها بحياة العالم المادية والمعنوية ليقرروا مبلغ تفاعل العوامل المختلفة بين هذه الصلات . ولئن كان حقا ان العلماء مسئولون عما حدث من ثورة العالم لحق كذلك انهم وحدهم مناط الأمل فى مستقبل يطمئن فيه العالم الى قيم جديدة تحل محل القيم القديمة فى كل شؤون الحياة العامة والخاصة . فالعلماء وحدهم بما أوتوا من سعة الأفق فى التفكير ومن النظر فى الأمور بعين سامية فوق اعتبارات الحاضر ومنافعه هم القديرون على أن يرسموا للعالم طريقه . فهم أقل تأثراً بالحدود القومية وبالأهواء الوقتية ، وهم قديرون لذلك على التماس القيم التى تصلح للحياة الانسانية فى هذا الطور الحاضر . فاذا هدتهم بحوثهم الى هذه القيم خرج من بين الصفوف رجل العمل الذى وهبه القدر قوة تقر هذه المبادىء فى الأذهان وتنشرها فى ربوع العالم كله

أما الرجاء فى أن يصل الساسة بتفكيرهم وعملهم الى طمأنينة العالم فرجاء خادع تتعلق به الانسانية اليوم لأنها لاتجد غيره بابا للامل . والواقع ان الساسة لم يكونوا فى يوم من تاريخ الانسانية أكثر من ممثلين يلعبون أدواراً رسمها لهم المفكرون والعلماء ، ويلعبونها بمهارة ولباقة أو بعجز وضعف حسب ما توحى به مواهبهم المسرحية فى الميدان السياسى . لا جدال فى ان للممثل فضلا كبيراً فى إبراز الصورة أو الفكرة التى يريدها المؤلف قوية واضحة أو ضعيفة مبهمة ، لكن ممثلا غيره قد يكون أسعد منه حظا يستطيع أن يصل الى مالم يصل هو اليه . أما والمؤلف الذى يلقى الفكرة المنقذة للانسانية من ثورتها الحاضرة لم يرتفع بعد صوته فليس للسياسيين إلا أن يكتفوا بأن يلعبوا الأدوار القديمة التى مرنوا عليها منذ الحرب والتى لم تصل الى تهدئة النفوس فى أرجاء العالم الثائر

على انى لا أحسبنى أخطىء حين أقول ان القيم التى يمكن أن يطمئن اليها عالم الغد لا بد أن تكون من طراز غير طراز القيم التى اطمأن اليها عالم الأمس . وأول مايخطر بذهنى من ذلك ان هذه القيم يجب أن تكون عالمية عامة تتناول تفكير العالم كله فى جميع الميادين ، ويجب أن يكون القصد منها الى تعاون العالم لغاية مشتركة على أساس من حرية الجميع أفراداً وأمما . وإذا قلت الحرية لم أقصد الاباحة ، ومن باب أولى لم أقصد الفوضى . فالحرية نظام فكرى أولا وقبل كل شىء . والحياة الانسانية نظام فكرى كذلك . فاذا نظمت الحرية الحياة الانسانية لخير الجميع أمكن التعاون المشترك فى العالم كله ، لا لفائدة القوى على حساب الضعيف ، بل لينال الكل أكبر قسط من المعرفة وما تؤدى المعرفة اليه من كمال . متى يحدث هذا ؟ الأمر غريب علمه عند الله كما قدمت . وسيظل العالم الى يومئذ ثائراً وسيكون السلام أمنية ترددها الألسن ولا تؤمن بها القلوب . وكل الذى نستطيعه اليوم أن نتوجه بالرجاء الى الله أن يجعل يوم السلام قريباً

محمد حسين هيكل



جلالة الملك يفتتح البرلمان

حضرة صاحب الجلالة الملك فى قاعة البرلمان يوم افتتاحه فى الثامن عشر من الشهر الماضى ، يستمع الى خطاب العرش يلقيه صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

أدبنا الحديث أدب ديموقراطي

بقلم الاستاذ احمد امين

أستاذ الادب العربي بالجامعة المصرية

«.. بعد ان كانت ساحة الادب هي القصور لانها حصن الارستوقراطية صارت الكتب والجرائد والمجلات لانها مظهر الديموقراطية. وبعد ان كان الأديب يعيش على موائد الامراء ومن عطائهم وحبائهم، أصبح يعيش على موائد الشعب ومن عطائه وحبائه..»

الأدب ظاهرة اجتماعيـة كاللغة والحكومة ونظم التربية – كلها تخضع للحالة الاجتماعيـة والسـياسية والاقتصادية للأمة. فالجماعة من الناس الذين يعيشون على الصيد، أدبهم من قصص وأمثال وشعر مشتق من نوع حياتهم، والذين يعيشون فى مدينة متمدنة منظمة، ينتج أدبهم صورة صادقة من حياتهم. فمحال أن يكون ابن المعتز بدويا أو أن يكون شعره شعراً بدويا، ومحال أن يكون طرفة بن العبد حضريا أو ان يكون شعره حضريا. فالأدب يشتق مظاهره وموضوعاته وأساليبه من الحياة التى يحياها الأديب. وأدب كل جماعة يعتمد على درجتها فى النظام الاجتماعى والاقتصادى

فلنقصر نظرنا على الادب العربى من هذه الناحية، فنرى أنه قد مر بأدوار ثلاثة

(١) أدب قبلى فى العصر الجاهلى وصدر العصر الاسلامى

(٢) وأدب ارستقراطى فى القرون الوسطى

(٣) وأدب ديمقراطى فى العصر الحديث

فالادب الجاهلى صورة صادقة لحيـاة العرب القبلية، فهو يمثل لنـا حياتهم الواقعية من غير أن يكون فيها كبير عناية بتجميل، أو تلوين بلون زاه براق، يمثل لنا حياة لا تـستند على ثقافة واسـعة ولا علم غزير، يمثل حياة حسية لا تتجاوزها الى الروح والعناية بها، فالمرأة الجميلة هى الجميلة جسما، والمنظر الجميل هو ما يدركه البصر جميلا، قد اشتق أدبه من حروبه وعلاقته بالابل وبالخيل ورحلته عليهما من مكان الى مكان ورعيه لهما ونحو ذلك

لا يمكننا أن نسمى هـذا الادب أدبا ديمقراطيا لان أساس الديمقراطية شـعور المرء بنفسه، وتقديرها لشخصية كل فرد، عظيما كان أو وضيعا. والشاعر الجاهلى كان يشعر بقبيلته اكثر مما يشعر بشخصه، فهو يعتقد ان دمه ودم قبيلته كلها من أصل واحد، وان حياته لقبيلته، وان اغارة احد من العرب على احد ليست اغارة فرد على فرد بل قبيلة على قبيلة، وأن العار الذى

يلحق الفرد يلحق القبيلة ، والمفخرة التى يأتيها الفرد مفخرة القبيلة ـ وعلى الجملة كان شعور الفرد بقبيلته اكثر من شعوره بشخصه ـ واذا استعرضنا الادب الجاهلى اتضح لنا هذا المعنى ، فترى قبيلة الشاعر فى المقام الاول ، وشخصيته مستترة وراء قبيلته ، فهو قلما يعبر « بأنا » وانما يعبر « بنحن » ، وقلما يشيد بذكر افعال قام بها وانما اغلب ما يفخر بأعمال قومه وآبائه ، فالشخصية الفردية تكاد تكون معدومة والشخصية القبلية طاغية عليها ، ولذلك لا يمكننا ان نسمى الادب الجاهلى أدبا ديمقراطيا بل ادبا قبليا

***

تحضرت الأمة العربية وفتحت أعظم الممالك وتدفق المال عليها من البلاد المفتوحة وكان أكثر المال والغنى فى أيدى الخلفاء والأمراء ، واذا كان عطاء للافراد (مرتب أو ماهية) فللجند وأمثالهم لا للشعراء وأمثالهم ، وضاع الشعور القبلى أو على الأقل أصبحت قبيلة الشاعر لا تعوله كما كانت تعوله فى الجاهلية ، فوجد الشاعر نفسه أمام أحد أمرين : إما أن يشعر لنفسه ويرضى بالفقر ، أو يشعر للخليفة والامير فيغنى لهما ، ففضل الثانية . والخلفاء والامراء من ناحيتهم رأوا أن الفن ـ ومنه الشعر والادب ـ أداة من الادوات الجميلة ، كالتحف تعلق فى القصور ، وكالمرة الجميلة والعقد الثمين والحجر الكريم ، فرحبوا بأهل الفن يزينون بهم قصورهم . كان الشاعر يرضى من قبيلته بالقليل فأصبح وقد كثر المال يطمع في الكثير ، وكان يغنى لقبيلته فأصبحت قبيلته لا تجزئه ، وكان شيخ القبيلة فقيراً فأصبح الخليفة وعنده القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وكانت حاجات الفنان قليلة فأصبحت بفضل الحضارة كثيرة مركبة ، والشعب لا يلتفت كثيراً الى الفنان لأن فنه نوع من الترف ، والترف انما هو في قصور الخلفاء والامراء

كل هذا وأمثاله قلب الأدب الى أدب ارستقراطى ، وأعنى به الأدب الذى قيل فى الخلفاء والامراء مديحا أو رثاء ، أو اجابة لمطلب لهم من وصف مائدة ووصف طرفة ووصف روضة ونحو ذلك ، أو قيل تحريضا من الخلفاء والامراء للشعراء على هجاء أعدائهم ، أو كتاباً أدبياً ألفه الاديب لخليفة أو أمير ، وعلى الجملة كل ماقصد به أمير أو بعث على الاتيان به أمير

وهذه هى الخاصة الواضحة في الأدب العربى فى القرون الوسطى ، فلو نظرت الى الادب الذى قيل فى هذه الأغراض ولهذه الاسباب ، لوجدته طاغيا على غيره من الآداب ، أى ان الشاعر القدير قل أن يغنى لنفسه فى شرح عاطفة تملكته ، أو مناظر أعجبته ، أو يشعر للشعب فى وصف آماله وآلامه ، أو للانسانية فى وصف سرائها وضرائها ، وانما همه اذا أجاد أن يحتمى فى حمى خليفة أو أمير أو وزير يغنى له ويقول مايعجبه

لنضرب لذلك مثلا مختارات البارودى . فقد اختار لثلاثين شاعراً من شعراء الدولة العباسية فبلغ ما اختاره لهم من المديح ٢٤١٨٥ بيتا من الشعر ، على حين أن ما اختار لهم من الأدب ١٦٩٧

بيتا ، ومن الغزل ٤٦١٦ فاذا أضفت ما اختاره لهم من الرثاء والهجاء الى المديح ـ لأنها كلها ارستقراطية ـ بلغت ٣٢٤٠٧ وهى نسبة كبيرة جداً لبيان طغيان الادب الارستقراطى على النزعات الاخرى ، وخاصة اذا علمت أن كثيراً من الغزل كان ليس إلا تمهيداً للمديح ، وأن كثيراً من أبيات الادب ليست إلا تعليلا للمديح ـ ثم تبحث فى كل هذا عن نصيب الشاعر من شعره أو نصيب الشعب منه فلا تجد إلا القليل

وهذه ظاهرة طبيعية اجتماعية أيضا ، فالخلفاء والامراء كانوا كل شىء ، والشعب مهمل إلا فى النادر ، فانصرف الفن اليهم ، ومثل الادب فى ذلك التاريخ ، فالتاريخ فى هذه العصور لم يؤرخ إلا للملوك والامراء وحروبهم ونزاعهم وموتهم وولادتهم ، ويجهد المؤرخ الصادق الآن نفسه ليعثر على ما يستنتج منه حالة الشعب فقل أن يجد كلمة فى صفحات عدة

* * *

سادت بعد ذلك الديمقراطية أوربا فى العصر الحديث ، وبنيت على أساسين : كل انسان يجب أن يكون حراً ، وكل انسان يجب أن يشعر بالمسئولية . فالقوانين انما توضع لحماية حرية الأفراد لا لتنفيذ ارادة الملوك ، والفرد اذا أطاع القانون فانما يطيعه لأنه يشعر بفائدته له ولمواطنيه لا لأن سلطة أخرى ينبغى أن تطاع ، وعلى الجملة فقد أحس الفرد أنه يسير نفسه لا يسيره غيره ، وأنه سيد فى نفسه لا عبد لغيره ولو كان هذا الغير ملكا أو أميراً

سادت هذه النزعة أوروبا فصبغت كل شىء بلونها ، فنظمت الحكومات على هذا الاساس الذى يضمن للفرد حريته ويشعره بمسئوليته ، وأثرت فى التعليم فشعر كل فرد أن له الحق أن يتعلم وعلى الحكومات أن تهيىء له وسائل التعلم ، بل أثرت هذه النزعة فى الانقلاب الصناعى والتجارى والزراعى ، وأنتجت نتائج خطيرة ليس هنا موضع شرحها ، وانما الذى يهمنا هنا أنها أثرت كذلك فى الادب فحولته من أدب ارستقراطى الى أدب ديمقراطى ، فأخذ عظماء الادباء يصورون هذه النزعة الجديدة ، ففلتن ـ مثلا ـ يكتب ويلح فى الكتابة أن حقوق الناس أقدم من حقوق الملوك ، وأن الناس ليسوا ملزمين باطاعة الملك الظالم ، وأن الناس ولدوا أحراراً ، وليس للملوك إلا أجراءها ، وكذلك فعل روسو فى فرنسا وجفرسن فى أمريكا ، وأمثالهم كثير

وتلون الأدب بهذا اللون فأصبحت الأغانى الشعبية تتغنى بالحرية ، وانتشر نوع من الادب وهو « اليوتوبيا » أو « الطوبى » أو « المدينة الفاضلة » وهى الكتب التى ترسم صوراً لمعيشة الناس عيشة أسعد مما يحياها الناس فى الواقع ـ وتعددت موضوعات الأدب التى تؤيد الديمقراطية ، فهنا أديب يشيد بالانسانية ، وهذا شاعر يؤيد أمة تجاهد فى سبيل استقلالها ، وهنا يشهر بظلم القوانين وهكذا

وصلت هذه الموجة فى سيرها الى الشرق فأخذ يحارب الاستعمار ويجاهد فى نيل الحرية وينشد

الديمقراطية ، وأخذ يقلد أوروبا فى حركاته وأعماله ، وتشبع القادة بحب الديمقراطية وتغنوا بها ونشروا مبادئها بين الناس فآمنوا بها ورسموا خططا لنيلها ، فهذه خطب فى المجالس النيابية وهذه مظاهرات تعرقل أعمال المستعمر ، وهذه احتجاجات ومؤتمرات وتشهير بالدول الأوروبية وعسفها ، الى كثير من أمثال ذلك

وأخيراً رأينا الأدب العربى يتبع هذه النزعة ، ويبعد قليلا قليلا عن الاستظلال بالأمراء ، ويقرب قليلا قليلا من الاستظلال بالشعب . فلئن كان شوقى فى حياته الأولى شاعر الامير ، فهو فى حياته الاخيرة شاعر الشعب ، وأخذ شعراء العراق والشام ومصر يتغنون بالحرية ويعلنون ألمهم من الظلم وأملهم فى تحقيق العدل ، وطرق كتابهم وشعراؤهم موضوعات شعبية صرفة بعد أن كانوا يقفون ادبهم وشعرهم على مدح الامراء والخلفاء ، فقاسم أمين يكتب فى تحرير المرأة ، وشوقى يشعر فى بنك مصر ويرثى مصطفى كامل وسعد زغلول ويلتفت الى موضوعات شعبية بحتة كانتحار الطلبة والعمال ونهضة مصر ــ هذا شوقى الارستقراطى فما بالك بحافظ الذى أخذ يتابع الحركة الديمقراطية ويصوغ فيها شعره . وكان من اكبر مظاهر الديمقراطية فى الغرب والشرق نضج « فن الروايات » فهى تعنى اكبر عناية بتحليل حياة العامة والجماهير ، وقلما تعنى بحياة البلاط ، فالديمقراطية ــ لما كان أثرها الشعور بالذاتية ــ وجهت الادب الى تحليل الشخصيات وتحليل أنواعها وضروبها ، وما كان يمكن أن يرقى هذا وذاك فى أحضان السلطة الارستقراطية

وتبع شعور الفرد بنفسه وشخصيته أن رأينا كثيراً من الادباء يتحولون من مدح غيرهم الى تحليل نفوسهم . فطه حين يكتب « الايام » يشرح فيها طوراً من أطوار حياته ويصور فيها مشاعره . و هيكل يشرح ما يشعر به فى رحلاته الى السودان والحجاز ، والعقاد يحلل فى بعض مقالاته نفسه بل يحلل نفسية كلبه وخادمه الخ . .

وعلى الجملة ظهرت أعراض الديمقراطية فى الادب العربى بأشكالها المختلفة وهي سائرة فى طريق كمالها.فكما أن النزعة الارستقراطية تعد الفرد للدولة ، والنزعة الديمقراطية تعد الدولة للفرد ، كذلك الشأن فى الادب،فى العهد الارستقراطى يعد الفنان ليكون طرفة للقصور ، وفي العهد الديمقراطى تعد القصور لتكون طرفة للفنان

وبعد ان كانت ساحة الادب والشعر هى القصور لانها حصن الارستقراطية أصبحنا نرى ساحة الادب هى الكتب والجرائد والمجلات لانها مظهر الديمقراطية ، وبعد أن كان الاديب يعيش على موائد الامراء ومن عطائهم وهباتهم أصبح الاديب والشاعر يعيش على موائد الشعب ومن عطائه وهباته ، وان كانت الشعوب ــ أحيانا وخاصة فى الشرق ــ تهمل من يغنى لها ، فيلذها غناؤه ، ولا يؤلمها بؤسه وشقاؤه

احمد أمين

عند أصنام قريش

بقلم الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

لم ينم هذان الشيخان من شيوخ قريش تلك الليلة ، وانما انفقاها ساهرين ولم يتفرقا الا بعد مطلع الشمس وحين أخذ الضحى فى الارتفاع . ولولا انهما اشفقا ان تظهر عليهما قريش فى وقت لم تعود ان تراهما مجتمعين فيه ، فيذهب بها الشك كل مذهب ، لما افترقا ولما عاد كل واحد منهما الى داره حيث كان أهله ينتظرونه ويرقبون عودته ويشكرون انفاقه الليل كله خارج الدار

ذلك انهما على هـذا الحديث الطويل الذى انفقا فيه الليل كله لم يكونا قد قضيا من اجتماعهما وطراً ، ولا ارضيا حاجتهما الى هذا الحوار الذى كانا فيه

على انهما افترقا وقد أوصى كل منهما صاحبه الا يطيل المكث فى داره ، وان يغدو مع الناس اذا غدوا الى ما كانوا فيه من بناء البيت ، فما ينبغى ان تفتقدهما قريش فلا تجدهما ، ومايبغى ان تحس قريش غيبة الوليد بن المغيرة خاصة ، فان قريشا ترقبه وتلاحظه ملاحظة متصلة منذ كان اسراعه الى العمل فى هدم البيت

ومن الحق ان قريشا قد اطمأنت قلوبهـا وهدأت نفوسها حين رأت ان قد مضى الوليد ليلته آمنا وغدا على قومه موفوراً بعد ان أعمل معوله فى هدم الكعبة ، فعرفت ان ربها لم ينكر من امرها شيئا وانه رضى عما أخذت فيه من تجديد البناء . ولـكن قريشـا على ذلك كانت تكن فى ضمائرها البعيدة جداً خوفا لا تظهره ولا تكاد تشعر به . وكان الوليد بن المغيرة محور ذلك الخوف. فكانت قريش ترقب من امره ما ظهر وتتبع منه ما خفى ، تريد ان تستيقن كما رأته هادئا مطمئنا راضى النفس ناعم البـال صالحة أموره كلها ، الى ان ربها ما زال راضيا عن هذا العمل الذى هى ماضية فيه . فلم يكن بد من ان يغدو الوليد الى البناء مع الناس اذا غدوا اليه ، ومن ان يروح عن البناء مع النـاس اذا راحوا عنه ، ومن ان يراه الناس فيما بين ذلك بينهم ذاهبا جائيـا وآمراً ناهيا ، قد استوفى قوته واستكمل نشاطه وظهر عليه الاقدام المتصل والشجاعة المتجددة ، حتى يتم البناء وحتى يعود كل شيء الى قراره . وقد أحس الوليد ذلك فاحتفظ به وحرص عليه وغدا مع الناس وراح معهم ، وأقام فيهم بين الصباح والاصيل ، يشجع هذا ويحث ذاك . ومضت أمور قريش على وجهها حتى أوشك البناء ان يتم . فما كان ينبغى اذن ان يغير الوليـد شيئا من عادته ولا ان

يتخلف عن شهود البناء والمشاركة فيه صباح ذلك اليوم ، وان كان قد انفق ليله كاملا لم يذق فيه النوم

ولم يكن أمية بن خلف قد بدأ بالهدم ، وانما كان قد احتاط مع الذين احتاطوا ، واستأنى مع الذين آثروا الأناة ، وارتقب من أمر الوليد ما ارتقب الناس . ولكنه كان شيخا من شيوخ قريش عظيم المكانة فيهم ترقب قريش أمره كله ولا ترضى اذا أقبلت على عظيم من أمرها ولم يكن داعيها اليه وحاثها عليه ومشاركها فيه

فلم يكن بد إذن لهذين الشيخين من أن يلم كل منهما بأهله حينا ثم يغدو الى المسجد كما تغدو اليه قريش كلها . ولم يكن الشيخان يشفقان من ذلك ولا يجدان به بأسا فقد كان النوم أبعد شيء عن تفكيرهما ، وكان نشاطهما موفوراً كأحسن ما يكون النشاط ، وربما تحدث كل منهما الى نفسه بأنه لن يذوق النوم إلا غراراً حين يقبل الليل ، وأن عهده بالنوم المريح قد انقضى وأنه لن يستأنف ما تعود من اغراق فى نوم مريح قبل وقت طويل جداً

ذلك أن أمراً عظيما كان يشغل بال هذين الشيخين من شيوخ قريش ، ويملك عليهما أمرهما كله ويكاد يذهلهما عن كل شيء غيره ، لولا أنهما من سادة قريش قد عرفا كيف يملكان أمرهما ويضبطان نفسهما ويظهران لقريش شيئا ويضمران فى قلوبهما شيئا آخر

وكان مصدر هذا القلق العظيم الذى شغل هذين السيدين من سادة قريش أمر الكعبة وما كان من هدمها واعادة بنائها . لا لأنهما كانا يخشيان أن يغضب رب قريش على قريش . فقد كانا من هذه الناحية راضيين كل الرضى آمنين كل الامن لا يشكان فى أن ربهم قد رضى عما يعملون . ولكنهما نظرا الى أصنام قريش تلك التى كانت مرفوعة على البيت والتى كانت قريش تكبرها كل الاكبار وتعظم أمرها كل الاعظام ، ولا تقدم على أمر ولا تحجم عن أمر ، إلا اذا تقدمت اليها بالعبادة ، وتقربت اليها بالوان القربان

نظرا الى هذه الاصنام فى شيء غير قليل من الاكبار والاجلال وسأل كل منهما نفسه : ما عسى أن تصنع هذه الاصنام حين تأخذ قريش فى هدم هذا البيت الذى كانت تنصب اليه وتستقر عليه . ولم يخطر لأحد منهما أن من أيسر الأمر وأهونه أن تظل هذه الاصنام قائمة حيث أقيمت حتى تعمد قريش اليها فتزيلها عن مواضعها وتقرها فى مكان أمين ريثما يهدم البيت ويعاد بناؤه ثم ترد بعد ذلك الى أماكنها من هذا البناء الجديد

لم يخطر هذا الخاطر للوليد بن المغيرة ولا لأمية بن خلف ، لأنهما لم يقدرا قط أن آلهتهم ضروب من المتاع يمكن أن تنقل من موضع الى موضع كما تنقل الاشياء الجامدة التى لاحظ لها من حس أو شعور ولا نصيب لها من إرادة أو تفكير . انما كانا يقدران أن آلهتهم تعلم ما تدبر قريش وتسمع ما تدير قريش بينها من الحوار وترضى عما تريد قريش لهذا البيت من تجديد . وما شك

الوليد بن المغيرة وامية بن خلف فى أن اصنام قريش كانت فى أنفسها مغتبطة بما أزمعت قريش من تجديد هذا البيت . فقد كان فى ذلك رفع من شأنها واعظام لأمرها واطراف لها ببيت فخم جديد يلائم مكانتها الرفيعة ومنزلتها السامية وسلطانها العظيم ، الذى أخذ يتجاوز قريشا ويتجاوز العرب الضاربين فى تهامة والحجاز لينبسط على نفوس العرب كافة

ولم يشك الوليد وامية لحظة فى أن اصنام قريش ستحدث فى قريش حدثا عظيما يوم تقبل على هدم البيت فتنزل عن أماكنها وتتحول عن مواضعها وتسعى على اقدامها الى هذا المكان الذى سيهيأ لها فى دار الندوة غير بعيد من المسجد ،ويومئذ تمتلىء قلوب أهل مكة اكبارا للآلهة وايمانا بسلطانها ، ثم تتسامع العرب بأنباء هذا الحدث العظيم فتزداد اكراما لقريش واعظاما لحرمتها واذعانا لسلطانها الدينى العظيم

ومن أجل ذلك احتاج الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف الى جهد عظيم حقا ليملك كل منهما نفسه ويمسك كل منهما لسانه فى فمه ، حين اجتمع الملأ من قريش يتشاورون فيما يصنعون بآلهتهم أثناء ماهم مقدمون عليه من هدم البيت وتجديد البناء

ولولا أن هذين الشيخين كانا كما قدمت من سادة قريش وقادتها الذين تعودوا من الحذر والاحتياط ومن المكر والدهاء ما لا عهد لنا به ، لما استطاعا أن يسمعا لهذا الحديث دون أن يعنفا البادىء به أشد التعنيف . فان الآلهة تعرف ما تستقبل من أمرها وما تستدبر ، وتعرف ما تأتى من أمرها وما تذر ، وتعرف كيف تخلى بين قريش وبين ما تريد من هدم البيت فتتحول لها عنه ، وكيف ترد الى قريش سرورها وبهجتها حين يتم البناء الجديد فيعود كل صنم منها الى مكانه الذى هيىء له

وإذن فقد كظم الشيخان غيظهما وحزما أمرهما ،واستمعا لهذا الحديث صابرين عليه مكرهين نفسيهما على ما لا تحبان . وقال كل منهما لنفسه ليدبر قومنا ما شاءوا فستردهم الآلهة الى صوابهم وستنبئهم بأنهم قد اساءوا بها الظن وجنوا عليها ما لا يجنى الناس على آلهتهم . وقال كل منهما لنفسه ويومئذ تندم قريش ولا اندم ، وتأسى قريش ولا آسى ، وتحتاج قريش الى أن ترضى آلهتها فتتقرب اليها وتضحى لها ويشبع الفقراء من جوع ويروى الفقراء من ظمأ . وما أكره أن أقرب مع المقربين وأضحى مع المضحين فأرضى الفقراء وأبر البائسين

وكذلك انتظر الشيخان ذلك اليوم العظيم وان قلوبهما لمعمورة بهذا الايمان الساذج ، وان ضمائرهما لتجد غبطة خفية عنيفة تحرص الحرص كله على ألا تظهر عليها نفوسهما ولا تحسها قلوبهما . فقد كان كل واحد منهما يشعر فى اعماق ضميره بهذا الخاطر الغريب ، ومن يدرى : لعل الآلهة تظل جامدة فى أماكنها مستقرة فى مواضعها منتظرة أن تنقلها قريش من مكان الى مكان .
وكان الوليد بن المغيرة وامية بن خلف راضيين عما اظهرا من مجاراة الناس ومتابعتهم فيما أداروا

من الحديث وما دبروا من الأمر لو استطاع كل واحد منهما ان يقرأ فى قلبه لرأى أنه فى حقيقة الأمر قد بدأ يشك فى الآلهة ويرتاب فيما لها من سلطان ، ثم احتاط لنفسه من الآلهة والناس جميعا فخادع قلبه وأحسن الظن بالآلهة وجارى الناس واشترك فيما دبروا من أمر وضمن لنفسه احدى الحسنيين . فان كان ظنه بالآلهة حسنا كان قد أرضى الآلهة ووثق بعطفها عليه ونصحها له ، وان ظهر أن رأى الناس فى الآلهة هو الحق وانها عاجزة حتى عن أن تنتقل كان قد جارى الناس فيما رأوا ، واحتفظ معهم بهذه الخدعة التى تضمن للاقوياء التسلط على الضعفاء ، والتى تضمن لقريش التسلط على نفوس العرب كافة

وجاء ذلك اليوم وأقبلت قريش على أصنامها ، وتنحى الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف غير بعيد ينظران . واذا قريش تبلغ الاصنام فتنزلها عن أماكنها القديمة وتنقلها الى أماكنها الجديدة التى هيئت لها فى دار الندوة ، والشيخان ينظران فتنكر نفوسهما أشد الانكار ، وتعرف قلوبهما أشد المعرفة ، وهما يسعيان مع الساعين ويجأران بتمجيد الاصنام ، ويظهران لها الاكبار والاعظام كما يفعل غيرهما من الناس . ولكن شيئا اليما قد وقع فى قلب كل منهما فارتسم عليه واستقر فيه ولم يتحول عنه ولم يزل منه

وليس على هذين الشيخين من لوم فيما فكرا وما قدرا وفيما قالا وما فعلا . فقد نشأا صبيين فرأيا هذه الاصنام قائمة مكانها واستقر فى نفوسهما أنها قامت فيه منذ أبعد العهود . رآها على هذه الحال الآباء والاجداد ولم يخطر لاحدهما أنها ستنتقل أو تزول . ثم شبا ثم اكتهلا ثم أدركتهما الشيخوخة وهما يريان اكبار قريش لهذه الاصنام وايثارها بالعبادة والطاعة والاعظام ، ويفعلان من ذلك ما يفعل قومهما ويؤمنان منه بما يؤمن به قومهما ، لا يداخلها فيه شك ولا يخامرهما فيه ريب . ولعلك تذكر أن قريشا كانت أبعد الناس عن هذا الايمان العميق الذى يملأ القلب ويغمر النفس ويسيطر على الضمير . انما كان القرشيون وأصحاب القوة والثروة منهم خاصة قوما يفكرون فى الحياة أكثر مما يفكرون فى الموت ، وينظرون الى الارض أكثر مما ينظرون الى السماء ، ويسعون الى جمع المال وكسب الثراء أكثر مما يسعون الى ارضاء الآلهة والتقرب اليهم

ولو انك فتشت فى قلوب الكثرة من قريش لرأيت ايمانا ظاهراً بالآلهة ، ولكنه رقيق ضئيل ، ولو انك أمعنت فى التفتيش لرأيت القرشى الممتاز منافقا مع نفسه ومع آلهته ومع الناس جميعا . يخيل الى نفسه أنه مؤمن بهذه الآلهة وهو يعلم أنه يمقتها أشد المقت ويزدريها أشد الازدراء ، ولكنه مع ذلك يخدع نفسه ويظن انه يخدعها ، ثم يخدع الآلهة ويظن انها تنخدع له ، ثم يخدع الناس ولا يشك فى أن الناس ينخدعون له ويؤمنون به ويرونه الواسطة الوحيدة المجدية بينهم وبين آلهتهم

ولو انك عرفت أمور قريش على وجهها لما شككت فى أن الممتازين منهم كانوا رجال دين ،

منهم الماهر والماكر الذى يتخذ الدين تجارة ويتوسل به الى ارتقاء المكانة وانبساط السلطان واتساع الجاه وكثرة المال ، ومنهم الغافل الساذج الذى يأخذ بحظه من منافع الدين ويرضى نفسه الغافلة الساذجة بشىء من هذه المظاهر التى يراها الناس تقربا وتعبدا وايمانا

وأكبر الظن ان هذين الشيخين من قريش كانا من هذا الطراز ، وقد كانا على كل حال سيدين من سادة مكة يحرصان على مكانتهما أشد الحرص ، ولا يقصران فيما من شأنه ان يمكن لهما فى الأرض ويوسع عليهما من الرزق ويبسط من سلطانهما على النفوس

فقد احتاطا لنفسهما إذن من الناس والآلهة جميعا حتى كان ذلك اليوم العظيم فرأيا ما رأيا ، ونظرا فاذا الآلهة يحملون على الأيدى والأعناق كما يحمل المتاع وينقلون من مكان الى مكان كما ينقل أهون الأثاث. فكان فيما رأيا من ذلك ما أظهر الشك فى قلبين كانا يخفيان الشك حتى على أنفسهما . ومنذ ذلك اليوم ساء رأى الشيخين فى الآلهة والناس جميعا ، أو قل كاشف كل من الشيخين نفسه بسوء رأيه فى الآلهة والناس جميعا . ومن الحق أنهما رأيا اليهود والنصارى واستمعا الى أحاديثهم ولكنهما لم يفهما عنهم شيئا ، ولم تطب نفوسهما لهذا النحو الممتاز المجرد من الدين الذى لا تستطيع العين ان تراه ، ولا يستطيع الانسان ان يحس مظهره قريبا منه مخالطا له مشاركا فى حياته اليومية، يلقاه اذا أصبح ويلقاه اذا أمسى ، ويستشيره فيما يريد ويستخيره فيما يدبر من الامر

وقد عجبا حقا حين رأيا نفرا من قريش يميلون الى مقالات اليهود والنصارى ويظهرون الفهم لها والايمان بها ، فيعرضون عن الاصنام والأوثان ويختلفون الى البيع والكنائس . ومضيا على حالها التى كانت عليها قريش كلها من هذا الايمان الظاهر الذى جعل قريشا سادة وقادة ووسطاء بين الناس وبين آلهتهم . ولكن الشيخين جعلا منذ ذلك اليوم العظيم يتساءلان أيقدران على المضى فيما كانا فيه والاستمرار على ما كانا عليه بعد ان رأيا الآلهة تحمل كما يحمل المتاع وتنقل كما ينقل الأثاث

وكان الوليد بن المغيرة فى تلك الليلة قد أقبل كعادته منذ ذلك اليوم العظيم فقضى مع آلهته ساعة لو شهدتها قريش لمزقته تمزيقا ، وانه لمنصرف عن آلهته وقد امتلأت نفسه استهزاء بالآلهة وسخرية من الناس ، واذا هو يلقى صديقه أمية بن خلف مقبلا يسعى الى المكان الذى انصرف منه فى جنح الليل . فلما ترآى الشيخان ارتاعا شيئا وانكر كل منهما مكان صاحبه ثم أمن كل منهما الى صاحبه وقال الوليد لأمية : « الى اين تريد وقد تقدم الليل وما أراه إلا قد انتصف؟» قال أمية : «ومن أين تأتى وقد تقدم الليل وما أراه الا قد انتصف » قال الوليد : « لقد ألممت بهذا المكان منذ حين وتقدمت الى آلهتنا ببعض الصلاة لامر يهمنى » قال امية وهو يبتسم : « فقد اقبلت لألم بهذا المكان حينا واتقدم الى آلهتنا ببعض الصلاة لامر يعنينى » . قال الوليد وقد اخذ بمنكبي صاحبه وهو يضحك : « ماذاك ؟» قال امية : « سل نفسك فأى جواب تلقيه اليك فهو جوابى ، وأى رد ترده عليك فهو

ردي . وما أرى الا انك تعرف من امرى مثل ما اعرف من امرك . لقد سكت كما سكت انا حين تشاور الملأ في هذا الامر ، ولقد تنحيت كما تنحيت أنا حين أقبلت قريش على هذا الامر . وها انت ذا تنصرف عن الآلهة حين اقبل انا على الآلهة » قال الوليد : « فأنت اذن مثلى تجد ما اجد » . قال امية : « هو ذاك ، ولكن خفض الصوت ، فان صمت الليل خليق ان ينم بما يدور بيننا من حديث »

ثم سعى الشيخان معا يؤثران الصمت ويخففان من وقع أقدامهما حتى دخلا الى حيث كانت الأصنام من دار الندوة . فلما بلغا من هذا المكان مأمنهما أرسل كل منهما نفسه على سجيتها ورد اليها بعض حريتها، واذا فمه ينفرج عن ضحك مرتفع عريض . يقول أمية بن خلف للوليد بن مغيرة: « أترى الى سادة قريش وقادتها والى عظمائها وأولى الرأى والنهى فيها يعبدون هذه الأحجار التى لا تملك حتى أن تضع نفسها بمأمن من هذه المعاول التى أعملناها فى هدم البيت » . فيقول الوليد : « أترى الى قريش التى تذعن العرب لها بالسيادة وتؤمن لها بالتفوق وتدين لها بسعة العقول ورجاحة الأحلام ، تعبد هذه الأحجار التى أقامها آباؤنا على هذا البيت والتى حططناها نحن عن هذا البيت ، فلم تمتنع على آبائنا حين أقاموها كما لم تمتنع علينا حين حططناها ، وكما لم تكن لتمتنع على معاولنا لو عملت فى رءوسها ووجوهها وأطرافها ، كما تعمل فى البيت هدما وتحطيما »

قال أمية : « وكما لاتمتنع الآن علىّ حين أصنع بها ما ترى » ثم يتقدم الى هبل فيلطمه لطمة عنيفة ويرتد عنه وعلى ثغره ابتسامة لم ترتسم قط على وجه انسان . قال الوليد : « فانى ما زلت أصنع بها ذلك منذ الليلة حتى آذيت من ذلك يدى، وانى لألم بها كل ليلة منذ ذلك اليوم فأصنع بها مثل ما صنعت وا كثر مما صنعت ، وان قلبى ليتمنى كأشد ما يكون التمنى انها أحست شيئا من حياة فردت الى بعض ما أهديت اليها من الصفع والصفع ، اذن لردت الى نفسى بعض الثقة والى قلبى بعض الرضى ، ولانتزعت من نفسى هذه الفكرة السيئة المهينة التى لا تبرحها ، وما أرى أنها ستبرحها ، وهى أنى قد أفنيت صباى وشبابى وكهولتى وكدت أبلغ آخر الحياة وأنا أتقدم بالعبادة والطاعة وبالقرابين والضحايا الى أحجار تحمل كما يحمل المتاع وتنقل كما ينقل الاثاث »

قال أمية : « أما أنا فايسوء رأيى فى نفسى الى هذا الحد، وما أحب أن أخفى عليك بعد الذى ظهر كل منا عليه من أمر صاحبه انى لم أومن لهذه الاحجار يوما بالقوة ولم أعترف لها بالسلطان ولم أخلص لها الدين قط . وانما سرت فيها سيرة قومى ، وجاريت الناس ، رأيتهم يجهلون فجهلت ، ورأيتهم لا ينكرون حمق أنفسهم فلم أنكر حمق نفسى ، ولو استطعت لجاريت زيد بن عمرو وأصحابه ، ولكنى لم أستطع لانى أوثر الحياة ولذاتها وأعراضها وما تقدم الينا من المتاع »

قال الوليد : « فاما إذ ذكرت زيد بن عمرو وأصحابه فما أخفى عليك ان نفسى كثيراً ما نازعتنى الى ما دعوا اليه ، ولو انى أطعت قلبى واستجبت لضميرى لكنت واحداً منهم ، ولكنى رأيتهم قوما

يتحرجون ويشقون على انفسهم ويحرمون عليها من لذات الحياة ما لم تطب النفس عنه فى يسر واسماح . وقد فكرت وقدرت فرأيت ان عاقبة ما يدعونا اليه شر على قريش »

قال أمية : « وما ذاك ؟ » قال الوليد : « فان امر قريش انما يقوم على هذه الاحجار التى نحقرها ونزدريها ، تعظمها الدهماء وتكبرها العامة ، وتؤمن لها العرب بالقوة والسلطان ، ونقوم نحن بالوساطة بينها وبين الناس ، وعلى هذه الوساطة تروج تجارتنا ، فلو اننا انكرنا من امرها ما يعرف الناس لانصرفت عنا القلوب وتحولت عنا النفوس ، ولانحرفت عنا اهواء العرب الى هذا العظيم او ذاك من سادة اليمن والعراق والشام » قال أمية : « وكذلك تقوم كبار الامور على صغائرها وتبنى عظمة قريش وثروتها على احجار لا تغنى عن قريش شيئا » قال الوليد : « هو ذاك ، وهل قامت امور الناس الا على نحو من هذا الخداع ؟ » قال امية : « افلا يشق عليك ان تقيم امرك كله على الكذب والخداع ؟ » . قال الوليد : « أما قبل الآن فلم أكن أجد مشقة ولا جهداً لأنى لم أكن أفكر فى هذا الأمر ولا أقف عنده ، وأما منذ ذلك اليوم العظيم فانى أجد الشقة كل الشقة والجهد كل الجهد ، كأن حجابا قد رفع عن قلبى فانكشف لى ما كان يخفى على من كذب وخداع . ولكنى على ذلك مضطر الى أن أسير فى قومي كما سرت ، وأخفى عليهم من الأمر ما ظهر لى ، فان لم أفعل عرضت أمرهم وأمرى للشر والفساد » . قال أمية : « ما انت فى حاجة الى شىء من هذا ، فحسبك هؤلاء الذين يظهرون الانصراف عن هذه الأحجار ولا يخفون الاعراض عنها والازدراء لها ولا يتحرجون من ان يعلنوا سوء رأيهم فيها ومن ان يحمقونا حين نقبل عليها بالاعظام والاكبار »

قال الوليد : « انى لأرى وأسمع من ذلك الشىء الكثير وانى لاشفق على قريش منه . وما أرى الا اننا سنضطر غداً او بعد غد الى ان نغلو فى خداع انفسنا ونسرف فى الكذب عليها ، ونقوم دون هذه الاحجار التى نلطمها ونصفعها فنبذل لها الحماية وننفق فى الذود عنها ما نملك من حول وطول » . قال أمية : « وتظن ذلك كائنا ؟ » . قال الوليد : « بل أراه قريبا فاجلس ان شئت الى ورقة بن نوفل واسمع لما يتحدث به من العجب وما يتنبأ به من الاحداث »

قلت لمحدثى : « انك لتقص على من امر هذين الشيخين عجبا ، فانا نقرأ فى الكتب انهما نهضا ونهض معهما اشراف قريش يذودون عن هؤلاء الآلهة ، ويتكلفون فى سبيل ذلك ما يتكلفه المؤمنون الذين اخلصوا الدين لآلهتهم . لقد قطعوا الارحام وضحوا بالود وعذبوا الاولياء وانفقوا الاموال، ثم لم يترددوا حين جد الجد ان يخوضوا غمرات الحرب ويضحوا فى سبيل آلهتهم بالانفس والدماء» قال محدثى وهو يبتسم : « فكر قليلا فانهم لم يصنعوا ما صنعوا من ذلك ولم يحتملوا ما احتملوا ، الا ذوداً عن نظامهم الاجتماعى اول الامر ، ثم حفاظا للاحساب وحماية للتجارة والمنافع ، ولولا العير لما كانت بدر ! »

طه حسين

مزايا زواج الشباب
ومساوئ زواج الشيخوخة

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد

مدير مستشفى الملك

جرت عادة «الهلال» منذ نشأته أن يتابع الزمن ويساير الحوادث. فليس غريبا ان يطلب منى أن أكتب شيئا فى موضوع «الزواج فى الشيخوخة» فى هذا الوقت الذى كثر فيه اهتمام الجمهور بالزواج بنوعيه: المبكر والمتأخر، وان كان اهتمامه لم يتعد الكلام والسمر فى الموضوع، ولما يصل الى الاقبال عليه

فأما اهتمام الجمهور بالزواج المبكر فبالمناسبة السعيدة التى بدت بخطبة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق، إذ رأى حفظه الله تعالى ان يبكر بالزواج امتثالا لأوامر الدين. فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: «من كان ذا طول فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج». وكذلك روى عنه انه قال: «النكاح سنتى فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى» وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: «تناكحوا تكاثروا فانى اباهى بكم يوم القيامة»

والزواج المبكر ما تم عقب البلوغ مباشرة أو تقريبا. والقوانين فى كثير من البلاد الراقية تحتم للزواج حدا أدنى لسن المرأة وسن الرجل. فهو فى المرأة ما بين ١٦ و١٨، وفى الرجل ما بين ١٨ و٢١

ويخيل لى أن الطب الحديث أخذ يدعو أو كاد يدعو الى التحلل من هذا القيد مكتفيا بقيد البلوغ الذى يكون غالبا قبل السادسة عشرة فى المرأة وقبل الثامنة عشرة فى الرجل. وأصبح الطب يتساءل لم تنتظر الفتاة البالغة الحد الادنى من السن اذا جاءها الخطيب قبل هذه السن؟ أليس البلوغ دليلا على نضج الاعضاء التناسلية واستعداد المرأة لما هيأتها له الطبيعة من حمل وولادة ورضاعة؟ وما حيض الفتاة البالغة اذا حاضت مرة كل شهر الا حملا خائبا أو حملا فاشلا. ولعل هذا الرأى الحديث يوافق الحديث المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو: «اذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد كبير» وأى فتنة أشد وفساد اكبر من انتشار الفسق والفجور والامراض الزهرية باختلاف انواعها بسبب امتناع الرجال عن الزواج أو تأخرهم تأخرا طويلا حتى ترتفع اسنانهم؟

ومن المأثور فى احدى الشرائع القديمة ما معناه: «اذا ادركت ابنتك وبلغت منتصف الثالثة

عشرة من عمرها فلا تعضلها ـ تمنعها من الزواج ـ بل بادر بتزويجها ولو من عبد من عبيدك تفك رقبته لهذا الغرض دفعا للبغاء » . ومن مزايا التبكير فى الزواج سهولة الولادة وندرة ما ينشأ عنها من المضاعفات التى قد تذهب بصحة الوالدات أو حياتهن . ومنها مالوحظ فى اطفال الوالدات صغيرات السن من حسن الصحة وطول العمر وفرط الذكاء وندرة الوفيات

* * *

أما اهتمام الجمهور بالزواج المتأخر أو الزواج فى الشيخوخة فبمناسبة خطبة حضرة صاحب المقام الرفيع توفيق نسيم باشا ، فلا جدال فى ان هذا الزواج يخلو من جميع المزايا التى ذكرت فى الزواج المبكر . ولعل أخطر أنواع الزواج فى الشيخوخة زواج شيخ كبير قد ابلاه تناسخ الملوين وأخلقه تعاقب الجديدين وحطمته السن العالية وارعشه الكبر وخذلته قوته ، لانه طوى مراحل الشباب وبلغ ساحل الحياة ، من فتاة فتانة المحاسن حسنة الاعضاء هى الحسن مجسما والجمال ممثلا ، تخترق الابصار - لأنها كقضيب الخيزران أو كحورية من حور الجنان . وأشد ما يكون هذا الزواج خطراً اذا ظل هذا الشيخ أعزب طول حياته أو سلخ وقتا طويلا منها وهو أعزب . وحينئذ ينصح الطب خطيبته أو ولى أمرها أن يتساءل : كيف مسه الكبر ولم تمسه زوجة ؟ أكان يكبت عواطفه الجنسية ويصرعها ؟ اذن فهو عصبي . أكان يكسر شهواته ويطفئها بنفسه كما يفعل كثير من الشبان ؟ اذن فهو مصاب بشذوذ جنسى . ألم يكن فيه للنساء ؟ إذن فهو عاجز جدير به ان يكف عن الزواج . أكان متخليا للعبادة ؟ أكان منهمكا فى الاشتغال بالعلوم والمعارف أو السياسة اشتغالا عقليا شديدا ؟ أكان منصرفا الى الالعاب الرياضية انصرافا تاما ؟ ولئن مضى على الرجل حين من الدهر وهو متوفر على شيء من ذلك ، منصرف عن عواطفه الجنسية انصرافا ينسيه اياها ، لقد فترت هذه العواطف ونامت وصار من الصعب بعثها من مرقدها

أما اذا عاش هذا الشيخ العزب عيشة اباحية يتلهى بالفجور فقلما يبرأ اذا طالت مدته من الامراض الزهرية وما ينشأ عنها من المضاعفات . ووقتئذ يكون زواجه وبالا عليه ووبالا على امرأته ووبالا على نسله ان كان له ولد

واذا تصابى شيخ وصبا الى غادة من الحسان الخرائد وتصباها ، فهل تدرى ماذا يكون من أمره؟ يمثل معها دور صلاح الدين من رواية صلاح الدين للمرحوم الشيخ نجيب الحداد إذ يقول :

ان كنت فى الجيش أدعى صاحب العلم   فاننى فى هواكم صاحب الألم

يا من تملكتم قلبى فكان لكم   عبداً وكنت له من أطوع الخدم

وقد يقضى عليه زواجه لما بينه وبينها من عدم التكافؤ فى السن وهو يردد قول صلاح الدين :

يا نظرة خلتها فى بدئها نعما   فأصبحت فى الهوى من أعظم النقم

وهل تدرى أيها القارىء الكريم ما سبب ذلك ؟ انه لا يستطيع ان يقوم بما فرضه الله علينا

فى كتابه العزيز إذ يقول : « ولهن مثل الذى عليهن »

وان أبهم عليك ما أريد ، فاليك هذه الحكاية فى كتب الادب فنى ذكرها ما يغنى عن الشرح :

« يروى ان الحارث بن سليل الاسدى وكان حليفا لعلقمة بن حفصة الطائى زاره فنظر الى ابنته الزباء ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، فأعجب بها فقال له : « أتيتك خاطبا وقد ينكح الخاطب ويدرك الطالب ويمنح الراغب » فقال له علقمة : « أنت كفء كريم يقبل منك العفو ويؤخذ منك العفو فاقم تنظر فى أمرك » . ثم انكفأ الى أمها ، فقال : « ان الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا وقد خطب الينا الزباء فلا ينصرفن الا بحاجته » . فقالت امرأته لابنتها : « أى الرجال أحب اليك ؟ الكهل الجحجاح ، الواصل المناح ، أم الفتى الوضاح ؟ » قالت : « لا بل الفتى الوضاح » . قالت : « ان الفتى يغيرك ، وان الشيخ يميرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن » . قالت : « يا أمتاه ان الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلأ » قالت : « أى بنية انه شديد الحجاب كثير العتاب » قالت : « ان الشيخ يبلى شبابى ، ويدنس ثيابى ، ويشمت بى أترابى » . فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الابل وخادم وألف درهم . فابتنى بها ثم رحل بها الى قومه . فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى الى جانبه إذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون . فتنفست الصعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء فقال لها : « ما يبكيك ؟ » قالت : « مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ » . فقال لها : « ثكلتك أمك تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها » . ثم قال : « أما وأبيك لرب غارة شهدتها ، وسبية أردفتها ، وخمرة شربتها ، فالحقى بأهلك فلا حاجة لى قبلك »

ولا كذلك زواج الشيخ الذى ماتت امرأته أو طلقها لسبب من الاسباب الشرعية، من أيم فى مثل سنه أو أقل منه قليلا . فهذا النوع من الزواج ينصح به الطب لتكافؤ السن وينصح به الدين. فقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال : « لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت ان أتزوج ولا ألقى الله عزبا »

« وكذلك يروى عن معاذ بن جبل انه كانت له امرأتان ، فاذا كان يوم احداهما لم يتوضأ من بيت الاخرى ، ثم توفيتا فى الطاعون الذى أصاب القوم فى الشام والناس فى شغل فوقعتا فى حفرة فأبهم بينهما أيتهما تقدم فى القبر ولما ماتتا قال : زوجونى فانى اكره ان ألقى الله عزبا »

« وكذلك يروى ان احمد بن حنبل رحمه الله تعالى تزوج فى اليوم الثانى من وفاة أم ولده عبد الله وقال : « اكره ان ابيت عزبا »

وهناك نوع من الزواج فى الشيخوخة وهو زواج الفتى من العجوز ، وهو زواج نادر ممقوت وكلما زاد الخلف بينهما فى السن زاد ضرره

الدكتور محمد عبد الحميد

رجالنا

علي ماهر باشا !

أخطر رجل ! في أخطر منصب !

بقلم الاستاذ فكرى أباظه

أخطر رجل فى أخطر منصب

هذا هو « التعريف » الصحيح لهذا الرجل . فقد شاءت الظروف أن تكون موفقة فترفعه الى منصب سياسى خطير طالما احتل مثله وأرفع منه . ولكن الظرف الحاضر جعل المنصب أدق المناصب ، وأحرج المناصب . .

فهو اليوم بين الأغلبية الكبرى ، وبين المعارضة المتآلفة المتحدة ، وبين الرأى العام . ولكل من هذه العناصر حقوق ، وعلى كل منها واجبات ، ازاء السراى وازاء التاج . والطلبات من كل ناحية تهطل كالمطر على الملجأ الأعلى ، وفى كل طلب صعوبة ، وكياسة ، وحرج . وعلى ماهر باشا هو المختص أن يحضر لمليكه المواد الخام ، تاركا لجلالته الصنع ، والصقل ، والتنفيذ . .

ويزيد الموقف دقة أن « على ماهر » اعتلى منصبه بعد ضجيج ، ووسط ضجيج ، فعليه أولا ألا يخيب آمال الطامعين فيه . وعليه « ثانيا » أن يستدرج المتحرجين من تعيينه الى الثقة التامة به . وهاتان مهمتان متناقضتان ، ولكننا نعلم أن « على ماهر » أقوى منهما ، وأنه موفق باذن الله

أسرة عصبية ! . .

أسرة ماهر باشا الكبير ، أو على الأقل من عرفناهم من أبنائه ، يكونون أسرة « عصبية » ينضج الرأى فى أذهان أفرادها فلا يحتمل ترددا ، ولا جبنا ، ولا تقهقرا ، ومن ثم لا يكون هناك غير التنفيذ ! والتنفيذ البات الحاسم مهما كانت النتائج . ويمتاز « على ماهر » وهذه ميزة أخيه احمد ماهر أيضا ـ بأنهما لا يكونان الرأى الا بعد تفكير واختمار ، ثم تأتى « الدفعة » مظهر العصبية ، فيظن كثيرون أنها وليدة الاعصاب ، ونعتقد نحن أنها وليدة الذهن ، والأعصاب معا . .

اكسبريس . . .

و « على ماهر » اكسبريس . . من نوع « الرابيد » الذى يمرق فى أوربا كلها مروق السهم .

فهو من أكثر أقطاب الدولة إنتاجا وعصولا فى الحكم ! وهو من أكثر أقطاب الدولة تفكيرا وتحضيراً خارج الحكم ! فان له - فى منزله - عزلة ليست بالفلسفية ، وانما عزلة يخدم فيها الدولة والأمة بغير مقابل . . وانما للمستقبل ! ولذلك فانه ما يكاد يقبض على زمام الحكم حتى يمطر الدولة مشروعات وقوانين واجراءات لا يمكن أن تكون بنت الساعة ، ولا وليدة اللحظة . وهو يسير فى تنفيذها أيضا بسرعة « الاكسبريس » ، وقد ينتاب التنفيذ بعض الهنات ، ولكنا نفضل فى هذا العصر العمل - مهما كان - على الجمود والخمول . .

حزبه ! . .

ليس لعلى ماهر حزب معين . بل له أنصار ، أو أعوان ، أوحاشية . وهذا بحث لطيف . فقد امتاز بعض أقطاب الساسة المصريين فى فن تكوين الأنصار والأعوان والحاشية . وقد كان لعدلى يكن باشا أصدقاء ، ولكنه لم يرب أنصاراً وأعوانا وحاشية بالمعنى الذى يتضخم الى مرتبة الحزبية . وكان رشدى باشا مثله . أما « ثروت باشا » فقد عرف كيف يربى وكيف يختارحاشية وانصاراً من ابرع وأنبغ ما عرف الخبراء بأساليب الساسة المصريين . ولا تزال اسماء عبد الحميد مصطفى باشا ، وعبد الحميد بدوى باشا ، وحلمى عيسى باشا وغيرهم فى القمة العليا . وعرف « حسن نشأت » كيف يربى له اصدقاء لا يزالون لليوم من ابر الأصدقاء ، واصدق الأوفياء . وفشل « صدقى باشا » فى هذه المهمة ولا ادرى سر هذا الفشل ، فلعل الظروف هى التى لم توجه نظر دولته الى هذه الوجهة . . .

اما « على ماهر » فقد عرف حقا كيف يختار طائفة من انبغ الشبان ، واوفرهم استعداداً ، واعرفهم للواجب نحو الدولة ونحو شخصه ، فالتقطهم التقاطا من السلك القضائى الذى يعرفه تمام المعرفة والذى يحن اليه تمام الحنين ، فظفر بهم وابرز استعدادهم ، وأؤكد انهم ظلوا وسيظلون الى الأبد أوفى الأوفياء لعميدهم فى كل الظروف . .

جرىء . . .

« على ماهر باشا » جرىء . وعند اللزوم جرىء لدرجة السحق ! ولكنه لا يلجأ الى استعمال قوته - اذا توافرت السلطة لديه - إلا بعد ان يكون قد استنفد كل وسائل المنطق ، والحق ، والحكمة . ونعتقد انه « مأمون » جداً فى الظروف العادية . فاذا ما استفز وحيكت حوله الشباك فلست أضمنه ! وهو من طراز الساسة الذين يعتدون بنفسهم وباستعدادهم ، فلايرون انهم فى حاجة الى الاستعانة بقوة الحزبية ، وعون الاحزاب . والدليل انه فى أغلب أدوار حياته يعمل لحسابه الخاص ، وعلى مسئوليته الخاصة

وقد تدفعه الظروف الى ان يقدم على اجتياح النظم ، والتقاليد ، والاجراءات ، ولو سئل عن دفاعه لقال : درست واقتنعت فلم أعبأ !!!
وقد تصيب هذه الخطة أحيانا ، وقد لا تصيب ...

يقرأ . . .

و « على ماهر باشا » من ساستنا الذين يقرأون . والذين لا يعيشون عيشة ميكانيكية ، بل يستزيدون معلوماتهم بالقراءة والاطلاع واستنطاق الحوادث العالمية . فهو كل يوم فى تجدد . وهو مثقف غاية التثقيف وله «ثورات» اصلاحية عمرانية تشريعية اجتماعية يرتفع بها الرقم القياسى فى العمل ، وفى الابتكار ...

سياسى ممتاز ! . . .

ولا شك ان «على ماهر» سياسى ممتاز أشعه فى المقدمة وفى الطليعة . وهو كاتب مجيد ولا أظن الجمهور يعلم ذلك . فلقد طالما طلعت « أخبار أمين الرافعى » على الرأى العام بأجود وأمتن ما جاد به القلم ، وكان الكاتب الوطنى المستقل هو « على ماهر » نفسه . . .
ومن عصوره الذهبية عصر تأليف الوفد الأول فى سنة ١٩١٩ ، وعصر لجنة الموظفين فى ثورة سنة ١٩١٩ ، وعصر وزارته الأخيرة التى خدم بها الدستور ، والأغلبية ، والصحافة ، خدمات ممتازة مدهشة لا يمكن أن ينساها حتى خصومه فى الرأى وفى المزاج ...
وأضف الى هذا الاحصاء « عصر الوظيفة » فقد كان فيها ممتازا أيضا . وما دون ذلك من العصور الذهبية ، فهى عصور « فضية » أو « نصف فضية » ولكنه على كل حال لم يطق بها صبراً ولا اقامة ، فهدمها كما بناها ، وسحقها كما قواها

لطيف . . .

ويحدثك خلانه وأصحابه فى مجالسه الخاصة عن عبقريته فى اللطف والظرف والجاذبية لا تقل عن عبقريته الذهنية والسياسية . وسنرى كيف يجتاز هذه « التجربة الحالية » وهى – كما قلنا – من أدق التجارب ، ولعله أقسى امتحان يتعرض له فى هذا الزمان ...
وفقه الله ...

فكرى أباظه

الصبر ، والصدق ، والقصد

فضائل تكونها ممارسة العلم

أخلاق العلماء

بقلم الدكتور احمد بك زكي
مراقب مصلحة الكيمياء

الاخلاق قواعد رسمها العرف أو الدين لسلوك الانسان في الحياة . والانسان حسن الاخلاق ما اتبع هذه القواعد ، وهو سيئها اذا تنكب عنها في أفعاله . ولكل فعل من هذا الافعال ناحيتان ، ناحية ظاهرية تتعلق بالظرف الخاص الذي وقع الفعل فيه ، وناحية باطنية تتعلق بالذي جرى في رأس الفاعل أو في قلبه أو في عصبه قبيل وقوع الفعل . والناحية الثانية تسبق الناحية الأولى دائما ، وهي أكثر تعقيداً منها وأقل انفهاما لدى الناس . والناس تقول لرجل أنقذ طفلا من حريق إنه شجاع ، وهو حكم يسير بسيط على حدث ظاهر ، ولكن الأصول النفسانية التي صدر عنها هذا الحدث ليست في هذا اليسر ولا في تلك البساطة ، وهي على الأغلب تتركب من أكثر من أصل واحد . وفي هذا المثل يستطيع المفكر أن يتبين أصلين باطنيين على الأقل ، هما قلة الخوف المطلق والحنو المطلق كذلك . وهذان الأصلان قد يدخلان في تركيب خلق لا يراه العرف حميداً . فالخوف المطلق قد يجتمع الى أصل آخر فيكون تهوراً . والحنو المطلق قد يجتمع الى أصل آخر فيخلقان جبنا . كالأيدروجين يأتلف بالاكسجين فيكون منهما ماء سائغ ، أو هو يأتلف بالكبريت فيكون منه ما تغلق دونه الأنوف تقززاً

على أن هذه الاصول النفسانية تتألف من حيث نشأتها ومادتها من أصول أبسط ، تردّ بدورها الى أخرى أكثر بساطة هي الغرائز الانسانية الاولى . وهذه الغرائز تولد مع الانسان

يولد الانسان بهذه الغرائز وهي أشبه ما تكون بغريزة الحيوان ، ثم تتفاعل هذه الغرائز مع البيئة التي بها الطفل فتزيد وتقل ، وتقوى وتضعف ، وتتغير وتتحور ، وينشأ منهما عادات مركبة مجملة لا تتبين فيها كيف نشأت ، ولا من أي العناصر تركبت . وتزيد هذه العادات الباطنية تعقداً بتفتح ذكاء الطفل واتساع نطاق بيئته ، وتزيد كذلك عدداً . فهذه هي أصول سلوكه في الحياة . ثم

تتيقظ فيه انسانيته السامية بالتعلم ومخالطة الناس فتأخذ المُثُل تتكون فيه فتكون هي الهدف الذى يرمى اليه فى سلوكه وتخلقه . والعلم Science من الأمور التى تؤثر فى هذه العادات وهذه المثل تأثيراً كبيراً

ويدخل فى نطاق هذه العادات كثير مما يسميه الناس خلقا . فالصدق المطلق عادة ، والغضب عادة ، واليأس عادة ، والامانة عادة ، والصبر عادة

ويتضح أثر العلم فى تكوين هذه العادات وهذه المثل من تفهم الطرق العلمية وشروط النجاح فيها . ولنبدأ بابانة أثره فى العادات ثم نعقب بأثره فى المثل

ولنضرب لذلك مثلا عالما كيمياويا يأخذ فى درس مسألة علمية ، وهى تختص بتطبيع طائفة من المواد وتخلقها ، وهى مواد لم يسبق لها فى الكون وجود ، فهى من تصورات العالم ، دله عليها وعلى أنها ممكنة الوجود ما عرفه من طبائع العناصر والأجسام عند تفاعلها . فهذا العالم أول ما يفعل أن يرجع الى مراجع كثيرة بها الآلاف المؤلفة من الاجسام ، مما صنعته الطبيعة ومما صنعه الانسان، يبحث عن مواده عسى أن يكون قد سبقته الطبيعة الى خلقها ، أو الانسان الى صناعتها . فان كان ، هان الأمر . وأغلب الظن أن لا يكون . فيبدأ يتجهز ويقضى الاسابيع والاشهر لتحضيرها وخلقها مما خلق الله . فهذه الخطوة الاولى من البحث لا بد فيها من الحذر واليقظة والا ضاع على الباحث جهد كبير وزمن طويل فى استنباط طرق للتحضير سبقه اليها السابقون . فاذا تكررت البحوث تكرر الحذر واليقظة حتى يصبحا في الباحث خلقا يصحبه دائما فى نطاق العمل وفى نطاق الحياة الاخرى .

وهو فى استنباطه الطرق لتجهيز مواده الجديدة يرجع الى الخزانة التى فى رأسه ، وبها محصول كبير مما حصل من القراءة وما حصل من التجربة ، فهو يستعرض مافيها شيئا فشيئا ليتخير أقرب الاشياء الى شيئه ، ويشابه بين الطرائق ويقارن بينها لينتخب منها أشبهها بطريقته . وهو فى هذا يمتحن قواعد عامة ليأخذ منها ما يصلح لحالة خاصة ، فلا بد له فى هذا من التمييز بين ظرف أصيل وظرف دخيل ، وبين سبب رابط وأسباب غير روابط ، ونتيجة عارضة ونتائج غير عوارض ، واختصاراً يعمل كل قوات الفكر مما يعمله الناس فى الحياة ، ولكن فى موضوع اكثر تحدداً ، وبأسلوب اكثر تركزاً . ولن يجد الباحث فى غير العلوم الطبيعية مجالا أوفق لرياضة الفكر كهذه المجالات ، ولا رياضة أملك لما ترتاض فيه من هذه الرياضات ، ذلك لأنها تعمل فى الماديات ، فى أصولها الأولى حيث قوانين الخلق أظهر وأنماط الطبيعة أعرى

ثم اذا استقر الكيمياوى الى طريقته على الورق وفى الخيال ، وقف أمام منضدته يستنفق الزجاج والنار والبخار فيها . فيعمل الأيام والايام فلا يخرج بشىء . ثم هو يعيد الكرة ، المرة بعد المرة ، والطبيعة تأبى أن تخلق له الجسم الذى طلب . ما خطبها ؟ ما سببها ؟ وهو إنما جرى على الأسلوب الذى تجرى عليه الطبيعة فى خلقها أشباه هذه الأجسام ؟ فان كان صاحبنا ناشئاً فى العلم حديثا أطفأ

ناره ، وأسكت بخاره ، وطوى صحيفته . ثم يجيئه راع أقدم في الرعاية وأعرف بالمسالك فيغمزه غمزة ، أو يلقي اليه بقليل فكرة . فاذا باليأس يضيق ، واذا بالأمل يتسع ، فيقوم يغير بعض الشيء من عمليته الاولى ، ويعمل اليوم بعد اليوم ، ويعمل الاسبوع بعد الاسبوع ، ثم تهل عليه النتيجة فاذا به يحصل من مادته على نصف جرام وكان قد رجا أن تكون خمسمائة جرام . فلا يعتريه منها اليأس كله ، ولو أنه يقرن ما بذل بالذي حصل فيكاد يعود الى حالته الاولى . ولكنه عرف من بذل الطبيعة بعد بخلها أن المسألة مسألة مصابرة ، أو لعله يتبين ذلك ولا يكاد يؤمن به . ثم يأخذ يفكر في أن التفاعل الذي أنشأ هذه المادة لا بد وقع ، فلولا وقوعه ما نتجت المادة ولو نصف جرام منها . اذن فالطبيعة لم تخالف سجيتها ، وانما هو الذي لم يفهم سجاياها كلها . ثم يأخذ يدرس ظروف التجربة فيزيد من هذا الظرف ، وينقص من هذا الظرف على ذلك يصادف عند الطبيعة هوى . ويظل يجرب ثم يجرب الاسابيع فالاشهر حتى يحصل على مائة جرام بعد نصف جرام . عندئذ يؤمن بأن النجح لمن صبر ، لايؤمن به من الكتب ، ولا من موضوعات الانشاء يكتبها في المدرسة ، ولكن يؤمن به من اسوداد الدنيا في عينيه مائة مرة ، ومن الخيبة تحز في السويداء من قلبه مائة حزة ، وهي حزات عميقة تترك بعد التئامها أخاديد دائمة الوجود يحملها معه في الحياة كيف دار وأينما طلع

حصل على مائة جرام بعد نصف جرام ، ولكنه حصل على مائة وكان قد أمل خمسمائة . درس آخر تلقيه التجربة على من وعى : ان النظريات تؤدي نتائجها على الاوراق مائة في المائة ، ولكن تطبيقها لا يؤدي الا الى بعض هذا ، وأن المرء لا بد أن يرضى بهذا البعض ، بل خير من هذا أن لا يؤمل فوق هذا البعض ، فان جاوز الخمسين في المائة في أي أمر كان ، عد نفسه مبخوتا

تذكرني هذه الخيبة التي لابد منها لكل باحث في العلم يوم في بلد أجنبي ، كان من سنوات بعيدة ، إذ كنت قائما الى جهاز فيه دورق كبير يسع خمسة ألتار ، وضعت فيه مادة أغليها بأخرى ، وكنت صرفت في هذه المادة أسابيع أحضرها ، ثم ذهبت من العمل الى ركن غير بعيد ، فما كدت أصله حتى سمعت طقة ، فتلفت وهرعت الى الجهاز فاذا بالدورق انفتح بطنه وانكب حشوه . فوقفت دقيقتين جامداً عنده لا أفوه بكلمة ولا يظهر على ملامحي غضب ، وفي نفسي من الغيظ المكبوت ما لو أسلمت له القياد لأعمى يدي على بقية الجهاز تكسيراً وتحطيما . وكان بجواري رجل كيمياوي يبحث أيضا ، جاء من استراليا ، من بلاد يجري السب واللعن الى ألسنتها جريان الماء الى منحدره . فنظر الي في صمتي وقال : « سب شيئا ، والعن بعض اللعن ، ونفس عن صدرك ، أم أنتم معشر المصريين خلت لغتكم من ألفاظ اللعن والسباب ؟ » فقلت له بعد هنيهة : « لا ، ففي لغتنا من السباب ما لو تلاحق لاعجزك ، مع اعترافي لكم بالتبرز فيه ، ولكن ليس هذا أول دورق طق ولن يكون آخر دورق يطق ، علمتني الكيمياء هذا فوطنت النفس عليه »

والحق أنه ما أزمتني بعد ذلك في الحياة أزمة ، أو حزبتني فيها حازبة ، إلا وتصورت الدورق فيها ينطق ، فان فعل فأمر توقعناه ، وان لم يفعل فمخرج يسره لنا الله لحمدناه

ودرس آخر ، أفادنيه هذا الاسترالي الصبي ، أو أفاده نفسه . جهز بعض المواد ليقارن بين خواصها ليعزز رأيا للعلماء فيها . وكان لا بد لمقارنتها من تحليلها لمعرفة نسب العناصر فيها . وحلل الطائفة الأولى منها فجاءت نتائجها على هواه . ثم حلل طائفة أخرى فأخذت نتائجها تخذله . ولكنه كان مفتتنا بالنظرية التي يعمل لنصرها ، وكان يطلب النجاح السريع لحاجة ملحة في نفسه ، فزعم أن الخطأ في هذه النتائج نشأ من سوء اجراء تجارب التحليل ، وبما أنها قريبة مما طلب ، فلا جناح عليه أن يستبدلها بجرة من قلمه بأرقام أقرب منها . ثم جاء على طائفة ثالثة مما حضر ، فخرج من تحليلها على أرقام لايمكن اقامة المعوج فيها بالقلم والدواة ، فماذا يصنع بها ؟ والوقت قد أزف ؟ وموعد التقدم لنيل الدرجة قد حان ؟ اذن لا سبيل الا الى طبخ أرقامها طبخا لتأتلف بالذي أمله . وسول له الشيطان فكان ما كان . وكان بيني وبينه مادة مشتركة أخرجت لي من النتيجة غير ما أخرجت له ، أو غير ما زعم أنها أخرجت له . ولما علم بذلك فاعنى في أمرها ، وتتطرق الحديث الى أمر المواد كلها فداخلتني الريبة فيه وفيها . وكنت أعلم أنه ينوي الاقامة في انجلترا ليتابع بحوثه ، فنصحته أن يعيد كل الذي فعل بعد تنقية مواده تنقية لا تترك بها أضأل شائبة ، ثم ينسى النظرية التي يناصرها نسيانا كاملا شاملا ، ثم يأخذ في تحليل المواد راضيا بحكم الطبيعة ولو ساءه . ثم ذكرت له ما سيكون من متابعته البحوث بعد الدرجة ، وأن الطبيعة ان احتملت أن يغير باحث نتائجها على الورق بعض حين فهي لا تحتمل ذلك طويلا . وأن الطبيعة لها لسان صادق يجيب بالحق كل من سأل ، فاذا جاءت أكذوبة من بعد أكذوبة ، فشاعت الريبة ، فلن يعدم باحث أن يرجع الى الطبيعة يستنطق لسانها . فماذا يكون من حالك عند ذلك !

ولم يكن صاحبنا قد انجمد طبعه على الكذب ألفة له ، وانما زاد تحرقه على النجح السريع وشاقه الأمل القريب فألقى على قلبه غشاوة ، فانصاع . ووصل ليله بنهاره يعيد الكرة فيما صنع ، ويتقبل كلمة الطبيعة كما تنطق بها ، فخرج آخر الأمر على نتائج متوافقة فيما بينها ، متخالفة في كثير مع النظرية التي اعتنقها ، أو التي اعتنقها استاذه . فكان في هذا التخالف أنجح عند الامتحان فيما أمله منه

فالصدق والأمانة لا بد منهما لكل عالم تجريبي . والكذب ان أنجح حينا فهو يخذل من بعد ذلك طول الدهر . كذلك التعصب ليس من شيم العلماء ، فهم ان أحبوا قصدوا ، وإن كرهوا قصدوا ، ولا يغريهم حب مهما حلا أن يناصروا حبيبا مهما عز على باطل ، ولا يغريهم بغض مهما غلا أن ينازعوا خصما في حق . أو هكذا يجب أن يكون العلماء . فالطبيعة آخر الأمر لا تنصر الا الحق شايعه حبيب أو خصيم

هذه بعض سجايا العلماء مما يكتسبونه من ممارسة العلم . وهناك أخرى . ولا يحسبن حاسب أن العلماء كلهم على هذه السجايا ، فممارسة العلم لا تكون إلا بعد أن ينشأ ممارسه ويشب وتجمد أخلاقه بعض الجمود . فالذى يحدث فى الاغلب هو صراع بين عادات كسبها ممارس العلم من بيئته ، وعادات يكسبها إياه العلم بممارسته ، فهما قوتان متنازعتان ، فالغلبة لاقواهما . لذلك تجد من العلماء قوما يتحلون بكل السمات التى يتسم العلم بها على أحسن ما يشتهى القلب ، وتجد آخرين لاتتراءى فيهم هذه السمات إلا ضئيلة ، أوتتراءى فيهم سمات للشر بارزة بينة . وبعض هؤلاء لو لم يمارسوا العلم لكانوا من المجرمين . فأثر العلم فيهم أثر تلطيف ، ومغبته عليهم مغبة تخفيف

ومن الاخلاق مالا يتناوله التدريب العلمى بقليل أو كثير ، اللهم إلا مسا من بعيد . لذلك كان من العلماء سكيرون ، وكان منهم دساسون ، وكان منهم من جرى فى حياته وراء الرائجة ، ونافق وراء النافقة ، فلما كسدت ولىَّ عن كاسبة الأمس الى كاسبة اليوم

وانى لأعرف من العلماء من هاتروا للنكاية بخصمائهم من العلماء . وأعرف منهم من اشتهوا فسرقوا نسوة أصدقائهم من العلماء ، فتجربة المعمل لن تعلم عفة الفرج ، والامانة فى الارقام لن تعلم الامانة فى الارحام

فهذا ما أفاده العلماء لذواتهم من ممارسة العلم

أما الناس أجمع ، من علماء وغير علماء ، من مارسوا العلم ومن لم يمارسوه منهم ، فقد أفادوا من العلم الشىء الكثير . ولست أشير بذلك الى ما أصابوه من مدنية وحاجات مادية ، ولكن أريد أن العلم بما طلع عليهم به من نتائجه ، وبما أشاعه فيهم من طرائقه ، قد أثر فى نظراتهم ، وغير من معتقداتهم ، فتكوَّنت فيهم مُثُل للحياة تخالف المثل الاولى . ثم أصبحت هذه المثل مرماهم ، فغيرت من سلوكهم وتطبعهم فى حقير الامر وجليله

على ان هذا الشطر من الوضوع شطر يطول ، فلعل فى هذه الاشارة السانحة اليه غناء

احمد زكى

تاريخ العرب[1]

للاستاذ فليب حتي

أصبحت جامعة برنستون بين الجامعات الاميركية مثابة البحث فى تاريخ العرب وحضارتهم ، بفضل نخبة من الباحثين المجيدين يتقدمهم المؤرخ الكبير الدكتور « فليب حتى » أستاذ الآداب السامية فيها . فهو محور حركة الدراسات الاسلامية والعربية بما يلقيه من دروس ، ومايصدره من بحوث قيمة ، وما ينقله الى الانجليزية من أمهات الكتب العربية

وللاستاذ « حتى » تاريخ علمى حافل ، فقد قضى السنين أستاذاً فى جامعات بيروت وكولومبيا وبرنستون ، عا كفا دائبا على بحث التاريخ الاسلامى على ضوء الآراء العلمية الجديدة ، فانتهى فيه الى نتائج قيمة لم يسبق اليها . فمن ذلك بحثه المبتكر عن تفسير التاريخ الاسلامى تفسيراً اقتصادياً ، وكتابه القيم عن اللغات السامية الجارية فى سورية وفلسطين ، وله رسائل جمة فى كثير من المجلات العلمية عالج فيها تاريخنا القديم بأساليب علمية جديدة . واشترك فى تحرير دائرة معارف العلوم الاجتماعية فى أمريكا . وترجم الى الانجليزية سفرين كبيرين : اسامة بن منقذ ، وفتوح البلدان للبلاذرى . ومن جهوده العلمية الموفقة انشاء « دائرة العلوم العربية والاسلامية » فى جامعة برنستون ، التى تفتح صيفاً فيفد اليها كثير من الطلاب والاساتذة يدرسون الادب العربي والتاريخ الاسلامي دراسة علمية جديدة . وهى تشرف على اصدار كثير من البحوث القيمة ، وترجمة كثير من الآثار العربية ، وتمنح طلابها البارزين الدرجات العلمية العالية

وقد أصدر الدكتور فليب حتى أخيراً سفراً عن « تاريخ العرب » ضمنه خلاصة جهوده العلميـة ، فجاء ـ كما قالت جريدة المورننج بوست ـ « أثراً باذخاً من البحث الدقيق والدراسة الدائبة » . ولهذا فلن يبلغ جهد القلم فى هذا المقال الوجيز أن يتحدث عنه فى وفاء وشمول ، وحسبه أن يعرض نواحيه عرضا سريعا . يتناول الكتاب تاريخ العرب كله ، أى منذ العهد الجاهلى الى نهاية حكم المماليك ، ويقسم هذا التاريخ خمسة أقسام تتناول : ما قبل الاسلام ، قيام الاسلام وحكومة الخلفاء ، الامبراطوريتين الاموية والعباسية ، العرب فى اسبانيا وصقلية ، الدول الاسلامية الأخيرة

والكتاب كله على نسق واحد من الدقة والشمول ، الا أن القسم الأول قد يمتاز على سواه ، إذ يتناول ناحية غامضة مجهولة الى حد كبير . ذلك أن المؤرخين القدماء لم يعرضوا لتاريخ الجاهلية الا لماما ، ولا يتجاوز من عنى برواية أشتات من أخبارها خمسة أو ستة من المؤرخين ، إذ استأثر تاريخ الاسلام بجهودهم كلها . أما المؤرخون الحديثون فلم تتيسر لهم وسائل البحث والتقصى ، إذ

---

(1) History of the Arabs by Prof. Philip Hitti

أن طبيعة بلاد العرب تستعصى على أساليب الحفر والتنقيب ، فكان أكثر ما كتب عنها لا يتعدى أحاديث الرحالة والمغامرين فى فيافيها ، وهى كتابات لا تغنى العالم الباحث كثيراً . لهذا واجه الاستاذ حتى صعابا جمة فى تاريخ هذه الحقبة ، ولكنه استطاع أن يلم أشتات الموضوع ، وأن يجيب عن كثير من الأسئلة التى تعرض للباحث ، وأن يبين على الأخص أثر الجاهلية فى نشأة الاسلام وتطور تاريخه . وكذلك أوضح علاقة الدول العربية فى الجاهلية بشتى الدول المحيطة بها . ومن أجمل فصول هذا القسم ما كتبه عن « الحياة البدوية » ففيه اجتمع بحث المؤرخ وأسلوب الأديب معاً

أما بحثه عن نشأة الاسلام وصدره فبحث العالم الذى لا يتجنى ولا يغالى . وهو بهذا يمتاز على بحوث اكثر المستشرقين واكثر المؤرخين القدماء . فكثير من أولئك يقدمون على الحديث عن دين الاسلام ورسوله وخلفائه وعقولهم ملأى بآراء خاطئة وقلوبهم زاخرة بنزعات مغرضة . وكثير من هؤلاء انما يقصدون من تاريخهم التمجيد والتعظيم والاكبار ، ولو أدى هذا الى اغفال بعض الحقائق أحيانا . ولا شك أن ما كتبه الاستاذ حتى عن الاسلام ورسوله يرضى المسلم كل الارضاء لا لأنه تحزب وحابى بل لأنه توخى وجه الحق الذى ينصف هذا الدين القويم ورسوله الكريم .
وقد تحدث فى هذا الجزء عن الفتوح الاسلامية ، وأساليب الحكم فى البلاد المفتوحة ، وأبان أثر العامل الاقتصادى فى تشييد الامبراطورية الاسلامية ، دون أن ينكر أثر الروح الدينى الذى بثه الاسلام

وفى حديثه عن الدولة الأموية والعباسية عنى ببيان الحياة الاجتماعية والحياة الفكرية ، الى جانب النظام السياسى وأنباء الخلفاء . وهناك نقط لم يأت فيها بجديد عما تردده كتب التاريخ ، ولكن سياق روايته وتنسيق حديثه يضفى على هذه النقط روح التجديد والابتكار . وهو يعنى بتناول شتى نواحى الموضوع ، ويعرض كل الآراء المتناقضة فيها ، ويستخلص منها الرأى السديد مدعماً بأدلة قوية مقنعة . وقد عنى فى حديثه عن اسبانيا وصقلية ، ثم عن الدول الاسلامية فى مصر ، باجمال الحياة السياسية وما انتابها من أحداث وانقسامات ، ثم بعرض أساليب الحياة الاجتماعية والفكرية ، وما بلغته النهضة الفنية من رقى فى هذه العصور المترفة الرخية . وعنى خلال ذلك ببيان العوامل الخفية التى كانت تدب فى أنحاء المجتمع حينذاك فتمهد السبل لاضعافه شيئا فشيئا

هذه اجمالة وجيزة عن هذا الكتاب الحافل الذى شمل تاريخ العرب الطويل ، وألم بالحضارة الاسلامية الباذخة من جميع الوجهات ، ومع هذا فلن تجد فيه كلمة واحدة ألقيت جزافا ، وانما بعد درس وبحث ، وبعد تدقيق وتمحيص دأب عليه المؤلف السنين الطويلة عاكفا على مجموعات من الأسفار الشرقية والغربية القديمة والحديثة

على ان الكتاب لا يمتاز بدقته وعمقه ووفائه فحسب ، بل كذلك بأسلوبه الشائق فى العرض والتنسيق والاجمال : فهو مرجع علمى يأخذ منه المؤرخ ويعتمد عليه ، وهو أثر ادبى يشوق كل امرىء ان يقرأه ، وان يستعيد قراءته مرة بعد مرة

« ح . غ »

سجل الأيام

عرض عام لشئون الشرق العربى وأحداث السياسة العالمية

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

(١) شئوننا الداخلية

لم يبدأ البرلمان حتى كتابة هذه السطور بالسيطرة على شئون الدولة التشريعية، ببحث ما تعرضه عليه الحكومة مما اعتزمته من تقنين وفقا لما جاء فى خطاب العرش — على أنه لا يلبث ان يبدأ فى ذلك عما قريب . ولا يخفى أن خطاب العرش خطة الحكومة فى سنتها الحالية، مقيدة بها ملزمة بتنفيذ ما جاء فيه جهدها

المسألة المالية

ولعل أبرز ما فى الخطاب وأشده أثراً فى حياتنا الاجتماعية — ونحن فى بدء عصر جديد — الامور المالية

فعلى الأمة المصرية واجب تقتضيه المعاهدة مع الحليفة انجلترا، وواجب آخر يقتضيه مركزها الدولى . وقوام كل ذلك تدبير المال واتقان انفاقه

ولسنا هنا فى مقام التفصيل، فحسبنا المبادىء وهذه واضحة فى خطاب العرش، تنم عن نظر صحيح للامور

فانه من السهل على الحكومة — وقد أطلقت يدها فى فرض الضرائب، أن تسرع بتضخيم الميزانية بزيادة الضرائب، والمجال فى ذلك واسع هين . ولكنا نعيذها من ذلك

فالمهارة المالية ليست فى فرض الضرائب، بل فى تجنبها إلا اذا لم يكن عن ذلك محيص

السياسة المالية الرشيدة تقوم على ضغط النفقات . ضغطها ضغطا شديداً محكما لاهوادة فيه ولا هوى — فالاسراف فى الحكومات شر يفوق شر الاسراف فى الأفراد . وهذا ميدان فسيح فى ميزانيتنا لم تقو عليها الحكومات السابقة حتى الآن . فعسى أن يكون تنفيذه من نصيب حكومة شعبية تستند الى أكثرية برلمانية تؤيدها أكثرية الأمة

ولا نشك فى صعوبة الأمر، ولكنا نراها صعوبة حكمتها فينا التقاليد، وبدعة الحق للمكتسب

يتغلب عليها عزم صادق على جعل أبناء هذه الأمة سواسية متضامنين ، لا ينعم فريق منها على حساب فريق ، ولا يشقى فريق ويذل ويجوع ليشبع فريقا غارقا فى أنانيته

فاذا بلغ القصد فى الانفاق مداه بذلنا الهمة فى توزيع الضرائب توزيعا عادلا لا يرهق المنتجين ولا ينفر المتمولين ، بل يديم الثقة بمقدرة البلاد المالية والاقتصادية . عند ذاك نضمن للبلاد دفاعا وطنيا متين الأساس ، ونؤدى قسطنا فيما ألقته علينا المعاهدة من اعباء ، وما ذاك على وزير ماليتنا بعزيز

***

التعليم

ولقد جاء خطاب العرش حافلا بما اعتزمته الحكومة فى أمور التعليم

وكان من طالع السعد أن اشتد ساعد الوزارة برجل فى ابان الشباب ، نثرت مصر كنانتها فلقيت فيه عبقريا جمع الى صواب الرأى سداد التنفيذ

ولو كانت الاقوال محكا للرجال لملأنا صفحات من خطب هذا الوزير فى مختلف شئون التربية والتعليم ، وفى شتى أبواب الادارة . ولكن العبرة بالاعمال

فقد كلف وهو بعيد عن الوزارة فوضع تقريراً عن مجلس بلدية الاسكندرية،اذا قرأته عرفت ماهو عليه هذا الرجل من تفكير عميق وتطبيق عملى موفق ، فانه مصر مجلسا مختلطا ، وأعلى الجانب الوطنى فى لباقة وحزم ، قبل أن يفكر أولو الامر بالمعاهدة أو بمؤتمر مونترو

ثم ما كاد يطأ اعتاب وزارة المعارف فى وزارة نسيم باشا حتى وضع تقريراً آخر عن مناهج الدروس الثانوية والعالية ، سيظل دستوراً لما يجب أن يكون عليه التعليم فى مصر

وقد علم القارىء أننا نشير الى الهلالى بك

ولو كنا فى مقام اطراء للوزير احمد نجيب الهلالى بك لقلنا إنه الرجل الكفء ، سواء أكان وزيراً للمعارف أم وزيراً لأى وزارة أخرى

ولكنه نيطت به وزارة عرفها وعرفته ، فصار يحق للامة المتعطشة الى التعليم أن تنام ملء جفونها ، فهى بين يدى طبيب يعرف الداء ويعرف الدواء ، ويعرف أن يعطى بمقدار ويعرف أن يمنع بمقدار . فمشكلة التعليم واخراج جيوش المتعلمين فى كل سنة والقذف بهم عاطلين فى أحضان الأمة ، لمشكلة عالمية أولا ، ومصرية فيما يتعلق بنا ثانيا

***

التشريع للعمال

ولعل العناية بالعمال والتشريع للعمال من أعقد مسائل هذا الزمن . تعالجها أوربا وأميركا منذ سنين موفقين ومخطئين

وكان من نعم الله علينا ان لم يكن عندنا مشكلة عمال ، فمصر بلد زراعى قبل كل شىء

ولكن الصناعة سيدة العالم الآن ، وقد أخذنا منها قسطا ضئيلا لا يلبث أن ينمو ويزيد على مر الزمن

فهل نتعلم من اختبار غيرنا ، أم نقيس قانونا على قانون ونأخذ منه ما نشاء نصوصا مقننة قد يطرب لها صاحب النظريات ، ولكنها تسيء الى العمال ولكل من له صلة بهم عند التطبيق . هل تستهوينا مبادىء نشأت فى ظل تحكم الصناعة فتنسينا بعد ما بيننا وبين قوم تسيطر فيهم هذه الحاكة الجديدة ؟

اننا نعوذ برجال التشريع فينا من أمرين . أن ننسى اننا أمة زراعية فلا نطمع الزارع فى هجر حقله الى المدينة تستهويه الاجور والراحة ، وأن نقحم السياسة على الشؤون العمالية

فانجلترا سيدة البلدان الصناعية منذ قرنين لم يشتد فيها ساعد العمال لتناول السياسة إلا بعد تربية وتحضير طال أمدهما ، وبعد مران خاب مراراً فى الماضى وهو لم يتجح النجاح المنظور حتى الآن

وضع الشىء فى محله آية الآيات فى التشريع . وسنعود الى بحث هذا الامر الهام عندما يطرح أمام البرلمان

(٢) العالم الخارجى

لقد أصبحنا وليس فى الواقع من عالم داخلى وعالم خارجى . فارتباط أجزاء العالم بعضها ببعض جعل البشرية كلها متضامنة فى السراء والضراء

لذلك كان اهتمامنا بما يدور حولنا من قريب أو بعيد أمراً لابد منه . تدفعنا اليه المنفعة وتربطنا به روابط الاسرة العالمية

حوادث اسبانيا

ولعل لنا فى اسبانيا آيات للدارسين فقد بدأت المشكلة الاسبانية نزاعا بين حزبين يدين أحدهما بالشيوعية والآخر بالفاشية . ثم انقلبت حربا أهلية ، واذا بالمطامع الدولية تلعب بها تارة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال ، فأصبحت ناراً وقودها هذه الجماهير الاسبانية يقودها الزعماء الى الهلاك ، واعدين أو موعدين . ويقود الجميع مآرب . يتجاذبها طموع موسولينى وسيطرة انجلترا . فاذا جردنا المعضلة الاسبانية من حواشيها وما يقحم عليها من وقائع تدور هنا وهناك نراها برزت لنا تحديا قذف به الدوتشى فى وجه انجلترا عساه أن يزحزحها عن السيادة فى البحر المتوسط ويعيد الامبراطورية الرومانية سيرتها الاولى

فقد كانت اسبانيا جزءاً من امبراطورية الرومان يحكمها قناصلهم حكمهم بلاد الغال وشمال افريقيا وآسيا ، وكانت تكأة لهم جهزوا فيها أساطيلهم وعبأوا جيوشهم ففتحوا انجلترا واسكوتلندا واعادوا تدويخهما كلما حاولوا التخلص من النير الرومانى . وقد لايعلم الكثيرون أن قسطنطين صاحب الدولة الشرقية جىء به امبراطوراً على رومة من ولايته على انجلترا

وداول الله الايام بين الناس . فانحلت الامبراطورية الرومانية وتنازع أمراء الدين والدنيا الحكم على اسبانيا مقاطعات ودويلات

وجاء ابن طارق فاتحا فتم له الامر وأقام المسلمون فى اسبانيا ملكا واسعا شامخ الذرى حكموا أساسه فلبث بضع قرون

(وداول الله الايام بين الناس) وعاد الى الاسبان عزهم بعد أن ذلوا وهانوا ، فملكوا العالم الجديد أو كادوا ، وتسلطوا على جزء غير صغير من أوربا فكانت ايطاليا تابعة لهم يتحكمون فى رقاب أهلها تحكمهم فيما هو الآن البلجيك وهولاندا ، وملأوا الارض جيوشا والبحار سفينا

(وداول الله الايام بين الناس) فغلبت الارمادا على أمرها وبدأ نجم انجلترا يلمع حتى قضت على ما بقى من السيادة الاسبانية فى وقعة « الطرف الأغر » ، واستنزرت بجبل طارق

وتمر بنا الأيام فاذا بموسولينى يحلم أحلاماً ويرى رؤى ، وإذا بكثير من الأحلام يتحقق ، فقد جعل ايطاليا اليوم غير ما كانت عليه بالأمس . سلحها فى البر والجو والبحر بينما انجلترا تخطب فى جامعة الأمم تحث العالم على نزع السلاح وتضرب لهم قدوة حسنة . وسواء أكان عملها هذا رياء أو عجزا فقد رآها حاكم ايطاليا الجديدة فرصة سانحة اقتنصها وأحكم خطته وشحن سلاحه وصار حاكم الحبشة أيضا . فأصبح الأمر جداً وصارت المسألة الاسبانية تحديا ظاهراً للسيادة البحرية الانجليزية

على أن التكهن بالنجاح لهذه الدولة أو تلك ضرب من الخيال

لا تتم السيادة الا بعد نصر بحرى مبين

فكما أن معركة نافارين قضت على سيادة تركيا فى البحر المتوسط ، وكما أن فوز الانجليز على الارمادا الاسبانية قضى على السيادة الاسبانية

وكما أن فوز الانجليز فى ترافلجار وأبى قير ثبت هذه السيادة وكاد يؤبدها

وكما أن فوز اليابان فى وقعة تاسوشيما قضى على الروسيا وكان بدء السيادة اليابانية فى الباسيفيكى

كذلك كان فى الماضى ، وهكذا يكون فى المستقبل ، السيادة لمن يفوز والسلطة لمن يقهرخصمه والى أن تأتى تلك الساعة لا يزال الانجليز محتفظين بما ملكت يداهم

***

اليابان والصين

ويمتد أفقنا السياسى الحربى فاذا بنا فى الشرق البعيد واليابانيون يعملون سلاحهم فى رقاب الصين يقتلون رجالهم وييتمون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، بغية الفتح واقتناصا للفرصة السانحة

ويقولون لليابان : نكثت بالمواثيق ولم تف بالعقود ، فتقول : وما تاريخ البشرية الا حكاية مواثيق تنقض ومعاهدات تمزق ويبقى الفوز للمصلحة التاريخية الكبرى ولصاحب الساعد القوى

ويحاجونها باعتراف منها على أن تحترم استقلال الصين وتبقى أبوابها مفتوحة للجميع ، فتقول هذه أضحوكة لا تستهوينى

فالباب المفتوح كلة ظاهرها عدل وباطنها ظلم . فاذا حسبنا الامر سلعة يفوز بها أكثر الناس مالا كان النجاح نصيب الغنى القدير

وأميركا بما لها من عدة طبيعية تستأثر بالصين كلها إن تركنا الباب مفتوحا يتساوى فيه الجميع

وليس هذا من العدل فى شىء ان هو الا قول ملؤه رياء يقصد به خداع الجماهير بالكلمات الحلوة والجمل الرنانة . والا لكان شأننا شأن حلبة يتسابق فيها الخيل ، فنترك لكل فرس قياده لا نقيده بقيد ولا ننظر الى سنه ووزنه ومقدرته الطبيعية ، وما هكذا يفعل الناس

أما الاستقلال فلفظة تحتمل كثيراً من التفسير والتعليل . وأنا بنت الشمس المشرقة قد تخرجت فى مدارس الغرب وحفظت تعاليمهم . ان قالت انجلترا انى فتحت الهند لأمدنها أقول وهذا ما أنا فاعلة ، أو لتتمتع بخيراتها قلت وهذا ما أنا فاعلة . وأحرى بى وأنا على قاب قوسين ـ من الصين ـ أن أتولى أمورها من انجلترا فى الهند وهى على ابعاد هذا مقدارها

على أن لا مندوحة لرجال السياسة (ولنسائها بعد ان دخلن الحلبة) أن يدركوا أولية يتغاضون عنها ، اذ تحجب الكبرياء والاعتبارات القومية ما بينهم وبين الحقيقة . وهى أن الفتح والاستعمار كان نتيجة محتمة لتوسع قوم قد ضاقت بهم بلادهم وجاعوا . والعالم ـ كما يبدو لنا الآن ـ مقسوم الى قسمين . قسم اشتمل شعوبا شبعت حتى التخمة ، وقسم احتوى أقواما جاعوا حتى كادوا يهمون بالناس ذات اليمين وذات الشمال علهم يشبعون . قسم قوامه انجلترا وفرنسا وأميركا ، وقسم قوامه اليابان وألمانيا وايطاليا الى ما قبل الحبشة . ذاك امتلأ حوضه ولم يقل قطنى ، وهذا فرغت جعبته فهو يتأهب لالتماس ما يريده قوة واغتصابا حيث لا ينفع السؤال

فان قال الفريق الأول : إننا وصلنا الى ما نحن عليه بعزمنا وقوتنا وذكائنا فلسنا بمتخلين عما ملكت ايماننا ، أجاب الآخر : ونحن أتينا الزمان على هرم فأساء الينا وأنتم أتيتموه يافعا فسركم ، ولكننا ضاقت بنا أرضنا وجعنا وصرنا أصحاب بطش وقوة ، فاما اتفاقا تعدلون فيه ولا تجورون ، واما حربا لا نخسر فيها ما أنتم تخسرون . ولا يخفى أن الاستقرار والسلام والتنعم بالثروة عن طريق التجارة فى مصلحة الغنى الشبعان ، فاذا أراد أن يستمرىء فى مرعاه وجب عليه أن يضحى فى سبيله ، فيصير الاتفاق مع الجائع المتأهب أبقى وأجدى . ولكن العاطفة والكرامة والاعتبارات المعنوية تفعل فى الجماعات أكثر مما تفعل فى الأفراد فيغلب الهوى على التعقل فلا يسلم فريق للآخر بما يريد أو بعض ما يريد فتنشب الحرب ، وقد قالوا عقب الحرب الكبرى إن تلك المقبلة سيكون ميدانها الباسيفيك

فهل تتم النبوءة ؟ وهل أخذت اليابان عدتها فوثقت من انقسام أوربا وضعف انجلترا وعدم اكتمال الرجولة الأميركية ، فاقدمت تفرض على الصين الآن وعلى العالم بعد ذلك حضارة غير التى نعرف ، صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ؟ الجواب فى سر الأقدار ، ومن يعش يره

سامى الجريديني

تطور المخترعات

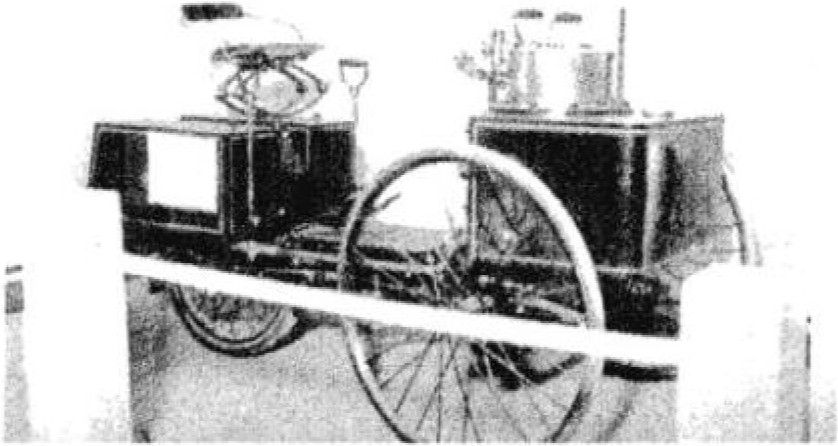
فى معرض باريس الدولى بناء أطلق عليه اسم « قصر الاكتشاف » عرضت فيه نماذج من جميع مااخترعه الانسان قديماً وحديثاً ، من أدوات ساذجة الى أجهزة دقيقة الى آلات ضخمة . وبهذا يرى زائره فى فترة وجيزة جميع درجات التطور التى ارتقاها الانسان منذ أن كان يضرب فى الفيافى ويأوى الى الكهوف، الى أن صار يطير فى أجواز السماء ، ويسبح فى أعماق الماء ، ويرسل صوته من مشرق الأرض الى مغربها فى طرفة عين . وترى هنا صور بعض ما عرض فيه من مخترعات ظهرت فى السنين الأخيرة



أجرى الاستاذ بيكار تجارب كثيرة فى فن بناء المناطيد ، وهذا نموذج لآخر منطاد اخترعه سنة ١٩٣٢ وحجمه ثلث حجم المنطاد

دراجة تسير بالبخار

« بيكليت » ذات ثلاث عجلات ، تدار بالبخار لا بالساقين ، وترى الى الأمام الجهاز البخاري ، والى الخلف المقعد يعلو صندوقين تحمل فيهما الأشياء



تأثير الاحلام في الشعوب الساذجة ــ الفوارق بين الحلم واليقظة ــ
الذاكرة لا تؤتمن على نقل الحلم ــ ما هو النوم ؟ ــ الاحلام في الفلسفة
القديمة ثم في العلم الحديث ــ رأى فرويد في وظيفة الاحلام وأعبثها

الأحلام توجه الإنسان

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

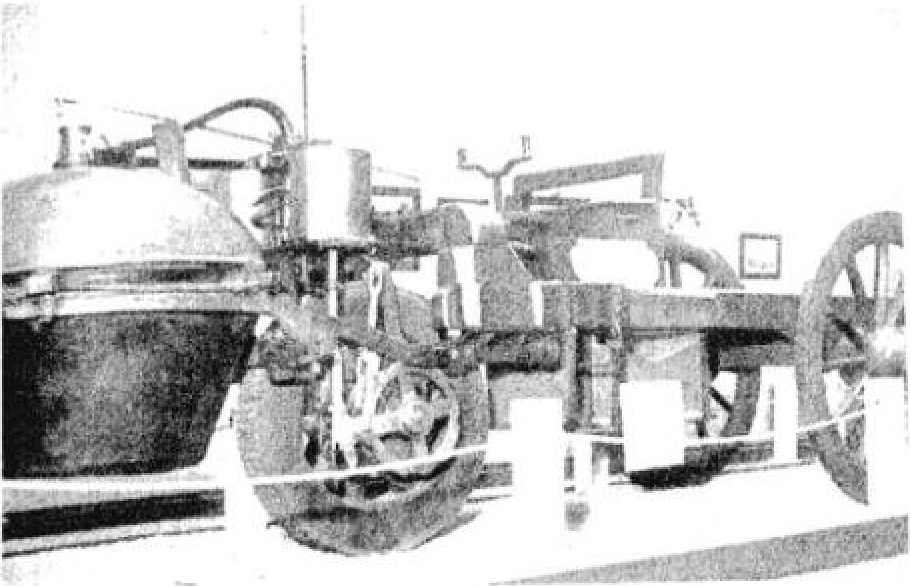
لقد كانت الاحلام شغل الانسانية الشاغل ولا سيما في الاجيال الخالية . ولا غرو أن تشغل بغرابة تآليفها ومفاجأة تصاريفها تلك الاجيال الغريرة المتطلعة وهي في سورة اقبالها على التفكير واجتهادها في كشف الحقائق الفلسفية الكبرى المبثة في الخليقة

على أن هذه الظاهرة اختلفت فيها الافهام . وقد تولاها في كل إقليم رجال الدين وطبقة الكهان ليعبروا بها عن مكنونات الغيب ، فاكتسبوا بهذا بين الناس منزلة العارفين الواصلين القائمين بالوساطة بين العالم الأرضي الطبيعي وبين القوى العليا الخارقة . وقد تحدثت التوراة وتحدث القرآن في مواضع عدة عن أحلام أوحى بها الله وعبر عنها عباده الصالحون . وليس أبلغ في تصديقها والايمان بها من قول ابراهيم عليه السلام لابنه اسماعيل : « انى أرى في المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ » قال : « ياأبت ! افعل ما تؤمر »

ومن الأقوام التي ما زالت على الفطرة من ينظرون الى الاحلام وما يتمثل لهم فيها نظرهم الى حقائق لها وجودها الذاتي كالحقائق الواقعية في حالة اليقظة سواء بسواء . وهم يعتقدون أن روح الحالم تنطلق في النوم في زيارة خلانه وأحبائه الاحياء منهم والأموات ، والاختلاف الى معاهده القديمة ومدارج حياته الأولى ، ومراجعة سوالف أيامه وأخباره ، والتملي بمشاهد منسية ومطالع رائعة ليس له بها عهد ، وما الى ذلك . وكذلك يعتقدون أن أرواح الموتى ومن سواهم من الاحياء تغشى الحالم أيضا زائرة من تلقاء أنفسها أو بارادة أعلى منها . وهذه عندهم أحلام الوحي والانباء ، وهي بسيطة تارة وتارة هي اشارات وإيماء

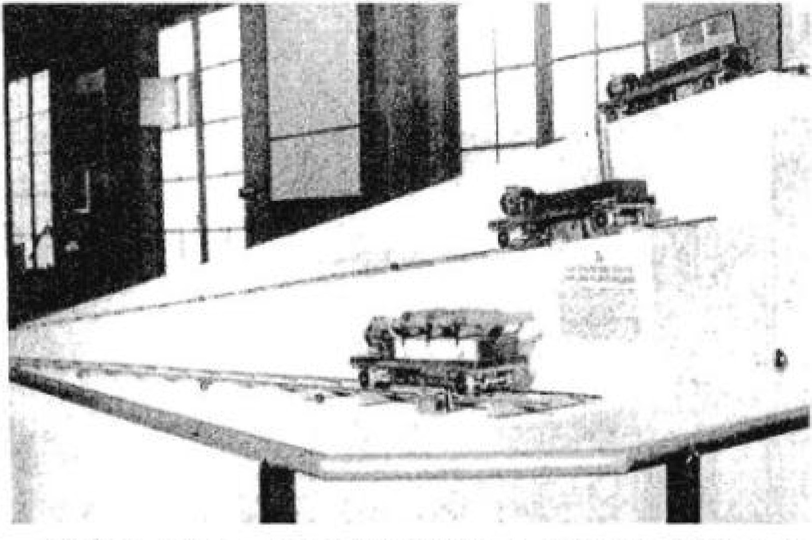
ولا جرم أن يحار الانسان في أمر الاحلام . فنحن نذكر في حال اليقظة ، اننا في أثناء المنام قد أحسسنا أحاسيس وخطرت لنا خواطر من جراء صور أشياء تراءت لنا بالفعل ، حتى اذا صحونا عرفناها أضغاث أحلام . ولكننا كنا بها ــ على الأقل طوال النوم ــ مصدقين مستيقنين

صحيح أننا لا نتردد في التفرقة بين الحلم واليقظة ، واننا نجعل الحقيقة كلها لليقظة ونأباها على



سيارة بخارية

قبل أن تكتشف الكهرباء ظهرت عربات تشبه السيارة الحديثة ، إلا أنها تسير بقوة البخار . وهذه صورة احدى هذه العربات وفي مقدمتها مرجل ضخم وجهاز بخاري . وترى بعض عجلاتها مغطى « بالكاوتشوك »



جهاز يبين بحركة أوماتيكية تنقل الاجسام على السطحات المائلة والمستوية ، ويوضح الفرق بين الحالتين في سرعة تحرك الأجسام . وهو من معروضات « قصر الاكتشاف » والقصد منه شرح القوانين الطبيعية عن مقدار ما يحدثه ميل السطح من السرعة ، وما يترتب على هذا من ادخار بعض القوة الدافعة للجسم

الحلم ، ولايفوتنا أن نحتج لهذا بالحجج الناصعة فنقول فيما نقول مستدلين : (أولا) أن حواسنا فى حال اليقظة فعالة كلها ، متصرفة فى بعضها ، لكل حاسة على الأخرى حكم السيطرة وواجب التلبية وفى هذا الضمان على أن مدركاتها موجودة باقية . (ثانياً) ان مدركاتنا فى اليقظة تنهض شهادة الغير أيضا على صحتها ، وهذا غير حاصل فى الاحلام . (ثالثا) أن متصرفاتنا فى اليقظة تجرى فى سياق مطرد تجعل منها كلا متصلا ، أما فى الاحلام فلا تتابع ولا اطراد بين حلم ليلة وما قبلها أو بعدها . (رابعا) ان اليقظة بخلاف الحلم تسير على سنن منطقية ونواميس اختيارية ثابتة

الا أن هذه التفرقة سواء سلمت من الاعتراض أو لم تسلم فانها لا تكشف لنا السر فى أمر الاحلام ولا تبطل العجب

والصعوبة فى دراسة الحلم آتية من استحالة البحث المباشر ، بطبيعة كوننا لا نملك دراسة الحلم الا فى حال اليقظة . فليس الحلم هو الذى نبحثه بل ذكراه . فنحن انما نعتمد فى وصفه على الذاكرة ، ولا سبيل لنا الى معرفة مدى أمانتها . فماذا يدرينا أنها — وهى خاضعة معنا لغريزة حب الحياة والحرص عليها — لم تعمد الى تحريف الحلم الى الناحية التى تتمناها أو تخشاها ؟ ماذا يدرينا أنها لم تدخل على الحلم شيئا من النظام والمنطق ، وهما فى طبع الانسان وتركيب عقله الواعى ؟ قد يكون الحلم الذى نذكره مفككا مشوشا ، ولكن ما يدرينا لعله كان أكثر تفككا وأشد تخليطا ؟ ولقد يصح ما يقوله البعض من اننا طوال النوم نحلم ! كما أننا طوال اليقظة نفكر ، بدليل اننا كثيراً ما نحلم دون أن نذكر مما رأيناه فى المنام الا بعضه ، وأحيانا يغيب عنا كله حتى لا نذكر من أمره عند الاستيقاظ الا أننا حلمنا . وأبلغ من هذا فى الدلالة أننا فى بعض الأحايين لا نذكر على الاطلاق أننا حلمنا فى ليلتنا مع صدور ألفاظ منا فى أثناء النوم تدل على ما تخلل منامنا ليلتئذ من حلم . فما يدرينا إذن أن ما يؤخذ على طبيعة الحلم من تفكك وعدم اطراد ليس مرجعه الحلم بل الذاكرة ؟ وأنها هى التى لا تعى من الاحلام إلا أشتاتا متفرقة ، ولولا ذلك لعرفنا لعالم الاحلام ما نعرفه لعالم اليقظة من سياق منطق وحياة منتظمة

ويزيد موضوع الحلم صعوبة أن حقيقة النوم من ناحية تركيب الخلقة ووظائف الاعضاء لايزال سراً غامضا . فانه مع ضعف السيطرة فيه على العضلات الارادية نرى البعض يسيرون في أثناء نومهم ويأتون أعمالا بعينها على وجهها الصحيح . كما أن النائم قد يحلم أحيانا بأنه يحلم ، فاذا كانت أحلامه سمادير غريبة الأفانين والأشكال فانه يمضى معها هنيهة متلذذاً متنزها ، واذا كانت أحلام كابوس مزعجة لم تلبث ان استفحلت واستهولت حتى هددت حياته فانه ينفضها عنه بحركة يائسة وينزع بتكذيبها الى اليقظة . وهذا مادعا الباحثين فى الاحلام الى النظر فى مبلغ علاقتها بالوعى والحافظة وأحوال الجسد وسيطرة العقل وشهوات النفس

ولقد ذهب الفلاسفة فى العصور القديمة والوسطى فى تعليل الاحلام مذاهب شتى من طبيعية

وفلسفية . فزعم ديموقريط وأخذ عنه أبيقور أن سببها أشباه وأطياف للاجرام الجسمانية تطفو في الجو وتغشى النفوس عند النوم . وردها أرسطو إلى ما تطبعه المدركات التي نحسها بالعين من الأثر في أذهاننا . ويجمع أفلاطون بين الحلم في أثناء النوم واشتغال الذهن في اليقظة . ويرى مثل رأيه شيشيرون . ولا يراه يليق إلا في الأحلام عقب الطعام . ويقرر أبقراط أبو الطب أن بعض الاحلام نذيرة بأحوال من المرض في البدن ، ولم ينف ذلك اعتقادهم في بعض الرؤى أنها وحي من الآلهة . ويرى أفلاطون أن هذه الرؤى السماوية تسرى إلى النفس الحيوانية فينا بواسطة الكبد

والمنامات في رأى الفلاسفة المسلمين على ستة أنواع . فمنها ما هو أضغاث أحلام من أحاديث النفس كالذى يراه الفلاح من الزرع والحصاد والعوامل من الحيوان مما هو منصرف اليه نهاره ومفكر فيه ليله — ومنها ما يكون من جهة غلبة أخلاط الجسم كالذى يرى الدموى من معالم الأفراح ودواعي الضحك ومسارح اللعب وما شاكلها ، وكالذى يرى البلغمي المرطوب من الأنداء والأمطار والآجام والأنهار والوحل وما شاكلها — ومنها ما يكون من جهة موجبات أحكام النجوم بحسب البروج وطبائعها والبيوت وأوتادها واستيلاء السعود عليها أو النحوس — ومنها ما هو وساوس من الشيطان — ومنها ما هو إلهام من الملائكة — ومنها ما هو وحي من الله وتأييده

وقد صنفت في تأويل الاحلام مصنفات في اللغات كافة ، وأشهرها عند المسلمين ما كتبه محمد ابن سيرين

وجاء العلم الحديث فلم يدخل كثيراً على ما ذهب اليه الأقدمون فيما يختص بالناحية الطبيعية للاحلام ، وأقرهم على معظم ما اهتدت اليه بحوثهم مع زيادة في التقصى والاستيفاء والتنظيم

ويجعل المحدثون من علماء النفس الاحلام على نوعين :

أحلام ترجع إلى إحساسات واقعية مما ينشأ عن الأحوال البدنية . فالكابوس بأحلامه المكربة المزعجة يكثر مع سوء الهضم واكتظاظ المعدة ، والحلم بالارتفاع والتحليق أو بالسقوط من شاهق قد يحدث من تعرية الاقدام أو حالة التنفس . وقد توحى الدورة الدموية صورة العباب المتدفع ومساقط المياه وما شاكلها . وقد يؤدى عدم التهوية وضغط الأغطية الى خلع الثياب في الحلم وما يقترن عادة بخلعها من المعاني . فاذا نحن أخرجنا من حساب هذه الاحلام ما دخلها من المسخ والتبديل والمبالغة والتهويل فانها لا تعدو كونها إحساسا مباشراً بالواقع ، ولا بأس من تسميتها بالاحلام المباشرة

وأما النوع الآخر من الاحلام فهو ما يرجع الى احتياج المراكز الحية بدافع من نفسها ، فاذا هي تتمثل محسوسات أو شواغل سابقة على الحلم بساعات أو أيام . ومن هذا القبيل أيضا ما نستحضره في الحلم من صور عفى عليها النسيان في ظاهر الامر ، والتعليل الارجح لاستذكارها مع تقادم العهد بها إحساس مشابه لها قريب عهد بنا ولكننا في جلبة اليقظة وازدحامها بالمؤثرات لم نلتفت اليه في

حينه مع وقوعه فى نفسنا ، حتى إذا اهتاجت المراكز الخفية فى الحلم ألقت به إلى ظاهرها كما يقذف البحر المائج بمكوناته . وهذه الاحلام تمثل لنا ما كنا فيه ، فلا غرو إذا سميت بالاحلام الممثلة

فالعلم الحديث يعرف للاحلام فى نوعها الاول اتصالها بالحاضر عن طريق الاحساسات المباشرة ، كما يعرف اتصالها فى نوعها الآخر بالماضى عن طريق الذاكرة . أما الاحلام المتصلة بالمستقبل الكاشفة عن الغيب فالعلم الحديث بطبيعة طرائقه فى البحث لا يعرفها

ومنذ أن وقر هذا فى الاذهان فقدت الاحلام عند الناس سحرها واهتمامهم بأمرها . فلا يكاد يستيقظ الحالم حتى ينفى ما علق بذهنه من أضغاثها . وأصبحت دراسة الاحلام من حيث معانيها تشتم منها الكهانة والعرافة مما يترفع عنه رجل العلم الجاد

إلى أن كان عام (١٩٠٠) إذ قام العلامة النمسوى « سيجموند فرويد » فأحدث ثورة فى علم النفس بنقله مجال البحث العلمى من منطقة النفس الواعية إلى منطقة النفس غير الواعية ، مقرراً أن أفعال النفس هى قبل كل شىء وليدة الوعى الباطن . ولقد كان معروفاً قبل فرويد أن فى قرارة النفس عالما مبهما هو بمثابة حياة لم نعشها أو ماض دفين ، وأن هذا العالم فى حالة راكدة لا حراك به ولا عمل له ولا تأثير منه على شعورنا الراهن . فانبرى فرويد يعارض الفكرة السائدة مناديا بأن هذا العالم الدفين ليس فضالة النفس وسؤرها ، بل هو على الضد من ذلك مادتها الاولى ، وأن جزءاً جد ضئيل منها هو الذى يبلغ الى السطح الضاحى من الواعية . وأما الكتلة الكبرى التى لا تبين ونعنى بها الوعى الباطن فليست من أجل ذلك فى غيابتها هامدة أو مجردة من القوة المحركة ، بل هى فى كل انسان سره المكنون السحيق

فكيف السبيل الى كشف هذا السر ، والانسان فى تأثره بمعتقده التلقينى ومداراته للعرف الاجتماعى يزور على الناس حقيقته كما يزورها على نفسه ؟

الذى لا امراء فيه أن الانسان طالما كان مالكا لوعيه ، فلا سبيل الى سره . وإذن يكون النوم وحده هو الحال المحققة للغرض ، لأنه وحده الحال التى يكون الوعى فيها من غير أن يكون مملوكا للنائم محكوما بقواه العاقلة . وتكون الاحلام فى النوم بمثابة المرآة العاكسة لما يكنه هذا الوعى الباطن

ويرى فرويد أن وظيفة الأحلام هى المحافظة على النوم . وذلك أنها تقلب ما يدور فى دخيلة نفسنا من الحوافز التى تهدد نومنا بالتكدير الى حلم بإشباع هذه الرغبات وقضاء اللبانات . فأحلامنا من شأنها أن تفضح ما فى قرارة سريرتنا . وصدق المثل الصينى القديم : « مكنونات النفس تعطس فى الحلم » . إلا أن الأمر لا يخلو من التواءات وتعقيدات يجب أن يحسب حسابها ليصح للاحلام تفسيرها . فالمزعجات للنائم على أنواع منها البدنى والذهنى كالوجع فى المعدة وإلحاح هم على الفكر ، والاثر الناشىء من هذا أو ذاك يقترن برغبة من رغائب النفس الكامنة المكبوتة سواء كنا نجهلها

أو تجاوزناها فى الصبا ، فتتألف من هذين فى الحلم واقعة يراد بها إشباع تلك الرغبة المكبوتة . ولكن هذا الحلم ـ أو بعبارة أصح مشروع الحلم ـ قبل أن ينتهى الى وعينا يمر بشبه « مكتب رقابة » يتمثل فيه ما وقر فى نفوسنا من أحكام العقائد والخلائق والتقاليد ، لتعمل هذه الرقابة فيه عملها من التشذيب والحذف قبل ظهوره لنا فى منامنا . وإلا فان كانت الرغبة المكبوتة قوية جارفة تأبى الامتثال فان نتيجة هذا التناحر العنيف أن يهب النائم مستيقظا . وبذلك تنهزم الرغبة المكبوتة الى حيث كانت فى غيابة الوعى الباطن ، ويفشل الحلم فى مهمته المخففة الملطفة . ومن هذه الاحلام وأمثالها يخلص الطبيب النفسى الى سر الداء الخفى الذى تعانيه . وهذا البحث الجديد للتحليل النفسى فيه مجال كبير للتمثيل وزيادة البيان لولا ضيق المقام

وهكذا دار الفلك دورته وأصبحت الكلمة اليوم فى مصيرنا مرة أخرى للاحلام

عبد الرحمن صدقى

من هو الرجل المثقف ؟ . . هو الذى يستطيع ان يجهد تفكيره وشعوره ، درسا وبحثا فى امور يراها الجاهل غير جديرة بلفتة او اشارة

روبرت كيلين

ما هى اجدى طريقة للاقتصاد ؟ . . هى ألا تنفق قليلا ، بل ان تربح كثيراً ... اى هى ان تفكر وتسعى لتكسب قدر ما تستطيع

ادوارد بورتنو

ما هى اسعد ساعة فى حياة الانسان ؟ هى التى يقضيها بين النوم واليقظة ، فى فراش دافىء وثير ، فى الصباح الباكر من يوم قارس مطير

دكتور جونسون

نظرية سيادة الدولة
وأثرها فى تقهقر الفكر الاوربى اليوم

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

لا بد للفكر كى يعيش وينمو ويؤتى ابرك الثمرات التى هى غاية الحضارة وقبلة التطور ، من حرية مطلقة تعترف بها الحكومات ويقدسها الافراد ويذود عنها مجموع الأمة ، ولا يدخر هذا المجموع وسعا فى سبيل حمايتها يبذل كل مرتخص وغال

ولقد اتجهت أوربا عقب الثورة الفرنسية إلى تأييد هذا المبدأ والى نشر الآراء والتعاليم الديموقراطية التى تقوم عليه وتستمد منه القاعدة الأساسية لنظام الدولة

الدولة كانت فى نظر معظم الأوربيين المستنيرين قوة تنهض على الشعب ، وتتمثل فيها ارادة الشعب، وتتحرك وتعمل فى ضوء الحرية الفكرية التى يمارسها الشعب ويستطيع بواسطتها الاشراف على أعمال الدولة ومراقبة رجال الحكم

وجاءت الحرب العالمية الأخيرة فحطمت عدداً من العروش وعصفت بتيجانها،وضاعفت الافكار الحرة سلطانا وزادتها رواجا وانتشارا،حتى لقد خيل إلى بعض المفكرين أن عصراً جديداً يوشك أن ينبثق وأن الرجعية الفكرية لن تقوم لها قائمة وأن حكم الفرد قد قضى عليه القضاء المبرم

وحدث إذ ذاك أن غمرت أوربا والعالم موجة من المبادىء الانسانية النبيلة ، وقام فريق من كبار رجال الفكر أمثال رومان رولان وولز وبرتراند راسل واضرابهم يدعون الى تغليب النزعة الانسانية على النزعة الوطنية ، والى مكافحة روح التعصب الوطنى ومحاربة أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة الذين أضرموا ويضرمون النزعة الوطنية فى قلوب سواد الشعب رغبة فى حفزه الى حروب الفتح والاستعمار

وكان الفكر الأوربى قبل الحرب العظمى وفى السنوات الاولى التى تلتها ، مشبعا على وجه عام بالافكار والتعاليم الديموقراطية . كان الفكر حراً ، وكانت حرية المفكرين شبه مقدسة ، وكان من حق المفكر ان يكتب ما يشاء ويصارح بما يشاء ولو تعارضت نتائج تفكيره مع مصالح الدولة التى ينتمى اليها . والواقع أن الأوربيين كانوا فى ذلك العهد يحترمون استقلال الفكر ، وينظرون الى المفكر لا باعتباره مواطنا ، بل باعتباره فرداً حراً عليه أن يخلص للحقيقة المجردة العامة قبل أن يخلص للوطن المحدود ، عليه أن يعمل لا لوطنه فحسب بل للانسانية جمعاء

وكانوا يدركون أن هذه الحرية فى المجاهرة بالحقائق أيا كانت لابد أن تعود آخر الأمر بالنفع الكبير على الوطن نفسه حكومة وافراداً

لهذا كان الفكر مزدهراً والثقافة نامية والانتاج العقلى مطرد الرقى، والذهن البشرى طلقا متوثبا لشعوره باستقلاله وقدرته على نقد كل شىء والحكم على كل شىء، والمصارحة دون ما خوف أو وجل بأفكار وآراء قد لا تتفق مع مصلحة الدولة ولكنها تخدم الحقيقة الانسانية الكبرى

ومن أبلغ الأمثلة على ما تقدم أن السواد الأعظم فى فرنسا أيام قضية دريفوس كان يتهم دريفوس البرىء، وكانت الحكومة أيضا تتهمه وهيئة قيادة الجيش وأقطاب أحزاب اليمين. ثم قام بعض الأحرار للدفاع عنه فتكاثر أنصاره وخشى رجال الحكم أن تنشق فرنسا على نفسها من جراء هذه القضية، فرأوا أن من مصلحة الدولة الحكم على دريفوس حق ولو كان بريئا

عندئذ نهض الكاتب المشهور اميل زولا واستخدم حريته الفكرية للدفاع عن الرجل البرىء أى عن الحق والعدالة والانسانية ضد مصلحة الدولة

وقد لوحظت مثل هذه الظاهرة فى انجلترا أيضا. فالشاعر الانجليزى وردسورث جاهر بعدائه لحكومة بلاده عندما أنشأت جيشا لمحاربة الثورة الفرنسية، وكذلك فعل الشاعر سوينبرن أيام حرب الترنسفال، أما الكاتب الانجليزى ولفرد بلنت فقد انتصر للمصريين ضد الاستعمار البريطانى

وكانت هذه الروح سارية فى أوربا كلها وقد أحدثت أثرها المنشود فى روسيا حيث تألبت قوى الاحرار على الحكم الأوتوقراطى، وفى ألمانيا حيث اتسع نطاق الافكار الحرة واشتد نفوذ الحزب الاشتراكى الديموقراطى وترتب عليه فصل عدوه البرنس بسمارك من وظيفة مستشار الدولة

تلك كانت حرية الفكر فى أوربا وذلك مركز المفكر

فالى أين انتهت هذه الحرية اليوم وماذا حل بها، وهل هى ماتزال محترمة مقدسة، أم أن السياسة قد طغت عليها ونظام الدولة أوشك أن يجهز على جوهرها الانسانى النبيل؟

هذا ما سنحاول الاجابة عنه:

لا شك أن حرية الفكر لم تنتهك فى الدول الديموقراطية الأوربية ولكنها حوربت وتحارب الى أقصى حد فى الجزء الكبير من أوربا الذى فشت فيه الديكتاتورية وسيطر عليه النظام المعروف باسم سيادة الدولة

فهذا النظام الشائع الآن فى ألمانيا وايطاليا والبرتغال واليونان وغيرها لا يسمح للفكر بخدمة الحقيقة المجردة، ولا يسمح للمفكر بأن يجاوز محيط وطنه ويتصل بالانسانية العامة، بل يفرض على الفكر والمفكرين الاندماج فى الدولة وخدمة الدولة فقط والاهتداء بتعاليم حكامها والرضاء بهذه التعاليم واذاعتها والترويج لها واعتبارها مثلا أعلى. فكل نقد ممنوع، وكل دعوة انسانية محرمة، وكل رغبة فى خدمة الحق المطلق والعدل المطلق يعاقب صاحبها أشد العقاب، وكل أديب أو مفكر

يجب أن يقبل عن طيبة خاطر بأن تجنده الدولة للذود عما ترى فيه مصلحتها وبأن تؤلف منه ومن رفاقه معسكراً فكريا يدافع عن اسلوبها فى السياسة والحكم

فتحويل الامة الى ثكنة عسكرية كبيرة لابد أن يشمل قبل كل شيء طبقة المفكرين ، لأنهم بطبيعتهم رجال استقلال وحرية تكسبهم المعرفة ذلك الضرب من الاعتزاز العقلى والاعتداد الفكرى الذى تخشاه الديكتاتوريات كل الخشية

هذا ما يجرى الآن فى جزء كبير من أوربا . ولقد ترتب عليه أن انحط الفكر الاوربى فى مجموعه وضعف انتاجه وضاقت حدوده وأصبح اندفاق تياره لا يقاس بما كان عليه قبل الحرب العظمى

فالمانيا النازية حاملة لواء النزعة العنصرية طردت مفكريها وشردتهم ، ولم تستطع منذ قيام النظام الهتلرى اتحاف العالم بعبقرى واحد أو بنابغ متوسط المواهب يمكن أن يعود تفكيره بالخير على الانسانية . وأما عظماء ايطاليا المعروفون فقد ظهروا قبل قيام الفاشزم . وأما بعده فلم تستطع ايطاليا هى الأخرى المفاخرة بأنها قدمت للعالم عظيما تحرر من وطنيته الضيقة واتجه نحو خدمة العالم

ولقد ذهبت الكبرياء بموسولينى الى حد أنه صارح برغبته فى وجوب أن تكتفى ايطاليا نفسها لا فى الميدان الاقتصادى فقط بل فى الميدان الفكرى أيضا ، وأن تستغنى عن الثقافات الخارجية ومولدات العقل الاجنبى . ومعنى هذا أن الفكر الايطالى يجب أن يتجرد من عنصره الانسانى ويصبح وطنيا محضا تام الخضوع لسيادة الدولة محدود الجوانب ضيق الفسحات منسلخا عن العالم ، فى عصر تعددت روابطه وسهلت مبادلاته ونظمت مواصلاته واتجه العلم فيه نحو السعى لوحدة العالم

والذى يهمنا من كل ما تقدم ويهم كل شرقى ملاحظته وانعام النظر فيه ، هو أن الفكر الأوربى قد تقهقر تحت تأثير نظرية سيادة الدولة

فأصبحت أوربا فى مجموعها تفاخر بقوة السلاح لا بقوة الفكر ، وتفض مشاكلها بقوة السلاح لا بقوة الفكر ، ولولا بقية باقية من ذلك الفكر المجيد تحرص عليها الامم الديموقراطية لضرب الانحطاط رواقه على أوربا وعمها ظلام دامس

ولكى يشعر القارىء بخطورة هذه الأزمة أبلغ شعور وأوفره ، ولكى يدرك مبلغ التقهقر الذى أصاب الفكر الاوربى من جراء سيادة الأنظمة الديكتاتورية ، نسوق اليه هذا الاحصاء الذى وضعه كاتب احصائى مجرى حر ، ونقلته عنه الصحف الأمريكية وطالعناه اخيراً فى مجلة « العصر الجديد » الباريسية

قال الكاتب : « فى وسعى أن أؤكد استنادا الى الاحصاءات المتقدمة أن الانتاج الفكرى فى بلاد أوربا المحكومة بالديكتاتورية هو بالنسبة الى انتاج البلاد الديموقراطية كالآتى :

القصص ٤ الى ٩

دواوين الشعر ٢ الى ٦

كتب الفلسفة ٣ الى ٩

الابحاث الاجتماعية ٢ الى ٩

الدراسات السياسية ٤ الى ٨

العلوم ٥ الى ٨

هذا فيما يتعلق بنسبة العدد وهى كما ترى ظاهرة الضعف . أما فيما يتعلق بنسبة الاتقان والجودة أى بقيمة الاعمال التى تخرجها الدول المحكومة بالديموقراطية فاليك ماقاله فيها الكاتب الانجليزى هيلير بيلوك المعتبر من غلاة المحافظين والذى أظهر فى بعض الاوقات ميلا واضحا الى الفاشزم ثم عاد فراجع نفسه وحمل عليه :

« ان الانتاج الفكرى فى الأمم الرازحة تحت وطأة الديكتاتورية لايقاس بمثله عند الشعوب الديموقراطية الحرة ، فهو انتاج عرضى سطحى لا ابتكار فيه ولا طرافة ولا تجديد . وعندى أن الفكر هناك يكاد ينصب فى مجرى واحد ومولدات الفكر تكاد تكون متشابهة فى الجوهر والعرض فلا تجديد فى المذاهب الفكرية أو الاجتماعية أو الأدبية يمكن أن تأخذ به الأمم الأخرى وتنتفع به الشعوب على اختلاف أمزجتها ونظم الحكم فيها . والحقيقة أن الأمم المحكومة بالديكتاتورية تعيش لنفسها فقط كأنما هى قد انفصلت عن سواها وكأنها غير مطالبة بتأدية أى واجب مشترك نحو الحضارة نفسها »

الى هذه الحال من التقهقر انتهى الفكر فى قسم كبير من أوربا ، وليس شك فى أن جرائيم الانحطاط ستزداد انتشاراً كلما ازداد الحجر على الفكر ، وكلما انتشرت الدعايات الوطنية المتعصبة ، وكلما تعززت نظرية سيادة الدولة وفناء الاستقلال الفردى فيها

فهل تقبل أوربا هذا المصير وتنزل مختارة عن رسالة التحضير التى طالما تشدقت بها ، أم تظل منقسمة كما هى الآن الى معسكرين لكل منهما سياسته ومثله الاعلى ، أم ان هذا الانقسام نفسه سيؤدى بها الى صراع هائل ينجلى عن مدنية جديدة ونظام جديد ؟

تلك أسئلة يحمل المستقبل المجهول جوابها ، وكل مانستطيع أن نقوله هو أنه لو كان قد احتفظ بالفكر حراً وبالمفكرين المخلصين أحراراً وبالاستقلال الفردى ثابتا موطداً ، ما انزلقت أوربا الى حيث هى اليوم ، وما عاشت وتعيش وسيف الحرب مصلت فوق رأسها وعلى هامة العالم !

ابراهيم المصرى

أدبنا الحديث

متى تكتمل عناصره

وجوب توافر العنصر الانسانى في الادب المصرى

يبذل الأدباء فى مصر جهوداً كبيرة فى سبيل خلق أدب مصرى ينم عن عواطفنا وإحساساتنا ويسجل مظاهر حياتنا الخاصة ، ويكون لهذه الأمة بمثابة تاريخها الوجدانى يقوم بجوار تاريخ الحوادث والأعمال

غير أن فكرة الأدب المصرى لم يستوضحها بعد معظم كتابنا ولم تبرز فى تواليفهم جلية واضحة بحيث نستطيع أن نطمئن لها ، ونستبشر منذ الآن بمستقبلها

والواقع الذى يغرب عن أبصارنا هو أن الأدب العالى لا بد أن يتكون من عنصرين : عنصر البيئة وعنصر الانسانية . فالأديب المجدد الكبير هو الذى يندمج فى بيئته ويحس روحها ويلمس طابعها ويجتهد فى التعبير الصادق عن هذا الروح وإبراز مميزات ذلك الطابع . ولكنه ان اكتفى بتلك المرحلة من جهاده ، فلن يثمر أدبه ثمرة ناضجة ولن تتحقق على يده النهضة المبتغاة

ولكى يصبح الأدب المصرى فى مستوى الآداب الخصبة الأخرى ، يجب أن يقترن فيه عنصر المصرية بعنصر الحياة الرحبة الشاملة التى يحسها كل انسان وتؤثر فى كل شعب وفى كل زمن

فرسم العادات والأخلاق والتقاليد المصرية البحتة ، ونقلها نقلا فوتوغرافيا آليا ، والسعى الى محاكاتها من ناحية اللغة والاسلوب العامى . كل هذه قشور ينبغى ألا تصرفنا عن الجوهر وتحول بيننا وبين وصف الخوالج والعواطف والميول التى تعتلج فى النفس البشرية عامة ، ويمكن أن يفهمها ويقدرها ويشعر بها كل من توافر على مطالعتها ممثلة فى العمل الأدبى القوى

فمحاولة تصوير العادات المصرية الملحوظة أمر لا قيمة له اذا لم يستطع الكاتب أن يلمس خلف هذه العادات عارضا نفسيا عاما ، أو ظاهرة خلقية شائعة ، أو نزعة وجدانية أبدية ، يهتز لها القارىء الاجنبي ويؤمن بصدقها وصحتها لفرط تأثيرها فيه ، سواء أكان يعيش فى نيويورك أم فى باريس أم في لندن

وليس معنى هذا أن يضحى الكاتب باللون المصرى الصميم يخلعه على العمل الفنى ، بل الغاية المثلى اقتران هذا اللون بالبواعث والحوافز الطبيعية التى تتردد فى قلب كل انسان . وهذا هو السر فى عظمة الادب الروسى مثلا وتفوقه

فنحن نلمح فى أعمال جميع أدباء الروس خصائص النفسية الروسية ومختلف الاخلاق والعادات الشائعة فى البيئة الروسية فى عهد معين

ولكننا نلمح أيضا من خلال تلك الالوان المحلية ميول الانسان الابدى ونزعاته وتقلباته وذلك الجوهر المعنوى الخالد الذى يشترك فيه الناس جميعا من أى شعب كانوا وإلى أية أمة انتسبوا

***

ومما لا يقبل الريب أن الانسان واحد مهما تنوعت الثقافات واختلفت البيئات وتباينت الامزجة وهذه الوحدة المشتركة هى أساس الفن وعنصره الرئيسى . وما الاخلاق والعادات المحلية الا الاطار الذى لا يجب أن يستغرق اهتمام الكاتب ، والا باعد بينه وبين الصورة وضيق آفاق عمله الادبى وحبسه فى جو محدود وقضى عليه بألا يطلع فى غير البيئة التى أوجدته . .

ويجب أن نصارح بعض أدبائنا ـ ولا سيما كتاب القصة منهم ـ أن معظم أعمالهم لا تحفل بتلك الوحدة البشرية المشتركة قدر احتفالها بتصوير الاخلاق والعادات المحلية ، ولا تهتم برسم عواطف الانسان المطلق قدر ما تهتم بنقل مميزات البيئة المصرية نقلا سطحيا تخطيطيا لا نصيب له من الفن الصحيح العالى

وهناك مسألة أخرى من الاهمية بمكان ، يجب لفت أنظار الادباء اليها ، ومحاولة تنبيههم الى خطرها وهذه المسألة هى أن تلك العادات والتقاليد التى يفتن البعض منهم فى تصويرها ، سوف تخف وطأتها أو تزول متى تقدمت الامة وقطعت أشواطا جديدة فى ميدان التحضر . ومتى زالت تلك العادات فلا بد أن يزول معها تأثير العمل الادبى الذى اشتمل عليها ، وهكذا يقضى على كاتبها ومصورها القضاء المبرم

وإذن فالعامل الانسانى الأبدى هو الذى يهب تلك العادات الزائلة صفة الحياة ، وهو الذى يخلدها على مر الاجيال ، وهو الذى يضعف تأثيرها الوقتى بما يدعمه فيها من تأثير دائم ، وهو الذى يحول بينها وبين أن تصبح مجرد آثار متحجرة صالحة للعرض فى المتاحف

ولقد حدث أن مميزات البيئة التى رسمتها القصص الروسية فى الجيل الماضى قد اختفت الآن من الحياة الروسية وحلت محلها مميزات أخرى وعادات أخرى . ومع ذلك فما تزال تلك القصص باقية . لماذا ؟ لانها قامت على العامل الانسانى لا على الرغبة فى تصوير البيئة ومظاهرها فقط

فيجب والحالة هذه ألا نسرف عند ما نتكلم عن الأدب الجديد ، وخاصة عن أدب القصة فى التعصب للون المصرى. بل يجب أن تتجه قوانا ومجهوداتنا الى اجراء ذلك التعادل المنشود بين اللون المصرى والطابع الانسانى . وعندى أن القصصى المصرى الخليق بهذا الاسم هو الذى يستطيع فى يوم من الايام تحقيق ذلك التعادل المشاهد فى أعمال تولستوى وجوركى وتشيكوف واضرابهم

***

وأحب أن لا أختم هذا المقال قبل أن أعرض لمسألة أخرى أغفل بحثها والاشارة اليها معظم نقاد الادب عندنا. وهذه المسألة هي الخلاف الملحوظ في مصر الآن بين أسلوب الكتاب في وضع القصص وأسلوب الشعراء في قرض الشعر

فالقصصي المصري يحاول أن يستوحي البيئة المصرية وقد يرق في بعض الاحيان إلى درجة من السلم الانساني المنشود . أما الشاعر المصري فلا مصرية واضحة في شعره ، ومعظم قصائده ترمي الى التغني بالعواطف الانسانية المشتركة . فالأول ، أي القصصي ، مصري اللون أكثر مما هو انساني ، والثاني ، أي الشاعر ، ينزع إلى الانسانية أكثر مما ينزع إلى المصرية ، بل هو يؤثر وصف الاحساسات المجردة على وصف الريف المصري مثلا والتغني بجماله وبما يبعثه في نفسه من عواطف وأخيلة

وصفوة القول أن المصرية والانسانية يجب ان تتوافر عناصرهما في العمل الفني الصالح سواء أكان قصة أم شعراً . أما تضحية الأولى في سبيل الثانية أو الثانية ، في سبيل الاولى ، فليس من شأنها الا أن تضعف من أثر الادب وتضيق محيطه وتؤخر تحقيق النهضة التي نطمح اليها جميعاً

---

* الرجل الذي تؤلمه أسنانه يظن السعادة المطلقة لمن سلمت أسنانه...
وكذلك الفقير يظن ان السعادة أسلمت قيادتها لمن توفر له المال فحسب

برنارد شو

عرض وتحليل

تربية الارادة

Manuel de la volonté par Georges Poltier

تأليف جورج بولتيه

مؤلف هذا الكتاب رجل فكر وعمل . وهو أديب كبير وشاعر نابغ وروائي ملحوظ المكانة . ثم هو في الوقت نفسه مدير مصنع ومن كبار المهندسين الميكانيكيين . وقد استطاع بعقله الثاقب وارادته المتقدة أن يوفق بين المهنتين وأن يستخلص من تجاربه الكثيرة هذا الكتاب القيم الذي يعتبر عصارة حياته

تنهض الحضارة على الصراع الأبدي القائم بين عقل الانسان وأهوائه وميوله ومختلف الغريات التي تعصف به والتي تستحيل في معظم الاحيان الى شهوات طاغية جامحة . فكلما استطاع الفرد كبح جماح أهوائه ، والتغلب على سلطان ميوله وشهواته ، والتسامي بنفسه الى عالم الفكر والروح ، ارتقت انسانيته وتهذبت مشاعره وجاز محيط المادة وتحرر من ربقة الغريزة الحيوانية العمياء

وهذه القدرة على التحرر هي « الارادة » بأوسع معانيها

فنحن نعيش في عالم كل ما فيه يدفعنا الى المتعة واللذة والاستهتار وعدم الاكتراث . ولكننا متى أطلقنا لغرائزنا العنان ، واستسلمنا لهذه الدوافع التي يسوقنا اليها ضعفنا ورغبتنا المتأصلة في الاستمتاع ، انحط شعورنا بكرامتنا ، وهبطت قوانا المعنوية ، وعجزنا كل العجز عن تأدية الواجبات المقدسة التي يفرضها علينا المجتمع وتفرضها علينا قوانين التطور وطبيعة الحضارة نفسها

فالفرد والحالة هذه مخير بين أمرين : اما أن يرجع بعاداته وأخلاقه ومستوى حياته وأسلوب تفكيره الى أحكام الغريزة المجردة فينفصل عن العالم المتحضر ويقطع الصلة بينه وبين المجتمع الآخذ في التطور ويحيا على هامش الانسانية العاملة الجادة المجاهدة ، واما أن يحاول ما استطاع التسلط على هذه الغريزة واخضاعها واستئصال جراثيمها فيشترك مع القوى الساعية الى الخير ، ويساهم في عملية التطور ويؤكد شخصيته الثانية في جهود باقية تعود بالنفع العظيم على الفرد والمجموع على السواء

والواقع ان قوة الارادة تتمثل في هذه المحاولة المجيدة ، في محاولة الانسان التفوق على انسانيته وعلى عوامل الفتور والضعف الشائعة فيها . ولا شك أن جميع الجهود التي بذلتها البشرية وما تزال

تبذلها والتى أوجدت الحضارات وخلقت العلوم والفنون وخرجت بالانسان من ظلمات المغاور ومن حياة الكهوف الى أضواء النور وظلال الحرية ، لا شك أن هذه الجهود نبعت وتنبع من الارادة أى من جبروت الانسان العظيم الذى أقدم على سحق عوامل ضعفه وفاز آخر الأمر فى المعركة الهائلة التى نشبت بين عقله وبين شهوات غرائزه

وإذن فهو العقل الذى يهدى الفرد ويرشده الى مافيه خيره ويدفعه الى مصارعة أهوائه وميوله

ولكن سيادة العقل على الغرائز والشهوات – أى قوة الارادة – لايمكن أن تتحقق إلا بواسطة نوع خاص من الممارسة والتدريب والتربية . ومما لا يقبل الريب أنه لا يكفى الانسان أن يقول : « أريد كبح جماح شهواتى وأريد أن يسود عقلى غرائزى » بل يجب عليه أن يحذق طريقة نافعة وأسلوبا عمليا واضحا وأن يتبع هذه الطريقة ويستهدى بهذا الاسلوب كى يتمكن فى النهاية من إخضاع شهواته والتحكم فى غريزته وتنمية قوى إرادته

وكل نجاح فى الحياة يتوقف على حسن تربية الارادة وعلى اتباع طرائق هذه التربية والاخلاص فى تنفيذها وفى تطبيقها اليومى على مختلف ظروف الحياة . ولقد فاز الغرب على الشرق لان معظم الغربيين لا يحيون – كمعظم الشرقيين – حياة الاستنامة والتواكل ، بل يعيشون وفق قواعد يومية معينة تربى فيهم ملكات الارادة وتجعل عقولهم قادرة على التحكم فى غرائزهم وشهواتهم

قواعد تربية الارادة

ويرى مؤلف هذا الكتاب أن فى وسعنا اجمال عناصر تربية الارادة بصفة عامة فى القواعد الآتية التى تصلح لكل انسان ، والتى يؤدى اتباعها الى رقى الفرد واستطاعته الاضطلاع بشتى الاعباء الملقاة على عاتقه مع اتقانها والتجويد فيها الى حد النبوغ المنشود :

أولا – يجب أن نعرف قيمة الوقت معرفة عميقة تخالط منا النفس والاحساس فلا نفرط فى دقيقة واحدة ولا نبذر أعمارنا هدراً ضايعا فى أرض عقيم بور

ثانيا – يجب أن نعرف معرفة تامة واضحة ما هو غرضنا فى الحياة وما الذى ننشده فيها . وهل هذا الغرض يتفق مع مؤهلاتنا واستعداداتنا الطبيعية أم لا . ولكى نعرف ذلك حق المعرفة ، علينا بملاحظة أنفسنا واستطلاع آراء الغير فينا حتى تتكون لدينا الفكرة الواضحة عن شخصيتنا وعن الهدف الذى نرمى اليه

ثالثا – متى أدركنا حقيقة شخصيتنا واستقر رأينا على تحقيق غرض معين ، فيجب أن نسرع برسم خطة للتنفيذ

رابعا – يجب أن تشتمل هذه الخطة على عدة عناصر أهمها : تقسيم العمل ، ثم تقسيم أوقات العمل ، ثم أوقات للرياضة ، ثم أوقات للهو

خامسا ــ يجب ألا يصرفنا شيء في العالم عن اتباع هذه الخطة وعن الاسراع الى العمل في وقت العمل وإلى الرياضة واللهو في أوقات الرياضة واللهو

سادسا ــ يجب أن نتقيد يوميا بنصوص البرنامج الذى رسمناه بحيث لا يقعدنا عن تنفيذه الا اشتداد وطأة المرض علينا

سابعاً ــ لا يجب أن نستخف بالرياضة البدنية اليومية لأنها في الواقع تساعد على تربية ارادتنا وتنشط قوى الحركة فينا وتنعش أجسامنا وتعكس على أرواحنا طابع الصحة والبهجة والسرور فلا نشعر بوطأة العمل وثقله

ثامنا ــ يجب أن يكون لهونا بريئا . لأن اللهو المحرم يقتطع من وقتنا الثمين جزءاً كبيراً ويخلق لنا المتاعب ويضعف أجسامنا وينهك عقولنا ويعود بأسوأ الأثر على أعمالنا نفسها

تاسعا ــ يجب أن نؤمن أن الانسان يستطيع بعونه الله كل شيء . وأن العقبات مهما كانت فى وسعه تذليلها بالصبر والدأب والثبات وشيء من الجلد والتضحية

عاشراً ــ يجب أن نحتقر الشهوات والملذات المتطرفة الصارخة،وأن نؤمن أيضا بأن لذة العمل هى اللذة الكبرى،وأن متعة الجهاد هى المتعة المثلى . والحقيقة اننا متى اتبعنا نظام العمل المتواصل فنفس هذا النظام لا بد يشعرنا آخر الأمر أن لذة العمل تفوق كل لذة

حادى عشر ــ يجب ألا نيأس اذا سلكنا هذا السبيل ثم تبين لنا أن العمل الذى قمنا به لم يحقق مثلنا الأعلى . وعلينا أن نفهم أن المثل الأعلى جوهر ميسور التحقيق مع الزمن ومواصلة العمل ، وان العبقرية نفسها صبر طويل كما قال العلامة بوفون

ثانى عشر ــ يجب أن نعتقد اعتقاداً راسخا أن فى كل فرد منا يكمن رجل عظيم من السهل أن يبرز ويتفوق اذا توافرت فيه الشروط السابقة واستطاع على مر الأيام تربية ارادته

العظماء وتربية الارادة

هذه أهم القواعد التى ينصح بها المؤلف . ولا شك أنها تصلح للجميع . على أن فى مقدور كل فرد تحوير بعض أجزائها بما يطابق استعداده وخلقه ومزاجه

ولقد أراد المؤلف أن يستدل على صحة نظريته وعلى أن من الضرورى اتباع خطة معينة لتربية الارادة والقدرة على العمل والانتاج فاستشهد بحياة بعض العظماء . واليك ما قال فى هذا الصدد :

لم يتأخر الشاعر الايطالى دانونزيو عن الجلوس الى مكتبه فى ساعات معينة كل يوم الا أربع مرات فى حياته الطويلة . ولم يخرج بلزاك من غرفة عمله ثلاثة أشهر متوالية أراد فيها انجاز إحدى قصصه الخالدة فتم له ما أراد . ولم ينقطع فولتير طوال حياته عن العمل عشر ساعات فى اليوم . ولم ينقض يوم على الروائى الانجليزى توماس هاردى بدون أن يكتب ويطالع ويلعب البولو ويذهب

إلى المسرح وكل ذلك فى أوقات محددة . ولقد كان نابليون عبقريا فى تقسيم ساعات العمل وفى معرفة قيمة الوقت . وكان باستور ماهراً كل المهارة فى تحويل العمل المرهق الى لذة وفى الشعور بازدياد اللذة كلما ازداد العمل . أما اميل زولا فكان لا يقبل دعوة الى عرس أو الى وليمة أو الى أية حفلة رسمية مهما بلغ شأنها ، لأنه كان قد فرض على نفسه العمل اليومى من الساعة الثامنة صباحا حتى الثامنة مساء ، ولأنه كان ييئس ويتجهم ويكاد يبكى كلما شعر أن ظروف الحياة أفقدته ساعة واحدة من تلك الساعات المقدسة

وليس شك فى أن قوة الارادة عند العظماء يشوبها بعض الاسراف الناشىء عن طبيعة العظمة نفسها . ولكن فى وسعنا نحن الاسترشاد بهم والسير فى ضوئهم ، مع تجنب الاسراف الذى لن تندفع اليه الا متى شعرنا أننا حقا عظماء ، وأن من واجبنا الذهاب فى التضحية الى حدها الاقصى . وهذا لا يتيسر الا لافراد قلائل . وصفوة القول أن حياة العظماء تعلم الانسان كيف يكون جلداً صبوراً ، وكيف يريد ثم يحقق ما يريد ، معتمداً على نفسه وعلى دقة تنظيم وقته وعلى ذلك العناد العجيب الذى يخلق بدائع الفكر وروائع الاعمال

ارادة الله

الطبيعة فى حركة دائمة وفى خلق مستمر . ولو شئنا تعريف الله لقلنا انه ارادة . ارادة عظيمة جبارة لا تهدأ ولا تكل . فهو العامل وهو الفنان الأعظم وهو الحافز الحيوى للخليقة كلها لا ينفك يبدع ولا ينفك يخلق ويفتن . واذن فسنة الطبيعة وسنة الله هى الخلق الدائم أو هى ارادة الخلق والانتاج الدائم . وكذلك يجب ان تكون سنة الانسان والا تجرد من أصله وأنكر خالقه واستعدى عليه قانون الطبيعة الأول والأخير

فكلما أنمى الفرد فى نفسه قوى الارادة وكلما ازدادت قدرته على العمل والانتاج اليومى ، طابق مسلكه مسلك الطبيعة وازداد صلة بالله من حيث الرغبة العامة فى تطبيق نواميس هذا الكون

والواقع ان للعمل صوفيته كما للدين صوفيته ، وان الاقدام على العمل وحبه والاستزادة منه ومحاولة ترتيبه وتنسيقه وتنظيم اجزائه ، كل هذه شعائر روحية لنوع من العبادة يرجع آخر الأمر الى شخصية العامل الأول أى الى الله ! . . .

وأبلغ دليل على ما تقدم ان المتهاونين المتخاذلين المستمتعين الكسالى الذين لا ينصتون لسر الخليقة ولا يحيون وفق الارادة العليا ولا يرضخون لمشيئة الطبيعة ، لابد ان تثأر الطبيعة منهم وتردهم فى معترك الحياة اذلاء مقهورين ، ثم تسحقهم سحقاً !

الوقاية الصحية في الريف



فتاة شاحبة الوجه منهوكة البدن ، لأن مرض الانكلستوما قد أنهكها وأذواها ، يفحصها طبيب المستشفى الحكومي

لا تتعرض مصر كثيراً لاخطار الامراض الوبائية التي تنتشر في بعض الاقاليم الشرقية ، لأنها محصنة من شتى نواحيها بآفاق فسيحة من البحار والصحارى لا يتيسر لجراثيم هذه الاوبئة أن تجتازها . ولكنها موبوءة بأمراض متوطنة انتشرت انتشاراً ذريعاً حتى صار السواد الاعظم من فلاحيها مصاباً بأمراض تنهك القوى وتتهدد الحياة . وأهم هذه الامراض البلهارسيا والانكلستوما ، وتقدر نسبة المصابين بالاولى ٧٠ ٪ وبالثانية ٩٢ ٪ من أهل القرى . ويلحق بهما مرض ثالث توطن في المناطق التي تزرع الارز وتركد فيها المياه ، وهو الملاريا التي تجتاح أكثر الوجه البحري في صيف كل عام

وقد تبينت الحكومة ما يهدد كياننا الاجتماعي ونظامنا الاقتصادي اذا ما ظلت طبقة الفلاحين — وهي زهاء ٨٠ ٪ من مجموع السكان — عرضة لهذه الامراض الفتاكة . فنشطت الى محاربتها بإنشاء مستشفيات دائمة في المراكز ، وأخرى متنقلة بين القرى . وعنيت بالدعاية الصحية كل العناية ، فأرسلت مندوبيها الى أوساط الفلاحين يلقون المحاضرات موضحة بصور سينمائية جميلة . ولها سيارات تجوب القرى لتعرض هذه « الافلام » وتوزع النشرات الصحية ، لتعلم الفلاحين كيف يجتنبون الامراض ويقاومونها

وقد أنشأت الحكومة منذ عامين وزارة خاصة للشؤون الصحية ، وهي تعمل جاهدة على كفاح الامراض المتوطنة وغير المتوطنة . ومن وسائل هذه المكافحة ارسال أطبائها لفحص مما يباع في الاسواق من طعام ، فقد تبين أن كثيراً من الامراض الفتاكة تنشأ عن تناول أطعمة فاسدة كانت تباع في الاسواق علناً . ويطوف الاطباء البيطريون بأحياء المدن وبأسواق القرى ليفحصوا ما يعرض فيها من اللحوم ، وليعاقبوا من يبيعون لحوم بهائم مريضة

أما وزارة الزراعة فتعنى بمحاربة الآفات التي تصيب المزروعات وتفتك بها ، فان بعض حاصلاتنا ، ولاسيما القطن ، يتعرض كل عام لخطر دائم . وهي ترسل مندوبيها ليوزعوا الادوية ، ويشرحوا الوسائل التي يستطيع بها الفلاح أن يقاوم هذه الآفات . وترى هنا بعض صور تبين كيف تكافح الحكومة أمراض الانسان وآفات النبات



لم يعد الفلاحون يهملون صحتهم ويتركونها فريسة الامراض ، بل صاروا يقبلون على المستشفيات التى ترسلها الحكومة الى قراهم لتعالجهم بغير أجر وترى طبيب المستشفيات يفحص بالميكروسكوب بول المرضى الذين وفدوا على المستشفى ، ليعرف ماهى الامراض التى أصيبوا بها



كما تحمل جرتها المملوءة بماء النيل الزلال ، تحمل زجاجة الدواء الذى أخذته من المستشفى



أحد رجال وزارة الزراعة يحضر المواد اللازمة لتبخير أشجار الفاكهة من آفاتها ، وقد اصطفت أمامه القوارير المختلفة ، وحوله الفلاحون ينتظرون نصيبهم من الادواء

مكافحة آفات الاشجار



جمع من الفلاحين أمام الخيمة التي يقوم فيها مندوب وزارة الزراعة بتحضير المواد اللازمة لقتل آفات النباتات والاشجار . وقد حمل كل منهم قارورته وجاء يتناول الدواء الذي يحفظ له ثروته وجهده

السيول تجتاح سوريا



هكذا بدت الأرض بعد ان انحسرت عنها المياه ، وقد انتثرت فيها جثث الماشية التي أتى عليها السيل

ألمّ بسوريا يوم ٢٧ اكتوبر الماضي نكبة فادحة من نكبات الطبيعة العاتية ، إذ تحولت الأمطار الغزيرة التي هطلت في جميع أنحائها ، سيولا جارفة اجتاحت آفاقا فسيحة من أرضها ، وأغرقت كل ما اعترض طريقها من مدن وقرى ومزارع . ولم تشهد سوريا من قبل سيلا كهذا ، فقد بلغ عرضه مئات من الامتار في بعض الجهات ، وكان عميقاً يغطي ما يبقى في الارض من أشجار باسقة . وقد اندفع السيل في تلك الآفاق زاخراً دافقا ، يودي بكل ما يعترضه من انسان وحيوان ومن زرع وشجر ، ثم يقذف بما يحمل من الجثث والانقاض من اقليم الى إقليم . فبات اليوم في سوريا زهاء خمسين الف نسمة بلا مأوى ، هذا عدا مئات من الانفس أتى عليها السيل العاتي . وقد نهض كثير من الهيئات والافراد بمؤاساة سوريا في نكبتها الفادحة ، فتألف في جميع أنحاء البلاد العربية لجان لجمع التبرعات والاعانات ، اسعافا للمصابين وإمداداً للبائسين ، وأداء لواجبهم قبل العروبة والانسانية



قروية سورية تحتضن جثة طفلها الغريق ، وحولها نسوة وأطفال قد شغل كل منهم بمصابه عن مصابها



منظر فاجع من مناظر النكبة الفادحة : جثة صبي في الثانية عشرة من عمره أغرقه السيل وظل دفينا في أوحاله ثلاثة أيام ، حتى انحسر الماء فأخرجته أمه بيديها

بعض رجال الجيش والبوليس والكشافة ، من سوريين وفرنسيين ، يوزعون القوت والغطاء على المنكوبين في احدى القرى ، وترى جموعهم تنتظر ما يحفظ الرمق ويستر البدن



أهل قرية « الضمير » التي اجتاحها السيل فيما اجتاح ، فباتوا في العراء بلا مأوى ولا طعام ، وتراهم قد اصطفوا في انتظار توزيع ما تبرع به المحسنون ، وبينهم امرأة تهرول بما أخذت من الخبز الى أطفالها الجياع



جهاز
لانقاذ المختنقين

انتشار الغازات المختنقة فى المصانع والمعامل والبيوت ، واشتغال كثير من العمال فى المناجم والمحاجر والآبار ، وكذلك اقدام كثير من الناس على السباحة فى الحمامات والبحار، يجعل حوادث الاختناق كثيرة الوقوع . ولهذا فكر الاطباء فى جهاز يساعدهم على تنظيم تنفس المختنق ، وامداده بالكمية اللازمة من الاوكسيجين ، فوفق احد مستشفيات باريس الى اختراع هذا الجهاز الذى سهل على الأطباء والمرضين مهمتهم وأنقذ حياة كثير من المختنقين



صورة « جهاز انقاذ المختنقين » ونرى فيه الجزء المخصص للجبهة والصدر ، والأحزمة التى تلف على الظهر فى أثناء اجراء العملية



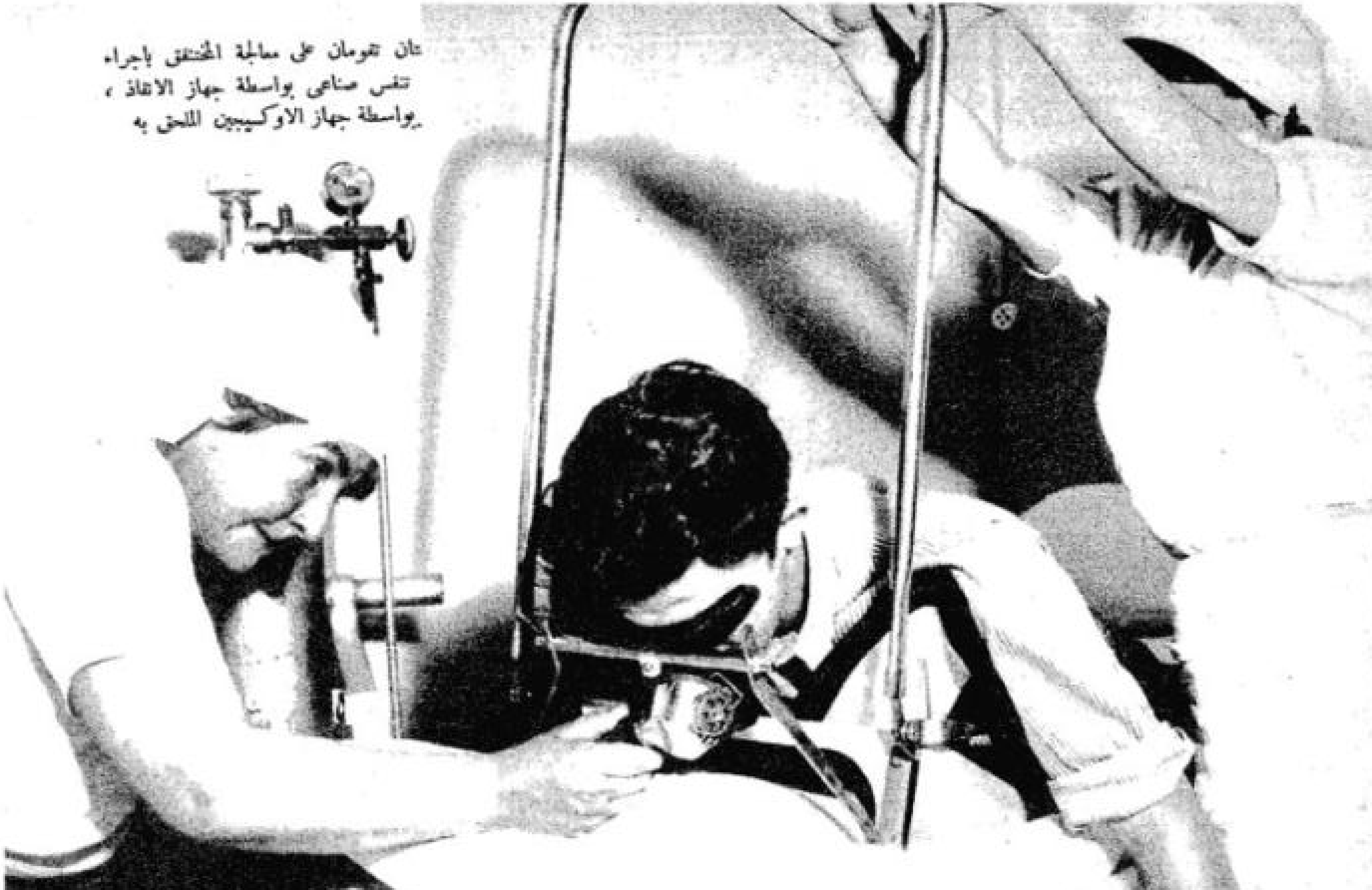
المختنق منكفئاً على جهاز الانقاذ ، وقد وضعت جبهته وأنفه وفمه فى المواضع المخصصة لها ، وعلى هيئة تسهل اجراء عملية التنفس الصناعى



يتصل جهاز الاعاشة بجهاز آخر مملوء بغاز الاوكسجين ، وترى الممرضة تقوم بامداده بهذا الغاز ، بكميات مختلفة تناسب درجة الحالة أو تشبهه



الممرضة تلف حول جسم المختنق حزاماً جلدياً عريضاً ، حتى يظل جسمه ملتصقاً بالجهاز في أثناء اجراء العملية



تان تقومان على معالجة المختنق بإجراء
تنفس صناعي بواسطة جهاز الانقاذ ،
وبواسطة جهاز الاوكسيجين الملحق به



رمزى مكدونالد

السياسى الاشتراكى الكبير رمزى مكدونالد « ١٢ أكتوبر سنة ١٨٦٦ — ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٧ » ، زعيم حزب العمال البريطانى الذى تولى الحكم مرتين سنة ١٩٢٣ وسنة ١٩٢٩ برئاسة زعيمه ، وهو أول رئيس للوزارة القومية الانجليزية التى تألفت سنة ١٩٣١ لتواجه أحداث الأزمة الاقتصادية العنيفة . وأحد كبار المفكرين الاجتماعيين ، وله كثير من المؤلفات الاقتصادية والاجتماعية القيمة . وقد كان من أعداء الحرب ودعاة السلام ، وأحد أفذاذ العصاميين المكافحين

الليلة الأخيرة
في حياة الامبراطورية النمساوية

بقلم الاستاذ حسن الشريف

الساعة التاسعة من المساء ، واليوم الحادى عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ ، والسكون شامل قصر شونبرون ، ولكنه سكون رهيب يشبه ذلك الذى يعم بيت المتوفى عشية تشييع جنازته

أولئك بعض الوزراء يتأبطون أضابير ضخمة ويتسللون وراء رئيسهم من احدى الحجرات ويدخلون مكتب الامبراطور على أطراف أقدامهم كأنهم أشباح متحركة

وهؤلاء بعض رجال البلاط قد جعلوا أيديهم وراء ظهورهم أو فى جيوب سراويلهم وساروا يذرعون الردهات جيئة وذهابا بخطوات وئيدة مطرق الرؤوس كاسفى الوجوه

وفى ركن أحد الأبهاء انعقدت حلقة من قواد الجيش وأعضاء البرلمان ينصتون فى وجوم الى البرنس هوهناوهى وزير البلاط وهو يقص عليهم آخر الأنباء ، ويروى لهم ان الجيش قد انهزم فى الميدان الايطالى هزيمة قاضية ، وان الامبراطور لم يجد بداً من مفاتحة ايطاليا فى شروط الصلح ، ولكن القيادة العليا الايطالية ترفض كل مفاوضة ، وتأبى الا أن تملى شروطها املاء لا تقبل فيه أخذاً ولا رداً

وفى زاوية احدى الغرف انعقدت حلقة كبرى من الزعماء ورجال السياسة يستمعون الى حاكم فيينا العسكرى وهو يفضى اليهم بأن ريح الثورة قد هبت على الامبراطورية من كل ناحية ، فالكرواتيون قد رفعوا راية العصيان وصارحوا الحكومة العداء ، والأعلام البولشفية الحمراء ترفرف فوق الدور فى بودابست كأنها ألسنة النار ، والاضطرابات قد عمت العاصمة والمدن الكبرى وباتت تنذر بشر مستطير ، وروح التمرد تسربت الى الجيش ومصانع الذخيرة ومصالح الحكومة وقد قصرت عنها قوى السلطات

وفى حجرة المكتب الامبراطورى وقف شارل امبراطور النمسا والمجر أمام النافذة وقد أسند جبينه الملتهب الى زجاجها المثلوج ، وأخذ يسرح الطرف فيما أمامه فيرى خيوط المطر الدقيقة تتدلى من السماء وأرض الشوارع المبللة تلمع تحت أضواء المصابيح ، وكتلا كثيفة من الشعب تتدافع



شارل الاول

آخر قياصرة النمسا

أودت أحداث الحرب الكبرى ونتائجها بكثير من عروش أوربا الوطيدة ، وفي مقدمتها عرش آل هبسبرج أعرق أسرة مالكة في التاريخ الحديث . وكان آخر من تولاه شارل الاول امبراطور النمسا والمجر ، الذى اعتزل عرشه مكرها عقب انهزام بلاده ، وتقرأ في الصفحات المقبلة كيف مرت الليالي الأخيرة من حكم هذا العاهل ومن حياة امبراطوريته التي وجهت تاريخ أوربا دهراً طويلا

شارل الأول أيام ولايته عرش الامبراطورية

الامبراطور شارل وزوجته الامبراطورة زيتا وأولادهما في سويسرا حيث أقاموا منذ نفوا من بلادهم



كالموج وتتقدم حاملة بيارق حمراء وتلوح بقبضات الأيدى وتصيح : « لتسقط الحرب ولتحى الجمهورية »

وبالقرب من الامبراطور الى جانب منضدة مستطيلة جلس الجنرال البارون فون آرتس رئيس هيئة أركان الحرب النمساوية يتلو على مولاه تقريراً مسهبا عما وصلت اليه الحال وقد جاء فيه : ان الأرشيدوق جوزيف أعلن العصيان وأصدر أمراً بتسريح جيش المجر الذى عهدت اليه قيادته ، وإن المجريين قابلوا هذه الخيانة بالرضا ، والارتياح حتى لقد ألقت فرقتان من المشاة سلاحها وغادرتا المعسكرات وطلبتا العودة الى الدور ، وإن متعهدى توريد الميرة للجيش قد أجمعوا أمرهم على الاضراب ، وإن بوادر الثورة أخذت تتجلى بين الأهالى فى مختلف المظاهر ولأتفه المناسبات ، وإن الامة قد كرهت الحرب وباتت عاجزة عن مواصلتها بعد أن استحر القتل بأبنائها وأنهك الفقر والجوع قواها وأعصابها ، فصارت تريد الصلح شريفا أو مهينا وتتمناه بأى ثمن ومهما كلفها من التضحيات

ولقد كان شارل يستمع الى كل ذلك وهو ينقر بأنامله على زجاج النافذة ويهز رأسه من وقت لآخر فى حزن بالغ وأسى شديد . فلما انتهى رئيس أركان الحرب من تلاوة تقريره وقف ينتظر أوامر الامبراطور ، ولكن الامبراطور لم يقل شيئا وانما مشى الى مكتبه مشية الشاعر بأن قوائم امبراطوريته تهتز تحت قدميه وأركانها تترنح وتتداعى للسقوط وبأن مصير عرشه ومصير أسرته قد باتا على كف القدر لا يعلم بماذا تطلع عليهما شمس الغد القريب . واعتمد رأسه بين يديه واستغرق فى تفكير طويل لم يخرجه منه الا همهمة أراد بها البارون أن يذكره بوجوده ، فرفع جفنيه المتثاقلين عن عينيه الشاردتين وقال بصوت هو أشبه الاصوات بالحشرجة : « ان سلوك الارشيدوق جوزيف لا يدهشنى فهو يطمع فى عرش المجر ولا شىء أحب اليه من تفكك أوصال الامبراطورية ليستولى على هذا الشطر منها ، ولكنه قصير النظر عقيم التدبير فان العاصفة التى تقتلعنى من هنا لن تبق على أحد من آل هابسبورج . . »

وعاد الامبراطور الى تفكيره وكان يربت بكفه على جبينه ويهز ركبتيه فى حركة عصبية ويهمهم بين فترة وأخرى : « رباه ان هذا لكثير »

ثم وجه الكلام الى فون آرتس وقال :

— ألا تستطيع الحكومة أن تضع حداً للفوضى الناشبة فى البلاد ؟

— لقد خرج الأمر من يد الحكومة يا مولاى وكل مقاومة لهذه الفوضى انما تذكيها وتزيد ضرامها

— والجيش ؟ أو على الأقل الجزء الباق على ولائه لنا من الجيش ؟

— ان من الخبل يا مولاى أن أنصح لجلالتكم بالاعتماد عليه

ــ والشعب ؟

ــ لقد فقد رزانته ونخوته وأصبح كالسائمة يطلب الخبز ولا يفكر في غير ذلك

ــ اذن فلا علاج لتلك الحال ؟

ــ لسنا مخيرين يا مولاى فنتردد بين الحل الصالح والحل الاصلح ، وانما نحن مكرهون على مواجهة الأمر الواقع وعلى تقبله مهما يكن مؤلما ومريراً . أنا رجل عسكرى لا أعرف الشعر والخيال ولا أقيم وزنا الا للحقائق الراهنة ، فاذا طاب لغيرى أن يزين لجلالتكم وجوب اللجوء الى القوة لتهدئة الحالة فى الداخل ووجوب استئناف المقاومة لصد العدو فى الخارج ، فليتقدم هذا الغير لحمل هذه المسئولية ، أما أنا فلا أنصح بتضحيات جديدة ولا أحمل ضميرى تبعاتها الوخيمة

وتنهد الامبراطور من أعماق صدره وقال : « فهمت ما عندك يا بارون وسنفحص كل ذلك بعد لحظة فى مجلس التاج » . ورفع القائد العام يده الى جبينه بالتحية العسكرية وتراجع خطوات الى الوراء وانصرف . وتناول شارل قلما وورقة وكتب البرقية الآتية الى صديقه غليوم الثانى أمبراطور ألمانيا :

« حيال جسامة الهزائم التى حاقت بجيوشى فى ميادين الحرب لم أر بداً من أن أطلب الى القيادة العليا الايطالية أن تدخل معي فى مفاوضات للصلح. على أنى أعدك ، اذا فرض علىّ العدو فى تلك المفاوضات شرط التصريح لجيوشه باجتياز التيرول أو أى جهة أخرى من بلادى للوصول الى أمبراطوريتك ، ان لا أتردد فى أن أضع نفسى على رأس الألمانيين الموالين لنا فى النمسا لأحول دون مرور تلك الجيوش . أما جنودى الذين هم من جنسيات أخرى فاني لا أعول عليهم وليس لى فيهم كبير أمل ــ صديقك الوفى : شارل »

* * *

فى تلك الاثناء كانت الحياة تدب شيئا فشيئا فى أرجاء القصر الحزين ، فقد بدأ النواب وقواد الجيش والزعماء السياسيون يتوافدون زرافات ويحتشدون فى الحجرات والأبهاء وهم يتساءلون فى لهفة وقلق عما وصلت اليه الأمور ، ويتناقلون أن الامبراطور لم يسعه حيال تمرد الجيش والاضطرابات السائدة على البلاد إلا أن يبعث رسله المفوضين ليتسلموا شروط الهدنة من القيادة الايطالية وإن عودة أولئك الرسل منتظرة بعد قليل

ووقفت سيارة أمام سلم القصر ونزل منها كبير الياورين يحمل ظرفا كبيراً واتجه الى مكتب الامبرطور مباشرة واختلى به برهة خرج جلالته على أثرها وسار الى البهو الكبير المعروف باسم بهو مارى تيريز حيث كان أعضاء مجلس التاج ينتظرونه ليرأس هيأتهم وليشاورهم فى الشروط التى أرسلتها القيادة العليا الايطالية اليه . ولقد أقبل على الاعضاء بوجه شاحب كئيب برحت به الآلام وعملت فيه النوائب عملها المخرب ، وبعينين غائرتين قرحهما الجهد المتواصل وأحاطهما طول

السهاد بهالة سوداء ، وسار الى كرسيه يجر ساقيه المتخاذلتين من فرط التعب والاعياء وقد حنى رأسه المثقل بالهموم على صدره المترع بالأحزان ، وثنى أصابعه المرتجفة على ورقة طويت أربع طيات ، ونظر الى من حوله نظرة يأس وقنوط وقال : « تفضلوا بالجلوس يا سادة »

وجلس شيوخ الدولة حول النضدة المستطيلة وشخصوا بأبصارهم نحو الأمبراطور يتأملون هذا الوجه الذى كان حتى الأمس القريب يفيض شبابا وبشراً ، وقد استحالت صباحته كآبة وعبوسا ، وانقلبت نضرته شحوبا ويبسا ، ويرثون لهذا العاهل المنكود الذى قيضت له الاقدار أن يرث عن سلفه عرشاً مزازل القوائم محفوفا بالمكاره والاخطار ، وأن يقتعد هذا العرش وشعبه غارق فى غمار حرب طاحنة عاقبتها غير مأمونة والنصر فيها غير مضمون ، وقد جاء الآن ليواجه نتائج تلك الحرب التى لم له يكن له فى شبوبها يد ولا فى مضاعفاتها رأى ، وانما هى سنة الملك تقتضيه أن يمشى على الحسك الذى زرعه سواه

ونشر الامبراطور الورقة المطوية ومد يده الى كبير ياوريه ، وقال : « اقرأ يا جنرال » فقرأ :

« يقرر مركز القيادة العليا لجيوش صاحب الجلالة ملك ايطاليا أن شروط الهدنة التالية لا يمكن أن تكون موضوع مناقشة أو مساومة بأى حال من الاحوال فيتعين قبولها برمتها أو رفضها برمتها قبل انقضاء أربع وعشرين ساعة على تسليمها لمبعوثي حكومة النمسا والمجر »

وهنا تبادل الامبراطور وأعضاء المجلس النظرات ولكن أحداً منهم لم يأنس في نفسه القدرة على التفوه بكلمة فالتزموا صمتا كصمت الأموات ، واستطرد كبير الياورين قراءته فسرد الشروط الظالمة الفادحة التى اشترطها الايطاليون لقبول الهدنة ، فاذا هى تقضى بأن تسرح الحكومة الامبراطورية فى الحال جميع جيوشها المحاربة فى مختلف الميادين ، وبأن تسلم الى السلطات الايطالية جميع قطع الأسطول البحرى ، وجميع قطع المدفعية من سائر الانواع ، وجميع خطوط السكك الحديدية بما عليها من قاطرات ومركبات

ووضع القائد الورقة أمام الامبراطور وقال : « لقد صارحتنى القيادة الايطالية بأن هذه هى الشروط المؤقتة التى لابد من قبولها لعقد الهدنة . أما شروط الصلح فسوف تدعونا حكومة روما إلى توقيعها بعد أن يتم التفاهم عليها بينها وبين حكومات الحلفاء »

انقضت دقائق خيم فيها السكوت على الحاضرين وأطرقوا كلهم كما لو كانوا يجهدون أنفسهم ليستردوا صوابهم المشتت وليستجمعوا أفكارهم المشردة ، ثم نشر القائد العام البارون فون آرتس خريطة لميادين القتال ، وبدأ يشرح الموقف العسكرى الذى وصلت اليه الحال ، ويبين مواطن الخطر على الجيش النمسوى والمنافذ التى لن يبطىء العدو فى النفاذ منها الى أرض الوطن ، ثم قرر أن كل أمل فى مواصلة الحرب قد ضاع ، وأن التفكير فى المقاومة جنون لا يقول به عاقل ، وألا مندوحة عن قبول الشروط المعروضة على ما فيها من قسوة وارهاق لأن فى قبولها دفعا لنكبات أدهى وأمر

وعاد أعضاء المجلس الى الاطراق مرة أخرى وساد السكون الغرفة كما لو كانت خالية من الاحياء ، وفقد شيوخ الدولة القدرة على أى شيء حتى على تبادل النظرات . وأجال الامبراطور عينيه فيمن حوله ثم رأى ألا بد من شيء يعمل أو شيء يقال فأهاب بهم قائلا :

« أيها السادة ، لقد جئتم لتقرروا مصير وطنكم وان هذا المصير معلق على الكلمة التى ستخرج من أفواهكم فماذا أنتم قائلون ؟ »

عندئذ نهض الهير شبتسمولر وزير المالية من كرسيه منتفضا كما لو مسه تيار كهربائى وأخذ يتكلم بصوت متهدج من فرط التأثر والغيظ ويؤكد كلماته باشارة قوية من يديه فقال: « لا .. لا .. وأخيراً لا . نحن لا نستطيع أن نقبل هذه الشروط من دون أن نحتج عليها ، ولا نستطيع أن نخون حليفتنا المانيا ونطعنها فى ظهرها بأن نسمح للجيوش الايطالية بأن تنفذ اليها من طريق بلادنا ، فكروا أيها الاخوان في أى شيء آخر ، أما هذا فمحال »

وقال البعض : «هذا حق » وهز آخرون رؤوسهم موافقين . أما الجنرال فون آرتس فتبسم تبسم الحكيم الذى يستمع الى ثرثرة أطفال وكأنه يقول لنفسه : « عجبا لأولئك المدنيين ! انهم أشد تحمسا للحرب منا معشر العسكريين » ثم أهاب بالاعضاء قائلا : « ليست الساعة للعواطف وانما هى للعقل وحسن تقدير الامور . ان الجيش والشعب لا يريدان الحرب وان أرادها فالدولة عاجزة عن مواصلتها ، فبأى شيء تحاربون ؟ »

وتلفت الامبراطور يمينا وشمالا يلتمس جوابا عن هذا السؤال فلما لم يتبرع أحد بالجواب تناول قلما وقال : « أملِ علىّ ما نكتبه الى القيادة الايطالية ياهير شبتسمولر » ولم تمض دقائق حتى كانت وثيقة قبول شروط الهدنة مهيأة للامضاء فأمضاها الامبراطور وقال : « يجب أن يحمل هذا الجواب الى القيادة الايطالية فى الحال » ولكن المستشار القانونى الهير لاماج اعترض قائلا : « ان هذه الوثيقة لا تتم لها صبغتها القانونية إلا اذا أقرها المجلس الامبراطورى الأعلى فدعونى أحملها اليه وأحصل على اقراره اياها وأعد اليكم بعد قليل » ووافق الامبراطور على هذا الرأى وأعلن وقف الجلسة حتى يعود المستشار

كانت الساعة تدق الثانية عشرة إيذانا بانتصاف الليل لما أخلى أعضاء مجلس التاج بهو مارى تيرز وانصرفوا الى الحجرة المجاورة يدخنون ويتشاورون . ولقد استقل المستشار لاماج سيارته قاصداً الى سراى المجلس الامبراطورى مخترقاً شوارع مدينة فينا النائمة التى لا تدرى شيئا مما هو واقع من عظائم الأمور ، ولا تعلم إلا أنها ستصبح مسرحا للاضطرابات والمظاهرات وميدانا لاصطدام الشعب الهائج بالشرطة التى تحاول حفظ الأمن والنظام ، ولم تكد السيارة تقف به حتى قفز منها وجعل يتسلق درج السلالم مثنى ، واندفع في الردهة الموصلة الى قاعة الاجتماع فألفاها خالية ، ففتح باب حجرة أخرى كان النور ينبعث من خلال شق بابها ووجد بها رئيس المجلس وواحداً

من الاعضاء . فلما عرض عليه الوثيقة قرأها مرتين ثم هز كتفيه وقال : « نحن هنا اثنان فقط ولا نملك وحدنا إقرار وثيقة لها هذا النوع من الخطر فلا بد من امهالى ريثما ادعو هيأة المجلس الى الانعقاد للنظر فيها » فقال المستشار : « ولكن الدقائق معدودة علينا ياسيدى الرئيس فكيف ننتظر ؟ » فمد الرئيس شفته السفلى وقال : « سأوفد من يحاول ايقاظ أعضاء المجلس من نومهم ويدعوهم الى الحضور »

***

الساعة الثانية بعد نصف الليل ونوافذ قصر شونبرون لا تزال مضاءة وأعضاء مجلس التاج منتشرون فى الحجرات يدخنون وينتظرون عودة زميلهم لاماج وقد عقد دخان التبغ فى السقوف سحبا كثيفة وارتسمت على وجوه أولئك الشيوخ علامات التعب وأمارات الاجهاد ، وأجراس التليفون تدق هناك وهناك والياورون ورجال السراى يهرولون من هذه القاعة الى تلك ، وكل مافى القصر قلق حيران يشعر أن هذه الدقائق سوف تتمخض عن أمر عظيم ، ولكن ما هو هذا الأمر العظيم ؟ لا أحد يدرى .

أما الامبراطور فذهب الى حجرة زوجه الامبراطورة تسيتا واستلق على صفة ، وقد دكت حوادث الأيام الأخيرة جسمه ، وأضنى السهر المتواصل قواه ، فأراد أن يضطجع لينال قليلا من الراحة ولكنه لم يكد يستلق على الصفة حتى غلبه النعاس فغط فى نوم ثقيل

يالشقاء الملوك اذا جار الزمان ! هذا هوشارل امبراطورالنمسا والمجر ووارث عرشى هابسبورج والقديس ايتين وسليل أقدم بيت مالك فى أوربا ، هذا هو نائما نومة اليائس المحزون مقوس الجسم مضعضع الحواس وقد انحدر رأسه من وسادة الصفة ومال على أحد كتفيه واستقبلت عيناه المغمضتان ضوء الصباح فبدتا غائرتين كعيون الأموات . وها هوذا ينتفض فى نومه ويهلوس وينطق من وقت لآخر بكلمات متقطعة تنم على ما فى نفسه من هم شديد ، وما يكاد يستقر على أحد جنبيه حتى يشهق شهيقا عميقا وينقلب على الجنب الآخر وهو يتلوى كما يتلوى النائم على الرمضاء . وهنالك فوق المنضدة قبالة اليائس العظيم انتصبت صورة الامبراطور الراحل فرانسوا جوزيف الذى أكرمه الموت إذ عاجله قبل أن يشهد الفصل الأخير من المأساة الرهيبة وقبل أن تتحطم شيخوخته تحت اعباء المسئوليات الجسام ، وهاهى عيناه فى الصورة مصوبتين الى المكان الذى رقد فيه خليفته كأنهما تنطقان بلسان الحال فتعتذران قائلتين : « عفواً ومغفرة اذا كنت قد خلفت لك هذا الميراث الثقيل »

وفى الحجرة المجاورة جلست الامبراطورة تسيتا مع لفيف من صاحباتها ورجال البلاط وكانوا يتحدثون همسا لكى لا توقظ أحاديثهم الامبراطور ، ويتداولون الرأى فيما يشغل بال الجميع ويقلق خاطر الاسرة المالكة بنوع خاص ، وهو التساؤل عن المكان الذى يلجأ اليه الامبراطور

وذووه اذا استفحلت الثورة ووجب الرحيل . ان الصلح مع ايطاليا سيتم بعد أيام وقد يتم بعد ساعات ، وسيعود الجيش المهزوم الى البلاد ، بل سيتدفق كسيل العرم تهدمت من حوله الجسور ، وسيطغى فى تدفقه على كل شىء ولن يقوى شىء على دفعه ، وقد يبلغ أسوار القصر الامبراطورى ويجرفه ، فما الذى يعصم الاسرة المالكة من هوله ؟ ومتى كان لفلوك عاصم من الجيش اذا تمرد ومن الشعب اذا هاج ؟

دقت الساعة البرونزية القائمة على اطار المدفأة أربع دقات وبدت تباشير الفجر الاول تخترق ألواح زجاج النوافذ فتأوهت الامبراطورة ورفعت عينيها الى السماء وقالت : « هذا صباح يوم جديد فماذا تطلع علينا شمسه يا رباه ؟ » . وفى هذه اللحظة أقبل الكونت ايردادى ممتقع اللون ولم يكد يحيي الموجودين فى الغرفة حتى قال وهو يلهث كالمائم : « أين جلالة الامبراطور يا مولاتى؟ انى عائد من عند حاكم فيينا العسكرى وهو يرى أن الحالة تستوجب ارتحال جلالته عن العاصمة الآن »

ونهض البرنس هوهنلوهى وزير البلاط وقال : « لماذا الرحيل ياسيدى الكونت ؟ لقد كنت أتحدث منذ ساعات قليلة مع مدير الامن العام فأكد لى أن ليس ثم شىء يهدد سلامة جلالة الأمبراطور فهل طرأ جديد بعد ذلك ؟ » فرفع الكونت ايردادى كتفيه وأجاب : « ليس من شأنى أن أجيب على هذا السؤال وانما أنا رسول أنقل ما أمرنى بنقله حاكم المدينة »

وقفت الامبراطورة تسيتا طائرة اللب مشردة الفكر زائغة البصر وقد بهت لونها وترقرقت دمعتان بين أهداب عينيها وصاحت : « ان هذا لشىء فظيع ! » ولم تتم عبارتها حتى كان الجنرال البارون فون آرتس قد اقتحم الباب ودخل متجهم السحنة متهدج الصوت وقال : « أين أجد جلالة الامبراطور ؟ » فتقدمت نحوه الامبراطورة وسألته بصوت يكاد اليأس يخنقه : « أحقا ياجنرال لاتوجد فرقة من الجيش مقيمة على ولائها لتدافع عن الامبراطور ؟ » فغض القائد من بصره وتبسم تبسم القانط المحزون كأنه يريد أن يقول : « هل من العقل أن نعتمد اليوم على الجيش وقد سرت اليه عدوى التمرد والثورة ؟ » ثم رفع عينيه وقال : «يجب أن اقابل الامبراطور حالا يامولاتى فالأمر جد خطير »

ولقد استمهلته الامبراطورة لحظة ودخلت على زوجها فألفته يغط فى نومه المضطرب ، فوقفت برهة تتأمل فى عطف وحنان ذلك الرأس المائل على هذا الجسم المتأود ، وذلك الوجه الشاحب الذى ارتسمت على أديمه التجاعيد والغضون ، فلم تستطع أن تحبس الدموع فى مآقيها وأرسلتها تنهمل على خديها ، ولكنها جاهدت نفسها لكى لاتنفجر بالشهيق واقتربت من زوجها على أطراف قدميها ووضعت يدها الرقيقة على كتفه وهزته فى رفق ، فانتفض شارل كالمذعور وهب من مضجعه سائلا : « ماذا حدث ؟ » فقالت زوجه : « لقد قدم الكونت ايردادى وأفضى الىّ بأننا فى

خطر وأنه يحسن أن ننجو بأنفسنا قبل أن تفوت فرصة النجاة »

ونظر اليها الامبراطور نظرة مشدوه ثم أجرى يده على شعره الكث وسأل : « كم الساعة الآن ؟ » فلما علم أنها الرابعة والنصف من الصباح هرول الى آلة التليفون وخاطب مدير الأمن العام يسأله عما وصلت اليه الحال فأجابه المدير بلهجة الواثق بما يقول : « لا خطر على جلالتكم واني أضمن سلامتكم وسلامة الاسرة المالكة » فبدت على الامبراطور أمارات الاطمئنان فقال : « اشكرك ياسيدى ويسرنى أن ابشرك بأني أنعمت عليك بالطبقة الاولى من نشان التاج الحديدى »

وعاد أدراجه الى غرفة الاستقبال بخطوات وئيدة وهو ينظر الى ما أمامه بعينين زائغتين تكادان لا تميزان الاشياء . وكان الجنرال فون آرتس ينتظره بصبر قلق فلم يكد يراه حتى طلب الاختلاء به ، وهنالك فى زاوية من زوايا الغرفة أسر اليه نبأ اخفاق المستشار لاماج فى مسعاه لدى المجلس الامبراطورى الأعلى ، وأنه لم يبق حيال ذلك إلا أن يفكر الامبراطور فى سلامة شخصه وسلامة أسرته . وكان شارل ينصت الى أقوال البارون وهو مشتت الذهن شارد البصر فاستعاده إياها مرة أخرى وناقشه فى بعض تفاصيلها ، ثم اتجه صوب الامبراطورة التى لم تكد ترى سحنته العابسة حتى صاحت : « ماذا جرى يا شارل ؟ » ولكنه لم يجب بل فكر قليلا ثم قال : « اليوم الأحد وأريد أن تقام الصلاة مبكرة عن ميعادها العادى بل أريد أن تقام الآن »

كان ذلك قبيل الفجر ولا بد من انقضاء بضع ساعات حتى تبزغ الشمس . وقد سار الامبراطور وزوجه فى مقدمة سكان القصر الى المصلى . وكان هذا المصلى مضاء بأنوار ضعيفة باهتة فوقف شارل وتسيتا حانيي رأسيهما يحركان شفاههما بصلاة خافتة كانت بمثابة جناز على روح الامبراطورية النمساوية التى كانت فى تلك اللحظة تلفظ نفسها الأخير

وفى هذه الاثناء كانت سيارة تخترق شوارع المدينة وتنفذ منها الى الطريق الموصل الى الحدود حاملة رسول حكومة فينا الى مركز القيادة العليا الايطالية وبيده ظرف مختوم بالخاتم الامبراطورى يحتوى وثيقة قبول شروط الهدنة

***

وكان ماخيف أن يكون فلم تكد الشمس ترسل أشعتها الأولى على المدينة حتى كانت سيول الجيش المنهزم قد تدفقت الى شوارعها وأحاطت بالقصر زاخرة صاخبة تهتف ضد الحرب وتنادى بقيام الجمهورية . ولقد حاول حاكم فينا العسكرى أن يطوق القصر بحامية المدينة ليحول دون طغيان هذا الطوفان عليه . ولكن أنى لتلك الحامية الضعيفة المتخاذلة أن تصمد للشعب والجيش معا وقد انطلقا من عقال الطاعة والنظام ؟

عندئذ طاشت العقول ومشت القلوب فى الصدور ودب الذعر الى النفوس ، فبدأ الوزراء يرسلون استقالاتهم الى الامبراطور وأخذ رجال السراى يفرون من مراكزهم طالبين لأنفسهم

النجاة من ذلك الخطر الزاحف ، ووقف الامبراطور يشهد بعينيه ذلك المنظر المخجل الأليم ويرى أقرب الناس اليه يتخلون عنه فى ذلك الظرف العصيب ويأبون أن يشاطروه الضراء بعد أن طال ما شاطروه السراء ، ويحنثون بالقسم الغليظ الذى أقسموه على أن يفتدوه بأرواحهم وبآخر قطرة من دمائهم ، فكان يهز رأسه اشمئزازاً والأسى يقطع نياط قلبه ويهينم بين شفتيه : « ما أشبه أولئك الكبراء بالفيران تهجر السفينة المشرفة على الغرق» ثم يرفع عينيه ويقول : « رباه ما أقل الوفاء فى الناس ! »

على أن بقية من الحياء وذماء من المروءة والرجولة أبقيا بعض كبار رجال البلاط بالقرب من السيد المنكوب ، فلم تطاوعهم نفوسهم على تركه وهو يواجه الكارثة ، فلبثوا فى القصر يروحون ويجيئون مستسلمين لقضاء الله تطير قلوبهم هلعا كلما دق جرس تليفون وترتعد فرائصهم خوفا كلما رأوا قادما ينزل من سيارته أمام السلم

لقد كانوا يعلمون أن الآزفة قد أزفت وليس لها كاشفة ، وأن الباقى من عمر الامبراطورية لا يعد بالايام بل يعد بالساعات ، فكان يحز فى نفوسهم أن يكونوا شهود تلك الشمس الرائعة وهى تنحدر بسرعة الى المغيب ، وأن يروا بأعينهم آخر عاهل من آل هابسبورج يهبط درج العرش الى مصير مجهول ، ولكن ماذا يفعلون وقد نزل البلاء ولا دافع ، وحم القضاء ولا عاصم ، وشاء مالك الملك أن يعصف بعرش نهضت به القرون وقصرت عنه قوة نابليون ؟

ولم يكن الامبراطور شارل أكثر منهم تفاؤلا ولا أوسع رجاء فلقد يئس هو أيضا من كل شىء ولم يبق أمامه أمل يتعلل به أو عامل يعول عليه ، حتى لقد أملى عليه اليأس تلك البرقية الى صديقه غليوم الثانى وهى كما ترى تفيض حزنا وأسى :

« أشعر فى هذه اللحظة الأليمة بحاجتى الى أن أفضى اليك بأنه يحزننى كل الحزن ألا أستطيع الوقوف بجانبك في هذه الرحلة الأخيرة من جهادنا المشترك . لقد حملنا معا عبء النضال الطويل وتقاسمنا سراء الحرب وضراءها وشربنا سويا من حلوها ومرها ، أما اليوم فأنا وحيد استقبل الاعصار الذي يهب على ، فأسأل الله أن تكون أحسن منى حظا وأكثر توفيقا »

وانعقد مجلس التاج مرة أخرى بيهو مارى تيريز ولكن عدد الذين حضروا جلسته كان قليلا ، فلقد استقال معظم الوزراء ومستشارى العرش حتى خاف المستشار لاماج أن لا يبقى منهم أحد فنصح للامبراطور أن يرفض استقالة من يستقيل منهم بعد ذلك . فلما جاء وزير المواصلات يرجو من الامبراطور أن يعفيه من أعباء منصبه ويبرر ذلك بقوله : « لم يبق لى بعد تسليم وسائل النقل والمواصلات الى ايطاليا ما أفعله فهل أبقى وزيراً للمواصلات وأنا لا أملك قاطرة ولا مركبة ؟ » أجابه الامبراطور مؤنبا : « ان موقفى أشد من موقفك يا سيدى فأنا القائد الأعلى للجيش والاسطول ولم يبق لى جندى ولا سفينة ومع ذلك فها أنت ترانى فى مركزى لا أبرحه »

بيد أنه لم يكتب لهذا التشبث بمركزه أن يبقى فيه بعد ذلك طويلا . فلقد رأى الوزراء ألا سبيل الى تهدئة الحالة الا بتنازل الامبراطور عن العرش ، ووضعوا أمامه ورقة رجوا منه أن يذيلها بامضائه وكانت هذه وثيقة التنازل

تناول الامبراطور الورقة وتأمل سطورها مليا وقال : « يعلم الله أيها السادة أن ليست عظمة الملك هى التى تجعلنى أتعلق بعرشى ، فأنتم تعرفون الظروف الحرجة التى اعتليته فيها ، وتدركون صعوبات الساعة التى تزهدني فيه ، وأنه لولا رغبتى فى أن أخدم شعبى بالاشراف على مصائره فى تلك الظروف لما قبلت أن أعتلى هذا العرش المحفوف بالخطر ولما رضيت أن اضطلع بتلك المسئوليات التى ينوء بحملها أقوى الرجال ، ولكنه الواجب أملى على سلوكى إذ ذاك ، وهذا الواجب نفسه هو الذى يوحى إلى اليوم أن أبقى فى مركزى حتى أشاطر شعبى مصيره الى النهاية وحتى لا يقال انى فررت من المسئولية فى أدق الساعات . وبعد فان مشيئة الله قضت أن تضع بين يدى أمانة الآباء والأجداد لأسلمها الى الابناء والاحفاد ، فلست أملك بل ولست أرضى أن أخون هذه الامانة أو أن أفرط فيها ما دمت قادراً على الاحتفاظ بها والدفاع عنها . لذلك أوثر أن ينتزع التاج من رأسى على أن ألقيه بيدى »

وفى هذه اللحظة كان تدفق الجماهير والجيش حول القصر قد بلغ أشده وكانت الصيحات تتصاعد عالية فتملأ الجو هاتفة بسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية ، فلم يجد رئيس الوزراء ما يرد به على عبارات الامبراطور الا أن يشير بيده الى النافذة ويقول : « ان القوى التى تحرس القصر لا تستطيع أن تثبت طويلا أمام هذه الجماهير يا مولاى » فصاح الامبراطور وهو يضرب بقبضته المنضدة : « لا أريد المقاومة ولا أسمح بسفك الدماء . افتحوا الأبواب ودعوا الشعب يدخل ولتتم ارادة الله »

عندئذ نهض رئيس الوزارة خاشعا وقال :

« ان الشجاعة التى تبديها جلالتكم فى هذا الموقف جديرة بالتقدير والاعجاب ، وسنذكر للعالم أن جلالتكم آثرتم مواجهة الخطر فى أشد مظاهره على أن تتخلوا عن واجبكم نحو الأسرة والعرش والبلاد . ولكن من الاعتبارات يا مولاي ما ينبغى أن يحدو جلالتكم على التفكير فى الأمر من سائر نواحيه ، وانه ليؤلمنى أن أصارح جلالتكم بأنكم اذا لم توقعوا هذه الوثيقة لتعلن للشعب قبل ظهر اليوم فان الحكومة ستواجه حالة اضراب عام يتناول نواحى العمل كافة فى سائر أرجاء الامبراطورية ، وعندئذ تتعقد المسائل ويفلت زمام الأمور من أيدينا ولا نعلم ما قد يحدث بعد ذلك . وبعد فان الحلفاء الذين يلقون على أسرة جلالتكم تبعة الحرب قد يتشددون معنا فى شروط الصلح ويزعمون أن فى بقائكم على العرش ما يبرر تشبثهم بضمانات واحتياطات لا قبل لنا بها . فهل لا ترى جلالتكم ان هذه الاعتبارات السامية تستحق منكم أن تضيفوا الى تضحياتكم السابقة المتواصلة

تضحية أخيرة سيعرفها لكم الشعب ويذكرها التاريخ ؟ »

فأطرق الامبراطور وأغمض عينيه برهة وكانت رعشة يديه تدل على الصراع الهائل القائم فى نفسه بين شتى الواجبات والاعتبارات ثم قال : « اذا كنتم حقيقة ترون فى ذلك جليا لخير أو دفعا لشر فاليكم ما تريدون » وتناول القلم وكتب اسمه فى أسفل الوثيقة

***

١٤ نوفمبر سنة ١٩١٨ . الساعة تقارب الثامنة من الصباح والمطر ينهمر من السماء والريح تهب باردة فتحمل الى ردهات القصر من خلال الابواب المفتوحة قطرات تبلل الارض الخشبية، وأوراقا صفراء ذابلة تتطاير من أغصان الاشجار فتملأ المماشى وتنفذ منها الى الحجرات ، وقد وقفت الامبراطورة تسيتا فى أحد الابهاء والتف حولها أعضاء الأسرة المالكة ومن بقى من رجال الحاشية ونسائها، وقد ارتدى الجميع ملابس السفر ولفت السيدات الفراء حول أعناقهن ورفع الرجال ياقات معاطفهم اتقاء للبرد الشديد ولبثوا ينتظرون أن يفرغ الامبراطور من جمع أوراقه الخاصة وما يريد أن يحمله معه من التحف والمقتنيات

وهنالك أمام السلم الخارجى الكبير وقف رتل من السيارات وقد أديرت محركاتها واصطف ضباط الحرس الامبراطورى على جانبي الدرابزين الرخامى وعلى الافريز المشى الرئيسى الموصل الى البستان وقد وقفوا كاسفى الوجوه دامعى العيون

فلما دقت الساعة الثامنة ظهر الامبراطور أمام الباب والى جانبه الامبراطورة ومن خلفهما أولادهما وأعضاء الأسرة المالكة والبرنس هوهنلوهى وزير البلاط ، فأشار قائد الحرس اشارة بيده فرفع الضباط أيديهم الى جباههم بالتحية العسكرية ، وتقدم الامبراطور ونزل درجات السلم بخطوات وئيدة وهو يجيل الطرف فيما حوله كأنه يتزود بنظرة من ذلك القصر المنيف . فلما بلغ الدرجة الأخيرة من السلم وقف هنيهة وابتسم لرجال حرسه ابتسامة حزينة ولوح بيده يمنة ويسرة ورفع قبعته مودعا ثم احتل مكانه فى السيارة . وأخرجت الامبراطورة منديلها ومسحت به الدموع التى كانت تنحدر من مآقيها على خديها وقالت : « وداعا أيها الاصدقاء » ودفعت أولادها الى داخل السيارة وجلست الى جانب زوجها . وانطلقت السيارات تحمل آخر عاهل من آل هابسبورج الى المنفى البعيد

وأدرك قائد الحرس وضباطه أن مهمتهم قد انتهت وأن قصر شونبرون أصبح منذ ذلك اليوم ملكا للشعب، فغادروه مودعين ذلك الأثر الأخير من آثار تلك الامبراطورية الضخمة التى كان لها فى التاريخ شأن عظيم

حسن الشريف

[اعتمدنا فى كتابة هذا المقال على كتاب « ذكرياتى عن بلاط فينا » للارشيدوق ليوبولد النمساوى ــ ترجمة فرنسية من مطبوعات بايو]

هل يتقوض نظام الأسرة

أثر المسألة الجنسية في حياة الفرد والجماعة

بقلم الأستاذ علي أدهم

تواجه الحضارة فى العصر الحاضر طائفة من المشكلات الخطيرة والقضايا المعقدة ، تختلف فى طبيعتها عن سائر الأزمات العسيرة التى عانتها فى سوالف العصور ، فقد كانت النظم الاجتماعية والآراء والمعتقدات تتطور تبعا لتطور داخلى بطىء أو تحت تأثير ظروف طارئة وقوى خارجية مفاجئة ، أما فى العصر الحاضر فان أسس الحضارة والاعتقادات التى تقوم عليها عرضة لاحتمال تغير أصيل شامل ، وقد أصبحت موضعا للتساؤل ومثاراً للشكوك

والناحيتان البارزتان فى أى مجتمع قديم أو حديث هما بلا مرية نظام الأسرة والنظام الاقتصادى . ومن أجل ذلك ليس من المستغرب أن يستغرق التفكير فى الاقتصاد ونظام الأسرة الجيل الحاضر ، وان ينتظم أكثر مفكريه مدرستان هامتان من المدارس الفكرية : احداهما تستنبط كل شىء من مصدر اقتصادى ، والمدرسة الأخرى تستخرج كل شىء من نظام الأسرة ، أو بلفظ آخر من المسألة الجنسية . والمدرسة الأولى محورها تعاليم كارل ماركس شيخ الاقتصاديين فى القرن التاسع عشر ، والمدرسة الثانية امامها فرويد كبير علماء علم النفس فى العصر الحديث . ومن العسير أن يتعصب الانسان لمدرسة من هاتين المدرستين، لان أرجحية احداهما على الأخرى ليست من الأمور الواضحة المقطوع بصحتها ، اذ لا نزاع فى أن الآداب الجنسية والافكار الاجتماعية قد تكون مدعاة الى احداث تغير كبير فى الأوضاع الاقتصادية فى بعض العصور ، كما أن النظم الاقتصادية فى عصور أخرى قد تكون من الاسباب التى تسوغ ظهور آداب جديدة وتعين على ذيوع أفكار مستحدثة

والحقيقة ان المسألة الجنسية والمسألة الاقتصادية متداخلتان مشتبكتان بحيث انه ليس من الميسور فصل احداهما عن الاخرى . فالاقتصاديات قائمة على طلب القوت ، ولكن الانسان فى غالب الحالات لا يكدح فى تحصيل الرزق لنفسه وانما يريده لأسرته وذراريه ، فاذا تغير نظام الأسرة تبع ذلك تغير فى النظام الاقتصادى ، ولو قامت الحكومة بعبء تربية الاطفال وتنشئتهم لانتفت أسباب الادخار ووجوه التأمين على الحياة ، ويزعم الشيوعيون انه لو صارت الحكومة هى المتصرفة الوحيدة فى الثروة لانتثر عقد الأسرة . ومهما يكن نصيب هذا الرأى من الحق فانه لا نزاع فى أن

هناك علاقة أكيدة بين نظام الأسرة ونظام الملكية الفردية

والآداب الجنسية فى أكثر المجتمعات قائمة فى ظاهر الأمر على دعائم الدين وأساس التقاليد، وتأثيرها متشعب بعيد المدى: فهى تطبع الشخصيات بطابعها، وتنشىء الأسرة على غرارها، وتنفض على القومية صبغتها، وتبسط سلطانها على الخلافات الدولية والمشكلات العالمية

والجانب الشخصى الخالص منها يتناوله التحليل النفسى الذى استفاضت بحوثه وكثرت تجاربه ومشاهداته منذ أوائل القرن العشرين، وهو يتقصى حياة الفرد من مستهل طفولته وتربيته الباكرة ومحاولة اخضاعه للناموس الأدبى السائد والحالات النفسية التى اختلفت عليه، ويكشف عن تأثير الموانع والمحرمات الجنسية فى هذا الدور الخطير من أدوار الحياة وما يتلوه من أدوار

وتبدأ الآداب الجنسية بتلك المحظورات والمحرمات التى يتلقاها الانسان فى طفولته. فنحن نلقن الطفل من مفتتح تربيته وبدء يقظته ألا يلمس أجزاء خاصة من جسمه ازاء الناس، ونكتم عنه سر مجيئه الباشر الى الدنيا فاذا أغراه حب الاستطلاع الغريزى فى الاطفال بالالحاح فى السؤال سمع أجوبة غير مطابقة للواقع، وكثيراً ما يهدد بالخصاء، ومن ثم ينشأ الطفل وقد اقترنت فى نفسه المسألة الجنسية بفكرة الجريمة وخواطر الرهبة والخوف، ويبلغ هذا الشعور من نفسه كل مبلغ حتى يستقر فى عقله الباطن، وعلماء النفس يردون أسباب «السادية» — أو الرغبة فى إيلام الغير — و «الماسوشية» — أو الرغبة فى ايلام النفس — الى هذا الشعور بالجريمة من الناحية الجنسية، «فالسادى» مثلا رجل أشد شعوراً بجريمة المرأة، لانها فى عرفه وحسب الآداب التى نشأ فى حجرها وملكت عليه عقله الباطن قد استغوته واستنزلته من صياصى العفة الى حضيض الابتذال وأفسدت عليه صفاء تفكيره وطهارة نفسه وصلاح مذهبه، فهومن ثم حريص على ايذائها والثأر منها، ويصبح ذلك الشعور على مر الايام رغبة عامة فى الايذاء والتنكيل بالغير، لايستشعر بواعثها ولا يدرى أسبابها، لأنها قد تسربت الى ما وراء الوعى وكمنت هناك تعمل عملها وتنفث سمها، وقد أخذ المشرفون على تربية الاطفال فى مختلف الأمم يدركون هذه الحقائق

وعهد الطفولة ومطالع الشباب هما تلك الفترة من العمر الحافلة بالنزوات ومظاهر الطيش والتسور على المحرمات، وهى فى تلك السن طبيعية مألوفة ولا يطول فيه الأسف على التورط فى الغمرات والتكثر من الخطايا واحتقاب الأوزار، ولكن استباحة المحرمات الجنسية واسقاط مفروضاتها تعامل فى هذا الصدد معاملة خاصة وينظر اليها بعين أخرى حتى يستبق الى الطفل الشعور بأن لها شأنا آخر مغايراً لسائر الشؤون، فاذا سرق الطفل شيئا أو كذب أكذوبة فهو لا يثير شديد استنكارنا وبالغ ازدرائنا ولا يحس انه قد ارتكب زلة لا تستقال وأتى أمراً إدًّا. ولكن أدنى مخالفة وأيسر خروج على القواعد المرعية فى المسائل الجنسية يستدعى التقريع الشديد والمؤاخذة القاسية حتى يقع فى روع الطفل انه قد ارتكب كبيرة من الكبائر وأحدث خرقا فى

الآداب وأفسد ما يتعذر اصلاحه ، وهذا التهويل والاستفظاع يثير فى نفسه الكثير من الوساوس ويوحى اليه أنه قد أصبح فى عداد المجرمين ، وليس من شأن هذا الشعور أن ينهاه عن الخطأ ويصرفه عن الضلال ، وانما يعلمه أن يحتاط لنفسه ويبالغ فى اخفاء جريمته ، وان يتعزى عن اقترافها وما يحمل من أثقالها بأنها مستورة خفية لا يعلمها أحد ، ويحمله ما يتناوح فى نفسه من لواعج وما يلم بها من حسرات ، شديد الحرص على أن ينتقم لنفسه من الذين يتخونهم الحظ فينكشف المستور من أخطائهم الجنسية ، وركون الطفل الى الغش والنفاق والمداراة فى غضاضة السن وريعان النشأة يمهد له أسباب ممارستها فى الكبر ، فيصبح منافقا مرائيا ومضطهداً قاسيا يلتذ تعذيب الغير ويروقه إيلام الناس والايقاع بهم والانحاء عليهم . ومن سخرية القدر أن يكون ذلك كله نتيجة منطقية للمحاولة البارة الصالحة التى يقوم بها الآباء الأماثل ليجنبوا أولادهم سوء السبيل ويلقنوهم الحرص على الفضيلة والنفور من الرذيلة !

ومن القسوة البالغة أن نملأ نفوس الأطفال بخواطر الجريمة ووساوس الخوف ، فى حين أن نفس الطفل الغضة الناشئة فى حاجة ماسة الى أن تلتذ بأسباب الاستبشار والغبطة ، والتفتح للحياة والتأهب لتلقى مشكلاتها بأعصاب سليمة جليدة ونفس قوية صحيحة ونشاط مجتمع وافر ، وإذا أردنا أن نخرج من الاطفال رجالا شجعانا صرحاء لا التواء فى طبائعهم ولا صغار فى أخلاقهم ، فعلينا أن ندربهم من الصغر بحيث يكون ذلك فى الكبر سهلا ميسوراً ، والأساس الذى يجب أن تقوم عليه الآداب الصحيحة هو أن الغرائز لا تقاوم ، وانما تهذب تهذيبا وتصقل صقلا ، ولا يتم ذلك إلا بتعهدها فى أوائل العمر ، لان الغريزة اذا حوربت وقمعت فى ابان ترعرعها كان لذلك أثره السيء فى مختلف مراحل العمر ، واضطرها الى أن تبدو فى صور أخرى شوهاء وأساليب معوجة . ووظيفة التربية هى استثمار الغرائز وسياستها ، ومن آخر نتائج الآداب القديمة انها تفرق بين العقل والغريزة تفريقا شديداً ، وتمهد بذلك السبيل لانقسام الشخصية وتوزع جهودها وجعل النفس ميدانا تحتدم فيه معارك حامية الوطيس بين مختلف الاهواء ومتنافر الافكار . ويزيد فى خطورة الأمر أن الحضارة قائمة الى حد كبير على كبت الغرائز واخضاعها للاغراض الاجتماعية ، فالمشكلة الحادة التى تواجهها الحضارة الحديثة هى محاولة التوفيق بين مقتضيات الحضارة ومطالب الغريزة الجنسية ، والملاءمة جهد الطاقة بين النظر الى الدنيا بعين الدين والآداب السائدة ، والنظر اليها بعين الطبيعة

وللمسألة الجنسية بالنسبة الى الفرد حاجة من حاجات الجسم والنفس ، ولا تقل أهمية لكيانه عن الطعام والشراب ، وحقيقة أن الانسان قد يعيش بدونها فى حين أنه لا يستطيع الحياة بدون الطعام والشراب ، ولكن من الوجهة النفسية تتعادل الرغبتان ، والافراط فى كبت تلك الغريزة يزيد الحاجة يقظة وشدة ، واذا طال الحرمان واشتد الكبت أصبحت المسألة الجنسية الشغل الشاغل

ومسألة المسائل وغمرت الفكر وغطت على القلب وتضاءلت الى جانبها الغايات والاغراض ، وقد تصدر من الأفراد حينذاك أعمال غير لائقة بالسداد ممعنة فى الالتواء ، وعدم تناول الموضوع فى صراحة ووضوح واعتراف بالحقائق يجعله يشغل حيزاً أكثر مما كان ينبغى أن يشغله حتى يستشرى الداء وتستفحل النكبة ولا علاج لذلك الا طرح المسألة على بساط البحث الحر ، وأن يعيرها القائمون بالتربية عنايتهم ، وإهمال هذا الموضوع واحاطته بالكتمان هو الذى جعل المشكلة الجنسية فى العصر الحاضر تتحدى المفكرين وتستعصى على البحث والارتياء . والرجل المنهوم بالشهوة يعيش فى أفق محدود معطل القوى مسف المأرب ، كذلك الرجل الذى ينفق وقته وجهده فى مغالبتها والانتصار على إغراءاتها ، ومن ثم كان هناك وجه شبه بين حياة الناسك المتشدد والغوى المستهتر ، لأن أحدهما مشغول بالاستجابة لمطالب الشهوة والآخر منهوك مستهلك فى مغالبتها وعصيانها . والرجل السليم لا يحصر فكره فى نفسه على هذا النمط ، بل يرى فى الحياة من العجائب والمتع ما يستدعى الاهتمام ، ويصرفه عن الاكباب على النفس والقبوع فى جحر الخواطر الشهوانية الذى يحدث من المغالاة فى كبت الرغبات وتركها ظمأى هائمة أو من جراء الافراط فى مطاوعتها والاستسلام لسلطانها. وإطالة التفكير فى المسألة الجنسية هو نفسه ضرب من ضروب الحرمان كما أن الرجل الذى يفرط فى اختزان المواد الغذائية هو فى الأغلب قد عانى آلام السغبة والاملاق . والسعادة الانسانية التى يمكن أن تتاح قائمة على يقظة الغرائز مع المحافظة على توازنها وعدم الاسترسال فى تقوية احداها على حساب اطراح غيرها وإهدار حقوقه

وتبرز الناحية الاجتماعية من المسألة الجنسية عند ما ننتقل من دراسة الفرد فى ذاته الى دراسة علاقته بالمرأة ، وهنا تختلف الآراء وتتخاصم المعتقدات التى تدور حول توضيح طبيعة تلك العلاقة وشرح الاساس الذى يجب أن تقوم عليه ، وهل تتغلب فيها العوامل النفسية على العوامل الطبيعية المحضة . والرأى الأعم والأصح فى نظرى أن الحب يزيد ويقوى كلما تفاهمت الشخصيتان ، وتعدد الزوجات في الواقع ليس مثلا أعلى للعلاقة الزوجية

ونلتقى هنا بمسألة الأسرة ، ولنشوء الأسرة تاريخ طويل وتطورات كثيرة ، واكتفى هنا بتقرير أن الأسرة الأبوية ـ الأسرة القائمة على سلطة الأب ـ انتصرت فى المراحل الاخيرة من ذلك التطور على الاسرة القائمة على الأمومة . واستتبع ذلك نشوء طائفة من الآداب والتقاليد تدعم أركان ذلك الانتصار وترفع بنيانه ، وجاءت الأديان بعد ذلك وتوجت هذا الانتصار وأسبغت عليه روعة القداسة ، واستلزم ذلك نشوء أفكار خاصة عن فضيلة المرأة وعفتها ، لأنه بدون خلق سور منيع من أمثال هذه الافكار يستهدف نظام الأسرة الأبوية للانحلال . إذ تصبح الابوة التى يقوم أساسها على هذا النظام موضعا للشك وهدفا للاقاويل . وقد خطت الديانة المسيحية خطوة أخرى بعيدة فى هذا الموضوع وذلك بمطالبة الرجال بالتزام حدود الفضيلة فى المسائل الجنسية ، وساعد

على هذا الاتجاه فى آدابها نزعتها البادية فى الدعوة الى الزهد والتنسك ، وأعان على تقوية هذا الغرض وتأكيده فى العصور الحديثة ظهور شخصية المرأة واستردادها بعض حقوقها ومطالبتها بالمساواة ، واعتبارها أنه من الحق أن يقيد غيرها بالآداب التى فرضت عليها فرضا

واستدامة العلاقة الزوجية أو شبه استدامتها موجود بين بعض الحيوانات ، حيث يستدعى حفظ النوع أن يقاسم الذكر الانثى أعمالها فى تعهد صغارها . فالطيور مثلا على الأنثى منها أن تطيل الرقاد على بيضها لتدفئه ، وأن تقضى زمنا فى الحصول على القوت ، والقيام بالعملين متعذر فى بعض الاحيان ومن ثم ينشأ التعاون بين الذكر والانثى . والطيور من أجل ذلك أمثلة باهرة للفضيلة من الناحية الجنسية ، كذلك فى الانسان فان تعاون الأب والأم فى مصلحة النسل وبخاصة فى أوقات الهزاهز والقلاقل ، ولكن فى أوقات استقرار الحضارة وانبساط رواق الامن فان الحكومة تقوم الى حد كبير بوظيفة الأب وتنهض بدوره في الحماية واستدفاع الخطر . ولو سارت الحضارة خطوات فى هذا السبيل فانه من المحتمل أن يتبع ذلك تحول فى الآداب والاخلاق ونشوء عادات وتقاليد تلائمه ، واذا عمدت الحكومة إلى التدخل فى تربية الاطفال وتعليمهم وقامت بحمايتهم بطلت وظيفة الأب إلى حد كبير وتقلصت سلطته على الأسرة . ووظيفة الاب فى الاسرة الحيوانية هى حماية الأسرة كما فى الأسرة الانسانية ، ولكن فى الجماعات المتمدنة يقوم بالحماية الشرطة ، فاذا قامت الحكومة باعالة الاطفال وتربيتهم ألغت تلك الحالة الاقتصادية وجود الاب وقد تتجه الآداب حينذاك وجهة أخرى

على أن مسألة هدم الأسرة ليست من الأمور المرغوب فيها والتى يتلقاها المفكرون بالترحيب ، لأنه سيمكن الحكومات من أن تصوغ الاطفال على نمط واحد وتصبهم فى قوالب متشابهة وتربيهم تربية محرومة من حرارة الحنان الأبوى ورقة الأمومة ، وتهيىء المكان لظهور شعب حربى جامح متجانس لاتفاق المناشىء والبيئات ، فان لم يسبق ذلك وجود قوة دولية ثابتة الدعائم بعيدة النفوذ تق الانسانية أخطار الحروب والمطامع ، استهدف العالم لأضرار تربية وطنية متطرفة لاتعرف هوادة ولا تطيق اعتدالا ، وعملت كل أمة على نقض بنيان غيرها من الامم واجتثاث أصولها

ونستخلص من ذلك أن المستقبل ملىء بالاحتمالات ، وأن الحالة الراهنة ليست حالة استقرار من جهة الآداب الجنسية ، ولو قامت الآداب الجنسية على أسس بريئة من سيطرة الأوهام وأحكام الخرافات لما اشتد أمرها هذه الشدة حتى أصبحت لها الصدارة فى مشكلات العصر الحديث ، وليست هى كل شىء فى الحياة ، وليس كل خير فى الحياة موقوفا عليها منوطا بها ، والرجال الذين قاموا بأجل خدمات للانسانية لم تكن المسألة الجنسية هى التى حفزتهم على النهوض بها . والرغبة فى فهم الدنيا والحرص على اصلاحها هما الدافعان الى التقدم وهما بريئان من سيطرة المسألة الجنسية

على أدهم

فلسفة الملابس

ثياب المرء تؤثر فى نفسيته وتفكيره

بقلم الدكتور أمير بقطر

ما هذه القيود الثقيلة التى كبل بها الانسان نفسه ؟ وما هذه السلاسل التى أوثق بها بدنه ؟ علام هذه السراويل التى تكاد تلتصق بالجسم فتخنقه خنقا ؟ وهذه الأحذية الضيقة التى تضغط أصابع القدم حتى تكاد تميتها ؟ وفيم هذه الأحزمة التى يشدها الرجال والنساء حول أوساطهم حتى تتقلص أضلعهم ؟ ولم هذه الأزياء التى تحرم مسام الجلد من الهواء العليل الشافى ، وكريات الدم من أشعة الشمس فوق البنفسجية ، وتنكر على بنى الانسان أول مبدأ من مبادىء الحرية ؟

أين الحرية التى ينشدها المرء ، وتزهق لأجلها النفوس على شفرات السيوف ؟ ألم يجن هو عليها بيده ، فقضى عليها فى مهدها ، وبدأ بتجريد بدنه منها ، بما جرد عليه من الثياب ، جريا وراء الزينة لا وقاية من الحرارة والبرودة كما يتوهم البعض ؟

ترى ماكان يكون حال الانسان لو ظل محتفظا ببدنه كما أرادته الطبيعة أن يكون ، قبل أن يخيط أوراق الغصون فيتزر بها ، ويحيك الثياب فيختبىء فى ثناياها ، وقبل أن يستعيض رداء الحشمة والحياء فى جسمه العارى ، بلباس التبذل فى جسمه المكسو بالثياب ؟ ترى هل كان يكون أطهر قلباً ، وأخلص نية ، وأشف سريرة ، وأصدق نفسا ؟

من العجيب أن أقل الناس ثيابا ، هما النقيضان ، أكثرهم حضارة ، وأشدهم همجية . فسكان الشمال فى أوربا وأميركا ، وهم أكثر بنى الانسان حضارة ، لا يرتدون من الثياب إلا ما يقيهم من البرودة ، وهم الذين تكثر بينهم أندية العرى ، وعباد الطبيعة الذين يقطعون مئات الاميال سيراً على الاقدام ، فى الجبال والغابات والأحراش عراة أو ما يقرب من ذلك . وسكان أواسط افريقيا كذلك يفرون من الملابس ، ويعيشون كالحيوانات ، ويمرحون فى جوف الفلا عراة الأبدان ، ويقضون أيامهم فى أحضان الطبيعة كما كان يقضيها أجدادنا منذ مئات الألوف من السنين . وهل صدق أحد كبار الرحالة فى قوله ان أشد القوم حبا للطبيعة أقلهم تعلقا بالملابس ، وان الناس يزداد شغفهم بالطبيعة بنسبة بعدهم عن البحر الابيض المتوسط ؟

* * *

ان للملابس عنصر هام من عناصر البيئة كالمناخ والاقليم والطعام ونظام الأسرة ونوع التربية . وهى كسائر هذه العناصر لها أثرها فى حياة المرء ونفسيته ، فى تفكيره وإحساسه ، ومسلكه وشخصيته . ذكر الكاتب الألمانى العظيم « اميل لدويج » فى مؤلفه الأخير « النيل » أن الملك فؤاد الأول رحمه الله قال له فى سياق الحديث إنه يختلف تفكيراً فى ملابسه العسكرية عنه فى ملابسه الملكية . والناس فى ملابس السهرة ، أو « الردنجوت » أو « البنجور » باتقانها واناقتها وجلال منظرها ، يحسون بشىء من العظمة والوثوق بالنفس واحترام الغير لهم . والرجل (أو المرأة) الذى لا عيب فى هندامه يخاطب الناظر اليه مخاطبة الند للند ، والنظير للنظير ، ويملأ عينيه منه ، وإن علت منزلته ، بعكس من يعلم أن هناك نقصا فى ثيابه ، كقطع أو فتق أو رتق ، فانه يشعر بالضعة والجبن ، ويظل مطرقا بعينيه ، وإن كان محدثه دونه مرتبة . ولهذه المسألة أهمية لا يستهان بها فى تكوين الشخصية ، لأن المرء الذى يتهاون فى هندامه فترة من الزمن ، تلازمه صفات الجبن والحياء وعدم الوثوق بالنفس ووهن الشخصية كل حياته . وقد لا يستطيع التخلص من هذه العيوب ، وان تمكن من تحسين ملابسه والتأنق فى هندامه بعد ذلك . وهذا المرض النفسانى الذى يسمونه Inferiority Complex ينشأ من عيب الهندام ، كما قد ينشأ من عيب الخلقة . والأم الحكيمة هى التى تعير هذه المسألة ما هى جديرة به من العناية ، فلا تدع أطفالها يخرجون بملابس قذرة أو معيبة (وقد يكون العيب مقصوراً على ضياع زر من أزرار السترة) ، وبذا تضع أساسا متينا لشخصياتهم فى مستقبل حياتهم . أرأيت رجلا يشغل منصبا عاليا ولكنه معروف بالحياء والخجل وعدم الجرأة فى مواجهة محدثيه ؟ ابحث عن أصل هذه العلة تجدها فى عيب طبيعى فى خلقته ، كان يعير به فى صغره ، أو تجد انه تهاون فى ملابسه فى مرحلة من مراحل حياته ، والمسئول عنها فى الغالب أهله وذووه . وقد صدق الفرنسيون فى قولهم القميص يكوّن الرجل La chemise fait l'homme

ومن الغريب أن رجال الدين فى أزيائهم الرسمية يشعرون كأنها توحى اليهم الاتزان والورع والكرامة ، لما لها من التأثير النفسانى الساحر . وفى بعض البلدان التى يسمح فيها لهؤلاء أن يخلعوا ملابسهم الدينية ، ويستبدلوها بملابس عادية فى مناسبات استثنائية كالسفر والسياحة ، وجد أن رجال الدين هؤلاء لا يبلغون فى ثيابهم العادية المستوى الأخلاقى الذى يكونون عليه فى ثيابهم الدينية . وقد اعترض بعضهم على معلمى المدارس الالزامية فى مصر الذين يرتدون الملابس الأوربية ، وبنوا اعتراضهم على أن هذه الأخيرة تخل شخصياتهم ، وهذا لا سبيل الى انكاره ، بيد أن هناك وجها آخر لهذه المسألة وهو أن مجرد ارتداء العمامة والقفطان يوحى الى صاحبها صفات الاتزان والاعتدال والتعفف عن الوقوع فى الزلل (١) . والفتاة التى يعجل أهلها فى شراء « الفساتين » الطويلة لها انما يجنون عليها وهم لا يعلمون اذ أن ظهورها فى مثل هذا الهندام يشعرها بنضجها قبل الاوان ،

(١) ولست أريد بهذه العبارة أن أوافق أصحاب الاعتراض على رأيهم

ويدفعها الى الغرور والتيه والاعجاب بنفسها فى مرحلة الطفولة البريئة . والصبى الذي يحرم من السراويل القصيرة فى سن مبكرة ، ويلبس « الياقة » العالية ورباط الرقبة الغالى الثمن ، انما يقفز نحو الرجولة قفزة سريعة قد تزل فيها قدمه فيسقط الى الحضيض . ولا بدع اذا شاهدنا الصبيان والفتيات فى الرابعة عشرة من أعمارهم فى بعض البلدان الجنوبية يقلدون الرجال والنساء وهم بعد ناعمو الاظفار ، ورأينا أمثالهم فى الثامنة عشرة فى الشمال ، فى أقوالهم وخفة حركاتهم وسذاجتهم البريئة ، يقطرون عذوبة وحلاوة فى طفولتهم

رأيت مرة في مدرسة ثانوية فى أميركا طفلة فى الرابعة عشرة من عمرها تتهادى فى ثوبها الحريرى الانيق ، وقد غطى ذيله كعب حذائها الفضى الرشيق ، وهى تختال تيها ودلالا ، وتتصنع الثقل والبطء فى مشيتها جيئة وذهابا . فأسرت الىّ معلمتها أن أمها هى التى جنت عليها بتخيرها هذه الازياء فى هذه السن المبكرة . وقد أردت أن أعلم شيئا عن مدى تفكير الفتاة فسألتها : ماذا تريدين أن تفعلى في نهاية التعليم الثانوى ؟ فأجابت على الفور قبل أن آتى على الكلمة الاخيرة من سؤالى : « لست أريد أن أنهى دروسى الثانوية لانى أبحث عن عمل فى أحد البيوت المالية ، وأوثر أن أكون سكرتيرة لأحد رجال الأعمال » ولا أنسى مدرسة تجريبية ملحقة باحدى الجامعات الاميركية ، حضرت فيها ذات مرة حفلة راقصة اعتادت أن تقيمها مساء كل سبت لطلبتها ، تحت اشراف بعض معلميها ومعلماتها . ولم أكد أصدق ما رأت عيناى ، حينما شاهدت تلاميذ السنة الاولى (الثانوية) فى ملابس « السموكنج » ، وتلميذاتها فى فساتين السهرة « الدكولتيه » يقلدون الكبار فى السير والحركة وآداب الحديث و (اتيكيت) الرقص ، وضحكت كثيراً عندما شاهدت بعض هؤلاء الصبية الذكور يخرج متأبطا ذراع طفلة مثله ليصحبها الى منزل أهلها ، كما يفعل الكبار تماما . خرجت من هذه الحفلة وأنا أعجب كيف يسمح أولو الامر لهذه الفاكهة الجميلة أن تقطف من أشجارها قبل نضجها

ان الممرضة فى جلبابها الناصع البياض ، ولباس الرأس الذي يذكرها براهبة الدير ، يوحى اليها الرحمة والتضحية والحنان والاشفاق بالمريض ، فاذا ماخلعت هذه الملابس كان مسلكها فى الغالب مسلك غيرها من الفتيات . واذا ارتدى أحدنا الملابس الرياضية ، أحس بدافع قوى يدفعه الى لعب الكرة أو حمل الاثقال أو الاتيان بحركات رياضية عن شغف ورغبة . وليس السبب هو الحرية التى يشعر بها المرء فى هذه الحال فقط ، وانما هى الحالة النفسية التى يكون عليها ، والجو الخاص الذى تخلقه هذه الملابس . والدليل على ذلك أن الواحد اذا تجرد عن جميع ملابسه فى غرفة لا يكون فيها سواه ، يكون اكثر حرية منه فى ملابس الرياضة ، ومع ذلك لا يشعر بما يدفعه الى اللعب شعوره بهذا الدافع فى ملابس الرياضة

وقد استرعى نظرى فى مدينة نيويورك ظاهرة غريبة ، وهى أن البلدية قد أعدت فى الاحياء

الفقيرة التي لا يستطيع أهلها الاستمتاع بحمامات البحر صيفا ، رشاشات من الماء تنصب فى الشوارع الصغيرة للاطفال خاصة ، وتفتح فى ساعات معلومة من النهار ، فيهرع اليها الاطفال من كل صوب بملابس السباحة المتعددة الازياء الجميلة الالوان . فما الذى يدعو هؤلاء أن يتسابقوا فى تغير هذه الملابس والتفنن فى ألوانها وأزيائها ؟ أليس هو الجو الذى تخلقه ، والاثر الذى تتركه فى نفوسهم وما يتوهمون — عملا بمبدأ تداعى الخواطر — من أنهم واخوانهم الذين يغشون الشواطىء سواء بسواء ؟

وهذه السيدة الانجليزية تلميذة غاندى ، ألم تخلع ملابسها الانجليزية وترتدى ثيابا هندية وطنية حتى يكون الجو الذى تنمو فيه مبادىء غاندى ، وتترعرع فيه فلسفته كاملا لا غبار عليه ، فلا تشوبه ملابس انجلوسكسونية لا تتفق وتلك الفلسفة ؟

وقد يلذ للقراء أن يعلموا أن كاتبة مصرية فذة ، وأديبة ذائعة الصيت تهوى الريف ، لايطيب لها خاطر ، إلا اذا استعاضت عن ثيابها الأوربية الضيقة بجلابيب فضفاضة ، وجلست بين نساء الريف تتحدث اليهن كأنها واحدة منهن

ومما لا ريب فيه أن المرأة المصرية فى زيها الأوربى الحديث أدعى الى احترام الناس لها منها فى زيها القديم ، وأشد اعتداداً بذاتها ، وأسرع حركة وخاطراً ، وأقل تعرضا لمعاكسة السخفاء . ومع جمال المرأة الهندية فى لباسها الوطنى الرشيق ، وألوانه التى تتفق وبشرتها السمراء ، فانى كلما شاهدتها تسير فى شوارع أوربا وأميركا ، أحس بما تحس به من الخجل والحياء وتثاقل الخطى ، لما تحمل ثيابها فى طياتها من بقايا الاستعباد ، ومعانى الحجاب وملابساته ، وعدم مساواتها بالرجل

ومن أغرب ما رأيت من أثر الملابس فى نفسية صاحبها ، فتاة من شمال أوربا زفت الى شاب من أسرة مصرية طيبة ، مسرفة فى مراعاة التقاليد ، محافظة على العادات القديمة الى أبعد حد ، مع اندماجها فى الأوساط الراقية . ونزولا على رغبة الأسرة استبدلت الفتاة جميع ملابسها بملابس وطنية ، فوضعت نقابا شفافا على وجهها ، واتزرت بملاءة حريرية سوداء ، وعصبت رأسها بلفافة من لونها ، ومست عينيها بمرود من الكحل إخفاء لزرقتهما . وقد رأيتها بعد سنوات فى احد المحال التجارية وكأنها ولدت فى سيدنا الحسين ، ورأيتها مرة أخرى فى ملابسها الأوربية فى شرفة الكونتننتال تتأهب لدخول قاعتها الكبرى ، فاذا بها حية مسرفة فى الحياء ، بطيئة الحركة ، مسرفة فى البطء . فقلت : سبحان مغير الاحوال !!!

انظر الى ملابس السهرة وما توحيه الى الرجال والنساء من الوقار والحشمة ، مع ما يبدو على فساتين النساء فيها من المظاهر المغايرة للحشمة والوقار ، ومع ما يصحبها عادة من المخاصرة والرقص على نغمات « الجازباند » ، واحتساء الشمبانيا ، الكأس تليها الكأس ، الى ساعة متأخرة من الليل . وانظر الى هؤلاء الراقصين والراقصات فى ثيابهم المعتادة ، كيف أنهم يتبذلون فى كثير من

الاحوال ، فلا يراعون للحياء حرمة ولا ينصبون للتورع ميزانا . وانتقل من الحفلات الرسمية أو العادية الى حفلة مستهترة تكون الملابس فيها « بيجامات » النوم أو بذلات البحر ، وانظر كيف يسف أصحابها الى أحط القرارات . حدثت قراء « الهلال » من عهد ليس ببعيد عن حفلة كهذه سنوية يقيمها طلبة الطب في باريس ، وليس من مصلحة القراء في شيء أن أصدع آذانهم ، فأسترسل في وصف ما يخجل ويعيب

والملابس من أهم ما يدعو صاحبه الى الاتصاف بعزة النفس . أرأيت كثيرين من ذوى الهندام الحسن يتشاجرون ويعرضون ملابسهم للتمزيق ؟ ان الغلام الشاكي ، المشاجر ذي الثياب الرثة الممزقة ، ينسجم في المجموع المحترم اذا ما ارتدى في العيد جلبابا حريريا أنيقاولبس حذاء براقاجديداً ، لأن الملابس بتأثيرها السحرى تخلق من نفسيته الثائرة الشاكة نفسية جديدة وعقلية محترمة ، وليست الثياب في ذاتها هي التي تغير من عقلية المرء واحساسه ، وانما العادة هي التي أكسبت نوعا خاصا من الثياب هذا الجو وذاك الاحترام

في السنوات الست أو أكثر التي تلت الحرب العظمى كانت المرأة في كثير من البلدان الأوربية غير أنيقة في ملابسها ، وكانت لا تشعر بالاحترام والعظمة التي كانت تشعر بها أختها الاميركية التي لم تتأثر ماليتها ولم تنحط ثيابها . أما اليوم فالفتاة الأوربية في معظم أوربا لا تقل شعوراً بمثل هذه الصفات عن الاميركية ، نظراً لتحسن الاحوال وعودة المياه الى مجاريها

ولا جدال في أن حسن الهندام ونظافة الافراد تسير جنبا الى جنب . فالخادم النوبي في قفطانه الناصع البياض ، وحزامه الاحمر المشدود الى وسطه ، وطربوشه المائل على جبينه ، أشد مراعاة لقواعد النظافة كلها ، منه وهو في قميصه الطويل وسرواله القديم و « صديريه » و «طاقيته» . والكبار والصغار بوجه عام في ملابس النوم أقل منهم عناية بالنظافة منهم بالملابس الاخرى ، وهم أشد نظافة في « البيجامة » . منهم في الجلباب ، الذي يقوم فوق وظيفته المعروفة بوظيفة المنديل والمنشفة . . .

وللازياء أثرها في الصحة والمنظر . فالمرأة قد تحسنت صحتها منذ ان عرضت ذراعيها وعنقها (وساقيها أحيانا) للهواء والشمس. والطلبة المصريون اضطروا الى العناية بشعرهم منذ اعتادوا خلع الطرابيش والبقاء مكشوفي الرءوس في معظم الأوقات . والمرأة المصرية بفضل الملابس الأوربية الحديثة أخذت تكون ضامرة رشيقة ، أوعجفاء هزيلة ، بعد ان كانت في ملابسها الوطنية الفضفاضة بدينة ، بطيئة . وكادت تكون في غيرقليل من الاحوال طويلة كالسارية ، مستقيمة ، بعد أن كانت حدباء . ولا يخفى أن الألوان والأزياء على اختلاف أنواعها تخلق من الثياب ضربا من الخداع البصرى ، تختلط بواسطته الأوانس مع العوانس ، والعجائز المتصابيات مع الغيد الفاتنات ، ويستوى فيه الأقوياء ذوو العضلات المفتولات ، والفواجر المسترجلات . والخياطات البارعات في باريس

وصالونات الجمال فى أمهات المدن يستطعن أن يخلقن من كثة الحاجبين ، شعثاء الشعر ، عشواء العينين ، عروسا تتهادى ، فيتيم فى حبها أجمل الشبان وأقوى الرجال

ومن المشاهد أن الناس جميعهم يفهمون مغزى الملابس وأثرها بعض الفهم . فالطلبة ، حتى صغار التلاميذ منهم ، متى حان موعد الامتحان الشفوى ، تأنقوا فى ملابسهم ، حتى يكون منظرهم شفيعا لهم أمام ممتحنيهم . وقد شاهدت مجلس التعليم فى نيويورك ينتخب المعلمات من عدد كبير منهن وقد ظهرن بمظهر رائع من الأزياء المناسبة للمقام، علما منهن أن لهذا المنظر أثراً فى ذوى الشئون. والظاهر أن الناس كلما أوغلوا فى المدنية ازدادوا حساسية برأى الغير فى هندامهم . وأذكر بهذه المناسبة أن سيدة كانت تجلس مع آخرين على مائدة فى احدى البواخر فوقعت على صدر فستانها قطرة من الطعام ، لا تكاد تراها العين ، فتكدرت جدا . وسألها الجالس أمامها : « أتخافين ألا تزول البقعة ؟ » فأجابت : « كلا ، ولكنى آسفة جداً لأن أكون السبب فى منظر قد لا يروق الجالسين أمامي »

* * *

ومنذ انتشار المبادىء الديمقراطية والآلات الصناعية كاد الفقير والغنى يستويان فى ملابسهم ، فى الممالك الغربية على الأقل ، وأصبح الهندام وحده فى كثير من الأحيان لا يدل على مرتبة صاحبه . فقد يدخل الوزير والكاتب البسيط مخزنا تجاريا فيهمل الأول ، ويبالغ في استقبال الثاني والترحيب به . وهنا نرى الميزة فى الملابس الرسمية ، التى يستطيع الناظر اليها أن يحكم أول وهلة على منزلة صاحبها فى المجتمع ، ومرتبه على وجه التقريب فى بعض الأحيان . فاذا جلس ملازم ثان فى الجيش أو البوليس فى احدى عربات الترام بجانب كبير من كبار الدولة كان الأول موضع التبجيل والاحترام بعكس الثانى الذى قد يكون فى نظر الجمهور موظفا بسيطا أو سائق سيارة أو خادما عند أحد الأعيان . والفلاحون فى بعض قرى الريف عند رؤيتهم وكيل النيابة والحاجب لأول مرة يحترمون الثانى لما تنم عنه كسوته المزركشة دون الاول الذى لا يختلف عن عباد الله فى شيء . ولا غرابة إذا كان الاقبال على مدرسة البوليس والحربية شديداً ، ولا غرابة إذا بالغ الناس فى العناية بملابس الخدم والسعاة وأكثروا من أزرارها البراقة وأشرطتها الحمراء ، فالرسالة إذا حملها أحد هؤلاء تقبل على العين والرأس من المرسل اليه ، وقد تلقى فى سلة المهملات اذا بعث بها مع سواه

والأفراد والجماعات يحكمون أحيانا على صاحب الملابس أحكاما صارمة بغير مسوّغ . فى انجلترا لا يغتفرون لرجل إذا انبرى كعب حذائه من الخلف ، مهما كانت ملابسه أنيقة ، لأن ذلك فى نظرهم دليل الضعف ، ومنتهى الوهن فى شخصية صاحبه . ولذلك يعيرون الرجل بقولهم : "low at the heels" . وكنت أعرف رئيسا لا يقبل موظفا عنده أيا كانت مؤهلاته إذا كان طربوشه مائلا

على رأسه يمينا أو يساراً . وحدث مرة أن تقدم أحد هؤلاء الى وظيفة خالية ، وكنت أعلم أنه أهل لها ، فأوقفته قبل أن يدخل على الرئيس ونصحت له أن يكون طربوشه من رأسه ٩٠ درجة ففعل وشغل الوظيفة وسرت حاله . وأذكر من هذا القبيل أن أحد « كسارية » الترام . (وكان طربوشه قد كون زاوية حادة مع رأسه) سئل عن الساعة فقال إنها ١٢ وربع . فأجاب معظم الركاب كلا انها ١٢ تماما فأصر « الكسارى » على أنها ١٢ وربع . وكان بين الركاب شاب من أولاد البلد حاضر النكتة فقال: «معذور الكسارى لأن ساعته مضبوطة على الطربوش » !

ومن أهم المباحث في فلسفة الملابس أثرها الاجتماعى . وانى أكتفى هنا بذكر ثلاثة أمثلة . أولها الطربوش فى تركيا وكيف أن مصطفى كمال قضى عليه لاعتقاده أن له أثراً سيئا فى تكوين عقلية الشعب التركى ، وأن استبداله بالقبعة يشعر الأمة بالعقلية الأوربية ويسلخه مما يسمونه خطأ العقلية الشرقية . وعند ما رأيت لأول مرة مؤذنا يدعو الناس للصلاة والقبعة على رأسه قلت لصديق التركى لم لم يحتفظ رجال الدين بالزى القديم ؟ فقال لى اننا نريد أن تشعر الأمة كلها أننا أوربيون قبل كل شيء ، وأن هذا الشعور لايلبث أن يكون على مر السنين حقيقة . والمثل الثانى خاص بالمرأة . ان النساء كوحدة عظيمة تكون نصف المجتمع أصبحت تشعر بمنزلتها الاجتماعية وحقوقها وواجباتها منذ أن تخلصت من قيود الملابس التى تحجبها عن الجنس النشيط . والدليل على ذلك ان المرأة الفلاحة أو الهمجية ، مع ما هى عليه من الغبن ، أكثر حرية من المرأة المتحضرة التى لاتزال أسيرة الحجاب . أما المثل الثالث فأقتبسه من اختباراتى الخاصة فى ايطاليا . كانت طبقة الكناسين فى ايطاليا الى عهد قريب طائفة قذرة محتقرة ، كزميلتها طائفة الكناسين فى مصر المغلوبة على أمرها . وكان معظم السبب فى ذلك حقارة الملابس . أما الآن فانك اذا رأيت الكناس الايطالى فى بذلته الرسمية وقبعته وحذائه خيل اليك أنه جندى باسل . وقيل لى إن هذه الطائفة منذ أن تزيا أفرادها بهذا الزى موضع احترام الغير أسوة بغيرهم من العمال وصغار الصناع . وقد سبقت سويسرا مثلا ايطاليا فى هذا المضمار ، وأخذ الكناس يرتقى حتى أصبح مرتبه الشهرى اليوم عشرة جنيهات مصرية ، مع العلم أن متوسط النهاية العظمى فى المرتبات هناك أربعون جنيها شهريا ولا يستثنى من ذلك إلا الوزراء تقريبا

***

ولا بد لنا من ذكر كلمة هنا عن الملابس وعلاقتها بالشذوذ الجنسى . ان الفتاة التى تميل كثيراً الى التزيى بزى الرجال ، والشاب الذى يميل كثيراً الى ارتداء فساتين النساء يخشى أن يكونا مصابين بشذوذ جنسى . وقد اصطلح العلماء على تسمية هؤلاء « المرضى » باسم transvestists

وقد منع البوليس فى اميركا مثل هؤلاء من السير فى الطرقات وأعد مجرد ظهورهم فعلا علنيا فاضحا . ولا يخفى أن معظم هؤلاء يفعلون ذلك عن حسن نية وبقصد المزاح ولكن التمادى فى

هذا العمل قد يدفع بعض ضعاف الأخلاق منهم الى الشذوذ المؤمأ اليه . ويوجد منهم فى عواصم أوربا عدد غير قليل

وهنا يجب التنبيه الى عيب يقع فيه الوالدون وذلك انهم رغبة منهم فى تدليل بنيهم وبناتهم يلبسونهم أحيانا ثيابا غير ثيابهم ، ويستمر الصبي الى سن متأخرة فى ارتداء الفستان ، وتستمر البنت فى ارتداء السروال . وبذلك يكون أولئك الاطفال عرضة للوقوع فى هذا الشذوذ ، لما قد توحيه الملابس اليهم من الميل والسلوك مسلك الجنس الآخر . ومن حسن الحظ أن مثل هؤلاء الوالدين لا وجود لهم تقريبا فى مصر

وكما أن الرجل تشتد رغبته فى المرأة بنسبة بعدها عن الرجولة وقربها من الانوثة ، وان لم تكن مليحة الوجه ، فكذلك تشتد رغبته فيها بنسبة اختلاف ملابسها عن ملابس الرجال . ومن الرجال من يكادون يغمى عليهم اذا شاهدوا امرأة فى سراويل كالتى يلبسها الفرسان عند ركوب متن الجياد . وهناك حكاية معروفة عن فتاة كانت تشاهد مع شقيقها الصغير اللوحات الفنية فى متحف الصور الوطنى فى لندن فلما اقتربا من صورة آدم وحواء سألت الفتاة الصبي أيهما آدم وأيهما حواء ؟ فأجاب الصبي الساذج : وكيف أستطيع معرفة ذلك ماداما عريانين ؟

***

ولست أريد أن أختم هذا البحث قبل أن أقول إن المبالغة فى التأنق لا تقل عيبا عن الاهمال فيه . ولعل أقبح صفة فى الرجل على الأخص هى الاغراق فى العناية بالهندام . والمرأة التى لا تمتاز بمسحة من الجمال قد تكون مقبولة اذا اتصفت ملابسها بالبساطة ، بعكس المبالغة فيها ، فانها تجعلها كرواية فرنسية من الدرجة الثالثة طبعت طبعا أنيقا de lux . وقد يكون منشأ الاسراف فى حسن الهندام تغطية لبعض العيوب . فالرجل القبيح المنظر أو الطاعن فى السن الذى يريد اخفاء حقيقته ، بشدة عنايته بملابسه ، ولا يقف عند هذا الحد ، بل يجوب الشوارع العمومية ويغازل النسوة يمنة ويسرة ، انما هو (كوميدى) رواية هزلية متحركة . ومما يؤسف له أن معظم الأدباء وبعضا من أكابر القوم يهملون أمر الملابس اهمالا معيبا لانهم يعتمدون على صيتهم الذائع ، وهم لا يعلمون أن المظهر الخارجى فى العالم الذى نعيش فيه لا يقل أهمية عن الحقيقة الواقعة ، ونسوا أن الاسترسال فى اهمال هذه الناحية من الحياة يؤثر فى نفسياتهم تأثيرا سيئا . فتتدهور أخلاقهم ، وتوهن عزائمهم ، وتضعف شخصياتهم من حيث لا يعلمون

امير بقطر

قصة مصرية

شرف المهنة

بقلم الاستاذ احمد عبد القادر المازنى

كانت فتاة خيالية النزعة ، متوقدة العواطف ، ملتهبة الشعور

وكانت منذ نعمت بنضارة الشباب ، جد مغرمة بارتياد دور السينما والمسارح لرؤية المواقف الغرامية العنيفة وارواء عواطفها الملتهبة بعض الارواء ، ثم تعود الى دارها وهى تستعيد الى ذهنها تلك المناظر التى كانت تزكى نيران شعورها ، وتزيد اتقاد عواطفها

وما عادت يوما الى دارها من السينما إلا ووقفت فى غرفتها وحيدة أمام مرآتها ، تتخيل أن على كثب منها عاشقا متيما يناجيها بحبه ويبثها غرامه . فتقلد بعض الحركات التى رأتها على الستار الفضى ، وتلوى عنقها كأنما تضعه على كتف الحبيب وتغمض عينيها ، وتمد شفتيها للقبلة المنشودة

ثم تقدم اليها طبيب يرجو زواجها

ورأته من النافذة شابا وسيم الوجه ، معتدل الطول ، رشيق الحركات ، أنيق الثياب ، فاعجبت به ، وودت أن يقبل أبوها هذه الخطبة ، وأن يتم زواجها به ما بين يوم وليلة

ثم حلت ليلة الزفاف . وطفقت تسائل نفسها أترى هذا الزوج بطلا من أبطال الغرام يجيد تمثيل دوره كما يجيدها أبطال الافلام ؟ وهل ستنجح فى مواقفها الغرامية كما نجحت جريتا جاربو ، ومارلين ديتريش ، ونورما شيرر وغيرهن من الممثلات النابغات فى فن الاغراء ؟ فظلت تتأرجح بين الخاطرين حتى غمرها جو الزفاف فنسيت التمثيل وارغمت على أن تسلك المسلك الطبيعى ، مسلك العروس

***

وسعدت أياما غير قليلة ، فقد كان زوجها الدكتور خليل شابا رقيق العاطفة ، وديع الاخلاق ، رضى الطبع ، وكان وسيما أنيقا مستملح الفكاهة ، شهى الحديث . وكان الى جانب هذا يحبها حبا عميقا ، ولكنه كان حبا هادئا رزينا

ونعما بخير ماينعم به زوجان

بيد أن قلبها كان طفلا فى نزعاته فكان لا يزال يحن الى تلك المواقف الغرامية السينمائية ، ولا ينفك يتعطش الى التمثيل . فكانت سوسو اذا ماجلست على الأريكة الى جانب زوجها ، وطفقا

يتحادثان فيما وقعت عليه أعينهما في يومهما ، وما يعتزمان أن يفعلاه في غدهما ، ظلت تنظر اليه وقلبها يشتد في خفوقه ، وهي تتوقع من حين الى حين أن ترى عينيه تبرقان ببريق الحب ، وشفتيه تنتفضان انتفاضة الشوق الى تقبيلها ، ويديه ترتعشان من فرط مايعانيه من الهوى المبرح ، وتتوقع من لحظة الى أخرى أن يهمس ، رغم وجودهما وحدهما في الحجرة ، بمفاجآته الغرامية الحارة الملتهبة ، وأن يدفعه الحب فجأة فيجتذبها اليه ويثنى عنقها ثنية سينمائية رائعة ، ويهبط بفمه على ثغرها المتعطش الى التقبيل ويطبع على هذا الثغر الجميل قبلة فنية بديعة

كان هذا ما تتوقع وما ترجو أن يكون ، فاذا به يضع يده فيما يشبه برودة الثلج فوق كتفها ، ويظل يتحدث ويتحدث ثم يميل عليها ويطبع قبلة .. ما أبردها ! على وجنتها ويقول لها : « أسعيدة أنت يا سوسو ؟ » فتهم أن تصيح في وجهه وتقول له : « كيف أكون سعيدة وأنا أجالس لوحا من الثلج لاتسرى في عروقه حرارة الحب ؟ ألم تر كيف يكون جون جلبرت وكلارك جابل وغيرهما في مثل هذه المواقف الغرامية ؟ » ولكنها تكبح نفسها ، وتزدرد الكلمات التي تهم بالخروج من فيها وتبسم في وجهه ابتسامة غامضة متكلفة وتقول له كاذبة : « كل السعادة يا حبيبي ، وأنت ؟ »

— أنا أسعد خلق الله طرا

لها الله من مسكينة لم يسعدها الحظ بزوج يضاهيها قدرة وكفاءة في هذا الفن البديع !!

وعاد الزوجان الى القاهرة . وسارت الحياة بعد شهر العسل سيرها الطبيعي المألوف في كل الدور والمنازل . وكان زوجها ككل الأزواج ، يغادر داره صباح كل يوم ، فيذهب الى المستشفى الذي يعمل فيه ومن ثم الى عيادته ظهرا فيقضي فيها ساعتين يؤوب بعدهما الى داره وهو متعب مكدود ، فيتناول غداءه ثم يلتمس الراحة بعض الوقت

ويكون منه في المساء ما كان منه في الصباح

ويعود الدكتور خليل الى داره ليلا منهوك القوى فيتهالك على أحد المقاعد الوثيرة ويبقى فترة طويلة وهو في شبه اغماء ، مغمض العينين ، ساكن الأعضاء ، لا يرمز ولا يكاد ينبض فيه عرق . ثم تدب فيه الحياة مرة أخرى

وكان الدكتور خليل رجلا مكافحا مناضلا في الحياة ، عظيم الطموح ، عريض الامل ، ينشد الشهرة الطائرة ، والصيت الذائع ، وأن تزداد ثروته ، وتنمو على مر الايام ليهيء لنسله حياة طيبة هنيئة مرفهة ، فقد كان لاينفك يذكر ماعاناه من شظف العيش وهو طفل صغير ؟ ثم وهو فتى يدرس في المدارس الثانوية ، ثم وهو طالب في الطب . وانه ليذكر كيف مرت عليه أوقات كاد يتوقف فيها عن اتمام دراسته لأنه لم يكن يجد مايدفعه من المصروفات المدرسية ولا ماينفقه على نفسه في غضون العام . وكم من عام قضاه ببذلة واحدة لاتتغير ولا تتبدل إلا كما تتغير كل بذلة من أثر لفحة الشمس والهواء

وما كان الفتى خليل ليعاني كل هذه الشدائد وذلك الفقر المدقع لو أن أباه المحامى العظيم عرف كيف يدخر لابنائه شيئا يستندون اليه فى حياتهم أو فى مستهلها على الأقل ، ولكنه كان رجلا متلافا مضياعا ، فأسرف يمينا وشمالا ، وترك أرملته المسكينة تعانى مر العذاب فى تربية أولادها . لهذا نشأ خليل يعرف قيمة المال وأثره فى الحياة ، ويعرف أن من الجرم أن يتزوج الرجل وينسل أبناء دون أن يفكر ويعمل على أن يهيء لهم حياة رغدة لا يقاسون فيها مثل ما قاسى ، ولا يعانون فيها كالذى عاناه فى حياته . ولهذا كان خليل يدأب على العمل ، ويبذل كل مايملك من جهد وقوة فى سبيل الشهرة والثروة والغنى

بيد أن هذه الجهود كانت تستنفد كل وقته فلا تدع له إلا لحظات قصيرة يستطيع أن يقضيها مع زوجته الفتية الجميلة . وباعدت هذه الجهود بينه وبينها ، وكلما مرت الايام وهو لاينفك منكبا على عمله ، دائبا على غايته ، كانت شقة الخلف بينه وبين زوجته تزداد اتساعا . غير أن الدكتور خليل كان غافلا عما أحدثه فى نفسها من الأثر السيء

وانهار الصرح الجميل الرفيع الذى شيده خيال سوسو ، وشعرت بهول الصدمة حين هبطت الى أرض الحقيقة ، ورأت نفسها ضحية وشهيدة

وراحت تفكر فى ضيق وكمد ونفور فى هذه الحياة التى لا تفترق فى كثير أو قليل عن حياة الحيوان . أى شيء فيها ؟ أكل وشرب ونوم ! وهكذا حياة الحيوان ! فاى فرق بينها وبينه ؟ وثارت نفسها ثورة مرعدة على هذه الحياة ، وأصبحت تحس بنفور من ذلك الزوج ، وخيل اليها أنها اذا قنعت بهذه الحياة فلن يكون مصيرها إلا الى الجنون المطبق

لقد مضت اشهر دون أن تسمع كلمة حب ترن فى أذنيها ودون أن ينطق بها فمها . وسينقضى عمرها ، ويذوى شبابها ، ويخبو صباها دون أن تستمتع بالحياة وبالحب . وستهرم ويضرب الشيب فى فوديها ، وينحنى عودها دون أن تتذوق حلاوة الغرام

***

وكانت تهم بدخول دار للسينما . وكان شاب واقفا على الافريز ، وقد مد يده ليغلق باب السيارة بالمفتاح . وكان شابا طويل القامة ، وضاء المحيا ، أنيق الثياب ، من أولئك الشبان الذين ينفقون جل دخلهم على وجوههم وثيابهم ، فتوقفت يده فى طريقها الى الباب ، وراح يحدجها بنظرة الاعجاب

ولم يسع سوسو ، وهى ترى قبالتها هذا الشباب الغض النضير ، إلا أن ترفع عينيها الى وجهه وتخفضهما غير مرة حتى اذا دنت منه وكادت تمر به بسمت فى وجهه بسمة خفيفة طار من أثرها عقل الفتى ، فأسرع الى اغلاق سيارته وتبعها الى شباك التذاكر . وما درت سوسو لم كانت هذه الابتسامة منها ، ولكنها لم تندم عليها فقد أعجبت بالفتى ، ونال جماله من نفسها ، ورأته

واقفا الى جانبها وهى تطلب لنفسها تذكرة ورأت نظرته متجهة الى اللوحة الموضوعة أمام العاملة فأيقنت أنه يريد أن يعرف أين سيكون مكانها ، فتعمدت أن تشير الى مقعد الى جانبه مقاعد خالية وكبحت جماح نفسها فلم تلق نظرة عليه قبل أن تغادر مكانها ، بل سارت فى طريقها فى رشاقة وخفة وهى موقنة أن الفتى يكاد يلتهمها بنظراته ، كأنما كانت تحس بوقدة هذه النظرات فى ظهرها . وجلست على مقعدها ، وتعمدت أن تضع حقيبتها على المقعد الخالى الى جانبها ، وما رأت عيناها شيئا مما كان قبالتها بل كانت تنظر من جانب عينيها الى ناحية الباب . وخفق قلبها خفقة سريعة حين رأته قادما يتسلل بين الصفوف ليأخذ مكانه بين الجالسين

وتجاهلت قدومه ، وتظاهرت انها تطالع برنامج الحفلة حتى سمعت صوته الرخيم الذى زاد فى خفوق قلبها ، وهو يقول لها :

— هل تسمح سيدتى ؟

فتجاهلت مرة أخرى أمر الحقيبة ، ورفعت أنظارها اليه فى نظرة استفسار وقالت :

— نعم ؟

فبسم وقال وهو يشير الى الحقيبة :

— هل تسمح سيدتى أن أجلس مكان هذه الحقيبة ، أم هل . .

وتردد وهو مازال باسما فقالت وهى تتناول الحقيبة :

— طبعا . تفضل

وكانت يده أسبق من يدها ، فتلامست اليدان . . عفواً

وجلس الى جانبها وشاء أن يجذبها الى الحديث فقال :

— أنا آسف ياسيدتى انى أزعجتك ، ولو أنه كان هناك مكان آخر . .

فبسمت بسمة خفيفة وهى تدير رأسها اليه وقالت :

— لاداعى للاسف ، فانى لم اشتر إلا تذكرة واحدة لمقعد واحد

— كنت أود أن تكون سيدتى فى راحة تامة

— وهذا ما اشعر به

— اذا كانت الحقيبة حملا ثقيلا فانى متأهب لحملها

فلم يسعها إلا أن تبسم وتقول :

— انها خالية إلا من المناديل وما اليها

— مثل سيدتى تنوء بحمل الحرير

فتخضب وجهها ، وأعجبها هذا القول ، فياله من مبتكر مبدع !

— ولما رأى صمتها خشى أن ينقطع حبل الحديث فقال :

— أم هل تخشى سيدتى أن اختطف الحقيبة ؟

فرشقته باحدى نظراتها الساحرة ، قلدت فيها مارلين ديتريش فى أحد مواقفها الغرامية وقالت :

— لا أظن أن هناك سبيلا للفرار

— إذن لم الخوف ؟ وأستطيع أن اضع طربوشى رهينة عندك

— أراك مصراً على حمل الحقيبة . هل تريد ما فيها ؟

— ليتنى كنت فيها !

فضحكت وقالت :

— أتراها حقيبة سفر ؟ أهى كبيرة الى هذا الحد ؟

— كلا ولكن مثلى يتضاءل بين يديك !

وراقها هذا الخيال الجميل مرة أخرى ، وأحست أن ماعلا أذنيها من الصدأ بدأ يتلاشى من وقع هذه الكلمات المعسولة الجميلة الرائعة

***

وقال الفتى وهو منطلق بسيارته فى طريقه الى الجزيرة فالهرم :

— لقد كانت الرواية رائعة بديعة

— نعم وكان البطل مبدعا فى تمثيله . أرأيت كيف مثل دور العاشق المتيم حتى كاد يستدرف منا العبرات ؟ انه ليخيل الىّ ان مثل هذا الغرام لا أثر له البتة فى الحياة الحقيقية

ثم بسم فى وجهها بسمة مشرقة وقال : ان لم يكن قد أسعدتك الايام بحب من ذلك الضرب البديع ، فأكبر الظن انك ستنعمين بمثله وما هو خير منه فى القريب العاجل

ولم تغفل عما كان يشير اليه ، وكانت وهى منزوية فى ركن السيارة تشعربانفعالين متضاربين، أحدهما الغبطة بهذا الغرام الجديد الذى خيل اليها أنه سيكون شمساً مشرقة تسطع فى حياتها المظلمة المدلهمة ، وأحدهما خوف غامض ، واضطراب مستتر ، فقد كانت التجربة الأولى من نوعها فى حياتها الزوجية ، وما كانت لتستطيع أن تعرف ما يمكن أن تكشف عنها

وراحت تختلس النظر الى هذا الفتى، وتقابل ، عفوا ، بينه وبين زوجها ، فاذا بها ترى قبالتها فتى وضاء المحيا ، مشرق الابتسامة ، براق العينين ، حلو النظرات ، والى جانبه رجل مكدود بادى الاعياء ، مغمض العينين من فرط ما ناله من التعب ، متهالك على مقعده وهو لا يكاد يحرك ساكنا

وقطع عليها الفتى تيار خواطرها وقال باسما :

— لم أتشرف الى الآن باسم سيدتى

فقالت فى ايجاز ـ سوسو

— ما أبدع وما أحلى وقعه على القلوب

وبسم لها وقال ـ اسمى كامل

فقابلت ابتسامته بابتسامة مثلها ثم قالت : هل لك أن تعود بى فانى أخشى ان يعود زوجى قبلى؟

فبدت عليه مظاهر الدهشة وقال : زوجك ؟

ـ نعم فهل يدهشك انى متزوجة ؟

ـ لولا قولك ما حسبتك قد تجاوزت الثامنة عشرة من عمرك

***

والتقت به مرة ثانية وثالثة . وكان كامل قد تبين نزعتها الخيالية ، فضرب على وترها الحساس ، وراح ينشد لها أنشودة الحب ، ويرتل فى أذنيها آيات الغرام الصادق المكين ، ويهمس لها بنجوى هواه ، حتى استطاع أن يزازل قدميها ، وأن يكتسح أمام هذا الهجوم الغرامى العنيف كل ما كان يساورها من خوف واضطراب من زوجها ومما هى مقدمة عليه مما لا عهد لها به

وراحت سوسو تتمثل كاملا فى ذهنها ، وتقابل بينه وبين نبغاء الممثلين فى الحب ، أولئك الممثلين الذين طار صيتهم كل مطار ، وذاعت شهرتهم فى كل مكان ، فألفته يبذهم ويفوقهم فى أساوبه ، وأحاديثه الشائقة ، وملحه النادرة ، وفى رشاقة حركاته ، وبديع مغازلاته . وان تنس لا تنس تهدج صوته ، والتماع عينيه ، وتخضب وجهه وهو يقول لها الى جانب ضفة النيل :

ـ لو انك اطلعت يا سوسو على ما يكنه لك هـذا القلب من الحب والغرام لجذلت وطربت وسعدت،ولكنك كفيلة أن تروعى وأن تفزعى خوفا على هذا القلب من هول مايحتويه لك من حب رائع ، وعلى تلك الاضالع أن تتقصف ، فى هذا القلب الصغير بركان ثائر عظيم

وغلبها الحب والخيال على أمرها فكانت أعظم من كامل تلهفا الى اللقاء

وحل اليوم العصيب،واستقلت السيارة الى جانب كامل، وانطلقت بهما فى طريق مصر الجديدة وكانا يتحادثان فاقتربت منه ، وقالت رداً على سؤاله :

ـ نعم انى سعيدة . . . بك ، يا كامل

فطوقها بيده اليمنى ، وأدناها منه ، وتملك الشوق كاملا فانحنى عليها برأسه ، وقبلها قبلة خاطفة وهم أن يعتدل فى جلسته وان يرى الطريق قبالته ، ولكنها كانت متلهفة الى قبلة طويلة مشبعة ، وكانت قد طوقت عنقه بذراعها فاجتذبت رأسه اليها ، وشدت على عنقه

وكانت قدمه قداشتد ضغطها على محرك السرعة فانطلقت السيارة القوية كالسهم . ولم ير كامل السيارة الضخمة التى كانت واقفة الى جانب الافريز ، ولم يشعر إلا بهول الصدمة التى وقعت ثم غاب وغابت عن رشدهما . وتجمع الناس حول السيارتين ، وعلت الصيحات من هنا وهناك وتقدم أحدهم وقال :

ـ نحن على قيد خطوات من المستشفى فلينقلا اليه أولا ولتبق السيارتان مكانهما

واستدعى الدكتور خليل لفحص حالة المصابين ، فدخل الغرفة التى وضعا فيها

ووقعت عينه على زوجته سوسو متمددة على المحفة فبهت ، واتسعت حدقتا عينيه ، وسمر فى مكانه . وظل ينظر اليها طويلا ، ثم تحرك رأسه فى بطء عظيم وفى بله ظاهر ، وأرسل نظرة الى المصاب الآخر فاذا به يرى شابا أجنبيا لا يعرفه ولا يذكر أن نظره قد وقع عليه يوما

وأبى عقله أن يصدق عينيه فتقدم الى سوسو وتفرس فى وجهها ، وهو لا يصدق أنه يرى حقا زوجته . وراح يسائل نفسه ، ما الذى أتى بها الى هذا المكان ؟ وما علاقتها بهذا الشاب ؟

وقال للممرضة وهو ينظر اليها

— أود . . أن أعرف . . ما حدث !

فروت له ما سمعته من أن هذين المصابين كانا يستقلان سيارة اصطدمت بسيارة أخرى فحدث ما يراه بعينيه . وكان الدكتور خليل يستمع الى حديثها ويفكر فى هذا الموقف العصيب ، وقد أمسى لا يخالجه شك فى أن هذه الزوجة التى كان عظيم الاعتقاد فى طهرها وعفافها كانت فى رفقة هذا الشاب . وأذهله الموقف حتى تبلد ذهنه فلم يعد يدرى ما يدور حوله ، ثم أيقظه من هذا الذهول صوت الممرضة وهى تقول له :

— هل يحتاج سيدى الدكتور الى أحد من مساعديه ؟

فأومأ برأسه أن نعم وقال : « طبعا »

وانبعث خاطران عنيفان فى ذهنه

لقد خدعته زوجته وغدرت به ، ولكن القدر شاء أن يلقى بها وبشريكها بين يديه متلبسين بالجناية ، وأهاب به أن يثأر لنفسه ولشرفه ، وأن يقضى على حياة أحدهما أو كليهما ان أراد ، ولن يحاسبه أحد

وهب الخاطر الثانى ثائراً عنيفا يسائله أين شرفه هذا الذى يريد أن يدافع عنه اذا كان يريد أن يستغل مهنته ويتخذها ذريعة للانتقام من خصمه ؟ ثم ألا يكون هو قد خان شرف مهنته ان انتقم لنفسه ؟ ان كانت زوجته قد غدرت بشرف أسلمه اليها ، فسيكون مثلها ان غدر بشرف مهنته التى سلم اليه ، وائتمن عليه ، فاطمأن الناس اليه

وتأرجح بين الخاطرين وظلت الكفتان تتبادلان الصعود والهبوط حتى غلبه شرف المهنة ، فأسرع الى خلع معطفه قبل أن يعاوده الضعف . وانكب على انقاذ زوجته التى غدرت به وشريكها فى هذا الغدر من موت كان محققا

* * *

— خليل !

فقال دون أن يدير نظره اليها ، وكان منهمكا فى مزج الدواء : نعم ؟

— أعرف أن لا أمل لى فى صفحك وعفوك ، وان كنت الى حد ما لا أستحقهما ، ولكنى لا أحب أن تتركنى ومثل هذه الصورة البشعة عالقة بذهنك

وصمتت لحظة ، وظل خليل يعبث بما كان فى يده كأنما هو يسمع ما لا يهمه فى شىء . واستطردت قائلة

— كنت خيالية النزعة ، اشد ما كان تمثيلا ، وامقت حقائق الحياة ، وكنت أعتقد أن كل غرام فى هذه الحياة يجب أن يكون شبيها بما نراه على الستار الفضى . ولهذا اعتقدت أن قلبك لايخفق بحبى ، وانى سأقضى حياتى دون أن استمتع بالحب ، وسأفنى زهرة شبابى فيما كنت أحسبه سجنا مقبضا . وكان من أثر هذه النزعة الخيالية الجامحة ان زلت قدمى تلك الزلة الاولى ، على انى احمد الله ياخليل انى لم اسقط فى الهوة التى كنت قمينة أن أتردى فيها لو لم تقع تلك الحادثة المباركة التى أنقذتنى من هوة السقوط والتى أرتنى البطولة الحقة الجديرة بالاعجاب والتقديس لبطولتك ياخليل حين أنقذت حياتى وحين أنقذت حياة هذا الشاب فى حين كنت تستطيع أن تقضى على الحياتين معا ... وانى أطارت من ذهنى هذه النزعة الخيالية وأرتنى الحياة .. على حقيقتها

وتريثت لحظة ثم استطردت قائلة :

— وما ذكرت لك كل هذا لاظفر بصفحك فلا أمل لى فيه كما أسلفت ، ولكنى أحب أن تظل صورتى فى ذهنك نظيفة من مثل هذا الدنس وتلك الشوائب

ولزمت الصمت فساد السكون فترة غير قصيرة ثم أدار خليل رأسه فى بطء واختلس نظرة اليها ، ورأى سوسو وقد شردت أنظارها ، وهمت عبراتها تنحدر على وجنتيها دون أن تفكر فى تجفيفها . واصطخب الحب والألم والغيرة فى قلبه ، فظل مطأطىء الهامة كأنما يحمل هضابا

— خليل بربك اصفح عنى ثم لك بعد ذلك أن تتركنى . اصفح أولا فلست أطيق أن أحيا وأنا احمل على رأسى غضبك

فنظر اليها وتفرس فى عينيها ورأى الألم ، والندم يمتزجان فى هاتين العينين . ودفعه الحب الدفين العظيم فتقدم نحوها ، وأمسك بتلك اليد التى امتدت اليه وقال : انى صفحت فهل تندمين

فاشتدت قبضتها على يده وقالت : ان ندمى لعظيم وان توبتى لأعظم

فاحنى رأسه وطوق عنقها بذراعه وطبع على ثغرها قبلة الغفران

احمد عبد القادر المازنى



قطار السباق

رأت بعض مصانع القطارات أن تخرج طرازاً منها تكون مقدمته مدببة شيئاً ما وجوانبه منحنية بعض الانحناء . وقد سبقتها مصانع السيارات الى ابتكار هذا الطراز الذى يطلق عليه اسم « الانسيابى » لأنه يمكن القطار أو السيارة من أن « تنساب » سريعا دون أن يعوقها ضغط الهواء على مقدمة عريضة مفرطحة أى أن بناء القطار أو السيارة يشبه الى حد ما جسم الطائر : مدبب فى جزئه الامامى ، مفرطح فى جزئه الخلفى . وقد ثبت أن السيارات الانسيابية أقل حاجة الى الوقود من السيارات ذات الوجهة العريضة ، ولهذا يرجى أن يعم اتخاذ هذا الطراز فى بناء القطارات

وترى هنا آخر طراز من هذه القطارات الفرنسية فى محطة سان لازار بباريس

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

الانتحار

ماله وما عليه

(١) المدافعون عن الانتحار

قال سينكا الفيلسوف الرومانى مهذب الأمبراطور نيرون :

واذا كان لى أن أختار بين الموت المصحوب بالعذابات والموت الخالى منها ، فلماذا لا أفضل هذا على ذاك ؟ وكما لى أن أختار السفينة التى تقلنى والبيت الذى يحوينى ، كذلك يجب أن يكون لى الحق ان أختار الميتة التى أخرج بها من الحياة . وما من شىء يجب أن نجعل اختيارنا بشأنه موافقاً لرغبة النفس كالموت . وليت شعرى ـ لماذا أتحمل غصص الحياة وآلام الامراض وعذابات الظالمين حالة كونى أستطيع النجاة من جميع ذلك . ان الحياة ليست شراً يحتم على كل أمرىء معاناته . فان كانت تروقك فتمسك بها وابق فيها . وان كانت لا تروقك فلك الحق فى العودة من حيث أتيت »

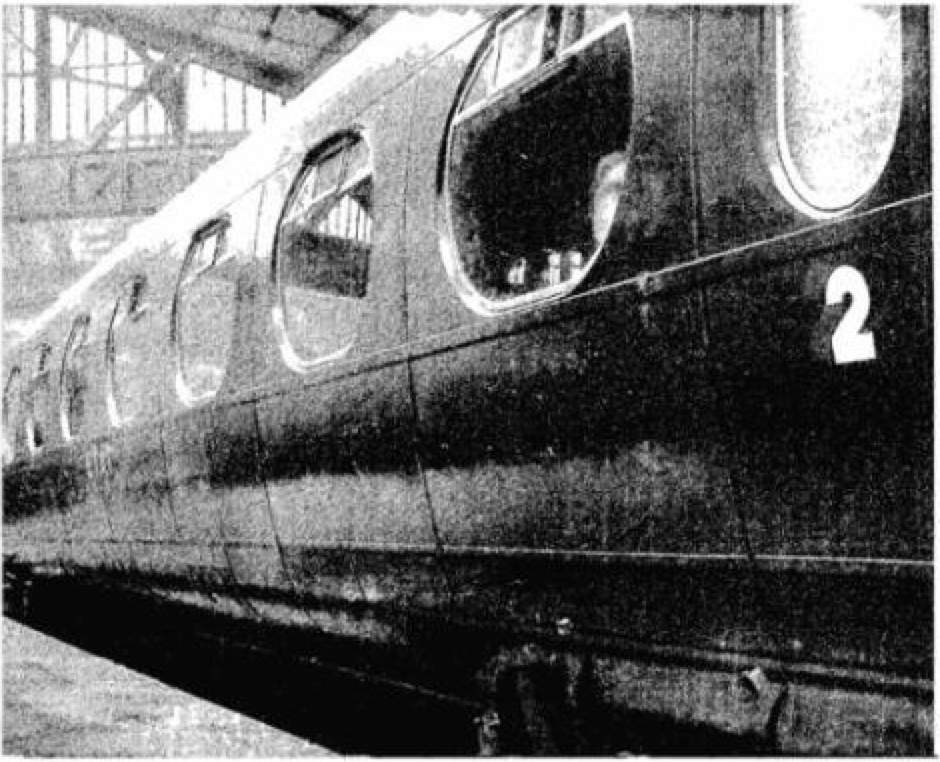
***

وقالت شارلوت جيلمان فى رسالة كتبتها قبيل انتحارها :

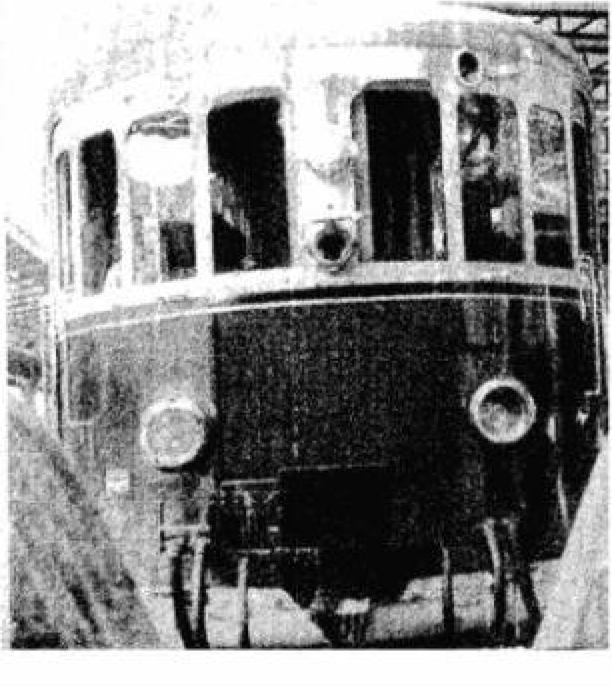
« لماذا ينكرون على الانسان حق قتل نفسه : انهم يزعمون أولا أن الانتحار جبن . ويقولون ثانيا إنه خطيئة . وكأنى بهم يقولون ان الرجل الشجاع يجب أن يتحمل الآلام والعذابات المبرحة وان يشرب الكأس حتى الثمالة ، وان الرجل المؤمن يجب أن يحمل صليبه بالصبر ولا يحاول ارتكاب خطيئة القتل

« ولكن ما أروع شجاعة ذلك الطبيب الذى علم أن السرطان قد بدأ يتفشى فى جميع أنحاء جسمه ، فتناول مسدسه وأفرغه فى جمجمته قائلا : تالله لن يبلغ السرطان أربه من جسمى

« ... ان الموت الذى يودى بحياة الانسان بالطريق الطبيعى ليس فى الحقيقة كارثة لا تطاق ،



منظر جانبي للقطار انسيابي يبين هيئة عرباته ، وتراها مدببة من الامام مفرطحة من الوراء ، وترى جوانبها غير مستوية بل منحنية شيئاً ما ، مما يقلل احتكاك الهواء بها وضغط ثقله عليها



العربة الخلفية من القطار الانسيابي ، وتكاد تكون مستديرة الشكل . وهذا القطار معروض الآن بمحطة سانت لازار ليشاهده الجمهور

إذ يستوى بازائه جميع أفراد البشر . فكيف نحسبه كارثة اذا لجأ اليه المرء ليقطع الطريق على الآلام والعذابات التى لا مسوغ لها ؟ »

* * *

وقال كاتب مجهول فى رسالة بعث بها الى مجلة هاربرز :

« انى أعتقد ان الذين يحرمون الانتحار وينهون عنه انما يفعلون ذلك مدفوعين برغبة الدفاع عن النظام الاجتماعى على وجه لا تدعو اليه الحاجة . فنحن ، شعبا ، مضطرون الى الدفاع عن الحياة والى تبيان مزاياها العظيمة . ولكنا ، أفراداً ، لا يجوز لنا المفاضلة بين الموت والحياة لاننا لانعلم عن الموت شيئا فليس من العدل ان نوازن بينه وبين الحياة

« وأعتقد أيضا أن الرغبة فى الموت قوية فى الانسان كالرغبة فى الحياة . إلا أن الأولى كثيراً ما تظل كامنة فى النفوس الى أن تصبح الشروط التى تفرضها الحياة ثقيلة باهظة . وكثيراً ما يتمنى الذين هم فى سن الشباب أن يموتوا فى هذه السن وألا يبلغوا الشيخوخة لانهم لا يريدون مواجهة مصائب الزمان . وقلما يريد أحدهم تحمل أعباء السنين وشرب الكأس حتى ثمالتها . وما أكثر الذين يعطفون على ذلك الذى بلغ المائة فقال لمن جاءوا يهنئونه ويتمنون له المزيد : المزيد ؟.. كلا وألف كلا . . كفى ما عشته ؟

« ان سواد الناس يفضلون احتمال عذابات الحياة التى لا تطاق على وضع حد لأنفسهم . وهم يريدون ان يعيشوا الى أقصى ما يستطاع ، وبذلك يتحملون من الأعباء ما يرزحون تحته »

* * *

وقال توماس أوبى فى مقالة نشرتها له مجلة « ذى تشرتشمان » : ــ « لقد زالت الفكرة القديمة التى كانت تقول بأن الذى ينتحر لا يجوز أن يدفن باحتفال رسمى ، بل يجب أن يلقى بجثته كما يلقى بجثة الحيوان . ولست أدرى لماذا يرغم أفراد الجيل الحاضر على الخضوع لنظريات بالية سواء أكانت دينية أم سياسية . ولماذا ينظر الخالق نظرتين مختلفتين الى من تنتهى حياته بفعل الآلام والعذابات ، ومن يضع حداً لحياته قبل أن تقتله تلك الآلام والعذاب ؟ »

* * *

وقال بلينوس الفيلسوف الرومانى : « ان أعظم عزاء للانسان فى هذه الحياة هو أن الآلهة لاتستطيع أن تفعل جميع الأشياء التى يفعلها . فقد أنعمت عليه بنعمة القدرة على الانتحار مع أنها هى نفسها لا تستطيع أن تتمتع بهذه النعمة »

(٢) الذين يستنكرون الانتحار

قال السر أوليفر لودج الفيلسوف الانجليزى : « ان الانتحار هو أقل من جريمة قتل الغير

درجة واحدة . فى كلتا جريمتى قتل الغير والانتحار يزهق المرء روحا قبل اكتمال مهمتها فى الحياة . ترى لماذا يعمد المرء الى مثل هاتين الجريمتين ؟ انه يعتقد أنه لا شيء بعد هذه الحياة سوى العدم الدائم . ولكن اعتقاده خطأ فان المنتحر لا يتمتع بالفناء ولا يتخلص من عناء الآلام بمجرد خلعه ثوب الجسد . وإذا كانت الحياة فى هذه الدنيا محفوفة بالمصائب والآلام فنى وسعه أن ينسى تلك المصائب والآلام باهتمامه بخير الاجتماع »

***

وقال ماكس هوشوفر فى مقالة نشرتها مجلة ستاتستيك : « ان المحافظة على النفس غريزة فى الانسان والحيوان على حد سواء . وهذه المحافظة هى عمل أدبى . وكل محاولة لقتل النفس هى مناقضة لكل مبدأ أدبى »

***

وقال بالانكنشيب الكاتب الأميركى فى مقالة نشرتها مجلة « أميركان موثلى » : « ان الذين يسوغون الانتحار يقعون فى مناقضة بديهية ، فهم يقولون ان الحياة قد تكون جميلة يرتاح اليها ويتنعم بها كل فرد . ولكنهم يرفضون هذا الشيء الذى يمكن أن يكون جميلا — على حد قولهم — إلا إذا وافق هواهم . . على أن جمال الحياة لا يتوقف على العوامل المحيطة بها فقط بل على شعور المرء الباطنى واقتناعه بذلك الجمال »

***

وقال جون هاينس هولمز : « ان الانتحار هو الفرار من الحياة . والذى ينتحر يعترف بجبنه عن مواجهة تبعات الحياة وحمل أعبائها . وهو كالجندى الذى يسلم سيفه قبل انتهاء المعركة إما بالنصر أو بالخذلان . وبعبارة أخرى ان اقدامه على الانتحار هو بمنزلة اعتراف منه بأنه عاجز عن أن ينجز المهام التى أخذ على نفسه القيام بها فى الحياة »

***

وقال توكسودو كانو الكاتب اليابانى : « ان معظم حوادث الانتحار هى نتيجة اليأس والرغبة فى التنحى عن حمل اعباء الحياة . . . والذى ينتحر يعجز عن خوض معامع التجاريب والصروف ، وهو إنما ينتحر أملا فى الفرار من عذابات يجبن عن معاناتها ولا يهمه أنه بانتحاره يسبب الآلام المبرحة لأهله وذوى قرباه »

[خلاصة أقوال فريق من كبار المفكرين نشرت فى مجلة دايجست]

التعلل بالأماني

بقدر حياتنا وبعضها هباء

فى خلال السنتين الماضيتين تسنى لكاتب هذه السطور أن يوجه هـذا السؤال الى نحو ثلاثة آلاف شخص وهو : « ما هي أمنيتك فى هـذه الحياة وما هو غرضك الأسمى ؟ » . وقد أجاب أربعة وتسعون فى المائة منهم بأنهم انما يتحملون مضض الحاضر على أمل التمتع بما ينيلهم السعادة فى المستقبل !

أمثال هؤلاء الناس هم اهل للرأفة والشفقة . فهم يضحون بحقائق الزمن الحاضر طمعا بما قد ينالونه في المستقبل . ويعرضون عن العاجل تعللا بالآجل . وسواد الناس هم من هذا القبيل ، تجدهم فى كل ميدان من ميادين الحياة وهم خياليون يتعللون بالأحلام والأوهام

خذ ميادين الأعمال والوظائف مثلا ، تجد معظم الموظفين يقولون فى انفسهم انهم انما يقضون الأيام ويباشرون وظائفهم « مؤقتا » الى ان ينقذهم المستقبل مما هم فيه من حالة لا تليق بهم ، ويضعهم فى الحالة التى هم اهل لها

هنالك موظفان فى مصرف مالى قضت الأزمة المالية بخفض اجرتهما الى نصف ما كانت عليه ، فقبل اولهما الخفض متذمراً متململا ، وقبله ثانيهما بطيبة خاطر ونية حسنة . واهمل الاول عمله حتى اضطر المصرف الى فصله ، واحسن الثانى القيام بواجباته حتى سر رؤساؤه وأعادوا أجره بعد قليل الى ما كان عليه . وفى هذا المثل أبلغ عظة لكل من يتذمر من حاضره ويعلل نفسه بأمانى المستقبل

وقد سأل كاتب هذه السطور مرة سيدة متزوجة : « ما هو الغرض الذى تعيشين من أجله؟» فأجابت : « انني أمضى الأيام معللة نفسى بأن أعيش الى أن يحال زوجى على « المعاش » ويتزوج أولادى وإذ ذاك أستريح وأقضى بقية أيام الحياة براحة وطمأنينة » وقد عاشت هذه السيدة حتى أحيل زوجها على المعاش وتزوج أولادها ، ولكن زواجهم أورثها الحزن والسقم وقضى عليها . فلو ان هذه السيدة عملت ليومها من دون ان تنتظر غدها ، لكانت خاتمتها اكثر فرحا وأوفر غبطة

وفى الواقع انه ما من امرىء فى هذه الحياة يثق بمستقبله ثقة تامة ويعلم ما سوف يحدث له فيه بحيث يجوز له ان يضحى بحاضره . وهذه حقيقة لا يستطيع أحد انكارها . فمن انكرها أو تجاهلها وجد الحياة مأساة مؤلمة . والعاقل هو من نظر إلى حاضره نظرة جد واستعد

لكل طارئة من طوارىء الزمن الذى هو فيه . هو ذلك الذى ينسى الماضي (إلا ما كان من عظاته) ويتجاهل المستقبل (الا حيث يجب الاحتياط له) ويبذل منتهى جهده ليربح المعركة قبل ان ينقضى الزمن الحاضر وينضم الى سفر الأبدية . وغنى عن البيان ان كل ازمة تطرأ على الحياة انما تزيده قوة وتكسبه اختباراً

ومن الأماني التى يتعلل بها الكثيرون أن يأتيهم المال - بطريقة من الطرق - فيتمتعوا به ويعيشوا عيشة الهناءة ، ويسافروا سائحين فى جميع أنحاء العالم . ولكن الايام تمر بهم سراعا من دون أن تتحقق أمنيتهم . فلا المال يأتيهم بطريقة من الطرق ، ولا هم يمتعون أنفسهم بالسفر والسياحة . والغريب أن معظم الذين يمتعون أنفسهم بالاسفار والسياحات ليسوا من طبقة الاغنياء ، ولا هم من أهل اليسار ، بل هم من العامة الذين يعيشون فى عالم الحقائق لا فى عالم الاحلام

والكثيرون من المتعلمين الذين اعتادوا فى دور من أدوار حياتهم مطالعة الكتب النفيسة قد يصلون إلى سن يستولى فيها عليهم الكسل ، فيكفون عن المطالعة والبحث والاستقصاء ويقولون فى انفسهم : « سنقرأ الكتاب الفلانى متى سمح لنا الوقت ، وسنشهد الرواية الفلانية فى فرصة اخرى » فهم يؤجلون تغذية عقولهم من يوم الى يوم غير عالمين انهم بعملهم انما يقضون على انفسهم ويقتلون حب الدرس والاستفادة لان الفرصة التى ينشدونها لن تسنح لهم على الوجه الذى يريدونه . وعليه تظل عقولهم على ما هى عليه ويظل العالم سائراً فى طريقه . ولكن الرغبة الحقيقية فيهم تموت الى الابد

قال احد كبار الكتاب : « اننا لو انفقنا عشر دقائق كل يوم فى تغذية عقولنا وارواحنا لكان فى ذلك نفع كبير لنا . اما ان نؤجل هذه التغذية من يوم إلى آخر او ان نعيش على امل هذه التغذية فى المستقبل عندما تسنح الفرصة - فى ذلك مضيعة للوقت وقتل للفائدة »

انك لا تستطيع ان تتجاهل الحاضر وتتعلل بالمستقبل . حسن ان تعنى بمستقبلك . ولكن أحسن منه ان تعنى به والحاضر معا . والا فانك تكون كمن يعيش فى عالم الاحلام والخيالات . انك تعيش فى الحاضر سواء أردت أو لم ترد . فلماذا تريد ان تتنصل منه ولا تجعل لك فيه غاية عاجلة تسعى الى تحقيقها ؟ ان الشيء الوحيد الذى تستطيع أن تحمله معك الى المستقبل هو معرفة قيمة الحياة وكيف تضع خطة الحاضر بحكمة . واذا وضعت هذه الخطة بحكمة فانك تضع للمستقبل أساسا متينا وتكون لك تلك القوة السحرية التى تنيلك كل ما تتمناه فى هذه الحياة

[خلاصة مقالة للاستاذ وليم مارستون نشرت فى مجلة داى روتاريان]

الطب يجهل القلب

ما نعرفه عن القلب خطأ ووهم

لا تكاد تتصفح جريدة أو مجلة علمية الا وتجد فيها أخباراً عن القلب وعن الامراض القلبية ليس بينها وبين الحقيقة صلة على الاطلاق . ولقد تقدم علم الطب تقدما عظيما فى هذا العصر . ومع ذلك فكل طبيب يجهل علة من العلل ينسبها الى القلب . والقلب كثيراً مايكون بريئا مما ينسب اليه

ان الكثيرين يجهلون أن من خواص قلب الانسان أنه يكيف نفسه بمقتضى البيئة أو الحالة التى قد يكون فيها . بل كثيراً ما يصلح بنفسه ما أفسدته العوامل الاخرى . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا إن الاطباء لم يعرفوا القلب معرفة حقيقية الا منذ نحو ثلاثين سنة . فقد كان الطبيب حتى أوائل هذا القرن يضع السماع (الستتكوب) على الصدر فاذا سمع آثار (خرير) بدت على وجهه علامات الاهتمام وتظاهر بالاضطراب . وكذلك كان يفعل اذا وجد النبض متقطعا ، ولعل أكثرنا نذكر ما كان يشعر به آباؤنا من الذعر اذا ذكر ضعف القلب أمامهم

أما اليوم فان الطبيب الاخصائى فى أمراض القلب يعلم ان (الخرير) الذى قد يسمعه فى قلب المريض ليس مدعاة للقلق . وان تقطع النبض قد يكون عرضا بسيطا من اعراض تهيج الاعصاب . وان آثار الاجهاد التى تبدو على القلب اثر التهاب الرئتين قد تزول من تلقاء نفسها لأن من خواص القلب انه يصلح بنفسه ما افسدته العوامل الاخرى

وفى الواقع ان الطبيب ذا المعرفة المحدودة بأمراض القلب قد يسىء إلى العليل بايهامه ان حالة قلبه تبعث على القلق . فمثل هذا القول يزيد الداء استعصاء وقد يقضى على المريض ، والامثلة على ذلك كثيرة . ومن دواعى الأسف أن المجلات والصحف كثيراً ماتزيد الطين بلة بنشرها إحصاءات عن وفيات تزعم أنها بسبب الأمراض القلبية . ولا شك أن فى تلك الاحصاءات مبالغات كثيرة ، بل إن جانباً منها لا يستند الى شىء من الحقيقة . نعم ان القلب هو مرآة جميع أعضاء الجسم . فاذا أصيب أحد هذه الاعضاء بعطب اضطر القلب أن يتحمل جانباً من العبء باعتباره « الطلمبة » العامة للجسم . ومما يجدر بالذكر أن الانسان قلما يموت من مرض واحد فان أكثر الناس يموتون من مجموعة أمراض . وكما أن للثياب أزياء تتغير مع الزمن كذلك لتشخيص الأمراض أزياء . فمرض الشيخوخة قديما هو اليوم ضعف القلب . ولذلك يصعب مقابلة احصاءات الماضى باحصاءات الحاضر ، وقد قامت بعض المعاهد الطبية ببحث احصائى دقيق عن انتشار أمراض القلب من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٣٠ فثبت لها أنه ليست ثمة أية زيادة فى عدد الوفيات بالامراض القلبية بين الاشخاص الذين

تقل سنهم عن الخمسين . وانما هنالك زيادة طفيفة فى تلك الوفيات بين الاشخاص الذين تختلف أعمارهم بين الخمسين والستين

ومن الغريب أن هذه الزيادة نفسها ناشئة عن أسباب مستحبة لا مكروهة . فالطب قد خطا خطوات كبيرة فى سبيل مكافحة التيفوئيد والحمى القرمزية والجدرى والدفتريا والسل . وغنى عن البيان أن الانسان لابد أن يموت بمرض من الامراض . وكلما كانت وفاته بمرض من الأمراض المعدية أبعد احتمالا كانت وفاته بعلة قلبية أقرب الى الاحتمال

وليس المهم عدد الذين يموتون بالامراض القلبية ، بل السن التى يموتون فيها بتلك الامراض. والغريب أن ظهور أعراض هذه الامراض انما يكون على أجلاه فى العقدين السابع والثامن من العمر

ومن الخرافات الشائعة أن قلوب الاشخاص الذين يفرطون فى الالعاب الرياضية هى عادة متضخمة وأن هذا التضخم نتيجة الافراط فى الرياضة . على أن هذا التضخم زهيد جداً لا يمكن اكتشافه بأدق الوسائل الحديثة

واليك طائفة من الاوهام الشائعة بين العامة بشأن القلب :

ان تعاطى الدخان أو الشاى او القهوة — حتى بكميات معتدلة — يضر القلب ضرراً بليغا

وان الرياضة البدنية تضر قلوب الاولاد الصغار

وان العقاقير اذا اعطيت بجرعات معتدلة تؤثر فى القلب

وان المشروبات الروحية — الكحولية — تؤثر فى القلب اكثر من تأثيرها فى اى عضو آخر من اعضاء الجسم

وان برودة اليدين أو ازرقاق لون بشرتهما أو الخفقان أو صعوبة التنفس — كل ذلك دليل قاطع على أن القلب مصاب بمرض عضوى مع ان الواقع قد يكون خلاف هذا

* * *

وتدل المباحث الطبية على أن أمراض القلب الحقيقية ناشئة عن أربع علل رئيسية وهى : الزهرى ، وحمى المفاصل ، وضغط الدم العالى ، وتصلب الشرايين

فالزهرى يؤثر — لا فى القلب وحده — بل فى جميع أعضاء الجسم . ومن حسن الحظ أن فى وسع الطب معالجته . ولو أمكن محو الزهرى من العالم لزال على الأقل عشر الوفيات بالامراض القلبية

أما حمى المفاصل فلم يتقدم الطب فى مكافحتها حتى الآن . ومرضا ضغط الدم وتصلب الشرايين هما علة معظم الامراض القلبية

ومن الاوهام الشائعة أن بعض أصناف الغذاء تسبب ارتفاعا فى ضغط الدم . ولعل الاصح أن يقال ان الافراط في تناول بعض الأغذية الغنية بالمواد البروتائينية (كاللحم والسمك والبيض والجبن)

قد يؤدى الى زيادة الدم . ومن الامور المسلم بها أن الافراط فى الاكل قد يؤدى الى السمن . والاشخاص السمان اقصر عمراً - كما تدل الاحصاءات - من النحاف ، لان قلوب الاولين تضطر الى بذل مجهود كبير لسحب الدم وتوزيعه فى الجسم

ومن الامور المعروفة ايضا ان مقتضيات المعيشة فى المدن تساعد على انتشار الامراض القلبية . وسكان الارياف - حيث الشمس والهواء الطلق - اقل تعرضا لتلك الامراض . والرجال اكثر تعرضا لها من النساء . وللجهاز العصبى فى الجسم وللغدد الصماء علاقة بالامراض القلبية اقوى مما يتصورها الناس عادة . فالغدة الدرقية والغدة الكظرتية مثلا تفرزان فى الدم مواد تحمل القلب مجهوداً فوق طاقته

والمهم من كل ما تقدم ان نعلم ان اكثر ما يقال عن القلب وعن الامراض القلبية لا ينطبق على الواقع وان هذه الامراض ليست فى ازدياد

[من مقالة للدكتور ملتون ماك نشرت فى مجلة ريدرز دیجست]

هبوط قيمة المرأة

واخفاق النهضة النسائية

مما يسترعى انتباه الناس فى جميع انحاء العالم أن مقام المرأة بعد الحرب العظمى الماضية يختلف عما كان عليه قبل تلك الحرب ، وان قيمتها الأدبية قد نقصت نقصاً محسوسا . نعم انها لا تزال فى بعض البلدان تجاهد فى سبيل الحصول على حقوقها السياسية والقانونية - كما فى فرنسا مثلا - ولكنها فى البلاد الاخرى قد نزلت عن منزلتها السابقة وخضعت لتطور الاجتماع . فالنظام الفاشستى فى ايطاليا يعاملها بشدة ويعلن لها بصراحة أن وظيفتها الوحيدة هى أن تكون أما . وفى انجلترا قد أصبحت حشواً لا لزوم له إلا لتزيين المنزل . وفى البلاد الاخرى يقولون إن عدد النساء قد زاد حتى صار يجدر بكل رجل أن يتزوج اثنتين

وفى الحقيقة أن عدد النساء فى العالم قد أصبح اليوم أكثر من عدد الرجال . ولكن هذه الكثرة العددية لا تغنى الجنس اللطيف عما قد فقده من مقامه الادبى . وقد صدق من قال ان المرأة فى هذا العصر تجرى وراء اعمال جسمها واضعافه وقد أورثها ذلك اضعاف مركزها أيضا . فالنهضة النسوية التى شهدها العالم منذ نحو ثلاثين سنة والتى كان غرضها تحرير المرأة قد انتهت الى الاخفاق، والدعوة التى قامت بها زعيمات النساء واستوجبت اعجاب العالم أجمع آلت الى الزوال ،

وصار الرجل يميل الى تصديق النظم الديكتاتورية والتسليم معها بأن وظيفة المرأة الوحيدة هى أن تكون أما . ومن دواعى الأسف أن المرأة فى بعض البلدان لا تسلم بهذا المبدأ ولا تصدق أن وظيفتها الوحيدة هى الامومة . وما ذلك إلا لأنها تريد الذهاب الى أقصى المستطاع للتمتع بمسرات الحياة ، وهذا التمتع لا يتفق ووظيفة الامومة

وغنى عن البيان ان المرأة فى معظم أنحاء العالم قد نالت من الحرية قسطا وافراً وصار لديها متسع من الفراغ بسبب شيوع الآلات والادوات المنزلية التى تغنى عن جانب كبير من الاعمال اليدوية . ولكن الاختبار قد أثبت أنه كلما زاد فراغ المرأة نقصت قدرتها على العمل . فهى قلما تعنى اليوم بالشؤون المنزلية من طبخ وكنس وغسل وكى ورفو وخياطة وهلم جرا . فكل عمل من الاعمال المذكورة يمكن انجازه اليوم بالآلات والادوات المنزلية التى تغنى المرأة عن كثير من التعب الذى كانت تعانيه

ثم ان هنالك اختراعات أخرى — غير التى تغنى ربة الدار عن الاعمال اليدوية — تلهيها وتعينها على قتل السآمة والضجر . فالبيانو والتليفون والراديو والسينما — كل هذه تساعدها على ملء فراغها وقتل سآمتها . بل إن دور السينما فى بعض المدن تفتح أبوابها فى الصباح لتؤمها النساء اللواتى لا يعرفن كيف يملأن الفراغ

ويقولون لك ان المرأة تملأ فراغها بما يعتبر تشجيعا للفنون الجميلة . فهى تغشى دور السينما والأندية الموسيقية ومعاهد التمثيل وغيرها لملء الفراغ من وقتها ، ولكنها فى الوقت عينه تشجع أنصار الفنون الجميلة والقائمين بها . ولولاهن لأفلست تلك الدور والأندية ولحرم العالم لذة التمتع بها

وفى الواقع ان المرأة لايهمها إلا مايقع حولها ، ولا تعنى إلا بما يقع تحت حواسها . ولذلك تراها تحجم عن الكثير من الشئون السياسية — إلا ما كان خاصاً بجنسها — ولا تهمها المشاكل الدولية ولا الاستعمارية ولا خلافها . واذا اضطرت الى كسب قوتها بعرق جبينها فهى تفضل العمل فى مصنع أو مخزن أو حانوت على الذهاب الى المستعمرات حيث قد يكون حظها من النجاح أكبر

وعندما تدخل المرأة ميادين الاعمال تدرك أول وهلة أن حولها من المنافسات من أفراد جنسها أكثر مما يحتمل المجال . والغريب أن الرجال قد يعملون معا جنبا الى جنب — واما النساء فقلما يحتمل بعضهن البعض وان كن أقدر من الرجال على كتمان ما يشعرن به . وفى الواقع أنهن أقدر على رؤية ما فى غيرهن من أفراد جنسهن من شوائب ومعايب

ومن قبيل تحصيل الحاصل القول بأن المنافسة بين النساء قد بلغت أقصى درجات الحدة . وهذه المنافسة تجعل كلا منهن تسعى للفوز على منافستها بتجميل وجهها وتحسين مرآها ، حتى لقد

أصبح همها الوحيد ـ اذا كانت تعمل فى مصنع أو مخزن ـ أن تكون جميلة الشكل جذابة الملامح حسنة الهندام لكى يعجب بها كل من يراها . حقا ان خزانة ثياب المرأة هى مصنع الأسلحة والذخائر التى تحارب بها أفراد جنسها ، والثياب نفسها هى الأسلحة ، والأزياء ـ المودة ـ هى الخطط الحربية

وفى الواقع ان المرأة تعلم أنها اذا أرادت أن تحتفظ بما لها من السلطة على الرجل أو الحظوى لديه فيجب أن لاتبدو أمامه دائما بثوب بعينه ، بل أن تبدو كل يوم بثوب جديد . وبمجال الظهور بأثواب جديدة أفسح فى بعض البلاد منها فى غيرها ، ولكن خلق المرأة هو هو فى جميع أنحاء العالم . فترى يستهويها ، وهى تطلب الثياب الجميلة لتستهوى الرجل من جهة ، ولتفوز على منافستها المرأة من جهة أخرى

ومما يجدر بالذكر أن الشعور بالحياء عند المرأة هو اليوم أضعف مما كان فى مامضى . وسبب ذلك كثرة اختلاطها بمجتمعات الرجال والانصات الى أحاديثهم ولذلك تراها تسمع اليوم من الرجل قصصا ما كانت جدتها لتسمح لأحد بأن يلقيها على مسامعها . وهى بدلا من أن تؤنب الرجل على تلك الأقاصيص تشجعه على مواصلتها بغيرها وتضحك منها ملء فمها

ولم تكن المرأة قط تدعى المساواة بالرجل فى كل شىء كما تفعل اليوم ، مع أن المساواة فى كل شىء ليست فى مصلحتها ولا مصلحة العمران فى شىء . أجل انها تتعلم اليوم فى المدرسة جنبا الى جنب مع الرجل ، ولكن هذا التعليم لا يفيدها شيئا فهى لا تحترف الهندسة ولا تدخل الجيش ولا تزاول المحاماة ولا تشتغل بالبورصة ولا تلبس ثياب الكهنوت ولا تشغل المناصب السامية فى الشركات المالية والصناعية . فتحصيلها فى المدرسة قلما يفيدها فى معترك الحياة . فهى لن تشتغل بالرياضيات ولا بالجبر ولا بالهندسة ولا بشىء من ذلك إلا اذا كان مقضيا عليها بمزاولة مهنة التعليم . وهذا دليل على أن نظام تعليمها يجب أن يكون عمليا وأن يرمي الى ما يفيدها فى معترك الحياة . أما اخضاعها لنظام التعليم الذى يخضع له الرجل فليس من الحكمة فى شىء . وعلى كل فان تطور نظام الاجتماع قد خفض من قيمة المرأة الأدبية بوجه الاجمال . أى أن الرقى الحقيقى لم يشمل الناحية الادبية أو المعنوية منها

[خلاصة مقالة للاستاذ بيتان نشرت فى مجلة باسنج شو]

مغامرات بحار مخاطر

أسرار شائقة عن الحرب الماضية

من أغرب ما امتازت به الحرب العظمى الماضية دقة المعلومات التى كانت تحصل عليها وزارة البحرية البريطانية عن حركات الأساطيل الالمانية . فكثيراً ما كانت السفن الالمانية تبث الالغام سراً فى منطقة معينة ، فلا ينقضى اليوم حتى تكون السفن الانجليزية قد دمرت تلك الالغام . وقد نشرت وزارة البحرية البريطانية اخيراً كتابا أذاعت به سر حصولها على المعلومات الوثيقة عن حركات الأساطيل الالمانية . وخلاصة ذلك أنه كان فى البحرية البريطانية فى سنة ١٩١٤ غواص يدعى ميلر ، اشتهر بين رفاقه بالجرأة والشجاعة وبقدرته على الغوص واحتماله ضغط الماء طويلا

وفى ذات يوم أصدرت وزارة البحرية أمرها الى «الغواص ميلر» بأن يذهب الى نقطة معينة فى البحر قريبة من سواحل « كنت » كان الانجليز قد أغرقوا فيها غواصة المانية ، على أن يغوص ويأتى ببعض المعلومات عن آلة معينة كانت فى تلك الغواصة . فاطاع ميلر الأمر وغطس الى حيث كانت الغواصة ودخلها عن طريق ثقب كبير كان الطوربيد الذى أغرقها قد أحدثه فى قعرها .وكان ميلر يحمل بيده مصباحا كهربائياً قويا ، فلما دخل غرفة القائد عثر على صندوق حديدى فيه كتب وأوراق ، فحمله وعاد به الى سطح الماء . وكانت تلك الكتب والاوراق تشتمل على « مفتاح الشفرة » السرية التى كانت السفن الحربية الالمانية تتخاطب بها فى زمن الحرب . وكانت تلك الشفرة أنواعا ، ومنها نوع خاص بالتخاطب مع القيادة العليا . وكانت الاوراق تحتوى أيضا على خرائط للمناطق التى كانت الأساطيل الالمانية قد بثت فيها الالغام

وفى ذات يوم غطس ميلر على غواصة المانية أخرى كان الانجليز قد أغرقوها على كثب من سواحل يوركشير . وكانت هذه الغواصة قد استقرت فى قاع البحر بين صخور يصعب المرور فى وسطها ، فاضطر ميلر أن يعود الى سطح الماء ويأخذ قذيفة جهنمية يعود بها الى قاع البحر لنسف الصخور واختراق طريق للوصول الى الغواصة ، وهكذا كان . ولا تسل عن فرح ميلر إذ عثر فى داخل الغواصة على صندوق حديدى مملوء بالاوراق والمستندات كالصندوق الذى عثر عليه فى المرة الاولى . وقد اتضح فيما بعد أن هذه الأوراق والمستندات كانت تحتوى على « مفتاح » جديد للشفرة البحرية الالمانية وعلى خرائط جديدة لمناطق الالغام

وبلغ عدد الغواصات التى غاص عليها « ميلر » مما أغرقه الحلفاء ستين غواصة . وفى كل مرة كان يكتشف « مفاتيح » شفرة جديدة وخرائط لمناطق الالغام . وكان الحلفاء يستغلون هذه

هذه المعلومات فى غواصاتهم الالمان ، وهؤلاء يدهشون كيف يعرف الانجليز أسرارهم

وغاص ميلر مرة على غواصة كانت قد أغرقت على مقربة من ساحل دوفر . فرأى منظراً تقشعر منه الابدان . إذ رأى جثث الضباط والجنود وكأنها لاتزال على قيد الحياة وقد علا وجوهها الهلع والذعر . ويظهر أن الضباط قتلوا بعضهم بعضا برصاص المسدسات فراراً من عذابات الموت بالاختناق . والذين بقوا بعد ذلك انتحروا ، وكان الدم فى جثثهم لايزال ساخنا

ويقول ميلر انه فى كل مرة كان يغوص فيها وراء الغواصات كان يجد الاسماك والحيتان والحيوانات البحرية المفترسة محدقة بجثث النوتية الغرقى تنهشها نهشا . والى ميلر يرجع الفضل فى انقاذ شحنة من الذهب قيمتها خمسة ملايين جنيه كان الالمان قد أغرقوها مع الباخرة « لورنتيك »

ولما وضعت الحرب أوزارها كوفىء ميلر بسخاء ، وأنعم عليه الملك جورج بوسامين رفيعين ، ودعاه هو وزوجته لزيارة قصر بوكنجهام حيث قص على الملك والملكة أخباراً مدهشة عن كيفية مكافحة حرب الغواصات

[خلاصة مقالة لكاتب مجهول نشرت فى مجلة ستردى ايفننج بوست]

ماذا أفادتنا الحرب الاسبانية

دروس حربية وسياسية حديثة

كانت الدبابات من أهم أدوات القتال التى ظهرت فى أثناء الحرب العظمى الماضية ، ويقول النقاد الحربيون إن الفضل الأعظم فى انتصار الحلفاء فى تلك الحرب يرجع الى تلك الدبابات واقتران ظهورها بعنصر المفاجأة . وعنصر المفاجأة من أهم عوامل الانتصار فى ميادين القتال

وفى اسبانيا اليوم حرب طاحنة سيكون القول الفصل فيها للسيف ، وجميع القواد العسكريين يراقبونها عن بعد ليستخرجوا منها العظات ، وأول عبرة يستفيدونها منها هى ازدياد قوة وسائل الدفاع . فالمدافع السريعة الحديثة تحصد الهاجمين حصاداً رائعا وتحيل هجومهم مجزرة بشرية . ولقد كان اختراع الدبابة فى الحرب الماضية فى مصلحة الهاجمين . فكانت الدبابة تهجم على الأعداء وتخترق صفوفهم غير عابئة بالعوائق والحواجز — من خنادق وحفائر وأسلاك شائكة — إلا أن آلة جديدة ظهرت فى الحرب الاسبانية الأهلية وهى المدفع المقاوم للدبابات ، وبفضل اختراع هذا المدفع صار فى الامكان وقف هجوم الدبابة مواجهة . وهذا دليل على ازدياد قوة الدفاع فى الحروب

ولكن يجب أن لا نسرع إلى بناء النتائج الخطيرة على هذه المقدمة وإلى القول بأن عصر الدبابات قد انقضى . فستظل الدبابة من أهم أدوات القتال بشرط زيادة سرعتها « وتصفيحها »

بحيث تتمكن من اجتناب المدفع المقاوم . وبعبارة أخرى ـ يجب أن يكون مع كل دبابة مهاجمة دبابة تحميها من المدفع المقاوم لها

ومما يجدر بالذكر أن الحرب فى اسبانيا لم تثبت أن الدبابات قد قامت بعمل حاسم ، وهذا لعدة أسباب أهمها أن القائمين باستعمال الدبابات وادارتها ليسوا ذوى دراية بها . والدبابات نفسها مصنوعة صناعة رديئة . والقيادة العليا التى تتولى استعمالها لم ترسم لها خطة حربية ملائمة . وكثيراً ماتتحطم الدبابة فى أثناء سيرها لسقوطها فى هوة أوصدمها بصخرة أو قد تتعطل بسبب علة ميكانيكية. كل ذلك يجعل حكمنا على الدبابات غير صحيح . ومما يجدر بالقول أن الذين يسوقون الدبابات فى اسبانيا فى الحرب الحاضرة لا يحسدون على مهمتهم فانهم أشق الجنود فى الحرب

وليس لدينا احصاءات دقيقة عن عدد الدبابات التى لدى كل من الفريقين المتحاربين . والأرجح أن لدى الحكوميين نحو مائتى دبابة ، ولدى الوطنيين نحو أربعمائة الى خمسمائة دبابة . وقد أثبت الاختبار أن الدبابات الايطالية أحط وأضعف من غيرها ، وأن الدبابات الروسية أفضل منها ومن الدبابات الالمانية أيضا . ولا يجوز توجيه انتقاد كبير للاخيرة لأن معظمها صنع سراً تحت ستار الكتمان

ويكاد يكون من المحقق أن الدبابات تخفق فى هجومها اذا كانت المدافع المقاومة لها متوافرة ، إلا اذا لجأت الدبابات الى المفاجأة . أضف الى ذلك أن القوم فى اسبانيا قد استنبطوا وسائل أخرى لمقاومة الدبابات وذلك باطلاق « خراطيم » البترول عليها ثم رشقها بالمقذوفات اليدوية المحرقة . فتشتعل الدبابة ويحترق الذين فى داخلها إذ لا يستطيعون النجاة

وقد أثبت الاختبار أيضا أن المدفع الألمانى لمقاومة الدبابات هو أفضل المدافع التى من نوعه

أما باعتبار الحرب الجوية فان العبرة التى نستفيدها من الحرب الاسبانية هى أن الطيارات ليست سلاحا حاسما ، وليس فى وسعها كسب الحرب ، وان كان الذعر والاضرار التى تلحقها بالمحاربين وغير المحاربين عظيما جداً . وتدل اختبارات الحرب الاسبانية على أن الطيارات الروسية والطيارين الروس أفضل من الطيارات الألمانية والايطالية والطيارين الألمان والايطاليان . الا أن الطيارات الايطالية أمتن وأحسن من الطيارات الألمانية . واذا كان لدى الجنرال فرانكو طيارات أكثر مما لدى الحكومة الاسبانية ، فان الطيارات التى لدى هذه أقوى وأفضل . أما انحطاط الطيارات الألمانية فسببه أن معظمها صنع سراً لان معاهدة فرساى كانت تحرم على ألمانيا أن تتسلح

ولننظر الآن الى المدافع المقاومة للطيارات ، فلدى الألمان منها مدفع عيار قذيفته ٨٨ مليمترا وتصل الى ارتفاع ٣٦ ألف قدم ، ويطلق هذا المدفع خمس عشرة طلقة فى الدقيقة . وهنالك مدفع آخر أضعف منه عيار قذيفته ٣٧ مليمتراً ولكنه شديد الفتك أيضا . ولا شك ان أفضل سلاح قدمته ألمانيا لصديقها الجنرال فرنكو هو المدافع المقاومة للطيارات

[خلاصة مقالة للجنرال تمبرلى نشرت فى مجلة فورين أفيرز]

جنون الجماهير بالمال

شعوب تصاب بالجنون سعيا وراء الثروة

قال جون لوك الفيلسوف الانجليزى المشهور : « إن الفرق بين الجاهل والمجنون هو أن الجاهل يستخلص نتيجة خاطئة من مقدمات صحيحة. والمجنون يستخلص نتيجة صحيحة من مقدمات خاطئة. فالمجنون الذى وجد رجلا نائما فقطع رأسه ليرى ماذا سيقول متى استيقظ ، لم يخطىء فى النتيجة التى استخلصها وهى أن النائم اذا استيقظ ووجد فى حاله تغيراً تساءل عن سبب ذلك التغير . ولكنه أخطأ فى مقدماته اذ فرض أن الرجل سيظل حيا بعد فصل رأسه عن جسمه »

وكما أن الجنون يصيب الافراد كذلك قد يصيب الجماعات . والحوادث التى تدل على جنون الجماعات كثيرة تملأ صفحات التاريخ ، وأكثرها — ان لم نقل كلها — خاصة بالشؤون المالية . ومن دواعى الأسف أنه لم يحاول أحد من المؤرخين أن يدون بالتفصيل حوادث الجنون الاجتماعى الذى أصيب به البشر من وقت الى آخر وكاد يزعزع أركان الحضارة

فقد حدث فى التاريخ أن شعوبا وجماعات بأسرها كانت تصاب بشبه مس من الجنون فى سبيل السعى وراء المال ، وأن الملايين من الافراد كانوا يجرون وراء ثروة وهمية لا وجود لها إلا فى مخيلتهم . واذا نحن ذكرنا الثروة فليس ذلك لانها السبب الوحيد الذى يبعث على جنون الجماعات . فصفحات التاريخ ملأى بعوامل أخرى من عوامل ذلك الجنون . وقد جمع تشارلس ماكى فى كتاب نشر فى سنة ١٨٤١ تاريخ عدة عوامل كانت من أسباب ذلك الجنون. وفى مقدمة ذلك الكتاب أن للافراد كما للجماعات أوهاما وتصورات ، وقد يبدو لهم وهم فيندفعون وراءه لا يلوون على شىء ولا يكترثون لشىء ، فبعضهم يندفعون وراء المجد وغيرهم يندفعون وراء الثروة وآخرون وراء غرض دينى. وما الحروب الصليبية فى العصور الوسطى سوى مثل من أمثلة جنون الجماهير فى سبيل الدين . فقد صور لهم التعصب الدينى أن عليهم بذل السعى لاستخلاص أرض المقدس واسترجاع قبر المسيح . وفى ذلك تدافعت شعوب أوربا نحو الشرق . وفى العصور المتوسطة أيضا أخذت الجماهير تنفق أموالها فى سبيل البحث عن حجر الفلاسفة . وارتكبت فى سبيل ذلك جرائم لا عداد لها . وصار المشتغلون بالعقاقير يستنبطون مختلف أنواع السموم ولا يحجمون عن تجربتها فى غيرهم حتى صار تسميم الناس زيا متفشيا لا يقترن ارتكابه بشىء من وخز الضمير . قيل ان الرجل فى ذلك العصر كان يقتل أخاه ولا يشعر بشىء من وخز الضمير أكثر مما يشعر به أحدنا اليوم عند ما يقتل بعوضة . والغريب أن عادة التسميم انتشرت بين سيدات الطبقة الراقية فى ذلك العصر حتى كن يتنافسن فى عدد ضحاياهن

ومن ضروب جنون الجماهير — ولا يزال باقيا الى هذا اليوم فى بعض الانحاء — عادة المبارزة التى نشأت فى الأصل بين الشعوب المتوحشة وتفشت بين الشعوب المتمدنة

ومن تلك الضروب أيضا المضاربات المالية المتفشية حتى الآن فى معظم البلاد المتمدنة . ولعل أغرب تلك المضاربات ما كان خاصا «بزهرة الخزامى» . فقد بلغ من مضاربة الناس بها فى هولندا فى القرن السابع عشر أن هولندا كلها كادت تفلس ، فافتقر أكثر الأغنياء وأمحت ثروتهم . قيل انه لم يكن فى هولندا أحد يومئذ لا يضارب ببصيلات تلك الزهرة — وكان يؤتى بها من تركيا — وكان الناس يتنافسون فى اقتناء الاصناف النادرة منها . وبلغ ما دفعه أحدهم فى أربعين جذراً أو بصيلة منها ما يساوى ثمانية آلاف جنيه بنقود ذلك العصر . وقيل ان غيره دفع ما يزيد على ذلك كثيراً . وكان سماسرة الخزامى يكسبون الاموال الوافرة بالبيع والشراء كما يفعل سماسرة البورصة فى هذا العصر . وتاريخ هولندا مملوء بأخبار الثروات الطائلة التى كان الناس يكسبونها أو يخسرونها يومئذ فى طرفة عين . قيل إن الألوف من ملاك البيوت والاراضى كانوا يبيعون أملاكهم بأثمان بخسة ليضاربوا . وأصيبت تجارة البلاد من جراء ذلك بخسائر فادحة حتى ضاقت الحكومة ذرعا بالمضاربين وحارت فى أمرها . ومع انها سنت القوانين لتقييد المضاربة إلا انها لم تستطع انقاذ الناس من الخراب والافلاس . ولم يرجع القوم عن جنونهم إلا عند ما انتبهوا واذا أموالهم قد اضمحلت واذا الاغنياء منهم قد أصبحوا معوزين

***

وما وقع للهولنديين من جنون المضاربات وقع مثله للكثيرين ، والأمثلة على ذلك لا تحصى . ومنها المضاربة التى اكتسحت فرنسا «بأسهم» مشروع وهمى يعرف بمشروع المسيسبى . ومؤسس ذلك المشروع رجل يسمى «جون لو» كان صديقا للدوق دورليان الوصى على عرش فرنسا بعد وفاة لويس الرابع عشر . وكانت فرنسا يومئذ فى حالة مالية يرثى لها . فأشار «جون لو» على صديقه الدوق دورليان بخفض قيمة النقد الفرنسى بنسبة الخمس . فربحت الحكومة من ذلك ربحا عظيما . واستطاعت اسكات المعارضين بتخفيف الضرائب ، وعاد الرخاء الوهمى الى فرنسا ردحا من الزمن . ولكن رد الفعل بدأ يظهر بعد ذلك . فخطر «لجون لو» انشاء شركة يكون لها وحدها حق التجارة على نهر المسيسبى وفى ولاية لويزيانا . وبعد قليل حولت تلك الشركة الى «بنك فرنسا الملكى» . وأصدر هذا البنك أوراق بنكنوت بما قيمته ألف مليون «ليرة» من دون أن يكون لديه أي كمية من «الغطاء الذهبى» . فانتشرت أوراق البنكنوت فى طول البلاد وعرضها . وأصيب الناس بشبه جنون فاندفعوا يضاربون ويشترون «أسهم» شركة المسيسبى . ولم يسلم أحد فى فرنسا من تلك المضاربة حتى كان الأمراء والكبراء والوجهاء يذهبون الى مركز الشركة لشراء «أسهمها» فيضطرون الى الوقوف فى الشارع ساعات طويلة حتى يجىء دورهم

وارتفعت أسعار المعيشة على أثر ذلك الرخاء الوهمي ، وبمرور الزمن فترت حماسة المضاربين فاستيقظوا من شبه السبات الذى كانوا فيه وبدا لبعضهم أن يستبدلوا « أسهمهم » بنقود . ولم تتجل لهم الحقيقة الا حين ثبت لهم أنهم لا يستطيعون أن يقبضوا مليا واحداً ثمنا لتلك « الأسهم » ، وأن الثروة التى كانوا يمتلكونها لم تكن سوى ثروة وهمية مؤسسة على الغش والخداع . وحاولت الحكومة الفرنسية اعادة الثقة الى ورق النقد فكانت النتيجة أن قيمة النقد المعدنى هبطت . واذ ذاك دب الذعر الى حملة أسهم المسيسبى ، وما هى الا أيام حتى أفلست مصارف وبيوت مالية كثيرة ، وخربت شركات لا عداد لها . وعلى أثر ذلك أنشىء بنك فرنسا على أساس مالى صحيح فعادت الثقة الى نفوس الناس

***

وحكاية شركة المسيسبى تشبه حكاية شركة أخرى أنشأها « ارل أوف أكسفورد » سنة ١٧١١ باسم « شركة البحار الجنوبية » ، وكان الغرض منها احتكار التجارة فى جميع أنحاء القارة الأميركية . وما كادت « أسهم » هذه الشركة تطرح للبيع حتى تخاطفتها الأيدى وارتفعت أثمانها ارتفاعا فاحشا ، وصار كل من يملك أرضاً أو عقارات يبيعها ليشترى بثمنها « أسهم » الشركة المذكورة . وكان الناس كيفما ساروا فى انجلترا وأميركا الجنوبية لا يسمعون الا أخبار الشركة والأرباح الوافرة التى ستعود على أصحابها وعلى جميع الذين اشتروا «أسهمها» ، وكان يخيل الى من يسمع تلك الأحاديث أن الشعب الانجليزى على بكرة أبيه قد تحول الى مجموعة من المضاربين . وكان كل فرد يعلل نفسه بأنه سوف يصبح بعد قليل ذا ثروة عظيمة . ومما زاد الأمر انتشاراً أن عدة شركات فرعية نشأت من « شركة البحار الجنوبية » ، ومن جملتها شركة قيل ان غرضها استنباط دولاب (عجلة) للحركة الدائمة . وشركة أخرى غريبة جاء فى اعلان تأليفها « أنها للقيام بمشروع عظيم الفائدة ولكن لن يعلم أحد ما هو » ومع أن هذا الاعلان نفسه كان يكفى لالقاء الريبة فى نفوس الناس الا أنهم أقبلوا على ذلك المشروع اقبالا مدهشا وكانوا يتدافعون بالمناكب لشراء « أسهمه » الغريبة وثمن كل سهم مائة جنيه . وقد بيع من تلك « الأسهم » فى صباح يوم واحد ما قيمته مائة ألف جنيه . ولم يمض زمن طويل حتى أفلس جميع الذين اشتروا تلك الأسهم ، وفر مروجو الشركة من انجلترا . وفى طرفة عين تلاشت ثروات طائلة

هذا قليل من كثير من أنباء جنون الجماهير . وهو دليل على طمع الناس وتصديقهم كل ما يروى لهم من أخبار جمع الثروات الطائلة . ولو عقلوا لأدركوا أن خلق شىء من لا شىء محال وان التعلل بالغنى من دون رأس المال ، وانفاق المال على امل مضاعفته فى طرفة عين — كل ذلك من مظاهر جنون الجماهير . وستظل الجماهير مجنونة تسعى وراء المال ووراء الخيال

[خلاصة مقالة للاستاذ روبرت نورثن نشرت فى جريدة بوسطن بوست]

تقدم العلم والعالم

المواد المعقمة

اكتشف الانسان عدة مواد كيمائية لقتل الجراثيم والميكروبات على اختلاف أنواعها والاطباء يسمون هذه المواد المواد المعقمة أو المطهرة وفي مقدمتها مادة حامض الكربوليك . ولعلها أوسع تلك المواد انتشاراً وأكثرها استعمالا وقد استعملها اللورد ليستر شيخ الجراحين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لتطهير جروح العمليات . ولا يزال الجراحون يستعملونها الى هذا اليوم

ثم إن ليستر في انجلترا وباستور في فرنسا كانا أول من تنبه الى وجوب تعقيم الجروح بالمواد الكيميائية . وكان العلماء قبلهم قدحاولوا اكتشاف مادة كيميائيه معقمة فلم يوفقوا الى ذلك توفيقا علميا . وكان بعضهم يشير بإبقاء البخور والمواد العطرية وما أشبه في غرفة العليل لطرد الميكروبات . وزعم أطباء القرن التاسع عشر أن الخل مادة معقمة . على أن العلم قد أثبت اليوم أن الحرارة هي أضمن الوسائل لقتل الميكروبات بشرط أن تصل الى درجة معينة من الشدة . كما أن هنالك مواد كيمائية أخرى كمحلول السلماني واليود والليزول والكلوريد والبرمنجنات وطائفة أخرى لا تكاد تحصى من المواد

على أن الصابون هو من أفضل المواد المعقمة التي هي في متناول الجميع . وقد أثبت الاختبار أنه يقتل أكثر الميكروبات المعروفة ان لم نقل كلها . ولا شك أن استعماله يقي المرء امراضا عظيمة وشروراً أعظم

مخدر جديد للاسنان

من أنباء المجلات العلمية الاميركية أن الدكتور أوسرمان من كبار أطباء الاسنان بمدينة نيويورك وفق الى اكتشاف معجون للاسنان يخدر كل ألم مهما كان شديداً ، حتى إنه يصلح للاستعمال عند خلع الاسنان . وقد جربه المكتشف في مئات من المرضى فكانت النتيجة تدعو الى أشد الارتياح . ويسمى هذا المخدر «ثيمول امينو بنزوات» . وقد فحصته لجنة من أطباء الأسنان بجامعة كولمبيا بالولايات المتحدة فاتضحت لها فائدته وشرع أطباء مستشفى «بيت اسرائيل» (وهو من أكبر مستشفيات الاسنان بمدينة نيويورك) في استعماله على نطاق واسع

برودة الماء

من طبيعة الانسان أنه يميل الى شرب المثلوجات والمشروبات المبردة كلما اشتدت حرارة الجو المحيط به . ولا يشرب الماء في الصيف إلا اذا كان مبرداً . ومع أن الماء المبرد أو المثلوج قلما يصلح بيئة للميكروبات فان المعدة لا تهضمه بالسرعة التي تهضم بها الماء الذي تكون درجة برودته متوسطة . وقد قام بعض الاطباء بمباحث ثبت لهم منها ان أفضل ما يكون ماء الشرب على درجة خمسين (بمقياس فهرنهيت) من البرودة

فائدة الافاويه

الملح من المواد اللازمة لغذاء الانسان والحيوان على السواء . ويظهر أن البشر كلما تقدموا فى الحضارة احتاجوا الى ملح أكثر فى طعامهم . ويقال ان الانسان بدأ باستعمال الملح فى جميع مواده الغذائية منذ العصر الحجرى ، وانه اعتاد يومئذ أن يلحس الصخور التى « يتبلور » عليها الملح . ولما تقدم فى المدنية واندفع الى تيار الترف صار يستعمل مختلف الافاويه والتبلات لتسهيل هضم أطعمته وجعل طعمها مقبولا . ذلك لأن انغماسه فى المدنية وفى أسباب الترف أفسد معدته فصارت لا تقوى على هضم الطعام بسهولة إلا اذا أضيفت اليه الأفاويه . وكان الشرقيون — ولا سيما المقيمون منهم بالمناطق الحارة — أكثر استعمالا للافاويه لحكمة تخفى على الكثيرين ، وهى أن تلك الأفاويه تنشط الغدد التى تفرز العرق فى جسم الانسان فاذا ما تصبب الجسم عرقا شعر المرء بشىء من البرودة التى يستطيبها فى زمن الحر

حضارة الاسكيمو

المعروف عن الاسكيمو أنهم شعب منحط فى المدنية ولا يزال على فطرته الطبيعية . على أن الاستاذ جورهان من أساتذة المتحف الاتنوجرافى بباريس قد درس تاريخ هذا الشعب درسا مسهبا وانتهى منه إلى القول بأن للاسكيمو حضارة قديمة لم تكن فى وقتها أقل مرتبة من حضارة المصريين أو الصينيين . ومن دلائل تلك الحضارة ما تركه من رموز ونقوش — لا على جدران منازلهم فقط بل أيضا على أمتعتهم ومنقولاتهم بوجه الاجمال . ولا شك أن تلك الرموز والنقوش كانت ضربا من الكتابة لأن الذى يتعمق فى بحثها يجد انها تقوم على اسلوب واحد ولا يمكن أن تكون قد وجدت عفواً أو أن يكون تصويرها اعتباطا . فالرموز والنقوش تتكرر فى مواضع معينة كما تتكرر أحرف الهجاء فى كتاباتنا مما يدل على أن الاسكيمو لم يكونوا يقصدون بها تصاوير ونقوشا مجردة من المعانى

وقد تمكن الاستاذ جورهان من فك طلاسم بعض النقوش أو الكلمات وفى مقدمتها كلمة القمة أو عجل البحر ، والكلمة الدالة على ناب القمة وغيرهما من الكلمات . ومن عادات الاسكيمو الباقية حتى الآن أنهم عند ما يرحلون من بلاد الى بلاد أخرى ينقشون على جدران منازلهم علامات يستدل منها من يزورهم فيما بعد على الجهة التى نزحوا اليها فاذا لم تكن تلك النقوش والعلامات بمنزلة الكتابة فماذا عسى أن تكون الكتابة ؟

ساعة « بج بن »

فى مدينة لندن ساعة كبيرة معلقة على برج مجلس البرلمان وتعرف باسم « بج بن » اذا قرعت يسمعها أهل لندن جميعهم . ويبلغ قطر دائرتها تسع أقدام ووزنها ثلاثة عشر طنا ونصف طن والانجليز يفتخرون بها لأنها من أضبط الساعات فى العالم ان لم تكن أضبطها . وتدل تقارير المرصد الفلكى بمدينة جرينتش على أن هذه الساعة تأخرت فى السنة الماضية خمس مرات فى كل مرة ثانية واحدة . وهذا منتهى الدقة فى ضبط الوقت

سكان أميركا فى العصور الخالية

لا يزال العلماء غير متفقين على هوية سكان أميركا الأصليين . فان الدلائل متوفرة على أن الهنود الذين لا تزال فى أميركا بقية باقية منهم لم يكونوا أول من استوطن القارة الاميركية . وجمهور العلماء على أن السكان الأصليين انقرضوا لسبب غير معروف ولم تبق لهم الا آثار ضئيلة. وقد جاءنا اليوم الدكتور شولتز مدير متحف ولاية نبراسكا بأميركا بنظرية جديدة مؤداها أن القارة الأميركية ، كانت منذ نحو ثلاثين ألف سنة مأهولة بشعب لا يمت اليه الهنود الاميركيون الحاليون بصلة ، وان هذا الشعب انقرض بسبب زوابع رملية هبت على القارة كلها فلم تبق ولم تذر . وقد أثبت العلم أن هذه الزوابع هبت على أميركا قبل ذلك مرتين على الأقل فى العصر الجيولوجى المعروف بالعصر البليوسينى ، فأبادت جميع الحيوانات ذوات الثدى ولم يبق لدينا منها سوى احافير موجودة اليوم فى المتاحف الأميركية

فن النحت فى زمن الفراعنة

يزعم الاستاذ الكسندر شارف من أساتذة جامعة مونخ بألمانيا ان فن النحت فى زمن الفراعنة لم يكن فنا بالمعنى المعروف ، وان التماثيل التى كان النحاتون يصنعونها فى ذلك العصر لم تكن تشبه أصحابها فى قليل ولا كثير ، لان غرض النحاتين يومئذ لم يكن سوى صنع تماثيل ترمز الى الملوك أو العظماء كما كان النحاتون اليونان يصنعون تماثيل ترمز الى الآلهة

ونظرية الاستاذ شارف هذه غريبة جداً ، وهو يقول ان النحات المصرى لم يكن يهمه سوى صنع تمثال جميل المنظر يرمز الى الملك أو الكاهن أو الوزير المراد تخليده . وسواء أ كان ذلك الشخص عليلا نحيل الجسم فان النحات كان يبرزه على وجه يدل على الصحة والقوة والبأس غير مراع وجوه الشبه بين الشخص الحقيق وتمثاله ، وانما كان يكتفى بنقش اسمه على التمثال ليعتبره الناس تمثالا حقيقيا بالمعنى الذى نفهمه نحن من هذه الكلمة

مرض البيوريا والفيتامين

تدل المباحث التى قام بها فريق من أطباء الأسنان فى انجلترا على أن بين مرض البيوريا ونقص الفيتامين «ج» علاقة متينة، وقد تحققوا وجود العلاقة من فحص مئات من المصابين بالبيوريا فوجدوا أنه كلما نقص الفيتامين «ج» من الدم كان مرض البيوريا على أشده . وقد طلب مئات من أطباء الأسنان فى الولايات المتحدة فحص دم الذين يقصدونهم من المصابين «بالبيوريا» لمعرفة كمية الفيتامين «ج» فى دمهم ، حتى اذا ثبتت العلاقة بين ذلك المرض والفيتامين ثبوتا قاطعا أمكن وضع أسس المعالجة الجديدة للبيوريا

أفعى البحر

لا يزال الجدال قائما بين علماء الحيوان بشأن الحيوان المعروف بأفعى البحر . فبعضهم يؤكد وجود هذه الأفعى وبعضهم ينكرها. والمنكرون أكثر من المؤيدين . وقد جاءت الأنباء الآن بأن أحد طلبة جامعة كاليفورنيا عثر في جهة غربى الجبال الصخرية بأميركا على أحافير ثعبان بحرى من النوع المعروف عند علماء الحيوان باسم «موساور» وذلك فى طبقة من الارض تعرف عند علماء الجيولوجيا بالطباشيرية وترجع الى نحو ستين مليون سنة مضت . وقد نقلت بقايا هذا الحيوان الى متحف جامعة كاليفورنيا وهى الوحيدة من نوعها فى العالم

اللطخ الشمسية

المعروف عند علماء الفلك ان اللطخ أو الكلف الشمسية لها فترات كل فترة منها نحو احدى عشرة سنة . وفى شهر يوليو الماضى شوهدت طائفة من أكبر اللطخ الشمسية ورصدت فبلغت مساحة احداها أكثر من ألف مليون ميل مربع أى ان تلك اللطخة أو الكلفة تسع كرة تزيد على عشرين ضعف الكرة الارضية

سمكة منذ ألف مليون سنة

الحيوان البحرى المعروف بالسمكة الهلامية أوقانوس البحر من أقدم الاحياء الحيوانية المعروفة وأبسطها . وأجسامها عبارة عن كتل هلامية شفافة اذا عصرت لم يبق منها شىء . وقد عثر العلماء على آثار هذه السمكة (أى على أحافير لها) فى بعض الصخور فى قعر المضيق العظيم بولاية آريزونا الاميركية وهذه الصخور ترجع الى زمن لا يقل عن مليون سنة

لمحاربة السرطان

قدم أربعة وتسعون شيخاً من أعضاء مجلس الشيوخ الاميركى اقتراحا يلتمسون فيه من الحكومة تخصيص مبلغ مليون دولار أو نحو مائتى ألف جنيه لمحاربة السرطان

فى عالم الاحصاءات

من الاحصاءات الغريبة التى عنيت بها احدى شركات التأمين الاميركية احصاءات الاطفال الذين يعرضون لمختلف الاصابات . وقد ثبت منها أن طفلا واحداً من كل خمسة آلاف طفل يعرض للموت بالاصابات المختلفة قبل بلوغه العاشرة، وأن ولداً واحداً من كل ألفين ومائتى ولد يموت بالاصابة قبل بلوغه التاسعة عشرة . والمراد بالاصابات هنا الاخطار التى تفاجىء الانسان فى البيت أو الطريق أوخلافهما ولا يراد بها الامراض

بعوض الملاريا

المعروف عند الاطباء أن أنثى البعوض الانوفيليس هى التى تلسع الانسان وتسمم جسمه بميكروب حمى الملاريا . وقد أثبت الاختبار أن هذه البعوضة تلسع الانسان عادة فى الليل وقلما تتعرض له فى النهار . والأرجح أن سبب ذلك أن الانسان أقدر على مطاردتها فى النهار منه فى الليل

نصوص العهد القديم

بين الآثار التى عثر عليها العلماء فى رأس شمرا بشمال سوريا ألواح فخارية عليها نصوص تطابق حرفاً بحرف بعض النصوص الواردة فى العهد القديم ، فهى اذن دليل على المصدر الذى أخذت منه تلك النصوص

منافع الثوم والبصل

الثوم والبصل من البقول التى يسهل خزنها للاستعمال عدة أشهر بخلاف غيرها من البقول التى تفسد بعد يومين أو ثلاثة أيام . وقد حيرت خاصية الثوم والبصل هذه جميع العلماء ، فسعوا للوقوف على كنهها . ويؤخذ من أحدث المباحث العلمية التى قاموا بها ان فى المادة التى تنبعث من الثوم والبصل وتدمع العيون مادة كيميائية تقتل الجراثيم والبكتيريا وهى سبب حفظ هذين البقلين من الفساد . فأما مادة البصل فتسمى « آليل الديهيد » . وأما مادة الثوم فهى « الديهيد كروتونيك » ويسعى العلماء الآن لاستنباط وسيلة تمكن من الانتفاع بهاتين المادتين طبياً

لمنع تقلص المنسوجات الصوفية

لا يخفى ان المنسوجات الصوفية اذا وضعت فى الماء تقلصت . وقد حاول علماء الكيمياء منذ أقدم الازمنة اختراع طريقة تعالج بها تلك المنسوجات بحيث يمنع تقلصها . وكان المظنون ان معالجتها بغاز الكلورين يحقق ذلك الغرض ، ولكن ثبت ان الغاز المذكور يجعل ملمس الصوف خشنا ويزيل منه متانته . وقد قرأنا فى احدى المجلات العلمية الاخيرة أن مهندسا كيمائيا انجليزيا يدعى مستر هول قد وفق الى طريقه اذا عولجت بها المنسوجات الصوفية فانها لا تتقلص عند وضعها فى الماء فضلا عن كونها تحتفظ بنعومتها . ولا يزال مخترع هذه الطريقة يكتم طريقته ولكن المظنون انها تقوم على تغطيس الصوف فى محلول كيميائى يسمى سلفوريل الكلوريد بعد اضافة مواد كيميائية أخرى اليه

علاج جديد للملاريا

من أنباء مجلة مونخ الطبية وهى من أشهر المجلات الطبية الألمانية ان الاستاذ اسكولى كبير أطباء المستشفى بجامعة باليرمو بايطاليا وفق الى معالجة الملاريا بطريقة جديدة وهى حقن المصاب بخلاصة الغدد الكظرية (الأدرينالية) بدلا من حقنه بالكينا أو باحدى مركباتها . ويظهر أن هذه الطريقة قد أسفرت عن نتائج تدعو الى الارتياح . ويقول الاستاذ اسكولى ان فائدة الحقن بالخلاصة الكظرية تعود الى كونها تخفض كمية الدم التى فى الطحال ، والطحال كما لا يخفى هو البؤرة التى ينمو فيها ميكروب الملاريا. فاذا تناقصت كمية الدم التى فى هذه البؤرة فانها لا تصلح لنمو الميكروب . ويظهر أن هذا العلاج يصلح فى الحالات المزمنة كما فى الحالات الجديدة

العلوم عند أهل بابل

لا شك ان العلوم بلغت فى بابل منذ خمسة آلاف سنة مبلغا عظيما . فقد عثر العلماء حديثا على وصفات طبية ليست من قبيل الشعوذة بل هى وصفات حقيقية . نعم ان الاطباء البابليين كانوا يستعملون بعض ضروب الشعوذة، ولكنهم انما كانوا يلجأون اليها لانتشار الخرافات يومئذ بين الناس بحيث كان الايحاء والايهام يؤثران فيهم كما يؤثران فى أهل هذا الزمن . على ان الطبيب البابلى كان يحتفظ دائما بالعقاقير والمواد والضمادات التى لا يستغنى عنها زميله فى هذا العصر. وكان للامراض عند القوم اسماء مختلفة وكانوا يعللونها تعليلات مختلفة ينطبق بعضها على تعليلاتنا لها

وكان علم الرياضيات عندهم يقوم على نفس الاسس التى يقوم عليها هذا العلم عندنا . وكانوا ماهرين فى علم الحساب والمساحات وفى قواعد الجمع والطرح والضرب والقسمة وحساب الكسور . ونبغوا فى علم الفلك والتنجيم بوجه خاص. وكانت لهم نظريات فلكية نفيسة أخذها عنهم الفرس واليونان وغيرهم . أما معرفتهم بعلمى الكيمياء والجغرافية فكانت ضئيلة لا تستحق الذكر . وانما حذقوا بعض الصناعات المعدنية مما كان له علاقة غير مباشرة بعلم الكيمياء

بين الهلال وقرائه

محاكم الجنايات

(بروميسون ـ البرازيل) ميشال أيوب

هل تختلف أحكام المحاكم الجنائية وقوانين العقوبات في الجمهوريات ـ كفرنسا والولايات المتحدة ـ عنها في الممالك ـ كانجلترا والمانيا وايطاليا مثلا ؟

(الهلال) تختلف نظم المحاكم كما تختلف نظم المحاكمات وقوانين العقوبات في جميع البلاد . بل لقد تختلف في الجمهورية الواحدة باختلاف الولايات التي تتألف منها تلك الجمهورية . ويرجع هذا الاختلاف الى عدة أسباب أهمها :

(١) مستوى البلاد العلمي والاجتماعي

(٢) عادات أهلها

(٣) أمزجتهم وميلهم الفطري

وليس أدل على اختلاف قوانين العقوبات من اختلاف العقوبات التي تنزلها المحاكم الجنائية في مختلف البلدان بمن يرتكب نفس الجناية . مثال ذلك أن الذين يتعاطون المخدرات أو يروجون تجارتها أو يحرضون على إدمانها في الصين واليابان يعاقبون بالموت ، حالة كون عقوبتهم في مصر لا تجاوز غرامة ألف جنيه والسجن مدة لا تزيد على خمس سنوات . ثم إن بعض الحكومات تحكم بإعدام القاتل المتعمد القتل . وغيرها تستنكر عقوبة الموت وتستبدل بها السجن المؤبد مع الاشغال الشاقة . وقس على ذلك عقوبات مختلف الجرائم في مختلف البلدان

وكذلك القول في نظم المحاكم والمحاكمات : فبعضها يقضي بوجود « المحلفين » ـ كما في فرنسا وانجلترا ـ وبعضها لا يعترف بأولئك المحلفين ويكتفي بقضاة المحكمة فقط ـ كما في المحاكم الجنائية في مصر . ودرجات القضاء نفسها تختلف باختلاف البلدان : فبعضها تشتمل على محاكم ابتدائية واستئنافية ومحاكم نقض وابرام ، والبعض الآخر يشتمل على محاكم من درجات تختلف عن هذه . ثم ان بعض الدول تعتبر بعض الأعمال من قبيل « المخالفات » حالة أن غيرها تعتبرها « جنحا » . وبعبارة أخرى ـ أن تبويب الأعمال المخالفة للقانون بتقسيمها الى « مخالفات » و « جنح » و « جنايات » يختلف باختلاف أمزجة الشعوب ومبلغ رقيها ومستوى حضارتها

معرفة الحقيقة

(البادية الجنوبية ـ العراق) حبي نصيف

يذهب الكثيرون الى أن من أسباب شقاء الانسان جهله الحقيقة . ويزعم الآخرون أن جهل الانسان الحقيقة من أهم أسباب سعادته لأن هذا الجهل هو الذي يحمله على السعي في هذه الحياة . فأي الفريقين على صواب ؟

(الهلال) لا نعلم ماذا تريدون بالحقيقة . فان أردتم حقيقة الحياة أو كنهها فمعرفة هذه الحقيقة قد تزيد عقيدة الانسان الدينية رسوخا أو قد تزعزعها . فاذا عرف الانسان ان الحياة خالدة كان يقينه بالخلود من أسباب سعادته . ولكن اذا ثبت له أن الحياة فانية وان القبر هو نهاية كل شيء ـ لا سمح الله ـ كان ذلك من أسباب شقائه . وعليه فان المؤمنين بالله وبخلود الروح يشعرون دائما بتعزية كبيرة كلما تذكروا أن الحياة مرحلة قصيرة يعانون فيها أصناف الشقاء ثم يعقبها نعيم خالد

ولا شك أن معرفة حقيقة الخلود ـ أو عدم الخلود تؤثر في نفس الانسان الذي يطمع دائما في التعويض بعد الموت عما فاته في هذه الدنيا الفانية . حتى إن المجرم الذي يقضي حياته في ارتكاب الموبقات يرجو ـ اذا كان يؤمن بالخلود ـ أن يعفو الخالق عنه قبل وفاته ليتمتع بالنعيم الدائم . فترى اذن ان الانسان يرجو أن تثبت حقيقة الخلود ولا يحب أن يكون الموت آخرة كل شيء . فمعرفة الحقيقة لا يمكن أن تكون سبب شقائه الا اذا كان مؤدى تلك الحقيقة أنه لا حياة بعد الموت

داء المحاباة

(النجف الاشراف — العراق) عبد الجبار الباهلي

لقد استولى على التشاؤم بحيث صرت أفضل الموت على الحياة مع انى لست بالكسلان الخامل ولكنى أشعر بأن داء المحاباة هو الذي يجعلني بائساً . فهل هذا الداء مقصور على الشرق فقط أم هو متفش بين جميع أمم العالم ؟

(الهلال) يكاد هذا الداء يكون غريزة فى الانسان . وقلما تجد أمة نجت منه ، فهو متفش فى الشرق والغرب على السواء . ولكنه — وهذا من دواعى الأسف — اكثر تفشياً بين الشعوب الشرقية منه بين الشعوب الغربية . ولا بد من مرور الأحقاب الطويلة حتى يزول هذا الداء من جسم المجتمع البشرى وتنتشر فى هذا الجسم المناعة من المحاباة . ومما قد يعزيكم أنكم لستم وحدكم الشاكين من هذا الداء بل إن الشكوى منه عامة . واذا كان قد أصابكم حيف منه فالمنكوبون بهذا الحيف ملايين من الرجال والنساء فى العالم ، والمصيبة اذا توزعت خفت

سبب الضحك

(كركوك — العراق) عبد الواحد عبد الصمد فهمى

لماذا نضحك ؟ ولماذا نضحك من بعض الأشياء دون غيرها ؟

(الهلال) الضحك هو انبساط الوجه الناجم عن حركة عضلات الوجه (ولا سيما عضلات الشفتين) حركة اكثرما تكون غير مقصودة ، مع ظهور العينين بمظهر خاص يشف عن الفرح والانشراح وارتياح النفس . ويكون هذا المظهر مصحوبا بانطلاق الهواء من الرئتين انطلاقا متقطعاً وبصوت يخرج من الحلق . فان لم يكن مصحوباً بصوت وبظهور الاسنان فهو التبسم

أما سبب الضحك نفسه فلم يستطع العلماء الوصول اليه حتى الآن . فهم لا يعلمون لماذا يضحك الانسان من منظر أو حركة أو عبارة دون غيرها . ولماذا تضحكنا حركات تشارلى تشابلن مثلا مع أننا لا نضحك من تلك الحركات نفسها اذا قام بها شخص آخر

وفى الواقع انالانسان لا يضحك من حركة واحدة ولا من كلمة واحدة بل من مجموعة حركات أو كلمات . وهذا يحمل البعض على تعليل الضحك بقولهم انه يجمع بين حركات أو ألفاظ على وجه مبهج غير منتظر . الا ان هذا التأويل لا يعلل جميع الحوادث والمناظر والاقوال التى تدعو الى الضحك . كما أن الاختبار يدل على أن الضحك هو عمل نسبى . فقد تضحك أنت من شيء لا يضحك غيرك . وقد تقهقه من نكتة لا يقهقه لها جليسك . وهذا دليل على أن للمزاج أيضا علاقة بالضحك . فأصحاب الامزجة الباردة لا يتأثرون بالنكات بالسهولة التى يتأثربها أصحاب الامزجة العصبية ، وقد يكون أصعب عليك أنتضحك الرجل الانجليزى من أن تضحك الرجل الفرنسى

وخلاصة القول أن العلماء لم يتفقوا على تعليل الضحك تعليلا صحيحاً

العقاقير والمستحضرات المضرة

(القاهرة — مصر) ع . ع . ف . ر

ما رأيكم فى الأدوية والعقاقير والمستحضرات التى تنسب الى بعض معاهد التجميل هنا وفى الخارج كالادهان التى تستعمل للثدى المتهدلة والادوية التى تستعمل لازالة السمن والسوائل التى تستعمل لتبييض البشرة وغير ذلك من عقاقير تقوية الشعر ومنع سقوطه وازالة الحبرية أو قشرة الرأس . وهل من الحكمة — وأنا فتاة فى السابعة عشرة من العمر — ان أستعمل تلك العقاقير والمستحضرات ؟

(الهلال) لا ننصح لك باستعمال أى شيء منها من دون استشارة طبيب اخصائى . فان اكثر هذه العقاقير والمستحضرات تصنع لاستدرار الكسب من جيوب الاغرار والبسطاء . والكثير منها يضر ولا ينفع . وبعضها لايضر ولاينفع . ومهما فعلت المرأة فانها لا تستطيع محاربة العمر وما يطبعه الزمن على وجهها وجسمها من آثار التقدم فى السن . على أن الطب يستطيع مساعدة الانسان على ازالة التشويه الذي يصيبه بغير علة طبيعية بشرط الاستعانة بطبيب ماهر لا بدجال أو مشعوذ

علاج السمن

(كربلاء ــ العراق) س . ى . ش

ما هو أحسن علاج لجعل الجسم سميناً ؟

(الهلال) هنالك عدة وسائل لتسمين الجسم وأفضلها حسن اختيار نوع الغذاء . والمعروف أن المواد النشوية والدهنية تسمن الجسم . وفى كتب اللغة أن السمنة (بضم السين) دواء يسمن به وعشبة تنبت فى الصيف وتدوم خضرتها . وحبها يعرف بحب السمنة وهو يشبه الفلفل وتأكله النساء لتسمن عليه

والسمن اذا زاد على الحد الطبيعى أصبح مرضاً يجب السعى لازالته بالاقتصار على أنواع معينة من الأغذية وبالرياضة فى الهواء الطلق . ولا يخفى أن الكسل وعدم الحركة مجلبة للسمن فيجب اجتنابهما

الشعور الطبيعى بالحب والكراهية

(كربلاء ــ العراق) ومنه

كثيراً ما أشعر بكره شخص لسبب لا أدركه . فاذا قبل معى هذا الشخص معروفاً زال منى شعور الكره وأصبحت أميل إليه وأحبه . فهل هذا الشعور خاص بى وحدى أم هو عام بين الناس ؟

(الهلال) شعوركم هذا طبيعى يصدق على جميع الناس . لأن النفس ترتاح الى من يحسن اليها وتنفر ممن يسيء اليها . بل ان الحيوان نفسه يرتاح الى من يحسن اليه ويعطف عليه . أما الشعور بالكراهية لغير سبب ظاهر فبعض العلماء يعللونه بانبعاث تيار من الكهربائية الحيوانية من الشخص غير المرغوب فيه لا يتفق وتيار الكهربائية الحيوانية المنبعث من الشخص الواقف أمامه ، وهى نظرية لم يثبتها العلم حتى الآن . ولكن من أنصارها بعض كبار العلماء وفى مقدمتهم السر أوليفر لودج الفيلسوف الانجليزى الكبير ، والشرقيون يقولون عن الشخص الذى يكرهه الغير بلا سبب ظاهر : « فلان ثقيل الظل أو ثقيل الدم أو ثقيل النجم » ومن المحتمل أيضا أن يكون سبب هذا الكره الخفى عدم استحسان الشخص الكاره لملامح الشخص المكروه أو لحركاته وسكناته او لنبرات صوته او الى مجموع شكله او ما الى ذلك من الاسباب التى تقع تحت السمع او البصر او الشم او اللمس

سقوط الشعر

(بيروت ــ لبنان) أحمد القراء

يقال ان شعر الرأس اذا بدأ يتساقط فلا علاج له ، ولكن لى صديقا كان شعر رأسه بدأ يتساقط فنصحه أحدهم بفرك رأسه بسائل مزيج من قدر فنجان قهوة من عصير البصل ومثله من زيت السمك غير المكرر ومقدار ملعقة شاى من زيت الزيتون النقى . وقد جرب صديق هذا المزيج فقوى شعره . فما رأيكم فى هذا ؟

(الهلال) لا نظن المزيج الذى ذكرتموه دواء ناجعاً يمنع سقوط الشعر ، فان العلم لم يكتشف حتى الآن مواد أو عقاقير تصلح غذاء لبصيلات الشعر وتمنع تساقطه . نعم ان فرك الرأس فركا مستمراً : سواء أكان بالمزيج الذى ذكرتموه أم بغيره ، قد ينعش بصيلات الشعر وينشطها قليلا فيحول ذلك دون سقوط الشعر الى حد قليل . ولكن هذا التأثير تافه جداً لا يؤبه له فوق أنه وقتى لا يدوم طويلا

ويظهر من أحدث المباحث التى قام بها العلماء ان أحسن وسيلة لانعاش البصيلات ومنع تساقط الشعر هو الحقن بخلاصة الغدة النخامية ، فان خلاصة هذه الغدة تغذى بصيلات الشعر وتعيد اليه لونه الأصلى . على أن عملية هذه الحقن شاقة لا يستطيع القيام بها الا أطباء اخصائيون . ونذكر أننا قرأنا منذ نحو سنتين مقالات نفيسة فى هذا الشأن فى بعض المجلات العلمية الأميركية كانت تتضمن خطباً ومباحث لبعض كبار العلماء فى مجمع تقدم العلوم الأميركى

إطالة الجسم

(بيروت ــ لبنان) ومنه

أصحيح أن النوم على الظهر يهيج الغدة النخامية ويساعد على إطالة الجسم ؟

(الهلال) كلا ليس ذلك صحيحاً . ومع ذلك فان استطالة الجسم هى نتيجة افرازات بعض الغدد الباطنية افرازاً غزيراً . وكثيراً ما تصبح هذه الاستطالة مرضاً خطيراً ينتهى الى الموت . وفى مصر اليوم شاب فى نحو العشرين من عمره يكاد طول جسمه يبلغ المترين ونصف المتر وهو يعالج فى أحد المستشفيات

كتب جديدة

كنوز الفاطميين

للدكتور زكى محمد حسن

مطبعة دار الكتب المصرية . فى ٢٩٠ صفحة ، ٦٤ لوحة فنية

يزكو الفن ويرق فى وسط الترف والرخاء ، لهذا ازدهر الفن الاسلامي فى زمن الفاطميين ، حين كانت مصر مركز التجارة الرائجة بين الشرق والغرب ، تجنى منها الثراء والرخاء . وهذا الكتاب الحافل يتحدث عن الفن الاسلامى حين ازدهر وأينع فى العصر الفاطمى

ومع أن هذا العصر لم يخلف آثاراً شاهقة وعمائر باذخة ، ولم يبلغ فيه فن الزخرف مابلغه فى عصر المماليك من دقة وابداع ، إلا أنه قد فاق سائر عصور التاريخ الاسلامى فى الفنون الفرعية (minor arts) أى صناعة أدوات الزخرف والزينة . وقد أبدع منها كنوزاً نفيسة يتحدث عنها هذا الكتاب الحافل فى دقة وإفاضة

يتناول القسم الاول منه التحف الفنية فى قصور الفاطميين كما تصورها المصادر التاريخية والأدبية المختلفة ، فعرض ماذكره مؤرخو العصر الوسيط كابن ميسر والمقريزى عن خزائن القصر الفاطمى كخزانة الكتب ، والكسوات ، والجواهر والطيب والطرائف ، والفرش والأمتعة ، والسلاح وغيرها . وقد تحدث عنها جميعا فى اسهاب وتمحيص ، وأورد عنها شتى الروايات ، وناقشها نقاشا علميا يثبتها أو يفندها ، وتحدث فى أثناء هذا عن أيام الشدة والضيق التى ألمت بمصر فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، وقد أثبت وثائق وأسانيد اسلامية ومسيحية كتبت فى أثناء هذه الفترة

وتناول القسم الثانى « الفنون الفرعية فى العصر الفاطمى » فبدأ بالنحت والتصوير وأجمل حكم المذاهب الاسلامية فيهما ، واستعرض شتى الرسوم والنقوش فى مصر وتونس وغيرها ، وأبان ماكان لها من الأثر فى تطور الفن كما يبدو فى الرسوم الباقية على الأبنية النورمندية بجزيرة صقلية . وأجمل صناعات هذا العصر صناعة النسيج والخشب والخزف والزجاج ، فشرحها الكتاب شرحا وافيا دقيقا ، كما أفاض فى الحديث عن صناعة التجليد والفسيفساء والعاج والمعادن ، فى نظام وترتيب جميل . وانتهى من هذا القسم بفصل بديع عن « العنصر الخطى » الذى كان أساس الزخرفة فى الفن الاسلامى

هذه إجمالة وجيزة عن موضوع الكتاب الحافل ، الذى استقاه مؤلفه الاستاذ زكى محمد حسن امين دار الآثار العربية من دراسة مجهدة متصلة سنوات طويلة ، بحث فيها واستقصى مجموعات من الاسفار العربية والغربية ، وطاف فيها بمتاحف أوربا دارسا منقبا ، حتى صار حجة فى تاريخ الفن الاسلامى ، وحتى صار ما كتبه عنه من كتب وفصول مراجع قيمة يؤخذ بها . وكتابه هذا — كما يقول المستشرق الكبير

جاستون فييت – يشهد بأن مؤلفه أصبح مؤرخا فذا للفن الاسلامى ، له طريقة علمية بلغت الغاية دقة ، وله فى النقد حاسة قوية نافذة

وقد زين الكتاب بأربع وستين لوحة فنية عنى المؤلف بتمثيلها نواحى الموضوع كلهـا . وذيل كذلك بثبت طويل عن المراجع القيمة طالعها المؤلف وبحثها جميعا ، كما يتضح مما كتبه من الحواشى الكثيرة ، وهى خير مرشد لمن يريد أن يدرس ويستقصى تاريخ الفن الاسلامى . ولا شك أن دار الآثار العربية جديرة بثناء كل من تعنيه هذه الدراسات القيمة ، لما تبذله من مجهود عظيم فى اصـدار شتى المؤلفات الأثرية والتاريخية، إحياء لفنون العرب وإشادة بآثارهم . وقد كان إصدار « كنوز الفاطميين » فى هذه الايام عملا موفقا محموداً ، فهو أجمل تمهيد لما تتأهب له القاهرة الآن احتفالا بمرور الف عام على تأسيسها ، وخير تذكير بما كانت عليه فى ماضيها المجيد من مدنية باذخة زاهرة

مذكرات نائب فى الارياف

للاستاذ توفيق الحكيم

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . فى ٢٣٤ صفحة

يشوق المرء أن يقرأ ذكريات سواه ، كما يشوقه أن يذكر ما جرى فى ماضيه . ولهذا كانت « المذكرات والذكريات » من أمتع الكتب وأروجها . على ان ذكريات الأديب تمتاز على سواها بما تحفل به حياته من احداث شائقة تخلو منها حياة الفرد العادى . لأن عقله أنفذ تفكيراً ، وشعوره أدق إدراكا ، وخياله أرحب آفاقا

واذاً فهذا الكتاب يتخذ أولا اسلوبا طريفاً جميلا ، لأنه يصور فترة من حياة أديب ممتاز تصويراً بارعا . فترة عاش فيها أديب مرهف الحس مثقف العقل فى اصفاد واحدة مع الجريمة المنكرة يطالع وجهها صباح مساء . والاديب لا يتحدث عن الجريمة إلا حديث العطف والألم والرحمة ، لأنه انسان لا يحقد ولا يكيد بل يعفو ويأسو ، ولهذا كان هذا الكتاب مقترنا بفكاهة رقيقة جميلة وان كانت ساخرة لاذعة

واذا كان الاستاذ الحكيم فى مؤلفاته السابقة أديبا يسبح فى أفاق الخيال ، فهو فى هـذا الكتاب أديب يندمج فى غمرة الناس ووسطهم ليدرس حياتهم ، ويتبين نقائصها ، ويرسم صورها المختلفة . فهو يبين مساوىء «الادارة» الحكومية فى قرى الريف ، وما تقترن بها من مساوىء ومظالم قاسية ، يصور « المأمور » المتغطرس المتحكم و « العمدة » المتملق المتزلف و «النائب» الذى يريد ارضاء رؤسائه لا أداء واجبه ، و « الطبيب » الذى ينظر الى أبناء الشعب نظرته الى البهم السائمة

وهو يدير هذا الحديث كله حول حادثة واحدة تضم أشتاته ، فتجعل الكتاب قصة منسقة مطردة الأجزاء

واذا كان الاستاذ الحكيم قد مهد طريقاً جديداً في الأدب العربي حين وضع أهل « الكهف » و « شهرزاد » ، فهو يقدم فى هذا الكتاب لونا أدبيا جديداً من الكتابة الاجتماعية ، يقترن فيه أسلوب « الأديب » وخياله ، بعقل « الاجتماعى » وروحه ، فيجمع فيه عنصر المتعة والطرافة ، الى جانب عنصر الفائدة والقيمة

فى مصر الاسلامية

أخرجه الدكتور زكى محمد حسن
والاستاذ عبد الرحمن زكى

مطبعة المقتطف والمقطم . فى ١٦٨ صفحة

دراسات شتى عن مصر فى العصر الوسيط ، وضعها لفيف من خيار مؤرخينا الباحثين ، عرضوا فيها بعض جوانب المدنية الاسلامية فى وادى النيل ، وألموا فيها بالأحداث التى توالت على مصر فى العصور الوسطى ، ومهدوا بها للاحتفال بمضى ألف سنة على تاسيس القاهرة

تبدأ هذه الفصول باجمالة عن تاريخ مصر الاسلامية أبان فيها الدكتور زكى محمد حسن أن الزعامة التى آلت الى مصر فى العالم الاسلامى ليست وليدة العصر، بل تقوم على دعائم قوية منذ فتح العرب مصر وفرضوا عليها دينهم ولغتهم ، وقاموا بتعريبها كما قامت بتمصيرهم

واستعرض الاستاذ اسماعيل أبو العينين من خريجى معهدالآثار الاسلامية هذه الحقبة الطويلة من التاريخ فى مقال مركز دقيق ، عنى فيه ببحث شؤون الشعب عنايته بدرس نظام الحكومة

ويلى هذا بحث قيم للاستاذ جاستون فيت عن المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى . وهو بحث طريف جديد وفاه المؤرخ الكبير حقه من الدقة والشمول . وقد ترجمه عن الفرنسية الاستاذ محمد وهبى من خريجى معهد الآثار العربية ، فأحسن الترجمة رغم ما فيها من تعابير فنية كثيرة

وتحدث الاستاذ محمود احمد مدير ادارة الآثار العربية عن تاريخ « العمارة الاسلامية بمصر » ، فاستعرض آثارها ومساجدها ومنازلها الشهيرة فى كلمات وافية قيمة تتخللها الصور الفنية البديعة

أما عواصم مصر الاسلامية الاربع : الفسطاط ، والعسكر، والقطائع ، والقاهرة، فقد كتب عنها اللازم الأول عبد الرحمن زكى فصلا دقيقا شاملا عن نشأتها وتطورها ومظاهر الحضارة والرخاء فيها ، وزين بعدة خرائط قيمة

وقد اختص الجامع الأزهر بفصل مستقل وضعه الاستاذ يونس مهران خريج معهد الآثار الاسلامية ، يتضمن تاريخه منذ أنشىء الى يومنا هذا ، فأبان عن تطور عمارته ، ونظامه ، وطرق التدريس فيه ، وذيل بثبت عن شيوخه جميعا

ومن أجمل بحوث الكتاب الفصل الوجيز الذي وضعه الدكتور زكى محمد حسن عن « المصادر المهملة فى دراسة التاريخ الاسلامى » كالآثار وأوراق البردى والسكة وبحوث المستشرقين المحدثين . والكتاب فى الجملة من المؤلفات التى يجدر بالعربى عامة، والمصرى خاصة ، أن يطالعها ويتثقف بها

هندسة الكون

بحسب ناموس النسبية
للاستاذ نقولا الحداد

مطبعة المقتطف والمقطم . فى ١٦٨ صفحة

يتعذر على من لم يدرس شتى فروع العلوم الرياضية دراسة دقيقة شاملة ، أن يفهم نظرية النسبية التى تفتق عنها ذهن العالم العبقرى البرت اينشتين . بل ان كثيراً من علماء الرياضة يعلنون أنهم لا يفهمون من هذه النظرية المعقدة المتشعبة سوى مبادئها البسيطة . لهذا يغتبط القارىء

العربي حين يجد بين يديه كتابا موجزاً يتناول بسائط هذه النظرية في شيء من الوضوح لا يشق على من لم يجاوز درس الرياضيات البسيطة. وهو هذا الكتاب الذي وضعه الاستاذ نقولا الحداد وعرض فيه جوانب قضايا النسبية مستمدة مما كتبه اينشتين مكتشف هذه النظرية ومما كتبه كبار كتابها الحديثين ، بأسلوب يخلو على قدر الامكان من الشروح الرياضية ، وذلك بالاستعانة برسوم كثيراً ما تغني عن المعادلات الرياضية المعقدة . فجاء كتابه سهل التناول واضح التعبير الى حد كبير

فتراه قد قدم الكتاب بفصل وجيز أوضح فيه للقارىء ما هو مقدم عليه من بحوث ، ثم تلاه ببحث قيم عن « هندسة الكون » ثم بأطراف علم الفلك ، وتقدمها مبسطة لمن لم تسبق له دراسة هذا العلم . واستطرد من هذا الى بحث معنى النسبية والتفرقة بين الحركة والسكون

والكتاب مقسم أربعة أقسام يبحث على التوالي في (١) ناموس النور (٢) النسبية الخاصة (٣) النسبية العامة (٤) بعض مقتضيات النسبية

ولا شك أن الاستاذ الحداد قد سد بهذا الكتاب العلمي ثغرة في التأليف العربي ، ووفى بحاجة كثيرين ممن يريدون الاطلاع على هذه النواحي العلمية ، فيحول جهلهم باللغات الأجنبية بينهم وبين ما يريدون

معاوية بن أبي سفيان

ويزيد بن معاوية

للاستاذ عمر أبو النصر

المطبعة الوطنية بيروت . كل منهما في ١٦٠ صفحة

يريد كثير منا أن يدرسوا رجال تاريخنا العريق ، فيحول دونما يريدون أنهم لا يجدون كتبا وجيزة وافية عن هؤلاء الرجال ، تغنيهم عما لا يسعهم من بذل الوقت والجهد في مطالعة الاسفار الضخمة المشتتة ، فيرضون – كارهين – بجهلهم أحداث تاريخهم وأبطال ماضيهم . لهذا نعتقد أن الأستاذ عمر أبو النصر يؤدي خدمة جليلة بإصدار كتب سهلة المأخذ شاملة الموضوع عن كبار رجال التاريخ الاسلامي في الحرب والحكم والسياسة

وهذان الكتابان عن معاوية وابنه يزيد قد سبقتهما كتب أخرى عن رسول الله وخلفائه الراشدين . وهو يريد بهذه المؤلفات المتتابعة أن يستعرض التاريخ الاسلامي كله ، وأن يظهر فضائله ومفاخره ، بالتحدث عن أبطاله وأفذاذه الكثيرين . وهو في هذا يتجنب التحيز لعصبية خاصة أو مذهبية معينة . ولا يحاول تمجيد هذا أو تسفيه ذاك دون حق ، وإنما يسعى الى تصوير الحوادث والوقائع تصويراً يعلو على خلافات الماضي وما بقي لها من أثر في بعض النفوس

وللاستاذ أبي النصر في عرض تراجمه أسلوب طريف جميل ، فتراه يبدأ الحديث عن معاوية بقصة محاولة اغتياله بيد أحد الخوارج ، ويتدرج من هذا الى شرح الموقف العصيب الذي وجد فيه . وهو يلجأ الى الايجاز على أن يضمن السطور شتى الأحداث والوقائع . ويناقش ما يعترضه من آراء ، ويحاول اثباتها أو تفنيدها ، ويرجع في هذا الى بحوث العلماء الحديثين وخاصة المستشرقين منهم

ومن أجمل الفصول التي عقدها في كتابه الأول : سياسة معاوية ، شيعة معاوية ، معاوية في يومه ، السم عند معاوية ، ثروة الدولة في

عهده . ففى هذه الفصول يبدو أسلوب المؤلف فى البحث والدرس ، وفى قدرته على ضم أطراف الموضوع فى صفحات قليلة

وفى كتابه عن يزيد صور كيف بدأ خلافته والجماعات الاسلامية تتحفز للثورة وتستعد للكفاح ، هذا الى أن يزيد لم يكن له من الخلق ولا من العقل ما يؤهله الى اجتذاب القلوب النافرة ، وضم الأطراف المشتتة . وأثبت صوراً كثيرة عما وقع فيه يزيد من أخطاء وخطايا ، وكيف أن خطله هو الذى أدى الى ما انتاب المسلمين فى عهده من أحداث كثيرة

الشخصية

للاستاذ محمد عطية الأبراشى

مطبعة المعارف . فى ١٦٨ صفحة

دراسة « الشخصية » شائقة نافعة ، لأنها دراسة جماع فضائل الانسان ورذائله ، دراسة تمكن المرء أن يحكم على الفرد حكما صائبا . ولهذا عنى علماء النفس ببحثها وتمحيصها على ضوء التجارب العلمية الحديثة ، ووضعوا فى هذا عشرات من الكتب القيمة ، أما فى اللغة العربية فلا نجد سوى هذا الكتاب ، الذى وإن كان مختصراً موجزاً ، الا أنه يلم بأطراف الموضوع جميعها

فهو يعرف الشخصية ويحددها ، ويبين أوجه الاختلاف فيها ، ثم يتحدث عن العناصر الرئيسية التى تتكون منها الشخصية القوية ، كالجاذبية والذكاء والشجاعة وسداد الرأى والتفاؤل والتواضع . . ثم يستطرد الى الحديث عن وسائل تقوية الشخصية العملية ، وكذلك الشخصية الفكرية ، وما هى الأسباب التى تؤدى الى اضعافها وكيف يتجنبها الانسان . وغير ذلك من البحوث المتعلقة بالموضوع

وأهم ميزة فى الكتاب أنه يخلو من جفاف الكتب العلمية ، لأنه يعتمد على ضرب الأمثلة وسوق الحكايات ، أكثر من سرد المصطلحات والتعابير الفنية الدقيقة . وأسلوب الكتاب جزل لأن مؤلفه قد درس الأدب العربى قبل أن يدرس علم النفس ، فجاء شرحه واضحا بينا

فتح دارفور

للبكباشى حسن قنديل

مطبعة العدل بالاسكندرية فى ٥٠ صفحة

فى سنة ١٩١٦ شق سلطان دارفور « على دينار » عصا الطاعة على الحكومة المصرية ، فأرسلت حملة لاخضاعه وتأديبه . وقد كان من جنود هذه الحملة مؤلف هذا الكتاب ، فطلب اليه حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون أن يضع عن الحملة كتابا ، لان حوادثها تتعلق بتاريخ مصر والسودان . فوضع هذه المذكرة التى تعد صفحة فخار للجندى المصرى . وقد وصف الحملة منذ قيامها من مصر ، وسيرها فى بلاد السودان ، الى ان انتصرت على السلطان الثائر . ووصف فيه كذلك دارفور وتاريخها ، وتحدث عن سلطانها وما كان له من بأس وسطوة ، ومن أموال ورقيق ، حديثا طريفا شائقا . وضمنه وصف الحياة الاجتماعية والاغانى الشائعة فى هذه المناطق التى لا يليق بالمصرى أن يجهلها لانها جزء من بلاده

الأدب في شهر

الوطنية والانسانية

أخرج الكاتب المجرى هنريك رالف كتابا جديداً عن (الوطنية والانسانية) دعا فيه الى تعزيز نظام عصبة الأمم واصلاحه . وقد أشار بصورة واضحة الى وجوب تضافر كل دول العصبة وقيامها بعمل مسلح اجماعى ضد الدولة التى تحدثها نفسها بالاعتداء على دولة أخرى . ومما قاله فى مقدمة كتابه : « ان الدولة المنتمية الى العصبة قد لاتجد من مصلحتها الاشتباك فى حرب مع أية دولة معتدية » ولكن المسألة فى رأى الكاتب ليست مسألة مصلحة بل مسألة دفاع عن مبدأ سلمى انسانى عام ، لو سمحت الدول بانتهاكه فقد تصبح هى ضحية لهذا الانتهاك فى يوم من الايام . وضرب لذلك مثلا بقوله ان انجلترا لو كانت قد حالت بين اليابان وبين الاعتداء على منشوريا ، ما وقعت حرب الحبشة والحرب الاسبانية والحرب الأخيرة بين الصين واليابان ، ولفازت المبادىء الانسانية على النظرية الوطنية الاستعمارية

مسرح فى الهواء الطلق

فى الانباء الواردة من باريس أن المخرج المسرحى المشهور جاك كوبو يعد العدة لافتتاح مسرح فى الهواء الطلق فى احدى ضواحى العاصمة الفرنسية

وستمثل على هذا المسرح درامات المؤلفين الاغريق مثل أشيل وسوفوكليس واريستوفان.

والشائع أن هذا المسرح سيفتتح فى مستهل الصيف المقبل براوية (أوديب الملك) التى اقتبسها أندريه جيد عن سوفوكليس

رمسيس الثانى

نشرت احدى الصحف الألمانية نبأ مؤداه ان الكاتب الانجليزى موريس بارنج يشتغل الآن بوضع قصة تاريخية عن الفرعون رمسيس الثانى، وان الكاتب المسرحى نويل كوارد سيقتبس منها رواية تمثيلية

مذكرات سيسيل سوريل

شرعت الممثلة البارسية الذائعة الصيت سيسيل سوريل فى نشر مذكراتها . وقد أشادت فيها بعبقرية دانونزيو وهنريك ايبسن وموليير . ومن أبدع ما قالته فى حديثها عن المرأة والجمال والحب : « ان المرأة لاتعرف الحب الكبير لانها تكره الثقافة التى تلهب الفكر والعواطف » وأضافت الى ذلك قولها ان الفكر هو قاعدة الجمال سواء عند الرجل أم عند المرأة ، وان امرأة بالغة ما بلغت من الجمال لا يمكن أن تفتن الرجل العصرى إلا اذا كانت على نصيب وافر من الثقافة وعمق التفكير

من يفوز بجائزة نوبل ؟

ترشح انجلترا لجائزة نوبل فى الأدب الروائى الدوس هكسلى ، وترشح فرنسا الشاعر بول فاليرى ، وايطاليا الكاتب مكسيمو بونتامبلى .

وأما أكاديمية ستوكهولم فتفكر فى منح الجائزة لاديب صينى يدعى (تشانج) كان قد وضع كتابا باللغة الفرنسية سماه (والدتى) وصدره بول فاليرى بمقدمة شائقة

لا خطر من حرب أوربية

وضع الكاتب الألماني (الدوبج ران) المشهور بعدائه الشديد للنازى والفاشيزم رسالة حاول أن يثبت فيها عجز ايطاليا وألمانيا عن اضرام نار حرب أوربية جديدة . ومما قاله ان ألمانيا لا مصلحة لها فى البحر الأبيض المتوسط ، وان تسليحها لن يتم على الوجه المطلوب ما دامت تشكو الحاجة الى المواد الأولى ، وانها لن تشتبك فى حرب جديدة مع انجلترا بعد الدرس الذى تلقته فى الحرب الماضية . وأما ايطاليا فتقوم بمناورات سياسية وعسكرية يدفعها اليها خوفها من أن يكون فى نية انجلترا انتزاع الحبشة منها يوما ما . ويرى الكاتب ان ايطاليا متى ضمنت بقاء الحبشة تحت سيطرتها وأمنت حقا غدر انجلترا فلا بد أن تعدل عن مغامرتها الطائشة فى اسبانيا

فى أكاديمية جونكور

انتخب الكاتب الفرنسى فرنسيس كاركو عضواً فى أكاديمية جونكور. وهذه الاكاديمية تجمع عدداً من كبار أدباء فرنسا الاحرار، وتعتبر الهيئة الأدبية الثانية بعد الاكاديمية الفرنسية الرسمية . ولها جائزة مالية كبيرة تمنحها كل عام لأبدع قصة وصفية أو تحليلية . وأما فرنسيس كاركو فهو أديب اشتهر برسم طبقات الشعب الفقيرة ومختلف الاوساط الباريسية التى يعيش فيها جماعة العاطلين والمهاجرين وبنات الهوى

وله مؤلفات عن مصر لم ينصف المصريين فيها، ولم يحاول التعمق فى دراسة عاداتهم وأخلاقهم ، وان كان قد أجاد اجادة ملحوظة فى رسم بعض نواحى تفكيرهم وبعض ألوان الحياة المصرية الخاصة بالطبقات العالية وفريق المتمولين المتمتعين من الأجانب الذين يعيشون فى مصر

شارلى شابلن والاقتصاد الحديث

من المعروف عن الممثل العالمى شارلى شابلن انه رجل واسع الثقافة غزير الاطلاع . وقد دلت على ذلك محادثاته المشهورة مع تاغور وبرناردشو . وقد نقلت صحيفة (العصر الجديد) الباريسية عن مجلة أمريكية أن شارلى أنجز وضع كتاب فى (الاقتصاد الحديث) وان احدى دور النشر الكبيرة فى انجلترا ستتولى طبعه

طبعة جديدة من كتاب الحلاج

أعلن فى باريس فى الشهر الماضى انه ستصدر طبعة جديدة للكتاب الذى وضعه المستشرق الشهير ماسينيون عن الحلاج وصوفيته . ونحن ندهش كيف لم يتقدم أديب عربى حتى اليوم لنقل هذا السفر العالمى الى اللغة العربية

أدب الرحمة

أخرجت الكاتبة البولونية مدام مارتا فيركوفسكي قصة رائعة تصف الشقاء الذى يعانيه أطفال الشوارع فى فرسوفيا . وقد راجت هذه القصة رواجا عظيما وبيعت منها ألوف النسخ ، وعادت على صاحبتها بربح وافر قدر بخمسة آلاف جنيه . ولما كانت مدام فيركوفسكى سيدة ثرية فقد تبرعت بهذا المبلغ كله لانشاء ملجأ جديد لأبناء الشوارع

كفاح الصحراء

تتجه أنظار مصر الآن الى حدودها الغربية حيث تحشد الجنود وتعد الكتائب ، فيجب على المثقفين فيها أن يتبينوا مظاهر الحياة فى هذه الآفاق المجاورة ، كأن يقرأوا كتابا ككتاب « كفاح الصحراء » الذى صدر هذه الأيام بعد أن مات مؤلفه الصحفى الدنماركى الشاب (كنود هولمبو)

قام هذا الصحفي سنة ١٩٢٤ برحلة فى مراكش اتصل فيها ببدوها اتصالا وثيقا ، حبب اليه الحياة الشرقية والدين الاسلامي ، فاعتنق الاسلام ليجد فيه — كما قال — ما افتقد فيما مضى من هدوء النفس ورضا الضمير . وقد قام برحلة شاقة سنة ١٩٣٠ الى مكة مارا بصحراء افريقيا حيث ضل عشرة أيام كاد يهلك فيها ، ثم وقع فى قبضة البدو فلما علموا بأمره أطلقوا سراحه . وقد لاق فى رحلته كثيراً من عنت السلطات الايطالية فى تلك المناطق ، فقبضوا عليه ذات مرة وأرسلوه فى سفينة الى بنغازى ، واضطروه أن يعدل عن رحلته الصحراوية ويستقل السفينة الى الاسكندرية . وهو يصف فى كتابه هذا مشاهد رحلته وصفا فيه كثير من العطف على مركز العرب السياسى ، وكثير من التبصر بشؤونهم الاجتماعية ، وكثير من النقد اللاذع للسياسة الأوربية هناك . وهو ممن يعتقدون أن اتحاد الشرق والغرب ميسور وضرورى ، ويقول فى هذا : « ان الشرق والغرب فرعا شجرة لو بحث كل منا فى أعماق قلبه لوجد جذورها ممتدة متأصلة فيها »

والكتاب على وجه الجملة يستحق أن يقرأ فى هذه الظروف التى تتجه فيها أنظار العالم كله الى هذه البقعة من ساحل البحر الأبيض المتوسط

شباب الاسلام

أصدر الدكتور مورى تيتس ، وهو من الاساتذة الامريكيين المتتبعين شئون الشرق الأدنى ، وتطور حياته الاجتماعية والفكرية ، كتابا وجيزا عن المشاكل التى تواجه شباب الاسلام فى هذه الآونة التى طغت فيها الحضارة الغربية على أفكاره وتقاليده وعقائده

واسم هذا الكتاب « الشباب الاسلامى ينظر الى الحياة » . وقد صاغه فى أسلوب الحديث القصصى ، وأدار الحديث فيه عن لسان رجل مسن وحفيده الشاب منذ أن غادرا مدينة « كاشجار » ذاهبين الى مكة والمدينة لاداء فريضة الحج . فأخذا يتحدثان عن شتى المشاكل التى تعرض لهما ، وكل منهما يبدى رأيه فيها ، وهو رأى يناقض غالبا رأى الآخر ، وبهذا يبين ما اعترض تفكير المسلمين من التطور خلال الجيل الماضى

ولغة الكتاب سهلة بسيطة لانه كتب للشبان الامريكيين ليفهموا حياة هذا الشرق الناهض . وقد تحدث فيه حديثا موجزاً عن حياة الرسول ونشأة الاسلام ، ثم استطرد الى بيان المركز السياسى فى شتى الدول الاسلامية ، ثم عن اتجاه التفكير فى الجيل الاسلامى الناشىء وما ينتظر أن يحدثه من ثورة اجتماعية فى القريب العاجل . والكتاب على وجه عام يبرأ مما يكتبه أولئك السائحون العابرون ، ومما يكتبه المتحاملون على الشعوب الاسلامية من أخطاء ونقائص

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
في البرازيل		Snr. M.N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo (Brazil)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه مخله سكاف
في انطاكية	سوريا	انيس افندي انطونيوس لاذقاني
في اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قري
في طرابلس الشام	سوريا	عبدالله افندي حسني - غرفة القراءة الامريكية
في حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
في دوما	لبنان	الخواجه ميشال خليل خير
في الناصرة	فلسطين	موسى افندي خميس
في بيروت	لبنان	وجيه افندي طباره ٩ شارع اياس
في دمياط		زكريا افندي الجزاوي، ناظر مدرسة الجزاوي
في حلب	سوريا	عبد الودود افندي الكيالي صاحب المكتبة العصرية
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندي علي النحاس
في الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
في جاوه		Mr. Abdullah Bin Affif—Cheribon Java
في اكوادور		Mr. William Garzozi Casila No. 797 — Guyaquil (Ecuador)
في القاهرة وضواحيها		عوض افندي فهمي

أخلاق الأدباء

بقلم الدكتور طه حسين بك
عميد كلية الآداب

« . . فالأدباء ناس من الناس لهم ما لغيرهم من الاخلاق ، ولكنهم يمتازون بما يمتاز به أصحاب الفن الذين طبعوا عليه ، من الحس المرهف الدقيق ، والشعور القوى الرقيق ، والمزاج العنيف ، فيظهر من أخلاقهم — على اختلاف ما فيها من الخير والشر — ما يخفى من أخلاق غيرهم من الناس . . »

سمعت الكتاب الذى أرسلته الى « الهلال » تريدنى فيه على أن أتحدث الى قرائها عن أخلاق الأدباء ثم التفت إلى صبي أحبه وأوثره وسألته عن أظهر أخلاق الأديب فقال فى لهجة الجد : « الثرثرة ، وتضييع الأوقات وتصديع الرؤوس » ثم استأنى شيئا كأنما يفكر فيما قال ويتناوله بالتمحيص والنقد ثم استأنف حديثه فقال : « ولكن من غير الأدباء من يثرثرون ويضيعون الوقت ويصدعون الرؤوس ، فلنقل ايثارا للدقة وحرصا على التحقيق ، ان الأديب يتخذ الثرثرة صناعة وفنا وطابعا يطبع به حياته ، وغاية ينفق فيه جهده ، على حين يثرثر غيره هاويا للثرثرة لا مقصوراً عليها ولا مدفوعا اليها بحكم الغريزة والطبع » وكذلك استطاع هذا الصبى أن يصور أظهر صفات الأديب فى شىء من الغلو والاسراف ، ولكن فى شىء من الاصابة غير قليل . ولهذا الصبى عذره فيما أسرف وما غلا ، فهو نفسه يحب الأدب ويتكلفه ويوشك أن يشارك فيه ، وربما كان الغلو من أخص صفات الأديب وأظهر خصاله ، ولعل الغلو أن يكون الخصلة الأولى الجوهرية التى تنشأ عنها أخلاق الأديب والتى يصدر عنها الاديب فيما يفعل وما يقول . فالأديب من غير شك انسان صناعته الكلام لا يتكلم ليؤدى ما تعود الناس ان يؤدوه من المعانى فحسب ، ولكنه يتكلم لأنه اتخذ الكلام غاية وغرضا . وهو لم يتخذ الكلام غاية وغرضا الا لأنه أفاض عليه من الروعة وأشاع فيه من الجمال ما جعله خليقا ان يتنافس الناس فيه ويتهالكوا عليه ، وما جعله خليقا أن يطلب أشد الطلب ويرغب فيه أشد الرغبة ، فيتيه به أصحابه ويتخذه منشئه تجارة تربح أحيانا ويدركها الكساد أحيانا أخرى . فالأديب اذن قد عمد الى الكلام الذى يتخذه الناس وسيلة الى تأدية أغراضهم وأداة الى أن يفهم بعضهم بعضا ، فحوله عن وجهه وجعله غاية بعد ان كان سببا ، وغرضا يقصد لنفسه بعد ان كان أداة يوصل الى غيره . والذى مكن الاديب من أن يجعل الكلام غاية بعد ان كان وسيلة ، وغرضا بعد ان كان أداة وسببا ، انما كان هذا الغلو الذى ركب فى طبعه والاسراف الذى كون